وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين علي بن أحمد السمهودي

المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة

تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد

الجزء

٣ - ٤

دار الطلائع





بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين علي بن أحمد السمهودي

المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يكافئ موفور نعمته ، والشكر له سبحانه على سوابغ فضله وعظيم مِنَّتِه ، وصلاة الله وسلامه على سيد وَلَدِ آدم ومُصْطَفَاه من بَرِيَّتِهِ ، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب ، وعلى آله وصحبه وعترته .

أما بعد ، فهذا ثانى ثلاثة كتب صنفها الشيخ العلامة نور الدين على بن أحمد السمهودى ، المصرى ، نزيل المدينة المنورة ، المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة ، وموضوع الكتب الثلاثة واحد :

أولها : كتاب مُفَصَّل ذكر فيه ما أمكنه الوقوف عليه من تواريخ المدينة المنورة ، وما عاينه من أمور لم يظفر بها أحد من مؤرخيها ، وسلك فيه « طريقة الاستيعاب ، وجمع ما افترق من معانى تلك الأبواب ، وتلخيص مقاصد جميع تواريخ المدينة التى وقف عليها ، وإضافة ما اقتضى الحالُ أن يضاف إليها » وهو يسمى هذا الكتاب فى مطلع الكتاب الثانى « اقتفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » وكذلك يسميه صاحب شذرات الذهب ، ولكن حاجى خليفة يسميه « الوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى » والمؤلف نفسه يسميه فى ثنايا كتابه الثانى وفى مطلع الثالث « الوفا » . ولم يظفر هذا الكتاب بالإتمام فضلاً عن الظهور والتداول ، فقد كان المؤلف تركه فى المسجد النبوى وسافر إلى مكة المكرمة فاحترق الكتاب فيما احترق بحريق أماكن من المسجد الشريف .

وثانيها : كتاب وَسِيطٌ صنفه استجابة لمن « طاعته غُنْم ، ومخالفته غُرم » وقصد به أن يختصر كتابه الأول « مع توسط غير مُفْرِط » و « مع ما رأى فى ذلك من الإتحاف بأمورٍ لا توجَدُ فى غيره من المختصرات بل ولا المبسوطات ، سيما فيما يتعلّق بأخبار الحجرة الشريفة ، ومعالمها المنيفة ، فقد استفادَ ذلك عِياناً ،

وعلم أخبارها إيقانا ، بسبب ما حدث فى زمانه من العمارة ؛ لاشتمالها على تجديد ما كاد أن يَهِيَ فى الحجرة الشريفة من الأركان ، وإحكام ما أحاط بها من البنيان ، وتشرفه بالخدمة فى إعادة بنيانها ، وحُظْوَتِهِ بالوقوف على عرصَتِها ، وتَمَتُّعه بانتشاق تربتها » .

وهذا الكتاب هو الذى نقدمه بين يدى القارئ ، واسمه « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » بعد تحقيق أصله ، وتفصيله ، وضبط غرائبه ، والتعليق عليه تعليقا وجيزا يبين ما لا بد للقارئ المتوسط من معرفته من شرح كلمة غريبة أو بيان موضع أصبح اسمه فى ذمة التاريخ ، أو إشارة إلى خطأ وقع فى الأصول التى اعتمدناها فى إخراج هذا الكتاب ، أو نحو ذلك مما يعرض لنا .

وثالثها : كتاب مختصر « فى نحو نصف وفاء الوفا ، مع جمع مقاصده وتحسين وصفه » واسم هذا الكتاب « خلاصة الوفا ، بأخبار دار المصطفى » .

وقد طبع الكتابان الثانى — وهو هذا — والثالث ، مراراً ، طبعا غير مُفَصَّل ولا مضبوط ، وذلك شأن الوراقين فى كل ما كانوا ينشرونه من كتب العلم والأدب والتاريخ ، ولما أراد الشيخ محمد النمنكانى نزيل المدينة المنورة والكتبى بها أن يعيد طبع كتاب « الوفا » رغبَ إلىَّ فى تحقيقه وتفصيله ، وصادف ذلك منى رغبة خالصة لوجه الله تعالى ، رجاء أن يتقبل سبحانه هذا العمل الذى أحببت أن أتقرب به إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقمت بضبط غرائبه ، وتفصيل عباراته بوضع علامات الترقيم المحدثة ، ووضع عَنَاوِينَ مُوجَزَة على هامش النسخة ، والله سبحانه المرجُوُّ أن يجعل هذا العمل فى سجل الحسنات ، وأن ينفع به النَّفْعَ المرغوبَ فيه ، إنه ولى ذلك كله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه أبو رجاء ، المعتز بالله تعالى

محمد محيى الدين عبد الحميد

عن مصر الجديدة فى { سلخ جمادى الأولى سنة ١٣٧٤
الموافق ٢٣ من يناير ١٩٥٥ }

ترجمة مؤلف الكتاب

الشيخ العلامة على بن أحمد السمهودى ، رحمه الله !

(١) هو الإمام ، القدوة ، الحجة ، المفنن ، نور الدين ، أبو الحسن على بن القاضى عفيف الدين عبد الله ، بن أحمد بن على بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد ابن عيسى بن جلال الدين أبى العلياء بن أبى الفضل جعفر بن على بن أبى الطاهر ابن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن حسن بن محمد بن إسحاق ابن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن الأكبر بن على بن أبى طالب ، الحَسَنِيّ ، ويعرف بالسمهودى . نزيل المدينة المنورة ، وعالمها ، ومفتيها ، ومدرسها ، ومؤرخها ، الشافعى .

(٢) وُلد فى صفر الخير من سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة ، فى سمهود ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، والمنهاج الفَرْعى ، وكتبا ، ولازم والده حتى قرأ عليه المنهاج بَحْثًا مع شرحه لجلال الدين المحلى ، وشرح البهجة ، وجمع الجوامع ، وسمع عليه بعض كتب الحديث ، وقدم القاهرة معه غير مرة ، ولازَمَ الشمس الجوجرى فى الفقه وأصوله والعربية ، وقرأ على الجلال المحلى بعض شرحَيْه على المنهاج وجمع الجوامع ، ولازم الشريف المناوى وقرأ عليه الكثير ، وألبسه خرقة التصوف ، وقرأ على النجم بن قاضى عجلون تصحيحه للمنهاج ، وعلى الشيخ زكريا فى الفقه والفرائض ، وعلى السعد الديرى وأذن له فى التدريس هو واليامى والجوجرى ، وقرأ على مَنْ لا يُحْصَى مالا يُحْصَى ، وكان على خير كثير .

(٣) قطن بالمدينة المنورة من سنة ثلاث وسبعين ، ولازم فيها الشهاب الأبشيطى ، وقرأ عليه تصانيفه وغيرها ، وأذن له فى التدريس ، وأكثر من السماع هناك على أبى الفرج المراغى ، وسمع بمكة من كمالية بنت النجم المرجانى وشقيقها الكمال ، والنجم عمر بن فهد ، فى آخرين .

(٤) انتفع به جماعة الطلبة فى الحرمين الشريفين ، وألَّفَ عدة تآليف ، منها « جواهر العقدين ، فى فضل الشرفين » ومنها كتاب « اقتفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » الذى ذكرناه فى التصدير ، و بينا أنه احترق قبل تمامه ، ومنها « الوفا ، بأخبار دار المصطفى » وهو الكتاب الذى نعانى إخراجه اليوم ، ومنها «خلاصة الوفا ، بأخبار دار المصطفى» ومنها حاشية على الإيضاح فى مناسك الحج للامام النووى سماها « الإفصاح » ومنها حاشية على الروضة فى فقه الشافعى سماها «أمنية المعتنين ، بروضة الطالبين» وصل فيها إلى باب الربا ، وجمع فتاويه فى مجلد ، وحصل كتبا نفيسة احترقت كلها وهو بمكة فى سنة ست وثمانين .

(٥) زار بيت المقدس ثم عاد إلى المدينة المنورة مستوطنا ، وتزوج بها عدة زوجات ، ثم اقتصر على السَّرَارى ، ومَلَكَ الدور ، وعَمَرَها .

(٦) قال الحافظ السخاوى : قلّ أن يكون أحد من أهل المدينة لم يقرأ عليه

(٧) وفى الجملة هو إمام مفنن ، متميز فى الأصلين والفقه ، مديم دراسة العلم والتأليف ، متوجه للعبادة والمباحثة والمناظرة ، قوىّ الجَلَادة ، قوىّ اليقين .

(٨) توفى بالمدينة المنورة يوم الخميس ثامن عشر ذى القعدة من عام أحد عشر وتسعمائة من الهجرة ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسبغ عليه ذيول فضله وكرمه ، آمين .

انظر شذرات الذهب ٨ / ٥٠ والضوء اللامع ٥ / ٢٤٥ .

فهرس الجزء الأول

من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »

لنور الدين علي بن أحمد السمهودي المتوفى في عام ٩١١ هـ

وقد تمت فهرست الجزء الأول من كتاب « وفاء الوفا » للعلامة السمهودى ، والحمد لله تعالى فى مبدأ أمورنا كلها وفى خواتيمها ، ونسأله جلت قدرته ـ أن يوفق لإكماله ، وأن يسدد خطانا ، ويجعلنا بفضله من المقبولين .

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

خطبة المؤلف

﴿أما بعد﴾ حمد الله على آلائه[1] ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه وأصفيائه ؛ فقد سألني مَنْ طاعتُه غُنْم ، ومخالفته غُرْم ، أن أختصر تأليفي المسمى بـ«اقتفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى» ـ صلى الله عليه وسلم ! وزاده شرفا وفضلا لديه ! ـ اختصاراً مع توسطٍ غير مُفْرِط ، هذا مع كونه بعدُ لم يقدَّر إتمامه بتكامل أقسامه ؛ لسلوكي فيه طريقةَ الاستيعابِ ، وجمعِ ما افترق من معاني تلك الأبواب ، وتلخيص مقاصدِ جميع تواريخ المدينة التي وقفتُ عليها ، وإضافةِ ما اقتضى الحالُ أن يضاف إليها ، مع عُرُوضِ الموانع ، وترادف الشواغل والقواطع ، فأجبته إلى سؤاله ؛ لما رأيت من شَغَفِهِ[2] بذلك وإقباله ؛ مع ما رأيت في ذلك من الإتحاف بأمور لا توجد في غيره من المختصرات بل ولا المبسوطات ، سيما فيما يتعلق بأخبار الحُجْرَة الشريفة ، ومعالمها المنيفة ، فإني قد استفدته عِيَاناً ، وعلمت أخبارها إيقانا ، بسبب ما حدث في زماننا من العمارة التي سنشير إليها ، ونقف في محلها عليها ؛ لاشتمالها على تجديد ما كاد أن يَهِيَ[3] في الحجرة الشريفة من الأركان ، وإحكام ما أحاط بها من البنيان . وتشرفت بالخدمة في إعادة بنيانها ، وتجنَّبت شُهُودَ نَقْض أركانها ، وحَظِيتُ بالوقوف على عرصتها ، وتمتعت بانتشاق[4] تُرْبها ، ونعمت العين بالاكتحال

---

(١) الآلاء : النعم ، واحدها إلى ، بوزن رضا ، ومعنى الإلى : النعمة .

(٢) الشغف ـ بالتحريك ـ المحبة التي تخالط شغاف القلب .

(٣) وهي يهي ـ بوزن وعى يعى ـ ومعناه: سقط . (٤) انتشق التربة : شمها .

بأرضها الشريفة ، ومحالِّ الأجساد المنيفة ، فامتلأ القلب حياء ومهابة ، واكتسى من ثياب الذال أثوابه ، هذا وقد جُبِلت القلوب[١] على الشغف بأخبار هذا المحل وأحواله ، كما هو دأب كل محب مغرم وَالِهٍ[٢] ، ولله در القائل :

أمْلِيانى حديثَ مَنْ سكن الجزْ ع ولا تَكْتُبَاه إلا بِدَمْعِى
فَاتَنِى أن أرى الدِّيارَ بِطَرْفى فَلعَلِّى أرى الديار بسَمْعِى

ولعمرى إن الاعتناء بذلك وضَبْطه وإفادته من مهمات الدين ، وإن النظر فيه مما يزيد فى الإيمان واليقين ؛ لما فيه من معرفة مَعَاهد دار الإيمان ، ونَشْر أعلامها المُرْغِمة للشيطان ، وتذكر آياتها الواضحة التبيان ، والمرجُوُّ من الله تعالى أن يكون كتابُنَا هذا تحفة لمُحِبِّى دار الأبرار ، ومَنْ سكن بها من الأخيار ، ووفَد عليها من الوُفَّاد ، وقد بذلت الجهد فى تهذيبه وتقريبه، رجاء دعوة تَمْحُو الأوزار[٣] ، وتُقِيل العِثار ، ونظرة قبول من المصطفى المختار ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأخيار !.

وسميته « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » صلى الله عليه وسلم ، وشرف وعظم !

ورتبته على أبواب :

أبواب الكتاب

الباب الأول : فى أسماء هذه البلدة الشريفة .

الباب الثانى : فى فضائلها ، وبَدْء شأنها ، وما يَؤُول إليه أمرها ، وما يتعلق بذلك ، وفيه ستة عشر فصلا : الأول: فى تفضيلها على غيرها من البلاد، الثانى : فى الحثِّ على الإقامة بها ، والصبر على لَأْوَائها[٤] وشدتها ، وكونها تَنْفِى الخَبَث

---

(١) جبلت القلوب : فطرت وطبعت ، يريد أن ذلك طبيعتها وجبلتها وفطرتها التى فطرها الله تعالى عليها .

(٢) الواله : الذى اشتد حبه حتى قارب الجنون .

(٣) الأوزار : الذنوب ، واحدها وزر ، بكسر الواو وسكون الزاى .

(٤) اللأواء : الشدة ؛ فعطف الشدة عليه عطف تفسير .

والذنوب ، ووَعيدِ من أرادها وأهْلَهَا بسوء أوأحدث بها حَدَثا أو آوى مُحْدثا ، الثالث : فى الحثّ على حفظ أهلهــا و إكرامهم ، والتحريض على الموت بهــا ، واتخاذ الأصل [١]، الرابع : فى بعض دعائه صلى الله عليه وسلم لها ولأهلها ، وما كان بها من الوَبَاء ، ودعائه بنَقْله ، الخامس : فى عصمتهــا من الدجّال والطاعون ، السادس : فى الاستشفاء بترابها وتمرها ، السابع : فى سَرْدِ خصائصها ، الثامن : فى صحيح ماورد فى تحريمها ، التاسع : فى بيان عَيْر وثَوْر اللذين وقع تحديدُ الحرم بهما ، العاشر : فى أحاديث أُخَرَ تقتضى زيادة الحرم على ذلك التحديد وأنه مقدر ببريد ، الحادى عشر : فى بيان مافى هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد ، ومن ذهب إلى مقتضاها ، الثـانى عشر : فى حكمة تخصيص هذا المقـدار المعين بالتحريم ، الثالث عشر : فى أحكام هذا الحرم الـكريم ، الرابع عشر : فى بدء شأنهــا ، وما يؤول إليــه أمرها ، الخـامس عشر : فيما ذكر من وقوع ما ورد من خروج أهلها وتركهم لهــا ، الســادس عشر : فى ظهـور نار الحـجاز التى أنذر بهــا النبى صلى الله عليه وسـلم فظهرت من أرضها ، وانطفاؤها عند وصولها إلى حرمها .

الباب الثالث : فى أخبار سكانها فى سالف الزمان ، ومَقْدَمِه صلى الله عليه وسلم إليها ، وما كان من أمره بها فى سِنِي الهجرة ، وفيه اثنا عشر فصلا . الأول: فى سكانها بعد الطوفان ، وما ذكر فى سبب سكنى اليهود بها ، و بيان منازلهم ، الثانى : فى سبب سكنى الأنصار بها ، الثالث : فى نسبهم ، الرابع : فى ظهورهم على اليهود ، وما اتفق لهم مع تُبَّع ، الخامس : فى منازلهم بعد إذلال اليهود ، وشىء

---

(١) المراد بالأصل هنا المال ، وسيأتى تعليله بأن المال يحمل الإنسان على البقاء ؛ فـكأن المقصود من اتخاذ الأصل الإقامة الدائمة بها .

من آطامهم (١) وحروبهم ، السادس : فى ما كان بينهم من حرب بُعَاث ، السابع : فى مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبى الكريم ، وذكر العَقَبة الصغرى ، الثامن : فى العقبة الكبرى وما أفْضَتْ إليه (٢) ، التاسع : فى مبدأ هجرته صلى الله عليه وسلم ، العاشر : فى دخوله صلى الله عليه وسلم أرضَ المدينة وتأسيس مسجد قُباء ، الحادى عشر : فى قدومه باطن المدينة المنيفة ، وسكناه بدار أبى أيوب الأنصارى ، وخبر هذه الدار ، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، الثانى عشر : فى ما كان من أمره صلى الله عليه وسلم بها فى سنين الهجرة (٣) .

الباب الرابع : فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم ، والحُجُرات المنيفات ، وما كان مُطِيفاً بها من الدور والبلاط ، وسوق المدينة ، ومنازل المهاجرين ، واتخاذ السور ، وفيه سبعة وثلاثون فصلا : الأول : فى أخذه صلى الله عليه وسلم لموضع مسجده الشريف ، وكيفية بنائه ، الثانى : فى ذَرْعِهِ وحدوده التى يتميز بها عن سائر مسجده اليوم ، الثالث : فى مَقَامِهِ الذى كان يقوم به قبل تحويل القبلة وبعده ، وما جاء فى تحويلها ، الرابع : فى خبر الجِذْع ، واتخاذ المنبر ، وما اتفق فيه ، الخامس : فى فضل المسجد الشريف ، السادس : فى فضل المنبر المنيف والروضة الشريفة ، السابع : فى الأساطين (٤) المنيفة ، الثامن : فى الصُّفّة وأهلها ، وتعليق الأقناء (٥) لهم بالمسجد ، التاسع : فى حُجَره صلى الله عليه وسلم ، وبيان إحاطتها بمسجده إلا من جهة المغرب ، العاشر : فى حجرة ابنته فاطمة رضى الله عنها ، الحادى عشر : فى الأمر بسَدِّ الأبواب ، وبيان ما استثنى من ذلك ، الثانى عشر : فى زيادة عمر رضى الله عنه فى المسجد ، الثالث عَشَرَ : فى البطيحاء التى بناها

---

(١) الآطام : الحصون ، واحدها أطم ، بضم الهمزة والطاء جميعا ، ووزانه عنق وأعناق .

(٢) أفضت إليه : آلت إليه ، يريد آثارها التى ترتبت عليها .

(٣) كذا ، والفصيح « فى سنى الهجرة » .

(٤) الأساطين : جمع أسطوانة ، والمراد الأعمدة . (٥) الأقناء : جمع قنو .

بناحيته ، ومنعه من إنشاد الشعر ورفع الصوت فيه ، الرابع عشر : فى زيادة عثمان رضى الله عنه ، الخامس عشر : فى المقصورة التى اتخذها به ، السادس عشر : فى زيادة الوليد على يد عمر بن عبد العزيز ، السابع عشر : فيما اتخذه عمر فيها من المحراب والشرُفات والمَنَارات والحرس ، ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه ، الثامن عشر : فى زيادة المهدى ، التاسع عشر : فيما كانت عليه الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة فى مبدأ الأمر، العشرون : فى عمارتها بعد ذلك ، والحائز[1] الذى أدير عليها ، الحادى والعشرون : فيما روى فى صفة القبور الشريفة بها ، وأنه بقى هناك موضع قبر لعيسى عليه الصلاة والسلام ، وتنزل الملائكة حافّينَ بالقبر الشريف ، وتعظيمه ، والاستسقاء به ، الثانى والعشرون : فيما ذكر من صفتها وصفة الحائز الدائر عليها ، وما شاهدناه مما يخالف ذلك ، الثالث والعشرون : فى عمارة اتفقت بها بعد ما تقدم ، على ما نقله بعضهم ، وما نقل من الدخول إليها وتأزيرها بالرخام ، الرابع والعشرون : فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الكريم والمسمار الفضة المواجه للوجه الشريف ، ومقام جبريل عليه السلام ، وكسوة الحجرة وتَحْليتها ، الخامس والعشرون : فى قناديلها ومعاليقها ، السادس والعشرون : فى الحريق الأول القديم المستولى على تلك الزخارف المُحْدَثة بها وبالمسجد وسقفها وما أعيد من ذلك ، السابع والعشرون : فى اتخاذ القُبَّة الزرقاء تمييزاً للحجرة الشريفة والمقصورة الدائرة عليها ، الثامن والعشرون : فى عمارتها المتجددة فى زماننا ، على وجه لم يخطر قط بأذهاننا ، وما حصل من إزالة هَدْم الحريق من ذلك والمحل الشريف ، ومَشَاهد وضعه المنيف ، وتصوير ما استقر عليه أمر الحجرة ، التاسع والعشرون : فى الحريق الحادث فى زماننا بعد العمارة السابقة ، وما ترتب عليه ألحقته هنا مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه فى الفصول ؛ لحدوثه بعد الفراغ من مُسَوَّدة كتابنا هذا ، وفى آخره خاتمة فيما نقل من عَمَل نور الدين الشهيد

---

(١) الحائز : المراد به جدار يحيط بالحجرة .

لخندق مملوء من الرَّصَاص حَوْلَ الحجرة ، الثلاثون : فى تحصيب المسجد[1] ، وأمر البزاق فيه، وتَخْليقه[2] ، وإجماره ، وشيء من أحكامه ، الحادى والثلاثون : فيما احتوى عليه من الأرْوِقَة والأساطين والبلوعات والسقايات والحواصل ، وغيرذلك، الثانى والثلاثون : فى أبوابه وخوخاته ، وما يميزها من الدور المحاذية لهـا ، الثالث والثلاثون : فى خوخة آل عمر رضى الله عنـه ، الرابع والثلاثون : فيما كان مطيفاً به من الدور ، الخامس والثلاثون : فى البـلاط وما حوله من منازل المهاجرين ، السادس والثلاثون : فى سوق المدينـة ، السابع والثلاثون : فى منازل القبائل من المهاجرين ، وما حدث من اتخاذ السور .

الباب الخامس : فى مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، وغير ذلك من مساجد المدينة التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم أو جلس مما علمت عَيْنَه أوجِهَته ، وفضل مقابرها ، ومن سمى ممن دفن بها ، وفضل أُحُدٍ والشهداء به ، وفيـه سبعة فصول : الأول : فى مُصَلّى الأعياد ، الثانى : فى مسجد قباء ، وخبر مسجد الضِّرَار ، الثالث : فى بقية المساجد المعلومة العين فى زماننا ، الرابع : فيما علمت جهته من ذلك ، ولم يعلم عينه ، الخامس : فى فضـل مقابرها ، السادس : فى تعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت رضـوان الله عليهم ، والمَشَاهد المعروفة بها ، السابع : فى فضل أُحُدٍ والشهداء به .

الباب السادس : فى آبارها المباركات ، والعين والغراس والصـدقات ، التى هى للنبى صلى الله عليه وسلم منسوبات ، وما يُعْزَى إليه[3] من المساجد التى صلى فيها فى الأسفار والغزوات ، وفيه خمسة فصول : الأول : فى الآبار المباركات ، وفيـه تتمة فى العين المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسـلم ، والعين الموجودة فى زماننا ، الثانى : فى صدقاته صلى الله عليه وسلم وما غَرَسَه بيده الشريفة ، الثالث : فيما

---

(١) تحصيب المسجد : فرشه بالحصباء ، وهى صغار الحصى .

(٢) تخليقه : أى مسه بالخلوق ـ بفتح الخاء ـ وهو ضرب من الطيب ، والمراد تطييب المسجد ، والمراد بإجماره تبخيره .

(٣) يعزى : ينسب .

ينسب إليه من المساجد التى بين مكة وَالمدينة بالطريق التى كان يسلكها صلى الله عليه وسلم ، الرابع : فى بقية المساجد التى بينهما بطريق ركب الحاج فى زماننا ، وطريق المشيان[1] ، وماقرب من ذلك ، الخامس : فى بقية المساجد المتعلقة بغَزَوَاته وعُمَرِه صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع : فى أوْدِيَتِهَا وأحْمَائِهَا[2] وبِقَاعِها وجبالها وأعمالها ومضافاتها ، ومشهور ما فى ذلك من المياه والأودية ، وضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك ، وفيه ثمانية فصول : الأول : فى فضل وادى العَقِيقِ وَعرْصَته وحُدُوده ، الثانى : فيما جاء فى إقطاعه وابتناء القصور به وطريق أخبارها ، الثالث : فى العَرْصَة وقُصُورها ، وشىء مما قيل فيها وفى العقيق من الشعر ، الرابع : فى جماواته ، وأرض الشجرة ، وثَنِيَّة الشريد ، وغيرها من جهاته ، وفيه خاتمة فى سَرْدِ ما يدفع فيه من الأوْدِيَةِ ومابه من الغُدْرَان ، الخامس : فى بقية أوْدِيَةِ المدينة ، السادس : فيما سمى من الأحماء ومَنْ حَمَاها وشرح حال حِمَى النبى صلى الله عليه وسلم بالنقيع ، السابع : فى شرح بقية الأحماء ، وأخبارها ، الثامن : فى بقاع المدينة وأعراضها وأعمالها ومُضَافَاتها وأنْدِيَتِهَا وجِبالهاوتِلاَعِها[3] ، ومشهورما فى ذلك من الآبار والمياه والأودية ، وضَبْط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك وبالمساجد والآطام والغزوات ، وشرح حال مايتعلّق بجهات المدينة وأعمالها من ذلك ، على ترتيب حروف الهجاء .

الباب الثامن : فى زيارته صلى الله عليه وسلم ، وفيه أربعة فصول : الأول : فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصا ، الثانى : فى بقية أدِلَّتها ، وبيان تأكد مشروعيتها ، وقربها من درجة الوجوب ، حتى أطلقه بعضُهم عليها ، وبيان حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره ، وشَدِّ الرِّحَالِ إليه ، وصحة نَذْرِ زيارته ، والاستئجار للسلام عليه ، الثالث : فى توسُّلِ الزائر ، وتَشَفُّعه به صلى الله عليه وسلم

(١) كذا ، ولعله «المشاة» جمع ماش ، بزنة قاض وقضاة ورام ورماة .

(٢) الأحماء : جمع حمى . (٣) التلاع : جمع تلعة ، وهى ماارتفع من الأرض

إلى ربه تعالى ، واستقباله له صلى الله عليه وسلم فى سلامه وتوسله ودعائه ، الرابع : فى آداب الزيارة والمجاورة ، والتبرك بتلك المساجد والآثار ، وهذا الباب وإن كان من حقه التقديم ، لكنه لما كان كنتيجة الكتاب ، ومقدماته ما تقدمه من الأبواب ، ختمت به أقسامه ؛ ليكون المسك ختامه ، وسر الوجود تمامه ، وتفاؤلا بأن يفتح لى به ثمانية أبواب الجنة ، ويعظم لى بسببه سوابغ المنة [1] ، وبالله لا سواه أعتصم ، وأسأله العصمة مما يصم [2] ، فهو حسبى ونعم الوكيل .

الباب الأول

فى أسماء هذه البلدة الشريفة

أعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة ، وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى إنى زدت على شيخ مشايخنا المجد الشيرازى اللغوى ــ وهو أعظم الناس فى هذا الباب ــ نحو ثلاثين اسما ، فرقمت على ذلك صورة ليتميزوها ، وأنا أوردها مرتبة على حروف المعجم .

أثرب

الأول : أثرب — كمسجد ، بفتح الهمزة وسكون المثلثة وكسر الراء وباء موحدة — لغة فى «يثرب» الآتى ، وأحد الأسماء كألملم ويلملم ، قيل : سميت بذلك لأنه اسم من سكنها عند تفرق ذرية نوح عليه السلام فى البلاد ، وهل هو اسم للناحية التى منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو للمدينة نفسها ، أو لموضع مخصوص من أرضها ؟ أقوال ، الأول لأبى عبيدة ، والثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ومشى عليه الزمخشرى ، والثالث هو المغنى بقول محمد بن الحسن أحد أصحاب مالك ويعرف بابن [3] زبالة : وكانت يثرب أم قرى المدينة ، وهى ما بين طرف قناة

---

(١) المنة : العطية ، وسوابغها : جزيلها وعظيمها ، وأصل السابغ الثوب يغطى الجسم كله . (٢) وصمه يصمه ــ بوزن وصفه يصفه ــ أى عابه ونقصه .

(٣) زبالة ــ بزنة سحابة ــ اسم موضع منه محمد بن الحسن المعروف بابن زبالة قاله فى القاموس ، ويقال له أيضا « الزبالى » على النسبة ، وهو ممن روى عن مالك ابن أنس إمام دار الهجرة ، لكنه ليس بثقة ، قاله فى تهذيب التهذيب ٩ /١١٥ .

إلى طرف الجرف ، وما بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة ، وقد نقل ذلك الجمالُ المطرى عنه ، وزاد فى النقل أنه كان بها ثلاثمائة صائغ من اليهود ، وابن زَبَالة إنما ذكر أن ذلك كان بزهوة ، وقد غايَرَ بينها وبين يثرب ، وكأن الجمال فَهِمَ اتّحادها ، وقد قال عقب نَقْله لذلك عنه : وهو يعنى يثرب معروفة اليوم بهذا الاسم ، وفيها نخيل كثيرة ملك لأهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم ، وهى غربى مشهد سيدنا حمزة ، وشرقى الموضع المعروف بالبركة مصرف عين الأزرق ، ينزلها الحاج الشامى فى وروده وصدوره ، وتسميها الحجّاجُ عيون حمزة ، وهى إلى اليوم معروفة بهذا الاسم ، أعنى يثرب ، وربما قالوا فيها « أثارب » بصيغة الجمع ، وبه عبر البرهان ابن فَرْحُون فى مناسكه ، فلك أن تعده اسما آخر ، وهذا الموضع يثرب قال المطرى : كان به منازل بنى حارثة بَطْنٍ ضَخْم من الأوس ، قال : وفيهم نزلَ قولُه تعالى فى يوم الأحزاب: «وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا[1] »ورجح به القول الثالث، وذلك أن قريشا ومَنْ معهم نزلوا يوم الأحزاب ويوم أحُدٍ أيضا على ما ذكره المطرى بِرومة وما والاها بالقرب من منازل بنى حارثة من الأوس ومنازل بنى سلمة من الخزرج ، وكان الفريقان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركز الحرب ، ولذلك خافوا على ذَرَارِيهم وديارهم العدوّ يوم أحد ؛ فنزل فيها « إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللهُ وَلِيُّهُمَا[2] » قال عقلاؤهم : ما كرهنا نزولَهَا لتولّى الله إيانا ، ودفع الله عنهم ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وصدق نياتهم ، وقيل : إن القائل لبنى حارثة « يا أهل يثرب لا مُقَامَ لكم » هو أَوْسُ بن قَيْظِى ومَنْ معه ، وقيل : غير ذلك

قلت : ويرجِّحُ القولَ الثالث أيضا قولُ الحافظ عمر بن شَبَّةَ النميرى[3] : قال

---

(١) من سورة الأحزاب من الآية ١٣ (٢) من سورة آل عمران من الآية ١٢٢

(٣) عمر بن شبة – بفتح الشين وتشديد الباء الموحدة مفتوحة – بن عبيدة ، واسم شبة زيد ، البصرى ، النميرى ، الأخبارى ، النحوى ، الأديب ، الحافظ ، وثقه الدارقطنى ، مات فى سنة ٢٦٢ من الهجرة ، وله ترجمة فى تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦٠) وفى خلاصة الخزرجى (٢٨٣ بولاق) .

أبو غسان : وكان بالمدينة فى الجاهلية سوق بزَبَالة فى الناحية التى تدعى يثرب ، انتهى . ولا شك فى إطلاق يثرب على المدينة نفسها ، كما ثبت فى الصحيح ، وشواهدُه أشهر من أن تذكر ، وسيأتى فى الفصل الرابعَ عَشَرَ من الباب الثانى ما يقتضى أن الله تعالى سماها قبل أن تعمر وتسكن ، فإما أن يكون موضوعا لها ، أو هو من باب إطلاق اسم البعض على الكل ، أو من باب عكسه على الخلاف المتقدم .

وروى ابن زُبَالة وابن شبة نَهْيَه صلى الله عليه وسلم عن تسمية المدينة يثرب ، وفى تاريخ البخارى حديث «مَنْ قال يثرب مرة فَلْيَقُلْ المدينة عشر مرات » وروى أحمد وأبو يَعْلَى حديثا « من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله ، وهى طابة » ورجاله ثقات ، وفى رواية « فَلْيَسْتَغْفِرِ الله ثلاثا » ولهذا قال عيسى بن دينار : من سمى المدينة يثرب كتبت عليه خطيئة ، وكره بعضُ العلماء تسميتها بذلك ، وما وقع فى القرآن من تسميتها به إنما هو حكاية عن قول المنافقين ، ووَجْهُ كراهة ذلك إما لأنه مأخوذ من الثَّرَب — بالتحريك — وهو الفساد ، أو لكراهة التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ، أو لتسميتها باسم كافر ، وقد ينازع فى الكراهة بما فى حديث الهجرة فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم « فذهب وَهْلِى[1] إلى اليمامة أو هَجَر ، فإذا هى المدينة يثرب » وحديث مسلم « إنه وجهت إلى أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب » وكذا جاء فى غيرهما من الأحاديث ، وقد يجاب بأن ذلك كان قبل النهى .

أرض الله

الثانى « أرض الله » قال الله تعالى : «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا[2] » ذكر مقاتل والثعلبى وغيرهما أن المراد به المدينة ، وفى هذه الإضافة من مزيد التعظيم ما لا يخفى .

الهجرة

الثالث « أرض الهجرة » كما فى حديث « المدينة قُبَّة الإسلام » .

---

(١) الوهل — بفتح الواو وسكون الهاء — الوهم .

(٢) من سورة النساء من الآية ٩٧ .

أكالة البلدان

الرابع « أكالة البلدان » لتسلطها على جميع الأمصار ، وارتفاعها على سائر بلدان الأقطار ، وافتتاحها منها على أيدى أهلها فغنموها وأكلوها .

أكالة القرى

الخامس « أكالة القرى » لحديث الصحيحين «أمرت بقرية تأكل القرى» وقد استدل به مُثبِتو الاسم قبله ، وهو أصرحُ فى هذا ؛ للفرق بين البلدة والقرية .

الإيمان

السادس « الإيمان » قال الله تعالى مُثْنِياً على الأنصار « وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ »[١] وأسند ابنُ زَبَالَة عن عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر قالا : سمَّى الله المدينة الدار والإيمان ، وأسند ابن شَبَّة عن الثانى فقط . وقال البيضاوى فى تفسيره : قيل سمى الله المدينة بالإيمان لأنها مَظْهره ومَصِيره . وروى أحمد الدينورى فى كتابه المجالسة فى قصة طويلة عن أنس بن مالك « أن مَلَكَ الإيمان قال : أنا أسكن المدينة ، فقال مَلَكُ الحياء : وأنا مَعَكَ » فأجمعت الأمة على أن الإيمان والحياء ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى فى حديث «الإيمان يَأْرِزُ إلى المدينة كما تأرزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها»[٢] .

البارة والبرة

السابع « البارة » ، الثامن « البرة » هما من قولك : امرأة بارة وبَرَّة ، أى كثيرة البر ، سميت بذلك لكثرة برها إلى أهلها خصوصا و إلى جميع العالم عموما ؛ إذ هى مَنْبَع الأسرار و إشراق الأنوار ، و بها العيشة الهنية ، والبركات النبوية .

البحرة والبحيرة

التاسع «البَحْرة» بفتح أوله وسكون المهملة . العاشر «البُحَيْرة » تصغير ماقبله . الحادى عشر « البَحِيرَة » بفتح أوله — نقلتُ ثلاثَتَهَا عن منتخب كراع ، والأولان عن معجم ياقوت ، والاستبحار : السَّعَة ، ويقال : هذه بَحْرَتُنا ، أى أرضنا أو بلدتنا ، سميت بذلك لكونها فى مُتسع من الأرض ، وفى الصحيح قول سعد فى قصة ابن أبى[٣] «ولقد اصْطَلَح أهلُ هذه البحيرة على أن يُتَوِّجُوه » رواه

---

(١) من سورة الحشر من الآية ٩ .

(٢) الإيمان يأرز : المراد يلجأ إليها ويعتصم بها ، وأرزت الحية إلى جحرها : أى لاذت به .

(٣) ابن أبى : هو عبد الله بن أبى ابن سلول ، أبوه أبى ، وسلول أمه ، وهو رأس المنافقين ، والذى يشير إليه هذا الحديث أن أهل المدينة كانوا قد أجمعوا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يجعلوه ملكا عليهم .

ابن شبة بلفظ « أهل هـذه البحيرة » وقال عياض فى المشارق : البَحْرة مدينة النبى صلى الله عليه وسـلم ، ويروى البَحْرة ، والبُحَيْرة : بضم الباء مصغراً و بفتحها على غير التصغير ، وهى الرواية هنا ، ويقال « البحر » أيضاً بغير تاء سا كن الحاء ، وأصله القرى ، وكل قرية بحرة . انتهى .

البلاط — الثانى عشر: « البَلاَط » بالفتح — نقل عن كتاب ليس لابن خالويه ، وهو لغــةً الحجارةُ التى تفرش على الأرض ، والأرض المفروش بها والمستوية الملساء ، فكأنها سميت به لـكثرته فيها ، أو لاشتمالها على مواضـع تعرف به كما سيأتى فى الباب الرابع إن شاء الله تعالى .

البلد — الثالث عشر: «البلد » قال تعالى « لا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ[1] » قال الواسطى فيما نقله عن عياض : أى يحلف لك بهـذا البلد الذى شرفته بمكانك فيـه حياً و ببركتك ميتاً ، يعنى المدينة ، وقيل : المراد مكة ، ونقل عن ابن عباس ، و به استدل مَنْ ذكره فى أسمائها ، ورجّحه عياض لـكون السورة مكية ، والبلد لغةً صدر القرى .

بيت الرسول — الرابع عشر : « بيت الرسول » صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحق[2] » ، قال المفسرون : أى من المدينة لأنها مُهَاجَرُهُ ومسكنه [فهى] فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه ، أو المراد بيته بها .

ندد وتندر — الخامس عشر : « تنـدد » بالمثناة الفوقيـة والنون و إهمال الدالين . السادس عشر : « تندر » براء بدل الدال الأخيرة مما قبله ، وسيأتى دليلهما فى يندد و يندر بالمثناة التحتية ، وأن المجد صَوَّبَ حذف ما عَدَا يندر بالتحتية .

الجابرة — السابع عشر: « الجابرة » لعـده فى حديث «للمدينة عشرة أسماء» سميت به لأنها تَجْبُرُ الـكَسِير ، وتغنى الفقير ، وتجبر[3] على الإذعان لمطالعة بركاتها ، وشهود آياتها : وجَبَرَتِ البلادَ على الإسلام .

---

(١) من سورة البلد ، الآية ١ . (٢) من سورة الأنفال من الآية ٥

(٣) تجبر هنا بمعنى تقهر ، وأما التى قبلها فمن قولهم « جبرت الـكسير » أى أصلحت ما فسد منه .

جبار

الثامن عشر « جَبَارِ » كحَذَامِ ، رواه ابن شبة بدل الجابرة فى الحديث المذكور .

الجبارة

التاسع عشر « الجبارة » نقله صاحبُ كتاب أخبار النواحى مع الجابرة والمجبورة عن التوراة .

جزيرة العرب

العشرون « جزيرة العرب » قال ابن زَبَالة : كان ابن شهاب يقول : جزيرة العرب المدينة ، وسيأتى فى حديث ابن عباس « خرجْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فالْتَفَتَ إليها وقال : إن الله برّأ هذه الجزيرة من الشرك » ونقل الهروى عن مالك أن المراد من حديث « أخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » المدينةُ خاصةً ، والصحيحُ عن مالك كقولنا أن المراد الحجاز .

الجنة الحصينة

الحادى والعشرون « الجُنَّةُ الحصينة » بضم الجيم ، وهى الوقاية ؛ لما حكاه بعضهم من قوله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد « أنا فى جُنَّةٍ حَصِينة — يعنى المدينة — دَعُوهُمْ يَدْخُلُونَ نقاتلهم » وروى أحمد برجال الصحيح حديث « رأيت كأنى فى دِرْعٍ حصينة ، ورأيت بَقَرًا تُنْحَر ، فأولْتُ الدرعَ الحصينةَ المدينة » وهذا هو المذكور فى كتب السير .

الحبيبة

الثانى والعشرون « الحبيبة » لحبه لها صلى الله عليه وسلم ، وقال « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينَةَ كحبنا مَكَّةَ أو أشد » وسيأتى مزيد بيان لذلك فى اسمها المحبوبة .

الحرم

الثالث والعشرون « الحرم » بالفتح بمعنى الحرام ؛ لتحريمها ، وفى حديث مسلم « المدينة حرم » وفى رواية « إنها حرم آمن » .

حرم رسول الله

الرابع والعشرون « حَرَمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم » لأنه الذى حرمها ، وفى الحديث « مَنْ أخاف أهْلَ حرمى أخَافَهُ الله » ، وروى ابن زَبَالة حديث « حرَمُ إبراهيم مكةُ وحَرَمِى المدينةُ » .

حسنة الخامس والعشرون « حَسَنَة » بلفظ مقابل السيئة ، قال تعالى : «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدنيا حَسَنَةً[١]» قال المفسرون : مَبَاءة حسنة[٢]، وهى المدينة ، وقيل : حسنة اسم المدينة ، وقد اشتملت على الحُسْن الحسيّ والمعنوى .

السادس والعشرون « الخَيِّرة » بتشديد المثناة التحتية كالنيرة .

الخيرة السابع والعشرون « الخَيْرَة » كالذى قبله إلا أن الياء مخففة، تقول : رجل خَيِّر وخَيْر ، وامرأة خَيِّرة وخَيْرة ، بالتشديد والتخفيف ، بمعنًى ، وهو الكثير الخير ، وإذا أردت التفضيل قلت : فلان خَيْرُ الناسِ ، وفى الحديث « والمدينة خَيْرٌ لَهُمْ لو كانوا يعلمون » وسيأتى حديث « المدينة خَيْرٌ من مكة » .

الدار الثامن والعشرون «الدار» لقوله تعالى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ»[٣] على ما سبق فى الإيمان ، سميت به لأَمْنِهَا والاستقرار بها وجَمْعها البناءَ والعَرْصة .

دار الأبرار التاسع والعشرون « دار الأبرار » . الثلاثون « دار الأخيار » لأنها دار المصطفى المختار ، والمهاجرين والأنصار ، ولأنها تَنْفِي شِرَارها ومَنْ أقام بها منهم فليست فى الحقيقة له بدار، وربما نقل منها بعد الدفن على ما جاء فى بعض الأخبار .

دار الإيمان الحادى والثلاثون « دار الإيمان » كما فى حديث « المدينة قُبَّةُ الإسلام ودار الإيمان » إذ منها ظهورُه وانتشاره ، وسيأتى فى حديث « الإيمان يأرِزُ إلى المدينة كما تأرِزُ الحيةُ إلى جُحْرِها »[٤]

دار السنة ونحوها الثانى والثلاثون «دار السنة». الثالث والثلاثون «دار السلامة». الرابع والثلاثون «دار الفتح». الخامس والثلاثون «دار الهجرة»؛ فى صحيح البخارى قولُ عبد الرحمن لعمر رضى الله عنهما « حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة » وفى رواية

---

(١) من سورة النحل من الآية ٤١

(٢) المباءة : المنزل ، وتقول : تبوأ فلان المكان ، تريد أنه اتخذه محلا يقيم فيه ، وبوأته إياه : أحللته

(٣) من سورة الحشر من الآية ٩ .

(٤) انظر الهامشة ٢ فى ص ١١ .

الـكشميهنى «والسلامة» وقد فتحت منها مكة وسائر الأمصار ، وكانت بها عصابة الأنصار ، ومُهَاجَرَة النبي المختار[١] ، صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين الأبرار ، ومنها انتشرت السنة فى الأقطار .

ذات الحجر — السادس والثلاثون « ذات الحُجر » لاشتمالها عليها ، قال أبو بكر رضى الله عنه مُثنيا على الأنصار : ما وجَدْتُ لنا ولهذا الحيِّ من الأنصار مَثَلاً إلا ما قال طُفَيْلٌ الغَنَوِىُّ :

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَـا ... تُلَاقِى الَّذِى يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

هُمُ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَوْلَجُوا ... إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَأَتْ وأظَلَّتِ

ذات الحرار — السابع والثلاثون « ذات الحِرَار » لـكثرة الحرَار بها ، وفى قصة خُنافر ابن التوأم الحميرى الـكاهن[٢] عن رَئِيِّه من الجن وقد وصف له دين الإسلام ، فقال له خنافر : من أين أبغى هذا الدين ؟ قال : مِنْ ذاتِ الأَحَرِّينَ ، وَالنَّفَرِ الْمَيَامِين ، أَهْلِ الْمَاء وَالطِّينِ ، قلت : أَوْضِحْ ، قال : الْحَقْ بيثربَ ذاتِ النَّخْلِ والحرة ذات النعل ، قال الأصمعى : أَحَرُّونَ وحِرَار جمع حَرَّة .

ذات النخل — الثامن والثلاثون « ذات النخل » وهو وذات الحجر مما استعمله المتأخرون فى أشعارهم ، وقد نسجت على مِنْوَالهم حيث قلت فى مطلع قصيدة :

أَشْجَانُ قَلْبِى بذاتِ النَّخْلِ والحُجَرِ ... وَأُخْتِهَا تِلْكَ ذَاتِ الحِجْرِ والحَجَرِ

تَقَسَّمَ الْقَلْبُ بَيْنَ البلدتين ؛ فَلَا ... أَنْفَكُّ مِنْ لَهَبِ الأَشْوَاقِ فِى سُعُرِ

وفى أحاديث الهجرة « أُرِيتُ دارَ هجرتى ذَاتَ نخلٍ وحرة »[٣] ، وقال عمران ابن عامر الكاهن يصف البلاد لقومه : ومَنْ كان منكم يريد الراسخات فى الوحل ، الْمُطْعِمات فى الْمَحْلِ[٤] ، فليلحق بالحرة ذات النخل . وروى كما سيأتى : بيثرب ذات النخل

(١) المراد أنها موضع هجرته صلى الله عليه وسلم . (٢) انظر حديثه فى ترجمته فى الإصابة رقم (٢٣٤٢) . (٣) الحرة — بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين — الأرض ذات الحجارة السود التى كأنها محروقة بالنار .

(٤) المحل — بفتح الميم وسكون الحاء المهملة — الجدب والقحط .

السلقة

التاسع والثلاثون « السلقة » ذكره أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الإقشهرى فى أسمائها المنقولة عن التوراة ، ولم نضبطه ، وهو محتمل لفتح اللام وكسرها ، والسَّلَق بالتحريك: القاعُ الصَّفْصَف(١) ، وسَلَقْتُ البيضَ: أغليته بالنار ، والمِسْلاَق : الخطيبُ البليغ ، وربما قيل للمرأةِ السليطة : سَلِقة ـ بكسر اللام ـ فتسميتها بذلك لاتساعها وبُعْدها عن جبالها ، أولَلأوائها ، أو لشدة حرها وما كان بها من الحمى الشديدة ، أو لأن الله تعالى سَلَّط أهلَهَا على سائر البلاد فافتتحوها

سيدة البلدان

الأربعون « سيدة البلدان » لما أسنده الديلمى من الِحلية لأبى نعيم عن ابن عمر مرفوعا « يا طيبة يا سيدَةَ البلدان »

الشافية

الحادى والأربعون « الشافية » لحديث « ترابها شفاء من كل داء » وذكر الجذام والبرص ، ولقد شاهدنا من استشفى بترابها من الجذام فنفعه الله به ، والاستشفاء بتربة صُعَيب(٢) من الحمى مشهور، كماسيأتى، ولما صح فى الاستشفاء بتَمْرها ، وذكر ابن مسدى الاستشفاء من الحمى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم ، وسيأتى أنها تنفى الذنوب فتشفى من دائها .

طابة وطيبة

الثانى والأربعون « طَاَبة » بتخفيف الموحدة . الثالث والأربعون : « طَيْبَة » بسكون المثناة التحتية . الرابع والأربعون « طَيِّبَة » بتشديدها . الخامس والأربعون « طائب » ككاتب ، وهذه الأربعة مع اسمها المطيبة أخوات لَفْظاً ومعنًى ، مختلفات صيغة ومَبْنًى ، وقد صحّ حديث « إن الله سمى

---

(١) القاع : الأرض السهلة المطمئنة التى قد انفرجت عنها الجبال ، والصفصف — بوزن جعفر — المستوى .

(٢) فى خلاصة الوفا (ص ٢٨ ط الحلبى) نقلا عن طاهر بن يحيى العلوى « صعيب : وادى بطحان دون الماجشونية ـ أى الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية ـ وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه . وهو اليوم إذا وبىء إنسان أخذ منه » اهـ وفى معجم ما استعجم للبكرى (ص ٨٣٤) « صعيب — على لفظ تصغير صعب — موضع فى ديار بلحرث » اهـ وانظر ما يأتى فى الفصل الرابع من هذا الباب فى الاستشفاء بترابها وبتمرها وما جاء فيه .

المدينة طابة » وفى رواية « إن الله أمرنى أن أسمى المدينة طابة » وروى ابن شَبَّة وغيره: كانوا يسمون يَـثْرِبَ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة، وفى حديث « للمدينة عشرة أسماء هى المدينة وطيبة وطابة » ورواه صاحب النواحى بلفظ طابت بدل طيبة ، وعن وهب بن مُنَبه : والله إن اسمها فى كتاب الله — يعنى التوراة — طيبة وطابة ، ونقل عن التوراة تسميتها بالمطيبة أيضا ، وكذا بطابة والطيبة، وتسميتها بهذه الأسماء إما من الطَّيِّب بتشديد المثناة ، وهو الطاهر ؛ لطهارتها من أدناس الشرك ، أو لموافقتها من قوله تعالى « بريح طَيِّبة[1] » أو لحلول الطَّيِّب بها صلى الله عليه وسلم، أو لكونها كالكِير تَنْفِي خَبَثها وينصع طِيبهَا ، و إما من الطِّيبِ — بسكون المثناة — لطيب أمورها كلها ، وطيب رائحتها ، ووجود ريح الطيب بها ، قال ابنُ بَطَّال : مَنْ سكنها يَجدُ من تربتها وحيطانها رائحةً حسنة ، وقال الإشبيلى : لتربة المدينة نَفْحَة ، ليس طيبها كما عهد من الطيب ، بل هو عجب من الأعاجيب ، وقال ياقوت : من خصائصها طيبُ ريحها ، وللمطر فيها رائحة لا توجد فى غيرها ، وما أحسن قَوْلَ أبى عبد الله العطَّار :

بِطيبِ رَسُول الله طَابَ نَسِيمُهَا فَمَا المِسْكُ مَا الكَافورُ مَا المَنْدَلُ الرَّطْبُ

ظباب

السادس والأربعون « ظباب » ذكره ياقوت، ولم يضبطه، وهو إما بكسر المهملة أو بفتح المعجمة ؛ فالأول بمعنى القطعة المستطيلة من الأرض ، والثانى من ظبب[2] وظَبْظِبَ إذا حُمّ ؛ لأنها كانت لا يدخلها أحد إلا حُمّ ، قاله المجد .

العاصمة

السابع والأربعون « العاصمة » لأنها عَصَمَتِ المهاجرين ووَقَتْهُمْ أذى المشركين ، ولما تقدم فى « الجُنَّة الحصينة » ويحتمل أن يكون بمعنى المعصومة لعصمتها قديماً بجيوش موسى وداود عليهما السلام المبعوث إلى مَنْ كان بها من الجبابرة ، وحفظها حديثاً نبيُّ الرحمة صلى الله عليه وسلم حتى صارت حَرَماً آمناً ، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون ، ومَنْ أرادها بسوء أذابه الله .

---

(١) من سورة يونس من الآية ٢٢ . (٢) لم أجد أول هذين الفعلين .

العذراء — الثامن والأربعون « العـذراء » بإهمال أوله وإعجام ثانيه ، منقول عن التوراة ، سميت به لحفظها من وَطْء العدو القاهر فى سالف الزمان ، إلى أن تَسَلَّمها مالـكُها الحقيقى سيد الأنام ، مع صعوبتها وامتناعها على الأعداء ، ولذلك سميت البكر بالعـذراء .

العراء — التاسع والأربعون « العَرَّاء » بإهمال أوله وثانيه وتشديده ، بمعنى الذى قبله ، قال أئمة اللغة : العراء الجارية العذراء ، كأنها شبهت بالناقة العراء التى لا سَنَام لها وصغر سنامها كصغر نَهْدِ العذراء أو عدمه ؛ فيجوز أن يكون تسمية المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها فى السماء .

العروض — الخمسون « العرُوض » كصَبُور ، وقيل : هو اسم لها ولمـاحولها ؛ لانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيهـا ، وقال الخليل : العَرُوض : طريقٌ فى عرض الجبل ، وعَرَضَ الرجلُ إذا أتى المدينة[1] ؛ فإن المدينة سميت عروضا لأنها من بلاد نجد ، ونجـد كلها على خط مستقيم طولانى والمدينة معترضة عنها ناحيةً على أنهـا نجدية .

الغراء — الحادى والخمسون « الغرَّاء » بالغين المعجمة — تأنيث الأغر ، وهو ذو الغُرَّة من الخيل : أى البياض فى مُقَدَّم وجهه ، والغرة أيضاً : خِيار كل شىء ، وغُرَّة الإنسان : وجْهُه ، والأغر : الأبيض من كل شىء ، والذى أخذتِ اللحيةُ جميعَ وجهه إلا القليل ، ومن الأيام الشديدُ الحر ، والرجل الـكريم ، والغراء : نبت طيب الرائحة ، والسيدة الـكبيرة فى قبيلتها ؛ فسميت المدينـة بذلك لشرف معالمها ، ووضـوح مكارمها ، واشتهارها ، وسطوع نُورها ، و بياض نَوْرها ، وطيب رائحتها ، وكثرة نخلها ، وسيادتها على القرى ، وكرم أهلها ، ورفعة محلها .

غلبة — الثانى والخمسون « غلبـة » محركة بمعنى الغَلَب ؛ لظهورها واستيلائها على سائر البـلاد ، وهو اسم قديم جاهلى ، قال ابن زَبَالة : حدثنى داود بن مسكين

---

(١) ومنه قول عبد يغوث بن وقاص الحارثى ، وكان قد أسر فى يوم كلاب :

أيَا رَاكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ ... نَدَامَاىَ مِنْ نَجْرَانَ أنْلاَ تَلاَقِيَا

الأنصارى عن مشيخته قالوا : كانت يثرب فى الجاهلية تدعى غَلَبة ، نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها ، ونزلت الأوسُ والخزرجُ على اليهود فغلبوهم عليها ، ونزل الأعاجم على المهاجرين فغلبوهم عليها ، كذا فى النسخة التى وقفْتُ عليها من كتاب ابن زَبالة ، ونقله المجد عن الزبير بن بكار راوى كتاب ابن زَبالة ، وقال فيه بدل قوله ونزل الأعاجم : ونزل المهاجرون على الأوس والخزرج فغلبوهم عليها .

الفاضحة

الثالث والخمسون « الفاضحة » بالفاء والضاد المعجمة والحاء المهملة ـ نقله بعضُهم عن كُرَاع ، ومأخَذُها ما سيأتى فى معنى كونها تنْفى خَبَثَها من أنها تميزه وتظهره فلا يُبْطِنُ بها أحدٌ عقيدةً فاسدةً أو يضمر أمراً إلا ظهر عليه ، وافتضح به ، بخلاف غيرها من البلاد ، وقد شاهدنا ذلك كثيراً بها .

القاصمة

الرابع والخمسون « القاصمة » بالقاف والصاد المهملة — نقل عن التوراة سميت به لقَصْمِها كل جبار عناها[1] ، وكسر كل متمرد أتاها ، ومن أرادها بسوء أذابه الله .

قبة الإسلام

الخامس والخمسون « قبة الإسلام » لحديث « المدينة قبة الإسلام » .

قرية الأنصار

السادس والخمسون « قرية الأنصار » قال ابن سِيدَة : القرية — بفتح القاف وكسرها — المصرُ الجامعُ ، من قَرَيت الماءَ فى الحوض ، إذا جمعته ، وقال أبو هلال العسكرى : العربُ تسمى كل مدينة صغرت أو كبرت قريةً ، قلت : وسيأتى فى معنى « المدينة » ما يقتضى أنه يعتبر فى مسماها زيادتها على القرية ونقصها على المصر ، وقيل : يطلق عليه ، والأنصار : واحدهم ناصر ، سموا بذلك لنصرهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وإيوائهم له وللمهاجرين ، فمدَحَهم اللهُ بقوله : « والذين آوَوْا ونَصَرُوا[2] » فسماهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، وكان يقال لهم قبل ذلك الأوس والخَزْرَج ، وفى الحديث عن غَيْلان بن جرير

---

(١) عناها : قصدها ، والمراد قصدها بسوء ، ووقع فى المخطوطات « عتاها » بالتاء المثناة ، تطبيع .

(٢) من سورة الأنفال من الآية ٧٢ .

قال : قلت لأنس بن مالك : أرأيتم اسمَ الأنصار ، كنتم تسمون به أم سماكم الله ؟ قال : بل سمانا الله . وسيأتى فى حديث « إن الله قد طهر هذه القرْيَة من الشرك » فلك أن تعده اسما آخر .

قرية رسول الله

السابع والخمسون « قرية رسول الله صلى الله عليه وسلم » لما سيأتى فى عصمتها من الدجال من قوله صلى الله عليه وسلم « ثم يسير حتى يأتى المدينة ، ولا يأذن له فيها ؛ فيقول: هذه قرية ذاك الرجل » يعنى النبى صلى الله عليه وسلم .

قلب الإيمان

الثامن والخمسون « قلب الإيمـان » أورده ابن الجوْزى فى الوفاء فى حديث « المدينة قبة الإسلام » .

المؤمنة

التاسع والخمسون « المؤمنـة » إما لتصديقها بالله حقيقةً كذوى العقول ؛ إذ لا بُعْدَ فى خلق الله تعالى قوةً فى الجماد قابلةً للتصديق والتكذيب[1] ، وقد سمع تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسـلم ، أو مجازاً لاتِّصاف أهلها بذلك ، ولانتشار الإيمـان منها ، وأشتمالها على أوصاف المؤمن من النفـع والبركة وعدم الضرر والمسكنة ، وإما لإدخالها أهلَهَا فى الأمان من الأعداء، وأمنهم من الدجال والطاعون ، وروى ابن زَبَالة فى حديث « والذى نفسى بيده إن تربتها لمؤمنة » وروى « أنها مكتوبة فى التوراة مؤمنة » .

المباركة

الستون « المباركة » ؛ لأن الله تعالى بارك فيها بدعائه صلى الله عليه وسـلم لحديث « اللهم اجعـل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلتَ بمكة من البركة » وغيره من الأحاديث الصحيحة الـكثيرة ، وآثارُ تلك الدعوات من الأمور الظاهرات .

مبوأ الحلال والحرام

الحادى والستون « مُبَوَّأ الحلال والحرام » رواه الطبرانى فى حديث «المدينة قُبَّـة الإسـلام » والتبوؤ : التمـكن والاستقرار ، سميت به لأنها محل تمـكن هذين الحـكمين واستقرارهما ، وفى بعض النسخ « مَثْوَى » بالمثلثة السا كنة بدل

---

(١) وقد قيل فى قوله تعالى من سورة فصلت من الآية ١١ (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) : إنه سبحانه قد خلق فى السماء وفى الأرض قوة الإدراك وفهم الخطاب وإنهما أجابتا ، ولهذا قال سبحانه (طائعين) وعبر عنهما كما يعبر عن العقلاء .

الموحدة ، والأول هو الذى رأيته بخط الحافظ أبى الفتح المراغى .

مبين الحلال والحرام

الثانى والستون « مبين الحلال والحرام » رواه ابن الجوزى والسيد أبو العباس القرافى فى حديث « المدينة قبة الإسلام » بدلَ الذى قبله ، سميت به لأنها المحل الذى ابتدأ فيه ببيان الحلال والحرام .

المجبورة

الثالث والستون « المجبورة » بالجيم ــ ذكره فى حديث « للمدينة عشرة أسماء » ونقل عن الكتب المتقدمة ، وسميت به لأن الله تعالى جَبَرَهَا بسكنى نبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم حيا وضمها لأعضائه الشريفة ميتاً بعد نقل حُمَّاها ، وتطييب مَغْنَاها ، والحث على سكناها ، وتنزل البركات بمُدِّها وصَاعِها ؛ فهى بهذا السر الشريف مسرورة ، وبهذه المِنَح العظيمة مجبورة ، تسحب ذيل الفخار ، على سائر الأقطار .

المحبه

الرابع والستون « المحبة » بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الموحدة ــ نقل عن الكتب المتقدمة .

المحبية

الخامس والستون « المحببة » بزيادة موحدة على ما قبله .

المحبوبة

السادس والستون « المحبوبة » نقل عن الكتب المتقدمة أيضاً ، وهذه ثلاثة مع ما تقدم من اسمها الحبيبة من مادة واحدة ، سميت بذلك لما تقدم من حبه صلى الله عليه وسلم لها ودعائه بذلك ، وجاء ما يقتضى أنها أَحَبُّ البِقَاعِ إلى الله تعالى ، ويؤيده أنه تعالى اختارها لحبيبه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً ؛ فهى محبوبة إلى الله تعالى ورسوله وسائر المؤمنين ، ولهذا ترتاح النفوس لذكرها ، وتهيم القلوب لشهود سرها .

المحبورة

السابع والستون « المحبورة » من الحَبَرِ ، وهو السرور ، وكذلك الحُبُرُ والحُبُورُ والحَبْرَة ؛ لما تقدم فى الحبورة[1] ، أو هو من الحَبْرَةِ بمعنى النعمة ، والحبرة[2]

---

(١) لم يسبق هذا الاسم ؛ فلعل المؤلف ذكره فى كتابه الأول الذى جمع أطرافه فى هذا الكتاب ، أو لعله محرف عن « المجبورة » بالجيم ، وهذا عندنا أقرب .

(٢) قال المجد فى القاموس « والحبرة بالفتح : السماع فى الجنة ، وكل نغمة حسنة ، والمبالغة فيما وصف بجميل » اهـ .

أيضا المبالغة فيما وصِفَ[1] بجميل ، والْمِخْبَار من الأرض : السريعةُ النباتِ الكثيرة الخيرات .

المحرمة

الثامن والستون « المحرمة » لما سيأتى فى تحريمها .

المحفوفة

التاسع والستون « المحفوفة » لأنها محفوفة بالبركات ، وملائكةِ السموات ، محفوظة من المخاوف والأوجال ، وعلى أبوابها وأنقابها[2] الملائكةُ يَحْرُسونها من الطاعون والدجال ، وسيأتى حديث « المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة ، على كل نَقْبٍ منها مَلَك ، لا يَدْخُلُها الدجال ولا الطاعون » .

المحفوظة

السبعون « المحفوظة » لأن الله تعالى حفظها من الدجال والطاعون وغيرهما ، وفى حديث « القرى المحفوظة أربع » وذكر المدينةَ منها ، وفى حديث آخر رويناه فى فضائل المدينة للمفضل الجندى « المدينة مشتبكة بالملائكة ، على كل نَقْب[2] منها مَلَك يحرسها » فلك أن تسميها المحروسة أيضا .

المختارة

الحادى والسبعون « المختارة » لأن الله تعالى اختارها للمختار من خلقه فى حياته ومماته .

مدخل صدق

الثانى والسبعون « مدخل صدق » قال الله تعالى « وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ[3] » الآيةَ ، قال بعض المفسرين: مدخل صدق : المدينة ، ومخرجُ صدق : مكة ، وسلطاناً نصيراً : الأنصار ، وروى ذلك عن زيد بن أسلم ، ويَدُلُّ له ما رَوَاه الترمذى وصححه فى سبب نزول الآية .

المدينة، ومدينة الرسول

الثالث والسبعون « المدينة » . الرابع والسبعون « مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم » من مَدَنَ بالمكان إذا أقام ، أومن دَانَ إذا أطاع ، فالميم زائدة ؛ لأن السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها ، أو لأن الله تعالى يُطَاع فيها ، والمدينة : أبيات مجتمعة كثيرة تجاوزحد القرى كثرةً وعمارةً ، ولم تبلغ حد الأمصار ، وقيل : يقال لكل مصر . والمدينة و إن أطلق على أماكن كثيرة فهو علم مدينة

---

(١) فى المطبوعات « المبالغة فما وصفه بجميل » تطبيع ، و قرأ عبارة المجد التى أثرناها لك فى تفسير كلمة «الحبرة» فى ص ٢١ . (٢) الأنقاب : جمع نقب ، والنقب — بفتح أوبضم فسكون — الطريق فى الجبل . (٣) من سورة الإسراء من الآية ٨٠ .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهُجِرَ كونُه علماً فى غيرها ، بحيث إذا أطلق لا يتبادر إلى الفهم غيرها ؛ ولا يستعمل فيها إلا معرفة ، قيل : لأنه صلى الله عليه وسلم سكنها ، وله دانت الأمم ولأمته ، والنكرة اسم لكل مدينة ، وقد نسبوا للكل مَدِينى ، وإلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مَدَنى ، للفرق ، وتسميتها بذلك متكررة فى القرآن العظيم ، ونقل عن التوراة .

المرحومة

الخامس والسبعون « المرحومة » نقل عن التوراة ، سميت به لأنها دار المبعوث رحمة للعالمين ، ومحل تنزيل الرحمة من أرحم الراحمين ، وأول بلد رحمت بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

المرزوقة

السادس والسبعون « المرزوقة » لأن الله تعالى رَزَقَها أفضَلَ الخلق فسكنها ، أو المرزوق أهلها أرزاقا حسية ومعنوية ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولا يخرج أحد منها رغبةً عنها إلا أبدلها الله خيرا منه كما جاء فى الحديث .

مسجد الأقصى

السابع والسبعون « مسجد الأقصى » نقله التادلى فى منسكه عن صاحب المطالع .

المسكينة

الثامن والسبعون « المسكينة » نقل عن التوراة ، وذكر فى حديث « للمدينة عشرة أسماء » وروى عن على يرفعه « إن الله تعالى قال للمدينة : يا طيبة ، يا طابة يا مسكينة ، لا تقبلى الكنوز ، أرفع أجَاجِيرَكِ على أجاجير[1] القرى » عن كعب أنه وجد ذلك فى التوراة ، والأجاجير : السطوح ، وأصل المسكنة الخضوع ، فسميت بذلك إما لأن الله تعالى خَلَق فيها الخضوع والخشوع له ، وإما لأنها مسكَنُ المساكين ، سكَنها كل خاضع وخاشع ، وفى الحديث « اللهمّ أحْيِنِى مسكيناً ، وأمِتْنِى مسكينا ، واحْشُرْنى فى زُمْرَةِ المساكين » .

المسلمة

التاسع والسبعون « المسلمة » كالمؤمنة ، وقد قدمناه ، والإسلام يطلق على

---

(١) الأجاجير : جمع إجار أو إجارة ـ بكسر الهمزة وتشديد الجيم ، وآخره راء مهملة ـ وهو السطح الذى لا سترة عليه ، ويقال فى الجمع « أجاجرة » ويقال فى المفرد « إنجار » بإبدال أول الجيمين نوناً .

الانقياد والانقطاع إلى الله تعالى ، فسميت بذلك إما لأن الله تعالى خَلَق فيها الانقياد والانقطاع إليه ، وإما لانقياد أهلها بالطاعة والاستسلام ، وفتح بلدهم بالقرآن ، لا بالسيف والسهام ، وانقطاعهم إلى الله ورسوله ، وتَبَتُّلهم لنصره وتحصيل سُولِهِ[1].

مضجع الرسول — الثمانون « مَضْجَع رسول الله صلى الله عليه وسلم » لما سيأتى فى حفظ أهلها وإكرامهم من قوله صلى الله عليه وسلم «المدينة مُهَاجَرِى ومَضْجَعِى فى الأرض» .

المطيبة — الحادى والثمانون « المطَيَّبة » بضم أوله وفتح ثانيه — تقدم مع أخواته فى الطيبة

المقدسة — الثانى والثمانون « المقدسة » لتنزُّهها ولطهارتها من الشرك والخبائث ، ولأنها يتبرك بها ويتطهر عن أرجاس الذنوب والآثام .

المقر — الثالث والثمانون « المقَرّ » بالقاف : من القرار كما رأيته فى بعض كتب اللغة وسيأتى فى دعائه صلى الله عليه وسلم لها قوله « اللهم اجعل لنا بها قَرَاراً ورِزْقاً حَسَناً »

المكتان — الرابع والثمانون « المكَّتَان » قال سعد بن أبى سَرْح فى حِصار عثمان :

أرَى الأمر لا يَزْدَادُ إلاَّ تفَاقُماً ‏ ‏ وَأنْصَارُنَا بِالْمَكَّتَيْنَ قَلِيلُ

وقال نصر بن حَجَّاج فيما كتب به إلى عُمَر رضى الله عنه بعد نفيه إياه من المدينة لما سمع امرأة تترنم به فى شعرها لجماله :

حَقَقْتَ بِى الظَّنَّ الذى لَيْسَ بَعْدَهُ ‏ ‏ مُقَامٌ ؛ فَمَا لِى بِالنَّدِىّ كَلاَمُ

فَأصْبَحْتُ مَنْفِيّاً عَلَى غَيْرِ رِيبَةٍ ‏ ‏ وَقَدْ كَانَ لِى بِالْمَكَّتَيْنِ مُقَامُ

والظاهر أن المراد المدينة ؛ لأن قصة عثمان ونَصْر بن حجاج كانتا بها ، وأطلق ذلك لانتقال أهل مكة أو غالبهم إليها وانضمامهم إلى أهلها ، وقد ذكر البرهان القيراطى المكتين فى أسماء مكة، قال التقى الفاسى : ولعله أخذه من قول وَرَقَة بن نوفل :

---

(١) السول — بضم السين — أصله السؤل ، خفف بقلب الهمزة واوا ، وفى القرآن الكريم فى سورة طه من الآية ٣٦ : (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) والسول والسؤل والسؤال بمعنى واحد .

* ببطن المكتين على رجائى *

قال السهيلى : ثَنَّى مكة — وهى واحدة — لأن لها بِطَاحاً وظَوَاهر[١] ، وإنما مقصد العرب فى هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو أعلى البلد وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المعنى ، انتهى . ويحتمل أن تكون التثنية فيما استشهدنا به من قبيل التغليب[٢] وأن المراد مكة والمدينة ، فيسقط الاستشهاد به .

المكينة

الخامس والثمانون « المَكِينة » لتمكنها فى المكانة والمنزلة عند الله تعالى .

مهاجر الرسول

السادس والثمانون « مُهَاجَرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ؛ لقوله : « المدينة مُهَاجَرِى[٣] » .

الموفية

السابع والثمانون « المُوَفِّية » بتشديد الفاء — من التوفية ، ويجوز تخفيفها ، إذ التوفية والإيفاء بمعنى ؛ سُمِّيت به لتوفيتها حقّ الواردين ، وإحسانها نُزُلَ الوافدين حساً ومعنى ، أو لأن سكانها من الصحابة المُوفُونَ بما عَاهَدُوا الله عليه .

الناجية

الثامن والثمانون « الناجية » بالجيم من نجا إذا خَلَص أو أسرع ، أو من نَجَاهُ وَنَاجَاه سارّه[٤] ، أو من النَّجْوة للأرض العالية ، سميت بذلك لنجاتها من العُتَاة والطاعون والدجَّال ، ولإسراعها فى الخيرات ، وسَبْقها إلى حيازة السبق بأشرف المخلوقات ، ولارتفاع شأنها بين الوَرَى ، ورفع أجَاجِيرها[٥] على أجاجير القُرَى .

نبلاء

التاسع والثمانون « نبلاء » نقل من كراع ، وأظنه بفتح النون وسكون الموحدة ممدودا ، من النُّبْل — بالضم والسكون — وهو الفضل والنجابة ، ويقال : امرأة نبيلة فى الحسن ، بَيِّنة النَّبَالة ، وأنْبَلَ النخلُ : أرْطَبَ ، والنُّبْلة — بالضم — الثواب والجزاء والعطية

النحر

التسعون « النحر » بفتح النون وسكون الحاء المهملة — سميت به إما لشدة

---

(١) الظواهر : ظهر مكة ، والبطاح : باطنها ، ويقال « قريش الظواهر » لمن سكن منهم ظاهرها ، و « قريش البطاح » لمن سكن منهم باطنها .

(٢) فى المطبوعات « التقليب » تطبيع

(٣) المهاجر — بضم الميم وفتح الجيم — موضع الهجرة .

(٤) فى المطبوعات « أو من نجاه ونجاه » تطبيع (٥) انظر الهامشة ١ فى ص ٢٣

حرها ، كما يقال : نَحْرُ الظهيرة ، ولذا شاركتها مكة فيه ، و إما لإطلاق النحر على الأصل ، وهما أساس بلاد الإسلام وأصلها .

الهذراء

الحادى والتسعون « الهذراء » ذكره ابن النجار بدل العذراء نقلا عن التوراة ، وتبعه جماعة كالمطرى ؛ فلذلك أثبتناه ، و إن كان الصواب إسقاطه كما بيناه فى الأصل ، وقد رويناه فى كلام مَنْ أثبته بالذال المعجمة ، فالتسمية به لشدة حرها ، يقال : يوم هاذر شديد الحر ، أو لكثرة مياهها وسَوَانيها المُصَوِّتَةِ عند سَوْقِها ، يقال : هذر فى كلامه ، إذا أكثره ، والهذر — محركا — الكثيرالردىء ، و يحتمل أن يكون بالمهملة من « هَدَرَ الحمام » إذا صَوَّت ، والماء انْصَبَّ وانهمر ، والعُشْب طال ، وأرض هادرة : كثيرة النبات .

يثرب

الثانى والتسعون « يثرب » لغة فى أثرب ، وقد تقدم الكلام عليه فيه ، وليست المذكورة فى قول الشاعر :

وَعَدْتَ وَكانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أخَاهُ بِيَتْرَبِ [1]

لأن المجد قال : أجمعوا فيه على تثنية التاء وفتح الراء ، وقال : هى مدينة بحضرموت ، قيل: كان بها عرقوب صاحب المواعيد ، معأن المجد صَحَّح أنه من قُدَماء يهود مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى مشارق عياض قيل : إن يثرب المذكورة فى البيت مثل يثرب المدينة النبوية ، وقيل : قرية باليمامة ، وقيل : إنما هى يترب بمثناة فوقية وراء مفتوحة اسم تلك القرية ، وقيل: اسم قرية من بلاد بنى سعد من تميم ، كما اختلف فى عرقوب هذا ؛ فقيل : رجل من الأوس من أهل المدينة ، وقيل : من العَمَالِيقِ أهلِ اليمامة ، وقيل :من بنى سعد المذكورين اه. وأما قول هند بنت عُتْبة :

لَنَهْبِطَنَّ يَثْرِبَهْ * بِغَارَةٍ مُنْشَعِبَهْ

(١) السجية : الطبيعة والخلقة ، والمواعيد : جمع ميعاد ، وهو الوعد ، و«أخاه» منصوب بمواعيد لأنه جمع المصدر الميمى ، وهو يعمل عمل فعله بإجماع المعتد بهم من النحاة ، وفعله ينصب المفعول به ؛ يقال «وعدته أعده وعداً وموعداً وميعاداً» .

فالظاهر أن الهاء فيه للسكت ، فليس اسماً آخر .

الثالث والتسعون « يندد » ذكره كراع هكذا بالمثناة التحتية ودالين ، وهو إما من النَّدّ وهو الطيب المعروف ، وقيل : العنبر ، أو من النَّد للتل المرتفع ، أو من الناد وهو الرزق(1) .

يندد

الرابع والتسعون « يندر » بإبدال الدال الأخيرة من الاسم قَبْلَه راء ، ذكره المجدُ عند سَرْد الأسماء ، ولم يتكلم عليه بعد ، لما سنذكره ، وإثباته لوقوعه كذلك في حديث « للمدينة عشرة أسماء » في بعض الكتب ، وفي بعضها بمثناة فوقية ودالين ، وفي بعضها كذلك مع إبدال الدال الأخيرة راء ؛ فتحرر من مجموع ذلك أربعة أسماء : اثنان بالمثناة التحتية ، واثنان بالفوقية ، وذلك المستند في تقديمها في محلها ، وقال المجد : إن ذلك كله تصحيف ، وإن الصواب يندد بالمثناة التحتية ودالين(2) ، وفيه نظر ؛ لأن الزركشي عند ذكر أسماء المدينة جمع بين اثنين من هذه الأربعة وقال : ذكرهما البكري ؛ فيحتمل ثبوت الأخيرين ، وحديث « للمدينة عشرة أسماء » رواه ابن شَبَّة من طريق عبد العزيز بن عمران ، وَسَرَدَها فيه ثمانية فقط ، ثم روى من طريقه أيضاً عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سَمَّى اللهُ المدينةَ الدارَ والإيمان ، قال : وجاء في الحديث الأول ثمانية أسماء ، وجاء في هذا اسمان ، فالله أعلم أهما تمام العشرة أم لا اهـ . ورواه ابن زَبَالة كذلك إلا أنه سَرَد تسعة فزاد اسم الدار ، وأسقط العاشر ، ونقل ابنُ زبالة أن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال : بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسماً ، والله أعلم .

يندر

---

(1) يقال « ليس لهؤلاء ناد » أي رزق ، قاله المجد .

(2) قال المجد في (ندد) ما نصه «ويندد : موضع ، ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم» وقال في (ندر) ما نصه « ويندر كحيدر : من أسماء المدينة ، أو هو بدالين » اهـ .

الباب الثانى

فى فضائلها ، و بَدْءِ شأنها وما يؤول إليه أمرها ، وظهور النار المنذَرِ بها من أرضها ، وانطفائها عند الوصول إلى حرمها ، وفيه ستة عشر فصلا

الفصل الأول

فى تفضيلها على غيرها من البلاد

مكة أفضل أم المدينة

قد انعقد الإجماع على تفضيل ما ضَمّ الأعضاء الشريفة ، حتى على الكعبة المنيفة ، وأجمعوا بعدُ على تفضيل مكةَ والمدينةَ على سائر البلاد ، واختلفوا أيهما أفضل ؛ فذهب عمر بن الخطاب وابنُه عبدُ الله ومالك بن أنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة ، وأحْسَنَ بعضُهم فقال : محلُّ الخلافِ فى غير الكعبة الشريفة ، فهى أفضل من المدينة ماعدا ماضم الأعضاء الشريفة إجماعا ، وحكاية الإجماع على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة نقله القاضى عِياض ، وكذا القاضى أبو الوليد[1] الباجِىُّ قبله كما قال الخطيب ابن جملة ، وكذا نقله أبو اليمن ابن عساكر وغيرهم ، مع التصريح بالتفضيل على الكعبة الشريفة ، بل نقل التاجُ السبكى عن ابن عَقيل الحنبلى أن تلك البقعة أفضل من العرش .

وقال التاج الفاكهى : قالوا: لا خلاف أن البقعة التى ضمت الأعضاء الشريفة أفضلُ بِقَاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبة ، ثم قال: وأقول أنا : أفضل بقاع السموات أيضا ، ولم أرَ من تعرض لذلك ، والذى أعتقده أن ذلك لو عُرِضَ على علماء الأمة لم يختلفوا فيه ، وقد جاء أن السموات تشرفت بمواطىء قدميه صلى الله عليه وسلم ، بل لو قال قائل إن جميعَ بقاع الأرض أفضلُ من جميع بقاع السماء شرفها لكون النبى صلى الله عليه وسلم حالاًّ فيها لم يبعد ، بل هو عندى الظاهر المتعين

---

(1) فى خلاصة الوفا (ص ١٠) « أبو الوليد الناجى » بالنون .

الأرض أفضل أم السماء؟

قلت : وقد صرح بما بحثه من تفضيل الأرض على السماء ابنُ العِمَادِ نقلا عن الشيخ تاج الدين إمام الفاضلية

قال : وقالوا : إن الأكثرين عليه ؛ لأن الأنبياء خُلِقوا من الأرض وعبَدوا الله فيها ، ودفنوا بها اه .

وقال النووى : المختار الذى عليه الجمهور أن السموات أفضل من الأرض ، وقيل : إن الأرض أشرف ؛ لأنها مُسْتقر[١] الأنبياء ومَدْفنهم ، وهو ضعيف

قلت : وكأن وجه تضعيفه للثانى أن الكلام عن مطلق الأرض ، ولا يلزم من تفضيل بعضها لكونها مدفَنَ الأنبياء تفضيلُ كلها ، وضعف أيضا بأن أرواح الأنبياء فى السموات والأرواح أفضل من الأجساد ، وجوابه ما سنحققه إن شاء الله تعالى من حياة الأنبياء فى قبورهم ، صلوات الله وسلامه عليهم

وقال شيخنا المحققُ ابن إمام الكاملية فى تفسير سورة الصف : والحق أن مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرفُ من كل ما سواها من الأرض والسماء ، ومحلُّ الخلافِ فى غير ذلك كما كان يقرره شيخ الإسلام البلقينى

قال الزركشى : وتفضيلُ ماضم الأعضاء الشريفة للمجاورة ، ولهذا يحرم للمحدث مس جلد المصحف[٢] .

عود لتفضيل مكة أو المدينة

قال القرافى : ولما خفى هذا المعنى على بعض الفضلاء أنكر حكاية الإجماع على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة . وقال : التفضيلُ إنما هو بكثرة الثواب على الأعمال ، والعملُ على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم ، قال : ولم يعلم أن أسباب التفضيل أعم من الثواب ، والإجماع منعقد على التفضيل بهذا الوجه

---

(١) المستقر : مكان الاستقرار ، واستقرار الأنبياء فى الأرض أما فى حياتهم فلأنها موطن دعوتهم والحاجة إليهم فيها ، وأما بعد وفاتهم فلأن مدفنهم بها .

(٢) قاس ما ضم الأعضاء على جلد المصحف ، فكما أعطى جلد المصحف حكم المصحف لعلة المجاورة أعطى ما ضم الأعضاء حكم الأعضاء لعلة المجاورة ، والقرافى جعل العلة هى كثرة الثواب فلم يصح عنده هذا القياس .

لا بكثرة الثواب ، ويلزمه أن لا يكون جِلْدُ المصحف — بل ولا المصحف نفسه — أفْضَلَ من غيره لتعذر العمل فيه ، وهو خرق للاجماع

قلت : وما ذكره من التفضيل بالمجاورة مُسَلَّم ، لكن ما اقتضاه من عدم التفضيل لكثرة الثواب فى ذلك ممنوع لما سنحققه .

كلام للعز ابن عبدالسلام

وأصلُ الإشكال لابن عبد السلام فإنه قال فى أماليه : تفضيلُ مكة على المدينة أو عكسه معناه أن الله يرتّب على العمل فى إحداهما من الثواب أكثر مما يرتبه على العمل فى الأخرى ؛ فيشكل قول القاضى عياض : أجمعت الأمة على أن موضع القبر الشريف أفضل ؛ إذ لا يمكن أحد أن يعبد الله فيه .

كلام للتقى السبكى

قال التقى السبكى : وقد رأيت جماعة يستشكلون نقل هذا الإجماع ، وقال لى قاضى القضاة السروجى الحنفى : طالعتُ فى مذهبنا خمسين تصنيفا فلم أجد فيها تعرضا لذلك ، قال السبكى : وقد وقفت على ماذكره ابن عبد السلام من أن الأزمان والأماكن كلها متساوية ، ويفضلان بما يقع فيهما ، لا بصفات قائمة بها ، ويرجع تفضيلها إلى ما يُنِيلُ اللهُ العبادَ فيهما ، وأن التفضيل الذى فيهما أن الله يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما ، قال السبكى : وأنا أقول : قد يكون التفضيل لذلك ، وقد يكون لأمر آخر فيهما ، وإن لم يكن عمل ؛ فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ، وله عند الله من المحبة ، ولساكنه ماتقصر العقول عن إدراكه ، وليس ذلك لمكان غيره ، فكيف لايكون أفضل الأماكن ؟ وليس محل عمل لنا ، فهذا معنى غير تضعيف[1] الأعمال فيه ، وأيضا فباعتبار ماقيل : إن كل أحد يدفن بالموضع الذى خلق منه[2] ، وأيضا فقد تكون الأعمال مضاعفة فيها باعتبار أن النبى صلى الله عليه وسلم حى ، وأن أعماله مضاعفة أكثر من كل أحد ؛ فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن

---

(١) تضعيف الأعمال : أراد به تضعيف ثوابها ، بأن يعطيه الله على العمل فيهما أضعاف ما يعطيه على هذا العمل فى غيرها (والله يضاعف لمن يشاء) .

(٢) سيأتى ذكر هذه المسألة والاستدلال عليها ، انظر ص ٣٢ الآتية .

قلت : وهذا من النفاسة بمكان ، على أنى أقول : الرحمات والبركات النازلة بذلك المحل يعم فَيْضُها الأمة ، وهى غــير متناهية ؛ لدوام ترقياته عليه الصلاة والسلام ، وما تناله الأمة بسبب نبيها هو الغاية فى الفضل ، ولذا كانت خيرَ أمةٍ بسبب كون نبيها خير الأنبياء[١] ، فكيف لا يكون القبر الشريف أفضلَ البقاع مع كونه منْبَعَ فيض الخيرات ؟ ألا ترى أن الـكعبة على رأى مَنْ منع الصلاة فيها ليست محل عملنا ، أفيقول عاقل بتفضيل المسجد حولها عليها لأنه محل العمل مع أن الـكعبة هى السبب فى إنالة تلك الخيرات ؟ وأيضا فاهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر أمته معلوم ، و إقبال الله عليه دائم ، وهو بهذا المحل الشريف ، فتكثر شفاعته فيه لأمته وأمداده إياهم ، وقد ورد فى حديث « وَفَاتِى خيرٌ لـكم »[وجاء] بيان ذلك بأن «أعمالـكم تُعْرَضُ على ؛ فإن رأيت خيرا حمدت الله ، و إن رأيت غير ذلك استغفرت لـكم » وفى رواية «استوهَبْتُ اللهَ ذنوبكم » وله شواهد تُقويه ، وسيأتى فى الباب الثامن أن المجىء المذكور فى قوله تعالى « ولو أنَّهُمْ إذ ظَلَمُوا أنفسهم جاؤك[٢] » الآيةَ حاصلٌ بالمجىء إلى قبره الشريف أيضا ، فزيارته والمجاورة عنده من أفضل القُربات ، وعنده تجاب الدعوات ، وتحصل الطلبات ، فقد جعله الله تعالى سببا فى ذلك أيضا ، فهو رَوْضَة من رياض الجنة ، بل أفضل رياضها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لقَابُ قَوْسٍ[٣] أحدكم فى الجنة خير من الدنيا ومافيها » بل لو تعلق متعلق بما قررناه من كون القبر الشريف منبع جميع الخيرات وهو بالمدينة فتكون هى أفضل لكان له وجه

وقد قال الحكيم الترمذى فى نوادره : سمعتُ الزبيرَبن بكار يقول : صَنَّفَ بعضُ أهل المدينة فى المدينة كتابا ، وصنف بعض أهل مكة فى مكة كتابا ، فلم

---

(١) وهذا بنص الكتاب الكريم ، قال الله تعالى فى سورة آل عمران من الآية ١١٠ (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر)

(٢) من سورة النساء من الآية ٦٤ .

(٣) قاب قوس : مقداره .

يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة ، يريد كل واحد منهما أن يبرز[1] على صاحبه بها ، حتى برز المدنى على المكى فى خَلَّةٍ واحدة[2] عجزعنها المكى ، وان المدنى قال : إذ كل نفسٍ إنما خلقت من تربته التى يُدْفَنُ فيها بعد الموت ، وكان نفس الرسول إنما خلقت من تربة المدينة ؛ فحينئذ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرض

خلق الإنسان من تربة الأرض التى يدفن فيها

قلت : ويدل لما ذكر من أن النفس تخلق من تربة الدفن ما رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح وله شواهد صحيحة عن أبى سعيد ، قال : « مرَّ النبىُّ صلى الله عليه وسلم عند قبر ، فقال : قَبْرُ مَنْ هذا ؟ فقالوا : فلان الحبشى يارسول الله ، فقال : لا إلهَ إلا الله ، سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التى منها خلق » ورواه الحكيم الترمذى بنحوه عن أبى هريرة ، ورواه البزار عن أبى سعيد بنحوه ، وفيه عبد الله والد ابن المدينى وهو ضعيف ، وروى الطبرانى فى الأوسط نحوه عن أبى الدرداء ، وفيه الأحوص بن حكيم ، وثقه العِجْلى ، وضعفه الجمهور ، وروى فى الكبير أيضا نحوه عن ابن عمر ، وقال الذهبى فى بعض رواته : ضعفوه ، وأسند ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الأحبار : لما أراد الله عز وجل أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أَمَرَ جبريلَ فأتاه بالقَبْضَة البيضاء التى هى موضِعُ قبره صلى الله عليه وسلم ، فعُجِنت بماء التَّسْنيم ، ثم غمست فى أنهار الجنة ، وطِيفَ بها فى السموات والأرض ، فعرَفت الملائكة محمدا وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام ، وسيأتى لهذا مزيدُ بيانٍ فى سَرْد خصائصها .

وقال الحكيم الترمذى فى حديث « إذا قضى الله لعبدٍ أن يموت بأرض جَعَلَ له إليها حاجةً » : إنما صار أجَله هناك لأنه خُلِق من تلك البقعة ، وقد قال الله تعالى : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ[3] » الآية ، قال : فإنما يُعادالمرء من حيث بدىء منه ، قال : وروى أن الأرض عَجَّتْ[4] إلى ربها لما أخذت تربة آدم عليه السلام ، فقال لها : سَأردُّها إليك ، فإذا مات دُفِنَ فى البقعة التى منها تربته

(١) يبرز : يتفوق . (٢) الخلة ـ بفتح الخاء ـ الخصلة .
(٣) من سورة طه من الآية ٥٥ . (٤) عجت : رفعت صوتها كأنها تصرخ .

وعن يزيد الجريرى قال : سمعت ابن سِيرِينَ يقول : لو حَلَفْتُ حلفت صادقا بارا غير شاك ولا مُسْتَثْنٍ أن الله تعالى ما خلق نبيه صلى الله عليه وسلم ولا أبا بكر ولا عمر إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة

وروى ابن الجوزى فى الوفاء عن عائشة قالت : لما قُبِض النبى صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى دفنه ؛ فقالوا : أين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال على : إنه ليس فى الأرض بقعة أكرمُ على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه صلى الله عليه وسلم ، وروى يحيى أن عليا قال لما اختلفوا : لا يُدْفَنُ إلا حيث توفاه الله عز وجل ، وأنهم رَضُوا بذلك .

قلت : ويؤخذ مما قاله على مستند نقل الإجماع السابق(١) على تفضيل القبر الشريف ؛ لسكوتهم عليه ، ورجوعهم إلى الدفن به .

ولما قال الناس لأبى بكر رضى الله عنه : يا صاحب رسول الله ، أين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فى المكان الذى قَبَضَ الله تعالى روحه فيه ؛ فإن الله لم يقبض روحه إلا فى مكان طيب ، رواه الترمذى فى شمائله ، والنسائى فى الكبرى ، وإسنادُه صحيح ، ورواه أبو يعلى الموصلى ، ولفظه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبضُ النبيُّ إلا فى أحب الأمكنة إليه » .

قلت : وأحبها إليه أحبها إلى ربه ؛ لأن حبه تابع لحب ربه إلا أن يكون حبه عن هوى نفس ، وما كان أحبَّ إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل ، ولهذا أخذت تفضيل المدينة على مكة من قوله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أوأشد » أى بل أشد ، أو وأشد ، كما روى به ، ومن إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم كان يحرك دابته إذا رآها من حبها .

---

(١) أى لكونه رضى الله تعالى عنه قد قال عبارة تدل على أن أكرم بقعة فى الأرض هى التى قبضت فيها نفسه صلى الله عليه وسلم ، وقد دفن صلوات الله عليه حيث قبضت نفسه .

وقد روى الحاكم فى مستدركه حديث «اللهمّ إنك أخرجْتَنِي من أحب البقاع إلىّ ، فاسكنّى فى أحبِّ البقاع إليك » وفى بعض طرقه أنه صلى الله عليه وسلم قاله حين خرج من مكة ، وفى بعضها أنه وقف بالحزورة[1] ، وفى بعضها بالحَجُون فقالَهُ ، وقد ضعفه ابن عبد البر

قيل : ولو سلمت صحته فالمراد أحبُّ البقاع إليك بعد مكة ؛ لحديث « إن مكة خير بلاد الله » وفى رواية « أحب أرض الله إلى الله » ولأنه قد صح لمسجد مكة من المُضَاعفة زيادة على ما صح لمسجد المدينة كما سيأتى

قلت : فيما قدمناه من دعائه صلى الله عليه وسلم بحبها أشَدَّ من حب مكة مع ما أشرنا إليه من إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ، ومن أنه تعالى لا يجعلها أحبَّ إلى نبيه إلا بعد جعلها أحبَّ إليه تعالى غنيةٌ عن صحة هذا الحديث ، وكونُ المراد منه ما ذكر خلافُ الظاهر ، وما ذكر لا يصلح مستندا فى الصَّرْفِ عن الظاهر ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قَصَدَ به الدعاء للدار التى تكون هجرتُه إليها ، فطلب من الله أن يُصَيرها أحبَّ البقاع إليه تعالى ، والحب من الله تعالى إنالة الخير والتعظيم للمحبوب ، وهذا يمكن تجدده بعد أن لم يكن ، وقوله « إن مكة خيرد بلاد الله وأحبها إليه » محمول على أنه صلى الله عليه وسلم قاله فى بَدْءِ الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة ، فلما طالت إقامته صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأظهر الله دينه ، وتجدد لها ما سيأتى من الفضائل حتى عاد نفعها على مكه ، فافتتَحَها الله وسائر بلاد الإسلام منها ؛ فقد أنالها الله تعالى وأنال بها من الخير مالم يُنِلْه غيرَها من البلاد ، وظهر إجابة الدعوة الكريمة ، وأنها صارت خير أرض الله وأحبها إليه بعد ذلك ، ولهذا لم يَعُد النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعد فتحها .

---

(١) الحزورة ــ بفتح فسكون ــ كانت سوق مكة ، ثم دخلت فى المسجد الحرام لما زيد فيه ، وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم «وقف بالحزورة، فقال : يابطحاء مكة ماأطيبك من بلدة ! ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك » والحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها .

فإن قيل : إنما لم يعد إليها لأن الله افترض عليه المقام بدار هجرته .

قلنا : لم يكن الله ليفترض عليه المقام بها إلا وهى أفضل؛ لكرامته عنده ، وقد حَثَّ صلى الله عليه وسلم على الاقتداء به فى سكناها والإقامة بها ، وقال : « والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

فإن قيل : قال التقى الفاسى : ظن بعض أهل عصرنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن مكة خير بلاد الله » حين خرج من مكة للهجرة ، وليس كذلك ؛ لأن فى بعض طرق الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك وهو على راحلته بالحزورة ، وهو لم يكن بهذه الصفة حين هاجر ؛ لأن الأخبار تقتضى أنه خرج من مكة مستخفيا ، ولو ركب بالموضع المشار إليه — وهو الذى يقول له عوام مكة عزوة — لأشعر ذلك بسفره .

قلنا : جاء فى رواية لابن زَبَالة أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أمره الله بالخروج قال : « اللهم إنك أخْرَجْتَنِي » الحديثَ ، وقد وقع فى رواية لابن حبان فى حديث الهجرة « فركبا — يعنى هو وأبو بكر — حتى أتَيَا الغار — وهو ثور — فتوارَيَا فيه » وسيأتى فى أحاديث الهجرة ما يقتضى أنهما توجها إلى الغار ليلا بعد أن ذَرَّ صلى الله عليه وسلم ترابا على رؤوس جماعة من الكفار كانوا يَرْصُدونه ، وقرأ أوائل يس يستتر بها منهم ، فلم يَرَوْهُ ، فلا يمتنع أن يكون راكبا فى هذا الموضع .

وأما أمر مَزيد المضاعفة لمسجد مكة ، فجوابه أن أسباب التفضيل لا تنحصر فى المضاعفة ، ألا ترى أن فعل الصلوات الخمسة للمتوجِّه إلى عرفات وظهر يوم النحر بمنًى أفْضَلُ من فعلها بمسجد مكة ، وإن اشتمل فعلها بالمسجد على المضاعفة إذ فى الاتِّباع ما يَرْبو عليها ، ولهذا قال عمر رضى الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة كما سيأتى مع قوله بتفضيل المدينة ، وغايته أن للمفضول مزية ليست للفاضل ، ويؤيد ذلك ما سيأتى من أن المضاعفة تعم الفرض والنفل ، وأن النفل بالبيت

أفضل ، على أنه إن أريد بالمسجد الحرام فى حديث المضاعفة الكعبة فقط كما ستأتى الإشارة إليه ، فالجواب أن الكلام فيما عداها ، مع أن دعاءه صلى الله عليه وسلم للمدينة بضعفى ما بمكة من البركة ، ومع البركة بركتين شاملٌ للأمور الدينية والدنيوية ، وقد يبارك فى العدد القليل فيربو[1] نفعه على الكثير، ولهذا استدل به على تفضيل المدينة لأكثرية المدعو بِهِ لها من البركة الشاملة .

ولا يَرِدُ على ما قررناه ما جاء فى فضل الكعبة الشريفة ؛ إذ الكلام فيما عداها ، ولهذا روى مالك فى الموطأ [2] أن عمر رضى الله عنه قال لعبد الله بن عياش المخزومى : أنت القائل لمكة خير من المدينة ؟ فقال عبد الله : هى حرم الله وأمْنُهُ ، وفيها بيته ، فقال عمر : لا أقول فى حرم الله ولا فى بيت الله شيئا ، ثم قال عمر : أنت القائل لمكة خير من المدينة ؟ فقال عبد الله : هى حرم الله وأمنه ، وفيها بيته ، فقال عمر : لا أقول فى حرم الله ولا فى بيت الله شيئا ، ثم انصرف ، وفى رواية لرُزَين : فاشتد على ابن عياش ، فانصرف .

ولا يَرِدُ أيضا ما بمكة من مواضع النسك ؛ لتعلق النُّسُك بالكعبة ، وأيضا فقد عوّض الله المدينة عن العمرة ما سيأتى فى مسجد قباء ، وعن الحج ما سيأتى مرفوعا « مَنْ خرج لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يُصَلى فيه كان بمنزلة حجة » ، وهذا أعظم ؛ لكونه أيسر ، ويتكرر فى اليوم والليلة مرارا ، والحج لا يتكرر ، ويؤخذ منه أنه يضاف إلى ما جاء فى المضاعفة بمسجدها الحجة لمن أخلص قصده للصلاة .

ولا يَرِدُ أيضا كونه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بعد النبوة أكثر من إقامته بالمدينة ، على الخلاف فيه ؛ لأن إقامته بالمدينة كان سببا فى إعزاز دين الله وإظهاره ، وبها تقررت الشرائع ، وفرضت غالب الفرائض ، وأكمل الله الدين ، واستقر بها صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة .

---

(١) يربو : يزيد .　　(٢) انظر الموطأ (ص ٨٩٤ ط الحلبى سنة ١٣٧٠)

وقد ثبت فى محبته صلى الله عليه وسلم للمدينة ما لم يثبت مثله لمكة ، وحَثَّ عَلَى الإقامة والموت بها ، والصبر عَلَى لأوائها وشدتها ، كما ستقف عليه ، وسيأتى حديث « اللهم لا تجعل مَنَايانا بمكة » وحديث « ماعَلَى الأرض بقعة أحَبُّ إلىَّ من أن يكون قبرى بها منها » يعنى المدينة ، قالها ثلاث مرات .

وقد شرع الله لنا أن نحب ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ، وأن نعظم ما كان يعظمه ، وإذا ثبت تفضيل الموت بالمدينة ثبت تفضيل سكناها ، لأنه طريقه . هذا ، وقد روى الطبرانى فى الكبير والمفضل الجندى فى فضائل المدينة وغيرهما عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال : أشهد سمعت — وفى رواية « لسمعت » — رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المدينة خير من مكة » ، وفى إسناده محمد بن عبد الرحمن الرداد ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : كان يخطىء ، وقال أبو حاتم : ليس بقوى ، وقال أبو زرعة : لين ، وقال الأزدى : لا يكتب حديثه ، وقال ابن عدى : روايته ليست محفوظة ، ولهذا قال ابن عبد البر : هو حديث ضعيف ، وفيما قدمناه غنية عنه .

وفى الصحيحين حديث « إن الايمان ليأرِز إلى المدينة كما تأرِزُ الحية إلى جحرها » ويأرز كمسجد[1] أى ينقبض ويجتمع وينضم ويلتجىء ، وقد رأينا كل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لحبه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة ؛ لأنه فى زمنه صلى الله عليه وسلم للتعلم منه ، وفى زمن الصحابة والتابعين للاقتداء بهم ، ومن بعد ذلك لزيارته ، وفضل بلده ، والتبرك بمشاهدة آثاره ، والاتباع له فى سكناها .

وروينا فى فضائل المدينة للجندى حديث « يوشك الإيمان أن يأرِزَ إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » يعنى يرجع إليها الإيمان .

---

(١) قوله « كمسجد » الأولى أن يقال « كيضرب » ، وانظر ص ١١ الهامشة رقم ٢ .

وأسند ابن زَبَالة حديث « لا تقوم الساعة حتى يحاز الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيلُ الدِّمَنَ » .

وقد تقدم فى الأسماء[١] حديث الصحيحين « أمِرْتُ بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب، وهى المدينة » قال ابن المنذر : يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غَلَبة فضلها على فضل غيرها ؛ فمعناه أن الفضائل تضمحلُّ فى جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدما ، وهذا أبلغ من تسمية مكة « أم القرى » ؛ لأن الأمومة لا تنمحى معها ما هى له أم ، لكن يكون لها حق الأمومة ، انتهى .

وجزم القاضى عبد الوهاب بهذا الاحتمال .

وروى البزار عن علىّ رضى الله عنه حديث « إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدى هذا » يعنى المدينة « و بجزيرة العرب ، ولكن التحريش بينهم » وله أصل فى صحيح مسلم من حديث جابر .

وروى أبو يَعْلىٰ بسند فيه مَن اختلف فى توثيقه و بقية رجاله ثقات عن العباس رضى الله عنه قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فالتفتَ إليها وقال : « إن الله قد برّأ هذه الجزيرة من الشرك » وفى رواية « إن الله قد طَهّر هذه القرية من الشرك ، إن لم تضلّهم النجوم ، قال : يُنزِلُ الله الغيثَ ، فيقولون : مُطِرْنا بِنَوْء[٢] كذا وكذا » وقد تقدم فى الأسماء تسميتها بالمؤمنة والمسلمة ، وأنه لا مانع من إجرائه على ظاهره فهو مقتضٍ للتفضيل ، سيما وسببه ما سبق من كونه صلى الله عليه وسلم خُلِقَ من تربتها .

وقد استدل أبو بكر الأبهرى من المالكية على تفضيلها على مكة بما سبقت الإشارة إليه من أن النبى صلى الله عليه وسلم مخلوق من تراب المدينة ، وهو أفضل البشر ، فكانت تربته أفضل الترب . قال الحافظ ابن حَجَر : وكون تربته أفضل الترب لا نزاع فيه ، وإنما النزاع هل يلزم من ذلك أن تكون المدينة أفضل من

(١) انظر ص ١١ السطر ٣ .

(٢) النوء : أن يسقط نجم فى المغرب مع الفجر ويطلع رقيبه من ساعته .

مكة لأن المجاور للشيء لو ثبت له جميعُ مزاياه لـكان لجارِ ذلك المجاور نحوذلك ؛ فيلزم أن يكون ما جاور المدينة أفضـل من مكة ، وليس كذلك اتفاقاً ، كذا أجاب به بعض المتقدمين ، وفيه نظر ، انتهى .

قلت : لم يبين وجه النظر ، ولعل وجهه أن الأفضل لقوة أصالته في الفضل يفيد مجاوِرَه الأفضلية لمزية هذه المجاورة الخاصة ، وهي منتفية عن مجاور المجاور ، ألا ترى أن جلد المصحف قد ثبت له مزية التعظيم للمجاورة ، ولم يلزم من ذلك ثبوت نحوها لمجاوره ، وأيضاً فالمقتضى لتفضيل المدينة خلقه صلى الله عليه وسلم من تربتها ، وهذا لا يوجدلمجاورها ، والله أعلم .

الفصـــــــل الثاني

في الحث على الإقامة بها ، والصبر على لأوائها وشدتها ، وكونها تنفي الخبث والذنوبَ ، ووعيدِ من أرادها وأهلَها بسوء أو أحدث بهاحدثاً أو آوى محدثاً .

وعد من صبر على شدتها

روينا في الصحيحين حديث « مَنْ صبر على لأوائها وشدتها كنتُ له شهيداً أو شـفيعاً يوم القيامة » .

وفي صحيح مسلم عن سعيد مولى المهري أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة ، فاستشاره في الجلاء من المدينة ، وشكا إليه أسعارها وكثرةَ عيالِه ، وأخبره أن لا صَـبْرَ له على جَهْد المدينة ولأوائها ، فقال : ويحك ! لا آمرك بذلك ، إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يصبر » وفي رواية « لا يثبت أحَدٌ على لأوائها وجَهْدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » وفي رواية « فقال أبو سعيد: لا تفعل ، الزم المدينة » وذكر الحديث بزيادة قصة .

وفي مسلم وفي الموطأ والترمذي عن يُحَنِّس[1] مولى مصعب بن الزبير أنه كان

---

(١) يحنس : بضم الياء المثناة وفتح الحاء المهملة ، وبعدها نون مشددةمكسورة أو مفتوحة ، وآخره سين مهملة أو شين معجمة ، ووقع في المطبوعات « بحيس » تطبيع (وانظر الموطأ ٨٨٥ وخلاصة الخزرجي ٤٤٢)

جالساً عندابن عمر فى الفتنة، فأتته مولاة[له] تسلم عليه، فقالت : إنى أردت الخروج يا أبا عبد الرحمن ، اشتدَّ علينا الزمان ، فقال لها عبدُ الله : اقعدى لكَاع [(١)] ، ولفظ الترمذى : اصْبِرِى لكَاعِ [(١)] : فإنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » .

فإن قيل : ما معنى التردد فى قوله « شفيعاً أوشهيداً » ؟ ومامعنى هذه الشفاعة مع عموم شفاعته صلى الله عليه وسلم ؟

قلنا : ذكر عياض ما ملخصه أن بعض مشايخه جعل «أو» للشك من الراوى ، وأن الظاهر خلافه لكثرة رواته بذلك ، بل الظاهر أنه من لفظه صلى الله عليه وسلم ، فإما أن يكون أعلم بهذه الجملة هكذا ، و إما أن تكون «أو» للتقسيم ، و يكون شفيعاً للعاصين وشهيداً للمطيعين ، أو شهيداً لمن مات فى حياته وشفيعاً لمن مات بعده ، قال : وهذه الشفاعة أو الشهادة زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاملين فى القيامة وعلى شهادته على جميع الأمم ، فيكون لتخصيصهم بذلك مزية وزيادة منزلة وحُظْوة قال : و يحتمل أن يكون «أو» بمعنى الواو . قلت : و يدلّ له ما رواه البزَّارُ برجال الصحيح عن عمر رضى الله عنه بلفظ « فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا وشهيداً يوم القيامة » وأسنده ابن النجار بلفظ « كنت له شفيعا وكنت له شهيداً يوم القيامة » وأسنده المفضل الجندى فى فضائل المدينة عن أبى هريرة أيضا بلفظ « لا يصبر أحد على لأواء المدينة » وفى نسخة « وحرها إلا كنت له شفيعاوشهيداً » قال القاضى : و إذا جعلنا «أو» للشك فإن كانت اللفظة شهيداً فالشهادة أمر زائد على الشفاعة المجردة المدخرة لغيرهم من الأمة ، و إن كانت اللفظة شفيعا فهذه شفاعة غير العامة تكون لأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو بإكرامهم يوم

---

(١) لكاع : كلمة تذكر لسب الأنثى ، وهى مبنية على الكسر ، ومعناها : ياحمقاء ، أو يامن لا تتجهين لمنطق ولا غيره ، وفى الموطأ (٨٨٦)« اقعدى لكع »

القيامة بأنواع من الكرامات كإيوائهم فى ظِلّ العرش أو كونهم فى روح[1] وعلى منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات . قلت : ويحتمل أن يجمع لهم ببركة شفاعته صلى الله عليه وسلم أو شهادته الخاصة بين ذلك كله ؛ فالجاه عظيم ، والكرم واسع ، وتأكيد الوصية بالجار يؤيد ذلك ، ويحتمل أيضا أن يكون المراد مع ذلك البشرى بموتهم على الإسلام ؛ لأن شفاعته وشهادته صلى الله عليه وسلم المذكورة خاصة بالمسلمين ، وكفى بذلك نعمة ومزية ، وسيأتى الإشارة إلى نحو ذلك فى أول الباب الثامن .

وفى الموطأ والصحيحين حديث « تفتح اليمن فيأتى قوم يَبُسُّونَ فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » الحديث .

وقوله « يبسون » بفتح المثناة التحتية أوله وضم الباء الموحدة وكسرها ، ويقال أيضا بضم المثناة وكسر الموحدة — يسوقون بهائمهم سَوْقا شديداً ، وقيل : البَسُّ : سرعة الذهاب .

المدينة تنفى الخبث

وفى مسلم حديث « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه أو قريبه : هَلُمّ إلى الرخاء ، هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذى نفسى بيده لا يخرج أحد رغبةً عنها إلا أخْلَفَ الله فيها خيراً منه ، ألا إن المدينة كالكير[2] تخرج الخبث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارَها كما ينفى الكِيرُ خَبَثَ الحديد » .

وفى الصحيحين « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناسَ كما ينفى الكيرُ خَبَثَ الحديد » وفى رواية لابن زَبَالَة « إن المدينة تنفى خَبث الرجال » وفى رواية « خَبَثَ أهلها كما ينفى الكِيرُ خَبَثَ الحديد » .

---

(١) الروح — بفتح الراء وسكون الواو — الراحة والرحمة ، وقوله «على منابر» أى من نور كما ورد فى حديث .

(٢) الكير — بكسر الكاف — زق ينفخ فيه الحداد (المنفاخ)

وفى صحيح البخارى حديث « إنها طيبة تنفى الذنوبَ كما ينفى الكير خبث الفضة » .

وفى الصحيحين قصة الأعرابى الذى جاء من الغد محموما فقال : أقِلْنى بيعتى ، فأبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج الأعرابى ، فقال صلى الله عليه وسلم « إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتَنْصَعُ طَيِّبَهَا » .

قوله « أقلنى بيعتى » أى انقض العهدَ حتى أرجع إلى وطنى ، وكأنه كان قد بايع على هجرة الإقامة . وقوله « تنفى خبثها » يحتمل أن يكون بمعنى الطرد والإبعاد لأهل الخبث ، وقصة الأعرابى المذكور ظاهرة فيه ، وخصه ابنُ عبد البر بزمنه صلى الله عليه وسلم ، والظاهر كما قال النووى عدم التخصيص ؛ ففى الصحيح « لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها » يعنى عند ظهور الدجال ، وسيأتى فى الفصل الخامس فى حديث أحمد وغيره برجال الصحيح قصة خروج مَنْ بالمدينة من المنافقين إلى الدجال ، ثم قال « وذلك يوم التخليص ، ذلك يوم تنفى المدينة الخبث » وقال عمر بن عبدالعزيز مشفقاً إذ خرج منها لمن معه : أتخشى أن نكون ممن نفت المدينة ؟ وقد طهرها الله تعالى ممن كان بها من أرباب الأديان المخالفين لدين الإسلام ، وأهْلَكَ من كان بها من المنافقين ، وهؤلاء هم أهل الخبث الكامل ، ومَنْ عداهم من أهل الخبث والذنوب قد يكون طرده و إبعاده إن استمر على ذلك بآخرة الأمر بنقل الملائكة له إلى غيرها من الأرض كما أشار إليه الأقشهرى قال : ويكون قوله « تنفى خبثها ، وتنفى الذنوب » أى أهل ذلك ، على طريقة حذف المضاف ، و يحتمل أن يكون بمعنى طرد أهل الخبث الكامل ، وهم أهل الشقاء والكفر ، لا أهل السعادة والإسلام ؛ لأن القسم الأول ليس قابلا للشفاعة ولا المغفرة ، وقد وعد صلى الله عليه وسلم مَنْ يموت بها بالشفاعة [لهذا][1] وجب انتفاء القسم الأول منها ، و يحتمل أن يكون بمعنى تخليص النفوس من شرها وميلها إلى اللذات

(١) زيادة يستدعيها اتساق الكلام

بما فيها من اللأواء والشـدة ، و يؤيده رواية « إنها طيبة تنفى الذنوب » الحديث ، و يكون نفيها للذنوب على ظاهره ، سيما وقد اشتملت على عظيم المضاعفات ، وتنوع المَثُوبات ، وتوالى الرحمات ، وقدقال تعالى: «إنَّ الحسَنَاتِ يُذْهبن السيئات»[1] مع ما لأهلها من الشفاعة والشهادة الخاصة ، وما بها من تضاعف البركات ، و يحتمل أن يكون بمعنى أنه لا يخفى حال من انطوى فيها على خَبَثٍ ، بل تظهر طويته كما هو مُشاَهد بها ، ولم أر الآن مَنْ نَصَّ على هذا الاحتمال ، وهو فى حفظى قديماً ، و يؤيده ما فى غزوة أحد فى الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم لمـا خرج إلى أحد رَجَع ناس من أصحابه ـ أى وهم المنافقون ـ فقال صلى الله عليه وسلم : « المدينة كالـكِيرِ » الحديثَ ، ولهذا سميت بالفاضحة كما قدمته ، مع أن الذى ظهر لى من مجموع الأحاديث واستقراء أحوال هذه البلدة الشريفة أنها تنفى خبثها بالمعانى الأربعة .

وقوله « وتنصع » بالفوقانية المفتوحة والنون والمهملتين كتمنع ـ أى تخلص ، والناصع : الخالص الصافى ، و « طيبها » بفتح الطاء والتشديد منصوبا على أنه مفعول هذا هو المشهور فيه ، والله أعلم .

وعيد من أراد أهلها بسوء

وفى صحيح مسلم من حديث جابر فى تحريم المدينة مرفوعا « ولا يريدُ أحَـدٌ أهْلَ المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذَوْبَ الرَّصَاصِ ، أو ذوب الملح فى الماء » .

قال عياض : قوله « فى النار » يدفع إشكال الأحاديث التى لم تذكر فيها هذه الزيادة ، و يبين أن هذا حكمه فى الآخرة . قال : وقد يكون المراد به أن مَنْ أرادها فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم كُفِىَ المسلمون أمره ، واضمحل كيده كما يضمحل الرصاص فى النار . قال : و يحتمل أن يكون المراد مَنْ كادَهاَ اغتيالا

---

(١) من سورة هود من الآية ١١٤ .

وطلبا لغرتها فلا يتم له أمر ، بخلاف مَنْ أتى ذلك جهارا . قال : وقد يكون فى اللفظ تقـديم وتأخير : أى أذابه الله كذوب الرصاص فى النار ، ويكون ذلك لمن أرادها فى الدنيا فلا يمهـله الله ولا يمكن له سلطانا ، بل يذهبه عن قرب ، كما انقضى شأن مَنْ حاربها أيام بنى أمية مثل مسلم بن عقبة[1]، فأهلك فى منصرفه منها . ثم هلك يزيد بن معاوية مُرْسِلُه على أثر ذلك ، وغيرهما ممن صنع صنيعهما ، انتهى .

وهذا الاحتمال الأخير هو الأرجح ، وليس فى الحديث ما يقتضى أنه لا يتم له ما أراد منهم ، بل الوعد بإهلاكه ، ولم يزل شأن المدينة على هذا حتى فى زماننا هذا لمـا تظاهرت طائفة العياشى بإرادة السوء بالمدينة الشريفة لأمر اقتضى خروجهم منها حتى أهلك الله تعالى عُتَاتهم مع كثرتهم فى مدة يسيرة

وقد يقال : المراد من الأحاديث الجمع بين إذابته بالإهلاك فى الدنيا و بين إذابته فى النار فى الأخرى ، والمذكور فى هذا الحديث هو الثانى ، وفى غيره الأول ؛ ففى رواية لأحمد برجال الصحيح من جملةِ حديثٍ « من أرادها بسوء » يعنى المدينة « أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » وكذا فى مسلم أيضاً ، وفى فضائل المدينة للجندى حديث « أيما جَبَّارٍ أراد المدينة بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء » وفى رواية لمسلم « مَنْ أراد أَهْلَ هذه البلدة بسوء — يعنى المدينة — أذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء » وفى رواية له أيضا « مَنْ أراد أَهْلَ هذه البلدة بدَهْمٍ أو بسوء » ، وروى البزار بإسنادٍ حَسَن حديثَ : « اللهم اكْفِهِمْ مَنْ

---

(١) مسلم بن عقبة المرى : هو الذى سموه فيما بعد « مسرفا » وهو الذى أرسله يزيد بن معاوية لحرب أهل المدينة ، وكانوا قد خلعوا يزيد ، وأخرجوا عامله عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، وأمروا عليهم عبيدالله بن حنظلة ، ووقعة مسلم بأهل المدينة تسمى « وقعة الحرة » وقد مات بالمشلل — وقيل : بثنية هرشى — منصرفه عن المدينة قاصداً مكة لقتال عبدالله بن الزبير بن العوام ، فى سنة ٦٤ من الهجرة .

دَهَمَهم ببأس » يعنى أهل المدينة « ولا يريدها أحَدٌ بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » .

وقوله «دهمهم» محركا أى غشيهم بسرعة ، وقوله فى الحديث قبله « بدهم » بفتح أوله وإسكان ثانيه — أى بغائلة وأمر عظيم ، ولذا قيل : المرادُ غازيا مُغيرا عليها .

وفى البخارى حديث « لا يكيد أهلَ المدينةِ أحَدٌ إلا انماع[1] كما يَنْمَاع الملح فى الماء » وأسند ابن زَبَالة عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرفَ على المدينة فرفع يديه حتى رؤى عُفرة إبطيه ثم قال « اللهم مَنْ أرادنى وأهلَ بلدى بسوء فعَجِّلْ هَلاكه » وروى الطبرانى فى الأوسط برجال الصحيح حديث « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخِفْهُ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقْبَل منه صَرْف[2] ولا عَدْل » وفى رواية لغيره « مَنْ أخاف أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة ، وغَضِبَ عليه ، ولم يقبل منه صَرْفا[3] ولا عدلا » وروى النسائى حديث « من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله ، وكانت عليه لعنة الله » الحديث ، ولابن حِبان نحوه ، وروى أحمد برجال الصحيح عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما أن أميرا من أمراء الفتنة قَدِمَ المدينة ، وكان قد ذهب بصرُ جابر ، فقيل لجابر : لو تنحَّيْتَ عنه[3] ، فخرج يمشى بين ابنيه ، فنكب ، فقال : تَعِسَ مَنْ أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال ابناه ، أو أحَدُهما : يا أبَتِ ، فكيف أخاف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وقد مات ؟ فقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ أخاف أهْلَ المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيَّ » .

---

(١) انماع ينماع : ذاب يذوب .

(٢) الصرف — بفتح فسكون — التوبة ، أو الفدية ، أو النافلة ، وسيأتى للشارح تفسيره ص ٤٧ . (٣) تنحيت عنه : ابتعدت .

قلت : والظاهر أن الأمير المُشَار إليه هو بُسْر بن أرْطَاة

بسر بن أرطأة يغزو المدينة

قال القُرْطبي : ذكر فى رواية ابن عبد البر أن معاوية رضى الله عنه بعد تحكيم الحكمين أرسَلَ بُسْر بن أرْطَاة فى جيش ، فقدموا المدينة ، وعامِلُها يومئذٍ لعلى رضى الله عنه أبو أيُّوبَ الأنصاريُّ — رضى الله عنه ! — ففر أبو أيوب ولحق بعلى ، ودخل بُسْر المدينة ، وقال لأهلها : والله لولا ما عَهِدَ إلى أميرُ المؤمنين ما تركت فيها محتلماً [١] إلاَّ قتلته ، ثم أمر أهلَ المدينة بالبيعة لمعاوية ، وأرسل إلى بنى سلمة فقال : مالكم عندى أمان ولا مبايعة حتى تأتونى بجابر بن عبد الله ، فأخبر جابر ، فانطلق حتى جاء أم سلمة زَوْجَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : ماذا تَرَيْنَ فإنى أخشى أن أقتل ، وهذه بيعة ضلال ، فقالت : أرى أن تُبَايع ، وقد أمرتُ ابْنِى عمر بن أبى سلمة أن يبايع ، فأتى جابرٌ بُسرا فبايعه ، وهدم بسر دورا بالمدينة ، ثم انطلق .

وفى رواية ستأتى فى الفصل الخامس عشر أن أهل المدينة فَرُّوا يومئذٍ حتى دخلوا الحرَّةَ حَرَّةَ بَنِى سليم [٢] ، والله أعلم .

وفى الكبير للطبرانى حديث « مَنْ آذى أهل المدينة آذاه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يُقْبل منه صَرْف ولا عَدْل » .

وروى ابن النجار حديث « مَنْ أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفا ولا عدلا » والأحاديث فى هذا الباب كثيرة .

وعيد من أحدث بها حدثا

وفى الصحيحين فى أحاديث تحريم المدينة « فمن أحْدَثَ فيها حَدَثا أو آوى مُحْدِثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفا

---

(١) محتلما : أى بالغا .

(٢) وقع فى كل المطبوعات « بشر بن أرطأة » بالشين المعجمة فى كل المواضع — تطبيع ، وانظر ابن الأثير (الكامل ١٦٦/٣ بولاق) .

ولاَ عَدْلاً» ولفظ البخارى «لا يُقْبَلُ منه صرف ولا عدل» قيل : الصَّرْف الفريضة ، والعدل التطوع ، ونقل عن الجمهور ، وقيل عكسه ، وقيل : الصرف التوبة ، والعَدْل الفدية ، قيل : والمعنى لايقبل الله فريضته ونافلته أو توبته قبولَ رِضاً ، ولا يجد فى القيامة فداء يفتدى به من يهودى أو نصرانى ، بخلاف سائر المذنبين ، وقيل غير ذلك ، ومعنى هذا اللَّعْنِ المبالغةُ فى الإبعاد عن رحمة الله تعالى والطَّرْدِ عن الجنة أول الأمر لأنه كلَعْنِ الكفار .

قال القاضى : ومعنى قوله «مَنْ أَحْدَثَ فيهاحدثا إلى آخره» من أتى فيها إثما أو آوى مَنْ أتاه وضمه إليه وحَمَاه ، وآوى بالمد والقصر، قال : واستدلوا به على أن ذلك من الكبائر؛ لأن اللعنة لا تكون إلا فى كبيرة .

قلت : فيستفاد منه أن إثم الصغيرة بها كإثم الكبيرة بغيرها ؛ لِصِدق الإثم بها ، بل نقل الزركشى عن مالك رحمه الله ما يقتضى شمول الحديث المذكور للمكروه كما بيناه فى الأصل ، وذلك لأن الإساءة بحضور الملك ليست كالإساءة فى أطراف المملكة ، وفقنا الله تعالى لحسن الأدب فى هذه الحضرة الشريفة بمنه وكرمه ! !

الفصل الثالث

فى الحث على حفظ أهلها ، وإكرامهم ، والتحريض على الموت بها واتخاذ الأصل[1] .

الوصية بحفظ أهلها

روينا فى كتاب ابن النجار عن مَعْقِل بن يَسَار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المدينة مُهَاجَرِى ، فيها مَضْجَعى ، ومنها مَبْعَثى ، حَقِيقٌ على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر ، مَنْ حفظهم كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ، ومن لم يحفظهم سُقِى من طينة الخبَال» قيل للمزنى : ماطِينة الْخبال ؟ قال : عُصارة أهل النار. قلت : قال بعضهم : المراد بالمزنى مَعْقِل بن يسار، وتفسير طينة الخبال بذلك رفَعه مسلم ، والحديث فى الكبير للطبرانى بسند فيه متروك ،

(١) الأصل : المال ، وانظر ص ٣ الهامشة ١

ولفظه « المدينة مهاجری[1] ومضجعی فی الأرض ، حق علی أمتی أن یکرموا جیرانی ما اجتنبوا الکبائر ، فمن لم یفعل ذلك سقاه الله من طینة الخَبَال » قلنا : یا أبا یَسَار، وما طینة الخَبَال ؟ قال : عُصارة أهل النار .

وروی القاضی أبو الحسن علی الهاشمی فی فوائده عن خارجة بن زید عن أبیه قال : قال رسول الله صلی الله علیه وسلم «المدینة مُهَاجَرِی[1] وفیها مَضْجَعِی ، ومنها مَخْرَجِی ، حَقٌّ علی أمتی حِفْظُ جیرانی فیها ، مَنْ حفظ وصیتی کنت له شهیداً یوم القیامة ، ومن ضَيَّعها أورده الله حوض الخبال ، قیل : وما حوض الخبال یارسول الله ؟ قال: حوض من صَدِیدِ أهل النار » .

وروی ابن زَبَالة عن عطاء بن یسار وغیره حدیث « إن الله جعل المدینة مُهَاجَرِی[1] ، وبها مضجعی ، ومنها مبعثی ، فحقّ علی أمتی حفظ جیرانی ما اجتنبوا الکبائر ، فمن حفظ فیهم حرمتی کنت له شفیعاً یوم القیامة ، ومن ضیع فیهم حرمتی أوردَه الله حوض الخَبَال » . وفی روایة له « المدینة مُهَاجری[1] ، وبها وفاتی ، ومنها مَحْشَری ، وحَقِیقٌ علی أمتی أن یحفظوا جیرانی ما اجتنبوا الکبیرة ، مَنْ حفظ فیهم حرمتی کنت له شهید أو شفیعاً یوم القیامة » .

وفی مَدارك عِیاض قال محمد بن مسلمة : سمعت مالکا یقول : دخلت علی المهدیّ فقال : أوصِنِی ، فقلت : أوصیك بتَقْوَی الله وحْدَهُ ، والعَطْفِ علی أهل بلد رسول الله صلی الله علیه وسلم وجیرانه ؛ فإنه بَلَغنا أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال « المدینة مُهَاجَرِی[1] ، ومنها مبعثی ، وبها قبری ، وأهلُها جیرانی ، وحقیقٌ علی أمتی حفظ جیرانی ؛ فمن حفظهم فیّ کنت له شفیعاً أو شهیداً یوم القیامة ، ومن لم یحفظ وصیتی فی جیرانی سقاه الله من طینة الخبال » .

---

(١) مهاجری — بضم المیم وفتح الجیم — موضع هجرتی

وروى مالك فى الموطأ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالساً وقَبْرٌ يُحْفَرُ بالمدينة ، فاطَّلَعَ رجل فى القبر فقال : بئس مضجع المؤمن ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بئس ما قلت » قال الرجل : إنى لم أرد هذا ، إنما أردتُ القتلَ فى سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا مِثْلَ للقتل فى سبيل الله ، ما على الأرض بُقْعَة أحب إلىّ من أن يكون قبرى بها منها » يعنى المدينة ، ثلاث مرات[1] .

وروى ابن شَبَّة فى أخبار مكة عن سعيد بن أبى هند قال : سمعت أبى يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا دخل مكة قال : اللهم لا تجعل منايانا[2] بمكة حتى نخرج منها » ورواه أحمد فى مسنده برجال الصحيح عن ابن عمر مرفوعاً ، إلا أنه قال « حتى تُخْرِجَنَا منها » .

وروى مالك والبخارى ورُزَين العَبْدَرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اللهم ارزقنى شهادةً فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك ، زاد رزين أن ذلك كان من أجلّ[2] دعاء عمر .

وسَبَقَ ما جاء فى أن الإنسان يُدْفَن فى التربة التى خلق منها ؛ فالنبى صلى الله عليه وسلم وأكثر أصحابه وأفضلهم خلقوا من تربة المدينة ، وقد ثبت حديث « من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة » ورواه البيهقى بلفظ «من استطاع أن يموت بالمدينة فَلْيَمُتْ ، فمن مات بالمدينة كنت له شفيعاً وشهيداً » وفى رواية له « فإنه مَنْ يَمُتْ بها أشْفَعْ له ، أو أشهد له » وقد ذكر هذه الرواية ابنُ حِبَّان فى صحيحه .

وروى الترمذى وابن حبان فى صحيحه وابن ماجَةَ والبيهقى وعبد الحق

(١) انظر الموطأ (ص٤٦٢ ط الحلبى) قال ابن عبدالبر : هذا الحديث لا أحفظه مسندا ، ولكن معناه موجود من رواية مالك وغيره .

(٢) المنايا : جمع منية ، وهى الموت .   (٢) أجل دعاء عمر : أكثره وأعظمه .

وصححه حديث « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمُتْ بهـا ، فإنى أشفع لمن يموت بها » ولفظ ابن ماجة « فإنى أشهد » بدل « فإنى أشفع » ورواه الطبرانى فى الـكبير بسند حسن ، ولفظه «من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت ؛ فإنه من مات بها كنت له شهيداً ــ أوشفيعاً ــ يوم القيامة » ورواه ابن رزين بنحوه ، وزاد « وإنى أول من تَنْشَقُّ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتى أهل البقيع فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين أهل الحرمين » وفى روايه لابن النجار « فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيبعثون ، ثم يبعث أهل مكة » .

وروى الطبرانى حديث « أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف » وأخرجه الترمذى بالواو بدل ثم ، وسيأتى فى فضل البقيع زيادة تتعلق بذلك .

وبالجملة فالترغيب فى الموت فى المدينة لم يثبت مثلُه لغيرها ، والسكنى بها وُصلة إليه ؛ فيكون ترغيباً فى سكناها ، وتفضيلا لها على غيرها ، واختيـار سكناها هو المعروف من حال السلف ، ولا شك أن الإقامة بالمدينة فى حياته صلى الله عليه وسلم أفضلُ إجماعاً ، فنستصحب ذلك بعد وفاته حتى يثبت إجماع مثله برفعه .

وأسند ابن شَبَّة فى أخبار مكة عن إسماعيل بن سالم قال : سألت عامراً عن فُتيا أفتى بها حبيب بن أبى ثابت ، فقال : ألا يفتى حبيب نفسه حيث نزل مكة وهى قرية أعرابية ، ولأن أنزل دوران[1] أحب من إلىّ من أن أنزل مكة ، وهى قرية هاجر منها النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن الشعبى أنه كان يكره المقام بمكة ، ويقول : هى دار أعرابية ، هاجر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ألا يفتى حبيب نفسه حيث يجاور بمكة وهى دار أعرابية ، وقال عبـد الرزاق فى مصنفه : كان أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ، ويعتمرون ثم يرجعون ، ولا يجاورون .

---

(١) دوران كحوران : عند طرف قديد ، ذكره المصنف فى خلاصة الوفا ٢١ .

قلت: ولم أظفر عن السلف بنقل فى كراهة المجاورة بالمدينة الشريفة ، بخلاف مكة ، لـكن اقتضى كلام النووى فى شرح مسلم حكاية الخلاف فيها ، وكأنه قاس المدينة على مكة من حيث إن علة الـكراهة وهى خوف الملل وقلة الحرمة للأنس وخوف ملابسة الذنوب لأن الذنب بها أقبح ، ونحوه موجود بالمدينة ، ولهذا قال : والمختار أن المجاورة بهما جميعاً مستحبة إلا أن يَغْلِبَ على ظنه الوقوع فى المحذورت المذكورة .

وقال الزركشى عقب نقل كلام النووى : إن الظاهر ضعف الخلاف فى المدينة : أى لما قدمناه من الترغيب فيها ، ولأن كل من كره المجاورة بمكة استدل بترك الصحابة الجوار بها ، بخلاف المدينة فكانوا يحرصون على الإقامة بها ، وقد روى الطبرانى فى الأوسط حديث « من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مُشْرَبٌ جَفْوَةً » وأسند ابن أبى حثمة حديث « من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلا ولو قَصَرَةً » قال ابن الأثير : القصرة محركة أصل الشجرة ، أى ولو نخلة واحدة ، والقصرة أيضاً : العنق ، وقال الخطابى: القصرة النخلة ، وقرأ الحسن «إنها ترمى بشرر كالقصر» وفسروه بأعناق النخل ، ورواه الطبرانى فى الـكبير بلفظه إلى قوله « فليجعل له بها أصلا » وقال عقبهُ : « فليأتين على الناس زمان يكون الذى ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها» ورواه ابن شبة أيضا بنحوه ، ثم أسند عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتتخذوا الأموال بمكة ، واتخذوها فى دار هجرتكم ؛ فإن المرء مع ماله » وأسند أيضا عن ابن عمر حديث « لاتتخذوا من وراء الروحاء مالا ، ولا تردوا على أعقابكم بعد الهجرة ولا تُنْـكِحُوا بناتكم طُلَقَاء أهل مكة ، وأنكحوهن بأترابهن فأترابهن» أى مستويات فى السن فى ثلاث وثلاثين سنة .

وهذا كله متضمن للحث على سكنى المدينة وتفضيله على سكنى مكة ، وهى جديرة بذلك ؛ لأن الله تعالى اختارها لنبيه صلى الله عليه وسلم قَرَارا ، وجعل أهلها

شيعةً له وأنصارا ، وكانت لهم أوطانا ، ولو لم يكن إلا جواره صلى الله عليه وسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما زال جبريل يوصيني بالجار » الحديثَ [1] ، ولم يخصَّ جارا دون جار ، ولا يخرج أحد عن حكم الجار وإن جارَ ، ولهذا اخترتُ تفضيلَ سكناها على مكة ، مع تسليم مزيد المضاعفة لمكة ؛ إذ جهة الفضل غير منحصرة في ذلك ؛ فتلك لها مزيد العَدَد ، ولهذهِ تضاعُف البركة والمدد ، ولتلك جوار بيت الله ، ولهذه جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله ، سر الوجود ، والبركة الشاملة لكل موجود

قال عياض في المدارك : قال مُصْعَب : لما قدم المهديُّ المدينةَ استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال ، فلما بصر بمالك انحرف المهديُّ إليه فعانَقه وسلم عليه وسايره ، فالتفت مالك إلى المهدى فقال : ياأميرالمؤمنين، إنك تدخل الآن المدينة فتمرُّ بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولاد المهاجرين والأنصار ، فسلِّم عليهم ؛ فإنه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ، ولا خير من المدينة ، قال : ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال : إنه لا يعرف قبر نبيّ اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم ، ففعل المهدى ما أمره به ، فأشار مالك ــ رحمه الله ــ إلى أن المقتضيَ للتفضيل هو وجود قبر النبي صلى الله عليه وسلم بها ، ومجاورة أهلها له

الفصل الرابع

حب النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة

في بعض دعائه صلى الله عليه وسلم لها ولأهلها ، وما كان بها من الوباء ، ونَقْله

روينا في الصحيحين حديث « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » ورواه رزين العبدري والجندي بالواو بدل «أو» مع أن أو في تلك الرواية بمعنى بل ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم في محبة المدينة مالم يرد مثله لمكة ؛ ففي صحيح

(١) تتمته « حتى ظننت أنه سيورثه » .

البخارى وجامع الترمذى حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سَفر فنظر إلى جُدران المدينة أوْضَعَ راحلته[1] ، و إن كان على دابّةٍ حركها من حبها » وفى روايه لابن زبالة « تباشُراً بالمدينة » ، وفى رواية له « كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية طرح رداءه عن منكبيه وقال : هذه أرواح طَيْبة » وقد تكرر دعاؤه صلى الله عليه وسلم بتحبيب المدينة إليه كما سيأتى ، والظاهر أن الإجابة حصلت بالأول ، والتكرير لطلب الزيادة ، وفى كتاب الدعاء للمحاملى وغيره عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه « كان إذا قدم من سفر من أسفاره فأقبل على المدينة يسير أتم السير ، و يقول : اللهم اجعل لنا بها قَرَاراً ، ورزقا حسنا »

دؤعاه صلى الله عليه وسلم للمدينة بالبركة

وفى الصحيحين حديث « اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَىْ ما جعلت بمكة من البركة » . وفى مسلم « اللهم بارك لنا فى تمرنا ، و بارك لنا فى مدينتنا ، و بارك لنا فى صاَعِناَ ، و بارك لنا فى مُدِّنا ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، و إنى عبدك ونبيك ، و إنه دعاك لمكة ، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » وفيه أيضا « اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم بارك لنا فى صاَعِناَ ، اللهم بارك لنا فى مدِّنا ، اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم اجْعَلْ مع البركة بركتين » وفيه أيضا وفى الترمذى حديث « كان الناسُ إذا رأوا أولَ الثمرة جاءوا به إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه قال : اللهم بارك لنا فى تمرنا ، و بارك لنا فى مدينتنا ، و بارك لنا فى صاعنا ، و بارك لنا فى مدنا » الحديثَ ، وهو يقتضى تكرر هذا الدعاء بتكرر ظهور الثمرة والإتيان بأولها ، وفى الترمذى ـ وقال : حسن صحيح ـ عن على رضى الله عنه « خَرَجْناَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وَقّاصٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بوَضُوء ، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن إبراهيم كان عبدك

---

(١) الإيضاع : الإسراع ، والمراد أنه كان يحملها على السرعة .

وخليلك ، ودعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا عبدُك ورسولُكَ أدعوك لاهل المدينة أن تبارك لهم في مُدِّهم وصاعهم مِثْلَيْ ما باركت لأهل مكة ، مع البركة بركتين » ورواه ابن شَبَّة في أخبار مكة بنحوه ، إلا أنه قال: « حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتوني بوَضُوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم قال » الحديثَ بنحوه ، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد ، ولفظه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا عند السقيا التي كانت لسعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك دعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك وإني أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم مثل ما باركت لأهل مكة ، واجعل مع البركة بركتين » هكذا في النسخة التي وقعت لنا ، ولعله « مِثْلَيْ » كما في الرواية السابقة ، ويؤخذ منه الإشارة إلى أن المدعو به ستة أضعاف ما بمكة من البركة ، وفي حديث رواه ابنُ زَبَالَة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم « خرج إلى ناحية من المدينة ، وخرجتُ معه ، فاستقبل القبلة ورفع يديه حتى إني لأرَى بياضَ ما تحت منكبيه ، ثم قال : اللهم إن إبراهيم نبيك وخليلك دعاك لأهل مكة ، وأنا نبيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة ، اللهم بارك لهم في مُدِّهم وصاعِهم ، وقليلهم وكثيرهم ، ضِعْفَيْ ما باركت لأهل مكة ، اللهم من هٰهنا وهٰهنا وهٰهنا ، حتى أشار إلى نواحي الأرض كلها ، اللهم مَنْ أرادهم بسوء فأذِبْهُ كما يذوب الملح في الماء » وفي الأوسط للطبراني ورجالُه ثقاتٌ عن ابن عمر قال : « صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفَجْرَ ، ثم أقبل على القوم فقال : اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في مدنا وصاعنا » الحديثَ ، وفي الكبير له ورجالُه ثقاتٌ عن ابن عباس نحوه ، وروى أحمد والبزار وإسناده حسن عن جابر قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر يوما إلى الشام فقال: اللهم أقْبِلْ بقلوبهم ، ونظر إلى العراق فقال : اللهم مثل ذلك ، ونظر قبل كل أفق فَفَعَلَ ذلك ، وقال :

اللهم ارْزُقنا من ثمرَاتِ الأرض ، وبارك لنا فى مدنا وصاعنا » وفى الصحيحين حديث « اللهم بارك لهم فى مِكْيَالهم ، وبارك لهم فى صاعهم ، وبارك لهم فى مدهم » قال القاضى فى الكلام عليه : البركة هنا بمعنى النُّمُوّ والزيادة ، وتكون بمعنى الثبات ، فقيل : يحتمل أن تكون هذه البركة دينية ، وهى ما تتعلق بهذه المقادير فى الزكاة والكفارات ؛ فتكون بمعنى الثباتِ لثباتِ الحكم بها و بقائه ببقاء الشريعة ، ويحتمل أن تكون دنيوية من تكثير الكيل والقَدْر بهذه الأكيال حتى يكفى منه مالا يكفى من غيره فى غير المدينة ، أو ترجع البركة إلى كثرة مايكال بها من غَلاَّتها وثمراتها ، وفى هذا كله ظهر إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم ، وقال النووى : الظاهر أن المراد البركة فى نفس المكيل فى المدينة ، بحيث يكفى المد فيها لمن لا يكفيه فى غيرها . قلت : هذا هو الظاهر فيما يتعلق بأحاديث الكيل ، وأما غيرها فعلى عمومه فى سائر الأمور الدينية والدنيوية .

وروينا فى فضائل المدينة للجندى حديث : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينةَ ، كحبنا مكةَ وأشد ، وصَحِّحْها لنا ، وبارك لنا فى مُدِّها وصاعها ، وانقل حُمَّاها ، واجعلها بالْجُحْفة » وروى أحمد برجال الصحيح عن أبى قَتَادة أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بأرض سعد بأصل الحرة عند بيوت السقيا ، ثم قال : اللهم إن إبراهيم خليلك وعبدك ونبيك دعاك لأهل مكة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مِثْلَيْ مادعاك به إبراهيم لمكة ، أدعوك أن تبارك لهم فى صاعهم ومدهم وثمارهم ، اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، واجعل مابها من وباء بَخُمّ »[1] الحديثَ ، وقوله «بخم» بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم ـ مكان قرب الْجُحْفة كما سيأتى فى موضعه ، وروى ابن زبالة حديث « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وُعِكَ فيها أصحابه » وفيه « فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، ثم رفع يده ، ثم قال : اللهم انْقُلْ عنا الوباء » فلما أصبح قال :

(١) فى القاموس : «وغدير خم موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين ، أوخم اسم غيضة هناك بها غدير ماء سم لم يولد بها أحد فعاش إلى أن يحتلم إلا أن ينتقل منها» .

أتيت هذه الليلة بالحمى ، فإذا بعجوز سوداء مُلَبَّبة فى يَدَى الذى جاء بها ، فقال : هذه الحمى ، فما ترى فيها ؟ فقلت : اجعلوها بُخَمٍّ » .

الدعاء بنقل وبائها

وفى مسلم حديث عن عائشة رضى الله عنها : « قدمنا إلى المدينة وهى وَبِيئة فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه قال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حببت مكة أوأشد ، وصححها ، و بارك لنا فى صاعها ومدها ، وحَوِّلْ حُمَّاها إلى الْجُحْفَة » .

وهو فى البخارى بلفظ « لما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وُعِكَ أبو بكر و بلال — رضى الله عنهما ! — وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كُلُّ امرىء مُصَبَّحٌ فى أهله والموت أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ

وكان بلال إذا قلع عنه يرفع عَقِيرتَه[1] و يقول :

ألا لَيْتَ شِعْرِى هل أبيتَنَّ ليلةً بوادٍ وحولى إذْخِرٌ وجَلِيلُ

وهل أرِدَنْ يوما مياه مِجَنَّةٍ وهل يَبْدُوَنْ لى شَامَة وطَفِيلُ

اللهم الْعَنْ شَيْبة بن ربيعة وعُتْبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مُدِّنا ، وصححها لنا ، وانقل حُمَّاها إلى الْجُحْفة » قالت : وقدمنا المدينة وهى أو بأ أرض الله ، وكان بطحان يجرى نجلا ، تعنى ماء آجنا[2] .

ورواه فى الموطأ بزيادة : « وكان عامر بن فهيرة يقول :

قدْ ذُقْتُ طعم الموتِ قبلَ ذَوْقِهِ إن الجبانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

ورواه ابن إسحاق بزيادة أخرى ، ولفظه « لما قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة قَدِمها وهى أو بأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابَهُ منها بلاء وسَقَم ، وصرفه الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، قالت : فكان أبو بكر وعامر

(١) قلع عنه : ذهب عنه بحران الحمى ، ورفع عقيرته : رفع صوته .
(٢) بطحان : واد بالمدينة ، والماء الآجن : المتغير لونه وطعمه .

ابن فهيرة و بلال مولى أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلتُ عليهم أعُودُهم ، وذلك قبل أن يُضرَب الحجاب ، ولهم مالا يعلمه إلا الله من شدّة الوَعْك ، فدنوت من أبى بكر ، فقلت : كيف تجدك يا أبت ؟ أى كيف تجد نفسك ، فقال * كل امرىء * البيت المتقدم ، فقلت : والله ما يدرى أبى ما يقول ، ثم دنوتُ إلى عامر بن فهيرة ، فقلت : كيف تجدك ياعامر ؟ فقال :

لقد وَجدْتُ الموتَ قبل ذَوْقِهِ ... إن الجبان حَتْفُه من فَوْقِهِ

كل امرىء مُجاهِدٌ بطوْقِهِ ... كالثور يحمى جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ (١)

قالت : فقلتُ مايدرى عامر مايقول ، وقالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عَقِيرته وقال : * ألا ليت شعرى * البيتين .

ورواه ابن زَبَالة بلفظ « لما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وُعِكَ أصحابه ، فخرج يعود أبا بكر ، فوجده يَهْجُر (٢) ، فقال : يا رسول الله * لقد لَقِيتُ الموتَ قبل ذَوْقِهِ * البيتَ المتقدم ، فخرج من عنده ، فدخل على بلال فوجده يَهْجُر وهو يقول * ألا ليت شعرى * البيتين المتقدمين ، ودخل على أبى أحمد بن جَحْش فوجده مَوْعُوكا ، فلما جلس إليه قال :

واحبذا مَكَّةُ مِنْ وَادِى ... أرض بها تَكْثُرُ عُوَّادِى

أرْضٌ بها تُضْرَبُ أوتادى ... أرض بها أهلى وأولادى

* أرض بها أمشى بلا هَادِى *

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا أن يُنْقَلَ الوَبَاء من المدينة فيجعله بخم .

وفى رواية له أنه « أمَرَ عائشة بالذهاب إلى أبى بكر ومَوْلَيَيْهِ ، وأنها رجعت

---

(١) روق الثور ــ بفتح الراء وسكون الواو ــ قرنه ، وسيذكره المؤلف .

(٢) يهجر ــ بوزن ينصر ــ أى يهذى ويخلط فى كلامه .

وأخبرته بحالهم ، فـكره ذلك ، ثم عمد إلى بقيع الخيل ـ وهو سوق المدينة[1] ـ فقام فيه ووجْهُه إلى القبلة ، فرفع يديه إلى الله فقال : « اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لأهل المدينة فى سُوقهم ، و بارك لهم فى صاعهم ، و بارك لهم فى مُدِّهم ، اللهم انقل ما كان بالمدينة من و باء إلى مهيعة »

قوله « رفع عقيرته » أى صوته ، وقوله « بواد » روى « بفخ » وهو وادى الزاهر، والجليل ـ بالجيم ـ الثمام، ومجنة ـ بكسر الميم وفتحها ـ سوق بأسفل مكة ، وقال الأصمعى : بمر الظهران ، وشامة وطفيل : جبــلان يُشْرِفانِ على مجنة ، قاله ابن الأثير ، قال : و يقال « شابة » بالباء الموحدة ، وهو جبل حجازى ، قال المحب الطبرى : وروايته بالباء الموحدة بخط شيخنا الصاغانى ، وكتب عليها صح ، وقال الطبرى : والأشهر أنهما جَبَلان على مراحل من مكة من جهة اليمن ، وقال الخطابى : عينان . وقوله « بطَوْقِهِ » أى بطاقته ، وقوله « برَوْقِهِ » أى بقَرْنه ، و « مهيعة » هى الُجحفة أحَدُ المواقيت المشهورة ، وخم : بقربها ، وإنما دعا صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى إليها لأنها كانت دار شرك ، ولم تزل من يومئذ أكثر بلاد الله حمى ، قال بعضهم : و إنه ليُتقى شرب الماء من عينها التى يقال لها عين خم ، فقلَّ مَنْ شرب منها إلا حُمّ .

وروى البيهقى حديث عائشة من طريق هشام بن عُروة عن أبيه ، وفيه «قال هشام : فكان المولود يُولدُ بالُجحْفة فلا يبلغ الحلم حتى تُصْرِعَه الحمى[2] »

وقال الخطابى : كان أهل الجحفة إذ ذاك يهودا ، وقيل : إنه لم يبق أحد من أهلها إلا أخذته الحمى .

قال النووى : وهذا عَلَمٌ من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، فإن الجحفة من يومئذ وَبِيَة ، ولا يشرب أحد من مائها إلا حم .

---

(١) بقيع الخيل ، وهو سوق المدينة ، هو الذى يعرف اليوم بسوق المناخة (مكى)
(٢) تضرعه : تخضعه وتذله ، والمراد أنها تضعفه أشد الضعف .

و بطحان : من أودية المدينة كما سيأتى ، والماء الآجن : المتغير الطعم واللون .

الوباء بالمدينة جاهلى قديم

واتفق أهل الأخبار أن الوباء بالمدينة كان شديداً ، حتى روى ابن إسحاق عن هشام ابن عُرْوة قال : كان وباؤها معروفاً فى الجاهلية، وكان الإنسان إذا دخلها وأراد أن يَسْلَم من وبائها قيل له : انهق ، فينهق كما ينهق الحمار .

وفى دلائل النبوة من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أو بأ أرض الله ، ووانيها بُطْحَانُ نَجِلٌ يجرى عليه الأثل» قال هشام : وكان وباؤها معروفاً فى الجاهلية ، وكان إذا كان الوادى وَبِيًّا فأشرف عليه الإنسان قيل له : انهق نهيقَ الحمارِ ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى ، قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمرى لئن عشّرت من خِيفَةِ الرَّدَى * نهيقَ الحمار إننى لجَزُوعُ

قالت عائشة : فاشتكى أبو بكر ، الحديثَ .

ثنية الوداع

وروى ابن شَبَّة عن عامر بنِ جابر قال : كان لا يدخل المدينة أحد إلا من طريق واحد ، من ثَنِيَّة الوَداع ، فإن لم يُعَشِّرْ بها — أى: يَنْهَقُ كالحمار عشرة أصوات فى طَلَقٍ واحد — مات قبل أن يخرج منها ، فإذا وقف على الثنية قيل : قد ودع ، فسميت ثنية الوَدَاع ، حتى قدم عُرْوة بن الوَرْد العبسى ، فقيل له : عشر بها ، فلم يعشر ، وأنشأ يقول :

لعمرى لئن عشّرت من خشية الردى * نُهَاقَ الحمار إننى لجزوع

ثم دخل فقال : يا معشر يهود ، ما لكم وللتعشير؟ قالوا : إنه لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يُعَشِّرْ بها إلا مات ، ولا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله الهُزَال ، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ودخلوا من كل ناحية .

تحويل الوباء من دلائل النبوة

وتحويل الوباء من أعظم المعجزات ؛ إذ لا يقدر عليه جميع الأطباء ، وفى البخارى حديث « رأيتُ امرأةً سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة ، فتأولتها أن وباء المدينة نُقِل إلى مهيعة » وفى الأوسط للطبرانى نحوه ، وفى

كتاب ابن زَبالةَ «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فجاءه إنسان كأنه قدم من ناحية طريق مكة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل لقيت أحداً ؟ قال: لا ، إلا امرأة سوداء عُرْيانةً ثائرة الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الحمى ، ولن تعود بعد اليوم أبداً » وفيه أيضاً حديث « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة ، وانقل وباءها إلى مهيعة ، وما بقى منه فاجعله تحت ذنب مشعط » وحديث « إنْ كان الوباء فى شيء من المدينة فهو فى ظل مشعط » . قال المجد : هو جبل أو موضع بالمدينة . قلت : سيأتى عن ابن زبالة فى المنازل أن بنى حُدَيلة ابتنوا أُطُمَيْن أحدهما يقال له «مشعط» كان موضعه فى غربى مسجد بنى حُدَيلة[1] ، وفى موضعه بيت يقال له بيت أبى نبيه ، ثم أورد عقبه الحديث المذكور ، فأفاد أنه هو المراد ، وفيه أيضاً حديث « أصح المدينة من الحمى ما بين حَرَّة بنى قريظة والعريض » وهو يؤذن ببقاء شيء من الحمى بالمدينة ، وأن الذى نقل عنها أصلا ورأساً سلطانها وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد ما بقى بالنسبة إليه شيئاً ، ويحتمل أنها رفعت أولا بالكلية ، ثم أعيدت خفيفة لئلا يفوت ثوابها كما أشار إليه الحافظ ابن حجر ، ويدل له ماروى أحمد برجال الصحيح وأبو يَعْلىٰ وابن حِبَّان فى صحيحه عن جابر « استأذنَتِ الحمّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت : أم مِلْدَم ، فأمر بها إلى أهل قباء ، فَلَقُوا ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فأتوه فشكوا ذلك إليه ، فقال : ما شئتم ، إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم ، وإن شئتم تكون لكم طَهُورا ، قالوا: أو تفعل؟ قال : نعم، قالوا : فَدَعْهَا » ورواه الطبرانى بنحوه ، وقال فيه « إن شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم ، قالوا : فَدَعْهَا يارسول الله » وروى أحمد ورجاله ثقات حديثَ « أتانى جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون بالشام ، فالطاعون شهادة لأمتى ورحمة لهم ورجْزٌ على الكفار » والأقرب أن هذا كان فى آخر الأمر بعد نقل

(١) مسجد بنى حديلة : داخل البقيع على يمين الداخل من بابه متصل بسورة؛ يكون فى زقاق سيدنا إسماعيل (مكى) .

الحمى بالكلية ، لكن قال الحافظ ابن حجر : لما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة كان فى قلة من أصحابه ، فاختار الحمى لقلة الموت بها على الطاعون لما فيها من الأجر الجزيل ، وقضيتها إضعاف الأجساد ، فلما أمر بالجهاد دعا بنقل الحمى إلى إلى الجُحْفة ، ثم كانوا من حينئذ مَنْ فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل فى سبيل الله ، ومن فاته ذلك حصلت له الحمى التى هى حظ المؤمن من النار ، ثم استمر ذلك بالمدينة ، يعنى بعد كثرة المسلمين تميزاً لها على غيرها ، انتهى ، وهو يقتضى عود شىء من الحمى إليها بآخرة الأمر ، والمشاهد فى زماننا عدم خلوها عنها أصلا ، لكنه كما وصف أولا ، بخلاف الطاعون ، فإنها محفوظة عنه بالكلية كما سيأتى ، والأقرب أنه صلى الله عليه وسلم لما سأل ربه تعالى لأمته أن لا يلبسهم شِيَعاً ولا يُذِيق بعضَهم بأسَ بعضٍ فمنعه ذلك فقال فى دعائه « فحمى إذا أو طاعوناً » أراد بالدعاء بالحمى للموضع الذى لا يدخله طاعون كما سنشير إليه فى الفصل الآتى ؛ فيكون ما بالمدينة اليوم ليس هو حمى الوباء ، بل حمى رحمةٍ بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سنوضحه ، والله أعلم .

الفصل الخامس

فى عصمتها من الدجال والطاعون

حراسة المدينة من الدجال والطاعون

روينا فى الصحيحين وغيرهما حديث « على أنْقَابِ المدينة[1] ملائكة يحرسونها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » وفيهما أيضا حديث « ليس من بلد إلا سيطؤها الدجال ، إلا مكة والمدينة ، ليس نَقْبٌ[1] من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها ، فينزل السبخة ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » وفى رواية « فيأتى سبخة الْجُرف ، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة » وفى البخارى حديث « لا يدخل المدينة رُعْبُ المسيخ ، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب مَلَكَانِ » وفى مسلم حديث « يأتى المسيخ من قبل المشرق

---

(١) الأنقاب : جمع نقب ، وهو الطريق فى الجبل .

وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام ، وهناك يهلك » وفى الصحيحين « قصة خروج الرجل الذى هو خير الناس ، أو من خير الناس ، من المدينة إلى الدجال إذا نزل بعض سباخها فيقول له : أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديثَ بطوله .

قال معمر فيما رواه أبو حاتم : يرون هذا الرجل هو الخضر عليه السلام .

وروى أحمد والطبرانى فى الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: «أشْرَفَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على فَلَق (١) من أفلاق الحرة ونحن معه ، فقال : نعم الأرض المدينة ، إذا خرج الدجال ، على كل نَقْبٍ من أنقابها مَلَكٌ لا يدخلها ، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، وأكثرهم ــ يعنى من يخرج إليه ــ النساء ، وذلك يوم التخليص ، ذلك يوم تَنفى المدينة الخبثَ كما ينفى الكِيرُ خبثَ الحديد ، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود ، على كل رجل منهم ساج وسيف محلًّى ؛ فيضرب قبته بهذا المضرب الذى بمجتمع السيول» الحديثَ بطوله ، ولفظ الطبرانى « ياأهل المدينة ، اذكروا يوم الخلاص ، قالوا : ومايوم الخلاص ؟ قال : يُقْبِلُ الدجال حتى ينزل بذباب ، فلا يبقى فى المدينة مشرك ولا مشركة ، ولا كافر ولا كافرة ، ولا منافق ولا منافقة ، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه ، ويخلص المؤمنون ، فذلك يوم الخلاص » وروى أحمد برجال الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوم الخلاص ، وما يوم الخلاص ؟ ثلاثا ، فقيل له : وما يوم الخلاص ؟ قال : يجىء الدجال فيصعد أحدا فيقول لأصحابه : أترون هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجد أحمد ، ثم يأتى المدينة فيجد بكل نَقْب منها ملكا مُصْلِتاً ، فيأتى سبخة الجرف ، فيضرب رِواقه ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه ، فذلك يوم الخلاص» وقال الحافظ

(١) الفلق ــ بالتحريك ــ المطمئن من الأرض بين ربوتين ، ويجمع على فلقان.

ابن حجر : إن أحمد والحاكم أخرجا من رواية محجن بن الأدرع رفعه « يجيء الدجال فيصعد أحدا فيطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه : ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجد أحمد ، ثم يأتى المدينة فيجد فى كل نَقْب من أنقابها مَلَكا مُصْلِتا سيفَه » و بقيته بلفظ الحديث المذكور ، إلا أنه قال فى آخره : « فتخلص المدينة ، فذلك يوم الخلاص » والمراد بالرواق الفُسْطَاط ، ولابن ماجة من حديث أبى أمامة « ينزل عند الطريق الأحمر عند منقطع السبخة » ولأحمد من حديث ابن عمر « ينزل الدجال فى هذه السبخة بِمَرِّقَنَاة » أى ممرها ، وفى عقيق المدينة للزبير بن بكار عن أبى هريرة « ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع السيول، فقال : ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة ؟ ثم قال : هذا منزله ، يريد المدينة ، لا يستطيعها ، يجدها متمنطقة بالملائكة ، على كل نَقْبٍ من أنقابها مَلك شاهر سلاحه ، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون ، فيزلزل بالمدينة و بأصحاب الدجال زلزلة ، لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، وأكثر من يتبعه النساء ، فلا يعجز الرجل أن يمسك سفيهته » .

قلت : يستفاد منه أن المراد من قوله فى الأحاديث المتقدمة : فترجف المدينة يعنى بسبب الزلزلة ؛ فلا يشكل بما تقدم من أنه لا يدخل المدينة رُعْبُ المسيخ الدجال فيستغنى عما جمع به بعضهم من أن الرعب المنفى هو أن لا يحصل لمن بها بسبب قربه منها خوف ، أو هو عبارة عن غايته ، وهو غلبته عليها ، والمراد بالرجفة إشاعة مجيئه وأن لا طاقة لأحد به ؛ فيتسارع حينئذ عليه مَنْ كان يتصف بالنفاق أو الفسق ، قاله الحافظ ابن حجر ، وما قدمناه أولى .

وفى الأوسط للطبرانى حديث « ينزل الدجال حَذْوَ المدينة[١] ، فأول من يتبعه النساء والإماء » وفى حديث رواه أحمد والطبرانى واللفظ له ورجاله ثقاة فى وصف الدجال « ثم يسير حتى يأتى المدينة ، ولا يؤذن له فيها ، فيقول : هذه قرية ذاك

---

(١) حذو المدينة — بفتح الحاء وسكون الدال — إزاءها .

الرجل ، ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق[1] » وروى أبو يعلى حديث الجسّاسة المشهور فى الصحيح بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح وزاد فيه « هو المسيخ تطوى له الأرض فى أربعين يوما ، إلا ما كان من طَيْبَةَ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وطيبة المدينة ، ما بابٌ من أبوابها إلا ومَلَك مُصْلِتٌ سيفَه يمنعه ، وبمكة مثل ذلك » وفى البخارى والترمذى حديث « المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى » .

وروى أحمد ورجاله ثقاة وابن شبة برجال الصحيح حديث « المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة ، على كل نَقْب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون » ، وروى أحمد مرسَلا وابنه متصلا وكذا الطبرانى ورجاله ثقاة حديث « ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل خرج من بعض الأرياف ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء ؛ ففزع الناس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأرجو أن لا يطلع علينا نِقَابها » يعنى المدينة ؛ ونقَابها وأنقابها : طرقها وفجاجها ؛ واحدها نِقْب ، بكسر النون[2] .

وقوله فى الرواية المتقدمة « فلا يقربها الدجال ولا الطاعون » فيقتضى جواز دخول الطاعون المدينة ، ويرده الجزم فى سائر الأحاديث ، والصواب حفظها منه كما هو المشاهد

وقد استشكل قرن الدجال بالطاعون مع أن الطاعون شهادة ورحمة فكيف يُتمدح بعدمه ؟

والجواب من وجوه : أحدها : أن كونه كذلك ليس لذاته ، وإنما المراد ترتب ذلك عليه ، وقد ثبت تفسيره من رواية أحمد « بوَخْزِ أعدائكم من الجن » ؛ فيكون الإشارة بذلك إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من الطعن ، كما

(١) أفيق — بالهمزة أوله مفتوحة — قرية من حوران فى طريق الغور فى أول العقبة التى تعرف بعقبة أفيق ، والعامة تقول « فيق » بغير همزة ، والغور : هو الأردن.

(٢) الذى فى القاموس أنه بفتح النون

أن الدجال ممنوع منها ، ألا ترى أن قتل الكافرِ المسلمَ شهادَةٌ ، ولو ثبت للمحل أن الكفار لا تُسَلَّط عليه لحاز بذلك غاية الشرف ، ثانيها : أن أسباب الرحمة لم تنحصر فى الطاعون ، وقد عوضهم صلى الله عليه وسلم عنه الحمى حيث اختارها عند ما عُرِضاَ عليه كما تقدم ، وهى مطهرة للمؤمن وحظه من النار ، والطاعون يأتى فى بعض الأعوام ، والحمى تتكرر فى كل حين ، فيتعادلان ، وفيه نظر؛ لأن تكثير أسباب الرحمة مطلوب ، ولأنه لا يدفع إشكال التمدح بعدمه ، ثالثها : أنه وإن اشتمل على الرحمة والشهادة فقد ورد أن سببه أشياء تقع من الأمة كظهور بعض المعاصى ، وقد روى أحمد بأسانيد حسانٍ وصحاح عن شرحبيل بن حسنة وغيره « أنه ـ يعنى الطاعون ـ رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم » وروى أحمد أيضا تفسير كونه دعوة نبيكم عن أبى قلابة بأنه صلى الله عليه وسلم « سأل ربه عز وجل ألاَّ يهلك أمته بسنة ، فأعطيها ، وسأله ألاَّ يسلِّط عليهم عدوا من غيرهم ، فأعطيها ، وسأله ألاّ يلبسهم شِيَعاً ويُذِيقَ بعضَهم بأسَ بعض ، فمنعه ، فقال صلى الله عليه وسلم فى دعائه : فحمى إذاً أو طاعوناً » كرره ثلاثا ؛ فقد تضمن الطاعون نوعا من المؤاخذة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم دعا به ليحصل كفاية إذاقة بعضهم بأس بعض ، ويكون هلاكهم حينئذ بسبب لا يعصون به ، بل يثابون ؛ فحفظ الله تعالى بَلَدَ نبيه صلى الله عليه وسلم من الطاعون المشتمل على الانتقام إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعل لهم الحمى المضعِفة للأبدان عن إذاقة بعضهم بأس بعض والمطهرة لهم ؛ فقوله صلى الله عليه وسلم « فحمى إذا » أى للموضع الذى لا يدخله الطاعون ، بل عصم منه وهو جواره الشريف ، وقوله « أو طاعونا » أى للموضع الذى لم يعصم منه ، وهو سائر البلاد ، هذا ما ظهر لى فى فهم هذه الأحاديث ، وهو يقتضى شرف الحمى الواقعة بالمدينة وفضلها ؛ لأنها دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورحمة ربنا أيضا ؛ لأنها من لازم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولأنها جعلت فى مقابلة

الطاعون الذى هو رحمة لغيرهم ؛ فتكون الحمى رحمة لهم ؛ فهى غير حمى الوباء الذاهبة من المدينة ، رابعها — ذكره الحافظ ابن حجر نقلا عن القرطبى — وهو أن المعنى لايدخل إلى المدينة من الطاعون مثل الذى وقع فى غيرها كطاعون عَمَوَاس[1] ، قال الحافظ ابن حجر : وهو يقتضى أن الطاعون يدخلها فى الجملة ، وليس كذلك ؛ فقد جزم ابن قتيبة وتبعه جمع جَمٌّ من آخرهم النووى بأن الطاعون لايدخل المدينة أصلا ، ولا مكة أيضا ، لكن نقل جماعة أنه دخل مكة فى الطاعون العام سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، بخلاف المدينة فلم يذكر أحد قط أنه دخلها أصلا ، ثم ذكر الحافظ ابن حجر الحديثَ المتقدم المشتمل على ذكر مكة أيضا ، ثم قال: وعلى هذا فالذى نقل أنه وجد بمكة ليس كما ظن ناقله كونه طاعونا ، بل وباء ، وهو أعم من الطاعون ، أو يجاب بجواب القرطبى المتقدم ، قال : ولعله بَنَى جوابَه على أن الطاعون ما ينشأ عن فساد الهوى فيقع به الموت الكثير ، وليس كذلك ؛ ففى الصحيح قولُ أبى الأسود : قدمتُ المدينةَ وهم يموتون بها موتا ذَرِيعا ؛ فهذا وقع بالمدينه وهو وَبَاء ، ولكن الشأن فى تسميته طاعونا ، قال : والحق أن المراد بالطاعون فى هذه الأحاديث الذى ينشأ عن طَعْن الجن فيهيج به الدم فى البدن فيقتل ، فهذا لم يدخل المدينة قط . قلت : نقل الزركشى عن القرطبى أنه فسر الطاعون بالموت العامّ الفاشى ، وهو صريح فى أنه أراد ما فهمه عنه الحافظ ابن حجر ، ويرده قوله فى الحديث المتقدم « حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء فأفزع الناس » فإن المراد فيه بالوباء الطاعون المعروف بعلاماته عندهم ، وإلا فموت الشخص الواحد لا يفزع ولا يسمى موتا عاما ، ويبعد جعل الموت العام بمجرده شهادةً ، وقد أخبر بعضُ الأولياء بمشاهدة الجن يقظةً يطعنون الناس فى بعض سنى الطاعون ، ورأيته أنا كذلك مناما ، ورأيت أن بينى

---

(١) عمواس — بفتح العين والميم جميعا ، أو بكسر العين وسكون الميم — كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، ومنها كان ابتداء الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب ، ثم فشا فى بلاد الشام ومات به خلق كثير منهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح .

و بينهم حائلا ، فحمانى الله منه فى تلك السنة ، على أنه لو سلم أن المراد ما ذكره القرطبى فالإشكالُ المتقدم باقٍ ؛ إذ يقال : لِمَ لَمْ يكثر بالمدينة وهو رحمة ؟ فالحق ما قدمناه ، وهذا ـ كما قال بعضهم ـ من المعجزات العظيمة المستمرة التى هى من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لأن الأطباء بأجمعهم قد عَجَزوا عن دفع الطاعون عن بلد ما فى دهر من الدهور . وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة ، مع أنه يقع بالحجاز الشريف ، ويدخل قرية الينبع وجدة والفرع والصفراء والخيف وغير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة ، ولا يدخلها هى كما شاهدنا ذلك فى طاعون أواخر سنة إحدى وثمانين وثمانمائة مع أوائل التى بعدها ؛ فإنه عم أكثر الأماكن القريبة من المدينة ، وكثر بجدة ، واختلف فى دخوله مكة ، والذى تحققناه كثرة الموت بها فى ذلك الزمان ، وكثرت الحمى بالمدينة ، لكن لم يكثر بها موت ، وبالجملة فهى محفوظة منه أتم الحفظ ؛ فلله الحمد والمنة .

الفصل السادس

فى الاستشفاء بترابها ، وبتَمْرِها ، وما جاء فيه

ما جاء فى أن ترابها شفاء

روينا فى كتاب ابن النجار والوفاء لابن الجوزى حديث «غُبَار المدينة شفاء من الجُذَام» وفى جامع الأصول لابن الأثير وَبَيَّضا لمخرجه عن سعد[1] رضى الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تَبُوك تلقَّاه رجال من المخلَّفين من المؤمنين ، فأثاروا غباراً ، فخمر ـ أو فغطَّى ـ بعضُ مَنْ كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفه ، فأزال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللثام عن وجهه ، وقال : والذى نَفْسِى بيده إنَّ فى غبارها شفاء من كل داء » قال : وأُراه ذكر « ومن الجُذَام والبَرَص » وقد أورده كذلك رُزَين العبدرى فى جامعه ، وهو مستند ابن الأثير فى إيراده ، قال الحافظ المنذرى : ولم أره فى الأصول .

---

(١) عبارة « وبيضا لمخرجه عن سعد » ليست فى نسخة خلاصة الوفا للمؤلف المطبوعة ، وقد جاء فى تعليقات المكى « عن سعد رضى الله عنه قال لما رجع ، كذا فى هامش نسخة بخط ثقة »

وروى رزين أيضاً عن ابن عمر نحوه ، إلا أنه قال « فمدَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يده فأماطه عن وجهه ، وقال : أما علمت أن عَجْوَةَ المدينة شفاء من السقَم ، وغبارها شفاء من الُجذَام » ورواه ابن زَبالة مختصراً عن صيفى بن أبى عامر ، ولفظه « والذى نفسى بيده إن تربتها لمؤمنة ، وإنها شفاء من الجذام » وروى أيضاً عن أبى سلمة : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غبار المدينة يطفى الجذام » قلت : وقد رأينا من استشفى بغبارها من الجذام ، وكان قد أضَرَّ به كثيراً ؛ فصار يخرج إلى الكومة البيضاء ببُطْحَان بطريق قباء ويتمرغ بها ويتخذ منها فى مرقده ، فنفعه ذلك جداً . وروى ابن زَبالة ويحيى بن الحسن ابن جعفر العَلَوى وابن النجار كلاهما من طريقه « أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بَلْحَارث ، فإذا هم رَوْبى[1] ، فقال: مالكم يا بنى الحارث رَوْبى ؟ قالوا : أصابتنا يا رسول الله هذه الحمى ، قال : فأين أنتم عن صُعَيْب ؟ قالوا : يا رسول الله ما نصنع به ؟ قال : تأخذون من ترابه فتجعلونه فى ماء ، ثم يتفل عليه أحدكم ويقول : بسم الله ، ترابُ أرضنا ، بريق بعضنا ، شفاء لمريضنا ، بإذن ربنا ، ففعلوا ، فتركتهم الحمى » قال ابن النجار عقبه : قال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوى : صعيب : وادى بطحان دون الماجشونية ، وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه ، وهو اليوم إذا وبأ إنسان أخذ منه . قلت : قد رأيت ذلك فى نسخة كتاب يحيى التى رَوَاها ابنُه طاهر بن يحيى عنه ، والماجشونية هى الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية ، وقال ابن النجار عقبه : وقد رأيت أنا هذه الحفرة اليوم ، والناس يأخذون منها ، وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحاً ، قال : وأخذت أنا منه أيضا . قلت : وهذه الحفرة موجودة اليوم ، مشهورة سلفاً عن خلف، يأخذ الناس منها وينقلونه للتداوى ، وقد بعثت منها لبعض الأصحاب أخذا مما ذكروه فى أخذ نبات الحرم للتداوى ، ثم رأيت الزركشى قد قال : ينبغى أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم

الاستشفاء بتراب صعيب

---

(١) روبى : جمع روبان ، مثل عطشان وعطشى وسكران وسكرى ؛ وهو الخاثر النفس الشديد الإعياء المختلط العقل .

تربة حمزة رضى الله عنه ؛ لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوى من الصداع، فقلت عند الوقوف عليه : أين هو من تراب صُعَيب لما قدمناه فيه ؟ بخلاف ما ذكره إذ لا أصل له ، وذكر المجد أن جماعة من العلماء ذكروا أنهم جربوا تراب صُعَيْب للحمى فوجدوه صحيحا ، قال : وأنا بنفسى سقيتُه غلاما لى مريضاً من نحو سنة تواظبه الحمى ، فانقطعت عنه من يومه ، وذكر المجد أيضاً فى موضع آخر كيفية الاستشفاء به أنه يجعل فى الماء ويغتسل به ، وكذا ذكره الجمال المطرى عند ذكر صعيب فقال : وفيه حفرة يؤخذ من ترابها ويجعل فى الماء ويغتسل به من الحمى. قلت : فينبغى أن يجعل فى الماء ثم يتفل عليه ، وتقال الرقية الواردة ، ثم يجمع بين الشرب والغسل منه ، ويستأنس للغسل بما رويناه عن جزء وأبى مسعود بن الفرات الرازى عن ثابت بن قيس « أن النبى صلى الله عليه وسلم عاده وهو مريض فقال : أذْهِبِ البَاسَ رَبَّ الناس [1] ، عن ثابت بن قيس بن شماس ، ثم أخذ كفا من بطحاء ، فجعله فى قَدَح من ماء ، ثم أمر فصب عليه » وفى الصحيحين حديث « كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى الإنسانُ أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا ، ووضع سفيانُ سَبَّابته بالأرض ثم رفعها، وقال : بسم الله ، تربة أرضنا ، بريق بعضنا ، يشفى سقيمنا ، بإذن ربنا » ورواه أبوداود بنحوه ، وفى رواية « يقول بريقه ، ثم قال به فى التراب : تربة أرضنا » وروى ابن زَبَالة « أن رجلا أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرجله قرحة ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم طرف الحصير، ثم وضع أصبعه التى تلى الإبهام على التراب بعد ما مَسَّها بريقه ، وقال : بسم الله ، ريق بعضنا ، بتربة أرضنا ، ليشفى سقيمنا ، بإذن ربنا ، ثم وضع أصبعه على القرحة ، فكأنما حُلَّ من عِقَالٍ » وروى أيضاً حديث « تراب أرضنا ، شفاء لقرحنا ، بإذن ربنا » وأن أم سلمة كانت تنعت من القرحة تراب الضبة .

(١) الباس : الشدة ، وأصله البأس ــ بالهمز ــ فسهلت الهمزة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، وهى لغة لقريش

ما جاء فى أن تمرها شفاء

وفى مسلم حديث « مَنْ أكل سبعَ تمراتٍ مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره شىء حتى يمسى » وفى الصحيحين حديث « من تَصَبَّحَ بسبع تمرات عَجْوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر » ورواه أحمد برجال الصحيح بلفظ « مَنْ أكل سبع تمرات عجوة مما بين لابَتَيِ المدينة على الريق لم يضره يومه ذلك شىء حتى يمسى » قال فليح : وأظنه قال « وإن أكلها حين يُمسى لم يضره شىء حتى يصبح » ورواه ابنُ زبالة بلفظ « من تصبَّحَ بسبع تمرات من العجوة » لا أعلمه إلا قال « من العالية لم يضره يومئذ سم ولا سِحر » وفى صحيح مسلم حديث « إن فى عجوة العالية شفاء، أو إنها ترياق أول البُكرة » وروى أحمد برجال الصحيح حديثاً فيه « واعلموا أن الكمأة دواء العين ، وأن العجوة من فاكهة الجنة » وروى النسائى وأبو داود الطيالسى والطبرانى فى الثلاثة بسند جيد حديث « الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين ، والعجوة من الجنة ، وهى شفاء من السم » وقد صح فى سنن أبى داود عن سعد بن أبى وقاص قال « مرضْتُ مرضاً ، فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُودُنِى ، فوضع يده بين ثديى حتى وجدت بَرْدَهاَ على فؤادى ، فقال : إنك رجل مفؤد ، أْئت الحارثَ ابن كَلَدَة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب ، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة ، فليجأهن[1] ثم ليَلُدَّكَ بهن » ورواه الطبرانى لكن عن سعد بن أبى رافع .

قوله « فليجأهن » أى فليدقهن ، قال عياض : وقال ابن الأثير فليجأهن أى فليدقهن ، و به سميت الوجيئة ، وهو تمر يبل بلبن ثم يدق حتى يلتئم[2] ، ومنه الحديث « أنه دعا سعداً فوصف له الوجيئة » وقوله « ثم ليلدك » أى يسقيك ، يقال : لدّه باللَّدُود، إذا سقاه الدواء فى أحد جانبى الفم .

وفى كامل ابن عَدِى حديث « ينفع من الدُّوَّام أن يأخذ سَبْعَ تمرات من عجوة المدينة كل يوم يفعل ذلك سبعة أيام » وفى غريب الحديث للخطابى عن عائشة رضى الله عنها

---

(١) فى مجمع البحار « فليجأهن مع نواهن : أى يدقهن مع النوى حتى يتكسر النوى ويعجن » (مكى) (٢) قال المجد « الوجيئة : تمر أو جراد يدق ويلت بسمن أو زيت فيؤكل » .

« أنها كانت تأمر للدُّوَّامِ والدُّوَارِ بسبع تمرات عجوة فى سبع غدوات على الريق » والدؤام والدوار: ما يأخذ الإنسان فى رأسه فيدومه ، ومنه تدويم الطائر، وهو: أن يستدير فى طيرانه، قال الخطابى : كون العجوة عُوذَة من السم والسحر إنما هو من طريق التبرك بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لأن طبعها يفعل شيئاً ، وقال النووى : فى تخصيصها دون غيرها وعدد السبع من الأمور التى علمها الشارع ، ولا نعلم نحن حكمتها ؛ فيجب الإيمان بها ، واعتقاد فضلها ، وما ذكره المازرى والقاضى فى هذا باطل ، وقصدت بذلك التحذير من الاغترار به ، انتهى . وأشار به لقول القاضى فى أثناء تعليل ذلك : إنه لتأثير فى الأرض أو الهواء ، ولقول المازرى : لعل ذلك كان لأهل زمنه صلى الله عليه وسلم خاصة، أو لأكثرهم؛ إذ لم يثبت استمرار وقوع الشفاء فى زمننا غالباً ، و إن وجد ذلك فى الأكثر حُمِلَ على أنه أراد وصف غالب الحال، انتهى.

وقد جعله ابن التين احتمالا ، وزاد عليه آخَرَ أعْجَبَ منه ، فقال : يحتمل أن يكون المراد نخلا خاصاً من المدينة لا يعرف الآن ، و يحتمل أن يكون ذلك خاصاً بزمانه صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وهو مردود ؛ لأن سَوْقَ الأحاديث و إيراد العلماء لها و إطباق الناس على التبرك بعجوة المدينة وتمرها يرد التخصيص بزمنه صلى الله عليه وسلم ، مع أن الأصل عدمه ، ولم تزل العجوة معروفة بالمدينة يأثرها الخلف عن السلف ، يعلمها كبيرهم وصغيرهم علما لا يقبل التشكيك .

وقال الداودى: هى من أوسط التمر كما هو المشاهد اليوم . وقال غيره : هى من أجود تمر المدينة ، ومراده أنها ليست من رديه . وقال ابن الأثير: العجوة ضرب من التمر أكبر من الصَّيْحَانى يضرب إلى السواد ، وهو مما غرسه النبى صلى الله عليه وسلم بيده بالمدينة .

وذكر هذا الأخيرَ البزارُ أيضاً ، فلعل الأوْداء [1] التى كاتب سلمان الفارسى أهله عليها وغَرَسَها صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالفُقَيْر أو غيره من العالية

(١) الأوداء : جمع ودى — على زنة غنى وعلى — وهو صغير النخل .

كانت عجوة ، والعجوة[1] توجد بالفقير إلى يومنا هذا ، و يبعد أن يكون المراد أن هذا النوع إنما حدث بغرسه صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما يوجد منه من غرسه كما لا يخفى .

وروى ابنُ حِبَّان عن ابن عباس ل « كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة » وفى حديث ضعيف «خير تمركم البرنى ، يخرج الداء ، ولا داء فيه » ورواه ابن شيبة بنحوه خطابا لوفد عبد القيس فى ثمارهم ، وكذا الحاكم فى مستدركه ، وفى مسلم حديث « يا عائشة بيت لا تمر فيه جِيَاعٌ أهله » قالها مرتين أو ثلاثاً ، وفيه أيضاً حديث « لا يجوع أهل بيت عندهم التمر » وفى الكبير والصغير للطبرانى ورجال الصغير رجال الصحيح عن ابن عباس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُتِيَ بالباكورة من الثمار وضعها على عينيه ثم قال : اللهم كما أطعمتنا أوله فأطعمنا آخره ، ثم يأمر به للمولود من أهله » ولفظ الكبير « كان إذا أتى بالباكورة من التمر قَبَّلها وجعلها على عينيه » الحديثَ ، وفى نوادر الحكيم الترمذى عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالباكورة من كل شىء قَبَّلها ووضعها على عينه اليمنى ثلاثاً ، ثم على عينه اليسرى ثلاثاً ، ثم يقول : اللهم » الحديثَ بنحوه .

وروى البزار بسند فيه ضعيف حديث « يا عائشة إذا جاء الرطب فهنينى » ورويناه فى الغيلانيات ، وفيها أيضاً حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يُفْطِر على الرطب فى أيام الرطب ، وعلى التمر إذا لم يكن رطب ، ويختم بهن ، و يجعلهن وتراً ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً » وفيها حديث « كلوا التمر على الريق ؛ فإنه يقتل الدود »

وأنواع تمر المدينة كثيرة ، ذكرنا ما أمكن جمعه منها فى الأصل فبلغ مائة و بضعاً وثلاثين نوعاً : منها النوع المسمى بالصَّيْحانى[2] ، وقد أسند

---

(١) لعل هذا النوع كان فى زمن المؤلف ، وأما فى زماننا فهى غير معروفة ، والناس مختلفون فيها ؛ فبعضهم يقول : هى الجلبة ، وبعضهم يقول : هى الجادى ، وبعضهم يعين نوعاً آخر (مكى)

(٢) هذا النوع غير معروف اليوم (مكى)

الصَّدْرُ إبراهيم بن محمد بن مؤيد الحموى فى كتابه فضل أهل البيت عن جابر رضى الله عنه قال « كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم يوما فى بعض حيطان المدينة ، ويَدُ علىّ فى يده ، قال : فمررنا بنخل ، فصاح النخل : هـذا محمد سيد الأنبياء ، وهـذا علىّ سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين ، ثم مررنا بنخـل فصاح النخل : هذا محمد رسول الله ، وهذا علىّ سيف الله ، فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى علىّ ، فقال له : يا على سَمِّه الصَّيْحَانى ، فسمى من ذلك اليوم الصيحانى » وهو حديث غريب ؛ فكان هذا سبب تسمية ذلك النوع بهـذا الاسم ؛ لأن تلك النخلات كانت منـه ، ويحتمل أن يكون المراد تسمية ذلك الحائط بهذا الاسم ، وبالمدينة اليوم موضع بجفاف يعرف بالصيحانى .

وروى بعضُهم هذا الحديث عن على بألفاظ فيها نكارة ، وفى آخره « يا على سَمِّ نخلَ المدينة صيحانياً لأنهن صِحْنَ بفضلى وفضلك » .

الفصل السابع

فى سَرْدِ خصائصها

وهى كثيرة لا تكاد تنحصر ، وها أنا ذاكر ما حضرنى منها الآن وإن شاركتْهَا مكةُ فى بعضه ، فأقول وبالله التوفيق :

الخاصة الأولى : ما تقدمت الإشارة إليه من كونه صلى الله عليه وسلم خُلق من طينتها ، وكذا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأكثر الصحابة والسلف ممن دفن بها وروى أن الله تعالى بعث جبريل وميكائيل ليقبضا قَبْضَـةً من الأرض ، فأبَتْ ، حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض منها قبضة ، وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه ، فصار بعضُ الأرض بين قدميه وبعضُ الأرض موضع أقدامه ، فخلقت النفسُ مما مسَّ قدم إبليس ؛ فصارت مأوى الشر ، ومن التربة التى لم يصل إليها قدمُ إبليس أصل الأنبياء والأولياء .

قال فى العوارف : وكانت درة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدمُ إبليس .

وقيل: [لما][1] خاطب الله السموات والأرض بقوله «ائتيا طوعًا أو كرها[2]» الآية أجاب من الأرض موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها .

وعن ابن عباس : أصلُ طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة ، يعنى الكعبة ، وهو مُشْعر بأن ما أجاب من الأرض درته صلى الله عليه وسلم ، ومن الكعبة دُحِيت الأرض ؛ فصار صلى الله عليه وسلم هو الأصل فى التكوين .

قال فى العوارف عقبهُ : وتربة الشخص مدفنه ، فكان مقتضى ذلك أن يكون مدفنه هناك ، لكن قيل : لما تموج الماء رَمَى الزَبَدَ إلى النواحى ، فوقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذى تربته الشريفة بالمدينة ، فكان مكيا مدنيا .

قلت : فلمكة الفضل بالبداية ، وللمدينة بالاستقرار والنهاية .

الثانية : اشتمالها على البقعة التى انعقد الإجماع على تفضيلها على سائر البقاع ، كما تقدم تحقيقه .

الثالثة : دفن أفضل الأمة بها والكثيرِ من الصحابة الذين هم خير القرون .

الرابعة : أنها محفوفة بأفضل الشهداء الذين بَذَلُوا نفوسهم فى ذات الله بين يَدَىْ نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فكان شهيداً عليهم

ونقل عياض فى المدارك وابن الجوزى فى منسكه أن مالكا كان يقول فى فضل المدينة : هى دار الهجرة والسنة ، وهى محفوفة بالشهداء ، وبها خيار الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) زيادة يحتاج إليها اتساق الكلام (٢) من سورة فصلت من الآية ١١ .

الخامسة : أن الله تعالى اختارها داراً وقراراً لأفضل خلقه وأكرمهم عليه صلى الله عليه وسلم .

السادسة : أن الله تعالى اختار أهلها للنصرة والإيواء .

السابعة : أن سائر البلاد افتتحت بالسيف ، وافتتحت هي بالقرآن ، كما هو مروى عن مالك ، ورفعه ابنُ زَبَالة من طريقه .

الثامنة : أن الله تعالى افتتح منها سائر بلاد الإسلام ، حتى مكة المشرفة ، وجَعلها مظهر دينه القويم .

التاسعة : ما ذكره عياض من الاتفاق على وجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة ، ووجوب سكناها لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته بالأنفُس ، قال: ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة بمكة بعد الفتح ، ورخص له في الإقامة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه .

العاشرة : أنه يبعث أشراف هذه الأمة يوم القيامة منها ، على مانقلة عياض في المدارك عن مالك في ضمن أشياء في فضل المدينة ، قال : وهذا لايقوله مالك من عند نفسه .

الحادية عشرة : ماتقدم في الأسماء من تسميتها بالمؤمنة والمسلمة ، وإن ترتبتها لمؤمنة ، وأنه لامانع من أن الله خلق ذلك فيها .

الثانية عشرة : إضافتها إلى الله تعالى في قوله : « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً »[1] على ماتقدم في الأسماء ، وقد جاءت الأرض غير مضافة إلى الله تعالى والمراد بها مكة ، وذلك في قوله تعالى : « وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ في الأرض[2] » .

الثالثة عشرة : إضافة الله إياها إلى رسوله بلفظ البيت في قوله : « كما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ[3] » على ماتقدم في الأسماء .

---

(١) من سورة النساء من الآية ٩٧ (٢) من سورة الأنفال من الآية ٢٦

(٣) من سورة الأنفال من الآية ٥

الرابعة عشرة : إقسام الله تعالى بهـا فى قوله «لاأُقْسِمُ بِهٰذَا البَلَدِ[1]» على ماسبق فى الأسماء ، أى نحلف لك بهـذا البلد الذى شرفته بك ، و «لا» زائدة للتأكيد ، ويدل عليه قراءة الحسن والأعمش « لَأُقْسِمُ » .

الخامسة عشرة : أن الله بدأبها فى قوله : « وقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ، وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صدقٍ[2]» فمدخل صدق هى، ومخرجه مكة كما تقدم ، مع أن القياس البداءة بالمخرج لموافقة الواقع . فإن قيل : التقديم للاهتمام بأمر المدخل ، قلنا : فى الاهتمام به كفاية .

السادسة عشرة: تسميتها فى التوراة بالمرحومة ونحوه، ومخاطبة الله إياها كما تقدم .

السابعة عشرة : دعاؤه صلى الله عليه وسلم بحبها كمكة وأشد ، وتسميتها بالحبيبة وغيره مما تقدم ، ودعاؤه أن يجعل الله له بها قراراً ورزقاً حسناً .

الثامنة عشرة: تحريكه صلى الله عليه وسلم دابته أو إيضاعها إذا أبصر جدرانها عند قدومها ، وأنه كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثاية[3] طرح رداءه عن منكبيه وقال « هذه أرواح طَيْبة » كما تقدم .

التاسعة عشرة : اهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر الدعاء لها بالبركة وغير ذلك .

العشرون : تحريمها على لسان أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه إكراماً له ، وكونه لاجزاء فيها على القول به دليلُ عظيمِ حرمتها حيث لم يشرع فيها جابر .

الحادية والعشرون : تأسيس مسجدها الشريف على يده صلى الله عليه وسلم ، وتَحَمُّلُه فيه بنفسه ، ومعه خير الأمة المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون .

الثانية والعشرون : اختصاصها بالمسجد الذى أنزل الله فيه « لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه[4] » .

الثالثة والعشرون : كون ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة ، وفى

(١) من سورة البلد من الآية ١ (٢) من سورة الإسراء من الآية ٨٠

(٣) الأثاية : موضع بين مكة والمدينة فيه مسجد نبوى ، أو بئر دون العرج عليها مسجد نبوى (٤) من سورة التوبة من الآية ١٠٨

رواية «ما بين منبرى وهذه الحُجَرِ» يعنى حُجَرَه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى بيان أن ذلك يعم مسجده صلى الله عليه وسلم على ما هو المشهور بين الناس فى تحديد المسجد الشريف ؛ ولهذا قال بعضهم : هذا المسجد هو المسجد الذى لا تُعرف بقعة فى الأرض من الجنة غيره .

الرابعة والعشرون : كون منبره الشريف على تُرْعة من تُرَع الجنة ، وأن قوائمه رواتب فى الجنة ، وفى رواية « ومنبرى على حوضى » .

الخامسة والعشرون : ما ورد فى مسجده الشريف من المضاعفة الآتى بيانها .

السادسة والعشرون : حديث « مَنْ صَلَّى فى مسجدى هذا أربعين صلاة كتب له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبَرِىء من النفاق » رواه الطبرانى فى الأوسط .

السابعة والعشرون : ماسيأتى أن مَنْ خرج على طُهْر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حَجَّة ، وأن الخارج إليه من حين يخرج من منزله فرِجْلٌ تكتب حسنةً ورجل تحط خطيئة .

الثامنة والعشرون : أن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة كما سيأتى .

التاسعة والعشرون : حديث « صيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة فى المدينة كألف صلاة فيما سواها » فسائر أفعال البر كذلك كما قيل به فى مكة ، وبه صرح أبو سليمان داود الشاذلى فى الانتصار ، ثم رأيته فى الإحياء ، قال : إن الأعمال فى المدينة تتضاعف ، قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة فى مسجدى هذا » الحديثَ ، ثم قال : فكذلك كل عمل بالمدينة بألف انتهى ، وقال ابن الرفعة فى المطلب : وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة ، والصلاة بمكة أفضل من الصيام ، مراعاة لنزول فرضيتهما[1] ، انتهى

---

(١) يريد أن الصلاة شرعت بمكة فيكون فعلها بها أفضل من الصيام بها ، وأن الصيام شرع فى المدينة ففعله بها أفضل من الصلاة بها .

قلت : ويؤخذ من هذه العلة أن كل عبادة شرعت بالمدينة فهى بها أفضل منها بمكة ، ولك أن تعد هذا خاصة مستقلة .

الثلاثون : حديث «لا يَسْمَعُ النداء فى مسجدى هذا ثم يخرج منه إلا لحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق » .

الحادية والثلاثون : تأكد التعلم والتعليم بمسجدها كما سيأتى .

الثانية والثلاثون : اختصاصه بمزيد الأدب وخَفْض الصوت ؛ لكونه بحضرة سيد المرسلين[1] ، واختصاصه عند بعضهم بمنع آكل الثوم ونحوه من دخوله ؛ لاختصاصه بملائكة الوحى .

الثالثة والثلاثون : أنه لا يجتهد فى مِحْرَابه ؛ لأنه صواب قطعاً ؛ فلا مَجَال للاجتهاد فيه حتى باليَمْنة واليَسْرة ، بخلاف محاريب المسلمين ، والمراد مكان مُصَلاَّه صلى الله عليه وسلم ، قال الرافعى : وفى معناه سائر البقاع التى صلى فيها صلى الله عليه وسلم إذا ضبط المحراب ، قلت : وفى ضبطه بغيرها عسر أو تعذر .

الرابعة والثلاثون : أن ما بين منبره صلى الله عليه وسلم ومسجد المصلى روضة من رياض الجنة ، وهذا جانب كبير من هذه البلدة .

الخامسة والثلاثون : حديث « أُحُدٌ على تُرْعة من تُرَع الجنة » وحديث « أحد جبل يحبنا ونحبه » .

السادسة والثلاثون : حديث « إن بُطْحَان على ترعة من ترع الجنة » .

السابعة والثلاثون : وصف العقيق بالوادى المبارك ، وأنه صلى الله عليه وسلم يحبه ، وفى رواية « يحبنا ونحبه » .

الثامنة والثلاثون : حثه صلى الله عليه وسلم على الإقامة بها .

التاسعة والثلاثون : حثه على اتخاذ الأصل بها .

الأربعون : حثه على الموت بها ، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أوهما .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) من سورة الحجرات من الآية ٢ .

الحادية والأربعون : حرصه صلى الله عليه وسلم على موته بها .

الثانية والأربعون : كون أهلها أول من يشفع لهم ، واختصاصهم بمزيد الشفاعة والإكرام كما تقدم .

الثالثة والأربعون : بَعْث الميت بها من الآمنين على ماسيأتى .

الرابعة والأربعون : أنه يبعث مِنْ بَقِيعها سبعونَ ألفاً على صورة القمر يدخلون الجنة بغير حساب ، ومثله فى مقبرة بنى سلمة ، وتوكل ملائكة بمقبرة البقيع كلّما امتلأت أخذوا بأطرافها فكَفَؤُها فى الجنة .

الخامسة والأربعون : بَعْثُ أهلها من قبورهم قبل سائر الناس .

السادسة والأربعون : شهادته ــ أو شفاعته ــ صلى الله عليه وسلم لمن صبر على لأوائها وشدتها .

السابعة والأربعون : وجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن زاره بها .

الثامنة والأربعون : استجابة الدعاء بها عند القبر الشريف ، ويقال : إنه مستجاب عند الأسطوان المخلق ، وعند المنبر ، وفى زاوية دار عقيل بالبقيع ، وبمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء ، واستجابة الدعاء بمسجد الإجابة ومسجد السقيا وبالمصلى عند القدوم ، وعند بركة السوق فى يوم العيد ، وعند أحجار الزيت وبالسوق ، لما سيأتى عند ذكر هذه الأماكن من ورود ذلك عنه صلى الله عليه وسلم بها .

التاسعة والأربعون : كونها تنفى خبثها .

الخمسون : كونها تنفى الذنوب كما تنفى النار خَبَثَ الفضة .

الحادية والخمسون : الوعيد الشديد لمن ظلم أهْلَها أو أخافهم .

الثانية والخمسون : مَنْ أرادها وأهلَها بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء، وفى رواية أذابه الله فى النار ، ويؤخذ من ترتيب الوعيد على الإرادة مساواة المدينة لحرم مكة فى هذا ، وفيه قال تعالى : «وَمَنْ يُرِدْ فيه بإلحاد بظلم»[1] الآية ،

---

(١) من سورة الحج من الآية ٢٥ .

ويتمسك للمساواة أيضاً بقوله صلى الله عليه وسلم « كما حرم إبراهيم مكة » فقولُ ابن مسعود : ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهمِّ قبلَ الفعل إلا مكة وتلا الآية مُشْكِلٌ ، وأيضا فالهمُّ العارضُ الوارد من غير عَزْم لا مؤاخذة به مطلقاً بالاتفاق ، وأما الثابت الذى يصحبه التَّصْمِيم فالعبد مؤاخذ به بمكة و بغيرها ، و إنما خصوصيةُ الحرم تعظيمُ العذاب لمن هَمَّ فيه لجرأته ؛ ولذا روى أحمد فى معنى الآية بإسناد صحيح مرفوعا «لو أن رجلا هَمَّ فيه بإلحاد وهو بعَدَن أَبْيَنَ[1] لأذاقه الله عذاباً أليما » .

الثالثة والخمسون: الوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثا أو آوى محدثاً ، وتقدم تفسير الحديث بالإثم مطلقاً ، وأنه دالّ على أن الصغيرة بها كبيرة ؛ وللوعيد الشديد فى ذلك ؛ لأنها حَضْرَةُ أشرفِ المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وسوء الأدب على بساط الملك ليس كالإساءة فى أطراف المملكة .

قال بعض السلف : إياك والمعصية فإن عصيت ولا بد فليكن فى مواضع الفجور ، لا فى مواضع الأجور ؛ لئلا يتضاعف عليك الوزر، أو تعجل لك العقوبة .

فإن قيل : هذا قول بتضعيف السيئات فى الحرم ، والراجح خلافه ؛ لقوله تعالى « وَمَنْ جاء بالسيئة فلا يُجزَى إلا مثلها[2] » .

قلنا : تحرير النزاع أن القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها : أى عظمها ، لا العدد ، فإن السيئة جزاؤها سيئة ، لكن السيئات قد تتفاوت عقوبتها باختلاف الأشخاص والأماكن ، كما أن تقدير كل أحد بما يليق به فى الزجر ، فجزاء السيئة مثلها ، ومن المماثلة رعاية ما اقترن بها مما دل على جرأة مرتكبها ، ولا تكتب إلا واحدة ، والله أعلم .

الرابعة والخمسون : الوعيد لمن لم يُكرم أهلها ، وأن إكرامهم وحفظهم حَقٌّ على

---

(١) عدن أبين — على الإضافة — جزيرة باليمن ، أقام بها أبين ، وعدن لاعة : قرية بقربه .

(٢) من سورة الأنعام من الآية ١٦٠

الأمة ، وأنه صلى الله عليه وسلم شفيع — أو شهيد — لمن حفظهم فيه .

الخامسة والخمسون : حديث « من أخاف أهلَ المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيَّ » .

السادسة والخمسون : حديث « مَنْ غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مُشْرَبٌ جَفْوَةً [(١)] » وإنه «لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله تعالى فيها خيراً منه » كما فى حديث مسلم ، قال المحب الطبرى : فيه إشعار بذم الخروج منها ، وذهب بعضهم إلى أنه مخصوص بمدة حياته صلى الله عليه وسلم ، فأما بعد وفاته فقد خرج نفر كثير من كبار الصحابة ، وذهب آخرون إلى أنه عام أبداً ، قال الطبرى : وهو ظاهر اللفظ ، نعم هو مخصوص بالمستوطن ، لا مَنْ نَوَى الإقامة بها مدة ثم ينقلب [(٢)] إلى وطنه .

السابعة والخمسون : إكرام الله لها بنَقْلِ وبائها وتحويل حُمَّاها .

الثامنة والخمسون : الاستشفاء بترابها ، وما تقدم فى ثمارها .

التاسعة والخمسون : عصمتها من الطاعون .

الستون : عصمتها من الدجال ، وخروج الرجل الذى هو خير الناس — أو من خير الناس — إليه منها ، وقوله له : أشهد أنك الدجال ، وأنه لا يُسَلَّط عليه بآخرة الأمر ، وبهذا تتميز على مكة ، والسر فيه أن سيد المرسلين — وهو حجة الله على العباد — بالمدينة .

الحادية والستون : ما فى حديث الطبرانى من قوله صلى الله عليه وسلم « وحق على كل مسلم زيارتها » .

الثانية والستون : سماعُه صلى الله عليه وسلم سلامَ من سلم وصلاةَ من صلى عليه عند قبره الشريف ، ورده عليه .

الثالثة والستون : اختصاصها بمَلَكِ الإيمان والحياء ، كما تقدم فى الأسماء .

---

(١) مشرب جفوة — على زنة اسم المفعول — أى خالطه الجفاء .

(٢) ينقلب : يرجع ويعود

الرابعة والستون : كون الإيمان يأْرِزُ إليها .

الخامسة والستون : اشتباكها بالملائكة وحراستهم لها .

السادسة والستون : كونها أولَ أرضٍ اتخذ بها مسجد لعامة المسلمين فى هذه الأمة .

السابعة والستون : كون مسجدها آخِرَ مساجدِ الأنبياء ، وآخر المساجد التى تُشَدُّ إليها الرِّحالُ ، وكونه أحق المساجد أن يزار كما سيأتى .

الثامنة والستون : كثرة المساجد والمَشَاهِدِ والآثار بها ، بل البركة عامة منبثة بها ، ولهذا قيل لمالك : أيما أحب إليك المقام هنا يعنى المدينة أو بمكة ؟ فقال : ههنا ، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين فى أقل من ساعة ؟.

التاسعة والستون : ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية ، على ما تقدم فى الأسماء

السبعون : طِيبُ العيش بها ، على ما تقدم هنالك أيضاً .

الحادية والسبعون : استحقاق مَنْ عاب تربتها للتعزير ؛ فقد أفتى مالك فيمن قال « تربة المدينة رديئة » بأن يضرب ثلاثين دِرَّةً ، وأمر بحبسه ، وكان له قَدْر ، وقال : ما أحْوَجَه إلى ضرب عنقه ، تربةٌ دُفن فيها النبى صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة ؟

الثانية والسبعون : الوعيد الشديد لمن حلف يميناً فاجرة عند منبرها .

الثالثة والسبعون : استحبابُ الدخول لها من طريق والرجوع فى أخرى ، لما سيأتى فى مسجد المعرَّس (١) .

الرابعة والسبعون : استحباب الاغتسال لدخولها .

الخامسة والسبعون : استحباب الدعاء والطلب من الله الموتَ بها .

---

(١) المعرس — بزنة المكرم — هو والتعريس بمعنى النزول ليلا .

السادسة والسبعون : أنها دار إسلام أبداً ؛ لحديث «إن الشياطين قد يُئِسَتْ أن تعبد ببلدى هذا » .

السابعة والسبعون : أنها آخر قُرَى الإسلام خرابا ، رواه الترمذى وقال : حسن غريب ، ورواه ابن حبان بلفظ « آخر قرية فى الإسلام خرابا المدينة »

الثامنة والسبعون : تخصيص أهلها بأبعد المواقيت وأفضلها ؛ تعظيما لأجورهم .

التاسعة والسبعون : ذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بالمدينة قبل مكة ، وهى مسألة عزيزة ، وممن نص عليها ابن أبى شيبة فى مُصَنفه فروى عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون أنهم بدؤا بالمدينة قبل مكة ، وأن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدؤن بالمدينة ، وفى المناسك الكبير للإمام أحمد رواية ابنه عنه : سُئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة ، فذكر بإسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا : إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة ، فإذا قضيت حجك فامرر بالمدينة إن شئت ، وعن إبراهيم النخعى ومجاهد : إذا أردت مكة للحج والعمرة فاجعل كل شىء لهـا تبعاً ، ثم روى أن نَفَرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدؤن بالمدينة إذا حجوا ، يقولون : نبدأ من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : وهذا أرجح ؛ لتفضيل ميقات المدينة ، و إتيانُ المدينة أولاً وُصلةٌ إليه ، مع ما فيه من البداءة بزيارة النبى صلى الله عليه وسلم و إيثارها ، ولعله السبب عند مَنْ بدأ بالمدينة ممن تقدم ذكره من التابعين كما قال السبكى . ونقل الزركشى عن العبدى شارح الرسالة من المالكية أنه قال : المشىُ إلى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس ، انتهى . والخلاف فيما إذا لم تكن المدينة على طريقه ؛ لأن مأخذ مَنْ رجّح البداءة بمكة المبادرة إلى قضاء الفرض ، ولهذا قال الموفق ابن قدامة : قال أحمد : و إذا حج الذى لم يحج قط — يعنى من غير طريق

الشام ـ لا يأخذ على طريق المدينة ؛ لأنى أخاف أن يحدث به حدث ، فينبغى أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغـيره ، قال السبكى : وهو فى العمرة متجه ؛ لإمكان فعلها متى وصَـل ، وأما الحج فله وقت مخصوص فإذا كان متسعاً لم يفت بمروره بالمدينة شىء . قلت : ومع ذلك فهو فى الفرض ، ولهذا قال فى الفصول : نقل صالح وأبو طالب : إذا حج للفرض لم يمر بالمدينة ؛ لأنه إن حدث به حدثُ الموتِ كان فى سبيل الحج ، وإن كان تطوعا بدأ بالمدينة ، انتهى . وممن نص على المسألة أيضاً الإمامُ أبو حنيفة على ما نقله أبو الليث السمرقندى ، وقال : إن الأحسن البداءة بمكة .

الثمانون : اختصاص أهلها فى قيام رمضان بستة وثلاثين ركعة ، على المشهور عند الشافعية ، قال الرافعى والنووى : قال الشافعى : رأيت أهل المدينـة يقومون بتسع وثلاثين ركعة ، منها ثلاث للوتر ، قال أصحابنا : وليس لغـير أهل المدينة ذلك ؛ لشرفهم بمُهَاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره ، ثم قال الرافعى : وسببُ فعـلِ أهل المدينة ذلك أن الركعات العشرين خمس ترويحات ، وكان أهلُ مكة يطوفون بين كل ترويحتين أسبوعا[1] ، ويُصَلُّون ركعتى الطواف أفراداً ، وكانوا لا يفعـلون ذلك بين الفريضة والتراويح ولا بين التراويح والوتر ، فأراد أهل المدينة أن يساووهم فى الفضيلة ، فجعلوا مكان كل أسبوع — أى مع كل ركعتيه — ترويحة ؛ فحصل أربعُ ترويحاتٍ هى ستةَ عَشَرَ ركعةً ، انتهى .

ونقل الرويانى فى البحر هذا السبب عن الشافعى . وقال القاضى أبو الطيب الطبرى : قال الشافعى : لا يجوز لغير أهل المدينة أن يماروا أهل مكة ولا ينافسوهم لأن الله فضَّلهم على سائر البـلاد ، انتهى . وحاصل التوجيه أن الحسد فى الخير مطلوب ، وهو فى الحقيقة غبطة كما حَسَدَ المهاجرون ـ لما لم يكن لهم ما يتصدقون به ـ الأنصارَ فقالوا : ذهبَ أهلُ الدُّثور بالأجور[2] ، فأثبت أهل المدينة هذا العدد

(١) يريد سبعة أشواط (٢) يعنى ذهب الأغنياء بالثواب؛ لأنهم يتمكنون من الصدقة بسبب مالهم ، وهى مستوجبة للأجر ، ولا يستطيعها الفقراء .

بضرب من الاجتهاد ليلحقوا بأهل مكة ، وقد تشارك البَلَدانِ فى الفضائل حتى اختلف فى تفضيل كل منهما على الأخرى ، وجعل لأهل المدينة ما يحصل به ثواب الاعتمار والحج ، وامتازت المدينة بالمهاجر والقبر ، فجعل لأهلها طريق إلى تحصيل تلك الفضيلة السابقة مع إقامتهم بها ، ولعله لو لم يشرع لهم ذلك لحملتهم الرغبة فى الخير على الانتقال إلى مكة ، وسكنى المدينة مطلوبٌ ، وأما غيرهم فليس له شىء من هذا الفضل ، فكيف يتأتى له مساواة أهل مكة ؟ فلم يشرع لهم ذلك ، هذا ، و إجماع أهل المدينة حجة عند مالك ، والقيام بهذا العدد بالمدينة باقٍ إلى اليوم إلا أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء ، ثم يأتون آخر الليل فيقومون بستة عشر[1] ركعة ، فوقع لهم خَلَل فى أمر الوتر نبّهنا عليه فى كتاب « مصابيح القيام ، فى شهر الصيام » وكنت قد ذكرت لهم ما يحصل به إزالة ذلك ، ففعلوه مدة ، ثم غلبت الحظوظ النفسية على بعضهم فعاد الأمر كما كان .

الحادية الثمانون : زيادة البركة بها ، على مكة المشرفة ، وقد قدمنا حديثاً يشير إلى أن المدعو به لها ستة أضعاف ما بمكة من البركة ، والمصرح به فى الأحاديث « ضعفى ماجعلت بمكة من البركة » وفى بعضها « مثل ما جعلت بمكة من البركة ومع البركة بركتين » .

الثانية والثمانون : نقل عن مالك أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم ، ولهذا روى حديث خيار المجلس ثم قال : وليس لهذا عندنا حد معلوم ولا أمر معمول به ؛ لما اختص[2] به أهلُ المدينة من سكناهم مَهْبِطَ الوحى ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ ، فمخالفتهم تقتضى علمهم بما أوجب ترك العمل من ناسخ أو دليل راجح ، والمحققون على أن البقاع لا أثر لها فى ذلك ، وقد بلغ ابنَ أبى ذئب — وهو من أقران مالك — مخالفتُه للحديث فأغلظ فى ذلك لأن العصمة إنما

---

(١) كذا ، وحق العربية أن يقول « بست عشرة ركعة » .

(٢) هذا تعليل لتقديم إجماع أهل المدينة .

تثبت فى إجماع جميع الأمة ، ويؤخذ من كلام مالك اختصاصُ ذلك بعمل أهل ذلك العصر من أهل المدينة[1] .

الثالثة والثمانون : حديث النسائى والبزار والحاكم واللفظ له « يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدوا عالما أعْلَمَ من عالم المدينة» وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقد كان ابنُ عُيَيْنة يقول : نرى هـذا العالم مالك بن أنس، انتهى . قال الزركشى : وفيما حكاه عن سفيان نظر ؛ لما فى صحيح ابن حِبَّان أن إسحاق بن موسى قال : بلغنى عن ابن جُرَيج أنه كان يقول : نرى أنه مالك ابن أنس ، فذكرت ذلك لسفيان بن عُيَينة فقال : إنمـــا العالم مَنْ يخشى الله ، ولا نعلم أحداً كان أخشى لله من العمرى ، قال التوربشتى فى شرح المصابيح : يعنى عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، كان من عباد الله الصالحين المشائين فى بلاده وعباده بالنصيحة . بلغنا أنه كان يخرج إلى البادية ليتفقد أهلها شفقة عليهم وأداء لحق النصيحة فيهم ، وقد أخرج الترمذى الحديث وحَسَّنه ، وتكلم ابن حزم فيه ، ثم قال : ولم يتعين هذا فى مالك ؛ لأنه كان فى عصره جماعة لايفضل على واحد منهـم ، وكان بالمدينة مَنْ هو أجل منه كسعيد بن المسيب ؛ فهذا الحديث أولى به . وقال ابن عيينة : ولو سئل : أىُّ الناس أعلم؟ لقالوا : سفيان الثورى ، قال ابن حزم : وإن صح هذا الحديث فإنما يكون إذا قرب قيام الساعة وأرِزَ الإيمان إلى المدينة وغلب الدجال على الأرض خلا مكة والمدينة ، وأما حتى الآن فلم يأت صفة ذلك الحديث ؛ لأن الفقه انقطع من المدينة جملةً ، واستقر فى الآفاق ، انتهى . ولا يخلو عن نزاع .

الرابعة والثمانون : تحريمُ نقل أحجار حرمها وترابه كما سيأتى بيانه .

---

(١) لأن أهل ذلك العصر هم الذين شاهدوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأوا مايفعلون ومايتركون ؛ فإذا اتفقوا على فعل شىء أو تركه دل على أنه لم يكن فى الصحابة من يخالف ذلك ، وإلا لوجد من يعمل على غرار عمل المخالف من الصحابة .

الخامسة والثمانون : لو نذر تطييبَ مسجد المدينة وكذا الأقصى ففيه تردد لإمام الحرمين ؛ لأنا إن نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة ، أو إلى امتياز الكعبة بالفضل فلا ، وكلام الغزالى فى آخر باب النذر يقتضى اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه ، لا فى غيرهما من المساجد ، والإمام طَرَدَه فى الكل ، وحيث كان الملحظ ما ذكر فينبغى أن لا يتوقف فيما لو نذر تطييب القبر الشريف .

السادسة والثمانون : إذا نذر زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء بذلك وجهاً واحداً ، وفى وجوب الوفاء فى زيارة قبر غيره وجهان ، قاله ابن كَجٍّ ، وأقره عليه الرافعى والنووى وغيرهما .

السابعة والثمانون : قيامُ مسجدها مقام المسجد الأقصى كالمسجد الحرام فيما لو نذر الصلاة أو الاعتكاف فى الأقصى ؛ فإن الأصح لزومه به ، وأجزأ مسجد المدينة لزيادة فضله ، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزه فعل ذلك بالأقصى ويجزيه بالمسجد الحرام .

الثامنة والثمانون: الاكتفاء بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن نذر إتيان مسجد المدينة ، كما قال الشيخ أبو على تفريعاً على القول بلزوم إتيانه كما قاله الشافعى والبُوَيطى وعلى أنه لابد من ضم قربة إلى الإتيان كما هو الأصح تفريعاً على اللزوم ، وعلله الشيخ أبو على بأن زيارته صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات ، وتوقف فى ذلك الإمام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه ، قال : وقياسه أنه لو تصدق فى المسجد أو صام يوماً كفاه ، وفيه نظر ، على أن الصحيح ما نص عليه فى المختصر من عدم لزوم الإتيان ، وإن كان اللزوم أرجَحَ دليلا ، ورجح الرافعى تفريعاً على اللزوم ضم صلاة أو اعتكاف ، وكذا إذا نذر إتيان الأقصى ، فإن نفس المرور لما لم يكن فى نفسه مزية انصرف النذر إلى ما يقصد فيه من القُرَبِ وبهذا يترجح ما قاله الشيخ أبو على ؛ لأن إتيان مسجد المدينة يقصد للصلاة والاعتكاف والزيارة بخلاف غيره

التاسعة والثمانون : قال ابن المنذر : إذا نذر أن يمشى إلى مسجد الرسول والمسجد الحرام لزمه الوفاء به لأنه طاعة ؛ ومن نذر أن يمشى إلى بيت المقدس كان بالخيار : إن شاء مشى إلى المسجد الأقصى ، وإن شاء مشى إلى المسجد الحرام ؛ لحديث أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى نذرت إن فَتَحَ الله عليك مكة أن أصلى فى مسجد بيت المقدس ، قال صلى الله عليه وسلم «صَلِّ هنا ، ثلاثاً » انتهى . ويعلم مما تقرر فى إجزاء مسجد المدينة عن الأقصى فى الإتيان والصلاة إجزاؤه هنا كالمسجد الحرام ، والذى اقتضاه كلام البغوى تصحيح عدم لزوم المشى فى مسجد المدينة والأقصى ، وهو الذى رجحوه .

التسعون : قوله صلى الله عليه وسلم فى أحاديث تحريمها « ولا يُحْمَلُ فيها سلاح لقتال » .

الحادية والتسعون : قوله فيها أيضاً « ولا تلتقط لقطته إلا لمن أشاد بها [1] » .

الثانية والتسعون : إذا قلنا بضمان صَيْدها وقطع شجرها فالصحيح أنه يُسْلَبُ الصائد كما يسلب قَتيلُ الكفار ، وهذا أبلغ فى الزجر من الجزاء [2] .

الثالثة والتسعون : جواز نقل ترابها للتداوى .

الرابعة والتسعون : ظهور نار الحجاز التى أخبر بها صلى الله عليه وسلم مما حولها ؛ لأنها للإنذار ، فاختصت ببلد النَّذِير ، ثم لما بلغت الحرم وكان مُحَرِّمُه المبعوث بالرحمة خمدت وطفئت ، على ماسيأتى .

الخامسة والتسعون : دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالبركة فى سُوقها .

السادسة والتسعون : ماسيأتى فى سوقها من أن الجالب إليه كالمجاهد فى سبيل الله .

السابعة والتسعون : أن المحتكر فيه كالملحد فى كتاب الله .

الثامنة والتسعون : ماسيأتى فى بئر غرس من أنه صلى الله عليه وسلم « رأى

---

(١) أشاد بها : عرفها ونوه بها ، والمراد أنه لايجوز التقاطها للتملك .

(٢) قد شرع الله جزاء لمن قتل صيد مكة وهو محرم .

أنه أصبح على بئر من آبار الجنة ، فأصبح على بئر غرس »،ورؤيا الأنبياء حق ، عليهم الصلاة والسلام ! .

التاسعة والتسعون : ماسبق فى ثمارها من أن العَجْوة من الجنة ؛ فقد اشتملت المدينة على شيء من أرض الجنة ومياهها وثمارها ، والله أعلم .

الفصـــــل الثامن

فى الأحاديث الواردة فى تحريمها ، وهى كثيرة

روينا فى الصحيحين منها حديث عبد الله بن زيد « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها » ، وفى لفظ « ودعا لأهلها ، وإنى حرمت المدينة كما حَرَّمَ إبراهيم مكة » الحديثَ .

وفى البخارى حديث أبى هريرة رضى الله عنه «حرم ما بين لاَبَتَي[1] المدينة على لسانى » قال : وأتى النبى صلى الله عليه وسلم بنى حارثة فقال : « أراكم يابنى حارثة قد خرجتم من الحرم، ثم التفت فقال : بل أنتم فيه» وسيأتى بيان منازلهم[2] ، وفيه أيضاً عنه : لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذَعَرْتُها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما بين لابتيها[1] حرام» وهو فى مسلم بزيادة ، ولفظه «حرم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتى[1] المدينة» قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها[1] ما ذَعَرْتُها ، وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حِمًى .

وفى مسلم أيضاً عن عاصم الأحول : «سألت أنسا أحرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ قال : نعم، هى حرام: لا يُخْتَـلى خَلاَها[3] ، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وفيه أيضاً حديث رافع بن خديج رضى الله عنه « إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى أحرم ما بين[1] لابتيها » يريد المدينة .

---

(١) اللابتان : مثنى لابة ، وهى الحرة على ماسيأتى للمؤلف (ص ٩١) .

(٢) انظر ص ٩١ .

(٣) لايختلى : أى لايجز ولايقطع ، والخلى : الرطب من النبات .

وفيه أيضاً حديث جابر « إن إبراهيم حرم مكة ، و إنى حرمت المدينة ما بين لابَتَيْهَا : لا تقطع عِضَاهُها ، ولا يصاد صيدها » .

وفيه أيضاً من حـديث أبى سعيد الخدرى « اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، و إنى حرمت المدينة حراماً ما بين مأزمَيْها ، أن لا يُهَرَاقَ فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا يُخْبَطَ[1] فيها شجرة إلا لعلف » الحديث .

وفيه أيضاً من حديث أنس « اللهم إنى أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم عليه السلام مكة » .

قلت : المراد بجبليها عَيْر وثَوْر ، وهما المعبر عنهما فى الحديث قبله بمأزميها على ما صوّبه النووى، ونسبة تحريم مكة لإبراهيم عليه السلام دليل لماذهب إليه جماعة من أنها لم تَزَلْ حلالا كغيرها إلى زمن إبراهيم عليه السلام ، فحرمت ، والثانى — وصححه النووى ، ونقل عن الأكثرين — أنها لم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض ، ثم أظهر الله تعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام . قال الزركشى : وفيه جمع بين الأحاديث . قلت : الأحكام قديمة ؛ لأنها خطاباته تعالى ، والحادث إنما هو تعلقاتها بالمكلفين ، فإذا كان ظهور تحريمها على لسان إبراهيم عليه السلام فذلك أول تعلق الحكم التكليفى ، فما معنى ما يقوله الثانى من تحريمها يوم خلق الله السموات والأرض مع انتفاء التعلق التكليفى حينئذ ؟ ويجوز أن يكون بمعنى أن الله تعالى أظهر ذلك لملائكته يوم خلق السموات والأرض وعرفهم به ، وتأخر تعلق التكليف به حتى ظَهَرَ على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام وهذا لا يأباه القول الأول ، بل يسلمه ، وهوحسن ، و به يجتمع معنى الأحاديث ، ولا يخفى أن خطاب الله تعالى بتحريم المدينـة قديم أيضاً ، وتأخره من حيث التكليف إلى أن أظهره النبى صلى الله عليه وسلم ليس فيه حط لرتبتها ، بل دليل كمالها حيث ادّخَر الله ذلك حتى جعله على لسان أشرف المرسلين صلوات الله

(١) لا يخبط شجرها : أى لا تشد أغصانها وينفض ورقها .

وسلامه عليه ، مع أنهم ذكروا فى معنى تحريم إبراهيم لها احتمالين : أحدهما : أنه بأمر الله تعالى له ، والثانى : أنه دَعَا لها فحرمها الله بدعوته ، ويقال مثله فى تحريمه صلى الله عليه وسلم للمدينة .

وقوله : « ما بين لابَتَيْها » أى حَرَّتَيْها الشرقية والغربية والمدينةُ بينهما ، ولهـا أيضاً حَرَّة بالقِبْلة وحَرَّة بالشام ، لكنهما يرجعان إلى الشرقية والغربية لاتصالها بهما ، ولهذا جمعها صلى الله عليه وسلم كلها فى اللابتين كما نبه عليه الطبرى .

قال النووى : وهو حد الحرم من جهة المشرق والمغرب ، وما بين جبليها بيان لحده من جهة الجنوب والشمال ، قال : ومعنى قوله « ما بين لابتيها » اللابتان وما بينهما ، والمراد تحريم المدينة ولابتيها .

قلت : ويؤيده أن اللابتين شرقا وغربا فى محاذاة أحد الجبلين الآتى بيانهما ، وأن منازل بنى حارثة فى محاذاة اللابة الغربية على ما اقتضاه كلام المطرى فيما قدمناه عنه من الباب الأول فى ترجمة أثرب ، والذى ترجح عندى أن منازلهم كانت باللابة الشرقية مما يلى العُرَيض وما قارب ذلك ؛ لأن الإسماعيلى روى الحديث المتقدم بلفظ « ثم جاء بنى حارثة وهم فى سَنَد الحرة » أى الجانب المرتفع منها ، وسيأتى فى منازلهم ما يبين أن المراد الحرة الشرقية ، وليس الموضع الذى ذكره المطرى فى سَنَد واحدة من الحرتين ، والله أعلم . ويؤيد أيضاً ماقاله النووى أن البيهقى روى فى المعرفة حديثَ الصحيفة عن على بلفظ « إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى أحرم المدينة مابين حرتيها وجِمَامِها[1] : لا يُخْتَلَى خَلَاهَا ، ولا ينفر صيدها ، ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها » يعنى أنشد « ولا يقطع شجرها إلا أن يعلف

---

(١) جمام المدينة — بكسر الجيم فى أوله — هى ثلاثة أجبل فى وادى العقيق على يمين الذاهب إلى مكة ويسار الذاهب فى المسيل إلى جهة القبلتين والجرف ، وهى مشهورة بالجماوات (مكى) .

رجل بعيرا ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال » الحديث ، ورواه أحمد كذلك أيضاً ، وهو حديث صحيح ، وجمام المدينة ثلاثة كما سيأتى ، وهى مما يلى حرتها الغربية من جهة المغرب والحرة بين الجمام والمدينة .

وروى مسلم حديثَ الصحيفة بلفظ « المدينة حَرَم ما بين عَيْر إلى ثَوْر » والبخارى بلفظ « المدينة حرم ما بين عاير إلى كذا » وأبو داود بلفظ « المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور » ثم زاد فيه وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يختلى خَلاَها ، ولا ينفر صيدها ، ولا يلقط لقطتها إلا من أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ، ولا أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره » ورواه الطبرانى برجال موثَّقين مختصرا ، ولفظه عن أبى جُحيفة أنه دخل على علىّ رضى الله عنه فدعا بسَيْفه ، فأخرج من بطن السيف أدما عربياً ، فقال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً غير كتاب الله الذى أنزل إلا وقد بلغته غير هذا ، فإذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول الله قال : « لكل نبى حَرَم وحرمى المدينةُ » .

الفصل التاسع
فى بيان عَـيْر وثور

وهما المراد بجبليها كما تقدم .

موقع جبل عير

أما عَـيْر — بفتح العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف بلفظ العير مرادِف الحمار ، ويقال : عاير — فجبل كبير مشهور فى قبلة المدينة بقرب ذى الحُلَيفة ميقاتِ المدينة .

موقع جبل ثور

وأما ثور — بالمثلثة بلفظ الثور فَحْلِ البقر — فجبل صغير خاف أحد كما سنحققه ، فإنه خفى على جماعة من فحول العلماء فاستشكلوا الحديث ، وقالوا : ليس بالمدينة ثور ، إنما هو بمكة ، ولهذا فى أكثر روايات البخارى من عاير إلى كذا ، وفى بعضها من عير إلى كذا ، ولم يبين النهاية ، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم فأسقطه ،

وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ليتبين الوهم ، وضرب آخرون عليه .

الاختلاف فى وجود جبل ثور بالمدينة

وقال المازرى : نقل بعض أهل العلم أن ذكر ثور هنا وَهَم من الراوى ؛ لأن ثورا بمكة ، والصحيح « إلى أحد » .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : عير وثور جبلان بالمدينة ، وأهل المدينة لا يعرفون بها جبلا يقال له ثور ، وإنما ثور بمكة ، قال : فإذاً نرى أن الحديث أصله « ما بين عير إلى أحد » .

قلت : وكذا رواه الطبرانى برجال ثقات ، بلفظ « ما بين عير وأحد حرام ، حَرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهو كذلك فى رواية لابن زَبَالة .

وقال الحازمى : الرواية الصحيحة « ما بين عير إلى أحد » وقيل : « إلى ثور » وليس له معنى ، وتكلف بعضهم فقال : إلى بمعنى مع ، كأنه جعل المدينة مضافة إلى مكة فى التحريم لأن ثورا بها .

وقال الموفق بن قُدَامة : يحتمل أن المراد تحريم قَدْر ما بين ثور وعير اللذين بمكة ، أو سمى النبى صلى الله عليه وسلم الجَبَلَيْنِ اللذين بطرفى المدينة عيرا وثورا ارتجالا ، انتهى . وهو يقتضى إنكار وجود عير بالمدينة أيضا .

وقد قال الزركشى : نقَل عياض عن بعضهم أنه ليس بالمدينة ولا ما يقرب منها جبل يعرف بأحد هذين الاسمين ، أعنى عيرا وثورا . قال ياقوت فى معجمه : وهذا وهم ، فإن عَيْرًا جبل مشهور بالمدينة ، وقال ابن السِّيد : عَيْر جبل بقرب المدينة ، وعبارة عياض فى المشارق : عير وعاير المذكوران فى حَرَم المدينة فى أكثر الروايات عير ، وفى حديث علىّ عاير ، قال الزبير بن بكَّار : هو جبل بالمدينة ، وقال عمه مصعب : لا يعرف بالمدينة عير ولا ثور ، انتهى .

وقال فى المطالع : أكثر رواة البخارى ذكروا عيرا ، وأما ثور فمنهم من كَنَى عنه بكذا ، ومنهم من ترك مكانه بياضا ، والأصلُ فى هذا التوقفِ قولُ

مصعب الزبيرى: ليس بالمدينة عير ولا ثور، وأثبت غيره عيرا، ووافقه على إنكار ثور .

قلت : سيأتى فى ترجمة عير من فصل البقاع عن مصعب الزبيرى ما يقتضى إثباته له ، وشهرة عير غير خافية بين العلماء ، إنما الغرابة فى ثور .

وقال النووى عقب نقل الحازمى المتقدم : ويحتمل أن ثورا كان اسما لجبل هناك : إما أحد ، وإما غيره ، فخفى اسمه .

وقال صاحب البيان والانتصار : قد صحت الرواية بلفظ ثور ؛ فلا ينبغى الإقدام على توهيم الرواة بمجرد عدم العرفان ، فإن أسماء الأماكن قد تتغير ، أو تنسى ولا يعلمها كثير من الناس ، قال : وقد سألت بمكة عن وادى مُحَسِّر وغيره من أماكن تتعلق بالنُّسُك ، فلم أخبر عنها مع تكرر مجىء الناس إليها ، فما ظنك بغيرها ؟ وأيضا فقد يكون للشىء اسمان فيعرف أحدهما دون الآخر .

وقال المجد : لا أدرى كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات وَهَم فى الحديث المتفق عَلَى صحته ، بمجرد ادعاء أن أهل المدينة لا يعرفون جبلا يسمى ثورا ، وذكر احتمال طرق التغيير فى الأسماء والنسيان لبعضها ، قال : حتى إنى سألت جماعة من فقهاء المدينة وأمرائها وغيرهم من الأشراف عن فَدَك[1] ومكانها فكلهم أجابوا بعدم معرفة موضع يسمى بذلك فى بلادهم ، مع أن هذه القرية لم تبرح فى أيدى الأشراف والخلفاء يتداولونها إلى أواخر الدولة العباسية ، فكيف بجبل صغير لا يتعلق به كبير أمر ، مع أنه معروف بين أهل العلم بالمدينة ، ونقل بعض الحفاظ وَصْفَه بذلك خلفا عن سلف ؟ اهـ .

قلت : قد حكى البيهقى فى المعرفة قول أبى عبيد : أهل المدينة لا يعرفون جبلا يقال له ثور ، ثم قال البيهقى : وبلغنى عن أبى عبيدة أنه قال فى كتاب الجبال : بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له ثور ، انتهى .

(١) فدك : قرية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى طالبت فاطمة الزهراء أبا بكر الصديق بأن يورثها إياها ؛ فروى لها حديث « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » .

ونقل المجد فى ترجمة عير عن نصر أنه قال : عير جبل يقـابل الثنية المعروفة بشعب الجوز ، وثور جبل عند أحد ، انتهى . فدل على أن ما اشتهر فى زماننا وقبله من وجود ثور بالمدينة له أصل فى الزمن القديم ، وإن خفى على بعضهم ، وقد أخبرنى بوجوده جماعة كثيرة من الخواص ، وأرونى إياه خلف أحد ، ونقل جماعة عن المحدث أبى محمد عفيف الدين عبد السلام بن مزروع البصرى نزيل المدينـة المشرفة أنه رآه غير مرة ، وأنه لمـا خرج رسولا من صاحب المدينة إلى العراق كان معه دليل يذكر له الأماكن والأجْبُلَ ، فلما وصلا إلى أحُدٍ إذا بقُرْبِهِ جبلٌ صغير ، فسأله : ما اسم هذا الجبل ؟ فقال له : يسمى ثورا ، وقد حكى عنه نحو هذا القطبُ الحلبى فى شرح البخارى ، وقال المحب الطبرى : أخبرنى الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول صلى الله عليه وسلم عبدُ السلام البصرى أن حِذَاء أحُد عن يساره جانحا إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال ، فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور ، قال الطبرى : فعلمنا بذلك أنّ ماتضمنه الحديث صحيح ، وعدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه ، انتهى .

وقد رد الجمال المطرى فى تاريخه عَلَى من أنكر وجود ثور ، وقال : إنه خَلْفَ أحُد من شماليه ، صغير مدور ، يعرفه أهل المدينة خَلَفٌ عن سلف .

وقال الأقشهرى : وقد استقصينا[1] من أهل المدينة تحقيق خبر جبل يقـال له ثور عندهم ، فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القـدماء دون المحدثين من أهل المدينة ، والذى يعلم حجةٌ على من لا يعلم ، اه .

وقال العلامة أبو العباس بن تيمية : عير جبل عند الميقات يشبه العير ، وهو الحمار ، وثور جبل فى ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكه .

وروى بعض شراح المصابيح أن الله تعالى لمـا كلم موسى عليه السلام على الجبل

---

(١) استقصينا : تتبعنا ، يريد أنه بالغ فى سؤالهم عنه فعلم من أجوبتهم أن القدامى هم العارفون بموضعه .

تقطع سِتّ قطع ، فصارت ثلاث بمكة : حراء ، وثَبير ، وثور ، وثلاث بالمدينه : عير ، وثور ، ورَضْوَى ، وكأن ثورا سمى باسم فَحْلِ البَقَر لشبهه به ، وهو إلى الحمرة أقرب ، وقد صح بمـا قدمناه أن أحُداً من الحرم ؛ لأن ثورا حده من جهة الشام كما أن عيرا حده من جهة القبلة ، ويقوم ذلك على الرواية التى فيها ذكر أحد بدل ثور ، لمـا فى ذلك من الزيادة عليها ، وأنها من باب ذكر فَرْدٍ ممـا شمله ذلك العموم بحكم العموم فلا تخصص ، مع إفادتها لإدخال ماحاذى أطراف أحُدٍ شرقا وغربا ، وماوقع فى الشرحين والروضة وغيرهما من التحديد بما بين اللابتين و بما بين عَـيْر وأحُد مبنى على ماتقدم من أن الرواية الصحيحة « أحُد» لعدم وجود ثور ؛ فقد اتضح الحال، ولله الحمد .

الفصل العاشر
فى أحاديث تقتضى زيادة الحـــرم
على ذلك التحديد ، وأنه مقدر ببريد

أعلم أن قوله فى حديث مسلم « وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حِمًى » ظاهر فى التحريم لذلك القدر ؛ إذ حول المدينة إنما هو حرمها ، وحمى النبى صلى الله عليه وسـلم الذى ليس بحرم لم يكن حول المدينة على ما سيأتى بيانه ، ولأن التقى السبكى قال : إن فى سنن أبى داود تحديد حرم المدينة ببريد من كل ناحية ، قال : وإسنادهُ ليس بالقوى ، والذى رأيته فى أبى داود عن عدى بن يزيد « حَمى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كل ناحية من المدينة بريدا بريدا ، لايُخْبَط شجره ، ولا يُعْضَد إلا ما يساق به الجمل» رواه البزار بنحوه، ورواه ابن زبَالة بلفظ « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم شجر المدينة بريدا فى بريدمنها ، وأذن فى المَسَد[1] والمنجدة ومتاع الناضح أن يقطع منه » والمنجدة : عصا الناضح[2]

وروى المفضل الجندى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال ، فى

(١) المسد : مرود البكرة ، وسيفسره المؤلف بهذا فى الفصل التالى .

(٢) المنجدة : عصا صغيرة تحث بها الدابة على السير ، أو ينفش بها الصوف ، وعود يحشى به حقيبة الرجل .

قصة العبد الذي وجده يعضد ـ أو يخبط ـ عضاها بالعقيق : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ وجد من يَعْضِد أو يخبط[1] شيئاً من عِضَاهِ المدينة بريدا فى فى بريد فله سَلَبه ، فلم أكن لأرد شيئاً أعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وروى البزار عن جابر قال : « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بريدا من نواحيها ».

وفى الأوسط للطبرانى – وفيه ضعيف – عن كعب بن مالك قال : « حَرَّم رسول الله، صلى الله عليه وسلم الشجر بالمدينة بريدا فى بريد ، وأرسلنى فأعلمت على الحرم: على شرف ذات الجيش ، وعلى شريب ، وعلى أشراف مخيض » .

ورواه ابن النجار بلفظ « حَرَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة بريدا فى بريد ، وأرسلنى فأعلمت على الحرم : على شرف ذات الجليس ، وعلى مشيرب ، وعلى أشراف المجتهر ، وعلى تيم » ورواه ابن زبالة بهذا اللفظ ، إلا أنه أسقط أشراف المجتهر ، وأبدل تيم بثيب ، وزاد « وعلى الحفياء ، وعلى ذى العشيرة » .

وروى أيضا عن كعب بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم « حمى الشجر ما بين المدينة إلى وعيرة ، و إلى ثنية المحدث ، و إلى أشراف مخيض ، و إلى ثنية الحفياء ، و إلى مضرب القبة ، و إلى ذات الجيش : من الشجر أن يقطع ، وأذن لهم فى متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة »

وروى أيضا عن سلمان بن كعب الدينارى أن النبى صلى الله عليه وسلم «نَزَلَ بمضرب القبة وقال : ما بينى و بين المدينة حمى لا يُعْضَد، فقالوا: إلا المسد ، فأذن لهم فى المسد» .

وروى أيضا من طريق مالك بن أنس عن أبى بكر بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الحمى : « إلى مضرب القبة» قال مالك : وذلك نحو من بريد[2] .

(١) يعضد : يقطع ويجز ، ويخبط : يؤخذ ورقه ، وهذا هو الفرق بين اللفظين فى المعنى ، والعضاه : كل شجر عظيم له شوك .

(٢) سيتكلم المؤلف فى الفصل التالى عن أسماء الأماكن التى فى هذه الأحاديث

وروى أيضا عن جابر مرفوعا « كل دافعة دفعت علينا من هذه الشِّعَابِ فهى حرام أن تعضد — أو تخبط ، أو تقطع — إلا لعصفورِ قَتَبٍ أو مَسَدِ مَحَالَةٍ أو عصا حديدة »[1] .

وفى الأوسط للطبرانى بإسناد حسن عن الحسن بن رافع أنه سأل جابر بن عبد الله فقال : لنا غنم وغلمان ، ونحن وهم بثرير ، فهم يخبطون على غنمهم هذه الثمرة ، يعنى الْحُبْلَةَ — قال خارجة : وهى ثمر السَّمُرِ — قال جابر : لا يخبط ولا يعضد حِمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن هشوا هشا ، ثم قال جابر : إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنع أن يقطع المَسَد ، قال خارجة : والمسد مرود البكرة .

وروى ابن زَبَالة عن أبى سعيد الخدرى قال : بعثتنى عمتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذنه فى مَسَد ، فقال رسول الله صلى الله عايه وسلم : « اقرأ عمتك السلام ، وقل لها : لو أذنت لكم فى مَسَد طلبتم ميزابا ، ولو أذنت لكم فى ميزاب طلبتم خشبة ، ثم قال : حِمَاىَ من حيث اسْتَاقَت[2] بنو فزارة لقاحى » .

الفصل الحادى عشر

فى بيان ما فى هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد ، وَمَنْ ذهب إلى مُقْتَضَاها

ذات الجيش

قوله : «شرف ذات الجيش» قال ابن زَبالة : ذات الجيش : لقب ثنية الحفيرة من طريق مكة والمدينة ، وقال المطرى : هى وسط البيداء ، والبيداء هى التى إذا رَحَل الْحُجَّاج من ذى الْحُلَيفة استقبلوها مُصْعِدين إلى جهة الغرب ، وهى على جادَّة الطريق.

قلت : ويؤيده قول ياقوت : ذات الجيش موضع بعقيق المدينة ، أراد بقربه ، أو لأن سَيْلَها يدفع فيه كما سيأتى ، وقد رأيته يُطْلِق ذلك على

---

(١) القتب : رحل البعير ، وعصفوره : أحد أعواده ، والمسد : مرود البكرة كما قال المؤلف ، أو حبل مفتول من لحاء الشجر ، وعصا الحديدة : مثل خشبة الفأس والقدوم

(٢) فى المطبوعات هنا « من حيث اتسقت » وفيما يأتى (ص ١٠١) « من حيث ابتسقت » وكلاهما تطبيع فيما نرى .

مايدفع فى العقيق و إن بَعُدعنه . وقال أبوعبد الله محمد بن أحمد الأسدى فى وصف الطريق بين مكة والمدينة : إن من ذى الْحُلَيفة إلى الحفيرة ستة أميال ، قال : وهى متعشا ، وبها بئر طيبة وحوض ، وعمر بن عبد العزيز هو الذى حفر البئر ، وبها أبيات ومسجد ، اه . ومقتضاه أن يكون ثنية الحفيرة بعد البئر ، فلعلها ثنية الجبل المسمى اليوم بمفرح ، وهناك وادٍ قبل وادى تربان يسمونه سُهمان ينطبق عليه الوصف المذكور ، وهو موافق لقول من قال : ذات الجيش وادٍ بين ذى الحليفة وتربان . فأطلق اسمها على الوادى التى هى فيه ، ولقول عياض : ذات الجيش على بريد من المدينة ، وهو ظاهر رواية الطبرانى المتقدمة ، لكنه مخالف لما سيأتى فى معنى التحديد بالبريد ، وهناك حُبِس النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى ابتغاء عِقْد عائشة رضى الله عنها ، ونزلت آية التيمم ، والترديد فى حديث عائشة « حتى إذا كنا بالبيداء[أو] بذات الجيش» كأن سببه قرب الموضعين ، وهوظاهر فى المغايرة بينهما . وقال أبو على الهجرى : ذات الجيش : شعبة على يمين الخارج إلى مكة بحذاء الحفيرة ، قال : وصدر الحفيرة وما قَبَل من الصُّلصُلين يدفع فى بئر أبى عاصية ، ثم يدفع فى ذات الجيش ، وما دبر منها يدفع فى البطحاء ، ثم تدفع البطحاء من بين الجبلين فى وادى العقيق ، وذات الجيش تدفع فى وادى أبى كبير ، وهو فوق مسجد الحرم والمعرس ، وطرف أعظم الغربى يدفع فى ذات الجيش ، وطرفه الثانى يدفع فى البطحاء .

قلت : وأعظم — ويقال عظم كما سيأتى — جبل معروف اليوم على جادة مكة ، قال المطرى : وهو فى شامى ذات الجيش ، ويشهد له ماسبق عن الهجرى .

شريب

قوله « شريب » الظاهر أنه مشيرب تصغير مشرب كما فى الرواية الأخرى ، وهو ما بين جبال فى شامى ذات الجيش ، بينها و بين خلائق الضبوعة ، والضبوعة منزل عند يَلْيَل (١) .

---

(١) يليل — بفتح الياءين بينهما لام ساكنة — موضع قرب وادى الصفراء .

أشراف مخيض قوله : « أشراف مَخِيض » بلفظ المخيض من اللبن ـ هى جبال مخيض من طريق الشام ، قاله ابن زبالة ، وقال الهجرى : مخيض وادٍ يصب فى أضم على طريق الشام من المدينة ، انتهى ؛ فكأنه يطلق على الجبال وواديها ، وقال المطرى : جبل مَخِيض هو الذى على يمين القادم من طريق الشام ، حين يُفْضِى من الجبال إلى البركة التى هى مَوْرِدُ الحجاج من الشام ، و يسمونها عيون حمزة .

أشراف المجتهر قوله : « أشراف المجتهر » كذا رواه ابن النجار ، وتبعه المطرى ، ولم يبيناه ، وقال المجد : هكذا وقع بالجيم والهاء المفتوحة ، فإن صح فهو اسم موضع بالمدينة ، و إلا فيحتمل أن يكون تصحيف « المحيصر » بالحاء والصاد المهملتين تصغير « المحصر » موضع قريب من المدينة . قلت : الأقرب أنه تصحيف المخيض ؛ لمجيئه بدله فى بقية الروايات .

الحفياء قوله « الحفْيَاء » قال ابن زَبَالة : هى بالغابة فى شامى المدينة ، وقال الهجرى : وراء الغابة بقليل ، وسيأتى فى ترجمتها أن بينها و بين المدينة نحو ستة أميال .

ذو العشيرة قوله : «ذى العُشَيْرَة» تصغير عشرة من العدد ، قال ابن زبالة : شرقى الحفياء ، وقال المطرى : نقب فى الحفْيَاء .

ثيب قوله : « ثَيْب » بفتح المثلثة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم موحدة ـ كذا فى النسخة التى وقعت عليها من ابن زَبَالة ، وقال : إنه جبل فى شرقىّ المدينة ، وكذا هو فى العقيق للزبير بن بكار ، وكذا رأيته مضبوطاً بالقلم فى أصل معتمد من تهذيب ابن هشام ؛ فإنه قال فى غزوة السويق : فخرج أبو سفيان حتى نزل بصَدْر قَنَاة إلى جبل يقال له ثَيْب من المدينة على بريد أو نحوه ، وكذا هو فى العقيق لأبى على الهجرى ، إلا أنه قال عقبهُ : ثيئب كتيعب ، فاقتضى أن الياء الساكنة بعدها همزة ، و يشهد لذلك ماسيأتى فى أسماء البقاع فى ترجمة الشظاة من شعر عباس بن مرداس ، وفى كتاب ابن شَبَّة فى حديث سلمة الآتى أول الباب السابع : فقلت يارسولَ

الله ، تباعد الصيد ، فأنا أصيد بصدور قناة نحو تَيْيب ، كذا رأيته مضبوطاً بالقلم من غير همزة ، لـكنه بالمثناة من فوق ، ووقع فى كتاب ابن النجار وتبعه المطرى تيم بفتح المثناة الفوقية والتحتية و بالميم . قلت : وفى شرقىّ المدينة جبل يعرف اليوم بهذا الاسم ، وقال المجد : إنه تصحيف ، والصواب يتيب ، بلفظ مضارع تاب[1] إذا رجع ، فهو بالتاء المثناة من فوق ، ولذا ذكره فى مادتها من القاموس ، وقال فى مادتها أيضاً تيأب كفعلل موضع ، ولم يتعرض لذلك فى الثاء المثلثة .

وعيرة

قوله : «وَعِيرة» ـ بفتح أوله من الوعورة ، وهى خشونة الأرض ـ جبل شرقىّ ثور ، وهو أكبر من ثور وأصغر من أحد .

ثنية المحدث

وقوله : « ثنية المحدث » لم أر من تكلم عليه من مؤرخى المدينة وغيرهم ، والعجب من المجد كيف أهمله مع إيراده الحديث فى كتابه .

مضرب القبة

قوله : «مضرب القبة » قال المجد كالمطرى : ليس اليوم معروفا ، ولا تُعلم جهته ، قال : والذى يظهر [أنه] مابين ذات الجيش من غربىّ المدينة إلى مخيض .

قلت : قال أبو على الهجرى : مضرب القبة بين أعظم و بين الشام نحو ستة أميال ، أى من المدينة ، وقد تقدم قول مالك عقب التحديد به : وذلك نحو من بريد ، ولعله يريد مجموع الحرم .

ترير

قوله : « بترير » لم أر من تكلم عليه حتى المجد .

غزوة ذى قرد

قوله : « من حيث استاقت[2] بنو فَزَارة لقاحى » كانت لِقَاحُه صلى الله عليه وسلم ترعى بالغابة وما حولها ، فأغار عليها عُيَيْنة بن حِصْنٍ الفَزَارى يوم ذى قَرد ، واتفق لسَلَمة بن الأكْوَع ما اتفق من استنقاذ اللِّقَاح ووصول الفرسان إليه وهو يقاتلهم و يرميهم بالنبل ، وسميت غزوة ذى قَرد بالموضع الذى كان فيه القتال .

والتحديدُ بهذه الأماكن مؤيِّد لكون مجموع الحرم بريداً ، ولذلك قال

(١) لو كان مضارع تاب بمعنى رجع لقيل « يتوب »

(٢) فى المطبوعات هنا « ابتسقت » تطبيع ، وانظر (ص ٩٨)

ابن زَبالة عقب ما تقدم عنه : وذلك كله يشبه أن يكون بريدا فى بريد ، انتهى. ويحمل عليــه قول أبى هريرة فى حديث مسلم « وجعل اثنى عشر ميلا حول المدينة حمى » لأن ذلك هو البريد : أى ستة أميال من جهة قبلتها ، وستة أميال من جهة شاميها ، وكذلك فى المشرق والمغرب ، ومثلُه حديث « حمى كل ناحية من المدينة بريداً » أى من القبلة إلى الشمال بريداً ، ومن المشرق إلى المغرب بريدا ، وقد أخذ بذلك مالك رحمه الله ، لـكن فرّق بين حرم الشجر وحرم الصيد ، وجعل البريد حرم الشجر ، وما بين اللابتين حرم الصيد .

قال عياض فى الإكمال : قال ابن حبيب : تحريم ما بين اللابتين مخصوص بالصيد ، قال : وأما قطع الشجر فبريد فى بريد فى دور المدينة كلها ، بذلك أخبرنى مطرف عن مالك ، وهو قول عمر بن عبــد العزيز وابن وهب ، انتهى . وحكى الباجى فى المنتقى مثله عن ابن نافع ، ونقل ابن زبالة عن مالك أنه قال : الحرمُ حرَمَانِ ؛ فحرم الطير والوحش من حرة واقم ــ أى وهى الحرة الشرقية — إلى حرة العقيق — أى وهى الغربية — وحرم الشجر بريد فى بريد ، وقال البرهان ابن فرحون : حرم الصــيد ما بين حِرَارِها الأربع ، وسماها أربعاً لوجود الحرتين المذكورتين فى الجهات الأربع ؛ لانعطاف بعض الشرقية والغربيــة من جهة الشمال والقبلة ، ولم يُعَوِّلْ أصحابنا فى تحديد الحرم على البريد مع ما فيه من الزيادة ؛ لأن أدلته ليست بالقوية ، فعولوا على ما اشتملت عليه الأحاديث الصحيحة من الجبلين واللابتين ، على أن إطلاق أحاديث التحريم مقتضٍ لعدم الفرق بين حرم الشجر وحرم الصيد ، سواء كان الحرم بريداً أو دونه ، غير أن فى أحاديث البريد ما يشعر بأنه للشجر ، مع أن ابن زبالة ــ ومحلّه من الضعف معلوم[1] ــ رَوَى عن ابن بشير المازنى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحَرِّمُ ما بين لابتيها ــ يعنى المدينة ــ من

---

(١) انظر ما تقدم لنا عنه فى (ص ٨ هـ ٣)

الصيد ، وعن أبى هريرة وغيره نحوه ، وفى رواية له «من الطير أن يُصَادَ بها» وقد يقال : هو من باب إفراد فردٍ مما حرم بالذكر .

فإن قيل : قوله فى حديث مسلم « حرم ما بين لا َبتَيْها ، وجَعَل اثنى عشر ميلا حول المدينة حِمًى » دال على الفرق المذكور .

قلنا : ممنوع ؛ لأن غايته أن يراد بالحمى الحرم ، فكأنه قال : وجعل اثنى عشر ميلا حولها حرماً ؛ إذ ليس فيه أنه جعله حمى الشجر .

مقدار البريد والفرسخ والميل

تتمة : البريد أربع فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع اليد على الأصح ، كما صححه ابن عبد البر وغيره ، وهو الموافق لاختيار ما ذكره من المسافات فى الحرم المكى وغيره ، وذراع اليد — على ما ذكره المحب الطبرانى والنووى وغيرهما ـ أربعة وعشرون أصبعاً ، كلُّ أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ، وغلّط النووى القلعى فى قوله « ثلاث شعيرات » ومقدار الذراع المذكور من ذراع الحديد المستعمل فى القماش بمصر الآن ذراع إلا ثمن ذراع ، كما اعتبرته أنا وغيرى ، ومشى عليه التقى الفاسى فى تاريخ مكة المشرفة ، وليكن ذلك على ذُكْرٍ منك إذا مررت بشىء مما ضبطناه فى المسافات فى كتابنا هذا ، وقيل : الميل ستة آلاف ذراع ، ومشى عليه النووى ، وهو بعيد ، ولعل قائله هو الذى يجعل الإصبع فى الذراع ثلاث شعيرات فقط ، وقيل : الميل ألفا ذراعٍ ، والصوابُ ما قدمناه ، والله أعلم .

الفصل الثانى عشر

فى حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم

حكمة التخصيص

اعلم أن المفهوم من تحريم ذلك تشريفُ المدينةِ الشريفة وتعظيمها به لحلول أشرف المخلوقين صلوات الله وسلامه عليه ، وانتشار أنواره وبركاته بأرضها ، وكما

أن الله تعالى جعل لبيته حرماً تعظيما له جعل لحبيبه وأكرَم الخلق عليه ما أحاط بمحله حرماً : تلتزم أحكامه ، وتُنَال بركاته ، ويوجد فيه من الخير والبركة والأنوار المنتشرة والسلامة العاجلة والآجلة ما لا يوجد فى غيره ، ولهذا حثّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بنى حارثة على السكون به كما أشار إليه بقوله « أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم » ثم التفت فقال « بل أنتم فيه » وذلك لخصوصية السكون فيه على السكون خارجه ، وتخصيصُ ذلك المقدار إما أن يكون لما شاهده صلى الله عليه وسلم فيه من أمر رَبّانى ، وسر روحانى بثه الله فيه إلى تلك الحدود المتقدمة ، وقد ذكر أهلُ الشهود أنهم يشاهدون الأنوار مُنْبثة فى الحرم وأهله إلى حدوده ، ولها منابع تفيض عنها ، وذلك فى الحرمين جميعاً ، فترتبت الأحكام الظاهرة على تلك الحقائق الباطنة ، ولهذا لما بلغت النار الآتى ذكرُها طرفَ هذا الحرم الشريف طَفِئت كما سيأتى ، وإما أن يكون بمقتضى أمر إلهى ، ووحى ربانى لا ندركه نحن ؛ إذ العقول البشرية قاصرة عن إدراك معانى الأحكام المتَلَقَّاة عن النبوة ، وإنما يظهر لها لايحه من شوارق مطالعها عند التأييد والتسديد ، هدانا الله لإدراكها بمنه وكرمه .

وجوه تذكر فى حكمة التحديد

وقد قيل فى حكمة تحديد الحرم المكى أشياء يمكن مثلها هنا ؛ فقيل : لما أهبط آدم إلى الأرض أرسل الله ملائكة حَفّوا بمكة من كل جانب ووقفوا فى موضع أنصاب الحرم يَحْرُسُون آدم عليه السلام ، فصار ذلك حرماً . وقيل : لما وضع الخليل عليه السلام الحجَرَ الأسود فى الكعبة حين بناها — وهو من أحجار الجنة — أضاء الحجر من الجهات الأربع ، فحرم الله تعالى الحرم من حيث انتهى النور . وقيل : إن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن ينزل بياقوتة من الجنة ، فنزل بها ، فمسح بها رأس آدم ، فتناثر الشعر منه ، فحيثُ بلَغ نورها صار حرماً ، وهو من جنس ما قبله . وقيل غير ذلك ؛ وحينئذ فيحتمل أن تكون الملائكة الموكلة بحراسته صلى الله عليه وسلم وحراسة بلده الشريف قائمة بتلك الحدود ، فانتهى الحرم

إليها ، ويحتمل أن درته الشريفة التى خلق منها لما كان مأخذها موضع قبره الشريف ، وهو أعظم رياض الجنة ، واشتمل مسجده أيضاً على روضة من رياض الجنة، انبثت الأنوار من ذلك إلى ما لا يعلم غايته إلا الله ، ولكن أبصار الناظرين لها غايات ؛ فقد يكون انتهاؤها إلى تلك الحدود فانتهى الحرم إليها ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم يوم قدومه إلى المدينة انتشرت الإضاءة ، وشوهد وصولها إلى تلك الحدود ، وسيأتى قولُ أنس بن مالك فى وَصْفِ يومِ قدومه صلى الله عليه وسلم : ما رأيت مثل ذلك اليوم قط ، والله لقد أضاء منها كل شيء ، يعنى المدينة، والله أعلم .

الفصل الثالث عشر

فى أحكام هذا الحرم الشريف ، وفيه مسائل

القول فى تحريم الصيد وقطع الشجر

الأولى : اتفق الشافعى ومالك وأحمد على تحريم صَيْد حرم المدينة ، واصطياده ، وقطع شجره . وقال أبو حنيفة : لا يحرم شيء من ذلك ، والأحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه ، وقد قدمنا جملة منها ، ولو لم يكن إلا قوله صلى الله عليه وسلم « كما حرم إبراهيم مكة » لكان كفاية ؛ فإنه يتمسك به فى كلّ ما لم يقم دليل على افتراق الحرمين فيه . وروى أبو داود[١] — وسكت عليه ، قال النووى : وهو صحيح أو حسَن ، أى كما هو قاعدته فيما يسكت عليه — أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أخذ رجلا يَصِيدُ فى حرم المدينة الذى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلبه ثيابه ، فجاء مَوَاليه فكلموه فيه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم «حَرَّم هذا الحرم ، وقال : مَنْ أخذ أحداً يَصِيد فيه فَلْيَسْلُبْهُ فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن إن شئتم

---

(١) قد أثر المؤلف حديث سعد رضى الله تعالى عنه عن المفضل الجندى ، (وانظر ص ١٠٦ وما بعدها) .

دفعت إليكم ثمنه » وسيأتي عنه نحوه في قطع الشجر ، وفي الموطأ عن أبي أيوب الأنصاري أنه وجد غلمانا قد ألجئوا ثعلباً إلى زاوية ، فطردهم عنه ، قال مالك : لا أعلم إلا أنه قال : أفي حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع[١] هذا ؟ وروى الطبراني برجال الصحيح مثله عن زيد بن ثابت بدل أبي أيوب ، وفي الموطأ أيضاً أن رجلا قال : دخل عليّ زيدُ بن ثابت وأنا بالأسواف[١]، وقد اصطدت نُهَسًا[٢] فأخذه من يدي، فأرسله[١]. ورواه الطبراني أيضاً مع تسمية المبهم ، ولفظه: عن شرحبيل بن سعيد قال : أخذت نُهَسًا[٢] — يعني طائراً — بالأسواف ، فأخذه مني زيد بن ثابت فأرسله ، وقال : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَرَّمَ ما بين لاَبَتَيْها . وفي رواية له «أتانا زيدُ بن ثابت ونحن في حائط لنا ، ومعنا فِخَاخ ننصب بها ، فصاح وطردنا ، وقال : ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيدها . ورواه أحمد أيضا — وكذا الشافعي في حرملة — عن شرحبيل بن سعد ، وقد وثقه ابن حبان وضعفه غيره ؛ ولفظه : دخل علينا زيد بن ثابت حائطا ونحن غلمان ننصب فِخَاخاً للطير ، فطردنا وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيدها» . ورواه ابنُ زَبَالة بلفظ : كنت مع بني زيد بن ثابت بالأسواف[١]، فأخذوا نُهَسًا[٢] ، فاستفتح زيد بن ثابت وهو في أيديهم ، فدفعوه في يدي وفرّوا ، فدخل زيد ، فأخذه من يدي فأرسله ، ثم لطم في قَفَايَ وقال: لا أم لك، ألم تعلم ، وذكر الحديث المتقدم . وروى الطبراني عن حاجب مولى زيد بن ثابت قال : دخل عليّ زيد بن ثابت وأنا بالأسواف[١] قد اصطدت نُهَسًا[٢]، فأخذ بأذُني من قفايَ وقال : تصيد هاهنا وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها ؟ .

والنُّهَس ، كصُرَد : طائر يشبهه[٢] وليس بالصرد ، وقيل : إنه اليمام .

وفي الكبير للطبراني برجال ثقات عن عبدالله بن عباد الزرقي — قال الهيثمي:

---

(١) انظر موطأ الإمام مالك (٨٩٠ ط الحلبي) والأسواف : موضع ببعض أطراف المدينة بين الحرتين . (٢) النهس : هو أبو براقش.

ولم أجد من ترجمهُ — قال : كنت أصيد العصافير فى بئر أهاب ، وكانت لهم ، قال : فرآنى عُبَادة بن الصامت وقد أخذت العصفور ، فينزعه منى فيرسله ، ويقول : أى بُنَىَّ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم مابين لابَتَيْها كما حرم إبراهيم مكة .

وروى ابن زَبَالة ومن طريقه البزار عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : اصطدت طيرا بالقنبلة[1] ، فلقينى أبى عبدُ الرحمن ، فعَرَكَ أذنى ، ثم أخذه منى فأرسله ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيد ما بين لابتيها .

وفى أبى داود عن مولى لسعد ، أن سعداً وجد عَبِيداً من عبيد المدينة يقطعون شجراً من شجر المدينة ، قال : فأخذ مَتَاعهم ، وقال يعنى لمواليهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَنْهى أنْ يُقطَعَ من شجر المدينة شيء ، وقال : مَنْ قطع شيئاً فلمن أخذه سَلَبه » ورواه مسلم عن إسماعيل بن محمد بن عامر بن سعد، ولفظه : أن سعداً ركب إلى قَصْره بالعقيق ، فوجد عبداً يقطع شجراً ، أو يخبطه ، فسَلَبه ، فلما رجع سعد جاءه أهلُ العبد فكلموه أن يرد على غلامهم — أو عليهم — ما أخذ من غلامهم ، فقال : « معاذ الله أن أرد شيئاً نفّلنيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » ورواه المفضل الجندى عنه ، ولفظه : أن سعداً ركب إلى قصر له بالعقيق ، فوجد عبداً يقطع شجرة ، فأخذ سلبه ، وذكره بنحوه . ورواه أيضاً عن عبد الله بن عمر ، ولفظه : أن سعداً وجد إنساناً يَعْضِدُ ، أو يخبط ، عِضَاها بالعقيق ، فأخذ فأسه ونِطعَه وشيئاً سوى ذلك ، فاطلع العبد إلى ساداته فأخبرهم الخبر ، فركبوا إلى سعد فقالوا : الغلام غلامنا ، فاردد إليه ما أخذت منه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ما قدمناه عنه فى الفصل العاشر ، وقال فى آخره « فلم أكن لأردَّ شيئاً أعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ورواه ابنُ زَبالة من طرق بنحوه . وفى بعضها أن سعد بن أبى وَقَّاص وجد جارية لعاصية السلمية تقطع الحمى

---

(١) القنبلة — بضم القاف والباء بينهما نون ساكنة — مصيدة يصطاد بها النهس — بوزن صرد — وهو أبو براقش .

فضربها وسلبها شملة لها وفأسا كانت معها ، فدخلت عاصية السلمية إلى عُمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستعدت على سعد ، فقال : اردد إليها يا أبا إسحاق شملتها وفأسها ، فقال : « لا والله لا أرد إليها غنيمة غنمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول : مَنْ وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه » واتخذ من فأسها مِسْحَاة فما زال يعمل بها حتى لقى الله . وفى بعضها : أخذ سعد بن أبى وقاص جارية لعاصيه السلمية تقطع شجراً بالعقيق ، فنزع سلبها ، وذكر نحوه . وروى أيضا عن سعد قال : غَنَّمَنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ وجدناه يقطع من شجر حرم المدينة الرطب منه . وعن زيد بن أسلم نحوه . وروى الجندى عن عبد الكريم بن أبى المخارق قال : أتى عمرُ بن الخطاب ناحية من المدينة فوجد غلاما لبعضهم فى حائط ، فقال: هل يأتيك ههنا أحد يحتطب؟ قال: نعم ، فقال له عمر: إن رأيت منهم أحداً فخذ فأسه وحَبْله، قال: وثوبه؟ قال: فأبى، وفى نسخة فأفتى، وفى رواية عنه : أن عمر قال لغلام قدامة بن مظعون : أنت على هؤلاء الحطابين ، فمن وجدته احتطب فيما بين لابَتَى المدينة فلك فأسه وحبله ، قال : وثوباه ؟ قال عمر: ذلك كثير .

وقد اختلف القائلون بالتحريم فى حرم المدينة بالنسبة إلى الضمان بالجزاء ، فعن أحمد روايتان ، وللشافعى أيضاً قولان كالروايتين : الجديدُ منهما عدمُ الضمان وهو قول مالك ؛ لأنه ليس بمحل نُسُك ، فأشبه مواضع الحمى ووجّ الطائف [1] ، والقديمُ الضمانُ ، وهو المختار كما قاله النووى وغيره ؛ لحديث سعد المتقدم ، والجواب عنه مشكل ، وعلى هذا فالأصح أنه يسلب الصائد وقاطع الشجر والكلأ كما يسلب القتيل من الكفار حتى يؤخذ فرسه وسلاحه ، وقيل : الثياب فقط ، ويكون ذلك للسالب على الأصح ، وقيل : لفقراء المدينة كما أن جزاء صيد مكة لفقرائها ، وقيل : يوضع فى بيت المال وسبيله سبيل السهم المُرْصَد المصالح . قال الشيخ أبو محمد : ويعطى المسلوبُ إزاراً يستر به عورته ، فإذا قدر على ما يستر به

(١) وج : واد بالطائف ، كما قاله المجد ، وقيل : هو الطائف نفسه ، وقيل : واد بينه وبين مكة .

عورته أخذه منه ، واختار الروياني أنه يترك له ، وصوبه النووي . قال الرافعي : والذي يسبق إلى الفهم من الحديث وكلام الأئمة أنه يسلب إذا اصطاد ، ولا يشترط الإتلاف ، ولفظ الغزالي في الوسيط : لا يسلب حتى يصطاد أو يرسل الكلب ، ويحتمل التأخير إلى الإتلاف ، انتهى . ولا فرق في هذا بين صيد وصيد ، ولا بين شجرة وشجرة ، وكأن السلَب في معنى العقوبة لمتعاطي ذلك . قال السراج البلقيني : ولو كان الصائد أو قاطع الشجر في حرم المدينة عبداً هل يسلب ثيابه كما اتفق لسعد بن أبي وقاص ؟ قال : والذي يقتضيه النظر أنه لا يسلب العبد ؛ فإنه لا ملك له ، وكذلك لو كان على الصائد ثوب مستأجر أو مستعار فإنه لا يسلب ، ولم أر من تعرض له ، انتهى . قلت : التحقيق التفصيل بين ما إذا أمره السيد أو من في معناه بذلك و بين ما إذا لم يأمره ، ويُحْمَل ما اتفق لسعد على الأول ، ولو كان على الصائد والمحتطب ثياب مغصوبة لم تسلب بلا خلاف ، كما نقله في شرح المهذب ، ونقله في المطلب عن البحر ، ثم قال : و ينبغي أن تكون المستعارة كذلك ، ولو لم يشاهده أحد يصطاد فالظاهر أنه يجب عليه حَمْلُ السلب إلى نائب الإمام ، ولو تحدث بحضرة أحد فسمعه فهل يجوز له أن يسلبه ؟ الظاهر عندي لا ، انتهى . ولو أدخل إلى حرم المدينة صيدا لم يلزمه إرساله ، وله ذبحه به اتفاقا ، وكذا حرم مكة عندنا . وقد روى البيهقي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقدمون مكة فيرون بها في الأقفاص القَمَارِيّ واليعاقيب[1] ، وهذا محمل حديث «يا أبا عُمَير ، ما فعل النُّغَيْر[2]» أو أنه كان قبل تحريم المدينة ؛ لأنه في أول الهجرة ، وتحريمُ المدينة كان بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من خَيْبَر ، كما أوضح ذلك الحافظ ابن حجر . وقد تمسك أبو حنيفة بقصة أبي عمير فيما ذهب إليه من عدم تحريم صيد المدينة ؛ لذهابه في حرم مكة إلى وجوب الإرسال على مَنْ أدخل إليه صيداً من خارجه ، قال : فلو حرم النبي صلى الله عليه وسلم صيد المدينة لما أقر النُّغير في يد أبي

---

(١) القماري : جمع قمرى ، وهو ضرب من الحمام ، واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل (٢) النغير : مصغر النغر — بزنة صرد — وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار ، وأبو عمير : أخو أنس .

عمير . وجوابه ما تقدم ، قال البيهقى : والذاهب إلى عدم تحريم الصيد وغيره بالمدينة زعم أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما أراد بقاء زينة المدينة و بهجتها لتستوطن كما منع من هَدْم آطام المدينة لذلك ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هَدْم آطام المدينة ، وقال : إنها زينة المدينة ، أى فالنهى للتنزيه . قال البيهقى : والنهى عندنا على التحريم حتى تقوم دلالة على التنزيه ، قال : واستدل المخالف بحديث سلمة « أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيَّعتك إذا ذهبت وتلقيتك إذا جئت ، فإنى أحب العقيق » قال البيهقى : وهو حديث ضعيف ، ومن يَدَّعى العلم بالآثار لا ينبغى له أن يعارض الأحاديث الثابتة فى حرم المدينة لهذا الحديث الضعيف ، وقد يجوز أن يكون الموضع الذى كان سلمة يصيد فيه خارجا من حرم المدينة ، والموضع الذى رأى فيه سعد بن أبى وقاص غلاما يقطع شجراً من حرم المدينة داخله ، حتى لا يتنافيان ، ولو اختلفا كان الحكم لرواية سعد لصحة حديثه وثقة رجاله ، دون حديث سلمة . قلت : مع أن الذى فى الصحيح من حديث سعد لا تعرض فيه لأن القطع كان بالعقيق ، وركوبه إلى قصره بالعقيق لا يقتضى أن القطع كان به ، بل يقتضى أن القطع فى موضع من الحرم خارج ، على أن ما يلى ذا الحليفة من العقيق ليس من الحرم عندنا لخروجه عما بين اللابتين ، والمالكية و إن اعتبروا البريد لحرم الصيد عندهم ما بين اللابتين كما تقدم ، مع امتداد العقيق إلى النقيع[1] ؛ فبعضه خارج عن الحرم بكل حال ، فصح ما قاله البيهقى ، وقصر سعد مع قصور العقيق فى الطرف الداخل منه فى الحرم عندنا ؛ لكونه بالحرة الغربية . هذا ، مع احتمال حديث سلمة لكونه كان قبل تحريم المدينة ، والله أعلم .

ما يستثنى مما يحرم

الثانية — استثنى المطرى تبعاً لابن النجار جواز أخذ ما تدعو الحاجة إليه للرحل — بالحاء المهملة — والوسائد ، من شجر حرم المدينة ، وما تدعو الحاجة

(١) النقيع : موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء أى يجتمع ، وقد حمى عمر رضى الله عنه غرز النقيع لنعم الفىء وخيل المجاهدين فلا يرعاه غيرها .

ليه من حشيشه للعلف ، بخلاف مكة ، هكذا قالاه ، وسبقهما إليـه ابن الجوزى من الحنابلة فقال فى منسكه : إن المدينة تفارق مكة فى أنه يجوز أن يؤخذ من شجر المدينة ما تدعو الضرورة إليه للرحل وشبهه ، انتهى ، ومأخذهم فى ذلك ما تقدم فى الفصل العاشر فى بعض تلك الأحاديث المشتملة على الترخيص فى ذلك ونحـوه ، مع ما رواه ابنُ زَبَالة من حديث : يا رسول الله ، إنا أصحاب عمل ونَضْح ، وإنا لا نستطيع أن نتناب أرضا ، فرخص لهم فى القائمتين والوسادة والعارضة والأسنان، فأما غير ذلك فلا يعضد ولا يخبط ، والكلامُ أولا فى توجه الاستدلال بذلك من حيث الإسـناد ، مع أنا قدمنا فى غضون تلك الأحاديث ما يقتضى المنع ، سيما حديث الطبرانى بإسناد حسن إذ فيـه قول جابر : لا يخبط ولا يعضد حمى رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، ولـكن هُشُّوا هشا ، ثم قال جابر : إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنع أن يقطع المسد . قال خارجة : والمسد مرود البكرة ، ومن تأمل كلام أصحابنا الشافعية لا يفهم منـه سوى استواء الحرمين فى ذلك ؛ لقولهم : إنه يجوز أخذ حشيش حرم مكة لعلف الدواب على الأصح . وقد قال النووى فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسـلم فى حديث مسلم المتقدم « ولا يخبط شجره إلا لعلف » : إن فيه جواز أخذ أوراق الشـجر للعلف ، بخلاف خبط الأغصان وقطعها فإنه حرام ، انتهى . وقد قال هو وغيره فى شجر مكة: إنه يجوز أخذ أوراقها لـكنها لا تهش حذراً من أن يصيب لحاها . وفى شرح المهذب : يجوز أخذ ورقها والأغصان الصغيرة للسواك ونحوه ، انتهى ؛ فقد استوى الحرمان فى ذلك . وقد قال الغزالى فى البسيط والوسيط فى حرم مكة : إنه لو قطع منه لحاجة التى يقطع لها الإذخر[1] كتسقيف البيوت ونحوه ففيه الخلاف فى قطعه للدواء : أى والأصح جوازه ، وتبعه على ذلك صاحب الحاوى الصغير ؛ فجوز القطع للحاجة مطلقاً ، ولم يخص الدواء ، وقل من تعرض للمسألة ، ومنه يؤخذ جواز ما استثناه المطرى، لـكن

(١) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب .

مع استواء الحرمين فى ذلك . وقال القاضى عياض : قال المهلب : قَطَعَ النبى صلى الله عليه وسلم النخل من المدينة حين بنى مسجده ، وذلك يدل على أن النهى لا يتوجه لقطع شجرها للعمارة وجهة الإصلاح ، وأن يقطع شجرها ليتخذ موضعه جناناً وعمارة ، وأن توجه النهى إنما هو لقطع الإفساد واستبقاء بهجة المدينة[١] وخضرتها فى عين الوارد إليها ، انتهى . ونحوه ما روى ابنُ زَبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لبنى حارثة فى طرف من الحمى « أعطيكم على أنه مَنْ قطع شجرة غرس مكانها نخلة » ومحل ابن زبالة من الضعف معروف ، والنبى صلى الله عليه وسلم إنما قطع النخل وهو شجر يستنبته الآدميون ، وفيه خلاف ؛ فالذى ذهب إليه المالكية والحنفية جواز قطعه فى حرم مكة فضلا عن المدينة ، وهو أحد القولين عندنا ، لكن الأصح إلحاقه بالذى ينبت بنفسه ، والجواب عنه باحتمال كونه قبل تحريم المدينة ؛ أو أنه قطعه لحاجة العمارة ؛ فإن المتجه جوازه كما تقدم عن الغزالى ، ولم يزل أهل المدينة يسقفون بيوتهم بما يقطعون من نخلها . وقد نقل الواقدى فى الحرم المكى عن ابن الزبير الترخيصَ فى قطع شجر الحرم المكى للعمارة لكن مع الفداء ، على أن الماوردى قال فيما يستنبته الآدميون : محل الخلاف فيما أنبت فى مَوَات الحرم ، فإن أنبته فى أملاكه لم يحرم بلا خلاف ، انتهى . وأما ما يستنبت من غير الشجر كالحنطة والخَضْرَوَات فيجوز قطعه بلا خلاف ، وكذا ما يتغذَّى به مما ينبت بنفسه كالرجلة المسماة بالبقلة الحمقاء ونحو ذلك ؛ لأنه فى معنى الزرع ، صرح باستثنائه المحب الطبرى فى شرح التنبيه ، وهو ظاهر ؛ لأنه إذا جاز الأخذ لإطعام البهائم فالآدمى أولى .

الثالثة — ما ذكروه فى الأخذ للدواء ونحوه يتناول تحصيله وادخاره لذلك الغرض ، وإن لم يكن السبب قائما ، إلا أن عبارة الروضة : ولو احتيج إلى شىء من نبات الحرم للدواء . وفى شرح المهذب أنه يجوز أخذ النبات للعلف ، ولو

---

(١) فى المطبوعات « واستبقاء لهجة المدينة ــ إلخ » تطبيع

أخذه ليبيعه ممن يعلف به لم يجز ، ومقتضاه أن الدواء كذلك ، وظاهر إطلاق الماوردى الجواز مطلقاً ، وهو ظاهر استناد بعضهم إلى نقل السنا المكى من غير نكير .

دية القتل الخطأ فى المدينة مغلظة

الرابعة — تُغَلَّظُ الدية فى الخطأ على القاتل فى حرم المدينة كمكة فى وَجْهٍ الصحيحُ خلافه ، ومأخَذُهُ عموم قوله « كما حرم إبراهيم مكة » .

وقد اختار السراج البلقينى هذا الوجه ، قال : لأن الخلاف فى ذلك مبنى على الخلاف فى ضمان صيدها ، والمختار عند النووى ضمان صيدها بسلب الصائد . قلت : وما قاله متجه ؛ لعموم قوله « كما حرم إبراهيم مكة » وإنما اختصت مكة بمنع الكافر من دخولها مطلقا ، بخلاف المدينة فيجوز أن يدخلها بإذن الإمام أو نائبه للمصلحة ؛ لأن المشركين أخرجوا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاقبهم الله بالمنع من دخولها بكل حال تعظيما لرسوله صلى الله عليه وسلم ، واستحسن الرويانى فى البحر التسويةَ بين مكة والمدينة فى أن مَنْ مات من الكفار بهما يخرج ويدفن خارجهما ، وعلى القول باختصاصه بمكة موجِبُهُ ماقدمناه .

حكم لقطة حرم المدينة

الخامسة — سوّى صاحبُ الانتصار من أصحابنا بين حرم مكة والمدينة فى أن لقطتهما لا تحل للتملك ، بل للحفظ أبداً ، وقال الدارمى : لا تلحق لقطة حرم المدينة بحرم مكة فى ذلك . قلت : والذى يقتضيه الدليل ترجيح الأول ؛ للنص على ذلك فى الأحاديث المتقدمة فى الفصل الثامن ، وإن كان الأصحاب خصوا مكة بالذكر .

حكم المقاتلة فى حرم المدينة

السادسة : مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث المتقدمة أيضا « ولا يحمل فيها سلاح لقتال » أن يأتى فيها ما نقل من الخلاف فى حرم مكة من أن المقاتلة الجائزة فى غيره تحرم فيه كقتال البغاة به [1] ، بل يُضَيِّق عليهم إلى أن يخرجوا

(١) البغاة : جمع باغ ، والبغاة : جماعة من المسلمين لهم شوكة خرجوا عن طاعة الإمام على تأويل لهم .

أو يفيئوا[١] كما ذهب إليه جماعة . وقال الجمهور: يقاتلون ؛ لأن هذا القتال من حقوق الله ، وحفظها فى الحرم أولى ، والحرم لا يعيذ عاصيا . وذهب الحسن البصرى إلى أنه لا يحلّ لأحد أن يحمل السلاح بمكة ؛ للنهى عن القتال فيه ، فلا يحمل ما هو من أسبابه ، ولقوله صلى الله عليه وسلم « لا يحل لأحدٍ أن يحمل السلاح بمكة » رواه مسلم .

حكم الاستنجاء بحجارة الحرم

السابعة : حكى الماوردى وجهين فى جواز الاستنجاء بحجارة الحرم ، قال : ظاهرُ المذهب سقوطُ الفرض بذلك مع تأثيمه . قلت : ينبغى حمله على مَنْ نقله من الحرم ليستنجى به فى الحل مثلا ، وإلا فهو مشكل ؛ إذ لا خلاف فى إباحة البَوْل فى الحرم ، فالاستنجاء بالحجارة كذلك ، وعبارة شرح المهذب فى النقل عن الماوردى بعد حكاية الوجهين فى سقوط فرض الاستنجاء بالذهب والديباج : وطردهما الماوردى فى الاستنجاء بحجارة الحرم ، انتهى . وهى محتملة لما قررناه ، وقد نقل النووى عدمَ جواز الأكل فى الأوانى المعمولة من تراب الحرم ، على ما قاله الدميرى ، ولا شك أنه إنما عنى به المنع منه لمن أخرجها من الحرم كما لا يخفى .

حكم نقل تراب الحرم المدنى

الثامنة : جزم النووى بتحريم نقل تراب الحرم المدنى وأحجاره ، اكتفاء بما ذكره من الخلاف فى الحرم المكى ، وصحح فيه التحريم ، والرافعى الكراهة ، ونقلها النووى عن كثيرين أو الأكثرين ، ونقلها القاضى أبو الطيب عن نص الشافعى فى القديم ، ونقل التحريم عن نصه فى الجامع الكبير ؛ وقال فى الأم فى حجارة الحرم وترابه : لا خير فى أن يخرج منها شىء إلى الحل ، لأن له حرمةً بايَنَ بها ما سواها من البلدان ، فلا أرى — والله أعلم — أن جائزا لأحد أن يزيله من الموضع الذى بايَنَ به البلدان ؛ إذ يصير كغيره .

وروى الشافعى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما كراهة ذلك . قال الشافعى : وقال غير واحد من أهل العلم : لا ينبغى أن يُخْرَجَ من الحرم شىء إلى

(١) يفيئوا : يرجعوا إلى الطاعة .

غيره . وحكى الشافعى عن أبى يوسف أنه قال : سألت أبا حنيفة عن ذلك فقال : لا بأس به . قال أبو يوسف : وحدثنا شيخ عن رُزَين مولى على بن عبد الله بن عباس أن عليا كتب إليه أن يبعث إليه بقطعة من المروة[1] فيتخذه مُصَلًّى يسجد عليه ، ونقل القاضى أبو الطيب عن الشافعى أنه قال : رخص بعضُ الناس فى ذلك ، واحتج بشراء البِرَام من مكة ، وهو غلط ؛ فإن البِرَام ليست من حجارة الحرم ، بل تحمل من مسيرة يومين وثلاثة من الحرم ، وحكى فى شرح المهذب اتفاقَ الأصحاب على أن الأولىٰ أن لا يحمل تراب الحِلِّ وأحجاره إلى الحرم ؛ لئلا يحدث لها حرمة لم تكن ، قال : ولا يقال « إنه مكروه » مع إطلاقه فى الروضة والمناسك كراهته ، فكأنه أراد بها معنى خلاف الأولى . وقولُ صاحب البيان «قال الشيخ أبو إسحاق : لا يجوز إدخالُ شىء من تراب الحل وأحجاره إلى الحرم» محمولٌ على نفى الإباحة بمعنى استواء الطرفين ، كما وقع مثله فى مواضع ، و بناء آدم البيتَ من أَجْبُلٍ ليست من الحرم كلُبْنَان وطورسيناء : إما لأن تحريم الحرم إنما تعلق حكمه وظهر على لسان إبراهيم عليه السلام ، و إما لأن شَرْعه اقتضى ذلك ، مع أن الظاهر استثناء نقل حجارة الحل لمصلحة يقتضيها الحال ، وما نقله أهلُ السير من أنهم كانوا يأخذون من تراب قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمرت عائشة رضى الله عنها بجِدَارٍ فضُرب عليهم ، لا مُتَمَسَّكَ فيه ؛ إذ لم يعرف الفاعل ، بل الظاهر أنه ممن لا يحتج بفعله ، وأمْرُ عائشة بضرب الجدار يقتضى المنع من ذلك ، على أنه ليس فيه أنه كان يؤخذ للنقل من الحرم ، وقد نقل أبو المعلى السبتى — وكذا خليل والتادلى المالكيون — كلامَ النووى فى المنع من نقل تراب الحرم وأقرُّوه ؛ فالظاهر أنه جارٍ على قواعدهم ؛ إذ منها سَدُّ الذرائع . وقد قيل فى سبب عبادة الأصنام : إن بعضَهم كان يصحب معه الحجر من الحرم ليتبرك به ، واستشكله البرهان بن فَرْحُون بأمور : منها ما تقدمت الإشارة إلى جوابه ، ومنها

---

(١) المرو : الحجارة البيض البراقة ، واحدها مروة .

الإجماع على نقل ماء زمزم واستهداء النبى صلى الله عليه وسلم له من سُهَيْل بن عمرو فبعث إليه منه ، وجوابه أن ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم ، مع أنه يخلف ؛ فأشبه الحشيش الذى يخلف ، ولهذا قال الشافعى : فأما ماء زمزم فلا أكره الخروج به ، والماء ليس بشىء يزول ولا يعود ، انتهى . مع أن المحذور المتقدم فى الأحجار لايتوقع مثله فى الماء ؛ إذ المقصود من نَقْله شُرْبُه وهو ظاهر ، بخلاف الحجر وشبهه ؛ فإن القصد التبرك به ، وهو شىء لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذا أقول : إن من نقل من فخار الحرم كالكرازيز[1] لحاجة استعمالها جاز له ، ويُحْمَل كلام مَنْ أطلق المنع على مايراد للتبرك أو مع عدم الحاجة إليه ، وإذا جاز أخذ حشيش الحرم للتداوى فهذا أولى ، وإذا كان الاحتياج إلى آنية الذهب والفضة يجوّز استعمالها فهذا أولى ، فإن أريد نقل ذلك لحاجة متوقّعة فى المستقبل فينبغى تخريجه على ما تقدم فى أخذ نبات الحرم للدواء ونحوه ، وقد قدمنا فيما جاء فى ترابها استثناء تربة صُعَيْب لما جاء فيها من التداوى ، وأن الزركشى استثنى تربة حمزة رضى الله عنه لإطباق الناس على نقلها للتداوى بها من الصُّداع ، وحكى البرهان ابن فرحون عن الإمام العالم أبى محمد عبدالسلام بن إبراهيم بن ومصال الحاحانى ، قال : نقلت من كتاب الشيخ العالم أبى محمد صالح الهزميرى قال : قال صالح بن عبدالحليم : سمعت أبا محمد عبدالسلام بن يزيد الصنهاجى يقول : سألت أحمد بن يكوت عن تراب المقابر الذى كان الناسُ يحملونه للتبرك هل يجوز أو يمنع؟ فقال : هو جائز ، وما زال الناسُ يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين ، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب فى القديم من الزمان . قال ابن فرحون عَقِبه : والناسُ اليومَ يأخذون من تربة قريبة من مشهد سيدنا حمزة ، ويعملون منها خرزا يشبه السبح ، واستدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة ، وقد علمت مما تقدم أن نقل تربة حمزة رضى الله عنه إنما هو للتداوى ؛

(١) الكرازيز : جمع كراز ـ بزنة رمان ، ويقال بتخفيف الراء أيضا بزنة دخان ـ وهو القارورة ، وقيل : كوز ضيق الرأس ، قال ابن دريد : تكلموا به ولا أدرى أعربى أم عجمى .

ولهذا لا يأخذونها من نفس القبر ، بل من المَسِيل الذى عنده المسجد[١] ، ولئن صح مشروعية التبرك بتراب قبور الصالحين فهو أمر خاص بها لا دلالة فيه على جواز نقل مطلق تراب الحرم ، وهو أمر لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، والخيرُ كله فى الاتّباع ، وقد قالت الحنابلة أيضاً : يكره نقل حَصَى الحرم وترابه إلى غـيره ، ولا يدخل غيره إليه ، ونقلوا عن أحمد أنه قال : الإخراج أشد، انتهى . ويجب على من أخرج شيئاً من تراب الحرم أو حجره أن يرده إليه ، ولا ضمان عليه فى ترك الرد ، قال الـكمال الدميرى : و إذا نقل تراب أحد الحرمين إلى الآخر هل يزول التحريم — أى فينقطع وجوب الرد — أو يفرق بين نقله للأشرف وعكسه ؟ فيه نظر ، والله أعلم .

الفصل الرابع عشر

فى ذكر بدء شأنها ، وما يَؤُل إليـه أمرها

روى ابن لَهيعة بسنده إلى عائشة مرفوعاً « إن مكة بلد عَظَّمه الله ، وعَظَّم حرمته ، خلق مكة وحَفَّها بالملائكة قبـل أن يخلق شيئاً من الأرض كلها بألف عام ، ووصلها بالمدينة ، ووصل المدينة ببيت المقدس، ثم خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقا واحداً » قال العلامة المقدسى فى بعض تأليفاته : هـذا حديث غريب جداً ، بل منـكر .

وعن سليمان عن أبى عمرو الشيبانى عن على رضى الله عنه : كانت الأرض ماء ، فبعث الله ريحاً فمسحت الأرض مسحاً ، فظهرت على الأرض زبدة ، فقسمها أربع قِطَع ، خلق من قطعة مكة ، والثانية المدينة ، والثالثة بيت المقدس ، والرابعة الـكوفة . وهو أثر وَاهٍ .

وروينا فى الـكبير للطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله

(١) المسيل الذى كان به مصرع حمزة رضى الله عنه هو المسيل الذى من جهة أحد ، لا من القبلة (مكى) .

عز وجلّ اطلع إلى أهل المدينة وهى بطحاء قبل أن تعمر ليس فيها مَدَر ولا بَشَر ، فقال : يا أهـل يثرب ، إنى مشترط عليكم ثلاثاً وسائق إليكم من كل الثمرات : لا تَعْصِى ، ولا تَعْلِى ، ولا تـكَبَّرِى ، فإن فعلت شيئاً من ذلك تركتك كالجزور لا يمنع مَنْ أكله .

وأخرج النسائى من رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس فى حديث الإسراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أُتِيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل » الحديثَ ، وفيه « فركبت ومعى جبريل ، فسرت فقال : انزل فَصَلِّ ، ففعلت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليتَ بطيبة وإليها المُهَاجَرُ » يعنى بفتح الجيم .

ووقع فى حديث شداد بن أوس عند البزار والطبرانى أنه [قال] « أول ما أُسْرِىَ به صلى الله عليه وسلم مَرَّ بأرض ذات نخل ، فقال له جبريل : انزل فَصَلِّ ، فنزل فصلى ، فقال : صليت بيثرب » الحديثَ .

وروى رزين عن أنس يَرْفعه « لمـا تجلّى الله لجبل طور سيناء تَشَظَّى ستة أشظاظ[1] » وفى رواية غير رزين « شظايا ، فنزلت بمكة ثلاثة : حِرَاء ، وثَبِير ، وثَوْر ، وفى المدينة : أُحُد ، وعَيْر ، وورقان » وفى رواية « ورَضْوَى » بدل عير ، ولا يشكل ذلك بكون رَضْوَى بينبع ؛ لأن الينبع من توابع المدينة ومضافاتها كما سيأتى ، ورواه بعضُ شراح المصابيح بلفظ « عير ، وثور ، ورضوى » ومنه يؤخذ حكمة أخرى فى تحديد الحرم بعير وثور ، وسيأتى بيانُ أول من سكنها بعد الطوفان فى أخبار سكانها .

وروينا فى الأم للشافعى حديث « أسكنت أقل الأرض مطرا ، وهى بين عينى السماء عين الشام وعين اليمن » ورواه ابن زبالة بزيادة « فاتخذوا الغنم على خمس ليال من المدينة » .

وروى أيضاً حديث « يامعشر المهاجرين إنـكم بأقلّ الأرض مطرا ، فأقلوا من الماشية ، وعليكم بالزرع ، وأكثروا فيه من الجماجم » .

---

(١) تشظى : تفرق شظايا ، والأشظاظ : الفلق كل فلقة شظ أوشظية كقضية .

وروى الشافعى أيضاً حديث «توشك المدينة أن تُمْطر مطرا لا يُكِنّ أهلَها[١] البيوتُ ، ولا يكنهم إلا مَظَالُّ الشعر» .

وروى أيضاً «توشك المدينة أن يصيبها مطر أربعين ليلة لا يكنّ أهلها[١] بيت من مَدَر» .

وروى ابن زبالة حديث «كيف بكِ ياعائشةُ إذا رجع الناسُ بالمدينة وكانت كالرمانة المحشوة ؟ قالت: فمن أين يأكلون يانبي الله ؟ قال : يطعمهم الله من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن جنات عدن» .

وأورد المرجانى فى كتابه أخبار المدينة عن جابر مرفوعاً «ليعودَنّ هـــذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها ، حتى لا يكون إيمان إلا بها» الحديثَ .

وروى أحمد برجال ثقات «يوشك أن يرجع الناسُ إلى المدينة حتى يصير مَسَالحهم بسَلاَح» ومسالحهم : جمع مَسْلَح ، وهم القوم الذين يحفظون الثغور . وسَلاَح ـ كقطام ـ موضع بقرب خيبر[٢] .

وفى مسلم حديث «تبلغ المساكن أهاب أو يهاب» بكسر المثناة التحتية .

وروى أحمد فى حديث طويل أنه صلى الله عليه وسلم «خَرَجَ حتى أتى بئر الأهاب ، قال : يوشك البنيان أن يأتى هذا المكان» و بئر أهاب : سيأتى أنها بالحرة الغربية .

وروى أبو يعلى عن زيد بن وهب قال : حدثنى أبو ذر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ البناء ـ أى بالمدينة ـ سَلْعاً فارتحل إلى الشام» فلما بلغ البناء سَلْعاً قدمتُ الشام .

وروى ابن زبالة حديث «ليُوشِكَنَّ الدينُ أن ينزوىَ إلى هذين المسجدين ، و يوشكن أن يتشاحُّوا على موضع الوتد بالحى كشح أحدكم أن ينقص من داره

(١) لا يكنهم : لا يسترهم ولا يقيهم .

(٢) والمعنى على ذلك : حتى يصير القوم الذين يرقبون عدوهم مقيمين فى هذا الموضع ؛ لاتساع رقعة المدينة وكثرة أهلها .

إلى جانب المسجد ، وليوشكن أن يبلغ بنيانهم يهيقاً » قالوا : يا رسول الله ، فمن أين يأكلون ؟ قال « من هنا وههنا » يشير إلى السماء والأرض .

و يهيقاأوله آخر الحروف : موضع بقرب المدينة على ما سيأتى عن المجد آخر الباب السابع

وذكر ابن زبالة الشجرة التى يضاف إليها مسجد ذى الحليفة ، ثم روى عن أبى هريرة رضى الله عنه « لاتقوم الساعة حتى يبلغ البناء الشجرة » .

وروى أيضاً عنه « أرَيْتَكَ شَرَفَ السيالة وشرف الروحاء ؛ فإنه منازل أهل الأردن إذا أجيز الناس إلى المدينة » .

وفى الكبير للطبرانى حديث « سيبلغ البناء سلعاً ، ثم يأتى على المدينة زمان يمر السَّفْرُ[(١)] على بعض أقطارها فيقول : قد كانت هذه مدةً عامرةً من طول الزمان وعفو الأثر » .

وروى النسائىّ عن أبى هريرة حديث « آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة » ورواه الترمذى بنحوه ، وقال : حسن غريب ، ورواه ابن حبان بلفظ « آخر قرية فى الإسلام خرابا المدينة » .

وروى أبو داود عن معاذ مرفوعا « عُمْرَانُ بيتِ المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال » .

وروى أبو داود أيضاً عنـه مرفوعاً « الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر » .

وفى ابن شبة عن أبى هريرة « ليخرجَنَّ أهلُ المدينة من المدينة خير ما كانت ، نصفاً زَهْوًا[(٢)] ، ونصفا رطباً ، قيل : مَنْ يخرجهم منها ياأباهريرة ؟ قال : أمراء السوء » .

وفيه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا نحوه ، وأن عبد الله بن عمر كان يردُّ عليه ، فقال له أبو هريرة : لِمَ تردُّ على؟ فوالله لقد كنت أنا وأنتَ فى

(١) السفر : الجماعة المسافرون ، ونظيره ركب وتجر وشرب

(٢) الزهو : البسر الملون .

بيت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم « يخرج منها أهلها خير ما كانت » فقال ابن عمر : أجَلْ ، قد كنتُ أنا وأنت في بيت ، ولكن لم يقله ، إنما قال «أعمر ما كانت » ولو قال « خير ما كانت » لكان ذلك وهو حي وأصحابه ، فقال أبو هريرة : صدقت والذي نفسي بيده ، وفيه عنه أيضاً « ليجيئَنَّ الثعلبُ حتى يقيلَ في ظل المنبر ، ثم يروح لا يُنَهْنِهُهُ[1] أحد » .

وفي رواية عنه « لا تقوم الساعة حتى يجيء الثعلبُ فَيَرْبِضَ على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهنهه أحد[1] » وفيه أيضاً عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتابا لكعب « ليغشَيَنَّ أهلَ المدينة أمرٌ يفزعهم حتى يتركوها وهي مُذَلَّلة[2] ، وحتى يبول السنانيرُ على قطايف الخز ما يروعها شيء ، وحتى يخرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء » .

وفي الصحيحين حديث « لتتركون المدينة » ولفظُ مسلمٍ « لتتركُنَّ المدينةَ على خير ما كانت مذللة[2] ثمارها لا يغشاها إلا العوافي » يريد عوافي الطير والسباع « وآخر من يحْشَرُ منها راعيان من مُزَينة يُريدانِ المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشاً » ولفظ مسلم « حتى إذا بلغا ثنية الوَدَاع خرَّا على وجوههما » وهو في الموطأ بلفظ « لتتركُنَّ المدينةَ على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلبُ أو الذئب فيغذي على بعض سواري المسجد » .

ورواه ابن شبة ولفظه « فيغذي على سواري المسجد أو المنبر »

ويغذي — بالغين والذال المعجمتين — أي يبول عليها دفعة دفعة ، يقال : غذّت المرأة ولدها بالتشديد ، إذا أبالته ، وبالتخفيف إذا أطعمته .

وفي ابن زبالة — وتبعه ابن النجار — حديث « لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسجدي هذا الكلابُ والذئابُ والضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلي فيه فما يقدر عليه » .

---

(١) ما ينهنهه : ما يخيفه وما يفزعه وما يردعه .
(٢) مذللة : سهلة لا شقة في المعيشة بها .

وفى ابن شبة بسند صحيح حديث « أما والله لَتَدَعُنَّها مذللة أربعين عاما للعوافى ، أتدرون ما العوافى ؟ الطير والسباع » ورواه ابن زبالة بنحوه .

وروى أحمد برجال الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَعَدَ أُحُداً ، فأقبل على المدينة وقال : ويل أمها قرية ، يَدَعُها أهلُها كأينع ما تكون » الحديثَ ، وفى رواية له « ويل أمك قرية ، يَدَعُك أهلُكِ وأنت خيرما تكونين »

ورُوِىَ أيضاً بإسناد حَسَن حديثٌ للبشير بن راكب فى حب وادى المدينة « فليقولُنَّ لقد كان فى هذه مرة حاضرة من المؤمنين » .

وروى أيضاً برجال ثقات حديث « المدينة يتركها أهلها وهى مُرْطِبة ، قالوا : فمن يأكلها ؟ قال : السباع والعائف » .

الفصل الخامس عشر

فيما ذكر من وقوع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم

من خروج أهلها وتركها ، وذكر كائنة الحرّة المقتضية لذلك

قد اختلف الناسُ : متى يكون هذا الترك ؟ فقال القاضى عياض : إن هذا جَرَى فى العصر الأول ، وإنه من المعجزات [١] ، فقد تُركت المدينةُ على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة إلى الشام والعراق ، وذلك أحسن ما كانت من حيث الدين والدنيا : أما الدين فلكثرة العلماء بها ، وأما الدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها ، قال : وذكر الأخباريون فى بعض الفتن التى جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رَحَلَ عنها أكثرُ الناسِ ، وبقيت ثمارها للعوافى [٢] ، وخَلَتْ مدة ، ثم تراجع الناسُ إليها .

وحكى البدر ابن فَرْحُون فى شرح الموطأ ، ومنْ خطه نقلت ، عن القاضى أيضاً أنه قال : وقد حكى قوم كثيرون أنهم رأوا ما أنذر به النبى صلى الله عليه وسلم من تغذية الكلاب على سَوَارى مسجدها ، انتهى .

---

(١) أى لكونه إخباراً من النبى صلى الله عليه وسلم عما سيكون من بعده بإعلام الله تعالى إياه .

(٢) العوافى : المراد الطير ، كما فى الأحاديث التى مرت قريباً .

وقال النووى : الظاهر المختار أن الترك للمدينة يكون آخر الزمان عند قيام الساعة ، و يوضحه قصة الراعيين من مُزَيْنة ، فإنهما يَخِرّانِ على وجوههما حين تدركهما الساعة ، ولفظ مسلم واضح فى ذلك ؛ فإنه قال « ثم يحشر راعيان » و يؤيده كونُها آخرَ قرى الإسلام خرابا .

قلت : و يؤيده رواية ابن شبة المتقدمة « ليَدَعُنَّها مذللة أر بعين عاما للعوافى » وهذا لم يقع اتفاقا ، على أنه ورد ما يقتضى أن الترك للمدينة يكون متعدداً ، فلعل ما ذكره القاضى هو المرة الأولى ، و بقى الترك الذى يكون آخر الزمان ؛ لأن ابن شبة روى حديث « ليخرجَنّ أهلُ المدينة من المدينة ، ثم ليعودُنَّ إليها ، ثم ليخرجُنَّ منها ، ثم لا يعودون إليها ، وليَدَعُنَّها وهى خير ما يكون مونعة[(١)] » .

وروى أيضا عن عمر مرفوعا « يخرج أهــلُ المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلىء وتبنى ، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً »

وروى ابن شبة عن أبى هريرة قال : « آخر من يحشر رجلان رجُلٌ من جُهَينة وآخر من مُزَينة فيقولان : أين النــاس ؟ فيأتيان المدينة فلا يَرَيان إلا الثعلب ،فينزل إليهما ملَكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس »

وروى أيضا عن حذيفة بن أسيد قال : « آخر الناس مَحْشَرًا رجلان من مُزَيْنة يفقدان الناس ، فيقول أحدهما لصاحبه : قد فَقَدْنا الناسَ منذ حين ، أنطلق بنا إلى شخص من بنى فلان، فينطلقان فلا يجدان بها أحدا[(٢)] ، ثم يقول : انطلق بنا إلى المدينة ، فينطلقان فلا يجدان بها أحدا ، ثم يقول : انطلق بنا إلى منزل قريش ببقيع الغرْقَد ، فينطلقان فلا يريان إلا السباع والثعالب ، فيوجهان نحو البيت الحرام » .

قلت : وكأنهما إذا توجها نحو البيت الحرام ينزل إليهما الملكان قبل ذهابهما؛ فلا يخالف ما تقدم ، فالظاهر أن ما ذكره القاضى هو الترك الأول ، وسببهُ فيما

(١) مونعة : اسم الفاعل من « أينع الزرع » إذا أدرك وطاب وحان قطافه .
(٢) كذا ، ولعل كلمة «بها» مقحمة فى هذا الموضع .

يظهر كائنة الحرة ، وقد تقـدم من حديث أبى هريرة أنه قيل له : مَنْ يخرجهم منها يا أبا هريرة ؟ قال : أمراء السوء ، وروى الشيخان — واللفظ لمسلم — عن أبى هريرة مرفوعا « يهلك أمتى هذا الحى من قريش ، قالوا: فما تأمرنا ؟ قال : لو أن الناس اعتزلوهم » .

وروى مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال : «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حَدث به ، حَفِظه مَنْ حَفِظه ونسِيه مَنْ نَسِيه » الحديث ، وفى رواية عنه : أخبرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى أن تقوم القيامة ، فما من شىء إلا قد سألته ، إلا أنى لم أسأله ما يُخرِجُ أهل المدينة من المدينة ، وروى الترمذى حديثاً « إذا مشت أمتى المطيطا ، وخدمتهم بنات فارس والروم ، رَدَّ الله بأسهم بينهم ، وسَلَّط شِرَارهم على خيارهم » . وروى ابن شبة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : «والذى نفسى بيده ليكونَنَّ بالمدينة مَلْحَمَة يقال لها الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، فاخْرُجُوا من المدينة ولو على قدر بريد » .

وروى ابن أبى شيبة عنه أنه قال : اللهم لا تدركنى سنة ستين ، ولا إمْرَةُ الصبيان ، يشير إلى أن أول الأغيلمة كان فى سنة ستين ، وهو كذلك ، كما قاله الحافظ ابنُ حجر ؛ فإن يزيد بن معاوية اسْتُخْلِفَ فيها ، فأشار إلى دولة يزيد وفيها كانت وقعت الحرة ، وتسمى حَرَّة واقم ، وحرة زهرة

وروى الواقدى فى كتاب الحرة عن أيوب بن بشير المعادى أن النبى صلى الله عليه وسلم «خرج سَفَراً من أسفاره ، فلما مر بحرة زهرة وقف واسترجع ، فَسِىءَ بذلك مَنْ معه ، فظنُّوا أن ذلك من أمر بسفرهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ما الذى رأيت ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما إنَّ ذلك ليس من سفركم هذا ، قالوا : فما هو يا رسول الله ؟ قال : يُقْتَلُ فى هـذه الحرة خِيار أمتى بعد أصحابى » .

---

(١) المطيطاء — بفتح الميم وكسر الطاء ممدودا — والمطيطى — بضم ففتح ممدودا أو مقصورا — التبختر ومد اليدين فى المشى .

وروى أيضا عن سفيان بن أبى أحمد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشرف على بنى عبد الأشهل أشار بيده ، فقال : «يقتل بهذه الحرة خيار أمتى » وروى أيضا عن كعب قال : نجد فى التوراة أن فى حرة شرقىّ المدينة مقتلة تضىء وجوهُهم يوم القيامة صنعا » وروى أيضا أنه ذكر عند ابن عباس قتلى الحرة ، فقال ابن عباس : يرحمهم الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقتل بحرة زهرة خيار أمتى » .

وروى البيهقى فى الدلائل خبر أيوب بن بشير المتقدم ، ثم قال : هذا مرسل وقد روى عن ابن عباس فى تأويل قوله تعالى « وَلَوْ دُخِلَتْ عليهم من أقطارها ثم سُئِلُوا الفتنَةَ لآتوها[1] » قال: لأعطَوْها ، يعنى إدخال بنى حارثة أهلَ الشامِ على أهل المدينة . ورواه بالسند إلى ابن عباس وقال : إنه مؤكد لمرسل ابن بشير ، وسيأتى فى حرة واقم ما رواه ابن زبالة من أن السماء مطرت على عهد عمر رضى الله عنه ، فخرج مع أصحابه حتى أتوا حَرَّةَ واقم وشِرَاجُهَا تطرد ، فقال كعب : أما والله يا أمير المؤمنين لتسيلنَّ هذه الشراجُ بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء ، فدنا منه ابن الزبير فقال : يا أبا إسحاق ومتى ذلك ؟ فقال : إياك أن تكون على رجلك أو يدك ! .

وروى ابن زبالة عن كعب أيضاً : إنا نجد فى كتاب الله : حَرَّةٌ شرقىّ المدينة يُقْتَلُ بها مقتلة تضىء وجوههم يوم القيامة كما يضىء القمر ليلة البدر .

قلت : وسياق كلام القرطبي يقتضى أنها هى السبب فى خروج أهل المدينة المذكور فى كلام عياض ؛ فإنه ذكر نحو كلام عياض ، وقال : فلما انتهى حالها — يعنى المدينة — كمالا وحسنا تناقص أمرها إلى أن أقفرت جهاتها ، وتوالت الفتن فيها ؛ فخاف أهلها ، فارتحلوا عنها ، ووجّه يزيدُ بن معاوية مسلم بن عقبة المرى فى جيش عظيم من أهـل الشام ، فنزل بالمدينة ، فقاتل أهلها ، فهزمهم

وقعة الحرة

(١) من سورة الأحزاب من الآية ١٤

تلهم بحرة المدينة قتلا ذريعا[1]، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، و يقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوى ، فقُتِلَ بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين، وهم ألف وسبعمائة، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حَمَلَة القرآن سبعمائة رجل ، ومن قريش سبعة وتسعون قتلوا ظلما فى الحرب صَبْرًا ، قال : وقال الإمام الحافظ ابن حزم فى المرتبة الرابعة : وجالت الخيلُ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بالت ، وراثت بين القبر والمنبر أدام الله تشريفها وأكرهوا الناس أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع و إن شاء أعتق ، وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حكم القرآن والسنة ، فأمر بقتله ، فضربت عنقه صبرا ، وذكر الأخباريون أنها خَلَتْ من أهلها ، و بقيت ثمارها للعوافى كما قال صلى الله عليه وسلم ، وفى حال خلائها غذت الكلابُ على سوارى المسجد ، انتهى كلام القرطبى .

سبب نقمة يزيد بن معاوية على أهل المدينة

وروى الطبرانى فى خبر طويل عن عروة بن الزبير قال : لما مات معاوية رضى الله عنه تثاقل عبدُ الله بن الزبير عن طاعة ابنه يزيد ، وأظهر شَتْمه ، فبلغ ذلك يزيد ، فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً ، و إلا أرسل إليه ، فقيل لابن الزبير : ألا نصنع لك أغلالا من فضة تلبس عليها الثوب وتبر قسمه فالصلح أجمل بك ؟ قال : فلا أبرَّ الله قسمه ، ثم قال :

ولا أَلِينُ لغير الحق أسأَلُهُ * حتى يَلِينَ لِضِرْسِ الماضغِ الحجَرُ

ثم دعا إلى نفسه ، فوجَّه إليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المرىّ فى جيش أهل الشام ، وأمرهم بقتال أهل المدينة ، فإذا فرغ من ذلك صار إلى مكة ، قال : فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، وهَرَبَ منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاث فيها[2] ، وأسرف فى القتل ، ثم خرج منها ، فلما كان فى بعض

(١) قتلا ذريعا : شديدا كثيرا مع فظاعة (٢) عاث : أفسد

الطريق مات واستخلف حصين بن نمير الكندى ، ثم ذكر حصاره ابن الزبير، ورَمْيَه بالمَنْجَنِيق ، واحتراقَ الكعبة ، قال : و بلغ حصين بن نمير موت يزيد ابن معاوية فهرب .

قلت : وسببُ أمر يزيد بقتال أهل المدينة ما ذكره الإمام ابن الجوزى قال : لما دخلت سنةُ اثنين وستين ولّى يزيدُ عثمان بن محمد بن أبى سفيان المدينةَ ، فبعث إلى يزيد وَفْدًا من المدينة ، فلما رجع الوفد أظهروا شَتْمَ يزيد ، وقالوا : قدمْنَا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، و يعزف بالطنابير ، و يلعب بالكلاب ؛ و إنا نشهدكم أنا قد خلعناه . وقال المنذر : أما والله لقد أجازنى مائة ألف درهم ، ولا يمنعنى ما صنع أن أصدقكم عنه ؛ والله إنه يشرب الخمر ، و إنه ليسكر حتى يَدَعَ الصلاة ؛ ثم بايعوا لعبد الله بن حَنْظَلة الغسيلِ ؛ وأخرجوا عثمان ابن محمد عامل يزيد ؛ وكان ابنُ حنظلة يقول : يا قوم ؛ ما خرجنا على يزيد حتى خِفْتُ أن نُرْمَى بالحجارة من السماء ؛ والله لو لم يكن معى أحدٌ من الناس لأبْلَيْتُ الله فيه بلاء حسناً ؛ وكانت قصة الحرة سنة ثلاث وستين ؛ وفى هذه السنة أخرج أهلُ المدينة عامل يزيد المتقدم ذكره .

قلت : وفى كتاب الحرة للواقدى ما ملخصه : أن أول ما هاج أمر الحرة أن ابن ميناء كان عاملا على صَوَافِى[1] المدينة — و بها يومئذ صواف كثيرة — حتى كان معاوية يجدُّ بالمدينة وأعراضها مائةَ ألفِ وَسْقٍ وخمسين ألفَ وَسْقٍ ، و يحصد مائة ألف وَسْق حنطة ، واستعمل يزيدُ على المدينة عثمانَ بن محمد بن أبى سفيان ؛ وأن ابن ميناء أقبل بشرج له من الحرة يريد الأموال التى كانت لمعاوية ؛ فلم يزل يسوقه ولا يصده عنه أحد حتى انتهى إلى بَلْحَارث بن الخزرج ، فنقب النقيب فيهم ، فقالوا : ليس ذلك لك ، هذا حدث وضرر علينا ، فأعلم الأمير عثمان بن محمد بذلك ، فأرسل إلى ثلاثة من بَلحارث ، فأجابوه إلى أن يمر به ، فأعلم ابن ميناء فغدا بأصحابه

---

(١) الصوافى : جمع صافية ، وهى النخلة الكثيرة الحمل ، لكن المستعمل المنصوص عليه فى كتب اللغة الصفية وجمعها الصفايا . مثل قضية وقضايا .

فَذَبُّوهم[1] ، فرجع إلى الأمير فقال: اجمع لهم مَنْ قَدَرْتَ ، و بعث معه بعض جند ، وقال : مر به ولو على بطونهم ، فغدا ابن ميناء مُتَطاولا عليهم ، وعدا من يذبهم من الأنصار ، ورفَدَتهم قريش[2] فذبُّوهم حتى تفاقم الأمر ؛ فرجع ولم يعمل شيئاً . وكتب عثمان بن محمد إلى يزيد يخبره بذلك ، و يحرضه على أهل المدينة جميعا ؛ فاستشاط غضبا ؛ وقال : والله لأبعثن إليهم الجيوش ، ولأوطئنها الخيل : انتهى.

وقال ابن الجوزى : قال أبو الحسن المداينى — وكان من الثقات — : أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد ، فقال عبد الله بن أبى عمرو بن حفص المخزومى : قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتى ، ونزعها عن رأسه ، إنى لأقول هذا وقد وَصَلنى وأحْسَنَ جائزتى ، ولكن عدو الله سِكّير . وقال آخر : قد خلعته كما خلعت نعلى ؛ حتى كثرت العمائم والنِّعَال .

ثم ولَّوْا على قريش عبدَ الله بن مطيع ؛ وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة . ثم حاصر القوم مَن كان بالمدينة من بنى أمية فى دار مروان . فكتب مروان ومن معه إلى يزيد : إنا قد حُصِرْنا ومُنِعنا العذب ، فيا غَوْثاه . فوصل الكتاب إليه . فبعث إلى مسلم بن عُقْبة — وهو شيخ كبير — فجاء حتى دخل عليه ، وقال له : اخرُجْ وسِرْ بالناس ، فخرج مناديه ، فنادى : أن تسيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كَمَلاً ومعونة مائة دينار توضع فى يد الرجل من ساعته . فانتدَب لذلك اثنا عشر ألف رجل . وكتب يزيد إلى ابن مَرْجَانة[3] أن اغزُ ابنَ الزبير، فقال : لا والله لا أجمعها للفاسق أبداً قَتْلَ ابنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم و إغزاء البيت وقال يزيد لمسلم : إن حَدَثَ بك حادث فاستخلف حُصَين بن نمير السكونى . وقال له : ادعُ القومَ ثلاثا ، فإن هم أجابوك و إلا فقاتلهم ، و إذا ظَهَرْتَ عليهم فأبحْهَا ثلاثا بما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند ، فإذا مضت الثلاث فاكفف

(١) ذبوهم : منعوهم وطردوهم. (٢) رفدتهم : أعانتهم .

(٣) ابن مرجانة : هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، وكان على الجيش الذى قتل الحسين بن على سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم .

عنهم ، وانظر على بن الحسين فاسْتَوْصِ به ؛ فإنه لم يدخل فى شىء مما دخلوا فيه ، فلما بلغ أهلَ المدينة إقبالُ الحصين وثبوا على من كان محصوراً من بنى أمية ، وقالوا : لا نكف عنكم حتى نضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه ألا تبغوا غائلة[1] ، ولا تدلُّوا لنا على عَوْرة ، ولا تظاهروا علينا عدوا ، فأعْطَوْهم العهدَ على ذلك ، فأخرجوهم من المدينة ، فخرجوا حتى لَقُوا مسلم بن عقبة ، وأرسل إليه مروان ابنَه عبدَ الملك فأشار عليه أن يأتيهم من ناحية الحرة ، وأن ينتظرهم ثلاثاً ففعل ، فلما مضت الثلاث قال : ياأهل المدينة ، ماتصنعون؟ قالوا : نحارب ، قال : لا تفعلوا وادخلوا فى الطاعة ، قالوا : لا نفعل ، وكانوا قد اتخذوا خندقا ، فنزل منهم جماعة ، وحمل ابنُ الغسل[2] على الخيل حتى كشفها ، وقاتلوا قتالا شديداً ، وجعل مسلم يحرض أصحابه ، وكان به مرض ؛ فنصب له سرير بين الصفين وقال: قاتلوا عن أميركم ؛ وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس و يأخذون الأموال ، ورفعوا على النساء ؛ وقاتل عبد الله بن مطيع حتى قتل هو و بَنُونَ له سبعة ؛ و بعث برأسه إلى يزيد ؛ فأفزع ما جرى مَنْ بالمدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقل الواقدىُّ أن القوم لما قربوا تشاور أهلُ المدينة فى الخندق خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ و شَكَّوا المدينة بالبنيان من كل ناحية ؛ وعملوا فى الخندق خمسة عشر يوما ، وكان لقريش ما بين راتج إلى مسجد الأحزاب، والأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بنى سلمة ، وللموالى ما بين راتج إلى بنى عبد الأشهل ، فلما وصل القوم عسكروا بالْجُرْف ، و بعثوا رجالا من رجالهم ، فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية ، فما يجدون مَدْخَلا ، والناس متلبسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق يرمون بالنبل والحجارة ، وجلس مسلم بناحية واقم ، فرأى أمراً هائلا ، فاستعان بمروان وكان وَعَده بوجه فى ذلك لما لقيه بوادى القرى ؛ فخرج مروان

(١) الغائلة : الداهية والفساد والشر . (٢) فى المطبوعات كلها « وحمل ابن القتيل » تطبيع ، وابن الغسيل: هو عبدالله بن حنظلة الذى ولاه الأنصار عليهم .

حتى جاء بنى حارثة ، فكلم رجلا منهم ورغبه فى الصنيعة[1] ، وقال : تفتح لنا طريقا فأكتبَ بذلك إلى يزيد فيَصِلَ أرحامكم ، ففتح لهم طريقاً من قبلهم حتى أدخل له الرجال من بنى حارثة إلى بنى عبد الأشهل ، وجاء الخبرُ عبدَ الله بن حنظلة وكان بناحية الصورين فى أصحابه ، وأقبل عبد الله بن مطيع وكان من ناحية ذباب ، وأقبل ابن هريرة فى الموالى يطوف بهم على الخنادق ، وأقبل ابن ربيعة وكان من ناحية بُطْحان ، فاجتمعوا جميعاً من حيث يدخل أهل الشام ، قال محمود ابن لبيد : قد حضرتُ يومئذ ، فإنما أُتينا من قومنا بنى حارثة ، وكان مروان حين أخرج عمل به عمل قبيح ، فكلم رجلا فأدخله ومعه فارس ثم جعلت الخيل تنحدر على أثره ، وقد وقفنا ببنى عبد الأشهل فقاتلنا ما وجدنا حتى عاينا الموت وكثرت القوم وتفرق الناس فقتلوا فى كل وجه .

وروى الواقدى أيضاً أن قصر بنى حارثة كان أمانا لمن أراد أهلُ الشام أن يُؤَمِّنُوهُ ، وكانت بنو حارثة آمنين ، وأولُ دارِ انْتُهِبَتْ والحرب بعد لم ينقطع دار بنى عبد الله الأشهل ، انتهى .

وأخرج ابن أبى خيثمة بسند صحيح إلى جُوَيرية بن أسماء : سمعت أشياخَ أهلِ المدينة يتحدثون أن معاوية رضى الله عنه لما احتضر دعا يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوما ، فإن فعلوا فَارْمِهِمْ بمُسْلِم بن عقبة فإنى عرفت نصيحته ، فلما ولى يزيد وفد عليه عبدُ الله بن حَنظلة وجماعة ، فأكرمهم وأجازهم ، فرجع فحرَّضَ الناسَ على يزيد ، وعابه ، ودعاهم إلى خلع يزيد ، فأجابوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فجهز إليهم مسلم بن عقبة ، فاستقبلهم أهلُ المدينة بجموع كثيرة ، فهابهم أهلُ الشام وكَرِهُوا قتالهم ، فلما نشب القتالُ سمعوا فى جوف المدينة التكبير ؛ وذلك أن بنى حارثة أدخَلُوا قوماً من الشاميين من جانب المدينة ، فترك أهلُ المدينة القتالَ ، ودخلوا المدينة خوفا على أهليهم ، فكانت الهزيمة ، وقُتل من

---

(١) الصنيعة : أصلها الإحسان ، ويقال « فلان صنيعة فلان » أى أنه هو الذى خرجه ورباه واختصه بالجميل .

قتل ، وبايع مسلم الناس على أنهم خَوَلٌ[1] ليزيد يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم بما شاء ، انتهى .

وأخرج يعقوب بن سفيان فى تاريخه بسند صحيح عن ابن عباس قال : جاء تأويلُ هذه[2] الآية على رأس ستين سنة « ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارها ثم سُئِلوا الفتنةَ لآتَوها » يعنى إدخال بنى حارثة أهلَ الشام على أهل المدينة فى وقعة الحرَّة ، قال يعقوب : وكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين ، اهـ .

قالوا : وكلمت امرأةٌ مسلمَ بن عقبة فى ولدها ، وقالت : أنا مولاتك ، وابنى فى الأسْرِ ؛ فقال : عجلوه لها ؛ فضربت عنقه وقال : أعطوها رأسَه ، أما تَرْضَيْنَ أن لا تقتلى حتى تكلمى فى ابنك ؟! .

قلت : وسموه مُسْرِفًا لإسرافه فى القتل .

ونقل الواقدى فى كتاب الحرة أن يزيد دخل على مُسْرِف وكان قد جعله فى عِلِّيَّةٍ لمرضه ؛ فقال له : لولا مرضُك لكنت أنت صاحب هذا الأمر ، لما أعرف نصيحتك ، قال مسرف : أنشُدُكَ الله يا أمير المؤمنين ألاَّ[3] تولى أمرهم غيرى ؛ فإنى والله أنا صاحبهم ، رأيت فى النوم شجرةَ غرقدٍ تصيح بأغصانها : يا ثارات عثمان ، فأقبلت وجعلت الشجرة تقول : على يَدَىْ مسلم بن عقبة ، حتى جئتها فأخذتُها ، فعبَّرْتُ ذلك أنى أكون القائم بأمر عثمان ؛ فهم قَتَلَتُه ، قال يزيد : فسِرْ إليهم على بركة الله ، فأنت صاحبهم ، وانظر إذا قدمتَ المدينة ، فمن عاقَكَ عن دخولها أو نَصَب لك حَرْبًا فالسيفَ السيفَ ، لا تُبْقِ فيهم ، وأنْهِبْهَا ثلاثا ، وأجهز على جريحهم ، واقتل مُدْبرهم ، وإياك أن تُبْقى عليهم ، وإن لم يعرضوا لك فامض إلى ابن الزبير .

وروى ابن الجوزى من طريق المداينى عن جويرية أن مسلما نظر إلى قتلى الحرة فقال : لَئِنْ دخلت النار بعدها إنى لَشَقِيٌّ[4] ، وأسر أسرى فحبسهم ثلاثة

(١) الخول — بالتحريك — الخدم والعبيد .

(٢) من سورة الأحزاب من الآية ١٤ (٣) فى المطبوعات «أن تولى أمرهم غيرى» تطبيع (٤) فى المطبوعات « لأن دخلت النار بعدها ولا إنى لشق » تطبيع وانظر ص ١٣٦ .

أيام لم يطعموا ، وجاءوا بسعيد بن المسيب[1] فقالوا : بايع ، فقال : أبايع على سيرة أبى بكر وعمر ، فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجلٌ أنه مجنون ، فخلى عنه .

عدد القتلى فى وقعة الحرة

وعن المداينى أيضاً عن شيخ من أهل المدينة قال : سألت الزهرى : كم كانت القتلى يوم الحرة ؟ قال : سبعمائة من وجوه الناس قريش والأنصار والمهاجرين ، ومن وجوه الموالى وممن لا يعرف من عبد وحر وامرأة عشرة آلاف ، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

وفى كتاب الحرة للواقدى قال : حدثنى عبد الله بن جعفر قال : سألت الزهرى : كم قتل من الناس يومئذ ؟ قال : أما من وجوه الناس فأكثر من سبعمائة من قريش والأنصار ووجوه الموالى ، ثم عدّد علىّ من قتل حتى ما كنت أرى أنه بقى أحد إلا قتل يومئذ ، ثم قال الزهرى : ولقد قتل ممن لا يعرف من الموالى والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف ، ودخلوها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

قلت : وقال القرطبى لليلتين بقيتا من ذى الحجة ، وعن الأقشهرى عن أبى معشر والواقدى أنها يوم الأربع لليلتين خلتا من ذى الحجة ، قلت : ولم أره فى كتاب الواقدى ، ولعله سبق قلم ، والله أعلم .

وذكر المجد أنهم سَبَوُا الذرية ، واستباحوا الفروج ، وأنه كان يقال لأولئك الأولاد من النساء اللاتى حملن : أولاد الحرة ، قال : ثم أُحْضِرَ الأعيان لمبايعة يزيد ، فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيدُ يزيدَ ، فمن تلكأ أمر بضرب عنقه ، وجاءوا بعلى بن عبد الله بن عباس ، فقال الحصين بن نمير : يا معشر اليمن عليكم ابنَ أختكم ، فقام معه أربعة آلاف رجل ، فقال لهم مسلم : أخلعتم أيديكم من الطاعة ؟ فقالوا : أما فيه فنعم ، فبايعه على أنه ابنُ عم يزيد ، انتهى .

وعن المداينى أيضاً عن محمد بن عمر قال : قال ذَكْوَان مولى مروان : شرب

(١) سعيد بن المسيب : رأس علماء التابعين وفردهم وفقيههم ، مات فى سنة ٩٣ ، وقال الواقدى : فى سنة ٩٤ من الهجرة .

مسلم بن عقبة دواء بعد ماأنهب المدينة ، ودعا بالغداء ، فقال له الطبيب : لا تَعْجَلْ فإنى أخاف عليك إن أكلت قبل أن تكمل الدواء ، قال : ويحك ! إنما كنت أحبُّ البقاء حتى أشفى نفسى من قَتَلة عثمان ، فقد أدركت ما أردت ، فليس شىء أحب إلى من الموت على طهارتى ؛ فإنى لا أشك أن الله قد طَهَّرَنى من ذنوبى بقتل هؤلاء الأرجاس .

قلت : هذا من عظيم حُمْقِهِ ، قاتله الله وأشقاه ! فإن هذا مما يزيد فى عظيم جرمه .

من قتل من الصحابة يوم الحرة

وممن قتل صبرا يومئذ من الصحابة : عبدُ الله بن حنظلة الغسيل ـ قال ابن حزم : قتل مع ثمانية من بنيه ـ وعبد الله بن زيد حَاكِى وضوء النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعقل بن سنان الأشجعى ـ وكان شهد فتح مكة ، وكان معه راية قومه يومئذ ـ وفيه يقول الشاعر :

ألا تلكمُ الأنصارُ تَبْكى سَرَاتَهَا وأَشْجَعُ تبكى مَعْقِلَ بن سِنَانِ

ومحمد بن عمرو بن حَزْم الأنصارى ، وقد ذكر ابن جرير الطبرى الإمام أن عبد الله بن الغسيل كان يقول :

بعداً لمن رام الفَسَادَ وطَغَى وجانَبَ القَصْد وأسباب الهُدَى

لا يبعدِ الرحمن إلا مَنْ عَصَى

ثم تقدم فقاتل حتى قتل ، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصارى ، وأبوه كان خطيبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وَرَدَ وَفْدُ تميم ، وجعل مسلم بن عقبة يطوف على القتلى ومعه مروان بن الحكم ، حتى مر على عبد الله بن الغسيل وهو مادٌّ أصبعَهُ السبَّابَةَ ، فقال مروان : أما والله لئن نَصَبْتَهَا ميتاً لطالما نصبتها حياً .

وروى عن محمد بن كعب القرظى[1] قال : قال مروان لعبد الله بن حنظلة

---

(١) فى المطبوعات «محمد بن كعب القرطى» تطبيع ، ومحمد بن كعب القرظى ، أحد العلماء الأكابر ، مدنى ، كوفى ، قال ابن سعد : كان ثقة ورعا كثير الحديث ، مات فى سنة ١١٩ ، وقيل : فى سنة ١٢٠ من الهجرة .

الغسيل وقد رآه مشيرا بأصبعه وقد يبست : لئن أشَرْتَ بها ميتاً لطالما دَعَوْتَ وتضرعْتَ بها إلى الله تعالى ، فقال رجل من أهل الشام : إن كان هو[1] كما تقول فما دعوتنا إلا لقتل أهل الجنة ، فقال مروان : خالَفوا ونكثوا .

وفى الذيل على ابن النجار للعراقى : ذكر محمد بن سعد فى الطبقات أن مروان ابن الحكم كان يُحَرِّضُ مسلم بن عقبة على أهل المدينة ، وجاء معه معيناً له حتى ظفر بهم ، وانتهبت المدينة ، فلما قدم مروان على يزيد شكر له ذلك وأدناه .

وروى ابن الجوزى بسنده إلى سعيد بن المسيب قال : ما أصلى لله تعالى صلاة إلا دعوت على بنى مروان

وبسنده أيضاً إليه قال : لقد رَأَيْتنِي ليالى الحرة ما فى المسجد أحَدٌ من خَلْق الله غيرى ، وإن أهل الشام لَيَدْخُلون زُمَراً يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، ولا يأتى وقت صلاة إلا سمعتُ أذَاناً من القبر ، ثم أقيمت الصلاة فتقدمت فصليت وما فى المسجد أحد غيرى .

وبسنده أيضاً إلى المدايني عن أبى قرة قال : قال هشام بن حسان : وَلَدَتْ بعد الحرة ألفُ امرأةٍ من غير زَوْج .

وعن المدايني أيضاً عن أبى عبد الرحمن القرشى عن خالد الكندى عن عمته أم الهيثم بنة يزيد قالت : رأيت امرأة من قريش تطوف ، فعَرَض لها أسودُ فعانقته وقبلته ، فقلت : يا أمة الله ، أتفعلين هذا بهذا الأسود ؟ فقالت : هو ابنى ، وَقَع علىّ أبوه يوم الحرة .

ونقل العراقى فى ذيله عن شيخه أبى المظفر السمعانى أنه روى بسنده إلى أبى غزية الأنصارى قال : كان قوم من أهل المدينة يجتمعون فى مجلس لهم بالليل يسهرُون فيه ، فلما قتل الناس قتلوا ونجا منهم رجل فجاء إلى مجلسه فلم يحسّ منهم أحداً ، ثم جاء الليلة الثانية فكذلك ، ثم جاء الثالثة فكذلك ، فتمثل بهذا البيت :

(١) فى المطبوعات « إن كان مولا كما تقول » تطبيع لا معنى له .

ألا ذَهَبَ الكُماةُ وخلَّفُونِي　　كفى حَزَناً بذكرى للكماة

قال : فنودى من المجلس :

فَدَعْ عنكَ الكُماةَ فقدتَوَلَّتْ　　ونفْسَكَ فَابْكِهَا قبلَ المماتِ

فكلُّ جماعةٍ لابدَّ يوماً　　يُفرِّقُ بينها شعبُ الشَّتَاتِ

وروى الطبرانى عن أبى هارون العبدى قال : رأيت أبا سعيد الخُدْرى رضى الله عنه مُمَعَّط اللحية (١) ، فقلت : تعبث بلحيتك ؟ قال : لا ، هذا مالقيتُ من ظَلَمَة أهل الشام ، دخلوا زَمَن الحرة ، فأخذوا ما كان فى البيتِ من متاع أو خُرْثِيّ (٢) ، ثم دخلت طائفة أخرى فلم يجدوا فى البيت شيئاً فأسِفُوا أن يخرجوا بغير شىء ، فقالوا : أضْجِعُوا الشيخ ، فجعل كل يأخذ من لحيتى خصلة .

حرق مسلم بن عقبة والخلاف فيه

وروى أيضا عن محمد بن سعيد خبرا قال فيه : فلما جاء يزيد خلافُ ابنِ الزبير ودعاؤه (٣) إلى نفسه دعا مسلم بن عقبة المرى وقد أصابه الفالج وقال : إن أمير المؤمنين — يعنى أباه — عهد إلىَّ فى مرضه إن رَابَنِي من أهل الحجاز رَيْبٌ أن أوجِّهك إليهم ، وقد رابنى ، فقال : إنى كما ظنَّ أميرُ المؤمنين ، أعْقِدْ لى وعَبِّ الجيوش ، قال : فورد المدينة فأباحها ثلاثا ، ثم دعا إلى بيعة يزيد على أنهم أعْبُدٌ له قِنٌّ فى طاعة الله ومعصيته ، فأجابوه إلى ذلك ، إلا رجلا واحدا من قريش أمه أم ولد ، فقال له : بايع ليزيد على أنك عبدٌ فى طاعة الله ومعصيته ، قال : بل فى طاعة الله ، فأبى أن يقبل ذلك منه ، فقتله ، فأقسمَتْ أمه قسماً لئن أمكنها من مسلم حيًّا أو ميتاً أن تحرقه بالنار ، فلما خرج مسلم بن عقبة من المدينة اشتدَّتْ علتُه فمات ، فخرجت أم القرشى بأعْبُدٍ لها إلى قبر مسلم ، فأمرت به أن يُنْبَشَ من عند رأسه فلما وصلوا إليه إذا بثعبان قد التوى على عنقه قابضاً بأرْنَبَةِ أنفه يمصُّها ، قال : فكَاعَ (٤) القوم عنه ، وقالوا : يامولاتنا انصرفى فقد كفاكِ الله شره ، وأخبروها ، فقالت : لأوفِيَنَّ الله بما وعدته ، ثم قالت : أنبشوه من عند الرجلين ، فنبشوا ، فإذا

(١) ممعط اللحية : ساقط شعرها　(٢) الخرثى : أردأ المتاع .

(٣) فى المطبوعات « ودعا به إلى نفسه » تطبيع　(٤) كاعوا : نكصوا وتأخروا

بالثعبان لاو ذنبه برجليه ، قال : فتنحَّتْ وصلَّتْ ركعتين ، ثم قالت : اللهم إنك تعلم [أنى] إنما غضبت على مسلم بن عقبة اليوم لك فَخَلِّ بينى و بينه ، ثم تناولت عوداً فمضت إلى ذنب الثعبان فانسلّ من مؤخر رأسه فخرج من القبر ، ثم أمرت به ؛ فأخرج من القبر ثم أحرق بالنار .

قلت : وفى كتاب الحرة للواقدى أن الثابت بالبلد عندنا أن مُسْرِفا لما دفن بثنية المشلَّل(٢) وكانت أم ولد ليزيد بن عبدالله بن ربيعة تسير وراء العسكر بيومين أو ثلاثة حتى جاءها الخبر بذلك ، فانتهت إليه ، فنبشته ثم صلبته على المشلَّل(١) ، قال الضحاك : فحدثنى من رآه مَصْلوبا يُرْمَى كما يرمى قبر أبى رِغال(٢) .

وحدثنى عبدُ الرحمن بن أبى الزنادِ عن عبد الرحمن بن الحارث قال : والله ما خلصت إليه ، ولقد نبشت عنه ولكنها لما انتهت الى لَحْدِهِ وجدت أسْوَدَ من الأساود مُنْطَويا على رقبته فاتحا فاه ، فانصرفت عنه .

وقال ابن الجوزى : لما دخلت سنة أربع وستين ـ وقد فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ـ سار متوجها إلى مكة ، واستخلف على المدينة روح بن زنباع ، وسار إلى ابن الزبير ؛ فمات فى الطريق .

قلت : وذلك مِصْدَاق ما جاء فى مَنْ يقصد أهل المدينة بسوء ؛ فأهلكه الله سريعاً .

قال القرطبى : أهلكه الله مُنْصَرَفَهُ عن المدينة ، ابتلاه الله بالماء الأصفر فى بطنه ؛ فمات بقَدَيد بعد الوقعة بثلاث ليال .

وقال الطبرى : مات بِهَرْشَىْ بعد الوقعة بثلاث ليال ، وكان لحماقته الموفرة يقول عند موته : اللهم إنى لم أعمل عملا قطُّ بعد شهادة أن لا إلٰهَ إلا الله أحب إلىّ من قتال أهل المدينة ، ولئن دخلْتُ النار بعدها إنى لشقى ، ثم دعا حصين ابن نمير السكونى وقال له : أمير المؤمنين وَلاَّكَ بعدى ؛ فأسْرِعِ السير ، ولاتؤخر

---

(١) المشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر .

(٢) فى المطبوعات «أبى دغال» تطبيع ، وقبر أبى رغال فى طريق الطائف ، وانظر القاموس (رغل — غ م س) وفى شعر جرير يهجو الفرزدق :

إذا مات الفرزدق فارجموه كما يرمون قبر أبى رغال

ابن الزبير ، وأمره أن يَنصِبَ المجانيق على مكة ، وقال : إن تَعَوَّذُوا بالبيت فارْمِهِ ، وحاصر مكة أربعة وستين يوما جرى فيها قتال شديد ، وقذفت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الأول ، وأخذ رجل قَبَسًا فى رأس رُمْح فطارت به الريح فاحترق البيت ، فجاءهم نعى يزيد بن معاوية إهْلاَلَ ربيع الآخر ، وكان بين الحرة وبين موته ثلاثة أشهر ، وقال القرطبى : دون ثلاثة أشهر ؛ لأنه توفى بالذبحة وذات الجنب فى نصف ربيع الأول ، فلقد ذاب ذَوْبَ الرصاص ، واجترأ أهلُ المدينة وأهلُ الحجاز على أهل الشام ، فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها ، فقال لهم بنو أمية : لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حتى دخلوا الشام

وكانت وقعة الحرة ، وقتل الحسين ، ورمى الكعبة بالمنجنيق من أشْنَع شىء جرى فى أيام يزيد .

وقال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم :

فإن تَقْتُلُونَا يوم حَـرَّةِ وَاقِـمٍ ... فنحنُ على الإسلام أولُ مَنْ قُتِلْ
ونحن قتلنـاكم ببَدْرٍ أذلةً ... وأُبْنَا بأسلاب لنا منكم نَفَلْ
فإن يَنْجُ منها عائذُ البيت سالماً ... فَكلُّ الذى قد نابنا منكم جَلَلْ[1]

يعنى بعائذ البيت عبدَ الله بن الزبير .

وهذه الكائنة غير الإغزاء المذكور فى حديث البيداء ؛ ولهذا روى ابنُ شبة عن أبى المهزم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : يجىء جيش مِنْ قِبَل الشام حتى يدخل المدينة ، فيقتلون المقاتلة ، ويَبْقُرون بطون النساء ، ويقولون : الحبلى فى البطن : اقتلوا صُبَابة الشر ، فإذا عَلَوُا البيداء من ذى الحُلَيفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم ، قال أبو المهزم : فلما جاء جيشُ ابن ذبحة قلنا : هم ، فلم يكونوا هم[2] .

(١) جلل ، هنا : بمعنى يسير سهل ، وهو من الأضداد .
(٢) فى هذا الخبر ألفاظ لم يستقم لى أمرها .

قلت : وقد جاء فى بعض الأخبار بيسان أن ذلك الجيش جيش السفيانى ، يبعثه لقتال المهدى .

وقال يحيى بن سعيد : لم تترك الصلاة فى هذا المسجد منذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أيام : يوم قتل عثمان ، ويوم الحرة ، قال مالك : ونسيت الثالث ، وفى العُتْبية عن مالك أنه بلغه ذلك عن سعيد بن المسيب بمعناه ، قال ابن رشد : واليوم الثالث الذى ذكر مالك أنه نسيه ، قال محمد بن عبد الحكم : هو يوم خرج به أبو حَمْزَة الخارجى، وكان خروجه ـ فيما ذكروا ـ فى دولة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بنى أمية .

مسير أبى حمزة إلى المدينة

قال خليفة بن خياط[1] : سار أبو حمزة فى أول سنة ثلاثين ومائة ، يُرِيدُ المدينةَ ، واستخلف على مكة إبراهيم بن الصباح الحميرى ، وجعل على مُقدّمته فلح بن عقبة السعدى ، وخرج أهل المدينة والتقوا بقُدَيد يوم الخميس لتسع خلون من صفر سنة ثلاثين ومائة ، وفلح فى ثلاثين ألف فارس ، فقال لهم : خَلُّوا طريقنا فنأتى هؤلاء الذين بَغَوْا علينا وجاروا فى الحكم فإنا لا نريد قتالكم ، فأبوا ؛ فقاتلوهم فانهزم أهل المدينة ، وجاءهم أبو حمزة فقال له على بن الحصين : اتبع هؤلاء القوم، وأَثْخِنْ على جريحهم ، فإن لكل زمان حكما ، والإثخان فى مثل هؤلاء أَمْثَلُ ، قال : ما أرى ذلك ، ومضى أبو حمزة إلى المدينة فدخلها يوم الاثنين لثلاث عشر خلت من صفر ، ففى يوم دخوله إياها ـ والله أعلم ـ خُلِّيَ مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من أن يجمع فيه ، وأصيب من قريش يومئذ ثلثمائة رجل ، ومن آل الزبير اثنا عشر رجلا ، فما سمع الناس بَوَاكِيَ أوجع للقلوب من بواكى قُدَيْد ، ما بقى بالمدينة أهل بيت إلا فيهم بكاء ، وقالت نائحة تبكيهم :

ما للزمان وَمَا لِيَهْ ... أفْنَى قديد رِجَالِيَهْ
فلأَبكينَّ سَرِيرَةً ... ولأبكين عَلاَنِيَهْ

---

(١) انظر خبر هذه الوقعة فى تاريخ الطبرى (٩/١٠٦ ط الحسينية) وتاريخ ابن الأثير (٥/١٥٧) والبداية لابن كثير (١٠/٣٥) والنجوم الزاهرة (١/٣١١) .

قلت : وذكر الذهبيُّ عن خليفة بن خياط فى خبر أبى حمزة هذا ما ملخصه : أن عبد الله بن يحيى الأعور الكندى المسمى طالب الحق ـ بعد أن ملك حضرموت وصنعاء ـ بعث إلى مكة أبا حمزة الخارجى الأباضى المذكور ، فخاف عبدُ الواحد ابن سليمان بن عبد الملك ـ وكان والياً على مكةَ والمدينةِ ـ وخذلهُ أهلُ مكة ، ففارقها فى النفر الأول ، وقصد المدينة ، فغلب أبو حمزة على مكة ، ثم سار منها بعد أن استخلف عليها ، فَلَقِيَ بقُدَيد الجيشَ الذى أرسله عبدُ الواحد بن سليمان لقتاله ، فظفر أبو حمزة ، وسار إلى المدينة فدخلها ، وقتل فيها جماعة منهم أربعون رجلا من بنى عبد العزى ، وجهز إليه مروان عسكرا ، فلقِيَ بوادى القرى فلحا ، وهو على مقدمة أبى حمزة ، فاقتتلوا ، فقتل فلح وعامة أصحابه ، ثم أدركوا أبا حمزة بمكة ، فقتلوه فى خلق من أصحابه ، ثم ساروا لطالب الحق فقتلوه ، انتهى ملخصا .

قلت : ويحتمل أنَّ مَا نقل عن الأخباريين فى الخروج من المدينة إنما كان فى هذه الكائنة أو قبل ذلك كله فى كائنة بُسْر [1] بن أرطاة ، فإن القرطبى قال : وذكر أبو عمرو الشيبانى قال : لما وجَّه معاوية رضى الله عنه بسر بن أرطاة لقتل شيعة على رضى الله عنه سار إلى أن أتى المدينة ، فقتل ابنى عبيد الله بن العباس رضى الله عنهما ، وفر أهلُ المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بنى سُلَيم ، ولكنه بعيد ، والأقرب ما قدمناه ، والله أعلم .

الفصل السادس عشر

فى ظهور نار الحجاز التى أنذر بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فظهرت بأرض المدينة وأطفأها الله تعالى عند وصولها إلى حرمها ، كما سنوضحه .

الأحاديث الواردة فى هذه النار

روينا فى مسند أحمد برجال ثقاتٍ عن أبى ذر قال : أقبلنا مع رسول الله صلى

---

(١) فى المطبوعات كلها «بشر بن أرطاة» بالشين المعجمة ـ تطبيع .

الله عليه وسلم ، فرأينا ذا الحليفة ، فتعجَّلَ رجالٌ إلى المدينة ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بتنا معه ، فلما أصبح سأل عنهم ، فقيل : تعجلوا إلى المدينة ، فقال : « تعجَّلُوا إلى المدينة والنساء ، أما إنهم سَيَدَعُونها أحْسَنَ ما كانت » ثم قال : « ليت شعرى متى تخرج نار بأرض اليمن من جبل الوراق تضيء منها أعناقُ الإبل ببُصْرَى بروكا كضوء النهار » ورواه ابن شبة من غير ذكر « بأرض اليمن » ولفظه « ليتركُنها أحْسَنَ ما كانت ، ليت شعرى متى تخرج نار من جبل الوراق تضيء لها أعناق الإبل ببُصْرَى بروكا كضوء النهار » .

وأخرج الطبرانى فى آخر حديث لحذيفة بن أسد : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان ـ أو ركوبة ـ تضيء منها أعناق الإبل ببُصْرَى » .

قلت : وركوبة كما سيأتى : ثنية قريبة من ورقان ، ولعله المراد بجبل الوراق ، قال الحافظ ابن حجر : ورومان لم يذكره البكرى : ولعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة ، ثم نقل عن البكرى أن ركوبة بين المدينة والشام ، وسيأتى رده .

وهذه النار مذكورة فى الصحيحين فى حديث « لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز » ، ولفظ البخارى : « تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى » .

وروى الطبرانى بسند فيه ضعيف عن عاصم بن عدى الأنصارى قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حِدْثَانَ ما قَدِمَ ، فقال : « أين حُبْسُ سيل[1] ؟ » قلنا : لا ندرى ، فمر بى رجل من بنى سُلَيم ، فقلت : من أين جئت ؟ فقال : من حُبْسِ سيل[1] ، فدعوت بنعلى ، فانحدرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، سألتنا عن حبس سيل[1] ، فقلنا : لا علم لنا به ، وإنه

(١) فى المطبوعات كلها كما فى خلاصة الوفا « حبس وسيل » تطبيع ، والصواب بغير واو كما فى مجمع البحار ، ومعجم البلدان ، ونهاية ابن الأثير ، وقع فيما سيأتى (فى ص ١٤٢) على الصواب ، واقرأ الهامشة الآتية فى ص ١٤١ .

مَرّ بى هذا الرجل فسألته فزعم أن به أهله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أين أهلك » ؟ فقال : بحبس سيل [1] ، فقال: «أَخْرِجْ أَهْلَكَ منها ؛ فإنه يُوشِكُ أن تخرج منه نار تضيء أعناق الإبل ببصرى » .

وحديث «يوشك نار تخرج من حبس سيل [1] تسير سَيْرَ بطيئةِ الإبل ، تسير النهار وتقيم الليل » الحديث أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية رافع بن بشير السلمى عن أبيه . قال الحافظ الهيثمى : رواه أحمد والطبرانى ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير رافع ، وهو ثقة ، انتهى .

وفى مسند الفردوس عن عمر حديث «لا تقوم الساعة حتى يسيل وادٍ من أودية الحجاز بالنار يضيء له أعناق الإبل ببصرى » وأخرجه ابن عدىّ فى كامله من طريق عمر بن سعيد التنوخى عن ابن شهاب عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رفعه ، وعمر بن سعيد ذكرهُ ابن حبان فى الثقات، وكتبه ابن عدى والدارقطنى .

وقد ظهرت هذه النار بالمدينة الشريفة كما سنبينه ، ولا إشكال فى كون المدينة حجازية ، وأما كونها يمانية فقد نص عليه الشافعى . قال البيهقى فى المعرفة : قال الشافعى : ومكة والمدينة يمانيتان . قلت : وقد ذكر الشافعى فى الأم حديث « أتاكم أهلُ اليمن هم ألْيَنُ قلوبا » الحديثَ ، ثم روى « أن النبى صلى الله عليه وسلم وقف على ثنية تَبُوك فقال : ما ههنا شام ، وأشار بيده إلى جهة الشام ، وما ههنا يَمَنٌ ، وأشار بيده إلى جهة المدينة » هكذا نقلته من الأم بهذا اللفظ ، وهو فى مسند الشافعى بلفظ « ماههنا شام ، وأشار بيده إلى الشام ، ومن هُهُنَا يمن ، وأشار بيده إلى جهة المدينة » قال ابن الأثير فى شرحه : الغرض منه بيانُ حد الشام واليمن ، وقد جعل المدينة من اليمن ، اهـ . والعجب أن النووى قال فى فتاويه :

بيان أن المدينة يمانية كما أنها حجازية

(١) فى المطبوعات «حبس وسيل» والصواب « حبس سيل » بغير واو ، قال ياقوت : قال الزمخشرى : الحبس ـ بالضم ـ جبل لبنى قرة ، وقال غيره : الحبس بين حرة بنى سليم والسوارقية ، وفى حديث عبدالله بن حبشى : تخرج نار من حبش سيل ، قال أبو الفتح نصر : حبس سيل ـ ورواه بالفتح ـ إحدى حرتى بنى سليم ، وهما حرتان بينهما فضاء كلتاهما أقل من ميلين ، اهـ . وانظر أيضا النهاية لابن الأثير (١/١٩٦).

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست يمانية ولاشامية ، بل هى حجازية ، قال : وهذا لا خلاف فيه بين العلماء ، وكأنه لم يقف على هذا

وأما حبس سيل فقد قيل : إن حبس — بالضم ثم السكون — بين حرة بنى سليم والسوارقية ، وقد كان إقبال هذه النار من المشرق فى جهة طريق السوارقية كما سيأتى ، وقال نصر : حبس سيل — بالفتح — إحدى حرتى بنى سليم . قلت : وأهل المدينة اليوم يسمون السد الآتى وصفهُ فيما أحدثته هذه النار بالحبس . وفى كلام ياقوت ما يقتضى أنه كان يسمى بالسد قبل هذه النار ؛ فإنه لم يُدْرِكها ، ومع ذلك قال : إن أعْلَى وادى قناة عند السد يسمى بالشظَاة ، اھ .

وظهور النار المذكورة بالمدينة الشريفة قد اشتهر اشتهارا بلغ حد التواتر عند أهل الأخبار ، وكان ظهورها لإنذار العباد بما حدث بعدها ؛ فلهذا ظهرت على قرب مرحلة من بلد النذير صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدمها زلازل مهولة ، وقد قال تعالى: « وما نُرْسِلُ بالآيات إلاتخويفا[1] » وقال تعالى : « ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون[2] » ولما ظهرت النار العظيمة الآتى وصفها ، وأشفق منها أهل المدينة غاية الإشفاق ، والتجؤا إلى نبيهم المبعوث بالرحمة ، صُرِفَتْ عنهم ذاتَ الشمال ، وزاحت عنهم الأوجال ، وظهرت بركة تربته صلى الله عليه وسلم فى أمته ، ولعل الحكمة فى تخصيصها بهذا المحل — مع ما قدمناه من كونه حضرة النذير — الرَّحمةلهذه الأمة فإنها لو ظهرت بغيره وسلطان القهر والعظمة التى هى من آثاره قائم لربما استولَتْ على ذلك القطر ولم تجد صارفا ؛ فيعظم ضررها على الأمة ، فظهرت بهذا المحل الشريف لحكمة الإنذار ، فإذا تمت قابلتها الرحمة فجعلتها بَرْداً وسلاما ، إلى غير ذلك من الأسرار

ابتداء الزلزلة التى حدثت بالمدينة

وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مُسْتَهَلَّ جُمَادى الآخرة أوآخر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة ، لكنها كانت خفيفة لم يدركها بعضهم مع تكررها بعد ذلك ، واشتدت فى يوم الثلاثاء على ما حكاه القطب القسطلانى ،

(١) من سورة الإسراء من الآية ٥٩ (٢) من سورة الزمر منالآية ١٦.

وظهرت ظهورا عظيما اشترك فى إدراكه العامُّ والخاصُّ ، ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه فى الثلث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها ، وانزعجت القلوب لهيبتها ، واستمرت تزلزل بقية الليل ، واستمرت إلى يوم الجمعة ولها دويٌّ أعظم من الرعد ، فتَمُوجُ الأرض ، وتتحرك الجدارات ، حتى وقع فى يوم واحد دون ليلِهِ ثمانية عشر حركة على ما حكاه القسطلانى

وقال القرطبى : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدوُّها زلزلة عظيمة فى ليلة الأربعاء بعد العَتَمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، واستمرت إلى ضُحى النهار يوم الجمعة فسكنت ، وظهرت بقريظه بطرف الحوة ، ترى فى صفة البلد العظيم ، عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومواذن ، وترى رجال يقودونها ، لا تمر على جبل إلا دكَّته وأذابته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دويّ كدويّ الرعد ، يأخذ الصخور بين يديه ، وينتهى إلى محط الركْبِ العراقى ، واجتمع من ذلك رَدْم صار كالجبل العظيم ، فانتهت النار إلى قرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتى المدينةَ نسيمٌ بارد ، وشوهد لهذه النار غَلَيان كغَلَيَان البحر ، وقال لى بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام ، وسمعت أنها رُؤيت من مكة ومن جبال بُصْرَى ، اهـ .

وقال النووى : تواتر العلمُ بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام

ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضى المدينة الشريفة وغيره أن فى ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة فى الثلث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها وباتت فى تلك الليلة تزلزل ، ثم استمرت تزلزل كل يوم وليلة مقدار عشر مرات — وفى كتاب بعضهم أربَعَ عشرةَ[1] مرة — قال : والله لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر إلى أن سمعنا منه صوتا للحديد الذى فيه ، واضطربت قناديل الحرم الشريف ، زاد القاشانى : ثم فى اليوم الثالث — وهو يوم الجمعة — زلزت الأرض زلزلة عظيمة ، إلى أن اضطربت منام

(١) فى الأصل «أربعة عشر مرة» والعربية تقتضى ما أثبتناه .

المسجد ، وسمع لسقف المسجد صرير[١] عظيم ، قال القطب : فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار ، فثار من محل ظهورها فى الجودُخانٌ متراكم غشى الأفُقَ سواده ، فلما تراكمت الظلمات وأقبل الليل سطَع شعاعُ النار، فظهرت مثل المدينة العظيمة فى جهة المشرق ، والحكمة فى ظهورها فى يوم الجمعة غير خافية ، ففى الحديث « من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على » الحديث ، وفى الحديث أيضاً « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه أهبط ، وفيه تِيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة ، وما من دابة إلا وهى مُصِيخة[٢] حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة ، إلا الجن والإنس ، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه » رواه أبو داود ، وهو اليوم الذى أدخره الله لهذه الأمة ، وأكمل فيه دينهم ؛ فأراد الله أن يخوف عباده فيه بذلك ليردهم إليه ، فتلك النار نعمة فى صورة نقمة ، ولهذا وجِلَت[٣] منها القلوب وأشفقت ، وأيقن الناس أن العذاب قد أحاط بهم . قال القاضى سنان : وطلعت إلى الأمير ـ وكان عز الدين منيف بن شيحة ـ وقلتُ له: قد أحاط بنا العذاب ، ارْجِعْ إلى الله ، فأعْتَقَ كلَّ مماليكه ، وردَّ على الناس مظالمهم ـ زاد القاشانى : وأبطل المكس ـ ثم هبط الأمير للنبى صلى الله عليه وسلم، وبات فى المسجد ليلة الجمعة وليلة السبت ، ومعه جميعُ أهل المدينة حتى النساء والصغار ، ولم يبق أحد فى النخل إلا جاء إلى الحرم الشريف ، وبات الناس يتضرعون ويبكون ، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤسَهم مُقِرِّين بذنوبهم مبتهلين مستجيرين بنبيهم صلى الله عليه وسلم . قال القطب : ولما عاين أميرُ المدينة ذلك أقلع عن المخالفة ، واعتبر ، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر ، وأظهر التوبة والإنابة ، وأعتق جميع مماليكه ، وشرع فى رد المظالم ، وعزم أهلُ المدينة

(١) الصرير : الصوت (٢) مصيخة : منصتة .
(٣) وجلت القلوب توجل : خافت أشد الخوف .

على الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار ، وفَزِعُوا إلى التضرع والاستغفار ، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهم الشريف سنان وأعيان البلد ، والتجؤا إلى الحجرة الشريفة ، و باتوا بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى النساء والأطفال ؛ فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال ، ونجوا من الأوجال ، فسارت تلك النار من مَخْرَجها وسالت ببحر عظيم من النار ، وأخذت فى وادى أُحَيْلَيِين وأهلُ المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ، ومالت من مخرجها إلى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون .

مدة النار

وذكر القطب القسطلانى[1] فى كتابٍ أفرده لهذه النار ، وهو ممن أدركها ، لكنه كان بمكة فلم يشاهدها : أن ابتداءها يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة ، وأنها دامت إلى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب ، ثم خمدت ، فجملة ما أقامت اثنان وخمسون يوماً ، لكنه ذكر بعد ذلك أنها أقامت منطفية أياماً ، ثم ظهرت ، قال : وهى كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى ؛ فهى لا يؤمن عَوْدُها ، و إن طفىء وقودها ، انتهى ؛ فكأن ما ذكره المؤرخون من المدة باعتبار انقطاعها بالكلية ، وطالت مدتها ليشتهر أمرها فينزجر بها عامة الخلق و يشهدوا من عظمها عنوان النار التى أنذرهم بها حبيب الحق .

قوة النار

وذكر القسطلانى[1] عمن يثق به أن أمير المدينة أرسل عدة من الفرسان إلى هذه النار للاتيان بخبرها ، فلم تجسر الخيل على القرب منها ، فترجَّلَ أصحابُها وقربوا منها ، فذكروا أنها ترمى بشَرَرٍ كالقَصْر ، ولم يظفروا بجلية أمرها ، فجرد عزمه للاحاطة بخبرها ، فذكر أنه وصَل منها إلى قدر غَلْوتين بالحجر ولم يستطع

(١) من نافلة القول أن ننبه هنا إلى أن قطب الدين القسطلانى الذى ينقل عنه المؤلف غير شهاب الدين القسطلانى شارح البخارى ؛ فإن شارح البخارى متأخر عن المؤلف ؛ إذ وفاة شارح البخارى فى سنة ٩٢٣ — ويقال : ٩٢٢ من الهجرة — وذلك بعد وفاة السمهودى بأحد عشر ، أو — اثنى عشر — عاما ، ثم إن النار كانت فى سنة ٦٥٤ ، والقسطلانى المنقول عنه قد أدركها ، والمؤلف يصرح فى غير موضع بذلك .

أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من اللهب ، فعاين ناراً كالجبال الراسيات ، والتلال المجتمعة السائرات ، تقذف بزَبَد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج ، وعَقَد لهيبُهَا فى الأفق قَتَاما حتى ظن الظان أن الشمس والقمر كسفا إذ سُلبا بهجةَ الإشراق فى الآفاق ، ولولا كفاية الله كَفَّتْها لأكلت ما تَقَدم عليه من الحيوان والنبات والحجر ، انتهى .

وذكر الجمال المطرى ما يخالف بعض هذا ؛ فإنه قال : أخبرنى علم الدين سنجر العِزِّىُّ من عتقاء الأمير عزالدين منيف بن شيحة صاحب المدينة قال : أرسلنى مولاى الأمير عز الدين بعد ظهور النار بأيام ، ومعى شخص من العرب ، وقال لنا ونحن فارسان : أقربا من هذه النار ، وانظرا هل يقدر أحد على القرب منها ، فإن الناس يهابونها لعظمها ، فخرجت أنا وصاحبى إلى أن قربنا منها ؛ فلم نجد لها حراً ، فنزلت عن فرسى ، وسرت إلى أن وصلت إليها ، وهى تأكل الصخر والحجر ، فأخذت سهماً من كنانتى ، ومددت به يدى إلى أن وصَل النصلُ إليها فلم أجد لذلك ألماً ولا حراً ، فعَرِق النصل ولم يحترق العود ، فأدَرْتُ السهمَ وأدخلت فيها الريش فاحترق الريش ولم يؤثر فى العود .

وذكر المطرى قبل ذلك أنها كانت تأكل كلَّ ما مرت عليه من جبل وحجر ، ولا تأكل الشجر ، قال : وظهر لى فى معنى ذلك أنه لتحريم النبى صلى الله عليه وسلم شَجَرَ المدينة ؛ فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته صلى الله عليه وسلم على كل مخلوق .

قلت : وذكر القسطلانى أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادى الشَّظَاة ، وهى تَسْحَقُ ماوَالَاها[1] ، وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصى من قوة اللظى ، وأن طرفها الشرقى أخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت ، وأن طرفها الشامى — وهو الذى يلى الحرم — اتصل بجبل يقال له وعيرة

(١) والاها : دنا منها ، وفى المطبوعات « ماوالها » تطبيع .

على قرب من شرقى جبل أحد ، ومَضَتْ فى الشَّظَاة الذى فى طرفه وادى حمزة رضى الله عنه ، ثم استمرت حتى استقرت تُجَاه حرم النبى صلى الله عليه وسلم فطفئت ، قال : وأخبرنى شخص أعتمد عليه أنه عاين حجراً ضخماً من حجارة الحرة كان بعضُه خارجاً عن حد الحرم ، فعلقت بما خرج منه ، فلما وصلت إلى ما دخل منه فى الحرم طفئت وخمدت ، انتهى .

وهذا أولى بالاعتماد من كلام المطرى ؛ لأن المطرى لم يدرك هذه النار وإن أدْرَكَ مَنْ أدركها ، بخلاف القطب فإنه أدركها ، واعتنى بجمع أخبارها ،وأفردها بالتصنيف ، ولم يقف عليه المطرى ، وهذا أبلغ فى الإعجاز ، حيث لم تدخل هذه النار حرمه الشريف ؛ إذ هى للانذار والتخويف وهو نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم .

ضوء النار

وقد نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضى سنان الحسينى أن سيل النار انحدر مع وادى الشَّظَاة حتى حاذى جبل أحد ، وكادت النار تقارب حرة العريض وخاف الناس منها خوفا عظيما ، ثم سكن قتِيرُها الذى يلى المدينة ، وطفئت مما يلى العريض بقدرة الله تعالى ، فرجعت تسير فى الشرق ، وهو مؤيد لما ذكره القطب ، ومشاهدة آثارها اليوم تقضى بذلك .

قال المطرى : وأخبرنى بعض من أدركها من النساء أنهن كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطحة البيوت بالمدينة الشريفة .

وقال القسطلانى : إن ضوءها استوى على ما بَطَن من القيعان[1] ، وظهر من القلاع ، حتى كأن الحرم النبوى عليه الشمس مشرقة ، وجملة أماكن المدينة بأنوارها محدقة ، ودام على ذلك لهبها حتى تأثر له النيّران ، وصار نور الشمس على الأرض تعتريه صُفْرة ، ولونها من تصاعد الالتهاب يعتريه حمرة ، والقمر كأنه قد كسف من اضمحلال نوره ، قال : وأخبرنى جمع ممن توجه للزيارة على طريق

---

(١) القيعان : جمع قاع ، وهو أرض سهلة مطمئنة .

المشيان أنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمجدّ ، وآخرون أنهم شاهدوها من جبال ساية .

قلت : نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضى المدينة أن هذه النار رؤيت من مكة ومن الفَلَاة جميعها ، ورآها أهل ينبع .

قال أبو شامة : وأخبرنى بعضُ مَنْ أثق به ممن شاهدها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتيماء على ضوئها الكتب .

وقال المجد : والشمس والقمر فى المدة التى ظهرت بها ما يطلعان إلا كاسفين .

قال أبو شامة : وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان ، وكنا حَيَارَى من سبب ذلك ، إلى أن بلغنا الخبرُ عن هذه النار ، وكل من ذكر هذه النار يقول فى آخر كلامه : وعجائب هذه النار وعظمتها يَكِلُّ عن وصفها البنان والأقلام[1] ، وتجل عن أن يحيط بشرحها البيان والكلام ؛ فظهر بظهورها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لوقوع ما أخبر به وهى هذه النار ؛ إذ لم تظهر من زمنه صلى الله عليه وسلم قبلها ولا بعدها نار مثلها .

هل رؤيت النار ببصرى

وقال القسطلانى : إنْ جاء مَنْ أخبر برؤيتها ببُصرى فلا كلام ، وإلا فيحتمل أن يكون ذكر ذلك فى الحديث على وجه المبالغة فى ظهورها ، وأنها بحيث تُرَى ، وقد جاء مَنْ أخبر أنه أبصرها بتَيماء ، وبصرى منها مثل ما هى من المدينة فى البعد .

قلت : قد تقدم عن القرطبى أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرى ، وصرح الشيخ عماد الدين بن كثير بما يقتضى أنه أضاءت من هذه النار أعناقُ الإبلِ ببصرى ، فقال : أخبرنى قاضى القضاة صدرُ الدين الحنفى قال : أخبرنى والدى الشيخُ صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غيرُ واحد من الأعراب

(١) يكل : يضعف ويعجز .

صبيحةَ الليلة التى ظهرت فيها هـذه النار ممن كان يحاضره ببلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم فى ضـوء تلك النار ، فقد تحقق بذلك أنها الموعودُ بها ، والحكمة فى إنارتها بالأماكن البعيدة من هذا المظهر الشريف حصولُ الإنذار ، ليتم به الانزجار ، كما اتفق لأهل المدينة ، وفى هذا المعنى يقول قائلهم :

يا كاشفَ الضُّرِّ صَفْحًا عن جرائمنا	لقد أحاطت بنا يا ربِّ بأساء
نشكو إليك خطوبًا لا نُطيق لها	حَمْـلًا ونحن بها حقا أحِقَّاء(١)
زلازلاً تخشع الصُّمُّ الصِّلابُ لها	وكيف تَقْوَى على الزلزال شَمَّاء(٢)
أقام سبعا يرجُّ الأرضَ فانصدعت	عن منظر منه عينُ الشمس عَشْوَاء
بحرٌ من النار تجرى فوقه سُفُن	من الهضاب لها فى الأرض إرساء
ترمى لها شَرَرا كالقَصْر طائشة	كأنها ديمـةٌ تنصَبُّ هَطْلَاء
تنشقُّ منها بيوتُ الصخر إن زَفَرَت	رُعْبًا ، وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثفَ فى الجو الدخانُ إلى	أن عادَتِ الشمسُ منه وهى دَهْمَاء
قد أثرت سعفة فى البدر لفحتها	فليلة التم بعد النور عمياء
تحدثتِ النيراتِ السبعَ ألسنُها	بما تلاقى بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج إلى	أن صار يلفحها بالأرض أهواء
فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت	منا الذنوب وساء القلبَ أسواء
فاسْمَحْ وهَبْ وتفضلْ بالرضى كرما	وارحم فكلٌّ لفرط الجهل خَطَّاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف التـ	ـعذيب عنهم وعَمَّ القوم نعماء
ونحن أمة هذا المصطفى ، ولنا	منه إلى عفوك المرجو دَعَّاء
هذا الرسول الذى لولاه ما سلكت	محجة فى سبيل الله بيضاء
فارحم وصَلِّ على المختار ما خطبت	على علا منبر الأوراق وَرْقَاء

(١) أحقاء : جمع حقيق ، ومعناه مستحق

(٢) شماء : أراد الجبال .

مبدأ ظهور النار

قال المؤرخون : وكان ظهورهذه النار من صدر وادٍ يقال له وادى الأحيليين وقال البدر ابن فرحون : إنها سالت فىوادى أحيليين ، وموضعها شرقى المدينةعلى طريق السوارقية مسيرة من الصبح إلى الظهر .

قال القطب القسطلانى : ظهرت فى جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة فى موضع يقال له قارع الهيلاء على قرب من مساكن قريظة شرقى قباء ، فهى بين قريظة وموضع يقال له أحيليين ، فثارت منهذا القاع ، ثم امتدت فيه آخذةً فى الشرق إلى قريب من أحيليين ، ثم عرجت واستقبلت الشام سائلة إلىأن وصلت إلى موضع يقال له قُرين الأرنب بقرب منأحُدٍ ، فوقفت وانطفت وانصرفت ، انتهى .

من فوائد هذه النار

قال المؤرخون : واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال، وتسيل سيلا ذَريعاً فى وادٍ يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف ، وهى تجرى على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الآنُكِ[1] ، فإذا خمد اسودَّ بعدأن كان أحمر ، ولم يزل يجتمع من هذه الحجارة المُذَابة فى آخر الوادى عند منتهى الحرة حتى قطعت فى وسط وادى الشَّظَاة إلى جهة جبل وَعِيرة ، فسدَّت الوادىَ المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار ولا كسد ذى القرنين ، يعجز عن وصــفه الواصف ، ولا مَسْلَكَ لإنسان فيه ولا دابة .

قلت : وهذا من فوائد إرسال هذه النار ؛ فإن تلك الجهة كثيراً ما يطرق منها المفســدون لـكثرة الأعراب بها ؛ فصار الســلوك إلى المدينة متعسراً عليهم جداً .

قال القسطلانى : أخبرنى جمع ممن أركَنُ إلى قولهم أن النار تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية .

---

(١) الآنك ــ بمد الهمزة وضم النون ــ الرصاص ، وهو مفرد وليس بجمع

قال المؤرخون : وانقطع وادى الشظاة بسبب ذلك ، وصار السيل إذا سال ينحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحراً مَدَّ البصر عرضاً وطولا[١] ، فانخرق من تحته فى سنة تسعين وستمائة لتكاثر الماء من خلفه ، فجرى فى الوادى المذكور سنتين كاملتين ، أما السنة الأولى فكان قد ملأ ما بين جانبي الوادى ، وأما الثانية فدون ذلك ، ثم انخرق مرة أخرى فى العشر الأول بعد السبعمائة فجرى سنة كاملة أو أزيد ، ثم انخرق فى سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وكان ذلك بعد تواتر أمطار عظيمة فى الحجاز ، فكثر الماء وعلا من جانبي السد ومن دونه مما يلى جبل وَعِيرة وتلك النواحى ، فجاء سيلٌ طامٍ لا يوصف ، ولو زاد مقدار ذراع فى الارتفاع وصل إلى المدينة ، وكان أهل المدينة يقفون خارج باب البقيع على التل الذى هناك فيشاهدونه و يسمعون خَريراً تَوْجَل القلوب دونه ، فسبحان القادر على ما يشاء !.

النذر الحادثة فى عام النار والذى يليه

ومن العجائب أن فى السنة التى ظهرت فيها هذه النار احترق المسجد الشريف النبوى[٢] بعد انطفائها كما سيأتى ، وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير ، وكان ذلك إنذاراً لهم ، وليتهم اتَّعَظُوا .

ثم فى أول السنة التى تلى هذه السنة وقعت الطامة الكبرى ، وهى أخذ التتار لبغداد وقتلُ الخليفة المستعصم و بعده المسلمون ، و بذل السيف ببغداد نيفاً وثلاثين يوما ، وأخرجت الكتب فألقيت تحت أرجل الدواب ، وشوهد بالمدرسة المستنصرية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللَّبِن[٣] ، وخَلَتْ بغداد من أهلها ، واستولى عليها الحريق عَلَى ماذكره سعيد الذهلى ، واحترقت دار الخلافة ، وعم الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة ، وشوهد على بعض حيطانٍ منها مكتوب :

---

(١) وهو اليوم غدير يسمى بالعاقول (مكى) .

(٢) هذا هو الحريق الأول

(٣) اللبن — بفتح اللام وكسر الباء — الطوب النيىء .

إن تُرِدْ عِبْرة فهذى بنو العباس دارت عليهمُ الدائراتُ
اسْتُبِيحَ الحريمِ إذ قتل الأحياء منهم وأحْرِقَ الأمواتُ

ثم كثر الموت والفناء ببغداد، وطوى بساط الخلافة منها من ذلك الزمان، فلله الخلق والأمر!.

وقد نظم بعضهم خروج هذه النار وغرق بغداد، وأصلحه أبو شامة منبها على أن الأمرين فى سنة بقوله:

سبحان من أصبحَتْ مشيئتُه جاريةً فى الورى بمقدار
فى سنةٍ أغرق العِرَاقُ، وقد أحرق أرضُ الحجاز بالنار

بعض ما يناسب هذه النار

قال المجد: ومما يناسب هذه النار ويُضاهيها ماحكاه ابن جُبَير أنه رأى مَنْ أخبره أن فى بحر رومية جزيرتين يخرج منهما النار دائماً، قال: وأبصرنا الدخان صاعدا منهما، وتظهر بالليل نار حمراء ذات ألسُن تصعد فى الجو، قال: وأعلمنا أن خروجها من جبلين يصعد منهما نَفَس نارى شديد، وربما قذف فيها الحجر فتُلقى به مسوداً إلى الهواء بقوة ذلك النفَس، وتمنعه من الانتهاء إلى القعر، قال: وأما الجبل الشامخ الذى بالجزيرة المعروف بجبل النار فشأنه أيضاً عجيب، وذلك أن ناراً تخرج منه فى بعض السنين كالسيل العَرِم؛ فلا تمر بشىء إلا أحرقته، حتى تنتهى إلى البحر فتركب ثَبَجَه[1] طائرةً على صفحته حتى تغوص فيه.

شأن خالد بن سنان العبسى

قلت: وأقرب من ذلك فى مناسبة هذه النار ماذكره ابن شبة فى أخبار المدينة — عند ذكر خالد بن سنان العبسى الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم لما جاءته بنته «هذه ابنة نبىّ ضيعهُ قومه» — فروى ابن شبة فى خبره من طرق ماملخصه أنه كان بأرض الحجاز نار يقال لها نار الحدثان (حرة بأرض بنى عبس) تَعْشَى الإبل[2] بضوئها من مسيرة ثمانى ليال، وربما خرج منها العنق فذهب فى الأرض

---

(١) ثبج البحر — بفتح الثاء والباء جميعا — معظمه، وأراد موجه
(٢) تعشى: مضارع من العشا، وهو ضعف البصر

فلا يُبقِي شيئاً إلا أكله ، ثم يرجع حتى يعود إلى مكانه ، وإن الله تعالى أرسل إليها خالد بن سنان ، فقال لقومه : يا قوم ، إن الله أمرني أن أطفىء هذه النار التى قد أضرت بكم فَلْيَقُم معى من كل بطن رجلٌ ، فخرج بهم حتى انتهى إلى النار فخطَّ عليهم خطا ثم قال : إياكم أن يخرج أحد منكم من هــذا الخط فيحترق ، ولا ينوهن باسمى فأهلك ، وجعل يضرب النار ويقول: بَدًّا بَدًّا[1] كل هدى لله مودًّا ، حتى عادت من حيث جاءت ، وخرج يتبعها حتى ألجأها فى بئر فى وسط الحرة منها تخرج النار ، فانحدر فيها خالد . وفى درة الغواص : فإذا هو بكلاب تحتها فرضَّهُنَّ بالحجارة ، وضرب النار حتى أطفأها الله على يده ، ومعهم ابن عم له ، فجعل يقول : هلك خالد ، فخرج وعليه بردان ينطفان[2] من العرق وهو يقول : كذب ابنُ راعية المِعْزَى لأخرجَنَّ منها وثيابى تَنْدَى ، فسموا بنى ذلك الرجل « بنى راعية المعزى » إلى اليوم ، وفى رواية أن قومه سالت عليهم نار من حرة النار فى ناحية خيبر ، والناسُ فى وسطها ، وهى تأتى من ناحيتين جميعاً ، فخافها الناسُ خوفا شديدا . وفى رواية : وهى تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع ، فقال لهم خالد بن سنان : ابعثوا معى إنسانا حتى أطفئها من أصلها ، فخرج معه راعى غنم ، وهو ابن راعية ، حتى جاء غارا تخرج منه النار . وفى رواية : أنها كانت تخرج من بئر ، ثم قال خالد للراعى : أمسك ثوبى ، ثم دخل فى الغار ، وفى رواية : أنه انطلق فى ناس من قومه حتى أتوها ، وقال لهم : إن أبطأت عنكم فلا تَدْعُونى باسمى ، فخرجَتْ كأنها خيل شُقْر يتبع بعضها بعضاً ، فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعَصَاه ويقول : هديا هديا[3] ، كل نهب مودى ، زعم ابن راعية المعزى ، أنى لا أخرج منها وثيابى تَنْدَى ، حتى دخل معها الشعب ، فأبطأ عليهم ، فقال بعضهم : لو كان حيا لخرج إليكم ، فقالوا : إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه ، قال :

---

(١) بدا بدا : مصدر يراد به الأمر ، أى تبددى وتفرقى

(٢) ينطفان : يسيلان ماء ، وهو العرق (٣) كذا ، ولعله « هدا هدا »

ادعوه باسمه ، فوالله لو كان حياً لخرج إليكم بعـد ، فَدَعَوْه باسمه ، فخرج وهو آخذ برأسه ؛ فقال : ألم أَنْهَـكُمْ أن تدعونى باسمى ؟ قد والله قتلتمونى ، احملونى وادفنونى ، فإذا مرت بكم حُمُر معها حمار أبتر ، وفى رواية فإذا دفنتمونى وأتى علىّ ثلاثة أيام فأتوا قبرى ، فإذا عرضت لكم عانة[1] من حُمُر وحش و بين يديها عَيْر فانبشونى فإنى أقوم فأخبركم ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فأتوا القبر بعد ثلاث وسَنَحَت لهم الحمر ، فأرادوا نبشه ، فمنعهم قوم من أهل بيته ، وقالوا : لا نَدَعُـكم تَنْبِشُون صاحبنا فنعير بذلك ، وفى رواية : فيكون سبة علينا ، فتركوه .

وفى رواية لابن القعقاع بن خليد العبسى عن أبيه عن جده ، قال : بعث الله خالد بن سنان نبياً إلى بنى عبس ، فدعاهم فكذبوه ، فقال قيس بن زهير : إن دعوت فأسيل علينا هـذه الحرة ناراً اتبعناك ؛ فإنك إنما تخوفنا بالنار ، و إن لم تَسِلْ نارا كذبناك ، قال : فذلك بينى و بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فتوضأ ثم قال: اللهم إن قومى كَذَّبونى ولم يؤمنوا برسالتى إلا أن تسيل عليهم هذه الحرة ناراً ، فأسِلْها عليهم ناراً ، قال : فطلع مثلُ رأس الحريش[2] ، ثم عظمت حتى عرضت أكثر من ميل ، فسالت عليهم ، فقالوا : ياخالد أرْدُدْها فإنا مؤمنون بك ، فتناول عَصاً ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها فضربها بالعصا ، فلم يزل يضربها حتى رجعت ، قال : فرأيتنا نعشى الإبل على ضوء نارها ضلعاً الربذة[3] و بين ذلك ثلاث ليال .

قف على كرامة لتميم الدارى

وروى له ابن شبة أخبارا أخرى مع قومه ، وروى البيهقى فى دلائل النبوة فى باب « ماجاء فى الكرامة التى ظهرت على تميم الدارى شرفا المصطفى صلى الله عليه وسلم وتَنْويهاً باسم مَنْ آمن به» عن معاوية بن حرمل ، وذكر خبرا فى قدومه

---

(١) العانة : الجماعة من حمر الوحش ، والعير ــ بفتح العين ــ الحمار

(٢) الحريش ــ بفتح الحاء ــ دويبة قدر الإصبع بأرجل كثيرة ، وهى التى يسميها العامة « أم أربعة وأربعين » (٣) لم تستقم لى هذه العبارة

المدينة ، وقول عمر له : اذهب إلى خير المؤمنين فانزل عليه ، ثم قال : فبينا نحن ذات يوم إذ خرجت نار بالحَـرَّة ، فجاء عمر رضى الله عنـه إلى تميم الدارى رضى الله عنه ، فقال : قم إلى هذه النار ، فقال : يا أمير المؤمنين ومَنْ أنا ؟ وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قام معه ، قال : وتبعتهما فانطلقا إلى النـار ، فجعل تميم يَحُوشها[١] بيده حتى دخلت الشعب ، ودخل تميم خلفها ، فجعل عمر يقول : ليس مَنْ رأى كمن لم يرَ ، قالها ثلاثا ، والله أعلم .

---

(١) يحوشها : أصله قولهم « حاش فلان الصيد يحوشه حوشاً » إذا جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة ، وقولهم « حاش فلان الإبل » إذا جمعها وساقها

الباب الثالث

في أخبار سكانها في سالف الزمان ، ومَقْدَمه صلى الله عليه وسلم إليها ، وما كان من أمره بها في سِنِينِ الهجرة[1] ، وفيه اثنا عشر فصلا

الفصل الأول

في سكانها بعد الطوفان ، وما ذكر في سبب نزول اليهود بها ، و بيان منازلهم

أسند الكلبي عن ابن عباس أن مخرج الناس من السفينة نزلوا طرف بابل ، وكانوا ثمانين نفساً ، فسمى الموضع سوق الثمانين ، قال : وطولُ بابلَ مسيرة عشرة أيام واثنى عشر فرسخا ، فمكثوا بها حتى كثروا ، وصار ملكهم نمروذ بن كنعان ابن حام ، فلما كفروا بُلْبِلُوا ، فتفرقت ألسنتهم على اثنين وسبعين لسانا ، ففهَّمَ الله العربيةَ منهم عمليق وطَسْم ابنى لوذا بن سام ، وعادا وعبيل ابنى عوص ابن أرم بن سام ، وثمود وجديس ابنى جاثر بن أرم بن سام ، وقنطور بن عابر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فنزلت عبيل يثرب ، و يثرب اسم ابن عبيل ، ثم أخرجوا منها فنزلوا الْجُحْفَةَ ، فجاءهم سيل أجحفهم فيه ، فلهذا سميت جُحْفة ، فرثاهم رجل منهم فقال[2] :

نزول عبيل يثرب

عينُ جودى على عبيل وهل يرجع من فات بيضها بالسجام ؟

عَمَرُوا يثربا وليس بها شفر ولا صارخ ولا ذو سنام

غرسوا لِينَهَا بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام

أول من سكن يثرب

وقال أبو القاسم الزجاجي : أول من سكن المدينة عند التفرق يثرب بن قاينة[3] ابن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام ، و به سميت يثرب ، و روى عن ابن عباس ما يدل له .

---

(١) كذا ، والعربية الفصحى أن يقال «في سنى الهجرة» ولكن ما بالأصل لغة

(٢) أتممنا ميل هذه الأبيات بعد أن كانت محرفة وناقصة في الأصول

(٣) في ياقوت « قانية »

سكنى العماليق المدينة

وقال ياقوت : كان أول من زرع بالمدينة ، واتخذ بها النخل ، وعَمَر بها الدور والآطام ، واتخذ بها الضياع ، العماليقُ ، وهم بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام ابن نوح ، وكانت العماليق ممن انبسط فى البلاد ، فأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز كله إلى الشام ومصر ، وجبابرةُ الشام وفراعنةُ مصر منهم ، وكان منهم بالبحرين وعمان أمة يسمون جاسم ، وكان ساكن المدينة منهم بنوهف[١] و بنومطرويل ، وكان ملكهم بالحجاز الأرقم بن أبى الأرقم .

وأسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم أن ضَبُعا رؤيت وأولادها رابضةً فى حِجَاجِ عَينِ رجلٍ من العماليق — والحِجَاجُ ، بكسر أوله وفتحه : العَظْمُ الذى ينبت عليه الحاجِبُ — قال زيد بن أسلم : وكان تمضى أربعمائة سنة ومايُسْمَعُ بجنازة .

قوم من اليهود ينزلون المدينة

وأسند رزين عن أبى المنذر[٢] الشرقى قال : سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيد الله بن حنظلة الغسيل ، قال : وسمعت أيضاً بعض ذلك مّن رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عبدالله بن عمار بن ياسر[٣] ، قال : فجمعت حديثهما لكثرة اتفاقه وقلة اختلافه ، قالا : بلغنا أنه لما حجَّ موسى صلوات الله عليه حج معه أناس من بنى إسرائيل ، فلما كان فى انصرافهم أتوا على المدينة ، فرأوا موضعَها صفة بلد نبى يجدون وصفه فى التوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتورَتْ طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا فى موضع سوق بنى قَيْنُقاع ، ثم تألفت إليهم أناس من العرب فرجعوا على دينهم ، فكانوا أول من سكن موضع المدينة .

وذكر بعض أهل التواريخ أن قوما من العمالقة سكنوه قبلهم ، قلت : وهو الأرجح .

---

(١) عبارة ياقوت ٤٢٧/٧ : « وكان ساكنو المدينة منهم بنو هفان وسعد بن هفان وبنو مطرويل ، وكان بنجد منهم بنو بديل بن راحل وأهل تيماء ونواحيها . وكان ملك الحجاز الأرقم بن أبى الأرقم » .

(٢) فى المطبوعات « عن ابن المنذر الشرقى » وسيأتى على الصواب فى ص ١٧٠

(٣) كذا ، وأبو عبيدة اسمه محمد وأبوه محمد بن عمار

داود النبى يغزو سكان المدينة

وأسند ابن زبالة مُصَدِّراً به كتابَه فى بدء مَنْ سكنها عن مشيخة من أهل المدينة قالوا : كان ساكن المدينة فى سالف الزمان صعل وفالج ، فغزاهم داود النبى عليه الصلاة والسلام ، وأخذ منهم مائة ألف عذراء ، قالوا : وسلط الله عليهم الدود فى أعناقهم فهلكوا ، فقبورهم هذه التى فى السهل والجبل ، وهى التى بناحية الجرف ، و بقيت امرأة منهم تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ، فاُ كثرت من رجل وأرادت الخروج إلى بعض تلك البلاد ، فلما دنت لتركب غشيها الدود ، فقيل لها : إنا لنرى دودا يغشاك ، فقالت : بهذا هلك قومى ، ثم قالت : رُبَّ جسد مَصُون ، ومال مدفون ، بين زهرة ورانون ، قالوا : وقتلها الدود .

قلت : وداود بعد موسى عليهما السلام ، وكان يدعو إلى شريعته .

وقد عبر ابن النجار عما سبق بقوله : قال أهل السير : أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح قومٌ يقال لهم صعل وفالج ، وذكر قصة داود ملخصة ، ثم قال : قالوا : وكان قومٌ من الأمم يقال لهم بنو هف و بنو مطر و بنو الأزرق فيما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين إلى طرف أحد ؛ فتلك آثارهم هنالك .

وروى ابن زبالة عند ذكر جماء أم خالد بوادى العقيق عن عثمان بن عبد الرحمن قال : وجد قبر فى الجماء عليه حجر مكتوب فيه فهبط بالحجر فقرأه رجل من أهل اليمن ، فإذا فيه : أنا عبد الله رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، وأنا يومئذ على الشمال .

وروى أيضاً عن عمر بن سليم الزرقى قال : رقينا الجماء فوجدنا قبراً إرميًّا على رأسها عنده حجران مكتوبان لا تقرأ كتابتهما ، فحملناهما ، فثقل علينا أحدهما فرميناه فى الجماء ، وأخذت الآخر ، فكان عندى ، فعرضته على أهل التوراة من يهود فلم يعرفوه ، ثم عرضته على أهل الإنجيل من النصارى فلم يعرفوه ، فأقام عندى حتى دخل المدينةَ رجلان من أهل ماهٍ ، فسألتهما : هل كان لكم كتاب ؟ قالا : نعم ، فأخرجت إليهما الحجر ، فقرآه فإذا فيه : أنا عبد الله الأسود رسول

رسول الله عيسى بن مريم إلى أهـل قرى عرينـة ، وقالا : نحن كنا أهل هذه القرية فى أس[1] الدهر ، وسيأتى بقية ما جاء فى ذلك فى رابع فصول الباب السابع .

مهلك العماليق بالحجاز

وأسند ابن زبالة أيضاً عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا فى البلاد ، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله ، وَعَتَوْا عُتُوًّا كبيراً ، فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطىء الشام وأهلك مَنْ بها ، يعنى من الكنعانيين وقيـل : بعث إليهم بعثاً ، فأهلك من كان بها منهم ، ثم بعث بعثاً آخر إلى الحجاز للعماليق ، وأمرهم أن لا يستَبْقُوا أحداً منهم بلغ الُحلُمَ ، فقدموا عليهم ، فأظهرهم الله فقتلوهم ، حتى انتهوا إلى ملـكهم الأرقم بن أبى الأرقم فقتـلوه ، وأصابوا ابناً له — وكان شابا من أحسن الناس — فضنوا به عن القتل ، وقالوا : نستحييه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه ، فأقبلوا وهو معهم ، فقبض الله موسى قبـل قدوم الجيش ، فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح ، وقالوا : لم نستبق منهم إلا هـذا الفتى ، فإنا لم نر شابا أحسن منه ، فتركناه حتى نقدم به على نبى الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه ، فقالت لهم بنو إسرائيل : إن هذه لمعصية منكم لمـا خالفتم أمر نبيكم ، لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبداً ، فقال الجيش : ما بلد إذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذى خرجتم منه ، وكان الحجاز إذ ذاك أشْجَرَ بلاد الله وأظهره ماء ، قال : وكان هـذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق .

سبب نزول اليهود المدينة

وفى الروض الأنُفِ عنَ أبى الفرج الأصـبهانى أن السبب فى كون اليهود بالمدينة — وهى وسط أرض العرب — أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم العماليقُ من أرض الحجاز ، وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة ، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشا ، وذكر نحو ما تقدم ، ثم قال : وأصح من

---

(١) الأس ـ بضم الهمزة وتشديد السين ـ الأصل ، يريد فى قديم الزمان

هذا ما ذكره الطبرى أن نزول بنى إسرائيل بالحجاز كان حين وطىء بخْتَنَصَّر بلادهم بالشام وخرب بيت المقدس ، انتهى .

وحكى ابن النجار عن بعض العلماء أن سببه أن علماءهم كانوا يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، وأنه يهاجر إلى بلد فيه نخل بين حَرَّتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة ، فلما رأوا تَيماء وفيها النخل نزلها طائفة منهم ، وظن طائفة أنها خيبر فنزلوها ، ومضى أشرفهم وأكثرهم فلما رأوا يثرب سبخة وحرة وفيها النخل قالوا : هذه البلد التى تكون مُهاجَرَ النبى العربى عليه الصلاة والسلام ، فنزل النضير بُطْحَان ، ثم حكى ما سيأتى من نزول قريظة والنضير بمذينيب ومهزور .

وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود أن سبب نزولهم الحجاز أن ملك الروم حين ظهر على بنى إسرائيل وملك الشام خطب إلى بنى هرون ، وفى دينهم أن لا يزوجوا النصارى ، فخافوه وأنعموا له ؛ وسألوه أن يشرفهم بإتيانه إليهم ، فأتاهم ، ففتكوا به وبمن معه، ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها ، وزعم بنو قُرَيْظة أن الروم لما غَلَبُوا على الشام خرج قُرَيظة والنَّضِير وهدل هاربين من الشام يريدون مَنْ كان بالحجاز من بنى إسرائيل ، فوجَّه ملك الروم فى طلبهم ؛ فأعجزوا رسله ، وانتهى الرسل إلى ثمد[1] بين الحجاز والشام فماتوا عنده عَطَشا ، فسمى الموضع « ثمد الروم » وهو معروف بذلك ، والله أعلم أى ذلك كان .

وروى بعض أهل السير عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : بلغنى أن بنى إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بُخْتَنَصَّر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا ، وكانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مَنْعُوتا فى كتابهم ، وأنه يظهر فى بعض هذه القرى العربية فى قريةٍ ذاتِ نخل ، ولما خرجوا من أرض الشام كانوا يعبرون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب، فينزل بها طائفة منهم ، ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعونه ، حتى نزل من بنى

(١) أصل الثمد — بفتح الثاء وميمه مفتوحة أو ساكنة — ماء المطر يبقى محقونا تحت رمل ، فإذا كشف عنه أدته الأرض ، وقيل : هو الماء القليل لامادة له .

هرون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة ، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه جاء ، و يحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء ، فأدركه مَنْ أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه : أى حسدا للأنصار حيث سبقوهم إليه .

وقال ابن زبالة عقب ما قدمناه عنه من عَوْد الجيش من بنى إسرائيل إلى الحجاز وسكناهم المدينة : فركوا منها حيث شاؤا — أى تفسحوا وتبوؤا — فكان جميعهم بزهرة ، وكانت لهم الأموال بالسافلة ، وزهرة ثبرة — أى أرض سهلة بين الحرة والسافلة مما يلى القف — ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول مما يلى زغابة ، قالوا : وكانت يثرب سقيفة طويلة فيها بغايا يضرب إليهن من البلدان ، وكانوا يروّحون فى قرية يثرب ثمانين جملاجَوْناً[1] سوى سائر الألوان .

ثم أسند عن محمد بن كعب القرظى أنه قال : وخرجت قريظة و إخوانهم بنو هدل وعمرو أبناء الخزرج بن الصريح بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى ابن جبر بن النحام بن عازر بن عيزر بن هرون بن عمران عليه السلام والنضيرُ بن النحام بن الخزرج بن الصريح بعد هؤلاء ، فتبعوا آثارهم، فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما مذينيب ومهزور[2] ، فنزلت بنو النضير على مذينيب واتخذوا عليه الأموال فكانوا أول من احتفر بها — أى بالعالية — الآبار وغرس الأموال ، قال : ونزل عليهم بعض قبائل العرب فكانوا معهم ، فاتخذوا الأموال ، وابتنوا الآطام والمنازل .

وأسند هو وابنُ شبة أيضاً عن جابر مرفوعا : أقبل موسى وهارون حاجَّيْنِ فمرا بالمدينة ، فخافا من يهود ، فخرجا مستخفيين ، فنزلا أُحُداً ، فغشى هارونَ

(١) الجون : الأسود .

(٢) قال ياقوت (٣٤٧/٧) : «مذينيب وادبالمدينة ، وقيل : مذينيب يسيل بماء المطر خاصة ، وقد روى مالك فى موطئه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى سيل مهزور ومذينيب: يمسك حتى الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل» اهـ. وقد ذكروا أن مذينيبا يصدر من جبلين كبيرين بحذاء جبل الأغوات على نحو سبعة أميال من المدينة، ويصب فى زغابة، وكانت عليه مساكن بنى النضير، فلما غدروا بالرسول أجلاهم بعد الخندق ، ثم قسم أملاكهم على المهاجرين. وأما مهزور فمصدره من حرة واقم. ويعرف اليوم باسم «الغاوى»

الموتُ ، فقـام موسى فحفر له ولحد ، ثم قال : يا أخى إنك تموت ، فقام هارون فدخل فى لحده ، فقبض [١] عليه موسى الترابَ .

قلت : و إسناد ابن شَبَّة لا بأس به ، غير أن فيه رجلا لم يُسَمَّ ، وسماه ابن زَبالة ، وذلك المسمى لا بأس به أيضا ، لـكن ابن زبالة لا يُعْتَمد عليه فى ذلك ، وهو دالّ على أن اليهود نزلوا المدينة فى زمن موسى عليه السلام ، وطالت مدتهم بها فى حياته ، حتى وقع منهم ما يقتضى خوفه منهم عند مروره ، وهو إنما يتأتى على ما قدمناه من أنه لما حجّ ومعه ناس من بنى إسرائيل فرأوا موضع المدينة صفة بلد خاتم النبيين ، فاشْتَوَرَتْ طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، و يكون ما اتفق لموسى وهارون عليهما السلام فى حجة أخرى بعد ذلك ، وسيأتى فى مسجد عِرْقِ الظبية بالروحاء حديث « ولقد مَرَّ به موسى بن عمران حاجا ومعتمراً فى سبعين ألفاً من بنى إسرائيل » ومن الغريب ما نَقَلَ الحافظُ ابن حجر عن كتاب الأنواء لعبد الملك بن يوسف قال : إن قريظة كانوا يزعمون أنهم من ذرية شعيب نبى الله عليه السلام ، و إن ذلك محتمـــل ؛ فإن شعيباً كان من بنى جذام القبيلة المشهورة ــ قال الحافظ ابن حجر : وهو بعيد جداً ــ ونقل ابنُ زبالة ما حاصله أن ممن كان من العرب مع يهود قبـل الأنصار بنو أنيف حَىّ من بَلِىّ ، ويقال : إنهم بقية من العماليق ، و بنو مريد حى من بلى ، و بنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم ، و بنو الجذماء حى من اليمن ، وكانت الآطامُ عِزَّ أهل المدينـة ومَنَعَتَهم التى كانوا يتحصنون فيها من عدوهم ، وروى حديثَ النهى عن هَدْم آطام المدينة ، قال: وكان لبنى أنيف بقباء : الأجش عند البئر التى يقال لها لاوة ، وأطُمَان فيما بين المال الذى يقال لها المائة والمال الذى يقال له القائم ، وآطام عند بئر عذق وغيرها ، قال شاعرهم فيها :

وَلَوْ نطقَتْ يوما قباء لخبرَتْ ... بأنَا نَزَلْنا قبل عادٍ وتُبَّعِ

---

(١) يقال : حثا التراب يحثوه ، وحثاه يحثيه ، إذا صبه وأهاله .

بقايا اليهود بالمدينة

وآطامنا عاديّةٌ مُشْمَخِرّةٌ تلوح فتنكى من نعادى وتمنع

وكان ممن بقى من اليهود — حين نزلت عليهم الأوس والخزرج — جماعات منها بنو القُصيص وبنو ناغصة كانوا مع بنى أنيف بقبَاء، وكان بقباء رجلٌ من اليهود يقال « إنه من بنى النَّضِير » كان له أُطُم يقال له «عاصم» كان فى دار ثوبة بن حسين بن السائب بن أبى لُبَابة، وفيه البئر الذى يقال لها قباء، وقيل: إن بنى ناغصة حى من اليمن كانت منازلهم فى شِعْب بنى حَرَام حتى نَقَلَهم عمر بن الخطاب إلى مسجد الفتح، ومنها بنو قُرَيْظة فى دارهم المعروفة بهم اليوم، وكان لهم بها آطام: من ذلك أُطُمُ الزبير بن باطا القرَظى، كان موضعه فى موضع مسجد بنى قريظة، وأُطُمُ كعب بن أسد يقال له بلحان بالمال الذى يقال له الشجر، وله يقول الشاعر:

من سره رَطْبٌ وماء بَارِدٌ فَلْيَأْتِ أهْلَ المجدِ من بلحان

وكان مع قريظة فى دارهم إخوتهم بنو هدل و بنو عمرو المقدم ذكرهم، و إنما سمى هدلا بهدل كان فى شفته، ومن ولده ثعلبة وأسد ابنا سَعَيَّة وأسد بن عبيد ورفاعة بن سموأل وسُخيت ومنبه ابنا هدل، ومنها بنو النضير فى النواعم، ومنهم كعب بن الأشرف، وكان لهم عامة أطم فى المال الذى يقال له فاضجة، وأُطُمٌ فى زقاق الحارث دبر قصر ابن هشام دون بنى أمية بن زيد كان لعمر بن جحاش، وأطم البويلة، وغير ذلك، هذا ماذكره ابن زبالة

ونقل ابنُ عساكر عن الواقدى أنه قال: كانت منازل بنى النَّضِير بناحية الغرس

قلت: والظاهر أنهم كانوا بالنواعم، وتمتد منازلهم وأموالهم إلى ناحية الغرس و إلى ناحية الصافية وما معها من صدقات النبى صلى الله عليه وسلم، وبعض منازلهم كانت بجفاف؛ لأن فاضجة به، ورأيتُ بالحرة فى شرقى النواعم آثار حصون وقرية بقرب مذينيب يظهر أنها من جملة منازلهم، وأن ما فى قبلة ذلك فى شرقى العهن من منازل بنى أمية بن زيد كما سيأتى، ومنها بنو مريد فى بنى

خطمة وناعمة إبراهيم بن هشام ، وكان لهم أطم يعرف بهم فيه بئر ، ومنها بنو معاوية فى بنى أمية بن زيد ، ومنها بنو ماسكة بقرب صدقة مروان بن الحكم مما يلى صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان لهم الأُطُمَانِ اللذان فى القف فى القرية ، ومنها بنو محمم فى المكان الذى يقال له بنو محمم ، وكان لهم المال الذى يقال له خُنافة ، معروف اليوم ، وكان رجل منهم قَطَعَ يدَ رجلٍ فى الجاهلية فقال المقطوع : أَعْطِنِى خنافة عَقْلاً بيدى ، فأبى ، وحفر للذى قطعه كوة فى خنافة ، ثم أخرج يده منها من وراء الحائط وقال : اقطع ، فقطع يده ، فقال حين قطع يده :

الآن قد طابت ذرى خنافة طابت فلا جوع ولا مخافة

ومنها بنو زَعُورا عند مشربة أم إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولهم الأُطم الذى عندها ، وكان الأُطم الذى فى مال جحاف لبعض مَنْ كان هناك من اليهود ، ومنها بنو زيد اللات ، قال ابن زبالة : وهم رهط عبد الله بن سلام ، كانوا قريبا من بنى غصينة ، ومنها بنو قَيْنُقَاع عند منتهى جسر بطحان مما يلى العالية ، وكان هناك سوق من أسواق المدينة ، وكان لهم الأُطُمَانِ اللذان عند منقطع الجسر على يمينك وأنت ذاهب من المدينة إلى العالية إذا سلكت الجسر ، وغير ذلك ، وفى صحيح البخارى عن ابن عمر أن بنى قَيْنُقَاع هم رهط عبد الله بن سلام ، خلاف ما تقدم عن ابن زبالة ، قال الحافظ ابن حجر : وهم من ذرية يوسف الصديق عليه السلام ، ومنها بنو حُجر عند المشربة التى عند الجسر ، ولهم أُطُمٌ يعرف بهم ، ومنها بنو ثعلبة وأهل زهرة بزهرة ، وهم رهط الفِطْيَوْن ، وهو ملكهم الذى كان يفتضّ نساء أهل المدينة قبل أن يدخُلْنَ على أزواجهن ، وكان لهم الأُطُمَانِ اللذان على طريق العريض حين يهبط من الحرة ، وكانت بزهرة جُماع من اليهود وكانت من أعظم قرى المدينة ، وقد بادوا ، ومنها ناس كانوا بالجَوّانية — بفتح الجيم وتشديد الواو والياء المثناة من تحت : موضع بقرب أُحُد فى شمالى

المدينة كما سيأتى — ولهم أُطُمَانِ صارا لبنى حارثة بن الحارث وهما صرار والريان ، ولذلك يقول نهيك بن سياف :

لعل صرارا أن تعيش بياره   ويسمع بالريان تبنى مشاربه

وكانت بنو الحذماء المتقدم ذكرهم — وهم حى من اليمين — مابين مقبرة بنى عبد الأشهل و بين قصر ابن عراك ، ثم انتقلوا إلى راتج ، ومنها بنو عكوة فى يمانى بنى حارثة ، ومنها بنو مرابة فى شامى بنى حارثة ، ولهم الأُطُم الذى يقال له الشبعان فى ثمغ صدقَةِ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومنها ناس براتج ، وهو أطُم سميت به الناحية ، وهو الذى يقول له قيس بن الخَطِيم :

ألاَ إنَّ بين الشرعبىِّ وراتج   ضرابًا كتخديم السيال المعضد

ومنها ناس بالشوط والعنابس والواج وزَبَالة إلى عين فاطمة حيث كان يطبخ الآجُرُّ لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان لأهل الشوط الأُطُم الذى يقال له الشرعبى ، وهو الأطم الذى دون ذباب ، وقد صار لبنى جُشَم بن الحارث بن الخزرج أى الأصغر يعنى إخوة بنى عبد الأشهل ، وكان لأهل الواج أطُم بطرفه مما يلى قَنَاة ، وكان لبعض مَنْ هناك من اليهود الأُطُمَان اللذان يقال لهما الشيخان بمَفْضَاهما المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد ، وكان لأهل زَبَالة الأُطُمَان عند كومة أبى الحمراء الرابض والذى دونهما ، ومنها أهل يثرب ، وكانوا جُماعا من اليهود بها ، وقد بادوا فلم يبق منهم أحد .

قلت : ونقل رزين عن الشرقى أن يهود كانوا نيفاً وعشرين قبيلة ، وقال ابن النجار : إن آطامهم كانت تسعة وخمسين أطما ، وللعرب النازلين عليهم قبل الأنصار ثلاثة عشر أطما ، وقد ذكر ابن زَبَالة أسماء كثير منها حذفناه لعدم معرفته فى زماننا .

فهذا عِلْمُ مَنْ سكن المدينة بعد الطوفان إلى قدوم الأوس والخزرج .

الفصل الثانى
فى سبب سُكْنى الأنصار بها

قصة مأرب وسيل العرم

نقل ابنُ زبالة وغيره أن اليهود لم تزل هى الغالبة بالمدينة ، الظاهرة عليها ، حتى كان من أمر سَيْل العَرِم ما كان وما قص الله من قصته فى مائه يعنى قصة أهل مأرِب ، ومأرب مهموز: أرض سبأ المعنية بقوله تعالى : «بَلْدَةٌ طيبة[1]» عن ابن عباس أنها كانت أخْصَبَ البلاد وأطْيَبَها ، تخرج المرأة وعلى رأسها المِكْتَل فتعمل بيديها أى بمغزلها وتسير بين ذلك الشجر ، فيمتلىء مما يتساقط فيه من الثمر ، فطغَوْا ، وقيل : بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً يدعونهم إلى الله ، ويذكرونهم نعمة الله عليهم ، فكذبوهم ، وقالوا : ما نعرف لله نعمة ، قال المسعودى : وكان طول بلدهم أكثر من شهرين للراكب المجد ، وكذلك عَرْضُها ، وكان أهلها فى غاية الكثرة مع اجتماع الكلمة والقوة ، وكانوا كما قص الله من خبرهم بقوله : « وجَعَلْنا بينهم و بين القُرَى التى باركنا فيها» يعنى قرى الشام «قُرًى ظاهرة[2]» يعنى متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها ، فكانوا آمنين فى بلادهم ، تخرج المرأة لا تتزود شيئاً ، تبيت فى قرية ، وتَقِيلُ فى أخرى حتى تأتى الشام ، فقالوا : «رَبَّنا باعد بين أسفارنا»[3] لأنهم بَطِروا النعمة ومَلّوها، وقالوا :لو كان جَنَى جَنَّاتنا أبعدَ كان أجْدَرَ أن نشتهيه ، وتمنوا أن يجعل الله بينهم و بين الشام مفاوزَ ليركبوا الرواحل فيها و يتزودوا الأزواد ، فجعل الله لهم الإجابة كما قال : « فَجَعَلْنَاهُمْ أحاديث ومَزَّقْنَاهم كل ممزق[4]» وعن الضحاك أنهم كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فسلط عليهم سَيْلَ العرم ، قيل : العرم : المطر الشديد ، وقيل : جُرَذ[5] أعمى فنقَبَ عليهم السد ، وكان فرسخا فى فرسخ بناه لقمان الأكبر العادى ، وكان بناه للدهر على زعمه ، وكان يجتمع إليه مياه اليمن ثم تتفرق فى مجارى على قدر حاجة جنانهم ، وقيل : بناه سَبَأ بن يَشْجُب

---

(١) من سوزة سبأ من الآية ١٥ (٢) من سورة سبأ من الآية ١٨
(٣) من سورة سبأ من الآية ١٩ (٤) من سورة سبأ من الآية ١٩
(٥) الجرذ ـ بضم الجيم ـ ضرب من الفئران

ابن يعرب بن قحطان ، وساق إليه سبعين وادياً ، ومات قبل أن يكمله فأكمله بعده ملوك حمير ، وكان أولاد حِمْيَر بن سبأ وأولاد كَهْلان بن سبأ سادَةَ اليمن فى ذلك الزمان ، وكان كبيرهم وسيدهم جد الأنصار عَمْرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء (١) ابن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، ويقال : الأسد ، بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ذكر نسبه كذلك ابنُ هشام وابن حزم وابن الكلبى فيما نقله عنه ابن عبد البر ، ونقل غيره عنه أنه جعل ثعلبة بين حارثة و بين امرىء القيس ، وكانت الأنصار تقول : سمى عمرو مزيقياء لأنه كان يلبس فى كل يوم حُلَّتين ثم يمزقهما لئلا يلبسهما أحَدٌ بعده ، وقيل لأبيه « ماء السماء » لجوده وقيامه عند الجَدْب مقامَ الغيث ، وكان لعمرو مزيقياء أخٌ كاهن لم يُعْقِبْ يسمى عمران ، وكانت زوجة عمرو مزيقياء يقال لها طريفة من حمير ، وكانت كاهنة ، فولدت له ثلاثة عشر رجلا ، ولدت ثعلبة وهو الذى أخرج جُرْهُم من مكة هو وأخوته ، ومن انخزع معه من الأزد على ما نقله رزين ، ونقل أن والد ثعلبة — وهو عمرو بن عامر — توفى قبل غلبة ثعلبة لجرهم ، وثعلبة أبو الأوس والخزرج ، وولدت له أيضا حارثة والد خُزَاعة على ما سيأتى ، وقيل غير ذلك ، وولدت له أيضاً جَفْنَة والد غَسَّان ، سُمُّوا باسم ماء نزلوا عليه يقال له غَسَّان ، والأشهر أنهم بنو مازن بن الأزد بن الغوث ، وولدت له أيضاً وَدَاعة ، وأبا حارثة ، والحارث ، وعوفا ، وكعبا ، ومالكا ، وعمران ، هؤلاء أعقبوا كلهم ، والثلاثة الباقون لم يعقبوا .

غسان

وقال ابن حزم : إن غسان هم بنو الحارث وجفنة ومالك وكعب بنى عمرو مزيقياء ، شربوا كلهم من ماء غسان ، بخلاف بقية وَلَدِ عمرو مزيقياء فلم يشربوا من ذلك الماء ، فليسوا غسان ، وكان لعمرو بن عامر بمأرِب من القصور والأموال مالم يكن لأحد .

---

(١) فى المطبوعات « ماء السماء مزيقياء بن حارثة » تطبيع ، وفيه وفى ماء السماء يقول شاعرهم : أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدى أبوه عامر ماء السماء

أول خبر سيل العرم

ونقل رزين أنه كان أول شيء وقع بمأرب من أمر سيل العرم أن عمران بن عامر رأى فى كَهَانته أن قومه سيمزَّقُونَ ويُبَاعَدُ بين أسفارهم ، وأن بلادهم ستخرب، فذكر ذلك لأخيه عمرو بن عامر ؛ فكان بين التصديق والتكذيب ، فبينا طريفة امرأتُه ذات يوم نائمةٌ إذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ، فذُعِرت ذُعْراً شديدا ، فسكَّنوها ، فقالت : يا عمرو بن عامر ، الذى رأيت فى الغيم ، أذهَبَ عنى النوم ، رأيتَ غَيْمًا أرعد وأبرق ، طويلا ثم أصعق ، فما وقع على شيء إلا احترق ؛ فما بعده إلا الفرَق[١] ، فلما رأوا ما بها خَفضوها[٢] حتى سكنت ، ثم إن عمرو بن عامر دخَل حديقةً ومعه جاريتان له ، فبلغ ذلك طريفة فخرجت نحوه ، فلما خرجت من بيتها عارضَها ثلاث مناجذ — وهى دواب تشبه اليرابيع — منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت على الأرض ، فلما ذهبت المناجذ خرجت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التى فيها عمرو وثبت من الماء سُلَحْفَاة فوقعت فى الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب[٣] وتستعين بيدها فلا تستطيع ، فتحذف التراب على نفسها ، وتقذف بالبول من تحتها ، فلما رأت طريفةُ ذلك جلست على الأرض حتى عادت السلحفاة إلى المـاء ، ثم مضت طريفة حتى دخلت الحديقة التى فيها عمرو بن عامر حين انتصف النهار فى ساعةٍ شديدٍ حرُّها ، و إذا الشجرة من غير ريح تَتَكَفَّأ ، فمرت حتى دخلت على عمرو ، فلما رآها قال : هلمى يا طريفة ، فقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن المـاء لغائر ، و إن الشجر لهالك، فقال عمرو : ومَنْ أخبرك بذلك ؟ قالت : أخبرتنى المناجذ ، بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد ، وسُلَحْفَاة تحذف بالتراب حَذْفا ، وتقذف بالبول قَذْفا ، ورأيت الشجر من غير ريح ولا مطر تَكَفَّأ ، قال: وما ترين ذلك ؟ قالت :داهية وكيمة[٤] ، وأمور جسيمة ، قال : أما إن كان ذلك فلك الويل . قالت : أجل ، وما لعمرو

---

(١) الفرق : الخوف ، ولعله « الغرق » بالغين المعجمة والراء المهملة .

(٢) خفضوها : هدأوها وسكنوا خوفها وأزالوا ما نزل بها من هم .

(٣) تروم : تطلب

(٤) وكيمة : محزنة

فيها من نيل ، مما يجىء به السيل ، فألقى بنفسه على الفراش وقال : ما هذا الذى تقولين إلا أمر جليل ، وخلف قليل ، وأَخْذُ القليلِ خيرٌ من تركه ، قال عمرو : وما علامة ماتذكرين ؟ قالت : إذا رأيت جُرَذا يكثر فى السد الحَفْر ، ويقلب منه بيديه الصخر ، فاعلم أن قد وقع الأمر . فانطلق عمرو إلى السد ينظر فإذا جُرَذ يقلب بيديه ورجليه الصخرة ما يقلها[1] خمسون رجلا من أسد ، فرجع إلى طريفة فأخبرها . ثم رأى عمرو رؤيا أنه لابد من سيل العرم ، وقيل : إن آية ذلك أن ترى الحصى قد ظَهَرَ فى شِرْبِ النخل ، فذهب فرأى ذلك ، فعرف أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرب ، فكَتَمَ ذلك وأخفاه ، وأجمع على أن يبيع كل شىء له بأرض سبأ ويخرج منها هو وولده ، فخشى أن يستنكر الناسُ ذلك ، فاحتال فى الأمر ، فأَمَرَ بإبلٍ فنحرت ، وبغنم فذبحت ، وصنع طعاماً واسعاً ، وبعث إلى أهل مأرب بأجمعهم ، وكان فيمن دعا يتيم كان ربَّاه وأنكحه ، وقال له فيما بينه وبينه : إذا أنا جلستُ أُطْعِمُ الناسَ فاجلس بجنبى ثم نازعْنِى الحديث واردُدْ علىّ مثل ما أقول لك ، وافعل بى مثل ما أفعل بك ، فكلمه عمرو فى شىء ، فردَّ عليه ، فضرب عمرو وجهه وشتمه، ففعل اليتيم به مثله ، فصاح عمرو : واذُلاَّه ، اليوم ذهب فخر عمرو ومجده ، فحلف ليقتلَنه ، فلم يزالوا به حتى تركه ، وقال : والله لا أقيم ببلدة صنع بى هذا فيه أبداً ، ولأبيعَنَّ أموالى كلها وأرحَلُ عنكم ، فاغتنم الناسُ غضبه واشتروا منه أمواله ، فباع جميع عَقَاره ، وتبعه ناس من الأزد فباعوا أموالهم ، ولما كثر البيع استنكر الناسُ ذلك ، فأمسكوا ، فلما اجتمع عند عمرو بن عامر أثمانُ أمواله أخبر الناس بأمر سيل العرم ، فخرج من مأرب ناس كثير ، وأقام بها مَنْ قُضى عليه بالهلاك ، هذا ما نقله رزين فى تاريخه وقد اقتفيت أثره فى ذلك فى كتابى .

وذكر ابن هشام فى سيرته نحوه ، وقال : إن الأسد ـ يعنى الأزد ـ قالوا : لا نتخلف

---

(١) ما يقلها : ما يستطيع أن يرفعها .

عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معه ، وقيل : كانت طريفة زوجة ثعلبة ، وإنه صاحب القصة والمحتال فى بيع ماله .

وقال ياقوت : إن عمرو بن عامر مات قبل سيل العرم ، وصارت الرئاسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن ، وكان عاقراً لا يُولَد له ، وإنه صاحب القصة مع طريفة الكاهنة ، وإنها أقبلت عليه يوماً وقالت : والظلمة والضياء ، والأرض والسماء ، ليقبلَنَّ إليكم الماء ، كالبحر إذا طما ، فيدع أرضكم فلا يسفى عليها الصبا، وذكر القصة ، وأنه احتال لبيع أمواله بأن قال لحارثة أحَدِ أولاد أخيه عمرو بن عامر : إذا اجتمع الناس إلىّ فإنى سآمُرك بأمرٍ فأظهِر فيه العصيانَ فإذا ضربت رأسك بالعصا فقم إلىّ والطُمْنى ، فقال : وكيف يلطم الرجل عمه ؟ فقال : افعل يا بنى فإن فى ذلك صلاحك وصلاح قومك ، وذكر القصة ، قال : فجاء بعد رحيلهم بمُدَيدة[1] السيلُ وقد خرب الجرذُ السدَّ فلم يجد مانعاً ، فغرق البلاد حتى لم يبق من جميع الأرضين والكروم إلا ما كان فى رؤس الجبال والأمكنة البعيدة مثل ذمار[2] وحضرموت وعدن ، وذهبت الضياع والحدائق والجنان، وجاء السيل بالرمل وطَمَّهَا ، فمضى على ذلك إلى اليوم ، وباعد الله بين أسفارهم كما سألوا .

عمرو بن عامر يصف البلاد لقومه

ونقل رزين أن عمرو بن عامر الكاهن قال لهم عند خروجهم : سأصِفُ لكم البلاد ، فقال : مَنْ كان منكم ذا هم بعيد ، وجمل شديد ، ومراد حديد ، فليلحق بقصر عُمَان المَشِيد ؛ فسكنها أزدعمان . قال : ومن كان منكم ذا هم غير بعيد ، وجمل غير شديد ، ومراد غير حديد ؛ فليلحق بالشعب من كرود — وهى من أرض همْدَان — فكان الذين سكنوه وَدَاعة بن عمرو بن عامر فانتسبوا فى همدان. قال : ومن كان منكم ذا هم مدن ، وجمل مُعَن[3] ، فليلحق بالثنى من شن، وهو بالسراة ، فسكنه أزدشنؤة . قال : ومَنْ كان منكم ذا جَلَد وبصر ، وله صبر على أزمات الدهر ، فليلحق ببطن مر ، فسكنته خزاعة . قال : ومن كان منكم يريد

(١) فى المطبوعات « بهديدة » تطبيع .
(٢) ذمار — بوزن قطام — قرية على مرحلتين من صنعاء .
(٣) فى المطبوعات « جمل معنى » .

الراسخات فى الوَحْل ، المُطْعِمات فى المَحْل ، فليلحق بالحرة ذات النخل ؛ فكان الذين سكنوها الأوس والخزرج . قال : ومن كان يريد الخمر والخمير ، والديباج والحرير ، والأمر والتأمير ، فليلحق بِبُصْرَى وسَدِير — وهما من أرض الشام — فكان الذين سكنوه آل جَفْنَة بن غَسَّان . قال: ومَنْ كان يريد الثياب الرِّقاق، والخُيُول العِتاق ، والكنوز من الأرزاق ، فليلحق بالعراق ؛ فكان الذين لحقوا بالعراق جَذِيمة الأبرش ومَنْ كان بالحيرة من غَسَّان .

قلت : وقيل : إن الذى سَجَع لهم بذلك طريفة الكاهنة ، وإنها قالت : ومن كان منكم يريد الراسخات فى الوَحْل ، المطعمات فى المحل، فليلحق بيثرب ذاتِ النخل .

وروى ابن زبالة سَجْع عمرو بن عامر فى المدينـــة بلفظ : من كان يريد الراسيات فى الوَحْل ، المطعمات فى المحل ، المدركات بالدَّحْل[١]، فليلحق بيثرب ذات النخل ؛ فلما سمعوا ذلك القولَ خرج عمرو بن عامر بجميع ولده ومَنْ معه من الأزد يريد أرضا يقيمون بها ، ففارقهم وَدَاعة بن عامر فسكن هَمْدَان ، ثم سار عمرو حتى [إذا] كان بين السراة[٢] ومكة أقام هنالك ناس من الأزد ، وأقام معهم عمران بن عمرو بن عامر ، ثم سار عمرو فى باقى ولده وفى ناس من بنى مازن من الأزد حتى نزلوا ماء يقال له غسان ، وغلب عليهم اسمه حتى قال شاعرهم :

إمَّا سألتِ فإنَّا معشر نُجُبٌ ... الأزْدُ نسبتها والمــاء غسان[٣]

نزول خزاعة فى مكة

قال أبو المنذر الشرقى : ومن ماء غسان أُنْخَزَعَ لُحَىٌّ — واسمه ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن حارثة — فأتى مكة فتزوج بنت عامر الجرهمى ملك جرهم ، فولدت له عمرو بن لحى الذى غَيَّر دين إبراهيم ،فسمى ولده خزاعة لأن أباهم أُنْخَزَع من غسان

وقال غيره ما يخالف ذلك ؛ فروى الأزرقى أن عمرو بن عامر سار هو وقومه لا يَطَؤُن بلدا إلا غَلَبُوا عليه ، فلما انتهوا إلى مكة — وأهلُها جرهم قد قهروا الناس

(١) الدحل — بالفتح — الثأر

(٢) فى المطبوعات « الشراة » تطبيع ، وإنه ليقال « أزد السراة »

(٣) حفظى « الأزد نسبتنا والماء غسان »

وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل وغيرهم ـ أرسل إليهم ثعلبةُ بن عمرو بن عامر يقول : يا قوم إنا خرجنا من بلادنا ، فلم ننزل بلدا إلا فَسَح أهْلُه لنا فنقيم معهم حتى نرسل رُوَّادنا إلى الشام والمشرق ، فحيث ما قيل لنا إنه أمثل لحقنا به ، فأبَتْ جرهم ذلك ، فأرسل إليهم ثعلبة : إنه لا بد لى من المقام ، فإن تركتمونى نزلت وحمدتكم وواسيتكم فى الماء والمَرْعَى ، وإن أبيتم أقمت على كرهكم ثم لم ترتعوا معى إلا فَضلا ولا تشربوا إلا رَنْقا ـ يعنى الكدر ـ فإن قاتلتمونى قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم سَبَيْتُ النساء وقتلت الرجال ، ولم أترك أحداً منكم ينزل الحرم أبداً ، فأبت جرهم ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم انهزمت جرهم ، فلم ينفلت منهم إلا الشريد ، وأقام ثعلبة بمكة وما حولها بعسا كره حولا ، فأصابتهم الحمى ، وكانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى ، فَدَعَوْا طريفة الكاهنة فشَكَوْا إليها الذى أصابهم ، فقالت : قد أصابنى الذى تشكون ، ثم ذكر الأزرقى سَجْعَها فى أمر الدلالة على البلاد فى هذا المحلّ [و] (1) هو غير سجع عمران بن عامر عند تفرقهم من سبأ ، ثم ذكر لحوق كل فرقة منهم ببلدها على النحو الذى قدمناه ، وأن الأوس والخزرج ابنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ـ وهم الأنصار ـ نزلوا بالمدينة ، ثم قال : وانخزعت خزاعة بمكة ، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لُحَيٌّ ، فولى أمر مكة ، فهذا يقتضى أنهم إنما افترقوا من مكة ، ولا شك أن منها افترق الذين وصلوا إليها .

نزول ثعلبة ابن عمرو فى المدينة

وقال ياقوت : إنهم لما ساروا من اليمن عطف ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السما بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس البطريق بن ثعلبة البهلول ابن مازن الراد (2) بن الغوث نحو الحجاز ، فأقام ما بين الثعلبية إلى ذى قار ، وباسمه سميت الثعلبية ، فنزلها بأهله وولده ومَنْ تبعه ، فأقام هناك يتبع مواقع القَطْر ، فلما كثر ولده وقوى ركنه سار بهم نحو المدينة وبها يهود فاستوطنوها ؛ فأقاموا بها بين قريظة والنضير وخيبر وتيماء ووادى القرى ، ونزل أكثرهم بالمدينة .

(1) زيادة يلتئم بها الكلام .

(2) كذا ، وفى التاج «مازن البراح» وليس فى ياقوت لقب مازن .

الفصـــــل الثالث
فى نسبهم

قد قدمنا انتسابهم إلى عمرو مُزَيْقِيَاء ، وانتساب عمرو إلى قحطان .

وقال ابن رزين نقلا عن الشرقى : أصل الأنصار الأوس والخزرج وهما من ولد ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغَوْث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان ، وكأنه سقط من النسخة بعد الغوث «بن نَبْت» فإنه بين مالك والغوث كما قدمناه ، وجماع قبائل اليمن تنتهى إلى قحطان ، وقحطان اختلف فى نسبه ، فالأكثرون قالوا : إنه عابر ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل : هو من ولد هود نفسه ، وقيل : ابن أخيه ، ويقال : قحطان أول من تكلم بالعربية ، وهو والد العرب المتعربة ، وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة ، وأما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك كعاد وثمود وطَسْم وجَدِيس وعمليق وغيرهم ، وقيل : إن قحطان أول من قيل له : أَبَيْتَ اللَّعْنَ[(١)] ، وعِمْ صَبَاحا . وذهب الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية إسماعيل عليه السلام ، وأنه قحطان بن الهَمَيْسَع بن تيم بن نَبْت بن إسماعيل عليه السلام ، ويدل له تبويب البخارى بأن نسبة اليمن إلى إسماعيل ، وأورد فيه الحديث المتضمن لمخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم بنى أَسْلَمَ بأنهم من بنى إسماعيل ، وأسلم هو ابن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس صاحب النسب المتقدم ، فدل على أن اليمن بنى قحطان من بنى إسماعيل ، وهو ظاهر قول أبى هريرة فى الصحيحين فى قصة هاجر « فتلك أمكم يا بنى ماء السماء » يخاطب الأنصار ؛ لأن جدهم عامراً والد عمرو كان يلقب بذلك ، كما

نسب قحطان

---

(١) هى من تحايا الملوك ، ومعناها : أبيت أن تفعل شيئاً تسب به .

تقدم ، أو أراد أبو هريرة رضى الله عنه العرب كلهم ؛ لكثرة ملازمتهم الفَلَوَات التى بها مواقع القطر ، وهذا مُتَمَسَّكُ مَنْ ذهب إلى أن جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام .

قال ابن حبان فى صحيحه : كل من كان من ولد إسماعيل يقال له «ابن ماء السماء » لأن إسماعيل ولد هَاجَرَ ، وقد ربى بماء زمزم وهى من ماء السماء، ورجح عياض أن مراد أبى هريرة الأنصار خاصة ، ونسبتهم إلى جدهم المعروف بماء السماء ، انتهى . ودلالته على أن قبائل اليمن كلها من ولد إسماعيل ظاهرة .(١)

قال الحافظ ابن حجر: وهو الذى يترجح فى نقدى، وقد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع بن أبى حدرد أن النبى صلى الله عليه وسلم «مَرَّ بناس من أسْلَمَ وخزاعة وهم يتناضلون فقال : ارْمُوا بنى إسماعيل» وأسلم وخزاعة قد تقدم نسبهما فى قبائل اليمن التى جماع نسبتها قحطان، ومما يؤيد ذلك قولُ المنذر بن عمرو جد حَسَّان بن ثابت الأنصارى:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مَجْداً مُؤَثَّلاَ
مآثر من آل ابن نبت بن مالك ونبت بن إسماعيل ما إنْ تَحَوَّلاَ

وأوَّلَ ذلك كله المخالفون بتأويلات بعيدة ، بل الذى أميل إليه أن العرب كلهم من ولد إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ، وإن لم يتم ذلك فالعرب الذين لهم الشرف بالتقديم فى الكفاءة وغيرها شرعا هم بنو إسماعيل ، ويدل له قولُ بعض أصحابنا فى الإمامة : إذا لم يوجد قرشى مستجمع للشروط نُصِبَ كِنَانى ، فإن لم يكن فرجل من ولد إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ، فإن تعذر انتقلنا إلى العجَم ، ولم يقولوا انتقلنا إلى بقية العرب ، لكن فى التتمة للمتولى : فإن لم يُوجَد من ولد إسماعيل عليه السلام يولَّى جُرْهُمى ، وجرهم أصل العرب ، فإن لم يوجد فرجل من ولد إسحاق عليه السلام ، اه . وهو مخالف لقول البغوى فى

(١) خلاصة هذا الكلام أن كلة «ماء السماء» قد تطلق ويراد بها معنى العام ، وهو لقب عامر بن حارثة خاصة ، وقد تطلق ويراد بها اسم الجنس على معنى يا بنى الماء، سواء أكان ماء المطر أم كان ماء زمزم، وعلى الإطلاق الأول لا تقال إلا لمن اتصل نسبه بعامر بن الحارث، على الثانى تطلق على كل عربى ، بل ويجوز أن تطلق على كل من يعيش عيش البدو .

التهذيب : فإن لم يوجد ولد إسماعيل فمن العجم ، وأيضاً فالمتولى جعل جرهماً متأخرين عن ولد إسماعيل ، وجعل لهم فضلا فى الجملة على العجم ، كذا قدم بعض العجم على بعض ، وإسماعيل أبو العرب الذين شرّف نسبهم بمشاركة نسبة أشرف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، وهو الأسُّ فى ذلك ، وعربى اللسان لا عبرة به ، على أن فى مستدرك الحاكم من حديث ابن عباس «أول من نطق بالعربية إسماعيل» لكن فى الصحيح أن إسماعيل تعلم العربية من جرهم الذين نزلوا مع أمه .

أول من تكلم بالعربية

قال ابن إسحاق : وكان جرهم وأخوه قطورا ابنا قحطان أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألْسُنِ .

قلت : وهو جارٍ على رأى من يقول : إن العرب كلها ليست من ولد إسماعيل .

وروى الزبير بن بكار فى النسب من حديث علىّ بإسناد حسن قال : أول من فتَقَ الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ؛ فبهذا القَيْد يجمع بين الخبر المتقدم وبين ما فى الصحيح ، فيكون أوليته فى ذلك بحسَب الزيادة فى البيان ، لا الأولية المطلقة ، فيكون بعدَ تعلم أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة ؛ فعلى تقدير تسليم أن العرب كلهم ليسوا من ولد إسماعيل فالمستحق للشرف إنما هو عربية إسماعيل ، فيمتاز بنوه بما تقدم .

وقال ابن دريد فى الوشاح : أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان ، ثم إسماعيل ، ونقل ابن هشام عن الشرقى أن عربيه إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم ، وكله جار على خلاف ما قدمناه من أن العرب كلها من ولد إسماعيل ، والله أعلم .

أم الأنصار ونسبها

وأم الأنصار فى قول الكلبى: قَيْلَة بنت عمرو بن جَفْنة ، وقال ابن حزم : هى بنت الأرقم بن عمرو بن جَفنة بن عمرو مُزَيْقياء ، ويقال : بنت كاهل بن

عذرة من قُضَاعة ، وقضاعة من حمير عند الأكثر ، واشتهرت الأنصار ببنى قَيْلة ولهم يقول القائل :

بَهَالِيلُ من أولاد قَيْلَةَ ، لم يَجِدْ عليهم خليطٌ من مخالطةٍ عَتْبَا
مَطَاعِيمُ في المقرى، مطاعين في الوغى، يَرَوْنَ عليهم فعل آبائهم نَحْبَا(١)

وذكر رزين عن الشرقى عقب ما قدمناه عنه من أن الأنصار أصلهم الأوس والخزرج وهما من ولد ثعلبة بن عمرو ، فقال : فوُلِد لثعلبة بن عمرو بن حارثة الأوسُ والخزرج ، وأمهما قَيْلَة ؛ فولد الأوس مالكا ، ومن مالك قبائل الأوس كلها ، فولد لمالك عمرو وعوف ومرة ، ويقال لهم أوس الله ، وهم الجعادِرة ، سموا بذلك لقصر فيهم .

قلت : وسيأتى ما يخالف هذا مع بيان قبائل الأوس المنتشرة من هؤلاء .

وروى الخرائطى أنه لما حضرت الأوسَ بن حارثةَ بن ثعلبة بن عمرو الوفاةُ اجتمع عليه قومه ، فقالوا : قد حضر من أمر الله ما ترى ، وقد كنا نأمرك فى شبابك أن تتزوج فتاةً ، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير مالك ، فقال : لن يهلك هالك، ترك مثل مالك، إن الذى يخرج النار من الرينة(٢) قادر أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بُسْلا ، وكل إلى موت ، ثم أقبل على مالك فقال : أى بُنَىَّ ، المنية ولا الدَّنية ، وذكر حِكَماً سجَعَ بها ، قال : ثم أنشأ يقول :

شَهِدْتُ السبايا يوم آلِ مُحَرِّقٍ وأدرك عُمْرِى صَيْحةَ الله فى الحِجْرِ
فلم أرَ ذا مُلْكٍ من الناس واحداً ولا سُوقه إلا إلى الموت والقبر
فعلَّ الذى أرْدَى ثموداً وجُرْهُما سَيُعْقِبُ لى نسلا على آخر الدهر
تقربهم من آل عمرو بن عامر عيون لدى الداعى إلى طلب الوِتْرِ
فإن تكن الأيام أبْلَيْنَ جِدَّتى وشيبن رأسى والمشيبُ مع العمر

(١) المقرى : اسم مكان من القرى ، وهو الضيافة ، والنحب ، بالفتح ، النذر أراد أنهم يرون الاقتداء بآبائهم نذراً يجب الوفاء به . (٢) كذا

فإنّ لنا رَبًّا علا فوق عرشِــــهِ ... عليما بمــا يأتى من الخير والشر
ألم يأت قومى أنَّ لله دَعْــوةً ... يفوز بها أهــلُ السعادة والبِرّ
إذا بُعِثَ المبعــوث من آل غالب ... بمكة فيما بين زمزم والحِجْرِ
هنـالك فابغُوا نَصْرَه ببلادكم ... بنى عامر؛ إن السعادة فى النصر[1]

ثم قضى من ساعته .

وقال ابن حزم : إن بنى عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس كانوا كلهم بعمان لم يكن منهم بالمدينة أحد ؛ فليسوا من الأنصار .

قال الشرقىّ : وولد الخزرج بن حارثة أخو الأوس أيضاً خمس بنين ، وتفرقوا بطوناً كثيرة .

قلت : وهم عمــرو ، وعوف ، وجُشَم ، وكعب ، والحارث ، وسيأتى بيان ما انتشر من قبائلهم .

وقال ابن حــزم : إن عقب السائب بن قطن بن عوف بن الخزرج لم يكن منهم أحد بالمدينة ، كانوا بعمان ؛ فليسوا من الأنصار ، وذكر نحو ذلك فى بعض بنى الحارث بن الخزرج الأكبر كما سيأتى ، وذكر أيضاً أن بعض بنى جَفْنَة بن عمرو مزيقياء كانوا بالمدينة فى عداد الأنصار ، والله أعلم .

الفصـــل الرابع

فى تمكنهم بالمدينة ، وظهورهم على يهود ، وما اتفق لهم مع تبــع

قال الشرقى : لما قدمت الأوس والخزرج المدينة تفرقوا فى عاليتها وسافلتها ، ومنهم من نزل مع قوم من بنى إسرائيل فى قراهم ، ومنهم من نزل وحْدَه لا مع بنى إسرائيــل ولا مع العــرب الذين كانوا قد تألفوا إلى بنى إسرائيل ، وكانت الثروة فى بنى إسرائيل ، كانوا نيفاً على عشرين قبيــلة ، ولهم قُرًى أعدُّوا بها الآطام ، فنزلت الأوس والخزرج بينهم وحواليهم .

---

(١) ابغوا : اطلبوا ، يأمرهم إذا بعث النبى العربى أن ينصروه ويؤيدوه .

إقامة الأوس والخزرج مع اليهود

وقال ابن زبالة عن مشيخة من أهل المدينة قالوا : أقامت الأوس والخزرج بالمدينــة ، ووجدوا الأموال والآطام والنخيل فى أيدى اليهود ، ووجدوا العــدد والقوة معهم ، فمكثت الأوس والخزرج ما شاءالله ، ثم إنهم سألوهم أن يعقدوا بينهم جــواراً وحِلْفاً يأمن به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به ممن ســواهم ، فتعاقدوا وتحالفوا واشــتركوا وتعاملوا ، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلا ، وأَمِرَتِ[1] الأوسُ والخزرجُ وصار لهم مال وعدد ، فلما رأت قريظةُ والنضيرُ حالهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم ، فتنمروا لهــم حتى قطعوا الحِلْفَ الذى كان بينهم ، وكانت قريظة والنضير أعَدَّ[2] وأكثر ، وكان يقال لهما الكاهنان ، و بنوالصريح ، وفى ذلك يقول قيس بن الخطيم مُثْنياً عليهم :

كنا إذا رامَنَا قـــومٌ بمظلمة ... شدت لنا الكاهنان الخيلَ واعتزموا

نَسُوا الرهون وآسَــوْنا بأنفسهم ... بنو الصَّريح فقد عَفُّوا وقد كَرُمُوا

قصة الفطيون ملك اليهود الطاغية

فأقامت الأوس والخزرج فى منازلهم خائفين أن تُجْلِيهم يهودُ، حتى نَجَم[3] منهم مالك بن العجلان أخو بنى سالم بن عوف بن الخزرج وسَوَّده[4] الحيانِ الأوسُ والخزرجُ ، وكان الفِطْيَوْنُ — أى بالفاء المكسورة ، وقال ياقوت : الفيطوان — ملك اليهــود بزهرة ، وكانت لا تُهْدَى عروسٌ بيثرب من الحيين الأوسِ والخزرج حتى تدخل عليـــه فيكون هو الذى يفتضها قبل زوجها ، فتزوجت أختُ مالك بن العجلان رجلا من قومها ، فبينا مالك فى نادى قومه إذ خرجت أخته فُضُــلاً ، فنظر إليها أهــلُ المجلسِ ، فشقَّ ذلك على مالك ، ودخل فعنَّفها وأنبها ، فقالت : ما يُصْنَع بى غداً أعظم من ذلك ، أهْدَى إلى غير زوجى ، فلمــا أمسى مالك اشتمل على السيف ودخل على الفِطْيون متنكراً مــع النساء ، فلما خَفَّ مَنْ[5] عنده عدا عليه فقتله وانصرف إلى دار قومه، ثم بعث هو

(١) أمرت — بكسر الميم — زادت وكثرت . (٢) أعد : أكثر عددا

(٣) نجم: ظهر. (٤) سودوه : صيروه سيداً عليهم . (٥) خف من عنده: ذهبوا

وجماعة من قومه إلى مَنْ وقع بالشام من قومهم يخبرونهم بحالهم ويشكون إليهم غَلَبة اليهود ، وكان رسولهم الرمق بن زيد بن امرىء القيس أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج ، وكان قبيحاً دميا شاعراً بليغاً ، فمضى حتى قدم على أبى جُبَيلة أحد بنى جُشم بن الخزرج الذين ساروا من يثرب إلى الشام ، وقال بعضهم : كان أبو جُبَيلة من ولد جَفْنَة بن عمرو بن عامر قد أصاب ملكا بالشام وشَرَفاً .

قلت : قد تقدم أن أبناء جَفْنة من غسَّان ، وكانوا بالشام ملوكا .

ولما ذكر ابن حزم[1] بنى جشم بن الخزرج قال : فولد جُشَم غضْب ، فولد غضب مالك ، فولد مالك عبد حارثة ، فولد عبد حارثة حبيب ، فولد حبيب عبد الله ، فولد عبدالله أبا جُبَيلة الملك الغسانى الذى جَلَبه مالكُ بن العَجْلان لقتل اليهود ، انتهى .

وفيه نظر ؛ إذ ليس من بطون الخزرج غسانى كما يؤخذ مما قدمناه عن ابن حزم أيضاً ، والمشهور ما قدمناه ، قالوا : فشكا إليه حالَهم وغلبةَ اليهود عليهم ، وما يتخوفون منهم ، وأنهم يخشون أن يخرجوهم . وأنشده من شعره . فتعجب من شعره وبلاغته وقبحه ودمامته ، وقال: عَسَل طيب فى وعاء خبيث . فقال الرمق: أيها الملك ، إنما يُحْتَاج من الرجل إلى أصْغَرَيْه لسانِه وقلبه . فقال : صدقت ؛ وأقبل أبو جُبَيلة فى جمع كثير لنصرة الأوس والخزرج . كذا قاله ابن زبالة .

وقد نقل رزين عن الشرقى ما يقتضى أن مالك بن العجلان هو الذى توجَّهَ بنفسه ، وأن ما ذكر من سيرة الفِطْيَوْن فى افتضاض الأبكار إنما كانت فى غير الأوس والخزرج ، وأنه أراد أن يسير فيهم بذلك ، فقتله مالك بن العجلان ، فإنه قال : إن الفطيون كان قد شَرَطَ أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى تدخل عليه ، فلما سكن الأوسُ والخزرجُ المدينةَ أراد أن يسير فيهم بتلك السيرة ؛ فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلا من بنى سليم ، فأرسل الفِطْيَوْنُ رسولا فى ذلك

(١) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٣٦

وكان مالك أخوها غائباً ، فخرجت تطلبه ، فمرت بقوم أخوها فيهم ، فنادته ، فقال أخوها : لقد جئت بسُبَّة يا هنتاه ، تناديني ولا تستحيي ؟ فقالت : الذي يُرَاد بي أكبر ، فأخبرته ، فقال لها : أكْفِيكِ ذلك ، فقالت : وكيف ؟ فقال : أتزيّا بزيّ النساء وأدخل معك عليه بالسيف فأقتله ، ففعل ، ثم خرج حتى قدم الشام فنزل على أبي جُبَيلة ، وكان نزلها حين نزلوا هم المدينة ، فجيش جيشاً عظيماً ، وأقبل كأنه يريد اليمن واختفى معهم مالك بن العَجْلَان ، فجاء فنزل بذي حُرض ، وأرسل إلى أهل المدينة من الأوس والخزرج فأتَوْا إليه فوصَلَهم وأعطاهم ، ثم أرسل إلى بني إسرائيل — يعني اليهود — وقال : مَنْ أراد الحباء[1] من الملك فليخرج إليه ، و إنما فعل ذلك خِيفَةَ أن يتحصنوا في الحصون فلا يقدر عليهم ، فخرج إليه أشرافُ بني إسرائيل كلهم ، فأمرلهم بطَعَام حتى اجتمعوا ، فقتلهم من عند آخرهم ، فلما فعل ذلك صار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة ؛ ففي ذلك يقول البَلَوي يمدح مالكا فيما فعل :

فليشهدنَّ بما أقولُ عصابةٌ ... بَلَوِيَّةٌ وعصابة من سالم

هل كان للفِطْيَوْنِ عُقرنساكم ... حكم النصيب وليس حكم الحاكم

حتى حَبَاه مالكٌ عن عِرْسِه ... حمراء تضحك عن نجيع قاتم

ثم ذكر أبياتاً نسبها إلى أبي يزيد بن سالم أَحَدِ بني سالم بن عوف بن الخزرج مدح بها أبا جُبَيلة ونسبها ابنُ زبالة للرمق فإنه قال : إن الأوس والخزرج قالوا لأبي جُبَيلة لما قدم لنصرهم : إن علم القوم ما تريد تحصنوا في آطامهم فلم تقدر عليهم ، ولكن ادْعُهم للقائك وتلطفهم حتى يأمنوك ويطمئنوا فتستمكن منهم ، فصنع لهم طعاماً وأرسل إلى وجوههم ورؤسائهم ، فلم يبق من وجوههم أحد إلا أتاه ، وجعل الرجل منهم يأتي بحامّته وحشمه[2] رجاء أن يحبوهم ، وكان قد بَنَى لهم حيزا وجعل فيه قوماً فأمرهم أن يقتلوا مَنْ دخل عليهم منهم ، ففعلوا حتى أتوا على

---

(١) الحباء — بزنة الكتاب — العطاء

(٢) حامة الرجل : خاصته من أهله وولده ، والحشم : كالخدم وزنا ومعنى

وجوههم ورؤسائهم ، فعزت الأوس والخزرج بالمدينة ، واتخذوا الديار والأموال والآطام ، فقال الرمق يثنى على أبى جُبَيْلة :

لم تقض دينك من حسان　　وقد عنيت وقد عنينا
قضيت همك فى الحسان　　فقد عنيت وقد عنينا

وفى رواية رزين :

الراشقات المرشقا　　ت الجازيات بما جزينا
أمثال غزلان الصَّرا　　ئم يأتزرن ويرتدينا
الرَّيْطَ والدِّيبَاجَ والـ　　ـحَلْىَ المفصل والبُرِينا(١)
وأبو جُبَيْلَةَ خير من　　يمشى ، وأوفاه يمينا
وأبَرُّهُمْ براً وأعـ　　ـلمهم بِهَدْىِ الصالحينا
القائد الخيـلِ الصوا　　نع بالكُماة المُعْلِمِينَا
أبقت لنا الأيام والـ　　ـحَرْبُ الملمة تَعْتَرِينا
كَبْشاً له درٌ يغـ　　ـل متونها الذكر السمينا
وَمَعاقلا شُمًّا وأسـ　　ـيافا يقمن وينحنينا
ومحـلة زوراء تَجْـ　　ـحف بالرجال الظالمينا

وفى بعض الروايات أن مالك بن العَجْلان لما قتل الفِطْيَوْن قصد اليمن إلى تُبَّع الأصغر ؛ فشكا إليه ما كان الفِطْيَوْنُ يسير فيهم ، فعاهد أن لا يقرب امرأة ولا يمس طيباً ولا يشرب خمراً حتى يسير إلى المدينة ويذل مَن بها من اليهود ؛ ففعل ذلك .

وذكر ابن قتيبة فى معارفه تُبَّع بن حسان ، قال : وهو تبع الأصغر آخر التبابعة ، وذكر أنه صار إلى الشام وملوكها غسان فأطاعته ، قال : وصار إلى ابن أخيه الحارثِ وهو بالمستقر من ناحية هَجَر فأتاه قوم كانوا وقعوا إلى يثرب ممن

---

(١) البرين : جمع برة — بضم الباء وفتح الراء مخففة — كل حلقة من سوار أو قرط أو خلخال ، وتجمع أيضاً على برى مثل مدى

خرج مع عمرو مُزَيْقِياء وحَالَفُوا اليهودَ بيثرب ـ أى وهم الأنصارُ ـ فشَكَوْا اليهود ، وذكروا سوء مجاورتهم ، ونَقْضَهم الشرط الذى شرطوه لهم عند نزولهم ، ومَتُّوا[1] إليه بالرحم، فأحْفَظَه ذلك[2] ، فصار إلى يثرب ونزل فى سَفْح أُحُد، و بعث إلى اليهود ، فقتل منهم ثلاث مائة وخمسين رجلا صَبْرًا ، وأراد خَرَابها ، فقام إليه رجل من اليهود قد أتت عليه مائتان وخمسون سنة فقال : أيها الملك ، مثلُكَ لا يقتل على الغَضَب ، وأمرك أعظم من أن يطير بك برق أو يسرع بك لجاج ، فإنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية ، قال : ولم ؟ قال : لأنها مُهَاجَر نبى من ولد إسماعيل يخرج من عند هذه البَنِيَّة، يعنى البيتَ الحرام ، فكَفَّ تبع ومضى ومعه هذا اليهودى ورجل آخر من اليهود عالم ، وهما الحبران، فأتى مكة ، وكَسَا البيتَ ثم رجع إلى اليمن ومعه الحَبْرَان وقد دَانَ بدينهما وآمن بموسى صلى الله عليه وسلم ، اه .

فلعل مالك بن العَجْلَان كان قد توجه إلى جهة ملك غَسَّان وبها تُبَّع المذكور فوقع من كل منهما نصرةُ ، فأضافه قوم إلى تبع ، وقومٌ إلى أبى جُبَيْلة الغسانى .

قالوا : ولعنت اليهودُ مالكَ بن العَجْلَان فى كنائسهم و بيوت عباداتهم ، فبلغه ذلك ، فقال :

تحامى اليهود بِتَلْعَانِهَا ... تحامى الحمير بأبوالها[3]
وماذا علىَّ بأن يلعنوا ... وتأتى المنايا بإذلالها

وقالت سارة القرظية ترثى من قتل من قومها :

بأهْلِى رِمَّــةٌ لم تغن شَيْئًا ... بذى حرض تعفّيها الرياحُ
كهول من قريظة أتلفتهم ... سيوفُ الخَزْرَجية والرماحُ
ولو أذنوا بأمرهم لَحَالَتْ ... هنالك دونهم حربٌ رَدَاحُ[4]

قال أهل السير : ثم انصرف أبو جبيلة راجعا إلى الشام ، وقد ذَلَّلَ الحجاز والمدينة ، ومَهَّدَها للأوس والخزرج .

---

(١) تقول: مت فلان إلى فلان بآصرة ، تريد أنه وصل نفسه به (٢) أحفظه: أغضبه
(٣) التلعان : اللعن (٤) حرب رداح ـ بزنة سحاب ـ ثقيلة تضم كتائب جرارة

ونقل المجد عن ياقوت أن تُبَّعاً كان بالمدينة ، فإنه قال : وعكس ياقوت قصة افتضاض الأبكار ؛ فجعل أنها كانت باليمامة ، وأن أهل المدينة مع تُبَّع هم الذين أزالوا هذه الفضيحة من اليمامة ، ثم أورد كلامَ ياقوت، وليس مضمونه ماذكره ؛ بل مضمونه أن مَنْ كان يُفْعَلُ فيهم هذه الفضيحة باليمامة احتالوا فى دفعها وقتلوا من كان يفعل بهم ذلك وغلبوا عليهم ، فهرب منهم شخص ولحق بتبع فَنَصَره تبع مع أهل المدينة ، وهو خبر ممتنع فلنورده تبعاللمجد ، قال ياقوت: إن طَسْما وجَدِيسا من ولد لاوذ بن إرم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام أقاموا باليمامة ، وكثروا بها ، حتى ملكوا عليهم عمليق الطَّسْمى ـ وكان جبارا غَشُوما ، وكان قد قضى بقضاء جائر بين امرأة وزوجها من جديس ، فأنشدت المرأة أبياتا بلغته ، فأمر ألاَّ تُزَوَّجَ بكر من جديس حتى تدخل عليه فيكون هو الذى يفترعها[1] ـ ولَقُوا منه ذلا ، حتى زوجت منهم أخت الأسود بن غفار سيد جديس ، وكان جَلْدًا ، فلما كانت ليلةُ الإهداء خرجت والقِيانُ[2] حولها لتُحْمَلَ إلى عمليق وهن يضربن بمعازفهن و يَقُلْن :

أَبْدَىْ بعمليق وقُومِى فاركبى وبَادِرِى الصبحَ بأمرٍ معجب
فسوف تَلْقَيْنَ الذى لم تطلبى وما لبكر دونه من مهرب

ثم أدخلت على عمليق فافترعها ، وقيل : كانت أيدَة[3] ، فامتنعت عليه ، فخاف العار فوَجَأها[4] بحديدة فى قُبُلها فأدماها ، فخرجت وقد تقاصرت إليها نفسُها فشقَّتْ ثوبها من خلفها ودماؤها تسيل ، فمرت بأخيها فى جمع من قومه وهى تبكى وتقول :

لا أحَدٌ أذَلّ من جَدِيس أهكذا يفعل بالعروس[5]

فى أبيات ، فأغضب ذلك أخاها، ووقفها على نادى قومه، وهى تقول :

---

(١) يفترعها : يفتضها ويزيل بكارتها (٢) القيان : جمع قينة ، وهى الجارية المغنية
(٣) أيدة : شديدة قوية (٤) وجأها : ضربها ووخزها
(٥) ذكر ياقوت مع هذا البيت بيتين آخرين (٥٠٧/٨)

أيجملُ أن يؤتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجال فيكم عدد الرمل[١]
أيجمل تمشى فى الدما فتياتكم ... صبيحةَ زُفَّتْ فى العشاء إلى بَعْلِ[٢]
فإن أنتم لم تغضبُوا بعد هذه ... فكونوا نساءً لاتغب من الكحل
ودونكم ثوبَ العروس فإنما ... خُلِقْتم لأثواب العَرُوسِ وللغسل
فلو أننا كنا رجالا وكنتمُ ... نساء لكنا لا نقر على الذل
فمُوتُوا كراما أو أميتوا عدوكم ... وكونوا كنار شب بالحطب الجَزْلِ
وإلا فَخَلوا بَطْنها وتحمَّلوا ... إلى بلدٍ قَفْرٍ وهزل من الهزل
فللموت خير من مقامٍ على أذى ... وللفقر خير من مقام على ثُكْلِ[٣]
فدبُّوا إليه بالصَّوارم والقنَا ... وكل حُسَام مُحْدَثِ العهد بالصَّقلِ
ولا تجزعوا للحرب قومى فإنما ... يقومُ رجال للرجال على رجل
فيهلك فيها كل وغل مواكل ... ويسلم فيها ذو الجلادة والفضل

فامتلأت جَديس غيظا، ونكسوا رءوسهم حياء، وتشاوروا فى الأمر، فقال الأسود: أطيعونى فإنه عز الدهر، وقد رأيت أن أصْنَعَ الملك طعاما ثم أدعُوَه وقومه، فإذا جاءونا قتلت الملك، وقام كل منكم إلى رئيس منهم فقتله، فلا يبقى للباقين قوة، فَنَهَتْهُمْ أختُ الأسود عن الغدر، وقالت: ناجزوهم فلعل الله أن ينصركم عليهم لظلمهم؛ فعصوها فقالت:

لا تغدرُنَّ فإنَّ الغدر مَنْقَصة ... وكل عيب يُرَى عَيْبًا وإن صَغُرَا
إنى أخاف عليكم مثل تلك غدًا ... وفى الأمور تدابير لمن نظرا
حُشُّوا سعيرا لهم فيها مُنَاجَزَةً ... فكلكم باسلٌ أرجو له الظفرا[٤]

فأجابها أخوها:

شتان باغ علينا غير متئد ... يغشى الظلامة لا يبقى ولن يذرا
إنا لعمركِ لا نبدى مُنَاجَزَةً ... نخاف منها صُرُوفَ الدهر من ظفرا

---

(١) حفظى من عهد الطلب «أيجمل مايؤتى إلى فتياتكم»
(٢) حفظى «وتصبح تمشى فى الدماء عفيرة» (٣) فى ياقوت «وللهزل خير من مقام على ثكل»
(٤) حش النار: أوقدها، وفى المطبوعات «جيشوا» وفى ياقوت «حسوا» وكلاهما تطبيع.

إنى زعيم بطسم حين تحضرنا عند الطعام بضرب يهتك الفِقَرَا[١]

وصنع الأسود الطعام ، ودفن كل منهم سيفه تحته فى الرمل مُجَرَّدا ، فلما جلس الملك وقومه للأكل وثبَتْ عليهم جديس حتى أبادوهم ، ثم قتلوا باقيهم ، فهرب رجل من طَسْم حتى لحق بتُبَّع تبان أسعد بن كلكيكرب ، وقيل : بحَسَّان بن تُبَّع الحميرى وكان بالمدينة ، فاستغاثه ، وذكر أبياتا فيها غَدْرُ جديس بهم ، فوعده بنصره ، ثم رأى منه تباطؤاً فقال :

إنى طلبت لأوتارى ومَظْلِمَتِى بآل حَسَّان آل العز والكرم

المتعمين إذا ما نعمة ذُكرت والواصلين بلا قُرْبَى ولا رَحِم

قصة زرقاء اليمامة

فى أبيات أخرى ، فسار تبع من المدينة فى جيوشه ، حتى [إذا] كان عند جبل على ليلة من اليمامة قال له الطسمى : توقفْ أيها الملك فإن لى أختا متزوجة فى جديس يقال لها يمامة أبْصَر خلق الله على بعدٍ ، و إنى أخاف أن ترانا فَتُنْذِرهم بنا ، فأقام تبع ، وأمر رجلا فصعد الجبل ليرى ما هنالك ، فدخل فى رِجْله شوكة بالجبل ، فأكبّ يستخرجها ، فأبصرته اليمامة ، وكانت زرقاء العين ، فقالت لهم : إنى أرى على الجبل الفلانى رجلا وماأظنه إلا عَيْناً[٢] ، فقالوا: مايصنع؟ فقالت: إما يَخْصِف[٣] نَعْلا أو يَنْهَش كَتِفاً ، فكذبوها ، ثم قال الطسمى لتبع : إن بصرها بالليل أنفذ فمر أصحابك ليقطعوا من الشجر أغصانا ليستتروا بها فيشبهوا[٤] عليها الأمر ، ففعلوا ، حتى إذا دَنَوْا من اليمامة ليلا ؛ فنظرت اليمامة فقالت : يا جديس سارت إليكم الشجر ، أو جاءتكم أوائل خيل حمير ، فكذبوها ، فَصَبَّحتهم حمير ، فهرب الأسود فى نفر من قومه لجبلى طيء وفتح أهلُ المدينة حصونَ اليمامة ، وامتنع عليهم حصن زرقاء اليمامة ؛ فصابره تبع حتى افتتحه ، وقَبَضَ عليها ، وسألها : كيف أبصرتهم ؟ فأخبرته بخبر الذى صعد الجبل ، فسأله تبع ، فقال : صعدت فانقطع شِرَاكُ نعلى وأصابتنى شوكة ؛ فعالجت إصلاحها و إصلاح قبالى بفمى ،

(١) الفقر : جمع فقرة ، وهى الواحدة من خرزات الظهر

(٢) العين، هنا: الجاسوس (٣) يخصف: يرقع (٤) يشبهوا عليها: يلبسوا عليها الأمر

فقال لها: أنَّى لك هذا[١]؟ قالت : كنت آخذ حَجَرا أسود فأدقّه وأكتحل به : فكان يقوى بصرى ، فيقال : إنها أول من اكتحل بالإثمد ، فأمر تبع بقَلْع عينيها ليرى ما فيهما ، فوجد عروقها كلها محشوة بالإثمد ، وخربت اليمامة يومئذ ؛ لأن تبعا قتل أهلها ، ولم يخلف بها أحدا ، ورجع إلى المدينة .

هذا ماذكره المجد عن ياقوت باختصار ، وليس فيه عكس القضية ؛ فيجوز أن يقع بكل من اليمامة والمدينة مثل هذا ، والظاهر أن قصة اليمامة كانت بعد قصة المدينة .

ونقل رزين عن الشرقى أن أباجُبَيْلة لما فرغ من نصر أهل المدينة رجع إلى الشام ؛ فأقبل تبع الأخير ــ وهو كرب بن حَسَّان بن أسعد الحميرى، والتبابعة كلهم من حمير ــ يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل ؛ فمرَّ بالمدينة ، فخلف فيها ابنا له ومضى حتى قدم الشام ، ثم سار حتى قدم العراق ، فلما كان بالعراق قُتِلَ ابنُه بالمدينة غِيلة[٢] فأقبل راجعا يريد تخريب المدينة ، فنزل بسفح أُحُدٍ ، فاحتفر بئرا ثم أرسل إلى أشراف المدينة ، فلما جاءهم الرسول قال بعضهم : إنما أراد أن يملكنا على قومنا ، وقال أحيحة : والله ما دعاكم لخير ، وكان لأحيحة رَئِىٌّ من الجن[٣] فخرجوا وخرج أحيحة معه بقَيْنة وخمر وخباء ، فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر ، ثم دخل على تبع أولَ الناسِ . فتحدث معه ، ففطن بالشر ، ثم قال : إن أصحابى يَصِلُونَكَ إلى الظهر ، فاستأذن فى الخروج إلى الخيمة ، فأذن له ، فشرب وجعلت القينة تُغَنيه بأبيات صَنَعها لها تقول :

---

(١) أنى لك هذا : من أين لك هذا ، وفى القرآن الكريم : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يامريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله)

(٢) قتله غيلة : أى غدراً من غير أن يظهر القاتل له ويناجزه

(٣) كان أهل الجاهلية يعتقدون أن لكل كاهن صاحبا من الجن يسترق له السمع ويلقى عليه مايسمعه ، وقد حكى القرآن الكريم استراق السمع على لسان الجن .

لتبكني قينة ومزهرها وتبكني قهوة وشاربها
وتبكني عصبة إذا اجتمعت لا يعلم الناس ما عواقبها

وهو يقالُ من الشراب ، وجاء أصحابه قريبا من الليل ، فأمر لهم تبعٌ بضيافة ، فلما كان فى جوف الليل أرسل إليهم ليقتلهم ، ففطن أحيحة ، فقال للقينة : أنا سائر إلى أهلى ، فإذا طلبنى الملك فقولى : هو نائم ، فإذا ألحوا فقولى : يقول لك : أما أحيحة فقد ذهب فاغْدِرْ بقينته أو دَعْ ، وانطلق فتحصن فى حصنه ، فحاصروه ثلاثا يقاتلهم بالنهار ، وإذا كان بالليل يرمى إليهم بتمر ويقول : هذا ضيافتكم . فأخبروا تبعا أنه فى حصن حصين ، فأمرهم أن يحرقوا نخله ، واشتعلت الحربُ بين تبع وأهل المدينة من اليهود والأوس والخزرج ، وتحصَّنُوا فى الآطام ، فخرج رجل من أصحاب تبع حتى جاء بنى عَدِىّ بن النجار ، فدخل لهم حديقة ، فرقى على عذق منها . فأخذ يجده[1] ، فنزل إليه صاحب العذق فقتله وجره إلى بئر وألقاه فيها ، وهو يقول :

جانا يجـدُّ نخيلنا وكان الجداد لمن قد أَبَرْ[2]

فزاد ذلك تبعا حَنَقاً[3] ، وجرد إلى بنى النجار خيلا ، فقاتلهم بنو النجار ورئيسهم يومئذٍ عمرو بن طلحة أخو بنى معاوية بن مالك بن النجار ، ورمى عسكر تبع حصون الأنصار بالنبل ، فلقد جاء الإسلامُ والنبل فيها ، وجزع فى القتال فرس تبع فخلف لا يبرح حتى يخر بها بزعمه ، فسمع بذلك أحبارٌ من اليهود فنزلوا إليه وقالوا : أيها الملك إن هذه البلدة محفوظة ، فإنا نجد اسمها فى الكتاب طيبة ، وإنها مُهَاجَر نبى[4] من بنى إسماعيل من الحرم ، وهى تكون قراره فلن تُسلط عليها ، فأعجب تبع بقولهم ، فصرف تبع نيته عنها ، وأمر أهلَ المدينة فتبايعوا مع العسكر ، وكان تبع قد استوبأ

---

(١) يجده : يقطعه ، والعذق ، بالكسر : سباطة النخل
(٢) أبر النخل يأبره — من باب ضرب — أصلحه ، والبيت لا يستقيم صدره مع عجزه
(٣) الحنق — بالتحريك — الغضب (٤) مهاجر نبى : مكان هجرته

بئره[١] التى حفر ،فرض، فجاءته امرأةمن بنىزريق اسمها فكهة براوية[٢] من بئر رُوَمَةَ فأعجبه فاستلذه ، فلما كان رحيله قال لها: يافكهة ماتترك فى موضعنا من شىء إذا رحلنا فهو لك ، فأخذت ذلك ، فاستغنت منه ، وخرج تبع يريد اليمن ومعه من الأحبار الذين نَهَوْه عن خراب المدينة رجلان أوثلاثة ، فقال لهم : تسيرون معى أياما آنَسُ بحديثكم ، فكانوا يحدثونه عن الكتاب وعن قصة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يتركهم حتى وصلوا معه إلى اليمن ؛ فهم كانوا أول يهودى دخل اليمن ، واتفق فى مسيرِهِ قصة إكسائه الكعبة .

وقد قدمنا فى بعض الروايات أن مالك بن العجلان لما قتل ملكَ اليهود قصد اليمن إلى تبع الأصغر ، وأنه الذى نصرهم على يهود ، ولعل هذا مراد ياقوت لقوله « إن يهود كانوا أهل المدينة حتى أتاهم تبع فأنزل معهم بنى عمرو بن عوف » لكن نقل المجد وغيره عن المبتدأ لابن إسحاق أنه قال فى بيت أبى أيوب الذى نزله النبى صلى الله عليه وسلم مَقْدَمَه[٣] المدينة : إن تبعاً الأول بناه لما مر بالمدينة ، قال فى المبتدأ : واسمه تبان أسعد بن كلكيكرب، وكان معه أربعمائة عالم ، فتعاقدوا على أن لايخرجوا منها ، فسألهم تبع عن سر ذلك ، فقالوا : إنا نجد فى كتبنا أن نبياً اسمه محمد هذه دار مُهَاجره ؛ فنحن نقيم لعل أن نلقاه ، فأراد تبع الإقامة معهم ، ثم بَنَى لكل واحد من أولئك دارا واشترى له جارية وزوجها منه وأعطاه مالا جزيلا ، وكتب كتاباً فيه إسلامه، ومنه :

شهدتُ على أحمد أنه ... رسولٌ من الله بارى النَّسَمْ[٤]

فلو مدَّ عمرى إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابنَ عَمّْ

وختمه بالذهب ودفعه إلى كبيرهم ، وسأله أن يدفعه إلى النبى صلى الله عليه

---

(١) استوبأه : وجده وبيئا (٢) الراوية : المزادة مملوءة ماء

(٣) مقدمة المدينة : يعنى فى وقت قدومه إليها .

(٤) البارى : أصله البارىء ، ومعناه الخالق ، والنسم : جمع نسمة

وسلم إن أدركه ، و إلا فَمَنْ أدركه من ولده أو ولد ولده ، وَبَنَى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا لينزلها إذا قدم المدينة ، فتداول الدارَ الملاكُ إلى أن صارت لأبى أيوب وهو من ولد ذلك العالم ، وأهل المدينة الذين نصروه كلهم من أولاد أولئك العلماء ، انتهى .

زاد غير المجد : و يقال : إن الكتاب الذى فيه الشعر كان عند أبى أيوب حين نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، فدفعه له ، وهو غريب ، وكتب التواريخ متظاهرة[1] على ما قدمناه فى أمر الأنصار ونسبهم .

وقد ذكر السهيلى إيمان تُبَّع بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر البيتين ، وروى حديث «لا تَسُبُّوا تبعاً فإنه كان مؤمنا» .

وروى عبد الرزاق عن وَهْب بن منبه قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد وهو تبع . قال وهب : وكان على دين إبراهيم .

وروى أحمد من حديث سَهْل بن سعيد رفعه « لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم » وأخرجه الطبرانى من حديث ابن عباس مثله ، و إسناده أصلح من إسناد سهل ، وأما ما رواه عبد الرزاق عن أبى هريرة مرفوعا « لا أدرى تبع كان لعينا أم لا » فمحمول على أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم بحاله .

وقال المرجانى : إن أبا كرب بن أسعد الحميرى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنة ، وقال : * شهدت على أحمد — البيتين المقدمين * و إن أباه أسعد هو تُبَّع الذى كسا الكعبة ، ونقله عن حكاية ابن قتيبة ، والذى رأيته فى المعارف[2] لابن قتيبة أن أسعد أبا كرب الحميرى هو الموصوف بما ذكره..

(١) متظاهرة : متساندة يقوى بعضها بعضا ؛ لأنها متفقة فى هذا الذى يذكره .

(٢) انظر المعارف لابن قتيبة (طبع الإسلامية فى سنة ١٣٥٣ ص ٢٧٤) وقد أشار إلى خلاف فيمن كسا البيت أهو تبع الأوسط أم تبع الآخر ، ولكنه لم يذكر خلافا فى أن الذى آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم هو أسعد أبو كرب بن كليكرب ، كما ذكر أن الذى ذهب إلى جديس هو حسان بن تبع

وروى ابن زبالة أن تبعاً لما قدم المدينة وأراد إخرابها جاءه حَبْرَان من قُرَيْظَة يقال لهما سحيت ومنبه فقالا : أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنها مُهَاجر نبى من بنى إسماعيل اسمه أحمد يخرج فى آخر الزمان ، فأعجبه ما سمع منهما ، فصدقهما وكَفَّ[1] عن أهل المدينة .

الفصل الخامس

فى منازل قبائل الأنصار بعد إذلال اليهود ، وشيء من آطامهم ، وما دخل بينهم من الحروب ، وهو نافع فى معرفة جهات المساجد التى لا تعرف اليوم ، وغير ذلك .

اعلم أن ابن زَبَالة نقل ما حاصله أن الأوس والخزرج بعد انصراف أبى جُبَيْلة ونصره لهم تفرقوا فى عالية المدينة وسافلتها ، واتخذوا الأموال والآطام ، فنزل بنو عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج الأصغر وبنو حارثة بن الحارث ابن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة فكلاهما من الأوس دَارَ بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظفر مع طرف الحرة الشرقية ، قاله المطرى ، والذى يظهر لى أن منازلهم كانت قريبة من منازل بنى ظفر فى شاميها وتمتد إلى الحرة المعروفة اليوم بدشم وما حولها ، بل سيأتى فى ترجمة الخندق ما يقتضى أن منازلهم كانت بالقرب من الشيخين[2] . وابتنى بنو عبد الأشهل أُطُماً يقال له « واقم » وبه سميت الناحية واقما ، وكان لحضير بن سماك ، وله يقول شاعرهم :

نحن بنينا واقماً بالحــرة ... بلَازِبِ الطين وبالأصرة

وله يقول خُفَاف بن نَدْبة :

---

(١) كف عنهم: تركهم

(٢) قال ياقوت (٥/٣١٩) : «شيخان بلفظ تثنية شيخ : كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد ، وهناك عرض الناس فأجاز من رأى ورد من رأى ، قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : كنت ممن رد من الشيخين يوم أحد ، وقيل : هما أطمان ، سميا به لأن شيخا وشيخة كانا يتحدثان هناك » اهـ .

لَوَ أنَّ المنايا جُزْنَ عن ذى مهابة ... لهِبْنَ حضيراً يوم أغلق واقما[1]

يطيف به حتى إذا الليل جَنَّه ... تبوّأ منه مضجعاً متناغما

وأطما يقال له « الرعل » بالمال الذى يقال له واسط لصخرة أم بنى عبدالأشهل ، وله يقول شاعرهم يوم بُعَاث :

* نحن بنو صخرة أرباب الرعل *

وآطاما غير ذلك ، وابْتَنَى بنو حارثة أُطُماً اسمه « المسيّر » صار لبنى عبد الأشهل بعد خروج بنى حارثة من دارهم ؛ فإنَّ بنى حارثة تحوّلوا من دارهم هذه إلى غربى مشهد سيدنا حمزة رضى الله عنه فى الموضع المعروف اليوم بيثرب ؛ فكانت بها منازلهم على ما قدمناه عن المطرى فى الباب الأول . والذى تحرر لى من مجموع كلام الواقدى وابن زبالة وغيرهما أن منازلهم التى استقروا بها وجاء الإسلام وهم فيها كانت فى شامى بنى عبد الأشهل بالحرة الشرقية . ويؤيد ذلك ما سيأتى فى ترجمة الخندق من أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطه من أجمة الشيخين طرف بنى حارثة كما رواه الطبرانى .

وقد قال المطرى كما سيأتى عنه : الشيخان : موضع بين المدينة وبين جبل أحد ، على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد . ويؤيده أيضاً أن المطرى قد ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم غدا إلى أُحُد يوم وقعته على الطريق الشرقية المذكورة ، وسيأتى أنه بات بالشيخين .

وفى المعارف لابن قتيبة عن ابن إسحاق : فلما سارت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى نزلوا بيوت بنى حارثة ، فأقاموا بقية يومهم وليلتهم . ثم خرج فى غد ، وذكر انخزال[2] عبد الله بن أبىّ ؛ فتحرر أن بيوت بنى حارثة عند الشيخين وفى ناحيتهما .

---

(١) جزن عنه : تجاوزنه ولم ينزلن به ، وذوالمهابة : الذى يهابه الناس ويخافونه ، وهبن حضيراً : خفنه ، ووقع فى المطبوعات « لهين حضيرا » تطبيع .

(٢) انخزل : تخاذل ورجع عن الحرب

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز ذلك اليوم فى حائط لمربع بن قيظ ، واتفق له معه ما سيأتى ذكره : ومربع هذا من بنى حارثة وأيضاً فقد قدمنا فى الفصل الرابع فى تحريمها قولَ أبى هريرة فى رواية الإسماعيلى: ثم جاء — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم — بنى حارثة وهم فى سَنَد الحرة . اه . وليس الموضع الذى ذكره المطرى فى سَنَد الحرة ، بخلاف الموضع الذى قدمناه ، مع أنه يحتمل أن بعض منازل بنى حارثة كانت بالموضع الذى ذكره المطرى أيضاً .

قال ابن زبالة : وابتنوا بها — أى بدارهم الثانية — أطما يقال له « الريان » عند مسجد بنى حارثة كان لبنى مجذعة بن حارثة ، وسبب خروج بنى حارثة من دار بنى عبد الأشهل حربٌ كانت بينهم و بين بنى عبد الأشهل ، ووالى بنو ظفر بنى عبد الأشهل ، ثم هزمهم بنو حارثة وقتلوا سماك بن رافع وكان باغياً ، قتله مسعود أبو محيصة الحارثى ، وظفرت بهم بنو حارثة فأجْلَوْهُم أولا ؛ فلحقوا بأرض بنى سُليم ، فسار حضير بن سماك ببنى سليم حتى قاتل بنى حارثة ، فقتل منهم ، واشتد عليهم الحصار بأطمهم المسير المتقدم ذكره فى دار بنى عبد الأشهل ، فسارت بنو عمرو بن عوف و بنو خطمة إليهم ، وقالوا : إما أن تُخَلُّوا سبيلهم ، و إما أن تأخذوا عَقْلَ[1] صاحبكم ، و إما أن تصالحوهم ، فاختاروا أن يُجْلوهم ، فخرج بنو حارثة إلى خيبر فكانوا بها قريباً من سنة ، ثم رقّ لهم حضير وطلب صلحهم ، فخرجت السُّفراء فى ذلك حتى اصطلحوا ، وأبَتْ بنو حارثة أن ينزلوا دارهم مع بنى عبد الأشهل ، ونزلوا الدار المعروفة بهم اليوم ، اه .

ونزل بنو ظَفَر وهو كعب بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس دارهم شرقى البقيع عند مسجدهم : أى المعروف بمسجد البغلة بجوار بنى عبد الأشهل .

---

(١) العقل : الدية ، سموها بذلك لأنها كانت تؤخذ من الإبل ونحوها ، وكانت قبيلة القاتل تأتى بالإبل فتعقلها بفناء دار القتيل أو حولها ، ومعنى تعقلها تربطها

وذكر ابن حزم فى الجمهرة أن بطون بنى عمرو بن مالك بن الأوس [وهم] [1] النبيت : منهم ظفر ، وحارثة ، و بنو عبد الأشهل ، و بنو زَعُورا بن جُشَم ابن الحارث أخى عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس .

ولم يذكر ابن زبالة بنى زعورا فى هـــذه البطون ، بل ولا فى بطون الأنصار كلها .

وذكر ابن حزم أن منهم مالك بن التيهان و بنى أوس بن عتيك وغيرهم ، وقال فى موضع آخر : فولد جُشَم عبد الأشهل، بطن ضخم ، وزعورا بطن ، وهم أهل راتج .

ونزل بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس قبــاء ؛ فابتنوا أطما يقال له « الشُّنَيْف » عند دار أبى سفيان بن الحارث بين أحجار المراء و بين مجلس بنى الموالى ، كان لبنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف ، وأطما فى دار عبد الله بن أبى أحمد ، كان لـكلثوم بن الهدم من بنى عبيد بن زيد بن أظلم أخى بنى عبيد ابن زيد بن مالك ، وأطما يقال له واقم كان بقباء لأحيحة بن الجلاح الجحجبى ثم صار لبنى عبد المنذر بن رفاعة فى دية جدهم رفاعة بن زر بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، وله يقول كعب بن مالك :

فلا تتهدَّدْ بالوعيــد سَفَاهَةً ... وأوعِدْ شُنَيْفاً إن عصيت وواقما

وكان فى رحبة بنى زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطما يقال لها الصَّيَاصى، وكان لهم أطم بالمسكبة شرقى مسجد قباء ، وأطم يقال له « المستظل » كان موضعه عند بئر غرس ، كان لأحيحة ثم صار لبنى عبد المنذر فى دية جدهم رفاعة، ثم خرجت بنو جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف من قباء حين قتلوا

(١) هذه الكلمة عن جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص ٣١٩) وظفر عنده ابن الخزرج بن عمرو بن مالك ، واسمه كعب ، وأما جشم وحارثة فمن ولد الحارث ابن الخزرج ، وزعورا وعبد الأشهل ابنا جشم بن الحارث بن الخزرج

رفاعة بن زر وغنما أخا بنى عمرو بن عوف فسكنوا العصبة ، وهى غربى مسجد قباء ، قال سعد بن عمرو الجحجبى لبشر بن السائب : تدرى لم سكنا العصبة ؟ قال : لا ، قال : لأنا قتلنا قتيلا منكم فى الجاهلية ، فقال بشر : والأمانة لوددت أنكم قتلتم منا آخر وأنكم وراء عَيْر ، يعنى الجبل الذى غربى العصبة .

وابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصبة أطما يقال له «الضحيان» وهو الأطم الأسود الذى بالعصبة ، وكان عرضه قريباً من طوله ، بَنَاه أولا من بثرة بيضاء[1] فسقط ، يعنى من حجارة الحرار البيض . وكان يُرَى من المكان البعيد ، وفيه يقول أحيحة :

وقد أعدَدْتُ للحِدْثَانِ حصناً لَوَ انَّ المرء تنفعه العقـــول

طويل الرأس أبيض مُشْمَخِرٌّ يلوح كأنه سيف صـــقيل

وابتنوا هم وبنو جحجبا أطما يقال له « الهجيم » عند المسجد الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم أن بنى أنيف كانوا مع اليهود بقباء ، وأنهم حى من بَلِى ؛ فلذلك لم يذكر ابن زبالة منازلهم هنا ، وسيأتى فى المساجد عن المطرى وتبعه المجد أن بنى أنيف بطن من الأوس ، وأن منازلهم كانت بين بنى عمرو بن عوف وبين العصبة ، ومأخذ المطرى فى نسبتهم إلى الأوس قولُ أهل السير فى المغازى : شهد من الأوس كذا وكذا رجلا ، ثم يذكرون فيهم بعضَ بنى أنيف ؛ وذلك لأنهم حلفاء الأوس ، لا لأنهم منهم ، نبه عليه ابنُ إسحاق حيث قال : شهد بدراً من الأوس بضع وستون رجلا ، فذكر من بنى جحجبا جماعةً ، ثم قال : ومن حلفائهم من بنى أنيف أبو عقيل ، ثم نسبه إلى بلى بن عمرو ابن الحاف بن قضاعة ، لكن استفدنا من كلام المطرى أن منازلهم بين العصبة وقباء ، ويستفاد مما قدمناه عن ابن زبالة أن من منازلهم بئر عذق وما حولها والمال الذى يقال له القائم ، وذلك معروف بقباء .

---

(١) بثرة بيضاء : أى حجارة بيض ، كما سيصرح به .

وخرجت بنو معـــاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فسكنوا دارهم التى وراء بقيع الغرقد المعروفة بهم ، ولا يشكل عليه ما سيأتى فى دور بنى النجار من الخزرج من أن حُديلة[1] لقب لمعاوية بن عمرو بن مالك بن النجار للاشتراك فى الاسم ، ولـكن الشهرة ببنى معاوية لهؤلاء ، وأولئك يعرفون ببنى حُديلة[1] ، وقد اشتبه ذلك على المطرى فقال فى مسجد بنى معاوية ـ وهو مسجد الإجابة ـ مالفظه : هو مسجد بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، ثم قال فى دور بنى النجار : إن بنى حُديلة[1] هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، ودارهم عند بئر حاء. ثم قال : ودار بنى دينار بين دار بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أهـل مسجد الإجابة ، ودار بنى حُديلة[1] ، فذكر أولا أنهم هم، ثم غاير بينهما ،والصوابُ المغـايرة ، وأن بنى حُديلة[1] من الخزرج ، و بنى معاوية من الأوس ، وقد صرح بتغايرهما أهـــلُ السير ، ونسبوهما كما ذكرنا ، ومسجد الإجابة لبنى معاوية من الأوس ، والذى أوقع المطرى فى هذا ما سيأتى عن عياض فى بنى حُديلة[1] إن شاء الله تعـالى .

ومن بنى معاوية هؤلاء حاطبُ بن قَيْس ، وفيـه كانت حرب حاطب كما ذكره ابن حزم .

وخرجت بنو السميعة ـ وهم بنو لوذان بن عمرو بن عوف ـ فسكنوا عنـد زقاق ركيح ، وابتنوا أُطُما يقال له « السعدان » وموضعه فى الرّبع (حائط هناك) ذكره ابن زبالة ، ولعل الرّبع هو الحديقة المعروفة اليوم بالربعي ، وكان بنو السميعة يدعون فى الجاهلية بنو الصماء ، فسماهم النبى صلى الله عليه وسلم بنى السميعة .

ونزل بنو واقف والسلَم ابنا امرىء القيس بن مالك بن الأوس عند مسجد الفضيخ ، فكانا هنالك وولدهما .

وابتنى بنو واقف أطما يقال له « الزيدان » وله يقول قيس بن رفاعة :

---

(١) وقع فى المطبوعات « بنوجديلة » بالجيم — فى كل المواضع ، وهو كذلك فى الخلاصة ، والصواب أنه بالحاء المهملة المضمومة ، على زنة المصغر

وكيف أرجو لذيذ العيش بعدهمُ　　وبعد مَنْ قد مَضَى من أهل زيدان

كان لهم عامة موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ ، وأطما كان موضعه عند بئر عائشة الواقفى ، وغير ذلك ، ثم كان بين السَّلَم وواقف كلام ، فلطم واقف وهو الأكبَرُ عينَ السلَم – وكان شرساً – لخلف لا يساكنه ، فنزل السَّلَم على بنى عمرو ابن عوف ، فلم يزل ولده فيهم ، (ومن بقيتهم سعد بن خيثمة بن الحارث) ثم انقرضوا سنة تسع وتسعين ومائة .

وكان لبنى السلم حصن شرقى مسجد قباء ، ذكره ابن زبالة ، وقد ذكر ابن حزم انقراض جميع بنى السلم ، قال : وكان قد بلغ عددهم فى الجاهلية ألف مقاتل .

قلت : وفى قبلة مسجد الفضيخ عند الحديقة المعروفة بالأشرفية والسابور آثار آطام وقرية وحصن عظيم ، فهى منازل بنى واقف .

ونزل بنو وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس فى دارهم المعروفة بهم ، وابتنوا أطما يقال له « الموجا » كان موضعه فى مسجد بنى وائل

ونزل بنو أمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس فى دارهم المعروفة بهم التى بها الكبا يمر فيها سيل مذينيب بين بيوتهم ثم يلتقى هو وسيل بنى قُرَيظة بفضاء بنى خطمة ، ويؤخذ مما ذكره ابن زبالة فى منازل بنى النضير بالنواعم قربه منزل بنى أمية بن زيد منهم .

وفى صحيح البخارى عن عمر رضى الله عنه قال : كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد ، وهى من عوالى المدينة ، نتناوب النزولَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن زبالة : وابتنوا أطما يقال له «أطم العذق» كان عند الكبا المواجهة مسجد بنى أمية ، وأطما كان فى دار آل رُوَيفع التى فى شرقى مسجد بنى أمية .

ونزل بنو عطية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس

بصَفْنَةَ فوق بنى الْحُبْلى ، وصفنة ـ كجفنة ـ بإهمال أوله سميت بذلك لارتفاعها عن السيول فلم تشرب بشيء منها ، وابتنوا فيها أطما اسمه «شاس[١] » كان لشاس بن قيس أخى بنى عطيـة بن زيد ، وهو الذى على يسارك فى رَحْبـة مسجد قباء مستقبل القبلة ، ووائل وأمية وعطية بنو زيد هم الجعادِرة[٢]، سموا به لأنهم [كانوا] إذا أجاروا جارا قالوا له : جعدر حيث شئت : أى اذهب حيث شئت ، فلا بأس عليك ، فقال الرمق بن زيد :

وإن لنا بين الجوارى وليـدة مقابلة بين الجعـادِر والـكسر
متى تَدْعُ فى الزيدين زيد بن مالك وزيد بن قيس تأتها عزة النصر

قالوا : والـكسر أمية وعبيد وضُبَيعة بنو زيد بن مالك بن عوف ، كان يقال لهم كسر الذهب وذلك أراد الرمق بقوله « والـكسر » كذا قاله ابن زبالة، ونقل رزين أن الجعادرة الأوس كلهم فإنه قال فيما نقل عن الشرقى : فولد الأوْس مالكا ومن مالك قبائل الأوس كلها ، فولد لمالك عمرو وعوف ومرة ، ويقال لهم : أوس الله ، وهم الجعادِرة ، سموا بذلك لقصر فيهم ، اه .

قلت : وسيأتى عن ابن إسحاق فى آخر الفصل السابع ما يقتضى أن أوس الله هم بنو أمية بن زيد ووائل وواقف وخطمة ، والله أعلم .

ونزل بنو خطمة ـ وخطمة هو عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس ـ دارهم المعروفة بهم ، وابتنوا بها الآطام ، وغرسوا النخيل ، فابتنوا بها أطما يقال له « صبع ذرع » ليس فيه بيوت ، جعلوه كالحصن الذى يتحصنون فيه للقتال ، وكان لخطمة كلها ، وكان موضعه عند مهراس بنى خطمة ، وإنما سمى « صبع ذرع » لأنه كان عند بئر بنى خطمة التى يقال لها ذرع ، وابتنى أميـة بن عامر بن خطمة أطما كان موضعه فى مال الماجشون الذى يلى صدقة أبان بن أبى حُدير .

---

(١) فى خلاصة الوفا « شاش » بشينين معجمتين

(٢) فى المطبوعات « الجعاذرة » بالذال المعجمة ، وفى القاموس « والجعادرة : بنو مرة بن مالك بن الأوس » بالدال مهملة

قلت : والظاهر أنه المسمى اليوم « بالمجشونية » فإن اسمه الأصلى «الماجشونية » على ما تقدم فى تربة صُعَيب .

وقال المطرى : منازل بنى خطمة لا يعرف مكانها اليوم ، إلا أن الأظهر أنهم كانوا بالعـــوالى شرقى مسجد الشمس ؛ لأن تلك النواحى كلها ديار الأوس ، وما سَفَلَ من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج ، اهـ .

وفى قوله « وما سفل إلخ » نظر ، والذى يظهر أن أول منازل الخزرج فى هذه الجهة منازل بنى الحارث كما سيأتى ، وفوقها بنو خطمة ، وسيأتى فى وادى بُطْحَانَ ووادى مهزور ما يؤيد ذلك .

وكان بنو خطمة متفرقين فى آطامهم ، لم يكن فى قصبة دارهم منهم أحد ، فلما جاء الإسلام اتخذوا مسجدهم ، وابتنى رجل منهم عند المسجد بيتاً سكنه ، فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عَدَا عليه ، ثم كثروا فى الدار حتى كان يقال لهم غزة ، تشبيهاً بغزة الشام ن كثرة أهلها

وقد انتهى الكلام فى منازل الأوس وهذه منازل الخزرج .

قال ابن زبالة: ونزل بنو الحارث بن الخزرج الأكبر بن حارثة وهم بلحارث دارَهُم المعروفة بهم بالعــوالى : أى شرقى وادى بُطْحان وتربة صُعَيب ، يعرف اليوم بالحارث بإسقاط بنى ، وابتنوا أطما كان لبنى امرىء القيس بن مالك وخرج جشم وزيد ابنا الحارث بن الخزرج وهما التوءمان فسكنا السنح ، وهذا هو المراد بقول ابن حزم: كان سكنى بنى الحارث بالسُّنْح[1] على ميل من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال ابن زبالة : وابتنوا أطما يقال له « السُّنْح[1] » وبه سميت الناحية ، ويقال

---

(١) قال ياقوت (١٤٨/٥) « سـنح : بضم أوله وسكون ثانية وآخره حا مهملة ، إحدى محال المدينة ، كان بها منزل أبى بكر الصديق حين تزوج مليكة — وقيل حبيبة — بنت خارجة بن زيد بن زهير بن مالك بن امرىء القيس » ا

بل اسمهُ « الريان» انتهى . و بالسُّنْح كان منزل أبى بكر الصديق رضى الله عنه بزوجتــه بنت خارجة بن زيد ، قاله عياض ، قال : وهو منازل بنى الحارث بن الخزرج بعوالى المدينة ، و بينه و بين منزل النبى صلى الله عليه وسلم ميل ، انتهى . فــكأن السنح ــ وهو كما قال عياض وغيره بالسين المهملة ثم النون ــ بالقرب من منازل بنى الحارث بالعوالى[1] .وخرج عتبة بن عمر بن خديج بن عامر بن حُشَم بن الحارث بن الخزرج فسكن الشوط وكوم السكومة يقال لها « كومة أبى الحمراء » ثم رجع فى السنح . وخرجت بنو خدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج حتى سكنوا الدار التى يقال لها« جرار سعد» مما يلى سوق المدينة ، وخرجت بنو الأبجر وهو خــدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج وهم بنو خدرة أخوة بنى خدارة فسكنوا دارهم المعروفة ببنى خــدرة ، وابتنوا أطما يقال له « الأجرد » وهو الأطم الذى يقال لبئره البصة ، كان لمالك بن سنان جد أبى سعيد الُخدْرى ، وذكر ابنُ حزم للحارث بن الخزرج الأكبر ابناً اسمه الخزرج بن الحارث ، وقال فيه : فولد الخزرج كعباً ، فسار بعض بنيه إلى الشام مع غسان ، فليس من الأنصــار ، ثم سمى مَنْ بقى منهم الأنصار .

ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدارَ التى يقال لها« دار بنى سالم » على طرف الحرة الغربية غربى الوادى الذى به مسجد الجمعة ببطن رانونا ، وابتنوا آطاما : منها «المزدلف» أطم عتبان بن مالك ، قاله المطرى ، وقال : المزدلف هو الأطم الذى بناه عتبان بن مالك ، كان لمالك بن العجــــلان السالمى ، وله يقول مالك * إنِّى بنيتُ للحروب المُزْدَلِفْ * ومنها « الشماخ » كان خارجاً عن بيوت بنى سالم من جهة القبلة ، ومنها أطم «القواقل» وهو الذى فى طرف بيوت بنى سالم مما يلى ناحية العصبة ، كان لبنى سالم بن عوف ، وتسميته بذلك يرجح ما ذكره ابنُ سيد الناس من أن القواقل[2] بنو غنم

(١) فى الخلاصة« أول العالية»

(٢) فى القاموس « القوقل : اسم أبى بطن من الأنصار لأنه كان إذا أتاه إنسان يستجير به أو بيثرب قال له : قوقل فى هذا الجبل وقد أمنت ،أى ارتق، وهم القواقلة»

و بنو سالم ابنى عوف ، سموا بذلك لأنهم كانوا إذا أجاروا جارا قال له : قوقل حيث شئت ، وأفهم سياقُ بعضهم أن القواقل بعضُ بنى سالم بن غنم ، وهم بنو الحبلى ، وما قدمناه هو الظاهر؛ لما سيأتى فى خروجه صلى الله عليه وسلم من قُبَاء إلى المدينة . وقال ابن حزم : ولَدُ عوف بن عمرو سالم بطن ، وغنم بطن ، وعنز بطن ، وهو قوقل ، وذكر من ولده عُبَادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة ابن قوقل بن عوف بن عمرو .

ونزل بنو غصينة حيٌّ من َبلى حُلَفَاء لبنى سالم عند مسجد بنى غصينة .

ونزل بنو الحبلى — بلفظ المرأة الحبلى — واسمه مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدارَ المعروفةَ بهم بين قباء و بين دار ابنى الحارث بن الخزرج التى شرقى وادى بُطْحان وصُعَيب ، كذا قاله المطرى ، وأظن مستنده ما تقدم فى منازل الأوس من قول ابن زبالة : ونزل بنو عطية بن زيد بن قيس بصَفْنَةَ فوق بنى الحبلى إلى آخره ، وقال ابن حزم : كانت دار بنى الحبلى بين دار بنى النجار و بين بنى ساعدة .

قلت : وسيأتى فى خروجه صلى الله عليه وسلم من قُبَاء إلى المدينة ما يؤيده ، وكذلك مروره صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبىّ فى ذهابه لعيادة سعد بن عبادة ، وما ذكره من أن الحبلى اسمه مالك بن سالم ذكره ابن زبالة ، وقال ابن هشام : الحبلى سالم بن غنم بن عوف ، و إنما سمى الحبلى لعظم بطنه ، انتهى .

وذكر ابن حزم نحوه ، والظاهر أن الحبلى كان يطلق على سالم والد مالك المذكور ، ثم اشتهر به ابنُه هذا من بين بنيه ، وحينئذ فيحمل ما تقدم عن ابن زبالة فى نزول بنى عطية بن زيد بصَفْنَة فوق بنى الحبلى ، على أن المراد دار سالم ابن غنم فى دار بنى سالم؛ لكونه ذكر فى آطام بنى الحبلى هؤلاء ما يوافق كلام ابن حزم فى نزولهم قرب دار بنى ساعدة ، فقال : وابتنوا آطاماً منها « مزاحم » بين ظهران بيوت بنى الحبلى ، وهو لعبد الله بن أبىّ بن سَلُولَ . ومنها أطم كان

بين مال عمارة بن نعيم البياضى و بين مال ابن زمانة . ومنها أطم كان فى جوف بيوتهم . انتهى . وسيأتى فى منازل بنى ساعدة ذكر الحاضة ، وهى مذكورة فى منازل بنى بَيَاضة ، وقد صرح ابن حزم وغيره من أهل السير وعلماء النسب بأن عبد الله بن أبىّ من بنى الْحُبْلَى من الخزرج ؛ فالظاهر أن ما وقع للحافظ ابن حجر فى حديث زوجة ثابت بن قيس بن شماس[1] فى الخلع من أن عبد الله بن أبىّ من بنى مَغَالة من بنى النجار وَهَمٌ . نعم داره غربى المسجد قريبة من دار بنى مَغَالة فيما يظهر . والله أعلم .

ونزل بنو سَلِمة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن تزيد (بالمثناة من فوق) بن جُشَم بن الخزرج الأكبر ما بين مسجد القبلتين إلى المذاد أطمَ بنى حرام فى سَنَد تلك الحرة ، وكانت دارهم هذه تسمى خُربى .قال ابن زبالة: فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلحة » كذا هو فى نسخة ابن زبالة بالطاء ، ونقله عنه الزين المراغى أيضاً كذلك كما رأيته بخطه . ولعل الصواب ما ذكره المجد فى تاريخه أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها «صُلْحَة » بضم الصاد المهملة وسكون اللام ، وقال فى قاموسه : خُرْبا كحبلى : منزلة كانت لبنى سَلِمة غَيَّرها صلى الله عليه وسلم وسماها صالحة .

ونزل بنو سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد الدينارى ، ولهم مسجد القبلتين ، قاله ابن زبالة ، وهو يرد ما سيأتى عن المطرى وغيره من أن المسجد لبنى حَرام ، وابتنوا أطما يقال له « الأغلب» كان على المهد الذى عليه الأحجار التى يستريح عليها السقاؤن حين يُفِيضُونَ من زقاق رُومَةَ إلى بُطْحَان ، وأطما يقال له « خيط » فى شرقى مسجد القبلتين على شرف الحرة وعند منقطع السهل من أرض بنى سلمة ، وأطما يقال له « منيع » فى يمانى مسجد القبلتين على ظهر الحرة يمين الحزن الذى فى أرض ابن أبان أو دون ذلك قليلا .

---

(١) فى المطبوعات « بن شماش » بشينين معجمتين ـ تطبيع

ونزل بنو عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد الخربة إلى الجبل الذى يقال له الدويخل جبـــل بنى عبيد ، ولهم مسجد الخربة ، وابتنوا « الأشنق » وهو المواجه لمسجدالخربة ، كان للبَرَاء بن مَعْرور صخر بن حسان ابن سنان بن عبيد ، وابتنوا « الأطول » عند قبلة مسجد الخربة أو عن يسارها.

ونزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد بنى حرام الصغير الذى بالقاع بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك والأرض التى كانت لمعبد بن مالك ، وكانوا بين مقبرة بنى سلمة إلى المذاد ، والمـذاد : هو الذى يقول له كعب بن مالك :

فليأت مأسدَةً تسن سـيوفها بين المَذَاد و بين جـزع الخنـدق

وهو أُطُم لهم سميت به الناحية ، وابتنوا أطما يقال له « جاعس » كان فى السهل بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك و بين العين التى عملها معاوية بن أبى سفيان ، كان لعمرو بن الجَمُوح جد جابر بن عبد الله بن عمرو .

قلت : وهذه العين لعلها التى ذكر ابن النجار أنها تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة حوالى مسجد الفتح ، يعنى فى غربيه ، و يعرف ذلك الموضع بالسَّيْح ـ بالسين المهملة والمثناة التحتية ـ كما قال المطرى ، والله أعلم .

وابتنى بنو مر[1] بن كعب بن سلمة ـ وهم حلفاء بنى حرام ـ أطما يقال له « أخنس » وهو الأسود القائم فى بنى سلمة فى غربى الحائط الذى كان لجابر بن عتيك مما يلى جبل بنى عبيد ، ذكره ابن زبالة .

وقوله «عند مسجد بنى حرام الصغير »يفهم أن لهم مسجداً آخر كبيراً ، وهو الآتى فى منزلهم الثانى بشعب سلع،وسيأتى فى المساجد وصف مسجد بنى حرام الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم بأنه بالقاع ، وأنه لم يصل فى مسجدهم الأكبر .

وكل هؤلاء بنو سلمة ، وكانوا بهذه الدور ، وكلمتهم واحدة ، وملكوا عليهم

---

(١) فى المطبوعات كلها « بنو مرى بن كعب » تطبيع

أمّة بن حرام ، فلبث فيهم زماناً حتى هلك رجل من بنى عبيد ذو أموال كثيرة ، له ولد واحد اسمه صخر ، فأراد أمّة أن ينزع طائفة من أمواله فيقسمها فى بنى سَلِمة ، فعظم ذلك على صخر ، وشكا ذلك على بنى عبيد و بنى سَوَاد ، وقال: إن فعل أمة ذلك لأضر بنه بالسيف ، وسألهم أن يمنعوه إن هو فعل ، فأطاعوا له ، فلما فعل أمة ذلك ضر به صخر فقطع حبل عاتقه ، وقامت دونه بنو عبيد و بنو سواد ، فنذر أمة أن لا يؤو يه ظل بيت ماعاش حتى يقتل بنو سلمة صخراً أو يأتوه به فيرى فيه رأيه ، وجلس أمة عند الضرب الذى فوق مسجد الفتح مما يلى الجرف فى الشمس ، فمرت به وليــدة حطابة فقالت : مالك يا سيدى هنا فى الشمس ؟ فقال :

إن قومى أجمعوا لى أمرهم ... ثم نادَوْا لىَ صَخْراً فضرب

إننى آليت لا يَسْــتُرنى ... سقْفُ بيت من حَرُورٍ ولَهَبْ

أبدا ما دام صــخر آمناً ... بينهم يمشى ولا يخشى العطب

فذهبت الجارية ، فأخبرتهم ، فربَطُوا صخراً ثم أتوه به ، فعفا عنهم وأخذ الذى كان يريد أن يأخذ من أمواله ؛ فهذا خبر ما دخل بين بنى سلمة .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله أن بنى سلمة قالوا : يا رسول الله ، نبيع دورنا ونتحول إليك ؛ فإن بيننا و بينك واديا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اثبُتُوا فإنكم أوْتَادُهَا ، وما من عبدٍ يخطو إلى الصلاة خطوة إلا كتب الله له أجراً » .

وروى أيضاً عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة قال : شكا أصحابنا ــ يعنى بنى سَلِمَةَ و بنى حرام ــ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السَّيْلَ يَحُولُ بينهم وبين الجمعة ، وكانت دورهم مما يلى نخيلهم ومزارعهم فى مسجد القبلتين ومسجد الخربة ، فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم « وما عليكم لو تحوّلتم إلى سَفْحِ الجبل » يعنى سلعاً ، فتحولوا؛ فدخلت حرام الشِّعْب[1] ، وصارت سواد وعبيد إلى السفح .

(١) قال المؤلف فى الخلاصة: والمعروف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم « اثبتوا فإنكم أوتادها » وإنما نقل بنى حرام إلى الشعب المعروف بهم عمر بن الخطاب » اه

قلت : وشعب بنى حرام معروف بسَلْع ، وهناك آثار منازلهم وآثار مسجدهم فى غربى جبل سَلْع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار السالك إلى المدينة وعلى مقربة من محاذاته فى جهة المغرب حصن خل .

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن جابر بن عبد الله قال : كان السيلُ يحول بين بنى حرام وبين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنقلهم عمر بن الخطاب إلى الشعب ، وكلّمَ قوما كانوا فيه من أهل اليمن يقال لهم بنو ناغضة ، فانتقلوا إلى الشعب الذى تحت مسجد الفتح ، فآثارهم هناك ، واشترت بنو حرام غلاما روميا من أعطياتهم ، وكان ينقل الحجارة من الحرة وينقشها ، فبنوا مسجدهم الذى فى الشعب وسَقَفوه بخشب وجريد ، وكان عمر بن عبد العزيز زاد فيه مدماكين من أعلاه ، وطابق سقفه ، وجعل فيه ذيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وآثار خرز أساطينه وما تكسر منها موجود اليوم فيه ، يعرف محله بالشعب المذكور .

وقد روى المجد فى فضل المساجد الخبرَ المتقدم ، إلا أنه قال : وجعل فيه ذيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والذيت الساج الذى يظهر على الحائط ، انتهى . ولم يضبطه غير أنه بالذال فى كتابه ، والذى فى كتاب ابن زبالة ويحيى ما قدمناه ، والله أعلم .

ونزل بنو بيَاضة وزريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جُشَم بن الخزرج الأكبر ، وبنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ، وبنو عذارة[١] وهم بنو كعب بن مالك بن غضب ، وبنو اللين وهم بنو عامر بن مالك ابن غضب ، وبنو أجدع[٢] وهم بنو معاوية بن مالك بن غضب دارَ بنى بيَاضة .

---

(١) فى الخلاصة « بنو غدارة »

(٢) فى الخلاصة « وبنو جدع » بغير ألف هنا ، وبألف فيما يأتى .

قال المطرى : فيما بين دار بنى سالم بن عوف بن الخزرج التى عند مسجد الجمعة إلى وادى بُطْحان قبليَّ دار بنى مازن بن النجار .

قلت : الذى يترجَّح عندى أن دارهم كانت فى شامى دار بنى سالم بن عوف وقبلى دار بنى مازن ، ممتدة فى الحرة الغربية ، حتى إن فى كلام ابن زبالة مايقتضى أن بعض منازلهم تمتد إلى منازل بنى ساعدة لما سنذكره .

وابتنوا بدارهم الآطام ، وروى ابن زبالة أنه كان بدارهم تسعة عشر أطما ، وأن الذى أحصاه لبنى أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطما : منها أطم أسود فى يمانى أرض فراس بن ميسرة ، كان فى الحرة ، ومنها « عقرب » كان فى شامى المزرعة المسماة بالرحابة فى الحرة على الفقارة ، ومنها « سويد » كان فى شامى الحائط الذى يقال له الحماضة ، واصاحبه كانت الحماضة ، وسيأتى ذكر الحماضة فى منازل بنى ساعدة ، لكن يبعد أن يكون هى المراد هنا ، ومنها « اللواء » كان موضعه فى حد السرارة بينه و بين زاوية الجدار الشامى الذى يحيط على الحماضة عشرون ذراعا ، ومنها أطم كان فى السرارة ، والسرارة : ما بين أرض ابن أبى قليع إلى منتهى الحماضة ، وما بين الأطم الذى يقال له اللواء إلى الجدار الذى الذى يقال له بيوت بنى بياضة ، والجدار الذى بناه زياد بن عبيد الله لبركة السوق وسط السرارة ، قاله ابن زبالة ، وهو يقتضى أن السرارة قرب سوق المدينة ، ويؤيده ذكر الحماضة فى منازل بنى ساعدة ، لكن الظاهر أن المراد ببركة السوق هنا بركة كانت مما يلى سيل بُطْحان ورانونا ؛ لأن ابن شَبَّه قال فى سيل رانونا : إنه يقترن بذى صلب ، يعنى موضع مسجد الجمعة ، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة ، ثم يفترق فرقتين ، إلى آخر ماسيأتى عنه .

ونقل رزين أن السرارة بين بنى بياضة والحماضة . ثم ذكر ابن زبالة بقية آطامهم ، وذكر ما يقتضى أن ما حول السرارة هو أقصى بيوت بنى بياضة .

ثم قال : وابتنى بنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش .
ثم قال : فلبث بنو غضب بن جُشَم بن الخزرج - أى الفرق المذكورين كلهم - فى دار بنى بياضة ، وأمرُهم جميعٌ ، ثم إن زريق بن عامر هلك فأوصى بينيه إلى عمه حبيب بن عبد حارثة ، فكان حبيب يكلفهم النَّضْحَ بأيديهم ، فلما اشتدّ عليهم عَدَوْا عليه فقتلوه ، فحالف بنو حبيب بنى بياضة على نصرهم على بنى زريق ، فخافت بنو زريق أن يكثُروهم[1] . وكانت بنو بياضة حينئذ أثرى من بنى زريق ، فخرجوا من دار بنى بياضة حتى حلُّوا دارهم المعروفة بهم قبليّ المصلّى وسور المدينة الموجود اليوم وداخله بالموضع المعروف بذروان وما والاه ، وابتنوا آطاما منها أطم فى زاوية دار كبير بن الصلت بالمصلى ، وأطما يقال له « الريان » عند سقيفة آل سُرَاقة التى يقال لها « سقيفة الريان » وأقام بنو عمرو بن عامر بن زريق مع بنى بَيَاضة ، ولهم الأطم الذى فى شامى أرض فراس بن ميسرة فى أدنى بيوت بنى بياضة مما يلى السّبخة ، فلبثوا هناك حتى انتقل رافع بن مالك هو وولده قبيل الإسلام فسكنوا طرف السبخة ما بين الأساس إلى طرف السبخة إلى الدار التى فيها يسكن إسحاق بن عبيد بن رفاعة ، وكان يقال لرافع بن مالك « الكامل » لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون لمن كان كاتباً شاعراً « الكامل » وانتقل سائر بنى عمرو بن عامر بعد ذلك ، فاشتروا من بنى عَوْف بن زُرَيق بعضَ دورهم وحقوقهم ، وخرجت بنو عوف بن زريق قبيل الإسلام إلى الشام ؛ فيزعمون أن هنالك ناسا منهم ، ولبث بنو بَيَاضة وبنو حبيب زمانا لا يقاتلون بنى زريق ، والرُسلُ تجرى بينهم ، وبنو زريق يدعونهم إلى الصلح والدِّيَة ، وعرضوا على بنى حبيب أن يقطعوا لهم طائفة من ديارهم ، فقبلوا ذلك ، ووضعوا الحرب ، وسمى الزقاق الذى دفعوه لهم « زقاق الدية »

---

(١) يكثروهم : يزيدوا عليهم فى العدد .

وانتقل بنو مالك بن زيد بن حبيب بن عبدحارثة من بنى بياضة ، ونزلوا الناحية التى وَدَّت بنو زريق ، وابتنوا أطُماً كان لبنى المعلى بن لوذان ، وتخلف بنو الصِّمَّة ابن حارثة بن الحارث بن زيد بن حبيب فى بنى بياضة ، فابثت بنو المعلى بن لوذان فى بنى زريق ماشاء الله .

ثم إن عبيد بن المعلى قتل حصن بن خالد الزُّرَقى ، فأراد بنو زريق أن يقتلوه ، ثم بدا لهم أن يَدُوا حصن بن خالد من أموالهم عن عبيد على أن يحالفهم بنو المعلى ، ويقطعون حِلْفهم مع بنى بياضة ، ففعلوا ، وكان عامر بن زريق بن عبد حارثة والد زريق و بياضة لما حضرته الوفاة أوصى ابنَه بياضَةَ بالصبر فى الحروب وشدة البأس ، وأوصاه بأخيه زريق وكان أصغرهما ، فقال بعض شعرائهم فى ذلك :

* بالصَّبْرِ أوصى عَامِرٌ بَيَاضَهْ *

ويقال للأوس والخزرج : أبطأهم فَرَّةً وأسرعهم كَرَّةً بنو بياضة و بنو زريق و بنو ظَفَر ، و إن الأوس والخزرج لم يلتقوا فى موطن قَطُّ إلا كان لهذه القبائل فضل بَيِّن على غيرهم من بطون الأوس والخزرج .

وأما بنو عذارة[١] بن مالك بن غضب بن جُشَم فكانوا أقل بطون بنى مالك ابن غضب عددا ، وكانوا قوما ذوى شَرَاسة وشِدَّة أنفس ، فقتلوا قتيلا من بعض بطون بنى مالك بن غضب إما من بنى اللين أو بنى أجدع ، وأبى أهلُ القتيل الديةَ ، وذهبوا إلى بنى بَيَاضة ليعينوهم على بنى عذارة حتى يعطوهم القاتل ، فكلمت بنو بياضة بنى عذارة[١] فى ذلك ، فأبوا أن يُخَلوا بينهم و بينه ، فأرادت بنو بياضة أن يأخذوه عَنْوة[٢] ، فخرجوا من دار بنى بياضة حتى نزلوا قباء على بنى عمرو بن عوف ، فحالفوهم وصاهروهم ، وامتنعوا من بنى بياضة ، ثم إنه دخل بين بنى عذارة وبين بنى عمرو بن عوف قبيل الإسلام أمر ، فأجمعوا أن ينتقلوا من عندهم إلى بنى زُرَيق ، وكرهوا أن يرجعوا إلى بنى بياضة ، فجاؤهم وذكروا لهم

(١) فى الخلاصة بنو غدارة (٢) عنوة ــ بفتح العين المهملة وسكون النون ــ أى قوة وغلبة

ذلك ، فَلَقُوهم بما يُحِبُّون ، وسَدَّدوا رأيهم[١] ، وأتوا أبا عبيدة سعيد بن عثمان الزرقى فذكروا له ذلك ، فرحَّبَ بهم وذكر شرفَهم وفضلهم ، ثم قال : إنى أشير عليكم أن ترجعوا إلى أخوالكم — يعنى بنى عمرو بن عوف — ولا تنتقلوا إلى بنى زُرَيق ، فإن فى أخلاقكم شَرَاسة وفى أخلاق بنى زريق مثلها ، فتفرقوا عن رأيه ، فلم يزالوا كذلك إلى أن فرض المهدىُّ للأنصار سنةَ ستين ومائة ، فانتقلوا بديوانهم إلى بنى بَيَاضة ، وكان بطنان من بطون بنى مالك بن غضب ممن كان بدار بنى بياضة — لا ندرى أهم من اللين أم من أجدع — كان بينهم ميراث فى الجاهليـة ، فاشتجروا فيه ، فلما رأوا أنهم لا يستقيمون فيه على أمر تداعوا إلى أن يدخلوا حديقة كانت فى بنى بياضة فيقتتلوا فيها ، فدخلوا جميعا ثم أغلقوها ، فاقتتلوا حتى لم يبق منهم عين تطرف ، فسميت تلك الحديقة « حديقة الموت » وكان بنو مالك بن غضب سوى بنى زريق ألف مقاتل فى الجاهلية ، وأما بنو أجدع فلم يبق منهم أحد ، وأما بنو اللين فكان بقى منهم رجلان ثم انقرضا لا عقب لهما

وذكر ابن حزم أن زيد بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب المتقدم ذكر بنيهِ كان له أخ ، وهو عبد الله بن حبيب ، وأن عبد الله بن حبيب هذا وَلَدُ[٢] أبى جبيلة الغسانى الذى جلبه مالك بن العجلان لقتل اليهود بالمدينة كما قدمنا الإشارة إليه ، والله أعلم .

ونزل بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر مفترقين فى أربع منازل : فنزل بنو عمرو و بنو ثعلبة ابنا الخزرج بن ساعدة دارَ بنى ساعدةَ التى بين السوق — أى سوق المدينة — و بين بنى ضمرة ؛ فهى فى شرقى سوق المدينة مما يلى الشام . وقال المطرى : قرية بنى ساعدة عند بئر بُضَاعة ، والبئر وسط بيوتهم . قال ابن زبالة : فابتنوا أطُماً يقال له « مُعرض » فى الدار المواجهة مسجد بنى ساعدة ؛ وهو

---

(١) سددوا رأيهم : صوبوه (٢) فى المطبوعات «والدأبى جبيلة — إلخ » تطبيع

آخر أُطُم بُنى بالمدينة ، وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يبنونه ، فاستأذنوه فى إتمامه ، فأذن لهم فيه ، وله يقول شاعرهم :

ونحن حَمَيْنَا عن بُضَاعة كلِّها ... ونحن بَنَيْنَا معرضا فهو مُشْرِفُ
فأصبح معموراً طويلاً فِدًى له ... وتخرب آطام بهــا وتصفصف

وأطُماً فى دار أبى دُجَانة[1] الصغرى التى عند بُضَاعة، ونزلت بنوقشبة ـ واسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة ـ قريباً من بنى حُدَيلة ، وابتنوا أطُماً عنــد خوخة عمرو بن أمية الضَّمْرى .

قلت : فمنزلهم فى شرقىّ بنى ضَمْرة ، والمنزل المذكور قبل ، والله أعلم .

ونزلت بنو أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة — وهم رهط سعد بن عُبَادة الدارَ التى يقال لها جِرَارُ سَعْدٍ وهى جرار كان يسقى الناس فيها الماء بعد موت أمه . قال ابن زبالة : عرض سوق المدينة ما بين المصلى إلى جرار سعد بن عُبَادة .

قلت : فهى ممــا يلى السوق ، فإما أن يكون من جهة المشرق والمصلى حده من جهة المغرب ، فيشهد ذلك لأنها الموضع المعروف اليوم بين أهل درب السويقة بسقيفة بنى ساعدة ، ويكون إطلاق السقيفة على ذلك المحل صحيحا ، لا كما قال المطرى : إنها بقرية ببنى ساعدة عنــد بئر بُضَاعة ؛ لأن سعد بن عبادة لم يكن هناك ، وإنما كان مع رَهْطه فى منزلهم ، والسقيفة كانت عنــد منزله ، وإما أن يكون جِرارُ سعدٍ ممــا يلى السوق من جهة الشام ، ويكون المصلى حده القبلى ، وهــذا هو الأرجح ؛ لأن الجهة التى بالمشرق ممــا تقدم إنما هى من منازل بنى زريق ، والله أعلم .

قال ابن زبالة : فابتنوا أطما يقال له واسط ، وقد تقدم أن بنى خدارة نزلوا بجرار سعد أيضاً ، فكأنها كانت منزلها ، وبنو خدارة من بنى الحارث بن الخزرج كما تقــدم ، فدارهم المرادة فى حديث عِيَادة سـعد بن عُبَادة فى بنى الحارث بن

(١) دجانة : بضم الدال ، واسم أبى دجانة سماك بن خرشة

الخزرج ، لا دار بنى الحارث المعروفة بهم لبعدها جداً عن منازل بنى ساعدة ، وليسوا قوم سعد إلا من حيث إن الكل من الخزرج .

وفى حديث عائشة فى الصحيح بعد قول عُرْوَة لها : ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودَانِ التمرُ والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم منايح ، الحديثَ .

قال الحافظ ابن حجر فى بيان ذلك : جيرانه صلى الله عليه وسلم من الأنصار سعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حزم وأبو أيوب وسعد بن زُرَارة ؛ فيبعد كون سعد بن عُبَادة فى دار بنى الحارث لعدِّه فى الجيران ، ومأخذ الحافظ ابن حَجَر فى ذلك ما رواه ابن سعد عن أم سلمة قالت : كان الأنصار يُكْثِرُونَ إلطافَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : سعد بن عُبادة ، وسعد بن معاذ ، وعمارة ابن حزم ، وأبو أيوب ، وذلك لقرب جوارهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى ، والله أعلم .

ونزلت بنو وقش و بنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الدارَ التى يقال لها « بنو ساعدة » و يقال لها أيضاً « بنو طريف » وهى بين الحماضة وجِرَار سعد ، وسيأتى فى ترجمة الشوط ما يقتضى أن لبنى ساعدة منزلا فى شامى مسجد الراية ، والظاهر أنه هذا المنزل ، والله أعلم .

ونزل بنو مالك بن النجار دارَهُم المعروفة بهم ، فابتنى بنو غنم بن مالك أُطُماً يقال له « فويرع » وفى موضعه دار حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ! .

قلت : وهى الدار المقابلة لدار جعفر الصادق التى فى قبلة المدرسة الشهابية ، كما سيأتى نقله عن ابن شبة .

وابتنى بنو مَغَالة ــ وهم بنو عدى بن عمرو بن مالك ، ومغالة أم عدى ــ أُطُماً يقال له « فارع » وهو الأطم الذى يواجه دور بنى طَلْحة بن عبيد الله ، ودخل

فى دار [جعفر] بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، وله يقول حسان بن ثابت :

أرِقْتُ لتَوْمَاضِ البروق اللوامعِ ونحن نَشَاوَى بين سَلْعٍ وفارع

قاله ابن زبالة .

وقال الزين المراغى : إن هذا الأطم كان لثابت والد حسان بن ثابت ، وإنه دخل فى الدار المواجهة لباب الرحمة التى كانت دار عاتكة ، ومأخذه فى ذلك أن دار عاتكة من جملة دار جعفر بن يحيى ، لكن سيأتى من كلام ابن زَبالة ويحيى عند ذكر أبواب المسجد أن دار جعفر بن يحيى دخل فيها بيت عاتكة وفارع أطم حسان بن ثابت ، و بيَّنا محله هناك فى شامى الدار المذكورة ، أعنى دار عاتكة ، وفارع هذا هو الأطم الذى كانت به صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وعندها حسان .

وفى مسلم فى حديث ابن صَيَّاد « فوجده عند أطم بنى مَغَالة » .

قال عياض : بنو مَغَالة كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل المسجد النبوى .

وابتنى بنو حُدَيْلة (بضم الحاء المهملة[1]) وهو — كما قال ابن زبالة وغيره — لقب معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أطماً يقال له « مشعط » كان فى غربى مسجدهم الذى يقال له « مسجد أُبىّ » يعنى أبى بن كعب ، وفى موضعه بيت يقال له « بيت أبى نبيه » وقد أسند ابنُ زبالة عقب ذكره الحديث المتقدم « إن كان الوباء فى شىء فهو فى ظل مشعط » وذكر ابن شبة قصر بنى حُدَيْلة ، وقال : بناه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ليكون حصناً ، قال : وله بابان : بابٌ شارع على خط بنى حُدَيلة ، وباب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد ابن طلحة التَّيْمى ، وفى وسطه بئر حاء ، انتهى .

وقال عياض فى المشارق : بئر حاء : موضع يعرف بقصر بنى حُدَيلة ، وقد قال ابن إسحاق : بنو عمرو بن مالك بن النجار هم بنو حُدَيلة ، أى لأن حُدَيلة بطن

(١) كذا وقع هنا وفيما يلى (ص ٢١٢ س ٨) وضبطت فى الخلاصة بالجيم

منهم ؛ لما قدمناه من أنه لقب أبيهم معاوية بن عمرو بن مالك .

قلت : فليس بنو حُدَيلة هؤلاء بنى معاوية من الأوس أهل مسجد الإجابة كما قدمناه ، ولكن الاشتراك فى الاسم أوجب الوهم ، فقد وقع للقاضى عياض فى المشارق مايخالف كلام عامة الناس ، فقال : قال الزبير: كل ما كان من المدينة عن يمينك إذا وقفتَ آخِرَ البلاط مستقبلَ مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بنو مَغَالة ، والجهة الأخرى أى التى على يسارك بنو حُدَيلة ، وهم بنو معاوية وهم من الأوس .

قال الجوهرى : هى قرية من قرى الأنصار ، قال القاضى : هم بطن من الأنصار سميت جهتهم بهم ، وهم أيضاً بنو حُدَيلة (بحاء ودال مهملتين) وحُدَيلة أمهم ، انتهى .

والذى نقله غيره عن الزبير أن بنى حُدَيلة من بنى النجار من الخزرج ، و بنو معاوية من الأوس غيرهم ، وقد قدمناه عن ابن زبالة شيخ الزبير ، وقد ذكر ابنُ حزم فى الجمهرة معاوية من الأوس ، وذكر بنى حديلة من الخزرج ، فقال : وولد مالك بن النجار معاويةُ وأمه حديلة فنسب إليها ، والظاهر أن قول القاضى « وهم من الأوس » ليس من كلام الزبير فى هذا الموضع ، ولكن القاضى لما رأى قوله « وهم بنو معاوية » ظن أنهم بنو معاوية من الأوس ، وهذا موجب ما وقع للمطرى من الخبط فى هذا المحل ، حيث غاير بينهما مرة وجعلهما متحدين أخرى ، ولا يصح الجمع بما ذكره المراغى من احتمال أن يكون بنو معاوية بطناً أو فخذاً من بنى حُدَيلة ؛ لما قدمناه .

وابتنى بنو مبذول[(١)] ــ واسمه عامر بن مالك بن النجار ــ أُطُماً يقال له « السلجِ » وأطما كان فى دار آل حُيَيٍّ بن أَخْطَبَ كان لبنى مالك بن مبذول ، وأطما كان فى دار سرجس مولى الزبير التى إلى بقيع الزبير كان لآل عبيد بن النعمان أخى النعمان بن عمرو بن مبذول ، و بقيعُ الزبيرِ ذُكِر فى أماكن يؤخذ منها أنه كان

(١) وقع فى المطبوعات « ميدول » بالدال المهملة ، تطبيع

فى شرقى الدور التى تلى قبـة المسجد النبوى إلى بنى زريق، وإلى بنى غنم ، وإلى البقال[1] كما سيأتى .

ونزل بنو عدى بن النجار دارهم المعروفة بهم غربى المسجد النبوى ، على ما قاله المطرى ، وكان بها الأُطُم الذى فى قبلة مسجدهم ، وابتنوا أُطُماً يقال له «أطم الزاهرية » امرأة سكنته كان فى دار النابغة عند المسجد الذى فى الدار .

ونزل بنو مازن بن النجار دارهم المعروفة بهم قبلى بئر البصة ، وتسمى الناحية اليوم أبو مازن ، غَيَّرَها أهل المدينة .

قال المطرى : وابتنوا بها أطمين أحدهما يقال له « واسط » قلت : والذى يؤخذ من كلام ابن شبة الآتى فى منازل القبائل أن منازل بنى مازن كانت فى قبلة المدينة شرقى منازل بنى زريق قريبة منها ، والله أعلم .

ونزل بنو دينار بن النجار دارهم التى خلف بُطْحان المعروفة بهم ، وابتنوا أطُماً يقال له « المنيف » عند مسجدهم الذى يقال له مسجد بنى دينار ، قاله ابن زبالة ، وقال المطرى فى بيان هذا المسجد : ودار بنى دينار بن النجار بين دار بنى حُدَيلة ودار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة ، ودارُ بنى حُديلة عند بئرحاء ، اهـ

ولا أدرى من أين أخذ هذا ، وما ذكره ابن زبالة أقربُ وأولىٰ بالاعتماد لأمورٍ سنذكرها فى بيان مسجدهم .

قال ابن زبالة : وزعم بنو دينار أنهم نزلوا أولا دار أبى جَهْم بن حُذَيفة العَدَوى ، وكانت امرأة منهم هنالك ، وكان لها سبعة إخوة ، فوقفت على بئر لهم بدار أبى جَهْم ومعهامِدْرًى لهـا من فضة فسقط منها فى البئر ، فصرخت بإخوتها ، فدخل أولهم يخرجه فأسر، فاستغاث ببعض إخوته حتى دخلوا جميعاً فماتوا فى تلك البئر ، فهذه منازل بنى النجار .

قال المطرى وتبعه مَنْ بعده : إن دار النابغة المتقدمة فى بنى عدى كانت غربى مسجد الرسول ، وهى دار بنى عدى بن النجار ، ومسجد الرسول صلى الله

(١) البقال : بفتح الباء ، وتشديد القاف ، وهو اسم موضع

عليه وسلم وما يليه من جهة الشرق دار بنى غانم بن مالك بن النجار ، ودورُ بنى النجار بالمدينة وما حولها من الشمال إلى مسجد الإجابة ، والنجار : هو تيم الله بن ثعلبة ، وسمى بذلك لأنه ضرب رجلا فنَجَره ، فقيل له : النجار ، وفى دور بنيه هؤلاء قال النبى صلى الله عليه وسلم «خيرُ دورِ الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل » وهم من الأوس كما سبق . وفى رواية أخرى « ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ قالوا : بلى ، قال : بنو عبد الأشهل ، وهم رهط سعد بن معاذ ، قالوا : ثم مَنْ يارسول الله ؟ قال : ثم بنو النجار » وراويهما واحد ، وقد صححنا ، فاختلف عليه ، وتقديم بنى النجار روى عن أنس من غير اختلاف عليه ، ولها مؤيدات أخرى ، وهم أخوالُ عبدِ المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم[1] ، ولذلك نزل عليهم صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ، ثم ذكر فى الرواية المذكورة بعد بنى عبد الأشهل بنى الحارث ابن الخزرج أى الأكبر « ثم بنو ساعدة» وقال فى هذه الرواية أيضا «وفى كل دور الأنصار خير » وكأن المفاضلة وقعت بحسب السبق إلى الإسلام ، و بحسب مَسَاعيهم فى إعلاء كلمة الله

قال ابن زبالة عقب ذكر جميع منازل الأنصار المتقدمة : ونزل بنو الشطبة حين قدموا من الشام ميطان ، فلم يوافقهم ، فتحولوا قريبا من جذمان ، ثم تحولوا فنزلوا براتج ، فهم أحد قبائل راتج الثلاث ، وقد ذكر راتج فى منازل يهود فقال : وكان براتج ناسٌ من اليهود ، وكان راتج أطما سميت به تلك الناحية ، ثم صار لبنى الجذماء ، ثم صار بعدُ لأهل راتج الذين كانوا حلفاء بنى عبد الأشهل ، وهو الذى يقول له قيس ابن الخطيم :

* ألاَ إن بين الشَّرْ عَبى وراتج * البيت

وقد قدمنا عن ابن حــزم أن أهـــل راتج هم بنو زَعُورا بن جُشَم أخى عبد الأشهل بن جُشَم ، وذكر أيضا أن من أهل راتج بنى سعد بن مرة بن مالك ابن الأوس .

---

(١) ويقال إن عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم مدفون فى «دار النابغة»

وقال المطرى : راتج جبيل صغير غربى وادى بُطْحان ، وبجنبه جبيل آخر صغير يقال له جبل بنى عبيد ، انتهى . وسيأتى ما ينازع فيه مع بيان أن راتجا فى ناحية مسجد الراية

الفصل السادس

فيما كان بينهم من حرب بُعَاث

نقل رزين عن الشرقى أن الأوس والخزرج لبثوا بالمدينة ما شاء الله وكلمتهم واحدة ، ثم وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة حتى لم يُسْمَع قطُّ فى قوم أ كْثَرُ منها ولا أطول

الحروب قبل بعاث

أولها : حرب سُمَير ، وسببه رجلٌ من بنى ثعلبة كان حليفا لمالك بن العَجْلان ، قتله رجل من الأوس يقال له سُمَير بالمهملة مصغرا . ثم حرب كعب بن عمرو ، ثم يوم السّرارة ، وهو موضع بين بنى بَيَاضة والحماضة ، ثم يوم الديك ، وهو موضع أيضا ، ثم حرب بُعَاث ، وهو كان آخرَهَا ، قتل فيه سَرَاةُ الأوس والخزرج ورؤساؤهم .

قلت : فى كلام بعضهم أنه كان بين الأوس والخزرج وقائع من أشهرها يوم السرارة ، ويوم فارع ، ويوم الفِجَار الأول والثانى ، وحرب حضير بن الأسلت ، وحرب حاطب بن قيس ، إلى أن كان آخر ذلك يوم بُعَاث ، فقول الخطابى « يوم بعاث يوم مشهور كانت فيه مَقْتَلة عظيمة للأوس على الخزرج ، وبقيت الحرب قائمة مائة وعشرين سنة إلى الإسلام على ما ذكره ابن إسحاق وغيره » مُؤَول بأن حروب الأوس والخزرج كلها قبل بُعَاث وبعده مكثت هذه المدة ، وإلا فهو مردود ، وسيأتى تعيين تاريخ يوم بُعَاث

سبب حرب بعاث

وكان سببه أن الحروب المتقدمة كلها كان الظَّفَرُ فى أ كثرها للخزرج على الأوس ، حتى ذهبت الأوس لتحالف قُرَيْظَة ، فأرسلت إليهم[1] الخزرج : لئن

---

(١) إليهم : أى إلى بنى قريظة

فعلتم فأذَنُوا بحرب ، فتفرقوا وأرسلوا إلى الخزرج : إنا لا نحالفهم ، ولا ندخل بينكم ، فقالت الخــزرج لليهود : فأعطونا رَهَائِنَ ، وإلا فلا نأمنكم ، فأعطوهم أربعين غلاماً من بينهم ، ففرّقهم الخزرج في دورهم ، فلما أَيِسَتِ الأوسُ من نُصْرة اليهود حالفت بطوناً من الخزرج منهم بنو عمرو بن عوف ، وقال سائرهم : والله لا نصالح حتى ندرك ثأرنا ، فتقاتلوا ، وكثر القتــلُ في الأوس لما خَذَلهم قومُهم ، وخرج سعد بن معاذ الأشهلي ، فأجاره عمرو بن الجَمُوح الحرامي ، فلما رأت الأوس أن أمرهم إلى قُلّ عزموا على أن يكونوا حِلفاً للخزرج في المدينة ، ثم اشْتَوَرُوا في أن يحالفوا قريشاً ، فأظهروا أنهم يريدون العمرة ، وكان بينهم أن مَنْ أراد حجاً أو عمرة لم يعرض له ، فأجار أموالهم بعدهم البَرَاء بن مَعْرور ، فأتوا مكة فحالفوا قريشاً ، ثم جاء أبو جهل ــ وكان غائباً ــ فنقض حِلْفَ قريش بحيلة احتالها .

قلت : روى ابن شبة عن أفلح بن سعيد ما يخالفه في نسبة ذلك لأبي جهل مع بيان الحيلة ، فقال : خرجت الأوسُ جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها ، فلما حالفتهم قال الوليدُ بن المغيرة : والله ما نزل قوم قط على قوم إلا أخــذوا شرفهم وورثوا ديارهم ، فاقْطَعُوا حلف الأوس ؛ فقالوا : بأي شيء ؟ قال : إن في القوم حمية ، قولوا لهم : إنا نســينا شيئاً لم نذكره لــكم ، إنا قوم إذا كان النساء بالبيت فرأى الرجل امرأة تعجبه قبّلها ولمسها بيده ، فلما قالوا ذلك للأوس نفرت وقالوا : اقطعوا الحلف بيننا وبينكم ، فقطعوه ، انتهى .

فلما لم يتم لهم الحلف ذهبت النبيت إلى خيبر ــ قلت : أراد بالنبيت بعضَهم ، وهم بنو حارثة ؛ لمـا قدمناه من أن النبيت يطلق عليهم وعلى بني عبد الأشهل وبني ظفر وبني زعورا ، والذي انتقل من هؤلاء إلى خيبرهم بنو حارثة فقط كما سبق ، إلا أن يريد غيره ــ فأقاموا بها سنة ، وماتت منهم عجوز فقالوا « أهون حادث موت عجوز في ســنة » فذهب مثــلا ، فلما رأت الخزرج أن قد ظفرت

بالأوس افتخروا عليهم فى أشعارهم ، وقال عمرو بن النعمان البَيَاضى : يا قوم إن بَيَاضة بن عمرو أنزلكم منزل سوء ، والله لا يمس رأسى غسلا حتى أنزلكم منازل بنى قريظة والنضير وأقتل رُهُنَهم ، وكان لهم غزار المياه وكرام النخل ، وقال رجل منهم أيضاً شعراً يتغنى به يذكر جلاء النبيت إلى خيبر وأَخْذَهم الرهُنَ من اليهود :

هَلُمَّ إلى الأحلاف إذ رقّ عَظْمُهم ... وإذ أصلحوا مالا لجذمان ضائعاً

إذا ما امرؤ منهم أساء عمارة ... بَعَثْنا عليهم من بنى العير جادعا

فأما الصَّريحُ منهمُ فتحمّلوا ... وأما اليهود فاتخذنا بضائعاً

وذاك بأنا حين نَلْقَى عدوَّنَا ... نصول بضرب يترك العز خاشعاً

فبلغ قولهم قريظة والنضير وهم المعنيون بالصريح لأنهم من بنى الكاهن بن هارون ، و بلغ ذلك أيضاً مَنْ كان فى المدينة من الأوس ، فَمَشَوْا إلى كعب بن أسد القُرَظى ، فدعوه إلى المحالفة على الخزرج ، ففعل ، ثم تحالفوا مع قريظة والنضير ، ثم أرسلوا بذلك إلى النَّبيت فقدموا فأخذت الخزرج فى قتل الرهن ، فقال لهم كعب بن أسد القرظى : إنما هى ليلة ثم تسعة أشهر وقد جاء الخلف ، وأرسلوا إلى الأوس وقالوا لهم : انْهَضُوا إلينا ، فنأتيهم بأجمعنا ، فجاءت الخزرج إلى عبدالله ابن أبىّ فقالوا : مالك لا تقتل الرهن ؟ فقال : لا أغدرهم أبداً ، وأنتم البُغَاة ، وقد بلغنى أن الأوس تقول : منعونا الحياة فيمنعونا الموت ، ووالله ما يموتون أو تهلكون عامتكم ، فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سَحْرُكَ ، فقال : إنى لا أحضركم ، ولكأنى أنظر إليك قتيلا يحملك أربعة فى كساء .

فاجتمع الخزرج ورأسوا عليهم عمرو بن النعمان ــ قلت : الذى ذكره ابنُ حزم أن رئيس الخزرج يومئذ هو والد النعمان ، وهو رحيلة بن ثعلبة البياضى ، والله أعلم ــ فاقتتلوا فى بُعَاث ، وهو موضع عند أعلى قَورى ، وكانت الدَّبْرَةُ على الخزرج ، وقتل عمرو بن النعمان ، وجىء به تحمله أربعة كما قال له ابن أبىّ ، وحلفت اليهود لتهدمَنَّ حِصْنَ عبدالله بن أبىّ ، وكان أبو عمرو الراهب مع الأوس ،

وكانت تحته جميلة بنت أبيّ ، وهى أم حنظلة الغَسِيل ، فلما أحاطوا بالحصن قال لهم عبد الله : أما أنا فلم أحضر معهم ، وهؤلاء أولادكم الذين عندى فإنى لم أقتل منهم أحدا ، ونهيتُ الخزرج فعصونى ، وكان جل مَنْ عنده من الرهن من أولاد بنى النضير ، ففرحوا حين سمعوا بذلك ، فأجاروه من الأوس ومن قريظة ، فأطلق أولادهم وحالفهم، ولم يزل حتى ردهم حلفاء الخزرج بحيلٍ تحيَّلَ بها ، وكان رئيس الأوس فى هذه الحرب حُضَير الذى يقال له « حضير الكتائب » والدُ أسَيْدِ بن حُضَير ، وبها قتل ، وقال خُفَاف بن نَدْبة يرثى حُضَيرا :

أتانى حديث فكذَّبْتُه وقالوا : خليلكَ فى المَرْمَسِ

فياعين بكى حُضَيْر الندى حضير الكتائب والمجلس

وكان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضى كما تقدم أيضاً ، قال بعضهم : وكان النصر فيها أولا للخزرج ، ثم ثبّت حضيرٌ الأوسَ فرجعوا وانتصروا .

وذكر أبو الفرج الأصبهانى أن سبب ذلك أنه كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف ، فقتَلَ رجلٌ من الأوس حليفا للخزرج ، فأرادوا أن يُقِيدُوه فامتنعوا ، فوقعت بينهم الحرب لأجل ذلك .

وكان يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح، وقيل: بأربعين سنة ،وقيل: بأكثر، وهو اليوم الذى تقول فيه عائشة رضى الله عنها كما فى الصحيح « كان يوم بُعَاث يوما قَدَّمَهُ الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى دخولهم فى الإسلام ، فقدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق مَلَؤُهم وقتلَتْ سَرَاتهم» يعنى الأوس والخزرج، ومعناه أنه قتل فيه من أكابرهم مَنْ كان لا يؤمَنُ أن يتكبر و يأنَفَ أن يدخل فى الإسلام لتَصلُّبه فى أمر الجاهلية ولشدة شكيمته حتى لا يكون تحت حكم غيره ، وقد كان بقى منهم من هذا النمط عبدُ الله بن أبيٍّ بن سَلُولَ ، وقصته فى ذلك مشهورة ، وكذلك أبو عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم بالفاسق ، قال أهل السير : قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وسيدُ أهلها عبدُ الله بن أبيّ بن

سلول ، كان من الخزرج ثم من بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى الْحُبْلَى ، لا يختلف فى شرفه فى قومه اثنان ، لم تجتمع الأوسُ والخزرجُ قبله ولا بعــده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غــيره ، ومعه فى الأوس رجل هو فى قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر بن صيفى بن النعمان أحد بنى ضبيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة الغَسِيل ، وكان قد ترهَّبَ ولبس المُسُوحَ ، فشَقِيَا بشرفهما : أما عبــد الله بن أُبَىّ فلما انصرف عنه قومُه إلى الإسلام ضَغِنَ ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا ، فلما رأى قومَه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهاً مصرا على نفاق وضغن ، فكان رأس المنافقين ، و إليه يجتمعون ، وهو القائل فى غزوة بنى المصطلق «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل[1]»

وأما أبو عامر فأبىَ إلا الــكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فقال: ما هذا الدين الذى جئتَ به ؟ قال : جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم ، قال : فأنا عليها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست عليها ، قال : إنك أدخلت يا محمد فى الحنيفية ما ليس منها، قال : ما فعلتُ ، ولــكنى جئتُ بها بيضاء نَقِيَّةً ، قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجَلْ ، فمَنْ كَذَبَ ففعل الله ذلك به ، فكان هو ذاك عدو الله : خرج إلى مكة مُفارقا الإســلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا الراهب ، ولــكن قولوا الفاسق » فلما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام ، فمات بها طريدا غريباً وحيداً .

وروى بعضهم أنه لم يكن فى الأوس والخزرج رجلٌ أوْصَفُ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبى عامر المذكور ، وكان يألف اليهود و يسائلهم فيخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى يهود تَيْماء و إلى الشام ، فسأل النصارى

---

(١) من سورة المنافقين من الآية ٨

فأخبروه بذلك ، فرجع وهو يقول : أنا على دين الحنيفية ، وترهَّبَ ولبس المُسُوحَ ، وزعم أنه ينتظر خروجَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ظهر بمكة لم يخرج إليه ، فلما قدم المدينة حَسَدَ و بغى ، وذكر إتيانه النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ماسبق ، إلا أنه قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكاذب أماته الله وحيداً طريداً » قال : آمين ، ثم ذكر خروجه إلى مكة ، وزاد: فكان مع قريش يتبع دينهم وترك ماكان عليه ؛ فهذا مصداق ما ذكرت عائشة رضى الله عنها .

الفصل السابع
فى مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم
وذكر العقبة الصغرى

اعلم أن تلك الحروب المتقدمة لم تزل بين الأوس والخزرج حتى أكرمهم الله باتباعه صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يَعرِض نفسه فى كل مَوْسِم من مواسم العرب على قبائلهم ، ويقول : ألاَ رجلٌ يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى ، فيأبونه ويقولون : قَوْمُ الرجل أعلم به .

وذكر ابنُ إسحاق عَرْضَه عليه الصلاة والسلام نفسَه على كِنْدَةَ وعلى كَلْب وعلى بنى حنيفة ، قال : ولم يكن أحد من العرب أقْبَحَ ردًّا عليه منهم ، وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان فى تلك السنين ـ أى التى قبل الهجرة ـ يعرض نفسه على القبائل ، ويكلم كل شريف قوم ، لايسألهم إلاأن يؤوُوه ويمنعوه ، ويقول: لا أكره أحدا منكم على شيء ، بل أريد أن تمنعوا من يؤذينى حتى أبلغ رسالة ربى ، فلا يقبله أحد .

وذكر الواقدى دُعَاءه صلى الله عليه وسلم بنى عَبْس إلى الإسلام ، وأنه أتى غَسّان فى منازلهم بعكاظ و بنى محارب كذلك ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم يَدْعُو إلى دين الله ، ويأمر به كلَّ مَنْ لقيه ورآه من العرب ، إلى أن قَدِم سُوَيْدُ بن

الصامت أخو بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وكان يسمى « الكامل » لجلده وشعره ، وهو القائل :

فَرِشْنِي بخيرٍ طالمَا قد بَرَيْتَنِي   فَخَيْرُ المَوَالِي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِى

فَدَعَاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فلم يبعد ولم يجب ، ثم انصرف إلى يثرب ، فلم يلبث أن قتِلَ يوم بُعَاث .

قال ابن إسحاق : فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا نَرَاه قد قتل وهو مسلم ، وقدم مكة أبوا لحَيْسَر [1] أنس بن رافع وهو فى فِتْيَةٍ من قومه بنى عبد الأشهل يطالبون الحِلْفَ ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فقال رجل منهم اسمه إياس بن معاذ وكان شابا : هذا والله خير مما قدمنا له ، فضرب به أبو الحَيْسَر [1] وانتهره ، فسكت ، ثم لم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا إلى بلادهم ، ومات إياس بن معاذ فقيل : إنه مات مسلما .

وقال رزين فى ذكر هذه القصة : ثم جاءت الأوسُ تطلب أن تحالف قريشا ، فجاءهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعرض نفسَه عليهم ، وقال : اسْمَعُوا منى ، هل لكم فى خيرٍ مما جئتم له ؟ وتلا عليهم القرآن ، ثم قال : بايعونى واتبعونى ؛ فإنكم ستُجمعون بى ، فقال عمرو بن الجموح : هذا أىْ قَوْمِ والله خيرٌ لكم مما جئتم له ، فانتهروه ، وقالوا : ما جئنا لهذا ، ولم يُقْبِلُوا عليه ، ثم انصرفوا ، فكانت وقعة بُعَاث .

وقال ابن زبالة : إنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على القبائل فيأبونه ، حتى سمع بنفر من الأوس قدموا فى المنافرة التى كانت بينهم ، فأتاهم فى رحالهم ، فقالوا : مَنْ أنت ؟ فانتسب لهم ، وأخبرهم خبره ، وقرأ عليهم القرآن ، وذكر أنهم أخواله ، وسألهم أن يؤووه ويمنعوه حتى يبلغ رسالاتِ ربه ، فنظر بعضُهم إلى بعض وقالوا : والله هذا صادق ، وإنه للنَّبِىُّ الذى يذكر أهلُ الكتاب ويستفتحون

---

(١) فى المطبوعات كلها « أبو الجيسر » تطبيع ، وما أثبتناه عن سيرة ابن هشام

به عليكم ، فاغْتَنِمُوه وآمنوا به ، فقالوا : أنت رسول الله ، قد عَرَفْنَاكَ وآمنا بك وصدقناك ، فمرنا بأمرك فإنَّا لن نعصيك ، فسُرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يختلف إليهم ، ويزدادون فيه بصيرة ، ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يَدْعُوا قومَهم إلى دينهم ، فسألوه أن يرتحل معهم ، فقال : حتى يأذن لى ربى ، فلحقوا بأهلهم المدينة ، ثم شَخَصُوا إليه فى الموسم فكان من أمر العَقَبة ما كان، وهو مخالف لما تقدم من أن النفر من الأوس لم يقبلوا .

وقد أخرج الحاكم وغيره بإسناد حسن عن على رضى الله عنه قال : لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب وخَرَج وأنا معه وأبو بكر إلى مِنًى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، وتقدم أبو بكر وكان نَسَّابة ، فقال : مَنِ القوم ؟ قالوا : ربيعة ، فذكر حديثا طويلا فى مُرَاجعتهم وتوقفهم أخيرا عن الإجابة ، ثم قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، وهم الذين سَمَّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ، لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونَصْره ، قال : فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن إسحاق فى ذكر العقبة الأولى : لما أراد الله عز وجل إظهار دينه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسَه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم ، فبينا هو عند العقبة لقى رهطاً من الخزرج ، قال : أمن موالى[1] يهود ؟ قالوا : نعم، قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى، فجلسوا معه فدَعاهم إلى الله ، وعَرَض عليهم الإسلام ، وكان مما صنع الله لهم فى الإسلام أن يهود كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل علم وكتاب ، وكانوا هم أهلَ شركٍ أصحابَ أوثانٍ ، وكانوا قد غزوهم فى بلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شىء قالوا لهم : إن نبيا مبعوث قد أظلَّ زمانُه نتبعه نقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإرم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم

---

(١) الموالى : جمع مولى ، وهو هنا بمعنى الحليف

إلى الله قال بعضهم لبعض : تعلَّمُوا(١) إنه للنَّبِيُّ الذى تو عّدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، وقالوا له : إنا تركنا قومنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فإنْ يجمعْهُمُ الله عليك فلا رَجُلَ أعز منك ، ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ليَدْعُوا قومهم ، فلما جاؤهم لم يبق دار من دور قومهم إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وهم ـ يعنى أصحاب العقبة الأولى ـ فيما ذكر لى ستة نفر من الخزرج ، وهم : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وعوف بن الحارث ، كلاهما من بنى غنم بن مالك بن النجار ، ورافع بن مالك بن العجلان الزرقى ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وجابر بن عبد الله بن رئاب ، وعقبة بن عامر ابن نابى ، وهؤلاء الثلاثة من بنى سلمة .

وقال موسى بن عقبة عن الزهرى وأبى الأسود عن عروة : هم أسعد بن زرارة ، ومعاذ بن عفراء وهى أمه ، وهو ابن عمرو بن الجَمُوح من بنى غنم بن مالك بن النجار أيضا ، ورافع بن مالك ، ويزيد بن ثعلبة البلوى ، ثم من بنى غصينة حليفهم ، وأبو الهيثم مالك بن التيهان الأوسى ، ثم من بنى جُشَم أخى عبد الأشهل بن جشم ، وعُوَيم بن ساعدة الأوسى ، ثم من بنى أمية بن زيد ، ويقال : كان فيهم عُبَادة بن الصامت الخزرجى ثم من بنى غنم أخى سالم بن عوف ، وذكوان الزرقى ، فيكونون ثمانية ، ومنهم من عَدَّهم سبعة فأسقط جابر ابن عبد الله أو عبد الله بن زيد ، وقيل : إنما أسلم فى العام الأول اثنان فقط ، هما أسعد بن زرارة وذكوان .

قال ابن إسحاق فى ذكر العقبة ـ يعنى الثانية لما قدمه ، وبعضهم يسميها الأولى ـ : فلما كان الموسمُ ـ يعنى من العام المقبل ـ وافاه منهم اثنا عشر رجلا ، فذكر الستة الذين قدمهم غير جابر بن عبدالله ، وزاد : ذكوان الزرقى ، وعُبَادة ابن الصامت ، ويزيد بن ثعلبة ، والعباس بن عبادة بن نضلة الغنمى السالمى الخزرجى ،

---

(١) تعلموا هنا بمعنى اعلموا

ومعاذ بن عفراء ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة ، قال : فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء : أى على وَفق بيعة النساء التى نزلت بعد الفتح ، على أن لا يشركوا بالله شيئاً إلى آخر الآية[1] ، ولم يكن أمر بالقتال بعد ، بل كان جميع ذلك قبل نزول الفرائض ما عدا التوحيد والصلاة ، وأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَبَ بن عُمَيْر ليفقههم فى الدين ويعلمهم الإسلام ، فكان يصلى بهم ، وقيل : بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليعلمهم ويقرئهم القرآن ، فكان يسمى « المقرئ » وهو أول من سمى به ، فنزل على أسعد بن زُرَارة ، وقيل : بعث إليهم مُصْعَب بن عمير وابنَ أم مكتوم ؛ فكان مصعب بن عمير يؤمهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض ، فجمَّعَ بهم أول جمعة فى الإسلام — وفى الدارقطنى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى مُصْعَب بن عمير أن يجمّع بهم فجمّع بهم وكانوا اثنى عشر — .

قال الزهرى : وعند ابن إسحاق أولُ من جَمَّع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وفى أبى داود من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان أبى إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة ، فسألته ، فقال : كان أول من جَمَّع بنا فى هَزْم النبيت من حَرَّة بنى بَيَاضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات . قلت : كم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون . قال البيهقى : ولا يخالف هذا ما روى عن الزهرى مِنْ تَجْميع مصعب بن عمير بهم وأنهم كانوا اثنى عشر ؛ إذ مراد الزهرى أنه أقام الجمعة بمعونة النفر الاثنى عشر الذين بايَعُوا فى العقبة وبعثه صلى الله عليه وسلم فى صحبتهم أو على أثرهم حين كثر المسلمون ، ومنهم أسعد بن زُرَارة ، فالزهرى أضاف التجمع إلى مصعب لكونه الإمام ، وكعبٌ أضافه إلى أسْعَد لنزول مصعب أولا عليه ونَصْرِه له وخروجه به إلى دور الأنصار يدعوهم إلى الإسلام ، وأراد الزهرى

---

(١) أراد الآية الكريمة التى فى سورة النساء الصغرى (الممتحنة) ، رقم ١٢

بالاثنى عشر عدد الذين خرجوا به ، وكانوا له ظَهْرًا[1] ، ومرادُ كعب جميعُ مَنْ صَلَّى معه ، هذا ويقولُ كعب متصل ، وقولُ الزهرى منقطع ، اﻫ .

وروى الطبرانى مرسلا فى خبر طويل قال فيه عن عروة : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابْعَثْ إلينا رجلا من قِبَلِك يدعو الناسَ بكتاب الله ؛ فإنه أدنى أن يُتَّبَع[2] ؛ فبعث إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مصعبَ بن عمير أخا بنى عبد الدار ، فنزل فى بنى غَنْم على أسعد بن زُرَارة ، فجعل يدعو الناس ، ويفشو الإسلام ، وهم فى ذلك مستخفون بدعائهم ، ثم إن أسعد بن زُرَارة أقبل هو ومُصْعب بن عُمَير حتى أتيا مرقا أو قريباً منها ، فجلسا هنالك ، وبعثا إلى رَهْط من أهل الأرض ، فأتوهم مُسْتَخْفِينَ ، فبينا مصعب بن عمير يحدثهم ويقصُّ عليهم القرآن أخبر بهم سعد بن معاذ ، فأتاهم فى لأمَتِه[3] ومعه الرُّمْح حتى وقف عليه فقال : عُلَام يأتينا فى دارنا ، هذا الوحيد الفريد الطريد الغريب ليُسَفِّه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم ، لا أراكما بعد هذا بشىء من جوارنا ، فرجعوا ، ثم إنهم عادوا الثانية ببئر مرق أو قريباً منها فأخبر بهم سعد بن معاذ الثانية ، فتوعدهم بوعيد دون الأول ، فلما رأى أسْعَد منه اللينَ قال : يا ابن خالة ، اسْمَعْ من قوله ، فإن سمعتَ منكراً فاردده بأهْدَى منه ، وإن سمعت خيراً فأجِبْ إليه ، فقال : ماذا يقول ؟ فقرأ عليه مصعب « حٰمٓ ، والكتاب المبين ، إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون[4] » فقال سعد : وما أسمع إلا ما أعرف ، فرجع وقد هداه الله ، ولم يظهر أمر الإسلام حتى رجع إلى قومه ، فدعا بنى عبد الأشهل إلى الإسلام وأظهر إسلامه ، وقال : مَنْ شك فيه من صغير أو كبير فليأتنا بأهْدَى منه ، فوالله لقد جاء أمر لتُحَزَّنَّ فيه الرقابُ ، فأسلمت بنو عبد الأشهل عند إسلامه ودعائه إلا مَنْ لا يذكر فكانت أولَ دارٍ من دور الأنصار أسلمت بأسْرِها ، ثم إن بنى النجار اشتدوا على أسعد بن زرارة ، وأخرجوا مُصْعب بن عُمير ، فانتقل إلى سعد بن معاذ ، فلم

---

(١) كانوا له ظهرا : أى أعوانا مساعدين (٢) أدنى أن يتبع : أقرب
(٣) اللأمة : السلاح كله (٤) من سورة الزخرف الآيات ١ ـ ٣

يزل يدعو ويهدى على يديه ، حتى قلّ دارٌ من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناسٌ ، وأسلم أشرافهم ، وأسلم عمرو بن الجَمُوح ، وكسرت أصنامُهم ، فكان المسلمون أمر أهلها ، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اهـ .

وقد روى هذه القصة ابنُ إسحاق عَمَّنْ سمى من شيوخه بزيادة ونقص ، فقال : إن أسعد بن زُرَارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بنى عبد الأشهل ودار بنى ظَفَر ، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظفر على بئر يقال لها بئر مرق ، فجلسا فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، فلما سمع بذلك سعدُ بن معاذ وأُسَيد بن حُضَير — وهما يومئذ سيدا قومهما بنى عبد الأشهل — وكلاهما مُشْرِك ، قال سعد لأُسَيْد : لا أبالك ! انطلق إلى هذين الرجلين الذين أتيَا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجُرْهما وانْهَهُمَا عن أن يأتيا دارَيْنَا ؛ فإنه لولا أن أسعد بن زُرَارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتى ، فأخذ أسيد حَرْبته ثم أقبل إليهما فلما رآه أسعد بن زُرَارة قال لمُصْعب : هذا سيد قومه قد جاءك فاصْدُق الله فيه ، قال : فوقَف عليهما متشتما[1] ، فقال : ماجاء بكما إلينا تُسَفِّهَان ضعفاءنا ، اعْتزلا نَا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ؟ فإن رضيتَ أمْراً قبلته ، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره ؛ قال : أنْصَفْتَ ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنَا فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ قالا له : تغتسل فتطَّهر ، وتطهر ثيابك ثم تتشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ، فقام ففعل ذلك ، ثم قال لهما : إن ورائى رجلا إن اتَّبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن سَعْدَ بن مُعَاذ ، ثم انصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم ، فلما نظر إليه سعد مقبلا قال : أحْلِفُ بالله لقد جاءكم أُسَيْدٌ بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما وقف على النادى قال

(١) فى نسخة «متسمتا» بالسين المهملة . ووقع كذلك فى الخلاصة.

له سعد : ما فعلتَ ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثْتُ أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرَارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِرُوكَ ، فقام سعد مُغْضَباً مبادِراً متخوفا للذى ذكر له ، فأخذ الحربة من يده ثم قال : والله ما أراك أغنيتَ شيئاً، ثم خرج إليهما ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتما ثم قال : يا أبا أُمَامة ، أما والله لولا ما بينى و بينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منى ، أتغشَانا فى دارَيْنا بما نكره ، وقد قال أسعد لمصعب بن عمير أىْ مُصْعب، جاءك والله سيدُ مَنْ وراءه من قومه ، إن يَتْبَعْكَ لا يتخلَّفْ عنك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته و إن كرهته عزلنا عنك ما تكره ، قال سعد : أنصفتَ ، ثم ركَزَ الحربة فجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفْنَا والله فى وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتَسَهُّله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ؟ فذكرا له ما تقدم ، ففعله ، ثم أقبل عامر إلى نادى قومه ومعه أسَيْدُ بن حُضَير، فلما رآه قومه مقبلا قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما وقف عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا ، أفْضَلُنا رأيا ، وأيمنُنَا نَقِيبةً[1]، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم حرام علىّ حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، قال : فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة ، ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زُرَارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد وخَطْمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن صَيْفى بن الأسلَت،وكان شاعراً لهم قائداً يسمعون

---

(١) فلان ميمون النقيبة : يراد به أنه مظفر المطالب، والنقيبة : النفس ، أوهى الطبيعة والخليقة

منه و يطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى بدر وأحد والخندق ، ثم أسلموا كلهم .

وفى التأريخ الأوسط للبخارى أن أهل مكة سمعوا هاتفاً يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ :

فإن يُسْلِمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحْ محمد ... بمكَّةَ لا يخشى خِلاَفَ المخالف

فيا سعْدُ سَعْدَ الأوس كن أنت ناصرا ... و يا سَعْدُ سَعْدَ الخزرجين الغطارف

أجيبَا إلى داعى الهدَى وتمنَّيَا ... على الله فى الفردوس مُنْيَةَ عارف

فى أبيات أخرى .

وذكر لها رزين سبباً آخر كما سيأتى ، وهذا أصح ، ولم يذكر ابن إسحاق فى الخبر المتقدم إسلام عمرو بن الجَمُوح ، بل ذكره بعد ذكر العقبة الآتية كما سنذكره ، نعم ابنُه مُعَاذ شهد العقبة .

الفصل الثامن
فى العقبة الكبرى

و بعضُهم يسميها العقبة الثانية ، ومقتضى ما قدمناه أن تسمى الثالثة .

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عُمَير رجع إلى مكة وخرج مَنْ خرج من الأنصار من المسلمين للقائهم النبيّ صلى الله عليه وسلم ومبايعته فى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد: من كرامته ، والنصر لنبيه ، و إعزاز الإسلام وأهله ، و إذلال الشرك وأهله .

وروى ابن إسحاق وصحّحه ابنُ حِبَّان من طريقه عن كعب بن مالك قال : خرجنا حُجَّاجا مع مشركى قومنا، وقد صلينا و فَقِهْنَا[1] ، ومعنا البراء بن معرور سيدُنا وكبيرنا ، فذكر شأن صلاته إلى الكعبة ، قال : فلما وصلنا إلى مكة ولم نكن رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، فسألنا عنه ، فقيل : هو مع العباس فى

---

(١) الفقه: العلم، والمراد أنهم علموا ما أرسل الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم

المسجد ، فدخلنا فجلسنا إليه ، فسأله البراء عن القبلة ، ثم خرجنا إلى الحج وواعَدْناهُ العقبة ، فلما كانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وكنا نكتم مَنْ معنا من المشركين أمرنا ومعنا عبد الله بن عمرو والدجابر ، ولم يكن أسلم قبل ، فعرّفناه أمر الإسلام ، فأسلم حينئذ وصار من النقباء[1] ، قال : فنِمْنا تلك الليلة في قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسَلُّلَ القَطَا مستخفين ، فاجتمعنا في الشِّعْب[2] عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلا ، ومعنا امرأتان : أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن ، وأسماء بنت عمر بن عدى إحدى نساء بني سلمة ، قال : فجاء ومعه العباس ، فتكلم فقال : إن محمدا منا من حيث علمتم ، وقد مَنَعْنَاه ، وهو في عز ، وقد أبى إلا الانحياز إليكم ، فإن كنتم ترون أنكم وَافُونَ له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وذاك ، وإلا فمن الآن ، قال : فقلنا : قد سمعنا ماقلت ، فتكلم يارسول الله فَخُذْ لنفسك ولربك ماأحببت ، فتكلم ، فدعا إلى الله ، وقرأ القرآن ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم ، قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، فقال : نعم والذي بعثك بالحق لَنَمْنعنك مما نمنع منه أُزُرَنَا ، فبايعنا يارسول الله فنحن والله أصحابُ الحروب وأهلُ الحَلْقَة ورثناها كابرا عن كابر ، فاعترض القولَ والبراء يكلمُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ، إن بيننا و بين الرجال ـ يعني اليهود ـ حِبَالاً ونحن قاطعوها ، فهل عَسَيْتَ إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنَا ، قال : فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم[3] ، أنا منكم وأنتم مني ،

(١) النقباء : جمع نقيب ، وهو كالعريف على القوم المقدم الذي يتعرف أخبارهم

(٢) شعب مبايعة العقبة يقع على يسار الذاهب إلى منى (مكى) وانظر ص ٢٣٢

(٣) الهدم : يروى بتحريك الدال وبسكونها ؛ فأما المحرك فمعناه القبر ، يعني أني أقبر حيث تقبرون ، وقيل : هو المنزل ، والمعنى منزلكم منزلي ، وأما المسكن فمعناه إهدار دم القتل ، والمراد على هذا إن طلب دمكم فقد طلب دمي ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي ؛ لاستحكام الألفة بيننا ، قاله ابن الأثير .

أحارب مَنْ حاربتم وأسالم من سالمتم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَخْرِجُوا إلىّ منكم اثنى عشر نَقِيباً يكونون على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس : فمن الخزرج أسعد بن زُرَارة نقيب بنى النجار ، وسعد بن الربيع وعبد الله بن رَوَاحة نقيبا بنى الحارث ابن الخزرج و رافع بن مالك بن العَجْلان نقيب بنى زُرَيق ، والبراء بن مَعْرُور وعبد الله بن عمرو بن حرام نقيبا بنى سلمة ، وعُبَادة بن الصامت نقيب القبائل وفى الطبرانى أنه نقيب بنى عدى من الخزرج ، فكأنه نقيب الجميع ، وسعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو نقيبا بنى ساعدة ـ ومن الأوس أُسَيْد بن حُضَيْر نقيب بنى عبد الأشهل ، وسعد بن خَيْثَمة ورفاعة بن عبد المنذر نقيبا بنى عمرو بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأهلُ العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان،ولا يعدون رفاعة

قلت : فيكون أبو الهيثم نقيباً ثانياً لبنى عبد الأشهل فإنه منهم ، وقد صرحوا به .

وجعل صلى الله عليه وسلم النقباء على عدة الأسباط ، وروى أنه نقب على النقباء أسعد بن زرارة ، فتوفى بعدُ والمسجدُ النبوى يُبْنَى ، قيل : فاجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسألوه أن يجعل منهم شَخْصاً بدله نقيباً عليهم ، فقال لهم: أنتم أخوالى ، وأنا فيكم ، وأنا نقيبكم ، وكره صلى الله عليه وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض ، فكان ذلك من فضل بنى النجار الذى يَعُدُّون .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم كُفَلَاء على قومكم كفالةَ الحُوَارِيِّينَ لعيسى بن مريم ، قالوا : نعم .

وحدث عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن

عبادة بن نَضْلة أخو بنى سالم بن عوف : يامعشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هـذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حَرْب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نَهِـكَت[1] أموالـكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خِزْىُ الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وَافُونَ له بما دعوتموه إليه على ما ذكرتُ لـكم فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا: فإنا نأخذه على ماقلت ، فما لنا بذلك يارسول الله إن نحن وَفَيْنَا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ابْسُطْ يدك ، فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم : ما قال ذلك العباسُ إلا ليشدَّ العَقْدَ فى أعناقهم ، وقال غـيره: أراد التأخـير تلك الليلة رجاء أن يحضر عبدُ الله بن أبىٍّ بن سلولَ فيـكون أقوى للأمر .

أول من بايع

قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسـعد بن زرارة كان أولَ مَنْ ضرب على يده ، و بنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان، وفى حديث كعب المتقدم أنه البراء ابن معرور ، ثم بايع القوم .

وفى المستدرك عن ابن عباس : كان البَرَاء بن معرور أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، وعند أحمد عن جابر وعند الحاكم فى الإكليل عن كعب بن مالك : قال عبدالله بن رَوَاحة : يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ماشئت ، فقال : أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم ، قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة ، قالوا : ربح البيع ، لا نُقِيل ولا نَسْتَقِيل، فنزل « إن اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ »[2] الآية .

وفى حديث كعب المتقدم بعد ذكر صُرَاخ الشيطان أن العباس بن نَضْلَة قال للنبى صلى الله عليه وسلم : والذى بعثك بالحق إن شئت لنميلَنَّ على أهل مِنًى غـدا

(١) نهكت أموالـكم مصيبة : استأصلتها ، وأصله قولـكم « نهكت الناقة حلبا » إذا لم تبق فى ضرعها لبنا

(٢) من سورة التوبة من الآية ١١١

بأسيافنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : لم أُومَرْ بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها ، فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّةُ قريشٍ حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا : يامعشر الخزرج ، إنه بلَغَنَا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله مامن حى من العرب أبغض إلينا أن تَشَبَّ الحربُ بيننا وبينهم منكم ، فانبعث مَنْ هناك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه ، ولقد صدقوا لم يعلموه .

وفى حديث غير كعب أنهم أتوا عبدَ الله بن أبىّ ، فقال لهم : إن هذا الأمر جَسيم ، ما كان قومى ليَتَفَوَّتُوا علىّ بمثل هذا ، وما علمته كان ، وروى أن مشركى الأنصار الذين حجوا فى ذلك العام كانوا خمسمائة نفر ، وأن أهل العقبة كانوا سبعين نفرا .

عدة أهل البيعة

وفى لفظ عن ابن إسحاق: من الأوس أحد عشر رجلا : ومن القبائل أربعة نفر حلفاء الخزرج ، وكان من بنى الحارث بن الخزرج اثنان وستون رجلا ، فكأنه أدخل فى الخزرج حلفاءهم الأربعة ، وإلا فتزيد العدة على ثلاثة وسبعين أربعة .

وروى رزين أن أهل العقبة كانوا سبعين رجلا وامرأتان ؛ فإنه روى حديث العقبة هذه عن عُبادة بن الصامت بنحو حديث كعب المتقدم ، فقال : قال عبادة بن الصامت : فلما كان العام المقبل أتينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعون رجلا وامرأتان من قومنا ، فواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسجد شِعْبِ العقبة ، عن يسارك وأنت ذاهب إلى مِنًى ، فلما توافينا عنده جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ، وقال : يا معشر الخزرج ، وهذا الاسم يغلب على الأوس والخزرج جميعاً إذ ذاك ، إن محمداً منا حيثُ علمتم ،

وقد منعناه كما بلغكم ، فإن كنتم تعلمون أنكم تقدرون على منعه ، وإلا فَذَرُوه فهو مع قومه فى عز ومنعــــة ، فقام البَرَاء بن مَعْرور فقال : قد سمعنا ما قلت ، وإنا ما ضرِبنا إليه أكباد الإبل إلا وقد علمنا أنه نبى ، فبايعنا يا رسولَ الله ، واشترط لنفسك ولربك ماشئت ، فحمد الله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا إلى الله ، ورغَّبَ فى الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نســـاءكم ، فأخذ البَرَاء بيده ، وقال : نعم والذى بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أُزُرَنا ، ونحن أهل الحلْقَة والُحصُون والحروب ، فقام أبو الهيثم بن التيهان فقال : يارسول الله إن بيننا و بين الرجال حبالا ، ونحن قاطعوها ، فهل عَسَيْتَ إن نصرَكَ الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل الدم الدم والهدم الهدم ، المحيا محياكم ، والمماتُ مماتكم ، وأحارب مَنْ حاربكم ، وأسالم من سالمكم ، أخرِجُوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيباً يكونوا نقباء على الناس ، فأخْرَجُوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فبينما هم فى ذلك إذْ صَرَخ الشيطانُ يقول : يا أهل الجباجب ، وهى المنازل ، هل لــكم فى الصَّبَأة[1] قد اجتمعوا على حربكم ، فقــال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزَبُّ العَقَبة لأفْرُغَنَّ لك أىْ عدوّ الله ، ارجعــوا إلى رحالــكم ، نَصَرَكم الله ، فقال له العباس بن عبادة بن نضلة : والذى بعثك بالحق نبياً لئن شئتَ لنميلَنّ بأسيافنا غداً على منى ، فقال له : لم أومَرْ بذلك ، ثم ذكر قصة كلام قريش فى ذلك وحَلِفَ مشركى قومهم لهم عن ذلك ، قال : ثم إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتخرج معنا ؟ قال : ما أمرت به .

قال رزين : وقد قيل إنه وقع بين قريش والأنصار كلام فى سبب خروج النبى صلى الله عليه وسلم معهم ، ثم ألقى الرعب فى قلوب قريش فقالوا : ليس يخرج معكم إلا فى بعض أشهر السنة ، ولا يتحـــدث العرب بأنكم غلبتمونا ، فقالت الأنصار : الأمر فى ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن سامعون لأمره ، فأنزل

---

(١) الصبأة : جمع صابىء ، وكان مشركو مكة يسمون الرسول وأصحابه بذلك لأنهم خرجوا عن دينهم

الله على رسوله « وإن يريدوا أن يَخْدَعُوك فإن حَسْبَكَ الله[1] » أى : إن كان كفار قريش يريدون المكر بك فسيمكر الله بهم ، فانصرفت الأنصار إلى المدينة .

وقيـل : إن قريشاً بدا لهم فخرجوا فى آثارهم ، فأدركوا منهم رجلين كانا تخلفا فى أمر،فردوهما إلى مكة : المنذر ، وعباس بن عبادة،فأدركهما جُبَير بن مُطْعِم والحارث بن أمية ، فخلَّصاهما ولحقا أصحابهما .

قلت: والذى ذكره غيرُه أن الرجلين هما المنذر وسعد بن عبادة ، فأما المنذر فأعجز القومَ ونجا ، وأما سعد فأخذوه فربَطُوا يديه إلى عُنقه بنِسْعِ رَحْـلِه ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجُمَّته ، وكان ذا شعر كثير ، ثم خلصه منهم جُبَير بن مُطْعم والحارث بن أمية ؛ لأنه كان يجير لهما تجارهما ويمنعهم أن يظلموا ببلده .

إسلام عمرو بن الجموح

وذكر رزين عقب ما تقدم عنه إسلام عمرو بن الجَمُوح كما ذكره أهلُ السير عقب ذلك أيضاً ، وكان عمرو شيخاً كبيراً من سادات بنى سلِمة ، وشهد معاذ ابنُه العقبةَ ، وكان لعمرو فى داره صنم من خَشَب يعبده يُدْعَى مَنَاة ، فكان معاذ ابنه ومعاذ بن جبل وفتْيَان بنى سلمة يدلجون بالليل على صنم عمرو فيطرحونه فى بعض حُفَر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكَّساً على رأسه ، فإذا أصبح قال عمرو: مَنْ عدا على إلٓهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غَسَله وطَيَّبه ثم يقول : والله لو أعلم مَنْ فعـل هذا بك لأخزيته ، فتكرر ذلك ، فطهره يوماً وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال : إنى والله لا أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك ، فلما نام أخذوا السيف وقرَنُوا كلباً ميتاً بالصنم بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر ، فلم يجده عمرو فى

---

(١) من سورة الأنفال من الآية ٦٢

مكانه ، فخرج حتى وجده كذلك ، فلما أبصر ما به وكلمه مَنْ أسلم من قومه فأسلم وحَسُن إسلامه ، وقال فى ذلك :

والله لو كنتَ إلاهاً لم تكن أنت وكلبٌ وَسطْ بئر فى قَرَنْ
أفٍّ لملقاك إلاهاً مستدن الآن فَتّشْناك عن سوء الغَبَنْ
الحمدُ لله العلى ذى المنَنْ الواهب الرزاق دَيّان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أنْ أكونَ فى ظلمة قبر مُرْتَهَن

الفصل التاسع

فى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إليها

رؤيا النبى دار هجرته

رو ينا فى الصحيحين حديث « رأيت أنى أهاجِرُ من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى[1] إلى اليمامة أو هجر، فإذا هى المدينة يثرب » ووقع للبيهقى من حديث صهيب « أُريتُ دَار هجرتكم سبخة بين ظهرانى حَرَّتين،فإما إن يكون هجر أو يثرب » ولم يذكر اليمامة ، وللترمذى من حديث جرير « أوحى إلى : أىّ هؤلاء الثلاثة نزلت فهى دار هجرتك ، المدينة أو البحرين أو قنسرين » واستغرب به ، وفيه نظر ؛ لمخالفته لما فى الصحيح من ذكر اليمامة ، وأما هَجَر فيصح التعبير بها عنها لكونها من بلاد البحرين ، وأما قنسرين فهى من أرض الشام ، ويحتمل أن يكون أرِىَ ما فى الصحيح وأوحى إليه بالتخيير قبل أو بعد ، فاختار المدينة

وقال ابن التين : أرِىَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم أولا دارَ هجرته بصفة تجمع المدينة وغيرها ، ثم أرى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت .

إذن النبى لأصحابه فى الهجرة

ثم أذن النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة ،وأقام بمكة ينتظر أن يؤذن له فى الخروج،فتوجه بين العقَبتين جماعة منهم ابنُ أمِّ مكتوم،و يقال: إن أول مَنْ هاجر إلى

---

(١) الوهل ، بفتح فسكون : الظن والوهم ، وانظر ص ١٠

المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى زوج أم سلمة ، وذلك أنه أوذِىَ لما رجع من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم بلغه قصة الاثنى عشر من الأنصار فتوجَّه إلى المدينة ، فقدمها بُكْرَةً ، وقدم بعده عامر بن ربيعة عشية ، ثم توجه مصعب بن عمير ليفقّه مَنْ أسلم من الأنصار كما تقدم ، ثم توالى خروجُهم بعد العقَبة الأخـــيرة ، فخرجوا أرسالا : منهم عمر بن الخطاب ، وأخوه زيد ، وطلحة بن عبيد الله ، وصُهَيب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وعبيدة ابن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وعثمان بن عفان ، وغيرهم ، حتى لم يبق معه صلى الله عليه وســلم بمكة إلا على بن أبى طالب والصديق رضى الله عنهما ، كذا قاله ابن إسحاق وغيره ، والظاهر أن المراد لم يبق من أعيانهم ؛ لما روى من أن مَنْ كان بمكة ممن يُطيق الخروج من المسلمين خرجوا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة ، فطلبهم أبو سفيان وغيره من المشركين ، فردُّوهم وسَجَنوهم ، فافتتن منهم ناس ؛ ففى هذا دلالة على بقاء جماعة غير الصديق وعلى رضى الله عنهما مع النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ ، فلما رأت قريش ذلك علموا أن أصحابه قد أصابوا مَنَعة ، ونزلوا دارا ، فحذروا[1] خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فاجتمعوا بدار النَّدْوَة ليأتمروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أبو جهل ، وزعم ابن دريد فى الوشاح أنهم كانوا خمسة عشر رجلا ، وفى المولد لابن دحية كانوا مائة رجل ، وجاءهم إبليس فى صورة شيخ نَجْدى فقال : أدخلونى معكم ، فلن تعدموا منى رأيا ، فأدخلوه ، فقال بعضُهم : نخرجه من بين أظهرنا ، وقال آخرون : بل نحبسه ولا يَطْعَمُ حتى يموت ، فقال أبو جهل : قد رأيتُ أصْلَحَ من رأيكم : أن يعطى خمسُ رجالٍ من خمس قبائل سيفا سيفا فيضربونه ضربَةَ رجلٍ ، فيتفرق دمه فى هذه البطون ، فلا يقدر لـكم بنو هاشم على شىء ، فقال النجدى : لا أرى غير هذا ، فأخبر جبريلُ النبىَّ صلى الله عليه

(١) حذروا خروجه : أى ظنوه وقدروه

وسلم ، فأنزل الله على نبيه « و إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، و يمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين[(١)] » فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى : نَمْ على فراشي وتَسَجَّ ببُرْدِي فلن يخلص إليك منهم أمر ، فترد هذه الودائعَ إلى أهلها ؛ لأن كفار قريش كانت تودع عنده لأمانته ، وكان اسمه عندهم الأمين الصادق ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فأعلمه ، وقال : قد أُذِنَ لى ، فقال : الصحبة يارسول الله ، وكان إنما حَبَس نفسه عليه لما ثبت فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لأصحابه رؤياه المتقدمةَ هاجر من هاجر منهم قبل المدينة ورجع عامة مَنْ كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِكَ فإنى أرجو أن يؤذن لى ، فقال له : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال: نعم ، فحبَس نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وكان عمرُ قد تقدم إلى المدينة ، وعلَف أبو بكر راحلتين كانتا عنده الخَبطَ[(٢)] أربعةَ أشهر، فعرض على النبي صلى الله عليه وسلم إحداهما ، فقال : بالثمن ، وفى رواية ابن إسحاق قال : لا أركب بعيرا ليس هو لى ، فقال : فهو لك ، قال : لا ولكن بالثمن الذى ابتَعتها به ، قال : أخذتهَا بكذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك، قال : هى لك، والحكمة فيه ــ كما أفاده بعضهم ــ أنه صلى الله عليه وسلم أحَبَّ أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه ، وذكر ابن إسحاق أن الناقة التى أخذها هى الجَدْعَاء ، وأنها كانت من إبل بنى الحريش ، وكذا فى رواية أخرجها ابنُ حبان ، وأنها الجَدْعاء ، وأفاد الواقدى أن الثمن كان ثمان مائة درهم ، وأن المأخوذة هى القصوى ، وأنها كانت من نَعَم بنى قُشَير ، وأنها عاشت حتى ماتت فى خلافة الصديق ، وكانت مُرْسَلة ترعى فى النقيع ، وفى طبقات ابن سعد أن ثمنها ثمان مائة درهم ، اشتراها أبو بكر من نَعَم بنى قشير ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم منه القصوى بثمنها ، وسيأتى

(١) من سورة الأنفال الآية ٣٠

(٢) الخبط ــ بفتح الخاء والباء جميعا ــ ورق الشجر الذى يتساقط إذا ضرب بالعصا

من رواية يحيى الحسينى أيضا أنها القصوى ، وجاء عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم أُذِنَ له فى الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى « وقل رب أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صدقٍ ، وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا[1] » أخرجه الترمذى وصححه هو والحاكم ، فذهب أبو بكر إلى عبد الله بن أريقط قاله ابن عقبة. وفى تهذيب ابن هشام «عبد الله بن أرقد» وفى رواية الأموى عن ابن إسحاق «ابن أريقد» وفى الغنية عن مالك اسمه «رقيط من بنى الديل من كنانة» فاستأجره ، وكان هاديا خِرِّيتا[2] : أى ماهرا بالهداية ، وكان على دين الكفار. قال النووى : لا نعلم له إسلاما ، فأمره أن يأتيهما بعد ثلاث فى غار ثَوْرٍ ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فجاءه على رضى الله عنه ، واجتمعت قريش على باب الدار ليقتلوه بزعمهم ، فقال لهم أبو جهل : لا تقتلوه حتى يجتمعوا ، يعنى الخمسة من القبائل الخمس ، وجعل يقول لهم : هذا محمد كان يزعم لكم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ويكون لكم فى الآخرة جنات تأكلون منها ، وإن لم تتابعوه يكون له فيكم ذبح فى الدنيا ، ويوم القيامة نار تحرقون فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم والله كذا أقول ، وكذا يكون ، وأنت أحدهم ، ثم أخذ حَفْنة من تراب فرماها فى وجوههم ، فأخذ على أبصارهم ولم على أصمختهم فجعل على رأس كل رجل منهم ترابا وهو يقرأ أول سورة يس يستتر بها منهم إلى « فهم لا يبصرون » وتلا « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا[3] » ثم أتى منزل أبى بكر ، فخرجا من خُوخَةٍ كانت له ، وأتيا غار ثَوْر ، وأقام المشركون ساعة ، فجعلوا يتحدّثون ، فجاءهم رجل كان إذ ذاك بعيدا منهم فقال لهم : وما تنتظرون ؟ فقالوا : أن نصبح فنقتل محمدا ، قال : قبحكم الله وخيبكم ، أو ليس قد خرج عليكم وجعل على رءوسكم التراب ، قال

---

(١) من سورة الإسراء الآية ٨٠ (٢) الخريت ـ بوزن سكين ـ الماهر الحاذق بالطرق
(٣) من سورة الإسراء الآية ٤٥

أبوجهل : أو ليس هو ذاك مُسَجًّى ببرده ؟ الآن كانا ، فلما أصبحوا قام على من الفراش ، فقال أبو جهل : صَدَقنا ذلك المخبر ، فاجتمعت قريش ، وأخذت الطُّرق ، وجعلت الجَعَائل[1] لمن جاء به ، فانصرفت أعينهم ولم يجدوا شيئا ، فجاء الديلى بعد ثلاث بالراحلتين ، ولا ينافى هذا ما وقع فى رواية هشام بن عُرْوة عند ابن حبان حيث قال : فركبا حتى أتيَا الغار فتواريا ؛ لاحتمال أنهما ركبا غير هاتين الراحلتين ، أو هما ثم ذهب بهما عامر بن فهيرة إلى الديلى .

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب فى الحديث المتقدم أن عليا رقَد على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يورى عنه ، وباتت قريش تحلف وتأتمر ، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه ، حتى أصبحوا فإذا بعلى ، فسألوه فقال : لا علم لى ، فعلموا أنه فرّ منهم .

وروى أحمد بإسناد حَسَن عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا » الآية فذكر تشاور قريش ثم قال : فبات علىّ عَلَى فراشه صلى الله عليه وسلم ، وخرج هو حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه ، فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدرى ، فاقْتَصُّوا أثره[2] ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل ، فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نَسْجَ العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاث ليال ، وذكر نحوه موسى بن عقبة عن الزهرى ، وكله مقتضٍ لأن الخروج إلى الغار كان فى بقية تلك الليلة ، وكان ذلك بعد العقبة بشهرين وليال ، وقال الحاكم : بثلاثة أشهر أو قريبا منها ، ويرجِّحُ الأول ما جزم به ابن إسحاق من أنه خَرَج أول يوم من ربيع الأول ؛ فيكون بعد العقبة بشهرين و بضعة عشر يوما ، وكذا جزم به الأموى ، فقال : خرج لهلال

---

(١) الجعائل : جمع جعالة ، مثل سحابة وسحائب ، وهى الأجرة

(٢) اقتصوا أثره : تتبعوه

ربيع الأول ، وقدم المدينة لاثنى عشر خَلَتْ منه ، وعلى هـذا كان خروجه يوم الخميس ، وهو الذى ذكره محمد بن موسى ، لـكن قال الحاكم : تواترت الأخبار بأن الخروج كان يوم الاثنين ، وجمع الحافظ ابن حجر بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس : أى فى أثناء ليلته لمـا قدمناه ، وخروجه من الغار — يعنى غار ثور — ليلة الاثنين ؛ لأنه أقام فيه ثلاث ليال ، ومَنْ روى ليلتين لعله لم يحسب أول ليلة ، وأما حديث الحاكم « لبثت مع صاحبى » يعنى أبا بكر « فى الغار بضعة عشر يوما، ما لنا طعام إلا ثمر البرير » أى الأراك ، فقـال الحاكم : معناه مكثنا مختفين من الـكفار فى الغـار وفى الطريق بضعة عشر يوما ، وقال الحافظ ابن حجر : الذى يظهر أنها قصة أخرى ، لمـا فى الصحيح من أن عامر بن فهيرة كان يروح عليهما فى الغار باللبن ، وكذا قصة نزولها بخَيْمَة أم معْبَد ، وغير ذلك ، وكان مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة بعـد النبوة بضع عشر سنة . وقال عروة : عشرا ، وقال ابن عباس : خمس عشر سنة ، وفى رواية عنه : ثلاث عشرة ، ولم يعلم بخروجه إلا على وآل أبى بكر ، وكان من قصة نسج العنكبوت وغيره من أمر الغار ما كان ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ومعهما عامر بن فهـيرة يخدمهما يردفه أبو بكر ويعقبـه ، والدليل ، فأخذ بهم فى أسفل مكة حتى أتى بهما طريق السواحل أسفل من عُسْفَان ، ثم عارض الطريق على أمَجَ[1] ، ثم نزل من قديد خيام أم معبد الخزاعية من بنى كعب ، وبقية المنازل إلى قباء ذكرها ابن زبالة ، وقد أوضحناه فى الأصل ، واتفق فى مسيرهم قصة سُرَاقة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد على ما ذكره ابن سعد وغيرها من القصص المشتملة على الآيات البينات .

قال رزين : وأقامت قريش أياما لا يدرون أين أخذ محمد صلى الله عليه وسلم ، فسمعوا صوتا على أبى قبيس وهو يقول :

فإن يُسْلم السَّعْدان يصبح محمد   من الأمن لا يخشى خلاف المخالف

---

(١) أمج : بفتح الهمزة والميم جميعا — مكان بعينه بين مكة والمدينة

فقالت قريش : لو علمنا مَنِ السعدان ، فقال :

أياسَعْدُ سعدَ الأوس كن أنت مانعا ويا سَعْدُ سعدَ الخزرجين الغطارف

أجيباً إلى داعى الهدى وتَبَوَّآ من الله فى الفردوس زلفة عارف

فعلموا إذ ذاك أنه أخذ طريق المدينة .

قلت : والأقرب ما تقدم من إنشاد هذه الأبيات قبل ذلك ؛ لأن السعدَيْن كانا قد أسلما قبل ، ثم سمعوا قائلا بأسفل مكة لا يرى يقول :

جزى الله ربُّ الناس خَيْرَ جزائه رفيقَيْنِ قالا : خَيْمَتَىْ أم معبد

قلت : وروى هذا مع الأبيات الآتية مما سمع حينئذ ، وقيل : سمعوا هاتفا على أبى قُبَيْس يقول:

قصة أم معبد

جزى الله خيراً والجزاء بكفه رفيقَيْنِ قالا خيمتَىْ أمِّ مَعْبَدِ

هما رَحَلا بالحقِّ وانتزلا به فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فما حَمَلَتْ من ناقة فوقَ رَحْلِها أبرَّ وأوفى ذمةً من محمد

وأكْسى لبُرْدِ الخال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السانح المتجدد

لِيَهْن بنى كَعْبٍ مكانُ فَتَاتِهِمْ ومقعدها للمؤمنين بمرصد

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مَرَّ بأم معبد ، فاستسقاها لبناً ، فقالت : ما عندنا من لبن ، ونحن فى سنة[1] ، فنظر إلى شاة قد نحلت عَجْفاء من الهُزَال ، فقال : قَرِّبِى لى هذه الشاة ، فقرَّبَتْهَا ، فمسح ضَرْعَها بيده المباركة وسمَّى ودعا ، ثم قال : هات قَدَحاً ، فجاءت بقدح،فحلب فيه حتى امتلأ ، فأمر أبا بكر أن يشرب ، فقال : بل أنت فاشْرَبْ يا رسول الله ، قال : ساقى القوم آخرهم شربا ، فشرب أبو بكر ، ثم حلب فشرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم حلب فشربت أم معبد ، ثم حلب، فقال : أرْفَعِى هذا لأبى معبد إذا جاءك ، ثم ركبوا وساروا ، فلما أتى أبو معبد أخبرته بما رأت ، وسَقَته اللبن ، فعلم

(١) يطلق العرب لفظ «السنة» على الجدب

أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فركب راحلته وخرج فى أثره يطلب أن يسلم ، فقيل : إنه قال فى طريقه :

جزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائه رفيقَيْنِ قالا خيمتَىْ أم معبد
هما نزلاَهاَ بالهدى فاهْتَدَتْ به فقد فاز مَنْ أمسى رَفِيقَ محمد
فيا لَقُصَىٍّ ما زَوَى الله عنكمُ به من فعال لا تجارى وسُودَدِ
لِيَهْنِ بنى كعب مكانُ فتاتهم ومَقْعَدُهاَ للمؤمنين بمرصد
سَلُوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشَّاةَ تَشْهَدِ
دَعَاهاَ بشاةٍ حائل فتحلَّبت له بصَريح ضرة الشاة مزبد
فغادَرَهَا رَهْناً لديها لحالِبٍ يرددها فى مصدر ثم مورد

وقال الشرقى : بلغنى أن أبا معبد أدركهما ببطن ريم ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانصرف .

قلت : وذكر غير رزين هذه الأبيات كلها فيما سُمِعَ بأسفل مكة من القائل الذى لا يدرون ؛ فلما سمع حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك جعل يجاوب الهاتف ويقول :

لقد خاب قومٌ زال عنهم نبيهُمْ وقُدِّس مَنْ يسرِى إليهم ويغتدى
ترحَّلَ عن قوم فضلت عقولهم وحَلَّ على قوم بنورٍ مُجَدَّد
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم وأرشَدَهم ؛ مَنْ يَتْبَعِ الحق يَرْشُدِ
وهل يستوى ضُلاَّلُ قوم تسكعوا عَمًى وهُدَاةٌ يهتدون بمهتد[1]
لقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هُدًى حَلَّتْ عليهم بأسْعُدِ
نبى يرى مالاَ يرى الناسُ حولَه ويتلو كتابَ الله فى كل مسجد
وإن قال فى يوم مقالة غائب فتصديقُهاَ فى اليوم أوفى ضُحَى غَدِ
لِيَهْنِ أبا بكر سعادَةُ جَدِّهِ بصُحْبَتِهِ ؛ من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

(١) تسكعوا : تحيروا ، قاله ابن الأثير .

خروج أبى بريدة لاستقبال الرسول صلى الله عليه وسلم

قال أبو سليمان الخطابى : لما شارف النبى صلى الله عليه وسلم المدينةَ لقيه بريدة الأسلمى فى سبعين من قومه بنى أسلم ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : بريدة فقال لأبى بكر : برد أمرنا وصلح ، ثم قال : ممن ؟ قال : من أسلم ، قال : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى سَهْم ، قال : خرج سهمنا[1] .

وقد روى ابنُ الجوزى فى شرف المصطفى من طريق البيهقى موصولا إلى بريدة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتطير ، وكان يتفاءل ، وكانت قريش جعلت مائة من الإبل لمن يأخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم فيرده إليهم حين توجه إلى المدينة ، فركب بريدة فى سبعين راكبا من أهل بيته من بنى سَهْم ، فلقى نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بريدة ، فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال : يا أبا بكر ، بَرَدَ أمرنا وصلح ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ممن أنت ؟ قال : من أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى سَهْم ، قال : خرج سهمك[1] ، فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسولُ الله ، فقال بريدة : أشهد أن لا إلٰهَ إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فأسلم بريدة وأسلم مَنْ كان معه جميعا ، فلما أصبح قال بريدة[2] للنبى صلى الله عليه وسلم : لاتدخل المدينة إلا ومعك لواء ، فحلَّ عمامته ثم شدَّها فى رُمْح ثم مَشَى بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله تنزل على مَنْ ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن ناقتى هذه مأمورة ، قال بريدة : الحمد لله الذى أسلمت بنو سَهْم طائعين .

وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض .

(١) خرج سهمك : كناية عن ظفرت وفلجت (٢) وقع فى المطبوعات «أبو بريدة» مرارا ، و«بريدة» مرارا أخرى ، والصواب «بريدة» وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج ، الأسلمى ، وله ترجمة فى الإصابة (١/١٥٠ رقم ٦٣٢)

وروى أن طلحة كان قدم من الشام ومعه ثياب أهداها لأبى بكر من ثياب الشام ، فلما لقيه أعطاه ، فلبس منها النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر .

قال الحافظ ابن حجر : فيحتمل أن كلا من طلحة والزبير أهدى لهما ، والذى فى السير هو طلحة ؛ فالأولى الجمع ، وعند ابن أبى شيبة ما يؤيده ، وإلا فما فى الصحيح أصح .

الفصل العاشر

فى دخوله صلى الله عليه وسلم أرض المدينة ، وتأسيس مسجد قُباء

كان المسلمون بالمدينة قد سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يخرجون كل يوم إلى الحَرَّة أولَ النهار فينتظرونه ، فما يردهم إلا حَرُّ الشمس ، فبعد أن رجعوا يوما أوفىْ رجلٌ من اليهود على أُطُم من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه ، فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا بنى قَيْـلَة ـ يعنى الأنصار ـ وفى رواية : يا معشر العرب ، هذا جَدُّكم ، يعنى حظكم ـ وفى رواية : صاحبكم الذى تنتظرونه ـ فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقَّوْا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقُبَاء على كلثوم بن الهدم ، قيل : وكان يومئذ مشركا ، وبه جزم ابن زبالة ، وقال رزين : نزل فى ظل نخلة ، ثم انتقل منها إلى دار كلثوم أخى بنى عمرو بن عوف ، وفى « أخبار المدينة » ليحيى الحسينى جَدِّ أمراء المدينة اليوم فى النسخة التى رواها ابنُه طاهر بن يحيى عنه من طريق محمد بن معاذ ، قال : حدثنا مجمّع بن يعقوب عن أبيه وعن سعيد بن عبد الرحمن ابن رقيش عن عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة قالا : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بظهر حَرَّتنا ، ثم ركب فأناخ إلى عِذْق عند بئر غرس قبل أن تبزغ الشمس[1]

---

(١) تبزغ الشمس : تظهر

وما يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبى بكر ، عليهما ثياب متشابهة ، فجعل الناسُ يقفون عليهم حتى بزغت الشمس من ناحية أطمِهِم الذى يقال له « شُنَيْف » فأمهل أبو بكر ساعة حتى خيل إليه أنه يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرّ الشمس ، فقام فستَرَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه ؛ فعرف القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا يأتون فيسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لمجمع بن يعقوب : إن الناس يَرَوْنَ أنه جاء بعد ما ارتفع النهار وأحرقتهم الشمس ، قال مجمع : هكذا أخبرنى أبى وسعيد ابن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن يزيد قال : مابزغت الشمس إلا وهو جالس فى منزله صلى الله عليه وسلم

قلت : ولم أرَ هذا الخبر فى النسخةالتى رواها ولد ابن يحيى عن جده ، وقوله « عند بئر غرس » الظاهر أنه تصحيف ، ولعله « بئر عذق » لبعد بئر غرس من منزله صلى الله عليه وسلم بقُباء ، بخلاف بئر عذق ، و إلا فهو قادح فيما يعرفه الناس اليوم من أن بئر غرس هى المعروفة بمحلها الآتى بيانه

وفى كتاب يحيى أيضا عن محمد بن إسماعيل بن مجمّع قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كُلثوم بن الهدم هووأبو بكر وعامر بن فُهَيرة قال : يانجيح ، لمولًى له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفت إلى أبى بكر : أنجحت ، أو أنجحنا ، فقال : أطعمنا رطبا ، قال : فأتوا بقنو من أم جرذان فيه رطب منصف وفيه زَهْو[1] ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا ؟ قال : عذق أم جرذان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك فى أم جرذان ، وقد أخرجه أبو سعيد فى شرف المصطفى من طريق الحاكم ، وقال قوم بمنزله صلى الله عليه وسلم على سعد ابن خيثمة . وقد رواه يحيى أيضا ، قال رزين : والأول أصح اه .

---

(١) المنصف : الذى صار نصفه رطبا ، والزهو ـ بفتح فسكون ـ الذى قد احمر أو اصفر من البلح

وقال الحاكم : إنه الأرجح ، قال : وقد قاله ابن شهاب وهو أعرف بذلك من غيره ، وقال بعضهم : كان سعد عَزَبا ، فكان صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه فى بيته ، فلذلك قيل : إنه نزل عنده ، ويشهد له ما نقله ابنُ الجوزى عن ابن حبيب الهاشمى قال : نزل النبى صلى الله عليه وسلم على كلثوم ، وكان يتحدث فى منزل سعد بن خيثمة ، ويسمى «منزل العزاب» وفى الصحيح : فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم[1] ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وفى رواية له : علو المدينة وقُباء معدودة من العالية ، وكأن حكمته التفاؤل له ولدينه بالعلو ، وذلك يوم الاثنين نهارا عند الأكثر ، قال الحافظ ابن حجر : وهو المعتمد ، وشذ من قال يوم الجمعة . قلت : لعل مراد هذا القائل القدوم الآتى للمدينة نفسها بعد الخروج من قُبَاء ، وقيل : ليلة الاثنين ؛ لقوله فى فى مسلم « ليلا » قال الحافظ ابن حجر : ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل ، فدخل نهارا . قلت : وفيه نظر ، وكان ذلك أول ربيع الأول على مارواه موسى ابن عقبة عن ابن شهاب ، وقيل : لثمان خَلَوْنَ منه . وفى الإكليل عن الحاكم : تواترت الأخبار بذلك ، وفى رواية جرير بن حازم عن ابن إسحاق : قدمها لليلتين خَلَتَا من شهر ربيع الأول ، ونحوه عن أبى معشر ، ولكن قال : ليلة الاثنين ، ومثله عن ابن البرقى ، وثبت كذلك فى أواخر صحيح مسلم ، وفى رواية إبراهيم ابن سعد عن ابن إسحاق : لاثنتى عشرة ليلة خلت منه حين اشتد الضحى ، وهذا ما جزم به الكلبى فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر . وحكاه ابن الجوزى فى شرف المصطفى عن الزهرى فقال : قال الزهرى : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وبه جزم النووى فى السير من الروضة ، وكذا ابن النجار ، ونقل المراغى هذا عن النووى وابن النجار فقط ، وتعجب من عدم موافقته لشىء من الأقوال ، وكأنه فهم أن مرادهما

---

(١) عدل بهم : مال بهم

اختلاف العلماء فى تاريخ مقدمة المدينة

المدينة نفسها بعد الخروج من قُبَاء ، وليس ذلك مرادهما؛ فإن ابن النجار عبر بقوله : فعدل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين لاثنى عشر من شهر ربيع الأول ؛ وأما النووى و إن عبر بالمدينة فليس مراده سوى ذلك ، والعلماء كلهم يطلقون على ذلك قدوم المدينة .

وفى شرف المصطفى لابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ولد رسول الله صلى عليه وسلم يوم الاثنين ، واسْتُنْبِئَ يوم الاثنين ، ورفع الحَجَر يوم الاثنين ، وخرج مهاجرا من مكة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين . وفى روضة الأقشهرى : قال ابن الكلبى : خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول ، وقدم المدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت منه . قال أبو عمر : وهو قول ابن إسحاق إلا فى تسمية اليوم . وعند أبى سعيد فى شرف المصطفى من طريق أبى بكر بن حزم : قدم لثلاث عشرة من ربيع الأول ، وهذا الجمع بينه و بين الذى قبله بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال . وعنده من حديث عمر : ثم نزل على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الأول ، ولعل الرواية خَلَتا ليوافق ما تقدم . ونقل ابن زبالة عن ابن شهاب أن ذلك كان فى النصف من ربيع الأول ، وقيل : كان قدومه فى سابعه ، وجزم ابنُ حزم بأنه خرج من مكة لثلاث ليال بقين من صفر ، وهذا يوافق قول هشام بن الكلبى إنه خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول ، فإن كان محفوظا فلعل قدومه قُبَاء كان يوم الاثنين ثامن ربيع الأول ، و إذا ضم ذلك إلى ما سيأتى عن أنس أنه أقام بقُبَاء أربع عشرة ليلة خرج منه أن دخوله المدينة نفسها كان لاثنين وعشرين منه ، لكن الكلبى جزم بأنه دخلها لاثْنَتَىْ عَشْرَةَ خلَتْ منه ؛ فعلى قوله تكون إقامته بقُبَاء أربع ليال فقط ، و به جزم ابنُ حبان ؛ فإنه قال : أقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس ، يعنى وخرج يوم الجمعة ، فلم يعتدّ بيوم الخروج ، وكذا قال موسى بن عقبة : إنه أقام فيهم ثلاث ليال ؛ فكأنه لم يعد

يوم الدخول ولا الخروج . وعن قوم من بنى عمرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوما ، حكاه ابن زبالة . وفى البخارى من حديث أنس « أقام فيهم أربع عشرة ليلة[١] » وهو المراد فى رواية عائشة بقولها « بضع عشرة ليلة[١] » وقال موسى ابن عقبة عن ابن شهاب : أقام فيهم ثلاثا ، قال : وروى ابن شهاب عن مجمع بن حارثة أنه أقام اثنتين وعشرين ليلة . وقال ابن إسحاق : أقام فيهم خمسا ، و بنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك . قال الحافظ ابن حجر : أنس ليس من بنى عمرو بن عوف ؛ فإنه من الخزرج ، وقد جزم بأربع عشرة ليلة ، فهو أولى بالقبول ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة فى ربيع ، رواه الحاكم فى الإكليل ، وهو مُعْضَل ، والمشهور أن ذلك كان فى خلافة عمر رضى الله عنه ، وأن عمر قال : الهجرة فَرَّقَتْ بين الحق والباطل ، فأرخ بها ، وابتدأ من المحرم بعد إشارة على وعثمان رضى الله عنهما بذلك ، وقد ذكرنا ما قيل فى سببه فى الأصل ، وأفاد السهيلى أن الصحابة رضى الله عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قوله تعالى « لَمَسْجِدٌ أسس على التقوى من أول يوم[٢] »

ابتداء التأريخ من الهجرة

وفى الصحيح أنهم لما قدموا قام أبو بكر للناس: أى يتلقَّاهم ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطَفِقَ مَنْ جاء من الأنصار يحيى أبا بكر ، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّلَ عليه بردائه ، فعرف الناسُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : وجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطَفِق مَنْ جاء من الأنصار ممن لم يكن رآه يحسبه أبا بكر ، حتى إذا أصابته الشمسُ أقبل أبو بكر بشىء أظله به ، وفى رواية ابن إسحاق : حتى رأينا أبا بكر يَنْحَاز له عن الظل ، فعرفناه بذلك

---

(١) فى المطبوعات «أربع عشر ليلة» و«بضع عشر ليلة» تطبيع

(٢) من سورة التوبة من الآية ١٠٨

ونزل أبو بكر رضى الله عنه على حبيب[1] بن إساف أحدِ بنى الحارث بن الخزرج بالسُّنْح ، ويقال : على خارجة بن زيد منهم .

وأقام عليّ رضى الله عنه بعد مخرجه صلى الله عليه وسلم أياما ، قال بعضهم : ثلاثة ، حتى أدَّى للناس وَدَائعهم التى كانت عند النبى صلى الله عليه وسلم وخلفه لردِّها ، ثم خرج فلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، فنزل على كلثوم بن الهدم ، قال فيما رواه رزين : فبينا أنا بائتٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا برجل يضرب بابَ امرأة ، فخرجَتْ فأعطاها شيئاً وانصرف ، ثم فعل ذلك ليلة ثانية أيضا ، فذكرتُ ذلك لها فقالت : هذا سهل بن حُنَيْف يَغْدُو كل ليلة على أصنام قومه فيكسرها ثم يأتى بها لأوقدها حطباً ، وقد علم أن ليس لى من الحطب شىء .

وروى يحيى عن عبد العزيز بن عبيد الله بن عثمان بن حُنَيف قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم [على] بنى عمرو بن عوف ، وقد كان بين الأوس والخزرج ما كان من العداوة ، وكانت الخزرج تخاف أن تدخل دار الأوس ، وكانت الأوس تخاف أن تدخل دار الخزرج ، وكان أسعد بن زُرَارة قتل نبتل بن الحارث يوم بُعَاث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أسعد بن زُرَارة ؟ فقال سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ورفاعة بن عبد المنذر : كان يارسولَ الله أصابَ منا رجلا يوم بُعَاث ، فلما كانت ليلة الأربعاء جاء أسعد إلى النبى صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعاً بين المغرب والعشاء ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا أمامة ، جئتَ من منزلك إلى هاهنا و بينك وبين القوم ما بينك ؟ قال أبو أمامة : لا والذى بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك فى مكان إلا جئت ، ثم بات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح ، ثم غدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابنى عبد المنذر : أجيروه ، قالوا : أنتَ يارسول الله فأجِرْهُ فجِوَارُنا فى جوارك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجيره

---

(١) حبيب بن إساف الخزرجى : اختلف فى ضبط اسمه ؛ فذكره الطبرانى وابن عبد البر بالحاء المهملة كما هنا ، وقال ابن حجر : وهو تصحيف ، والصواب أنه «خبيب» بالخاء المعجمة مصغرا

بعضكم ، فقال سعد بن خيثمة : هو في جواري ، ثم ذهب سعد بن خيثمة إلى أسعد ابن زُرَارة في بيته فجاء به مُخَاصَرَةً يدُه في يده ظُهْرًا حتى انتهى به إلى بني عمرو ابن عوف ، ثم قالت الأوس : يا رسول الله كلنا له جار ، فكان أسعد بن زُرَارة بعدُ يغدو ويروح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وكان لكلثوم بن الهدم بقُبَاء مِرْبَد ، والمربد : الموضع الذي يبسط فيه التمر ليببس ، فأخذه منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأسَّسَه وبناه مسجداً كما رواه ابن زبالة وغيره .

وفي الصحيح عن عروة : فلبثَ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسَّسَ المسجدَ الذي أسس على التقوى[1] ، وفي رواية عبدالرزاق عنه قال : الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف ، وكذا في حديث ابن عباس عند ابن عايد ، ولفظه : ومكَثَ في بني عمرو بن عوف ثلاثَ ليالٍ ، واتخذ مكانه مسجداً فكان يصلي فيه ، ثم بناه بنو عمرو بن عوف ؛ فهو الذي أسس على التقوى .

وروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بقُبَاء قال عمار بن ياسر : ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بُدٌّ من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه ، فجمع حجارة فبنى مسجد قُبَاء ، فهو أول مسجد بُني ، يعني لعامة المسلمين أو للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً ، وإن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد ، فقد روى ابنُ أبي شيبة عن جابر قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة ، ولذا قيل : كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار بقُبَاء قد بَنَوْا مسجداً يصلون فيه ، يعني هذا

---

(١) الإشارة إلى قوله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه)

المسجد ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قُبَاء صلى بهم فيه إلى بيت المقدس ، ولم يُحْدِث فيه شيئاً : أى فى مبدأ الأمر ؛ لأن ابن شبة روى ذلك ، ثم روى أنه صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قبَاء وقدم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال: جبريل يؤم بى البيت ، وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء ، ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم لمسجد المدينة « هو مسجدكم هذا » إذ كل منهما أسس على التقوى على ما سيأتى إيضاحه .

وفى الكبير للطبرانى — وفيه ضعيف — عن جابر بن سمرة قال : لما سأل أهلُ قُباء النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن يبنى لهم مسجداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لِيَقُمْ بعضكم فيركب الناقة » فقام أبو بكر رضى الله عنه فركبها فحركها فلم تنبعث ، فرجع فقعد ، فقام عمر رضى الله عنه فركبها فلم تنبعث ، فرجع فقعد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « ليقم بعضكم فيركب الناقة » فقام على رضى الله عنه فلما وضع رجله فى غَرْز الركاب وثَبَتَتْ به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرْخِ زِمَامَهَا ، وابْنُوا على مدارها فإنها مأمورة » .

وروى الطبرانى — وفيه من لم يعرف — عن جابر أيضاً قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال لأصحابه « انطلقوا بنا إلى أهل قُباء نسلم عليهم ، فأتاهم فسلم عليهم ، فرحَّبُوا به ، ثم قال : ياأهل قُبَاء ائتونى بأحْجَار من هذه الحرَّة ، فجمعت عنده أحجار كثيرة ، ومعه عَنَزَة له[٢] ، فخط قبلتهم ، فأخذ حجراً فوضَعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أبا بكر ، خُذْ حجراً فضَعْه إلى حَجَرى ، ثم قال : يا عمر خُذْ حجراً فضَعْـه إلى جنب حَجَر أبى بكر ، ثم قال : يا عثمان خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر عمر ، ثم التفت إلى الناس فقال : لِيَضَعْ كل رجل حَجَره حيث أحب على ذلك الخط .

(١) يعنى يقصد بى جهة بيت الله الحرام ، والمراد أنه يحرر له القبلة إلى جهته ، وانظر ماسيأتى للمؤلف فى ص ٢٥٣

(٢) العنزة — بفتحات — عصا مثل نصف الرمح لها سنان مثل سنانه

متى فى مسجد قباء

قلت : وهو يقتضى أن هذا البنيان لم يكن عند قدوم النبى صلى الله عليه وسلم إلى قُباء ، بل بعد قدوم عثمان رضى الله عنه من الحبشة ؛ فإنه كان قد هاجر إلى أرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول خارج إليها ، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة ؛ فيمكن أن النبى صلى الله عليه وسلم أسَّسه عند قدومه ، ثم بناه بعد ذلك ، وإلا فلم يكن عثمان رضى الله عنه حاضراً ، كذا نبه عليه بعضُهم ، ولهذا قال السهيلى . أول مَنْ وضع حجراً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ولم يذكر عثمان ، ثم قال : وصلى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتى المدينة ، انتهى . وسيأتى عند ذكره فى المساجد عن عمر رضى الله عنه أنه قال : والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وأصحابه ننقل حجارته على بطوننا ، ويؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجبريل يؤم به البيت[1] ، ولم أر من نبه على تعيين زمان قدوم عثمان من الحبشة ، وسيأتى فى بنائه صلى الله عليه وسلم لمسجد المدينة أخبار تقتضى حضور عثمان له ، وهو محتمل أيضاً للبناء الأول والثانى ، وسبق فى الفصل قبله عَدُّ عثمان فيمن قدم المدينة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، وهو كذلك فى كلام ابن إسحاق .

وقال المحب الطبرى : الظاهر أن قدوم عثمان من الحبشة كان قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم أو بعدها وقبل وقعة بدر ؛ لأنه صحّ أنه كان فى وقعة بدر متخلفاً بالمدينة على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ، ووقعة بدر فى الثانية ، وكان قدوم أكثر مهاجرى الحبشة فى السابعة كما سيأتى ، والله أعلم .

وفى الكبير للطبرانى ورجاله ثقات عن الشَّمُوس بنت النعمان قالت : نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قُبَاء ،

---

(١) انظر الهامشة ١ فى ص ٢٥١ وانظر ماسيأتى للمؤلف فى ص ٢٥٣

فرأيته يأخذ الحجَرأو الصخرة حتى يَهْصرَهُ الحجرُ ، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سُرَّته ، فيأتى الرجل من أصحابه ويقول : بأبى وأمى يا رسول الله أعْطِنى أَكْفِكَ ، فيقول : لا ، خذ مثله ، حتى أسسه ، ويقول : إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة ، قالت : فكان يقال : إنه أقومُ مسجدٍ قبلةً .

قلت : قد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيتَ المقدس حتى نسخ ذلك ، وجاءت القبلة وهم فى صلاة الصبح فأخبرهم ، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة ؛ فيحتمل أن جبريل عليه السلام كان يؤم به البيت ليستدل به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتين ، ولعلمه بما يؤول إليه الأمر من استقبال الكعبة ، أو أنه صلى الله عليه وسلم كان مخيَّرا فى ابتداء الهجرة فى التوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة كما قاله الربيع فأمَّ به جبريلُ البيتَ لذلك ، واختياره الصلاة لبيت المقدس أولا لاستمالة اليهود ، أو أن استقبال الكعبة كان مشروعا فى ذلك الوقت ثم نسخ ببيت المقدس ثم نسخ بالكعبة ، لما قاله ابن العربى وغيره من أن القبلة نسخت مرتين ، أو أن ذلك تأسيس آخر غير التأسيس الأول ، ويدل لهذا الأخير ما قدمناه من رواية ابن شبة .

وقوله فى حديث الشموس المتقدم « حتى يهصره الحجر » أى يميله . وأورده المجد من رواية الخطابى بلفظ آخر ، فقال : وروى الخطابى عن الشَّمُوس بنت النعمان قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صهره[1] إلى بطنه فيضعه ، فيأتى الرجلُ يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدَعَه ويأخذ غيره ، ثم قال : صَهَره وأصْهرهُ إذا ألصقه بالشىء ، ومنه اشتقاق الصِّهْرِ فى القرابة .

وروى ابنُ شبة أيضا أن عبد الله بن رَوَاحة كان يقول وهم يبنون فى مسجد قُبَاء :

---

(١) أشار ابن الأثير إلى رواية « كان يؤسس مسجد قباء فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه » أى يدنيه ويقربه

* أفلَحَ من يعالج المساجدا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المساجدا » فقال عبد الله :

* ويقرأ القرآن قائما وقاعدا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وقاعداً » فقال عبد الله :

* ولا يَبِيتُ الليلَ عنه راقداً *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « راقداً » والله أعلم .

الفصل الحادى عشر

فى قدومه صلى الله عليه وسلم باطن المدينة ، وسكناه بدار أبى أيوب الأنصارى ، وأمر هذه الدار ، وما آلت إليه ، وما وقع من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

قال أهل السير : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرْسَلَ إلى ملأْ بنى النجار ، فجاءوا متقلدين بالسيوف ، وكانوا أخْوَالَهُ ، وذلك أن هاشم ابن عبد مناف تزوج منهم امرأةً ، وهى سلمى بنت عمرو ، فجاءه منها ولد ، فلما مات هاشم وكبر الغلام مر به قوم من قريش فأبصروه وقد ترعرع وهو ينتضل[1] ويقول : أنا القرشى ، فجاءوا وأخبروا عمه المُطَّلب بن عبد مناف ، فذهب فجاء به ، فدخل به مكة وهو رِدْفُهُ وعليه ثياب السفر ، فقالت قريش : هذا عبد المطلب ، فغلب عليه هذا الاسم ؛ فلذلك كان أخواله بنى النجار ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اركبوا آمنين مُطَاعين .

وفى البخارى من حديث أنس : قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بنى النجار فجاءوا بالسيوف ، ثم رواه البخارى بلفظ آخر، فقال : قدم النبى صلى الله

---

(١) يقال « انتضل القوم » أى تراموا بالسهام للسبق

عليه وسلم فنزل جانب الحَرَّة، ثم بعث إلى الأنصار فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فسلموا عليهما ، وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب حتى نزل جانب دار أبي أيوب .

قال الحافظ ابن حجر : تقديره فنزل جانب الحرة فأقام بقُباء المدة التي أقام بها و بنى بها مسجده ، ثم بعث إلى آخره .

وفي التاريخ الصغير للبخاري عن أنس أيضاً قال : إني لأسْعَى مع الغلمان إذ قالوا : محمد جاء ، فننطلق فلا نرى شيئاً ، حتى أقبل وصاحبُه(١) ، فكَمَنا(٢) في بعض جوانب المدينة ، و بعثا رجلا من أهل البادية يؤذن بهما(٣)، فاستقبله خمسمائة من الأنصار، فقالوا : انطلقا آمنين مُطَاعين ، الحديثَ ، ففيه طي لذكر قصة قُبَاء ، إلا أن يريد أن ذلك وقع في مبدأ الأمر عند نزوله صلى الله عليه وسلم بقُبَاء ، وهو ما اقتضاه رواية رزين ، فإنه قال : عن أنس قال : كنت إذ قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ابنَ تسعِ سنين ، فأسمع الغلمان والوَلائد يقولون : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنذهب فلا نرى شيئاً ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، فكمنا في خرب(٤) في طرف المدينة ، وأرسلا رجلا يؤذن(٣) لهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار ، حتى انتهوا إليهما ، قال : فما رأيتُ مثلَ ذلك اليوم قط ، والله لقد أضاء منها كل شيء ، ونزلا على كلثوم بن الهدم، ثم ذكر تأسيس مسجد قُبَاء ، ثم قال : ثم خرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد المدينة ، فلا يمر بدارٍ من دور الأنصار إلا عَرَضوا عليه ، وذكر نحو ما سيأتي ؛ فهو صريح في أن ذلك كان عند مَقْدَمه صلى الله عليه وسلم في بدء الأمر .

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قُبَاء يوم الجمعة ، وتعيينه من الشهر مرتب على ما تقدم في قدومها .

---

(١) الأفصح في العربية «أقبل هو وصاحبه»

(٢) كمنا : استترا (٣) يؤذن بهما : يعلم ويخبر

(٤) ذكر ابن الأثير أنه يروى «خرب» بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة على أنه جمع خربة، ويروى بحاء مهملة وآخره ثاء مثلثة ، وهو الموضع المحروث للزراعة

وروى يحيى أنه صلى الله عليه وسلم لما شَخَص : أى من قباء ، اجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا : يا رسول الله أخَرَجْتَ مَلَالاً لنا أم تريد داراً خيراً من دارنا ؟ قال : إنى أمِرْتُ بقرية تأكل القرى ، فخلوها ـ أى ناقته ـ فإنها مأمورة فخرج صلى الله عليه وسلم من قُبَاء ، فعرض له قبائل الأنصار كلُّهم يدعوه و يَعِدُوه النصرة والمَنَعَة ، فيقول : خَلوها فإنها مأمورة ، حتى أدركته الجمعة فى بنى سالم ، فصلّى فى بطن الوادى الجمعةَ وادى ذى صلب .

قلت : قيل كانت هذه أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقيل : إنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قُبَاء فى إقامته هناك ، والله أعلم .

وروى أيضا عن عمارة بن خزيمة قال : لما كان يوم الجمعة وارتفع النهار دَعَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم براحلته ، وحَشَدَ المسلمون ، ولبسوا السلاح ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقته القصوى ، والناس معه عن يمينه وعن شماله وخلفه : منهم الماشى والراكب ، فاعترضَنَا الأنصارُ فما يمر بدار من دورهم إلا قالوا هلم يا رسول الله إلى العز والمنعة والثروة ، فيقول لهم خيراً ، ويدعو ، ويقول : إنها مأمورة ، خلوا سبيلها ، فمر ببنى سالم ، فقام إليه عِتْبَان بن مالك ، ونوفل ابن عبد الله بن مالك بن العجلان وهو آخذ بزمام راحلته يقول : يا رسول الله أنزل فينا فإن فينا العدد والعدة والحلقة ، ونحن أصحاب العصا [١] والحدائق والدرك ، يا رسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البَحْرَة خائفاً فيلجأ إلينا فنقول له : قوقل حيث شئت ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم و يقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فقام إليه عُبَادة بن الصامت وعباس ابن الصامت بن نَضْلة بن العَجْلان فجعلا يقولان : يا رسول الله أنزل فينا ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : بارك الله عليكم ، إنها مأمورة ، فلما أتى

(١) فى المطبوعات « ونحن أصحاب الفضاء » وما أثبتناه عن الخلاصة

مسجد بنى سالم ـ وهو المسجد الذى فى الوادى ـ فجَمَّع بهم فخطبهم ، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين الطريق حتى جاء بنى الْحُبْلى ، فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبىّ ، فلما رآه ابنُ أبىّ وهو عند مُزَاحم أى الأطم مُحْتَبِياً قال : اذهَبْ إلى الذين دَعَوْك فانزل عليهم ، فقال سعد بن عبادة لاتَجِدْ[1] يارسول الله فى نفسك من قوله ، فقد قدمْتَ علينا والخزرجُ تريد أن تملكه عليها ، ولكن هذه دارى ، فمر ببنى ساعدة فقال له سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة : هلم يارسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد ، وسعد يقول : يارسول الله ليس من قومى أكثر عذقاً[2] ولا فم بئر منى مع الثروة والجلد والعدد والحلقة ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله عليكم ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا ثابت خَلِّ سبيلَها فإنها مأمورة ، فمضى ، واعترضه سعدُ بن الربيع وعبدُ الله بن رَوَاحة وبشير بن سعد فقالوا : يارسول الله لاتُجَاوِزْنَا فإنا أهل عدد وثروة وحلقة ، قال : بارك الله فيكم ، خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، واعترضه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو — أى من بنى بَيَاضة — يقولان : يارسول الله هلم إلى المواساة والعز والثروة والعدد والقوة ، نحن أهل الدرك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ثم مَرَّ ببنى عَدِىّ بن النجار ـ وهم أخواله ـ فقام أبو سليط وصِرْمَة بن أبى أنيس فى قومهما فقالا : يارسول الله نحن أخوالُكَ هلم إلى العدد والمنعة مع القرابة ، لا تجاوزنا إلى غيرنا يارسول الله ، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ويقال : إن أول الأنصار اعْتَرَضَه بنو بَيَاضة ، ثم بنو سالم ، ثم مال إلى ابن أبىّ ، ثم مر على بنى عدى بن النجار ، حتى انتهى إلى بنى مالك بن النجار .

قلت : وقول بنى عدى بن النجار « نحن أخوالك » لأنهم أقار به من جهة

---

(١) لا تجد : لا تغضب ، أولا تحزن .

(٢) أراد أكثر نخلا ، وهو كان ثروة أهل المدينة .

الأمومة ؛ لأن سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار كانت أمّ جده عبدالمطلب، وقول البراء فى حديث الصحيح « إن النبى صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ، أوقال أخواله ، من الأنصار» فيه تجوز من حيث إنه صلى الله عليه وسلم إنما نزل على إخوتهم بنى مالك بن النجار ، أو أراد أنه نزل بخطة بنى النجار لتقارب منازلهم الجميع ومنهم بنو عدى .

وقال الحافظ ابن حجر فى المقدمة فى الكلام على الحديث المذكور : هم من بنى عمرو بن عوف من الخزرج ، وكانت أم عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم منهم ، واسمها سلمى ؛ فهـــم أجداده حقيقة ، وأخواله مجازا ، والشكّ من راوى الخبر ، انتهى .

وهو وَهَم ، سببه اشتباه النزول الأول بقُبَاء بهذا النزول الذى وقع فيه الاستقرار ، وليس بنو عمرو بن عوف ممن يوصف بذلك ، وقد تنبه له فى الشرح؛ فذكره على الصواب كما قدمناه ، والله أعلم .

وروى رزين أنه صلى الله عليه وسلم سار من قُباء ومعه جماعة من الأنصار فى السلاح وجميعُ المهاجرين ، وذكر صلاة الجمعة ، قال : ثم ركب فجاء بنى الُحُبْلَى فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبىّ بن سَلُولَ ، وكان جالساً محتبياً عند أطم له ، فقال : اذهَبْ إلى الذين دَعَوْك فانزل عليهـم ، فقال سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتَجِدْ عليه ، فإن أهلَ هذه البَحْرَة كانوا قد أجمعوا على أن يُعَصِّبُوه ويتَوِّجُوه[1] ، فلما رد الله عليه ذلك بالحق الذى أعطاك شَرِقَ لذلك[2] .

قلت : الذى فى الصحيح ذكر سعد لذلك فى قصة عيادته صلى الله عليه وسلم له من مرض بعد سكناه بالمدينة ، والذى فى كتب السير عن ابن إسحاق أن الجمعة أدركته فى وادى رَانُونَا فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وكانوا أربعين ، وقيل : مائة ، فأتاه عتبان بن مالك فى رجال من بنى سالم فقالوا : يارسول الله أقِمْ عندنا

---

(١) أى يلبسوه التاج والعصابة ، والمراد أنهم كانوا أرادوا تمليكه عليهم .

(٢) شرق لذلك : كناية عن أن صدره قد ضاق بسببه .

فى العَدَد والعُدَّة والمَنَعَة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، لناقته ، فَخَلَّوْا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنَتْ دار بنى بَيَاضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بَيَاضة ، فأجابهم بمثل ماتقدم ، فخلوا سبيلها ، حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رَوَاحة فى رجال من بَلْحَارث ، فأجابهم بما تقدم ، فخلَّوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدىّ بن النجار — وهم أخواله دُنْيًا — اعترضهم سليط بن قيس فى رجال منهم ، فأجابهم بمثل ماتقدم ، حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بَرَكَتْ على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، ثم وثَبَتْ وسارت غيرَ بعيدٍ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واضعٌ لها زمامَها لا يَثْنِيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مَبْرَكها أولَ مرة فبركت فيه ، ثم تلحلحت وأرزمت(١) ووضعت جِرَانها(٢) فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية أنها لما وثَبَتْ من مبركها الأول بركت على باب أبى أيوب الأنصارى ، ثم ثارت منه وبركت فى مبركها الأول ، وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا المنزل إن شاء الله .

وذكر ابن سيد الناس بعد قصة بنى سالم أن راحلته انطلقت حتى وازنت دار بنى بَيَاضة ، فذكر قصتهم ، ثم قال : فانطلقت حتى إذا مرت بدار بنى ساعدة اعترضه سعدُ بن عُبَادة ، وذكر قصتهم ، ثم قال : فانطلقت حتى إذا وازنت دار بنى الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع ، وذكر قصتهم ، ثم ذكر القصة كما قدمناه .

وذكر يحيى فى رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن سار من بنى سالم تيَامن ، فأتى منزل ابن أبىّ ، ثم مضى فى الطريق والطريقُ يومئذٍ فضاء حتى انتهى إلى سعد بن عُبادة ، ثم اعترضت له بنو بَيَاضة عن يساره ، ثم مضى حتى أتى بنى عدى ابن النجار ، ثم أتى إلى بنى مازن بن النجار ، فقامت إليه وجوههم ، ثم مضى حتى

---

(١) فى المطبوعات « تحلحلت ورزمت » وما أثبتناه عن ابن الأثير ، وتلحلحت — بتقديم اللام على الحاء — تحركت ، وأرزمت : صوتت من غير أن نفتح فمها .
(٢) الجران — بزنة الكتاب — باطن العنق .

انتهى إلى باب المسجد وقد حَشَدَت(١) بنو مالك بن النجار فهم قِيَامٌ ينتظرونه إلى أن طلع فهش إليه أسعد بن زُرَارة وأبو أيوب وعمارة بن حزم وحارثة بن النعمان يقول : يارسول الله قد علمت الخزرجُ أنه ليس رَبْع أوسع من رَبْعى، قال : فبركت بين أظهرهم ، فاستبشروا ، ثم نهضت كأنها مذعورة ترجِّع الحنين(٢) ، فساءهم ذلك ، وجعلوا يَعْدُونَ بجنبها حتى أتت إلى زقاق الحبشى ببئر جمل فبركت والنبىُّ صلى الله عليه وسلم عليها مُرْخٍ لهـا زِمامَهَا ثم قامت عَوْدَهَا على بَدْئها تزيد فى المشى حتى بركت على باب المسجد وضربت بِجِرَانِهَا وعدلت ثَفِنَاتِها(٣)، وجاء أبو أيوب والقومُ يكلمونه فى النزول عليهم ، فأخذ رَحْله فأدخله ، فنظر رسـول الله صلى الله عليه وسلم إلى رَحْله وقد حط فقال « المرء مع رحله » .

وذكر رزين اعتراض بنى سالم له وقوله « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » ثم قال : فمر ببنى بياضة فـكذلك ، ثم ببنى سـاعدة فـكذلك ، ثم بدار بنى الحارث بن الخزرج فـكذلك ، ثم مر بدار عدى بن النجار فـكذلك ، فمضت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب المسجد اليوم ، ولم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت، ثم وثبت فسارت غيرَ بعيدٍ ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول ، فنزل إذ ذاك رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أىُّ الدور أقربُ ؟ فقال أبو أيوب : دارى ، هـذا بابى ، وقد حَطَطْنَا رَحْلَكَ فيها ، فقال « المرء مع رَحْلِهِ » فمضت مثلا .

وروى ابن زبالة أنها لما بركت بباب أبى أيوب جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزل فتحلحل(٤) فيطيف حولها أبو أيوب فيجد جبَّار بن صخر أخا بنى سلمة ينخسها برجله ، فقال أبو أيوب : ياجبار عن منزلى تنخسها ؟ أما والذى بعثه بالحق لولا الإسلام لضربتك بالسيف ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسـلم فى منزل أبى أيوب ، وَقَرَّ قَرَاره ، واطمأنت داره ، ونزل معه زيد بن حارثة .

(١) حشدت : اجتمعت (٢) ترجع الحنين : تردده
(٣) الثفنات : جمع ثفنة — بفتح فـكسر — وهى مايلى الأرض من كل ذات أربع عند بروكها ويحصل فيه غلظ من أثر البروك . (٤) أنظر هـ ١ ص ٢٥٩

وعند الحاكم عن أنس : جاءت الأنصار فقالوا : إلينا يارسول الله ، فقال : دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب أبي أيوب .

وروى الطبراني في الأوسط وفيه صديق بن موسى - قال الذهبي : ليس بالحجة - عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فاستناخت راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي ودار الحسن بن زيد ، فأتاه الناسُ فقالوا : يارسول الله المنزل ، فانبعثت به راحلته ، فاستناخت ثم تحلحلت[1] ، وللناس ثم عَرِيش كانوا يرشونه ويعمرونه ويبردون فيه ، حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأوى إلى الظل فنزل فيه ، فأتاه أبو أيوب فقال : يارسول الله منزلي أقرب المنازل إليه [أ]فأنقل رحلك ؟ قال : نعم، فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه آخر فقال : يارسول الله انزل علي ، فقال : إن الرجل مع رحله حيث كان ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بني المسجد

قلت : دار جعفر بن محمد هي التي في قبلة دار أبي أيوب ملاصقة لها ، ودار الحسن بن زيد تقابلها من جهة المغرب ، بينهما الشارع .

وعند ابن عائذ وسعيد بن منصور أن ناقته صلى الله عليه وسلم استناخت به أولا ، فجاءه ناس فقالوا : المنزل يارسول الله ، فقال دعوها ، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ، ثم تحلحلت[1] ، فنزل عنها ، فأتاه أبو أيوب فقال : منزلي أقرب المنازل فَأذَنْ لي أن أنقل رحلك ، قال: نعم ، وأناخ الناقةَ في منزله

وقال الواقدي : أخذ أسعد بن زرارة بزمام راحلته فكانت عنده ، ونقله الحافظ ابن حجر عن ابن سعد ونقل الأقشهري في روضته عن ابن نافع صاحب مالك في أثناء كلام نَقَلَه عن مالك أن ناقته صلى الله عليه وسلم لما أتت موضع مسجده بركت وهو عليها ، وأخذه الذي كان يأخذه عند الوحي ، ثم ثارت من غير أن تُزْجَرَ وسارت غير بعيد ، ثم التفتت ، ثم عادت إلى المكان الذي

(١) انظر الهامشة رقم ١ في ص ٢٥٩

بركت فيه أول مرة فبركت ، فَسُرِّيَ عنه ،فأمر أن يحط رحله ،وفى بعض الروايات أن القوم لما تنازعوا أيهم ينزل عليه قال : إنى أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك

وفى البخارى من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أقبل يسير حتى نزل جانب دار أبى أيوب ، فقال : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ أى أخوال جده ، فقال أبو أيوب :أنا يا نبى الله ، هذه دارى ، وهذا بابى، قال:فانطلق فهيء لنا مَقِيلاً[1] .

وفى رواية لابن زبالة : اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه، فنزل منزلَهُ وتخيره، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها .

قال المطرى : وهو غير مناف لما تقدم من قوله « دَعُوهَا فإنها مأمورة »؛ لأن الله اختار له ما كان يختار لنفسه .

وفرح أهل المدينة بمقدمه صلى الله عليه وسلم إليهم فرحا شديدا؛ ففى البخارى من حديث البَرَاء « مارأيت أهلَ المدينة فرحوا بشىء فَرَحَهم برسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديث ، وروى أبوداود أن الحبشة لعبت بحرابهم فرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم .

قال رزين : وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير[2] يقلن :

طلع البـــدر علينا   من ثَنِيَّاتِ الوَدَاع
وَجَبَ الشكر علينـا   مادعـــا لله داعِ

وفى رواية :

أيهـــا المبعوث فينا   جئت بالأمر المطـاع

والغلمان والولائد يقولون : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَرَحاً به .

وفى شرف المصطفى : لمـا بركت الناقة على باب أبى أيوب خرج جوارٍ من بنى النجار يضربن بالدفوف و يقلن :

نحن جَوار من بنى النجار   ياحبذا محمـــدٌ مِنْ جارِ

---

(١) المقيل : الموضع الذى تقضى فيه القيلولة ، هذا أصله .

(٢) الأجاجير : جمع إجار ، وهو سطح المنزل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتُحْبِبْنَانى ؟ قلن : نعم يارسول الله ، فقال : والله وأنا أحبكن ، قالها ثلاثا ، وفى رواية « يعلم الله إنى أحبكن » .

وأخرج الحاكم من طريق إسحاق بن أبى طلحة : فخرجت جوارٍ من بنى النجار يضربن بالدف وهن يقلن ، وذكر البيت المتقدم .

وروى عن أنس قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أظلم منها كل شىء ، فلما دخل المدينة أضاء منها كل شىء ، ورواه ابن ماجة بلفظ : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء . ورواه أبو داود بلفظ : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت يوما كان أحسَنَ ولا أضوأ[1] من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أضاء منها كل شىء ، الحديثَ . ورواه ابن أبى خيثمة عنه بلفظ : شهدتُ يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ[1]

وروى يحيى عن عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس[2] إليه ، وقيل : قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت أنظر ، فلما تبينت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شىء سمعته يتكلم قال : أيها الناس ، أفْشُوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام ، وصَلّوا بالليل والناس نيام ، تدخلون الجنة بسلام ، وهذا الحديث بنحوه فى الترمذى وصححه

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبارافع إلى مكة أعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم بنتيه وسَوْدَة زوجته وأم

(١) أضوأ : أشد ضوءا

(٢) انجفل الناس إليه : ذهبوا نحوه مسرعين ، يقال: جفل، وأجفل،وانجفل .

أيمَنَ زوج زيد بن حارثة وأسامة بن زيد ، وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبى بكر فيهم عائشة وأختُها أسماء زوجُ الزبير وأمها أم رُومَان ، فلما قدموا المدينة أنزلهم فى بيت حارثة بن النعمان .

وقال رزين: إن أبا بكر أرسل عبدَ الله بن أرَيْقِط مع زيد بن حارثة ليأتيه بعائشة وأم رومان أمها وعبدِ الرحمن

قال بعضهم : ووجدوا طلحة بن عبيد الله على خروج ، فخرج معهم ، فقدموا كلهم .

وروى ابن إسحاق عن أبى أيوب الأنصارى قال : لما نزل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وأنا وأم أيوب فى العلو ، فقلت له : يانبى الله ، بأبى أنت وأمى، إنى أكره وأُعْظِمُ أن أكون فوقك وتكون تحتى ، فاظْهَرْ أنت فكن فى العلو وننزل نحن فنكون فى السفل ، فقال : يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يَغْشَانا أن نكون فى سُفْلِ البيت ، قال : فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سفله ، وكنا فوقه فى المسكن ، فلقد انكسر حُبٌّ لنا[1] فيه ماء ، فقمتُ أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشِّفُ بها الماء تخوفاً أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىء فيؤذيه .

قلت : وذكر بعضهم أن ذلك هو سببُ سكناه فى العلو بعد ذلك ، والذى فى صحيح مسلم عن أبى أيوب أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل عليه ، فنزل صلى الله عليه وسلم فى السفل وأبو أيوب فى العلو ، فانتبه أبو أيوب ليلة فقال : نمشى فوق رأس النبى صلى الله عليه وسلم ؟! فتنحَّوْا[2] وباتوا فى جانب،ثم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : السفل أرفق ، فقال : لا أعلو سقيفةً وأنت تحتها ، فتحول النبى صلى الله عليه وسلم فى العلو وأبو أيوب فى السفل

---

(١) الحب ــ بضم الحاء المهملة ــ الخابية (٢) تنحوا : ابتعدوا

وقد قدمنا[1] فى آخر الفصل الرابع أن ابن إسحاق ذكر أن هذا البيت بَنَاهُ تُبَّعٌ الأول لما مر بالمدينة للنبي صلى الله عليه وسلم ينزله إذا قدم المدينة ، فتداولَ البيتَ المُلاَّكُ إلى ان صار لأبي أيوب ، وأن أبا أيوب من ذرية الحَبْرِ الذى أسلمه تبع كتابَهُ .

وقد نقل الحافظ ابنُ حجر ذلك عن حكاية ابن هشام فى التيجان ، قال : وأورده ابن عساكر فى ترجمة تبع . فما نزل صلى الله عليه وسلم إلا فى بيته ، وقد ابتاع المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بيتَ أبى أيوب هذا من ابن أفلح مولى أبى أيوب الأنصارى بألف دينار ، فتصدق به ، وهو فى شرقىّ المسجد المقدس كما سيأتى فى الدور المطيفة بالمسجد

وقد اشترى الملكُ المظفر شهابُ الدين غازى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب بن شادى عَرْصَةَ دار أبى أيوب هذه ، و بناها مدرسة للمذاهب الأربعة ، ووقف عليها أوقافا بمَيَّا فارقين[2] التى هى دار مُلكه ، وبدمشق لها وقف آخر أيضاً ، ولها بالمدينة الشريفة أيضا وقف من النخيل وغيرها ، غير أنه شمل ذلك ماعم الأوقاف ، وكان بها كتب كثيرة نفيسة فتفرقت أيدى سَبَا ، وآل حالُ هذه المدرسة إلى التعطيل ، فسكنها بعض نظارها ، فتشاءمتْ على عياله ، واتصل ذلك بسلطان مصر نخرج منها ، والمدرسة قاعتان : كبرى ، وصغرى ، وفى إيوان الصغرى الغربى خزانة صغيرة جدا ، فما يلى القبلة فيها محراب

قال المطرى : يقال إنها مَبْرَكُ ناقة النبى صلى الله عليه وسلم

وكانت إقامته صلى الله عليه وسلم بهذه الدار كما أفاده ابن سعد سبعةَ أشهر : أى بتقديم السين على الباء ، حتى بنى مساكنه . وقال رزين : أقام عند أبى أيوب من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الثانية ، وقال الدولابى : شهرا ، وفى كتاب يحيى عن زيد بن ثابت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى أيوب

(١) انظر ص ١٨٨ وما بعدها من هذا الجزء

(٢) ميا فارقين : مدينة بديار بكر (ياقوت ٧/٢١٤)

لم يدخل منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أولُ من هدية دخلْتُ بها عليه قصعة مثرودة خبز بروسمنا ولبنا فأضعها بين يديه ، فقلت : يارسول الله أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال: بارك الله فيها ،ودعا أصحابه فأكلوا ،فلم أرِم البابَ[(١)] حتى جاءت قصعة سعد بن عُبادة على رأس غلام مُغَطاة،فأقف على باب أبي أيوب فأكشف غطاءها لأنظر ، فرأيت ثريدا عليه عراق ، فدخل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال زيد : فقد كنا فى بنى مالك بن النجار مامن ليلة إلا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام و يتناوبون بينهم ، حتى تحَوَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بيت أبى أيوب ، وكان مقامه فيه سبعة أشهر ، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة

وفيه أنه قيل لأم أبى أيوب : أى الطعام كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم عرفتم ذلك لمقامه عندكم ؟ قالت : ما رأيته أمَرَ بطعام فصنع له بعينه ، ولا رأيناه أتى بطعام قطُّ فعابه

وقد أخبرنى أبو أيوب أنه تَعَشى عنده ليلة من قَصْعة أرسل بها سعدُ بن عبادة طَفَيْشَل[(٢)] فقال أبو أيوب : فرأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ينهل تلك القدر مالم أره ينهل غيرها ، فكنا نعملها له ، وكنا نعمل له الهريس وكانت تعجبه ، وكان يحضر عَشَاءَهُ خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام فى الكثرة والقلة .

وفيه عن أبى أيوب أنهم تكلَّفُوا له طعاما فيه بعضُ هذه البقول ، فلما أتوه به كرهه وقال لأصحابه : كُلُوا فإنى لست كأحدكم ، إنى أخاف أن أوذِيَ صاحبي[(٣)]

وفى كتاب رزين عنه بعد ذكر نزوله عليه قال : وما مرت ليلة من نحو السنة إلا وتأتيه جَفْنة سعدِ بن مُعَاذ ثم سائر الناس، يتناوبون ذلك نُوَباً ، قال أبو

(١) لم أرم الباب : لم أفارقه (٢) طفيشل ــ بزنة سفرجل ــ ضرب من المرق
(٣) صاحبه : الملك الذى يلازمه ، والمراد بالبقول نحو الكراث والبصل والثوم كما سيأتى فى رواية رزين التالية .

أيوب : فصنعتُ له ليلةً طعاما ، وجعلت فيه ثُوماً ، فلم يأكل منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ففزعت فنزلت إليه فقلت له : أحرامٌ هو ؟ فقال: إنى أناجى ، وأنا أكرهه لذلك ، وأما أنتم فكلوه ، قال : فقلت : فإنى أكره ماتكره يارسول الله .

المواخاة بين الأنصار والمهاجرين

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار وَادَعَ فيه يهود[1] ، وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط لهم ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال فيما بلغنا : تآخَوْا فى الله أخَوَيْنِ أخَوَيْنِ ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هذا أخى .

قلت : كانت هذه المواخاة بعد مَقْدَمه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر ، وقيل : ثمانية ، وهو يبنى المسجد ، وقيل : بعدهُ ، وقيل : قبله ، وذكره أبو حاتم فى السنة الأولى ، والظاهر أن ابتداءها كان فيها ، واستمرت على حسب مَنْ يدخل فى الإسلام أو يحضر ، كما يعلم من تفاصيلها ، قيل : وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة وأربعون ، وقيل : مائة ، آخى بينهم على الحق والمواساة والتوارث ، وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر « وأولو الأرحام »[2] الآية .

وقال الواقدى : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين ، وآخى بين المهاجرين والأنصار .

وقال ابن عبد البر : كانت المواخاة مرتين : الأولى قبل الهجرة بمكة بين المهاجرين ، فآخى بين أبى بكر وعمر ، وهكذا حتى بقى على رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن أكون أخاك ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : فأنت أخى فى الدنيا والآخرة ، والمواخاة الثانية ما تقدم من مواخاة

---

(١) وادع فيه يهود : هادنهم وصالحهم . (٢) من سورة الأنفال من الآية ٧٥ .

المهاجرين والأنصار ، وهى المرادة بقول الحسن : كان التوارث بالحِلْفِ[1] ؛ فنسخ بآية المواريث .

ولأبى داود عن أنس بن مالك : حالف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا ، وحديث « لا حِلفَ فى الإسلام » معناه حلف التوارث ، والحلف على ما منع الشرع منه ، وعبر رزين عن المواخاة بين المهاجرين والأنصار فيما نقله عن أبى حاتم بقوله : ثم آخى بين أصحابه ، ودعا لكل واحد منهم دعوة ، وقال : أبْشِرُوا أنتم فى أعلى غُرَفِ الجنة ، وقال لعلى : ما أخرتك إلا لنفسى ، أنت أخى ووارث علمى ، وأنت معى فى الجنة فى قصرى مع ابنتى ، وقصة المواخاة الأولى أقربها الحاكم ؛ فذكر المواخاة بين أبى بكر وعمر ، وذكر جماعة ، ثم قال : فقال علىّ : يا رسول الله ، إنك آخيت بين أصحابك فَمَنْ أخى ؟ قال : أنا أخوك .

وقد أنكر ابن تيمية فى الرد على ابن المطهر الرافضى المواخاة بين المهاجرين خصوصاً مواخاة النبى لعلى ، قال : لأنها شرعت للارفاق والتألف ؛ فلا معنى لها بينهم ، وهو رد للنص وغفلة عن حقيقة الحكمة فى ذلك ، مع أن بعضهم كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة ، والارتفاق ممكن ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم بعلى من عهد الصبا ، واستمر ذلك .

وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن أنه صلى الله عليه وسلم «آخى بين الزبير وابن مسعود» وهما من المهاجرين.

اليهود تحاول الإفساد بين الأوس والخزرج

والتأم شمل الحيين الأوسِ والخزرجِ ببركته صلى الله عليه وسلم ، فمر شاس ابن قيس ــ وكان شيخا من اليهود شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم ــ على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فقال : قد

(١) يعنى أن الحلف كان معدودا من أنواع العصبة فى أول الإسلام بالمدينة ، يرث به الحليف حليفه بعد مرتبة أهل الفروض والعصبة، ثم نسخ التوارث به بالآية .

اجتمع ملأ بنى قَيْلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع مَلَؤُهم بها من قَرَار ، فأمر شابا من يهود كان معه فقـال : اُجْلِسْ إليهم ثم اذكر يوم بُعَاث ، وما كان فيه ، وأَنْشِدْهُم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل الشاب ذلك ، فتنازع القومُ وتفاخروا ، حتى تواثب رجلان من الحيين عَلَى الرُّكَبِ ، وهما أوس بن قَيْظى وجَبَّار بن صخر ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جَذَعة ، وغضب الفريقان جميعا ، وقالوا : قد فعلنا ، موعِدُكم الظاهرة ، وهى الحرة ، فخرجوا إليها ، و بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين ، اللهَ اللهَ ، أبدَعْوَى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقَطَع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبَكَوْا ، وعانق الأوسُ والخزرجُ بعضُهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس ، فأنزل الله فى شأنه : « قل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ، قل يا أهل الكتاب لم تَصُدُّونَ عن سبيل الله مَنْ آمَنَ تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون[1] » ، وأنزل الله فى الذين صنعوا ما صنعوا من الحيين : « يا أيها الذين آمنوا إن تُطِيعُوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون[2] » .

وكان حُيَيُّ بن أخطب[3] وأخوه أبو ياسر من أشد يهود للعرب حَسَداً لما خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم؛ فكانا جاهِدَيْنِ فى رد الناس عن الإسلام بما استطاعا فأنزل الله تعالى فيهما : « وَدَ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم » إلى قوله : « حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شيء قدير[4] » .

---

(١) من سورة آل عمران الآيتين ٩٨ و٩٩ (٢) من سورة آل عمران الآيات ١٠٠ – ١٠٣ (٣) فى المطبوعات « يحى بن أخطب» وسيأتى على الصواب

(٤) من سورة البقرة الآية ١٠٩

وحدثت صفية بنت حُيَي رضى الله عنها قالت : كنت أحَبَّ ولدِ أبى إليه و إلى عمى أبى ياسر ، لم أَلْقَهُمَا قَطُّ مع ولدهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ غدا عليه أبى وعمى مُغَلِّسَيْنِ[1] ، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس ، فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهُوَيْنَا ، فهششت إليهما كما كنت أصنع . فوالله ما التفت إلىَّ واحـدٌ منهما ، مع ما بهما من الغم ، وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقـول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت ، فَشَقِيَا بحسَدِهِمَا ، والله أعلم .

الفصل الثانى عشر

فيما كان من أمره صلى الله عليه وسلم بها فى سِنِى الهجرة إلى أن توفاه الله عز وجل مختصرا .

وقد لخصه رزين من تاريخ أبى حاتِم ، فزدت فيه نفائس ميزتها ، فأقول فى أولها « قلت » وفى آخرها « والله أعلم » وقد أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينـة بعد الهجرة عشر سنين بالإجماع كما حكاه النووى[2] .

السنة الأولى

السنة الأولى ــ وقد تقدم بعضُ ما فيها من بناء مسجد قُبَاء وغيره .

وقال أبو حاتم : كان فيها بناء المسجد النبوى ، ومات أسعد بن زُرَارة والمسجد يُبْنَى ؛ فكان أول من دفن بالبقيع من المسلمين .

قلت : ومن هذا يعلم أن عثمان بن مظعون أول من دفن به من المهاجرين ، جمعا بين النقلين ، ومات كلثوم بن الهدم قبل أسعد بن زرارة ؛ فهو أول مَنْ مات من الأنصار بعد مَقدَم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيـل : توفى أسعد بن زرارة فى الثانية ، والله أعلم .

ومات البَرَاء بن مَعْرُور قبـل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) مغلسين : فى وقت الغلس ، وهو الوقت بين الفجر وسطوع النور .

(٢) وقد جعلنـا زيادة المؤلف مستقـلة تبدأ من أول سطر بـكلمة « قلت » وتنتهى بكلمة « والله أعلم » ثم يبدأ تلخيص رزين من أول سطر جديد وهكذا .

وأوصى أن يُوَجَّه إلى الكعبة ، وصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قبره ، وكانت الأنصار ينتقر بون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونساؤهم ، وكانت أم سُلَيم تتأسف على ذلك ، وما كان لها شيء ، فجاءت بابنها أنس، وقالت : يَخْدُمك أنس يا رسول الله ؟ قال : نعم .

قلت : الذى فى الصحيح عن أنس « قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة بِيَدِى ، فانطلق بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن أنسا غلام كَيِّس[1] فليخدمك ، قال : فخدمته، الحديثَ ، وقد يجمع بأنها جاءت به أولا ، وانطلق به أبو طلحة ثانيا ؛ لأنه وليه وعَصَبَتَه ، وهذا غير مجيئه به لخدمته صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر كما يفهمه لفظ الحديث ، والله أعلم .

ثم زِيدَ فى صلاة الحضر ركعتين بعد مقدمه المدينة بشهر[2] .

قلت : قال السهيلى : إن ذلك كان بعد الهجرة بعام أو نحوه ، والذى عليه الأكثر أن الصلاة نزلت بتمامها من بَدْء الأمر ، والله أعلم .

ووُعِك أصحابه فدعا بنَقْلِ وبائها إلى الجُحْفة ، وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة » ثم آخى بين أصحابه كما سبق ، ثم مات الوليد بن المغيرة بمكة ، ووُلِدَ عبدُ الله بن الزبير ، جاءت أمه أسماء بعد الهجرة فنُفِسَت به فى قُبَاء فى شوال ، فكان أولَ مولود ولد فى الإسلام بها بعد الهجرة ، وكان أول شىء دخل جوفه ريقُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، تَفَلَ فى فيه .

قلت : سيأتى فى مسجد دار سعد بن خَيْثَمة من المساجد التى لا تعلم عينها أن الذهبيّ قال : إن عبد الله ولد فى الثانية ، والله أعلم .

ثم عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء لابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

---

(١) كيس : وصف من الكياسة ، وهى الحذق وحسن التأتى للأمور .

(٢) فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، إلا المغرب ، ثم زيدت فى الحضر وأقرت فى السفر ، هكذا ورد فى حديث عائشة .

أول راية عقدت فى الإسلام

على ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصارى، وهى أول راية عقدت فى الإسلام، ورمى فيها سعد بن أبى وقاص بسهم، فكان أول سهم رُمِىَ به فى الإسلام، فالتقى مع أبى سفيان بن حرب، وقيل عكرمة بن أبى جهل، وكان فى مائة من المشركين ببطن رابغ ويعرف بوَدَّانَ فانحاز إلى المسلمين من المشركين المِقْدَاد بن عمرو بن الأسود وعتبة بن غَزْوَان، وكان حامل اللواء لعبيدة مصلح بن أثاثة.

قلت: وذكر أبو الأسود فى مَغَازِيه عن عروة، ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم لما وَصَل إلى الأبواء[1] بعث عُبَيْدَة بن الحارث فى ستين رجلا » وذكر القصة، فيكون ذلك فى السنة الثانية، وبه صَرَّحَ بعض السير، والله أعلم.

ثم عقد لواء لعمه حمزة على ثلاثين من المهاجرين — قيل: ومن الأنصار — ليتعرض عِيرَ قريش، فلقى أبا جهل فى ثلاثمائة راكب، فحجب بينهم مَجْدِىُّ ابن عمرو، وكان حليفاً للفريقين، وانصرفوا من غير قتال، وكان حاملَ لواء حمزة يومئذ أبو مَرْثَد.

قلت: قدم بعضهم هذه على سَرِيَّة عبيدة، وقال: إن لواء حمزة أول لواء عقد فى الإسلام، ورجَّحَ ابنُ إسحاق الأول، وقال: إنما أشْكَلَ أمرها أن النبى صلى الله عليه وسلم شيعها جميعاً، وذكر أبو عمر أن أول راية عقدت لعبد الله بن جَحْش، وقيل: إن سَرِيَّة حمزة هذه كانت فى السنة الثانية، والله أعلم.

زواج عائشة

ثم بَنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهى بنت تسع، وكان عَقَدَ بها فى مكة قبل الهجرة بثلاث وهى بنت ست.

زواج سودة بنت زمعة

قلت: وعقد على سَوْدَة بنت زَمْعَة بعد عائشة — وقيل: قبلها، وبنى بها بمكة — وكان بناؤه بعائشة على رأس تسعة أشهر — وقيل: ثمانية، وقيل ثمانية عشر شهرا — من قدومه، والله أعلم.

---

(١) الأبواء: قرية بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا، وقيل: جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة (ياقوت ١/٩٢) وانظر تحديدها للمؤلف فى ص ٢٧٤ س ١٥.

ثم عقد لواء لسعد بن أبي وَقّاص في عشرين يريدون عِيرَ قريش في ذي القعدة ، فخرجوا على أقدامهم يَكْمُنُون[1] بالنهار و يسيرون بالليل ، وكان حاملَ اللواء لسعد المقدادُ بن عمرو ، فلم يجدوا شيئاً ، ثم جاء أبوقيس بن الأسْلَتِ ليسلم ، فلقيه ابنُ أُبيّ ابن سَلُولَ ، فقال : تَرَبَّصْ[2] حتى ترى ، فرجع فمات كافرا .

إسلام عبد الله ابن سلام

قلت : وأسلم عبدالله بن سلام في أول قدومه صلى الله عليه وسلم ؛ ففي البخاري من حديث عائشة التصريحُ بأنه جاء قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار أبي أيوب لما سمع بقدومه صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى أهله ، ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب : اذْهَبْ فهَيِّئ لنا مَقِيلاً ، فقال : قوماً على بركة الله ، أي هو وأبو بكر ، قالت : فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله وأنك قد جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فَسَلْهُم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت ؛ فإنهم إنْ يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيّ ما ليس فيّ ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر اليهود ، ويلكم ! اتقوا الله ، فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، فأسلموا ، قالوا : مانعلمه ، قال : فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : أفرأيتم إن أسْلَم ، قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، قال : أفرأيتم إن أسلم ، قالوا : حاشا لله ما كان ليسلم ، كرر عليهم ذلك ثلاثا فيقولون له ذلك ، قال : يا ابن سلام اخرج عليهم ، فخرج عليهم ، فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا الله فوالذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء ، فلما أعلمه بها أسلم ، وفي هذه الرواية ذكر

---

(١) يكمنون : يختفون ويستترون (٢) تربص : انتظر وتمهل

قصة اليهود المتقدمة ، وأن عبـد الله بن سلام لما خرج إليهم وتَشَهَّدَ قالوا : شَرُّنا وابن شرنا ، وتنقَّصُوه ؛ فقال : هذا كنت أخاف يارسول الله ، ونَصَبت أحبار اليهود العداوة للنبى صلى الله عليه وسـلم بَغْيا وحَسَدا : منهم حُيَىُّ بن أخْطَب ، وأبو رافع الأعور ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صوريا ، والزبير بن بَاطَا ، وشمويل ، ولبيد بن الأعصم ، وغـيرهم ، ودخل منهم جماعة فى الإسلام نِفَاقًا ، وانضاف إليهم من الأوس والخزرج منافقون ، وأرى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأذان ، وقيل : كان ذلك فى السنة الثانية عند ما شاور صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة ؛ إذ كان اجتماعهم قبل بمنادٍ « الصلاَةَ جامعةً » والله أعلم .

السنة الثانية من الهجرة

السنة الثانية ــ فلما جاء العاشر من المحرم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصَوْمه ، وقال : « نحن أحق بموسى من اليهود » ثم زوج علياً بفاطمة .

قلت : وذلك قبل بدر ، فى رجب على الأصح ، وبَنَى بها فى ذى الحجة كما سيأتى ، وكان لها خمس عشرة سنة ، وقيل : ثمان عشرة ، وقيل : تزوجها بعـد أحد ، والله أعلم .

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه إلى الأبواء[1] وهى من وَدَّان على ستة أميال مما يلى المدينة .

قلت : ولتقاربهما أطلق عليها « غزوة وَدَّانَ » والله أعلم .

واستخلف على المدينة سعد بن عُبَادة ، وكان حامل لوائه سعد بن أبى وقاص ، ثم رجع ، ولم يَلْقَ كيدا ، فانصرف بعد ما وادع مجدىَّ بن عمرو الضَّمْرِىَّ ، ثم غزا فى مائتين من أصحابه إلى ناحية رَضْوَى ، وحاملُ لوائه سعد بن أبى وقاص ، ثم رجع ولم يلق كيداً .

قلت : وهى غزوة « بُوَاط » خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد تجار قريش

(١) انظر الهامشة رقم ١ فى ص ٢٧٢

أيضاً ، حتى بلغ بُوَاط من ناحية رَضوَى ، وقال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون ، وفى نسخة السائب بن مظعون ، وقال الواقدى : سعد بن معاذ[١] ، والله أعلم .

ثم أغار على سَرْحِ المدينة كُرْزُ بن جابر الفِهْرِىُّ ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره فى المهاجرين، وحاملُ لوائه على بن أبى طالب ، فانتهى إلى بدر ، وفاته كُرْز ، وهذه بدر الأولى .

قلت : ذكر ذلك ابن إسحاق بعد « العشيرة » بليال ، والله أعلم .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جَحْش فى سَرِيَّةٍ ، وهم الذين قتلوا فى الشهر الحرام فى اثنى عشر نفساً ، فأضل عتبة بن غزوان وسعد بن أبى وقاص راحلتيهما ، فتخلفا عنهم ، ومضى العَشَرة حتى لقوا جماعة من قريش: منهم عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وافتدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحكم ابن كيسان ، أسلم ، وقتلوا عمرو بن الحضرمى .

قلت : ذكرها بعضُهم بعد العشيرة ، ووصلوا نَخْلَةَ على يوم وليلة من مكة ، فمرت بهم عِيرُ قُرَيشٍ تحمل زبيبا وأدَماً من الطائف معها الجماعة المذكورون فى آخر يوم من رجب ، فاستأسروا الأسيرين ، وقتلوا عمرا ، واستاقوا العِيرَ[٢] ، وكانت أول غنيمة فى الإسلام ، والله أعلم .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العشيرة ، فوادَعَ بنى مُدْلِج وحلفاءهم ، ثم رجع .

قلت : وكان خروجه فيها يعترض عِيراً لقريش ، ففاتته بأيام ، واستخلف أبا سلمة بن عبد الأسد ، والله أعلم .

التوجه إلى الكعبة

قال أبو حاتم : و بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة ، فقال عمر رضى الله عنه : يارسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مُصَلًّى

---

(١) فى المطبوعات « سعيد بن معاذ » (٢) العير ـ بالكسر ـ الإبل تحمل الميرة

فدعا الله تعـالى ، فأنزل « قد نرى تَقَلُّبَ وجهك » إلى قوله « وحيث ما كنتم فولوا وجهكم شطره[١] » وقت صلاة الظهر يوم الثلاثاء النصف من شعبان ثانية سِنِى الهجرة .

قلت : سيأتى ما فيـه من الخلاف فى الفصل الثالث من الباب بعده ، والله أعـلم .

ثم نزلت فريضة الصوم فى شعبان ، فصاموا رمضان ، فلمـا فرض رمضان لم يأمرهم بصيام عاشوراء ولا نهاهم .

ثم كانت غزوة بدر فى رمضان لاثنتى عشرة ليلة خلت منه ، وقيل: يوم جمعة صبيحة سبع عشرة منه ، وقيـل : صبيحة أربع وعشرين منه ، وَكان المسلمون ثلاثمائة و بضعَةَ عشر[٢] .

قلت : الراجح القول الثانى ، وخرجت الأنصار معه صـلى الله عليه وسلم فيها ، ولم تـكن قبل ذلك خرجت معه ، ومعهم ثلاثة أفراس ، وكان المشركون ألفا ، ويقال: تسعمائة وخمسين رجلا معهم مائة فرس ، وهذه بدر الثانية لما تقدم ، والله أعلم .

ثم قَتَلَ عميرُ بن عدى الخطمى العصماء امرأة من الأنصار ، وهى زوج يزيد الخطمى ، كانت تؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعر ، فقتلها، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينتطح فيها عنزان » .

قلت : قال فى الاكتفاء : إن العصماء هذه نافَقَتْ لمـا قتل أبو عفك (بالفاء وإهمال أوله) وقالت شعرا تعيب الإسلام وأهـله ، وتؤنب الأنصار فى اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إن عميرا رجع إلى قومه بعد قتلها وهم يومئذ كثيرٌ مَوْجُهم[٣] فى شأنها ، ولها بنون خمسة رجال ، فقال : يابنى خطمة ، أنا قتلت

(١) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ . (٢) فى المطبوعات «وبضع عشرة» تطبيع
(٣) كثير موجهم : يريد أن الحديث فى شأنها كان كثيرا مضطربا

بنت مروانَ، يعني العصماء، فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون ، فذلك اليوم أول ماءٍ؟ الإسلام فى دار بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامه فيهم مَنْ أسلم ، و يومئذ أسلم رجال منهم لما رأوا من عز الإسلام ، انتهى . والذى رواه ابن سيد الناس عن ابن سعد أنه قال بعد ذكر قتل عُمير للعصماء : ثم فى شوال كانت سرية سالم بن عمير إلى أبى عفك اليهودى ، و كان أبو عفك من بنى عمرو بن عوف شيخا قد بلغ عشرين ومائة ، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و يقول الشعر ، فقال سالم بن عمير وهو أحد البكائين وممن شهد بدرا : علىّ نذر أن أقتل أباعفك أو أموتَ دونه ، وذكر قتله إياه ، وهو مخالف لما قدمناه عن الاكتفاء من تقديم قتل أبى عفك على قتل العصماء ، وذكر ابن سعد أيضا أن قتل العصماء كان لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان ، وأن عميرا كان ضرير البصر ، وسماه رسول صلى الله عليه وسلم البصير[1] ، قيل : وكان أول من أسلم من بنى خطمة ، وكان إمامَ قومه وقارئهم ، وكان يدعى « القارىء » والله أعلم .

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفطر بيومين يُعَلِّم الناس زكاة الفطر .

قلت : وقيل: فى أول شوال ، وصلى صلاة الفطر ، وفيها فرضت زكاة الأموال أيضاً ، وقيل : فى الثالثة ، وقيل : فى الرابعة ، وقيل : قبل الهجرة ، وثبتت بعدها ، والله أعلم .

ثم غزا بنى قَينقاع فى شوال .

قلت : قد تقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد وادع اليهودَ ، وكانوا يرجعون إلى ثلاث طوائف: بنى قَيْنقَاع ،والنَّضير ، وقرَيظة ، فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة،فأول من نقض منهم بنو قَيْنُقَاع فحاربهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد بدر فى شوال ، فألقى الله الرُّعْبَ فى قلوبهم ، فنزلوا على حكمه ، فأراد قتلهم ،

(١) من سنن العرب أن تسمى الشىء باسم ضده ، مثل تسميتهم الصحراء « مفازة » وتسميتهم اللديغ « السليم » ولا يزال هذا يجرى فى لسان العامة إلى اليوم

فاستوهبهم منه عبدُ الله بن أبيّ وكانوا حلفاءهُ فوهبهم له ، وأخرجهم من المدينة إلى أذْرِعَات ، وفى الاكتفاء : وكان منشأ أمرهم، يعنى فى نقض العهد، أن امرأة من العرب قدمت بجَلَب [١] لها ، فباعته بسوق بنى قَيْنُقَاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كَشْف وجهها ، فأبَتْ ، فعمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها فعقَدَه إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فوقع الشر بينهم و بين المسلمين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

وروى أن ابن أبيّ قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يامحمد ، أحْسِنْ فى موالىّ ، فأعرض عنه ، وأنه قال : أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعونى من الأحمر والأسود تحصدهم فى غَدَاة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك ، وقال مغلطاى فى غزوة بنى قينقاع : قال الحاكم : هذه و بنى النضير واحد ، ور بما اشتبهتا على من لا يتأمل ، وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر أنهم أول مَنْ نقض العهد : فغزاهم النبى صلى الله عليه وسلم ثم بنى النضير ، وأغرب الحاكم فزعم أن إجلاء بنى قَيْنُقَاع و إجلاء بنى النضير كان فى زمن واحد ولم يوافَقْ على ذلك ؛ لأن إجلاء بنى النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة ، أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق ، وذكر الواقدى أن إجلاء بنى قَيْنُقَاع كان فى شوال سنة اثنتين ، يعنى بعد بدر بشهر ، ويؤيده ما رَوَى ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر جمع يهود فى سوق بنى قينقاع فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشا ، فقالوا : إنهم كانوا لا يعرفون القتال ، ولو قاتلتنا لعرفت أنا الرجال؛ فأنزل الله « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون [٢] »

(١) الجلب : اسم لما تجلبه من البادية لتبيعه فى المدينة

(٢) من سورة آل عمران من الآية ١٢

إلى قوله «لأولى الأبصار» وأصاب صلى الله عليه وسلم مِنْ سلاح بنى قَيْنُقاع ثلاثة أسياف ودرعين أحدهما تسمى فضة والأخرى تسمى السغدية (بالسين المهملة والغين المعجمة) قال بعض الحُفاظ: وكانت السغدية درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت، والله أعلم.

ثم غزا غزوة «السويق» فى ذى القعدة

غزوة السويق

قلت: سميت به لأنه كان أكْثَرَ زاد المشركين، وغنمه المسلمون لأن أبا سفيان خرج فى مائتى راكب، وقيل: فى أربعين، حتى أتوا العريض، فحرّق نخلا، وقتل رجلا من الأنصار وأجيرا له، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخفَّفُون للهرب فيلقون جُرُبَ السويق، فأخذها المسلمون فرجعوا، وذلك بعد بدر، فإن أبا سفيان حلَف بعدها أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا، ففعل ذلك، ورأى أن يمينه انحلت، والله أعلم

ثم مات عثمان بن مظعون فى ذى الحجة، فهو أول مَنْ مات من المهاجرين بالمدينة، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد، ثم ضحى بكبش، ثم بنى علىّ بفاطمة فى ذى الحجة

قلت: وقال النووى: وتوفيت فى ذى الحجة منها رقية[١] ابنتُه صلى الله عليه وسلم، لكن ذكر أهل السير ما يقتضى أن وفاتها كانت فى رمضان منها، والله أعلم

السنة الثالثة من الهجرة

السنة الثالثة — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ لكعب بن الأشرف»؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا له، ثم قتله

قلت: ابن الأشرف كان أصله عربيا من نَبْهَان على ما قاله ابن إسحاق، أتى أبوهُ المدينة فحالف بنى النضير، فشرف فيهم، وتزوج بنت أبى الحُقَيق، فولدت له كعبا، وكان جسيما شاعرا، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر، وخرج إلى مكة وأنشدهم الأشعار، وبكى أصحابَ القَلِيب[٢] من قريش، ونزل فيهم على المطلب

---

(١) كانت رضى الله عنها زوج عثمان بن عفان الأموى رضى الله عنه

(٢) أصحاب القليب: هم قتلى بدر من المشركين، سموا بذلك لأنهم طرحوا فى قليب هناك، والقليب: البئر

ابن أبي وَدَاعة السَّهمى ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص ابن أمية ، فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكة ، فطردته ، فرجع إلى المدينة وشَبَّب بنساء المسلمين ، وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحرض عليه كفار قريش ، وقيل : صنع طعاما وواطأ يهود أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حضر فتكوا به ، ثم دعاه، فجاء ، فأعلمه جبريل فقام منصرفا وقال « مَنْ لكعب بن الأشرف » فانتدب له محمد بن مسلمة فى نفر ، واحتال عليه حتى نزل له ليلا فقتله ، وقيل : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه ، والله أعلم .

غزوة الكدر

ثم غزا غزوة الكُدر ، وكان حامل لوائه علىّ بن طالب ، فرجع ولم يلق كيدا

قلت : خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بنى سليم ، واستخلف سباع بن عرفطة ، وقيل : ابن أم مكتوم ، فبلغ ماء يقال له الكدر ، وتعرف بغزوة «قرقرة» ، ويقال نجران ، فلم يلق أحدا ، والله أعلم .

غزوة أنمار

ثم غزا غزوة أنمار ، فجاءه دعثور فوجده نائما تحت الشجرة ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على رأسه بالسيف ، فقال له دعثور : مَنْ يمنعك منى ؟ قال : الله ، فوقع السيف من يده ، وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : من يمنعك منى ؟ قال : لا أحد ، قال : أذهب لشأنك ، فولّى وهو يقول : محمد خير منى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، وأنا أحق بذلك منك ، فنذرت غطفان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهربوا .

غزوة ذى أمر

قلت : هذه غزوة ذى أمر ، وسماها الحاكم غزوة أنمار ، وسمى بعضهم الأعرابىَّ غورث ، ويقال : كان ذلك فى ذات الرقاع ، ولا مانع من تعدد ذلك ، وكأنَّ أبا حاتم رأى اتحادهما فلم يذكر ذات الرقاع ، وهى بنخل عند بعضهم ؛ فلذلك لم يذكرها أيضا ، والله أعلم

ثم كانت سرية القَرْدَة ، وكان أميرها زيد بن حارثة ، فلقى بها عير قريش ،

فأخذها ، وأسر فرات بن حيان ، و بلغ الخمس من تلك الغنيمة عشرين ألفا

سرية القردة

قلت : والقَرْدَة ماء من مياه نجد ، فإن قريشا بعد بدر خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون إلى الشام ، فسلكوا طريق العراق ، وكان فى هذه العير أبوسفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة هى عُظْم تجارتهم ، والله أعلم .

ثم كانت أُحُد

غزوة أحد

قلت : كانت فى شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور ، وشذ من قال : سنة أربع ، وقال ابن إسحاق : لإحدى عشرة ليلة خلت منه ، وقيل : لسبع ليال ، وقيل: لثمان ؛ وقيل : لتسع ، وقيل : فى نصفه ، وقال مالك : كانت بعد بدر بسنة ، وفيه تجوز ، لأن بدرا كانت فى رمضان باتفاق ، فهى بعدها بسنة وشهر لم يكمل ، ولهذا قال مرة أخرى : كانت بعد الهجرة بإحدى وثلاثين شهرا [1]

وكان السبب فيها أنه لما قتل الله مَنْ قتل من كفار قريش يوم بدر ورجع مَنْ بقى منهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بِعِيرِهم ، فكلموا أبا سفيان ومَنْ له فى العير مال فى الاستعانة بها على حرب النبى صلى الله عليه وسلم ففعلوا ، وقيل : كان المال خمسين ألف دينار ، فسلّم إلى أهل العير رؤس أموالهم ، وعزلت الأرباح ، وكانوا يربحون فى تجارتهم الدينار دينارا ، وجَهَّزُوا الجيش بذلك ، وحركوا مَنْ أطاعهم من القبائل ، وخرجوا بأحابيشهم ومَنْ تابعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظُّعُن [2] لئلا يفروا ، فخرج أبوسفيان — وكان قائِدَهم — بهند بنت عتبة ، وكذلك سائر أشرافهم خرجوا بنسائهم ، وكان جُبَير بن مُطْعم أمر غلامه وَحْشِيًا الحبشى بالخروج مع الناس ، وقال له : إن قتلت حمزة عم محمد صلى الله عليه وسلم بعمى طعمة بن عدى فأنت عتيق ، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين [3] جبل ببطن السبخة من قَنَاة على شفير الوادى مقابل المدينة ، قاله ابن إسحاق ، ووادى قناة خلف عينين بينه وبين أحد ، فإن عينين فى مقابلة أحد ، فنزلوا هم أمام

(١) كذا (٢) الظعن : جمع ظعينة ، وهى المرأة مطلقا ، أو مادامت فى الهودج
(٣) جبل عينين : هو جبل الرماة الذى عليه البيوت قبلى قبة حمزة (مكى) .

عينين ممـا يلى المدينة وفى غربيه لجهة بئر رُومَة ؛ فلا يخالف ماسيأتى عن المطرى ، ونقل ابن عقبة أن أبا سفيان سار بجمعه حتى طلعوا من بئر الجَمَّاوَيْنِ، ثم نزلوا ببطن الوادى الذى قبل أحد ، وكان رجال من المسلمين أسِفُوا على ما فاتهم من مشهد بدر ، وتمنوا لقاء العدو، وأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا ، فلما أصبح قال : رأيت البارحة فى منامى بَقَراً تذبح ، والله خير، ورأيت سيفى ذا الفقار انقصم من عند ظُبَته[1] ، أوقال به فُلولٌ، فـكرهته وهما مصيبتان ، ورأيت أنى فى درع حصينة ، وأنى مُرْدِف كبشا ، قالوا : ما أولتها ؟ قال: أولت البقر بقرا يكون فينا ، وأولت الـكبش كبش الـكتيبة[2] ، وأولت الدرعَ الحصينةَ المدينةَ ، فامكثوا فإن دَخَل القومُ الأزقَّةَ قاتلناهم ورموا من فوق البيوت ، ونقل ابن إسحاق أيضا أن عبد الله بن أبىّ قال : يارسول الله ، أقِمْ بالمدينة ، ولاتخرج إليهم ، فوالله ماخرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخَلَها علينا إلا أصبنا منه ، فَدَعْهُمْ ، فقال أولئك القوم : يانبى الله كنا نتمنَّى هذا اليوم ، وأبى كثير من الناس إلا الخروج ، فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمة فلبسها ، ثم أذن فى الناس بالخروج ، فندم ذوو الرأى منهم ، فقالوا : يارسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : ماينبغى لنبى إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل ، فخرج بهم وهم ألف رجل ، وكان المشركون ثلاثة آلاف . وقال المطرى : إن نزول قريش يوم أحد بالمدينة كان يوم الجمعة ، قال : وقال ابن إسحاق : يوم الأربعاء .

قال المطرى : فنزلوا برُومَة من وادى العقيق ، وصلى النبى صلى الله عليه وسلم الجمعة بالمدينة ، ثم خرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية حرة واقم ، وبات بالشَّيْخَيْن موضعٍ بين المدينة و بين جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد ، وغدا صبح يوم السبت إلى أحد ، انتهى . ونَقَلَ الأقشهرى أنه صلى الله عليه وسلم

---

(١) ظبة السيف — بضم الظاء وفتح الباء مخففة — طرفه

(٢) فى ابن هشام « فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل » .

دعا بثلاثة أرماح فعقد ثلاثة ألوية ؛ فدفع لواء الأوس إلى أُسَيْد بن حُضَير ، ولواء الخزرج إلى الْحُبَاب بن المنذر بن الْجَمُوح ، وقيل: إلى سعد بن عبادة، ولواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب ، وقيل : إلى مُصْعَب بن عمير ، واستخلف على المدينة عبدَ الله بن أم مكتوم ، ثم ركب فرسَهُ ، وتقلد القوس ، ثم أخذ قَنَاته بيده، وفى المسلمين مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه سعدُ بن مُعاذ وسعدُ بن عُبادة والناسُ على يمينه وشماله ، فمضى حتى إذا كان بالشَّيْخَين — وهما أُطُمَانِ — التفت فنظر إلى كتيبة حسنة لها زَجَل[1] ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : حُلَفَاء ابن أبىّ من يهود، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نستنصر بأهل الشرك ، فلما بلغوا الشوط انخذل عبدُ الله بن أبىّ بثلث الناس ، انتهى .

وفى الاكتفاء أن مُخَيْرِيقاً كان من أحبار يهود، فقال لهم يومئذ : لقد علمتم إن نصر محمد عليكم لَحَقٌّ ، فتعللوا بسَبْتهم ، فقال لهم : لا سَبْتَ لكم ، وأخذ سيفه وعُدَّته فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قتل بعد أن قال: إن أصِبْتُ فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مخيريق خير يهود » انتهى .

وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط برجال ثقات عن أبى حميد الساعدى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج يوم أحد حتى إذا جاوز ثَنِيَّةَ الوَدَاع فإذا هو بكتيبة حسناء ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قالوا : عبد الله بن أبىّ فى ستمائة من مَوَاليه من اليهود من بنى قَيْنُقَاع ، فقال : وقد أسلموا ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : مُرُوهُمْ فليرجعوا ، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين .

قال الأقشهرى عقب كلامه السابق : وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ عَرَض وردَّ من رَدَّ فى ذلك الموضع ، يعنى بالشَّيْخَين ، وأَذَّنَ بلال المغرب فصلى النبى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، وبات بذلك الموضع صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على الحرس فى تلك الليلة محمد بن مسلمة فى خمسين يطوفون بالعسكر ،

---

(١) لها زجل : أى صوت

وأدْلَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السحَر وهو يرى المشركين ودليـله أبوخيثمة الحارثى ، فانتهى إلى موضع القنطرة ، لحانت الصلاة فصلى بأصحابه الصبح صفوفاً عليهم السـلاح ، قال : وقال مجاهد والـكلبي والواقدى : غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة على رجليه إلى أحد ، فجعل يصفُّ أصـحابه للقتال كما يُقوِّمُ القِدْحَ ، وقال ابن إسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد حتى إذا كان بالشوط انخذل عبد الله بن أبيّ فى ثلاثمائة ، وفى رواية بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، وقال ابن عقبة : فبقى صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة ، فلما رجع عبدُ الله بن أبيّ سقط فى أيدى طائفتين من المؤمنـــين - وهما بنو حارثة و بنو سَلِمة — وقال الأقشهرى : فبقى رسول الله صـلى الله عليه وسلم فى سبعمائة ، ومعه فرسه وفرس لأبى بُرْدَة بن نيار ، وهـــذه رواية الواقدى ، والذى رواه ابن عقبة ـ كما سيأتى ـ أنه لم يكن مع المسلمين فرس، وفى الاكتفاء بعد ذكر انخذال ابن أبيّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى حتى سلكَ فى حرة بنى حارثة ، ثم قال : مَنْ رجل يخرج منا على القوم من كَثَب ، أى من قُرْب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمـة أخو بنى حارثة : أنا يا رسول الله ، فنفذ به فى حرة بنى حارثة و بين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بن قَيْظى ، وكان منافقاً ضرير البصر ، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه قام فحثا فى وجوههم التراب ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فإنى لا أحِلُّ لك أن تدخل حائطى ، وذكر أنه أخذ حَفْنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابْتَدَرَهُ القوم ليقتـلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد . وقال الأقشهرى: وجعل أحداً خلف ظهره ، واستقبل المدينة، وجعل عينين [1] الجبلَ عن

(١) فى المطبوعات «يمينين الجبل» وقد مضى على الصحة وسيأتى على الصحة أيضا .

يساره ، وقال ابن عقبة : وصَفَّ المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالسبخة ، وتعبوا للقتال ، وعلى خيل المشركين ـ وهى مائة فرس ـ خالدُ بن الوليد ، وليس مع المسلمين فرس ، وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان ، وأمَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن جُبَير على الرُّمَاة وهم خمسون رجلا ، وعَهِدَ إليهم أن لا يتركوا منازلهم . ونقل الأقشهرى أنه جعلهم على جبل عينين . وفى الاكتفاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لأميرهم : أنضح الخيل عنا لا يأتونا من خلفنا ، إن كان لنا أو علينا فاُثبت مكانك لا نؤتَيَنَّ من قبلك ، وظاهرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وتعبأ قريش ، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائة فرس قد جَنَبُوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة بن أبى جهل ، وقد كان أبو عامر الراهب من الأوس خرج عن قومه إلى مكة مُبَاعداً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يَعِد قريشاً أن لو لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم هو فى الأحابيش وعِبْدَانِ أهل مكة . فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً يافاسق ، و بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى فى الجاهلية الراهب ، فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة ، انتهى .

وروى البزار ـ ورجاله ثقات ـ عن الزبير بن العوام قال : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً يوم أحد فقال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام أبو دجانة فقال : يا رسول الله أنا آخذه بحقه ، فأعطاه إياه ، فخرج ، فأتبعتُه فجعل لا يمر بشىء إلا أفراه[1] وهتكه ، حتى أتى نسوة فى سفح الجبل ومعهن هند وهى تقول :

نحن بنات طارق ... نمشى على النمارق
والدر فى المخانق ... والمسك فى المفارق[2]

(١) أفراه وفراه : مزقه

(٢) المخانق : النحور ، أى الأعناق ، والمفارق : جمع مفرق ، وهو موضع فرق الشعر من الرأس

إن تُقْبِلُوا نُعَانق ونفرش النمارق
أو تُدْبِرُوا نفارق فِرَاقَ غَيْرِ وامق[1]

يعنى تُحَرِّضُهم بذلك ، قال : فحمل عليها ، فنادت بالصحراء فلم يجبها أحد ، فانصرف عنها ، فقلت له : كل سيفك رأيته فأعجبنى غير أنك لم تقتل المرأة، قال : فإنها نادت فلم يجبها أحد ، فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها .

وفى الاكتفاء : ذكر الزبير رضى الله عنه أن سيف عبد الله بن جَحْش انقطع يوم أحد ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرْجُوناً، فعاد فى يده سيفاً قائمهُ منه ، فقاتل به ؛ فكان ذلك السيف يسمى العرجون ، ولم يزل بعد يتوارث حتى بيع من بُغَا التركى بمائتى دينار .

وروى البزار برجال الصحيح عن بريدة أن رجلا قال يوم أحد : اللهم إن كان محمد على الحق فاخسف به ، قال : فخسف به .

وقال ابن إسحاق : قتل أصحاب لواء المشركين وهم تسعة بأحد واحد بعد واحد .

وقال غيره : أحَدَ عشر آخرهم غلام لبنى طلحة .

وقال ابن عقبة : وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير أخو بنى عبدالدار ، فبارز طلحة بن عثمان من بنى عبد الدار فقتله ، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجْهَضُوهم[2] ، وحملت خيل المشركين فنضَحَهم الرماة بالنبل ثلاث مرات ، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانْتَهَبُوه ، فرأى ذلك الرماة ، فتركوا مكانهم ، ودخلوا العسكر، فأبصر ذلك خالد ومَنْ معه ، فحملوا على المسلمين فى الخيل ، فمزقوهم ، وصرخ صارخ : قتل محمد ، أخراكم ، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاوهم لايشعرون، وانهزم طائفة منهم وتفرق سائرهم ، ووقع فيهم القتل، وثبت نبى الله حين

(١) الوامق : المحب ، ومقه يمقه مقة ، على مثال وصفه يصفه صفة
(٢) أجهضوهم : غلبوهم ونحوهم وأبعدوهم .

انكشفوا عنه وهو يدعوهم فى أخراهم ، حتى رجع إليه بعضُهم وهو عند المهراس فى الشعب ، وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه ، فاستقبله المشركون فرَمَوْا وجهه فأدْمَوْهَ وكسروا رَبَاعيته ، فمر مُصْعِدا[1] فى الشِّعب ومعه طلحة والزبير ، وقيل : معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة ، واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويَبْقُرُون البطون ، وهم يظنون أنهم أصابوا النبي صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه ، فقال أبو سفيان يفتخر بإلهه « أُعْلُ هُبَلُ » فناداه عمر : الله أعلى وأجل ، ورجع المشركون إلى أثقالهم .

الرسول يقتل أبى ابن خلف

قال ابن إسحاق : كان أول مَنْ عَرَفَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وتحدث الناس بقتله ، كَعْبَ بن مالك الأنصارى ، قال : عرفت عينيه يزهران تحت المِغفر ، فناديت بأعلى صوتى : يامعشر المسلمين ، أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلىّ أن أنصِتْ ، فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نَهَضُوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعب معه أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ورَهْط من المسلمين، فلما أسند رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبىّ بن خَلَف وهو يقول : أين محمد ؟ لانجوت إنْ نجا ، فقال القوم : يارسول الله أيَعْطِفُ عليه رجل منا؟ فقال : دَعُوه ، فلما دَنَا تناول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبله فطعنه فى عُنُقه طعنةً تدأدأ منها[2] عن فرسه مرارا ، وكان أبىّ بن خلف يَلْقَى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يامحمد إن عندى العود فرسا أعلفه كل يوم فَرْقًا[3] من ذرة أقتلك عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك إن شاء الله ، فلما رجع إلى قريش وقد خَدَشه فى عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد ، فقالوا :

---

(١) مصعدا : صاعدا راقيا فى الجبل .

(٢) تدأدأ منها : تمايل (٣) الفرق — بالفتح — مكيال يسع ثلاثة آصع

ذَهَبَ والله فؤادك ، والله إنْ يَكُ بأس[1] ، قال : إنه قد كان ، قال بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بَصَقَ عليَّ لقتلني ، فمات عدوُّ الله بسرف وهم قافلون[2] إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيماقاله يومئذ : اشتدَّ غَضَبُ الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسُحْقاً لأصحاب السعير .

وفى الصحيح عن عائشة قالت : لما كان يومُ أحد هزم المشركون هزيمة بينة ، فصاح إبليس : أى عباد الله ، أخراكم ، فرجعت أولاهم ، فاجتلدت مع أخراهم ، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى : أى عباد الله ، أبى أبى ، فقالت : فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

ونقل الأقشهرى أن أبا سفيان بن حرب قال يومئذ لبنى عبد الدار : إنكم ضيعتم اللواء يوم بدر ، فأصابنا ما رأيتم ، فادفعوا اللواء إلينا نَكْفِكم ، وإنما أراد تحريضهم على القتال والثبات ، فغضبوا وأغلظوا له ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل : مَنْ يحمل لواء المشركين ؟ قيل : عبد الدار ، قال : نحن أحق بالوفاء منهم ؟ أين مصعب بن عمير ؟ فقال : ها أنا ، قال : خذ اللواء ، فأعطاه اللواء ، وإن حمزة رضى الله عنه حَمَلَ على عثمان بن طلحة حامل لواء المشركين فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مُؤْتَزَره[3] ، ثم إن أصحاب اللواء قتلوا واحداً بعد واحد ، فانكشف المشركون منهزمين ، ونساؤهم يدعون بالويل والثبور ، وتبعهم المسلمون يَضَعُون فيهم السلاح ، ووقفوا يأخذون الغنائم ، فلما رأى الرماة ذلك أقبل جماعة منهم وخلوا الجبل ، فكر خالد بالخيل ، فتبعه عكرمة ، فحملوا على مَنْ بقى من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جُبَير ، وانتقضت صفوف المسلمين ، ونادى إبليس : قتل محمد ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزول ، يرمى عن قوسه حتى صارت شَظَايا ، ويرمى بالحجارة ، وثبت معه عصابة من الصحابة أربعة عشر من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وسبعة من الأنصار ، اه

---

(١) إن يك بأس : أى مايكون بأس (٢) قافلون : راجعون
(٣) مؤتزره : الموضع الذى يلبس فيه الإزار

وروى النسائى عن جابر قال : لما ولّى الناسُ يوم أُحُدٍ كان النبى صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر رجلا من الأنصار فيهم طلحة .

ووقع عند الطبرى من طريق السدى قال : تفرق الصحابة فدخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناسَ إلى الله ، فرماه ابن قمِيئة بحجر فكسر أنفه ورَبَاعيته وشَجَّه فى وجهه فأثقله ، فتراجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثون رجلا ، فجعلوا يَذُبُّون عنه[1] ، فحمله منهم طلحة وسهل بن حُنَيف ، فَرُمِىَ طلحة بسهم فيبست يده ، وقال بعض من فر إلى الجبل : ليت لنا رسولا إلى عبدالله بن أبىّ يستأمن لنا من أبى سفيان ، فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه ، ثم ذكر قصة قتله ، وقصد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الجبل ، فأراد رجل من أصحابه أن يرميه بسهم ، فقال : أنا رسول الله ، فلما سمعوا ذلك فرحوا به ، واجتمعوا حوله ، وتراجع الناس .

وروى أحمد عن سعد بن[2] أبى وَقّاص قال : رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره يوم أُحُد رجلين[3] عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشدّ القتال ، ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ ، وقد أخرجه الشيخان ، وفى رواية لمسلم : يعنى جبريل ومكائيل ، وقول مجاهد « لم تقاتل الملائكة يومئذ ولا قبله ولا بعده ، إلا يوم بدر » . قال البيهقى : أراد به أنهم لم يقاتلوا يوم أُحُدٍ عن القوم حين عَصَوْا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به .

وعن عروة بن الزبير : كان الله وَعَدَهم على الصبر والتقوى أن يُمِدَّهم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوَّمِين، وكان قد فعل ، فلما عَصَوْا أمر الرسول وتركوا مَصَافَّهم وتركت الرماة عَهْدَه إليهم وأرادوا الدنيا رفع عنهم مَدَد الملائكة ،

(١) يذبون عنه : يدفعون عنه . (٢) فى المطبوعات « أسعد بن أبى وقاص »
(٣) فى المطبوعات « رجلان » .

وأنزل الله « لقــد صدقــكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه[1] » فصدق الله وعده ، وأراهم الفتح ، فلما عصوا أعقبهم البلاء .

وعنــد ابن سعد : ثبت معه صلى الله عليه وسلم سبعة من الأنصار وسبعة من قريش .

وفى مسلم من حديث أنس : أفرد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش طلحةَ وسـعدٍ .

وقال ابن إسحاق : حدثنى حُمَيْدٌ الطويلُ عن أنس قال : كسرت رَبَاعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وشُجَّ فى وجهه ، فجعل يسيل الدمُ على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يُفْلِحُ قومٌ خَضَبُوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله تعالى « ليس لك من الأمر شىء[2] » الآية .

وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبى وَقَّاص قال : ما حَرَصْتُ على قتــل رجل قط حِرْصِى على قتل أخى عُتْبَة بن أبى وقاص لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابنُ هشام فى حديث أبى سعيد الخدرى أن عُتْبة بن أبى وقَّاص أخا سعد هو الذى كسر رَبَاعية النبى صلى الله عليه وسلم السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب هو الذى شَجَّه فى جبهته ، وأن عبد الله بن قميئة جرحه فى وَجْنَتِه ، فدخلت حلقتان من حلق المِغْفَر فى وجنته ، وأن مالك بن سـنان مَصَّ الدمَ من وجهه ، ثم ازْدَرَدَه[3] ، فقال له : لن تَمَسَّك النار .

وفى الطبرانى من حديث أبى أمامة قال : رمى عبدُ الله بن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فَشَجَّ وجهه ، وكسر رَبَاعيته ، وقال: خذها وأنا ابن قميئة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه : مالكَ أقمأك الله ، فسلط الله عليه تَيْسَ جبل ، فلم يزل يَنْطَحه حتى قطَّعَهُ قطعة قطعة .

---

(١) من سورة آل عمران من الآية ١٥٢ (٢) من سورة آل عمران من الآية ١٢٨
(٣) ازدرده : ابتلعه

وقال السهيلي : الذى كسر رَبَاعية رسول الله صلى الله عليه وسلم عُتْبَةُ بن أبي وقاص أخو سعد ، لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم إلا وهو أبْخَر أوأهتم ، يُعرف بذلك في عقبه .

وروى ابن الجوزى عن محمد بن يوسف الفريابي قال : لقد بلغني أن الذين كسروا رَبَاعية النبي صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم صبي فنبتت له رَبَاعية .

وقيل : كان سبب الهزيمة أن ابن قميئة الليثي قتل مُصْعب بن عمير ، وكان مصعب إذا لبس لأْمَتَهُ يشبه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قتله ظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش وقال: قد قتلت محمداً ، فازدادوا جُرْأة وصاح إبليس من العقبة: قتل محمد ، فلما سمع المسلمون ذلك وهم متفرقون كانت الهزيمة ، فلم يَلْوِ أحد على أحد[1] .

والصواب أن السبب مخالفة الرماة للأمر ، وهذا مؤكد له ومتمم ، مع أن الأصل في ذلك — مع إرادة الله تعالى — ما اتفق ببدر من أخذ الفداء ، فقد أخرج الترمذى[2] والنسائي عن عليّ أن جبريل هبط فقال : خيّرهم في أسارى بدر القتل أو الفداء على أن يقتل منهم مِنْ قابل مثلهم ، قالوا : الفداء ويقتل منا ، وقال الترمذى : حسن ، وذكر غيره له شواهد تقويه ، ولهذا جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائةً ، وقتلوا سبعين ، وأسروا سبعين . وفيه أيضا أن المشركين أصابوا يوم أحد من المسلمين سبعين ، ولفظه من حديث البراء قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة ، وأمَّرَ عليهم عبد الله بن جُبَير ، وقال: لا تبرحوا ، فإن رأيتمونا ظهرنا عليهم[3] فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعِينونا ، فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يَشْتَدِدْنَ في الجبل رفعن عن سُوقِهن قد بدت خَلاَخِلُهن، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ، فقال عبد الله :

(١) لم يلو أحد على أحد: أى لا يلتفت إليه ولا يعطف عليه . (٢) انظره ١/٢٩٧ بولاق
(٣) ظهرنا عليهم : غلبناهم ، ولا تبرحوا : لا تفارقوا مكانكم .

عهد إلىّ النبى صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا ، فأبوا ، فلما أبوا صَرَفَ الله وجُوهَهم ، فأصيب سبعون قتيلا .

ووقع عند مسلم من طريق ابن عباس عن عمر فى قصة بدر قال : فلما كان يوم أحد قتل منهم سبعون وفروا ، وكسرت رَبَاعية النبى صلى الله عليه وسلم ، وهُشِمَت البيضة على رأسه ، وسال الدمُ على وجهه ، فأنزل الله تعالى : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها[1] » الآية ، والمراد بكسر الرباعية — وهى السن التى تلى الثَّنِية والنابَ — أنها كسرت فذهب منها فلقة ، ولم تقلع من أصلها ، وقوله « وفروا » أى بعضهم ، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم ، والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق : فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة ، فما رجعوا حتى انقضى القتال ، وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان[2] » وفرقة صاروا حيَارى لما سمعوا أن النبى صلى الله عليه وسلم قتل ، فصار غاية الواحد منهم أن يَذُبّ عن نفسه ، أو يستمر على نصرته فى القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثرهم ، وفرقة بقيت مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم تراجع إليهم القسمُ الثانى شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حى ، وما ورد من الاختلاف فى العدد محمول على تعدد المواطن فى القصة .

ووقع عند أبى يَعْلى فى حديث عمر المتقدم : فلما كان عام أحد عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون .

وفى الاكتفاء : أنه لما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء علىّ بن أبى طالب ، فقاتل فى رجال من المسلمين ، ولما اشتد القتال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى على أن قدم الراية ، فتقدم فقال : أنا أبو القصم ، فناداه أبو سعد بن أبى طلحة : هل لك يا أبا القصم فى البِرَاز[3] من حاجة ؟ قال : نعم ، فبرزا بين الصفين ، فاختلفا ضربتين :

---

(١) من سورة آل عمران من الآية ١٦٥ (٢) من سورة آل عمران من الآية ١٥٥
(٣) البراز : القتال

فضرب به عليّ فصرعه، ثم انصرف ولم يُجْهِزْ عليه[١]، فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعَوْرته ، فعطفتني عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله .

وقد قيل : إن سعد بن أبي وقاص هو الذي قتل أبا سعد هذا .

وروى الطبراني برجال الصحيح عن ابن عباس قال : دخل علي بن أبي طالب على فاطمة يوم أحد فقال : خذي هذا السيف غيرَ ذَميم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لئن كنت أحسنتَ القتالَ فقد أحسنه سَهْلُ بن حنيف وأبو دجانة ابن خرشة .

وذكر في الاكتفاء دخول الحلقتين من حلق المِغْفَر في وَجْنته صلى الله عليه وسلم ، وأنه وقع في حُفْرة من الحفر التي عمل أبو عامر الراهب ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ عليّ بيده ، ورفعه طلحة حتى استوى قائماً ، ومَصَّ مالك ابن سِنان والدُ أبي سعيد الخدري الدمَ من وجهه ، ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلى الله عليه وسلم فسقطت ثَنِيَّته ، ثم نزع الأخرى وسقطت ثنيته الأخرى ، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فلقد رأيته يُنَاولني النَّبْلَ ويقول « ارْمِ فِدَاكَ أبي وأمي » ، وأصيب يومئذٍ عينُ قَتَادة بن النعمان فردها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أحْسَنَ عينيه ، وأصيب فم عبد الرحمن بن عَوْف فهتم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها في رجله فعرج ، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشِّعْب ومعه أولئك النفَرُ من أصحابه ، فبيناهم في الشعب إذ علت عالية من قريش : الجبَلَ ، فقال : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورَهْط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها فلم يستطع ، وقد كان بَدَّنَ[٢] وظاهر بين

(١) أجهز على الجريح : تمم قتله حتى زهقت روحه .

(٢) بدن : سمن وعلاه الشحم ، وذلك أثر من آثار السن .

درعين[1]، فجلس تحته طلحة بن عبيدالله فنهض به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَوْجَبَ طَلْحَةُ[2] » وصلى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ الظهرَ قاعداً من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعودا .

وفى الصحيح من حديث البَرَاء أن أباسفيان — حين أراد الانصرافَ — قال : « لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَجِيبُوه ، قالوا : ما نقول ؟ قال « قولوا : الله مَوْلانا ولا مَوْلى لكم » .

وفيه أيضاً أن أبا سفيان أشرف يوم أُحُدٍ فقال : أفى القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه ، فقال : أفى القوم ابن أبى قُحَافة ؟ قال : لا تجيبوه ، قال : أفى القوم ابن الخطاب ؟ فلما لم يُجِبْهُ أحَد قال : إن هؤلاء قتلوا ، ولو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كَذَبْتَ يا عدو الله ، قد أبقى الله لك ما يُخْزِيكَ .

قال ابن إسحاق : فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ائْتِهِ فانظر ماشأنه ، فجاء ، فقال له أبو سفيان: أنْشدُك بالله يا عمر أَقَتَلْنا محمداً ، فقال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال : أنت أصْدَقُ عندى من ابن قميئة وأبر ، ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مثل ، والله مارضيتُ وما سخطت ، وما أمرت وما نهيت ، ولما انصرف أبو سفيان ومَنْ معه نادى : إن مَوْعِدكم بدر العامَ القابل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه « قل : نعم ، هو بيننا و بينكم موعد » ثم بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال : اخرج فى آثار القوم فانظر ما ذا يصنعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جَنَبُوا الخيلَ وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيلَ وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرَنَّ إليهم فيها ثم لأناجِزَنَّهُمْ ، فخرج علىّ فرآهم قد جَنَبُوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة ، وفزع الناس اقتلاهم ،

---

(١) ظاهر بين درعين : جمع بينهما .

(٢) أوجب طلحة : أراد استحق الجنة ثوابا على جميل صنعه .

وانتشروا يبتغونهم ، وسيأتى خبرهم وتعيينهم إن شاء الله تعالى فى الفصل السادس من الباب الخامس ، و بكى المسلمون يومئذ على قتلاهم ، فسُرَّ المنافقون ، وظهر غِشُّ اليهودِ ، وفارت المدينة بالنفاق .

الحكم التى فى قصة أحد

قال العلماء : وكان فى قصة أحد من الحكم والفوائد أشياء عظيمة .

منها : تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية ، وشؤم ارتكاب النهى ؛ لما وقع من الرماة .

ومنها : أن عادة الرسل أن تُبْتَلَى وتكون لها العاقبة .

ومنها : إظهار أهل النفاق حتى عرف المسلمون أن لهم عدوا بين أظهرهم .

ومنها : أن فى تأخير النصر هَضْماً للنفس .

ومنها : أن الله هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فسبَّبَ لهم ذلك ليبلغوها .

ومنها : أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء ، فساقها لهم بين يدى الرسول ليكون شهيداً عليهم .

قال ابنُ إسحاق : وفى شأن أحُد أنزل الله ستين آية من آل عمران .

وروى ابن أبى حاتم من طريق المِسْوَر بن مَخْرَمة قال : قلت لعبد الرحمن ابن عوف : أخبرنى عن قصتكم يوم أحُد ، قال : اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ» إلى قوله « أَمَنَةً نُعَاساً » [1] .

أبو عزة الجمحى ومقتله

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الوقعة مرهباً لعدوه حتى انتهى إلى حَمْرَاء الأسد ، فأخذ فى وجههِ ذلك أبا عَزَّةَ الْجُمَحِيَّ ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد مَنّ عليه يومَ بدر بغير فداء ، وأخذ عليه أن لا يظاهر [2] عليه أحد ، وكان شاعرا ، فقال له صَفْوَان بن أمية : إنك امرؤ شاعر فأعِنّا بلسانك ، ولم يزل به

(١) من سورة آل عمران الآيات من ابتداء الآية ١٢١ .
(٢) لايظاهر أحدا عليه : لايعين أحدا عليه .

حتى خرج معهم ، فلما أخَذَه النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله أقِلْنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لاتمسح عارضيك بمكة تقول: خَدَعْتُ محمداً مرتين ، اضْرِبْ عُنُقه يازبير ، فضرب عنقه .

وفى رواية أنه قال له « إن المؤمن لا يُلْدَغُ من جُحْرٍ مرتين ، اضربْ عنقه ياعاصمُ بن ثابت » فضرب عنقه .

تحريم الخمر

وفى هذه السنة أيضاً حرمت الخمر ، ويقال : فى التى بعدها ، وقال الحافظ ابن حجر : الذى يظهر أن تحريمها كان عامَ الفتح سنة ثمان ، واستدل بشىء فيه نظر .

وتزوّج النبى صلى الله عليه وسلم حَفْصَة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فى شعبان على الأصح ، وقيل : فى التى قبلها ، وزينب بنت خزيمة أم المساكين فى رمضان ، فمكثت عنده شهرين أو ثلاثة ، وقيل : ثمانية أشهر ، وماتت ، وولد الحسن بن على فى منتصف رمضان ، وعلقت أمه بالحسين بعد خمسين ليلة : وتزوج عثمان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

السنة الرابعة من الهجرة

السنة الرابعة ـ وكانت بئر مَعُونة أولها فى المحرم .

قلت : فى الصحيح من رواية أنس قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم أتاه رعل وذَكْوَان وعصية و بنو لَحيَان ، فزعموا أنهم قد أسلموا ، واستمدُّوه على قومهم ، فأمدهم النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار ، قال أنس : كنا نسميهم القراء ، يَحْطِبون بالنهار و يُصَلُّون بالليل ، فانطلقوابهم حتى بلغوا بئر معونة غَدَرُوا بهم وقتلوهم، فقَنَتَ شهرا يدعو على رعل وذكوان و بنى لحيان، وفى بعض الروايات ما يقتضى أن الذين استمدوا لم يُظْهِرُوا الإسلام ، بل كان بينهم و بين النبى صلى الله عليه وسلم عهد ، وأنهم غير الذين قتلوا القراء لكنهم من قومهم ، وهو الذى فى كتب السير وقد بَيَّن ابن إسحاق فى المغازى وكذلك موسى بن عقبة عن ابن شهاب أسماء الطائفتين ، وأن أصحاب العهد هم بنو عامر ورأسهم أبو بَرَاء

عامر بن مالك بن جعفر ، المعروف بمُلَاعب الأَسِنَّة ، وأن الطائفة الأخرى من بنى سليم ، وأن عامر بن أخى ملاعب الأسنة أراد الغدر بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعا بنى عامر إلى قتالهم ، فامتنعوا وقالوا : لا نَخفِرُ[1] ذمة أبى بَرَاء ، فاستصرخ عليهم عصية وذكوان من بنى سليم ، فأطاعوه وقتلوهم ، قالوا : ومات أبو بَرَاء بعد ذلك آسفا على ماصنع به عامر بن الطُّفَيْل ، وقيل : أسلم أبو براء عند ذلك ، وقاتل حتى قتل ، وعاش عامر بن الطفيل حتى مات كافراً بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ، أصابته غُدَّة كغُدَّة البعير[2] ، ولم يكن القراء المذكورون كلهم من الأنصار ، بل كان بعضُهم من المهاجرين مثل عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ونافع بن ورقاء الخزاعى وغيرها ، كما يؤخذ من الصحيح أيضاً ، والله أعلم .

ثم كانت غزة الرَّجِيع فى صفر .

غزوة الرجيع

قلت : ذكرها ابن إسحاق فى الثالثة قبل بئر مَعُونة . والرجيع : موضع ببلاد هذيل ، والله أعلم .

ثم كانت غزوة بنى النضير .

غزوة بنى النضير

قلت : ذكرها بعضهم فى الثالثة قَبْلَ أحد ، وقال الزهرى : كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد ، وذكرها ابن إسحاق فى الرابعة بعد بئر مَعُونة وأن سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءهم يستعينُهم فى دِيَةٍ ، وجلس إلى جنب جدار لهم ، فخلا بعضُهم ببعض ، وأمروا عمرو بن جحاش أن يَرْقَى فيُلْقِى عليه صخرة ، فأتاه الخبرُ من السماء ، فقام مُظْهِراً أنه يقضى حاجة ، وقال لأصحابه : لا تبرحوا ، ورجع مسرعا إلى المدينة ، فأمر بحربهم والمسيرِ إليهم ، وأمر بقطع النخل والتحريق ، قال : وحاصَرَهم ستَّ ليالٍ ، فسألوا أن يُجْلَوْا من أرضهم على أن لهم ما حملت الإبلُ ، فصولحوا على ذلك ، فاحتملوا إلى خيبر و إلى الشام ؛ فكانت أموالهم له

---

(١) «لا نخفر ذمته» تقول «خفرت ذمة فلان» إذا حفظتها ورعيتها ، وإذا نقضتها ، ضد

(٢) يروى أنه مرض فى الطريق ، فمال إلى بيت امرأة من سلول ، فلما اشتد به المرض كان يقول « غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية » .

صلى الله عليه وسلم خاصة ، ووافق ابنَ إسحاق على ذلك جلُّ أهل المغازى ، وأصح منه ما رواه ابن مردويه بسند صحيح أنهم أجمعوا على الغَدْر ، فبعثوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم : اخْرُجْ إلينا فى ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فإن آمنوا بك اتبعناك ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر ، فأرسلت امرأة من بنى النَّضير إلى أخ لهـا من الأنصار مُسْلم تخبره بأمْرِ بنى النضير ، فأخبر أخوها النبيَّ صلى الله عليه وسـلم بأمر بنى النضير قبل أن يصل إليهم ، فرجع وصَبَّحهم بالـكتائب ، فحصَرهم يومه ، ثم غدا على بنى قُرَيظة فحاصرهم، فعاهدوه ، فانصرف عنهم إلى بنى النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلَّتِ الإبل[(١)] إلا السلاح ، فاحتملوا أبواب بيوتهم؛ فكانوا يخربون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها ، وكان جلاؤهم ذلك أول حَشْر الناس إلى الشام .

ورواه أيضا عبدُ بن حُمَيْد فى تفسيره ، وروى أيضا من طريق عِكْرِمة أن غزوتهم كانت صبيحة قتـل كعب بن الأشرف ، وروى أن قريشا كتبوا لبنى النضير يحثونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأضمروا الغدر بالنبى صلى الله عليه وسلم ، ولمـا حرق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نخلَهم قال حسان رضى الله عنه يعير قريشا من أبيات :

وهان على سَرَاة بنى لؤى ... حَرِيقٌ بِالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ولم يكن أسلم حينئذ :

أدام الله ذلك من صَنيـع ... وحَرق فى نواحيها السعير
سَتَعْلَمُ أيُّنَا مِنْهَا بنَزْهٍ ... وتَعْلَم أى أرضـينا تَضِيرُ

أى ستعلم أينا منها ببعد ، وأى الأرضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها الضير : أى الضرر؛ لأن بنى النضـير إذا خربت أضرت بمـاجاورها وهو أرض الأنصار لا أرض قريش ، ونقل ابن سيد الناس عن أبى عمرو الشيبانى أن الذى قال البيت المتقدم المنسوب لحسان هو أبو سفيان بن الحارث ، وأنه لمـا قال :

---

(١) ما أقلت الإبل : ماحملته ، وبهذا اللفظ روى فى الرواية السابقة .

* وعَزَّ على سراة بنى لؤى *

بدل « هان » قال : ويروى « بالبويلة » بدل « بالبويرة » وأن المجيب له بالبيتين المتقدمين هو حسان ، وما قدمناه هو رواية البخارى .

قال ابن سيد الناس : وما ذكره الشيبانى أشْبَهُ .

قلت : كأنه استبعد أن يدعو أبو سفيان فى حالة كفره على أرض بنى النضير ، وقد قدمنا وجهه ، وكان أشراف بنى النضير بنو الحقيق وحُيَيّ بن أخطب ، فكانوا فى مَنْ سار إلى خيبر ، فَدَان[1] لهم أهلها ، وأسلم منهم يامين بن عمير وأبو أسعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .

وروى ابن شبة عن الكلبى قال : لما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على أموال بنى النضير قال للأنصار : إن إخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال ، فإن شئتم قسمت هذه الأموال بينهم و بينكم جميعا ، و إن شئتم أمسكتم أموالكم فقسمت هذه فيهم ، قالوا : بل أقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت ، فنزلت (ويُؤْثِرُونَ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[2]) . وقال ابن إسحاق : قسمها صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين إلا سهل بن حُنَيْف وأبو دجانة ، ذكرا فَقْراً فأعطاهما منها ، والله أعلم .

ثم ولد الحسين بن على .

قلت : المشهور فى ولادته أنها فى الثالثة كما قدمناه ، والله أعلم .

ثم كانت بدر الموعود .

قلت : هى بدر الثالثة لما تقدم ، والله أعلم .

ثم كان مقتل سلام[3] بن مشكم أى أبى رافع ، ويقال : عبدالله بن أبى الحقيق وهى سرية عبيد الله بن عتيك . ثم رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهوديين اللذين كان يحنى أحدهما على الآخر .

---

(١) دان لهم أهلها : خضعوا وانقادوا (٢) من سورة الحشر من الآية ٩

(٣) كذا فى الأصول وفى الخلاصة ، وفى نسخة « ابن سلام بن مشكم » وهو الصواب

زواج أم سلمة هند بنت أبى أمية

قلت : وفيها فى شوال تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أم سَلمة هندَ — وقيل : رملة — بنت أبى أمية ، وهى أول من هاجر مع زوجها أبى سلمة إلى الحبشة ثم هاجرت إلى المدينة ، كذا ذكر بعض أهل السير ، وقال أبو عمر : تزوجها صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين بعد بدر فى شوال

غزوة ذات الرقاع

وفيها غزوة ذات الرقاع بعد بنى النضير بشهرين عند ابن إسحاق ، وقيل : فى الخامسة ، وذكرها البخارى بعد خيبر لما فى الصحيح من حضور أبى موسى الأشعرى فيها ، وهو من أصحاب السفينة ، ولا مانع من التعدد ، والله أعلم .

السنة الخامسة من الهجرة

السنة الخامسة — ثم فَكَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلْمَانَ من الرق ، ثم خرج إلى دُومَة الجندل ، فرجع ولم يَلْقَ كيداً . ثم توفيت أم سعد بن عُبَادة .

ثم كسف القمر فى جمادى الآخرة ؛ فصلى بهم كصلاة كسوف الشمس

قلت : وجعلت اليهود يضربون بالطساس ، ويقولون : سحر القمر . وروى ابن حبان فى صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم صلى لكسوف القمر ، والله أعلم

ثم أصابت قريشا شدة ، فبعث إليهم بفضة يتألفهم بها . ثم وفَد بلاَل بن الحارث المزنى ، فكان أول وافد مسلم إلى المدينة . ثم قدم ضمام بن ثعلبة ، ثم غزا المريسيع فى شعبان ، وفيها أنزلت آية التيمم بسبب عِقْدِ عائشة رضى الله عنها .

قلت : وسيأتى أن الأشبه أن بنى المُصْطَلَق هى هذه ، والله أعلم .

ثم غزوة الخندق

غزوة الخندق

قلت : هكذا ذكره ابن إسحاق ، وهو المعتمد ، وقال موسى بن عقبة : كانت فى شوال سنة أربع ، وصححه النووى فى الروضة ، مع قوله بأن بنى قريظة فى الخامسة ، وهو عجيب ؛ لما سيأتى من أنها كانت عقيب الخندق ، سميت بذلك لِحَفْرِ النبى صلى الله عليه وسلم الخندقَ بإشارة سَلْمان الفارسى ، وتسمى بالأحزاب لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب ، وهم الذين سماهم الله تعالى الأحزاب ، وأنزل الله فى ذلك صَدْرَ سورة الأحزاب ، وذلك أن حُيَيَّ بن أخْطَب فى نفر من بنى النَّضِير خرجوا من خيبر إلى مكة ، فَحَرَّضوا قريشا على

الحرب ، وخرج كنانة بن أبى الحُقَيْق يَسْعَى فى بنى غَطَفان ويحضُّهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لهم نصف ثمرِ خيبر ، فأجابه عُيَيْنة بن حِصْن الفَزَارى ، وكتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد وأقبل إليهم طُلَيْحَة بن خُوَيلد فيمن أطاعه ، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش ، فنزلوا مَرّ الظَّهْرَان ، فجاءهم مَنْ أجابهم من بنى سليم ، وكانوا قد استمدوهم فصاروا فى جمع عظيم — ذكر ابن إسحاق بأسانيد أن عدّتهم عشرة آلاف ، قال : وكان المسلمون ثلاثة آلاف — وقيل : كان المسلمون ألفا ، والمشركون أربعة آلاف — وذكر موسى بن عقبة أن مدة الحصار كانت عشرين يوما ، ونزلت قريش بمجتمع السيول من رُومَة بين الجرف وزُغابة ، وغطَفانُ ومن تبعهم من أهل نجد بذنب نقمى إلى جانب أحد .

وفى رواية ابن مردويه عن ابن عباس : ونزل عُيَيْنَة فى غطفان ومَنْ معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع ، والخندقُ بينه وبين القوم ، وجعل النساء والذرارى فى الآطام .

وقال ابن إسحاق : نزلت قريش بمجتمع السيول فى عشرة آلاف مِنْ أحابيشهم ومن تبعهم من بنى كنانة وتهامة ، ونزل عُيَيْنَة فى غطفان ، وذكر ما تقدم من رواية ابن عباس المذكورة .

وروى الطبرانى ورجاله ثقات عن رافع بن خديج قال : لم يكن حصنٌ أحْصَنَ من حصن بنى حارثة ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والذرارى فيه ، وقال : إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف ، فجاءهن رجل من بنى ثعلبة بن سعد يقال له «نجدان» أحَدُ بنى جحاش على فرس حتى كان فى أصل الحصن ، ثم جعل يقول للنساء : أنزلن إلىَّ خيرلكنَّ[1] ، فحركن السيف ، فأبصره أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدر الحصنَ[2] قوم فيهم رجل من بنى حارثة يقال له : ظفر

---

(١) فى المطبوعات « خير لكم » تطبيع (٢) ابتدره : أسرع إليه

ابن رافع ، فقال : يا نجدان ابرز ، فبرز إليه، فحمل عليه فقتله، وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى البزار بإسناد ضعيف عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج للخندق جعل نساءه وعمته صفية فى أطم يقال له «فارع» وجعل معهم حسان بن ثابت ، فرقى يهودى حتى أشرف على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عمته ، فقالت صفية : يا حسان قمْ إليه حتى تقتله ، قال : لا ، والله ما ذاك فىّ ، ولو كان فى لخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت صفية : فاربط السيفَ على ذراعى، ثم تقدّمَتْ إليه حتى قَتَلَتْهُ ، وقطعت رأسه ، فقالت له : خذ الرأس فارم به على اليهود ، قال : ما ذاك فىّ ، فأخذت هى الرأس فرمت به على اليهود ، فقالت اليهود : قد علمنا أن لم يك يترك أهله خُلُوفاً ليس معهم أحد ، فتفرقوا وذهبوا .

وروى أحمد بإسناد قوى عن عبد الله بن الزبير قال : كانت صفية فى حصن حسان بن ثابت يوم الخندق : أى وهو المسمى بفارع ، فذكر الحديث فى قتلها اليهودى وقولها لحسان : أنزل فاسلبه[1] ، فقال : مالى بسَلَبه حاجة .

وروى الطبرانى هذه القصة عن صفية رضى الله عنها فى غزوة أحد ، وفى إسناده اثنان ، قال الهيثمى : لم أعرفهما ، و بقية إسناده ثقات، والمذكور فى كتب السير أن هذه القصة فى الخندق ، وأن بعضهم كان بحصن بنى حارثة ، و بعضهم بفارع ، وأن صفية رضى الله عنها لما فرغت من قتل اليهودى ورجعت إلى الحصن قالت لحسان : انزل فاسْلُبْهُ[1]، فإنى لم يمنعنى من سَلَبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسَلَبه من حاجة يا بنتَ عبد المطلب .

قال السهيلى : محمل هذا الحديث عند الناس أن حسان كان جَبَانا شديدَ الجبن ، وقد دفع بعضُ العلماء هذا وأنكره ، وقال : لو صح هذا لهجى حسان به ،

(١) اسلبه : خذ مامعه من مال وأداة ، والسلب ـ بالتحريك ـ اسم لما يأخذه القاتل من قتيله

فإنه كان يُهَاجى الشعراء ، وكانوا يردُّون عليه فما عَيَّره أحد بجبن ، وإن صح فلعل حسان كان معتلاً فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، انتهى .

وروى الطبرانى برجال الصحيح عن عروة مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم أدْخَلَ نساءه يوم الأحزاب أطماً من آطام المدينة ، وكان حسان بن ثابت رجلا جَبَانا ، فأدخله مع النساء ، فأغلق الباب ، وذكر القصة .

وممن ذكر القصة فى الخندق ابنُ إسحاق ، ويؤيده أن اليهود إنما غدروا فى الخندق ، وذلك أن حُيَيَّ بن أخْطَب توجَّه إلى بنى قُرَيْظَة ، فلم يزل بهم حتى غدروا ، وبلغ المسلمين غدرهم ، فاشتد بهم البلاء والحصار حتى تكلم معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف وأوس بن قَيْظى أخو بنى حارثة وغيرهما من المنافقين بالنفاق ، وأنزل الله تعالى : « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مَرَضٌ ما وَعَدَنا الله ورسوله إلا غرورا[1] » الآيات . قال ابن عباس : وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قُرَيْظة ، ومن أسفل منهم قريش وغطفان ، وكان حيي بن أخطب أتى كعب ابن أسد صاحبَ عَقْد بنى قُرَيظة وعهدهم ، فأغلق باب حصنه دونه ، وقال : لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا ، فقال له : إنى جئتك بعز الدهر ، جئتك بقريش وغطفان على قادتهما وسادتهما قد عاهدونى وعاقدونى أنْ لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومنْ معه ، فقال له كعب : جئتنى والله بِذُلِّ الدهر ، وبجَهَام قد هَرَاق[2] ماءه فهو يَرْعِد ويُبْرِق وليس فيه شىء ، فلم يزل حتى نقض كعبٌ عهده وبرىء مما كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، فاشتد الخوف بالمسلمين .

قال ابن إسحاق : ولم يقع بينهم حرب إلا مُرَاماة بالنَّبْل ، ولكن كان عمرو ابن عبدُ ودٍّ العامرى اقتحم هو ونفر معهم خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق ، فبارزه علىّ فقتله ، وبرز نَوْفَلُ بن عبد الله بن المغيرة المخزومى ، فبارزه الزبير فقتله ، ويقال : قتله علىّ ، ورجعت بقية الخيول منهزمة ، وقيل : اقتتلوا ثلاثة أيام قتالا

---

(١) من سورة الأحزاب الآية ١٢

(٢) الجهام — بالفتح — السحاب لا مطر فيه ، وهراق : أراق وأفرغ

شديدا حتى يحجز الليل بينهم ، سيما فى اليوم الثالث ، حتى شغلهم القتالُ عن صلاة العصر والمغرب — وقيل : والظهر — وذلك قبل أن ينزل قوله تعالى : « فإن خِفْتُم فرجالا أو ركبانا[١] » قال مالك: ولم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة أو خمسة ، وذكر غيره ستة ، وهم : سعد بن معاذ كما سيأتى ، وأنس بن أوس بن عتيك ، وعبد الله بن سهيل ، وهم من بنى عبد الأشهل ، وثعلبة بن غنمة ، والطفيل بن النعمان ، وهما من بنى سلمة ، وكعب بن زيد من بنى دينار بن النجار

وكان من المناوشات بين الفريقين أن مات بعضُ بنى عمرو بن عوف من أهل قُباء ، فاستأذن أقرباؤه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليدفنوه ، فأذن لهم ، فلما خرجوا إلى الصحراء لِيَدفن ميتهم وافقوا ضِرَار بن الخطاب وجماعة من المشركين بعثهم أبو سفيان ليمتاروا له من قُرَيظة على إبل له ، فحملوا على بعضها قمحا ، وعلى بعضها شعيرا ، وعلى بعضها تمرا وتبنا للعلف ، فلما رجعوا و بلغوا ساحة قُباء وافقوا الذين كانوا يدفنون ميتهم ، فناهضهم المسلمون وغَلَبوهم ، فجرح ضرار جراحاتٍ ، فهرب هو وأصحابه ، وساق المسلمون الإبل بما عليها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان للمسلمين فى ذلك سَعَةٌ من النفقة

إسلام نعيم بن مسعود الأشجعى

ثم أتى نُعيم بن مسعود الأشجعى إلى النبى صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً ، ولم يعلم به قومُه ، فقال: له : خَذلْ عنا[٢] ، فمضى إلى بنى قُرَيظة ، وكان نَدِيماً لهم ، فقال : قد عرفتم محبتى ، قالوا : نعم ، فقال : إن قريشا وغَطَفان ليست هذه بلادهم ، وإنهم إن رأوا فرصة انتهزوها ، وإلا رجعوا إلى بلادهم وتركوكم فى البلاد مع محمد ، ولا طاقة لكم به ، قالوا : فما ترى ؟ قال : لا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رُهُنا ، فقبلوا رأيه ، فتوجَّه إلى قريش فقال لهم : إن اليهود نَدِمُوا على الغدر بمحمد ، فراسلوه فى الرجوع إليه ، فراسلهم بأنا لا نرضى حتى تبعثوا إلى قريش فتأخذوا منهم رُهُنا فأقتلهم ، ثم جاء غطفان بنحو ذلك ، فلما أصبح أبو سفيان بعث عكرمة

(١) من سورة البقرة من الآية ٢٣٩

(٢) خذل عنا : احمل أعداءنا على الخذلان والفشل وترك القتال

ابن أبى جهل إلى بنى قُرَيْظة بأنا قد ضاق بنا المنزل ، ولم نجد مرعًى ، فاغْدُوا للقتال حتى نناجز محمدا ، فأجابوهم إن اليومَ يومُ السبت ، ولا نعمل فيه شيئا ، ولا بد لنا من الرُّهُنِ منكم لئلا تغدروا بنا ، فقالت قريش : هذا ما حَذَّركم نُعَيم ، فراسلوهم ثانيا : إنا لا نعطيكم رُهُنا ، فإن شئتم أن تخرجوا فافعلوا ، فقالت قريظة : هذا ما أخبرنا نُعَيم ، ثم بعث الله عليهم الريحَ فما تركت لهم بناء إلا هدمته ، ولا إناء إلا أكْفَتْهُ ، لا تقر لهم قرارا ولا نارا ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش ، والله ما أصبحتم بدار مُقَام[1] ، لقد هلك الكُرَاعُ والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، فارتحلوا فإنى مرتحل ، فتحملت قريش وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم ، وسمعت غطفانُ بما فعلت قريش فانشمروا[2] راجعين إلى بلادهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا » .

وفى الذيل على أخبار المدينة لابن النجار لصاحبه العراقى عن الكلبى أنه قال : إن الملائكة اتَّبَعُوا الأحزاب حتى بلغوا الرَّوْحاء يكرون فى أدبارهم ، فهربوا لا يَلْوُون على شىء[3] ، والله أعلم

ثم كانت غزوة بنى قريظة .

غزوة بنى قريظة

قلت : قال أبو الربيع الكلاعى فى الاكتفاء : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة ومعه المسلمون ، فلما كانت الظهر أتاه جبريل — ويقولون فيما ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى المغتسل عند ما جاءه جبريل ، وهو يُرَجِّلُ رأسه[4] ، قد رَجَّلَ أحد شقيه ، فجاءه جبريل على فرس عليه اللأمة وأثرُ الغُبَار ، حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له جبريل : غفر الله لك ! قد وضعتم السلاح ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة

(١) دار مقام : دار إقامة (٢) انشمروا راجعين : مضوا فى جد وسرعة
(٣) لايلوون على شىء : لايلتفتون لشىء ولا يهتمون له
(٤) يرجل رأسه : يسرح شعره وينظفه

السلاح بعدُ ، وما رجعْتُ إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم ، اه

وفى رواية أخرى أنه قال : انْهَضْ إليهم فلأضعضعنهم ، فأدبر جبريل ومَنْ معه من الملائكة حتى سطع الغُبَار فى زُقَاق بنى غَنْم من الأنصار ، وأصله فى البخارى فى باب مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الأحزاب من رواية أنس ، قال : كأنى أنظُر إلى الغُبَار ساطعا فى سكة بنى غَنْم [من] موكب جبريل

ورواه ابنُ سَعْد من طريق حُمَيد بن هلال مُطَولا ، لكن ليس فيه أنس ، وأوله : كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين بنى قُرَيْظة عهد ، فلما جاءت الأحزاب نَقَضوه وظاهروهم ، فلما هزم الله الأحزاب تحصَّنوا ، فجاء جبريل فقال : يارسول الله ، انهض إلى بنى قريظة ، فقال : إن فى أصحابى جَهْداً ، قال : انهض إليهم فلأضعضعنهم ، قال : فأدبر جبريل ومَنْ معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم من الأنصار

قلت : زقاقهم هو عند موضع الجنائز فى شرقى المسجد ، كما علم من ذكر منازلهم

وفى رواية : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، أتى جبريلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعْتَجِراً بعمامة[1] من إستَبْرَقٍ على بَغْلة عليها قَطيفة من ديباج ، فقال : أوَقد وضعت السلاح يارسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : ما وضعت الملائكة السلاح بعدُ ، وما رجعتُ إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بلالا فأذَّنَ فى الناس : مَنْ كان سامعاً مطيعاً فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلا فى بنى قريظة ، وقدم على بن طالب برايته إلى بنى قريظة ، وابتَدَرَها الناسُ ، وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة فى رواية ، وفى أخرى خمس عشرة ، وعند ابن سعد عشرة ، حتى أجْهَدَهم الحصار ، وقُذِفَ فى قلوبهم الرعبُ ، فعرض

---

(١) «اعتجر فلان بعمامته» الاعتجار : أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئا تحت ذقنه .

عليهم رئيسُهم كعبُ بن أسد وقال لهم : إما أن تؤمنوا بمحمد فوالله إنه نبى أو تقتلوا نساءكم وأبناءكم وتخرجوا مستقتلين ليس وراءكم ثَقَل[١] وتبيتوا المسلمين ليلة السبت ، فقالوا : لا نؤمن ولا نستحلّ السبت ، وأى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا ؟ وأرسلوا إلى أبى لُبَابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو بن عَوْف من الأوس ، وكانوا حلفاءهم ، فاستشاروه فى النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى حَلْقه ، يعنى الذبح ، ثم ندم ، فتوجه إلى المسجد النبوى ، وارتبط بسارية تُعْرَف به اليوم حتى تاب الله عليه ، واستشهد من المسلمين خلاد بن سويد من بنى الحارث بن الخزرج ، طَرَحت عليه امرأة من بنى قريظة رحًى فقتلته ، وأمر صلى الله عليه وسلم بقتلها بعد ذلك ، ومات فى الحصار أبو سنان بن محصن الأسدى أخو عُكَّاشة بن محصن ، فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقبرة بنى قريظة التى تدافن فيها المسلمون لما سكنوها ، ولم يُصَبْ غيرُ هذين ، فلما اشتد بهم الحصار أذعنوا[٢] أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأوس : قد فعلت فى موالى الخزرج — أى بنى قَيْنُقَاع — ما علمت ، فقال : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن مُعَاذ ، وكان سعد قد أصابه سهم فى أكْحَلِه[٣] يوم الخندق ، فأتاه قومُه ، فحملوه على حمار ، ثم أقبلوا معه يقولون : يا أبا عمرو ، أحْسِنْ فى مَوَاليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتُحْسِن فيهم ، فلما أكثروا قال : لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ، فجاء سعد فردَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الحُكمَ إليه ، فقال سعد : فإنى أحكم فيهم أن يُقْتَل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة : سموات ، ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ،

---

(١) الثقل — بالتحريك — متاع المسافر (٢) أذعنوا : خضعوا

(٣) الأكحل : عرق فى وسط الذراع يكثر فصده

فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق وفيهم عدو الله حُيَيُّ بن أخْطَب؛ فإنه كان قد عاهد كعب بن أسد لئن رجعت قريش وغطفان لأدخلَنَّ معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك ، فلما رجعت الأحزاب دخل معه فى حصنه ، فكان ذلك ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل مَنْ أنبَتَ منهم ، ومن لم يُنبِت استحياه ، ولم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة كانت طرحت رَحًى على خلاد بن سُوَيْد كما سبق

وعند ابن سعد من مرسل حُمَيد بن هلال : أن سعد بن معاذ حكم أيضا أن يكون دارهم للمهاجرين دون الأنصار ، فلامه الأنصار ، فقال : أحببت أن يستغنوا عن دُوركم

واختلف فى عدتهم ؛ فعند ابن إسحاق كانوا ستمائة ، وعند ابن عائذ من مرسل قتادة كانوا سبعمائة ، وقال السهيلى : المكثر يقول : إنهم ما بين الثمانمائة إلى السبعمائة ، وفى النسائى وابن ماجة بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، وكان الزبير بن باطا القرظى قد مر على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية يوم بُعَاث ، فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة وهو شيخ كبير ، وذكّره بذلك ، ثم ذهب فاستوهبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوهبه إياه ، فأتاه فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فاستوهب له امرأته وولده ، فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم ؟ فاستوهب له ماله ، فأتاه فأعلمه ، فقال : أىْ ثابت ما فَعلَ فلان وفلان ، وصار يذكر قومه ويَصِفهم ، فقال له : قتلوا ، قال : فإنى أسألك ياثابت بيدى عندك إلاَّ ألحقتنى بالقوم ، فوالله مافى العيش بعد هؤلاء من خير ، فقدَّمه ثابت فضرب عنقه

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأسْهَمَ للخيل ، فكان أول فَىْء وقعت فيه السُّهْمَان[١] ، وأخرج منه

(١) السهمان — بضم فسكون — جمع سهم ، وهو النصيب ، ويجمع السهم أيضا على أسهم وسهام

الخمس ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بنى عمرو بن قُرَيظة ، فكانت عنده حتى توفى ، وكان يحرص عليها أن يتزوجها ، فقالت : تتركنى فى ملكك فهو أحق على وعليك ، فتركها ، وقد كانت حين سَبَاها كرهت الإسلام ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك من أمرها ، فبينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال : إن هذا لثعلبة بن شعبة يبشرنى بإسلام ريحانة ، فكان كذلك ، وقيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم أعتقها وتزوجها ، وإنها ماتت فى حياته مَرْجِعَه من حجة الوَدَاع ، وهذا الأثبت عند الواقدى ، وبعضهم يقول : هى من بنى النضير

ولما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جَرْحُ سعد بن معاذ فمات شهيدا

وفى البخارى ما يقتضى أن قريظة كانوا قد حاربوا قبل ذلك مع بنى النضير ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم منّ عليهم ، ولم أر التصريح بذلك ، ولم يتعرض له الحافظ ابن حجر فى شرحه ، وقد قدمنا فى بنى النضير من رواية ابن مردويه ما يشهد له ، ولفظ البخارى : عن ابن عمر قال : حاربت النضير وقريظة ، فأجلى بنى النضير ، وأقر قريظة ومنّ عليهم ، حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلَّهم : بنى قينقاع وهم رهط عبد الله ابن سلام ، ويهود بنى حارثة ، وكل يهودى بالمدينة ، اه

ورواه أبو داود بنحوه ، إلا أنه قال : حتى حاربت قريظة بعد ذلك ، يعنى بعد محاربتهم الأولى وتقريرهم ، ويؤخذ من ذلك أن إجلاء من بقى من طوائف اليهود بالمدينة كان بعد قَتْل قريظة .

وفى البخارى أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا حتى إذا جئنا بيت المِدْرَاس[1] قال : أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ولرسوله وأنى

(١) بيت المدراس : البيت الذى يتدارس فيه اليهود توراتهم

أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ولرسوله ، وهو مقتضٍ لأن ذلك كان بعد خيبر ؛ لأن إسلام أبى هريرة بها فى السنة السابعة ، والله أعلم

ثم كانت سرية عبيد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلى ثم اللحيانى بعُرَنَة[1] ، وفيها سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه[2] فجحش ، وفيها دَفَّتْ دَافَّةُ العرب[3] ، فنهى عن ادّخار لحوم الأضاحى فوق ثلاث .

قلت : وتزوج زينبَ بنت جَحْش ، وهى بنت عمته أميمة ، وقيل : فى الثالثة ، وبسببها نزلت آية الحجاب ، وأسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، والله أعلم .

السنة السادسة من الهجرة

السنة السادسة ــ فى أولها أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمامة بن أثال أسيراً ، ثم كسفت الشمس ثانية بعد الكسوف الذى كان يوم مات ابنه إبراهيم .

قلت : لعل فى النسخة خللا لما سنذكره من ولادة إبراهيم فى الثامنة ووفاته فى العاشرة ، فالكسوف فى السادسة هو الكسوف الأول ، وفيها نزل حكم الظّهار ، والله أعلم .

وفيها قتل المشركون سرية محمد بن مسلمة فلم يُفْلِتْ منهم غيره ، وكانوا عشرة ، ثم كانت سرية على بن أبى طالب إلى فَدَكَ فى مائة رجل ، ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَة الجَنْدَل ، فظهر عليهم ، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تُمَاضِر بنت الإصبغ بن عمرو الكلبى وهو ملكهم ، ثم أجْدَبَ الناس فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فى موضع المصلى فَسُقُوا ، ثم أرسل زيد بن حارثة فى سرية ، فسبى سلمةُ بن الأكوع فى تلك السرية بنت مالك بن حذيفة ، ثم كانت الحُدَيْبِيَة ، ثم أغار عُيَينة بن حِصْنٍ[4] الفَزَارى على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذها .

---

(١) عرنة ــ بضم العين وفتح الراء ــ موضع عند الموقف بعرفات

(٢) فى المطبوعات « عن فرسه فجحش » تطبيع ، والثابت فى السنة « فجحش شقه » أى انخدش جلده

(٣) دفت دافة : أى ورد قوم من الأعراب المدنية

(٤) فى المطبوعات « عيينة بن حصين » تطبيع

قلت : قد قدمنا فى حدود الحرم أن لقاحه صلى الله عليه وسلم كانت ترعى بالغابة وما حولها ، فأغار عليها عُيَيْنة يوم ذى قَرَد[1] ، وهو الموضع الذى كان فيه القتال ، سميت الغزوة به ، وتسمى أيضاً غزوة الغابة .

غزوة ذى قرد

قال ابن إسحاق : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى لَحْيَان وكان فى شعبان سنة ست ، لم يُقِمْ إلا ليالى قلائل حتى أغار عُيَيْنة فى خيل من غَطَفَان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بنى غفار وامرأته ، فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة فى اللقاح ، وكان أول من نُذِرَ بهم سَلَمة ابن الأكوع ، غدا يريد الغابة مُتَوشِّحا قوسَه ونبله حتى إذا علا ثَنِيَّة الوَدَاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سَلْع ، ثم صرخ : وَاصَبَاحَاه ، ثم خرج يشتدُّ فى آثار القوم حتى لحقهم ، فجعل يردهم بالنبل ويقول إذا رمى : خُذها وأنا ابنُ الأكوع ، واليومُ يومُ الرُّضَّع ، فإذا وجهت الخيل نحوه هرب، ثم عارضهم ، وهكذا ، وبلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم صياحُه ، فصرخ بالمدينة : الفزع ، الفزع ، فترامت الخيل إليه ، فلما اجتمعوا أمَّر عليهم سعد بن زيد الأشهلى ، وقال : اخْرُجْ فى طلب القوم حتى ألحقَكَ فى الناس ، فقتل أبو قتادة رضى الله عنه حبيبَ بن عُيينة بن حصن وغشاه برده ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين ، فإذا حبيبٌ مُسَجًّى ببرد أبى قتادة ولكنه قتيل ، فظنوه هو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتَادة ولكنه قتيل له ، وأدرك عُكَّاشةُ بن محصن رضى الله عنه أوبارا وابنَه عمر بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعضَ اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، وأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة : يا رسولَ الله لو سَرَّحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السَّرْح وأخذت بأعناق القوم ، فقال له صلى الله عليه وسلم

---

(١) ذو قرد ـ بفتح القاف والراء جميعا ـ ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ، ويقال «ذو القرد» بضم القاف وفتح الراء ـ قاله ابن الأثير (٣/ ٢٤٠)

إنهم ليقرون فى غَطفان ، فقسم صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة جزورا، وأقاموا عليها ، ثم رجع ، وأفلتت امرأة الغفارى على ناقة من اللقاح حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته الخبر ، وقالت : إنى نَذَرْتُ لله أن أنحرها إن أنجانى اللهُ عليها ، فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : بئس ما جزيتيها أن حَمَلكِ الله عليها ونجَّاكِ بها ثم تنحرينها ، إنه لا نَذرَ فى معصيةالله ولا فيما لا تملكين ، هذه رواية ابن إسحاق ، وقد ذكر فيها قتل اثنين من المسلمين .

وخرّج مسلم القصة عن سلمة مطولة ومختصرة ، وخالف ما ذكره ابن إسحاق فى مواضع : منها أنها كانت بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، وجعلها ابن إسحاق قبلها ، ومنها : أن فيه أن اللقاح كانت ترعى بذى قَرَد ، وكذا هو فى البخارى ، وقال ابن إسحاق : بالغابة ، وكذا هو فى حديث سلمة الطويل ، ولهذا قال عياض : إن الأول غلط ، ويمكن الجمع بأنها كانت ترعى تارة هنا وتارة هناك ، ومنها : أنه قال فيه : خرجت قبل أن يؤذن بالأولى فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخِذتْ لقاحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه ، فأسمعت ما بين لابتى المدينة ، ثم اندفعت على وجهى حتى أدركتهم وقد أخذوا بذى قَرَد يسقون من الماء ، وفى رواية لمسلم ما يقتضى أن سَلَمة كان مع السَّرْح[1] لما أغير عليه ، وأنه قام على أكَمَة[2] وصاح : يا صباحاه ، ثلاثاً ، وهذا يرجح أن السرح كان بالغابة ، ويبعد كونه بذى قرد ، ولو كان بذى قَرَدٍ لما أمكنه لحوقهم ، ومنها : أن فيه أنه استنقذ سَرْح رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته ، ومنها : أنه قال فيه : فرجعنا إلى المدينة ، فوالله ما لبثنا بها إلا ثلاثَ ليال حتى خرجنا إلى

---

(١) السرح — بالفتح — الماشية ، ويقال لها أيضا : سارح ، وسارحة

(٢) الأكمة — بفتحات — الرابية ، وهى المكان المرتفع

خَيْبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال القرطبى : لا يختلف أهل السِّيَر أن غزوة ذى قَرَد كانت قبل الحديبية ، انتهى .

وما فى الصحيح من التاريخ لها أصح مما فى السير ، ويمكن الجمع بتكرر الواقعة ، ويؤيده أن الحاكم ذَكَرَ فى الإكليل أن الخروج إلى ذى قَرَد تكرر ؛ ففى الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أُحُدٍ ، وفى الثانية خرج إليها النبى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الآخر سنة خمس ، والثالثة هى المختلف فيها ، انتهى . والله أعلم .

ثم كانت قصة العُرَنيّين .

قصة العرنيين

قلت :[1] وذلك أن ثمانية منهم ، وفى رواية من عُكْلٍ ، قدموا فأسلموا واجْتَوَوُا المدينة[1] ، وقالوا : إنا كنا أهل ضَرْع ولم نكن أهل ريف ، فبعثهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه ، وفى رواية « إبِلِ الصدقة » وكأنهما كانا معاً ، فصح الإخبار بالبعث لكل منهما ، ليشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبهم كُرْزَ بن خالد الفهرى فى عشرين ، فأتى بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسَمْل أعينهم وطَرْحهم فى الحَرَّة يستسقون فلا يُسْقَوْن ، حتى ماتوا ، هذا محصل ما فى الصحيح ، وذكر أهل السير أن اللقاح كانت ترعى ناحية الجَمَّاوات ، وفى رواية بذى الجدر غربى جبل عَيْر على ستة أميال من المدينة ، وذكر ابن سعد عن ابن عقبة أن أمير الخيل يومئذ سعيدُ بن زيد أحدُ العَشَرَة ، فأدركوهم فرَبَطوهم وأردفوهم على خيلهم ، ورَدُّوا الإبل ، ولم يفقدوا منها إلا لِقْحَةً واحدة من لقاحه صلى الله عليه وسلم تدعى الحنا ، فسأل عنها ، فقيل : نحروها ، فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة .

---

(١) اجتووا المدينة : أى أصابهم الجوى ، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول ، والمراد أنه لم يوافقهم هواء المدينة واستوخموها .

قال بعضهم : وذلك مرجعه من غزوة ذى قَرَدٍ، فخرجوا بهم، نحوه ، فلقوه بالزغابة ، فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُمِلَتْ أعينهم وصلبوا هنالك ، والله أعلم .

ثم غزا بنى المصطلق ، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى انصرافه على المُرَيْسِيع . وفيها كانت قصة الإفك .

غزوة بنى المصطلق (المريسيع)

قلت : قد قدم غزوة المريسيع فى السنة الخامسة ، وذكر أن فيها أنزلت آية التيمم ، وقد اقتضى كلامه أن المُرَيْسيع وقعت مرتين : فى الأولى التيمم ، وفى الثانية الإفك ، وفيه جمع بين ما ذكره كثير من أهل السير من أن المريسيع سنة خمس وبين ما نقله البخارى عن ابن إسحاق أنها سنة ست ، لكن قد ثبت فى الصحيح أن سعد بن مُعَاذ تنازع هو وسعد بن عُبَادة فى أصحاب الإفك ؛ فلو كانت المريسيع التى هى غَزَاة بنى المصطلق سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا ؛ لأن سعد بن معاذ مات أيام قرَيْظة ، وكانت سنة خمس ، وقيل : أربع ؛ فالأشبه أن بنى المصْطَلق والمُرَيْسيع واحد ، كلاهما فى سنة خمس .

وقد ذكر ابن عبد البر فى التمهيد أن التيمم كان فى غزاة بنى المصطلق ، وجزم به فى الاستذكار ، وسبقه إليه ابن سعد وابن حِبَّان .

وفى البخارى « غزوة بنى المصطلق ، وهى غزوة المريسيع » وفى الطبرانى حديث : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة المريسيع غزوة بنى المصطلق ، وبنو المصطلق بطن من خُزَاعة ، وكان رئيسهم الحارث بن أبى ضرار ، وكان معه عليه الصلاة والسلام بَشَر كثير ، خرج بهم إليهم لما بلغه أنهم يَجْمَعُون له ، وكان معه ثلاثون فرسا وأم سَلَمة وعائشة ، فهزمهم وأسر من الكفار جمعاً عظيما ، وتزوج جُوَيْرِية بنت الحارث رئيسهم ، فأعتق الناس ما بأيديهم من الأسرى لمكانها ، وفى هذه الغزاة قال ابنُ أُبىّ « لئن رَجَعْنَا [1] إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعز

---

(١) من سورة المنافقين من الآية ٨

منها الأذل» وقال « لا تُنْفِقُوا على مَنْ عند رسول الله حتى ينفضوا[١] » وذلك أن ابن أبىّ خرج فى عصابة من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا أن الله قد نَصَرَ رسولَه وأصحابه أظهروا قولا سيئاً ، واقتتل رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فظهر عليه المهاجرى ، فقال ذلك ابن أبىّ لقومه ، فأخبر زيد بن أرقم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فأجهد ابن أبىّ يمينه ما فعل ، فحزن زيد بن أرقم لذلك ، فأنزل الله تصديقه ، واستأذن عبد الله بن عبد الله بن أبىّ النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه فيما رواه عروة بن الزبير ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتل أباك ، ولما كان بينهم و بين المدينة يوم تعجل عبد الله بن عبد الله بن أبىّ حتى أناخ على مَجَامع طرق المدينة حتى جاء أبوه فقال له ابنه : لا والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعلم اليوم من الأعز [و] من الأذل، فقال له : أنت من بين الناس ؟ فقال : نعم ، أنا من بين الناس ، فانصرف عبدُ الله حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتكى إليه ما صنع ابنُهُ ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنه « أن خَلِّ عنه » فدخل المدينة ، رواه ابن شبة .

وفى هذه السنة فرض الحج على الصحيح ، كما سيأتى، والله أعلم .

السنة السابعة من الهجرة

السنة السابعة — فيها قصة أبى سفيان مع هرقل فى الشام ، وفى أولها كَتَبَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك و بعث إليهم رسله ، ثم كانت خيبر .

قلت : واستصفى صَفِيَّةَ بنت حُيَىٍّ بن أخطب من المغنم ، فأعتقها وتزوجها ، وجاءته مارية القبطية هدية و بغلته دلدُل ، وأسلم أبو هريرة ، وسَمَّتْهُ صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث زوجة سَلاَّم بن مشكم ، ثم صار النبى صلى الله عليه وسلم إلى وادى القرى ، فحاصر أهله ليالى وأصاب غلامَهُ مدعم سَهْمُ غرب[٢] فقتله ،

---

(١) من سورة المنافقين من الآية ٧

(٢) سهم غرب : لا يعرف راميه ، ويقال بالإضافة وبالوصف ، ووقع فى المطبوعات « وأصاب غلامه مدعم بينهم غرب » تطبيع

وفى رجوعه إلى المدينة كان النوم عن صلاة الصبح ، وروى بعضهم أنه كان فى الرجوع من غزوة تبوك ، وقال الواقدى : وفى المحرم منهـا جاء رؤساء اليهود إلى لَبيد بن الأعصم — وكان حليفا فى بنى زريق ، وكان ساحرا — فقالوا له : يا أبا الأعصم ، أنت أَسْحَرُنا ، وقد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئا ، ونحن نجعل لك جُعْلاً على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه ، فجعلوا له ثلاثة دنانير ، وذكر قصة سحره ، وفى رواية عن الزهرى بإسناد صحيح أن المدة التى مكث النبى صلى الله عليه وسلم فيها فى السِّحْر سنة ، وفى رواية أربعين ليلة ، والله أعلم .

وفيها جاءته أم حَبيبة بنت أبى سفيان ، وتزوج بها ، ثم كانت عُمْرة القَضِيَّة وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية .

السنة الثامنة من الهجرة

السنة الثـامنة — فيها كانت مُـؤْتة ، ثم كان الفتح ، ثم غـزوة هوازن ، ثم غزوة الطائف ، وأمر على مكة عتاب بن أسيد ، وأسلم مالك بن عوف النَّصْرِى ، وتألف المؤلفة من غنائم هوازن ، ثم انصرف إلى المدينـة فى آخر ذى القعدة .

قلت : وفى هذه السنة وُلد ابنُه إبراهيم من مارية القبطية ، وحلق رأسه يوم سابعه ، وتصدق بزنة شعره فضة ، وعَقَّ عنه بكبشين [1] ، ومات فى عاشر ربيع الأول من السنة العاشرة وسنه عام ونصف ، وقيل : عام وثلث ، وفى الثامنة أيضا توفيت ابنته زينب ، وهى أكبر أولاده ، وكانت زَوْجَ أبى العـاص بن الربيع بن عبد العُزَّى بن عبد شمس الذى أثنى عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى صهارته ، تزوجها قبل البعثة ، ولما قدم عليها مسلما ردَّها النبى صلى الله عليه وسلم بالنكاح الأول على الصحيح لقدومه عقب تحريم المسلمات على المشركين ، وذلك بعـد صلح الحديبية ، والله أعلم .

السنة التاسعة من الهجرة

السنة التاسعة — فيها هَجَرَ نساءه شهرا ، ثم تتابعت الوفود ، ثم فرض الحج.

قلت : قد اختلف فى وقته ، فقيل : قبل الهجرة ، وهو غريب ، والمشهور

(١) العقيقة : مايذبح يوم سابع الغلام ، والسنة أن يذبح عن الجارية شاة وعن الغلام شاتان

بعدها ، فقيل : سنة خمس ، وجزم به الرافعى فى موضع ، وقيل : ست ، وصححه الرافعى فى موضع آخر ، وكذا النووى ، وقيل : سبع ، وقيل : ثمان ، وقيل : تسع ، وصححه عياض ، والله أعلم .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أبا بكر رضى الله عنه ، ثم نزلت براءة ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ لينبذ إلى الناس عهدهم .

قلت : وفيها فى شهر رجب كانت غزوة تَبُوكَ ، وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم .

السنة العاشرة من الهجرة

السنة العاشرة — فى أولها قدم عَدِىُّ بن حاتم بوفد طىء ، ثم قدم وفد بنى حنيفة ، ثم وفد غسان ، ثم وفد نَجْرَان الذين كانت فيهم قصة المباهلة ، ثم جاء جبريل يعلم الناس دينهم ، ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوكا .

قلت : وهو مخالف لما قدمناه عن ابن إسحاق من كونها فى التاسعة ، والله أعلم .

ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بالحج فى حَجَّة الوداع ورجع ، ثم مرض فى صفر لعشر بقين منه ، وتوفى صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خَلَتْ من ربيع الأول يوم الاثنين ، انتهى ما ذكره رزين عن أبى حاتم .

قلت : وشهر ربيع هذا من الحادية عشرة ، وكان ابتداء مرضه فى بيت مَيْمُونة ، وقيل : زينب بنت جَحْش ، وقيل : رَيحانة ، وذكر الخطابى أن ابتداءه يوم الاثنين ، وقيل : السبت ، وقيل : الأربعاء ، وحكى فى الروضة قولين فى مدته ، فقيل : أربعة عشر ، وهو الذى صَدَّر به ، وقيل : ثلاثة عشر ، وعليه الأكثر ، وقيل : عشرة ، وبه جزم سليمان التيمى ، ومقتضى ما تقدم أن المدة تزيد على عشرين يوما ، ولم أر مَنْ صرح به ، ولا خلاف فى أن الوفاة كانت يوم الاثنين ، وكونه من ربيع الأول ، كاد يكون إجماعا ، لكن فى حديث ابن مسعود عند

البزار : فى حادى عشر رمضان ، وكونها فى ثانى عشر ربيع الأول هو ما عليه الجمهور ، وذهب جماعة إلى أنها فى أوله ، ورواه يحيى عن ابن شهاب ، وقال : حين زاغت الشمس ، وعن أسماء بنت أبى بكر أنه توفى للنصف من ربيع الأول ، وقيل : ثانيه ، ورجحه السهيلى ، واستشكل قول الجمهور بأنهم اتفقوا على أن الوقفة فى حجة الوداع كانت الجمعة ، فأول ذى الحجة الخميس ، فمهما فرضت الشهور الثلاثة تَوَامٌّ أو نواقص أو بعضها ، لم يصح كون الوفاة يوم الاثنين مع كونه ثانى عشر ربيع الأول ، وأجاب البارزى باحتمال وقوع الثلاثة كوامل ، واختلاف أهل مكة والمدينة فى هلال ذى الحجة : فرآه أهل مكة ليلة الخميس ، ولم يره أهل المدينة إلا ليلة الجمعة ، فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة ، ثم رجعوا إلى المدينة فأرخوا برؤية أهلها ، فكان أول ذى الحجة الجمعة ، وهو وما بعده كوامل ، فأول ربيع الأول الخميس ، وثانى عشره الاثنين ، ولا يخفى بُعد هذا الجواب ، وقد جزم سليمان التيمى أحَدُ الثقات بأن بدء مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثانى والعشرين من صفر ، ومات يوم الاثنين لليلتين خَلَتَا من ربيع الأول ، ومنه يعلم أن صفر كان ناقصا ، ولا يمكن أن يكون أول صفر السبت إلا إن كان ذو الحجة والمحرم ناقصين ؛ فيلزم عليه نقص ثلاثة أشهر متوالية ، وأما على قول من قال : « أول ربيع الأول » ؛ فيكون اثنان ناقصين وواحد كاملا ، وكذا على قول من قال : « للنصف منه »

وقال البدر ابن جماعة : يحمل قول الجمهور لاثنتى عشرة ليلة خلت : أى بأيامها ، فيكون موته فى اليوم الثالث عشر ، وتفرض الشهور كوامل ؛ فيصح قول الجمهور ، ويعكر عليه ما فيه من مخالفة أهل اللسان فى قولهم « لاثنتى عشرة » فإنهم لا يفهمون منها إلا مضى الليالى ، وأن ما أرخ بذلك يكون واقعا فى الثانى عشر .

قال الحافظ ابن حجر : فالمعتمد قول أبى مخنف أنه فى ثانى ربيع الأول ، وكأن

سبب غلط غيره تغيير ذلك إلى الثانى عشر ، وتبع بعضهم بعضا فى الوهم .

وغسله صلى الله عليه وسلم على بوصيته ، والعباسُ وابنُه الفضلُ يعينانِه ، وقُثَم وأُسَامَة وشقران يَصُبُّون الماء ، وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سَحُولية ليس فيها قميص ولا عمامة — وسحول : بلدة باليمن — وعن جعفر بن محمد عن أبيه : كفن فى ثوبين صحاريين مما يصنع بعمان من كرُسف[1] وبرد حِبَرَة ، وفى الإكليل ورواه يحيى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : كفن فى سبعة أثواب ، وصُلِّى عليه فى حُجْرته بغير إمام ؛ ونقل الأقشهرى عن الحسين بن محمد الصدفى أنه صلى الله عليه وسلم صلى عليه فى وسط الروضة من مسجده ، ثم حمل إلى بيته ودفن فيه .

قلت : هذا إنما هو معروف فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفى مستدرك الحاكم ومُسْنَد البزار بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُصَلُّوا عليه أرسالا بغير إمام ، ودفن صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء ، وقيل : يومها ، وقيل : يوم الثلاثاء بعد أن عرف الموت فى أظفاره ، وقال قائلون : ندفنه بمسجده ، وآخرون بالبقيع ، ثم اتفقوا على دفنه ببيته ، فحمل بالفِرَاش ، وحُفِر له فى موضع الفراش ، وروى يحيى عن ابن أبى مليكة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما هلك نبى إلا دفن حيث تقبض روحه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه بإخراج المشركين من جزيرة العرب كما فى الصحيح من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم أمر بذلك ، ولفظه : وأمرهم بثلاث ، فقال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » والثالثة إما سكت عنها ، وإما أن قالها فنسيتها . قال سفيان : هذا — أى قوله والثالثة إلى آخره — من قول سليمان : أى شيخ سفيان ، قال الداوودى : الثالثة هى الوصية بالقرآن ، وقال المهلب : بل هى تجهيز جيش أسامة ، وقوّاه ابن بطال بأن الصحابة لما اختلفوا على

---

(١) الكرسف — بوزن قنفذ — القطن

أبى بكر فى تنفيذ جيش أسامة ، قال لهم أبو بكر : إن النبى صلى الله عليه وسلم عهد بذلك عند موته .

وقال عياض : يحتمل أن يكون[1] قوله : « لا تتخذوا قبرى وثنا » فإنها ثبتت فى الموطأ مقرونة بالأمر بإخراج اليهود ، ويحتمل أن يكون ماوقع فى حديث أنس أنها قوله : « الصلاة وما ملكت أيمانكم »

والذى أجلى المشركين من جزيرة العرب هو عمر رضى الله عنه ؛ ففى الصحيح من حديث ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهودَ والنصارى من أرض الحجاز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها ، وكانت الأرض لما ظهر عليها لله وللرسول وللمؤمنين ، فسأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نقركم على ذلك ما شئنا » فأقرُّوا حتى أجْلَاهم عمر فى إمارته إلى تيماء وأريحاء .

وفى الصحيح أيضاً عن ابن عمر : لما فدع[2] أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيباً ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عَامَلَ يهود خيبر على أموالهم وقال : نُقِركم على ما أقركم الله ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك ، فَعُدِىَ عليه من الليل ، ففُدِعَت يداه ورجلاه ، وليس لنا هناك عدو غيرهم ، هم عدونا وتهمتنا ، وقد رأيت إجلاءهم ، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بنى الحُقَيق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وعاملنَا على الأموال ، وشرط ذلك لنا ، فقال عمر : أظننت أنى نسيتُ قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدُو بك قَلوصُك ليلة بعد ليلة » فقال : كانت هذه هزيلة من أبى القاسم صلى الله عليه

---

(١) أى يحتمل أن الثالثة هى قوله « لاتتخذوا قبرى وثنا »

(٢) الفدع — بالتحريك — زيغ بين القدم وبين عظم الساق ، وكذلك فى اليد ، وهو أن تزول المفاصل عن أما كنها

وســلم ، فقال : كذبت يا عدو الله ، فأجلاهم عمر ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا و إبلا وعُرُوضا من أقتاب وحبال وغير ذلك .

وظاهر هذا أن عمر رضى الله عنه إنما استند فى إجلائهم لهذه القصة .

وروى ابن زبالة عن مالك عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يبقى دينان فى جزيرة العرب » .

قال ابن شهاب : ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلَجُ[1] واليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يبقى دينان فى جزيرة العرب » فأجلى يهود خيبر ، قال مالك : وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نجْرَان وفَدَك .

وروى البيهقى من حديث عمر مرفوعا « لئن عِشْتُ إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب » وخرجه مسلم بدون « لئن عشت » وفى مسند أحمد والبيهقى عن أبى عبيدة قال : كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب » الحديثَ .

وروى أحمد بسند جيد عن عائشة قالت : آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال « لا يترك بجزيرة العرب دينان » .

قال الجُوَيْنِى والقاضى حسين من أصحابنا : الجزيرة هى الحجاز ، والمشهور أن الحجاز بعض الجزيرة .

ولما مات النبى صلى الله عليه وسلم لم يتفرغ أبو بكر رضى الله عنه لإخراجهم، فأجلاهم عمر رضى الله عنه وهم زُهَاء أربعين ألفاً ، ولم ينقل أن أحداً من الخلفاء أجلاهم من اليمن مع أنها من الجزيرة ؛ فدل على أن المراد الحجاز فقط .

وحكى أن بعض اليهود أظهر كتابا ، وادعى أنه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة ؛ فعرض على أبى بكر الخطيب البغدادى فقال : هذا مُزَوَّر ؛ لأن فيه شهادة معاوية ، وهو أسـلم عام الفتح ، فلم يحضر ما جرى ، وفيه شهادة سعد بن مُعَاذ ، وقد مات فى بنى قُرَيْظة بسهم أصابه فى الخندق ، وذلك قبل خيبر بسنتين ، وذلك من فوائد علم التاريخ ، والله أعلم .

(١) الثلج الاطمئنان ، وفعله من بابى فرح وخرج

الباب الرابع

فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوى ، والحُجُرات المنيفات ، وما كان مُطِيفاً به من الدور والبلاط ، وسوق المدينة ، ومنازل المهاجرين ، واتخاذ السور ، وفيه سبعة وثلاثون فصلا .

الفصل الأول

في أخذه صلى الله عليه وسلم لموضع مسجده الشريف ، وكيفية بنائه

تقدم أن ناقته صلى الله عليه وسلم لما بركت عند باب المسجد قال صلى الله عليه وسلم « هذا المنزل إن شاء الله » وفى كتاب يحيى عن الزهرى أنها بركَتْ عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين، وكان مِرْبَداً[1] لغلامين يتيمين فى حِجْر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته : هذا إن شاء الله المنزلُ ، وقال : اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين ، قاله أربع مرات .

وروى رزين نحوه عن أنس ، ولفظه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا المنزل إن شاء الله » ثم أخذ فى النزول فقال « ربِّ أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » ولم يقل قاله أربعاً .

وفى كتاب يحيى عن الزهرى أيضا أن المِرْبَدَ[1] كان لسَهْل وسُهَيل ، وأنهما كانا فى حجر أبى أمامة أسعد بن زُرَارة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال حين بركت به راحلته « هذا المنزل إن شاء الله » ثم دعا الغلامين فساوَمَهما بالمربد[1] ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نَهَبُهُ لك يا رسول الله ، فأبى أن يقبله هِبَةً حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً .

---

(١) المربد — بزنة منبر — الموضع الذى تحبس فيه الإبل والغنم ، وأصل اشتقاقه من « ربد بالمكان » إذا أقام فيه ، أو من « ربده » أى حبسه .

قال يحيى تبعاً لابن زبالة : وقال بعضهم : كان لغلامين يتيمين لأبى أيوب هما سهل وسهيل ابنا عمرو ، فطلب المربد من أبى أيوب، فقال أبو أيوب : يارسول الله المربد ليتيمين ، وأنا أرضيهما ، فأرضاهما ، فأعطاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتخذه مسجداً . وعند ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لمن هـذا ؟ يعنى المربد ، فقال له معاذ بن عفراء : هو لسهل وسهيل ابنى عمرو يتيمان لى ، وسأرضيهما منـه ، فاتخذه مسجدا ، فأمر به أن يبنى . ويؤيده أنه وقع فى مرسل ابن سيرين عند أبى عبيد فى الغريب أنهما كانا فى حِجْر مُعَاذ بن عفراء . والذى فى صحيح البخارى أنهما كانا فى حجر أسعد بن زرارة ، كذا هو فى رواية الجميع إلا أبا ذر ، ففى روايته سعد بإسقاط الألف ، ورواية الجماعة هى الوجه ؛ إذ كان أسعد من السابقين إلى الإسلام ، وهو المـكنى بأبى أمامة ، وأما أخوه سعد فتأخر إسلامه .

وقد يجمع باشتراك من ذكر فى كونهما كانا فى حجورهم ، أو بانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحداً بعد واحد ، سيما وقد روى ابن زبالة عن ابن أبى فديك قال : سمعت بعض أهل العـلم يقولون : إن أسعدا توفى قبل أن يبنى المسجد ، فابتاعه النبى صلى الله عليه وسلم من ولى سهل وسهيل .

وروى ابن زبالة فى خبر : كان مسجد النبى صلى الله عليه وسلم لسهل وسهيل ابنى أبى عمرو من بنى غنْم ، فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبناه مسجدا.

وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسـلم أرسل إلى ملأ بنى النجار بسبب موضع المسجد ، فقال : يا بنى النجار ، ثامِنُونى (١) بحائطكم هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . وعند الإسماعيلى « إلا من الله » وهو ظاهر فى أنهم لم يأخذوا له ثمنا .

وفى رواية فى باب الهجرة من الصحيح بعد ذكر تأسيس مسجد قُبَاء : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته ، فسار يمشى معه الناس حتى بركت

---

(١) ثامنونى : ساومونى فى ثمنه ، والحائط : الحديقة

عند مسجد الرسول بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين ، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل[1] ، ثم دعا الغلامين فساوَمَهما بالمربد ليتخذه مسجدا ، فقالا : بل نَهَبه لك يارسول الله ، فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجدا .

ووقع فى رواية ابن عُيَينة : فكلم عمهما — أى الذى كانا فى حجره — أن يبتاعه منهما ، فطلبه منهما فقالا : ما تصنع به ؟ فلم يجد بداً من أن يصدقهما ، فأخبرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراده ، فقالا : نحن نعطيه إياه ، فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبنَاه ، أخرجه الجندى . وطريق الجمع بين ذلك — كما أشار إليه الحافظ ابن حجر — أنهم لما قالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله سأل عن من يختص بملكه منهم ، فعينوا له الغلامين ، فابتاعه منهما أو من وليهما أن كانا غير بالغين . وحينئذ فيحتمل أن الذين قالوا « لا نطلب ثمنه إلا إلى الله » تحملوا عنه للغلامين بالثمن ،فقد نقل ابن عقبة أن أسعد عوّضَ الغلامين عنه نخلا له فى بنى بيَاضة . وتقدم أن أبا أيوب قال : هو ليتيمين لى ، وأنا أرضيهما، فأرضاهما، وكذلك معاذ بن عفراء ، فيكون ذلك بعد الشراء . ويحتمل أن كلا من أسعد وأبى أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشىء ، فنسب ذلك لكل منهم . وقد روى أن اليتيمين امتنعا من قبول عوض ، فيحمل ذلك على بَدْء الأمر ، لكن يشكل على هذا ما نقل عن التاريخ الكبير لابن سعد أن الواقدى قال : إنه صلى الله عليه وسلم اشتراه من ابنى عفراء بعشرة دنانير ذهباً ، دفعها أبو بكر الصديق، وقد يقال : إن الشراء وقع من ابنى عفراء لأنهما كانا وليين لليتيمين ، ورغب أبو بكر فى الخير كما رغب فيه أسعد ، وأبو أمامة ومعاذ بن عفراء ، فدفع لهم أبو بكر العشرة ، ودفع كل من أولئك ما تقدم ، ولم يقبله صلى الله عليه وسلم بلا

(١) المنزل : موضع النزول

ثمن أولا لكونه لليتيمين ، لكن ابن سيدالناس نقل عن البلاذرى أنه قال عقب كلامه الآتى : فعرض — يعنى أسعد — على النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها و يغرم لليتيمين ثمنها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وابتاعها منه بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر ، انتهى ؛ فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أخذ أولا بعضَ المربد ، ثم أخذ بعضاً آخر ؛ لما سيأتى من أنه زاد فيه مرة أخرى ؛ فليست القصة متحدة . ورأيت بخط الأقشهرى فى كلام نقله عن أبى جعفر الداوودى عن عبد الله بن نافع صاحب مالك أن المسجد كان مربداً لابنى عفراء .

قلت : يحتمل نسبته إليهما لولايتهما على اليتيمين ، أو أن لليتيمين أمًّا تسمى عفراء، وأما ابنا عفراء المشهوران فهما معاذ ومُعَوذ ابنا الحارث ، والذى فى الصحيح من تسمية الغلامين سهل وسهيل أصح ، والله أعلم .

وفى كتاب يحيى ما يقتضى أن أسعد بن زُرَارة كان قد بنى بهذا المربد مسجداً قبل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه قال : حدثنا بكر ثنا محمد ابن عمر ثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرَارة قال : سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول : أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد ابن ثابت أنها رأت أسعد بن زُرَارة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس الصلوات الخمس ، و يجمع بهم فى مسجد بَنَاه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، قالت : فأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد و بناه ، فهو مسجده اليوم .

ونقل ابن سيد الناس عن ابن إسحاق أن الناقة بركَتْ على باب مسجده صلى الله عليه وسلم، وهو يومئذ ليتيمين من بنى مالك بن النجار فى حجر مُعَاذ بن عَفْراء سهل وسهيل ابنى عمرو ، ثم قال : وذكر أحمد بن يحيى البلاذُرِى ، قال :

فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب ، ووهبت له الأنصار كل فضل كان في خططها ، وقالوا : يا نبي الله إن شئت فخذ منازلنا ، فقال لهم خيراً ، قالوا: وكان أبو أمامة أسعد بن زرارة يُجَمِّعُ بمن يليه في مسجد له ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ، ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حجره يقال لهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبي عمرو ابن عائذ بن ثعلبة بن غنم ، كذا نسبهما البلاذري ، وهو يخالف ما سبق عن ابن إسحاق وغيره ، والأول أشهر ، انتهى ، وتشهيره للأول — وهو كون الغلامين ابني عمرو — تقدم ما يقتضيه ، لكن تقدم أيضاً ما يقتضي الثاني ، وهو الأرجح فقدم صرح ابن حزم في الجمهرة ، ورواه ابن زبالة عن ابن شهاب ، وكذا ذكره ابن عبدالبر . وذكر السهيلي فيما نقله عنه الذهبي ما يحصل به الجمع ويرفع الخلاف إلا أن فيه بعض مخالفة لما تقدم ، فقال : سهل بن عمرو الأنصاري النجاري أخو سهيل صاحب المربد ، وكانا في حجر أسعد بن زرارة ، ينسبان إلى جدهما ، وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن النجار ، انتهى . فعلى هذا يكون سقط من الرواية المتقدمة ابن عمرو بين رافع وأبي عمرو ، وتصحف عبيد بعائذ ، والله أعلم .

وقال المجد : ذكر البيهقي المسجدَ فقال : كان جدارا مُجَدَّرا ليس عليه سقف، وقبلته إلى القدس ، وكان أسعد بن زرارة بَنَاه ، وكان يصلي بأصحابه فيه ، ويُجَمِّع بهم فيه الجمعة قبل مَقْدَم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل التي في الحديقة وبالغَرْقَد أن يُقْطع ، وكان فيه قبور جاهلية ، فأمر بها فنبشت ، وأمر بالعظام أن تُغَيَّبَ ، وكان في المربد ماء مسحل فسيره حتى ذهب — والمسحل : ممشى ماء المطر ، انتهى . ولم أره في المعرفة للبيهقي، ولا في السنن الكبير ، ولا في الدلائل ، والمعروف أنه كان مربدا للتمر : أي يُجَفَّفَ فيه التمر ، وكأنه سماه حديقة لاشتماله على نخل ؛ ففي الصحيحين أن

النبى صلى الله عليه وسلم « لَمَّا أخذه كان فيه نخل وقبور المشركين وخرب ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع ، و بقبور المشركين فنُبِشَتْ ، و بالخرب فسُوِّيَت ، فصفوا النخل قبلة له ، وجعلوا عضادتيه حجارة » وقد قدمنا الكلام على قطع هذا النخل فى أحكام الحرم ، وكأن معنى صف النخل قبلة له جعلها سَوَارِىَ فى جهة القبلة ليسقف عليها كما فى الصحيح « كان المسجدُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللَّبِنِ ، وسقفه الجريد ، وعُمُدُه خشب النخل » وسيأتى فيما أسند يحيى أنه كان فى جوف الأرض — أى أرض المربد — قبور جاهلية ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنُبشت ، فرمى بعظامها ، فأمر بها فغيبت ، وكان فى المربد ماء مستنجل(١) فسيره حتى ذهب » ووقع فى رواية عطاف بن خالد عند ابن عائذ أنه صلى الله عليه وسلم «صلى فيه وهو عريش اثنى عشر يوما ، ثم بناه وسقفه » وسيأتى مايشهد له .

وأسند ابن زبالة عن أنس قال : بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى المسجدَ — أولَ مابناه بالجريد ، قال : وإنما بناه باللَّبِنِ بعد الهجرة بأربع سنين .

قلت : وهو وَاهٍ أو مؤَول ، والمعروف خلافه .

وأسند أيضاً عن شهر بن حَوْشَب قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحجر بناء المسجد قيل له : عريش كعريش أخيك موسى سبع أذرع ، وأسنده يحيى من غير طريقه عن شهر أيضاً بلفظ : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى المسجد ، وأورده رزين بلفظ : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد قال : قيل لى : عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع ، ثم الأمر أعجل من ذلك . وأسند يحيى عن الحسن قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة قال :

---

(١) فى حديث عائشة رضى الله عنها « وكان واديها يجرى نجلا » تريد وادى المدينة ، والنجل : النز ، ويجمع على أنجال ، واستنجل الماء : صار نزا قليلا

ابْنُوا لى مسجداً عريشاً كعريش موسى ، ابْنُوه لنا من لَبِنٍ. وأورده رزين بلفظ : لمـا أخذ فى بناء المسجد قال : ابْنُوا لى عريشاً كعريش موسى، ثُمَامات وخَشَبَات وظُلَّة كظلَّة موسى ، والأمر أعجل من ذلك ، قيل: وما ظلة موسى ؟ قال : كان إذا قام فيه أصاب رأسَهُ السقفُ ، وعمل فيه بنفسه صلى الله عليه وسلم ، ترغيبا لهم ؛ ففى الرواية المتقدمة فى الصحيح عقب قوله « حتى ابتاعه منهما » وطَفِقَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى ثيابه ، ويقول وهو ينقل اللبن :

هذا الحِمَالُ لاَ حِمَالُ خَيْبَرْ   هـــذا أبرُّ رَبَّنَا وأطْهَرْ

ويقول :

اللهم إنَّ الأجْرَ أجْرُ الآخرهْ   فارحم الأنْصَارَ والمُهَاجِرَهْ

قال ابن شهاب : فتمثَّلَ صـلى الله عليه وسلم بشعر رجل من المسلمين ، ولم يبلغنا فى الأحاديث أنه تمثَّلَ ببيت شعر تام غير هذه الأبيات ، زاد ابن عائذ فى آخره : التى كان يرتجزهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد .

والحمال مُخَفَّفٌ بمهملة مكسورة : أى هذا المحمول من اللَّبِنِ أبر عند الله من حمال خيبر ، أى ذات التمر والزبيب . وقوله « رَبَّنَا » أى يار بنا . وأسـند يحيى عن الزهرى فى معنى قوله « هـذا الحمال لا حمال خيبر » قال : كانت يهود إذا صرمت نخلها جاءتهم الأعراب بركائبهم فيحملون لهـم عروة بعروة إلى القرى ، فيبيعون ، يكون لهذا نصف الثمن ولهؤلاء نصفه ، فقال النبى صلى الله عليـه وسلم ذلك . وفى الرواية المتقدمة فى الصحيح عقب قوله «وجعلواعضادتيه حجارة» فجعلوا ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم ، يقولون :

اللهم لاخَيْرَ إلا خيرُ الآخِرَهْ   فانصر الأنصار والمُهَاجِرَهْ

---

(١) قال ابن الأثير : « وفى حديث بناء مسجد المدينة هذا الحمال لا حمال خيبر الحمال بالكسر من الحمل ، والذى يحمل من خيبر التمر ، أى أن هذا فى الآخرة أفضل من ذاك وأحمد عاقبة ، كأنه جمع حمل أو حمل ، ويجوز أن يكون مصدر حمل أو حامل » اهـ بحروفه .

ويذكر أن هذا البيت لعبد الله بن رواحة .

وعن الزهرى : بلغنى أن الصحابة كانوا يرتجزون به ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ويقول :

اللهم لا خير إلا خير الآخرهْ   فارحم المهاجرين والأنصار

وكان لايقيم الشعر، قال الله تعالى : «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ[1]»، وفعل ذلك احتساباً وترغيباً فى الخير ؛ ليعمل الناسُ كلهم، ولايرغب أحد بنفسه عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أسند ابنُ زَبالة عن مجمع بن يزيد أنه قال عقب ذلك : وعملوا فيه ودَأَبُوا ، فقال قائل من المسلمين :

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِىُّ يَعْمَلُ   ذَاكَ إذاً لَلْعَمَلُ المُضَلَّلُ

وأسند أيضا أن على بن أبى طالب كان يرتجز وهو يعمل فيه يقول :

لاَ يَسْتَوِى مَنْ يَعْمُرُ المَسَاجِدَا   يَدْأَبُ فِيهَا قَائِمًا وَقَاعِدَا

* وَمَنْ يُرَى عَنِ الغُبَارِ حَائِدَا *

وأسند هو أيضا ويحيى من طريقه والجند ، ولم يخرجه ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : بنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، فقرب اللبن وما يحتاجون إليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رِدَاءهُ ، فلما رأى ذلك المهاجرون الأولون والأنصار ألقوا أرديتهم وأكسيتهم ، وجعلوا يرتجزون ويعملون ويقولون :

* لَئِنْ قَعدنا والنبىُّ يعملُ * البيت

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه رجلا نظيفا متنظفا ، وكان يحمل اللبنة فيجافى بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نَفَضَ كمه ، ونظر إلى ثوبه ، فإن أصابه شىء من التراب نَفَضه ، فنظر إليه على بن أبى طالب فأنشأ يقول :

* لاَ يستوى مَنْ يعمرُ المساجدا * الأبيات المتقدمة .

---

(١) من سورة يس من الآية ٦٩

فسمعها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها وهو لا يدرى مَنْ يعنى بها ، فمر بعثمان فقال : يا ابن سُمَيَة ، ما أعرفني بمن تعرض ، ومعه جريدة فقال : لتكُفَّنَّ أو لأعترضَنَّ بها وجهك ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل بيتى ، يعنى أم سلمة ، وفى كتاب يحيى « فى ظل بيته » — فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن عمار بن ياسر جِلْدَةُ مابين عينى وأنفى ، فإذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ ، ووضع يده بين عينيه ، فكفَّ الناسُ عن ذلك ، ثم قالوا لعمار : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا القرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فقال : يا رسول الله مالى ولأصحابك ؟ قال : مالك وما لهم ؟ قال : يريدون قتلى ، يحملون لبنةً لبنةً ويحملون عَلَيَّ اللبِنَتَيْنِ والثلاث ، فأخذ بيده فطاف به فى المسجد ، وجعل يمسح وَفْرَتَه[1] بيده من التراب ويقول : يا ابن سُمَيَة لا يقتلك أصحابى ، ولكن تقتلك الفئة الباغية .

وقد ذكر ابن إسحاق القصة بنحوه كما فى تهذيب ابن هشام ، قال : وسألتُ غيرَ واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا : بلغنا أن على بن أبى طالب ارتجز به ، فلا ندرى أهو قائله أم غيره ، وإنما قال ذلك على رضى الله عنه مُطَايبة ومباسطة كما هو عادة الجماعة إذا اجتمعوا على عمل ، وليس ذلك طعنا .

وأخرج ابن أبى شيبة من مرسل أبى جعفر الخطمى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى المسجد وعبد الله بن رواحة يقول :

* أفلح من يعالج المساجدا *

فيقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول ابن رواحة :

* يتلو القران قائما وقاعدا *

فيقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى الصحيح فى ذكر بناء المسجد : وكنا نحمل لَبِنة لَبِنة وعمارٌ لَبِنتين

---

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن

لَبِنتين ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « وَيْحَ عمارٍ تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » وقال : يقول عمار : أعوذ بالله من الفتن .

وأسند ابن زبالة ويحيى عن مجاهد قال : رآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهم يحملون الحجارة على عمار ، وهو يبنى المسجد ، فقال : « ما لَهُمْ ولعمار ؟ يَدْعُوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ، وذلك فعل الأشقياء الأشرار » .

وأسند الثانى أيضا عن أم سلمة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يَبْنُون المسجد ، فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يحمل كل رجل منهم لَبِنة لَبِنة وعمار بن ياسر لَبِنتين لَبِنَةً عنه ولَبِنَةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره وقال : « يا ابن سُمَيَّة لك أجْرَانِ وللناس أجر ، وآخِرُ زادِكَ من الدنيا شَرْبَةَ من لَبَنٍ ، وتقتلك الفئة الباغية » .

وفى الروض للسهيلى : أن معمر بن راشد رَوَى ذلك فى جامعه بزيادة فى آخره ، وهى : فلما قُتِلَ يوم صِفِّينَ دخل عمرو على معاوية رضى الله عنهما فَزِعاً فقال : قُتل عمار ، فقال معاوية : فماذا ؟ فقال عمرو : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : «تقتله الفئة الباغية» فقال معاوية : دحضت[1] فى بَولك، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله مَنْ أخْرَجه .

وروى البيهقى فى الدلائل عن عبد الرحمن السلمى أنه سمع عبدَ الله بن عمرو ابن العاص يقول لأبيه عمرو : قد قَتَلْنَا هذا الرجُل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما قال ، قال : أى رجُل ؟ قال : عمار بن ياسر ، أما تذكر يوم بَنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسجدَ ؟ فكنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « تحمل

---

(١) قال ابن الأثير : «وفى حديث معاوية أنه قال لابن عمرو: لاتزال تأتينا بهنة تدحض بها فى بولك ، أى تزلق ، ويروى بالصاد : أى تبحث فيها برجلك » اهـ

لبنتين لبنتين وأنت ترحض[1] ، أما إنك ستقتلك الفئة الباغية ، وأنت من أهل الجنة » فدخل عمرو على معاوية فقال : قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، فقال : اسكت ، فوالله ما تزال تدحض فى بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله علىّ وأصحابه ، جاءوا به حتى ألقوه بيننا .

قلت : وهو يقتضى أن هذا القول لعمار كان فى البناء الثانى للمسجد ؛ لأن إسلام عمرو كان فى الخامسة كما سبق .

وأسند ابن زبالة عن حسن بن محمد الثقفى قال : بينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبنى فى أساس مسجد المدينة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فمر به رجل فقال : يارسول الله مامعك إلاهؤلاء الرّهْط ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء ولاة الأمر من بعدى .

وروى أبو يَعْلَى برجال الصحيح إلا أن التابعى لم يُسَمَّ عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما أسَّسَ رسولُ الله صلى عليه وسلم مسجدَ المدينة جاء بحَجَر فوضَعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه ، وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسُئِل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : هذا أمر الخلافة من بعدى .

وتقدم فى تأسيس مسجد قُبَاء نحو ذلك من غير ذكر أمر الخلافة

وقال الأقشهرى فى روضته : روى صاحبُ السيرة ولم يسمه أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يامحمد ، إن الله يأمرك أن تبنى له بيتا ، وأن ترفع بنيانه بالرهص والحجارة — والرهص : الطين الذى يتخذمنه الجدار — فقال : كم أرفعه ياجبريل ؟ قال : سبعة أذرع ، وقيل : خمسة أذرع ، ولما ابتدأ فى بنائه أمر بالحجارة وأخذ حَجَرا فوضعه بيده أولا ، ثم أمر أبا بكر فجاء بحجر

---

(١) ترحض : أى تسيل عرقا ، مأخوذ بن الرحضاء ، وهو عرق يغسل الجلد لكثرته ، وكثيراً مايستعمل فى عرق الحمى والمرض .

فوضعه إلى جنب حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عمر كذلك ، ثم عثمان كذلك ، ثم عليا ، انتهى ما ذكره الأقشهري ومن خطه نقلته .

وروى البيهقي في الدلائل عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما بنى النبي صلى الله عليه وسلم المسجدَ وضَع حجرا ، ثم قال : لِيَضَعْ أبو بكر حجره إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم قال : لِيَضَعْ عثمان حجره إلى جنب حجر عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هٰؤُلاَء الخلفاء من بعدي » .

وأسند يحيى عن أسامة بن زيد عن أبيه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حجر ، فلقيه أُسَيْدُ بن حُضَير فقال : يا رسول الله أعْطِنِيهِ ، فقال : اذْهَبْ فاحتمل غيره ، فلستَ بأفقر إليه مني .

وعن مكحول قال : لما كثر أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : اجعل لنا مسجدا ، فقال: خَشَبَات وثُمَامات ،عريشٌ كعريش أخي موسى صلوات الله عليه ، الأمر أعجل من ذلك .

ورواه رزين ، وزاد فيه : فطَفِقُوا ينقلون اللَّبِنَ وما يحتاجون إليه ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ، فلقيه رجلٌ ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة فقال : أعطنيها يا رسول الله ، فقال : اذْهَبْ فخذ غيرها ، فلست بأفْقَرَ إلى الله مني .

ونقل المجدُ عن رواية محمد بن سعد نحوه ، قال : وجاء رجل يُحسن عَجْنَ الطين ، وكان من حَضْرَمَوْتَ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَحِمَ الله امرأ أحسن صنعته ، وقال له : الزم أنت هذا الشغل فإني أراك تحسنه .

وفي كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهري : كان رجل من أهل اليمامة يقال له طلق من بني حنيفة يقول : قدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده ، والمسلمون يعملون فيه معه ، وكنتُ صاحبَ علاج وخَلْط

طين ، فأخذت المِسْحَاة أَخْلِطُ الطينَ والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ويقول : إن هذا الحَنَفِيَّ لصاحبُ طين .

وروى أحمد عن طلق بن على قال : بنيتُ المسجدَ مع النبى صلى الله عليه وسلم، فكان يقول : قربوا اليمامى من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا .

وعنه أيضا قال : جئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد ، قال : فكأنه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذتُ المِسْحَاة فَخَلَطْتُ بها الطين ، فكأنه أعجبه أخذى المسحاة وعملى فقال : دَعُوا الحَنَفِيَّ والطينَ فإنه من أصنعكم للطين .

وأسند ابنُ زبالة ويحيى من طريقه فى أثناء كلام عن ابن شهاب فى قصة أخذ المِرْبَد ، قال : فبناه مسجدا ، وضربَ لبِنَهُ من بقيع الخَبْخَبَةِ ناحية بئر أبى أيوب بالمناصع والخبخبة : شجرة كانت تنبت هناك .

وأسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمر عن يزيد بن السائب عن خارجة ابن زيد بن ثابت قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين فى ستين ذراعا أو يزيد ، ولَبَّنَ لَبِنَهُ من بقيع الخبخبة ، وجعله جدارا ، وجعل سَوَارِيه خشبا شَقَة شقة ، وجعل وسطه رحبة ، وبنى بيتين لزوجتيه .

قال عبد العزيز : فسألت زيدا : أين بقيع الخبخبة ؟ قال : بين بئر أبى أيوب وتلك الناحية ، وهذا بقيع الغرقد لبقيع المقبرة ، وقال : سألت عبد العزيز عن بقيع الخبخبة فقال : هى ـ أى الخبخبة ـ يسار بقيع الغرقدحين تقطع الطريق وتلقاها عند مسجد يحيى ، فقلت : ومن يحيى صاحب المسجدالذى ذكرت ؟ فقال : يحيى بن طلحة بن عبيد الله .

قلت : بقيع الخبخبة لايعرف اليوم كما ذكره شيخ مشايخنا الزين المراغى ، لكن الخارج من درب البقيع إذا مشى فى البقيع لجهة مشهد سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وصار مشهد سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه يكون على يساره طريق تمر بطرف الكومة ، فإذا سلكها انتهى بعد رأس

العطفة التى على يمينه إلى حديقة تعرف قديما بأولاد الصيفى بها بئر ينزل إليها بدرج تعرف ببئر أيوب قديما وحديثا ، وعن يسار الخارج من درب البقيع أيضا إذا سلك طريق سيدنا حمزة فى شامى الحديقة المعروفة بالرومية حديقة تعرف بالرباطية وقف رباط اليمنة بها بئر . قال المراغى : تعرف ببئر أيوب أيضا ، يتبرك بها الناس ، وهى بالقرب من الحديقة المعروفة بدار نخل ، وهى عن يسار بقيع الغرقد أيضا ، قال الزين المراغى : ولعلها أقرب إلى المراد

قلت : والذى يظهر أن الأولى هى المراد ، لما سنبينه فى الآبار .

وفى كتاب رزين مالفظه : عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسميط لَبِنَةً على لبنة ، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى ، ثم كثروا فقالوا : يارسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فبنى بالذكر والأنثى ، وهى لبنتان مختلفتان ، وكانوا رفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة ، وجعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا فى العرض ، وكان مربعاً . وفى رواية جعفر: ولم يسطح ، فشكوا الحر فجعلوا خشبه وسَوَارِيه جُذُوعا ، وظللوا بالجريد ثم بالخصف ، فلما وكف[1] عليهم طَيَّنوه بالطين، وجعلوا وسطه رحبة ، وكان جداره قبل أن يُظَلَّل قامة وشيئاً ، انتهى . والظاهر أنه ليس جميعه من كلام جعفر ؛ بدليل قوله فى الأثناء « وفى رواية جعفر »

وقد ذكر ابن زبالة ويحيى من غير طريقه كلام جعفر متمحضا فأسندا عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان بناء مسجده بالسميط لبنة لبنة ، ثم إن المسلمين كثروا فبناه بالسعيدة ، فقالوا : يا رسول الله لوأمرت مَنْ يزيد فيه ، فقال : نعم ، فأمر به فزيد فيه ، وبنى جداره بالأنثى والذكر ، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا : يا رسول الله لو أمرتَ بالمسجد فظُلِّل ، قال : نعم ، فأمر به فأقيمت فيه سَوَارى

(١) وكف عليهم : أراد نزل المطر وتقاطر من سقفه . تقول : وكف المطر يكف — مثل وعد يعد — إذا وقع ونزل

من جُذُوع النخل ، ثم طرحت عليها العوارض والخَصَفُ والإذخر ، فعاشوا فيه ، وأصابتهم الأمطار ، فجعل المسجد يَكِفُ عليهم ، فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فَطُيِّن ، فقال : لا ، عريش كعريش موسى ، فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جداره قبل أن يُظَلل قامة ، فكان إذا فاء النيء ذراعا وهو قدمان يصلى الظهر ، فإذا كان ضِعْفَ ذلك صلى العصر ، ثم نقلا عنه تفسير السميط والسعيدة والأنثى والذكر بما تقدم ، ولم يذكرا ذزعا .

وفى الإحياء عن الحسن مرسلا : لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال : ابْنِهِ سبعَةَ أذرع طولا فى السماء ، ولا تزخرفه ، ولا تنقشه ، انتهى .

وتقدم فيما نقله الأقشهرى عن صاحب السيرة عن جبريل عليه السلام فى ارتفاعه سبعة أزرع ، وقيل : خمسة .

وأسند يحيى عن أسامة بن زيد عن أبيه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حجر ، فلقيه أسيد بن حُضَير ، وذكر ما قدمناه ، ثم قال : قال — يعنى زيداً — ورفعوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ، وكان فى جوف الأرض قبور جاهلية ، فأمر بالقبور فنبشت فرمى بعظامها ، وأمر بها فغيبت ، وكان فى المربد ماء مستنجل فسَرَّبَهُ حتى ذهب ، وكان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مما يلى القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفى الجانبين الآخرين مثل ذلك فهو مربع ، ويقال : إنه كان أقل من مائة ذراع ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ، أى وهو فى جهة

---

(١) العوارض : أراد بها قطع الخشب ، والخصف : جمع خصفة ، وهى الجلة التى يكنز فيها التمر ، وتكون من الخوص ، وكأن المراد هنا ما قدم من ذلك حتى صار لا يصلح للاستعمال ، والإذخر : حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب

القبلة اليوم ، وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو باب آل عثمان اليوم ، وهذان البابان لم يُغَيرا بعد أن صُرِفت القبلة ، ولما صرفت القبلة سَدَّ النبى صلى الله عليه وسلم البابَ الذى كان خلفه وفتح هذا الباب ، وحذاء هذا الباب — أى ومحاذيه — هذا البابُ الذى سُد . وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله : ولما صرفت القبلة سد الباب الذى كان خلفه وفتح بابا حذاءه . قال المجد : أى تجاهه ، انتهى

وذكر الأقشهرى فى خبرٍ عن ابن عمر ما يخالف هذا ، فإنه قال : وعن عبد الله بن عمر قال : كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمانه من اللَّبِن ، وسَقْفُهُ من غصن النخل ، وله ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ، وباب عاتكة وهو باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه وهو باب عثمان ، وهو الذى يسمى اليوم باب جبريل ، ولما صُرِفت القبلة سد الباب الذى خلفه وفتح الباب الآخر ، وهو الذى يسمى باب النساء ، انتهى . وهو غريب ، ولعل قوله « وهو الذى يسمى باب النساء » مِنْ تصرفه وفهمه فى معنى الخبر ، ولذلك أورد عقبه حديث أبى داود مرفوعا « لو تركنا هذا الباب للنساء » لكن أبو داود بيّن أن الأصح أنه من قول عمر كما سيأتى ، وعلى ما ذكره فلم يجعل للمسجد بعد التحويل بابا خلفه ، ويرده قول يحيى عقب ماتقدم عنه « فكان المسجد له ثلاثة أبواب : باب خلفه ، وباب عن يمين المصلى ، وباب عن يسار المصلى ، ثم انتهوا إلى البناء باللبن ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل معهم اللبن فى ثيابه ويقول :

* هذا الحِمَالُ لا حِمَالُ خيبر * الرجز المتقدم

وروى أحمد عن أبى هريرة أنهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، قال : فاستقبلتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو عارضٌ لبنةً على بطنه ، فظننت أنها شَقَّتْ عليه ، فقلت : ناولنيها يا رسول الله ، قال : خذ غيرها يا أبا هريرة فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة

قلت : وهذا فى البناء الثانى ، أى لأن أبا هريرة لم يحضر البناء الأول ؛ لأن قدومه عام فتح خيبر

وأسند ابنُ زَبالة من طريق ابن جُرَيج عن جعفر بن عمرو قال : كان المِرْبَدُ لسهل وسهيل ابنى عمرو فأعطياه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فبناه ، وأعان أصحابه أو بعضهم بنفسه فى عمله ، وكان على بن أبى طالب يرتجز وهو يعمل فيه ، قال : وبناه النبى صلى الله عليه وسلم مرتين : بناه حين قدم أقل من مائة فى مائة ، فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزاد عليه مثله فى الدور

زيادة النبى فى مسجده

وروى الطبرانى بإسناد فيه ضعيف عن أبى المليح عن أبيه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لصاحب البقعة التى زِيدَتْ فى مسجد المدينة — وكان صاحبها من الأنصار — فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لك بها بيت فى الجنة » قال : لا ، فجاء عثمان فقال له « لك بها عشرة آلاف درهم » فاشتراها منه ، ثم جاء عثمان إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اشترِ منى البقعة التى اشتريتها من الأنصارى ، فاشتراها منه ببيت فى الجنة ، فقال عثمان : إنى اشتريتها بعشرة آلاف درهم ، فوضع النبى صلى الله عليه وسلم لبنة ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة ، ثم دعا عمر فوضع لبنة ، ثم جاء عثمان فوضع لبنة ، ثم قال للناس « ضَعُوا » فوضعوا

وروى الترمذى وحَسَّنَه فى حديث قصة إشراف عثمان على الناس يوم الدار (١) عن ثُمَامة بن حَزْن القُشَيْرى أن عثمان رضى الله عنه قال : أَنْشُدُكم بالله و بالإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ يشترى بقعة آل فلان فيزيدها فى المسجد بخير له منها فى الجنة ؟ فاشتريتها من صُلْب مالى ، فأنتم اليوم تمنعوننى (٢) أن أصلى فيها ركعتين ، قالوا : اللهم نعم ، الحديثَ ، وأخرجه الدار قطنى أيضا ، وكذا أحمد بنحوه .

وأخرجا أيضا حديثا طويلا عن الأحنف بن قيس فيه : أن عثمان رضى الله عنه

(١) يريد إشرافه على الخارجين عليه فى خلافته حين حاصروه ومنعوه الخروج إلى المسجد للصلاة فيه (٢) فى المطبوعات « تمنعونى »

قال : أههنا علىّ ؟ قالوا : نعم ، قال : أههنا طلحة ؟ قالوا : نعم ، قال : أنشدكم بالله الذى لا إلهَ إلا هو أتعلمون أن رسول‌الله صلى الله عليه وسلم قال : أَمَنْ يبتاع مِرْبَدَ بنى فلان غفر الله له ، فابتعته بعشرين ألفاً أو خمسة وعشرين لفا ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت : قد ابتعته ، فقال : اجعله فى مسجدنا وأجره لك ، قالوا : اللهم نعم .

وأخرج خيثمة بن سليمان فى فضائل عثمان عن قتادة قال : كانت بقعة إلى جَنْب المسجد فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ يشتريها ويُوَسِّعها فى المسجد له مثلها فى الجنة ، فاشتراها عثمان ، فوسَّعها فى المسجد .

وأسند ابنُ زبالة عن خالد بن مَعْدَان قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عبدالله بن رَوَاحة وأبى الدرداء ومعهما قَصَبة يَذْرَعان بها المسجد ، فقال: ما تصنعان ؟ فقالا : أردنا أن نبنى مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنيان الشام ، فيقسم ذلك على الأنصار ، فقال : هاتياها ، فأخذ القصَبَة منهما ، ثم مشى بها حتى أتى الباب ، فَدَحَا[1] بها ، وقال : كلا ، ثُمَام وخُشَيْبات وظُلَّة كظلة موسى ، والأمر أقرب من ذلك ، قيل : وما ظلة موسى ؟ قال : إذا قام أصاب رأسَهُ السقفُ .

وروى البيهقى فى الدلائل من طريق يَعْلَى بن شداد عن عُبَادة أن الأنصار جَمَعُوا مالا فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ابْنِ بهذا المسجدَ وزَيِّنْهُ ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : مابى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى .

وروى البيهقى أيضاً عن الحسن فى بيان عريش موسى قال : إذا رفع يَدَه بلغ العريش ، يعنى السقف .

وعن ابن شهاب : كانت سَوَارى المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه

---

(١) دحا بها : رمى بها وألقاها

وسلم جُذُوعا من جذوع النخل ، وكان سقفه جريداً وخوصاً ليس على السقف كثير طين ، إذا كان المطر امتلأ المسجد طيناً ، إنمـا هو كهيئة العريش .

وفى الصحيح فى ليلة القدر : و إنى أُريتُ أنى أسجد فى ماء وطين ، فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرجع ، فرجعنا وما نَرَى فى السماء قزعة[1] فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد ، وكان من جريد النخـل ، وأقيمت الصلاة ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فى الماء والطين ، حتى رأيت أثر الطين فى جبهته .

الفصـــــل الثانى

فى ذَرْعِه وحُدُوده التى يتميز بها عن سائر المسجد اليوم .

اعـلم أن الذراع حيث أطلق فالمراد به ذراع الآدمى ، وقد قدمنا فى تحديد الحرم أنه[2] ذراع غير ثمن من ذراع الحديد المستعمل بمصر و بمكة ، وهو شـبران تقريباً ، وقد تحصلنا كما تقدم فى ذرع المسجد على أربع روايات : الأولى: سبعون ذراعا فى ستين أو يزيد ، والثانية : مائة ذراع فى مائة ، وأنه مربع ، والثالثـة : أنه أقل من مائة ذراع ، وهذا صادق بالأولى فليحمل عليها ، الرابعة : أنه بَنَاه أولا أقلّ من مائة فى مائة ، ثم بناه وزاد عليه مثـله فى الدور ، ولا يصح أن يُرَاد بذلك الأذرع قطعاً ؛ لأنها تقتضى أنه بعد البناء الثـانى صار أحد امتداديه إما الطول أو العرض نحو مائتى ذراع ، والامتداد الآخر نحوها ، ولا شـك أن حَدَّ مسجده صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق غايته الحجرة الشريفة ، فعرضه من جدارها إلى جدار المسجد الغربى ، وذرع هذا القدر اليوم بعد الزيادات المجمع عليها لا تبلغ مائة وخمسين ذراعا كما اختبرته ، بل تنقص أزيد من ستة أذرع ، وقد أجمع المؤرخون على أن عمر وعثمان رضى الله عنهما زادا فى المسجد من هذه الجهة ، ثم غيرهما من الخلفاء ؛

(١) القزعة — بفتحات — القطعة من الغيم ، وجمعها قزع

(٢) أى ذراع الآدمى

فالظاهر أن المراد من هذه الرواية الأشبار لا الأذرع ، فيقتضى أن المسجد النبوى بعد البناء الثانى صار أحدُ امتداديه مائتى شبر ، والامتداد الآخر نحوها ؛ فيوافق رواية مائة ذراع فى مثلها ، على أن ما ذكره المتأخرون من التحديد بالأمور الآتية يقتضى أنه لم يكن مائة ذراع ؛ فهو مقتض لترجيحهم الرواية الأولى ، وهى سبعون ذراعا فى ستين ، وتكون السبعون للطول والستون للعرض .

وقد نقل النووى ذلك فى منسكه عن خارجة بن زيد أحَدِ فقهـاء المدينة السبعة ، ولفظه : بَنَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا فى ستين أو يزيد ، وهو الذى جزم به ابن النجار فقال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده مربعا ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وطوله سبعين ذراعا فى ستين ذراعا أو يزيد ، انتهى .

هذا ، وقد قال يحـيى قبيل ما جاء فى حُجَر أزواج النبىّ صـلى الله عليه وسلم : حدثنى هارون قال : حدثنا محمد بن يحيى — يعنى صاحب مالك — قال : فيما كان انتهى إلينا من ذَرْعِ مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من القبلة إلى حده الشامى أربعــة وخمسون ذراعا وثلثا ذراع ، وحده من المشرق إلى المغرب ثلاث وستون ذراعا ، يكون ذلك مكسرا ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعين ذراعا ، انتهى .

وقال ابن النجار : أعـلم أن حدود مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى الذى كان فى زمنه — من القبلة الدرابزينات التى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة ، ومن الشام الخَشَبَتَان المغروزتان فى صحن المسجد ، وأما من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى الأسطوان الذى بعد المنبر ، وهو آخر البلاط ، انتهى .

وفيما ذكره ابن النجار مناقشة : أما ما ذكره من التحديد بالدرابزينات من جهة القبلة و بالخشبتين من جهة الشام ، فالخشبتان اليوم غير معروفتين ، وقد نبه

على فَقْدِهما الزينُ المراغى ، وكلام المطرى يفهمه ، ولم أر لهما ذكرا فى كلام المتقدمين ، نعم ذكر ابن زبالة كلاما فيه غموض يقتضى تحديدَ بعض جهات المسجد بعُودَيْنِ عَلاَ الكبسُ على أحدهما ، وأن الآخر كان موجودا فى زمانه ، فلعل ذلك مأخذ ابن النجار ، وعبارة ابن زبالة تنبو[1] عن ذلك ؛ إذ لم يذكرها فى حد جهة الشام ، والحد من هذه الجهة اليوم ـ على ما يعرف فى زماننا ـ الحَجَرَان الآتى ذكرهما فى صحن المسجد ، وسيأتى ما يقتضى رد ذلك

وذكر ذلك ابن جماعة فى منسكه فقال: قد عَرَّفَ المتأخرون مقدارَ المسجد الذى كان عليه أولا فقالوا : كان على التربيع من الحجرة المقدسة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب ، ومن موضع الدرابزين الذى هو بين الأساطين المتصل بالصندوق أمام المصلَّى الشريفِ إلى موضع الحَجَرَيْن المغروزين فى صحن المسجد الشريف ، انتهى . ومستنده فى ذلك قول المطرى فى الحجرين المذكورين يذكر أنهما حد المسجد من جهة الشام والمغرب ، قال : لكنهما ليسا على سَمْت المنبر الشريف ، بل هما داخلان إلى جهة المشرق بمقدار أربعة أذرع أو أقل ، وكذا متقدمان إلى القبلة بمثل ذلك ، قال : لأنى اعتبرتُ ذلك بالذرع فوجدتهما ليسا على ذرع المسجد الأول .

قلت : كونهما داخلين عن سَمْتِ المنبر إلى جهة المشرق بما ذكر لا يقدح فى كونهما الحدَّ المذكور؛ لأن المراد أن جهة المغرب هناك فى سَمْتهما ، كما أن المراد أن جهة الشام فى سَمْتهما ، لا أنها ما يحاذى الحجرين فقط ، ووقع الاستغناء عن تحرير ابتداء جهة المغرب بما تقدم له نقلا عن ابن النجار من الأسطوانة التى تلى المنبر من تلك الجهة ، كما استغنى بكون الحجرة الشريفة حده من جهة المشرق ؛ إذ لم يذكر حد لجهة المشرق مما يلى الحجرين فى جهة الشام ، وفى الحقيقة لم يقصد بهما سوى بيان جهة الشام ، عَلَى أنه يحتمل أن مقدم المسجد كان أعرض من

---

(١) تنبو : تبعد ، وأراد أنها لاتوافق

مؤخره كما هو موجود اليوم ، فيكون الحجران حده من جهة المغرب حقيقة ، وأما قوله إنهما متقدمان إلى القبلة بأربعة أذرع و إنهما ليسا على ذَرْعِ المسجد الأول يعنى السبعين التى ذكرها ابن النجار فقد بَنَاه على ما قاله أيضا من أن الدرابزينات التى ذكرها ابن النجار من جهة القبلة متقدمة على موضع الحائط القبلى ؛ لأن الحائط القبلى كان محاذيا لمصلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إنما جعل هذا الصندوق الذى فى قبلة المصلى الشريف أى بين المصلى والدرابزينات سترة بين المقام المشريف و بين الأسطوانات ، قال : وورد أيضا أنه كان بين الحائط القبلى و بين المنبر ممر الشاة ، و بين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع ذراع ، والمنبر لم يغير من جهة القبلة ، وكذا المصلى الشريف، انتهى. فلم يعتبر الذرع من الدرابزينات

وقد اختبرتُ أنا ذلك بنفسى من الدرابزينات المذكورة إلى الحجرين المذكورين فكان سبعين ذراعا بذراع اليد المتقدم ذكره ، وقد قال ابن جماعة : إنه اخْتَبَر ذلك بذراع العمل فكان ستة وأربعين ذراعا وثلثى ذراع ؛ فهو موافق لذرعنا ، بل يرجح قليلا ؛ لأن ذراع العمل ذراع ونصف راجح من ذراع اليد .

وأما ما ذكره المراغى فى كتابه من الذَّرْع فغير موافق لذرعنا ؛ لأنه اعتمد فى ذلك كما صرح به على ذراع المدينة الشريفة اليوم ، وقد اختبرته فوجدته يزيد على ذراع اليد الذى حررناه بأكثر من قيراط ، وقول المطرى « إن بين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع » مخالفٌ لما اختبرناه ؛ فإن بينهما ثلاثة أذرع ونصف بالذراع الذى حررناه ، لكن سيأتى أن المنبر اليوم ليس هو ذلك ، وأنه قد اتضح لنا عند الحفر لتأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره صحة ما قاله المطرى ، وأن المنبر الذى أدركناه قُدِّمَ عن محل المنبر الأصلى لجهة القبلة أزيد من نصف ذراع ، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر ابن زبالة ويحيى من طريقه نقلا عن غير واحد من أهل العلم تحديدَ المسجد الشريف من هذه الجهة فقالا : وعلامته فى القبلة حروف المرمر الذى المنبرُ وَسطه ، وعلامته من الشام أربعة طيقان من ناحية المشرق والمغرب ، وعلامة الطيقان الأربع أنهن مخضرات الأجْوَاف بالفُسَيْفِساء كلهن .

قلت : والمرمر اليوم لايظهر منه شيء . لكن يؤخذ من كلام ابن زبالة فى وصف هذا المرمر أنه كان دكة مرتفعة حول المنبر قدر الذراع ، وأنه ممد من المغرب قدر ثلاثة أذرع ، ومن المشرق ثلاثة ، ومن القبلة ثلاثة ، فإنه قال : حدثنى محمد بن إسماعيل قال : رأيت طِنْفِسَة[1] كانت لعبد الله بن حسن بن حسن تطرح قبالة المنبر على مرمر كان هناك ، قال : فحبس عبد الله بن حسن سنة أربعين ومائة ، وبقيت الطنفسة بعده أياماً ، ثم رفعت ، قال : ثم إن الحسن بن زيد بن الحسن بن على رضى الله عنهم لما ولى المدينة سنة خمسين ومائة فى خلافة أبى جعفر نَقَضَ المرمر ووسَّعه من جوانبه كلها حتى ألحقه بالسوارى ، فكلمه أبو مودود عبد العزيز بن أبى سليمان أن يَدَعَ له مُصَلاه فتركه ولم يلحق المرمر بالأساطين المقدمة ؛ فالمرمر اليوم هو الذى عمل الحسن بن زيد ، والمرمر الذى حَوْلَ المنبر المرتفع عن المرمر الذى عمل الحسن بن زيد بين ستة أساطين ثلاثة أذرع من قبل القبلة وثلاثة أذرع من قبل المشرق وثلاثة أذرع من قبل المغرب ، وهو مرتفع عن الأرض نحوا من ذراع ، انتهى .

وقال فى موضع آخَر : عَرْضُ المرمر الذى حول المنبر ثمانية أذرع ، وطوله ثمانى عشرة ذراعا ، وسماه فى موضع آخر رخاما ، وهو يطلق عليه لغة ، وسيأتى ذكر هذه الدكة التى المنبرُ فى وسطها عن ابن النجار حيث قال : وارتفاع الدكة التى المنبر عليها شبر وعقد ، فكأنَّ الكَبْس علا ؛ فإنها كانت ذراعا فى زمن ابن زبالة ، وفى زمن ابن النجار شبرا وعقدا ، ثم علا الكبس فلم يوجد اليوم ،

(١) الطنفسة ـ بكسر فسكون فكسر ـ البساط .

وقد ظهر أثرها وأثر الرخام المذكور عند حَفْر ما حول المنبر الشريف ، وشاهدتُ الرخام الذى فى قبلته كما سيأتى ، وتلخص من هذا أن المرمر كان فى جهة القبلة ثلاثة أذرع بعد المنبر ، والظاهر أن عَرْضَ جدار المسجد الشريف أدخل فى ذلك من جهة القبلة ؛ فقد روى يحيى فى ترجمة ما جاء فى زيادة الوليد أن عمر بن عبد العزيز أحْضَرَ رجالا من قريش فأرَوْهُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [و] الذى زاد فيه عمر ، والذى زاد فيه عثمان ، فعلّم عمر بن عبد العزيز المسجد الأول الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان جدار القبلة من وراء المنبر ذراعا وأكثر من ذراع . وروى ابن زبالة أخباراً تتضمن أن جدار القبلة كان بينه وبين المنبر قدر ممر العَنْزِ ، وفى العتبية ممر الرجل منحرفاً ، وفى الصحيح عن سهل : كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة . وفيه أيضاً عن سلمة : كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزه ؛ فتعين ما أشرنا إليه من إدخال جدار المسجد فى ذلك الممر الذى جعل علامة فى جهة القبلة ، وأما الطاقات الأربع التى ذكرها علامة لنهاية المسجد من جهة الشام فغير معروفة اليوم ، إلا أنه سيأتى فيما نقله المرجانى عن الحارث المحاسبى ما يبين محلها .

وأما الجواب على ما ذكر المطرى من كون الدرابزينات متقدمة فالظاهر أن ابن النجار فَهِمَ أن المراد إدخال عرض الجدار الذى كان موجوداً فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، لما تقرر عندنا من أن جدار المسجد من جملة المسجد ، ويؤيده ما تقدم من التحديد بالمرمر من تلك الجهة ، وما سيأتى فى الفصل الثانى عشر من رواية أحمد عن نافع أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد من الأسطوانة — أى التى عند المصلَّى الشريف — إلى المقصورة ؛ لأن ذلك هو الرواق الذى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة وبين الأساطين التى تليها فى القبلة . وقد قال المراغى : إن الذى ظهر له أن الصندوق الذى فى قبلة المصلَّى الشريف جعل فى

مكان الجدار القديم ، و يشهد له ماسيأتى عن يحيى فى ذَرْع ما بين المصلى الشريف وجدار القبلة اليوم ، لكن عرض هذا الصندوق ذراعان، و بينه و بين الدرابزين أرجح من نصف ذراع ، وذلك فيما يظهر أزيد من عرض الجدار القديم بنحو الذراع ؛ لأنى شاهدت لبناً أخرج من جدران الحجرة الشريفة فى العمارة التى أدركناها أولا يزيد فى الطول على الذراع ، وعرضه نصف ذراع ، وسمكه ربع ذراع ، وفيه شيء مرتفع طوله وعرضه وسمكه واحد ، وكل ثنتين منه طول لبنة مما قدمناه ، والذى يظهر أنه كان من بقايا لبن الحجرة الشريفة التى كانت مبنية به أولا جعل للتبرك لأنه أتى غير مستوٍ ، والجدار مبنى بالحجارة الوجوه المحكمة و بالقصة ؛ فلا يناسبه وضع ذلك فيه ، ولهذا جعل بين الحجارة الوجوه فى أعالى الجدار ، وقد تقدم أن الذى استقر عليه عرض الجدار فى زمنه صلى الله عليه وسلم الأنثى والذكر ، وهما لبنتان مختلفتان ، واللبنتان المختلفتان من هذا اللبن الذى رأيناه أو اللبنة ونصف الآخرى وهو السعيدة يزيد على ذراع ونصف يسيراً ، فيكون ذلك هو عرض الجدار فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، و يشهد له ماشاهدناه أيضاً فى عرض جدار الحجرة الشريفة على ما سنذكره ، ثم اتضح الحال بظهور المرمر الذى فى قبلة المنبر ؛ فإنا وجدنا بينه و بين الدرابزين المذكور أرجح من ذراع ، و بينه و بين طرف محل المنبر الأصلى من جهة القبلة ثلاثة أذرع سواء ، كما ذكر ابن زبالة ؛ فذلك هو عرض الجدار مع ما كان بين المنبر و بينه .

وأما ماذكره ابن النجار من التحديد بالأسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب وأنها آخر البلاط و بالحجرة الشريفة من جهة المشرق ؛ فالبلاط الذى ذكره لا يوجد اليوم ، وكأنه يريد به الرخام الذى كان المنبر وسطه ، وقد عبر عن ذلك ابن جماعة كما تقدم بقوله : من الحجرة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب ، فإن السابعة من صف الأساطين المذكورة هى التى تلى المنبر من

المغرب إن عَدَدْنَا الأسطوان الملاصق للحجرة ، ولم أر لما ذكره ابن جماعة مستنداً فى كلام المؤرخين سوى ما ذكره ابن النجار ؛ فيتعين الحمل على الأسطوانة المذكورة، وقد ذرَعْتُ ما بين الأسطوانة التى تلى المنبر عند ظهره من المغرب إلى حائز عمر بن عبد العزيز الذى داخله الحجرة الشريفة بمقط ؛ فكانت مساحته سبعة وخمسين ذراعاً ونصف ذراع راجح ، وعرض الحائز المذكور ذراع وربع راجح ، كما تحرر لى عند عمارة ما نقض منه ، وليس بينه و بين جدار الحجرة من هذه الجهة فضاء أصلا ، بل هو لاصق به ليس بينهما مغرز إبرة خلاف ما ذكره المؤرخون ؛ فيكون ما بين الأسطوانة المذكورة والحجرة الشريفة تسعة وخمسون ذراعاً ينقص يسيراً ، وكأنّ ابن النجار جرى على قول من تقدمه من المؤرخين فى أن بين الحائز وجدار الحجرة فضاء من هذه الجهة ، وظن أن عرض الحائز أكثر مما ذكرناه ؛ فجعل نهاية قولهم فى عرض المسجد ستين ذراعاً أو يزيد إلى الاسطوانة التى تلى المنبر أو أن ذلك القدر الناقص لتفاوت الأذرعة ، على أن الظاهر أن ابن جماعة لم يعتبر الأسطوانة اللاصقة بالحجرة ، وأنه جعل السارية السابعة هى التى تلى السارية التى تلى المنبر فى جهة المغرب ، وهى الثانية من المنبر فى تلك الجهة ، فإنه قال: إنه ذَرَعَ ما بين الأسطوانة السابعة إلى حائز الحجرة الشريفة فكان ذلك اثنين وأربعين ذراعاً وثلثى ذراع بذراع العمل .

قلت : وقد اعتبرت ما ذكره من الذرع بذراع العمل فرأيته ينتهى إلى الأسطوانة الثانية من المنبر فى جهة المغرب ، وذرعته بذراع اليد الذى حررناه فكان خمساً وستين ذراعاً ، وهو مطابق لما قاله ابن جماعة ولما اختبرناه بذراع العمل ؛ لأن ذراع العمل ذراع وثلث من ذراع الحديد المستعمل بمصر ، وذلك اثنان وثلاثون قيراطاً ، والذراع الذى حررناه أحد وعشرون قيراطاً ، فذراع العمل ذراع ونصف قيراط بالذراع الذى حررناه ، وقد مال المراغى إلى اعتبار التحديد بهذه الأسطوانة — أعنى الثانية من المنبر — فإنه ذكر عدم وجود البلاط اليوم ،

ثم قال : لكنى اعتبرت ذَرْعَه من المشرق إلى المغرب على رواية يحيى ثلاثة وستين ، وهى من أقل الروايات ؛ فكان من جدار الحجرة الشريفة يعنى الحائز الظاهر إلى الاسطوانة الثانية من المنبر لا التى بعده ستون ذراعا تقريبا ، قال : وعلى هذا يكون عرض جدار عمر بن عبد العزيز وما بينه و بين جدار الحجرة الشريفة الأصلى ثلاث أذرع تقريبا ، انتهى . ولايخفى مافيه ؛ لأنه جعل المسافة المذكورة ستين ذراعاتقريبا وهى خمسة وستون تحريرا ، وتبع من تقدمه من المؤرخين فى ثبات فضاء بين حائز عمر بن عبد العزيز وجدار الحجرة ، فخمن أن ذلك مع عرض الحائز ثلاثة أذرع ، وقد علمت أن عرض الحائز ذراع وربع يرجح يسيرا ، وليس بينه وبين جدار الحجرة شىء

وقد روى ابن زبالة و يحيى من طريقه أشياء فى تحديد المسجد وذَرْعَه يقتضى أن جدارالمسجدالشريف فى زمنه صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق لم ينته إلى حائز عمر ابن عبدالعزيز ، بل الحائز و بعض مايليه من المغرب فى موضع حجرة عائشة رضى الله عنها ، وأن جدار حجرة عائشة كان فيما بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر و بين الأساطين التى بينها المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان قد بنى المسجد أولا وجعله ثلاث أساطين عن يمين المنبر فى المغرب وثلاث أساطين عن يساره فى المشرق ، وأن نهايته من جهة المشرق كانت أولا أسطوان التوبة ؛ لأنها تكون فى موضع الجدار بعد الأساطين الثلاث ، وأن مساحة ذلك من المشرق إلى المغرب ثلاث وستون ذراعا ، وقيل : خمس وخمسون ، وأنه زاد فيه بعد ذلك من المشرق والمغرب ، ومع ذلك لم ينته زيادته فى المشرق إلى موضع حائز عمر بن عبدالعزيز ، وأنه لم يزد فيه من جهة القبلة ولا من جهة الشام

قلت : وهو موافق لما روى أنه كان مائة ذراع كما سنبينه ، و يرجحه عندى أن المنبر الشريف يكون حينئذ متوسطا للمسجد ؛ إذ يبعد أنه صلى الله عليه وسلم لا يتوسط أصحابه و يقف على منبر فى طرفهم ، وكون المسجد النبوى لا ينتهى

إلى موضع حائز عمر بن عبد العزيز كما قدمناه خلافُ ما عليه متأخرو المؤرخين ، لكنه حسن ؛ إذ يبعد أن يبنى عمر بن عبد العزيز حائزه فى شىء من المسجد ، وينتقص الروضة الشريفة به ، حاشاه من ذلك ، والذى صح أن محل القبور الشريفة فى صفة بيت عائشة ، ولا بد للصفة من مرافق ، فيظهر أن الحائط الذى فى جوف الحائز هو حائط الصفة ، والحائز فيما خرج عنها من بقية البيت

ثم ظفرت فى كلام المرجانى نقلا عن الحارث المحاسبى بما يصرح بذلك ، لما سيأتى من أنه ذكر فى تحديد المسجد ستة أساطين من جهة شرقى المنبر ، ثم قال : والروضة ما بين القبر والمنبر ، فما كان منها فى الأسطوانة السادسة التى حددت لك عن يمين المنبر فليس من المسجد الأول ، وإنما كان من حجرة عائشة رضى الله عنها فوسع به المسجد ، وهو من الروضة ، انتهى

ولنورد عبارة ابن زبالة فإن يحيى رَوَى ذلك عنه من غير زيادة ولا مخالفة مع ما فيها من أشياء لا تعرف اليوم ، ولكن إفادة هذه الأمور الغريبة التى لم يذكرها متأخرو المؤرخين اقتضت إيرادنا لذلك فنقول : أسند ابن زبالة عن عبيد بن عمر بن حفص بن عاصم أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين مما يلى المشرق ، وثلاث أساطين مما يلى المغرب ، سوى ماخرج فى الرحبة أى الأساطين المصفوفة من الرحبة إلى القبلة ، ولولا ما سيأتى من التصريح بأن هذه الست كانت ثلاثة منها على يمين المنبر وثلاثة عن يساره — يعنى فى البناء الأول — لحملنا ذلك على أن ابتداء هذه الست من الأسطوانة التى تلى المنبر ؛ فيكون نهايتها الأسطوان التى يلى أسطوان التوبة ، ويكون جدار الحجرة بعدها ، فيوافق التحديد المتقدم ، لكنه قال عقبه : وقال جمهور الناس من أهل العلم وغيرهم: هو إلى الفرضتين اللتين فى الأسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتى فى القبر

قلت : لاتعرف اليوم فى المسجد القديم مربعة غربية ، غـير أن الذى ظهر لى — من مقابلتها بمربعة القبر ومما سيأتى فى بيان الحائز الذى عمل لمنع ماء المطر أن يغشى المسقف القبلى — أنها الأسطوانة العظيمة المثمنة اليوم فى المسقف القبلى ، فإنها كانت ركن رحبة المسجد فى هذا المسقف من جهة المغرب ، كما أن مربعة القبر كانت ركن الرحبة فى جهة المشرق ، قبل زيادة الرواقين اللذين ذكرهما فى المسقف القبلى كما يؤخذ من مواضع فى كلام ابن زبالة ويحيى ، والذى يظهر أن تثمين الأسطوانة المذكورة حادث ، وإنما كانت مربعة ، كما ثمنوا ما ظهر من مربعة القبر وما يلى الحجرة منها باقٍ على تربيعه ، ومربعة القبر هى التى فى نهاية الصفحة الغربية من الحائز الدائر على الحجرة من جهة الشام ، وتعرف بأسطوان مقام جبريل عليه السلام كما سيأتى إيضاحه ، والأسطوان التى دونها هى الملاصقة بالشباك الدائر على الحجرة اليوم ، وهى بين المربعة وبين أسطوان الوفود ؛ فيكون جدار الحجرة على هذا كان فيما بين مربعة القبر والتى يليها

قال ابن زبالة عقب ما قدمناه عنه : واحتجوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتـكف فى المسجد فى موضع مجلس بنى عبدالرحمن بن الحارث ، وأن عائشة رضى الله عنها كانت تُرَجِّلُ رأسه وهو معتكف فى المسجد وهى فى بيتها ، وكان مالك بن أنس يقول : الجدار من المشرق فى حد القناديل التى بين الأساطين التى فى صفها أسطوان التوبة وبين الأساطين التى تلى القبر ، وأرفه[1] عمر بن عبدالعزيز من ورائها فى الأسطوانة التى تلى القبر

قلت : ما نقله عن مالك صريح فيما قدمناه من أن جدار المسجد الشرقى كان فيما بين الأساطين اللاصقة بالقبر وبين الأساطين المقابلة لهـا ؛ فيكون فى محاذاة القناديل الآخرة من القبلة إلى الشام فيما بين هـذه الأساطين ، ويكون عمر بن

---

(١) الأرفة — بالضم — هى الحد بين الأرضين ، وعدم معرفة المصنف معنى هذه الكلمة كما سيذكره (ص ٣٥٢) دليل على أن قراءتها تصحفت عليه .

عبد العزيز أخره إلى الأسطوان اللاصق بجدار القبر ، وسيأتى مايصرح بذلك من كلام الحاسبى أيضا وأما قوله « واحتجوا إلى آخره » فوجه الاحتجاج أن معتكفه صلى الله عليه وسلم كان لاصقاً بحجرته ، بحيث إن عائشة رضى الله عنها كانت ترجِّل رأسه وهو فى مُعْتَكَفِهِ وهى فى بيتها ، ولهذا أورد ابن زبالة عقبه حديثَ « كان يَدْنُو منى وأنا حائض فأرجله وهو فى المسجد » ومجلس بنى عبد الرحمن بن الحارث الذى ذكره ابن زبالة لايعرف اليوم، وروى ابن زبالة ويحيى فى بيان معتكفه صلى الله عليه وسلم أشياء سنذكرها إن شاء الله تعالى ، والمناسبُ لما نحن فيه منها : أنه كان للنبى صلى الله عليه وسلم سرير من جريد فيه سَعَفُه يوضع بين الأسطوان التى وُجَاه القبر[1] و بين القناديل، كان يضطجع عليه صلى الله عليه وسلم وقوله «التى وُجَاه القبر» يريد به المواجهة له، وهى اللاصقة بشباك الدائر على الحجرة اليوم فى صف أسطوان التوبة ، بل قيل : إنها أسطوان التوبة كما سيأتى ، وهذا مطابق لما ذكره مالك من أن الجدار كان فى حد القناديل المذكورة .

وأسند ابن زبالة أيضاً عن غير واحد من أهل العلم أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين عن يمين المنبر وأنت مستقبل القبلة فى موضع معتكف حسن بن زيد الذى كان يعتكف فيه ، ومن الشق الآخر إلى أسطوان التوبة ، وكان ذرعه من المشرق إلى المغرب ثلاثة وستين ذراعا ، وقال عبد الرحمن ابن سعد عن أشياخه : كان خمسين فى خمسين .

قلت : فيكون الحُجَر التى فى شرقى المسجد أدخلت بعد أو بعضها فى الزيادة الآتية أو أنها لم تستقر فى شرقيه إلا بعد ذلك .

ثم قال ابن زبالة : قالوا : وعلامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى الذى بنى عند مقدمه من مكة — وذكر علامات كانت فى السقف المحترق والفسيفساء التى زالت فلا تعرف اليوم ، ثم قال : وعلامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بنى عند مَقْدَمِهِ من خيبر قالوا: ترك رسول صلى الله عليه وسلم المسجد من القبلة فى تلك البنية على حده الأول ، وزاد فيه من ناحية المشرق إلى الأسطوان التى دون

(١) وجاه القبر : فى مواجهته

المربعة التي عند القبر، وعلامة تلك الأسطوان أن لها نجافا[1] طالعاً فى الرحبة من بين الأساطين، ومن المغرب إلى الأسطوان التى تلى المربعة التى لها نجاف[1] أيضاً من بين الأساطين، وظهر ذلك أى حد المسجد بحجارة، وعبارة يحيى: وقد صمد بحجارة تحت الحصباء، منها أرفة عند الأسطوان التى بين أسطوان التوبة و بين القبر فى صف الأسطوان التى لها نجاف، ومن المغرب مثل ذلك بأرفة حجارة فى الأرض مبنية، وترك مما يلى الشام لم يزد فيه، انتهى كلام ابن زبالة بحروفه .

وقوله « ومن المغرب مثل ذلك » أى ظهر الحد بأرفة حجارة فى الأرض، ولا أدرى معنى قوله بأرفة[2] .

وذكر ابن زبالة أيضا فى موضع آخر ذَرْعَ مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان فى زمنه، يعنى ما استقر عليه فى آخر الأمر، ثم قال: وحده من شرقى المنبر أربع أساطين، ومن غربيه أربع أساطين، انتهى .

والعجب من ابن النجار فَمَنْ بعده من المؤرخين حيث لم يتعرضوا لهذا، لكن ابن النجار اعتذر فى أول كتابه بأنه كان مجاورا بالمدينة، ولم تكن كتبه حاضرة عنده، وذكر ما يقتضى أنه كتب ذلك مما علق بفكره، والمطرى جرى على منواله، وابن زبالة ويحيى عمدة فى ذلك؛ فإنهما أقدم مَنْ أرخ للمدينة لأن ابن زبالة هو محمد بن الحسن أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس، ويؤخذ من كلامه أنه وَضَع كتابه فى صفر سنة تسع وتسعين ومائة، وأما يحيى فهو من أصحاب أصحابه، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائتين عن ثلاث وستين سنة، وأما ابن شبة فكان معاصرا ليحيى وقبله بيسير، ولم أظفر من كتابه بهذا المحل المشتمل على ذكر المسجد، ولو ظفرت به لكان الشفاء؛ فإنه يوضح الأمور إيضاحا تاما، وهو إمام ثقة، وابن زبالة وإن كان ضعيفا لكن اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب .

---

(١) أصل النجاف — بزنة الكتاب — عتبة الباب؛ فالمراد هنا أن لهذا الأسطوان دكا فى الأرض تعتمد عليه وتعرف به

(٢) قد ذكرنا لك أن الأرفة بضم الهمزة الحد الذى تحدبه الأرضون

ثم ظفرتُ في كلام المرجاني نقلا عن المحاسبي بما يوافق كلامه ؛ فهو العمدة عندي .

قال المرجاني : قال الحارث بن أسد المحاسبي : حد المسجد الأول ستة أساطين في عرضه عن يمين المنبر إلى القناديل التي حذاء الخوخة ، وثلاث سَوَارٍ عن يساره من ناحية المنحرف منه ، ومنتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقان المسجد اليوم : أي في زمنه ، وما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول ، قال — يعني المحاسبي — : وقد روى عن مالك أنه قال : مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثاني من الباب الذي يقال له باب عثمان ، أعني العضادة الآخرة السفلى ، وهو أربع طيقان من المسجد ، ثم قال : والروضة ما بين القبر والمنبر ، إلى آخر ما قدمناه عنه .

وقوله « عن يمين المنبر » أي في جهة المشرق ، لما سبق عنه خلاف ما تقدم في كلام ابن زبالة ، فإنه عنى يمين مستقبل المنبر ، والطيقان التي ذكرها لها ذكر في كلام ابن زبالة ويحيى كما تقدم ، وهي غير موجودة اليوم ، والباب الثاني من باب عثمان هو المعروف اليوم بباب النساء ؛ فهو صريح في رَدِّ ماتقدم من تحديد جهة الشام بالحجرين الموجودين اليوم في صحن المسجد ، ومؤيد للرواية المتقدمة في الذرع ، وهي رواية مائة ذراع في مائة ذراع ؛ لأنه يقرب من ذلك .

وقد تحصَّلْنا من هذا مع ما تقدم عن المتأخرين على خلاف في نهاية المسجد النبوي من جهة المغرب .

فأحد الأقوال : أنه إلى الأسطوانة التي تلي المنبر من تلك الجهة ، وهو الذي عَوَّلَ عليه ابن النجّار ومن اتبعه .

والثاني : أنه إلى التي تليها ، وهي الثانية من المنبر من تلك الجهة أيضا ، وهما بعيدان .

والثالث : أنه إلى الأسطوانة الثالثة من المنبر فى تلك الجهـة ، وقد اقتضى كلام ابن زبالة أن ذلك حد المسجد قبل زيادة النبى صلى الله عليه وسلم فيـه ، خلاف ما يظهر من كلام المحاسبى .

والرابع : أنه إلى الأسطوانة الرابعة من المنبر ؛ لما تقدم من أنه كان على ثلاثة أساطين عن يمين المنبر ؛ فيكون جداره الغربى فى موضع الأسطوانة الرابعة فى صفها من جهة القبلة أسطوان مربع من أسفله رفع عن الأرض بقدر الجلسة ، وفى صفه من جهة الشام أسطوان محراب الحنفية المحدث .

والخامس : أنه إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر ؛ لما تقدم من أن النبى صلى الله عليه وسلم زاد فيه بعد فتح خيبر من جهة المغرب بقدر أسطوان آخر ، كما يؤخذ مما تقدم ، ولما صرح به ابن زبالة كما قدمناه أيضا حيث قال فى حده : وعن غربيه أربع أساطين ؛ فينتهى حده إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر ، وهى التى تلى الأسطوانة المذكورة فى جهة المغرب فى صفها ، وهى مربعة من أسفلها بقدر الجلسة أيضا ، وفى صفها من جهـة الشام الأسطوان التى تلى محراب الحنفية من جهة المغرب ، فهاتان المربعتان هما اللتان يتردد فيما يكون منهما فى موازاة حد المسجد النبوى من جهة المغرب ، وقد ذهب تربيعهما فى العمارة المتجددة فى زماننا بعد الحريق ؛ والمربعة الثانية — أعنى الخامسة من المنـبر — هى التى يترجح عندى أيضا ؛ لأن تجاهها فى حائط القبلة طراز آخذ من السقف نازل إلى العصابة السفلى الظاهرية ، لـكنه انقشر بعضه عند إصلاح العصابة العليا وتبييض الجدار فى العمارة التى أدركناها أولا ، وذهب منـه ما كان بين العصابتين ، وبعض ما فوق العليـا ، وبقى منه ما بين العصابة العليـا والسقف ، ثم ذهب بقيته فى الحريق الحادث فى زماننا ، وبقى موضعه أصباغ ملونة فى الجـدار من صناعة الأقدمين ، وقد ذهب ذلك عند هدم الجدار القبلى ؛ فالظاهر أنه علامـة نهاية

المسجد النبوى من هذه الجهـة ، خلاف ما سيأتى عن المطرى فى جَعْـلِهِ علامةً لنهاية زيادة عثمان رضى الله عنه ؛ لوجوه :

الأول : أنى ذَرَعْتُ من الأسطوان التى المنبر إلى الأسطوان المحاذية لهـذا الطراز ؛ فكان ذلك سبعا وثلاثين ذراعا ، فإذا أضفنا ذلك إلى الذَّرْع المتقدم فيما بين الأسطوان التى تلى المنبر و بين الحجرة الشريفة ، وهو نحو الستين ذراعا كما تقدم ، قارَبَ ذلك المائة التى تقدمت الرواية بها .

الثانى : أنه يبعد أن يجعل هذا الطراز لزيادة عثمان رضى الله عنـه كما زعمه المطرى ، و يترك التعليم للمسجد الأصلى والاعتناء به أشد . وقد قال ابن زبالة : إن له عـلامات فى الفسيفساء ، والظاهر أن الفسيفساء لما زالت جعل هذا بدلها .

الثالث : أنه سيأتى أن عمر لما زاد فى المسجد جعل عرضه مائة وعشرين ذراعا ، وأنه لم يزد فيه من جهة المشرق شيئا ؛ فيكون نهاية المسجد فى زمنه من جهة المشرق الحجرة الشريفة ، وقد علمت أن من الحجرة الشريفة إلى ما يحاذى الطراز المذكور ينقص عن المـائة ، فـكيف يكون نهاية زيادة عثمان ؟ وعثمان قد زاد أسطوانا من جهة المغرب على زيادة عمر ، فلو كان ذلك الطراز نهاية زيادة عثمان لزم أن يكون عرض المسجد فى زمن عمر نحو التسعين ، ولا قائل به .

الرابع : أنه سيأتى أن عثمان رضى الله عنه لم يزد فى جهة المغرب غير أسطوانة واحدة ، وأن زيادة الوليد من المغرب أسطوانتان ، ولاشك أن من الأسطوانة التى تحاذى الطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربى خمس أساطين ، فإذا سقط منها ثلاث أساطين لعثمان رضى الله عنه وللوليد بقى أسطوانتان لزيادة عمر رضى الله عنه ، وهما يقربان من عشرين ذراعا التى زادها عمر رضى الله عنه على المائة كما سيأتى .

الخامس : أن موضع المنبر لم يغير كما سيأتى ، و يبعد كلّ البعدِ أن يجعل النبى صلى الله عليه وسلم موضع منبره فى طرف مسجده ولا يتوسط أصحابه فى حال قيامه .

السادس : أنه سيأتى أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد شيئا من دار العباس وأن ما بقى منها زاد عثمان رضى الله عنه بعضه ، وما بقى دخل فى دار مَرْوَان بن الحكم . وروى يحيى فى قصة زيادتها ما يصرح بأنها كانت ملاصقة بجدار المسجد النبوى ، بل روى أنه كان لها ميزاب يصب فيه ، وقد نقل يحيى أنها كانت فيما بين الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم ، أى والباب الذى يلى دار مروان ابن الحكم ؛ لما تقدم من دخول بعضها فى دار مروان ؛ فوجب أن تكون المربعة المذكورة أول دار العباس وآخر المسجد النبوى .

السابع : ما قدمناه من أن المربعة الغربية إذا أطلقت ، فالمراد بها الأسطوانة التى كانت ركن صحن المسجد فى المغرب عند نهاية المسقف القبلى قبل زيادة الرواقين الآتيين فيه ، وهى المثمنة اليوم ؛ فهى المرادة بما تقدم عن الجمهور من أن المسجد النبوى كان إلى الفرضتين اللتين فى الأسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتى فى القبر كما نقله ابن زبالة ، ولا شك أن الأسطوانة الخامسة من المنبر فى جهة المغرب دون المربعة المذكورة ؛ لأن المربعة المذكورة هى السادسة من المنبر ، فوضح أنها المراد بذلك ، فيكون الجمهور على رواية أن المسجد كان مائة فى مائة ، ومما يرجح هذه الرواية أيضا ما تقدم عن المحاسبى من تحديد مؤخر المسجد الأول نقلا عن مالك بمضادة الباب الثانى من باب جبريل — وهو باب النساء — وما سيأتى من أن باب الرحمة — و يعرف بباب عاتكة — لم يغيره عمر رضى الله عنه ، يعنى أنه نقله فأخَّره فقط وجعله فى تجاه الباب الأول ، لأنه زاد فى المسجد من جهة المغرب، و بين باب الرحمة و بين الحجرين اللذين ذكر أنهما حد المسجد

من جهة الشام تفاوت ظاهر ؛ لتأخره عن موازاتهما كثيرا ، وكأنهما إنما جعلا هناك تميزا لفوهتى بالوعة عندهما الحجران المذكوران هناك ؛ فالذى يترجح فى النقد رواية المائة وما ذكرناه من التحديد ، و يحتمل أن ابن النجار لما رأى اختلاف الروايات أراد الأخذ بالأقل لأنه المحقق فذكر التحديد المتقدم ، وتبعه مَنْ بعده ، على أنه اعتذر فى أول كتابه بغيبة كتبه ، وأن الحفظ قد يزيد و ينقص ، ولما اتضح ذلك للمَقَرِّ الشجاعى شاهين الجمالى ناظر الحرم الشريف النبوى وشاد عمائره وشيخ خدامه اتخذ لأعالى الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التى فى قبلة المنبر طرازاً متصلا بالسقف منقوشا فيه أن ذلك هو الذى استقر عليه الأمر فى نهاية المسجد النبوى وحده ، فالله تعالى يوفقه للمداومة على حفظ الحدود ، ويلحقه بالمقر بين الشهود .

و يتفرع على ذلك مسألة ذكرها النووى فقال فى شرح مسلم والمناسك وغيرهما : إن الصلاة إنما تتضاعف فى المسجد الذى كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم دون بقية الزيادات ، ولم يحك غيره ، لكن الخطيب بن حملة نقل عن المحب الطبرى أن المسجد المشار إليه فى حديث المضاعفة هو ما كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم مع ما زيد فيه ، لأخبار وآثار وردت فى ذلك ، واستحسنه ابن حملة على ما ذهب إليه النووى فى كتبه من التخصيص ، مع أن البرهان ابن فرحون نقل فى شرحه لابن الحاجب الفَرْعى أنه لم يخالف فى هذه المسألة غير النووى ، وأن الشيخ محب الدين الطبرى نقل فى كتابه الإحكام أن النووى رجع عن ذلك ، قال : ونقل أبو عبد الله بن فرحون فى شرح مختصر الموطأ أنه وقف على كتاب من كتب المالكية فيه أن مالكا سُئِل عن ذلك فقال : ما أراه عليه السلام أشار بقوله : « فى مسجدى هذا » إلا لما سيكون من مسجده بعده ، وأن الله أطلعه على ذلك ، انتهى .

قلت : أما قوله « إنه لم يخالف فى ذلك إلا النووى » فممنوع ؛ فقد نقل ذلك ابنُ الجوزى فى الوفاء عن ابن عقيل الحنبلى ، وأما ما نقله عن الإحكام للطبرى فقد راجعتها فرأيته ترجم لبيان أن مسجده صلى الله عليه وسلم المشار إليه بالتفضيل هو الموجود فى زمنه مع ما زيد فيه ، وأورد بعضَ الأخبار الآتى ذكرها فى آخر الفصل الثانى عشر ، ثم قال : وقد يتوهم بعضُ مَنْ لم يبلغه ذلك قَصْرَ الفضيلة على الموجود فى زمنه صلى الله عليه وسلم لمكان الإشارة ، وقد وقع ذلك لبعض أئمة العصر ، فلما رويت له ما سبق جَنَحَ إليه وتلقاه بالقبول ، انتهى .

فكأن ابن فرحون فهم أن المراد من قولهم « بعض أئمة العصر » النووى .

وأما ما حكاه عن مالك فقد نقله الأقشهرى فى روضته عن عبد الله بن نافع صاحب مالك عن مالك ، ولفظه فى أثناء كلام : قيل له — أى لمالك — فحدُّ المسجد الذى جاء فيه الخبرُ هو على ما كان فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم أو على ما هو الآن ؟ قال : بل هو على ما هو الآن ، قال : لأن النبى صلى الله عليه وسلم أُخْبِرَ بما يكون بعده ، وزُوِيَتْ له الأرض فأُرِىَ مشارقَهَا ومغاربها ، وتحدث بما يكون بعده ، فحفظ ذلك مَنْ حفظه فى ذلك الوقت ، ونسى ذلك من نسيه ، ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة ولم ينكر عليهم ذلك منكر ، انتهى .

قلت : ومتمسَّكُ مَنْ ذهب إلى التخصيص الإشارة فى قوله « مسجدى هذا » ولعله صلى الله عليه وسلم إنما جاء بها ليدفع توهم دخول سائر المساجد المنسوبة إليه بالمدينة غير هذا المسجد ، لا لإخراج ما سيزاد فيه ، وقد سَلَّم النووىُّ أن المضاعفة فى المسجد الحرام تعم ما زيد فيه ، فليكن مسجد المدينة كذلك ، كما أشار إليه

ابن تيمية ، قال : وهو الذى يدل عليه كلامُ الأئمة المتقدمين وعملهم ، وكان الأمر عليه فى عهد عمر وعثمان رضى الله عنهما ، فإن كلا منهما زاد فى قبلة المسجد ، وكان مقامه فى الصلوات الخمس فى الزيادة وكذلك مقام الصف الأول الذى هو أفضل ما يقام فيه ، ويمتنع أن تكون الصلاة فى غير مسجده أفضَلَ منها فى مسجده ، وأن يكون الخلفاء والصفوفُ الأول كانوا يصلون فى غير مسجد[ه]، قال : وما بلغنى عن أحد من السلف خلاف هذا ، إلا أن بعض المتأخرين ذكر أن الزيادة ليست من مسجده ، وما علمت له سلفاً فى ذلك .

وسيأتى فى زيادة عمر بن الخطاب ما ورد من الأخبار والآثار المقوية لذلك وليست مسألة الحلف على أن لا يدخل هذا المسجد فزيد فيه من هذا القبيل ، لأن الأيمان مَبْنَاها على العرف .

الفصل الثالث

فى مقامه الذى كان يقوم به صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قبل تحويل القبلة، وبعد ما جاء فى تحويلها .

روينا فى البخارى عن البَرَاء بن عازب رضى الله عنه قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى نحوَ بيتِ المقدس ستةَ عشرَ أو سبعةَ عشرَ شهراً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يُوَجَّهَ إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى « قَدْ نَرَى تقلبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ »(١) فتوجَّه نحوَ الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود « مَاوَلَّاهم عن قبلتهم التى كَانُوا عَلَيْهَا ؟ قُلْ لِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »(٢) فصلّى مع النبى صلى الله عليه وسلم رجلٌ، ثم خرج بعد ما صلى ، فمر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صَلَّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه توجَّهَ نحو الكعبة ، فتحرَّفَ القومُ حتى توجهوا نحو الكعبة .

(١) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

(٢) من سورة البقرة من الآية ١٤٢ .

وأسند يحيى عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وَقَف يصلى انتظر أمرَ الله فى القبلة ، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنْهَ عنها من فعل أهل الكتاب ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلِّى ، فأشار له جبريل : يامحمد صَلِّ إلى البيت ، وصَلّى جبريلُ عليه السلام إلى البيت ، قال : فدَار النبى صلى الله عليه وسلم إلى البيت ، قال: فأنزل الله تعالى « قَدْ نرى تَقَلُّبَ وجهك فى السماء فلنولينك قِبْلَةً ترضاها » إلى « وما الله بغافل عما تعملون[1] » قال : فقال المنافقون : حَنَّ محمد إلى أرضِهِ وقومِهِ ، وقال المشركون : أراد محمدٌ أن يجعلَنا له قبلةً ، وأن يجعلنا له وسيلة ، وعرف أن ديننا أهدى من دينه ، وقالت اليهود للمؤمنين : ما صَرَفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم إلا تَعْبَثُون ، وقال المؤمنون : لقد ذهب منا قوم ماتوا ما ندرى أكُنَّا نحن وهم على قبلة أم لا ؟ فأنزل الله تعالى فى ذلك « سيقول السفهاء من الناس » إلى قوله « إن الله بالناس لرؤف رحيم[2] » .

وروى ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذاوقَفَ يصلى انتظَرَ أمرَ الله فى القبلة ، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنْهَ عنها من فعل أهل الكتاب، فبينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر فى مسجده قد صلى ركعتين إذ نزل عليه جبريلُ فأشار إليه أنْ صَلِّ إلى البيت ، وصلى جبريل إلى البيت ، وذكر نحو ما تقدم .

وأسند يحيى عن رافع بن خديج قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين، وأمر أن يُوَجَّه إلى المسجد الحرام، فاستدار، قال رافع : فأتانا آتٍ ونحن نصلى فى بنى عبد الأشهل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُمِرَ أن يوجه إلى الكعبة ، قال : فأدارَنَا إمامُنَا إلى الكعبة ودُرْنَا معه .

---

(١) من سورة البقرة ، الآية ١٤٤ .

(٢) من سورة البقرة الآيتين ١٤٢ و ١٤٣ .

وعن ابن عمر قال : بينما نحن فى صلاة الصبح بقُبَاء جاءهم رجل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها، وكانت قبلة الناس إلى الشام ، فاستداروا وتوجَّهُوا إلى الكعبة ، وهو فى الصحيحَين بلفظ: كانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة ، وفى لفظ : كانوا ركوعا فى صلاة الصبح .

وعن عثمان بن محمد بن الأخنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه فيه — يعنى فى مسجد القبلتين — الظهر ، فلما صلى ركعتين أمر أن يُوَجه إلى الكعبة، فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب .

وعنه أيضاً نحوه ، وأن الفريضة كانت الظهر ، وأنها يومئذ كانت أربع ركعات .

وعن سعيد بن المسيب قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس سبعةَ عَشَرَ شهرا ، وصُرِفت القبلة قَبْلَ بدر بشهرين ، والثبت عندنا أنها صرفت فى الظهر فى مسجد القبلتين .

وفى رواية أخرى عنه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله بعد أن قدم المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين .

وعن كثير بن عبدالله المزنى عن أبيه عن جده قال: صُرِفت القبلة يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

وفى مسلم عن البَرَاء بن عازب : صَلَّيْتُ مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التى فى البقرة « وَحَيْثُ ما كنتم فولوا وجوهكم شَطْرَه[1] » فنزلت بعد ماصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم بالحديث ، فولَّوْا وجوهَهم قبل البيت .

(١) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

تاريخ تحويل القبلة

وفى رواية له عنه أيضاً : ستةعشر شهراً ، أو سبعة عشرشهراً ، على الشك .

وعند الزمخشرى : صُرِفت القبلة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سَلِمة — يعنى مسجد القبلتين — وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر ، فتحول فى الصلاة ، واستقبل الميزاب، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق تويلة بنت أسلم قالت : صليتُ الظهر والعصر فى مسجد بنى حارثة ، فاستقبلت مسجد إيلياء ، فصلينا سجدتين : أى ركعتين ، ثم جاءنا مَنْ يخبرنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت الحرام ، فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء ، فصلينا السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام .

قال الحافظ ابن حجر : وهذه القصة المرادة بقوله فى الحديث المتقدم « فمر على قوم من الأنصار يصلون فى صلاة العصر نحو بيت المقدس » فهؤلاء القوم هم بنو حارثة ، والمار عباد بن بشر ، ووصل الخبر وقت الصبح إلى أهل قُبَاء ، فلا منافاة بين الحديثين .

وسيأتى فى مسجد القبلتين أن ابن زبالة نقل أن القبلة صُرِفت ونَفَر من بنى سَلِمة يصلون الظهر فى مسجد القبلتين ، فأتاهم آتٍ فأخبرهم وقدصلوا ركعتين فاستداروا حتى جعلوا وجوههم إلى الكعبة ، فبذلك سمى مسجد القبلتين .

قال المجد : فعلى هذا كان مسجد قُبَاء أولى بهذه التسمية .

مدة الصلاة إلى بيت المقدس

وعند أبى القاسم القُشَيرى فى لطائف التفسير : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس بعدقُدُومه المدينة مهاجرا ستة عشر شهرا عن قتادة ، وقيل : سبعة عشر شهرا عن ابن عباس ، وقال أنس : كان تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، وقال معاذ بن جبل : ثلاثة عشر شهراً استمالةً لقلوب اليهود أن يصلى إلى قبلتهم ربما يرغبون فى دينه ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم كره موافقتهم فى أمر القبلة لما

قالوا : لولا أنَّ ديننا حق لما صلى إلى قبلتنا ، ولما اسْتَنَّ بسنتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل : وَدِدْتُ أن ربى صَرَفنى عن قبلة اليهود إلى غيرها ، فقال جبريل: إنما أنا مَلَكٌ عبد ، لا أملك شيئاً ، فَسَلْ ربك ، فصعد جبريل السماء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصحراء نحو أُحُدٍ يصلى ههنا ركعتين وههنا ركعتين ، ويدعو الله أن يُجيز له فى ذلك ، فلم يزل كذلك يديم النظر إلى السماء ، حتى دخل ناحية أحد ، فأنزل الله تعالى فى رجب بعد زوال الشمس قبل الظهر « قَدْ نَرَى تقلب وجهك فى السماء[1] » الآية ، وصُرِفت القبلة ، وذلك قبل بدر بشهرين ، وفى السير لابن حبان : حولت بعد سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام ، وحديث البراء المتقدم رواه ابن خُزَيمة فى صحيحه «ستة عشر شهراً» على الجزم كرواية مسلم الأولى ، وقال الشيخ شرف الدين الدمياطى : حُوِّلت القبلة نصف رجب بعد خمسة عشر شهرا ونصف ، ونقل النووى فى سير الروضة عن محمد بن حبيب الهاشمى أن التحويل يوم الثلاثاء النصف من شعبان من السنة الثانية .

وقت تحويل القبلة

ونقل المجد عن ابن حبيب أنها حُوِّلت فى النصف من شعبان فى الركعة الثالثة ، وقيل : فى صلاة العصر . وعند النحاس بعد بضعة عشر شهرا . وعن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك : صُرِفت فى جُمادى ، قال : وهو أولى الأقوال بالصواب . وقال ابن جرير عن مُعاذ: بعد ثلاثة عشر شهراً من مَقْدَمِهِ المدينة ، قال : وعن أنس عشرة أو تسعة أشهر ، انتهى ما نقله المجد .

وقال ابن سعد : يقال : إنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين من الظهر فى مسجده بالمسلمين ، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام ، فاستدار ودار معه المسلمون ، ويقال : زار النبى صلى الله عليه وسلم أمَّ بِشْر بن البَرَاء بن مَعْرور فى بنى سَلِمة وصنعت له طعاما ، وحانت الظهرُ فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين ، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب ، فسمى مسجد

---

(١) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

القبلتين . قال ابن سعد : قال الواقدى : هذا أثبت عندنا .

أول صلاة إلى الكعبة

وفى الصحيح أن أول صلاة صلاها — أى متوجها إلى الكعبة — صلاة العصر .

قال الحافظ ابن حجر : التحقيقُ أن أول صلاة صلاها فى بنى سَلِمة الظهر ، وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوى العصر . قال : وأسانيد الروايات المتقدمة — أعنى رواية ثلاثة عشر شهرا وتسعة عشر شهرا ونحوها — شاذة . قال : وأما رواية الصحيح فطريق الجمع بين رواية سبعة عشر شهرا وستة عشر ، ورواية الشك فى ذلك : أن مَنْ جَزَم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا ، وألغى الأيام الزائدة ، ومَنْ جزم بسبعة عشر شهرا عدهما معا ، ومن شك تردد فى ذلك ، وذلك أن القدوم كان فى شهر ربيع الأول بلا خلاف ، وكان التحويل فى نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح ، وبه جزم الجمهور ، ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس ، وقول ابن حبان : « سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام » مبنىٌّ على أن القدوم كان فى ثانى عشر ربيع الأول .

وقال الربيع : كان النبى صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الهجرة مخيرا فى التوجه إلى بيت المقدس أو الكعبة ، إلا أنه أمَرَه الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، فكان التوجه إليه فرضا ، وإن كان مخيرا فيه كالمخير فى كفارة اليمين أىَّ واحدٍ اختار فهو فرض عليه ، وقال ابن عباس : بل كان الفرض التوجه إلى بيت المقدس ثم نسخ .

وقال ابن العربى وغيره : نُسِخت القبلة مرتين .

إلى أى جهة كانت الصلاة بمكة قبل الهجرة

وقال ابن رشد فى البيان : ولم يختلف فى ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت بالمدينة إلى بيت المقدس حتى حولت القبلة ، وإنما اختلف فى صلاته بمكة قبل قدومه المدينة ، فروى أنها كانت إلى الكعبة ، وروى أنها كانت إلى بيت المقدس ، وروى أنه كان يصلى إلى بيت المقدس والكعبةُ بين يديه — أى بين الركنين

اليمانين — وحكى ابن عبدالبر الاختـلافَ فى صلاته صلى الله عليه وسـلم بمكة : هل كانت إلى الـكعبـة ، أو بيت المقـدس ؟ ثم قال : وأحسن من ذلك قول من قال : كان يصلى بمكة مستقبل القبلتين يجعـل الـكعبة بينـه و بين بيت المقدس .

وروى الطبرى وغيره عن ابن عباس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واليهودُ أَكْثَرُ أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبـلة إبراهيم ، فكان يدعو و ينظر إلى السماء فنزلت ، وهـو ظاهر فى أن استقبال بيت المقـدس كان بِوَحْيٍ ، لا باجتهاد من النبى صلى الله عليه وسلم ، وأنه إنمـا وقع بعد الهجرة ، لـكن أخرج أحمد عن ابن عباس : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بمـكة نحو بيت المقدس والـكعبةُ بين يديه » فيجمع بأنه لما هاجر أمر بأن يستمر على الصلاة لبيت المقدس .

وروى الطبرى أيضا من طريق ابن جُرَيج قال : صلى النبى صلى الله عليه وسـلم أولَ ما صلَّى إلى الـكعبة ، ثم صُرِف إلى بيت المقدس وهو بمـكة ، وصلى ثلاثَ حِجَج ، وهاجر فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ، ثم وَجَّهَهُ الله إلى الـكعبة .

كيف حررت قبلة مسجد النبى صـلى الله عليه وسلم

وقال ابن النجار : وصلى النبى صلى الله عليه وسلم فيه — أى فى مسجده — إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم أمر بالتحول إلى الـكعبة ، فأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريلُ عليه السلام فقال : يا رسول الله ضَعِ القبـلَةَ وأنت تنظر إلى الـكعبة ، ثم قال بيده هكذا ، فأماط كلَّ جبل بينه و بينها ، فوضع القبلة وهو ينظر إلى الـكعبة لا يَحُولُ دون نظره شىء ،

فلما فرغ قال جبريل عليه السلام هكذا ، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها ، وصارت قبلته إلى الميزاب .

وأسند يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن الخليل بن عبد الله الأزديّ عن رجل من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام رَهْطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ، ضَعِ القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ، ثم قال بيده هكذا ، فأماط كلّ جبل بينه و بين القبلة ، فوضع تربيع المسجد وهو ينظر إلى الكعبة لا يَحُولُ دون نظره شيء ، فلما فرغ قال جبريل عليه السلام بيده هكذا ، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها ، وصارت قبلته إلى الميزاب .

وعن نافع بن جُبَير من طرق مرفوعا : ما وضَعْتُ قبلة مسجدى هذا حتى رُفعت إلىّ الكعبةُ فوضعتها أؤمها [١] .

وعن ابن عَجْلاَن قال : وضَع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجده وجبريل قائم ينظر إلى الكعبة ، ثم كشف له ما بينه و بينها .

وعن ابن شهاب مرفوعا : ماوضعت قبلة مسجدى هذا حتى فُرِجَ لى ما بينى و بين الكعبة فوضعتها أؤمها [١] .

وأسند العراقى فى ذيله من طريق أبى على بن شَاذَانَ بسنده عن إبراهيم بن دينار عن مالك بن أنس عن زيد بن أنس عن زيد بن أسلم قال : قال ابن عمر : وضع جبريل عليه السلام القبلَةَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، تفرد به عن مالك ومحمد بن إبراهيم — قلت : وهو ثقة .

وفى العُتْبية : قال مالك : سمعت أن جبريل عليه السلام هو الذى أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة ، انتهى .

---

(١) أؤمها : أقصدها .

وأسند ابن زبالة عن أبي هريرة قال : كانت قبلة النبي صلى الله عليه وسلم الشام ، وكان مُصَلاَّه الذي يصلي فيه بالناس إلى الشام في مسجده أن تضع موضع الأسطوان المخلَّق اليوم خَلْفَ ظهرك ثم تمشي إلى الشام ، حتى إذا كنت بيمنى باب آل عثمان كانت قبلته ذلك الموضع .

قال الذهبي : هذه القبلة كانت في شمالي المسجد ، فلما حولت القبلة بَقِيَ حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة ، انتهى . والأسطوانة المخلقة هي التي تدعى أسطوان عائشة رضي الله عنها فيما قاله المطري ، وسيأتي ما نقله ابن زبالة فيها من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليها المكتوبة بضعة عشر يوما بعد أن حولت القبـلة ، ثم تقـدم إلى مُصَلاَّه الذي وُجَاه المحراب في الصف الأوسط ، هذا لفظه بحروفه .

وقوله : « وجاه المحراب » يريد المحراب العثماني الكائن في جدار القبلة .

وقال المطري : إن الحائط القبلي — أي الأول — كان مُحَاذِيا لمصلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لما ورد أن الواقف في مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون رمانة المنبر الشريف حَذْوَ منكبه الأيمن ، قال : فمقام النبي صلى الله عليه وسلم لم يغير باتفاق ، وكذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الأول : أي من جهة القبلة ؛ لما سيأتي أنه زِيدَ فيه من جهة الشام ، قال : وإنمـا جعل هذا الصندوق الذي قبالة مصلى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم سترة بين المقـام وبين الأسطوانات ، انتهى .

وسيأتي في ذكر الجذع الذي كان يخطب النبي صلى الله عليه وسـلم إليه اختلافٌ في محله : هل هو عن يمين المصلى الشريف أو عن يساره لجهة القبر الشريف ؟

وسيأتي ما عبر به ابن النجار في حكاية الرواية الأولى حيث قال : كان في موضع الأسطوانة المخلَّقة التي عن يمين محراب النبي صلى الله عليه وسلم عند الصندوق

والرواية الثانية هى المرادة بما أسنده يحيى عن ابن أبى الزناد وغيره من علماء المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع فى المسجد كان موضعه عند الأسطوانة المُخَلَّقة التى تلى القبر : أى فى جهة القبر التى عن يسار الأسطوانة المخلقة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى عندها التى هى عند الصندوق ، هذا لفظه ، والغرضُ من إيراده هنا قوله : « التى عن يسار الأسطوانة المخلقة .. إلى آخره » فهذه الأسطوانةُ المشارُ إليها — أعنى التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى إليها — هى التى عن يمين الواقف فى المصلى الشريف من جهة القبلة ، وعلم أن وَضْعَ الصندوق هناك كان من الزمن القديم ، لكنه كان صندوق مصحف كما سيأتى ، ووصفها بالمخلقة لا يشكل عليك بما اشتهر من وصف أسطوانة المهاجرين — وهى أسطوانة عائشة — بالمخلقة ، فالوصف بالمخلقة يطلق على أساطين متعددة كما سنوضحه ، ولهذا اشتمل هذا الكلام على وصف كل من هاتين الأسطوانتين بهذا الوصف .

ونقل المرجانى أن فى العتبية ما لفظه : أَحَبُّ مواضع التنفل فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَلاه حيث العمود المخلق ، انتهى .

وقال ابن القاسم : أَحَبُّ مواضع الصلاة فى مسجده صلى الله عليه وسلم فى النفل العمودُ المخلَّق ، وفى الفرض فى الصف الأول ، قال ابن رشد : فى كون العمود المخلق كان قبلَةَ النبى صلى الله عليه وسلم أو أقرب إلى قبلته صلى الله عليه وسلم قول ابن القاسم وسماعه .

قلت : وهو دال على أن العمود المخلق هو الذى عند المصلىّ الشريف ، ولهذا رَوَى ابنُ وهب عن مالك أنه سئل عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : أى المواضع أحب إليك الصلاة فيه ؟ قال : أما النافلة فموضع مصلاه ، وأما المكتوبة فأول الصفوف ، انتهى . فعبر هنا عن العمود المخلق بمُصَلاه . ورأيت فى جامع العتبية من البيان لابن رشد مالفظه : قال مالك : ليس العمود المخلق قبلة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبلة النبى صلى الله عليه وسلم هو حذو قبلة الإمام ،

و إنما قدمت القبلة حَذْوَ قبلة النبي صلى الله عليه وسلم سواء .

قال ابن رشد عقبه : وقد مر فى كتاب الصلاة عن ابن القاسم أن مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم هو العمود المخلَّق، خلاف قول مالك هنا ، انتهى. وقول مالك« و إنما قدمت القبلة» يشير به إلى المحراب الذى فى جدار القبلة بزيادة عثمان رضى الله عنه ، وهذا الذى ذكره يكاد أن يكون قَطْعياً ، وليس مراد ابن القاسم إلا أن العمود المخلق أقرب شىء إلى قبلة النبي صلى الله عليه وسلم فيعرف به ، ولهذا نقل ابن النجار عن مالك ما يقتضى أن الأسطوانة المذكورة علم لمُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه قال : قال مالك بن أنس : أرسل الحجاج ابن يوسف إلى أمهات القُرَى بمصاحف ، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير ، وكان فى صندوق عن يمين الأسطوانة التى عملت عَلَماً لمقام النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن زبالة فيما سيأتى عنه : إن الخَيْزُرَانَ لما أمرت بأن تخلق المسجد أشار عليهم إبراهيم بن الفضل فزادوا فى خَلُوق أسطوانة التوبة والأسطوان التى هى عَلَم عند مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما، وزادوا فى الخَلُوق فى أعلاهما ، انتهى . وقد توهم جماعة أن المرادَ من كلام ابن القاسم ، وما نقل عن مالك ، الأسطوانةُ المعروفة اليوم بالمخلقة ، وهى التى بأوسط الروضة ، وهو مردود ؛ لأن الأسطوانة المذكورة ليست علماً على مصلى الرسول عليه السلام اتفاقاً ، ومنشأ الوهم ظنهم اختصاصها بوصف المخلقة ، وممن اعتقد ذلك الحافظ ابن حجر فقال فى الكلام على قول يزيد بن عبيد « كنت آتى مع سَلَمة بن الأكوع فيصلى عند الأسطوانة التى عند المصحف» ما لفظه : هذا دال على أنه كان للمصحف موضع خاص به ، ووقع عند مسلم بلفظ : يصلى وراء الصندوق ، وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه ، قال : والأسطوانة المذكورة حَقَّقَ لنا بعضُ مشايخنا أنها المتوسطة فى الروضة ، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين ،

وأسرت بها عائشة لابن الزبير ، ثم وجـدت ذلك فى تاريخ المدينـة لابن النجار ، وذكره قبله محمـد بن الحسن فى أخبار المدينـة ، هذا كلام الحافظ ابن حجر ، ومرادُه بمحمد بن الحسن ابنُ زبالة ، وليس فى كلامه ولا فى كلام ابن النجار ما يقتضى أن الأسطوانة التى عنـد الصندوق هى أسطوانة المهاجرين ، إلا من حيث وصف كل منهما بالمخلقـة ، فتـوهم اتحادهما ، وليس كذلك ، والله أعلم .

محراب المسجد النبوى ، ومتى صنع ؟

وسيأتى أن المسجد الشريف لم يكن له محراب فى عهده صلى الله عليـه وسلم ولا فى عهد الخلفاء بعده ، وأن أول مَنْ أحْدَثه عمر بن عبد العزيز فى عمارة الوليد ، وزعم الأقشهرى فى روضته أن مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى موضع الصندوق ، وفى موضعه اليوم المحراب المرخم المرتفع عن المصـلى الشريف و بنائه ، فإنه قال ومن خطه نقلت : إنه قيل : إن منبر النبى صلى الله عليـــه وسلم لم يتغير تقديماً ولا تأخيرا ؛ فالزيادة وقعت فى المنبر شماليا لا غير ، وحد المنبر الأصلى اليوم مُسَاوية مع مصلى الإمام ، ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فى موضع الصندوق اليوم فهو خارج عن حد المنبر ، انتهى . واستنتج من ذلك أن يكون ما حاذى الصندوق يَمْنَة و يَسْرة ، قال : وهو مما زاده عمر روضة من رياض الجنة ، قال : لأن المصلى الشريف روضة بلا شك ، أى فما حاذاه كذلك ، وهو عجيب لم أر من سبقه إليه ، وما زعمه من أن حد المنبر — يعنى من القبلة — مساوٍ لمصلى الإمام اليوم ، يريد به أن نهاية مصلى الإمام اليوم مساوية لنهاية المنبر من جهة القبلة ، فإنه صور ذلك بخطه كما ذكرناه ، وكأنه توهم أن مصلاه صلى الله عليه وسلم كان فى محرابٍ بارزٍ عن سَمْتِ المسجد ؛ لأنه جعل ما عن يمينه و يساره من زيادة عمر رضى الله عنه ، ولم يقل به أحد ، مع أن ما زَعَمه من الاستواء لا يشهد له عقـل ولا نقل ؛ لأن المنبر الذى كان فى زمنه هو المنبر الذى كان فى زمن المطرى ، فإنهما متعاصران ، وقد سبق عن المطرى فى الفصل قبله أن بين المنبر والدرابزين الذى

فى القبلة مقدار أربع أذرع وربع ، وأنه اتضح لنا صحة ما قاله ، وذلك هو محل المنبر النبوى كما سنوضحه ، وعرض الصندوق المذكور وما بعده إلى الدرابزين المذكور ذراعان ونصف راجح ، والمنبر الذى أدركناه أولا لم يكن بينه و بين الدرابزين القبلى سوى ثلاثة أذرع ونصف راجحة ، ومع ذلك فحدُّ المنبر متأخر عن حد مصلى الإمام من جهة القبلة بنحو الذراع ، وعلى ما ذكره المطرى — وهو الصواب — يكون متأخرا بأَزْيَدَ من ذلك ، وذلك فيما يظهر هو القدر الوارد فيما كان بين المنبر والجدار القبلى ، وأوضح من ذلك فى الرد عليه أن يحيى نقل فى كتابه عن محمد بن يحيى صاحب مالك قال : وجدنا ذَرْعَ ما بين مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان بِعَهْدِهِ إلى جدار القبلة اليوم الذى فيه المحراب عشرين ذراعا وربعا ، وهذه هى الزيادة التى زيدت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال المراغى : وقد اعتبرتُه من وَجْه سترة مصلى النبى صلى الله عليه وسلم إلى جدار القبلة فكان كذلك ، و به يظهر أن المصلَّى الشريف لم يُغَير عن مكانه ، وأن الصندوق إنما جعل فى مكان الجدار الأول ، انتهى .

وقد اعتبرت ما ذكره من جدار المسجد القبلى إلى طرف المصلى الشريف المحاذى لطرف صندوق السترة ، فكان ذلك إحدى وعشرين ذراعاً ونصف[١] وربع يرجح قيراطاً ، فإذا أسقط من ذلك عرض الجدار — وهو ذراع ونصف راجح — كان الباقى عشرين ذراعاً وربعاً كما ذكره يحيى ، وقد علمت أن الصندوق المذكور له أصل قديم هناك ، فكيف يكون فى موضع المصلى الشريف ولا ينبه عليه أحد ؟ بل يذكرون ما يدل على خلافه ، بل كيف يمكنون من ذلك ، ويحرمون المسلمين التيمن بمكانه صلى الله عليه وسلم ؟ هذا مما يكاد العقل يُحيله .

(١) الصواب عربية أن يقول «ونصفاً وربعاً يرجح قيراطاً» .

وقال النووى فى مناسكه مالفظه : وفى إحياء علوم الدين أنه ــ أى المُصلّى ــ يجعل عود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، و يستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : وكأن المراد من استقبال السارية المذكورة جعلها عن جهة اليمين كما عليه وضع المصلى اليوم . وقد ذكر ابن زَبَالة هذه الأسطوانة ثم قال : حدثنى إبراهيم بن محمد عن غير واحد منهم خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك قال : إذا عدلت عنها ــ أى عن الأسطوانة المذكورة ــ قليلا وجَعَلْتَ الجزعة التى فى المقام بين عينيك والرمانة التى فى المنبر إلى شحمة أذنك قُمْتَ فى مَقَام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكأن الرمانة المذكورة كانت فى أعلى عمود المنبر النبوى ، ولذا عبر به فى الإحياء .

وسيأتى أنه لما حفر بعد الحريق الثانى لتأسيس المنبر الرخام وجدوا محل المنبر الأصلى شبه حوض من حجر ، وفى جانبيه من المشرق والمغرب فرضتان منقورتان فى الحجر بهما شىء من الرصاص بحيث لا يخفى على مَنْ أحاط عِلماً بصفة المنبر النبوى أنهما محلُّ عَمُوديه كانا محكمين بالرصاص فيهما ، وقد وقعت فى المصلى الشريف مما يلى مؤخرهُ ، وتأملت الفرضة التى مما تلى الروضة فوجدتها فى محاذاة يمينى ، فظهر أنها المرادة .

وأما الجزعة فذكر المطرى أن هذه الجزعة كانت فى المحراب القبلى المقابل للمصلى الشريف ، وأنها أزيلت منه ، قال : وما حققه الغزالى عند ذكر المصلى الشريف بقوله « إذا وقف المصلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم تكون رُمَّانة المنبر حذو منكبه الأيمن و يجعل الجزعة التى فى القبلة بين عينيه فيكون واقفا فى مصلى النبى صلى الله عليه وسلم إنما كان قبل حريق المسجد ، وقبل أن يجعل هذا

اللوح القائم فى قبلة مصلى النبى صلى الله عليه وسلم : أى فإنه صار يحجب عن مشاهدة ما فى المحراب القبلى ، قال : و إنما جعل بعد حريق المسجد ، قال : وكان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة وتشويش على من يكون بالروضة الشريفة من المجاورين وغيرهم .

وذلك أنه كان يجتمع إليها الرجال والنساء ، ويقال : هذه خرزة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت عالية لا تُنَال بالأيدى ، فتقف المرأة لصاحبتها حتى ترقى على ظهرها وكتفيها حتى تصل إليها ، فربما وقعت المرأة وانكشفت عورتها ، وربما وقعتا معا .

فلما كان سنة إحدى وسبعمائة جاور الصاحبُ زينُ الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حنا المصرى ، فرأى ذلك ، فاستعظمه وأمر بقلع الجزعة ، فقُلعت ، قال : وهى الآن فى حاصل الحرم ، ثم توجه إلى مكة فى أثناء السنة فرأى أيضاً ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام ، وتعلق الناس بعضهم ببعض ، وحَمْل النساء على أعناق الرجال للاستمساك بالعروة الوثقى فى زعمهم ، فأمر بقَلْع ذلك المثال ، وزالت تلك البدعة أيضاً، ولله الحمد .

قلت : والظاهر أن هذه الجزعة هى التى ذكرها ابن جُبَير فى رحلته فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لما قدم المدينة ، قال : رأيت على المحراب مسمارا مُثَبتاً فى جداره فيه يِشْبِهُ حُقٌّ صغير لا يعرف من أى شىء هو يزعمون أنه كأس كسرى ، وشاهدت على رأس المحراب حجرا مربعاً أصفر قدر شبر فى شبر ظاهر البريق والبصيص ، يقال : إنه مرآة كسرى ، والله أعلم بحقيقة ذلك كله ، انتهى .

ثم رأيت فى العِقْدِ لابن عبد ربه ـ وهو أقدم من ابن جُبَير ـ أن على ترس يعنى المحراب العثمانى فضة ثابتة غليظة فى وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة

رضى الله عنها ، ثم فوقه إزار رخام فيه نقوش صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبى الصغير مسمرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مُخَلَّق بالخَلُوق فيه الوَتِدُ الذى كان صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليه فى المحراب الأول ، انتهى

قلت : وقد سألت عن هـذه الجزعة المتولىَ لأمر حاصل الحرم الشريف وخازِنَ دارِهِ ــ وكان قديم الهجرة ــ وغيرهما، فقالوا : إنه ليس عندهم بالحاصل شىء من ذلك،ولعل ذلك ذهب فيما أخذه الأمير جماز عند كسر حاصل الحرم الشريف ، وقد وسع المحراب القبلى عما كان عليـه وزيد فى طوله بعد هدم الجدار القبلى بعد الحريق الثانى

وقال ابن زبالة : إن ذَرْعَ ما بين المنبر ومقام النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه حتى توفى صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ذراعا وشبرا

قلت : وقد ذرَعْتُ ما بين المنبر الموجود قبل الحريق الثانى وأعلى الحفرة الذى ينزل منه إلى درجتها من ناحية مؤخر المصلى الشريف ، فكان أربعة عشر ذراعا ، وعرض الدرجة شبر راجح ؛ فصح ذلك ، وأما حده من جهة المشرق فسيأتى أن جعله على هذه الهيئة الموجودة اليوم أمر حادث

وقد قال ابن زبالة : إن ذَرْعَ ما بين مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم من مسجده الأول و بين أسطوان التوبة سبع عشرة ذراعا ، وأسطوان التوبة فى جهة المشرق ، وقد ذَرَعْتُ ما بينها و بين درجة الحفرة الشرقية فـكانت ست عشرة ذراعا ، فعلمنا بذلك أن المصلى الشريف فى جانب الحفرة الغربى ، وأن مايلى المشرق منها ليس منه ، و يشهد له ما سبق من كلام مالك والإحياء لذكرها السارية التى عندها الصندوق ، بل فى خط الأقشهرى فى مصنفه فى الزيادة ضبط قول ابن زبالة فيما بين المصلى الشريف وأسطوان التوبة تسع عشرة ذراعا ــ بتقديم التاء على السين ــ وقد ذرعت مابين طرف أسطوان التوبة الشرقى و بين طرف الحفرة

الغربى فكان كذلك

ونقل الأقشهرى أيضا عن أبى غسان أَحَدِ أصحاب مالك أن مابين الحجرة الشريفة ومقام النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يقوم فيه ثمانية وثلاثون ذراعا ، وأن مابينه و بين المنبر الشريف مثل ما سبق عن ابن ز بالة ، وقد اختبرت ما بين طرف الحفرة الغربى ورُخَام جدار الحجرة الشريفة فكان ثمانية وثلاثين ذراعا ، فعلمنا أن المحافَظَ عليه فى حد المصلى الشريف هو طرف الحفرة الغربى ، ولم تكن هذه الحفرة فى الزمن القديم ، ولهذا قال المجد : حكى ابنُ النجار الإجماعَ على أن المصلى الشريف لم يغير بتقديم وتأخير ، و إنما غيرت هيئته فى هذا العصر الأخير بجعل المصلى شبه حفير أو حوض صغير منخفض عن موقف المأمومين نحو ذراع بسبب ترخيمه وتكاثر الرمل المفروش به الروضة

قلت : وهو الآن شبه حوض مربع ينزل إليه بدرجة طولُه ذراعان ونصف وثمن ، وعرضه ذراعان ونصف ونصف ثمن ، لكن زاد وافى طوله فى العمارة الحادثة بعد الحريق أرجح من نصف ثمن ذراع ونحوه فى العرض

قال البدر ابن فرحون وغيره : وما زال العلماء الأئمة يَتَحَرَّجون من ذلك ، وفى أيام القاضى السراج – وهوأول قاض ولى لأهل السنة – فمن بعده كانت ترفع تلك الحفيرة بالرمل حتى تزول الكراهة ، إلى أيام الشرف الأسيوطى ، فأراد طَمْسَ الحفرة أو رَفْعَها و إزالة الخشب المنقوش أمامها الآتى ذكره ، فقام عليه بعض الناس من الخدام ، واستعانوا عليه بالأشراف ، فكف وانتقل عن المحراب، وصار يصلى إلى الأسطوانة التى تقابل أسطوانة الوفود – أى من مقدم الروضة – ولزمها إلى أن مات ، وصار من الفقهاء مَنْ يرفع الكراهة بما يحصل من القرب إلى مقامه صلى الله عليه وسلم وموضع قدمه ، وهذه نزغة ؛ فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الموقف سواء ، فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى

قلت : وهذه الحفرة بعيدة من موقف النبى صلى الله عليه وسلم لعلو الأرض ؛ لما سيأتى عن البدر ابن فرحون أنهم وجدوا عند تجديد المنارة التى بباب السلام باب مروان وتحصيب المسجد الشريف القديم بعد حَفْر قامة ، ولما اتضح لنا فى العمارة الآنى ذكرها ؛ فقد اعتبرتُ أرضَ الحجرة الشريفة وأرضَ المسجد ، فكان بينهما من التفاوت ذراعان ونصف وأزيد ، لكن مقتضى ما ظهر من الرخام الذى وصفه ابنُ زبالة حول المنبر ومشاهدتنا لما انكشف منه فيما بين المنبر والأساطين التى خلفه عدم بعض أرض هذه الحفرة من محل الموقف الشريف فى ذلك العصر ؛ لأن نسبة ما بين هذه الحفرة والرخام المذكور أقل من نصف ذراع ، وقد حققتُ مسألة انخفاض المصلى الشريف فى كتابى الموسوم « بكشف الجلباب والحجاب عن القدوة فى الشباك والرحاب » ولم يتحرر لى ابتداء ترخيم المصلى الشريف وجعله على هذه الهيئة ، وسماه ابنُ جُبَير فى رحلته بالروضة الصغيرة ، وقال : إن الإمام يصلى بالروضة الصغيرة المذكورة إلى جانبها الصندوق ، وقال قبل ذلك فى وصفها : وبإزائها لجهة القبلة عمود مطبق يقال : إنه على بقية الجذع الذى حَنَّ للنبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى حافتها فى القبلة منها الصندوق ، انتهى .

ولم يذكر فيها ترخيما ولا انخفاضا ، مع ذكره لذلك فى المحل الذى عليه المنبر كما سيأتى ، والظاهر أن حدوث انخفاض المصلى الشريف بما حوله تجدد بعد الحريق الأول ، وقد اقتضى رأى متولى العمارة الحادثة بعد الحريق الثانى أن يخفض أرض المسجد حتى تكون مساوية للمصلى الشريف ، فقطع من الأرض نحو ذراع ؛ فكانوا يجدون طبقةمن التراب ، وتليها طبقة من الرمل، حتى وصلوا إلى الأرض المساوية للمصلى الشريف ، وظهر لهم الرخام الذى كان عليه المنبر الشريف بعد حفر نحو نصف ذراع ، وحصل بذلك إزالة هذه البدعة ، ولله الحمد والمنة .

وكان فى قبلة المصلى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة يعلوه محراب قد

أُمتج الصناع فيه نتائج مبدعة من صنعة التجارة ، والمحرابُ المذكور شبه باب نَقَنْطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور مكتوب فى داخله أمام مُسْتَقْبِلِه بعد البسملة آية الكرسى[1] ، وعلى ظاهر الباب المقنطر بعد البسملة « قد نرى تَقَلُّبَ وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها[2] » الآية ،وفيه صنعة عجيبة وصبغ باللازَوَرْدِ وتَذْهِيبٌ عجيب يشغل الخاطر ، ويفرق القلب الحاضر ؛ إذ لا قَلْبَ أجمع وأعلى وأرفع من قلب سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد قال فى شأن الخميصة من أجل تلك الأعلام « اذهبوا بخميصتى[3] هذه إلى أبى جَهْم وائتونى بأنبجانية أبى جهم ، فإنها ألهتنى آنفا عن صلاتى » وسيأتى أنه لما قال عمر بن عبد العزيز بعد زخرفة المسجد لعمرو بن عثمان رضى الله عنه : بناؤنا أحسن أم بناؤكم ؟ فقال له : بنيناه بناء المساجد ، و بنيتموه بناء الكنائس

وقال مالك فيما نقله عنه صاحب التبصرة : كره الناسُ ما فعل فى قبلة المسجد بالمدينة من التزاويق؛ لأنه يشغل الناس فى صلاتهم، وأرى أن يُزَالَ كل ما يشغل الناس عن الصلاة ، وإن عَظُمَ ما كان أنفق فيه فالله تعالى يبعث لهذا المصلى الشريف مَنْ يزيل عنه هذه الزخارف ويسويه كما كان فى زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقد أُدْعِمَ[4] هذا المحراب الخشبى من ورائه بدعامة شبه التاج العظيم حتى اتصل بالدرابزين الذى بين الأساطين فى قبلة الروضة ، وبرز عنها ، وجعل فى أعلاه وعن يمينه وشماله مع امتداد الروضة مغارز لفرخات القناديل المسماة بالبزاقات تسرج فى ليالى الزيارات ، وفى داخله كسوة جليلة من الحرير من جنس كسوة الحُجْرة الشريفة ذات طراز منسوج ، وقد احترق ذلك كله فى الحريق الثانى الآتى ذكره ، وذلك بعد تمام هذا التأليف ، فاقتضى رأى متولى العمارة الحادثة بعد ذلك إبداله بمحراب مُرَخَّم فى دعامة تبنى فى محل الصندوق المذكور ، فحفروا هناك

(١) هى الآية ٢٥٥ من سورة البقرة (٢) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

(٣) الخميصة : ثوب مخطط من خز أو صوف ، وقيل : الأسود المخطط خاصة .

(٤) فى المطبوعات «وقد أوهم» تطبيع .

لأساسها نحو القامة ، فوجدوا هناك قبرا بدا لحده مسدودا باللبِن أخرجوا منه بعض العظام ، ووجدوا الأقدمين لما أسسوا الأسطوانة التى عنده حرفوا أساسها عنه قليلا ، فتركوه على حاله ، وأسسوا المحراب المذكور ، ورخّموه بالرخام الملوّن ترخيما بديعا فيه صبغ ذهبى وغيره ، وهو أبهى منظرا من الأول ، وجعلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلا على المصلى الشريف ؛ لأنه إنما جعل فى محل الصندوق الذى كان أمام المصلى الشريف ، فليتنبه لذلك ، والله أعلم .

تنبيهات — الأول : قال البخارى فى صحيحه « باب قدركم ينبغى أن يكون بين المصلى والسترة » ثم روى عن سهل بن سعد قال : كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين الجدار ممر الشاة ، ثم روى عن سَلَمة — يعنى ابن الأكوع — قال : كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة ، تجوزها : أى المسافة ، وهى ما بين المنبر والجدار ، وقوله فى الحديث الأول « كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » أى مقامه فى صلاته ، وكذا هو فى رواية أبى داود ، وقوله « و بين الجدار » أى جدار المسجد مما يلى القبلة كما صرّح به من طريق ابن غسان فى الاعتصام ، ومنه يعلم مافى قول النووى فى شرح مسلم : يعنى بالمصلى موضع السجود ، والحديث الثانى رواه الإسماعيلى بلفظ : كان المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينه و بين حائط القبلة إلا قدر ما تمر العنز . قال الكرمانى فى بيان مطابقته للتبويب : إن ذلك من حيث إنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم بجنب المنبر : أى ولم يكن لمسجده محراب ، فيكون مسافة ما بينه وبين الجدار نظير ما بين المنبر والجدار ، فكأنه قال : الذى ينبغى أن يكون بين المصلى وسترته قدر ما كان بين منبره صلى الله عليه وسلم وجدار القبلة

قلت : وكأنّ الكرمانى بنى ذلك على ما عهده فى غالب المساجد من أن مصلى الإمام يكون إلى جانب المنبر ، وقد تقدم بيانُ ما بينهما من المسافة وحكايةُ الإجماع على أنه لم يغير ، وأيضا فلا يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم كان يصلى

إلى جانب المنبر أن يكون بينه و بين الجدار نظير ما بين المنبر والجدار كما لا يخفى، وأوضح مما ذكره — كما قال الحافظ ابن حجر — ما ذكره ابن رشد من أن البخارى أشار إلى حديث سعد بن سهل الذى فى باب الصلاة على المنبر فإن فيه أنه صلى الله عليه وسلم « قام على المنبر حين عمل ، وصلى عليه » فاقتضى ذلك أن ما بين المنبر والجدار يؤخذ منه موضع قيام المصلى .

قلت : لكن يلزم من ذلك التأخر عند السجود ؛ لأن ذلك المقدار لا يتأتى فيه السجود ، وقد ثبت رجوعه صلى الله عليه وسلم القَهْقَرَى[1] من أجل السجود لما صلى على المنبر لعدم تأتِّيه عليه .

وقال ابن بطال : هذا أقل ما يكون بين المصلى وسترته ، يعنى قدر ممر الشاة ، وقيل : أقل ذلك ثلاثة أذرع ؛ لحديث بلال أن النبى صلى الله عليه وسلم « صلى فى الكعبة و بينه و بين الجدار ثلاثة أذرع » كما فى الصحيح، وجمع الداودى بأن أقله ممر الشاة، وأكثره ثلاثة أذرع ، وجمع بعضهم بأن الأول فى حال القيام والقعود ، والثانى فى حال الركوع والسجود ، قاله الحافظ ابن حجر .

قلت : و يلزمه التأخر عن موقفه الأول عندهما كما قدمناه ، وهو متعين ؛ إذ لا يتأتى السجود فى أقل من ثلاثة أذرع ، ولهذا كان حريم المصَلِّى الذى يكون بينه و بين سترته ثلاثة أذرع عندنا .

وقال ابن الصلاح : قدروا ممر الشاة بثلاث أذرع[2] .

قال الحافظ ابن حجر : ولا يخفى ما فيه .

قلت : الظاهر أن البخارى إنما أورد حديث سلمة المشتمل على بيان ما بين المنبر والجدار ليستدل به على مقدار ممر الشاة ، فإن ما بينهما كان معلوما عندهم ، وقد تقدم عن العتبية أنه كان بينهما قدر ما يمر الرجل منحرفا ، والذى اقتضى حمل

---

(١) رجع القهقرى : أى إلى خلف .

(٢) هذا نوع آخر من الجمع بين حديث ممر العنز وحديث ثلاث الأذرع وملخصه أن العبارتين مترادفتان ، لكنه ليس بمسلم ، كما أشار إليه ابن حجر ، وأوضحه المؤلف بعده .

ابن الصلاح ممر الشاة على ما ذكره أن ذلك هو القدر الذى يتأتى فيه السجود مع الاستمرار فى الموقف .

وقد قال البغوى : استحبّ أهلُ العلم الدنوّ من السترة بحيث يكون بينه و بينها قدر إمكان السجود ، وكذلك بين الصفوف ، وقد ورد الأمر بالدنو من السترة مع بيان حكمة ذلك ، وهو ما رواه أبو داود وغيره مرفوعا : « إذا صلى أحدكم إلى سترة فَلْيَدْنُ منها لا يقطع[1] الشيطان عليه صلاته» ، قال الحافظ ابن حجر: وهو حديث حسن ، والله أعلم .

التنبيه الثانى — فى العُودِ الذى كان فى المصلَّى الشريف .

رو ينا فى كتاب يحيى عن مصعب بن ثابت قال : طلبنا علم العود الذى كان فى مَقَامِ النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم نقدر على أحد يذكر لنا فيه شيئا ، قال مصعب : حتى أخبرنى محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة قال : جلس إلىَّ أنسُ بن مالك ، فقال : تدرى لم صُنِعَ هذا العود ؟ وما أسأله عنه ، فقلت : لا والله ما أدرى لم صنع ، فقال أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَضَعُ عليه يمينه ثم يلتفت إلينا فيقول : استَوُوا، واعدلوا صفوفكم .

وعن أنس بن مالك قال : لما سُرِقَ العودُ الذى كان فى المحراب فلم يجده أبو بكر حتى وجده عمر رضى الله عنهما عند رجل من الأنصار بقُبَاء قد دُفن فى الأرض أكلته الأرَضَةُ ، فأخذ له عودا ،فشقه فأدخله فيه ، ثم شَعَبه[2] ،فرده فى الجدار ، وهو العود الذى وضعه عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى القبلة ، وهو الذى فى المحراب اليوم باقٍ فيه .

وعند أبى داود عن محمد بن أسلم صاحب المقصورة قال : صَلَّيْتُ إلى جنب أنس بن مالك يوما فقال : هل تدرى لم صنع هذا العود ؟ فقلت : لا والله ،

---

(١) يقطعها بالمرور فى المكان المتروك ، أو يحمل من يمر فيها فيكون مروره قاطعاً للصلاة .

(٢) شعبه : أصلحه .

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليه فيقول : « استووا واعدلوا صفوفكم » .

قلت : سيأتى فى الكلام على الجذع أن الأسطوانة المتقدم ذكرها التى هى عَلَمَ المصلَّى الشريف كان بها خشبة ظاهرة محكمة بالرصاص ، يقول الناس : إنها من الجذع الذى حَنَّ للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأن المطرى قال : إن الأمر ليس كذلك ، و إن العز ابن جماعة أمر بإزالتها ، فأزيلت عام خمس وخمسين وسبعمائة .

قال المجد : ورأى بعضُ العلماء أن إزالتها كانت وهما منهما ، وذلك أن إتقان هذه الخشبة ، وترصيصها بين حجارة الأسطوان و إبرازها لم يكن سُدًى[1] ، و إنما شاهد الحالِ يشهدُ بأنه كان من عمل عمر بن عبد العزيز ؛ فالظاهر أنه كان من الجذع .

قلت : بل الظاهر أنها ليست منه ؛ إذ لم ينقل بقاء شىء منه ، بل الظاهر أنها من هذا العود المذكور ؛ لما قدمناه فيه ، ولما سيأتى عن ابن النجار .

وقول الزينى المراغى : « إن احتمال ذلك كان يمكن تسليمه قبل حريق المسجد ، أما بعده فمردود ؛ لأنه بقى من حريق المسجد بقايا خشب كثيرة كما سنحققه » .

وقول المؤرخين : « إنه لم يبق ولا خشبة واحدة » مردود ؛ فقد شاهدت عند إزالة هَدْم الحريق من الحجرة الشريفة ما لا يحصى من أطراف الخشب المحترق ، حتى ميزاب الحجرة الشريفة رأيته من عَرْعَر[2] فيما أظن احترق بعضُه و بقى منه قَدْرُ الذراع ، وأخذ الناسُ كثيرا من تلك الأخشاب ، واتخذ متولى العمارة وغيره منها سُبَحاً كثيرة ، وعبارة ابن النجار صريحة فيما ذكرناه من كون العود المذكور كان بالأسطوانة المذكورة ، فإنه ترجم عليه بقوله : « ذكر العود الذى

---

(١) لم يكن سدى : أى لم يكن بغير سبب ، وفى بعض النسخ « لم يكن أسداً » تحريف ، وفى المطبوعات « لم يكن سداً » خطأ فى الكتابة .

(٢) العرعر ــ بفتح العينين وسكون الراء بينهما ــ شجر السرو ، وذكر المجد أنها فارسية .

فى الأسطوانة التى عن يمين القبلة » ، ثم روى عن أهل السير خبر مُصْعَب بن ثابت المتقدم .

وشُيُوعُ أن تلك الخشبة من الجذع قديم ، فقد قال ابن جُبَيْر فى رحلته : إن بإزاء الروضة — يعنى المصلى الشريف منها — لجهة القبلة عمودا مطبقا يقال: أنه على بقية الجذع الذى حَنَّ للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس و يبادرون للتبرك بلَمْسِها ومسح خدودهم فيها ، وعلى حافتها فى القبلة منها الصندوق ، انتهى .

واستفيد منه أيضا أن وضع الصندوق هناك كان قبل حريق المسجد فى زمنه ، وسبب الشيوع المذكور فى تلك الخشبة ما سيأتى من أن الجذع كان قريبا من محل الأسطوانة المذكورة ؛ فالظاهر أن الخشبة المذكورة كانت قريبا منه فى الجدار ، فجعلت فى تلك الأسطوانة لقربها من المحل الأول ؛ فقد روى يحيى أيضا عن أنس ابن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يَسْتَمْسك بعود كان فى القبلة ، ثم يلتفت عن يمينه وعن شماله ، فإذا استوت الصفوف كبر » .

وروى ابن زبالة عن عمرو بن مسلم قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم حين أسَنَّ قد جُعِلَ له العود الذى فى المقام ، إذا قام فى الصلاة توكأ عليه ، قال : ثم ألصق إليه عود معه ، وروى أيضا هو ويحيى من طريقه عن مسلم بن خباب قال: لما قدم عمر رضى الله عنه القبلة فَقَدَ العود الذى كان مغروسا فى الجدار ، فطلبوه ، فذُكر لهم أنه فى مسجد بنى عمرو بن عَوْف أخذوه فجعلوه فى مسجدهم ، فأخذه عمر فرده إلى المحراب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة أمسكه بكفه يعتمد عليه ، ثم يلتفت فى شقه الأيمن فيقول : عدِّلوا صفوفكم ، ثم يلتفت إلى الأيسر فيقول مثل ذلك ، ثم يكبر للصلاة ، وذلك العود من طَرْفَاء الغابة (١) .

---

(١) الطرفاء : اسم لأربعة أنواع من الشجر : أولها الأثل ، وواحدته طرفاءة ، وطرفة ، وبها لقب طرفة بن العبد البكرى ، وفى الشعراء أربعة غيره سموا بهذا الاسم .

هل مصلاه صلى الله عليه وسلم على عين القبلة أو جهتها ؟

التنبيه الثالث — أسند يحيى عقب ما تقدم عن ابن عباس قال : كنت أرى صفحة خد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى فى مسجده يَتَيَامن .

وعن عروة : كان الزبير بن العوام وأناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيامنون ويقولون : إن البيت تِهامى ، قال يحيى : وسمعت غير واحد من مشايخنا ممن يُقتدَى به يقول : المنبر على القبلة .

قلت : لعلّ ما ذكره من التيامن فى غير المصلّى الشريفِ ، والذى ذكره أصحابنا أنه لا يجتهد فى محراب النبى صلى الله عليه وسلم لأنه صواب قطعا ؛ إذ لا يُقَرُّ على خطأ ؛ فلا مَجَال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد فى اليَمْنَةِ واليَسْرَة ، بخلاف محاريب المسلمين ، سيما وقد تقدم أنه وضعه وجبريل يؤُمُّ به البيت ، والمراد بمحرابه صلى الله عليه وسلم مكان مُصلاَّه ، فإنه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم محراب ، نعم إن ثَبتَ تيامنه صلى الله عليه وسلم فى مكان مصلاه فما نقله متجه ، ويؤيده أن الدكة التى ظهرت فى محل المنبر ووجد فيها آثار قوائم المنبر النبوى كما سيأتى متيامنة ، ولذا حرّضتُ على بقائها على ماوجدت عليه فبقيت على حالها ، إلا أنهم وضعوا المنبر عليها غيرَ متيامن فصار محرفا عنها ، وعبارة النووى فى التحقيق : وكل موضع صلى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وضبط موقفه تعين ، ولا يجتهد فيه بتيامن ولا تياسر ، انتهى .

وقال الشيخ محب الدين الطبرى فى شرح التنبيه ، ومن خطه نقلت : إن قيل محرابه صلى الله عليه وسلم على عين الكعبة ؛ إذ لا يجوز فيه الخطأ ، فيلزم مما قلتم أنه لا يصح صلاة من بينه وبينه من أحد جانبيه أكثر من سَمْت الكعبة إلا مع الانحراف .

قلنا : من أين لكم أنه على عين الكعبة ؟ فيجوز أن يكون ذلك ولا خطأ بناء على أن الفرض [1] الجهة ، نعم إن روى فى الصحيح أنه نصب على العين فنقول :

(١) يريد أن فرض الاستقبال فى الصلاة هو جهة القبلة ، وهو قول من أقوال معتبرة للفقهاء ، والثانى أن الفرض هو عين القبلة ، والثالث الفرق بين من يصلى عند الكعبة فيتعين عليه الاتجاه إلى عينها ، ومن يصلى بعيداً ففرضه جهتها .

مقتضى الدليل ما ذكرتموه على القولين ، أما على العين فظاهر ، وأما على الجهة فإنما ذلك عندعدم المشاهدة ، وهذا المحراب منزل منزلة الكعبة فمشاهدُهُ كمشاهدِ هاَ ، إلا أن إجماع الصحابة رضى الله عنهم على بناء مسجد النبى صلى الله عليه وسلم واسعا وصلاتهم فى أقطاره من غير أن ينقل الانحرافُ عنهم دليلٌ على طَرْدِ حكم البعد فى كل مكان ، سواء تحقق صَوْبُ عين الكعبة أم لا ، توسعة وتعميما للحكم ، وتحقيقاً للقول بأن فرض البعيد هو الجهة مطلقا ، ولا أعلم أحدا تكلم فى هذه المسألة ، والظاهر فيها ما ذكرته ، انتهى .

وفيه نظر ، بل صلاة مَنْ بينه و بين المصلى الشريف أكثر من سَمْت الكعبة صحيح ، واعتبار العين من غير انحراف لما تقرر من أن المسامتة تصدق مع البعد،ألا ترى أن الدائرة إذا عظمت اتسعت الخطوط فيُسَامت الخطُّ الخارجُ من جبين المصلى الكعبَةَ ظناً ، وهو المكلف به فى البعد ، نعم هذا يقتضى جواز الاجتهاد بالتيامن والتياسر لمن بينه و بين المصلى الشريف أكثر من سمت الكعبة إلا أن ينقل عدمه عن الصحابة فى زمنه صلى الله عليه وسلم مع إقراره صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك ، والله أعلم .

قد تم — بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه — الجزء الأول من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » تأليف العلامة المحقق ، والمؤرخ المدقق ، نور الدين على السمهوري ، أحد علماء القرن العاشر الهجرى ، و يليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى منه ، وأوله «الفصل الرابع ، فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه النبى صلى الله عليه وسلم — إلخ » نسأل الله الذى بيده تتم الصالحات أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله ؛ إنه لامعين سواه ، ولا يوفق للخير غيره .

وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين على بن أحمد السمهودى

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة

تحقيق

محمد محيى الدين عبد الحميد

الجزء ٣-٤



دار الطلائع



وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين على بن أحمد السمهودى

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !

الجزء الثانى

الحمدُ لله الذى اختار رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم من أطيب الا رومات ، والصلاةُ والسلامُ الأَتمَّانِ الأَكْمَلاَن على أشرف الـكائنات ، وعلى آله وصحبه الذين فَدَوْهُ بالأنفُس والأموال و بالآباء والأمهات . وعلى مَنِ اتبعه واتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

الفصل الرابع

في خبر الجِذع الذى كان يخطب إليه صلى الله عليه وسلم

واتخاذه المنبر ، وما اتفق فيه ، وماجعل بَدَلَه بعد الحريق، واتخاذ الكسوة له

الروايات في حنين الجذع

روينا فى صحيح البخارى عن ابن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَخْطُبُ إلى جِذْعٍ ، فلما اتخذ المنبَرَ تحول إليه ، فحنَّ الجذعُ ، فأتاه فمسح يده عليه

وفيه عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم «كان يقومُ يومَ الجمعة إلى شجرة أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار ، أورَجُل : يارسول الله ، ألا نجعل لك منبرا ؟ قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبرا ، فلما كان يوم الجمعة رفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبى ، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضَمَّهُ إليه وهو يَئِنُّ أنينَ الصبى الذى يسكن ، قال : كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها .

وفيه أيضا عنه : كان المسجد مسقوفا على جُذُوع من نخل ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جِذْعٍ منها، فلما صُنِع له المنبر فكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت[1] العِشار، الحديثَ .

وعند النسائى فى الكبرى عن جابر : اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخَلُوج : أى التى انتزع ولدها منها

وعند ابن خزيمة عن أنس : فحَنَّتِ الخشبة حَنين الوالِهِ[2] .

وفى روايته الأخرى عند الدارمىّ : خَارَ[3] ذلك الجذع كخُوَار الثور .

وفى حديث أبى بن كعب عند أحمد والدارمى وابن ماجة : فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق .

وفى حديثه : فأخذ أبى بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وعاد رُفَاتا[4] .

---

(١) العشار : جمع عشراء ـ بضم العين وفتح الشين ـ وهى الناقة الحامل ، وفى القرآن الكريم : (وإذا العشار عطلت) .

(٢) الواله : وصف من الوله ، وهو ذهاب العقل حيرة من عشق أو حزن أو نحوهما.

(٣) خار : صوت .

(٤) عاد : صار ، والرفات ـ بضم الراء ـ الهشيم .

وفى حـديث أبى سعيد عند الدارمى : فأمر به أن يُحفَر له و يُدْفَنَ ، وسيأتى أحاديث بذلك ، ولا تنافى بين ذلك ؛ لاحتمال أن يكون ظَهَرَ بعـد الهدم عند التنظيف ، فأخذهُ أبى بن كعب .

وقال أبو اليمن بن عساكر فى تحفته : وفى رواية فلما جلس عليه أى المنبر حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها ، حتى نزل النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها ، فلما كان من الغد رأيتها قد حُوِّلَتْ ، فقلنا : ما هذا ؟ قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فحولوها ، انتهى .

وفى مسند الدارمى من حديث بريدة : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب قام فأطال القيام ، فكان يَشُقُّ عليه قيامُه ، فأتى بجذع نخلة ، فحفر له وأقيم إلى جنبه قائما للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتّكى عليه، فبصر به رجل كان وَرَدَ المدينة فرآه قائما إلى جنب ذلك الجذع ، فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمداً يحمدنى فى شىء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه ، فإن شاء جلس ماشاء ، وإن شاء قام ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ائتونى به ، فأتوه به ، فأمر أن يصنع له هذه المراقى الثلاث أو الأربع ، هى الآن فى مسجد المدينة ؛ فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك راحة ، فلما فارَقَ النبى صلى الله عليه وسلم الجذعَ وعمد إلى هذه التى صنع له جَزِعَ الجذع فحَنَّ كما تحنُّ الناقة ، حين فارقه النبى صلى الله عليه وسلم ، فزعم ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع حنين الجذع رجع إليه فوضع يده عليه ، وقال : اخْتَرْ أن أغرسك فى المكان الذى كنت فيه فتكون كما كنت ، وإن شئت أن أغرسَكَ فى الجنة ، فتشرب من أنهارها وعيونها فتحسُنَ زينتك ، وتثمر ، فتأكل أولياء الله من ثمرتك وتخلد ؛ فَعَلْتُ ؛ فزعم أنه سمع من النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : نعم قد فعلت ، مرتين ، فسئل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : اختار أن أغرسه فى الجنة .

ولفظه عند عياض : إن شئتَ أردكَ إلى الحائط[1] الذى كنت فيه تُنْبِتُ لك عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد لك خوص وثمرة ، وإن شئت أغرسك فى الجنة فتأكل أولياء الله من ثمرك ، ثم أصغى له النبى صلى الله عليه وسلم يسمع مايقول ، فقال : بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى أولياء الله وأكون فى مكان لا أبلى فيه فسمعه مَنْ يليه ، قال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، ثم قال : اختارَ دار البقاء على دار الفناء ، فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال : ياعبادَ الله ، الخشبة تحنُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه ، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه ، وهو فى كتاب يحيى بنحوه ، وفى حديث سهل بن سعد عند أبى نعيم : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ألا تعجبون من حنين هذه الخشبة ، فأقبل الناس عليها فسمعوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم .

وفى لفظ عند ابن عبد البر : فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق، فرجع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسحه بيده حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر ، قال : فكان إذا صلى صلى إليه ، فلما هُدم المسجد أخَذَ ذلك الجذعَ أبىٌّ بن كعب فلم يزل عنده حتى أكلته الأرَضَةُ وعاد رُفَاتا .

وهذا يبعد ماقدمناه من التأويل ؛ إذا ظاهرهُ أنه لم يدفن .

ويحتمل أن ذلك كان بعد دفنه، ومشى يصلى إليه قريبا منه ؛ لأنه كان عند مُصَلاَّه كما سنحققه .

وفى كتاب يحيى عن أبى سعيد : كان صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع نخلة ، فأتاه رجل رومى ، فقال : أصنع لك منبرا تخطب عليه ، فصنع له منبره الذى ترون ، فلما قام عليه فخطب حَنَّ الجذع حنين الناقة إلى ولدها، فنزل إليه النبى صلى الله عليه وسلم فضَمَّهُ فسَكن ، وأمر به النبى صلى الله عليه وسلم أن يُدْفَنَ ويحفر له .

---

(١) الحائط : الحديقة والبستان من النخيل إذا كان عليه جدار

وعن عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صل الله عليه وسلم يخطب إلى جذع يتساند إليه ، فمر رومى فقال : لو دعانى محمد لعملت له ما هو أرفق له من هذا ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إليه ، فدعاه ، فجعل له المنبر ، ثم ذكر حنين الجذع وتخيير النبى صلى الله عليه وسلم له ، قال : فقالت : فسمعنا النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول : فنعم ، فغار[1] الجذع فذهب .

وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى الجذع ، فلما اتخذ المنبر وعدل إليه حن الجذع حتى أتاه فاحتضنه فسكن ، وقال : لو لم أفعل هذا الحنّ إلى يوم القيامة .

وذكر الإسفراييني أن النبى صلى الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه ، فجاء يخرق الأرض ، فالتزمه ، ثم أمره فعاد إلى مكانه .

صانع المنبر

وفى كتاب ابن زبالة عن خالد بن سعيد مرسلا أن تميما الدارى كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتدّ عليه وجع كان يجده فى فخذيه يقال له الزجر[2] ، فقال له تميم : يا رسول الله ألا أصنع لك منبرا تقوم عليه ، فإنه أهون عليك إذا قمت و إذا قعدت ؟ قال : وكيف المنبر ؟ قال : أنا يا رسول الله أصنعه لك ، قال : فخرج إلى الغابة فقطع منها خَشَبَاتٍ من أثْلٍ ، فعمل له درجتين : أى غير المقعد ، فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخشبة التى كان يستند إليها إذا خطب ، ثم ذكر حنينها ، وقال : بلغنا أنها دفنت تحت المنبر .

وعن المطلب بن حنطب أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالجذع فحفر له تحت المنبر فدفن هنالك ، قال : والذى عمل المنبر غلام نصيبة المخزومى ، وكان المنبر من أثْلَةٍ كانت قريباً من المسجد .

وعن سهل بن سعد الساعدى نحو ما فى الصحيح أن رجالا أتوا سهلا وقد امتروا[3] فى المنبر مِمّ عودُهُ ، فسألوه عن ذلك ، فقال : والله إنى لأعرف مِمّ هو ،

---

(١) فغار الجذع : أراد فغاص فى الأرض .

(٢) الزجر : هكذا وقع هذا اللفظ فى الأصول كلها ، ولم أتحققه على ما أحب .

(٣) امتروا : شكوا

ولقد رأيته أولَ يومٍ وُضِعَ ، وأول يوم جلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة امرأةٍ من الأنصار قد سماها سهل : مُرِى غلامَكِ النجار ، أن يعمل لى أعواداً أجلس عليها إذا كلمت الناس ، فأمرته فعملها من طَرْفاء الغابة ، ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بها فوضعت ههنا ، ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليها وكبر وهو عليها ، ثم ركع وهو عليها ، ثم نزل القَهْقَرَى فسجد فى أصل المنبر ، هذا لفظ الصحيح ، وزاد فيه ابن زبالة : وقطعْتُ خشب المنبر بيدى مع الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملت إحدى الدرجات .

ورواه يحيى بلفظ : عُمِل من أثْلٍ ، يعنى المنبر ، وكنت ممن حمل درجته هذه ، ثم ذكر حنين الجذع ، وفى رواية للبخارى فى كتاب الهبة « فجاؤا به — يعنى المنبر — فاحتمله النبى صلى الله عليه وسلم ، فوضعه حيث ترون » .

وقال الحافظ ابن حجر : صحف بعض الرواة قوله إلى فلانة امرأة من الأنصار فقال إلى علاثة (بالعين المهملة والمثلثة) وهو خطأ ، والمرأة لا يعرف اسمها ، ونقل ابن التين عن مالك أن النجار كان مولى لسعد بن عُبَادة ؛ فيحتمل أنه كان فى الأصل مولى امرأته ، ونسب إليه مجازاً ، واسم امرأته فكيهة بنت عبيد بن دليم ، وهى ابنة عمه ؛ فيحتمل أن تكون هى المرأة ، لكن رواه ابن رَاهوَيْه عن ابن عيينة وقال : مولى لبنى بَيَاضة ، ووقع عند الكرمانى قيل : اسمها عائشة ، وأظنه صَحَّفَ المُصَحِّفَ ، ثم وجدت فى الأوسط للطبرانى من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى إلى سارية فى المسجد ، ويخطب إليها ، ويعتمد عليها ، فأمرت عائشة ، فصنعت له منبره هذا ، فذكر الحديث ، وإسناده ضعيف ، ولو صح لما دل على أن عائشة هى المرادة فى حديث سهل هذا إلا بتعسف ، والله أعلم .

وأسند ابن سعد فى الطبقات من حديث أبى هريرة ، ورجالُه ثقاتٌ إلا الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يخطب وهو مستند إلى جذع ، فقال : إن القيام قد شَقَّ علىّ ، فقال تميم الدارى : ألا أعمل لك مِنْبَرًا كما رأيتُ يصنع بالشام ؟ فشاور النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين فى ذلك ، فرأوا أن يتخذه ، فقال العباس ابن عبد المطلب : إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس ، فقال : مُرْهُ أن يعمل » الحديثَ .

موضع الجذع

وأسند يحيى منقطعاً عن ابن أبى الزناد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب يوم الجمعة إلى جذع فى المسجد كان مَوضِعُه عند الأسطوانة المخلَّقة التى تلى القبر التى عن يسار الأسطوانة المخلَّقة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى عندها التى هى عند الصندوق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن القيام قد شَقَّ علىّ ، وشكا صلى الله عليه وسلم ضَعْفاً فى رجليه ، قالوا : فقال تميم الدارى — وكان رجلا من لخم من أهل فلسطين — يا رسول الله أنا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام ، قالوا : فلما أجمعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وذو الرأى من أصحابه على اتخاذه قال العباس بن عبد المطلب : إن لى غلاما يقال له كلاب أعمل الناس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مُرْهُ يعمل ، فأرسله الى أثلةٍ بالغابة فقطعها ثم عملها دَرَجتين ومجلساً ، ثم جاء بالمنبر فوضعه فى موضعه اليوم ، ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ، فلما جاوز الجذع يريد المنبرَ حَنَّ الجذع ثلاث مرات كأنه خُوار بقرةٍ ، حتى ارتاع[1] الناس، وقام بعضهم على رجليه ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مَسَّه بيده ، فسكن ، فما سُمِع له صوت بعد ذلك ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المنبر فقام عليه ، فلم يزل كذلك فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ، فلما هَدَم عثمانُ المسجد اختلف فى الجذع ، فمنهم من قال : أخذه أبى بن كعب ، فكان عنده حتى أكلته

(١) ارتاع الناس : أخذهم الروع ، وهو الخوف .

الأرَضة ، ومنهم من قال : دفن فى موضعه .

شهرة حديث حنين الجذع

وقال عياض : حديثُ حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أخرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر .

وقال البيهقى : قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التى حَمَلَها الخلفُ عن السلف ، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف ، وفيه دليل على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكاً كأشرف الحيوان .

وقد نقل ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال: ما أُعطَى الله نبياً ماأعطى محمداً ، فقلت : أعطى عيسى إحياء الموتى ، قال : أعطى محمدا حَنِينَ الجذع حتى سمع صوته ؛ فهذا أكبر من ذلك .

الموضع الذى دفن فيه الجذع

ونقل ابن زبالة اختلافا فى دفن خشبته ؛ فعن عثمان بن محمد : دفنت دون المنبر عن يساره ، وقال بعضهم : دفنت شرقى المنبر إلى جنبه ، وقال بعضهم : دفنت تحت المنبر ، وتقدم فى روايةٍ أنه دفن فى موضعه الذى كان فيه ، ومحصل الرواية المتقدمة فى كلام يحيى أنه كان فى جهة المشرق يسار المُصَلَّى الشريف .

ونقل ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد أن الأسطوان الملطَّخ بالَخلُوق ثلثاها أو نحو ذلك محرابها موضع الجذع الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب إليه ، بينها و بين القبلة أسطوان ، و بينها و بين المنبر أسطوان .

قلت : وهذه الأسطوانة هى التى تقدم أنها عَلَمَ المصلَّى الشريف عن يمينه ، ولهذا روى عقبة ما قدمناه من القيام بمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة لمن عَدَلَ عنها قليلا ، وهذا مستند المطرى فى قوله : وكان هذا الجذع عن يمين مُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصقاً بجدار المسجد القبلى فى موضع كرسى الشمعة اليمنى التى توضع عن يمين الإمام المُصَلِّى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، والأسطوانة التى قبلى الكرسى متقدمة عن موضع الجذع ؛ فلا يعتمد على قول

مَنْ جَعَلها فى موضع الجذع ، قال : وفيهـــا خشبة ظاهرة مثبتة بالرصاص سـداده لموضع كان فى حجر من حجارة الأسطوانة مفتوح قد حوط عليـه بالبياض والخشبة ظاهرة ، تقول العامة : هـذا الجذع الذى حَنَّ إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك بل هومن جملة البدع التى يجب إزالتها لئلا يفتن بهـا الناس ، كما أزيلت الجزعة التى كانت فى المحراب القبلى ، وذكر قصـة الجزعة التى قدمناها .

بدعة اصطنعها الناس بسبب الجذع

وقال المجد : إن الخشبة المذكورة كان يُزدَحَمُ على زيارتها والتمسح بهـا ، و يعتقد الناس عامةً أنها الجذع، فظن بعض الفقهاء أن هذا من المنكر الذى يتعين إزالته ، وصرح بهـذا فى كتبه، إلى أن وافق على ذلك شيخُنا العز بن جَماعة فأمر بإزالتها ، إلى آخر ما قدمناه عنـه . قال : وكان موضع الخشبة من الأسطوان المذكور على مقدار ذراعين من الأرض ارتفاعاً ، وقد طُلِيَ عليه بالقصة ، ولاعَيْنٌ منه ولا أثر .

قلت : الذى يظهر ــ كما قدمته ــ أن هذه الخشبة كانت من العود الذى كان النبى صلى الله عليه وسـلم يضع يده عليه و يقول : عدلوا صفوفـكم ، كما تقدم ، والله أعلم .

ونقل ابن ز بالة الاختلافَ فى الذى عمل المنبر ، فقيل: غلام نصيبة المخزومى ، وقيـل : غلام للعباس ، وقيل : غلام لسعيد بن العاص يقال له با قول (بموحدة وقاف مضمومة) وقيـل : غلام لامرأة من الأنصار من بنى ساعدة ، أو لامرأة لرجل منهم يقال له مينا ، وقوله «يقال له مينا» يحتمل المولى وزوجَ المرأة ، لـكن عند يحيى قال إسماعيل بن عبدالله : الذى عمل المنبر غلام الأنصارية واسمه مينا ، وعند ابن بشكوال عن أبى بن أو يس : عمل المنبر غلام لامرأة من الأنصار من بنى سلمة أو بنى ساعدة أو امرأة لرجل منهم يقال له مينا ، وهذا محتمل كالأول ،

عود إلى الاختلاف فى صانع المنبر

وقيل : عمله تميم الدارى ، هذا حاصل ما ذكره ابن زبالة ، وفى رواية ليحيى : عمل المنبر صُبَاح غلام العباس (بضم المهملة بعدها موحدة خفيفة) وتقدم تسميته كلابا ، ونقل المراغى عن بعض شيوخه أن الذى عمله باقوم (بالميم) بانى الكعبة لقريش ، وفى الاستيعاب عن باقوم الرومى قال : صنعتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم منبراً من طَرْفاء له ثلاث درجات : المقعدة ، ودرجتيه ، قال ابن عبد البر : وإسناده ليس بالقائم[١] .

وفى طبقات ابن سعد أن الصحابة قالوا : يا رسول الله إن الناس قد كثروا ، فلو اتخذت شيئاً تقوم عليه إذا خطبت ، قال صلى الله عليه وسلم : ما شئتم ، قال سهل رضى الله عنه : ولم يكن بالمدينة إلا نجار واحد ، فذهبت أنا وذاك النجار إلى الغابة فقطعنا هذا المنبر من أثلة ، وفى لفظ : فحمل سهل منهن خشبة ، قال المجد : إسنادهما صحيح ، وعند قاسم بن أصبغ : وكان بالمدينة نجار واحد يقال له ميمون ، فذكر الحديث ، وعند الطبرانى عن سهل : كنت جالساً مع خالٍ لى من الأنصار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اخرج إلى الغابة وأتنى من خشبها فاعمل لى منبراً ، الحديثَ . وأخرج الطبرانى بإسناد فيه متروك أن اسم صانع المنبر إبراهيم ، وفى أسماء الصحابة لابن شبة مرسلا : اسمه قبيصة أو قصيبة بتقديم الصاد ، المخزومى ، مولاهم . وعند أبى داود بإسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بَدَّنَ قال تميم الدارى : يا رسول الله ألا تتخذ لك منبراً يحمل — أو يجمع — عظامك ، قال صلى الله عليه وسلم : بلى ، فاتخذ له منبراً مرقاتين : أى غير المقعدة .

قال الحافظ ابن حجر : وليس فى الروايات التى سمى فيها النجار قوى السند إلا هذا ، وليس فيه تصريح بأن الذى اتخذ المنبر تميم ، بل قد تبين من رواية ابن

---

(١) قال المؤلف فى الخلاصة : إن أشهر الأقوال فى تسمية صانع المنبر أن اسمه «باقوم» بالميم ، وسيبين هنا بعد قليل أن اشتهاره لا ينافى ضعف إسناده (انظر ص٣٩٧)

سعد المتقدمة أن تميما لم يعمله ، وأشبه الأقوال بالصواب أنه ميمون ؛ لكون الإسناد من طريق سهل ، ولا اعتداد بالأقوال الأخرى لكونها واهية .

قلت : ولا ينافيه قوله فى مقدمة الشرح « باقوم أشهر الأقوال » فقد يشتهر الواهى(١) .

وفى التحفة لابن عساكر : روينا من حديث أبى كبشة السلولى عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنْ أتَّخِذْ منبراً فقد اتخذه أبى إبراهيم ، وإن اتَّخِذِ العصا فقد اتخذها أبى إبراهيم ، صلى الله عليهما وسلم .

وأسند ابن النجار من حديث أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مُسْنِداً ظهره إليها ، فلما كثر الناسُ قال : ابنُوا لى منبراً ، فبنوا له منبرا له عتبتان ، وهو يقتضى أن المنبر كان بناء ، ويحتمل أنه أطْلَقَ على تأليفه من الأخشاب اسمَ البناء ، لكن قال الحافظ ابن حجر : حكى بعض أهل السير أنه صلى الله عليه وسلم « كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذى من خشب » ويعكر عليه ما تقدم فى الأحاديث الصحيحة من أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب .

قلت : يحتمل أن ذلك المنبر المتخذ من الطين كان إلى جانب الجذع ، وكأنه كان بناء مرتفعاً فقط ، وليس له درج ومقعدة بحيث يكمل الارتفاق به ؛ فلا ينافى ما تقدم فى سبب اتخاذ المنبر من خشب ، ويؤيد ذلك ما ورد فى حديث الإفك فى الصحيحين عن عائشة قالت : فثار الحيان الأوسُ والخزرجُ حتى كادوا أن يقتتلوا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، الحديثَ ، وهذه القصة متقدمة على اتخاذ المنبر من الخشب ؛ فقد جزم ابن النجار بأن عمله كان سنة ثمان ، وجزم ابن سعد بأنه كان فى السنة السابعة ، على أن ذكر تميم والعباس فى عمله كما تقدم

(١) قد نبهناك إلى هذا فى هوامش ص ٣٩٦ .

يقتضى تأخره عن ذلك أيضاً ؛ فقد كان قُدُومُ العباس بعد الفتح فى آخر سنة ثمان ، وقدومُ تميم سنة تسع ، وفى بعض طرق الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين أصحابه ، فيجىء الغريب فلا يدرى أيهم هو ، فطلبنا إليه أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكاناً[١] من طين كان يجلس عليه ، الحديثَ . وفى بعض طرقه أنه جاء والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب : أى على ذلك الدكان ، والله أعلم .

وروى يحيى عن ابن أبى الزناد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس على المجلس ، ويضع رجليه على الدرجة الثانية ، فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية ، ووضع رجليه على الدرجة السفلى ، فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى ، ووضع رجليه على الأرض إذا قعد ، فلما ولى عثمان فعل ذلك ست سنين من خلافته ؛ ثم علا إلى موضع النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : قالوا فلما استخلف معاوية زاد فى المنبر ، فجعل له ست درجات ، وكان عثمان أول مَنْ كسا المنبر قُبْطية[٢] .

أراد معاوية أن ينقل المنبر إلى الشام

قالوا : فلما قدم معاوية عام حجَّ حَرَّكَ المنبر ، وأراد أن يخرجه إلى الشام ، فكسفت الشمس يومئذ ، حتى بدت النجوم ، فاعتذر معاوية إلى الناس ، وقال : أردت أنظر إلى ما تحته ، وخَشِيتُ عليه من الأرَضَة . قال بعضهم : وكساه يومئذ قُبْطية أولينة . ثم أسند عن سعيد بن عمرو قصة تحريك معاوية للمنبر ، وأن الشمس كسفت ، واعتذاره بأنه خشى عليه الأرَضَة ، وأنه كساه يومئذ قُبْطية يكون عليه أولينة ، فكان يقال : هو أول من كساه ، قال يحيى : وأثبتهما عندنا أن عثمان هو أول مَنْ كساه ، وقد نقل ذلك ابن النجار عن الواقدى عن ابن أبى الزناد ، قال : فسرقت الكسوة امرأة ، فأتى بها عثمان ، فقال لها : هل سرقت ؟ قولى لا ، فاعترفت ، فقطعها ، واتفق لامرأة مع ابن الزبير مثل ذلك .

وفى تاريخ الواقدى : أراد معاوية رضى الله عنه سنة خمسين تحويل منبر

---

(١) الدكان : المكان المرتفع ، شبه الدكة ، ويسمى فى ريف مصر (مصطبة)

(٢) القبطية ـــ بضم القاف وسكون الباء ـــ الثوب الرقيق الأبيض من ثياب مصر

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دمشق ، فكسفت الشمس يومئذ ، وكلّمه أبو هريرة رضى الله عنه فيه ، فتركه ، فلما كان عبد الملك أراد ذلك فكلمه قبيصة فتركه ؛ فلما كان الوليد أراد ذلك فأرسل سعيد بن المسيب إلى عمر بن عبد العزيز فكلمه فيه فتركه، فلما كان سليمان قيل له فى تحويله قال: لا ؛ هاالله ، أخذنا الدنيا ونعمد إلى علم من أعلام الإسلام نريد تحويله ؟ ذاك شىء لا أفعله ؛ وما كنت أحب أن يذكر هذا عن عبد الملك ولا عن الوليد ! ما لنا ولهذا ؟

رفع المنبر ست درجات

وأسند ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : بعث معاوية رضى الله عنه إلى مروان يأمره أن يحمل إليه منبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمر به أن يُقْلَعَ ، فأظلمت المدينة ، وأصابتهم ريح شديدة ، قال : فخرج عليهم مروان فخطبهم، وقال : يا أهل المدينة إنكم تزعمون أن أمير المؤمنين بَعَثَ إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأميرُ المؤمنين أعلم بالله من أن يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما وضَعه عليه ، إنما أمرنى أن أكرمه وأرفعه ، قال : فدعا نجارا فزاد فيه الزيادة التى هو عليها اليوم ، ووضعه موضعه اليوم .

وفى رواية له عن ابن قطن : قلع مروان بن الحكم منبر رسول الله ، وكان درجتين والمجلس ، وأراد أن يبعث به إلى معاوية ، قال : فكسفت الشمس حتى رأينا النجوم ، قال : فزاد فيه سِتَّ درجاتٍ ، وخطب الناس فقال : إنى إنما رفعته حين كثر الناس

وعند يحيى فى رواية أخرى : كتب معاوية رضى الله عنه إلى مروان وهو على المدينة أن أرْسِلْ لى بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج مروان فقلعه ، فأصابتنا ريح مظلمة بَدَتْ فيها النجومُ نهارا ، ويَلْقَى الرجلُ الرجلَ يَصُكُّه[1] فلا يعرفه ، وذكر اعتذار مروان المتقدم ، وقال : إنما كتب إلىّ يأمرنى أن أرفعه من

---

(١) يصكه : أراد أن أحدهما يصطدم بالآخر دون أن يراه .

الأرض ، فدعا له النَّجَاجِرَةَ[1] ، فعمل هذه الدرجات ورفعوه عليها ، وهيَ ـ أي الدرجات التي زادها ـ ستُّ درجاتٍ ، قال : ثم لم يزد فيه أحد قبله ولا بعدهُ .

وقال ابن زبالة عقب حديث رواه من طريق سفيان عن كثير بن زيد عن المطلب مالفظه : والذى زاد فى درج المنبر معاوية بن أبى سفيان .

قال سفيان : قال كثير : فأخبرنى الوليد بن رباح قال : كسفت الشمس يوم زاد معاوية فى المنبر حتى رؤيت النجوم .

وروى ابن النجار زيادة مروان فيه ، وأنه صار تسع درجات بالمجلس[2] ، عن ابن أبى الزناد ، ثم قال : ولما قدم المهدى المدينة سنة إحدى وستين ومائة ، فقال لمالك بن أنس : إنى أريد أن أعيد منبر النبى صلى الله عليه وسلم على حاله ، فقال له مالك : إنما هو من طرفاء ، وقد سُمِّرَ إلى هذه العيدان وشُدَّ ، فمتى نزعتهُ خِفتُ أن يتهافت ويهلك ، فلا أرى أن تغيره ، فانصرف المهدِى عن تغييره .

وروى ابن شبة قصة المهدى عن محمد بن يحيى عن محمد بن أبى فديك .

عدد درجات المنبر

قلت : وجميع ما قدمناه من كلام المؤرخين مقتضٍ لاتفاقهم على أن منبره صلى الله عليه وسلم كان درجتين غيرالمجلس[2] ونقله ابن النجار عن الواقدى ، لـكن سبق فى رواية الدارمى «هذه المَرَاقى[3] الثلاث أو الأربع» على الشك ، وفى صحيح مسلم « هذه الثلاث درجات » من غير شك ، وقال الكمال الدميرى فى شرح المنهاج : وكان صلى الله عليه وسلم منبره ثلاث دَرَج غير الدرجة التي تسمى المستراح[4] ، ولعل مأخذه ظاهر ذلك مع حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فلما رقى الدرجة الأولى قال: آمين ، ثم رقى الدرجة الثانية فقال : آمين ، ثم رقى الدرجة الثالثة فقال : آمين ، فقالوا : يارسول الله سمعناك قلت آمين ثلاث مرات ، قال : لما

---

(١) النجاجرة : جمع نجار . (٢) المجلس : الموضع الذى يجلس عليه .

(٣) المراقى : جمع مرقاة ، وهى الدرجة من درجات السلم ، سميت بذلك لأنه يرقى بها

(٤) المستراح : اسم للمكان الذى يستراح فيه ، وهو الذى سمى فى بعض الروايات بالمجلس وفى بعضها الآخر بالمقعد ووجه التسمية فى كل رواية ظاهر لا يحتاج إلى تنبيه .

رَقِيتُ الدرجةَ الأولى جاء جبريل عليه السلام فقال : شَقِىَ عبد أدرك رمضان فانسلخ عنه فلم يغفر له ، قلت : آمين ، ثم قال : شقى عبدٌ ذُكِرتَ عنده فلم يصلِّ عليك ، قلت : آمين ، ثم قال: شقى عبد أدرك والديه أو أحَدَهما فلم يدخلاه الجنة ، فقلت : آمين ، رواه يحيى بن الحسن عن جابر، ورواه الحاكم عن كعب بن عجرة(١) وقال : صحيح الإسناد ، ولفظه : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احضروا المنبر ، فحضرنا ، فلما رقى درجة قال : آمين ، فلما ارتقى الدرجة الثانية قال : آمين، فلما ارتقى الدرجة الثالثة قال : آمين ، فلما نزل قلنا : يارسول الله لقد سمعنا منك اليوم شيئاً ما كنا نسمعه ، قال : إن جبريل عَرَضَ لى فقال : بَعُدَ مَنْ أدرك رمضان فلم يغفر له ، قلت : آمين ؛ فلما رقيت الثانية قال : بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتَ عنده فلم يصل عليك ، فقلت : آمين ، فلما رَقِيتُ الثالثةَ قال : بَعُدَ من أدرك أبويه الكبر عنده أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة ، قلت : آمين، ويمكن حمله على أنه صلى الله عليه وسلم ارتقى حينئذ على المجلس وهى الدرجة الثالثة .

مساحة المنبر

قال ابن زبالة : وطولُ منبر النبى صلى الله عليه وسلم خاصةً ذراعان فى السماء ، وعرضه ذراع فى ذراع ، وتربيعه سواء ، وفيه مما كان يلى ظهره إذا قَعَدَ ثلاثةُ أعوادٍ تدور ، ذَهَبَ إحداهن ، وانقلعت إحداهن سنة ثمان وتسعين ومائة ، وأمر به داود بن عيسى فأعيد ، وفيما عمل مروان فى حائط المنبر الخشب عشرة أعواد لا يتحركن ، وطول منبر النبى صلى الله عليه وسلم مرتفع فى السماء مع الخشب الذى عمله مروان — أى الأعواد المتقدمة — ثلاث أذرع ونصف .

وقال عقب كلامه الآتى فى ذرع ما عليه المنبر اليوم ، يعنى زمنه ، ما لفظه : وطول المجلس — أى مجلسه صلى الله عليه وسلم — شبران وأربع أصابع فى مثل ذلك . مربع ؛ فقوله أولا : « وعَرْضه ذراع فى ذراع » إنما أراد به مقعد المنبر؛

---

(١) كعب بن عجرة : ابن أمية بن عدى ، أبو محمد ، القضاعى ، البلوى ، المدنى ، حليف القواقل ، روى عنه البخارى ومسلم ، مات سنة إحدى وخمسين .

لما قاله هنا فى وصف المقعد بدون درجتيه ؛ ولأنه قال هنا عقب ما تقدم : ومابين أسفل قوائم منبر النبي صلى الله عليه وسلم الأول الى رُمَّانته خمسة أشبار وشيء ؛ وعرض دَرَجِهِ شبران ، وطولها شبر ، وطوله من ورائه — يعنى محل الاستناد — شبران وشيء ؛ فيؤخذ من ذلك أن امتداد المنبر النبوى من أوله — وهو مايلى القبلة — إلى مايلى آخره فى الشام أربعة أشبار وشيء ؛ لقوله : إن عرض درجه شبران ، وإن المجلس شبران وأربع أصابع ، وقوله : « وما بين أسفل قوائم منبر النبي صلى الله عليه وسلم — إلى آخره » معناه أن من طرف المنبر النبوى الذى يلى الأرضَ إلى طرف رمانته التى يضع عليها يده الكريمة خمسة أشبار وشيء ؛ وَذلك نحو ذراعين وَنصف ، وقد تقدم أن ارتفاع المنبر النبوى خاصة ذراعان ؛ فيكون ارتفاع الرمانة نحو نصف ذراع

وقال ابن النجار : طولُ منبر النبي صلى الله عليه وسلم ذراعان وشبر وثلاث أصابع ، وعرضه ذراع راجح ، وطول صدره — وهو مستنَدُ النبي صلى الله عليه وسلم — ذراع ، وطول رُمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما بيده الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان ، وعرضه ذراع فى ذراع ، يريد وتربيعه سواء ، ولا يخفى ما فيه من المخالفة لكلام ابن زبالة .

وقال ابن زبالة فى الكلام على فضْل مابين القبر والمنبر ، بعد ذكر المرمر الذى حول المنبر، مالفظه : وفى المنبر من أسفله إلى أعلاه سبع كُوًى(١) مستطيرة من جوانبه الثلاث ، وفى جنبه الذى عمل مروان من قبل المشرق ثمانى عشرة كوة(١) مستديرة شبه المربعة ، ومن قبل المغرب ثمانى عشرة كوة مثل ذلك ، وكان فيه خمسة أعواد تدور ، فذهب بعضها وبقى اثنان منها ، فسقط أحدهما فى سلطان داود بن عيسى على المدينة فى سنة ثمان وتسعين ومائة ، فأمر به فأعيد .

وقال فى موضع آخر : وفيما عمل مروان فى حائط المنبر الخشب عشرة أعواد

---

(١) الكوة — بفتح الكاف أو ضمها وتشديد الواو — أصله الخرق فى الحائط ، والمراد به هنا الخرق مطلقا ، والجمع : كوى ، وكواء ، بضم الكاف فى الجمعين .

لا يتحركن ، ثم قال : وفى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة خمسةُ أعوادٍ من جوانبه الثلاث ، فذهب بعضها .

وقال بعد ما تقدم عنه فى ذَرْع منبره صلى الله عليه وسلم ما لفظه : وذَرْع طول المنبر اليوم أربع أذرع ، وعرضه ذراع وشىء يسير ، وما بين الرمانة المؤخرة والرمانة التى كانت فى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم القديم ذراع وشىء ، وما بين رمانة منبر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرمانة المحدثة فى مقدم المنبر ذراعان وعُظْم الذراع ، وما بين الرمانة والأرض ثلاث أذرع وشىء ، وطول المنبر اليوم من أسفل عتبته إلى مؤخره سبع أذرع — أى بتقديم السين — وشبر ، وطوله فى الأرض إلى مؤخره ست أذرع ، هذه عبارته بحروفها ، ويتعين حمل كلامه على أن امتداد المنبر فى الأرض من أسفل عتبته الرخام التى أمامه إلى مؤخر المنبر سبعة أذرع وشبر ، وطول امتداده وهو فى الأرض إلى مؤخره مع إسقاط العتبة ست أذرع، حتى يلتئم كلامه ، وقدذكر فيماقدمناه عنه أن حول المنبرمرمر مرتفع[1] قدر الذراع ، وفيه شىء مُحْدَث غيرمرتفع زاده الحسن بن زيد .

وقال فى موضع آخر : والمنبر مبنى فوق رخام ، وهو فى وسط الرخام ، فسمى المرمر رُخَاما ، وقال : إن هذا الرخام حَدُّه من الأسطوانتين اللتين فى قبلة المنبر — أى خلفه — إلى الأسطوانتين اللتين تليانهما مما يلى الشام — أى أمام المنبر — وقد سمى ابن النجار هذا الرخام الذى عليه المنبر دِكَّةً ، وقال : إن طولها شبر وعَقْد ، يعنى فى الارتفاع ، وسمى ذلك أبو الحسين بن جُبَير فى رحلته حَوْضاً ، وكأنه أخذ هذه التسمية مما ورد فى أن المنبر على الحوض ، وذكر فى طول هذا الرخام وعرضه ما يقرب مما قدمناه فى حدود المسجد النبوى، قال : وارتفاعه شبر ونصف .

قلت : ولما حفر متولى العمارة فى زماننا أرضَ المسجدِ الشريف وسَوَّاها بأرض المصلَّى الشريف وجَد هذا الرخام المذكور ، وارتفاعه عن أرض المصلى

(١) كذا ، والعربية تقتضى «مرمرا مرتفعا» .

الشريف نحو ما ذكره ابن النجار وابن جُبَير ؛ ثم لما أردوا تأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره حَفَرُوا حول الدكة المذكورة فظهر أنهــا منخفضة عن أرض المصلَّى الشريف التى استقر عليها الحالُ اليومَ يسيرا ، وخلفها من جهة القبلة إفريز نحو ثلث ذراع ، وطولها سبع أذرع ، بتقديم السين ، وشبر ، وهى مجوّفة شبيهة بالحوض ، فصح ما ذكره ابن جُبَير فى تسميتها حوضــا ، وصح أيضــا ما سيأتى عنه من أن سَعَة المنبر خمسة أشبار ؛ لأن جوف هذا الحوض الذى وجدناه بمــا دخل من عَمُودى المنبر فى أحجاره خمسة أشبار ، وقولُ ابن زبالة أولا « وذرع طول المنــبر اليوم أربع أذرع » مرادُهُ ارتفــاعهُ فى الهواء مع الدرج الست التى زادها مروان ؛ فيــكون طول الدرج الست ذراعين ؛ فتــكون كل درجة ثلث ذراع ، فيقرب مما قدمه ابن زبالة فى طول درج منبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى تقتضيه المناسبة

ونَقَلَ الزين المراغى عن ابن زبالة أنه قال : طول منبر النبى صــلى الله عليه وســلم بما زيد فيه أربعة أذرع ، ومن أسفل عتبته إلى أعلاه تسعة أذرع وشبر .

قلت : كذا رأيته بخط الزين ، وضبط قوله « تسعة أذرع » بتقديم التاء الفوقية ، وهو غلط فى النسخة التى وقعت له ؛ لأن الذى قدمناه عن ابن زبالة إنما هو من أسفل عتبته إلى مؤخره ، وقررناه بما تقدم ، وإنما قضينا على ذلك بالغلط لأنه حينئذ لا يلتئم أطرافُ كلامِه ، ولأنه يقتضى أن يــكون ارتفاع المنبر فى الهواء تسعة أذرع ، بتقديم التاء ، وشبرا ، فإذا قام عليه القائم يقرب من سقف المسجد ، ويبعد كل البعد كون منبر فى ذلك الزمان ارتفاعه هذا القدر ، وأيضا فابن زبالة قد صرح بأن الذى زاده مروان ست درج ، فيلزم أن يكون كل درجة ذراعاً وشيئا ، وهو فى غاية البعد ، وما نقلناه عن ابن زبالة يقرب مما ذكره ابن النجار ؛ فإنه قال عقب ما قدمناه عنه فى وصف منبر النبى صــلى الله عليه وســلم

مالفظه : وطولُ المنبر اليوم ثلاثة أذرع وشبر وثلاث أصابع ، والدكة التى عليها من رخام طولها شبر وعقد ، ومن رأسه ـ أى المنبر ـ دون دكته إلى عتبته خمسة أذرع وشبر وأربع أصابع ، وقد زيد فيه اليوم عتبتان وجعل عليه باب يفتح يوم الجمعة ، انتهى ؛ فهو قريب مما ذكره ابنُ زبالة من أن طول المنبر ـ يعنى فى الهواء ـ أربعة أذرع ، وأمتداده هو خاصة فى الأرض من عتبته إلى مؤخره ستة أذرع ، و يوافق أيضا ما ذكره الفقيه أبو الحسين محمد بن جُبَير من حديث القدر ، فإنه قال : رأيت منبر المدينة الشريفة فى عام ثمان وسبعين وخمسمائة ، وارتفاعهُ من الأرض نحو القامة أو أزيد ، وسعته خمسة أشبار ، وطوله خمس خطوات ، وأدراجه ثمانية ، وله باب على هيئة الشباك مُقْفَل يفتح يوم الجمعة ، وطوله ـ أى الباب ـ أربعة أشبار ونصف شبر ، وهذا المنبر هو الذى وصَفَه[1] ابن النجار فيما يظهر ؛ لأنه وضع تاريخه سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وتوفى قبل حريق المسجد سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وكان احتراق المسجد كما سيأتى سنة أربع وخمسين وستمائة ، وفيه احترق هذا المنبر ، وفقدَ الناسُ بركته .

وقد زاد ابن جبير على ابن النجار فى وصف هذا المنبر فقال : وهو مُغَشًّى بعود الآبنوس ، ومقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعلاه ظاهر قد طبق عليه لوح من الآبنوس غير متصل به يَصُونه من القعود عليه ؛ فيدخل الناس أيديهم إليه ويمسحونه بها تبركا بلمس ذلك المقعد الكريم ، وعلى رأس رِجْلِ المنبر الأيمن حيث يضع الخطيبُ يدَه إذا خطب حلقةُ فضةٍ مجوّفة مستطيلة تشبه حلقة الخياط التى يضعها فى أصبعه إلا أنها أكبر منها ، وهى لاعبة تستدير فى موضعها ، انتهى .

والظاهر أن هذا المنبر غير الذى وصفه ابن زبالة لأنه لم يصفه بذلك ، ويوضح ذلك ماذكره فى الطراز لسند من المالكية حيث قال : إن منبر النبى صلى الله عليه

---

(١) فى المطبوعات كلها « وضعه » وما أثبتناه هو الذى يقتضيه المقام ، وهو الذى يعينه قول المؤلف بعد قليل « فى وصف هذا المنبر » وغيره من العبارات

وسلم جعل عليه منبر كالغلاف ، وجعل فى المنبر الأعلى طاق مما يلى الروضة ، فيدخل الناس منها أيديهم يمسحون منبر النبى صلى الله عليه وسلم ويتبركون بذلك ، انتهى ؛ فهذا شيء حدث بعد ابن زبالة .

وقد قال المطرى : حدثنى يعقوب بن أبى بكر من أولاد المجاورين ، وكان أبوه أبو بكر فراشا من قُوَّام المسجد ، وهو الذى كان حريقُ المسجد على يده ، أن المنبر الذى زاده معاوية ورفع منبر النبى صلى الله عليه وسلم عليه تهافت على طول الزمان ، وأن بعض خلفاء بنى العباس جَدَّده ، واتخذ من بقايا أعواد منبر النبى صلى الله عليه وسلم أمشاطا للتبرك ، وعمل المنبر الذى ذكره ابن النجار فيما تقدم .

قال يعقوب : سمعت ذلك من جماعة بالمدينة ممن يوثق بهم ، وأن المنبر المحترق هو الذى جدده الخليفة المذكور ، وهو الذى أدركه ابن النجار ؛ لأن وفاته قبل الحريق .

قلت : وظاهر كلام ابن عساكر فى تحفته أنه كان قد بقى من المنبر الشريف بقايا فقط إلى احتراق المسجد ، وهو ممن أدرك حريقه ، وأورد فى كتابه ما ذكره شيخه ابن النجار ، ولفظه : وقد احترقت بقايا منبر النبى صلى الله عليه وسلم القديمة ، وفات الزائرين لمسُ رمانة المنبر التى كان صلى الله عليه وسلم يضع يده المقدسة المكرمة عليها عند جلوسه عليه ، ولمس موضع جلوسه منه بين الخطبتين وقبلهما ، ولمس موضع قدميه الشريفتين بركة عامة ونفع عائد ، وفيه صلى الله عليه وسلم عوض من كل ذاهب ودَرْكٌ من كل فائت ، انتهى. وهو صريح فى بقاء ما ذكره إلى حين الحريق ، ويؤيده ما تقدم عن رحلة ابن جُبَير وصاحب الطراز ، بل ظفرنا بما يشهد لصحة ذلك ؛ فإنه لما أراد متولى العمارة تأسيسَ المنبر الرخام الآتى ذكره حفروا على الدكة التى تقدم أن المنبر كان عليها فوجدت مجوفة كالحوض ، وبه عبر ابن جبير عنها ، فوجدوا فيما يلى القبلة منها قطعا كثيرة من أخشاب المنبر المحترق ــ أعنى الذى كان فيه بقايا منبر النبى صلى الله عليه وسلم ــ فوضعها الأقدمون

فى جوف ذلك المحل حِرْصاً على البركة ، وبَنَوْا فوقها بالآجُرِّ بحيث سدوا جوف ذلك الحوض كله ، فصار دكة مستوية ، ووضعوا المنبر الآتى ذكره عليها ، وشاهدت آثار قائمتى المنبر الشريف اللتين كان بأعلاهما رُمَّانتاه قد نُحتت لهما فى الحجر المحيط بالحوض المذكور على نحو ذراع وثلث من طرف باطن الحوض المذكور مما يلى القبلة ، وسَعَةُ الحوض المذكور خمسة أشبار كما ذكره ابن جُبَير فى سعة المنبر ، وعرضُ جدار الحوض المذكور خلف المنبر نحوُ نصفِ ذراع ، وقد حرصْتُ على وَضْع ماوجد من تلك الأخشاب فى محلها ، فوضع ما بقى منها فى محله من الحوض المذكور ، و بنوا عليه كما سيأتى ، والله أعلم .

ولما احترق المنبر المذكور فى جملة الحريق أرسل الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ست وخمسين منبراً له رمانتان من الصَّنْدَل ، فنُصِبَ فى موضع منبر النبى صلى الله عليه وسلم كما ذكره المطرى فمن بعده ، قال : ولم يزل يخطب عليه عشر سنين ، فلما كان فى سنة ست وستين وستمائة أرسل الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى هـــذا المنبر الموجود اليوم : أى زمن المطرى ، فقلع منبر صاحب اليمن ، وحمل إلى حاصل الحرم ، ونصب هذا المنبر مكانه ، وطوله أربع أذرع فى السماء ، ومن رأسه إلى عتبته سبع أذرع يزيد قليـلا ، وعدد درجاته تسع بالمقعد .

قال المجد : وله باب بمصراعين ، فى كل مصراع رمانة من فضة ، ومكتوب على جانبه الأيسر اسم صانعه « أبو بكر بن يوسف النجار » وكان من أكابر الصالحين الأخيار ، وهو الذى قدم بالمنبر إلى المدينة ، فوضعه فى موضعه ، فأحسن وضعه ، وأتقن نجارته وصنعته ، ثم انقطع فى المدينة .

قال الزين المراغى : و بقى منبر الظاهر بيبرس يُخْطَبُ عليه من سـنة ست وستين وستمائة إلى سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، فكانت مدة الخطبة عليه مائة سنة واثنتين وثلاثين سنة ، فبدأ فيه أكل الأرَضَة ؛ فأرسل الظاهر برقوق صاحب

مصر هذا المنبر الموجود اليوم : أى زمن المراغى ، أرسله فى آخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة ، وقلع منبر الظاهر بيبرس ، انتهى .

قلت : ولم يزل هذا المنبر موجودا إلى مابعد العشرين وثمان مائة ، كما أخبرنى به جماعة من مشايخ الحرم منهم الشيخ صالح المعمر الجمال عبد الله بن قاضى القضاة عبد الرحمن بن صالح ، قال : فأرسل سلطان مصر الملك «المؤيد شيخ» هذا المنبر الموجودَ اليوم عام اثنين وعشرين وثمان مائة .

ثم رأيت فى كلام الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر أن المنبر الموجود اليوم أرسله المؤيد سنة عشرين وثمان مائة ؛ فهذا هو المعتمد ، لكن لم يطلع ابن حجر على ماذكره المراغى من منبر الظاهر برقوق ، وجعل إتيان منبر المؤيد هذا بدلا عن منبر الظاهر بيبرس ، وكلام المراغى أولى بالاعتماد فى ذلك ؛ فإنه كان بالمدينة حينئذ ، وعلى هذا فمدة الخطبة على منبر الظاهر برقوق ثلاث أو أربع وعشرون سنة ، ثم وضع منبر المؤيد .

وأخبرنى السراج النفطى أنه صنَعَه أهلُ الشام ، وجاؤا به المؤيدَ ليجعله بمدرسته المؤيدية ، فوجدوا أهلَ مصر قد صنعوا لها منبرا ، فجهز المؤيد منبر أهل الشام إلى المدينة الشريفة ، وقال لى الجمال عبد الله بن صالح : شاهدتُ وَضْعَه موضع المنبر الذى كان قبله .

قلت : ويدل على صحة ذلك ماقدمناه من اختبار ذَرْع مابينه وبين المصلَّى الشريف ؛ إذ المنقول أن بينهما أربعة عشر ذراعاً وشبراً ، وقد اختبرتُهُ من ناحية المصلَّي الشريف إلى ماحاذاه من المنبر فى المغرب فكان كذلك ؛ فوَضْعُه من هذه الجهة صحيح لاشك فيه ، وأمام جهة القبلة فقد قال المطرى : إن المنبر الذى أدركه بينه وبين الدرابزين الذى فى قبلة الروضة مقدار أربعة أذرع وربع ذراع ، وقد ذكر الزين المراغى فى كتابه ما ذكره المطرى من الذَّرْع ، ولم يتعقبه ؛ فاقتضى أن المنبر الذى تقدم وضعه فى زمنه وضع موضع المنبر الذى كان فى زمان المطرى ، وأقر أيضا قول المطرى فى حدود المسجد أن المنبر لم يغير عن منصبه الأول .

وقد ذكر ابنُ جماعة أيضا ذَرْعَ ما بين المنبر والدرابزين ، وهو يعنى المنبر الموجود زمن المطرى ، فقال : إن بينهما ثلاثة أذرُع بذراع العمل ، وهو أزيد مما ذكره المطرى بربع ذراع راجح ؛ لأن ذراع العمل كما تقدم ذراعٌ ونصف ، وكأنّ المطرى يعنى ذراع المدينة اليوم كما يؤخذ من كلام المراغى فيوافق كلام ابن جماعة ، والذى بين هذا المنبر الموجود اليوم و بين الدرابزين المذكور ذراعان وثلث بذراع العمل ، وذلك ثلاثة أذرع ونصف من الذراع الذى قدمنا أنه المراد عند الإطلاق ؛ فيحتمل أن يكون هذا المنبر مقدم الوضع لجهة القبلة على المنبر الذى كان قبله ، وهو مقتضى ما نقله الأثبات ، لكنى أستبعده للأخبار ممن لقيناه بوَضْعِه موضع ذاك

ثم تبين عند انكشاف الدكة التى تقدم ذكرها من آثار المنبر المحترِق قديما ما علمنا به صوابَ ما ذكره المطرى وغيره أن هذا المنبر مقدم الوضع على الذى قبله من جهة القبلة بما يقرب من ذراع ، وكذا ظهر زيادته من جهة الشام أيضاً على الدكة الأصلية المتقدم وصفُها بقريبٍ من ذراع ، ووجد محرفا عنها من طرفه الشامى نحو المغرب قدر شبر لما فيها من التيامن الذى تقدمت الإشارة إليه فى التنبيه الثالث من الفصل قبله ، وكنت قد أيدت وضعه بكونه أقرب إلى ماورد فيما كان بين المنبر والجدار القبلى كما سيأتى فانكشف الحق لذى عينين ، والذى لقيناهُ وأخبر بوضعه موضع المنبر الذى كان قبله هو الجمال بن صالح فى آخر عمره ، وكان غير تام الضبط حينئذٍ ، وكنت قد أيدت خبره بأنا قد قدمنا إلى الصندوق الذى فى قبلة المصلىّ الشريف فى عرض الجدار ، وأن المُصَلَّى الشريف لم يغير باتفاق ، وأن منبر النبى صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين الجدار القبلى ممر الشاة أو ممر الرجل منحرفا ، وأقصى ماقيل فيه ذراع وشىء كما قدمناه ، فإذا أسقطت قدر ما بين طرف المصلىّ الشريف والدرابزين الذى أمامه مما بين المنبر اليوم والدرابزين المذكور وهو ثلاثة أذرع ونصف بقى ذراع ، وهو نحو القَدر المنقول فيما بين المنبر القديم وجدار المسجد

الشريف ، ثم تبين لنا ماسبق فى حدود المسجد النبوى وبانكشاف المرمر الذى فى قبلة المنبر تقدم الدرابزين المذكور عن ابتداء المسجد النبوى بأزْيَدَ من ذراع كما قدمناه فى حدود المسجد النبوى ؛ فالصواب ماذكره المطرى ومن تبعه .

وطولُ هـذا المنبر فى السماء سوى قبتِهِ وقوائمها ، بل من الأرض إلى محل الجلوس ، ستة أذرُع وثلث ، وارتفاعُ الخافقتين اللتين يمينَ المجلس وشِمَالَهُ ذراع وثلث ، وامتداد المنبر فى الأرض من جهة بابه إلى مؤخره ثمانية أذرع ونصف راجحة ، وعددُ درَجِه ثمانية ، و بعدها مجلسٌ ارتفاعُه نحو ذراع ونصف ، وقبته مرتفعة ، ولها هلال قائم عليها مرتفع أيضاً ، وما أظن منبرا وضع قبله فى موضعه أرفع منه ، وله باب بمصرعتين .

وقد احترق هذا المنبر فى حريق المسجد الثانى الحادث فى رمضان عام ستة وثمانين وثمان مائة ، فكانت مدة الخطبة عليه نحو سبع وستين سنة .

ولما نظف أهلُ المدينة محله جعلوا فى موضعه منبرا من آجُرٍّ مَطْلى بالنورة ، واستمر يخطب عليه إلى أثنــاء شهر رجب سنة ثمــان وثمانين ، فهدم رابع الشهر المذكور ، وحفروا لتأسيس المنبر الرخام الموجود اليوم ظاهر الدكة المتقدم ذكرها، فوجدت على النحو المتقدم ، ونقضوا من بعضها قريب القامة فلم يبلغوا نهايتها ، ووجدوها محكمة التأسيس فى الأرض ، فأعادوها كما كانت ، إلا ما كان فوقها من نحو أزيد من نصف ذراع من الآجر ، وسَوَّوْا ما وجد مجوفا منها كالحوض بالبناء بعد وضع ما تقدم ذكره مما وجد بمقدمها من بقايا المنبر القديم المحترق فى الحريق الأول بمقدمها أيضا ، وكانوا قد سألونى عن ابتداء حد المنبر القديم من جهة القبلة والروضة فأخبرتهم بذلك ، وأن ذلك الحوض وما به من محل قوائم المنبر الأصلى إمام يقتدى به لموافقته ما ذكره المؤرخون قديما وحديثا ، فشرعوا فى وضع رخام المنبر عليهــا على سَمْت ما ظهر من الفرضة التى وجدوها فى الحوض المذكور على الاستقامة من غــير انحراف ، و بينها و بين طرف الدكة الشرقى خمسة أصابــع ،

لمـا ظهر من أن المنبر الأصلي كان بالحوض المذكور ، ومشاهدة محل قوائمه نَقْراً فى الحجر و بقـايا الرصاص الذى كانت القوائم مثبتة به ، وما وصفه المؤرخون فى أمر المنبر الأصلى شاهدٌ لذلك ، ومعلوم أن الحوض الموجود فى باطن تلك الدكة لا يمكن وَضع المنبر فيـه إلا على الاستقامة ، سيما وَقد طابقت سَـعَته ما ذكره ابن جُبَير فى سَعَة المنـبر الأصلى ، وَ إحكامُ تلك الدكة بحيث إنهم حفروا منهـا قرب القامة ، وَلم يدركوا آخرها ، وَ إتقان فرضتى الحوض المذكور بالرصاص ، وَترخيمُ تلك الدكة قديما ، كُلّهقاضٍ بجعل السلف لها من أجل وَضع المنبر فيها ، كما صرح به المؤرخون ، وَلم يكن السلف مع عظيم إتقانهم يجعلونها لوضع المنبر و يحرفونها عن وضعه ؛ لأن وضعها تابع لوضعه إذ جعلت من أجله ، وقد كان وضعه مشاهَداً لهم ؛ لوجود المنبر النبوى بين أظهرهم و إتقانها وما سبق من المتقدمين فى ذكر تَرْخيمها شاهد بعملها فى عمارة عمر بن عبد العزيز للمسجد إن لم يكن من زمن معاوية رضى الله عنه عند تحريكه المنبر كما سبق ، ولم أرْتَبْ عند مشاهدتها فى وضع المنبر بها كذلك ، وتيامُنُ حوضها الذى كان المنبر به يَسِيرٌ جدا لا يخرج صدر المستقبل عن القبلة ، وقد أشار يحيى فيما قدمناه عنـه فى التنبيه الثالث إلى تصويب وضعه ، وأيضاً فقد يكون النبى صلى الله عليـه وسلم وضَعه متيامنا لمـا أوضحناه فى الرسالة الموسومة بالنصيحة ، والمنبرُ جمادٌ ليس بمصل حتى يحرر أمره فى الاستقبال و يترك ما وجد من حدوده الأصلية المجمع عليها فى الأعصر الماضية المترتب عليها حدود الروضة الشريفة ، فشرعوا فى وضع رُخَام المنبر المذكور على النحو الذى ذكرته ، غـير أنهم جعلوا جداره من جهة القبلة على الأحجار التى خلف الحوض من جهة القبلة ؛ لاقتضاء نظرهم ذلك ، ولو كان لى من الأمر شىء ما وافقت عليه .

ثم وقع من بعض ذوى النفوس ما أوضحناه فى الرسالة الموسومة (بالنصيحة الواجبة القبول ، فى بيان وضع منبر الرسول) صلى الله عليه وسلم .

والحاصل أنهم نقضوا ما سبق ، وزادوا خلف أحجار الحوض المذكور نحو ربع ذراع العمل حتى ساوى ذلك محل المنبر المحترق من جهة القبلة ، وحرفوه على تلك الدكة لجهة المغرب أزيد من تحريف المنبر المحترق ، وجعلوا هذا المنبر فى محل المحترق من جهة القبلة ومساوٍ لطرفها الشرقى مما يلى القبلة أيضاً ، وزعموا أنه لايعول على كلام من قدمناه من الأئمة ، ويتحرر مما سبق أنه مقدم على محل المنبر الأصلى لجهة القبلة بعشرين قيراطا من ذراع الحديد ، وهو نحو ذراع اليد ، وأن المنبر النبوى لم يقع فى محله تغيير إلا من تاريخ وضع المنبر المحترق فى زماننا لأنه خفى على واضعه مافى جوف الدكة المذكورة ، ولم يدركه أحد من مؤرخى المدينة ، وكان مفرط الطول بحيث كان قاطعاً للصف الباقى من الروضة ، وقد اقتدى به واضعُ هذا المنبر لكونه من آبائه ، ولم يبال ولى الأمر بتفويته المنقبة العظيمة فى إعادة وضع منبر الرسول صلى الله عليه وسلم على ما كان عليه ، وهذا المنبر ــ أعنى الرخام ــ أقصرُ من امتداد المنبر المحترق فى الأرض بنحو ثلاثة أرباع ذراع ، وعدد درجه مع مجلسه كالمحترق ، ومحل عود المنبر الأصلى منه مما يلى الروضة وهو الذى كان بأعلاه رمانة المنبر النبوى قبل عمود هذا المنبر بأزيد من قيراط ، وذلك على نحو ذراعين وشىء من طرف المنبر المذكور من القبلة .

وقد اشتهر محله من أحجار الدكة المذكورة بسبب تحريف المنبر المذكور بحيث تغيرت حدود الروضة الشريفة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

كسوة المنبر

وفى يوم الجمعة يجعل على باب المنبر سِتْر من حرير أسود مرقوم بحرير أبيض وقد قدمنا أول مَنْ كَسَا المنبر .

وأسند ابنُ زبالة عن هشام بن عروة أن ابن الزبير كان يلبس منبر النبى صلى الله عليه وسلم القباطى فَسَرَقَت امرأة قُبْطية فقطعها ، وقال ابن النجار : ولم يزل الخلفاء إلى يومنا هذا يرسلون فى كل سنة ثوبا من الحرير الأسود له عَلَم

ذهب يُكْسَى به المنبرُ ، قال : ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستوراً على أبواب الحرم .

ستور الأبواب

قلت : قد استقر الأمر بعد قَتْل الخليفة المستعصم على حَمْل الكُسْوة من مصر كما قاله الزين المراغى ، قال : والأبواب مستقلة اليوم بستور ، قال : وإنما يظهرونها فى أوقات المهمات كقدوم أمير المدينة ، وذَكَرَ ما سيأتى فى كسوة الحجْرَة من وقف قرية بمصر على ذلك وعلى كسوة الكعبة الشريفة ؛ فالكعبة تكسى كلَّ عام مرة ، والحجرة والمنبر فى كل ست سنين مرة .

كسوة الحجرة

وقال المجد : والمنبر يحمل له فى كل سبعة أعوام أو نحوها من الديار المصرية كسوة معظمة ملوكية يُكْسَاهَا من الجمعة إلى الجمعة ، ورايتان سَوْدَاوان يُنْسَجَان أبدَعَ نسجٍ يرفعان أمام وجه الخطيب فى جانبى المنبر قريباً من الباب .

قلت : فى زماننا تمضى السبع سنين والعَشْرُ وأكثر من ذلك ولا تصل كسوة ، والذى يجعل اليوم على المنبر إنما هو الستر المتقدم ذكره مع الرايتين اللتين ذكرهما المجد ، والله أعلم .

الفصل الخامس
فى فضائل المسجد الشريف

قال الله تعالى «لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أَحَقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المتطهرين[1]» .

المسجد الذى أسس على التقوى

روينا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت لبعض نسائه ، فقلت : يارسول الله ، أى المسجدين الذى أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حَصْبَاء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا ، لمسجد المدينة .

---

(١) من الآية ١٠٨ من سورة التوبة .

ولأحمد والترمذى من وجه آخر عن أبى سعيد : اختلف رجُلاَنِ فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، فسألاه عن ذلك ، فقال : هو هذا ، وفى ذلك — يعنى مسجد قباء — خير كثيرٌ ، وأخرجه أحمد من وجه آخر مرفوعاً ، وفى العتبية عن مالك مالفظه : وقال : المسجد الذى ذكر الله عزوجل أنه أسس على التقوى من أول يوم الآية هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ، أى مسجد المدينة ، ثم قال : أين كان يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس فى هذا ؟ ويأتونه أولئك من هنالك .

وقد قال الله سبحانه وتعالى: « وإذا رأوا تجارة أولهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً »[1] فإنما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال عمر بن الخطاب : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سمعته يريد أن يقدم القبلة ، وقال عمر بيده هكذا ، ماقدمتُهاَ ، ثم قدمها عمر موضع المقصورة الآن ، انتهى .

قال ابن رشد فى بيانه : ما ذهب إليه مالك مروى عن النبى صلى الله عليه وسلم، وذهب قوم إلى أنه مسجد قباء ، فاستدلوا بما روى أن الآية لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم خيراً ، الحديثَ ، قال : ولا دليل فيه ؛ لأن أولئك كانوا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه كان معمورا بالمهاجرين والأنصار ومَنْ سواهم ، قال : واستدلالُ مالك بقول عمر المتقدم ظاهرٌ؛ لأن الله تعالى لما ذكر فيه أنه أسس على التقوى لم يستجز نَقْضَ بنائه وتبديل قبلته ، إلا بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ورآه قد أراد أن يفعله .

---

(١) من الآية ١١ من سورة الجمعة .

قلت : ما ذكره مالك من كون مسجد المدينة هو المراد هو ظاهر ماقدمناه ، لكن قوله تعالى « من أول يوم » يقضى أنه مسجد قُباء ؛ لأنه ليس المراد أول أيام الدنيا ، بل أول أيام حُلولِهِ صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة ، وذلك هومسجد قباء إلا أن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم شرع فى تأسيس مسجد المدينة أيضاً من أول يوم قدومه لهـا ، أو يقال : المراد من أول يوم تأسيسه ، وسيأتى فى مسجد قُبَاء أشياء صريحة فى أنه المراد ؛ فتعين الجمع بأن كلا منهما يصدق عليه أنه أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه كما هو معلوم ، وأنهما المراد من الآية ، لكن يشكل عليه كونُ النبى صلى الله عليه وسلم أجاب عند السؤال عن ذلك بتعيين مسجد المدينة ، وجوابه أن السر فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أراد به رفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء كما هو ظاهر ما فهمه السائل ، وتنويهـا بمزية مسجده الشريف لمزيد فضله ، والله أعلم .

فضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفى الصحيحين حديثُ أبى هريرة « لاتُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » .

وعند مسلم « إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد : الكعبة ، ومسجدى ، ومسجد إيلياءَ » .

وعند أبى داود بلفظ « ومسجدى هذا » .

وفى الكبير والأوسط للطبرانى برجال ثقات عن ابن عمر ، و برجال الصحيح عن أبى الجعد الضَّمْرِى « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » ، وذكر نحو رواية الصحيحين .

وفى صحيح ابن حِبَّان ومسند أحمد والأوسط للطبرانى و إسنادهُ حسنٌ من حديث جابر «خير ما رُكِبَتْ إليه الرواحِلُ مسجدى هذا والبيت العتيق » .

وهو عند البزار بلفظ « خير ما ركبت إليه الرواحل مسجد إبراهيم ومسجد محمد صلى الله عليه وسلم » ورجاله رجال الصحيح إلا عبد الرحمن بن أبى الزناد وقد وثقه غير واحد .

فضل الصلاة فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « صَلاَةٌ فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فى ما سواه من المساجد إلا المسجدَ الحرام » هذا لفظ البخارى ، زاد مسلم « فإنى آخر الأنبياء ، وإن مسجدى آخر المساجد » .

قلت : يريد آخر مساجد الأنبياء كما نقله المحب الطبرى عن أبى حاتم ، وإلا فهو من أول مساجد هذه الأمة ، وإذا كانت الألف واللام هنا لمعهود — وهو مساجد الأنبياء — فالألف واللام أيضا فى قوله «فيما سواه من المساجد» للعهد ، والمراد مساجد الأنبياء ؛ فيتحصل من معناه أن الصلاة فى مسجده أفضل من الصلاة فى سائر مساجد الأنبياء بألف صلاة إلا المسجدالحرام ؛ فيقتضى ذلك أن تكون الصلاة بمسجده أفضل من ألف صلاة فى بيت المقدس ؛ لأنه من جملة مساجد الأنبياء ، ولم يُسْتَثْنَ ، ويدل على ذلك ما رواه البزار عن أبى سعيد قال : وَدَّعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد بيت المقدس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاةٌ فى مسجدى أفضلُ من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام ، وأسنده يحيى بزيادة تسمية الرجل فقال : عن الأرقم أنه تجهز يريد بيتَ المقدسِ ، فلما فرغ من جهازه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يودِّعه ، وقال فيه : فجلس الأرقم ولم يخرج ، وأسنده ابن النجار عن الأرقم بلفظه : إننى أريد الخروجَ إلى بيت المقدس ، قال صلى الله عليه وسلم : ولم ؟ قلت : للصلاة فيه ، قال : ههنا أفضل من الصلاة هناك ألف مرة ، ورواه الطبرانى برجال ثقات عن الأرقم بلفظ : صلاةٌ هٰهُنَا خيرٌ من ألف صلاة ثَمّ .

وقد روى أبو يعلى برجال ثقات عن ميمونة قالت : يارسول الله أفْتِنَا فى بيت المقدس ، قال : أرض المحشر ، وأرض المَنْشَر ، ائتُوه فصلوا فيه ، فإن صلاة فيه كألف صلاة — أى فى غيره من مساجد الأنبياء قبله ، ومساجد غير الأنبياء ماعدا المسجدين — لقيام الدليل على ذلك ؛ فتكون الصلاة بمسجد المدينة

خيرا من ألف ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فأما المسجد الأقصى فإنها أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيه فقط ، ولا يعلم قدر زيادتها فى الفضل على ذلك إلا الله تعالى ، ولمثل هذا تضرب آباطُ الإبل ، وتُستحق الرحلة ، ولا يعكر على ذلك ماروواه أحمد برجال الصحيح عن أبى هريرة وعائشة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى » لأن المحفوظ إنما هو استثناء المسجد الحرام ، وحديث أبى هريرة فى الصحيح خلا قوله « إلا المسجد الأقصى » وهو مُعارَض بما تقدم ، ولأن الهيثمى أورده فى مجمع الزوائد ثم قال : رواه أحمد ، وأعاده بعد هذا بسنده فقال : إلا المسجد الحرام ، فاتّضح بذلك ما قلناه .

وأما المسجد الحرام فاختلف الناس فى معنى استثنائه ، فذهب مالك فى رواية أشهب عنه — وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة من أصحابه — إلى أن معنى الاستثناء أن الصلاة فى مسجد الرسول أفضلُ من الصلاة فى سائر المساجد بألف صلاة، إلا المسجد الحرام فإن الصلاة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم أفضلُ من الصلاة فيه بدون الألف ، وذهب بعضُهم إلى أن الصلاة فى مسجد المدينة أفضلُ من الصلاة فى مسجد مكة بمائة صلاة ، وحمل على ذلك الاستثناء فى الحديث المتقدم ، واحتجوا برواية سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه « صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فى ما سواه » فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة ، وعلى غيره بألف، وتُعُقِّبَ بأن المحفوظ بالإسناد المتقدم «صلاة فى المسجد الحرام أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه ، إلا مسجد الرسول فإنما فَضْله عليه بمائة صلاة » .

قلت : وروى الطبرانى فى الأوسط عن عائشة مرفوعا « صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى غيره » لكن فيه سويد بن عبد العزيز ، قال

البخارى : فى حديثه نظر لا يحتمل ، وقد صح ما يقتضى رد ماذهب إليه هؤلاء ؛ فقد روى أحمد والبزار وابن خُزَيمة برجال الصحيح من طريق حبيبٍ المعلِّم عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام ، وصلاةٌ فى المسجد الحرام أفضلُ من مائة صلاة فى هذا » زاد ابن خزيمة « يعنى فى مسجد المدينة » لـكن لفظ البزار « صلاة فى مسجدى هـذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام فإنه يزيد عليه بمائة » وهى محتملة لأن يكون الضمـير فى « فإنه يزيد » لمسجده أو للمسجد الحرام ، وقد صحح ابنُ عبد البر حديثَ أحمد ، وقال : هو الحجة عند التنازع ، نص فى موضع الخلاف ، قاطعٌ له عند من أُلهِمَ رشدَهُ ، ولم تمل به العصبية ، قال : ولا مَطْعَنَ فيه إلا لمتعسف لا يُعَرِّجُ على قوله فى حبيب ، وقد كان الإمام أحمد يمدحه ، ويوثقه ، ويثنى عليه ، وكان عبد الرحمن بن مَهْدِى يحدث عنه ، ولم يرو عنه القطان ، وروى عنه أئمة ثقات يُقْتَدَى بهم ، ومنهم مَنْ أعلَّه باختلاف على عطاء ؛ لأن قوما يروونه عنه عن ابن الزبير ، وآخرين يروونه عنه عن ابن عمر ، وآخرين عنه عن جابر ، ومن العلماء مَنْ يجعل مثل هذا علةً فى الحديث ، وليس كذلك ؛ لأنه يمكن أن يكون عن عطاء عنهم ، والواجبُ أن لا يُدْفَعَ خبرٌ نقله العدول إلا بحجة .

قال البزار : هـذا الحديث قد روى عن عطاء ، واختلف على عطاء فيه ، ولا نعلم أحداً قال بأنه يزيد على مسجد المدينة مائة إلا ابن الزبير ، وقد تابع حبيبا المعلم الربيعُ بن صُبَيح ؛ فرواه عن عطاء عن ابن الزبير ، ورواه عبد الملك ابن أبى سليمان عن عطاء عن ابن عمر ، ورواه ابن جُرَيج عن عطاء بن أبى سلمة عن أبى هريرة أو عائشة ، ورواه ابن أبى ليلى عن عطاء عن أبى هريرة ، انتهى .

وقال الذهبى فى مختصر سنن البيهقى : إسناده صالح ، ولم يخرجه أصحاب السنن.

قلت : هذا أمر آخر ، وهو أن الحديث المذكور لما اختلف لفظه على وجهين أحدهما ليس نصا فى الدلالة كما قدمناه احتمل أن تكون الرواية فى الواقع به ، ومَنْ رواه بالوجه الآخر رواه بالمعنى بحسب فهمه ، إلا أن وروده من الطرق الأخرى بذلك اللفظ تُوهِنُ هذا الاحتمالَ ، وعلى تقدير ثبوته فهو من ابن الزبير، وهو أعرف بذهم مَرْوِيه ؛ لأن عبد الرزاق روى عن ابن جريج قال : أخبرنى سليمان بن عتيق وعطاء عن ابن الزبير أنهما سمعاه يقول « صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيه » ويشير إلى مسجد المدينة ، وقد قال ابنُ عبد البر : إن رجال إسناد حديث ابن عمر علماء أجلاء ، ورواه ابن وضاح عن ابن الزبير من كلام عمر بن الخطاب بنفسه ، قال ابن حزم: وسندُه كالشمس فى الصحة، وروى ابن أبى خيثمة عن أبيه حدثنا مسلم عن الحجاج عن عطاء عن عبد الله بن الزبير قال : الصلاة فى المسجد الحرام تَفْضُلُ على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بمائة ضعف ، قال : فنظرنا فإذا هى تَفْضُلُ على سائر المساجد بمائة ألف صلاة ، قال ابن عبد البر وابن حزم : فهذان صحابيان جليلان يقولان بفضل المسجد الحرام على مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا مخالف لهما من الصحابة ؛ فصار كالإجماع منهم على ذلك .

وفى ابن ماجة من حديث جابر مرفوعا « صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه » وفى بعض النسخ « من مائة صلاة فيما سواه » فعلى الأول معناه فيما سواه إلا مسجد المدينة ، وعلى الثانى معناه من مائة صلاة فى مسجد المدينة لما تقدم عن جابر .

قلت: وقد روى يحيى حديث الصحيحين المتقدم عن جبير بن مطعم بلفظ « إن صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد غير الكعبة » وفى رواية النسائى وغيره « إلا مسجد الكعبة » ولهذا ذهب بعضهم إلى أن المراد من المسجد الحرام الكعبة ، وبه قال العمرانى من أصحابنا وغيره،

وروى البزار عن عائشة حديث « أنا خاتم الأنبياء ، ومسجدى خاتم مساجد الأنبياء ، أحق المساجد أن يزار وتُشَد إليه الرواحل المسجدُ الحرام ومسجدى ، وصلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام »

وروى ابن ماجة مرفوعاً برجال ثقات إلا أبا الخطاب الدمشقى فهو مجهول « صلاة الرجل فى بيته بصلاة ، وصلاته فى مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته فى المسجد الذى يجمع فيه بخمس مائة صلاة ، وصلاته فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » وهو يقتضى أن الصلاة بمسجد المدينة مساوية لمسجد بيت المقدس ، وأنهما معا على النصف من الصلاة بالمسجد الحرام ، وهو مخالف لما فى الصحيح ، مع أن مفهوم العدد ليس بحجة ؛ فلا ينفى ما ثبت من الزيادة لمسجد المدينة على مسجد بيت المقدس سيما بالطريقة التى قدمناها

وفى الطبرانى — وهو حسن ، وفى بعض رجاله كلام — عن أبى الدرداء مرفوعا « الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، والصلاة فى مسجدى بألف صلاة ، والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة » ورواه ابنُ خزيمة فى صحيحه بنحوه ، والبزار وحَسَّنه ، وقال المجد : أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب ، قال : ولا نعلم حديثا يشتمل على فضيلة الصلاة بالمساجد الثلاثة خصوصا[1] سواه مما يصح عند الاعتبار معناه

قلت : لم أره فى الترمذى ، وقد ساقه ابن عبد البر محتجا به ، وهو غير مانع مما قدمناه من كون الصلاة بمسجد المدينة أفضل من ألف صلاة بمسجد بيت

---

(١) المساجد الثلاثة : هى الأقصى ، ومسجد المدينة ، والمسجد الحرام ، و « خصوصا » أراد به بيان فضل الصلاة فى كل مسجد منها على انفراده من غير أن يذكر زيادة الصلاة فيه على الصلاة فى غيره من المساجد .

المقدس ؛ لأن العدد لا ينفي الزائد ، وكذا حديث الأوسط للطبراني برجال الصحيح عن أبي ذر : تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّما أفضلُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بيت المقدس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه ، ولنعم المصلَّى هو » وقد يقال في ذلك كما قيل في نظائره من احتمال أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا ببعض ذلك بحسب ما أوحى إليه ، ثم أعلم بالزيادة ، ويكون حديث الأقل قبل حديث الأكثر ، ثم تفضل الله بالأكثر شيئاً بعد شيء ، ومحصله ما قررناه من الأخذ بالزائد ، ويحتمل أن ينزل تلك الأعداد على اختلاف الأحوال[1] ؛ فالحسنة بعشر أمثالها إلى غير نهاية

ونقل الزركشي في أعلام المساجد عن الكبير للطبراني بسند فيه مُقَاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا بعشرة آلاف صلاة ، وصلاة في المسجد الحرام بعشرة أمثالها مائة ألف صلاة ، وصلاة الرجل في بيت المقدس بألف صلاة ، وصلاة الرجل في بيته حيث لا يراه أحد أفضل من ذلك كله »

قلت : وهو ضعيف ، ولم يورده الهيثمي في مجمعه[2] في فضل الصلاة في المساجد الثلاث

هل فضل الصلاة في المساجد الثلاثة يختص بالفرض ؟

وهذه المضاعفة المذكورة في هذه المساجد لا تختص بالفريضة ، بل تعم الفرض والنفل ، كما قال النووي في شرح مسلم إنه المذهب

قال الزركشي : وهو لازم تعليل الأصحاب استثناء النفل بمكة في الأوقات المكروهة بمزيد الفضيلة

وقال الطحاوي من الحنفية : هو مختص بالفرض ، وفعل النوافل بالبيت

---

(١) اختلاف الأحوال : أي أحوال الناس من احتمال المشقة الشديدة ، والإخلاص في العمل ، وطهارة الظاهرة والباطن من الدنيا وعلائقها

(٢) مجمعه : هو مجمع الزوائد لابن حجر الهيتمي

أفضل ، و إليه ذهب ابنُ أبى زيد من المالكية ، وهو المرجح عندهم ، وفرق بعضهم بين أن يكون المسجد خاليا أم لا

فإن قيل : كيف تقولون إن المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت الأصحاب ونص الحديث الصحيح على أن فعل النافلة فى بيت الإنسان أفْضَلُ ؟

قلنا : لا يلزم من المضاعفة فى المسجد أن يكون أفضلَ من البيت كما قاله الزركشى وغيره ، و غاية الأمر أن يكون فى المفضول مزية ليست فى الفاضل ، ولا يلزم من ذلك جعله أفضل ؛ فان للأفضل مزايا إن كان للمفضول مزية ، ولهذا بحث التاج السبكى مع أبيه فى صلاة الظهر بمنى يوم النحر إذا جعلنا منًى خارجة عن محل المضاعفة: هل يكون أفضل من صلاتها فى المسجد لأنه صلى الله عليه وسلم فعلها بمنى يومئذ أو فى المسجد للمضاعفة ؟ فقال والده : بل فى منًى و إن لم يحصل بها المضاعفة ؛ فإن فى الاقتداء بأفعال النبى صلى الله عليه وسلم مايَرْبُو على المضاعفة ، على أن الحافظ ابنَ حَجَر ذكر ما يقتضى إثبات المضاعفة للتنفل فى البيوت بالمدينة ومكة ، عملا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم «أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » فقال : وقد تقدم النقل عن الطحاوى وغيره أن ذلك ــ يعنى التضعيف ــ مختصٌّ بالفرائض ؛ لحديث « أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » ويمكن أن يقال : لا مانع من إبقاء الحديث على عمومه ؛ فتكون النافلة فى بيت بالمدينة أو مكة تضاعف على صلاتها فى البيت بغيرهما ، وكذا فى المسجدين ، و إن كانت فى البيوت أفضل مطلقا

مرجع مضاعفة فضل الصلاة

ثم إن التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب بتلك الأعداد ، لا إلى الإجزاء ، باتفاق العلماء كما نقله النووى وغيره ؛ فلو كانت عليه صلوات فصلى فى أحد المسجدين صلاة لم تُجْزِه إلا عن واحدة ، وقد أوهم كلام أبى بكر النقاش فى تفسيره

خلاف ذلك ؛ فإنه قال : حسبت الصلاة فى المسجد الحرام فبلغت صلاة واحدة بالمسجد الحرام عمر خمسة وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة ، اه . وهذا مع قطع النظر عن التضعيف بالجماعة والسواك ونحوه، لكن هل تجمع التضعيفات أولا؟ محل بحث

هل يختص التضعيف بالصلاة ؟

قلت : وينبغى أن لا يختص هذا التضعيف بالصلاة ، بل سائر أنواع الطاعات كذلك قياسا على ما ثبت فى الصلاة ، كما صرحوا به فى مسجد مكة المشرفة ، وصرح به فيما يتعلق بالمدينة صاحبُ الانتصار أبو سليمان داود من المالكية ، ثم رأيته فى كلام الغزالى فى الإحياء كما قدمناه فى فضل الخصائص ، ويشهد له ما فى الكبير للطبرانى عن بلال بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رمضانُ بالمدينة[1] خير من ألف رمضان فيما سواها من البلدان ، وجمعة بالمدينة خير من ألف جمعة فيما سواها من البلدان » ونقل المجد عن أبى الفرج الأموى أنه أخرجه بسنده عن ابن عمر

قلت : ورواه ابن الجوزى فى شرف المصطفى عن ابن عمر أيضا بلفظ « صيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواها ، وصلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها »

وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الصلاة فى مسجدى هـذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، والجمعة فى مسجدى هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وشهر رمضان فى مسجدى هـذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام » ورواه أيضا عن ابن عمر بنحوه

---

(١) المراد صيام رمضان كما ورد فى الحديث الآخر الذى سيرويه المؤلف بعد هذا بقليل ؛ فالكلام على حذف مضاف ، وكذلك قوله «وجمعة» المراد به « صلاة الجمعة» إلا أن يراد بلفظ الجمعة صلاتها؛ فإن أريد به ذلك لم يحتج إلى تقدير المضاف .

وهذه الأحاديث وإن كانت ضعيفة فإذا ضمت إلى ما قدمناه من القياس على الصلاة ثم الاستدلال ، وقد قدمنا فى حدود مسجده صلى الله عليه وسلم الخلافَ المذكور فى المراد بقوله صلى الله عليه وسلم « صلاة فى مسجدى هذا » ، وترجيح أن ذلك يتناول ما زيد فيه .

وروى أحمد والطبرانى فى الأوسط ورجالُه ثقاتٌ عن أنس بن مالك حديث « من صلى فى مسجدى أربعين صلاة » زاد الطبرانى « لا تفوته صلاة كتب له براءة من النار ، وبراءة من العذاب ، وبرىء من النفاق » . تقدم هذا الحديث بدون زيادة الطبرانى ، وهو عند الترمذى بغير هذا اللفظ .

وروى ابن المنذر وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن من حين يخرج أحدكم من منزله إلى مسجدى فرِجْلٌ تكتُبُ حسنة ورِجْلٌ تحطُّ عنه خطيئة » .

وقال البيهقى بعد ذكر حديث فضل مسجد قُبَاء ما لفظه : ورواه يوسف بن طهمان عن أبى أمامة بن سهل عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وزاد « ومن خرج على طهر لا يريد إلا مسجدى هذا — يريد مسجد المدينة — ليصلى فيه كانت بمنزلةِ حجة » وقد أسند ذلك ابن زبالة ومن طريقه ابن النجار عن سهل أيضاً ، وفى إسناده ابن طهمان أيضاً ، وهو ضعيف عند البخارى وابن عَدِىّ ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، ولفظ ابن زبالة « مَنْ خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة » وأسند هو ويحيى عن سهل بن سعد حديث « مَنْ دخل مسجدى هذا يتعلم فيه خيراً أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ، ومن دَخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان كالذى يرى ما يعجبه وهو لغيره » وفى رواية لهما عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه « مَنْ دخل مسجدى هذا لا يدخله إلا ليعمل خيراً أو يتعلمه كان بمنزلة المجاهد

فى سبيل الله ، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة من يرى ما يعجبه وهو فى يَدَىْ غيره » .

وروى ابن ماجة عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ، ومن جاءه لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره » ورواه الطبرانى من حديث سعد مرفوعاً بمعناه ، إلا أنه قال « من دخل مسجدى ليتعلم خيراً أو ليعلمه » ورواه ابن حِبان فى صحيحه بلفظ الطبرانى لكن من حديث أبى هريرة .

وأسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دخل مسجدى هذا لصلاة أو لذكر الله أو يتعلم خيراً أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله » ولم يجعل ذلك لمسجد غيره ، وعند يحيى أيضاً عن كعب أنه قال « ما من مؤمن يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو أو لا يروح إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه أو يذكر الله أو يذكِّرَ به إلا كان مَثَلُه فى كتاب الله كمثل الجهاد فى سبيل الله ، وما من رجل يغدو أو يروح إلى المسجد لا يغدو ولا يروح إلا لأخبار الناس وأحاديثهم إلا كان مثله فى كتاب الله كمثل الرجل يرى الشىء يعجبه ويرى المصلين وليس منهم ، ويرى الذاكرين وليس منهم » ، وعنده أيضاً عن أبى سعيد المَقْبُرِى عن الثقة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا إخال إلا أن لكل رجل منكم مسجداً فى بيته » قالوا : نعم يا رسول الله ، قال « فوالله لو صليتم فى بيوتكم لتركتم مسجد نبيكم ، ولو تركتم مسجد نبيكم لتركتم سننه ، ولو تركتم سننه إذاً لضللتم » .

وفى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى غزوة خيبر « مَنْ أكل من هذه الشجرة — يعنى الثوم — فلا يقربَنَّ مسجدنا » .

قال الكرمانى : قال التيمى : قال بعضهم : النهىُ إنما هو عن مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة ، من أجل ملائكة الوَحْيِ ، والأكثر على أنه عام ، انتهى . وقد حكى ابن بَطَّال القولَ بالاختصاص عن بعض أهل العلم ووَهَّاه[1] ، والله أعلم .

الفصـــــل السادس

فى فضل المنبر المنيف ، والروضة الشريفة

روينا فى الصحيحين حديثَ عبد الله بن زيد المازنى رضى الله عنه « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » زاد البخارى من حديث أبى هريرة ، « ومنبرى على حَوْضِى »

وروى أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه على بن زيد وقد وثق عن جابر بن عبد الله مرفوعا « ما بين بيتى إلى منبرى روضة من رياض الجنة ، وإن منبرى على تُرْعَة من تُرَعِ الجنة » .

وروى أحمد برجال الصحيح عن سَهْل بن سعد مرفوعا « منبرى على ترعة من ترع الجنة » وفيه تفسير الترعة بالباب ، وقيل : الترعة الروضة تكون على المكان المرتفع خاصة ، وقيل : الدرجة .

ورواه يحيى عن أبى هريرة وغيره بلفظ « على رتْعَةٍ من رتع الجنة » وكذا هو فى رواية لرزين ، وظنه بعضهم تصحيفا فكتب فى هامشه « صوابه ترعة » وليس كذلك ، بل معناه صحيح ؛ إذ الرتع الاتساع فى الخصب ، والرَّتْعَةُ — بسكون التاء وفتحها — الاتساع فى الخصب ، وكل مخصب مرتع .

وفى الحديث : « إذا مررتم برياض الجنة فارْتَعُوا » ، وروى البزار عن معاذ ابن الحارث نحوه .

---

(١) وهاه : جعله واهياً أى ضعيفاً .

وفى الـكبير للطبرانى من طريق يحيى الحمانى وهو ضعيف عن أبى واقد الليثى مرفوعا « قوائم منبرى رَوَاتِبُ فى الجنة » ورواه ابن عساكر وابن النجار ويحيى عن أم سلمة ، وقال المجد: أخرجه عنها النسائى ، وفى رواية لابن عساكر « وضعت منبرى هذا على تُرْعةٍ من تُرَعِ الجنة ».

وأسند يحيى عن أبى المعلى الأنصارى وكانت له صحبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر « إن قدمى على ترعة من ترع الجنة » .

وعن أبى سعيد الخدرى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على منبره « أنا قائم الساعةَ على عقر حوضى[1] » وفى رواية له « إنى على الحوض الآن » .

وأسند ابن زبالة عن نافع بن جبير عن أبيه حديث « أحَدُ شِقَّيِ المنبرِ على عقر الحوض، فمن حلف عنده على يمين فاجرة يقتطع بها حق امرئ مسلم فليتبوأ مقعده من النار » قال : وعقر الحوض من حيث يصب الماء فى الحوض .

وفى سنن أبى داود من حديث جابر مرفوعا « لا يحلف أحد عند منبرى هذا على يمين آثمة ولو على سواك أخضر إلا تَبَوَّأ مقعده من النار ، أو وجبت له النار » ، ورواه ابن خُزَيمة وابن حبان والحاكم وصححوه .

وروى النسائى برجال ثقات عن أبى أمامة بن ثعلبة مرفوعا « مَنْ حلف عند منبرى هذا يميناً كاذبة استحَلَّ بها مالَ امرىء مسلم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلا » .

وفى الأوسط للطبرانى وفيه ابن لَهِيعَةَ عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا « منبرى على تُرْعَة من تُرَعِ الجنة ، وما بين المنبر و بيت عائشة روضة من رياض الجنة » .

وفى الصحيحين حديث ابن عمر « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ».

---

(١) عقر الحوض : المكان الذى منه يصب الماء فى الحوض ، وسيفسره بذلك المؤلف فى الحديث التالى ، وسيفسر عقر الحوض بمؤخره فى ص ٤٢٩ .

وروى أحمد برجال الصحيح عن أبى هريرة وأبى سعيد حديثَ « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة ، ومنبرى على حوضى » .

وروى البزار برجال ثقات عن سعد بن أبى وَقَّاص حديثَ « ما بين بيتى ومنبرى ، أو قبرى ومنبرى ، روضة من رياض الجنة » وفى الأوسط للطبرانى وفيه متروك عن أنس بن مالك حديث «مابين حُجْرَتى ومُصَلاَّىَ روضة من رياض الجنة » وفى رواية لابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها « مابين منبرى والمصلى » وفى رواية «مابين مسجدى إلى المصلى روضة من رياض الجنة» ورواه أبو طاهر بن المخلص فى انتقائه ويحيى فى أخبار المدينة بلفظ «مابين بيتى ومُصَلاَّىَ روضة من رياض الجنة» قال جماعة : المراد به مصلى العيد ، وقال آخرون : مُصَلاَّهُ الذى يصلى فيه فى المسجد ، كذا قاله الخطابى .

قلت: ويؤيد الأول أن فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى عقب الحديث المذكور ما لفظه : قال أبى: سمعت غير واحد يقولون : إن سعدا لما سمع هذا الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم بَنَى داره فيما بين المسجد والمصلى ، وكذا ما سيأتى فى مصلى العيد من رواية ابن شبة عن عائشة بنت سعد بن أبى وقاص .

قلت : وهو شاهد لما سيأتى من عموم الروضة لجميع مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما زيد فيه من جهة المغرب .

وروى عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند برجال الصحيح إلا أن فيهم فليحا — وقد روى له الجماعة، وقال الحاكم : اتفاقُ الشيخين عليه يقوى أمره، وقال الساجى : ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الدارقطنى : فليح يختلفون فيه ، وقال بعضهم : إنه كثير الخطأ — عن عبد الله بن زيد المازنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مابين هذه البيوت — يعنى بيوتَهُ — إلى منبرى روضة من رياض الجنة ، والمنبر على تُرْعَة من تُرَعِ الجنة » .

معنى كون المنبر على الحوض

وقد اختلف فى معنى ذلك؛ فقال الخطابى: معنى قوله «ومنبرى على حوضى» أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه، وهذا قول الباقى، والثانى: أن منبره الذى كان يقوم عليه صلى الله عليه وسلم يُعِيدُهُ اللهُ كما يعيدُ سائرَ الخلائقِ ، ويكون على حوضه فى ذلك اليوم ، واعتمد ذلك ابن النجار ، وحكى ابن عساكر القولَ بأن المراد منبره بعينه الذى كان فى الدنيا ، ثم قال : وهو أظهر ، وعليه أكثر الناس ، فتبع شيخه ابن النجار فى ذلك، والثالث أن المراد منبر يخلقه الله تعالى له فى ذلك اليوم ، ويجعله على حوضه .

قلت : ويظهر لى معنى رابع ، وهو أن البقعة التى عليها المنبر تعاد بعينها فى الجنة، ويعاد منبره ذلك على هيئة تناسب مافى الجنة ؛ فيجعل المنبر عليها عند عُقْرِ الحوض ،وهو مؤخره ، وعن ذلك عبر بترعة من ترع الجنة ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لأمته للترغيب فى العمل فى هذا المحل الشريف ليُفْضِى بصاحبه إلى ذلك ، وهذا فى الحقيقة جمع بين القولين الأولين ، وسيأتى فى الزيارة ما ذكره ابن عساكر من أن الزائر يأتى المنبر الشريف ، ويقف عنده ، ويدعو

معنى أن الروضة من رياض الجنة

واختلفوا أيضاً فى معنى ماجاء فى الروضة الشريفة ، قال الحافظ ابن حجر: محصل ما أول به العلماء ذلك أن تلك البقعة كروضة من رياض الجنة فى نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل فيها من مُلاَزمة حِلَقِ الذكر ، لا سيما فى عهده صلى الله عليه وسلم ؛ فيكون مجازا ، أو المعنى أن العبادة فيها تُؤَدِّى إلى الجنة ، فيكون مجازاً أيضا ، أو هو على ظاهره،وأن المراد أنها روضة حقيقة بأن ينقل ذلك الموضع إلى الجنة؛ ثم قال: وهذه الأقوال على ترتيبها هذا فى القوة ،وهو محتمل لتقوية الأول أو الأخير، والأخير أقواها عندى، وهو الذى ذهب إليه ابن النجار، ونقله البرهان ابنُ فرحون فى منسكه عن ابن الجوزى وغيره عن مالك ، فقال : وقوله «مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » حمله مالك رحمه الله على ظاهره ، فنقل عنه ابن الجوزى وَغيره أنها روضة من رياض الجنة تنقل إلى الجنة ، وأنها ليست

كسائر الأرض تذهَبُ وتَفْنَى ، ووافقه على ذلك جماعة من العلماء ، انتهى ونقله الخطيبُ ابن حملة عن الداوردى ، وصححه ابن الحاج فى مدخله ؛ لأن العلماء فهموا من ذلك مزية عظيمة لهذا المحل

ثم رأيت فى كلام الحافظ ابن حجر ترجيحَه فى موضع آخر ، فقال فى الكلام على الحوض : والمرادُ بتسمية ذلك الموضع روضة أن تلك البقعة تنقل إلى الجنة فتكون روضة من رياضها ، أو أنها على المجاز لكون العبادة فيه تؤُولُ إلى دخول العابد روضة الجنة ، ثم قال : وهذا فيه نظر ؛ إذ لا اختصاص لذلك بتلك البقعة ، والخبر مَسُوق لمَزيد شرف تلك البقعة على غيرها ، انتهى

قلت: وأحْسَنُ من ذلك ماذهب إليه ابن أبى جَمْرَةَ من الجمع بين هذا وما قبله ، ومنه استنبطنا ما قدمناه فى أمر المنبر ؛ فإنه لم يُعَوِّل على ذكر المعنى الأول وقال بعد ذكر المعنيين الأخيرين : الأظهر — والله أعلم — الجمعُ بين الوجهين ؛ لأن لكل منهما دليلا يُعَضِّده[1] ، أما الدليلُ على أن العمل فيها يوجب الجنة فلما جاء فى فضْل مسجدها من المضاعفة ، ولهذه البقعة زيادة على باقى بُقَعِهِ ، وأما الدليل على كونها بعينها فى الجنة فلإخباره صلى الله عليه وسلم بأن المنبر على الحوض ، لم يختلف أحَد من العلماء أنه على ظاهره ؛ وأنه حق محسوس موجود على حوضه .

قلت : وفيه نظر ؛ لما قدمناه

قال: وقد تقرر فى قواعد الشرع أن البُقع المباركة مافائدة بركتها لنا والإخبار بذلك إلا تعميرها بالطاعات ؛ قال: ويحتمل وجها ثالثا ؛ وهو أن تلك البقعة نفسها روضة من رياض الجنة كما أن الحجر الأسود من الجنة ؛ فيكون الموضع المذكور روضة من رياض الجنة الآن ؛ ويعود روضة فى الجنة كما كان ؛ ويكون للعامل بالعمل فيه روضة فى الجنة ؛ قال : وهو الأظهر ؛ لعلو مكانته عليه السلام ؛ وليكون بينه

---

(١) يعضده : يقويه ويؤيده .

و بين الأبوة الإبراهيمية فى هذا شبه ، وهو أنه لما خص الخليل بالحَجَر من الجنة خص الحبيب بالروضة منها .

قلت : وهو من النفَّاسة بمكان ، وفيه حمل اللفظ على ظاهره ؛ إذ لا مقتضى لصَرْفه عنه ، ولا يقدح فى ذلك كونُها تُشاهَد على نسبة رياض الدنيا فإنه مادام الإنسان فى هذا العالم لا ينكشف له حقائق ذلك العالم لوجود الحُجب الكثيفة والله أعلم .

وتخصيص ما أحاطت به البَيْنِيةُّ المذكورة بذلك إما تعبد وإما لكثرة تردده صلى الله عليه وسلم بين بيته ومنبره وقرْب ذلك من قبره الشريف الذى هو الروضة العظمى كما أشار إليه ابنُ أبى جَمْرَة أيضا .

وقال الجمال محمد الراسانى الريمى : اتفقوا على أن هذا اللفظ معقول المعنى ، مفهوم الحِكْمَة ، و إنما اختلفوا فى ذلك المعنى ماهو ، فقيل : اللفظ على حقيقته ، و إن ذلك روضة من رياض الجنة بمعنى أنه بعينه نُقِل من الجنة ، أو أنه سينقل إليها ، وقيل: مجاز معناه أن العبادة فيه تُؤَدِّى إلى الجنة ، أولما ينزل فيه من الرحمة وحصول المغفرة ، كما سمى مجالس الذكر رياض الجنة فى حديث « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا[1] » وفى رواية لأبى هريرة « قلت : ما رياض الجنة ؟ قال : المساجد ، قلت : وما الرتع ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر » .

وقال ابن عبد البر : لما كان صلى الله عليه وسلم يجلس فى ذلك الموضع ويجلس الناسُ إليه للتعلم شَبَّهه بالروضة؛ لكريم مايجتنى فيه ، وأضافها إلى الجنة لأنها تؤول إلى الجنة ، كقوله « الجنة تحت ظلال السيوف » أى أنه عمل يُدْخِلُ الجنةَ .

وقال الخطابى : روضة من رياض الجنة بالطاعة فيه ، كقوله « عائد المريض

---

(١) قال ابن الأثير (النهاية : ٢/٦٤) « ومنه الحديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، أراد برياض الجنة ذكر الله ، وشبه الخوض فيه بالرتع فى الخصب » اهـ .

فى مَخْرَفَةِ الجنة[1] » أى يرجى له بذلك مخرفة الجنة؛ فأطلق اسم المسبب على سببه كقوله « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

هذا ما نقله الخطيب ابن حملة من المعانى ، ثم تعقب الأخير بأنه لا يبقى حينئذ لهذه الروضة مزية ، وقد فهم الناس من ذلك المزية العظيمة التى بسببها فضلها مالك على سائر البقاع

وقد تعقب الجمالُ الريمى الخطيب فى ذلك ، وقال : أظهر المعانى تضعيف أجر الطاعات ، وتعليم الناس وجوه الخير ؛ لاتفاق الخطابى وابن عبد البر عليه ، وهما عمدة الأمة فى فقه الحديث ، ولأن النظائر تؤيده ، وأما المعنيَانِ الآخَرَان فلم يعزُهما الخطيبُ إلى أحد ، فدلّ على ضعفهما ، ولم يذكر عياضٌ القولَ بأن هذا الموضع بعينه نقل من الجنة ، وذكر ما عداه ، فدل على شذوذه ؛ لأن مثل هذا طريقه التوقيفُ كما جاء فى الركن والمقام ، على أن القول به يؤدى إلى إنكار المحسوسات أو الضروريات ، وجواب ما ذكره الخطيب أن المزية ظاهرة ، وهو أن العمل فى النظائر المتقدمة يؤدى إلى رياض الجنة ، والعمل فى هذا المحل يؤدى إلى روضة أعلى من تلك الرياض .

قلت : إنما حَمَله على هذا ذهابُه إلى أن اسم الروضة يعم جميع مسجده صلى الله عليه وسلم، وأنه إذا ثبت لما زيدَ فيه حكمُ المضاعفة تعدى ذلك إليه، فاختار كون التسمية بذلك مجازية ، ووضع فى ذلك كتاباً سماه « دلالات المسترشد ، على أن الروضة هى المسجد » وقد صنف الشيخ صفى الدين الكازرونى المدنى مصنفاً فى الرد عليه ، وقد لخصتهما مع سلوك طريق الإنصاف بينهما فى كتابى الموسوم « بدفع التعرض وَالإنكار ، لبسط رَوْضة المختار » وَسنذكر الصوابَ فى ذلك، وَاستدلالُه على ضعف القول بأن ذلك الموضع بعينه نقل من الجنّة بأن عياضا لم يذكره عجيبٌ لاحتمال أنه لم يَطلع عليه ، وقوله « إن ذلك طريقهُ التوقيف

(١) فى النهاية « عائد المريض على مخارف الجنة حتى يرجع » والمخارف : جمع مخرف أو مخرفة — بفتح الراء فيهما — وهو الحائط من النخل : أى أن العائد فيما يحوز من الثواب كأنه على نخل الجنة يخترف ثمارها ، وقيل : المخارف جمع مخرفة ، وهى سكة بين صفين من نخل يجتنى من أيهما شاء .

كما جاء فى الركن » فنقول : أى توقيف أعظم من إخبار الصادق المصدوق بذلك ؟ وهو المخبر بأمر الركن والمقام ، والأصلُ فى الإطلاق الحقيقة ، فكيف سَلَّمه فى الركن والمقام ولم يسلمه هنا ؟ والذى فهمه العلماء من الحديث أن هذا الموضع روضة ، سواء كان به ذاكرون ومصلون أم لم يكن ، بخلاف حِلَقِ الذكر مثلا ، فإن ذلك يزول عنها بقيامهم ، فالروضة ماهم فيه بخلاف هذه ، ولهذا فسر الرَّتْعَ هناك بالذكر ، والمراد فى حديث « الجنة تحت أقدام الأمهات » أن لزوم خدمتهن تؤدى إليها ، وقوله « إن القول بذلك يؤدى إلى ماذكره » عجيبٌ ، وقد قدمنا السبب المانع من شهود ذلك على حقيقته ، وأى حُسْنٍ أحْسَن من القول بأن ذلك روضة من الجنة أكرم الله به نبيه ؟ ويؤيده أحاديثُ المنبر المتقدمة وماسيأتى فى أُحُدٍ وعَيْرٍ ؛ إذ لم يقل أحد إن المراد أن المتعبد عند أُحُدٍ يُفضِى به ذلك إلى الجنة ، والمتعبد عند عَيْرٍ يفضى به ذلك إلى النار ، وأما قوله فى بيان المزية « إن العمل فى ذلك المحل يؤدى إلى روضة أعلى » فليس فى الحديث وصفه بأنه أعلى الرياض ، بل أطلق ذلك ، فإذا ثبت ذلك لغيره فلا خصوصية ، بل قد يقول الذاهب إلى تفضيل مكة : إن العمل فيها يؤدى إلى روضة أعلى وأفضل، ولظهور مزية تلك البقعة على غيرها بذلك استدل به بَعْضُ الأئمة على تفضيل المدينة على مكة بإضافة حديث « لَقَابُ قوسٍ[1] أحدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » وتعقبه ابن حزم بأن جعلها من الجنة إنما هو على سبيل المجاز ، إذ لو كانت حقيقة لكانت كما وصف الله الجنة « إنَّ لَكَ أنْ لاَ تَجُوعَ فِيها وَلاَ تَعْرَى » قال : وإنما المراد أن الصلاة فيها تؤدى إلى الجنة كما يقال فى اليوم الطيب : هذا يومٌ من أيام الجنة .

قلت : لايلزم من ثبوت عدم الجوع والعُرْيِ لمن حل فى الجنة ثبوته لمن حل

(١) قاب القوس : مقداره ، وفى القرآن الكريم : (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى)

فى شىء أخرج منها ؛ إذ يلزمه أن ينفى بذلك عن حجر المقام كونه من الجنة حقيقة، ولا قائل به، ومسألة عموم الروضة لجميع مسجده صلى الله عليه وسلم ذات خلاف ؛ فقد قال الأقشهرى : سئل أبو جعفر بن نصر الداودى المالكى عن قوله « ما بين بيتى ومنبرى روضة » فقال : هو روضة كله ، ونقل الريمى عن الخطيب ابن حملة أنه قال:قوله «ما بين بيتى» مفرد مضاف قد يفيد العموم فى بيوته،ثم ذكر بيان مكان بيوته، ثم قال: ولهذا قال السمعانى فى أماليه: لما فَضَّل الله مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفه وبارك فى العمل فيه وضعفه سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة ، فتراه جعل المسجد كله روضة ، والمشهور أن المراد بيت خاص ، وهو بيت عائشة رضى الله عنها ؛ للرواية الأخرى « ما بين قبرى ومنبرى » قال ابن خزيمة: أراد بقوله ما بين بيتى الذى أقبر فيه ؛إذ النبى صلى الله عليه وسلم قبر فى بيته الذى كانت تسكنه عائشة ، قال الخطيب : فعلى هذا تُسَامِتُ ـ يعنى الروضة ـ حائط الحجرة من القبلة والشمال من جهة الحجرة، ولا تزال تقصر إلى جهة المنبر ، أو توجد المسامتة مستوية فلينظر ، هذا كله كلام الخطيب .

قلت : فتلخص من ذلك ثلاثة آراء : الأول : أنها المسجد الموجود فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، الثانى : أنها ماسامَتَ(١) المنبر والحجرة فقط ، فتتسع من جهة الحجرة وتضيق من جهة المنبر لما تقدم فى مقداره ، وتكون منحرفة الأضلاع لتقدم المنبر فى جهة القبلة وتأخر الحجرة فى جهة الشام ، فتكون كشكل مثلث ينطبق ضلعاه على قدر المنبر ، الثالث : أنها ماسامَتَ(١) كلا من طرفى الحدين ، فتشمل ماسامَتَ المنبر من مقدم المسجد فى جهة القبلة وإن لم يسامت(١) الحجرة ، ويشمل ما سامَتَ الحجرة من جهة الشمال وإن لم يسامت(١) المنبر ، فتكون مربعة ، وهى الأروقة الثلاثة : رواق المصلى الشريف ، والرواقان بعده ، وذلك هو مسقف مقدم المسجد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قد تحرر لنا فى هذه العمارة التى أدركناها

---

(١) سامت الشىء الشىء : قابله ووازاه

أن صف أسطوان الوُفودِ ــ وهى التى كانت إلى رحبة المسجد كما سيأتى ــ واقعٌ خلف الحجرة سواء، حتى إن الأسطوانة التى تلى مربعة القبر فى صفها الداخلة فى الزور بعضها داخل فى جدار الحجرة الشامى كما سيأتى بيانه .

وأما أدلة هذه الأقوال فقد استدل الريمى للأول بأشياء غالبُها ضعيفٌ مبناه على أن إطلاق الروضة من قبيل المجاز لما فى ذلك من المضاعفة ونحوه، وأحسنها ما أشار إليه الخطيبُ ابن حملة وأيده الريمى بأشياء ، فقال : قوله « بيتى » من قوله « ما بين بيتى » مفرد مضاف ، فيفيد العمومَ فى سائر بيوته صلى الله عليه وسلم ، وقد كانت بيوته مُطيفة بالمسجد من القبلة والمشرق ــ وفيه بيت عائشة ــ والشام كما سيأتى عن ابن النجار وغيره ، ولم يكن منها فى جهة المغرب شىء ، فعرف الحد من تلك الجهة بالمنبر الشريف ، فإنه كان فى آخر جهة المغرب بينه و بين الجدار يسير ؛ لأن آخره من تلك الجهة الأسطوانة التى تلى المنبر ، والمنبر على ترعة من ترع الجنة ، فقد حدد الروضة بحدود المسجد كلها .

قلت : وهو مُفَرَّع على ما ذكره ابن النجار فى تحديد المسجد من جهة المغرب ، وقد مشيت عليه فى تواليفى قبل أن أقف على ما قدمته فى حد المسجد ، وقد مشى على ذلك الزين المراغى فقال : ينبغى اعتقاد كون الروضة لا تختص بما هو معروف الآن ، بل تتسع إلى حد بيوته صلى الله عليه وسلم من ناحية الشام ، وهو آخر المسجد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ؛ فيكون كله روضة ، وهذا إذا فرعنا على أن المفرد المضاف[1] للعموم ، وقد رجحه فى كتب الأصول جماعة ، ثم ذكر ما تقدم .

قلت : وفاتهم الجميع الاستدلال بحديث زوائد مسند أحمد المتقدم بلفظ « ما بين هذه البيوت » يعنى بيوته « إلى منبرى روضة من رياض الجنة » والعجبُ أن المعتنين بأمر الروضة لم يذكروه ، مع أن فيه غنية عن التمسك بكون

---

(١) هو قوله فى الحديث « بيتى » والمراد بعمومه أنه يشمل كل بيوته صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كانت رواية « ما بين هذه البيوت إلخ » يغنى عن الرجوع إلى هذه القاعدة

المفرد المضاف يفيد العموم ، فقد ناقش الصفى الكازرونى فى ذلك بأشياء : منها أن رواية « ما بين قبرى ومنبرى » بينت المراد من البيت المضاف . قلت : ليته قال رواية « ما بين المنبر و بيت عائشة » لأنه يلزم عليه أن يكون الروضة بعرض القبر فقط ، والتخصيصُ بذلك بعيد ، ومن قال «إن المراد من البيت القبر» ليس مراده والله أعلم إلا أن رواية القبر لعدم إبهامها تعين البيت ، ولعله مراد الصفى ، ولهـذا قال الطبرى : و إذا كان قبره صلى الله عليه وسلم فى بيته اتفقت معانى الروايات ، ولم يكن بينها خلاف، انتهى ، ولك أن تقول : رواية «قبرى»ورواية « حجرة عائشة » من قبيل إفراد فرد من العام، وذكره بحكم العام ، وهو لا يقتضى التخصيص على الأصح ، بل يقتضى الاهتمام بشأن ذلك الفرد ، على أن القرطبى قال : الرواية الصحيحة « بيتى » و يروى « قبرى »وكأنه بالمعنى ، والله أعلم .

ومنها : أن القرافى حمل إطلاق عموم اسم الجنس على ما يقع منه على القليل والكثير كالماء والمال ، بخلاف مالا يصدق إلا على الواحد كالعبد والبيت والزوجة فلا يعمم ، ولهذالو قال عبدى حر أو امرأتى طالق لايعم سائر عبيده ونسائه، قال : ولم أره منقولا . قلت: قال التاج السبكى : خالف بعض الأئمة فى تعميم اسم الجنس المعرف والمضاف(١) ، والصحيح خلافه ، وفصل قوم بين أن يصدق على القليل والكثير فيعم ، أو [لا](٢) فلا ، واختاره ابن دقيق العيد ، انتهى .

فقد جعل مابحثه القرافى وجهاً ثالثاً مفصلا ، وذلك يأبى حمل إطلاق المطلِقينَ عليه ، فما بحثه منقول ، لكن الصحيح خلافه ، وما استدل به من عدم عموم عبدى حر وامرأتى طالق جوابه من أوجه ذكرناها فى دفع التعرض ، وأحسنها ما أشار إليه الأسنوى من أن عدم العموم فى ذلك لكونه من باب الأيمان ، والأيمان يسلك فيها مسلك العرف ، انتهى . ونقل الأزرقى فى نفائسه عن ابن

(١) فى جميع المطبوعات «المعروف» تطبيع ، والمراد باسم الجنس المعرف المقترن بالألف واللام مثل : الماء ، والخل ، والزيت

(٢) كلمة «لا» هذه ساقطة من الأصول كلها ، ولا يتم الكلام بدونها .

عبد السلام أنه قال : الذى تبين لى طَلَاقُ الجميع وعتق الجميع ، وفى كتب الحنابلة نص أحمد على أنه لو قال مَنْ له زوجتان أو عبيدٌ «زوجتى طالق ، أو عبدى حر» ولم ينو[1] مُعَيَّناً ، وقع الطلاق والعتق على الجميع ، تمسكا بالقاعدة المذكورة ، فقد جرى ابن عبدالسلام والحنابلة على مقتضى ذلك ؛ فهذه الطرق من أحسن الأدلة ، ولكن على شمول الروضة لما بين المنبر والبيوت الشريفة فهو رأى آخر ، وقد قدمنا من الحديث ما يصرح به ، ويؤيده ما أشار إليه الريمى من أن المقتضى لكون ذلك روضة كثرة تردده صلى الله عليه وسلم فيه ، وكان يصلى قبل تحويل القبلة فى طرفه الذى يلى الشام ، ومُتَهَجَّدُه كما سيأتى فى جهة المشرق إلى الشام أيضاً ، ومنبره الشريف فى نهاية هذا الموضع المحدود من جهة المغرب ، ومصلاه الشريف بمقدمه وبه الأساطين الآتية ذوات الفضل .

وأما الرأى الثانى فدليله التمسكُ بظاهر لفظ البينيَّة الحقيقية ، وحمل البيت على حجرة عائشة رضى الله عنها ، ويضعفه أن مقدم المصلى الشريف يلزم خروجه عن اسم الروضة حينئذ ؛ لخروجه عن موازاة طرفى المنبر والحجرة ، مع أن الظاهر أن معظم السبب فى كون ذلك روضة تشرفُهُ بجبهته الشريفة ، على أنى لم أر هذا القول لأحد ، وإنما أخذته من تردد الخطيب ابن حملة المتقدم .

وأما الرأى الثالث فهو ظاهر ما عليه غالب العلماء وعامة الناس، ووَجْهُه حَمْل البيت على ما فى الرواية الأخرى من ذكر حجرة عائشة ، وجعل ما تقدم فى أمر خروج مقدم المصلى الشريف دليلا على أن المراد من البينية ما حاذى واحداً من الطرفين ، وأن المراد مقدم المسجد المنتهى من جهة مؤخر الحجرة الشريفة لصف أسطوان الوفود كما قدمناه ، وفى كلام الأقشهرى إشارة له ، وهذا إنما علمناه فى العمارة التى سنذكرها ، ولم يكن معلوماً قبل ذلك ، ولهذا قال المجد فى الباب الأول فى فصل الزيارة من كتابه ما لفظه: ثم يأتى – يعنى الزائر – إلى الروضة المقدسة،

---

(١) يريد لم ينو زوجة معينة من الزوجتين أو الزوجات ، ولا عبدا معينا من العبدين أو العبيد

وهى ما بين القبر والمنبر طولا ، ولم أر مَنْ تعرض له عرضاً[1] ، والذى عليه غلبة الظنون أنه من المحراب إلى الأسطوانة التى تُجَاهَهُ ، وأنا لا أوافق على ذلك ، وقد بينته فى موضعه من هذا الكتاب ، وذكرت أن الظاهر من لفظ الحديث يقتضى أن يكون أكثر من ذلك ؛ لأن بيت النبى صلى الله عليه وسلم بجميع مَرَافق الدار كان أكثر من هذا المقدار ، انتهى .

ولم يذكر فى الموضع الذى أحال عليه شيئاً ، وقوله «من المحراب إلى الأسطوانة التى تجاهه» كأنه يريد به الأسطوان المخلّق وماحاذاها ؛ فتكون الروضة على ذلك التقدير الرواق الأول منها فقط ، وهو غلط ؛ لأن الحجرة الشريفة متأخرة عن ذلك لجهة الشام ؛ وصَفّ الأسطوان المذكور مُحَاذٍ لطرف جدارها القبلى . وقال ابن جماعة : قد تحرر لى طول الروضة ، ولم يتحرر لى عرضها ، يريد أن طولها من المنبر إلى الحجرة ، وهو كما قال ابن زبالة ثلاثة وخمسون ذراعا وشبرا ، وقال فى موضع آخر : أربعة وخمسون ذراعاً وسدس .

قلت : وما ذكره أولا أقربُ إلى الصواب كما اختبرناه ، فإنى ذَرَعْتُ بحبل من صفحة المنبر القبلية إلى طرف صفحة الحجرة القبلية فكان ثلاثة وخمسين ذراعاً .

وذكر ابن جماعة ذراعاً أقل من هذا ، وكأنه ذَرَعَ على الاستقامة ، ولم يعتبر الذَّرْعَ من الطرفين المذكورين ، فقال : وذرعت ما بين الجدار الذى حول الحجرة الشريفة و بين المنبر فكان أربعاً وثلاثين ذراعا وقيراطاً بذراع العمل . قلت : وذلك نحو اثنين وخمسين ذراعا بذراع اليد الذى قدمنا تحريره ، وأما قول من قال «إن طول الروضة اليوم ينقص عن خمسين ذراعاً بثلثى ذراع» فلا وجه له إلا أن يكون اعتبر بذراع اليد المفرط الطول ، والله أعلم .

وأما نهاية الحجرة فلم تكن معلومة لابن جماعة وغيره ، وعليها يتوقف بيان

---

(١) يريد أنه لم يقف فى كلام أحد على بيان مقدار عرضه ومبدئه ومنتهاه .

العرض ، ولهذا قال الريمى : لا ندرى الحجرة فى وسط البناء المحيط بها أم لا ؟ ولا ندرى إلى أين ينتهى امتدادها ؟ وغالب الناس يعتقدون أن نهايتها فى محاذاة أسطوان على رضى الله عنه ، ولهذا جعلوا الدرابزين الذى بين الأساطين ينتهى إلى صفها ، واتخذوا الفرش لذلك فقط ، والصوابُ ما قدمناه ؛ فقد انجلى الأمر ولله الحمد .

الفصــــل السابــع
فى الأساطين المنيفة

الأسطوان المخلق

منها الأسطوان الذى هو عَلَمٌ على المصلَّى الشريف ، ويعرف بالمخلَّق ، وقد قدمنا قول ابن زبالة « المخلق نحو من ثلثيها » وقول ابن القاسم « إن المصلى الشريف حيث الأسطوان المخلق » وبينَّا أن المراد أنها أقربُ أسطوان إليه ، وأن الجذْعَ الذى كان يخطب إليه صلى الله عليه وسلم ويتكئُ عليه كان هناك ، وأن الأسطوان الموجود اليوم متقدم على المحل الأول ، وأن المحل الأصلى هو موضع كرسى الشمعة التى عن يمين الإمام الواقف فى المصلى الشريف ، فمن أراد التبرك بذلك فليصل هناك .

وروى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد أنه كان يأتى مع سَلَمَةَ بن الأكوع إلى سبحة الضحى ، فيعمد إلى الأسطوان دون المصحف فيصلى قريباً منهما ، فأقول : ألا تصلى ههنا ؟ وأشير له إلى بعض نواحى المسجد ، فيقول : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَحَرَّى هذا المقام ، وهـذا الحديثُ فى الصحيحين ، ولفظ البخارى « كنت آتى مع سَلَمَةَ بن الأكوع ، فيصلى عند الأسطوان التى عنـد المصحف ، فقلت : يا أبا سلمة أراك تتحرى الصلاة عند هـذه الأسطوانة ، قال : فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها » ولفظ مسلم عن سلمة أنه كان يتحرَّى موضعَ المصحف يسبح[1] فيه ، وذكر أن النبى صلى الله عليه

(١) يسبح : يصلى ، والسبحة ؛ بالضم : صلاة النافلة ، والمراد هنا سبحة الضحى ، كما ورد فى رواية ابن زبالة ، وقال ابن الأثير « وقد تكرر ذكر السبحة فى الحديث كثيرا ، فنها الحديث : اجعلوا صلاتكم معهم سبحة ، أى نافلة » اهـ

وسلم كان يتحرى ذلك ، وقد قدمنا فى الـكلام على المصلى الشريف ما يبين أن المراد هذه الأسطوانة .

أسطوان القرعة

ومنها أسطوان القُرْعَة ، وتعرف بأسطوان عائشة رضى الله عنها ، و بالأسطوان المخلق أيضاً ، و بأسْطوان المهاجرين .

روينا فى كتاب ابن زبالة عن إسماعيل بن عبد الله عن أبيه أن عبد الله بن الزبير ومروان بن الحـكم وثالثاً كان معهما دخلوا على عائشـــة رضى الله عنها فتذاكروا المسجد ، فقالت عائشة : إنى لأعلم سارية من سَوَارى المسجد لو يعـلم الناس ما فى الصلاة إليها لاضطربوا عليها بالسُّهْمَان(١) ، فخرج الرجلان و بقى ابن الزبير عند عائشة ، فقال الرجلان : ما تخلَّفَ إلا ليسألها عن السارية ، ولئن سألها لتخبرَنَّه ، ولئن أخبرته لا يعلمنا ، و إن أخبرته عَمِدَ لها إذا خرج فصـلَّى إليها ، فاجلس بنا مكاناً نراه ولا يرانا ، ففعلا ، فلم يَنْشَبْ أن خرج مسرعاً فقام إلى هذه السارية فصلى إليها متيامناً إلى الشق الأيمن منها ، فعُـلم أنها هى ، وسميت أسطوانة عائشة بذلك ، و بلغنا أن الدعاء عندها مُسْـتَجَاب ، هذا لفظ ابن زبالة .

وفى الأوسط للطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن فى مسجدى لبقعة قبل هذه الأُسطوانة لو يعلم الناسُ ماصلَّوا فيها إلا أن تطير لهم قرعة ، وعند عائشة جماعة من أبناء الصـحابة فقالوا : يا أم المؤمنين وأين هى ؟ فاستعجمت عليهم ، فمـكثوا عندها ساعة ثم خرجوا وثبت عبدُ الله بن الزبير فقالوا : إنها ستخبره بذلك المـكان ، فأرقُبوه فى المسجد حتى

(١) السهمان : جمع سهم ، والسهم فى الأصل القدح الذى يضرب به فى الميسر ثم سمى به مايفوز به الفالج ، وكثر ذلك حتى سمى كل نصيب سهما ، والمراد من قولها « لاضطربوا عليها بالسهمان » أنهم كانوا لايسمحون لأحـدهم بالصلاة عندها إلا إذا ضربوا عليها بالسهام فخرج لأحدهم سهم بالصلاة فيها ؛ لحرص كل واحد على الصلاة عندها

تنظروا حيث يصلى ، فخرج بعد ساعة فصلى عند الأسطوانة التى صلى إليها عامر ابن عبد الله بن الزبير ، فقيل لها : أسطوانة القُرْعَة .

قال عتيق : وهى الأسطوانة التى [هى] واسطة بين القبر والمنبر : عن يمينها إلى المنبر أسطوانتان ، و بينها و بين القبر أسطوانتان ، و بينها و بين الرحبة أسطوانتان ، وهى واسطة بين ذلك ، وهى تسمى أسطوانة القرعة ، هذا لفظ الأوسط .

وقال ابن زبالة : حدثنى غير واحد من أهل العلم منهم الزبير بن حبيب أن الأسطوان التى تدعى أسطوان عائشة هى الثالثة من المنبر ، والثالثة من القبر ، والثالثة من القبلة ، والثالثة من الرحبة ، أى قبل زيادة الرواقين الآتى ذكرها المتوسطة للروضة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى إليها بضع عشرة المكتوبة ثم تقدم إلى مُصَلاَّه الذى وُجَاه المحراب فى الصف الأوسط ، أى الرواق الأوسط ، وأن أبا بكر وعمر والزبير بن العوام وعامر بن عبد الله كانوا يصلون إليها ، وأن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها ، وكان يقال لذلك المجلس مجلس المهاجرين ، انتهى .

وقد ذكر ابن النجار هذه الرواية عن الزبير بن حبيب ، وزاد : وقالت عائشة فيها: لو عرفها الناس لاضطربوا على الصلاة عندها بالسهمان، فسألوها عنها فأبت أن تسميها ، فأصغى إليها ابن الزبير فسارَّتْهُ بشىء ، ثم قام فصلى إلى التى يقال لها أسطوان عائشة ، قال : فَظَنَّ مَنْ معه أن عائشة أخبرته أنها تلك الأسطوانة ، فسميت أسطوان عائشة ، قال : وأخبرنى بعض أصحابنا عن زيد ابن أسلم قال : رأيت عند تلك الأسطوانة موضع جبهة النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم رأيت دونه موضع جبهة أبى بكر ، ثم رأيت دون موضع جبهة أبى بكر موضع جبهة عمر ، ويقال : الدعاء عندها مستجاب ، هذا لفظ رِوَاية ابن النجار عقب ما قدمناه من رواية ابن زبالة . وزاد فيما ذكره ابن زبالة عقب قوله « إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى إليها المكتوبة بضعَ عشرة ، ثم تقدم إلى مصلاه

اليوم » مالفظه : وكان يجعلها خلف ظهره ، قلت : ولم أره فى كلام غيره ، والظاهر أن مراده أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستند إليها إذا جلس هناك ، لا أنه يجعلها خلف ظهره إذا صلى ؛ لما ذكره عن زيد بن أسلم من أنه رأى موضع جبهة النبى صلى الله عليه وسلم عندها ، ووصف هذه الأسطوانة بالمخلَّقة يؤخذ مما تقدم عن ابن زبالة من قول أبى هريرة « وكان مصلاه صلى الله عليه وسلم الذى يصلى فيه بالناس إلى الشام من مسجده أن تضع موضع الأسطوان المخلقة خلف ظهرك ثم تمشى إلى الشام » إلى آخر ماتقدم قلت : وهـذه الأسطوان بصف الأساطين التى خلف الإمام الواقف بالمصلى الشريف ، وهى الثالثة من القبلة وكانت الثالثة أيضا من رحبة المسجد كما تقدم ، وذلك قبل أن يزاد فى مسقف مقدم المسجد الرواقان الآتى بيانهما فى رحبته ، وبهما صارت خامسة من الرحبة .

أسطوان التوبة

ومنها أسطوان التوبة ، وتعرف بأسطوان أبى لبابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو بن عوف الأوسى أحدِ النقباء ، واسمه رفاعة ، وقيل غير ذلك ، سميت به لأنه ارتبط إليها حتى أنزل الله توبته كما قدمناه فى غَزْوَة بنى قُرَيظَة .

وقال الأقشهرى : اختلف أهل السير والتفسير فى ذنب أبى لبابة ، فقال قوم : كان من الذين تخلَّفُوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوكَ ، وقال ابن هشام تبعا لابن إسحاق : سببه قضية بنى قُرَيظَة واستشارتهم إياه ، وأسند يحيى عن عبد الرحمن بن يزيد قصته معهم ، وأنهم قالوا له : أننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، وهو الذبح . وفى رواية أخرى أنه لما جاءهم قام إليه الرجال ، وأَجْهَشَ إليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه ، فرقَّ لهم ، فكان منه ما تقدم ، قال أبو لُبَابَة : فوالله ما زالت قَدَمَاىَ حتى علمت أنى خُنْتُ الله ورسوله . قال يحيى فى الرواية المتقدمة : فلم يرجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومضى إلى المسجد ، وارتبط إلى جِذْع فى موضع أسطوانة التوبة ، وأنزل الله عز وجل فيه « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » وفى رواية : فربَطَ نفسه فى السارية ، وحلف لا يحل

نفسه حتى يحله رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنزل تو بته ، قال : فجاءت فاطمة رضى الله عنها تحله ، فقال : لا ، حتى يحلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم: إنما فاطمة بضْعَةٌ منى،وفى رواية لابن النجار أن أبا لُبَابة عاهد الله تعالى أن لا يطأ بنى قريظة أبدا ، وقال: لا يرانى الله فى بلدٍ خُنْتُ الله ورسوله فيه أبدا ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما بلغه خبره — وكان قد استبطأه — «أما لو جاءنى لاستغفرت الله له ، فأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » فأنزلت توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة ، قالت : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحَر يضحك ، فقلت : مِمَّ تضحك أضْحَكَ الله سِنّكَ ؟ قال : تِيبَ على أبى لُبَابة ، قلت : ألا أبشره بذلك يارسول الله ؟ قال : بلى إن شئتِ ، فقامت على باب حجرتها قبل أن يُضْرَبَ عليهن الحجابُ فقالت : يا أبا لبابة أبْشِرْ فقد تاب الله عليك ، قال : فثار الناسُ إليه ليطلقوه ، قال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يُطْلِقُنِى بيده ، فلما مر عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

وروى البيهقى فى الدلائل عن سعيد بن المسيب قصة أبى لبابة فى بنى قريظة ، وأنه تخلف فى غزوة تبوك، فلما قَفَل[1] رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جاءه يُسَلِّمُ عليه ، فأعرض عنه ، ففزع[2] أبو لبابة ، فارتبط بسارية التوبة التى عند باب أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم سبعا بين يوم وليلة فى حر شديد لا يأكل فيهن ولا يشرب قَطْرَةً .

وروى مالك بن أنس عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن أبا لُبَابة ارتبط إليها بسلسلة ربوض ، والربوض : الثقيلة[3] ، بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً ،حتى ذهب سمعه

---

(١) قفل : رجع (٢) فزع: خاف أشد الخوف (٣) قال ابن الأثير «وفى حديث أبى لبابة أنه ارتبط بسلسلة ربوض ، هى الضخمة الثقيلة اللازقة بصاحبها ، وفعول من أبنية المبالغة يستوى فيه المذكر والمؤنث » اهـ

فما يكاد يسمع ، وكاد بصره يذهب ، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة وإذا أرادَ أن يذهب لحاجته حتى يفرغ ثم تأتى به فتعيده فى الرباط كما كان .

وأورد الزمخشرى قصة أبى لُبَابة فى تفسير قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتَخُونُوا الله والرسول» الآية ، وقال فيها : قال أبولبابة : فما زالت قَدَمَاىَ حتى علمت أنى قدخُنْتُ الله ورسوله ، فنزلت: أى الآية المتقدمة ، فشدّ نفسَه على سارية من سوارى المسجد وقال : والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علىّ ، فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه ، ثم تاب الله عليه ، وذكر فى القصة أن النبى صلى الله عليه وسلم جاءه فحلّه فقال : إن من تمام توبتى أن أهجر دارَ قومى التى أصَبْتُ فيها الذنبَ ، وأن أنخلع من مالى ، فقال عليه السلام « يُجْزِئُكَ الثلثُ أن تتصدق به »

ونقل ابن النجار عن إبراهيم بن جعفر أن السارية التى ربط إليها ثمامة ابن أثال الحنفى هى السارية التى ارتبط إليها أبو لبابة ، ونقل ذلك أيضا عن ابن شبة

وروى البيهقى عن ابن عباس فى قوله تعالى « وآخَرُون اعترفوا بذنوبهم » الآية ، قال : كانوا عشرةَ رَهْطٍ تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تَبُوكَ ، فلما حضر رجوع النبى صلى الله عليه وسلم أوثق سبعةٌ منهم أنفسَهم بسَوَارى المسجد ، فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ هؤلاء ؟ قالوا : هذا أبو لُبَابة وأصحابٌ له تخلفوا عنك ، الحديث ، وفيه توبة الله عليهم وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل إليهم وأطلقهم

وروى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله بن المهاجر عن محمد بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى نوافله إلى أسطوانة التوبة

وفى رواية له عن عمر بن عبد الله ، لم يذكر ابن كعب، أنه قال فى أسطوان التوبة : كان أكثر نافلة النبى صلى الله عليه وسلم إليها ، وكان إذا صلى الصبح

انصرف إليها ، وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين وأهل الضر وضيفان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤلفة قلوبهم ومن لا مَبِيتَ له إلا في المسجد ، قال : وقد تحلقوا حولها حِلَقًا بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مُصَلَّاه من الصبح،فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته ، ويحدثهم ويحدثونه ، حتى إذا طلعت الشمسُ جاء أهل الطَّوْلِ والشرف والغنى فلم يجدوا إليه مجلسا ، فتَاقَتْ أنفسهم إليه وتاقت نفسه إليهم ، فأنزل الله تعالى « واصْبِرْ نَفْسَكَ مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » إلى منتهى الآيتين، فلما نُزل ذلك فيهم قالوا : يارسول الله اُطْرُدْهُمْ عنا ، ونكون نحن جلساءك وإخوانك ولانفارقك ، فأنزل الله عز وجل « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه » إلى منتهى الآيتين .

وفي العُتْبِية عن مالك وَصْفُ أسطوان التوبة بالمخلَّقة ، وقد قدمنا في الكلام على المصلى الشريف ما ذكره ابن زبالة من خلوقها وخلوق غيرها من الأساطين .

وروى ابن زبالة خبر مالك بن أنس المتقدم عن عبد الله بن أبي بكر بنحو ما تقدم ، وقال فيه : وهي الأسطوان المخلق نحو من ثلثيها ، تُدْعَى أسطوان التوبة ، منها حلّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا لُبَابَة حين نزلت توبته ، وبينها وبين القبر أسطوان .

وأسند أيضا عن ابن عمر أنه كان يقول في الأسطوان التي ارتبط إليها أبو لبابة :هي الثانية من القبر ، وهي الثالثة من الرحبة .

قلت : كانت الثالثة من الرحبة قبل تجدد الأسطوانتين المشار إليهما في أسطوانة القرعة بسبب تجدد الرواقين الآتي ذكرها ، وهذه الأسطوانة إلى جانب الأسطوانة المتقدم ذكرها من جهة المشرق ؛ فهي الرابعة من المنبر ، والثانية من

(١) الضيفان : أحد جموع ضيف ، ومن جموعه أضياف وضيوف

القبر ، والثالثة من القبلة ، والخامسة فى زماننا من رحبـــة المسجد ، وفيها اليوم هيئة محراب من الجص تتميز به عن سائر الأساطين ، لـكنه أزيل فى الحريق الثانى

وفهم البدر ابن فرحون من رواية ابن عمر المتقدمة أنها التى تلى هـــذه الأسطوانة فى جهة المشرق ، وهى اللاصقة بالشباك اليوم كما سيأتى ، فقال : إن أسطوان التوبة هى اللاصقة بالشباك على ما قاله عبد الله بن عمر،وتبعه مالك بن أنس ، وما قيل إنها غيرها فغلط أوجبه أشياء يطول ذكرها ، انتهى كلامه .

قلت : بل الصواب ما قدمناه فى بيانها ، ومنشأ ما فهمه عَدُّهُ للأسطوانة اللاصقة بجدار القبر ، لحمل قول ابن عمر أنها الثانية من القبر ، وقولَ مالك بينها و بين القبر أسطوان على الأسطوانة اللاصقة بالشباك اليوم ، وقد علم من كلامهم فى أسطوان القرعة أنهم لا يعدُّون اللاصقة بجدار القبر لما تقدم من قولهم فيها : إنها الثالثة من المنبر والثالثة من القبر ، ولو عدوا اللاصقة بجدار القبر لـكانت الرابعة من القبر ، وأيضاً فاللاصقة بجدار القبر أَحْدَثَها عمرُ بن عبد العزيز ، ولم يدرك ذلك ابن عمر ، وأوضح من ذلك أن ابن زبالة قال : إن بين أسطوان التوبة و بين جدار القبر الشريف عشرين ذراعاً ، وقد اعتبرتُ ذلك من الأسطوانة التى ذكرناها فكان كذلك .

وقال أيضاً فيما قدمناه عنه: « إن ذَرْعَ ما بين مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم و بينها سبع عشرة ذراعاً » وقد قدمنا فى المصلى الشريف ما يقتضى صحة ذلك عند اختبارنا لما بينهما مع بيان أن المصلى الشريف فى طرف الحفر الذى يلى المغرب، و إن جعـل المصلى الشريف على تلك الهيئة حادث ، وفى نسخة من ابن زبالة « تسع عشرة ذراعا » بتقديم التاء ، فإن صحت[1] فقد علمت أنه لم يكن المصـلى الشريف فى عهـد ابن زبالة على هذه الهيئات ، بل كانت الأرض مستوية ،

---

(١) يريد إن صحت هذه النسخة من الرسم ، ولم تكن خطأ من الناسخ فإن لها وجها يجعلها غير متخالفة مع النسخة الاخرى

فكأنه اعتبر الذراع من ابتداء طرف المصلى الشريف الغربى ، ومنه إلى الأسطوان المذكور تسع عشرة ذراعا بتقديم التاء ، وأما ذَرْعُ ما بين المصلَّى الشريف والأسطوانة التى يعنيها البدر فخمس وعشرون ذراعاً ، فلا يصح إرادتها بوجه .

وأسند ابن زبالة ويحيى فى بيان مُعْتَكَفِ النبى صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا اعتكف طرِحَ له فراشه ووضع له سرير وراء أسطوانة التوبة » .

وروى ابن ماجة عن نافع أن ابن عمر أراهُ المكانَ الذى كان يعتكف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم روى عن نافع عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم « كان إذا اعتكف طُرِحَ له فراشُه ووضع له سرير وراء أسطوانة التوبة » . قال البدر بن فرحون : ونقل الطبرانى فى معجمه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن ذلك مما يلى القبلة « يستند إليها »[1] .

قلت : رواه البيهقى بسند حسن ، ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا اعتكف يُطْرَحُ له فراشه أو سريره إلى أسطوانة التوبة مما يلى القبلة يستند إليها » ونقل عياض عن ابن المنذر أن مالك بن أنس كان له موضع فى المسجد ، قال : وهو مكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو المكان الذى كان يُوضَعُ فيه فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف ، كذا قال الأويسى .

أسطوان السرير

ومنها: أسطوان السرير ، أسند ابن زبالة ويحيى فى بيان معتكف النبى صلى الله عليه وسلم عقب ذكر ما تقدم من وضع فراشه وسريره وراء أسطوان التوبة عن محمد بن أيوب أنه « كان للنبى صلى الله عليه وسلم سرير من جَرِيد فيه سعَفه[2] يوضَع بين الأسطوان التى تُجاه القبر وبين القناديل ، كان يضطجع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

---

(١) هذه الجملة « يستند إليها » من تتمة وصف ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يفعله

(٢) السعف — بفتح السين والعين جميعا — جمع سعفة ، وهى أغصان النخيل إذا كانت رطبة ، كذا قال ابن الأثير ، والظاهر من هذا الحديث أن السعف هو الخوص ، وأن الجريد هو الغصن .

قلت : وهذه الأسطوانة هى اللاصقة بالشباك اليوم فى شرقى أسطوان التوبة وابن فرحون يجعلها إياها كما تقدم ، ويؤيده ما تقدم فى أسطوان التوبة من أن سريره صلى الله عليه وسلم كان يوضع إليها ، إلا أن يجاب بأنه كان يوضع مرة عند هذه ومرة عند تلك ، بدليل أنه تقدم فى أسطوان التوبة أن وضع ذلك كان مما يلى القبلة يستند إليها ، وذكر فى هذه أنه « كان يوضع بينها و بين القناديل » وذلك فى جهة شرقيها .

وقال البدر ابن فرحون : روينا بالسند الصحيح إلى ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا اعتكف يُطْرَحُ له وِسادة ، ويوضع له سرير من جَرِيد فيه سَعَفه ، يوضع له فيما بين الأسطوان التى وُجَاه القبر الشريف و بين القناديل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع عليه » قال أبو وجرة — بجاء مهملة — السعدى وهو يذكر السرير و يمدح آل الزبير لقرب مجلسهم منه :

وإذا غَدَا آلُ الزبير غدا النَّدَى　　وإذا انْتَدَى فإليهمُ ما يَنْتَدِى

وإذا هُمُ راحوا فإنهـــمُ هُمُ　　أهل السرير وأهل صَدْر المسجد

أسطوان المحرس

ومنها : أسطوان المحرس[1] ، ويسمى أسطوان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه .

قال يحيى : حدثنا موسى بن سلمة قال : سألت جعفر بن عبد الله بن الحسين عن أسطوان على بن أبى طالب ، فقال : إن هذه المحرس[1] ، كان على بن أبى طالب يجلس فى صفحتها التى تلى القبر مما يلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحرُسُ النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الجمال المطرى وتبعه مَنْ بعده : وهو مقابل الخوخة التى كان النبى

---

(١) المحرس : اسم مكان من «حرسه يحرسه» لما سيأتى من أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان يجلس إلى هذه الأسطوانة ليحرس النبى صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم يخرج منها إذا كان فى بيت عائشة إلى الروضة للصلاة ، وهى خلف أسطوان التوبة من جهة الشمال .

قلت : هى الأسطوان الذى يصلى عندها أمير المدينة يجعلها خلف ظهره ، ولذا قال الأقشهرى : إن أسطوان مُصَلَّى علىّ كرم الله وجهه اليوم أشهر من أن تخفى على أهل الحرم ، ويقصد الأمراء الجلوس والصلاة عندها إلى اليوم ، وذكر أنه كان يقال لها مجلس القلادة لشرف من كان يجلس فيه ، وذلك إنما هو فى أسطوان الوفود لما سيأتى .

أسطوان الوفود

ومنها : أسطوان الوفود ، قال المطرى : هى خلف أسطوان المحرس من جهة الشمال ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليها لوفود العرب إذا جاءته ، وكانت مما يلى رحبة المسجد قبل أن يزاد فى السقف القبلى الرواقان ، وكانت تعرف أيضاً بمجلس القلادة ، يجلس إليها سَرَوَاتُ الصحابة وأفاضلهم رضوان الله عليهم .

وقال الأقشهرى ، ومن خطه نقلتُ : وأما الأسطوان الذى كان يجلس إليها صلى الله عليه وسلم لوفود العرب إذا جاءته ، فقال : إذا عَدَدْتَ الأسطوان التى فيها مقام جبريل عليه السلام كانت هى الثالثة ، انتهى ، وكأنه سقط من خطه فاعدد فقال ، وقد أخذه من تحفة ابن عساكر ، وقد رأيت فى نسخة معتمدة منها موضع بياض بعد « فقال » .

وهذا مطابق لما تقدم عن المطرى ؛ لأن الأسطوان التى فيها مقام جبريل هى مربعة القبر كما سيأتى ، و بينها و بين أسطوان الوفود المذكور أسطوان .

وقال ابن زبالة : حدثنا غيرُ واحدٍ من أهل العلم منهم عبد العزيز بن محمد أن الأسطوان التى إلى الرحبة التى فى صف أسطوان التوبة بينها و بين أسطوان التوبة مصلى على بن أبى طالب ، وأنه المجلس الذى يقال له مجلس القلادة ، كان يجلس فيه سَرَاةُ الناسِ قديما .

وأورده المجد، وزاد في آخره : و إنما سمي القلادة لشرف مَنْ كان يجلس إليها من بني هاشم وغيرهم .

أسطوان مربعة القبر

ومنها أسطوان مربعة القبر ، وسيأتي أنه يقال له أيضاً أسطوان مقام جبريل عليه السلام ، وقد تقدم فيما نقله الأقشهري في أسطوان الوفود ما يشهد له .

وأسند ابن زبالة ويحيى عن سليمان بن سالم عن مسلم بن أبي مريم وغيره : كان باب بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المربعة التي في القبر ، قال سليمان : قال لي مسلم : لا تنس حظك من الصلاة إليها ؛ فإنها باب فاطمة رضي الله عنها الذي كان علي يدخل عليها منه .

قلت : وهي في حائز عمر بن عبد العزيز عند منحرف الصفة الغربية منه إلى جهة الشمال ، في صف أسطوان الوفود ، بينهما الأسطوانة اللاصقة بالشباك التي شرقي أسطوان الوفود ، وسيأتي لها مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

ومن فضلها ما أسنده يحيى عن أبي الحمراء قال : شهدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين صباحا يجيء إلى باب علي وفاطمة وحَسَن وحُسَين حتى يأخذ بعِضَادتي[1] الباب ويقول : السلام عليكم أهل البيت « إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً » وفي رواية له : رابطتُ بالمدينة سبعة أشهر كيوم واحد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بابَ عليٍّ كلَّ يوم فيقول : الصلاةَ ، الصلاةَ ، ثلاث مرات « إنما يريدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً » وقد حرم الناسُ الصلاةَ إلى هذه الأسطوان لإدارة الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وغلق أبوابه .

أسطوان التهجد

ومنها : أسطوان التهجد ، أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخْرِجُ حَصِيراً كل ليلة إذا انكَفَتَ الناس[2] فيُطْرَحُ وراء بيت علي ، ثم يصلي صلاة الليل ، فرآه رجل فصلى بصلاته ، ثم

(١) عضادتا الباب ـ بكسر أوله ـ خشبتان من جانبيه .
(٢) انكفت الناس : انصرفوا إلى منازلهم .

آخر فصلى بصلاته ، حتى كثروا ، فالتفتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا بهم ، تأمر بالحصير فطُوِىَ ثم دخل ، فلما أصبح جاءوه فقالوا : يا رسول الله ، كنتَ فصلى الليل فنصلى بصلاتك ، فقال : إنى خَشِيتُ أن ينزل عليكم صلاة الليل ثم لا تقوون عليها ، قال عيسى بن عبد الله : وذلك موضع الأسطوان التى على طريق باب النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى الزوراء .

قلت : صَحَّفَ بعضُهم هـذه اللفظة فقال : ممـا يلى الدور[1] ، ورأيت بخط الأقشهرى : لعله مما يلى دوره ، انتهى . والظاهر أن الرواية ممـا يلى الزور — بالزاى — يعنى الموضع المزور فى بناء عمر بن عبد العزيز خلف الحجرة كما سيأتى ، والله أعلم .

قال عيسى : وحدثنى سعيد بن عبدالله بن فضيل قال: مرّ بى محمد بن الحنفية وأنا أصلى إليها ، فقال لى: أراك تلزم هذه الأسطوانة ، هل جاءك فيها أثر ؟ قلت: لا ، قال : فالزمها فإنها كانت مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل .

قلت : تقدم فى حدود المسجد النبوى ما يقتضى أن الموضع المذكور كان خارج المسجد تُجَاه باب جبريل قبل تحويله إلى محله اليوم ، وهو موافق لما سيأتى عن المؤرخين فى بيان موضع هذه الأسطوانة ، والمعروف من حاله صلى الله عليه وسلم أن قيامه فى غير رمضان إنما كان فى بيته ، وهذا الموضع ليس منه ، وفيما سبق مع أحاديث قيام رمضان ما يوهم أن القصة المذكورة كانت فيه ، ففى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتَّخذ حجرة ، قال : حسبت أنه قال : من حصير ، فى رمضان فصلى فيهـا ليالى فصَلى بصلاته ناس — الحديث » ورواه مسلم عنه بلفظ أن النبى صلى الله عليـه وسلم « اتخذ حجرة فى المسجد من حصير ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ليلا ، حتى اجتمع إليـه ناس ، فذكره نحوه » وفى رواية لأبى عَوَانة عن زيد « اتخذ حجرة من

---

(١) وقع فى المطبوعات « الدوره » بهاء فى آخره ، تطبيع .

حصير فى المسجد فى رمضان ـ الحديث » . ولعلها القبة التى كان يعتكف صلى الله عليه وسلم فيها فى رمضان ، فقد روى الطبرانى فى الكبير عن أبى ليلى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتكف فى قبة من خوص ، وفى الكبير والأوسط عن مُعَيْقِيب قال : « اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة من خوص بابُها من حصير والناس فى المسجد » وأسند يحيى عن أبى حازم مولى الأنصار قال : « اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد فى رمضان فى قبة على بابها حصير » ، وعن ابن عمر قال : بنى النبى صلى الله عليه وسلم بيتا من سَعَف فى المسجد فى آخر شهر رمضان يصلى فيه .

وقال المطرى فى بيان موضع هذه الأسطوانة : هى خلف بيت فاطمة رضى الله عنها ، والواقفُ إليها يكون بابُ جبريل المعروفُ قديما بباب عثمان على يساره ، وحولها الدرابزين : أى لاصقاً بها يميناً ويسارا ، وهو الشباك الدائر على الحجرة الشريفة وعلى بيت فاطمة رضى الله عنها ، وقد كتب فيها بالرخام : هذا مُتَهَجَّدُ النبى صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال ابن النجار : هذه الأسطوانة وراء بيت فاطمة من جهة الشمال ، وفيها محرابٌ إذا توجه المصلى إليه كانت يساره إلى باب عثمان المعروف اليوم بباب جبريل .

قلت : وقد جدد محرابها فى هذه العمارة التى أدركناها أولا ، وزيد فى رخامه فوق المحراب الأول ، وكتبوا فى ذلك بالرخام بروز الأمر بتجديد عمارة الحجرة الشريفة من السلطان الأشرف قايتباى ـ أعز الله أنصاره ! ـ وأن ذلك على يد الخواجا الجناب الشمسى بن الزمن ، وتاريخ العمارة المذكورة ، كل ذلك مكتوب بالرخام فى أعلى محراب الأسطوانة المذكورة ، ثم لما جاء الحريق الحادث

---

(١) متهجد النبى : موضع تهجده .

بعد تمام هذا التأليف أزال ذلك كله ، ثم اقتضى رأيهم عند بناء الدعائم التى اتخذوها للقبة المحاذية لأعلى الحجرة والعقود التى خلفها إبدالَ هذه الأسطوانة بدِعامة اتخذوا فيها محرابا .

وهذه الأسطوانة آخر الأساطين التى ذكر لها أهلُ التاريخ فضلا خاصا ، وإلا فجميعُ سَوَارى المسجد الشريف لها فضل ؛ ففى البخارى من حديث أنس قال : لقد أدركت كبار أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يبتدرون السوارى عند المغرب ، قال ابن النجار : فعلى هذا جميعُ سَوَارى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم يستحب الصلاة عندها ؛ لأنه لا يخلو أن كبار الصحابة صَلَّوْا إليها ، والله أعلم .

الفصل الثامن

فى الصُّفة وأهلها ، وتعليق الأقناء لهم بالمسجد

وصف الصفة وموضعها

قال عياض : الصفة — بضم الصاد وتشديد الفاء — ظُلة فى مؤخر مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، يأوى إليها المساكين ، وإليها ينسب أهل الصُّفة على أشهر الأقاويل .

وقال الحافظ الذهبى : إن القبلة قبل أن تُحَوَّلَ كانت فى شمالى المسجد ، فلما حُوِّلَتْ القبلة بقى حائط القبلة الأعلى مكان أهل الصفة .

وقال الحافظ ابن حجر : الصفة مكان فى مؤخر المسجد النبوى مُظَلَّل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل ، وكانو يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر .

وقد سَرَدَ أسماءهم أبو نعيم فى الحلية فزادوا على المائة ، وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية من مرسل الحسن قال : بُنِيت صُفَّةٌ فى المسجد لضعفاء المسلمين .

وقال المجد نقلا عن الدارقطنى : الصفة هى ظُلة كان المسجد فى مؤخرها ،

ثم قال المجد : وذكر ابن جُبَيْر فى رحلته عند ذكر قباء قال : وفى آخر القرية تلّ مشرف يعرف بعرفات يدخل إليه على دار الصفة حيث كان عمار وسلمان وأصحابهما المعروفون بأهل الصفة ، وكأن هذا وهم ، والله أعلم .

قلت : يظهر من قول عياض فيما قدمناه عنه « على أشهر الأقوال » أن فى ذلك خلافا ؛ فيكون ماذكره ابن جبير أحد الأقوال ، لكنه مرجوح أو مُؤَوّل بأن مَنْ ذكر من أهل الصفة اتخذوا تلك الدار بعد ، فاشتهرت بذلك .

أهل الصفة

وقد روى ابن سعد فى مرسل يزيد بن عبد الله بن قسيط : كان أهل الصفة ناسا فقراء لا منازل لهم ، فكانوا ينامون فى المسجد لا مأوى لهم غيره .

وروى البيهقى عن عثمان بن اليمان قال : لما كثرت المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم دار ولا مأوى أنزلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسجد ، وسماهم أصحاب الصفة ، فكان يجالسهم ويأنس بهم .

وأسند يحيى عن فضالة بن عبيد قال : كنا نصلى مع رسول صلى الله عليه وسلم فيخر قوم من قامتهم من الخَصَاصة[1] ، حتى يقول الأعرابى : مجانين ، وهم أهل الصفة ، فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم فوقَفَ عليهم ، فقال : لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فقرا وحاجة .

وفى صحيح البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بكر أن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال مرة : مَنْ كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس ـ الحديثَ .

وفيه من حديث أبى هريرة قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد رَبَطُوه ، فمنها ما يبلغ نصف الساقين ، ومنها ما يبلغ الكعبين ، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته .

---

(١) الخصاصة — بفتح الخاء المعجمة — الفقر والحاجة ، وفى القرآن الكريم (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) .

وفيه من حديث أبى هريرة أيضا أنه كان يقول : والله الذى لا إلٰهَ إلاهو إنْ كنت لأعتمد بكَبِدِى على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشدُّ الحجَر على بطنى من الجوع ، ولقد قعدتُ يوما فى طريقهم الذى يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليستتبعنى ، فمر ولم يفعل ، ثم مر بى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسّم حين رآنى وعَرَف مافى نفسى وما فى وجهى ، ثم قال : أباهر ، قلت : لَبّيْكَ يا رسول الله ، قال : الحق ، فمضى فتبعته ، فدخل فاستأذن ، فأذن لى ، فدخلت فوجدنا لبنا فى قدح ، فقال : من أين هذا اللبن ؟ فقالوا : أهداهُ لك فلان أو فلانة ، قال : أباهر ، قلت : لبيك يارسول الله ، قال : الحق إلى أهل الصفة فادْعُهُم لى ، وأهلُ الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد ، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ، ولم يتناول منها شيئا ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، فساءنى ذلك ، فقلت : وما هذا اللبن فى أهل الصفة ؟ كنتُ أحقّ أن أصيب من هذا اللبن شَرْبة أتقوّى بها ، فلما جاؤا أمرنى فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن ؟ ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا ، فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجَالسهم من البيت ، قال : يا أبا هريرة ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : خُذْ فأعطهم ، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يردُّ علىّ القدحَ فآخذه فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم انتهيت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى القومُ كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم ، وقال : يا أبا هر ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : بقيتُ أنا وأنت ، قلت : صَدَقت يارسول الله قال : اقعد فاشرب ، فقعدت فشربت ، فقال : اشرب ، فشربت ، فما زال يقول اشرب حتى قلت : لا والذى بعثك بالحق ما أجدُ له مسلكا ، قال : فأرِنِى ، فأعطيته القدح ، فحمد الله وسمى وشرب الفَضْلَة .

وقد وقع لأبى هريرة رضى الله عنه قصة أخرى فى تكثير الطعام مع أهل الصفة

وأخرج ابن حبان من طريق مسلم بن حيان عن أبيه عنه قال : أتت علىّ ثلاثة أيام لم أطعم ، فجئت أريد الصفة ، فجعلت أسقط ، فجعل الصبيان يقولون : خر أبو هريرة ، حتى انتهيت إلى الصفة ، فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بقصعة من ثريد ، فدعا عليها أهل الصفة وهم يأكلون منها ، فجعلت أتطاول كى يَدْعُونى ، حتى قاموا وليس فى القصعة إلا شىء فى نواحيها ، فجمعه صلى الله عليه وسلم فصارت لقمة ، فوضعها على أصابعه فقال لى : كُلْ باسم الله ، فوالذى نفسى بيدهِ ما زلت آكل منه حتى شبعت .

وروى أبو نعيم فى الحلية من حديث معاوية بن الحكم فقال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصفة ، فجعل يوجه الرجل مع الرجل من الأنصار ، والرجلين والثلاثة ، حتى بقيت فى أربعة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم خامسُنا ، فقال : انطلقوا بنا ، فقال : يا عائشة عَشِّينا — الحديث .

وروى أيضا من طريق نعيم المجمر عن أبى هريرة : كنت من أهل الصفة ، وكنا إذا أمسينا حَضَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر ، فيبقى مَنْ بقى عشرة أو أقل أو أكثر ، فيؤتى النبى صلى الله عليه وسلم بعشائه فيتعشى معهم ، فإذا فرغنا قال : ناموا فى المسجد .

وروى ابن شبة عن طلحة البصرى قال : كان مَنْ قَدِم المدينةَ فكان له بها عريف نزل على عريفه ، ومن لم يكن له بها عريف نزل الصفة ، فكنت فيمن نزل الصفة ، فوافقت رجلين كان يُجْرَى علينا فى كل يوم مُدَّيْنِ من تمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناداه رجل من أهل الصفة : يا رسول الله أحْرَقَ التمرُ بطوننَا وتحرفت علينا الحرف ، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم إلى منبره فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر مالقى من قومه حتى إن كان ليأتى علىّ وعلى صاحبى بضعة عشر يوماً مالنا طعام إلا البرير[١] ، فقدمنا على إخواننا من الأنصار وجُلُّ طعامهم التمر ، فواسَوْنا ، ولو أجد لكم الخبز واللحم لأطعمتكم ، ولكن لعلكم ستدركون زماناً أو مَنْ أدركه منكم يلبسون فيه مثل أستار الكعبة ويغدى ويراح عليكم بالجفان .

مبدأ تعليق الأقناء

وقال ابن النجار : روى أهلُ السير أن محمد بن مسلمة رأى أضيافاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقال : ألا نفرق هذه الأضياف فى دور الأنصار ، ونجعل لك فى كل حائط قِنْواً ليكون لمن يأتيك من هؤلاء الأقوام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، فلما جَدَّ ماله[٢] جاء بقنو فجعله فى المسجد بين ساريتين ، فجعل الناس يفعلون ذلك ، وكان معاذ بن جبل يقوم عليه ، وكان يجعل حَبْلاً بين الساريتين ثم تُعَلَّقُ الأقناء على الحبل ، وتجمع العشرين وأكثر فيهش عليهم بعصا من الأقناء فيأكلون حتى يشبعون ، ثم ينصرفون ويأتى غيرهم فيفعل بهم مثل ذلك ، فإذا كان الليل فعل لهم مثل ذلك .

قلت : بَوَّبَ البخارى للقسمة وتعليق القنو فى المسجد ، ولم يذكر فى الباب تصريحاً بتعليق القنو ، فأشار بذلك إلى ما رواه النسائى عن عوف بن مالك الأشجعى قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده عصا ، وقد علَّق رجلٌ قِنْوَ حَشَفٍ ، فجعل يطعن فى ذلك القنو ، ويقول : لو شاء ربُّ هذه الصدقة تصدق بأطيب من هذا ، إن رب هذه الصدقة يأكل حَشَفًا يوم القيامة ، وليس على شرط البخارى ، وإن كان إسناده قوياً ، فأشار إليه بالتبويب ولم يذكره كعادته .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه أن ناساً كانوا يقدمون على النبى صلى الله عليه وسلم لا شىء لهم ، فقالت الأنصار :

(١) البرير — بفتح الباء بزنة رغيف — ثمر الأراك .
(٢) جد ماله : قطعه ، وماله هو التمر .

يا رسول الله ، لو عجلناك قنوا من كل حائط لهؤلاء ، قال: أجل فافعلوا ، ففعلوا ، فجرى ذلك إلى اليوم ، فهى الأقناء التى تعلق فى المسجد عند جدار النخل فيعطاها المساكين ، وكان عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل .

وقال يحيى : حدثنى هرون بن موسى عن غير واحد من أهل المدينة أن الناس أصابتهم فى ثمارهم عاهة من العاهات فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما على أحدكم لو بعث بقنو من نخله للمساكين ، فبعث ذلك الناس ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأقناء معاذ بنَ جبل ، فكان يمد حبلا بين جذعين و يعلق عليه الأقناء ، فرفع الله تلك العاهة ، فصارت سنة ، ولم تزل الأئمة عليها إلى اليوم .

وروى يحيى أيضاً عن عاصم بن سويد قال : سمعت أبى يقول : عُوَيْم بن ساعدة أتى بقنو إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأْتسَى الناسُ به أهل العالية وأهل السافلة .

وأخرج ثابت فى الدلائل أن النبى صلى الله عليه وسلم « أمر من كل حائط بقنو يعلق فى المسجد » يعنى للمساكين .

وفى رواية له : وكان عليها معاذ بن جبل : أى على حفظها ، أو على قسمتها، والله أعلم .

الفصل التاسع

فى الحجرة الشريفة ، و بيان إحاطتها بالمسجد الشريف إلا من جهة المغرب

قد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم لما بنى مسجده الشريف بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسَوْدَة رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل .

قال ابن النجار: وكان لبيت عائشة مصراع واحد من عَرْعَر أوساج[1]، قال :

---

(١) العرعر — بوزن جعفر — هو شجر السرو ، والساج : شجر يعظم جداً ، وخشبه أسود رزين لا تكاد الأرض تبليه ، ومنبته بلاد الهند .

ولما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه بنى لهن حُجَراً ، وهى تسعة أبيات ، وهى ما بين بيت عائشة رضى الله عنها إلى الباب الذى يلى باب النبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى . ومراده بالباب الذى يلى باب النبى صلى الله عليه وسلم الباب الذى فى الجهة المقابلة له من المغرب ، وهو المعروف الآن بباب الرحمة ، وإنما حملنا كلامه على ذلك لأنه وقع فى كلامه استعمال الباب الذى يليه بمعنى الباب الذى يقابله ، ولأنه قال عقبه : قال أهل السير : ضرب النبى صلى الله عليه وسلم الحجرات ما بينه و بين القبلة والشرق إلى الشام ، ولم يضر بها فى غربيه ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من المغرب ، وكانت أبوابها شارعة فى المسجد ، انتهى .

وكأن الخطيب ابن حملة فهم من هذا اختلافا فى مواضع الحجر ، فقال : قيل كانت كلها فى جهة المشرق ، وقيل : فى جهات المسجد ما عدا المغرب .

قلت : و يرجح ما قررناه ما رواه ابن الجوزى فى شرف المصطفى بسنده إلى محمد بن عمر قال : سألت مالك بن أبى الرجال : أين كانت منازل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فأخبرنى عن أبيه عن أمه أنها كانت كلها فى الشق الأيسر إذا قمت إلى الصلاة إلى وجه الإمام فى وجه المنبر هذا أبعدها ، ولما توفيت زينب أدخل — أى النبى صلى الله عليه وسلم — أم سلمة بيتها ، انتهى ، ووجه المنبر ووجه الإمام يعنى إذا قام على المنبر بجهة الشام فى جهة الباب المعروف الآن بباب الرحمة قبل أن ينقل إلى محله اليوم ، وهو يقتضى أنه لم يكن من الحجر شىء فى جهة القبلة ، إلا أن تكون الرواية إلى وجه الإمام وفى وجه المنبر فيوافق ما تقدم عن أهل السير .

وأسند ابن زَبالة عن محمد بن هلال قال : أدركت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كانت من جريد مستورة بمسوح الشعر[1] مستطيرة فى القبلة وفى

---

(١) المسوح : جمع مسح — بالكسر — كساء من شعر كثوب الرهبان ، ويجمع على أمساح أيضاً ، وانظر حديث عطاء الخراسانى فى ص ٤٦١ الآتية .

المشرق والشام ، ليس فى غربى المسجد شىء منها ، وكان باب عائشة مواجهَ الشام ، وكان بمصراع واحد من عرعر أوساج .

وأسند يحيى من طريق الواقدى عن عبد الله بن يزيد الهذلى قال : رأيت بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز كانت من لبِن[١] ، ولها حجر من جريد مطرورة بالطين، عددت تسعة أبيات بحُجَرها ، وهى ما بين بيت عائشة إلى الباب الذى يلى باب النبى صلى الله عليه وسلم إلى منزل أسماء بنت حسن اليوم .

قلت : وقوله « إلى الباب الذى يلى باب النبى صلى الله عليه وسلم » قد تقدم ما يؤخذ منه أن المراد به باب الرحمة ، وقوله « إلى منزل أسماء إلى آخره » يقتضى أن البيوت المذكورة كان بعضها خارجاً عن سَمْتِ[٢] المسجد؛ لأن بيت أسماء المذكور كان فى مقابلة الباب الذى كان يلى باب النساء من شاميه ، ويبعد أن يكون المسجد النبوى ممتداً إلى تلك الجهة فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، لكن سيأتى فى بيت فاطمة رضى الله عنها ما يصرح بأن بيتها كان ينتهى إلى الباب المذكور ؛ فيحتمل أن المسجد كان ممتداً إليه ، ويحتمل أن بعض البيت المذكور لم يكن فى محاذاة المسجد ، على أن البخارى روى فى صحيحه حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وعنده أزواجه فرحن، فقال لصفية بنت حيى : لا تعجلِى حتى أنصرف معك، وكان بيتها فى دار أسامة، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم معها — الحديث » .

وفى رواية له عن صفية قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلا ، فحدثته ثم قمت ، فانقلبت، فقام معى ليقلبنى، وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار — الحديثَ .

وفى رواية له أنها جاءت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزورُه وهو معتكف

(١) اللبن — بفتح فكسر — الطوب النىء

(٢) سمت المسجد : طريقه .

فى المسجد فى العشر الأواخر من رمضان ، ثم قامت تنقلب ، فقام معها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ قريباً من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم مر بهما رجلان من الأنصار — الحديث ، وهو يقتضى أن صفية لم يكن مسكنها فى الحجر المحيطة بالمسجد .

ولم يتعرض ابن شبة لاتخاذ أسامة لدار ، وذكر أن أباه اتخذ دارين إحداها دخلت فى المسجد لما زيد فيه ، ولعلها المرادة والله أعلم .

ولنرجع إلى بقية ما أسنده يحيى عن عبد الله بن زيد ، قال : ورأيت بيت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وحجرتها من اللبن ، فسألت ابن ابنها ، فقال : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومَة الجندل بنت حجرتها باللبن ، فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم نظر إلى اللبن ودخل عليها أول نسائه ، فقال: ماهذا البناء؟ فقالت : أردتُ يارسول الله أن أكُفَّ أبصار الناس ، فقال : يا أم سلمة إن من شر ماذهب فيه مالُ المسلم البنيان ، قال الواقدى : فحدثت بهذا الحديث معاذ بن محمد الأنصارى ، فقال : سمعت عطاء الخراسانى فى مجلس فيه عمران بن أبى أنس يقول وهو فيما بين القبر والمنبر : أدركت حُجُرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود[1] ، فحضرت كتاب الوليد ابن عبد الملك يقرأ يأمرنا بهدم حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم . قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول: والله لوددت أنهم تركوها على حالها يَنْشَأ ناشىء من المدينة ويقدم قادم من الآفاق فيَرَى ما اكتفى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى حياته ، ويكون ذلك مما يزهد الناس فى التكاثر والتفاخر فيها ، قال معاذ : فلما فرغ عطاء الخراسانى من حديثه قال عمران بن أبى أنس : كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد ، وكانت خمسة أبيات من جريد مُطَينة لا حجر لها على أبوابها مسوح الشعر ، ذرعت الستر فوجدته

---

(١) انظر ص ٤٥٩ السابقة .

ثلاثة أذرع فى ذراع وعظم الذراع ، فأما ماذكرت من كثرة البكاء فلقد رأيتنى فى المسجد وفيه نفر من أبناء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أبو سلمة بن عبد عبدالرحمن وأبو أمامة بن سهل وخارجة بن زيد وإنهم ليبكون حتى أخْضَلَ لحاهم الدمع ، وقال يومئذ أبو أمامة : ليتها تركت حتى ينقص الناس من البنيان ويروا مارضى الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيحُ خزائن الدنيا بيده .

وروى رزين عن عبدالله بن يزيد الهذلى قال: رأيت بيوتَ أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هدّمها عمرُ بن عبد العزيز يُدخِلها فى المسجد مبنيةً باللبِن حولها حُجَر من جريد ممدودة إلا حجرة أم سلمة ، وذكر نحو ما تقدم باختصار .

وقال ابن الجوزى فى الوفاء : قال محمد بن عمر : كانت لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله ، وكلما أحدث رسول الله صلى عليه وسلم أهلا(١) نزل له حارثة عن منزله حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه .

قلت : وظاهره يخالف ماتقدم من أنه صلى الله عليه وسلم بنى أولا بيتين لزوجتيه ، وأنه لما تزوج نساءه بنى لهن حجرا، وظاهره أنه كان كلما أحدث زوجة أحدث لها بناء حجرة ، فيحمل ما هنا على أن حارثة كان ينزل له عن مواضع المساكن ، وكان صلى الله عليه وسلم يبنيها .

ونقل الزركشى عن الشمس الذهبى أنه قال : لم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه فعل ذلك ، إنما كان يريد بيتا واحدا حينئذ لسودة أم المؤمنين ، ثم لم يحتج إلى بيت آخر حتى بنى لعائشة رضى الله عنها ، فى شوال سنة اثنين ، فكأنه صلى الله عليه وسلم بناها فى أوقات مختلفة . انتهى .

وهو مقتضى ماقدمناه ، غير أنه مخالف لما قدمناه فى بيت عائشة رضى الله عنها ، لما تقدم أنه بناه مع بناء المسجد ، وهو الظاهر ؛ لأنها كانت حينئذ زوجته ،

---

(١) أهل الرجل هنا : زوجته ، يريد كلما تزوج النبى صلى الله عليه وسلم .

غير أنه لم يَبْنِ لها فتأهب لذلك بأن بنى لها حجرتها .

وذكر الأقشهرى أن ابن عبد البر روى من طريق الزبير بن بكار عن عائشة رضى الله عنها خبرا طويلا فى قدومها المدينة قالت فيه : ثم إنا قدمنا المدينة ، فنزلتُ مع آل أبى بكر ، ونزل آلُ النبى صلى الله عليه وسلم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى مسجده وأبياتا حول المسجد ، فأنزل فيها أهله ، فمكثنا أياما ، ثم قال أبو بكر : يارسول الله ما يمنعك أن تبنى بأهلك ؟ قال : الصداق ، فأعطاه أبو بكر اثنتى عشرة أوقية ونَشًّا[1] فبعث بها إلينا ، وبنى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى هذا الذى أنا فيه ، وهو الذى توفى فيه ودفن فيه .

المشربة

قلت : ولم أرَ فى كلام المؤرخين مَنْ تعرض للمشربة التى اعتزل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما آلىٰ من نسائه شهرا ، ومقتضى ذلك أنه لم يكن بابها من بيت واحدة منهن ليتأتى عدم الدخول عليهن ، والذى فى الصحيح قول حفصة : هو ذا فى المشربة ، وفى رواية تسميتها عِلِّية ، وفى رواية غرفة ، وقد بوب عليه البخارى باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم نساءه فى غير بيوتهن ، وفى رواية « هو فى خزانته فى المشربة » وفى رواية « فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشربة يرقى عليها بعجلة » وفى رواية « فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على أُسْكُفَّةَ المشربة[2] مدل رجليه على نقير من خشب وهو جذع يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر »

وقال السهيلى: قال الحسن البصرى : كنت أدخل بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق وأنال السقف بيدى ، وكان لكل بيت حجرة ، وكانت حجرة من أكسية من خشب عَرْعَرَ .

---

(١) النش — بفتح النون وتشديد الشين — نصف الأوقية ، وهو عشرون درهما . ويطلق النش على النصف من كل شىء .

(٢) الأسكفة — بضم الهمزة وسكون السين وضم الكاف وتشديد الفاء مفتوحة — الخشبة التى يطأ عليها الداخل من الباب .

وورد أن بابه صلى الله عليه وسلم كان يقرع بالأظافير : أى لا حلَق له .

وقال مالك : كان المسجد يضيق عن أهله ، وحُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ليست من المسجد ، ولكن أبوابها شارعة فى المسجد [١] .

وقال ابن سعد : أوصت سَوْدَة ببيتها لعائشة رضى الله عنها ، وباع أولياء صفية بنت حُيَي بيتها من معاوية بمائة ألف وثمانين ألف درهم ، واشترى معاوية من عائشة منزلها بمائة ألف وثمانين ألف درهم ، وقيل : بمائتى ألف ، وشرط لها سكناها حياتها ، وحمل إليها المال ، فما قامت من مجلسها حتى قسمته ، وقيل : بل اشتراه ابن الزبير من عائشة ، وبعث إليها خمسة أجمال تحمل المال ، وشرط لها سكناها حياتها ، ففرقت المال .

وأسند ابن زبالة عن هشام بن عروة قال : إن ابن الزبير ليعتدُّ بمكرمتين مايعتد أحد بمثلهما : أن عائشة أوصته ببيتها وحجرتها ، وأنه اشترى حجرة سَوْدة .

قلت : وهذا يقتضى أن الحجر الشريفة كانت على ملك نسائه صلى الله عليه وسلم ، ويؤيده ما تقدم من تصرف أم سلمة وبنائها لحجرتها فى غيبته صلى الله عليه وسلم ، ويعارضه ما تقدم من أن زينب بنت خزيمة لما توفيت أدخل النبىُّ صلى الله عليه وسلم أم سلمة بيتها ، وقد أضيفت البيوت فى القرآن العظيم مرة إليه صلى الله عليه وسلم ومرة إليهن ، والظاهر أن الإضافة الأولى هى الحقيقية ؛ لما تقدم من أن النبى صلى الله عليه وسلم بناها ، ولأنه كان يجب عليه إسكانهن ، غير أن لهن فيها بعده حق السكنى لحبسهن لحقه صلى الله عليه وسلم .

وقال الزبير بن المنير : إن غرض البخارى حيث ترجم بقوله « باب ماجاء فى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم » وما نسب من البيوت إليهن وقول الله عز وجل « وَقَرْنَ فى بيوتكن » « ولا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم » أن يبين أن بهذه النسبة تحقيق دوام استحقاقهن البيوت ما بَقِينَ ؛ لأن نفقتهن وسكناهن من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم ، والسر فيه حَبْسُهن عليه ، انتهى

---

(١) شارعة فى المسجد : مفتوحة فيه .

ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان قد مَلَّكَ بعضهن بيتها ، أو ملكهن كلهن كما ذهب إليه بعضهم .

قال الطبرى : قيل : كان النبى صلى الله عليه وسلم مَلَّكَ كلا من أزواجه البيت التى هى فيه فسكنَّ بعده فيهن بذلك التمليك ، وقيل : إنما لم يُنَازَعْنَ فى مساكنهن لأن ذلك من جملة مؤنتهن التى كان النبى صلى الله عليه وسلم استثناه لهن مما كان بيده أيام حياته حيث قال : ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فهو صدقة ، قال الطبرى : وهذا أرجح ، ويؤيده أن ورثتهن لم يرثوا عنهن منازلهن ، ولو كانت البيوت ملكا لهن لانتقلت إلى ورثتهن ، وفى ترك ورثتهن حقوقهم منها دلالة على ذلك ، ولهذا زيدت بعدهن فى المسجد لعموم نفعه للمسلمين ، انتهى .

وقد يناقش فيما ذكره من عدم إرث ورثتهن لمنازلهن ؛ إذ لا يلزم من عدم نقله انتفاءه مع أن فى قصة إدخال بيت حَفْصة فى المسجد وما وقع من آل عمر فى أمر طريق بيت حفصة ما يشهد لأن ورثتهن ورثوا ذلك ، ويحتمل أن إدخال الحُجَر فى المسجد كان بعد شرائها من الورثة ، وقد تقدم عن ابن سعد ما يشهد لذلك ، وقد قال فى طبقاته أيضاً : أخبرنا إسرائيل عن جابر عن عامر قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يُوصِ إلا بمسكن أزواجه وأرض ، انتهى . وهذا يحتمل الوصية للأزواج بذلك ، ويحتمل غيره ، والله أعلم .

وادعى المهلب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد حبس عليهن بيوتهن ، ثم استدل به على أن مَنْ حبس دارا جاز له أن يسكن منها فى موضع ، وتَعَقَّبَه ابن المنير بمنع أصل الدعوى ، وقد ترجم ابن شبة لعلم دور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وذكر عن جماعة منهن اتخاذ دور فى أماكن متفرقة من المدينة ، فتلك غير الحُجَر المذكورة ، والظاهر أن اتخاذهن لذلك كان بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

الفصل العاشر

فى حجرة فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها

أسند يحيى عن عيسى بن عبد الله عن أبيه أن بيت فاطمة رضى الله عنها فى الزور الذى فى القبر ، بينه و بين بيت النبى صلى الله عليه وسلم خَوْخَة .

وأسند عن عمر بن على بن عمر بن على بن الحسين قال : كان بيت فاطمة فى موضع الزور مخرج النبى صلى الله عليه وسلم، وكانت فيه كُوَّةٌ [(١)] إلى بيت عائشة رضى الله عنها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى المخرج اطلع من الكوة إلى فاطمة فعلم خبرهم ، وأن فاطمة رضى الله عنها قالت لعلى : إن ابنىَّ أمْسَيَا عليلين فلو نظرت لنا أدما [(٢)] نستصبح به [(٣)] ، فخرج علىّ إلى السوق فاشترى لهم أدما ، وجاء به إلى فاطمة فاستصبحت ، فدخلت عائشة المخرج فى جوف الليل فأبصرت المصباح عندهم ، وذكر كلاما وقع بينهما ، فلما أصبحوا سألت فاطمة النبى صلى الله عليه وسلم أن يَسُدَّ الكوة ، فسدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأسند يحيى عقب ذلك حديث عائشة « قلت : يارسول الله ندخل كنيفك فلا نرى شيئاً من الأذى ، فقال : الأرض تبلع ما يخرج من الأنبياء من الأذى فلا يرى منه شيء » فأشعر صنيع يحيى أن المراد من المخرج موضع الكنيف ، وأفهم ذلك أن المخرج المذكور كان خلف حجرة عائشة رضى الله عنها ، بينها و بين بيت فاطمة رضى الله عنها ، وذلك يقتضى أن يكون محله فى الزور ، أعنى الموضع المزور شبه المثلث فى بناء عمر بن عبد العزيز فى جهة الشام .

و يشهد لذلك ما أسنده يحيى عن مسلم عن ابن أبى مريم أن عرض بيت

---

(١) كوة ــ بضم الكاف أو فتحها وتشديد الواو مفتوحة ــ الخرق فى الحائط .

(٢) الأدم : أراد به هنا الزيت ، وأصله كل ما يؤكل مع الخبز

(٣) نستصبح به : نستضىء ، ومعناه الحرفى نطلب به الصباح

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأسطوانة التى خلف الأسطوان المواجهة الزور ، قال : وكان بابه فى المربعة التى فى القبر .

وقد أسند أبو غسان كما قاله ابن شبة عن مسلم بن سالم بن مسلم بن أبى مريم قال : عَرَّسَ على رضى الله عنه بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأسطوان التى خلف الأسطوان المواجهة الزور ، وكانت داره فى المربعة التى فى القبر ، قال سليمان : وقال مسلم : لا تَنْسَ حظك من الصلاة إليها ؛ فإنه باب فاطمة التى كان علىّ يدخل إليها منه ، وقد رأيت حسن بن زيد يصلى إليها .

وقد ذكرنا فى فضل أسطوان مربعة القبر ماورد من أنه صلى الله عليه وسلم « كان يأتى باب على كل يوم » وفى رواية « عند صلاة الصبح » وفى رواية يحيى « إلى باب علىّ وفاطمة وحسن وحسين حتى يأخذ بعضادتى الباب ويقول : السلام عليكم أهل البيت » وفى رواية فيقول « الصلاةَ الصلاةَ الصلاةَ ، ثلاث مرات ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وذكرنا أيضاً أن أسطوان التهجد خلف بيت فاطمة رضى الله عنها .

وروى الطبرانى من حديث أبى ثعلبة : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم يثنى بفاطمة ، ثم يأتى أزواجه ، وفى لفظ : ثم بدأ ببيت فاطمة ، ثم يأتى بيوت نسائه .

وأسند يحيى عن محمد بن قيس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر أتى فاطمة فدخل عليها وأطال عندها المكث ، فخرج مرة فى سفر وصنعت فاطمة مَسَكتين(1) من ورِق وقلادةً وقُرْطين ، وسترت باب البيت لقدوم أبيها وزوجها ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليها ، ووقف أصحابه على

---

(1) مسكتين : تثنية مسكة ـ بالتحريك ، والمسكة : السوار يتخذ من قرون الأوعال ، وقيل من جلود دابة بحرية ، والمراد هنا السوار مطلقاً ؛ لأنه ذكر أنهما من فضة .

الباب لايدرون أيقيمون أم ينصرفون لطول مكثه عندها ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عُرِف الغَضَبُ فى وجهه ، حتى جلس على المنبر ، ففطنت فاطمة أنه فعل ذلك لما رأى من المسكتين والقلادة والستر ، فنزعت قرطيها وقلادتها ومسكتيها ونزعَتِ الستر و بعثت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت للرسول : قل له تقرأ عليك ابنتُكَ السلام، وتقول لك : اجعل هذا فى سبيل الله ، فلما أتاه قال : قد فَعَلَتْ فداها أبوها ، ثلاث مرات ، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جَنَاحَ بعوضةٍ ما سقى كافرا منها شربة ماء ، ثم قام فدخل عليها .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قومٌ عُرَاة كانوا غُزَاة بالروم ، فدخل على فاطمة وقد سترت سترا قال : أيَسُرُّكِ أن يسترك الله يومَ القيامة ؟ فأعطنيه ، فأعطته ، فخرج به فشقه لكل إنسان ذراعين فى ذراع .

وعن على رضى الله عنه قال : زارنا النبى صلى الله عليه وسلم ، فبات عندنا والحسنُ والحسين نائمان، واستسقى الحسن، فقام النبى صلى الله عليه وسلم إلى قِرْبة لنا فجعل يعصرها فى القدح ثم جعل يَصُبُّه[1] ، فتناول الحسين فمنعه ، و بدأ بالحسن، فقالت فاطمة : يارسول الله كأنه أحَبُّ إليك ، قال : إنما استسقى أول ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى و إياك وهذان وهذا الراقد يعنى عليا يوم القيامة فى مكان واحد ، وعن أبى سعيد الخدرى أيضاً مثله .

وعن على قال : زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعملنا له خزيرة[2] ، وأهدت لنا أم أيمن قَعْباً من لبن وصحفة من تمر ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكلنا معه ، ثم وَضَّأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسح رأسه وجبهته بيده ، ثم استقبل القبلة فدعا بما شاء ، ثم أكَبَّ إلى الأرض بدموع

---

(١) وقع فى المطبوعات كلها «يعبعبه» تحريف ما أثبتناه

(٢) خزيرة : هى لحم يقطع صغاراً ويصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج ذر عليه الدقيق .

غزيرة[1] ، يفعل ذلك ثلاث مرات، فتهيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسأله ، فوثب الحسينُ على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم و بكى ، فقال له : بأبي وأمي ما يبكيك ؟ قال : يا أبتِ رأيتك تصنع شيئا ما رأيتك تصنع مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنيّ سُرِرْتُ بكم اليوم سرورا لم أسرّ بكم مثله قط ، و إن حبيبي جبريل عليه السلام أتاني وأخبرني أنكم قَتْلَى ، وأن مصارعكم شتّى ، فأحزنني ذلك ، ودعوت الله تعالى لكم بالخِيَرَة .

وقال ابن النجار : و بيت فاطمة اليوم حوله مقصورة وفيه محراب ، وهو خلف حجرة النبي صلى الله عليه وسلم .

قلت : المقصوره اليوم دائرة عليه وعلى حجرة عائشة رضي الله عنها كما سيأتي بيانه ، والمحراب الذي ذكره خلف حجرة عائشة من جهة الزور بينه و بينه موضع تحترمه الناس ولا يدوسونه بأرجلهم ، يذكر أنه موضع قبر فاطمة رضي الله عنها كما هو أحد الأقوال الآتية فيه ، وقد اقتضى ماقدمناه أن بيت فاطمة رضي الله عنها كان فيما بين مربعة القبر وأسطوان التهجد ، وأنه عرّس بها إلى الأسطوان الذي إليه المحراب الموجود اليوم في بيتها ؛ لأن الأسطوان المواجه للزور هو الأسطوان الذي في صف المربعة اللاصق بالجدار الداخل من الحجرة الشريفة ، كان بعضه في حائطها الشامي ، وأدخل كله فيه في العمارة التي أدركناها ، وخلفه الأسطوانة التي التقى عندها زاويتا الزور ، وخلفها الأسطوانة التي إليها المحراب المذكور ؛ فيصدق عليها ما تقدم في كلام ابن شبة نقلا عن رواية أبي غسان من أن عليا رضي الله عنه عرّس بفاطمة إلى الأسطوان التي خلف الأسطوان المواجه الزور ، لكن قال ابن شبة قبل ذلك ما لفظه : واتخذ علي بن أبي طالب بالمدينة دارين إحداهما دخلت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي منزل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان يسكن ، وموضعها من المسجد بين دار

---

(١) غزيرة : كثيرة

عثمان بن عفان التى فى شرقى المسجد و بين الباب المواجه دار أسماء بنت حسن ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس فى شرقى المسجد ، والأخرى دار علىّ التى بالبقيع ، وهى بأيدى ولد علىّ على حوز الصدقة ، اه .

وقوله « بين دار عثمان » أى ما يحاذيها ، وقوله « و بين الباب المواجه دار أسماء » أى ما يحاذيه أيضا ، وسيأتى أن هذا الباب كان بعد باب النساء مقابلا لرباط النساء المعروف اليوم برباط السبيل ، وهو بعيد من وجوه :

أحدها : ما تقدم فى أسطوان التهجد من أنه كان خلف بيت فاطمة .

الثانى : أنهم متفقون على أن باب جبريل المقابل لدار عثمان كان موجودا فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، فكيف يَصح كون دار على فى ذلك الموضع .

الثالث : أن عمر بن الخطاب أول من زاد فى المسجد وأحدث باب النساء ، وهو فيما بين باب جبريل والباب الذى ذكره ابن شبة ، و بيتُ فاطمة إنما أدخله فى المسجد الوليدُ ، وسنذكر ما اتفق عند إدخاله فى زيادة الوليد .

وقد يقال : إن الشارع كان بين المسجد النبوى و بين بيت فاطمة من جهة مؤخرِه ، فيتأتى مع ذلك اتخاذ عمر اباب النساء من غير تعرض لبيت فاطمة ، وكذا يقال فى باب جبريل : إنه كان فى محاذاة موضعه اليوم ، لكن كان الشارع بينه و بين بيت فاطمة من تلك الجهة . ويؤيد ذلك أنهم لما حفروا للدعامة الغربية التى إليها باب الحجرة الشامى عند بناء القبة والعقود التى حولها بالحجرة الشريفة بعد الحريق الذى أدركناه وجدوا فى محاذاة باب جبريل أمام باب الحجرة المذكور درجا تحت الأرض آخذة لجهة الشام ، وقدسبق فى حدود المسجد النبوى ما يقتضى أن جداره فى المشرق كان هناك ، فترجح عندى أن تلك الدرج كانت لباب جبريل عليه السلام ، وأنه كان هناك قبل تحويله ، والله أعلم

الفصل الحادى عشر

فى الأمر بسدّ الأبواب الشارعة فى المسجد الشريف

و بيان ما استثنى من ذلك .

قال البخارى : باب قول النبى صلى الله عليه وسلم سُدُّوا الأبواب إلا باب أبى بكر ، قاله ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد وَصَله البخارى فى الصلاة بلفظ سدوا عنى كل خوخة ، فكأنه ذكره هنا بالمعنى ، ثم أسند البخارى فى الباب حديثَ أبى سعيد الخدرى قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ وقال : إن الله خَيَّرَ عبدا بين الدنيا و بين ما عنده ، فاختار ذلك العبدُ ما عند الله : قال : فبكى أبو بكر ، فتعجبنا لبكائه أن يخبر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلَمَنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أَمَنَّ الناسِ علىّ فى صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقَيَنَّ فى المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابَ أبى بكر .

ورواه مسلم من طريق مالك بن أنس بنحوه ، وقال : لا يبقَيَنَّ فى المسجد خَوْخة إلا خَوْخة أبى بكر .

والخوخة : طاقة فى الجدار تفتح لأجل الضوء ، ولا يشترط علوها ، وحيث تكون سفلى يمكن الاستطراق منها لاستقراب الوصول إلى مكان مطلوب ، وهو المقصود هنا ، لهذا أطلق عليها باب ، وقيل : لايطلق عليها باب إلا إذا كانت تغلق

وفى حديث ابن عباس المشار إليه فى الصلاة أن ذلك فى مرضه صلى الله عليه وسلم الذى مات فيه ، ولمسلم من حديث جندب : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بخمس ليال ، وذكر الحديث .

---

(١) « أن يخبر » أى لأن يخبر ، ومعناه فتعجبنا لبكائه من أجل أن يخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله — إلخ

وروى عبدُ الله بن أحمد برجال ثقات عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار ، سُدُّوا كل خَوْخة في المسجد غير خَوْخة أبي بكر .

وروى الطبراني بإسنادٍ حسنٍ عن معاوية رضي الله عنه نحوه ، وفيه أن ذلك بعد أن صُبَّ عليه صلى الله عليه وسلم من سبع قرب من آبار شتى ، ولفظه : انظروا هذه الأبواب الشَّوارع[1] في المسجد فسدوها إلا ما كان من باب أبي بكر .

وروى أبو يَعْلَى — ورجالُه ثقات — عن عائشة نحوه أيضا .

وفي طبقات ابن سعد : أخبرنا قتيبة بن سعيد البَلْخِي ثنا الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أعظم الناس علىّ مَنًّا في صحبته وذات يده أبو بكر ، وأغلقوا هذه الأبواب الشارعة كلها في المسجد إلا باب أبي بكر .

وقال قتيبة بن سعيد : قال الليث بن سعد : قال معاوية بن صالح : فقال ناس : أَغْلَقَ أبوابنا وترك باب خليله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر ، وإني أرى على باب أبي بكر نورا ، وأرى على أبوابكم ظلمة .

وفيها أيضاً : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني الزبير بن موسى عن أبي الحويرث قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبواب تسد إلا باب أبي بكر قال عمر : يا رسول الله دَعْنِي افتحْ كَوَّةً أنظر إليك حين تخرج إلى الصلاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا

قال الخطابي وابن بطال : في هذا الحديث إشارة قوية إلى استحقاق أبي بكر رضي الله عنه للخلافة ، ولاسيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر

---

(١) الشوارع : جمع شارع ، ومعناه نافذ ، أي الأبواب النافذة في المسجد

قال الحافظ ابن حجر : وقد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة ، والأمر بالسد كناية عن طلبها ، كأنه قال : لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حَرَجَ عليه فى طلبها ، و إلى هذا جَنَحَ ابن حبان، وقوى بعضهم ذلك بأن منزل أبى بكر كان بالسُّنْح[1] من عَوَالى المدينة فلا يكون له خَوْخة إلى المسجد

قال الحافظ ابن حجر: وهذا الاستناد ضعيف ؛ لأنه لا يلزم من كون منزله كان بالسُّنْح[1] أن لا يكون له دار مجاورة للمسجد، ومنزله الذى كان بالسنح[1] هو منزل أصهاره من الأنصار ، وقد كان له إذ ذاك زوجة أخرى، وهى أسماء بنت عُمَيْس ، بالاتفاق ، وأم رومان على القول بأنها كانت باقية يومئذ ، وقد ذكر عمر بن شبة فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخوخة منها إلى المسجد كانت ملاصقة المسجد ، ولم تزل بيد أبى بكر حتى احتاج إلى شىء يعطيه لبعض مَنْ وفَدَ عليه فباعها فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم .

قلت : وسيأتى بقية ما ذكره فى إدخالها فى المسجد فى زيادة عمر رضى الله عنه

وقال ابن شبة أيضا فى ذكر دور بنى تَيْم : اتخذ أبو بكر رضى الله عنه دارا فى زُقَاق البقيع قبالة دار عثمان الصغرى ، واتخذ منزلا آخر أيضا عند المسجد ، وهو المنزل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : سدوا عنى هذه الأبواب إلا ما كان من باب أبى بكر .

قال أبو غسان : أخبرنى محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد خوخة أبى بكر الصديق التى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : سُدُّوا عنى هذه الأبواب إلا ما كان من خوخة أبى بكر الصديق، واتخذ أبو بكر أيضا بيتا بالسُّنْح[1]، اهـ كلام ابن شبة .

وقال الجمال المطرى : وأما خوخة أبى بكر رضى الله عنه فإن ابن النجار قال : قال أهل السير: إن باب أبى بكر كان غربى المسجد، ونقل أيضا أنه كان قريب المنبر،

(١) السنح ـ بضم السين وسكون النون ويقال : بضم السين والنون جميعاً ـ موضع بعوالى المدينة فيه منازل بنى الحارث بن الخزرج

ولما زادوا فى المسجد إلى حده فى الغرب نقلوا الخوخة[1] وجعلوها فى مثل مكانها أولا، كما نقل باب عثمان إلى موضعه اليوم .

قال المطرى : وباب خوخة أبى بكر اليوم هو باب خزانة لبعض حواصل الحرم ، إذا دخلت من باب السلام كانت على يسارك قريباً من الباب .

قلت: وهذه الخزانة جعل فى جهتها عند عمارة المدرسة الأشرفية ثلاثة أبواب، ومحل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام، وتعرف قديماً بخزانة النورة لوضعها فيها للعمارة .

وكلامه فى ذلك يوافق ما ذكره ابن زبالة فإنه قال : وحدثنى محمد بن إسماعيل عن إسحاق بن مسلم أن الخوخة التى إلى جنب باب زياد فى غربى المسجد الشارعة فى رحبة القضاء هى يُمْـنَى خوخة أبى بكر ، لما زيد فى المسجد نُحِّيَتْ فجعلت يمناها : أى فى موازاتها من جهة اليمين ، ورحبة القضاء خلف الخوخة المتقدم وصفها من جهة الحصن العتيق المتخذ مدرسة للسلطان الأشرف بعد الحريق الذى أدركناه .

قال الحافظ ابن حجر : وقد جاء فى سد الأبواب التى حول المسجد أحاديث يخالف ظاهرها ما تقدم : منها حديث سعد بن أبى وقاص قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب الشارعة فى المسجد ، وترك باب على ، أخرجه أحمد والنسائى وإسناده قوى ، وفى رواية للطبرانى فى الأوسط رجالها ثقاة : فقالوا يا رسول الله سددت أبوابنا ، فقال : ما أنا سددتها ولكن الله سدها ، وعن زيد ابن أرقم قال : كان لنفر من الصحابة أبواب شارعة فى المسجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سُدُّوا هذه الأبواب إلا باب علىّ ، فتكلم ناس فى ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى والله ماسددت شيئا ولا فتحته ، ولكن أمرت بشىء فاتبعته ، أخرجه أحمد والنسائى والحاكم ورجاله ثقات .

---

(١) الخوخة ــ بفتح الخاء وسكون الواو ــ باب صغير كالنافذة الكبيرة، وتكون بين بيتين ينصب عليها باب ، قاله ابن الأثير .

قلت : لفظ رواية أحمد : عن زيد بن أرقم قال : كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب شارعة فى المسجد ، قال : فقال يوماً : سُدُّوا هذه الأبواب إلا باب علىّ ، فتكلم أناس فى ذلك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وقال : أما بعد فإنى قد أمَرْتُ بسدِّ هذه الأبواب غير باب على ، فقال فيه قائلكم ، و إنى والله ما سَدَدْتُ شيئاً ولا فتحته ، الحديثَ .

وعن ابن عباس قال : أمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبواب المسجد فسُدَّت إلا باب على ، وفى رواية : وأمر بسد أبواب المسجد غير باب على ؛ فكان يدخل المسجد وهو جنب ليس له طريق غيره ، أخرجهما أحمد والنسائى ، ورجالهما ثقات .

وعن جابر بن سمرة قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب كلها غير باب على ، فربما مر فيه وهو جنب ، أخرجه الطبرانى .

وعن ابن عمر : كنا نقول فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيرُ الناس ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ولقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال لأن يكونَ لى واحدةٌ منهن أحَبُّ إلىّ من حُمُرِ النَّعَم: زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته وولدت له ، وسدَّ الأبواب إلا بابه فى المسجد ، وأعطى له الراية يوم[1] خيبر ، أخرجه أحمد ، و إسناده حسن .

وأخرج النسائى من طريق العلاء بن عرار — بمهملات — قال : قلت لابن عمر : أخبرنى عن على وعثمان ، فذكر الحديث ، وفيه : وأما على فلا تسأل عنه أحَداً ، وانظر إلى منزله مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد سدَّ أبوابنا فى المسجد وأقر بابه ، ورجاله رجالُ الصحيح ، إلا العلاء وقدوثَّقه يحيى بن مَعين وغيره.

---

(١) أى بعد أن قال قبل إعطائها إياه : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله »

قال الحافظ ابن حجر : وهذه الأحاديث تقوى بعضها بعضاً ، وكل طريق منها صالحة للاحتجاج ، فضلا عن مجموعها ، وقد أورد ابن الجوزى هذا الحديث فى الموضوعات ، وأخرجه من حديث سعد بن أبى وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم ، وأعَلَّه ببعض من تكلم فيه من رواته ، وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق ، وأعله أيضاً بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة فى باب أبى بكر ، وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح فى باب أبى بكر .

قال الحافظ ابن حجر : وقد أخطأ فى ذلك خطأ شنيعاً ؛ فإنه سلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة ، مع أن الجمع بين القصتين ممكن .

وقد أشار إلى ذلك البزار فى مسنده فقال : وَرَدَ من روايات أهل الكوفة بأسانيدَ حسانٍ فى قصة على ، وورد من روايات أهل المدينة فى قصة أبى بكر فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمعُ بينهما بما دل عليه حديثُ أبى سعيد الخدرى — يعنى الذى أخرجه الترمذى — أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يحلُّ لأحد أن يطرق هذا المسجد جنباً غيرى وغيرك ، والمعنى أن باب على كان إلى جهة المسجد ، ولم يكن لبيته باب غيره ؛ فلذلك لم يؤمر بسده .

ويؤيد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضى فى أحكام القرآن من طريق المطلب ابن عبد الله بن حنطب أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يأذن لأحدٍ أن يمر فى المسجد وهو جنب إلا لعلى بن أبى طالب ؛ لأن بيته كان فى المسجد ، ومحصل الجمع أن الأمر بسد الأبواب وقع مرتين ؛ فنى الأولى استثنى علياً لما ذكره من كون بابه كان إلى المسجد ولم يكن له غيره ، وفى الأخرى استثنى أبا بكر ، ولكن لا يتم ذلك إلا بأن يحمل ما فى قصة علىّ على الباب الحقيقى ، وما فى قصة أبى بكر على الباب المجازى ، والمراد به الخوخة كما صرح به فى بعض طرقه ،

وكأنهم لما امِرُوا بسد الأبواب سَدُّوها وأحدثوا خوخا يستقربون الدخول إلى المسجد منها ، فأمروا بعد ذلك بسدها .

فهذه طريقة لا بأس بها فى الجمع بين الحديثين المذكورين ؛ وبها جَمعَ بينهما الطحاوى فى مشكل الآثار ، والكلاباذى فى معانى الأخبار ، وصرح بأن بيت أبى بكر كان له باب من خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد ، وبيت على لم يكن له باب إلا من داخل المسجد ، انتهى ما أورده الحافظ بن حجر فى ذلك .

قلت : والعبارة تحتاج إلى تنقيح ؛ لأن ما ذكره بقوله « ومحصل الجمع » طريقة أخرى فى الجمع غير الطريقة المتقدمة ؛ إذ محصل الطريقة المتقدمة أن البابين بَقيا ، وأن المأمورين بالسد هم الذين كان لهم أبواب إلى غير المسجد مع أبواب من المسجد ، وأما على فلم يكن بابه إلا من المسجد ، وأن الشارع صلى الله عليه وسلم خَصّه بذلك ، وجعل طريقه إلى بيته المسجدَ لما سبق ، فباب أبى بكر هو المحتاج إلى الاستثناء ، ولذلك اقتصر الأكثر عليه ، ومَنْ ذكر باب على فإنما أراد بيان أنه لم يسد ، وأنه وقع التصريح بإبقائه أيضاً ، والطريقة الثانية تعدد الواقعة ، وأن قصة على كانت متقدمة على قصة أبى بكر رضى الله عنهما .

ويؤيد ذلك ما أسنده يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن عبد الله بن مسلم الهلالى عن أبيه عن أخيه قال : لما أمر بسد أبوابهم التى فى المسجد خرج حمزة بن عبد المطلب يجرُّ قطيفةً له حمراء ، وعيناه تَذْرِفَانِ يبكى يقول : يا رسول الله أخرجْتَ عمك وأسكنت ابن عمك ، فقال : ما أنا أخرجتك ولا أسكنته ، ولكن الله أسكنه ، فذكر حمزة رضى الله عنه فى القصة يدل على تقدمها .

وروى البزار وفيه ضعفاء قد وثقوا عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انطلق فمرهم فليسدوا أبوابهم ، فانطلقت فقلت لهم ،

ففعلوا إلا حمزة ، فقلت : يارسول الله قد فعلوا إلا حمزة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لحمزة فليحول بابه ، فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تحول بابك ، فحوله ، فرجعت إليه وهو قائم يصلى ، فقال : ارجع إلى بيتك .

وروى البزار بإسنادٍ قال الهيثمى : فيه من لم أعرفه ، عن على رضى الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ، فقال : إن موسى سأل ربه أن يطهر مسجده بهارون ، وإنى سألت ربى أن يطهر مسجدى بك وبذريتك ، ثم أرسل إلى أبى بكر أن سُدَّ بابك ، فاسترجع ثم قال : سمع وطاعة ، فسد بابه ، ثم أرسل إلى عمر ، ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أنا سَدَدْتُ أبوابكم وفتحت باب على ، ولكن الله فتح باب على وسد أبوابكم »

قلت : ذِكْرُ العباسِ بَدَل حمزة هنا وفيما سيأتى فيه نظر ؛ لأنه يقتضى تأخر ذلك ؛ لأنه إنما قدم المدينة عام الفتح

وأسند ابن زَبالة ويحيى من طريقه عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينما الناسُ جلوس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج مُنادٍ فنادى : أيها الناس سُدُّوا أبوابكم ، فتحسحس(١) الناس لذلك ولم يقم أحد ، ثم خرج الثانية فقال : أيها الناس سدوا أبوابكم ، فلم يقم أحد ، فقال الناس: ما أراد بهذا ؟ فخرج فقال : أيها الناس سدوا أبوابكم قبل أن ينزل العذاب ، فخرج الناس مبادرين ، وخرج حمزة بن عبد المطلب يجر كساءه حين نادى سدوا أبوابكم ، قال : ولكل رجل منهم باب إلى المسجد أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم ، قال : وجاء على حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مايقيمك ؟

---

(١) تحسحس الناس لذلك : توجعوا ، يقال : حسست لهذا الأمر أحس — من باب ضرب — وحسست وتحسحست : أى توجعت له ورققت وتحركت

ارجع إلى رَحْلك ، ولم يأمره بالسد ، فقالوا : سدَّ أبوابَنَا وترك باب على وهو أحْدَثُنا [1] ،فقال بعضهم: تركه لقرابته، فقالوا: حمزة أقربُ منه، وأخوه من الرضاعة وعمه ، وقال بعضهم : تركه من أجل ابنته ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم بعد ثالثة فحمد الله وأثنى عليه محمرا وجهه ــ وكان إذا غضب احمر عِرْقٌ فى وجهه ــ ثم قال : أما بعد ذلكم فإن الله أوحى إلى موسى أن اتخذ مسجدا طاهرا لا يسكنه إلا هو وهارون وأبناء هارون شبرا وشبيرا ، وإن الله أوحى إلى أن أتخذ مسجداً طاهرا لا يسكنه إلا أنا وعلى وأبناء على حسن وحسين ، وقد قدمت المدينة ، واتخذت بها مسجدا ، وما أردت التحول إليه حتى أمرت ، وما أعلم إلا ما عُلِّمت ، وما أصنع إلا ما أمرت . فخرجتُ على ناقتى ، فلقينى الأنصار يقولون : يارسول الله انزل علينا ، فقلت : خلوا الناقة فإنها مأمورة حتى نزلت حيث بركت ، والله ما أنا سددت الأبواب وما أنا فتحتها ، وما أنا أسكنت علياً ، ولكن الله أسكنه .

وروى أحمد بإسناد حسن عن سعد بن مالك قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب الشارعة فى المسجد ، وترك باب على رضى الله عنه ، ورواه أبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط ، وزاد : قالوا : يا رسول الله سددت أبوابنا كلها إلا باب على ، قال : ما أنا سددت أبوابكم ، ولكن الله سدها .

وأسنده يحيى عنه بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالأبواب فسدت إلا باب على ، فقال العباس : يارسول الله سددت أبوابنا إلا باب على ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها .

وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سُدّوا أبواب المسجد إلا باب على ، فقال رجل : اترك لى قَدْرَ ما أخرج وأدخل ، فقال رسول

---

(١) أحدثنا : أصغرنا سناً

الله صلى الله عليه وسلم : لم أومر بذلك ، قال : اترك بقدر ما أخرج صدرى يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أومر بذلك ، وانصرف ، قال رجل : فبقدر رأسى يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أومر بذلك ، وانصرف واجدا [١] باكيا حزينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أومر بذلك ، سدوا الأبواب إلا باب على .

و رواه الطبرانى عن جابر مختصرا ، وفيه ناصح بن عبد الله ، وهو متروك ، ولفظ الطبرانى : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب كلها غير باب على رضى الله عنه ، فقال العباس : يا رسول الله اترك لى قدر ما أدخل أنا وحدى وأخرج ، فقال : ما أمرت بشىء من ذلك ، فسَدَّها كلها غير باب على ، قال : وربما مر وهو جنب .

وأسند ابن زَبَالة ويحيى من طريقه عن عمرو بن سهل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسدّ الأبواب الشوارع فى المسجد ، قال له رجل من أصحابه : يارسول الله دَعْ لى كُوَّةً أنظر إليك منها حين تغدو وحين تروح ، فقال : لاوالله ولا مثل ثقب الإبرة .

قلت : وقد اقتضى ذلك المنع من الخوخة أيضا ، بل ومما دونها ، عند الأمر بسد الأبواب أولا ، فإن صح ذلك فيحمل الإذن بعده فى اتخاذ الخوخ ، ثم كانت قصة أبى بكر بعد ذلك .

وفى طبقات ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنى عبد الرحمن بن الواقفى عن صالح بن حسان عن أبى البداح بن عاصم بن عدى قال : قال العباس بن عبد المطلب : يا رسول الله ما بالُكَ فتحت أبواب رجال فى المسجد ، وما بالك سَدَدْتَ أبواب رجال فى المسجد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ما فتحتُ عن أمرى ولا سددت عن أمرى ، والله أعلم .

---

(١) واجداً : غضبان ، وجد يجد وجداً وموجدة : أى غضب ، وفى حديث الإيمان « إنى سائلك فلا تجد على » أى لا تغضب من سؤالى

الفصل الثانى عشر
فى زيادة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد

سيأتى فى الفصل الرابع عشر من رواية البخارى وأبى داود عن ابن عمر أن أبا بكر رضى الله عنه لم يَزِدْ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، وزاد فيه عمر ، وسيأتى فى رواية لأبى داود أن سَوَارِىَ المسجد نَخِرَتْ فى خلافة أبى أبى بكر ، فبناها بجذوع النخل ، وهو لا ينافى رواية أنه لم يزد فيه ، وقال أهل السير : لم يزد أبو بكر فى المسجد شيئاً لأنه اشتغل بالفتح ، فلما ولى عمر قال : إنى أريد أن أزِيدَ فى المسجد ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينبغى أن يزاد المسجد » مازدت فيه شيئا .

وفى تاريخ اليافعى أن زيادته فيه كانت فى سنة سبع عشرة ، وذكر غيره أنه زاد فى هذه السنة فى المسجد الحرام ، ولم يتعرض لتاريخ زيادته فى مسجد المدينة .

وأسند ابن زَبالة عن أنس قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى أبو بكر لم يحول المسجد ، فلما ولى عمر جعل أساطينه من لَبِن(١) ، ونزع الخشب ، ومده فى القبلة ، وكان حد جدار عمر من القبلة ، على أول أساطين القبلة التى إليها المقصورة : أى التى كانت بين صف الأساطين التى تلى القبلة على الرواق القبلى .

والذى فى صحيح البخارى وسنن أبى داود كما سيأتى أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد ، وبَنَاه على بنائه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللَّبِنِ(١) والجريد ، وأعاد عمده خَشَبا ، وهذا مخالف لما فى رواية ابن زبالة من أن عمر جعل أساطينه من لَبِن(١) ، والمُعَوَّلُ عليه روايةُ الصحيح .

وروى أحمد عن نافع أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد من الأسطوانة

(١) اللبن — بفتح فكسر — الطوب النىء الذى لم يحرق بالنار .

إلى المقصورة ، ، وقال عمر : لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينبغى أن نَزِيد فى مسجدنا » مازدت .

وأسند يحيى عن ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما قال : لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينبغى أن نزيد فى المسجد » ما زدت فى المسجد شيئاً .

وفى رواية له أن ابن عمر قال : إن الناس كثروا فى عهد عمر ، فقال له قائل : يا أمير المؤمنين لو وسَّعْتَ فى المسجد ، فقال عمر : لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إنى أريد أن أزيدَ فى قبلة مسجدنا » ما زدت فيه .

وأسند ابن زَبَالة عن مسلم بن حباب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما وهو فى مصلاه فى المسجد « لو زدنا فى مسجدنا » وأشار بيده نحو القبلة ، فأدخلوا رجلا وأجلسوه فى موضع مصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم رفعوا يَدَ الرجل وخفضوها حتى رأوا أن ذلك نحو ما رأى النبى صلى الله عليه وسلم رفع يده ، ثم مدوا مِقَاطاً[1] فوضعوا طرفه بيد الرجل ، ثم مدوه ، فلم يزالوا يقدمونه و يؤخرونه حتى رأوا أن ذلك فيه بما أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزيادة ، فقدم عمر القبلة ، فكان موضع جدار عمر فى موضع عيدان المقصورة .

بين عمر والعباس

وقال ابن سعد : أنا يزيد بن هارون ، أنا أبو أمية بن يعلى عن سالم أبى النضر قال : لما كثر المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه وضاق بهم المسجد فاشترى عمر ما حول المسجد من الدور إلا دار العباس بن عبد المطلب وحُجَرَ أمهات المؤمنين ، فقال عمر للعباس : يا أبا الفضل ، إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم ، وقد ابتغتُ ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين فى مسجدهم إلا دارك وحُجَرَ أمهات المؤمنين ، فأما حُجَرَ أمهات المؤمنين فلا سبيل إليها ، وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين أوَسِّع بها فى مسجدهم ، فقال العباس : ما كنت لأفعل ، قال : فقال له عمر :

---

(١) المقاط — بكسر الميم ، بزنة الكتاب — حبل صغير شديد الفتل يكاد يقوم من شدة فتله ، قاله ابن الأثير ، وقد وقع فى المطبوعات «مدوا مقطا» بدون ألف .

اُختر منى إحدى ثلاث : إما أن تبيعنيها بماشئت من بيت المال ، و إما أن أخطك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين ، و إما أن تَصَّدَّقَ بها على المسلمين فتوسع فى مسجدهم ، فقال : لا ، ولاواحدة منها ، فقال عمر : اجعل بينى و بينك مَنْ شئت ، فقال : أبى بن كعب ، فانطلقا إلىأبى فقصَّا عليه القصة ، فقال أبى : إن شئتما حدثتكما بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا : حَدِّثْنا ، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله أوحى إلى داود أن اْبنِ لى بيتا أذكر فيه ، فخط له هذه الخطة خطة بيت المقدس ، فإذا تربيعها بزاوية بيت رجل من بنى إسرائيل ، فسأله داود أن يبيعه إياها ، فأبى ، فحدث داود نفسه أن يأخذه منه ، فأوحى الله إليه : أن ياداود أمرتك أن تبنى لى بيتاً أذكر فيه ، فأردت أن تدخل فى بيتى الغَصْبَ ، وليس من شأنى الغَصْبُ ، و إن عقو بتك أن لا تبنيه ، قال: يارب فمن ولدى، قال : فمن ولدك ، فأخذ عمر بمجامع أبى بن كعب فقال: جئتك بشىء فجئت بماهو أشدمنه، لتخرجَنَّ مما قلت[(1)] ، فجاء يقوده حتى دخل المسجد ، فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبوذر ، فقال أبيٌّ : نشَدْتُ الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه إلا ذكره، فقال أبوذر : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال آخر : أنا سمعته، يعنى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرْسَلَ أبيا ، قال : فأقبل أبى على عمر فقال : يا عمر أتتهمنى على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : والله يا أبا المنذر ما اتهمتك عليه ، ولكن أردت أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهراً ، قال : وقال عمر للعباس: اذهب فلا أعرض لك فى دارك ، فقال العباس: أما إذ قلت ذلك فإنى قد تصدقت بها على المسلمين أوسع عليهم فى مسجدهم ،

---

(١) كان عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ شديد الحرص على ألا يروى أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عن تثبت ، وله فى ذلك حوادث كثيرة ، ومقصده بقوله «لتخرجن مما قلت» أن يجيئه بمن يشهد له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك .

فأما وأنت تخاصمنى فلا ، قال : فخط له عمر داره التى هى اليوم ، و بناها من بيت مال المسلمين .

وفى سنن البيهقى قبل كتاب الرجعة عن أبى هريرة رضى الله عنـه قال : لمـا أراد عمر رضى الله عنه أن يزيد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت زيادته على دار العباس رضى الله عنه ، فأراد عمر أن يدخلهـا فى المسجد و يعوضه منها ، فأبى ، وقال: قطيعةُ[1] رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فاختلفا ، فجعل بينهما أبى بن كعب رضى الله عنـه ، فأتياه فى منزله ، وكان يسمى سيد المسلمين ، فأمر لهما بوسادة ، فألقيت لهما فجلسا عليها بين يديه ، فذكر عمر ماأراد ، وذكر العباس قطيعة[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبى رضى الله عنه : إن الله عز وجل أمر عبده ونبيه داود أن يبنى له بيتـا ، قال : أىْ ربّ ، وأين هذا البيت ؟ قال : حيث ترى الملك شاهرا سيفه ، فرآه على الصخرة ، و إذا ماهناك يومئذ أندر[2] لغلام من بنى إسرائيل، فأتاه داود عليه السلام فقال : إنى قد أمرت أن أبنى هذا المكان بيتا لله تعالى ، فقال له الفتى: الله أمرك أن تأخذ منى بغـير رضاى ؟ قال : لا ، فأوحى الله إلى داود إنى قد جعلت فى يَدِكَ خزائنَ الأرض فأرضِهِ ، فأتاه داود عليه السلام فقال : إنى قد أُمِرْتَ برضاك ، فلك بها قنطار من ذهب ، فقال : قد قبلت ، فيا داود هى خير أم القنطار ؟ فقال : بل هى ، قال : فأرضِنِى ، قال : فلك بها ثلاثُ قناطير ، فـلم يزل يشدد على داود حتى رضى منه بتسع قناطير ، قال العباس رضى الله عنه : اللهم لا آخذ لها ثوَابا ، وقد تصدقت بها على جماعة المسلمين ، فقبلها عمر ، فأدخلها فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وهذا يُفهِمُ أن داود صلوات الله وسلامه عليه بنى بيت المقدس ، وأنه

---

(١) قطيعة رسول الله : أى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطعه إياها ، والإقطاع يكون تمليكا يستبد به وينفرد ، ويكون غير تمليك كعارية وإباحة وما أشبه ذلك ، وظاهر من كلام العباس رضى الله عنه أنه كان ملكه هذه البقعة .

(٢) الأندر والبيدر بمعنى ، وهما فى لغة أهل مصر الجرن .

أول مَنْ بناه ، والرواية المتقدمة تقتضى أن سليمان صلوات الله وسلامه عليه هو الذى بناه ، و يؤيده ما روى الطبرانى من حديث رافع بن عميرة مرفوعا قال : قال الله عز وجل لداود : ابْنِ لى بيتا فى الأرض ، و إن داود عليه السلام بنى المسجد ، فلما تم السور سقط ثلثاه ، فشكا ذلك إلى الله تعالى ، فأوحى الله إليه إنه لا يصلح أن يبنى لى بيتا ، وذكر قصة غير ما تقدم ، فشق ذلك على داود ، فأوحى الله تعالى إليه : إنى سأقضى بناءه على يد ابنك سليمان .

وروى النسائى من حديث عمرو بن العاص مرفوعا بإسناد صحيح أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا — الحديث .

وسواء كان البانى له داود أو سليمان عليهما السلام يشكل عليه ما فى الصحيحين عن أبى ذر : سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع على الأرض ، فقال : المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاما ، ووجه الإشكال كما ذكره ابن الجوزى أن إبراهيم عليه السلام بنى الكعبة و بينه و بين سليمان أكثر من ألف سنة ، وقد مشى ابن حبان على ظاهر الحديث المذكور ، فقال : فيه رد على من زعم أن بين داود و إبراهيم ألف سنة ، ولو كان كما قال لكان بينهما أربعون سنة ، وهذا عين المحال ؛ للاتفاق على طول الزمان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ، ثم إن نص القرآن أن قصة داود فى قتل طالوت كانت بعد موسى بمدة .

وأجاب ابن الجوزى بأن الإشاره فى حديث الصحيحين إلى أول البناء ، ووضع أساس المسجد ، وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس ؛ فقد روى أن أول من بنى الكعبة آدم ، ثم انتشر ولده فى الأرض ، فجائز أن يكون بعضُهم قد وضع بيت المقدس بعد ذلك بأربعين سنة ، ثم بنى إبراهيمُ الكعبةَ بنص القرآن .

وذكر ابن هشام فى كتاب التيجان أن آدم عليه السلام لما بنى البيت أمره جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه ، فبناه ونَسَكَ فيه[1] .

وأجاب بعضُهم بأن داود وسليمان عليهما السلام إنما كان لهما من المسجد الأقصى تجديدُه لا تأسيسه ، والذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر

ويشكل على ذلك ذكر القصة المتقدمة ؛ لأنه حينئذ لا يحتاج إلى شراء أرضه ، نعم قال الخطابىُّ : يشبه أن يكون المسجد الأقصى وُضِع قبل داود وسليمان ، ثم زادا فيه ووسَّعاه فأضيف إليهما بناؤه ، فيحتمل حينئذ أن القصة المتقدمة وقعت فيما وقع الأمر بزيادته فيه ، ويؤيد ذلك ما رواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى يحيى الضرير زيد بن الحسن البصرى حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس رضى الله عنهما: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزيد فى المسجد ، ودارك قريبة من المسجد ، فأَعْطِناها نزيدها فيه ، وأقطع لك أوسع منها ، قال : لا أفعل ، قال : إذاً أغلبك عليها ، قال : ليس لك ذلك ، قال : فأجعل بينى و بينك من يقضى بالحق ، قال : ومن هو ؟ قال : حُذَيفة بن اليمان ، قال : فجاءوا إلى حذيفة رضى الله عنه ، فقصوا عليه ، فقال حذيفة : عندى فى هذا خبر ، قالوا : وما ذاك ؟ قال : إن داود النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يزيد فى بيت المقدس ، وقد كان بيتٌ قريب من المسجد لِيَتِيمٍ ، فطلب إليه فأبى ، فأراد أن يأخذه منه ، فأوحى الله عز وجل إليه إنَّ أنزَهَ البيوتِ عن الظلم لَبَيْتِى ، قال : فتركه ، فقال له العباس : فبقى شىء ؟ قال : لا ، قال : فدخل عمر المسجد فإذا ميزاب للعباس شارعٌ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسيل ماء المطر منه ، فقال عمر بيده فقلَع الميزاب ، فقال : هذا الميزاب لا يسيل فى مسجد رسول الله

---

(١) نسك فيه : النسك ــ بضم النون والسين جميعاً ــ العبادة والطاعة وكل ما تقرب به إلى الله تعالى ، وما أمرت به الشريعة ، والناسك : العابد ، وأصل مأخذه من النسيكة ، وهى سبيكة الفضة المصفاة ، كأنه سمى بذلك لأنه صفى نفسه لله تعالى .

صلى الله عليه وسلم ، فقال له العباس : والذى بعث محمدا بالحق إنه هوالذى وضع هذا الميزاب فى هذا المكان ونزعْتَه أنت يا عمر ، فقال عمر رضى الله عنه : ضَعْ رجليك على عنقى لترده إلى ما كان ، ففعل ذلك العباس ، ثم قال العباس رضى الله عنه [قد أعطيتك الدار تزيدها[1]] فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزادها عمر فى المسجد، ثم قطع للعباس دارا أوسع منها بالزوراء ،وقال الحاكم : هذا الحديث كتبناه [عن أبى جعفر وأبى على الحافظ[1]] ولم يكتبه إلا بهذا الإسناد ، والشيخان لم يحتجا بعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال : وقد وجدت له شاهدا من حديث أهل الشام ، ثم ساقه من طريق شعيب الخراسانى عن عطاء الخراسانى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أراد أن يزيد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت منازعة على دار العباس ، فذكر نحوه .

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن عبد الله بن أبى بكر قال : كان للعباس بيت فى قبلة المسجد ، وكثر الناس ، وضاق المسجد ، فقال عمر للعباس : إنك فى سَعَة فأعطنى بيتك هذا أوسع به فى المسجد ، فأبى العباس ذلك عليه ، فقال عمر : إنى أثمنك وأرضيك ، قال : لا أفعل ، لقد ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عاتقى وأصلح ميزابه بيده فلا أفعل ، قال عمر : لآخذنَّه منك، فقال أحدهما لصاحبه : فاُجعل بينى و بينك حكما ، فجعلا بينهما أبى بن كعب ، فأتياه فاستأذنا على الباب، فحَبَسهما ساعة ثم أذن لهما وقال : إنما حبستكما أنى كنت كما كانت الجارية تغسل رأسى ، فقص عليه عمر قصته، ثم قص عباس قصته، فقال: إن عندى علما مما اختلفتما فيه ، ولأقضين بينكما بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : إن داود لما أراد أن يبنى بيت المقدس وكان بيت ليتيمين من بنى إسرائيل فى قبلة المسجد

---

(١) هذه الزيادة عن كتاب المستدرك لأبى عبدالله الحاكم (ج٣ ص ٣٣٢ طبع حيدرأباد سنة ١٣٤١) وفى موضعها بياض فى أصول كتابنا هذا .

فأراد منهما البيع فأبيا عليه ، فقال: لآخذنه ، فأوحى الله عز وجل إلى داود : إن أغنى البيوت عن المظالمة بيتى ، وقد حرمت عليك بنيان بيت المقدس، قال: فسليمان، فأعطاه سليمان ، فقال عمر لأبى : ومن لى بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ؟ فقال أبى لعمر : أتظن أنى أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لتخرجن من بيتى ، فخرج إلى الأنصار فقال : أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا ؟ فقال هذا : أنا ، وقال هذا : أنا ، حتى قال ذلك رجال ، فلما علم ذلك عمر قال : أما والله لو لم يكن غيرك لأجزت قولك ، ولكنى أردت أن أستثبت .

وفى رواية ليحيى عن أبى الزناد أنّ عمر بن الخطاب لما زاد فى المسجد دعا مَنْ كان له إلى جانبه منزل فقال : اختاروا منى بين ثلاث خصال : إما البيع فأثمن ، وإما الهبة فأشكر ، وإما الصدقة على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه الناس ، وكان للعباس دار عن يمين المسجد ،فدعاه عمر، فقال : ياأبا الفضل اختر منى بين ثلاث خصال ، وذكر نحو ما تقدم ، فقال العباس : ماأجيبك إلى شىء مما دعوتنى إليه ، فقال عمر : إذاً أهدمها ، فقال العباس : مالك ذلك ، وذكر التحاكم إلى أبى ، وقصّةَ بيت المقدس مع مخالفةٍ فى ذكر قصته لبعض ما تقدم .

وفى رواية له عن ابن عمر أن عمر رضى الله عنه كلّم العباس فى داره ، وكانت فى ما بين موضع الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم ، قطيعةً كان قطع له النبى صلى الله عليه وسلم ، فكلمه عمر رضى الله عنه يُدْخِلها فى المسجد ، وأعطاه بها ثمنا حسنا ، وقال : يا أبا الفضل إن الناس قدشكَوْا ضيق مسجدهم ، وأحبّوا الاتساع ؛ فأبى العباسُ أن يبيعه، فقال عمر : أنا أعطيك خيرا منها فى أى نواحى المدينة شئت ، فأبى العباس ذلك ، فقال عمر : فتصدَّقْ على الناس ، فأبى

فقال عمر : لآخذنه ، فقال العباس : ليس ذلك لك ، قال عمر : اجعل بينى و بينك رجلا ، فجعلا أبى بن كعب ، فأتياه فحبسهما ساعة ثم أذن لهما ثم قال : إن جاريتى كانت تغسل رأسى ، فأيكما يستعدى على صاحبه ؟ فقال عمر : أنا ، جعلناك حكما بيننا ، وما رأيتَ من أمرٍ لزمَنَا ، فقال أبى : ماتقول يا أبا الفضل ؟ قال : أقول ذلك ، فذهب عمر يتكلم ، فقال أبى : تكلم يا أبا الفضل ، دَعْه يابن الخطاب يتكلم لمكانه من نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلم العباسُ فقال : هذه خِطّة خَطَّها لى رسول الله صلى اعليه وسلم وابتنيتهُا و بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم معى ، وهو والله شَدَّ هذا الميزاب الذى يصبُّ فى المسجد ، وذكر القصة أيضا ، وأن العباس قال : أما إذ قضيت به لى فهوصدقة على المسلمين أما والله يا عمر لقد هَدَمْتَ الميزابَ وما شددتُه إلا ورجلاى على عاتِقَىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : فو الله لاتشدُّه إلا ورجلاك على عاتقى ، قال : ثم هدم الدار ووسّع فى المسجد وغَيَّرَ جذوعا كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أسفلها قد أكلته الأرَضَة .

وقد أورد رزين فى كتابه خبر ابن عمر المتقدم ، ولفظه: عن نافع عن ابن عمر قال : إن الناس كثروا فى عهد عمر رضى الله عنه ، فقالوا له : يا أمير المؤمنين لو وسّعْتَ لنا فى المسجد ، فزاد فيه عمر ، فكلم عمر العباس فى داره ، وكانت لاصقةً بالمسجد ، وقال له : أعطيك خيرا منها وتصدّقْ بها على الناس، فأبى العباس ، وقال : خطّها لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ووضع ميزابها بيده ، فقال عمر : فإنى آخذها ، قال العباس : ليس لك ذلك ، فجعلا بينهما أبيا ، فحجبهما ساعة ثم أذن لهما فقصّا عليه خبرهما، فقال : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لما أراد داود عليه السلام أن يبنى بيت المقدس كان ليتيمين من بنى إسرائيل بيتٌ فى الموضع الذى خط أن يبنى المسجد عليه ، فقال لهما : بِيعَاهُ منى

(١) الخطة ـ بالكسر ـ الأرض يختطها الإنسان لنفسه ، بأن يعلم عليها علامة ويخط عليها خطا ليعلم أنه قد احتازها ، قاله ابن الأثير .

ورغبهما فى الثمن ، فباعاه ثم قالا له : الذى أخذت منا خير أم الذى أعطيتنا ؟ قال الذى أخذت ، قالا : فإنا لا نجيز البيع ، فزادهما حتى كان ذلك منهما ومنه سبع مرات ، فقال : أزيدكما كذا وكذا على أن لا تسألانى ، فقالا له : نبيعك بحكمنا ولا نسألك ، قال : افعلا ، فطلبا منه مالا كثيرا ، فتعاظم ذلك داود [١] ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى داودَ : إنْ كنت إنما تعطيهما من مالك فأنت أعلم ، وإن كنت إنما تعطيهما من رزقنا فأعْطهما حتى يرضَيا فإن أغنى البيوت عن مظلمةٍ بيتى ، وقد حرمت عليك بناءه ، فقال داود : يارب فأعطه سليمان ، فقضى به أُبَيٌّ للعباس : فقال العباس : أما إذ قضيتَ لى به فهو صدقة على المسلمين ، فذهب عمر فهدَم الميزابَ فأسف العباسُ لما وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال : والله لقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن رجليه لعلى عاتِقَيَّ ، فقال عمر للعباس : والله لتردَّنه ورجلاك على عاتِقَيَّ ، فرده ، ثم قال عمر للعباس : اُهدم الآن بيدك .

وقد روى أن نزع الميزاب كان قبل ذلك لأجل أنه كان يسكب الماء داخل المسجد المزوقه به [٢] ، انتهى لفظ رواية رزين .

وروى يحيى بسند جيد عن سفيان ابن عُيَينة عن موسى بن أبى عيسى قال : كان فى دار العباس ميزابٌ يصب فى المسجد ، فجاء عمر فقلعه ، فقال العباس : إن النبى صلى الله عليه وسلم الذى وضعه بيده ، فقال عمر للعباس : لا يكن لك سُلَّم إلا ظهرى حتى ترده مكانه .

وروى ابن إسحاق عن أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن عبد الله بن عباس قال : كان للعباس ميزاب على طريق عمر ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذُبِحَ للعباس فرخان ، فلما وافى الميزاب صب فيه ماء من دم الفرخين ،

---

(١) تعاظم ذلك : رآه عظيما ، يريد أنه استكثر المقدار الذى طلبا .

(٢) المزوقه به : يعنى أنه واقع فى اصق المسجد ، والزاى والسين والصاد حروف يقع بعضها موقع بعض .

فأصاب عمر ، فأمر عمر بقلعـه ، ثم رجع فطرح ثيابه ، ثم لبس غيرها ، ثم جاء فصلى بالناس ، فأتاه العباس فقال : والله إنه الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر للعباس : فأنا أعزم عليك[١] لمـا صَعَدْتَ على ظهرى حتى تضعه فى الموضع الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيه[٢]] ، ففعل ذلك العباس .

ورواه الإمام أحمد فى مسنده من حديث هشام بن سعد عن عبيد الله بن عباس أخى عبد الله فذكره ، وكذا رواه ابن سعد ، وقال ابن أبى حاتم : إنه سأل أباه عنه ، وقال : هو خطأ ، وأخرجه ابن سعد من طريق موسى بن عبيدة عن يعقوب أن عمر خرج فى يوم جمعة ، فذكره بنحوه .

وروى يحيىٰ عن أبى مصعب الزهرى الفقيه قال: حدثنا يوسف بن الماجشون عن الثقة أنه كان فى دار مروان ميزابٌ يصبُّ على الناس إذا خرجوا من المسجد فى المطر ، وكانت دار مروان للعباس بن عبد المطلب ، فأمر عمر بن الخطاب بذلك الميزاب فنُزِع ، فجاءه العباس بن عبدالمطلب فقال : أما والله لوضعَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده ، قال : فأعاده عمر حيث كان ، وقال : والله لا تعيده إلا وأنت على رقبتى ، فأعاده العباسُ يومئذ على رقبة عمر .

قلت : وهذه الدار بقية من التى وقع النزاع المتقدم فيها ، ونسبتها إلى مروان لما سيأتى أنها دخلت فى داره ، وروى أنها مِرْبَدُها، فـكأن هذا الميزاب كان فى تلك البقية ، فيجمع بين الروايات بأنه كان للدار المذكورة ميزابان : ميزاب يصب فى المسجد ، وميزاب يصب فى الطريق ، واتفق فى كل منهما قصة ، ويؤيد ذلك ماروا يحيى فى زيادة عثمان رضى الله عنه عن الأعمش قال : بنى عباس بن عبدالمطلب داره التى إلى جنب المسجد ، فجعل يرتجز يقول :

---

(١) أعزم عليك : أشدد عليك وأوجب وأؤكد

(٢) كلمة « فيه» ساقطة من المطبوعات كلها .

بنيتهـا باللبن والحجـاره * والخشـبات فوقها مطاره
* يا ربنا بارك لأهل الداره [١] *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك فى هذه الداره ، قال : وجعل العباس ميزابها لاصقاً بباب المسجد يصب عليه ، فطرحه عمر بن الخطاب ، فقال عباس : أما والله ما شدّه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لعَلَى [٢] منكبىّ ، فقال له عمر : لا جرَمَ والله لا تشده إلا وأنت على منكبىّ [٢] ، فشده عمر ، وابتاع عثمان بن عفان تلك الدار فزادها فى المسجد إلا ثلاثة عشر ذراعاً أو أربعة عشر ذراعاً ، فقال : لا أدرى كان ابتاع البقية أم لا ؟ .

قلت : فالذى يظهر أن العباس أبقى لنفسه بقية الدار بعد أخذ ما احتيج إلى زيادته منها ، وأنه كان فى تلك البقية ميزاب ، فلما أحدث عمر الباب الذى عند دار مروان كما سيأتى صار الميزاب يصب على الباب فى طريق المسجد ، ثم اشترى عثمان من تلك البقية ما احتاج إلى إدخاله فى زيادته .

وروى ابن أبى الدنيا قصةَ دار العباس هذه مطولة ، وقال : إن العباس قال لعمر : أما والله ما شدّه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه ، حَمَلنى والله على عاتقه حين شده ، قال : وبعضُ الناس يقول : بل العباسُ حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن عقبة ـ يعنى راويه ـ : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع قدميه على رقبة أبيه أو عمه ، ولكنه حمل العباس على عاتقه ، وقولُ يحيى فى رواية ابن عمر المتقدمة « وكانت — يعنى دار العباس — فيما بين الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم » أى والباب الذى يلى دار مروان لدخول بعضها فى دار مروان . قال الزين المراغى : وسيأتى بيان المربعة ، أى فى زيادة عثمان رضى الله

(١) الدارة ، والدار : بمعنى واحد .
(٢) المنكب ـ بفتح الميم وكسر الكاف ـ وهو ما بين الكتف والعنق .

عنه ، وقد ذكر هناك تبعاً للمطرى أنها الأسطوانة التى فى صف الأساطين التى تلى القبلة ، وقد رفع أسفلها مربعا قدر الجلسة .

قلت : والتى تليها مربعة أيضا ، وهى التى تلى دار مروان ؛ فهى المراد هنا كما قدمنا الإشارة إليه فى تحديد المسجد النبوى ، وهى الخامسة من المنبر فى جهة المغرب ، فيكون ابتداء زيادة عمر رضى الله عنه من جهة المغرب من الأسطوانة المذكورة ، خلاف قول المطرى والمراغى إن المربعة التى ذكراها قبل هذه منتهى زيادة عمر رضى الله عنه ، وكيف يكون منتهى زيادته مع كونها مبتدأ دار العباس التى هى أول الزيادة ؟ وأيضا فذَرْعُ ما بين الأسطوان التى ذكراها والحجرة الشريفة نحو تسعين ذراعا ، وقد قال يحيى فى رواية ابن عمر أيضا « إن المسجد كان طوله أى من القبلة إلى الشام على عهد عمر رضى الله عنه أربعين ومائة ذراع وعرضه عشرون ومائة ، وطول السقف أى ما بينه و بين الأرض أحد عشر ذراع » انتهى . وكيف يصح أن يكون الأسطوان المذكور نهاية زيادته ؟ بل ابتداء زيادته من الأسطوان التى تليها ، فيكون زيادته بعد الأسطوان المذكورة فى جهة المغرب عشرين ذراعا ، لما قدمناه من رواية أن المسجد كان عرضُهُ مائة ذراع فزيادته عشرون ، وذلك نحو أسطوانين ، فيكون نهاية المسجد فى زمنه من تلك الجهة الأسطوانة السابعة من غربى المنبر ، ومن المشرق الحجرة الشريفة ، لأنه لم يزد فى تلك الجهة شيئا ، ومن القبله صف الأساطين التى تلى القبلة ، وكانت إليها المقصورة الآتى ذكرها ، وقد احترقت ، ومن بقاياها خشبة فى سفل الأسطوان التى فى هذا الصف عن يسار مستقبل المحراب العثمانى ، مثبتة تلك الخشبة فى الأسطوان المذكور مما يلى الأرض ، وقد زالت فى الحريق الثانى ؛ فزيادة عمر رضى الله عنه من جهة القبلة الرواق المتوسط بين الروضة ورواق القبلة ، وذلك نحو عشرة أذرع ، وأما الشام فيستفاد من كون المسجد كان طوله فى زمنه أربعين

ومائة ذراع ، وأن منها فى جهة القبلة نحو عشرة أذرع أنه يمتد فى زمنـه بعد الحجرين المتقدم ذكرهما فى حدود المسجد الأصلى اللذين فى صحنه نحو ستين ذراعا ؛ لأنا قدمنا أن من مقدم المسجد الأصلى إليهما نحو السبعين فقط .

و بقى أمر آخر لم أر من نبه عليه ، وهو أن حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كان بعضها فى جهة الشام كما تقدم ، ومقتضى ما قدمناه من رواية ابن سعد — وهو ظاهر ما سيأتى فى زيادة الوليد — أن عمر رضى الله عنه لم يُدْخِل منها شيئا فى المسجد ، و إنما أدخلها الوليد ، فـكأن عمر ترك ما كان منها فى جهة الشام قائما على حاله ، وصار المسجد حواليها .

وقال السيد القرافى فى ذيله : واشترى عمر أيضا نصفَ موضع كان خطه النبى صلى الله عليه وسلم لجعفر بن أبى طالب وهو بالحبشة دارا بمائة ألف فزاده فى المسجد .

قلت : سيأتى من رواية يحيى أن الذى شَرَى ذلك عثمان رضى الله عنـه ، كذا فى النسخة التى رواها ابن ابنه الحسن بن محمـد عنه ، ثم رأيت فى النسخة التى رواها ابنه طاهر عنه ما ذكره القرافى ، ولم يذكر ابن زبالة ويحيى وغيرهما إدخال عمر دار أبى بكر رضى الله عنه فى المسجد ، و يتعين أن يكون عمر هو الذى أدخلها ؛ لمـا سبق فى الفصل قبله من أن باب خَوْخَتها كان غربىّ المسجد ، وأن الخوخة المجعولة فى محاذاتها عند إدخال الدار هى الخوخة الموجودة اليوم غربى المسجد ، وهذا لا خلاف فيه عند المؤرخين ، ولهذا قال ابن النجار نقلا عن أهل السير : كانت خَوْخَة أبى بكر فى غربى المسجد ، فعلمنا بذلك أن دار أبى بكر كانت فى غربى المسجد ، وأن عمر رضى الله عنه أدخلها ، لـكن قال الحافظ ابن حجر : إن ابن شبة ذكر فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى أذِنَ له فى إبقـاء الخوْخَة منها إلى المسجد كانت مُلاَصقة للمسجد ، ولم تزل بيد أبى بكر حتى احتـاج

إلى شيء يُعْطيه لبعض مَنْ وفد عليه ، فباعها ، فاشترتها منه حفصة أم المؤمنين بأربعة آلاف درهم ، فلم تزل بيدها إلى أن أرادوا توسيعَ المسجد فى خلافة عثمان ، فطلبوها منها ليوسعوا بها المسجد ، فامتنعت وقالت : كيف بطريقى إلى المسجد ؟ فقيل لها : نعطيك دارا أوسَعَ منها ونجعل لك طريقا مثلها ، فسلَّمت ورضيت .

قلت : هذه القصة إنما ذكرها ابن شبة فى دار حَفْصَة التى فى قبلة المسجد(١) ، وذكر معها شراءها لدار أبى بكر المذكورة بصيغة تقتضى التضعيف ، واقتضى ذلك أن دار أبى بكر كانت فى قبلة المسجد على تلك الرواية الضعيفة ، وأن طريق آل عمر اليوم منها ، فنسب إليه الحافظ ابن حجر الجزمَ به(٢) ، وليس الأمر كذلك كما سنوضحه إن شاء الله تعالى فى الفصل الرابع عشر .

وقال يحيى فى روايته المتقدمة : وجعل أساطينه من جُذُوع نخل وسقفه بالجريد ذراعين فوق المسجد سترة حائطه ثلاثة أذرع ، وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله : وسقفه جريد ذراعان ، وبنى فوق ظهره سترة ثلاثة أذرع ، انتهى . والذى يظهر أن فى عبارة يحيى خللا ، وتبعه عليه ابن النجار ، وأن المراد ما ذكره رزين فى هذه الرواية بعينها ، فإنه قال فيها : وجعل عمر سترة المسجد فوقه ذراعين أو ثلاثة ، فكأن لفظ « أو » سقط قبل قوله ثلاثة أذرع .

وقال يحيى ورزين عقب ذلك : وكان بَنَى أساسَه بالحجارة إلى أن بلغ قامة ، زاد يحيى : وكان لبنه ضَرَبه بالبقيع ، وجعل له ستة أبواب : بابين عن يمين القبلة ، وبابين عن يسارها ، وبابين خلف القبلة ، ولم يغير باب عاتكة — أى المعروف بباب الرحمة — ولا البابَ الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فتَح الباب الذى عند القبر ، فهذان البابان من الشق الأيسر : أى

---

(١) يريد فى جهة القبلة منه .

(٢) الجزم به : أى القطع به وعدم التردد فيه .

المشرق ، وفتح الباب الذى عند دار مروان بن الحكم ، وفتح بابين من مؤخر المسجد ، انتهى .

وقوله : « إنه لم يغير باب عاتكة ، ولا الباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم » مُسَلَّم فى الباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم . قال المراغى تبعاً للمطرى : وهو باب جبريل ؛ لأنه لم يزد فى جهة المشرق شيئاً ، وأما باب عاتكة ففيه نظر ؛ لأنه زاد من جهة المغرب كما تقدم ، فالمراد بكونه لم يغير أنه أخره فى محاذاة الباب الأول ، وهذه الرواية تقتضى أن الباب المعروف اليوم بباب النساء لم يكن موجودا فى زمن عمر رضى الله عنه ؛ لأن المستفاد مما ذكره أن الباب الذى زاده فى جهة المشرق جعله عند القبر ، ولعله تصحيف ؛ لأنه إذا لم يزد من جهة المشرق شيئا كيف يحدث بابا عند القبر ويترك الجهة التى زادها من جهة الشام بغير باب ؟ والمنقول كما سيأتى أن إحداث الباب الذى عند القبر إنما هو فى زيادة الوليد ، وسيأتى فى سبب تسميته باب النساء أن عمر رضى الله عنه قال حين بنى المسجد : هذا باب النساء ، كما رواه يحيى ؛ فتبين أن باب النساء هو الباب الباقى فى جهة المشرق على عهد عمر رضى الله عنه ، وأنه الذى أحدثه ، وسيأتى فى زيادة عثمان عند ذكر اقتصاره على الأبواب التى جعلها عمر ما هو كالصريح فى ذلك ، والله أعلم .

وفى البخارى تعليقا عن أبى سعيد قال : أمر عمر ببناء المسجد ، وقال : أَكِنَّ الناس من المطر ، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس(١) .

وروى ابن شبة ويحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن مايح بن سليمان عن ابن أبى عمرة قال : زاد عمر بن الخطاب فى المسجد من شاميه ، ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجَبَّانة كان مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زاد

---

(١) أكن الناس فيه : أى أسترهم فيه ، و« إياك أن تحمر أو تصفر » يريد لا تجعل فيه ألواناً من الطلاء ، فتشغل الناس بالنظر إليه عن الخشوع الواجب للصلاة .

يحيى : وجاء الله بعامر، وعبد العزيز هو ابن أبي ثابت ، تركوه ، كانت كتبه قد قد احترقت فحدّث من حفظه فاشتد غلطه .

وروى يحيى من طريق ابن زبالة وهو ضعيف : حدثنى محمد بن إسماعيل عن ابن أبي ذئب قال : قال عمر بن الخطاب : لو مُدَّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذى الحليفة لكان منه ، ورواه ابن شبة من طريق أبى غسان المدنى بدل ابن زبالة ، وعلى كل حال هو مُعْضَل (١) .

وروى ابن شبة ويحيى والديلمى فى مسند الفردوس بسندٍ فيه متروكٌ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو بنى هذا المسجد إلى صَنْعاء كان مسجدى، وكان أبو هريرة يقول : لو مد هذا المسجد إلى باب دارى ما عَدَوْت أن أصلى فيه ، ثم قال يحيى : وحدثنا هرون بن موسى نبأ عمر بن أبى بكر الموصلى عن ثقاتٍ من علمائه قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا مسجدى ، وما زيد فيه فهو منه ، ولو بلغ بمسجدى صنعاء كان مسجدى .

قلت : وهو منقطع ، لكن اجتماع هذه الروايات تقوى ماقدمناه فى آخر الفصل الثانى عن مالك رحمه الله من أن المضاعفة الواردةَ فى المسجد النبوى تعم مازيد فيه ، والله أعلم .

الفصل الثالث عشر

فى البطيحاء التى بناها عمر رضى الله عنه بناحية المسجد ، وَمَنْعه من إنشاد الشعر ورفع الصوت فيه ، وماجاء فى ذلك .

روى ابن شبة ويحيى بسندٍ جيد عن سالم بن عبد الله أن عمر — يعنى ابن الخطاب — اتخذ مكانا إلى جانب المسجد يقال له « البطيحاء » وقال : مَنْ أراد

---

(١) المعضل من الحديث : نوع من المنقطع ، وهو — فى الأشهر — الذى سقط من رواته اثنان على الولاء فأكثر ، وذلك بأن يروى تابع التابعى حديثا يقفه على التابعى ، فيسقط منه الصحابى والرسول صلى الله عليه وسلم ، مثلا .

أن يلغط[1] أو يرفع صوتا أو ينشد شعرا فليخرج إليه، ولَفْظُ يحيي : أن عمر بن الخطاب بَنَى فى ناحية المسجد رحبة تدعى البطيحاء ، ثم قال: مَنْ أراد أن يلغط[1] أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إلى هذه الرحبة ، زاد ابن شبة عقيب روايته من طريق محمد بن يحيي : قال محمد : وقد دخَلَتْ تلك البطيحاء فى المسجد فيما زيد فيه بعد عمر رضى الله عنه .

وذكر ابن شبة فى موضع آخر مايبين أن البطيحاء كانت فى جهة شرقى المسجد مما يلى مؤخره زمَنَ عمر رضى الله عنه ، فإنه قال : اتخذ خالد بن الوليد داره التى كانت بالبطيحاء ، إلى آخر ما سيأتى عنه ، مع بيان أنها الرِّبَاط المعروف اليوم برباط السبيل فى شرقى المسجد

وروى ابن شبة أيضا بسند جيد عن ابن عمر أن عمر رضى الله عنه كان إذا خرج من الصلاة نادى فى المسجد : إياكم واللغَطَ [1]، ويقول : ارتفعوا فى أعلى المسجد

ورواه يحيى بلفظ : كان إذا خرج إلى الصلاة

و وى ابن شبة بسند جيد إلا أن فيه عنعنة ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة أن عمر رضى الله عنه سمع ناسا من التجار يذكرون تجارتهم والدنيا فى المسجد ، فقال: إنما بنيت هذه المساجد لذكر الله ، فإذا ذكرتم تجاراتكم ودنياكم فاخرجوا إلى البقيع

وروى أيضا عن شيخه سليمان بن داود قال : حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع صوتَ رجلٍ فى المسجد ، فقال : أتدرى أين أنت ؟ كأنه كره الصوت

وعن عبد الرحمن بن حاطب قال : كان بين عثمان وطلحة تَلَاحٍ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبلغ عمر رضى الله عنه ، فأتاهم وقد ذهب عثمان

---

(١) لغط يلغط لغطا — بوزن فرح يفرح فرحا — ضج وصوت صوتا لا يفهم معناه

و بقى طلحة ، فقال : أفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولان الهُجْرَ ومالا يصلح من القول ؟ قال: فجثا طلحة على ركبتيه وقال : إنى والله لأنا المظلوم المشتوم ، فقال : أفى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تقولان الهُجْرَ ومالا يصلح من القول ؟ ما أنت منى بِنَاج ، فقال : اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين ، فوالله إنى أنا المظلومُ المشتوم ، فقالت أم سلمة من حُجْرتها : والله إن طلحة لهو المظلوم المشتوم ، قال : فـكفّ عمرُ رضى الله عنه

وعن السائب بن يزيد قال : كنت مضطجعا فى المسجد ، فحَصَبنى رجل[1] ، فرفعتُ رأسى ، فإذا عمر رضى الله عنه فقال : اذْهَبْ فأتنى بهذين الرجلين ، فجئت بهما ، فقال : مَنْ أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد ما فارقتمانى حتى أوجعكما جَلْدا ، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

وعن طارق بن شهاب أن عمر رضى الله عنه أتى برجل فى المسجد وقد أخذ فى شىء ، فقال : أَخْرِجاه من المسجد فاضرباه ، أو أضربوه

وروى يحيى عن نافع أن عمر بينما هو فى المسجد عِشاء إذ سمع ضحك رجل ، فأرسل إليه فقال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من ثقيف ، فقال : أمن أهل البلد أنت ؟ فقال : بل من أهل الطائف ، فتوعّده فقال : لو كنتَ من أهل البلد لنكّلت بك ، إن مسجدنا هذا لا تُرْفع فيه الأصوات

وعن ابن سيرين أن ابن مسعود سمع رجلا يرفع صوته فى المسجد ، فسَبّه ، فقيل له : ما كنت فَحّاشا ، فقال : أُمِرْنا بهذا

وروى ابن زبالة و يحيى عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مَرّ بحسّان ابن ثابت وهو ينشد فى المسجد ، فلحظ إليه ، فقال حسان : قد كنتُ أنشد وفيه من هو خير منك ، ثم التفت إلى أبى هريرة فقال : أَنْشُدُكَ الله هل سمعت

---

(١) حصبنى : رمانى بالحصباء ، وهى صغار الحصى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أَجِبْ عنى ، اللهم أيده بروح القدس » قال : اللهم نعم ، وقد رواه البخارى فى الصحيح بنحوه ، وفى رواية ليحيى عقب قوله « قد كنت أنشد فيه من هو خير منك » فانصَرَفَ عمر وقد عرف أنه يريد النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية ذكرها الحافظ ابنُ حجر فقال : كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ، وفى الترمذى من طريق أبى الزناد عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْصِبُ لحسان منبرا فى المسجد ، فيقوم عليه يهجو الكفار

وأما ما رواه ابن خزيمة فى صحيحه والترمذى وحسنهُ من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن تناشد الأشعار فى المساجد ، قال الحافظ ابنُ حجر : صحيح إلى عمرو ، فمن يصحح نسخته يصححه ، وفى هذا المعنى عدة أحاديث ، لكن فى أسانيدها مَقَال ، والجمع بينها و بين ما تقدم أن يُحمَل النهى على تناشد أشعار الجاهلية والمُبْطِلين ، وهو مراد عُمَرَ بقوله : من أراد أن ينشد شعرا فليخرج إلى هذه ، يعنى البطيحاء ، والمأذون فيه ما سَلِمَ من ذلك ، وقيل : المنهى عنه ما إذا كان غالبا على المسجد حتى يتشاغل به مَنْ فيه ، وأبعد بعضُهم فأعمَلَ أحاديث النهى ، وادعى نسخَ الإذن ، ولم يوافَقْ على ذلك . وروى ابن زبالة عن على بن زيد بن جدعان قال : أنشد كعبُ بن زُهَيْر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد أبياتا

* بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِى اليومَ مَتْبُول[1] * والله أعلم

الفصل الرابع عشر

فى زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه

روينا فى صحيح البخارى وسنن أبى داود عن نافع أن عبد الله — يعنى ابنَ عمر — أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هذا صدر مطلع قصيدة كعب ، وعجزه * متيم إثرها لم يفد مكبول * .

مَبْنِيًّا باللبِن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر و بناه على بنائه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشباً ، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كبيرة ، و بنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّةِ [1] ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج

وروى أبو داود أيضا — وسكت عليه — عن عطية عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن مسجد النبى صلى الله عليه وسلم كانت سَوَاريه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جُذُوع النخل ، أعلاه مُظَلَّل بجريد النخل ، ثم إنها نَخِرَتْ فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فبناها بجُذُوع النخل و بجريد النخل ، ثم إنها نَخِرَتْ فى خلافة عثمان رضى الله عنه فبناها بالآجُرِّ ، فلم تزل ثابتة حتى الآن ، هكذا رأيته فى أصول متعددة معتمدة من السنن ، وأورده المجد بلفظ : ثم إنها نخرت فى خلافة عمر — بدل أبى بكر — ولم أره فى شىء من النسخ .

وفى هذا الخبر ما يقتضى أن السبب فى بناء عثمان للمسجد كون الجذوع التى هى السوارى نَخِرَت ، وأن عثمان بناها بالآجر لا الحجر ، فلعل البعض كان فى زمنه مبنيا بالآجر وهو بعيد ، وماتقدم من رواية الصحيح أصح .

وفى صحيح مسلم عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان أراد بناء المسجد ، فكره الناسُ ذلك ، وأحبوا أن يَدَعَه على هيئته ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ بنى « مسجداً لله » بنى الله له فى الجنة مثله

وفيه وفى البخارى عن عبيد الله الخَوْلاَنِى أنه سمع عثمان عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول : إنكم قد أكثرتم ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ بنى مسجدا لله عز وجل ، الحديثَ

وقوله فى الرواية الأولى إن عثمان أراد بناء المسجد يبين أن المراد من قوله حين بناء المسجد حين أراد بناءه ، إلا أن يكون ذلك قد تكرر من عثمان

(١) القصة — بفتح القاف وتشديد الصاد مفتوحة — الجص ، وسمى موضع قرب المدينة بذى القصة لأنه قد كان به قصة : أى جص .

لتكرر كلامهم قبل البناء و بعده ، وهو الأقرب ، وقوله « وأحبوا أن يَدَعه على هيئته » أى بجذوع النخل واللبِن كما فعل عمر رضى الله عنه لموافقته لفعله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال البغوى فى شرح السنة : لعل الذى كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة ، لا مجرد توسيعه ، اهـ . ويؤيده ما سيأتى من أن الناس شَكَوْا إليه ضيقَ المسجدِ ؛ فقوله « لما أراد عثمان بناء المسجد » أى على الهيئة التى بناه عليها ، ويؤخذ من هذا إطلاق البناء المرغَّب فيه فى حق من جَدَّد ووسَّع ؛ لأن عثمان لم يبن المسجد كله إنشاء ، وقوله « إنكم أكثرتم » أى الكلامَ بالإنكار ونحوه

وروى يحيى عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : لما ولى عثمان بن عفان سنة أربع وعشرين كلَّمه الناسُ أن يزيد فى مسجدهم ، وشكوا إليه ضِيقَه يوم الجمعة ، حتى إنهم لَيُصَلّون فى الرحاب ، فشاور فيه عثمان أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه ، فصلى الظهر بالناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنى قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزيد فيه ، وأشهد لَسَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة ، وقد كان لى فيه سَلَف و إمام سبقنى وتقدمنى عمر بن الخطاب ، كان قد زاد فيه و بَنَاه ، وقد شاورتُ أهل الرأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجمعوا على هدمه و بنائه وتوسيعه ، فحسَّنَ الناسُ يومئذ ذلك ودعوا له ، فأصبح فدعا العمال و باشَرَ ذلك بنفسه ، وكان رجلا يصوم الدهر و يصلى الليل ، وكان لايخرج من المسجد ، وأمر بالقَصَّة المنخولة تعمل ببطن نخل ، وكان أول عمله فى شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين ، وفرغ منه حين دخلت السنة لهلال المحرم سنة ثلاثين ، فكان عمله عشرة أشهر .

قلت : قوله أولا «لما ولى عثمان سنة أربع وعشرين» إلى قوله «فأصبح ودع العمال» يفهم أنه فى تلك السنة ، وقوله أخيراً «وكان أول عمله إلى آخره» يأباه ، وما ذكره أخيراً هو الصواب المذكور فى كلام غيره ؛ فيحمل ما ذكره أولا على أنه لم يَشْرَع فى المشاورة والعمارة عقب كلام الناس له ، بل استمر تلك السنين ، وربما تكرر الكلام فخطبهم فى السنة التى وقعت فيها العمارة .

وقد روى رزين الخبر المذكور عن المطلب المذكور بلفظ : لما ولى عثمان وكان سنة أربع من خلافته كلمهُ الناس أن يزيد فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكوا إليه ضيقه ، فشاور عثمان أهل الرأى، فأشاروا عليه بذلك ، وذكر نحو ما تقدم ، وينبغى حمله أيضاً على أن الكلام وقع من الناس سنة أربع من خلافته وتأخرت العمارة إلى سنة تسع وعشرين ـ بتقديم المثناة الفوقية على السين ـ وإلا فهو مخالف لما تقدم ؛ لأن عثمان رضى الله عنه ولى غرة المحرم افتتاح سنة أربع وعشرين ، فسنة أربع من خلافته هى سنة سبع وعشرين ـ بتقديم السين على الموحدة ـ والأول هو الأصح ؛ فقد روى يحيى وابن زبالة أن عثمان زاد فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين ، وعثمان قتل فى ذى الحجه سنة خمس وثلاثين .

وقال الحافظ ابن حجر : كان بناء عثمان للمسجد سنة ثلاثين على المشهور ، وقيل : فى آخر سنة من خلافته ؛ ففى كتاب السير عن الحارث بن مسلم عن ابن وهب : أخبرنى مالك أن كعب الأحبار كان يقول عند بنيان عثمان المسجدَ : لوددت أن هذا المسجد لا ينجز[1] ؛ فإنه إذا فرغ من بنيانه قتل عثمان، قال مالك : فكان كذلك .

قال الحافظ ابن حجر : ويمكن الجمع بأن الأول كان تاريخ ابتدائه ، والثانى تاريخ انتهائه .

---

(١) لا ينجز : لا يتم بناؤه ولا يكمل ، مخافة ما يقع بعد تمامه .

قلت : قد تقدم ما يردُّ هذا الجمع ، وأن الفراغ منه كان فى سنة ثلاثين ، لكن يمكن أن عثمان رضى الله عنه أحدث فيه عمارة أخرى آخر سنة من خلافته وقد وصَل ابن شبة ما نقله مالك عن كعب ؛ فروى بسنده من طريق الأعمش عن أبى صالح قال : قال كعب ومسجد النبى صلى الله عليه وسلم يُبْنَى: والله لوددت أنه لا يفرغ من برج إلا سقط برج ، فقيل له : يا أبا إسحاق أما كنت تحدثنا أن صلاةً فيه أفضل من ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام ، قال : بلى ، وأنا أقول ذلك الآن ، ولكن فتنةً نزلت من السماء ليس بينها و بين أن تقع إلا شبر ، ولو فرغ من بناء هذا المسجد وقعت ، وذلك عند قتل هذا الشيخ عثمان بن عفان ، فقال رجل : وهل قاتله إلا كقاتل عمر ، قال : بل مائة ألف أو يزيدون ، ثم يحل القتل ما بين عدن أبين إلى دروب الروم[1] .

وروى يحيى عن أفلح بن حميد عن أبيه قال : لما أراد عثمان أن يكلم الناس على المنبر و يشاورهم قال له مروان بن الحكم : فِدَاكَ أبى وأمى ، هذا أمر خير لو فعلته ولم تذكر لهم ، فقال : و يحك ! إنى أكره أن يَرَوْا أنى أستبدُّ عليهم بالأمور ، قال مروان : فهل رأيت عمر حيث بناه وزادفيه ذكر ذلك لهم ؟ قال : اسكت ، إن عمر اشتدَّ عليهم فخافوه ، حتى لو أدخلهم فى جُحْر ضب دخلوا ، و إنى لِنْتُ لهم حتى أصبحت أخشاهم ، قال مروان بن الحكم : فِدَاكَ أبى وأمى لا يسمع هذا منك فيجترأ عليك .

وعن عبد الرحمن بن سفينة قال : رأيت القَصَّةَ تحمل إلى عثمان وهو يبنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من بطن نَخْلٍ ، رأيته يقوم على رجليه

(١) عدن أبين — بفتح الهمزة والياء وسكون الباء بينهما — مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند ، لا ماء بها ولا مرعى ، وشربهم من عين بينها و بين عدن مسيرة نحو يوم ، قاله ياقوت ، والدروب : جمع درب، وهوالطريق الموصل إلى بلادالروم.

والعمالُ يعملون فيه حتى تأتى الصلاة فيصلى بهم ، وربما نام ثم رجع ، وربما نام فى المسجد .

وعن خارجة بن زيد قال : هدم عثمان بن عفان المسجد وزاد فى قبلته ، ولم يزد فى شرقيه ، وزاد فى غربيه قدر أسطوان ، وبناه بالحجارة المنقوشة والقَصَّة وعُمُب النخل والجريد ، وبيضه بالقَصَّة ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه فجعلها على قدر النخل ، وجعل فيه طيقان مما يلى المشرق والمغرب ، وذلك قبل أن يقتل بأربع سنين ، وزاد فيه إلى الشام خمسين ذراعا .

وعن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى عن أبيه قال : زاد عثمان فى المسجد قبل أن يقتل بأربع سنين فزاد من القبلة ، فوضع جداره على حد المقصورة اليوم ، وزاد فيه من المغرب أسطوانًا بعد المربعة ، وزاد فيه من الشام خمسين ذراعًا ، ولم يزد من المشرق شيئًا ،وزعم المطرى وتبعه المراغى أن المراد بهذه المربعة المربعة المتقدم وصفها فى تحديد المسجد النبوى فى زيادة عمر رضى الله عنه ، وهى الأولى من المربعتين اللتين يليان القبلة فى صف الأسطوان الرابع من المنبر فى جهة المغرب ، وجعلا نهاية زيادة عثمان إلى الأسطوانة التى تليها فى المغرب المقابلة للطراز المتقدم وصفه ، فقالا : أراد بالمربعة الأسطوانة التى تليها فى المغرب التى فى القبلة التى رفع أسفلها مربعًا قدر الجلسة ، وهى منتهى زيادة عثمان من المغرب ، وقبالة الأسطوانة التى زادها عثمان فى الحائط القبلى طرازاً آخر من العصابة السفلى إلى سقف المسجد ، وهو حد زيادة عثمان ، انتهى .

ومحصله أن زيادة عثمان هى الرواق الكائن بين الأسطوانتين المذكورتين ، ولم أر من سبقهما لذلك ، وقد قدمنا فى تحديد المسجد النبوى ما يقتضى أن الطراز المذكور فى مُوَازاة حد المسجد النبوى على الراجح ، وأن زيادة عمر وعثمان رضى الله عنهما من بعد ذلك فى جهة المغرب ، وأن عمر رضى الله عنه جعل المشرق

إلى المغرب مائة وعشرين ذراعاً ، وأن من المربعة التى ذكرا أنها نهاية زيادته إلى الحجرة الشريفة ينقص عن تسعين ذراعاً ، و إلى محاذاة الطراز نحو المائة ؛ فيبقى لعمر فى جهة المغرب بعد الطراز رواقان آخران ؛ فيكون نهاية المسجد فى زمنه الأسطوانة السابعة من المنبر ، وفى صف السابعة من المنبر أسطوان أسفله مربع لكنه ليس مرتفعاً عن الأرض بقدر الجلسة ، بل تربيعه على وجه الأرض ، وقد زال تربيعه فى العمارة الحادثة بعد الحريق الثانى ، وليس هو فى صف الأساطين التى تلى القبلة ، بل فى صف الأساطين التى خلف محراب الحنفية ؛ فالظاهر أن هذه المربعة هى المرادة هنا ؛ فيكون لعثمان رضى الله عنه فى جهة المغرب الرواق الذى بعدها ؛ فيكون نهاية المسجد فى زمنه الأسطوانة الثامنة من المنبر فى جهة المغرب ، ويدل على صحة ذلك ما سيأتى أن الوليد زاد بعد عثمان رضى الله عنه فى جهة المغرب أسطوانين ، ولم يزد أحد بعد الوليد فى جهة المغرب شيئاً ، والباقى من الأسطوانة الثامنة من المنبر أسطوانتان فقط فى جهة المغرب ، فهما زيادة الوليد ، وهناك أسطوان مربعة مرتفعة قدر الجلسة أيضاً أمام الأسطوانة بوجاه الداخل من باب السلام ، الظاهرُ أنها جعلت علامة لنهاية زيادة عثمان رضى الله عنه ، وابتداء زيادة الوليد ، وإن قلنا بأن نهاية المسجد النبوى المربعة الأولى التى تلى القبلة كما سبقت الإشارة إليه فحينئذ يكون لعمر رضى الله عنه منها إلى جهة المغرب أسطوانتان فيكون نهاية زيادة الأسطوانة السادسة من المنبر ، وفى صفها أسطوان مربع قدر الجلسة أيضاً أمام الأسطوانة المثمنة اليوم ، وتكون زيادة عثمان رضى الله عنه إلى الأسطوانة التى بعدها فى جهة المغرب وهى السابعة ، وتبقى للوليد منها إلى جدار المسجد ثلاثة أساطين ، وسيأتى فى عمارته رواية تقتضى ذلك ، على أن الذى أفهمه من كلام متقدمى المؤرخين كما قدمناه فى حدود المسجد أن المربعة حيث أطلقت فى جهة المغرب فالمراد بها الأسطوانة المقابلة لمربعة القبر فى جهة المغرب

عند ركن صحن المسجد قبل زيادة الرواقين الآتي بيانهما ، وهي المثمنة اليوم ، وفي ركني الصحن الشاميين أسطوانتان على هيأتها أيضاً ، وتثمينها حادث كما تقدم بيانه ، ويعبرون عنها بالمربعة الغربية ، وهي السادسة من المنبر ؛ فيترجح بذلك أنها نهاية زيادة عمر وابتداء زيادة عثمان رضي الله عنه ، ولو كان كما زعم المطري ومن تبعه لكان بعد نهاية زيادة عثمان رضي الله عنه في المغرب خمس أساطين ، فيكون كلها للوليد ، ولا قائل بذلك ، وفيما قدمناه في تحديد المسجد النبوي كفاية في رد ما قالاه .

وروى يحيى عن عبد الله بن عطية بن عبد الله بن أنيس قال : بنى عثمان المسجد بالحجارة المنقوشة والقَصَّة ، وجعل عُمُدَه حجارة منقوشة ، وبها عمد الحديد فيها الرصاص ، وسقفه ساجا ، وجعل طوله ستين ومائة ذراع ، وعرضه خمسين ومائة ذراع ، وجعل أبوابه ست أبواب على ما كان على عهد عمر رضي الله عنه : باب عاتكة ، أي المعروف بباب الرحمة ، والباب الذي يليه أي يقرب من محاذاته في المشرق ، وهو باب النساء ، وباب مروان : أي المعروف بباب السلام ، والباب الذي يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم : أي المعروف بباب جبريل ، وبابين في مؤخر المسجد .

قلت قوله « وجعل طوله ستين ومائة ذراع » مخالف لما تقدم من كونه زاد فيه من جهة الشام خمسين ذراعاً ؛ لأنه قد تقدم أن عمر رضي الله عنه جعل طول المسجد أربعين ومائة ذراع ، فلو زاد فيه عثمان خمسين ذراعاً لكان طوله في زمنه تسعين ومائة ذراع ، على أن الأقرب أن طوله في زمن عثمان كان ستين ومائة ذراع ، لما سيأتي في الزيادة بعده . وقوله « وعرضه خمسين ومائة ذراع » مخالف لما تقدم من كونه لم يزد من جهة المغرب سوى أسطوانة واحدة ، ولم يزد في جهة المشرق شيئاً ، بل هذه الرواية خطأ ؛ للاتفاق على أن عثمان رضي الله عنه لم يزد من جهة المشرق شيئاً ؛ فيكون نهايته في زمنه الحجرة الشريفة ، وذَرْعُ المسجد اليوم من جداره الغربي إلى جدار الحجرة الشريفة لا يبلغ خمسين ومائة ذراع ، بل ينقص عن ذلك أكثر من سبعة أذرع ، ثم تبقى زيادة الوليد من جهة المغرب ،

وهى متفق عليها أيضا ؛ فالصواب أنه لم يزد من المغرب سوى أسطوانة ، وأن عرض المسجد فى زمنه نحو مائة وثلاثين ذراعا ، والله أعلم .

وروى يحيى كما فى النسخة التى رواها ابنُه عن أبى الحسن المدائنى أنه قال فى حديث ساقه : إن النبى صلى الله عليه وسلم خط لجعفر بن أبى طالب دارا وهو بأرض الحبشة ، فاشترى عثمان نصفها بمائة ألف ، فزادها فى المسجد .

قلت : تقدم فى زيادة عمــر رضى الله عنه نقل مثل ذلك عن فعــل عمر رضى الله عنه ؛ فيحتمل أن كلا منهما شَرَى نصف ذلك وأدخله مرتبا ، والله أعلم .

وروى ابن زبالة عن عبد الله بن عمر بن حفص قال : مَدَّ عمر بن الخطاب جدار القبلة إلى الأساطين التى إليها المقصورة اليوم ، ثم زاد عثمان بن عفان حتى بلغ جداره اليوم ، قال : فسمعت أبى يقول : لمــا احتيج إلى بيت حفصة قالت : فــكيف بطريقى إلى المسجد ؟ فقال لها : نعطيك أوسع من بيتك ، ونجعل لك طريقا مثل طريقك ، فأعطاها دار عبيد الله بن عمر ، وكانت مِرْبَدا[1] .

قلت : وهذه العبارة محتملةٌ لأن القائل « نعطيك إلى آخره » عمر أو عثمان رضى الله عنهما ، ويرجح الثانى أنه أورده فى سياق زيادة عثمان رضى الله عنه ، وأنه روى عقبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن عمر قدم جدار القبلة إلى المقصورة ، ثم قدمه عثمان إلى موضعه اليوم ، وأدخل بقية دار العباس بن عبد المطلب مما يلى القبلة والشام والمغرب ، وأدخل بعض بيوت حفصة بنت عمر مما يلى القبلة ، فقام المسجد على تلك الحال حتى زاد فيه الوليد .

قلت : تقدم فى زيادة عمر رضى الله عنــه أن الحافظ ابن حجر نقل عن

---

(١) المربد ــ بزنة منبر ــ الموضع الذى تحبس فيه الإبل والغنم ، واشتقاقه من « ربد بالمــكان » إذا أقام فيه . و « ربده يربده » إذ احبسه .

ابن شبة أن دار أبى بكر التى أذن له فى إبقاء الخَوْخَة منها إلى المسجد اشترتها حفصة أم المؤمنين ، فلم تزل فى يدها إلى أن أرادوا توسيع المسجد فى خلافة عثمان ، فطلبوها منها ليوسَّعَ بها فى المسجد ، فامتنعت وقالت : كيف بطريقى إلى المسجد ؟ فقيل لها : نعطيك دارا أوسع منها ونجعل لك طريقا مثلها ، فسلمت ورضيت ، والذى ذكره ابن شبة فى علم دور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سنذكره عنه فى الدور التى كانت حول المسجد من أن حفصة اتخذت دارها التى فى قبلة المسجد لها خَوْخَة فى المسجد ، فورثها عبدُ الله بن عمر ، وذكر ما سيأتى فى أصل هــذه الدار من كونها كانت مرْبَداً كما سيأتى ، ثم ذكر لحفصة دارا أخرى ، ثم قال : وأخبرنى مخبر قال : كان بيت أبى بكر الذى أذن له النبى صلى الله عليه وسلم فى إبقــاء خَوْخَته بيد عبد الله بن عمر ، وهو البيت الذى على يمينك إذا دخلتَ دار عبد الله من الخوخة التى فى المسجد ، فتلقاك هناك خوخة فى جوف الخوخــة التى هى الطــريق المبوب ، فتلك الخوخة خوخة أبى بكر ، قال : وكانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر ، والدار الذى ذكرت فوق هذه الشارعة على باب دار عبــد الله إلى جنب دار هشام ، فباع أبو بكر رضى الله عنه ذلك المسكن وتلك الدار من حفصة بأربعة آلاف درهم ، ونقدها عنها عثمان بن عفان ، وإنما باع ذلك أبو بكر لناس قدموا عليه من بنى تميم فسألوه .

ثم قال ابن شبة : حدثنا محمد بن يحيى عن عبد الله بن عمر بن حفص قال : سمعت أبى يقول : لمــا احتيج إلى بيت حفصة قالت : وكيف طريقى فى المسجد ؟ فقيل لها : نعطيك أوسَعَ من بيتك ونجعل لك طريقا مثل طريقك ، فأعطاها دار عبد الله بن عمر، وكانت مربَدا ، انتهى . والذى يقتضيه قوله « وأخبرنى مخبر » تضعيف هذه الرواية .

وقد روى فى ذكر دور بنى تَـيْم كما قدمناه أن دار أبى بكر المذكورة كانت شارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد ، وقد صَدَّر كلامه بأن أصل دار حفصة إنمـا هو المِرْبَدُ ، وختم كلامه بذلك . وقوله « لمـا احتيج إلى بيت حفصة » المراد به سكنها ، هو الذى كان شارعا فى المسجد فى زمنه صلى الله عليه وسـلم كما سيأتى بيانه ، والله أعلم .

وتقدم فى زيادة عمر رضى الله عنه ما رواه يحيى من أن عثمان رضى الله عنه شَرَى دار العباس فزادها فى المسجد إلا ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر ذراعا ، فقال الراوى : لا أدرى أكان ابتاع البقية أم لا ، وحملناه على أن المراد بدار العباس ما بقى منها بعد ما زاده عثمان رضى الله عنه ، والظاهر أن تلك البقية هى التى دخلت فى دار مروان . وقد ذكر ابن زبالة ويحيى وابن النجار اتخاذ مروان لداره عقب ذكر زيادة عثمان رضى الله عنه ؛ فيحتمل أنه اتخذها فى حال زيادة عثمان رضى الله عنه أو بعده ، وهو الظاهر ؛ لأنهم ذكروا أنه اتخذ لها خَوْخَة فى المسجد من جهة القبلة ، ثم قال : أخشى أن أمنعها ، فجعل لها بابا عن يمينك حين تدخل ، ثم جعل الباب الثالث الذى على باب المسجد ، كما سيأتى ، والله أعلم .

الفصل الخامس عشر
فى المقصورة التى اتخذها عثمان رضى الله عنـه فى المسجد
وما كان من أمرها بعده

روى ابن زبالة وابن شبة عن عبد الرحمن بن سعد عن أشياخه أن أول من عمل المقصورة بلَـبِن عثمان بن عفان ، وأنه كانت فيه كُوًى ينظر الناسُ منها إلى الإمام ، وأن عمر بن عبد العزيز هو الذى جعلها من ساج حين بنى المسجد .

وروى الأول أيضا عن عيسى بن محمد بن السائب ومحمد بن عمرو بن مسلم بن السائب بن خباب وعمر بن عثمان بن عبد الرحمن أن عثمان بن عفان أول من وضع المقصورة من لبن ، واستعمل عليها السائب بن خباب ، وكان رزقه دينارين فى كل شهر ، فتوفى عن ثلاثة رجال : مسلم ، و بكير ، وعبد الرحمن ، فتواسَوْا فى الدينـارين ، فجريا فى الديوان على ثلاثة منهم إلى اليوم ، قال ابن زبالة : وقال مالك بن أنس : لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب عمل عثمان مقصورةً من لبن ، فقام يصلى فيها للناس خوفا من الذى أصاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكانت صغيرة

وروى يحيى هذا كله فى زيادة عثمان رضى الله عنه ، ثم روى فى زيادة الوليد عن عبد الحـكيم بن عبـد الله بن حنطب قال : أول من أحدث المقصورة فى المسجد مروان بن الحـكم ، بناها بالحجارة المنقوشة ، وجعل لها كُوًى ، وكان بعث ساعيا[1] إلى تهامة ، فظلم رجلا يقال له دب ، فجاء دب إلى مروان ، فقام حيث يريد أن يقوم مروان،حتى[إذا] أراد أن يكبر ضربه بسكين فلم يصنع شيئا ، فأخذه مروان فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : بعثت عاملا فأخذ ذودى بمرة[2] ، وتركنى وعيالى لا نجد شيئا ، فقلت : أذهب إلى الذى بعثك فاقتله ؛ فهو أصل هذا ، فجاء ما ترى ، فحبسه مروان حينا فى السجن ، ثم أمر به فاغتيل سرا ، فكانت المقصورة .

ورواه ابن شبة بنحوه ، إلا أنه سمى الرجـل فى موضع دبا ، وفى آخر ذبابا ، وقال : بعثتَ عاملاً ، فأخذ منى بقرة ، فتركنى وعيالى لا نجد شيئا ، وأنا امرؤ خبيث النفس ، فقلت : أذهب إلى الذى بعثه فأقتله فهو أصل هذا ، فجاء ما ترى ، فحبسه مروان فى الحبس حينا ، ثم أمر به فاغتيل سرا ، وعمل المقصورة .

---

(١) الساعى : الذى يجبى الزكاة .

(٢) الذود — بفتح الذال وسكون الواو — الجماعة من الإبل من ثلاثة إلى عشرة ويقال : من اثنين إلى تسعة ، ومعنى « أخذها بمرة » أنه أخذها كلها .

قلت : وجزم بذلك فى العتبية فيما حكاه ابن رشد فى بيانه ، فقال فى كتاب الصلاة : مسألة قال مالك : أول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليمانى ، قال : فجعل مقصورة من طين ، وجعل فيها تشبيكا ، انتهى . قال ابن رشد فى شرح ذلك : وَجْهُ قوله هذا الإعلامُ بأن المقصورة مُحْدَثة لم تكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا على عهد الخلفاء بعده ، وإنما أحدثها الأمراء للخوف على أنفسهم ، فاتخاذها فى الجوامع مكروه[1] ، انتهى .

وفى شرح مسلم للنووى أن أول من اتخذ المقصورة فى المسجد معاوية رضى الله عنه حين ضربه الخارجى ، انتهى .

وأفهم كلام ابن زبالة أنها كانت فى زمن عمر بن عبد العزيز مرتفعة عن أرض المسجد ؛ لأنه ذكر فى زيادة المهدى أنه أمر بالمقصورة فهدمت وخفضت إلى مستوى المسجد ، وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد ، فأوطأها مع المسجد ، وكأن المراغى فهم أن المراد بذلك سقف المقصورة لا أرضها ، فإنه قال فى زيادة المهدى : وخفض سقف المقصورة ، وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد فأوطأوها مع المسجد ، انتهى .

وررأيت لفظة « سقف » مُلْحَقة بخطه ، والظاهر أن ذلك هو المراد ، وذكر المطرى ما يقتضى أن المهدى جعلها من خشب على الرواق القبلى بأجمعه ، وهو مراد ابن جُبَير بقوله فى رحلته — بعد أن ذكر أن فى الجهة القبلية من المسجد خمس بلاطات — يعنى أروقة ، قال : والبلاط المتصل بالقبلة من الخمس المذكورة تحويه مقصورة تَكْتَنِفُهُ طولا[2] من غرب إلى شرق ، والمحراب فيها ، انتهى .

وقد احترقت هذه المقصورة فى حريق المسجد الأول ، والله أعلم .

---

(١) وجه الكراهة أنها شىء لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما هو ظاهر .

(٢) تكنفه : تحيط به .

الفصل السادس عشر

فى زيادة الوليد بن عبد الملك على يد عمر بن عبد العزيز

نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان رضى الله عنه لم يزد فيه على ولا معاوية رضى الله عنهما ، ولا يزيد ولا مروان ، ولا ابنه عبد الملك شيئاً ، حتى كان الوليد بن عبد الملك — وكان عمر بن عبد العزيز عامله على المدينة ومكة — بعث الوليدُ إلى عمر بن عبد العزيز بمال وقال له : مَنْ باعك فأعطه ثمنه ، ومن أبى فاهدم عليه وأعطه المال ، فإن أبى أن يأخذه فاصرفه إلى الفقراء ، انتهى

وقال ابن زبالة : حدثنى عبد العزيز بن محمد عن بعض أهل العلم قال : قدم الوليد بن عبد الملك حاجا ، فبينا هو يخطب الناسَ على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ حانت منه التفاتة فإذا بحسن بن حسن بن على بن أبى طالب فى بيت فاطمة فى يده مرآة ينظر فيها ، فلما نزل أرسل إلى عمر بن عبد العزيز فقال : لا أرى هذا قد بقى بعدُ ، اشتر هذه المواضع ، وأدخل بيتَ النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، وأسدده .

وروى يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن عبد العزيز بن محمد بنحوه .

وروى أيضاً عن موسى بن جعفر بن أبى كثير قال : بينما الوليد يخطب على المنبر إذ انكشفت الكلة[1] عن بيت فاطمة عليها السلام ، وإذا حسن بن حسن يُسَرِّح لحيته ، وهو يخطب على المنبر ، فلما نزل أمر بهدم بيت فاطمة رضى الله عنها

قال يحيى : وحدثنى عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على رضى الله عنهما مثله ، وزاد فيه أن حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين أَبَوْا أن يخرجوا منه ، فأرسل إليهم الوليد بن عبد الملك : إن لم تخرجوا منه هدمته عليكم ، فأبوا أن يخرجوا ، فأمر بهدمه عليهم وهما فيه وولدهما ، فنزع أساس البيت وهم فيه ،

---

(١) الكلة — بكسر الكاف وتشديد اللام — ستر مربع يخاط كالبيت يتوقى فيه من البعوض ونحوه .

فلما نزع أساس البيت قالوا لهم : إن لم تخرجوا قوّضناه[1] عليكم ، فخرجوا منه حتى أتوا دار على نهارا .

وروى ابن زبالة عن منصور مولى الحسن بن على قال : كان الوليد بن عبد الملك يبعث كل عام رجلا إلى المدينة يأتيه بأخبار الناس وما يحدث بها ، قال : فأتاه فى عام من ذلك ، فسأله ، فقال : لقد رأيت أمرا لا والله ما لك معه سلطان ولا رأيت مثله قط ، قال : وما هو ؟ قال : كنت فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا منزل عليه كلّة ؛ فلما أقيمت الصلاة رفعت الكلة وصلى صاحبه فيه بصلاة الإمام هو ومن معه ، ثم أرخيت الكلة ، وأتىَ بالغداء فتغدى هو وأصحابه ، فلما أقيمت الصلاة فَعَلَ مثل ذلك ، وإذا هو يأخذ المرآة والكحل وأنا أنظر ، فسألت ، فقيل : إن هذا حسن بن حسن ، قال : ويحك ! فما أصنع هو بيته وبيت أمه ، فما الحيلة فى ذلك ؟ قال : تزيد فى المسجد وتدخل هذا البيت فيه ، قال : فكتب إلى عمر بن عبد العزيز يأمره بالزيادة فى المسجد ويشترى هذا المنزل ، قال : فعرض عليهم أن يبتاع منهم فأبوا ، وقال حسن : والله لا نأكل له ثمنا أبدا ، قال : وأعطاهم به سبعة آلاف دينار أو ثمانية ، فأبوا ، فكتب إلى الوليد بن عبد الملك فى ذلك ، فأمره بهدمه وإدخاله ، وطرح الثمن فى بيت المال ، ففعل ، وانتقلت منه فاطمة بنت حسين بن علىّ إلى موضع دارها بالحرّة فابتنتها .

قلت : وسيأتى بقية هذا الخبر فى ذكر بئرها ، إن شاء الله تعالى .

قال ابن زَبالة : وحدثنى غير واحد من أهل العلم منهم : إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه عن عبد الرحمن بن حميد ، ومحمد بن إسماعيل عن محمد بن عمار عن جده ، ومحمد بن عبد الله عن عبيد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمر بن حفص وعبد العزيز بن محمد عن عبيد الله بن عمر بن حفص ، وسليمان بن محمد بن أبى سبرة

---

(١) قوضناه : هدمناه ، وأصله تقويض الخيام ، وهو نقضها وإزالتها عن مكانها إلى مكان آخر .

ومحمد بن طلحة عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان ، و بعضهم يزيد على بعض ، أن عمر بن عبد العزيز لما جاءه كتاب الوليد بهدم المسجد والزيادة فيه بعث إلى رجال من آل عمر ، فقال : إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أبتاع بيت حفصة ، وكان عن يمين الخوخة : أى خوخة آل عمر ، وكان بينه و بين منزل عائشة الذى فيه قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق ، وكانتا يتهاديان[1] الكلام وهما فى منزليهما من قرب ما بينهما ، فلما دعاهم قال : إن أمير المؤمنين قد أمرنى أن أبتاع هذا المنزل وأدخله فى المسجد ، قالوا : ما نبيعه بشىء ، قال : إذاً أدخله فى المسجد ، قالوا : أنت وذاك ، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها ، فهدم البيت وأعطاهم الطريق ووسّعها لهم حتى انتهى بها إلى الأسطوان ، وكانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفا.

قال عبد العزيز بن محمد : فكنت أسمع عبيد الله بن عمر يقول : لا أخرجنى الله من الدنيا حتى أراها قد سدت ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يلقى الصور الصور .

قلت : وسنورد بقية هذا الخبر .

وروى يحيى فى قصة هذه الدار عن مالك بن أنس فى جملة خبر أن الحجاج قال لعبيد الله بن عبد الله بن عمر : يعنى منزلَ حفصة ، قال : لا والله ما كنت لآخذ لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمنا أبدا ، قال : إذا والله أهدمه ، قال : والله لا تهدمه إلا على ظهرى ، فأمر الحجاج صائحا صاح فى الناس بالعتل والمساحى والفوس[2] ، فقام عبد الله فدخل بيت حفصة ، وجاء الغوغاء بالعتل والفوس ، فأمرهم الحجاج بهدمه ، فصعدوا ليهدموه وعبيدُ الله فيه ، فجاءت بنو عدى إلى عبيد الله فقالوا له: ما أضعفك! هو يتأسف على قتل أبيك و يَنْزَعُ عن قتلك[3] ، فأخرجوه ، فهدمه الحجاج ، وكتب إلى الوليد يعلمه ما صنع ، وامتناع عبيد الله

(١) انظر هذه العبارة فى ص ٥٤٣ .

(٢) العتل : جمع عتلة ــ بالتحريك ــ وهو عمود من حديد تهدم به الأبنية ، والمساحى : جمع مسحاة ، والفوس : جمع فأس ، وأصله فؤوس ، فلما سهل الهمزة اجتمع واوان فحذف إحداهما .

(٣) فى الخلاصة « وينزع عن قتلك »

من الثمن ، فكتب الوليد إلى عمر بن عبد العزيز يأمره يعرض على عبيد الله الثَّمَن ، فإن أبى جعل له مكرمة بدلَه فى المسجد ، فجعل له عمر الخَوْخة التى فى قبلة المسجد التى إلى دار حفصة اليوم ، وهو يقتضى أن الذى هدم دار حفصة هو الحجاج .

وعن جعفر بن وردان عن أبيه قال : لما استعمل الوليد عمر بن عبد العزيز على المدينة أمره بالزيادة فى المسجد و بنيانه واشتراء ما حوله من المشرق والمغرب والشام ، فلما خلص إلى القبلة قال له عبيد الله بن عبد الله بن عمر : لست أبيع هذا ، هو من حق حفصة ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يسكنها ، فقال له عمر : ما أنا بتارككم أو أدخلها المسجد ، فلما كثر الكلام بينهما قال له عمر : أجعل لكم فى المسجد باباً تدخلون منه ، وأعطيكم دار الدقيق[1] مكان هذا الطريق ، وما بقى من الدار فهو لكم ، ففعلوا ، وأخرج بابهم فى المسجد وهو الخَوْخة التى فى المسجد تخرج فى دار حفصة بنت عمر ، وأعطاهم دار الدقيق[1] ، وقَدَّم الجدار فى موضعه اليوم ، وزاد فى المشرق ما بين الأسطوان المربعة إلى جدار المسجد اليوم ، ومعه عشرة أساطين من مربعة القبر إلى الرحبة إلى الشام ، ومده فى المغرب أسطوانين ، وأدخل فيه حُجُرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وأدخل فيه دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التى كان يقال لها القرائن اللاتى يقول فيهن أبو قطيفة بن الوليد بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا بَقيعُ المصلّى أو كعهدى القرائنُ

وقد سمعنا من يقول : القرائن كانت جنابذ[2] ثلاثاً لعبد الرحمن بن عوف ، انتهى

قلت : وأخبار المؤرخين متطابقة على أن حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أدخلت فى المسجد بأمر الوليد ، وقد قدمنا فى الفصل التاسع قول عطاء الخراسانى : أدركت حُجُرات أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد على أبوابها المُسُوح من شعر أسود ، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يُقرأ يأمر بإدخال حُجَر

---

(١) فى المطبوعات « دار الرقيق » بالراء .

(٢) جنابذ : جمع جنبذة — بضم كل من الجيم والباء وبينهما نون ساكنة — وهى القبة ، وفى الحديث فى صفة الجنة « فيها جنابذ من لؤلؤ » .

أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم، قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله لوددت أنهم تركوها على حالها ، لكن نقل الزين المراغى عن السهيلى أنه نقل أن الحجر والبيوت خلطت بالمسجد فى زمن عبد الملك بن مروان ، قال : ويرده تصريح رزين وغيره بضد ذلك .

قلت : ولعل مراد مَنْ نسب ذلك إلى عبد الملك أنه جعلها للمسلمين يصلون فيها لضيق المسجد من غير هدم لها ، وقد كان الناس يصلون فيها قبل إدخالها فى المسجد فى يوم الجمعة ، فقد نقل مالك رحمه الله عن الثقة عنده أن الناس كانوا يدخلون حُجَرَ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يصلون فيها يوم الجمعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان المسجد يضيق عن أهله ، قال : وحُجَر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليست من المسجد ، ولكن أبوابها شارعة فى المسجد ، انتهى .

وأما بقية خبر ابن زبالة المتقدم فقد قال عقب ذلك : ثم سام[1] عمر بن عبد العزيز بنى عبد الرحمن بن عوف بدارهم ، فأبوا ، فهدمها عليهم وأدخلها فى المسجد ، قال عبد الرحمن بن حميد : فذهب لنا متاع فى هدمهم ، وأدخَلَ حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مما يلى المشرق ومن الشام ، وأخل القرائن دور عبد الرحمن بن عوف ، وأدخل دار عبد الله بن مسعود التى يقال لها دار القراء ، وأبيات هاشم بن عُتْبة بن أبى وَقَّاص ، وأدخل فيه من المغرب دارا كانت لطلحة بن عبيد الله ، ودارا كانت لأبى سبرة بن أبى رُهم كانت فى موضع المربعة التى فى غربى المسجد ، ودارا لعمار بن ياسر كانت إلى جنب دار أبى سبرة ، وبعض دار العباس بن عبد المطلب ، فأعلم مادخل منها فى المسجد ، فجعل منابر سَوَاريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من سوارى المسجد ، وأدخل دارا كانت لمخارق مولى العباس ابن عبد المطلب .

---

(١) سام : أصل المساومة المجاذبة على السلعة بين البائع والمشترى ، وتقول : سامه يسومه ، وساومه ، واستام السلعة .

قلت:قوله «وأدخل إلى آخره» و إن كان مبنيا لما لم يسم فاعله ، لـكن إيراده هنا يقتضى أن ذلك كله فى زيادة الوليد المذكورة ، وفيه نظر ؛ لما تقدم من أن عثمان رضى الله عنه زاد فى المسجد أسطوانا بعد المربعة ، فيكون زيادة الوليد بعد ذلك فى جهة المغرب ، فلا يصح إدخاله لدار أبى سبرة ؛ لقوله إنها كانت فى موضع المربعة ، إلا أن يريد بالمربعة هنا الأسطوانة التى عن يمينك إذا دخلت من الباب الذى يلى دار مروان ، وهو باب السلام ، وهى الثانية من الباب المذكور ، فإنها أول زيادة الوليد ؛ لقوله فى رواية يحيى المتقدمة « ومدّه فى المغرب أسطوانين » لـكن قال ابن شبة نقلا عن ابن أبى يحيى : إنه كانت لأبى سبرة بن أبى رُهم دار موضعها عنـد الأسطوان المربعة التى فى المسجد اليمانية الغربية ، وكانت جديدة ، وكانت هنالك دار لعمار بن ياسر ، فأدخلتا فى المسجد ، انتهى . وهو ظاهر فى أن المراد بالمربعة الأسطوان المثمَّنَة اليوم التى قدمنا وصفها فى زيادة عثمان رضى الله عنه ، وقوله « و بعض دار العباس بن عبد المطلب » ظاهر أيضاً فى أن الوليد أدخل من دار العباس شيئاً ، ولعله مما كان بقى منها وأدخله مروان فى داره ، فيستفاد منه أن الوليد أدخل بعض دار مروان وهو ظاهر ؛ لما قدمناه من أن دار مروان كانت ملاصقة للمسجد فى جهة المغرب ولها خَوْخَة فيه ، ولا شك أنه اتخذها قبل زيادة الوليد ، فإن وفاة مروان كانت فى سنة خمس وستين بعد أن أقام فى الخلافة عشرة أشهر .

ولنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة المتقدم ، قال : قالوا : وكتب الوليد بن عبد الملك إلى ملك الروم « إنا نريد أن نعمر مسجد نبينا الأعظم ، فأعنّا فيه بعمال وفُسَيْفساء[1] » ، قالوا : فبعث إليه بأحمال من فسيفساء و بضعة وعشرين عاملا ، وقال بعضهم : بعشرة عمال ، وقال : قد بعثت إليك بعشرة يعدلون مائة ، و بثمانين ألف دينار عَوْناً له .

---

(١) الفسيفاء : قطع صغيرة ملونة من الرخام وغيره يؤلف بعضها إلى بعض ثم تركب فى حيطان البيوت من داخل ، ويقال : هذه الكلمة رومية وليست بعربية

قلت : روى ذلك يحيى أيضاً ، وذكر فى رواية أخرى عن قدامة بن موسى أن ملك الروم بعث إليه بأربعين ، يعنى عاملا من الروم ، وبأربعين من القبط ، وبأربعين ألف مثقال ذهب . وفى رواية لرزين : فبعث إليه ثلاثين عاملا ، وأربعين من الروم ، ومثلهم من القبط ، وبثمانين ألف مثقال ، وبأحمال من الفُسَيْفساء ، وبأحمال من سلاسل القناديل ، انتهى .

ولنرجع إلى تكميل خبر ابن زبالة له أيضاً ، قال عقب ما تقدم : وبعث بهذه السلاسل التى فيها القناديل ، قالوا : وهدمه عمر بن عبد العزيز سنة إحدى وتسعين — أى بتقديم التاء الفوقية على السين — وبناه بالحجارة المنقوشة المطابقة وقَصَّة(١) بطن نخل ، وعمله بالفسيفساء والمرمر ، وعمل سقفه بالساج وماء الذهب ، وهدم حجر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فأدخلها فى المسجد ، ونقل لَبِنَ المسجد ولبن الحجرات فبنى به داره التى بالحرة فهو فيها اليوم له بياض على اللبن ، قال : فبينما أولئك العمال يعملون فى المسجد إذ خلا لهم المسجد فقال بعض أولئك العمال من الروم : ألا أبول على قبر نبيهم ، فتهيأ لذلك فنهاه أصحابه ، فلما هَمَّ أن يفعل اقتلع فألقى على رأسه ، فانتثر دماغه ، فأسلم بعض أولئك النصارى ، وعمل أحد أولئك الروم على رأس خمس طاقات فى جدار القبلة فى صحن المسجد صورة خنزير ، فظهر عليه عمر بن عبد العزيز فأمر به فضربت عنقه ، وقال بعض أولئك العمال الذين عملوا الفسيفساء : إنا عملناه على ما وجدنا من صور شجر الجنة وقصورها ، انتهى خبر ابن زبالة .

وفى خبر يحيى المتقدم عن قدامة بن موسى أن عمر بن عبد العزيز أخمر النورة التى تعمل بها الفسيفساء سنة ، وحملوا القَصَّة(١) من بطن نخل منخولة، وعمل الأساس بالحجارة والجدار بالحجارة المطابقة والقَصَّة(١)، وجعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، وكان طوله مائتى ذراع وعرضه فى مقدمته مائتين وفى

---

(١) القصة ــ بفتح القاف وتشديد الصاد ــ الجص .

مؤخره ثمانين ومائة ، وهو من قبل كان مقدمه أعرض ، انتهى .

وما ذكره فى ذَرْع عرض المسجد غيرُ صحيح ؛ لما سيأتى عن ابن زبالة فى الفصل الحادى والثلاثين أنه ذكر فى موضع آخر أن عرض المسجد من مقدمه فى زمنه مائة وخمسة وستون ذراعا ، وعرضه من مؤخره مائة وثلاثون ذراعا ، وسيأتى أيضاً أن الذى حررناه أن عرضه اليوم من مقدمه فى جهة القبلة مائة ذراع وسبعة وستون ذراعا ونصف ، وأن عرضه من مؤخره فى جهة الشام مائة وخمسة وثلاثون ذراعا ، ولا شك أن المسجد لم ينقص من عرضه شىء ، فهذا الذَّرْع المذكور فى هـذه الرواية غير صحيح ، وقد نقله ابن النجار عن أهل السير ، وتعقبه المطرى بنحو ما ذكرناه .

وروى ابن زبالة عن محمد بن عمار عن جده قال : لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى فقال لهم : تعالوا احضروا بنيان قبلتكم ، لا تقولوا غير عمر قبلتنا ، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع مكانه حجراً ، فكانت زيادة الوليد بن عبد الملك من المشرق إلى المغرب ستة أساطين ، وزاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر أربع عشر أسطواناً منها عشر فى الرحبة وأربع فى السقايف الأولى التى كانت قبل، وزاد من الأسطوان التى دون المربعة إلى المشرق أربع أساطين فى السقايف ، فدخل بيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، و بقى ثلاث أساطين فى السقايف .

قلت : فاستفدنا من ذلك أن الستة أساطين[1] التى زادها فى المشرق والمغرب ليس منها فى جهة المغرب سوى اثنتين ، وأن أربعة منها فى جهة المشرق ؛ فيكون ابتداء زيادته فى المشرق من الأسطوان اللاصق اليوم بالشباك الدائر حول

(١) الستة أساطين : هذا التعبير خطأ فى العربية ، لا يقول بصحته بصرى ولا كوفى ، والبصريون يوجبون أن يقال «ست الأساطين» والكوفيون يجيزون هذا الذى أوجبه البصريون ، ويجيزون وجها آخر وهو «الست الأساطين» بإدخال لام التعريف على العدد وعلى المعدود جميعا ، والعدد يقع فى هذا الكتاب مضطربا .

الحجرة الشريفة على ما قدمناه فى تحديد المسجد النبوى ، وذلك هو المراد بقوله « من الأسطوان التى دون المربعة إلى المشرق » وقوله « و بقى ثلاث أساطين » أى من الأربعة المذكورة « فى السقايف » أى المسقف الشرقى كما هو اليوم ، لكن فى رواية يحيى المتقدمة أنه زاد فى المشرق ما بين الأسطوان المربعة أى مربعة القبر إلى جدار المسجد يعنى الشرقى ؛ فعلى هذا يكون له فى المشرق ثلاثة أساطين فقط ؛ فيحتمل أن يكون له فى المغرب ثلاث أيضاً ، وقوله «وزاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر — إلى آخره» معناه أنه لما أحدث المسقف الشرقى جعل ابتداءه مما يلى رحبة المسجد مربعة القبر ، وجعل فى صفها إلى جهة الشام أربع عشر أسطواناً منها عشر فى الرحبة وأربع فى السقايف التى كانت قبل : أى فى المسقف الشامى ، فيكون قد صيَّرَ المسقف الشامى رحبة ، وجعل المسقف الشامى بعد أربع عشر أسطوانا ، فهذا معنى زيادته لهذا العدد .

ويستفاد منه أن جدار المسجد من جهة الشام فى زمنه كان بعد ثمان عشرة أسطوانة ، من مربعة القبر ؛ لأنك إذا ضممت أربع أساطين للسقايف التى أحدثها بدل الأولى إلى الأربع عشرة المذكورة بلغ ذلك ، فيكون محل الجدار المذكور قريباً مما يوازى الأسطوان التى قبل المسقف الشامى بأسطوان فيما يليه من الرحبة ، وذلك موافق لما تقدم من أنه جعل طوله — يعنى من القبلة إلى الشام — مائتى ذراع ، فيتحرر من ذلك أن زيادته من جهة الشام على ما ذكر من الذَّرْع فى زمن عثمان رضى الله عنه أربعون ذراعا ، ويحتمل أن يكون معنى قوله « وزاد إلى الشام من الأسطوان المربعة التى فى القبر أربع عشرة أسطوانة » أن المسجد ينتهى فى جهة الشام فى زمنه بعد أربع عشرة أسطوانا من المربعة إلى جهة الشام ؛ فيكون الجدار الشامى فى موازاة الأسطوانة الخامسة من طرف الدكاك التى هى المسقف الشامى ، وهناك أسطوان فى الصف الأوسط من المسقف الشرقى مربع أسفله قدر الجلسة ؛ فعلى هذا يكون علامة لذلك ، لكنه مخالف لما تقدم من أنه جعل طوله مائتى ذراع ، بل يكون طوله على هذا التقدير نحو مائة وستين ذراعا ، وذلك هو

ما تقدم فى طوله زمن عثمان رضى الله عنه ، فيكون هذا الاحتمال مردوداً ، ولكن سيأتى فى زيادة المهدى ما يقتضيه ، والله أعلم .

وروى يحيى عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عمن يثق به من مشايخ البلد أن عمر بن عبد العزيز أمر حين بنى المسجد بأسفل الأساطين فجعل قدر سترة اثنين يصليان إليها وقدر مجلس اثنين يتساندان إليها .

وعن صالح بن كيسان قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق لهدم المسجد سار خمس عشرة ، فجرد فى ذلك عمر بن عبد العزيز ، قال صالح : واستعملنى على هدمه و بنائه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى قدم علينا الفَعَلة الذين بعث بهم الوليد ، وقال ابن زبالة فيما رواه عن محمد ابن عمار عن جده : وكان فى موضع الجنائز ـ أى شرقى المسجد فى زمان الوليد ابن عبد الملك ـ نخلتان إذا أتى بالموتى وضعوا عندهما فيصلى عليهم ، فأراد عمر بن عبد العزيز قطعهما حين ولى عمل المسجد للوليد بن عبد الملك ، وذلك فى سنة ثمان وثمانين ، فاقتتلت فيهما بنو النجار من الأنصار ، فابتاعهما عمر بن عبد العزيز فقطعهما .

قلت : ولا ينافى ذلك ما تقدم من أن عمر هدم المسجد فى سنة إحدى وتسعين ؛ لجواز أن يكون ولايته لذلك سنة ثمان وثمانين ، واستمر فى تحصيل الأهبة وشراء الأماكِنِ وتخمير النورة[1] إلى سنة إحدى وتسعين .

وفيما رواه يحيى عن حفص بن مروان عن أبيه أن عمر مكث فى بنائه ثلاث سنين .

قلت : فعلى هذا يكون قد فَرَغَ منه فى آخر سنة ثلاث وتسعين ، وهى السنة التى عُزل فيها عمر عن المدينة ، وفيه رد لقول من زعم أن هدمه كان فى سنة ثلاث

---

(١) النورة : من الحجر الذى يحرق ويسوى منه الكلس ، وقيل : إن هذه الكلمة ليست عربية فى الأصل ، واشتقاقها يشبه اشتقاق العربى ، يقال : انتور الرجل ، وانتار ، إذا تطلى بالنورة .

وتسعين ، لكن فى رواية لابن زبالة مايقتضى أن البداءة فى هدم المسجد وعمارته كانت فى سنة ثمان وثمانين ؛ فإنه قال فيها : وابتدأ عمر بن عبد العزيز بناء المسجد سنة ثمان وثمانين ، وفرغ سنة إحدى وتسعين ، وفيها حج الوليد .

قال : ولما فرغ عمر بن عبد العزيز من بنيان المسجد أرسل إلى أبان بن عثمان ، فحمل فى كساء خز حتى انتهى به إليه ، فقال : أين هذا البناء من بنيانكم ؟ فقال : بنيناه بناء المساجد و بنيتموه بناء الكنائس ، قال : وقال الوليد حين رأى خَوْخَة آل عمر : صانعتهم لمكان الخوخة ، هكذا فى النسخة التى وقعت لنا ، ولعلها لمكان الخؤلة ؛ لأن المطرى قال : إن الوليد قال له : صانعت أخوالك ، وقد كانت أم عمر بن عبد العزيز منهم .

وروى يحيى عن جعفر بن وردان عن أبيه ما يقتضى أن المخاطِبَ لأبَانَ بن عثمان هو الوليد ؛ فإنه قال : فلما قدم الوليد حاجا جعل يطوف فى المسجد و ينظر إليه و يصيح بعمر : ها هنا ، ومعه أبان بن عثمان ، فلما استنفد الوليدُ النظرَ إلى المسجد التفت إلى أبان وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : إنا بنيناه بناء المساجد و بنيتموه بناء الكنائس .

قلت : وكان قد اعتنى عمر بتحسينه ؛ فقد روى يحيى عن النضر بن أنس قال : كان عمر بن عبدالعزيز إذا عمل العاملُ الشجرة الكبيرة من الفُسَيْفِساء فأحسن عملها نَفَّله[1] عمر ثلاثين درهما ، وذكر هو وابن زبالة ما كان فيه من الكتابات داخله وخارجه وعلى أبوابه فتركناه لزواله .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه قال : ولما قدم الوليد ابن عبد الملك المدينة حاجا بعد فراغ عمر بن عبد العزيز من المسجد جعل يطوف فى المسجد و ينظر إلى بنيانه ، فقال لعمر بن عبد العزيز حين رأى سقف المقصورة :

---

(١) نفله : أراد أعطاه زيادة عن أجره ، وأصله النفل — بالتحريك — وهو العطاء ، واستعمل فى الشرع لما يعطيه الإمام للمقاتلين من الغنائم .

ألا عملت السقف كله مثل هذا ، قال : إذاً يا أمير المؤمنين تعظم النفقة جداً ، قال : وإن ، قال : وكان نفقته في ذلك أربعين ألف دينار .

وروى ابن النجار هذا الخبر عن أهل السير بهذا اللفظ ، إلا أنه قال: فقال: يا أمير المؤمنين إذاً تعظم النفقة جداً ، قال : وإنْ ، قال : أتدرى كم أنفقت على عمل جدار القبلة وما بين السقفين ؟ قال : وكم ، قال : خمسة وأربعون ألف دينار ، وقال بعضهم : أربعون ألف دينار ، قال : والله لكأنك أنفقتها من مالك ، وقيل : كانت النفقة فى ذلك أربعين ألف مثقال ، انتهى .

وذكر يحيى رواية ابن زبالة المتقدمة من غير طريقه ، وقال عقب قوله : « وكانت النفقة فى ذلك أربعين ألف دينار » قال : ثم انتهى إلى القبر فقال ابنُ الوليد لعمر بن عبد العزيز : من هذا فى القبر ؟ قال : رسول الله وأبو بكر وعمر ، قال : فأين أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : فأعرض عنه ، فألح عليه ، فقال : دفن فى حال تشاغل من الناس وقد أسيء أدباك(١) .

وروى ذلك ابن زبالة أيضاً ، وزاد فقال : وسمعت بعض أهل العلم يقول : السائلُ بكار بن عبد الملك ، وكان ضعيفاً .

وقال ابن شبة : حدثنا أيوب بن عمر بن أبى عمرو ، قال : أخبرنى موسى ابن عبد العزيز قال : قال عمر بن عبد العزيز لى : أتكأ الوليدُ على يدى حين قدم المدينة ، فجعل يطوف المسجد ينظر إلى بنائه ، ثم أتى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فوقف عليه ، ثم أقبل علىّ فقال : أمعه أبو بكر وعمر ؟ قلت : نعم ، قال : فأين أمير المؤمنين عثمان ؟ قال : فالله أعلم إنى لظننت أنه لا يبرح حتى يخرجهما ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن الناس كانوا حين قُتل عثمان فى فتنة وشغل فذاك الذى منعهم من أن يدفنوه معهم ، فسكت .

وروى يحيى أنه جعل المقصورة من ساج ، قال : وكانت قبلُ من حجارة ، وأن الواقدى قال : حدثنى عبدالله بن يزيد قال : كان عمل القبط مقدم المسجد،

(١) كذا ، والعبارة ليست على ما ينبغى.

وكانت الروم تعمل ما خرج من السقف جوانبه ومؤخره ، فسمعت سعيد بن المسيب يقول : عمل هؤلاء أحكم ، يعني القبط .

الفصل السابع عشر

فيما اتخذه عمر في المسجد في زيادة الوليد من المحراب والشُّرُفات والمنائر ، واتخاذ الحرس ، ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه

أول من أحدث المحراب والشرفات

أسند يحيى عن عبد المهيمن بن عباس عن أبيه قال : مات عثمان وليس في المسجد شرُفات ولا محراب ، فأول مَنْ أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز ، وعن القاسم وسالم أنهما نَظَرا إلى شرفات المسجد فقالا : إنها من زينة المسجد ، وأسند أيضاً من طريق ابن زبالة ورأيته فيه أن عمر بن عبد العزيز هو الذي عمل الرصاص على طنف(1) المسجد والميازيب التي من الرصاص ، فلم يبق من الميازيب التي عمل عمر بن عبد العزيز غير ميزابين : أحدهما في موضع الجنائز ، والآخر على الباب الذي يدخل منه أهل السوق الذي يقال له باب عاتكة ، ولم يكن للمسجد شُرُفات حتى عملها عبد الواحد بن عبد الله النصري ، وهو والٍ على المدينة ، سنة أربع ومائة ، انتهى .

فهذا يقتضي أن عمر بن عبد العزيز لم يحدث الشرفات في زيادة الوليد ، بل ولا في زمن خلافته بعده ؛ لأن وفاته كانت في رجب سنة إحدى ومائة .

وفي سنن البيهقي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ابنوا المساجد واتخذوها جماء » وعن ابن عمر : نهانا — أو نُهِينَا — أن نصلي في مسجد مشرف .

قال أبو عبيد : الجم التي لا شرف لها ، حكاه في شرح المهذب .

قال الزين المراغي : وليس للمسجد شرفات منذ حريقه ، وقد جددت له

---

(1) طنف — بوزن قفل أو عنق أو جبل أو فلس — ما نتأ من الجبل ، وإفريز الحائط ، وما أشرف خارجا عن البناء ، والسقيفة تشرع فوق باب الدار .

شرفات سنة سبع وستين وسبعمائة فى أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر ، انتهى .

والمراد بالشرفات المذكورة ما على ما أحاط بجدرات صحن[1] المسجد من جوانبه الأربعة ، و بينها فرج شبه طاقات الشباك ، وهى المرادة فيما حكاه البدر بن فرحون عن القاضى فخر الدين بن مسكين الفقيه الشافعى أنه كان يجلس فى مُصَلاه حتى تطلع الشمس فيصلى الضحى ، وأنه رأى الناس يرتقبون بصلاتهم الشيخَ أبا عبد الله بن فرحون ولد البدر ، قال : وكان يقوم إذا وصلت الشمس فى الحائط الغربى إلى تحت الشبابيك الصغار ، قال : فاجتمعت به ، وكنت به جاهلا ، فقلت له : رأيتك تقوم للضحى قبل وقتها ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنها حتى ترتفع الشمس وتبيض" ، فالتفت إلى وقال: بعد اليوم نؤخر كما قلت ، وسكت عنى.

قلت : و إنما ذكرت ذلك لأن كثيرا من الناس اليوم يشرعون فى الصلاة عند وقوع الشمس على رؤس الشراريف ، وذلك قبل ارتفاع الشمس كرمح ، والله أعلم

المنارات التى عملها عمر بن عبد العزيز

وروى ابن زبالة و يحيى من طريقه عن محمد بن عمار عن جده ، قال : جعل عمر بن عبد العزيز لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بناه أربعَ منارات فى كل زاوية منه منارة .

قال كثير بن حفص : وكانت المنارة الرابعة مُطِلة على دار مروان ، فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن ، فأطلّ عليه ، فأمر سليمان بتلك المنارة فهدمت إلى ظهر المسجد ، و بابها على باب المسجد ، وفى نسخة يحيى « و بابها على المسجد مما يلى دار مروان من قبل المسجد »

قلت : فكان المسجد بعد ذلك له ثلاث منارات فقط ، وهو المراد من قول

---

(١) كذا ، ولعل أصله « بجدران صحن المسجد » فإن ثبتت الكلمة على ما فى الأصل فهى جمع جدر الذى هو جمع جدار .

ابن زبالة فى موضع آخر : ولمسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث منارات طول كل منارة ستون ذراعا ، وقال فى موضع آخر : وطول المنارة الشرقية اليمانية فى السماء خمس وخمسون ذراعا ، والمنارة الشرقية الشامية خمس وخمسون ، والمنارة الغربية الشامية ثلاث وخمسون ، وعرض المنارات ثمانُ أذرع فى ثمانِ أذرع ، اه .

وذكر ابن جبير فى رحلته ما يقتضى أن المنارتين الشاميتين كانتا صغيرتين ، بخلاف الشرقية اليمانية ، فإنه قال : وللمسجد المبارك ثلاث صوامع إحداها فى الركن الشرقى المتصل بالقبلة ، والاثنتان فى ركنى الجهة الجوفية صغيرتان كأنهما على هيئة بُرْجَين ، والصومعة الأولى المذكورة على هيئة الصوامع

قلت : فكأن الشاميتين غيرتا بعد ابن جبير ؛ فإنهما اليوم على هيئة الشرقية اليمانية المعروفة اليوم بالرئيسيّة ؛ لاختصاص الرئيس بها ، وكان طول المنارة الرئيسيّة فى زماننا أولا من رأس هلالها إلى أسفلها خارج المسجد بالبلاط سبعة وسبعين ذراعا ، بتقديم السين ، ثم سقط منها نحو ثلثها بسبب الصاعقة التى نشأ عنها حريق المسجد الثانى كما سيأتى ، فاقتضى الحالُ هدمَ جميعها ، ثم أعيدت فكان طولها اليوم أزيد من مائة ذراع ، فصارت أطول المنارات ، ثم ظهر منها خلل بعدُ ، فبعث السلطان الأشرف الشجاعى شاهينَ الجمالىَّ وأمره بهدمها ، فهدمها غير محكم ، لحفر أساسها إلى الملك ، وأعادها متقنة جدا فى عرض جدارها الشرقى من موضع الجنائز شرقى المسجد ، وزاد فى ارتفاعها أيضا حتى بلغ زيادة عن مائة وعشرين ذراعا ، وطول المنارة الشرقية الشامية وهى المعروفة بالسنجارية تسعة — بتقديم التاء على السين — وسبعون ذراعا ، وطول الشامية الغربية المعروفة بالخشبية اثنان وسبعون ذراعا — بتقديم السين فيهما — كل ذلك من أعلى الهلال إلى الأرض الخارجة عن المسجد ، وبه يعلم أن المنارات التى كانت فى زمن ابن زبالة ليست هى الموجودة اليوم .

قال المطرى : ولم يزل المسجد على ثلاث منارات إلى أن جددت المنارة

الرابعة ، وذكر فى موضع آخر تجديدها ، فقال بعد ذكر خَوْخة مروان المتقدم ذكرها فى ركن المسجد الغربى : إنه شاهد الخوخة المذكورة عند بناء المنارة الكبيرة المتجددة فى سنه ست وسبعمائة ، أمر بإنشائها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون

قال المطرى : وكان باب الخَوْخة عليها ، وهو من ساج ، فلم يَبْلَ إلى هذ التاريخ ، كان مروان يدخل من داره إلى المسجد منها ، وقد انسدت — يعنى الخَوْخة — بحائط المنارة الغربى ، اه

قلت : وقد ذكر البدر بن فرحون بناء هذه المنارة فإنه أدرك ذلك ، وذكر أنه لم يوجد عند الحفر أثر لما ذكر من وجود منارة قبلها ، فقال ما ملخصه : إنه لما حج سِلاّر وبيبرس كلمهما شيخ الخدام شبل الدولة كافور المظفرى المعروف بالحريرى فى بناء المنارة التى بباب السلام اليوم ، فأنعما[1] ، ثم خشى أنهما يشتغلان عن ذلك و يستثقلان النفقة ، فقال : أنا لا أطلب منكم مالا ، عندى من قناديل الذهب والفضة مايقوم بها وزيادة ، فأنعما[1] له بإرسال الصناع ، وأمر بالحفر لها فى مكانها اليوم ، فلم ينزلوا إلا قليلا إذ وجدوا باب مروان بن الحكم أسفل من أرض المسجد بقدر قامة ، ثم وجدوا تحصيب المسجد فى أيام مروان بالرمل الأسود يشبه أن يكون من جبل سَلْع ، ثم نزلوا فى الأساس حتى بلغوا الماء ، ثم أمر الحريرى مَنْ كان بالمدينة يتعانى البناية كالشيخ إبراهيم البنا والشيخ على الفراش الحجار وغيرهما ممن ليس له فى البناية كبير قدم ، فدكوا الأساس ، فلما حضر الصناع فى الموسم قال مقدمهم للشيخ : لاتبنى حتى تنقض ذلك ، فإنا لا نأمن عاقبته ، فامتنع الشيخ ، فرجع إلى مصر من حينه ، فقال الشيخ لمن كان معه من المعلمين : اعملوا أنتم ، فعملوها على ما هى عليه اليوم ، وعَمَّ نفعها ؛ لأنها متوسطة المدينة حتى إن رئيس المؤذنين محمد بن إبراهيم قال لى : لو تركت لى هـــذه المأذنة لكفيت

(١) أنعما : المراد أنهما استجابا له ، يقــال : « أحسنت إلى وأنعمت » أى زدت على الإحسان ، ويقال : معنى أنعم دخل فى النعيم ، كما يقال : « أشمل » أى دخل فى الشمال .

المدينة ، وهو حق ؛ فإن امتداد المدينة وقوة عمارتهـا من جهة المغرب ، يعنى فى محاذاة المنارة المذكورة .

قال : وكان بعض المؤرخين يذكر أنه كان هناك مأذنة مُشْرِفة[1] على دار مروان ، فهدمها غَيْرة على أهله من مؤذنيها ، فلم يوجد لذلك صحة ولا أثر البتة ، انتهى ما ذكره ابن فرحون .

قلت : وجواب ما ذكره أخيراً أن تلك المنارة تحتمل أن تكون على باب المسجد وسطحه مما يلى دار مروان ، وليس لها فى الأرض أساس ، ويدل على ذلك قوله فى الرواية المتقدمة : وبابها على المسجد ، أو على باب المسجد ؛ فلا يلزم من عدم وجود أثرها عند الحفر عدم وجودها أصلا ورأساً فى تلك الجهة ، ولم يتعرضوا لذَرْع هذه المنارة ، وكانت أطول منارات المسجد . وقد ذَرَعْتُها من أعلى هلالها إلى الأرض ، فكان ذلك خمسة وتسعين ذراعا ـ بتقديم التاء على السين ـ لـكن صارت المنارة الرئيسية المجددة بعـــد الحريق أطول منها كما سبق ، والله أعلم .

ويظهر من سياق ماتقدم أن أول جعل المنارات فى المسجد كان فى زيادة الوليد ، ويشهد لذلك مارواه ابن إسحاق وأبو داود والبيهقى أن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يؤذن عليـه الفجر كل غداة ، فيأتى بسحر ، فيجلس على البيت لينظر إلى الفجر ، فإذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إنى أحمـدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن .

وروى خالد بن عمرو عن أبى بَرْزَة الأسلمى قال : من السنة الأذان فى المنارة والإقامة فى المسجد .

---

(١) مشرفة : أى مطلة ؛ لأنها فى جهتها .

وروى غيره أن الأذان فى زمنه صلى الله عليه وسلم كان على أسطوانة فى دار عبد الله بن عمر التى فى قبلة المسجد .

قال ابن زبالة : حدثنى محمد بن إسماعيل وغيره قال : كان فى دار عبد الله بن عمر أسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها بلال يَرْقَى إليها بأقتاب[1]، والأسطوان مربعة قائمة إلى اليوم يقال لها المطار ، وهى فى منزل عبيد الله بن عبد الله بن عمر .

قلت : والظاهر أنها المرادة بقوله فى الرواية المتقدمة فى قصة الْخَوْخَة التى جعلت بدل طريق بيت حفصة: ووسعها لهم حتى انتهى بها إلى الأسطوان .

وقال الأقشهرى، ومن خطه نقلت : عن عبد العزيز بن عمران قال : كان فى دار عبد الله بن عمر أسطوان فى قبلة المسجد يؤذن عليها، وهى مربعة قائمة إلى اليوم. قال الأقشهرى : وهى باقية إلى يومنا هذا ، قال ، يعنى عبد العزيز : وكان يقال لها المطار .

وأسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمران عن قدامة العمرى عن نافع عن ابن عمر ، قال : كان بلال يؤذن على منارة فى دارة حفصة بنة عمر التى تلى المسجد ، قال : وكان يرقى على أقتاب[1] فيها ، والأسطوان فى البيت الذى كان بيد عبيد الله بن عمر الذى يقال له بيت عبد الله بن عمر ، وقد كانت خارجة من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن فيه ، وليست فيه اليوم ، والظاهر أنه تجوّز فى تسمية الأسطوان منارة، وعبد العزيز بن عمران كان كثير الغلط ؛ لأن كتبه احترقت ؛ فكان يروى من حفظه، فتركوه، ثم الظاهر أن عمر وعثمان رضى الله عنهما لم يتخذا فى المسجد منارة ، و إلا لنقل .

عثمان أول من خلق المسجد ورزق المؤذنين

وروى يحيى عن جابر بن عبد الله قال : كان أول من خلّق المسجد ، ورَزَقَ المؤذنين[2] ، وجلس على الدرجة الثالثة من المنبر بعد النبى صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله عنه .

---

(١) الأقتاب : جمع قتب ، وأصله إكاف صغير على قدر سنام البعير يوضع عليه

(٢) رزق المؤذنين : جعل لهم رزقا على الأذان .

اتخاذ حرس للمسجد

وروى ابن زبالة عن موسى بن عبيدة أن عمر بن عبد العزيز استأجر حَرَساً للمسجد لا يحترف فيه أحد .

وعن كثير بن زيد قال : نظرت إلى حرس عمر بن عبد العزيز يطردون الناس من المسجد أن يُصَلَّى على الجنائز فيه .

وعن عثمان بن أبي الوليد عن عروة بن الزبير أنه قال له: تضربون الناس فى الصلاة فى المسجد على الجنائز ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما إن أبا بكر قد صُلى عليه فى المسجد .

قلت : وذكر يحيى ما يقتضى أن الحرس كانوا قبل زمن عمر بن عبد العزيز يمنعون الناس من الصلاة على الجنائز فى المسجد ؛ فإنه روى عن ابن أبى ذئب عن المقبرى أنه رأى حَرَسَ مروان بن الحكم يخرجون الناس من المسجد يمنعونهم أن يصلوا فيه على الجنائز .

قلت : وأما ما كان من ذلك فى زمنه صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن شبة عن صحابى سقط اسمه من النسخة التى وقفتُ عليها حديثا محصله أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان إذا احتضر الميت آذَنُوه فحضره واستغفر له، حتى إذا قبض انصرف النبى صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه ، وربما قَعَد ومن معه فربما طال حَبْسُ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال : فلما خشينا مشقة ذلك عليه قال بعض القوم لبعض : لو كنا لا نُؤْذِنُ النبى صلى الله عليه وسلم بأحد حتى يُقْبَضَ ، فإذا قبض آذَنّاه[1]، فلم يكن عليه فى ذلك مشقة ولا حبس، ففعلنا ذلك ، وكنا نؤذنه بالميت بعد أن يموت فيأتيه فيصلى عليه ، فربما انصرف ، وربما مكث حتى يدفن ، فكنا على ذلك حينا ، فقلنا : لو لم نُشْخِصْ[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملنا جنائزنا إليه حتى يصلى عليها عند بيته كان ذلك أرفق به ، ففعلنا ، فكان ذلك الأمر إلى اليوم .

---

(١) آذناه : أعلمناه وأخبرناه . (٢) أشخصه يشخصه : أزعجه

الصلاة على الجنائز فى المساجد

وعن ابن شهاب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا هلك الهالكُ شهده يصلى عليه حيث يدفن، فلما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم و بَدَّنَ(١) نقل إليه المؤمنون موتاهم فصلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجنائز عند بيته فى موضع الجنائز اليوم، ولم يزل ذلك جاريا .

قال ابن شبة : وحدثنى محمد بن يحيى قال : حدثنى من أثق به أنه كان فى موضع الجنائز نخلتان إذا أتى بالموتى وُضعوا عندهما فصلى عليهم ، فأراد عمر ابن عبد العزيز حين بنى المسجد قَطْعهما ، فاقتتلت فيهما بنو النجار ، فابتاعهما عمر فقطعهما .

وفى صحيح البخارى من حديث ابن عمر فى قصة اليهوديين « فَرُجِما قريباً من موضع الجنائز عند المسجد » فدل ذلك على أن الموضع المذكور كان معروفاً بذلك .

وفى صحيح مسلم من حديث عائشة أنها أمرت أن يمر بجنازة ابن أبى وقّاص فى المسجد فتصلى عليه ، فأنكر الناس ذلك عليها ، فقالت : ما أسْرَعَ مانسىَ الناسُ ! ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سُهَيل بن البيضاء إلا فى المسجد ، وفى رواية لها : والله لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابْنَىْ بيضاء فى المسجد سُهَيْلٍ وأخيه .

قلت : و يفهم منه أن ذلك نادر ، وأن الكثير من فعله صلى الله عليه وسلم ما تقدمت الإشارة إليه .

وروى يحيى بسند جيد عن عبد الله بن عمر أنه صلّى على عمر بن الخطاب فى المسجد ، وفى رواية أخرى له عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب أن عمر بن الخطاب صلى على أبى بكر فى المسجد ، وأن صُهَيْباً صلى على عمر بن الخطاب فى المسجد ، و بيّن فى رواية أخرى أن ذلك كان عند المنبر ، وقد روى ذلك ابن أبى شيبة ، وقال فى رواية : وضعت الجنازة فى المسجد تُجَاه المنبر .

(١) بدن : سمن

قال الحافظ ابن حجر : وهذا يقتضى الإجماع على جواز ذلك ، وقد تقررت المذاهب فى ذلك .

وقال ابن النجار عقب ذكر ماتقدم عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك : والسنةُ فى الجنائز باقية إلى يومنا هذا ، إلا فى حق العلويين ومن أراد الأمراء من الأعيان وغيرهم ، والباقون يصلّى عليهم خَلْفَ الحائط الشرقى من المسجد ، إذا وقف الإمام على الجنائز هناك كان النبى صلى الله عليه وسلم عن يمينه . انتهى .

قلت : وقد انتسخ ما ذكره ابن النجار ، وصار يصلّى على الجنائز كلها فى المسجد ، و يخص الأعيان بالصلاة عليهم بالروضة الشريفة بين القبر والمنبر ، وغيرهم يصلى عليه أمام الروضة بعد أن يوقف بالجنازة بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم أمام الوجه الشريف إلى عام اثنين وأربعين وثمانمائة فى دولة السلطان الظاهر جَقْمق ، فوردت مراسيمُه على شيخ الحرم فارس بالأمر بمنع جنائز الشيعة من المسجد ، فمنع المنسوبون للشيعة من إدخال جنائزهم إلى المسجد إلا الأشراف العلويين ، وجرى الأمر على ذلك إلى يومنا هذا ، لا يدخل المسجد إلا جنائز الأشراف وأهل السنة ، وحاول بعضُ أهل المدينة إدخال بعض الشيعة غير الأشراف فقام فى ذلك بعض أمراء الترك ومنع منه ، وكان صاحبنا العلامة أحد شيوخ المالكية الشيخ شهاب الدين أحمد بن يونس القسنطينى يُنْكِر الصلاة على الموتى بالروضة الشريفة ومقدم المسجد ؛ لكون رجلى الميت تصيران إلى جهة الرأس الشريف ، حتى إنه أوصى أن يصلّى عليه خارج المسجد فى موضع الجنائز ، وأكثر قبل وفاته من الاستفتاء فى ذلك ، وأرانى خطوط جماعة من علماء الشام وغيرها من الشافعية وغيرهم يتضمن موافقته على ذلك ، وفى كلام بعض الشافعية : ينبغى أن تكون الصلاة بالمسجد خلف الحجرة الشريفة أو شرقيها ، والتمس منى الكتابة فى ذلك ، فكتبت بما حاصله أن الله تعالى قد أوجب على هذه الأمة

الشيعة غير الأشراف

تعظيمَ نبيها صلى الله عليه وسلم وتوقيره وسلوكَ الأدب التام معه ، ولا شك أن الميت إذا وُضِـع فى مقدم الروضة أو المسجد كما يوضع اليوم و إن لم تكن رجلاه فى محاذاة الرأس الشريف حقيقة ؛ لأن الرأس الشريف فى محاذاة صف أسطوان التوبة والمخلقة : أى حذاء الأسطوانات التى تكون خلف المصلى على الميت ، لـكن تكون رجلاه فى محاذاة الجهة المذكورة ، وقد تصدق المحاذاة مع البعد ، ولو رأينا شخصا اضطجع بذلك المحل من الروضة وجعل رجليه لتلك الجهة الشريفة لأنكرنا ذلك عليه ، وما ننكره على الأحياء لا ينبغى أن نفعله بالأموات ، وقد تأملت كتب المذاهب الأربعة فلم أر فيها تعرضا لذكر السنة فى جهة رجلى الميت ، بل ذَكَر الشافعية فيما إذا حضرت جنائز وصلى عليها الإمام دفعة وجهين : أصحهما وضع الجميع صفا بين يدى الإمام فى جهة القبلة ، زاد أبو زُرْعة العراقى فى شرح البهجة : والأولى جعلها عن يمينه ، والثانى يوضع الجميع صفا واحدا رأسُ كل إنسان عنـد رجل الآخر ، ويجعل الإمام جميعهم عن يمينه ، و يقف فى محاذاة الأخير ، هذا إذا اتحد النوع ، فإن اختلف النوع تعين الوجه الأول ، ذكره فى أصل الروضة ، و يؤخذ منه استحباب جعل رجلى كل ميت عن يمين الإمام على الوجه الثانى ، و إلا فلا يكون الجميع صفا عن يمينه ، وأما على الوجه الأول فيؤخذ ذلك أيضاً مما تقدم عن أبى زرعة ، ولعل مأخذه فيه ما ذكر فى الثانى ، و إذا ثبت ذلك فى الجماعة فالواحد كذلك ؛ فيكون الأولى جعل رجليه عن يمين الإمام ، ولـكن الذى عليه الناسُ جعلهما على يساره .

ورأيت فى كتب المالـكية ما يقتضى أن ذلك هو الأولى ، وأن الناس مَضَوْا على ذلك .

وقد ظهر لى أن السر فى ذلك أن السلف ــ كما يؤخذ ممـا قدمناه ــ إنما كانوا يصلون على الجنائز خارج المسجد فى شرقيه فى الموضع المعروف بذلك ، والواقف

هناك يكون القبر الشريف عن يمينه ، فرأوا ـ والله أعلم ـ أن الأدب جعل الرجلين عن يسار الإمام صَرْفاً لهما عن تلك الجهة الشريفة ، ثم توارثوا ذلك ، واستمر العمل عليه ، فلما ترك ذلك وصلوا على الجنائز فى المسجد مَشَوْا على ما اعتادوه من جعل رجلى الميت عن يسار الإمام مع الغفلة عن ذلك ، وإذا لم تثبت سنة فى جعل رجلى الميت عن يسار الإمام فينبغى جعلهما عن يمينه فى هذا المحل الشريف ، استعمالا لكمال الأدب .

وقد قال لى الشيخ فتح الدين بن تقى الدين الكازرونى ـ وكان يُعَد من فضلاء الشافعية ـ وقد ذاكرته بذلك : إذا أنامُتّ فليجعل رجلاى عن يمين الإمام، ففعل به ذلك رحمه الله ، على أن الموضع الذى يلى الأرجل الشريفة من المسجد هو من موضع الجنائز فى زمنه صلى الله عليه وسلم فيما يظهر ، ويدل عليه ما اتفق لبنى النجار لما أراد عمر بن عبد العزيز قَطْع النخلتين عند عمارته المسجد ؛ فلو صلى فيه اليوم على مَنْ يدخل به المسجد من الجنائز لكان أولى ؛ فإنه يتأتى فيه كون الرجلين عن يسار الإمام والرأس فى جهة الأرجل الشريفة ، ويكون أفضل لما جرت به العادة من الخروج بالميت من باب جبريل ، وأوفق لفعل السلف فى الصلاة على موتاهم هناك ، ولم يوافق على شىء من ذلك المتمسكون بالعادات ، وقد ذكرت نص ما أجبت به فى ذلك مبسوطا استطرادا فى كتابى «دفع التعرض والإنكار ، لبسط روضة المختار» والله أعلم .

الفصل الثامن عشر

فى زيادة المهدى

نقل ابن زَبَالة ويحيى أن المسجد لم يزل على حالة ما زاد فيه الوليد إلى أن هم أبو جعفر المنصور بالزيادة فيه ، ثم توفى ولم يزد فيه ، حتى زاد فيه المهدى ،

لكن ذكر يحيى في حكاية ما كان مكتوبا في جدار القبلة مالفظه : ثم إلى جنب هـذا الكتاب ـ أي ما كتب في زمن المهدي ـ كتاب كتب في ولاية أبي العباس ، يعني السفّاح ، وصل هذا الكتاب أي كتاب المهدي إليه ، وهو : أمَرَ عبدُ الله عبد الله أميرُ المؤمنين بزينة هـذا المسجد وتزيينه وتوسعته مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ابتغاء رضوان الله وثواب الله ، وإن الله عنده ثواب الدنيا والآخرة ، وكان الله سميعاً بصيرا ، انتهى .

وهو يقتضي أن أبا العباس السفاح ـ وهو أول خلفاء بني العباس ـ زاد في المسجد أول ولايته ، وولايته سنة اثنتين وثلاثين ، ووفاته سنة ست وثلاثين ومائة ، وسنشير إلى محمل ذلك آخر الفصل .

ولفظ ما نقله ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم ـ منهم عبد العزيز بن محمد ومحمد بن إسماعيل ـ قالوا : لم يزل المسجد على حال ما زاد فيه الوليد بن عبد الملك حتى ولي أبو جعفر عبدُ الله ـ يعني المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ـ فهمَّ بالزيادة ، وأراده ، وشاور فيه ، وكتب إليه الحسنُ بن زيد يصف له ناحية موضع الجنائز ، ويقول : إن زيد في المسجد من ناحيته الشرقية توسَّطَ قبرُ النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ، فكتب إليه أبو جعفر : إني قد عرفت الذي أردت ، فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فتوفي أبو جعفر ولم يزد فيه شيئاً ، ثم حج المهدي ـ يعني ابن أبي جعفر ـ سنة ستين ومائة ، فقدم المدينة مُنْصَرَفَه عن الحج ، فاستعمل عليها جعفر بن سليمان سنة إحدى وستين ومائة ، وأمر بالزيادة فيه ، وولّى بناءه عبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز وعبد الملك بن شبيب الغساني ، فمات ابنُ عاصم ، فولى مكانه عبد الله بن موسى الحمصي ، وزاد فيه مائة ذراع من ناحية الشام ، ولم يزد في القبلة ولا في المشرق والمغرب شيئاً ، وذلك عشر أساطين في صحن المسجد إلى سقائف النساء ، وخمسا سقائف النساء الشامية .

وروى يحيى ذلك من طريق ابن زبالة وغيره ، وقال فى رواية له عقب قوله واستعمل عليها جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس : وأمره بالزيادة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وولاه بناءه هو وعبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز بن مروان وعبد الملك بن شبيب الغسانى من أهل الشام ، فزيد فى المسجد من جهة الشام إلى منتهاه اليوم ، وكانت زيادته مائة ذراع ، ولم يزد فيه من المشرق ولا المغرب ولا القبلة شيئاً .

قلت : ما روياه من أنه زاد فى مؤخر المسجد مائة ذراع يخالفه ما تقدم فى زيادة الوليد أنه جعل طوله مائتى ذراع ؛ لأنه يقتضى أن يكون طولُ المسجد بعد زيادة المهدى ثلاثمائة ذراع ، وطول المسجد اليوم على ما صرح به ابن زبالة مائتا ذراع وأربعون ذراعاً ، وقد اختبرته فزاد على ذلك ثلاثة عشر ذراعاً كما سيأتى ، ومع ذلك فهو مؤيد لما قدمناه من الاحتمال المتبادر إلى الفهم فى الرواية المتقدمة فى زيادة الوليد المقتضى لأن نهاية المسجد من جهة الشام فى زمنه كانت بعد أربع عشر أسطوانة من مربعة القبر ، ومنها إلى آخر المسجد أربع وعشرون أسطوانة فإذا أسقطنا من ذلك أربع عشرة للوليد بقى عشرة أساطين وقدرها نحو مائة ذراع ، وهذا معنى قوله فى الرواية المتقدمة « وذلك عشر أساطين فى صحن المسجد إلى سقائف النساء » أى إلى آخر سقائف النساء ، وهى المسقف الشامى ، وقوله « وخمس فى السقائف » أى من العشرة المذكورة ، مع أنه يقتضى أن المهدى جَعَلَ المسقف المذكور خمس أساطين ، وهذا كان فى ذلك الزمان كما سنوضحه ، وهو اليوم أربع فقط ، وقد قدمنا ترجيحَ أن المراد مما ذكر فى زيادة الوليد أنه جعل أربع عشرة أسطوانة فى الرحبة بما فيها من أربع أساطين فى السقائف التى كانت أولا ، وأنه جعل السقائف الشامية فى زمنه بعد الأربع عشرة المذكورة ؛ لموافقة ما ذكره فى ذَرْعِ المسجد فى زمنه ولما ذكر فى زيادة عثمان

رضى الله عنه من أنه جعل المسجد مائة وستين ذراعاً ، فإن ذلك يقتضى أن يكون نهايته فى جهة الشام يقرب من أربعة عشر أسطوانة من المربعة المذكورة ، فيتحصل من ذلك أن زيادة الوليد على ما ذكر فى زيادة عثمان رضى الله عنه أربعون ذراعاً ، وأن زيادة المهدى نحو خمسة وخمسين ذراعاً فقط ؛ فيكون للمهدى نحو ستة أساطين فى مؤخر المسجد ، لكن سيأتى فى ذكر أبواب المسجد ما يقتضى أن الباب الذى كان يواجه دارَ خالدِ بن الوليد كان مكتوباً عليه: زيادة المهدى ، وكذا الباب الذى بعده فى الشام عليه ما يقتضى ذلك ، وكذا البابان المقابلان لهما فى جهة المغرب ، دون ما قبل ذلك من الأبواب ، وذلك يقتضى ترجيح رواية أنه زاد فى المسجد مائة ذراع ، وقد رأيت فى المسقف الشرقى أسطوانة هى التاسعة من جدار المسجد الشامى مربع أسفلها مرتفع عن الأرض بقدر الجلسة ، وهى محاذية لما وَصفوه من الباب المقابل لدار خالد بن الوليد ، فإن صحت هذه الرواية فهى علامة على ابتداء زيادة المهدى ، والله أعلم .

وقال ابن زبالة و يحيى فى روايتهما المتقدمة أيضاً : وكان — يعنى المهدى — قبل بنيانه قد أمر به ، فقدَّروا ما حوله، فابتيع ، وكان مما أدخل فى المسجد من الدور دار مليكة .

قال ابن زبالة : وأخبرنى إبراهيم بن محمد الزهرى عن أبيه قال : كانت دار مليكة لعبدالرحمن بن عوف ، و إنما سميت دار مليكة لأن عبدالرحمن أنزلها مليكة ابنة خارجة بن سنان ، فغلب عليها اسْمُها ، ثم باعها بنو عبد الرحمن بن عوف من عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فباعها عبدُ الله حين بناء المسجد ، فأدخل بعضها فى المسجد ، و بعضها فى رحبة المسارب ، و بعضها فى الطريق ، قالوا : وأدخل دار شرحبيل بن حَسَنة ، وكانت صدقة ، فابتاعوا دوراً ومنازل فأوقفوها صدقة و بقيت منها بقية ، فابتاعها منهم يحيى بن خالد بن بَرْمَك فدخلت فى الحش حش طلحة.

قلت : وقد ذكر ابن شبة دار مليكة وقال : فباعها عبد الله من معاوية رضى الله عنه ؛ فصارت فى الصوافى ؛ فأدخلها المهدى فى المسجد ، وذكر دار شرحبيل هذه فى ترجمة علم دور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة: أى غير الحجَر، فقال : قال أبو غسان : اتخذت أم حَبيبة بنتُ أبى سفيان رضى الله عنها الدار التى يقال لها دار آل شرحبيل ، فوهبتها لشرحبيل بن حَسَنة ، فلم تزل لابنيه حتى باعوا صدرها من المهدى فزادها فى مؤخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة إحدى وستين ومائة ، ثم ذكر ما سنورده فى ذكر الدور المطيفة بالمسجد .

وقال ابن زبالة عقب ما تقدم : وأدخل بقية دار عبد الله بن مسعود التى يقال لها دار القُرّاء ، ودارَ المِسْوَر بن مَخْرَمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف ابن زُهْرة .

قلت : ذكر ابنُ شبة هذه الدار فى دور بنى زُهْرة ، فقال : واتخذ مخرمة ابن أهيب بن نوفل داراً ، وهى فى زاوية المسجد عند المنارة الشرقية اليمانية ، فاشترى المهدى بعضها فأدخله فى رحبة المسجد القُصْيا وفى الطريق ، وبيعت بقيتها فصارت لرجل من آل مطرف ثم صارت لبعض بنى بَرْمَك ثم صارت صافية اليو ، انتهى .

وقوله « المنارة الشرقية اليمانية » تحريفٌ والصواب الشامية .

قال ابن زبالة ويحيى عقب ما تقدم : وفرغ من بنيان المسجد سنة خمس وستين ومائة ، وقد كان هم بسد خَوْخَة آل عمر ، وأمر بالمقصورة فهدمت وخفضت إلى مستوى المسجد ، وكانت مرتفعة ذراعين عن وجه المسجد ، فأوطأها مع المسجد ، فكلمه آلُ عمر فى خَوْخَتهم حتى كثر الكلام بينهم ، فأذن لهم ففتحوها وخَفَضوها فى الأرض شبه السِّرْب ؛ فصارت فى المسجد : أى خارج المقصورة عليها شباك حديد ، وزاد فى المسجد لتلك الخَوْخَة ثلاث درجات؛ فهى على ذلك إلى اليوم .

ويؤخذ مما ذكره ابن زبالة من الكتابة على أبواب المسجد فى زمن المهدى أنه زَخْرَفه بالفُسَيْفِسَاء[1] كما فعل الوليد، ويشهد لذلك بقية من الفسيفساء كانت فيما زاده فى مؤخر المسجد عند المنارة الغربية الشامية ، وفيما يقرب منها من الحائط الغربى ، ولم أر فى كلام أحد من مؤرخى المدينة أن المسجد الشريف زِيدَ فيه بعد المهدى ، لكن قال الزين المراغى ما لفظه : وقيل : إن المأمون زاد فيه ، وأتقن بنيانه أيضاً فى سنة اثنتين ومائتين .

قال السهيلى : وهو على حاله ، ورزين ينكر ذلك ، ويمكن الجمع بأنه جدده ولم يزد ، انتهى .

قلت : ولم أر فى كلام رزين تعرضاً لحكاية ذلك حتى ينكره ، وهذا بعيد جداً ؛ لأن مَنْ أدرك زمن المأمون من مؤرخى المدينة لم يتعرض لشىء من ذلك، نعم رأيت فى المعارف لابن قتيبة بعد ذكر زيادة المهدى مالفظه : وزاد فيه المأمون زيادةً كثيرةً ووسعه ، وقرأت على موضع زيادة المأمون : أمَرَ عبد الله بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين ومائتين ، وذكر أشياء من الأمر بالعدل وتقوى الله ، وهذا لا دلالة فيه على زيادة المأمون فى المسجد ؛ لاحتمال أنه وقع فى زمنه عمارة من غير أن يزيد فيه ، على أن فى كلام يحيى وغيره فى حكاية ما كان مكتوباً فى المسجد ما يدل على كتابة مثل ذلك لمن تجددت ولايته من الخلفاء فقط ، والله أعلم .

الفصل التاسع عشر

فيما كانت عليه الحجرة الشريفة الحاوية للقبور المنيفة فى مبدأ الأمر

قد قدمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بنى المسجد بنى بيتين لزوجتيه عائشة وَسَوْدَةَ رضى الله عنهما على نعت بناء المسجد من لبِنٍ وجريد النخل ،قال ابن النجار: وكان لبيت عائشة رضى الله عنها مصراع واحد من عَرْعَرٍ أوساج، وتقدم أيضاً

---

(١) الفسيفساء : انظر ص ٥١٨ من هذا الجزء .

فى الفصل التاسع عن جماعة ممن أدرك بيوت النبى صلى الله عليه وسلم لما أدخلت فى المسجد أنها كانت من جريد مستورة بمُسُوح الشعر ، وأن عمران بن أبى أنس قال : كان فيها أربعة أبيات بلبن لها حجر من جريد ، الخبرَ المتقدم

أول من بنى جدارا على بيت عائشة

قلت: وكان بيت عائشة رضى الله عنها أحد الأربعة المذكورة، لكن سيأتى من رواية ابن سعد أنه لم يكن عليه حائط زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن أول مَنْ بنى عليه جداراً عمرُ بن الخطاب ، وليحمل على أن حجرة الجريد التى كانت مضافة له ، أبدلها عمر بجدار ، جمعا بين الروايات ، وتقدم أيضا قول عبد الله بن يزيد الهذلى : ورأيتُ حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز مبنية باللبن حولها حجر من جريد ممدودة ، إلا حجرة أم سلمة ، وقول الحسن البصرى : كنت أدخل بيوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مُرَاهق ، وأنالُ السقف بيدى ، وكان لكل بيت حجرة ، وكانت حُجَرهُ من أكسية من شَعَر مربوطة فى خشب عَرْعَر

قلت : والظاهر أن ما يستر به الحجر المذكورة هو المراد فى حديث كشفه صلى الله عليه وسلم لسَجْفِ[1] حجرته ، كما فى الصحيح ، والسجف لغة : الستر

وفى التحفة لابن عساكر عن داود بن قيس أنه قال : أظن عرض البيت من الحجرة إلى باب البيت نحو من ست أو سبع أذرع ، وأظن سمكه بين الثمان والتسع نحو ذلك ، ووقفت عند باب عائشة فإذا هو مستقبل المغرب ، وهو صريح فى أن الباب كان فى جهة المغرب ، وسيأتى ما يؤيده .

وكذا ما روى فى الصحيح من كشفه صلى الله عليه وسلم سجْفَ الباب[1] فى مرضه وأبو بكر رضى الله عنه يؤم الناس ، وترجيل عائشة رضى الله عنها شَعْره وهو فى معتكَفه وهى فى بيتها كما تقدم فى حديث : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا اعتكف يُدْنِى إلىّ رأسه فأرجّله[2] ، وفى رواية النسائى : يأتينى وهو

---

(١) السجف — بكسر السين وفتحه — ومثله السجاف — بزنة الكتاب — الستر

(٢) أرجله : أسرح شعره

معتـكف فى المسجد ، فيتكئ على عتبة باب حجرتى ، فأغسل رأسه وأنا فى حجرتى وسائره فى المسجد ، لـكن سبق أيضا ما يقتضى أن الباب كان مستقبل الشام ، وهو ضعيف أو مُؤول ، أما ضعفه فلما تقدم من أن بيت فاطمة رضى الله عنها كان ملاصقا له من جهة الشام وأن مربعة القبر كانت بابَ على ، و يحتمل أن بعضه من جهة الشام كان ملاصقا بيت فاطمة دون بعضه ، فيتأتى ذلك ، ويدل له ما قدمناه فى بيت فاطمة رضى الله عنها من أن الموضع المزور فى بناء عمر ابن عبد العزيز كان مخرجا للنبى صلى الله عليه وسلم ، وأما تأويله فبأحد أمرين كما أشار إليه الزينُ المراغى : أحدهما حَمْلُه على أنه باب شَرَّعَتْه عائشة رضى الله عنها لما ضربت حائطا بينها و بين القبور المقدسة بعد دفن عمر رضى الله عنه ، لا أنه الباب الذى كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وفيه بعد ؛ لأنه سيأتى ما يؤخذ منه أن الحائط الذى ضربته كان فى جهة المشرق ، ثانيهما لأنه كان له بابان ؛ إذ لامانع من ذلك، وهذا محمل مارواه ابن عساكر عن محمد بن أبى فديك عن محمد بن هلال أنه رأى حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من جريد مستورة بمُسُوح الشَّعَر، فسألته عن بيت عائشة ، فقال : كان بابه من جهة الشام ، قلت : مصراعا كان أو مصراعين ؟ قال : كان باب واحد ، قلت : من أى شىء كان ؟ قال : من عرعر أوساج ، وهذا مستند ابن عساكر فى قوله : وباب البيت شامى، ولم يكن على الباب غَلَق مدة حياة عائشة ، اهـ

ثم ظفرت فى طبقات ابن سعد بمـا يصرح بأن الحجرة الشريفة كان لهـا بابان ؛ فإنه روى من طرق أنهم صلوا على النبى صلى الله عليه وسلم بحجرته ، وروى فى أثناء ذلك عن أبى عسيم قال : لمـا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : كيف نصلى عليه؟قالوا : ادخلوا من دا الباب أرْسَالاً أرسالا[1] فصلوا عليه ، واخرجوا من الباب الآخر ، والله أعلم

(١) أرسالا : جمع رسل — بفتح كل من الراء والسين — وهى الجماعة

وكان بيتُ حفصة بنت عمر رضى الله عنها ملاصقا لبيت عائشة رضى الله عنها من جهة القبلة

ونقل ابن زبالة فيما رواه عن عبد الرحمن بن حميد وعبيد الله بن عمر بن حفص وأبى سَبْرة وغيرهم أنه كان بين بيت حفصة و بين منزل عائشة الذى فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم طريق، وكانتا يتهادَيَانِ الكلام وهما فى منزليهما[1] ، من قُرْبِ ما بينهما ، وكان بيت حفصة عن يمين الخوْخَة

قلت : فهو موقف الزائرين اليوم داخل المقصورة وخارجها ، كما ذكره المطرى ، وتقدم فى حدود المسجد النبوى أن جدار الحجرة مما يلى المسجد كان فى حد القناديل التى بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر ، و بين الأساطين المقابلة لها ، وهى التى إليها المقصورة الدائرة على الحجرة من جهة المغرب ، وأن المسجد زيد فيه من تلك الجهة شىء من الحجرة ، وأن الظاهر أن ما ترك فى المسجد من الحجرة كان من مرافقها كالدهليز للباب ، وأن ما بنى عليه من ذلك هو صفة بيت عائشة رضى الله عنها التى وقع الدفن بها

هـذا ما تحصل لى من كلام متقدمى المؤرخين ، خلاف ما اقتضاه كلام متأخريهم، من أن جدار الحجرة الذى [فى] جوف الحائز الدائر عليها اليوم هو جدارها الأول ، و إليه ينتهى حد المسجد ، وأن جدار الحائز الذى جعله عمر بن عبد العزيز إنما جعله فيما يلى الحجرة من المسجد ، وقد قدمنا من كلام ابن زبالة والمحاسبى نقلا عن مالك ما يرد ذلك ، والله أعلم

الفصل العشرون

فيما حَدَثَ من عمارة الحجرة بعد ذلك ، والحائز الذى أدير عليها

روى ابن زبالة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما زِلْتُ أضعُ خمارى[2]

---

(١) انظر هذه العبارة فى ص ٥١٥ من هذا الجزء

(٢) الخمار ـ بكسر الخاء ـ غطاء الوجه ، ومعنى وضعه أنها تتركه ولا تلبسه

وأتفضّل فى ثيابى[1] حتى دفن عمر؛فلم أزل متحفظة فى ثيابى حتى بنيت بينى و بين القبور جدارا

وعن المطلب قال : كانوا يأخذون من تراب القبر ، فأمرت عائشة بجدار فضرب عليهم ، وكانت فى الجدار كوة فكانوا يأخذون منها ، فأمرت بالكوة فسدّت

وقال ابن سعد فى طبقاته : أخبرنى موسى بن داود قال : سمعت مالك بن أنس يقول : قسم بيت عائشة باثنين : قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة و بينهما حائط ؛ فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فُضُلا[1] ، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها

وقال ابن سعد أيضا : أخبرنا يحيى بن عباد قال : حدثنا حماد بن زيد قال : سمعت عمرو بن دينار وعبيد الله بن أبى يزيد قالا : لم يكن على عهد النبى صلى الله عليه وسلم على بيت النبى صلى الله عليه وسلم حائط ، وكان أول من بنى عليه جدارا عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال عبيد الله بن أبى يزيد : كان جداره قصيرا ، ثم بناه عبد الله بن الزبير

وقال الأقشهرى : قال أبو زيد بن شبة : قال أبو غسان بن يحيى بن على ابن عبد الحميد ــ وكان عالما بأخبار المدينة ومن بيت كتابة وعلم ــ : لم يزل بيت النبى صلى الله عليه وسلم الذى دفن فيه هو وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ظاهرا حتى بنى عمر بن عبد العزيز عليه الحِظَار[2] المزور الذى هو عليه اليوم حين بنى المسجد فى خلافة الوليد بن عبد الملك ، و إنما جعله مزورا كراهة أن يشبه تربيعه تربيع الكعبة، وأن يتخذ قبلة فيصلى إليه

قال أبو زيد : قال أبو غسان : وقد سمعت غير واحد من أهل العلم يزعم

(١) فضلا ــ بضم كل من الفاء والضاد ــ أى مقتصرة على ثياب المهنة ، وتفضلت : اقتصرت فى لباسها على ذلك

(٢) الحظار ــ بكسر الحاء ، بزنة الكتاب ــ الحائط وكل ما حال بينك وبين شىء .

أن عمر بنى البيت غير بنائه الذى كان عليه ، وسمعت من يقول : بنى علىّ بيت النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أجْدُر ، فدور القبر ثلاثة أجدر : جدار بناء بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وجدار البيت الذى يزعم أنه بنى عليه يعنى عمر بن عبد العزيز ، وجدار الحظار الظاهر ، انتهى ما نقله الأقشهرى .

قلت : ولم يوجد على الحجرة الشريفة عند انكشافها فى العمارة التى أدركناها غير جدار واحد جوف الحظار الظاهر .

وقال ابن سعد : أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى المكى قال : حدثنا مسلم بن خالد قال : حدثنى إبراهيم بن نوفل بن سعيد بن المغيرة الهاشمى عن أبيه قال : انهدم الجدار الذى على قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى زمان عمر بن عبد العزيز ، فأمر بعمارته ، قال : فإنه لَجالس وهو يبنى إذ قال لعلى بن حسين : قم يا على فَقُمَّ البيتَ[1] ، يعنى بيتَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه القاسم بن محمد قال : وأنا أصلحك الله ، قال : نعم وأنت فَقُم ؛ ثم قال له سالم بن عبدالله : وأنا أصلحك الله ، قال: اجلسوا جميعا ، وقُمْ يا مزاحم ، فقُمَّه ، فقام مزاحم فقمهُ، قال مسلم: وقد أثبت لى بالمدينة أن البيت الذى فيه قبر النبى صلى الله عليه وسلم بيت عائشة ، وأن بابه و باب حجرته تُجاه الشام . وأن البيت كما هو سقفه على حاله، وأن فى البيت جرة وخلق رخالة ، انتهى.

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهرى عن أبيه قال : جاف[2] بيت النبى صلى الله عليه وسلم من شرقيه ، فجاء عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، فأمر ابن وردان أن يكشف عن الأساس، فبينما هو يكشفه إلى أن رفع يده وتَنَحَّى[3] واجما، فقام عمر بن عبد العزيز فَزِعا ، فقال عبد الله بن عبيد الله : أيها الأمير لا يَرُوعَنَّك فتانك قَدَمَا جدك عمر ابن الخطاب ضاق البيت عنه فحفر له فى الأساس، فقال : يا ابن وردان[4] غَطِّ ما رأيت، ففعل.

---

(١) قم البيت يقمه — مثل شده يشده — أى كنسه ، والقمامة كالكناسة وزنا ومعنى

(٢) جاف : أى ظهرت له رائحة ، وقد جاء فى بعض الروايات أن هرة ماتت داخله

(٣) تنحوا : ابتعدوا

(٤) لعل ابن وردان كان يعمل مع أبيه فتارة يسند العمل إليه وتارة يسنده إلى أبيه

وروى أيضاً عن المطلب أنه لما سقط الجدار من شق موضع الجنائز أمر عمر بقباطِىّ[1] مخيطات، ثم ستر بها، وأمر أبا حفصة مولى عائشة وناساً معه فبنوا الجدار، فجعلوا فيه كُوَّة، فلما فرغوا منه ورفعوه دخل مزاحم مولى عمر فَقَمَّ ما سقط على القبر من التراب والطين، ونزع القباطى، وكان عمر يقول: لأَنْ أكونَ وليت ما ولى مُزَاحم من قَمِّ القبور أَحَبُّ إلى من أن يكون لى من الدنيا كذا وكذا، وذكر مرغوباً من الدنيا.

وروى يحيى من طريقه أيضاً عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتى المسجد، فأبدأ بالنبى صلى الله عليه وسلم، فأسلم عليه، ثم آتى مُصَلاَّىَ فأجلس به حتى أصلى الصبح، فخرجت فى ليلة مَطِيرة حتى إذا كنتُ عند دار المُغِيرة بن شُعْبة لقيتنى رائحةٌ لا والله ما وجدْت مثلها قط، فجئت المسجد فبدأت بقبر النبى صلى الله عليه وسلم فإذا جِدَاره قد انْهَدَم، فدخلت فسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم، ومكثت فيه مَلِيًّا، وذكر صفة القبور كما سيأتى عنه، قال: فلم أَلْبَثْ أن سمعتُ الحِسّ، فإذا عمر ابن عبد العزيز قد أخبر فجاء، فأمر به فسُتِر بالقَبَاطِى[1]، فلما أصبح دعا وردان البنّاء فقال له: أُدخل فدخل فكشف فقال: لا بد لى من رجل يناولنى، فكشف عمر بن عبد العزيز سَاقَيْه يريد يدخل، فكشف القاسم بن محمد، فكشف سالم بن عبد الله، فقال عمر: مالكم؟ فقالوا: ندخل والله معك، قال: فلبث عمر هنيهة ثم قال: والله لا نؤذيهم بكثرتنا اليوم، أُدخل يا مُزَاحم فناولْه، فقال عمر: يا مزاحم كيف ترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم؟ قال: متطاطيا، قال: فكيف ترى قبر الرجلين؟ قال: مرتفعين. قال: أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورواه رزين عن عبد الله المذكور باختصار، وخالف سياق يحيى فى وصف القبور كما سيأتى التنبيه عليه، وقال فيه: فأخبرت بذلك عمر، فجاء فأمر به فستر بالقباطى[1]، وذكره بنحوه.

---

(١) القباطى: ثياب كانت تصنع فى مصر

وفى العتبية: قال مالك : انهدم حائط بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيـــه قبره ، فخرج عمر بن عبد العزيز واجتمعت رجالات قريش ، فأمر عمر ابن عبد العزيز فستر بثوب ، فلما رأى ذلك عمر بن عبد العزيز من اجتماعهم أمر مُزَاحما أن يدخل ليخرج ما كان فيه ، فدخـل فَقَمَّ ما كان فيه من لَبِنٍ أو طين ، وأصلح فى القبر شيئاً كان أصابه حين انهدم الحائط ، ثم خرج وستر القبر ثم بنى ، انتهى .

وروى البخارى فى الصحيح من حديث هشام بن عُرْوَة عن أبيه ، قال : لما سقط عنهم الحائط زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا فى بنائه ، فَبَدَتْ لهم قَدَم ، ففزعوا وظنوا أنها قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فما وجدوا أحداً يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا والله ما هى قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، ما هى إلا قدم عمر .

و يستفاد مما تقدم أن السبب فى هـذا البناء سقوطُ الجدار المذكور بنفسه ، ولعله بسبب المطر المشار إليه فى الرواية المتقدمة .

و يخالفه ما رواه أبو بكر الآجرى من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام ابن عُرْوة قال : أخبرنى أبى قال : كان الناس يَصِلُونَ إلى القبر ، فأمر به عمر ابن عبد العزيز فرفع حتى لا يصل إليه أحد ، فلما هدم بَدَتْ قدمٌ بساق وركبة ، ففزع عمر بن عبد العزيز ، فأتاه عروة فقال :هذا ساق عمر وركبته ا فسُرِّى[1] عن عمر بن عبد العزيز .

ومن طريق مالك بن مغول عن رجاء بن حَيْوة قال : كتب الوليـد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان قد اشترى حُجَر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، أن اهْدِمْهَا ووسِّع بها المسجد ، فقعد عمر فى ناحية ، ثم أمر بهدمها ، فما رأيت باكيا أكثر من يومه ، م بناها كما أراد ، فلما أنْ بَنَى البيت على القبر وهدم البيت الأول ظهرت القبور الثلاثة ، وكان الرمل الذى عليها قد انهار ،

(١) سرى عن عمر : ذهب عنه ما كان أصابه من الفزع

ففزع عمر بن عبد العزيز ، وأراد أن يقوم فيسويها بنفسه ، فقلت له : أصلحك الله ! إنك إن قمتَ قام الناس معك ، فلو أمرت رجلا أن يصلحها ، ورجوتُ أن يأمرنى بذلك ، فقال : يامزاحم — يعنى مولاه — قم فأصلحها .

ونقل الأقشهرى عن الرشيد أبى المظفر الكازرونى شارح المصابيح أنه قال : سألت جمعا من العلماء عن سبب ستر القبور عن أعين الناس : أى باتخاذ جدار لا بابَ له ، فذكر بعضهم أنه لما مات الحسن بن على أوصى أن تحمل جنازته ويحضر بها قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يرفع ويقبر فى البقيع ، فلما أراد الحسين أن يجيز وصيته ظن طائفة أنه يدفن فى الحضرة ، فمنعوه وقاتلوه ، فلما كان عبد الملك أو غيره سَدُّوا وستروا .

وقال أبو غسان فيما حكاه الأقشهرى : أخبرنى الثقة عن عبدالرحمن بن مهدى عن منصور بن ربيعة عن عثمان بن عروة قال : قال عروة : نازلت[1] عمر بن عبد العزيز فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يجعل فى المسجد أشَدّ المنازلة ، فأبى ، وقال : كتاب أمير المؤمنين لابد من إنفاذه ، قال : فقلت : فإنْ كان لابدّ فاجعل له حوجوا (أى وهو الموضع المزور خلف الحجرة) .

وروى ابن زبالة عن محمد بن هلال وعن غير واحد من أهل العلم أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فيه قبره صلى الله عليه وسلم ، وهو بيت عائشة الذى كانت تسكن ، وأنه مُرَبَّع مبنى بحجارة سود وقَصَّة الذى يلى القبلة منه أطوله ، والشرقى والغربى سواء ، والشامى أنقصها ، وباب البيت مما يلى الشام ، وهو مسدود بحجارة سود وقَصَّة ، ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت هذا البناء الظاهر ، وعمر بن عبد العزيز زوّاه لأن يتخذه الناس قبلة تخص فيه الصلاة من بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قاتل الله اليهودَ اتَّخَذُوا قبور أنبيائهم مساجد » وقال « اللهم لاتجعل قبرى وَثَناً يعبد — الحديث » قالوا : والبناء الذى حول البيتِ بيتِ رسول الله صلى

---

(١) نازلت عمر أشد المنازلة : غالبته فى النزول ، كل منازل يدعو راغبا فى ذلك أشد الرغبة

الله عليه وسلم بينه و بين البناء الظاهر اليوم مما يلي المشرق ذراعان، ومما يلي المغرب ذراع، ومما يلي القبلة شبر، ومما يلي الشام فضاء كله، وفي الفضاء الذي يلي الشام مركن مكسور [1] ومكيل خشب ، قال عبد العزيز بن محمد: يقال إن البنّائين نسوه هناك ، انتهى .

وروى يحيى عن أبي غسان محمد بن يحيى قال : سمعت من يقول في الحظار الذي على قبر النبي صلى الله عليه وسلم مركن وخشبة وحديدة مسندة ، قال محمد بن يحيى : وقال عبد الرحمن بن أبي الزناد : هو مركن تركه العمال هناك ، وقال محمد بن يحيى — يعني أبا غسان — فأما أنا فإني أطلعْتُ في الحظار فلم أرى شيئاً ، فزعم لي زاعم أنه قد رأى ثَمّ المركن وشيئاً موضوعاً مع المركن ، وأما أنا فلم أرَهُ ، ولم أعلم أحداً يدرى من أخذه ، ولم أر للبيت الذي في الحظار باباً ولا موضع بابه ، وقد أخبرني ابن أبي فديك أنه رأى باب بيت النبي صلى الله عليه وسلم مما يلي الشام ، انتهى . وقد حكى الأقشهري عن أبي غسان أيضاً نحو ذلك .

قلت : ولم نر للبيت عند انكشافه في العمارة التي أدركناها باباً ولا موضع باب ، ولم يوجد في الفضاء الذي يلي الشام من الحظار المذكور مركن [1] ولا غيره مما ذكر ، وسيأتي في الفصل الثالث والعشرين أن ابن عاث ذكر أنهم وجدوا عند عمارة حائط سقط بالحجرة قَعْباً انكسر عند سقوط الحائط ، وأنه حمل إلى بغداد، فإن صح فلعله المراد ، وفيما قدمناه إشعار بأن موضع القبور الشريفة كان مسقفاً تحت سقف المسجد كما سيأتي التصريح به ، ولهذا لما انكشف سقف المسجد رأوا ما بين الحظار الظاهر والحجرة ؛ ولم يروا جَوْفَ الحجرة ، ويدل له ما سيأتي عن أبي الجوزاء قال : قُحِطَ أهلُ المدينة قحطاً شديداً ، فشكوا إلى عائشة، فقالت: فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف ، ففعلوا ، فمُطِروا ، الخبرَ الآتي ، لكن سيأتي في الفصل الرابع والعشرين عن ابن رشد أنه قال في بيانه : إن الثقة أخبره أنه لا سقف له في زمنه تحت سقف المسجد ، وكنت أظن أن ذلك بعد حريق المسجد ، فإن

---

(١) المركن — بوزن المنبر — الإجانة التي تغسل فيها الثياب ، ويجمع على مراكن

كلام المؤرخين الاتى متطابق على أنه لا سقف للحجرة بعد الحريق إلا سقف المسجد ، ثم تبين أن زمن ابن رشد كان قبل الحريق بمدة مديدة[١] ؛ لأن وفاته سنة عشرين وخمسمائة ، ثم أطلعنا فى العمارة التى أدركناها على وجود سقف جعل بعد الحريق وعلى آثار السقف الذى كان قبله كما سيأتى بيانه ، والله أعلم .

الفصـــل الحادى والعشرون

فيما روى من الاختلاف فى صفة القبور الشريفة ، بالحجرة المنيفة

وما جاء من أنه بقى بها موضع قبر ، وأن عيسى بن مريم عليه السلام يدفن بها ، وما جاء فى تنزل الملائكة حافّين بالقبر الشريف ، وتعظيمه ، والاستسقاء به .

اعلم أن ابن عسَاكر ذكر فى تحفته الاختلافَ فى صفة القبور الشريفة ، فذكر فى ذلك سبعَ رواياتٍ ، وسبقه إلى ذلك شيخُه ابن النجار ، لـكنه ذكر ستاً فقط .

رواية نافع فى وضع القبور

الأولى : ما رواه عن نافع بن أبى نعيم أن صفة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر أبى بكر وقبر عمر ، قبرُ النبى صلى الله عليه وسلم أمامها إلى القبلة مقدماً ، ثم قبر أبى بكر حِذاء مَنْـكِبَىْ[٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبر عمر حذاء منكبى أبى بكر ، وهذه صفته :

النبى صلى الله عليه وسلم

أبو بكر رضى الله عنه

عمـــر رضى الله عنه

---

(١) مدة مديدة : أى طويلة ممتدة

(٢) المنـكب ــ بوزن المسجد ــ الموضع الذى يجتمع فيه رأس الـكتف والعضد

قلت : وهذه الرواية هي التي عليها الأكثر وتقل الزين المراغى أن رزينا ويحيي جزَما بها ، وهو كذلك فى كلام رزين ، ورواها عن عبد الله بن محمد بن عقيل فقال عقب خبره المتقدم فى قصة سقوط جدار الحجرة : ورأيت القبور ، فإذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمام ، وقبر أبى بكر خلفه ، وقبر عمر خلف قبر أبى بكر ، ورأس أبى بكر عند منكبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر عند منكبى أبى بكر ، وأما يحيى فلم أر فى كلامه الجزمَ بذلك ، بل رأيته حكى اختلاف الروايات كغيره ، ولفظه فى حكاية هذه الرواية : حدثنا هرون بن موسى قال : سمعت أبى يذكر عن نافع بن أبى نعيم وغيره من المشايخ ممن له سنّ وثقة أن صفة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر ما تقدم ، ورأيت فى نسخة من كتاب يحيى تصويرَ القبور الشريفة على هذه الصفة ، وقال : إنها صفة القبور الشريفة فيما وصَف بعضُ أهل الحديث عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ، ثم ذكر ما سيأتى فى الصفة السادسة .

وروى ابن سعد فى طبقاته فى ذكر أبى بكر رضى الله عنه من طريق الواقدى عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى سَبْرة عن عمر بن عبد الله بن عروة أنه سمع عروة والقاسم بن محمد يقولان : أوصى أبو بكر عائشةَ أن يُدْفَنَ إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توفى حُفِر له ، وجعل رأسه عند كَتِفَيْ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقبر هناك .

ثم روى من طريق الواقدى أيضاً عن ربيعة بن عثمان عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : رأس أبى بكر عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر عند حَقْوَيْ أبى بكر .

قلت : وفى هذه مخالفة يسيرة لما تقدم بالنسبة إلى عمر رضى الله عنه .

رواية القاسم بن محمد

الثانية : روى أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال : دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها : يا أُمّة اكشفى لى عن قبر النبى

صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، فكشفت لى عن ثلاثة قبور لا مُشْرِفة ولا لاطية، مبطوحة ببطحاء العَرْصَة الحمراء . زاد الحاكم: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدماً ، وأبا بكر رأسُه بين كتفى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمر رأسُه عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن عساكر : وهذه صفته .

عمـــــر رضى الله عنه	النبى صلى الله عليه وسلم
	أبو بكر رضى الله عنه

قلت : وقد صحح الحاكم إسناد هذه الرواية ، والله أعلم .

رواية عثمان ابن نسطاس

الثالثة : ما رواه الزبير بن بكار عن ابن زَبالة قال : حدثنى إسحاق بن عيسى عن عثمان بن نسطاس قال : رأيت قبر النبى صلى الله عليه وسلم لما هدم عمر بن عبد العزيز عنه البيت مرتفعاً نحواً من أربع أصابع عليه حصْباء إلى الحمرة ماهى ، ورأيت قبر أبى بكر وراء قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ورأيت قبر عمر أسْفَلَ منه ، وصَوَّره لنا كما صوره له عثمان .

قلت : ولم يكن فى النسخة التى وقفتُ عليها من ابن زبالة تصويرٌ ، وصَوَّر ذلك ابنُ عساكر هكذا :

النبى صلى الله عليه وسلم
أبو بكر رضى الله عنه
عمـــــر رضى الله عنه

قلت : وابن زبالة ضعيف ، و إسحاق بن عيسى هو ابن بنت داود بن أبى هند، صدوق يخطىء، وعثمان بن نسطاس هو عُثَيْم مصغر بن نسطاس بكسر النون المدنى أخو عبيد مولى آل كثير بن الصلت، مقبول حيث يتابع، و إلا فَلَيِّنُ الحديث. وقد ذكر الحافظ

ابن حجر أن أبا بكر الآجرى روى هـذا الخبر فى كتاب صفة قبر النبى صلى الله عليه وسلم من طريق إسحاق بن عيسى المذكور عن ابن نسطاس ، وليس فيه ذكر تصوير ، ولم يذكر الحافظ ابن حجر الواسطة بين الآجرى وإسحاق بن عيسى ، وهذه الرواية مع ما فيها من الضعف قابلة للتأويل بردها إلى الرواية التى قبلها ، وإن كان التصوير يأباه ؛ لجواز حمله على التقريب ، والله أعلم

رواية المنكدر بن محمد

الرابعة : روى ابن زبالة عن المنكدر بن محمد عن أبيه قال : قبر النبى صلى الله عليه وسلم هكذا ، وقبر أبى بكر خلفه ، وقبر عمر خلفه عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وصوره ابن عساكر هكذا :

عمر رضى الله عنه	النبى صلى الله عليه وسلم
	أبو بكر رضى الله عنه

قلت : ويمكن رد هذه الرواية مع ضعفها إلى الثانية ؛ لأن قوله « وأبو بكر خلفه » صادق بأن يكون رأسه عند منكبى النبى صلى الله عليه وسلم

رواية عمرة عن عائشة

الخامسة : روى يحيى بإسناد فيه إسماعيل بن عبد الله بن أبى أويس عن أبيه ـ وإسماعيل صدوق، لكن أخطأ فى أحاديث من قبل حفظه ، وأبوه صدوق يَهِمُ ، وبقية رجاله ثقات ـ عن عَمْرة عن عائشة رضى الله عنها وصفت لنا قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر أبى بكر وقبر عمر ، وهذه القبور فى سَهْوَةٍ فى بيت عائشة ، رأسُ النبى صلى الله عليه وسلم مما يلى المغرب ، وقبر أبى بكر رأسه عند رجلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبر عمر خلف النبى صلى الله عليه وسلم ، وبقى موضع قبر ، وهذه صفة قبورهم على ما وصف ابن أبى أويس عن يحيى بن سعيد وعبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة ، ولم يصور يحيى لذلك شيئا

وروى ابن زبالة نحو ذلك وقد ذكره من طريق ابن عساكر ، ثم قال : وهذه صفته

أبو بكر رضى الله عنه	النبى صلى الله عليه وسلم
	عمر رضى الله عنه

قلت : ويردها ما روى من أن رجلى عمر رضى الله عنه ضاق عنها الحائط فحفر لهما فى الأساس

وفى الصحيح كما سبق قول عروة « ما هى إلا قدم عمر »

رواية أخرى عن القاسم بن محمد

السادسة : روى ابن زبالة عن القاسم بن محمد قال : دخلت على عائشة فقلت : يا أمهْ أرِينِي قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، فكشفت لى عن قبورهم ، فإذا هى لا مرتفعة ولا لاطية ، مبطوحة ببطحاء حمراء من بطحاء العرصة ، فإذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم أمامهما ، ورجلا أبى بكر عند رأس النبى صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر عند رجليه

قال ابن عساكر : وهذه صفتها :

	النبى صلى الله عليه وسلم
عمـــــر رضى الله عنه	أبو بكر رضى الله عنه

قلت : وهذه الرواية مع ضعفها معارضة بما تقدم فى الرواية الثانية عن القاسم ابن محمد المذكور ، وتلك أصح ، وما سيأتى فى صفة الحجرة الشريفة يأبى ذلك أيضا ، وقد رأيتها فى نسخة من كتاب يحيى رواه ابنُه طاهر عنه على هذه الصورة:

	النبى صلى الله عليه وسلم
عمـــــر رضى الله عنه	أبو بكر رضى الله عنه

وقال : إنها عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها ، ثم قال ابن فراس أحد رواة النسخة المذكورة عن طاهر بن يحيى : سألتُ طاهر بن يحيى أن يصور لى بخطه صفة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقبر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فصور لى بيده هذه الصورة ، انتهى

رواية عبد الله ابن محمد ابن عقيل

السابعة : ما روى يحيى من طريق ابن زبالة فى الخبر المتقدم فى الفصل قَبْله فى قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة فى تلك الليلة المَطِيرة عن عبد الله بن محمد ابن عقيل ، قال عقب قوله فيما تقدم « فدخلت فسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم ومكثت فيه مَلِيّا ، ورأيت القبور فإذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، وقبر أبى بكر عند رجليه ، وقبر عمر عند رجلى أبى بكر ، وعليهما حَصًى من حصباء العرصة » قال ابن عساكر : وهذه صفته :

		النبى صلى الله عليه وسلم
	أبو بكر رضى الله عنه	
عمر رضى الله عنه		

قلت : وهذه الرواية نقلها رزين عن عبدالله بن عقيل ، وساقها باللفظ السابق ، إلا أنه قال : ورأيت القبور ، فإذا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمام ، وذكر ما قدمنا عنه فى الرواية الأولى ، وهو مخالف لما فى هذه الرواية ، وهو أولى بالاعتماد ؛ لأن هذه الرواية ضعيفة مع بُعْدها مما سيأتى فى وصف الحجرة الشريفة ، سيما على ما سبق من قسم عائشة رضى الله عنها الحجرة باثنين ، ولها شاهد لكنه ضعيف أيضا ، وهو ما فى طبقات ابن سعد عن مالك بن إسماعيل — أظنه مولى لآل الزبير — قال : دخلت مع مُصْعَب بن الزبير البيتَ الذى فيه يعنى قبر رسول

الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فرأيت قبورهم مستطيلة . انتهى

وفى رواية للآجرى ما يوهم صفة ثامنة ؛ فإنه ذكر عقب الخبر المتقدم عن رجاء ابن حَيْوة فى إدخال الحجرة فى المسجد ما لفظه : قال رجاء : فكان قبر أبى بكر وسطه ، ولم يذكر فيه عمر رضى الله عنه ، فإن الضمير فى قوله « وسطه » إن كان للبيت فواضح ، وإن كان للنبى صلى الله عليه وسلم فهذه صفة أخرى ، لكن ينبغى تأويلها أيضا على التجوز فى لفظ الوسط ليوافق رواية غيره

وأما ما أخرجه أبو يَعْلىٰ عن عائشة : أبو بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ؛ فسَنَدُه ضعيف أيضا ، ويمكن تأويله كما قاله الحافظ ابن حجر

وحينئذ فلم يبق إلا الروايتان الأولَيَان فهما اللتان يتردد بينهما فى الترجيح ، والأولى هى المشهورة ، ومقتضى تصحيح الحاكم لإسناد الثانية ترجيحها ، وهى أصح الروايات ، وقد اشتملت على أن القبور لم تكن مُسَنَّمة[1] وقد قال يحيى : حدثنى هرون بن موسى — قلت : ولا بأس به — قال : حدثنى غير واحد من مشايخ أهل المدينة أن صفات القبور الشريفة مَسْطُوحة عليها بطحاء من بطحاء العرصة حمراء

وروى ابن زبالة من طريق عمرة عن عائشة قالت : ربّع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل رأسه مما يلى المغرب

وأما ما فى صحيح البخارى عن سفيان التمار أنه رأى قبر النبى صلى الله عليه وسلم مُسَنَّما[1] ، زاد أبو نعيم فى المستخرج : وقبر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما كذلك ، ورواه ابن سعد عنه بلفظ : رأيت قبرَ النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر مُسَنَّمة[1] ، فلا يعارض ما قدمناه ؛ لأن سفيان وُلد فى زمان معاوية فلم ير القبر الشريف إلا فى آخر الأمر ، فيحتمل — كما قال البيهقى — أن القبر لم يكن فى الأول

---

(١) سنم البناء : جعله على هيئة سنام البعير ، والتسنيم يقابل التسطيح

مسنما ، ثم سنم لما سقط عن الجدار ؛ فقد روى يحيى عن عبد الله بن الحسين قال : رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما فى زمن الوليد بن هشام . وفى رواية أخرى عنه أن القبر جثوة[1] مرتفعة مُسَنَّمة غير شديدة الارتفاع ، عليها قزع من حَصًى وتربة طيبها الله عز وجل . وروى ابن سعد من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان نبيث[2] قبر النبي صلى الله عليه وسلم شِبرا .

ويؤيد التسطيح مارواه مسلم من حديث فَضَالة بن عبيد أنه أمر بقبر فسوى ثم قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها .

بقى بعدها موضع قبر

وقد تقدم فى الرواية الرابعة أنه بقى بعد القبور الشريفة موضع قبر ، ويؤيده ما روى أن عائشة رضى الله عنها أرسلت إلى عبد الرحمن بن عَوْف حين نزل به الموت: أن هَلُمَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أخويك، فقال : ما كنت مضيقا عليك بيتك ، الخبرَ الآتى فى ذكر قبره ، وكذلك ما سيأتى فى إذنها للحَسَن أن يدفن عندها ، ومَنْع بنى أمية له . وكذلك ما فى صحيح البخارى عن هشام بن عروة أن عائشة أوْصَتْ عبدَ الله بن الزبير : لا تَدْفِنِّى معهم : أى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، وادفنى مع صواحبى بالبقيع لا أزكى به أبدا . وقد أخرجه الإسماعيلى وزاد فيه : وكان فى بيتها موضع قبر ، ولكن فى الصحيح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أرسل إلى عائشة فسألها أن يدفن مع صاحبيه قالت : كنت أريده لنفسى فلأوثرنَّه اليوم على نفسى .

قال الحافظ ابن حجر : فكأن اجتهادها فى ذلك تَغَيَّر ، أو لما قالت ذلك لعمر كان قبل أن يقع لها قصة الجمل ، فاسْتَحْيَتْ بعد ذلك وإن كانت زوجته صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة كما قاله عمار أحد من حارَبَهاَ ، انتهى .

وقال ابن التين : كلامُهاَ فى قصة عمر يدل على أنه لم يبق ما يسع إلا موضع قبر واحد ، فهو يغاير قولها « لا تدفنِّنِى عندهم » فإنه يشعر بموضع للدفن ، والجمع

(١) الجثوة ـ بتثليث الجيم ـ الحجارة المجموع بعضها إلى بعض
(٢) النبيثة : أراد أن ماحوله من التراب كان بهذا القدر

بينهما أنها كانت تظن أولا أنه لا يسع إلا قبرا واحدا ، فلما دفن [عمر] ظهر لها أن هناك وسعا لقبر آخر ، أو أن الذى آثرته به المكان الذى دفن فيه من وراء قبر أبيها بقرب النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك لا ينفى وجود مكان آخر فى الحجرة .

وروى يحيى بسنده إلى عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله ابن سلام عن أبيه عن جده قال : يدفن عيسى بن مريم مع النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، ويكون قبره الرابع .

وفى سنن الترمذى من طريق أبى مودود عن عثمان بن الضحاك عن محمد ابن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه ، قال : فقال أبو مودود : وقد بقى فى البيت موضع قبر ، قال الترمذى : هذا حديث غريب ، وفى بعض النسخ : حسن غريب ، هكذا قال عثمان بن الضحاك ، والمعروف الضحاك بن عثمان المدنى ، انتهى كلام الترمذى .

وفى رواية للطبرانى عن عبد الله بن سلام قال : يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر ؛ فيكون قبرا رابعا ، وهو من رواية عثمان بن الضحاك ، وقد وَثَّقه ابن حِبَّان وضعفه أبو داود .

وذكر الزين المراغى أن ابن الجوزى روى فى المنتظم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض ، فيتزوج ويولد له ، فيمكث خمسا وأربعين سنة ، ثم يموت فيدفن معى فى قبرى ، فأقوم أنا وعيسى بن مريم من قبر واحد بين أبى بكر وعمر .

وقال ابن النجار : قال أهل السير : وفى البيت موضع قبر فى السهوة الشرقية ، قال سعيد بن المسيب : فيه يدفن عيسى بن مريم .

والسهوة : بيت صغير منحدر فى الأرض قليلا شبيه بالمخدع والخزانة ، وقيل :

هو كالصفة يكون بين يدى البيت ، وقيل : هو شبيه بالرف والطاق يوضع فيه الشيء ، ولعل المراد بذلك الموضع الذى ضربت عليه عائشة جدارا وسكنت به كما سبق .

وسنذكر فيما استقر عليه بناء الحجرة أنه عقد على نحو ثلثها الشرقى عقد ، فصار ذلك المحل مميزا عن بقية البيت ، وكان قبله فى البناء ما يشهد لجدار آخر من الشام إلى القبلة فى تلك الجهة ، فلعله الموضع المذكور .

الملائكة يحفون بالقبر

وروى يحيى وابن النجار عن كعب الأحبار قال : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفّوا بالقبر ، يضربون بأجنحتهم ، ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أمْسَوْا عَرَجُوا ، وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك ، حتى إذا انشقت الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة ، صلى الله عليه وسلم .

وفى صحيح الدارمى نحوه من رواية عائشة رضى الله عنها ، وقال فيه : سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفاً بالنهار ، ذكره فى باب ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم بعد موته ، رواه البيهقى فى شُعَبه .

لا ينبغى رفع الصوت فى المسجد

وقد تقدم قولُ عمر رضى الله عنه «إن مسجدنا هذا لا ترتفع فيه الأصوات» وقال أبو بكر رضى الله عنه : لا ينبغى رفع الصوت على نبى حياً ولا ميتاً .

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن غير واحد منهم عبد العزيز بن أبى حازم ونوفل بن عمارة قالوا : إنْ كانت عائشة تسمَعُ صوت الوتد يُوتَد والمسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، فترسل إليهم لا يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : وما عمل على مصراعى داره إلا بالمناصع ، توقّيا لذلك .

وفى الوفاء لابن الجوزى من طريق أبى محمد الدارمى بسنده عن أبى الجوزاء

قال : قُحِطَ أهلُ المدينة قحطا شديدا ، فشكوا إلى عائشة رضى الله عنها فقالت : فانظروا قبرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، فاجعلوا منه كُوَّةً إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سَقْف ، ففعلوا ، فمطِروا حتى نَبَتَ العُشْبُ وسمنت الإبلُ حتى تفتقت من الشحم ، فسمى عام الفتق .

سنة أهل المدينة فى أعوام الجدب

قال الزين المراغى : واعلم أن فتح الكُوَّة عند الجَدْب سُنَّةُ أهل المدينة حتى الآن ، يفتحون كوة فى سفل قبة الحجرة : أى القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة ، و إن كان السقف حائلا بين القبر الشريف و بين السماء .

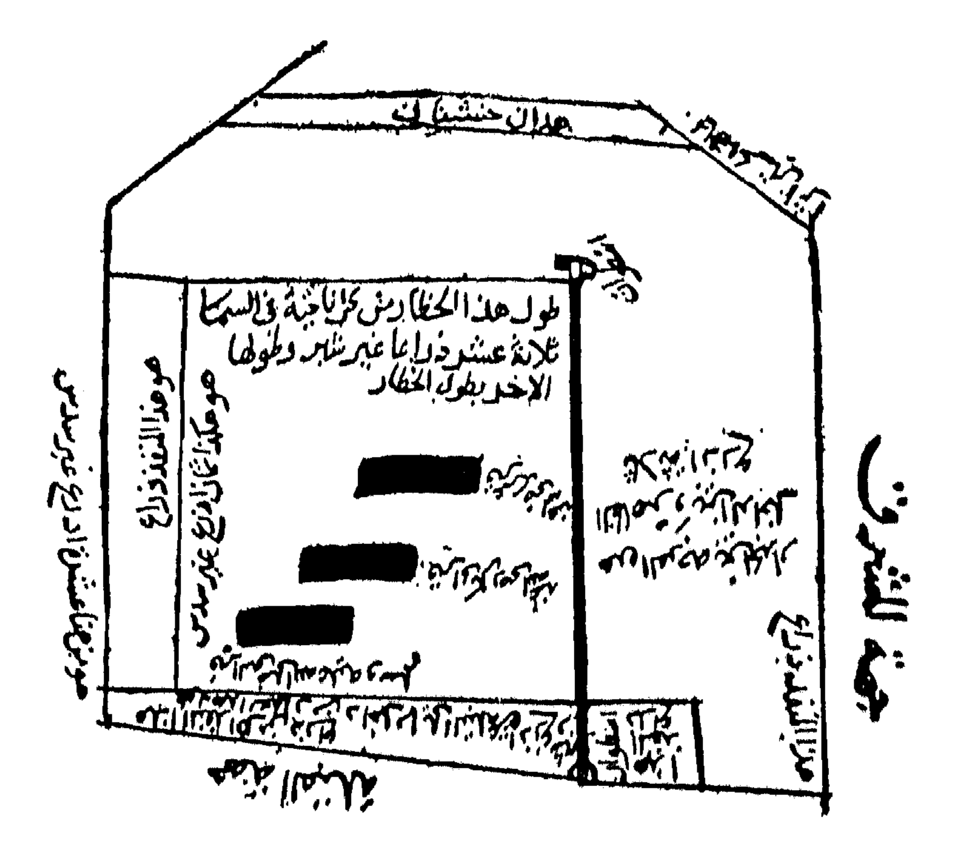
قلت : وسنتُهم اليوم فتحُ البابِ المُوَاجِه للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة ، والاجتماعُ هناك ، والله أعلم .

الفصل الثانى والعشرون

فيما ذكروه من صفة الحجرة الشريفة ، والحائز المخمس الدائر عليها ، و بيان ما شاهدناه مما يخالف ذلك .

قال الأقشهرى ، فيما رواه من طريق ابن شَبَّة : قال أبوغسان — يعنى محمد ابن يحيى — : وأما الحِظار الظاهر والبيت الذى فيه فإنى اطلعْتُ فيه من بين سقفى المسجد حتى عاينت ذلك الحِظار الذى على البيت وما فيه ، وصورته وما فيه ، وذرَعْتُه على مافيه من الذَّرْع ، وذلك حين انكسر خشب سقف المسجد فكشف السقف من تلك الناحية لعمارته ، وأبو البحترى بن وهب بن رشد يومئذ على المدينة ، وذلك فى جمادى الأولى من سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقال أبو زيد — يعنى ابن شبة — فهذه صورته ، ثم صورها الأقشهرى فى كتابه المسمى « بمنسك القاصد الزائر » بهذه الصورة :



وفى هذا التصوير وما ذكر فيه من الذَّرْع مخالفة لما تقدم عن نقل ابن زبالة حيث قال . والبناء الذى حول البيت بينه و بين البناء الظاهر اليوم مما يلى المشرق ذراعان ، والتصوير المذكور قد اشتمل على أن الفرجة المذكورة ثلاثة أذرع ، و يستفاد من التصوير أيضاً أن الفرجة بينهما فى جهة القبلة مختلفة ، فبعضها دون الذراع وهو الشبر المشار إليه فى كلام ابن زبالة ، و بعضها ذراع

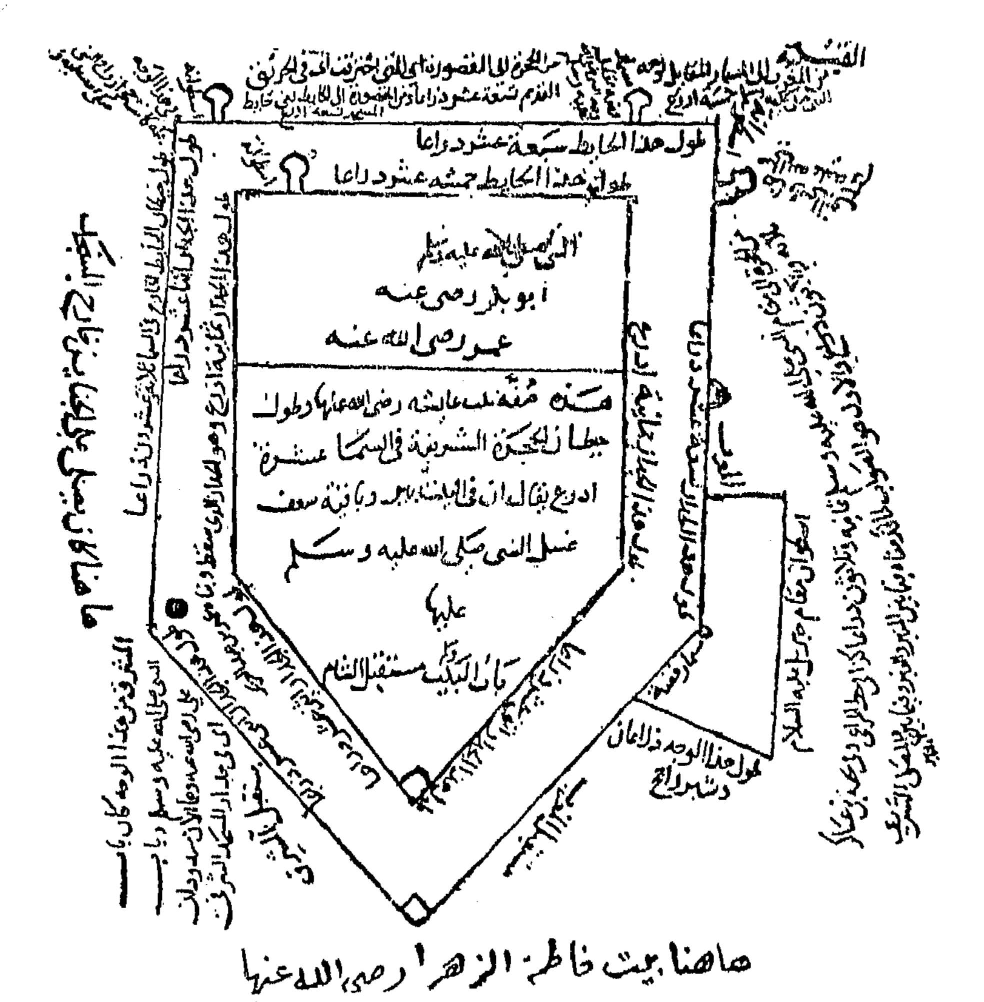
وسنذكر أنّ ما شاهدناه فى صورة الحجرة الشريفة عند انكشافها أقرب إلى التصوير المذكور مما ذكره ابن زبالة ، وأن الحال شاهد بأنه وقع فى بنائها الداخل تغيير ؛ فلم يبق على الصورة المذكورة

وقد أدرك ابن زبالة عمارة أبى البحترى التى كشف فيها سَقْفُ المسجد مما يلى الحجرة الشريفة ، وذكرها فى كتابه فقال : وكان أبو البحترى — إذ كان والياً على المدينة لهارون أمير المؤمنين — كشف سقف المسجد فى سنة ثلاث وتسعين

ومائة ، فوجد فيه سبعين خشبة مكسورة ، فأدخل مكانها خشبا صحاحا ، اه

وكأنه لم يشاهد ذلك كما شاهده أبو غسان ، وعبارة يحيى فى ذكر هذه العمارة : وقد كان خشب من خشب المسجد فوق القبر مما يليه انكسر فى ولاية أبى البحترى، فأمر بكشف السقف ، وذكر ما تقدم عن ابن زبالة ، على أن ابن زبالة ويحيى أشارا فى كتابيهما إلى تصوير الحجرة والحائز الدائر عليها ، لكن الصورة ساقطة من النسخة التى وقعت لنا

وقد صور ذلك ابن النجار فى كتابه ، وأظنه أخذه من نسخة وقعت له من ابن زبالة مشتملة على تلك الصورة ، وتبعه عليها ابن عساكر فى « تحفة الزائر » والمراغى فى تاريخه ، وهى بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة ؛ فلنبدأ بتصويره ، ثم تصوير الصورة التى شاهدناها ، ثم الصورة التى اسْتَقَرَّ بناء الحجرة الشريفة عليها ، وقد تبعتُ فى حكاية تصوير ابن النجار ما صنعه المراغى ؛ فإنى نقلته من خطه ، فقال : وجعل عمر بنيان الحجرة الشريفة على خمس زوايا لئلا يستقيم لأحد استقبالها بالصلاة ؛ لتحذيره صلى الله عليه وسلم من ذلك ، وهذه صورتها وصورة الحائز حولها كما ضبطه ابن النجار ، والله أعلم .



هاهنا بيت فاطمة الزهرا رضي الله عنها

وهذا التصوير ينافى ما تقدم من رواية ابن زبالة وغيره أن البيت مربع مبنى بحجارة سود وقَصَّة

ثم بنى عليه عمر بن عبد العزيز هذا البناء الظاهر المخمس ؛ لأنه صَوَّرَ فيه البيت مخمسا أيضا كما ترى ، وهو خلاف الذى شاهدناه عند انكشافه فى العمارة التى أدركناها ، فرأيناه مربعا مبنيا بالأحجار السود المنحوتة لونُها يقرب من لون أحجار الكعبة الشريفة ، ولها من الهيبة والأنس مالا يدرك إلا بالذوق ، ولم نجد بين الجدار الخارج والداخل من جهة المغرب فضاء أصلا ، ولا مغرز إبرة ، ولم نجد للبيت الداخل بابا أصلا ، ولا موضع باب ، لا فى الجهة الشامية ولا فى غيرها ، ووجدنا الفضاء الذى خلف البيت الشريف من جهة الشام ، بينه وبين البناء الظاهر ، شكله مثلث ، ومساحته نحو ثمانية أذرع بذراع اليد المتقدم تحريره ،

وذلك من جدار البيت الشامى إلى زاوية البناء الظاهر المقابلة له ، وهى الزاوية الشمالية التى ينحرف عنها صفحتا الشكل المثلث المذكور ، وهناك أسطوانة ملاصقة لجدار البيت الشامى فى صف" أسطوانة مربعة القبر وأسطوانة الوفود ، و بعض الأسطوانة المذكورة داخل فى الجدار المذكور ، وقد طوق على أعاليها بأطواق من الحديد ، وأدعمت بجذع من جذوع النخل رأسُه فى أعاليها ورأسُه الآخر فى زاوية البناء الظاهر الشمالية المتقدم ذكرها ، والظاهر أن ذلك جعل بعد الحريق لتشقّق الأسطوانة المذكورة وتأثير النار فيها ، وهى الأسطوانة التى تقدم ذكرها فى التصوير الأول المأخوذ من كلام ابن شبة عند نهاية جدار البيت الشامى مما يلى المشرق ، لكنا لم نجدها كذلك ، بل قريبة من وسط الجدار الشامى ، غير أن متولّى العمارة ومَنْ كان معه أخبرونى أنهم وجدوا عند نَقْضِ جدار البيت الشامى من داخله رأس جدار فى محاذاة الأسطوانة المذكورة يشهد الحالُ أنه كان آخذا من الشام إلى ما يحاذيه من القبلى ، فكأنه كان نهاية الحجرة الشريفة من جهة المشرق ، وكأنه لما انهدم زِيدَ فيها ذلك القدر ، قالوا : ولا يخفى على الناظر أن بقية الجدار الشامى مما يلى المشرق لم يُبْنَ مع الجانب الآخر منه ، بل هى مُلْصَقة إلى رأس الجدار المذكور بحيث لم يدخل أحجار أحدها فى الآخر ، ولا هى مرتبطة كما هو عادة البناء الواحد ، ورأيت أنا ما يقابل هذا الجانب من الجدار القبلى مما يلى المشرق ؛ فرأيت ما يشهد بإحداث بنائه بحيث إنه مبنى بالحجارة غير الوجوه كنسبة الجدار الشرقى ، بخلاف بقية جدارات الحجرة الشريفة فإنها كلها من داخلها وخارجها مبنية بالحجارة الوجوه المنحوتة ، وإنما لم أشاهد ما قدمته مما حكى لى فى أمر الجدار الشامى لأنى اجتنبت حضور الهَدْم احتياطا لنفسى ، وظهر بذلك أن البيت الشريف كان من جهة المشرق على ما صوره ابن شبة ، ثم حدث ذلك بعده ، ولم ينبه عليه أحد من المؤرخين ، و يحتمل أن ذلك الجدار هو الذى أحدثته عائشة رضى الله عنها بينها و بين القبور الشريفة ؛ فقد تقدم عن ابن سعد روايته عن مالك بن أنس قال : قسم بيت

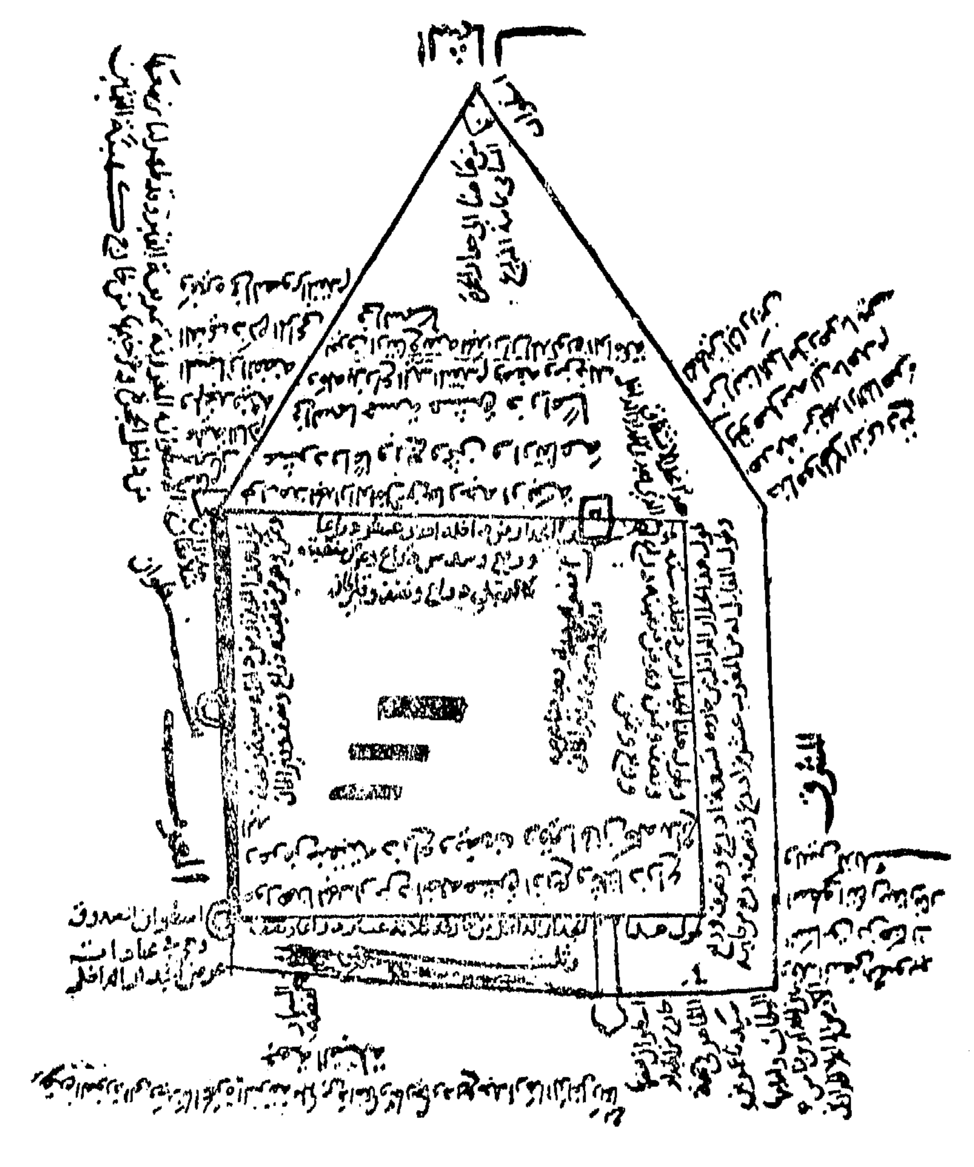
عائشة باثنين ، قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة و بينهما حائط .

قلت : فهذا الاحتمال هو الذى يترجح عندى ، والله أعلم .

ووجد بين جدار البيت الشرقى و بين الجدار الظاهر الشرقى فضاء مختلف كالزقاق الرقيق ، فعند ابتدائه من جهة الشام نحو ذراع اليد يمر فيه الرجل منحرفا ، فإذا قرب من جهة القبلة تضاعف بحيث لا يمر فيه إلا الصغير منحرفا ، وسَعَته هناك نحو ثلث الذراع .

وقد نقل ابن شبة أنه كان ثلاثة أذرع ؛ فهذا مؤيد لما قدمناه من حدوث التغيير فى الجدار الشرقى الداخل ، ورؤيته تقضى بذلك دون بقية الجدران .

ووجدنا بين جدار البيت القبلى والجدار الظاهر القبلى فضاء مختلفا أيضاً كالزقاق الرقيق ؛ فأوله من جهة الشرق نحو ذراع اليد ، فإذا قرب من الوجه الشريف تضايق بحيث يصير نحو شبر ثم أقل من ذلك إلى ملتقى الحائطين فى جهة المغرب ، وهذا الفضاء لا يمكن المرور فيه ؛ لأن الأسطوانة التى فى البناء الظاهر عند مواجهة مواقف الزائر لسيدنا عمر رضى الله عنه بعضها بارز فى الفضاء المذكور ، وفى محاذاتها بناء بنحو عرضها قد سُدّ ما بين الجدارين من الفضاء ، وكأنه جعل لإدعام الجدار من أجل الانشقاق الآتى ذكره ، أو لمنع المرور هناك ، جزى الله فاعله خيرا !



وأما طول جدران الحائز الظاهر من كل زاوية إلى الأخرى من خارجه فطول الجدار القبلى من زاويته التى تلى القبلة من المغرب إلى زاويته التى تلى المشرق سبعة عشر ذراعا ، بتقديم السين ، ينقص يسيرا ، وذلك موافق لما تقدم فى تصوير ابن النجار . وطول الجدار الغربى من القبلة إلى طرف مقام جبريل ستة عشر ذراعا ونحو نصف ذراع ، ومنعطف مقام جبريل هناك الشام ، وذَرْعُ منعطفه ذراعان ونصف ذراع ، وجملة ذلك تسعة عشر ذراعا ؛ فهو المراد مما تقدم فى تصوير ابن النجار ، لكنه يوهم أن وجه مقام جبريل غير داخل فى التسعة عشر ذراعا

التى ذكرها للجدار الغربى ، وليس كذلك . وطول الجدار المنعطف من مقام جبريل إلى الزاوية الشمالية اثنا عشر ذراعا ونصف ذراع راجح . وطول الجدار الشرقى من القبلة إلى الزاوية التى ينحرف منه إلى جهة الشمال اثنا عشر ذراعا ونصف ذراع راجح . وطول الجدار المنعطف من الجدار المذكور عند الزاوية المذكورة إلى الزاوية الشمالية نحو أربعة عشر ذراعا ، وفيما ذكرناه من الذَّرْع فى الثلاثة الجدر الأخيرة مخالفة لما تقدم فى تصوير ابن النجار ومن تبعه .

وأما طول الحائز الظاهر فى السماء فثلاثة عشر ذراعا وثلث ذراع ، ويرجح من بعض الجوانب يسيرا ، وعرض منقبته ذراع وربع ثمن .

ونقل الأقشهرى أن ابن شبة نقل عن أبى غسان أن طول الحظار الذى على البيت — يعنى الحائز المذكور — من جهة ارتفاعه ثلاثة عشر ذراعا غير سدس .

قلت : وقد رأيت بأعلاه سترة من آجُرّ قدر نصف ذراع يشهد الحالُ أنها محدَثة لإحداث السقف الآتى ذكره للحجرة الشريفة بعد حريق المسجد الأول ؛ فلا مخالفة بين ما وجدناه وبين ما ذكره أبو غسان .

وأما ارتفاع الجدار الداخل فى السماء فقِسْتُه من خارجه من جهة الشام فكان خمسة عشر ذراعا ، وارتفاع تلك الأرض التى فى شامىّ الحجرة بين الجدارين على أرض الحجرة ذراع ونحو ربع ذراع ، ومع ذلك فالحائز الخارج أرجَحُ من الداخل بيسير أو مُسَاوِله ، وسبب ذلك علو الأرض الخارجة عن هذا الحائز على الأرض الداخلة بين الحائزين بأرجح من ذراع ونصف ، مع أن الأرض الداخلة بين الحائزين من جهة الشام التى هى كهيئة المثلث وجدت مجدولة بالحجارة والقَصَّة بحيث لم يتأتّ لهم حفر أساس فيها ، ولله الحمد على ذلك .

وأما ما تقدم فيما نقلناه من خط المراغى — وهو موجود فى كلام ابن النجار وابن عساكر — من أن طول حيطان الحائز الخارج فى السماء ثلاثة وعشرون ذراعا ، فهذا مخالف لما شاهدناه ولما قدمناه عن أبى غسان ، وكأنهم أرادوا بهذا ذَرْعَ

ما بين الأرض المحيطة بالحجرة و بين سقف المسجد ، وهذا البناء لم يبلغ به عمر ابن عبد العزيز سقف المسجد اتفاقا ، بل فوقه شباك من خشب متصل ذلك الشباك بسقف المسجد كما يظهر عند رفع الكسوة ، وكأن ابن النجار توهّم أن الحائط المذكور متصل بالسقف ؛ لأنه قال : و بنى عمر بن عبد العزيز على حجرة النبي صلى الله عليه وسلم حائزا من سقف المسجد إلى الأرض ، وصارت الحجرة فى وسطه وهو على دورانها .

و ينبغى حمل كلامه على أن المراد أنه بناه من سقف المسجد إلى الأرض بما جعل عليه من الشباك ، وكذلك يحمل ما ذكره فى ذَرْعه ؛ لأن الشباك المذكور له ذكر فى كلامه ، فإنه ذكر ما سيأتى من أن الجمال الأصفهانى جدّد تأزير الحجرة بالرخام ، ثم قال : وعمل لها مشبكا من خشب الصندل والآبنوس ، وأداره حولها مما يلى السقف : أى على رأس الجدار المذكور .

قلت : ولعله أول من أحدث هذا الشباك ؛ لأنه ذكر له[1] فى كلام متقدمى المؤرخين ، والله أعلم .

وقال ابن النجار : واعلم أن على حجرة النبى صلى الله عليه وسلم أى على سقفها ثوبا مشمعاً مثل الخيمة ، وفوقه سقف المسجد ، وفيه ــ أى فيما تحت المشمع المذكور ــ خَوْخَة عليها ممرق أى طابق مقفول ، وفوق الخوخة فى سقف السطح خوخة أخرى فوق تلك الخوخة ، وعليها ممرق مقفول أيضاً ، و بين سقف المسجد و بين سقف السطح أى السقف الثانى لسطح المسجد فراغ نحو الذراعين .

قلت : أما الممرق الذى ذكره فى سقف المسجد الذى يلى الحجرة الشريفة فقد أدركناه موجوداً عليه قُفْل من حديد ومشمع جدده متولى العمارة التى أدركناها إلى أن احترق المسجد فى زماننا ، وعملت القبة التى جعلت بدلا عن القبة الزرقاء .

---

(١) كذا ، ولعل أصل الكلام « لأن له ذكرا فى كلام ــ إلخ »

وأما الممرق الذى ذكره فى سقف الحجرة تحت المشمع الذى أشار إليه فهذا كان قبل حريق المسجد الأول ، ولم يوجد فى السقف الذى عمل بدله بعد الحريق ممرق ، نعم وجد عليه ستارة من المحابس اليمنية مُبَطّنة ، وسنذكر وَصْفه إن شاء الله تعالى عند ذكر العمارة المتجددة فى زماننا ، على أن الذى يقتضيه كلام المطرى ومَنْ بعده أنه ليس ثَمّ غير طابق واحد فى سقف المسجد ، فإنه قال : وعلى سقف الحجرة بين السقفين ـ أى سقفى المسجد ـ ألواح ، وقد سُمِّر بعضها على بعض ، وسمر عليها ثوب مشمع ، وفيها طابق مقفل إذا فتح كان النزول منه إلى ما بين حائط بيت النبى صلى الله عليه وسلم و بين الحائط الذى بناه عمر ابن عبد العزيز .

قلت : وليس ما ذكره فى وصف هـذا الطابق بصحيح ؛ لأن النزول منه يكون على وسط الحجرة سواء كما شاهدناه ، مع أن المطرى ومَنْ تبعه اتفق كلامُهم كما سيأتى على أن سقف الحجرة بعد الحريق إنما هو سقف المسجد ، وهو خلاف ما وجدنا الأمر عليه أيضاً ، والله أعلم .

الفصل الثالث والعشرون

فى عمارة اتفقت بالحجرة الشريفة على ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث ، وما وقع من الدخول إليها عند الحاجة له وتأزيرها بالرخام .

قال الأقشهرى ، ومن خطه نقلت مالفظه : أخبرنا الشيخ الراوية أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى الشاطبى قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله القضاعى الحافظ قال : حدثنا صاحبنا الرحال أبو عمر أحمد بن أبى محمـد هارون بن عاث النفرى قال : حدثت بالمدينة الشريفة ، أو قال بمدينة السلام ، بأنهم سمعوا منذ سنين قريباً من الأربعين هَدّة فى الروضة الشريفة أى الحجرة فإنه يعبر عنهـا بذلك ، فـكتب فى ذلك إلى الخليفة ، فاستشار الفقهاء ، فأفتوا أن يدخلها رجل فاضل من القَوَمة على المسجد ، فاختاروا لذلك بدرا الضعيف ، وهو شيخ فاضل

يقوم بالليل و يصوم النهار ، وهو من فتيان بنى العباس ، فدلى حتى دخل الروضة أى الحجرة ، فوجد الحائط الغربى قد سقط ، وهو حائط دون الحائط الظاهر ، فصنع له لَبِن من تراب المسجد ، فبناه وأعاده على هيئته كما كان ، ووجد هناك قَعْباً من خشب قد أصابه وقوع الحائط فكسره ، فحمل إلى بغداد مع شيء من تراب الحائط ، وكان يوم وصول ذلك بغداد يوماً مشهوداً تجمّع لاستقباله الناسُ، وازدحموا على رؤيته ، وعطلت الصناعات والبيع ، وكانت رحلة ابن عاث سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد قال «قريباً من أربعين سنة» فيكون ذلك سنة سبعين وخمسمائة أو ما دون ذلك ، وهكذا ذكره فى رحلته ومنها نقلته ، و يكون ذلك فى دولة المستضيء بالله بن المستنجد بالله ، انتهى كلام الأقشهرى .

ولعل هذا الحائط المنهدم فى هذه العبارة إنما هو الشرقى من الجدار الداخل ، وأطلق عليه اسم الغربى بالنظر إلى الجدار الخارج الذى يليه ، فتكون هذه الواقعة هى التى اتفق فيها بناء الجدار المتقدم وصفه ، ووقع فيها تقديمه عن محله الأول ، وأبقوا رأسه كما تقدمت الإشارة إليه ، وهو إنما بنى بالحجر ، ولا يتأتى هناك بناء باللبن إلا فى السترة التى جعلت على رأس الجدار ، فلعله أراد باللبن المتخذ من تراب المسجد هذا ، لكن فى كلام ابن النجار ونقله مَنْ بعده وأقره ، ما يقتضى أنه لم يقع دخول إلى الحجرة الشريفة من سنة أربع وخمسين وخمسمائة إلى زمانه، وقد توفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، فإنه قال فى كتابه « الدرة الثمينة » ما لفظه: واعلم أن فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة سمعوا صوتَ هدَّة فى الحجرة ، وكان الأمير قاسم بن مهنى الحسينى ، فأخبروه بالحال ، فقال : ينبغى أن ينزل شخص إلى هناك ليبصر ما هذه الهدة ، فافتكروا فى شخص يصلح لذلك ، فلم يجدوا لذلك إلا عمر النسائى شيخ شيوخ الصوفية بالموصل ، وكان مجاوراً بالمدينة ، فذكروا ذلك له ، فذكر أن به فتقا والريح والبول يحوجه إلى دخول الغائط مراراً، فألزموه ، فقال : أمهلونى حتى أروض نفسى ، وقيل : إنه امتنع من الأكل

والشرب وسأل النبي صلى الله عليه وسلم إمساك المرض عنه بقدر مايبصر ويخرج، ثم إنهم أنزلوه فى الحبال من الخَوْخَة إلى الحظير الذى بناه عمر ، ودخل منه إلى الحجرة ومعه شمعة يستضىء بها فرأى شيئاً من طين السقف قد وقع على القبور ، فأزاله وكَنَس التراب بلحيته ، وقيل : إنه كان مليح الشيبة ، وأمسك الله تعالى ذلك الداء قدر ماخرج من الموضع وعاد إليه ، وهذا ما سمعته من أفواه جماعة ، والله أعلم بحقيقة الحال فى ذلك .

وعبارة المراغى تبعاً للمطرى فى النقل عن ابن النجار : فأنزلوه بالحبال من بين السقفين من الطابق المذكور ، ونزل بين حائط النبي صلى الله عليه وسلم و بين الحائز ومعه شمعة يستضىء بها ، ومشى إلى باب البيت ، ودخل من الباب إلى القبور المقدسة ، فرأى شيئاً من الردم ، إما من السقف أو من الحيطان إلى آخره .

قلت : وهذا لايطابق ما ذكره ابن النجار وعليه رتب المراغى إشكاله الآتى بيانه .

ثم قال ابن النجار : وفى شهر ربيع الآخر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة فى أيام قاسم أيضاً وجدوا من الحجرة رائحة منكرة ، وكثر ذلك حتى ذكروه للأمير ، فأمرهم بالنزول إلى هناك ، فنزل بيان الأسود الخصىُّ أحد خدام الحجرة ، ومعه الصفى الموصلى متولى عمارة المسجد ، ونزل معهما هارون الشادى الصوفى بعد أن سأل الأمير فى ذلك ، و بذل له جملة من المال ، فلما نزلوا وجدوا هراً قد هَبَطَ ومات وجَيَّفَ ، فأخرجوه ، وكان فى الحائز بين الحجرة والمسجد .

وقال المراغى وغيره فى النقل عن ابن النجار : فوجدوا هراً قد سقط من الشباك الذى فى أعلى الحائز ، ووقع بين الحائز و بيت النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن النجار : وكان نزولهم يوم السبت الحادى عشر من ربيع الآخر ، ومن ذلك التاريخ إلى يومنا هذا لم ينزل أحد إلى هناك ، فاعلم ذلك ، انتهى .

فهذا يخالف ما نقله الأقشهرى عن ابن عاث ؛ لاقتضائه أن تلك الواقعة فى سنة سبعين وخمسمائة أو ما قاربها ، والظاهر أن القضية واحدة ، ولم نجد من دونها فنقل كل منهما بحسب ما بلغه .

وقال الزين المراغى عقب ذكره للواقعة الأولى التى حكاها ابن النجار المتضمنة للدخول إلى القبور الشريفة ما لفظه : وينبغى تأمل هذا النقل ؛ لأن الوصول إلى القبور الشريفة متعذر، إن كان الجدار الذى أحدثته عائشة المتقدم ذكره باقياً ، فإن جاء نقل بإزالته و بإمكان الاستطراق معه من باب أو نحوه فهو واضح ، وإلا ففيه نظر .

قلت : نظره إنما يتوجه على ماقدمه من أن النزول كان إلى ما بين الحائطين وأنه مشى إلى باب البيت ، وليس فى كلام ابن النجار تعرّض لشىء من ذلك ، بل مقتضى ما قدمناه عنه ـ من أن الحجرة الشريفة بها ممرق ، و بسقف المسجد مثله ـ أن النزول إنما هو من العلو إلى سقف الحجرة ، ثم منه إليها ؛ فلا نظر ، على أن الجدار الذى أشار إليه وأن عائشة بنته ولم نجد له أثراً إلا ما تقدمت الإشارة إليه من رأس جدار الحائط الشامى مقتض لأنه كان هناك جدار من الشام إلى القبلة ، وكذلك الباب لم نجد له أثراً كما قدمناه .

وأما تأزير الحجرة بالرخام فليس له ذكر فى كلام ابن زبالة ، وله ذكر فى كلام يحيى ؛ فإنه روى ما حاصله أن بيت فاطمة الزهراء لما أخرجوا منه فاطمة بنت حسين وزوجها حسن بن حسن وهدموا البيت بعث حسن بن حسن ابنه جعفراً ، وكان أسنّ ولده ، فقال له : اذهب ولا تبرحن حتى يبنوا فتنظر الحجر الذى من صفته كذا وكذا هل يدخلونه فى بنيانهم ، فلم يزل يرصُدُهم حتى رفعوا الأساس وأخرجوا الحجر ، فجاء جعفر إلى أبيه فأخبره ، فخر ساجداً وقال : ذلك حجر كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى إليه إذا دَخَلَ إلى فاطمة ، أو كانت فاطمة تصلى إليه ، الشك من يحيى .

وقال على بن موسى الرضى : ولَدَتْ فاطمة عليها السلام الحسن والحسين على ذلك الحجر .

قال يحيى : ورأيت الحسين بن عبد الله بن عبد الله بن الحسين ولم أر فينا رجلا أفضل منه إذا اشتكى شيئاً من جسده كشف الحصى عن الحجر فيمسح به ذلك الموضع ، ولم يزل ذلك الحجر نراه حتى عَمَّرَ الصانعُ المسجدَ ففقدناه عندما أزر القبر بالرخام ، وكان الحجر لاصقا بجدار القبر قريبا من المربعة .

قال بعضُ رواة كتاب يحيى : الصانع هذا هو إسحاق بن سلمة ، كان المتوكل وجه به على عمارة المدينة ومكة .

قلت : وكانت خلافة المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وتوفى فى شوال سنة سبع وأربعين ، وكان هذا مأخذ بن النجار فى قوله إن المتوكل فى خلافته أمر إسحاق بن سلمة وكأن على عمارة الحرمين من قِبَله أن يؤزّر الحجرة بالرخام ففعل .

ثم فى خلافة المقتفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة جدده جمال الدين وزير بنى زنكى ، وجعل الرخام حولها قامةً وبَسْطَة .

قلت : ولم يذكر أحد من المؤرخين تجديداً لهذا الرخام بعد ذلك ، وقد جدده فى زماننا متولى العمارة الآتى ذكرها الجناب الشمسى المحسنى الخواجكى بن الزمن بأمر المقام الشريف السلطانى قايتباى عز نصره ، ووجد فى الصفحة القبلية عند ابتدائها من جهة المغرب فى اللوح السماقى اللون الثانى فى تلك الجهة من الألواح الملونة التى يحيط بها الرخام الأبيض البارز قطعةً أوسع من الدينار ملصقة فى ظاهر اللوح المذكور بالجص ، فأشيع أنها جوهرة نفيسة ذات أَثمَان ، ثم إن متولى العمارة أرانيها فإذا هى حَجَر عسلى اللون يميل حمرته إلى الصفرة ، قال : وأظنه حجر اليرقان ، وقد خشى عليه متولى العمارة إن أعيد لصقا كهيئته الأولى ، فأمر بنقر الرخامة المذكورة وتنزيله فيها ، ففعلوا ذلك ، وأعادوا تلك الرخامة إلى محلها .

ولم أر من نبه على ابتداء حدوث الرخام الذى حول الحجرة الشريفة بالأرض والظاهر أنه حدث عند حدوث تأزيرها بالرخام ؛ لما تقدم من كلام يحيى فى أمر

الحجر الذى كان يتبرك به من أن الحسين بن عبد الله كان يكشف عنه الحصى ، وأنه لم يدخل فى البناء ، وأنه فقده عند تأزير الحجرة بالرخام ، فدل ذلك على أنه رخم الأرض أيضاً ، وإلا لما استتر الحجر المذكور .

وأما ترخيم المصلَّى الشريف فلا أدرى متى زمنُ حدوثه ، وله ذكر فى رحلة ابن جبير .

وأما الرخام الذى بالمحراب العثمانى وما حوله فالقديم منه — أعنى بعد الحريق الأول — ترخيم المحراب وشىء يسير عن جنبتيه ، وفى دولة السلطان الملك الظاهر جَقْمَق فى أول عشر الستين وثمانمائة أمر بعمل الوزَرَة التى فى الجدار القبلى ، فاتصل ذلك بترخيم المحراب المذكور ، وقد جدد غالب ذلك فى العمارة التى أدركناها أيضا ، وأبدل الطراز الأول الذى كان بأعلى الوزَرَة وكان محمّراً بماء الذهب بالطراز الموجود اليوم ، ثم زال ذلك كله فى حريق المسجد الثانى ، ثم أعيد مع زيادة فيه مما يلى المنارة الرئيسية ، ومع ترخيم ما حول الحجرة الشريفة وتأزيرها بالرخام ، ومع ما سبق من عمل محراب المصلى الشريف وترخيمه ، ورخموا أيضاً الدعائم المواجهة للوجه الشريف التى أحدثوها عند عمارة القبة الثانية من داخل المقصورة وخارجها ، وجميعُ ما يوجد من الرخام بالمسجد اليوم من عمل سلطان زماننا الأشرف قايتباى ، أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ! والله أعلم .

الفصل الرابع والعشرون

فى الصندوق الذى فى جهة الرأس الشريف ، والمسمار الفضة المواجه للوجه الشريف ، ومقام جبريل من الحجرة الشريفة ، وكسوتها ، وتخليقها

أما الصندوق فلم أعلم ابتداء حدوثه ، وكذلك القائم المحلّى فوقه ، إلا أنه قد ظهر لنا فى هذه العمارة التى أدركناها أنه كان موجوداً قبل حريق المسجد الأول ؛ لأن متولى العمارة كان قد قلعه لاقتضاء رأيه قَلْعَ حلية الفضة التى كانت على القائم الخشب الذى فوق الصندوق ليُحْكِم صَوْغها ، وزاد ذلك فضة وتمويها

بالذهب، وأصلح حلية الصندوق أيضا ، وكان ذلك سببا لإصلاح أصل الأسطوانة التى كان بها ، فلما قلعوا الصندوق المذكور ظهر فيه قوائم صندوق عتيق ، وفى تلك القوائم أثر الحريق ، وكأنهم جدّدوا عليه صندوقا ، وجعلوا ذلك المحترق فى جوفه ، وقد أعيد كذلك

وقد ذكر المجد الشيرازى هذا الصندوق والقائم فقال : وفى الصفحة الغربية من الحجرة الشريفة صندوق آبنوس مختم بالصَّنْدَل مصفَّح بالفضة مكوكب بها ، هو قبالة رأس النبى صلى الله عليه وسلم ، وفيه أسطوان ، وفوق الصندوق قائم من خشب مجـــدد ، وأما الصندوق فطوله خمسة أشبار وعرضه ثلاثة أشبار وارتفاعه فى الهواء أربعة أشبار

قلت : وقد ظفرت بذلك كله فى كلام ابن جبير فى رحلته ، غير ما يتعلق بالقائم المذكور ، ومن ذلك أخذ المجد وصف القائم بكونه مجددا ، وكانت رحلة ابن جبير عام ثمانين وخمسمائة ، فاستفدنا بذلك وجود ذلك الصندوق قبل الحريق فى ذلك الزمان ، وما ذكره من أن الصندوق المذكور قبالة الرأس الشريف فيه تجوّز ؛ لأنه قد ظهر لنا فى هذه العمارة أنه فى محاذاة الجدار الداخل القبلى، وسيأتى أن الوجه الشريف إلى الجـــدار ؛ فالرأس الشريف متأخر عن الصندوق المذكور يسيرا

ومستند المجد وغيره فى هذا الإطلاق ما روى جعفر بن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه عن أبيه عن جده أنه كان إذا جاء يُسَلم على النبى صلى الله عليه وسلم وقف عند الأسطوانة التى تلى الروضة ، ثم يسلم ، ثم يقول : ها هنا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد به ما قدمناه ، والله أعلم

وذرع الصندوق المذكور فى الارتفاع ذراع ونصف وربع بذراع اليد ، وأعلى القائم فوقه محاذٍ لرأس الوزَرَة الرخام ، وطول القائم المذكور ثلاثة أذرع ، وهو خمس صفحات ألصق بعضُها على بعض وجعلت محيطة بما ظهر من الأسطوانة التى

الصندوقُ بأصلها فوقه ؛ فإن بعض الأسطوانة فى البناء الملاصق لها من الحائز المذكور
ولو أحاطت الصفحات بجميع الأسطوانة لكانت أكثر من خمس ، ولكانت
شكلها مثمنا ، وهو مختم بالخشب الأسود الهندى ، معصب بصفائح الفضة المموّهة
طولا وعرضا بأحسن صناعة ، وصفائحُهُ الطولية من الفضة أربع ، والمقاطعة لها
من جهة العرض خمس ، وفي رأسه من أعلاه حلية رقيقة كالزيق ، وزنة ما عليه
من الفضة زيادة على ألفَيْ قفلة ، وأخذوا لأجل تمويهه من حاصل المسجد أربعين
مثقالا من الذهب كما أخبرنى به متولى العمارة

وأما الصندوق فلم يغير ، وكله مُغَشًّى بالفضة ، وقد احترق فى حريق المسجد
الثانى ، ووجدوا حليته من الفضة ، فجددوا صندوقا فى محله ، وجعلوا موضع القائم
الذى كان فوقه رخاما مكتوبا فيه البسملة والصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه
وسلم والترضّى عن أصحابه وغير ذلك

وأما المسمار المواجه للوجه الشريف فقد تقدم أن بينه و بين أول الصفحة
الغربية من المغرب خمسة أذرع ، وقد اعتبرتُ ذلك فنقص يسيرا نحو سدس
ذراع ، وكأنه لاختلاف الأذرعة ، ولم أعلم ابتداء حدوث التعليم بهذا المسمار أيضا ،
والمذكور فى كلام المتقدمين إنما هو التعريفُ بأن يجعل القنديل على رأسه ،
لكن قال المطرى : إن ما ذكر من القيام تحت القنديل تجاه الحجرة الشريفة
للسلام كان قبل احتراق المسجد الشريف ؛ فإنه لم يكن يقابل وجه النبى صلى الله
عليه وسلم إلا قنديل واحد ؛ ولما جدد جُعِل هناك عدة قناديل ، و إنما علامة
الوقوف تجاه الوجه الكريم اليوم مسمار فضة فى رخامة حمراء ، انتهى . وهو
يوهم حدوث التعليم به بعد الحريق ، وليس كذلك ؛ لأن ابن النجار ذكر التعليم
به كما سيأتى ، ولم يدرك الحريق ، ولأن ابن جُبَير ذكره فى رحلته وهو أقدم
من ابن النجار فقال عند وصف الحجرة الشريفة : وفى الصفحة القبلية أمام وجه
النبى صلى الله عليه وسلم مسمار فضة هو أمام الوجه الكريم ، فتقف الناس أمامه
للسلام ، انتهى . وأيضاً فقد روى ابن الجوزى فى « مثير الغرام الساكن » أن
ابن أبى مُلَيكة كان يقول : مَنْ أحب أن يقوم وُجَاه النبى صلى الله عليه وسلم

فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر على رأسه ، ثم قال ابن الجوزى : وثم ما هو أوضح علما من القنديل ، وهو مسمار من صُفْر فى حائط الحجرة ، إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه ، انتهى .

وقال يحيى فى كتابه : كان ابن أبى مليكة يقول : إذا جعلت القنديل على رأسك والمرمرة المدخولة فى جدار القبر قبالة وجهك استقبلت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وكأن هذا المسمار فى موضع تلك المرمرة ، ولهذا قال ابن النجار : إن اليوم هناك علامة واضحة ، وهى مسمار من فضة فى حائط حجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، إذا قابله الإنسان كان القنديل على رأسه ، فيقابل وجه النبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

ولم أر لهذا المسمار ذكرا فى كلام مَنْ صنَّف فى المناسك قبل ابن جماعة ، والذى فى مناسك ابن الصلاح أخذا من الإحياء ذكر القنديل ، وجعله حذاء رأس الزائر ، ونقله عن ابن أبى مليكة ، واقتضى كلامه أن الواقف هناك يكون بينه و بين السارية التى عند رأس القبر عند زاويته الغربية وهى أسطوان الصندوق نحو أربعة أذرع ؛ فهو قريب مما تقدم فى التعليم بالمسمار المذكور ، و إن لم يصرح به ، لكن قال الأقشهرى ومن خطه نقلت : أخبرنا الإمام العالم رضى الدين أبو أحمد إبراهيم بن محمد بن أبى بكر إمام مقام إبراهيم الخليل بمكة توفى فى تاسع شهر ربيع الأول من عام اثنين وعشرين وسبعمائة والشيخُ الوزير أبو عبد الله محمد بن أبى بكر محمد بن عيسى المومنانى قالا : أخبرنا الإمام أبو عمرو عثمان ابن عبد الرحمن بن الصلاح السهروردى قال : ثم يأتى الزائر الضريحَ المقدس فيستدبر القبلة و يستقبل جداره نحو ثلاثة أذرع أو أربعة أذرع من الجدار وُجَاه المسمار الذى فى الجدار القبلى من الحجرة المشرفة ، هذا ما نقلته من خط الأقشهرى بحروفه ، ولم أره فى كلام ابن الصلاح ، والذى نقله ابن عساكر فى تحفته عن

ابن الصلاح وهو من تلامذته إنما هو ما قدمناه ، وروايته عن إبراهيم الطبرى عن ابن الصلاح تخليط ؛ فإن وفاة ابن الصلاح فى سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، والذى أدركه إنما هو والد إبراهيم المذكور ، وهو المعروف بالرضى الطبرى ، فإن مولد الوالد المذكور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، فإنما أدرك من زمن ابن الصلاح عشر سنين ، فكيف يكون ولده راويا عن ابن الصلاح بلا واسطة؟ .

وقال الأقشهرى عقب ما تقدم عنه : وقد سقط هـذا المسمار سنة عشرين وسبعمائة ، ولم يردّ إلى موضعه إلا فى رجب عام أربع وعشرين وسبعمائة .

قلت : وقد أخرج فى هذه العمارة من موضعه عنـد ترخيم جدار الحجرة الشريفة ، ثم أعيد فى محله الأول بعينه فى الرخامة الحمراء التى كان بها ، ثم سقط من محله فى الحريق الثانى ، وجدد مسمار آخر فى محله ، ولا يختلف أحد ممن أدركناه بالمدينة الشريفة فى أن ذلك الموضع تجاه الوجه الشريف ، وهو الذى يقتضيه الحالُ عند مشاهدة الحجرة الشريفة من داخلها ، غير أنى رأيت فى كلام يحيى ما يوهم خلاف ذلك ، فإنه ذكر أن الموضع الذى يواجه الوجه الشريف هو ما بين الأسطوانة المتوسطة فى قبلة جدار قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، بين هذا الموضع و بين الأسطوان شبران وثلاث أصابع متفرجة من الحفيرة إلى الوسطى ، و إن كل مَنْ أدركه من أهل بيته كانوا إذا وقفوا للسلام على النبى صـلى الله عليه وسلم وقفوا قريبا من هـذا الموضع ، وكانت ثَمّ علامة قد تعلموا بها حُفيرة ولم تزل ثَمّ منذ عملت إلى أن عمر الصانعُ المسجدَ فى ولاية أمير المؤمنين المتوكل فإنه أزَّرَ القبر بالرخام فذهبت العلامة منذ ذلك . وقال: إن موسى بن جعفر قال : مَنْ وقف فى هذا الموضع منحرفا واضعا شق وجهه الأيمن استقبل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان على بن الحسين يقف ثَمّ ، انتهى .

قلت : الأسطوانة الوسطى التى يشير إليها هى البارزة فى الصفحة القبلية من جدار القبر ، يقف قربها المسلّم على عمر رضى الله عنه ، و بينها و بين المسمار المذكور

نحو ثلاث أذرع أو أزيد ، وقد قال : إن الموضع الذى ذكره بينه و بين الأسطوانة المذكورة شبران وثلاثة أصابع ، فيكون بعيداً من المسمار المذكور بنحو الذراعين وقد شاهدنا الأسطوانة المذكورة من داخل الحجرة فرأيناها قريبة من نهايتها ، بحيث إن من دفن هناك ووجهه فى محاذاة الموضع الذى ذكره يحيى كانت رجلاه فى جدار الحجرة الشرقى كما نقل ذلك فى دفن عمر رضى الله عنه ، فيبعد كل البعد كون الوجه الشريف فى محاذاة ذلك الموضع ، على أن ما نقله عن موسى ابن جعفر يقتضى أن استقبال الوجه الشريف للواقف فى الموضع الذى ذكره إنما يكون مع الانحراف ووضع شق الوجه الأيمن يعنى على جدار القبر ، وعلى هذا فيستقبل الزائر جهة المغرب حتى يحصل ذلك ، وذلك لأن الحائط القبلى منحرف كما أشرنا إليه فى التصوير المتقدم ، فلا يقتضى ذلك أن المستقبل للمحل الذى عيّنه من غير وضع وجهه يكون مقابلا للوجه الشريف ، و إنما يُسَامِتُ الواقفُ الوجه الشريف إذا حاذى المسمار المتقدم وصفه ، وكأن يحيى يرى أن الزائر يلصق خده بجدار القبر على الهيئة السابقة ، فيصير محل المسمار المذكور أمامه ، ولذلك أورد عقب ما تقدم عنه قصة أبى أيوب الأنصارى الآتى ذكرها فى التزامه القبر .

واعلم أن تشبيك باب المقصورة التى حدثت إدارتها على ما حول الحجرة الشريفة قد يمنع من مشاهدة المسمار المذكور إلا لمن يتأمل ذلك من تشبيكه ، وذلك يشغل قلب الزائر ، وقد تحرر لنا أن ما يقابله من ذلك هو الصرعة الثانية من باب المقصورة القبلى الذى على يمين مستقبل القبر الشريف ، فمن حاذى هذه الصرعة كان محاذيا لذلك ، وهذا المسمار مموّه بالذهب رأسه مستدير ، وقد أحدث متولى العمارة مسماراً آخر رأسه فضة ، لـكنه فى أول هذه الصفحة القبلية مما يلى المغرب قريباً من جهة الصندوق المتقدم وصفه ، ورأس هـذا المسمار مُكَوْكَب كالقبة ، فلا يشتبه بالمسمار المتقدم ، وأحدث أيضاً مسمارين آخرين فى ابتداء الصفحة الغربية ممـا يلى القبلة قريباً من مسماره المتقدم ، وما علمت السببَ فى

إحداث ذلك ، وقد زالت هذه المسامير الثلاثة المحدثة بالحريق الثانى .

وأما الموضع المعروف بمقام جبريل عند مربعة القبر فقد تقدم أنه كان هناك مسمار فى منحرف المربعة إلى الزاوية الشمالية من الحجرة علامة عليـه ، فلم نجده هناك ، وسألت عنه الخدام والمرخمين فقالوا : إنهم لم يجدوا هناك شيئاً ، وتسمية ذلك الموضع بمقام جبريل تقدم مستنده فى الكلام على أسطوان مربعة القبر ، ولم أدر لم سمى بذلك، إلا أن ابن جُبَيْر ذكر هـذا المحل من الحجرة الشريفة ، وقال : وعليه سِتْر مُسْبَل يقال : إنه كان مهبط جبريل عليـه السلام ، انتهى . لـكن ترجم ابن شبة فى كتابه لمقام جبريل ثم قال : قال أبو غسان : علامة مقام جبريل عليه السلام التى يُعْرَف بها اليوم أنك تخرج من الباب الذى يقال له باب آل عثمان ، فترى على يمينك إذا خرجتَ من ذلك الباب على ثلاثة أذرع وشبر وهو من الأرض على نحو من ذراع وشبر حَجَراً أكبر من الحجارة التى بها جدار المسجد ، قال : فكان مالك بن أنس يقول ، وسقط ما بعـد ذلك من كتاب ابن شبة فلم أدْرِ ما هو ، لـكن يستفاد من ذلك حكاية خلاف فى مقام جبريل : هل هو داخل المسجد عنـد المربعة المذكورة أو خارجه عند باب آل عثمان وهو المعروف اليوم بباب جبريل ؟ ولعل ذلك سبب تسمية الباب المذكور بذلك ، كما ستأتى الإشارة إليه .

وقال ابن زبالة : أخاف المسجدَ من شرقيه فى سلطان محمد بن عبد الله عبـد الله بن سليمان الربعى من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز ، فأمر به فبنى ، وتعلم مقام جبريل عليـه السلام بحجر ونقش فيه خاتم سليمان ومُشق لأن يعرف به مقام جبريل ، ومقام جبريل يمناه داخـل فى المسجد ، فبلغ ذلك مالك بن أنس ، فتكلم فيه وأنـكره وعابه ، فغير وجُعل مكانه حجر طويل مُصْمَت لاعَلَم فيه مخالف لحجارة المسجد ، انتهى ؛ فيحتمل أن يريد بقوله «ومقام جبريل يمناه داخل فى المسجد» الموضعَ المقدم ذكره من

الحجرة الشريفة ، ويحتمل أن يريد أن الباب قد قدم عن محله الأول فى محاذاته، فصار مقام جبريل داخل المسجد فى محاذاة ذلك ، ويرجح هذا أن الظاهر أن الأصل فى مقام جبريل ماقدمناه فى غزوة بنى قُرَيْظَة من رواية صاحب الاكتفاء أن جبريل عليه السلام أتى فى ذلك اليوم على فَرَسٍ عليه اللأمة حتى وَقَفَ بباب المسجد عند موضع الجنائز ، وإن على وجه جبريل لأَثَرَ الغبار ،اهـ؛ فلذلك سمى الباب المذكور بباب جبريل ؛ إذ لم يكن حينئذ للمسجد باب فى ناحية الجنائز غيره .

وفى رواية البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم عندنا ، فسلم علينا رجل ونحن فى البيت، فقام رسول الله صلى الله عليه فَزِعًا، فقمتُ فى أثره ، فإذا بدِحْيَة الكلبى ، فقال : هذا جبريل عليه السلام يأمرنى أن أذهب إلى بنى قُرَيظة ، والله أعلم .

كسوة الحجرة النبوية

وأما كسوة الحجرة الشريفة فقد ذكر ابن النجار ماقدمناه فى تأزيرِ الحجرة الشريفة بالرخام وعمل الجواد الأصبهانى فى الشباك المتخذ من خشب الصندل المتقدم وصفه على جدارها ، ثم قال : ولم تزل الحجرة الشريفة على ذلك حتى عمل لها الحسين بن أبى الهيجاء صهرُ الصالحِ وزير الملوك المصريين ستارةً من الديبقى الأبيض ، وعليها الطروز والجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر ، ونبطها وأدار عليها زنارا من الحرير الأحمر ، والزنار مكتوب عليه سورة (يس) بأسرها ، وقيل : إنه غرم على هذه الستارة مبلغاً عظيما من المال ، وأراد تعليقها على الحجرة ، فمنعه قاسم بن مهنى أمير المدينة وقال : حتى تستأذن الإمام المستضىء بأمر الله .

فبعث إلى العراق يستأذن فى تعليقها ، فجاءه الإذن فى ذلك ، فعلقها نحو العامين ، ثم جاءت من الخليفة ستارةٌ من الإبريسم البنفسجى عليها الطرز والجامات البيض المرقومة وعلى دَوَرَان جاماتها مكتوبٌ بالرقم : أبو بكر ، وعمر ،

وعثمان، وعلىّ، وعلى طرازها اسم الإمام المستضىء بأمر الله ، فشيلت تلك ونفذت إلى مشهد على بن أبى طالب بالكوفة ، وعلقت هذه عوضها ، فلما ولى الإمام الناصر لدين الله نفذ ستارة أخرى من الإبريسم الأسود ، وطرزها وجاماتها من الإبريسم الأبيض ، فعلقت فوق تلك ، فلما حجت الجهة أم الخليفة وعادت إلى العراق عَملت ستارة من الإبريسم الأسود أيضاً على شكل المذكورة ونفذتها فعلقت على هـــذه ، ففى يومنا هذا على الحجرة ثلاث ستائر بعضُهن على بعض ، انتهى .

وهو يقتضى أن ابن أبى الهيجاء أول من كسا الحجرة فى خلافة المستضىء بأمر الله ، وكانت خلافته فى سنة ست وستين وخمسمائة ، ومات سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وفى كلام رزين مايقتضى مخالفته ؛فإنه قال فى ضمن كلام نقله عن محمد ابن إسماعيل مالفظه : فلما كانت ولاية هرون أميرالمؤمنين وقدمت معه الخيزُرَان أمرت بتخليق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخليق القبر وكسته الزنانير وشبائك الحرير ، انتهى .

وقد رأيت فى العُتْبية ما يصلح أن يكون مستنداً فى أصل الكسوة ، فإنه قال فى أوائلها : قيل لمالك : قلتَ إنه ينبغى أن ينظر فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم كيف يكسون سقفه ، فقيل : يجعل عليه خيش، فقال : وما يعجبنى الخيش ، وإنه ينبغى أن ينظر فيه ، انتهى .

قال ابن رشد فى بيانه : كرِهَ مالك كَشْفُ سقف قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأى من صونه أن يكون مغطًّى ، ولم ير أن يكتفى من ذلك بالخيش ، وكأنه ذهب إلى أن يغطى بتغطية البيوت المسكونة . ولقد أخبرنى من أثق به أنه لاسقف له اليوم تحت سقف المسجد ، انتهى .

وقد يضم إلى ذلك أنه إنما جاز كسوة الكعبة لما فيه من التعظيم ، ونحن مأمورون بتعظيم النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعظيمُ قبره من تعظيمه ، وهذا أولى

بالجواز مما سيأتى عن السبكى فى مسألة القناديل من الذهب حيث سلك بها هذا المسلك ، وليس فى كلام ابن زَبالة ويحيى تعرض لأمر كسوة الحجرة ، ولعله لأنها إنما حدثت بعدهما ، مع أن ابن زبالة ذكر ما قدمناه فى كسوة المنبر الشريف وجعل الستور على الأبواب ، ونقل أن كسوة الكعبة كان يؤتى بها المدينة قبل أن تصل إلى مكة ، فتنشر فى مؤخر المسجد ، ثم يخرج بها إلى مكة ، ولم يذكر للحجرة كسوة .

ثم ذكر تخليق الحجرة والمسجد فقال : وقدمت الخيزُران أم موسى أمير المؤمنين المدينة فى سنة سبعين ومائة ، فأمرت بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم فخلّق ، وولى ذلك من تخليقه مؤنسة جاريتها ، فقام إليها إبراهيم بن الفضل ابن عبيد الله بن سليمان مولى هشام بن إسماعيل فقال : هل لكم أن تسبقوا مَنْ بعدكم وأن تفعلوا ما لم يفعل مَنْ كان قبلكم ؟ قالت له مؤنسة : وما ذلك ؟ قال : تُخَلِّقون القبر كله ، ففعلوا ، وإنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل ، وأشار عليهم فزادوا فى خَلُوق أسطوان التوبة والأسطوان التى هى عَلَم عند مصلّى النبى صلى الله عليه وسلم فخَلَقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما ، وزادوا فى الخلوق فى أعلاها ، انتهى ولو كان لكسوة الحجرة وجود فى زمانه لتعرض له .

واعلم أن فى عشر الستين وسبعمائة فى دولة السلطان الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاون اشترى قريةً من بيت مال المسلمين بمصر ، ووقَفَها على كسوة الكعبة المشرفة فى كل سنة ، وعلى كسوة الحجرة المقدسة والمنبر الشريف فى كل خمس سنين مرة ، هكذا ذكره التقىُّ الفاسى فى شفاء الغرام .

وذكره الزين المراغى إلا أنه قال فى الوقف على كسوة الحجرة : فى كل ست سنين مرة ، تعمل من الديباج الأسود المرقوم بالحرير الأبيض ، ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة دائر عليها ، إلا كسوة المنبر فإنها بتقصيص أبيض .

قلت : وما ذكراه من المدة المذكورة بالنسبة إلى الحجرة كأنه كان معمولا به

فى زمانهما ، وأما فى زماننا فيمضى عشرُ سنين ونحوُها ولا تعمل ، نعم كلما ولى ملك بمصر فإنه يعتنى بإرسال كسوة .

وذكر الحافظ ابن حجر فى الكلام على كسوة الكعبة أن الصالح هذا اشترى حصة من بلد يقال لها سنديس ، اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال ، ووقفها على هذه الجهة ، ولم يتعرض لكسوة الحجرة ، فلعل الثلث الثالث الذى لم يذكره يتعلق بكسوة الحجرة لما قدمناه ، ويحتمل أن ما يرد من الكسوة من جهة الملوك ، لا من وقف ، وعادتهم إذا وردت كسوة جديدة قَسَم شيخُ الخدام الكسوة العتيقة على الخدام ومن يراه من غيرهم ، ويحمل إلى السلطان بمصر منها جانبا ، وحكم بيع كسوة الحجرة كحكم بيع كسوة الكعبة ، وقد اختلف العلماء فى ذلك قديما ، وفى المسألة عندنا وجهان .

وقال الحافظ صلاح الدين خليل العلائى : إنه لا يتردد فى جواز ذلك الآن ؛ لأن وقف الإمام للضيعة المتقدمة على الكسوة كان بعد استقرار هذه العادة والعلم بها ، فينزل لفظ الواقف عليها ، انتهى، والله أعلم .

الفصل الخامس والعشرون

فى قناديل الذهب والفضة التى تعلق حول الحجرة الشريفة ، وغيرها من معاليقهـا .

القناديل

اعلم أنى لم أر فى كلام أحد ذكر ابتداء حدوث ذلك ، إلا أن ابن النجار قال ما لفظه : وفى سقف المسجد الذى بين القبلة والحجرة على رأس الزُّوّار إذا وقفوا مُعَلَّقٌ نيفٌ وأربعون قنديلا كبارا وصغارا من الفضة المنقوشة والساذجة ، وفيها اثنان بلور ، وواحد ذهب ، وفيها قمر من فضة مغموس فى الذهب ، وهذه تنفذ من البلدان من الملوك وأرباب الحشمة والأموال ، انتهى .

قلت : واستمر عمل الملوك وأرباب الحشمة إلى زماننا هذا على الإهداء إلى الحجرة الشريفة قناديل الذهب والفضة

ورأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين العثمانى أشياء نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح يتضمن ما كان يَرِدُ فى كل سنة من ذلك ؛ فذكر فى سنةٍ خمسة عشر قنديلا ، وفى أخرى ثلاثة عشر ، وفى أخرى عشرة ، وفى أخرى إحدى وعشرين .

قلت : وفى زماننا هذا يَرِدُ فى غالب السنين ما يزيد على العشرين ، ولا ضابط لذلك ؛ فإنه يرد من نذور من ناسٍ مختلفين ، وكأن هذه القناديل كانت إذا كَثُرت رفعُوا بعضها ووضعوه بالحاصل الذى فى وسط المسجد ، فاجتمع فيه شىء كثير فاتفق على ما ذكره الحافظ ابن حجر فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة أن فوض السلطان الناصر فرج لحسن بن عجلان سلطنة الحجاز ، فاتفق موت ثابت ابن نعير ، وقرر حسن مكانه أخاه عجلان بن نعير المنصورى ، فثار عليهم جماز ابن هبة بن جماز الجمازى الذى كان أمير المدينة ، وأرسل إلى الخدَّام بالمدينة يستدعيهم ، فامتنعوا من الحضور إليه ، فدخل المسجد الشريف ، وأخذ ستارتى باب الحجرة ، وطلب من الخدام تسعة آلاف درهم على أن لا يتعرض لحاصل الحرم ، فامتنعوا ، فضرب شيخهم ، وكسر قفل الحاصل ، هكذا رأيته فى « أنباء الغمر » للحافظ ابن حجر .

والذى رأيته فى مَحْضَرٍ عليه خطوطُ غالب أعيان المدينة الشريفة ماحاصله : أن جماز بن هبة المذكور كان أمير المدينة ، فبرزت المراسيم الشريفة بتولية ثابت ابن نعير إمرة المدينة وأن يكون النظر فى جميع الحجاز لحسن بن عجلان ، ولم يصل الخبر بذلك إلا بعد وفاة ثابت بن نعير ، فأظهر جماز بن هبة الخلاف والعصيان وجمع جموعا من المفسدين وأباح نَهْبَ بعض بيوت المدينة ، ثم حضر مع جماعة إلى المسجد الشريف ، وأهان مَنْ حضر معه من القضاة والمشايخ وشيخ الخدام باليد واللسان ، وشهَرَ سيفه عليهم ، وكسر باب القبة حاصل الحرم الشريف ، وأخذ جميع مافيها من قناديل الذهب والفضة التى تُحُمِّل على تعاقب السنين من سائر

الآفاق تقرباً إلى الله ورسوله وأشياء نفيسة وختمات شريفةً وزيْتَ المصابيح وشموعَ التراويح وأكفان ودراهم يوارى بها الطرحاء ، وقطع مكاتيب الأوقاف وغسّلها ، وقصد الحجرة الشريفة ، وأحضر السلم لإنزال كسوة الضريح الشريف والقناديل المعلقة حوله ، فلم يُقدَّرْ له ذلك ومنعه الله منه ، وأخذ ستر أبواب الحجرة الشريفة من خزانة الخدام ، وتعطل فى ذلك اليوم وليلته والذى يليها المسجدُ الشريفُ من الأذان والإقامة والجماعة ، وأخذ جماعته وأقاربه فى نهب بيوت الناس ومصادرتهم ، وأخذ جمال السوانى ، وارتحل هارباً عقب ذلك ، ولما اتصل بحسن ابن عجلان ما فوض إليه من أمر الحجاز استدعى بعجلان بن نعير وأقامه فى إمرة المدينة ، وعرفه ما برزت به المراسيم أولا فى ولاية أخيه ، انتهى .

وذكر الحافظ ابن حجر أنه أخذ من الحاصل المذكور إحدى عشر خوشخاناً وصندوقين كبيرين وصندوقاً صغيراً بما فى ذلك من المال وخمسة آلاف شقة من البطاين، وصادر بعض الخدام ، ونزح عنها ؛ فدخل عجلان بن نعير ومعه آل منصور فنُودِيَ بالأمان ، ثم قدم عقبهُ أحمد بن حسن بن عجلان ومعه عسكر ، يعنى من مكة .

قلت : ورأيت بخط شيخنا العلامة ناصر الدين المراغى قائمة ذكر أنه نقلها من خط قاضى طيبة الزين عبد الرحمن بن صالح صورتها : الذى كان فى القبة ، وأخذه جماز بن هبة ، هو من القناديل الفضة ثلاثة وعشرون قنطاراً وثلث قنطار، غير الذى فى الرفوف ، والصندوقين الذهب ، ثم ذكر تفصيل ذلك فى ثمان عشرة وزنة ، ثم كتب ما صورته : خوشخانة مختومة لم تفتح ، والظاهر أنها ذهب ، وزنة القناديل التى فى الرفوف أربع قناطير إلا ثلث ، وتسع قناديل ذهب بالعدد فى صندوق ، وصندوق صغير مقفول ، انتهى .

وبلغنا أنه دفن غالب ذلك ، ثم أخذه الله أخْذاً وَبيلا فقتل هو ومن اطلع معه على دفن ذلك ، فلم يعلم مكانه إلى اليوم .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر قَتْلَه فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة فقال : وفيها قتل جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى أمير المدينة ، وقد كان أخذ حاصل المدينة ونزح عنها ، فلم يُمْهَل وقتل فى حرب جرت بينه و بين أعدائه ، انتهى .

قلت : إنما بيتته بعض عرب مَطِير فاغتاله وهو نائم .

ورأيت فى القائمة المتقدم ذكرها التى نقلها شيخنا المتقدم ذكره ما صورته : وزن ما فى الحجرة من قناديل الذهب تسع قناطير ، وورد بعد ذلك من أم السلطان قنديل زنته ألف مثقال ، وورد من أخت السلطان قنديل زنته ألف وخمسمائة ، وأربع قناديل كبار فى الواحد منهم أربعة صغار ، وفى الثانى اثنان صغار ، وفى الثالث عدة قناديل معفوسة ، وفى الرابع قنديل ، زنة الجميع ثلاثة آلاف وسبعمائة وعشرون مثقالا ، وعلى يد الطواشى صندل قنديلين صغار ، ومعلق بعد ذلك عدة قناديل لم تكتب ، انتهى .

والظاهر أنه سقط بعد قوله « من قناديل الذهب » لفظُ « والفضة » وفى هذه القائمة أيضاً أن بالقبة ــ يعنى بعد قصة جماز المتقدمة ــ من قناديل الفضة مائة رطل وسبعة عشر رطلا وضعها بيسق بيده ، انتهى .

ثم إن الأمير غُرير بن هيازع بن هبة الحسينى الجمازى أخذ جانباً من الحاصل المذكور فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة ، زاعماً أنه على سبيل القرض ، وامتحن بعض قضاة المدينة لسبب ذلك ، ثم حُمل غرير المذكور إلى القاهرة محتفظاً به ، ومات بها مسجوناً .

ولم تزل هذه القناديل فى زيادة حتى عدا عليها فى ليلة السابع والعشرين من ذى الحجة سنة ستين وثمانمائة برغوث بن بتير بن جُريس الحسينى ؛ فدخل الدارَ المعروفة بدار الشباك بجانب باب الرحمة ليلا ، ولم يكن بها ساكن ، وتَسَوَّرَ جدار المسجد ، ودخل بين سقفى المسجد الشريف من شباك هناك ، ومشى حتى بلغ ما يحاذى سقف الحجرة الشريفة ، فأخذ من تلك القناديل شيئا كثيراً ، وكأنه تردَّدَ لذلك المرة بعد الأخرى ، ولم يشعر أهل المسجد ونظاره بشىء من ذلك ،

غير أن أمَةً لبعض جيران الدار المذكورة رأتْ من سطح دارهم شخصين فى أعلى دار الشباك يتعاطَيَان شيئاً له حجم كبير وصوت صَليل ، فلما أصبحت أخبرت بوّابَ المسجد فلم يعبأ بذلك لخلو تلك الدار ، و بَعُدَ ذلك الأمر عن الأفكار ، ولكن الله أراد هتك المذكور وحلول النقمة به ، فأنهى بعضُ الناس إلى أمير المدينة أن المذكور معه شيء كثير من المال غير معهود ، فأمسكه الأمير وضَيَّقَ عليه بالسجن ، فانخلس ليلا ، ثم شاع بالمدينة بيع شبابيك من الفضة والذهب ، فكثر القال والقيل ، ثم فى شهر ربيع الأول من سنة إحدى وستين استفاض أن برغوثاً بالينبع ومعه قطع من ذهب القناديل ، فافتقد النظار الحجرة الشريفة ، فرأوا أكثر القناديل مأخوذاً ، فعلموا الحال ، لكن لم يعلموا الكيفية ، واتهمت ابنة السراج النفطى بممالأة برغوث على ذلك وأنه إنما تسور من بيت أبيها لكونه متصلا بالمسجد فى قبلته ، وأظهر الله براءتها بعد ذلك ، وكان بالمدينة إذ ذاك زين الدين استدار الصحبة ، فعقد مجلساً لذلك ، واجتمع أعيان أهل المدينة ، وكتبوا إلى أمير الينبع بالقبض على برغوث و إرساله ، فقبض عليه ، فاعترف أنه فَعَلَ ذلك هو ودبوس بن سعد الحسينى الطفيلى ، وجعل أن دخوله من بيت المرأة المتقدم ذكرها ، وأن بعض الخدام واطأه على ذلك ، ثم أظهر الله الحق ، وأن دخوله إنما كان من دار الشباك ، وأن شريكه المُعِينَ له على ذلك دبوس المذكور ، ولم يَرَ أميرُ ينبع إرساله إلى المدينة ، بل تركه عنده منتظراً الأوامر السلطانية ، ثم إن أمير المدينة أمسك دبوساً و بعض أقار به ، فأنكر هو ، وأقر عليه بعض جماعته وأحضروا جانباً من الذهب والفضة ، ثم هرب برغوث من الحبس بالينبع ، ثم ساقه الله إلى المدينة ، فلما وصل دُلَّ عليه أميرها ، فأمسكه وحبسه مع دبوس وذَويه ، فهربوا ، ثم أظفر الله بهم ، ولم يغب منهم إلا دبوس ، و برزت المراسيم بقتل مَنْ تجرأ على هذه العظيمة ، فقتل أمير المدينة برغوثا وآخر معه من أقار به يسمى ركاباً ، وصلبهما ، ثم ظفر بدبوس وقتله أيضا .

وأخبرت عن برغوث أنه قال : كنت كلما توجّهت فى حالِ هَرَبى لغير جهة المدينة كأنى أجد من يصدّنى عن ذلك ، و إذا قصدت جهةَ المدينة تيسرت لى وكأن شخصاً يَقُودنى إليها حتى دخلتها .

وأما عدة القناديل الموجودة فى زماننا هذا بالحجرة الشريفة فقد ضبطت فى أول سنة إحدى وثمانين وثمانمائة بأمر السلطان الأشرف لشيخ الحرم الأمير انيال والقضاى الزكوى ؛ فكان عدة معاليق الذهب ثمانيةعشر قنديلاو بعض قنديل ، وأربع مشنات ، ومغرافان ، وسواران ، وزنة ذلك سبعة آلاف قفلة وستمائة وخمسة وثلاثون ، من ذلك قنديل كبير فى جهة الوجه الشريف زِنَتُه أربعة آلاف وستمائة قفلة ، أهداه سلطان الـكلرجه شهاب الدين أحمد ، وعدة معاليق الفضة ثلاثمائة قنديل وأربعة وأربعون قنديلا ، وثُرَيّة كبيرة ، زنة ذلك ستة وأربعون ألف قفلة وأربعمائة وخمسة وثلاثون قفلة ، وكانت ضبطت قبل ذلك فى سنة اثنتين وستين وثمانمائة على يد الأمير برد بك التاجى فتحرّر من النظر بين المقدارين أن الزائد على ما ضبط فى التاريخ المتقدم من الذهب ألف قفلة ومائة وخمسة وخمسون ، ومن الفضة ثلاثة عشر ألف قفلة وسبعمائة وخمسة وثمانون قفلة ، فذلك القدر هو الوارد من عام ثلاث وستين إلى آخر عام تسع وسبعين ، وهنالك من المعاليق أيضاً غير ما تقدم قنديل من بلور بتابوت من فضة ، وقناديل نحاس أربعة ، وفولاذ واحــد مُـكَفَّت بالذهب مشبك مكتوب عليه أن الناصر محمد ابن قلاوون علقه من يده إلى عام حجه ، ثم ورد فى سنة ثمانين فى مشيخة الشيخ انيال ولم يدخل فى الجملة المتقدمة قنديلان من الذهب زنتهما مائة وخمسة وعشرون قفلة ، ومن الفضة اثنان وثلاثون قنديلا زنتها ألف ومائتان وخمسة وسبعون قفلة ، وفى سنة إحدى وثمانين قنديل ذهب زنته مائة واثنان وأربعون قفلة ، وأربعة وعشرون قنديلا من الفضة زنتها تسعمائة وخمسون قفلة ، وفى سنة اثنين وثمانين من الفضة أحد وثلاثون قنديلا زنتها ألف وخمسمائة وخمسون قفلة ، ولم يرد شىء

من الذهب ، وفى سنة ثلاث وثمانين من الذهب قنديل واحد زنته عشرون قفلة ، ومن الفضة خمسة وعشرون قنديلا زنتها ألف ومائة وخمسة وثلاثون قفلة ، وفى سنة أربع وثمانين من الفضة تسعة عشر قنديلا زنتها سبعمائة وخمسة وأربعون قفلة ، ولم يرد شىء من الذهب؛ فجملة ما ورد فى ولاية الأمير انيال فى المدة المذكورة من الذهب أربعة قناديل جملة زنتها مائتان وسبعة وثمانون قفلة ، ومن الفضة مائة قنديل وتسعة وعشرون قنديلا جملة زنتها خمسة آلاف وستمائة وخمسة وخمسون قفلة ، ولما شرعوا فى عمارة الحجرة الشريفة الآتى ذكرها فى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة رفعوا جمع المعاليق التى كانت حولها ، ووضعت بالقبة التى بصحن المسجد بأمر متولى العمارة الجناب الشمسى ، ولم يزل بها إلى تاريخه ، ولم يكن اليوم حول الحجرة الشريفة من المعاليق إلا ما تجدد فى آخر سنة إحدى وثمانين إلى آخر سنة أربع وثمانين ، ثم حسّن متولى العمارة للسلطان صرف ذلك فى مصالح المسجد والمدينة الشريفة ، فحمل بعضُه من الحاصل المذكور إلى مصر قبيل الحريق الثانى ، ثم وجدوا ما سقط لسبب الحريق من القناديل التى كانت معلقة بحالها ، ثم صرف متولى العمارة بعضَ ذلك فى تذهيب السّقف المُعَادَة بعد الحريق ، ثم وضع بهذه القبة ما تجمد من مصاريف حب السماط المجدد ، فاجتمع بها نحو ثلاثة عشر ألف دينار ، فاتفق أن أمير المدينة حسن بن زبيرى المنصورى حضر بجماعة مع الاستعداد بالأسلحة والسيوف المسلولة ؛ فدخل المسجد الشريف على تلك الحالة وقت الظهر من سادس ربيع الأول عام أحد وتسعمائة ، وأمر خازندار الحرم الشريف بإحضار مفاتيح الحاصل المذكور ، فامتنع من ذلك ، فضربه ضربا مُبَرِّحا ، ثم عَمَدَ إلى باب الحاصل المذكور وأحضر فأساً وكسره وأخذ جميع ما فيه من النقد والقناديل والسبايك ، فحمل منه ثلاثة أحمال على فرسين وبغل وغراير تسع على ظهور الحمالين ، ثم ذهب إلى حِصْنه وأحضر الصُّياغ وسَبَكَ تلك القناديل ، وذكر أنه صنع ذلك رغبة عن إمرة المدينة ؛ لأن ولايته كانت بطريق النيابة عن السيد

الشريف محمد بن بركات لتفويض السلطان الأشرف إليه أمر الحجاز وأن المشار إليه صار يأخذ حصته مما يحمل له من الإقطاع ومن الصدقات ، وعطل عليه أهل مصر بعض إقطاعه ، فحمله ذلك على ما سبق .

حكم معاليق المسجد النبوى

أما حكم هذه المعاليق ونحوها من تحلية الصندوق المتقدم ذكره والقائم الذى بأعلاه فحكم معاليق الكعبة الشريفة وتحليتها ، وقد تكلم السبكى فى حكم قناديل الكعبة وحليتها والقناديل التى حول الحجرة الشريفة ، وألَّفَ فى ذلك كتابا سماه « تنزل السكينة ، على قناديل المدينة » فأورد حديث البخارى وغيره فى كنز الكعبة وما تضمنه من إقرار النبى صلى الله عليه وسلم له بمحله ، ثم أبى بكر بعده ، ورجوع عمر رضى الله عنه لذلك لما ذكره به ابن شيبة ، وقال : هما المرآن يقتدى بهما ، قال : فهذا الحديث عمدة فى مال الكعبة ، وهو مايُهْدَى إليها أو ما يُنْذَر لها وما يوجد فيها من الأموال .

قال ابن بطال : أراد عمر إنفاقه فى منافع المسلمين ، ثم لما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعرض له أمسك ، وإنما ترك ذلك والله أعلم لأن ما جعل فى الكعبة وسُبِّلَ لها يجرى مجرى الأوقاف ؛ فلا يجوز تغييره عن وجهه ، وفى ذلك تعظيم للاسلام وترهيب للعدو .

قلت : قد تعقَّبَ ذلك الحافظُ ابنُ حجر باحتمال أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم إنما تركه رعايةً لقلوب قريش ، كما ترك بناء الكعبة على قواعد إبراهيم ، ويؤيده ما وقع عند مسلم فى بعض طرق حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه « لولا أن قومك حَدِيثُو عهدٍ بكفر لأنفقْتُ كنز الكعبة فى سبيل الله ، ولجعلت بابها بالأرض » الحديثَ ، فهذا التعليل هو المعتمد

قلت : لكن قد يقال : حيث تركه النبى صلى الله عليه وسلم لهذه العلة ثم تركه أبو بكر ثم عمر بعد الهمّ به ورجوعه عن ذلك ثم مَنْ بعده فهو إجماع على تركه ؛ فلا نتعرض له ؛ لما يترتب عليه من الشناعة والله أعلم

قال السبكى : ولا يغلط فى أن ذلك يصرف إلى فقراء الحرم ، فإنما يكون ذلك إذا كان الإهداء إلى الحرم أو إلى مكة ، أما إذا كان للكعبة نفسها فلا يصرف إلا إليها ، كأن تعرض لها عمارة فحينئذ ينظر : فإن كانت تلك الأموال قد أرصدت لذلك صرفت فيه ، و إلا فيختص بها الوجه الذى أرْصد له ، فالمرصد للبخور مثلا لا يصرف للسترة

قال : وأما القناديل التى فيها والصفائح التى عليها فلا يصْرَف منها شىء ، بل تبقى على حالها ، وقول عمر « لقد هممت أن لا أدَعَ فيها صُفْرا ولا بيضا » محتمل للنوعين ، ولم ينقل إلينا صفتها التى كانت ذلك الوقت ، ومن قال أول من ذهّب البيت فى الإسلام الوليدُ لا ينفى أن يكون البيت ذُهِّب فى الجاهلية و بقى إلى عهد عمر

قلت : قد نقل التقى الفاسى عن خط الحافظ رشيد الدين بن المنذرى فى اختصاره لتاريخ المسبحى ما لفظه : وفيها — أى سنة خمس وستين — استتم ابن الزبير بناء الكعبة ، و يقال : إنه بَنَاها بالرصاص المذوب المخلوط بالورس ، وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب ومفاتحها ذهبا ، اه . فإن صح فهو أولى ما يحتج به

ثم نقل السبكى عن الرافعى أنه قال : لا يجوز تحلية الكعبة بالذهب والفضة وتعليق قناديلها . ثم نقل أن فى تحلية الكعبة والمساجد بالذهب والفضة وتعليق قناديلها وجهين مرويين فى الحاوى وغـيره : أحدهما : الجواز ، تعظيما كما فى المصحف ، وكما يجوز ستر الكعبة بالديباج ، وأظهرها المنع ؛ إذ لم ينقل ذلك عن فعل السلف، ثم استشكل كلام الرافعى فقال : وأما التسوية بين الكعبة والمساجد فلا ينبغى ؛ لأن للكعبة من التعظيم ما ليس للمساجد ، بدليل جواز سَتْرها بالحرير إجماعا ، وفى ستر المساجد به خلاف ، فحكاية الخلاف فيها مشكل ، وترجيح المنع أشكل ، وكيف وقد فعل ذلك فى صَدْر هذه الأمة ، وقد تولى عمر بن عبد العزيز

عمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوليد وذَهَّبَ سقفه بأمره من غير مراجعة ، بل لما ولى الخلافة بعد ذلك أراد أن يزيل ما فى جامع بنى أمية من الذهب فقيل له : إنه لا يتحصل منه شىء يقوم بأجرة حَكّه ، فتركه . والصفائح التى على الكعبة يتحصَّل منها شىء كثير ، فلو كان فعلُها حراما لأزالها فى خلافته ، فلما تركها ومعه جميع من يحجّ كل عام وجب القطع بجوازها ، وهذا فى تحلية الكعبة بالصفائح ، ولا منع من جريان الخلاف فى التمويه لإزالة المالية ، ولا من إجراء الخلاف فى سائر المساجد تمويها وتحلية ، على أن القاضى حسين جَزَم بحلّ تحلية المسجد بالقناديل من الذهب ونحوها ، وأن حكمها حكم الحلى المباح ، وهذا أرجح مما قال الرافعى ؛ لأنه ليس على تحريمهما دليل ، والحرام من الذهب إنما هو استعمال المذكور له ، والأكل والشرب ونحوها ، وليس فى تحلية المسجد بالقناديل ونحوها شىء من ذلك ، لكن لا أقول إنه ينتهى إلى حدّ القُرْبة فى سائر المساجد ، وتعليل الرافعى لما قاله بأن ذلك لم ينقل عن فعل السلف عجيب ؛ إذ لا يقتضى ذلك التحريم ، ومن حرم اتخاذ الآنية وهو الأصح فإنما حرمه لأن النفس تدعو إلى الاستعمال المحرم ، وذلك إذا كانت له ، وأما إذا جعلها المسجد فلا تدعو النفس لذلك ، فكيف يحرم وهى لا تسمى أوانى ؟

قال : ورأيت الحنابلة قالوا بتحريمها للمسجد ، وجعلوها من الأوانى أو مَقِيسة عليها ، وليس بصحيح ، ومن يقول بجواز التحلية والقناديل فى سائر المساجد فلا شك أنه يقول بها فى المساجد الثلاثة بطريق الأولى ، ومن منع فلم يصرح فى المساجد الثلاثة بشىء ، لكن عموم كلامهم يشملها ، وينبغى ترتيبُ الخلاف : ففى المساجد غير الثلاثة وجهان أصحهما الجواز ، ومسجد بيت المقدس أولى بالجواز ، والمسجدان مسجد مكة ومسجد المدينة أولى منه ، ثم المسجدان على الخلاف فى تفضيلهما ، وقد يقال إن مسجد المدينة أولى لمجاورة النبى صلى الله عليه وسلم وقصد تعظيمه بما فى مسجده من ذلك ، هذا كله بحث ، والمنقول ما تقدم .

وهذا فى الاتخاذ من غير وَقْف ، فإن وَقَفَ المتخذ من ذلك فقد قطع القاضى حسين والرافعى بأنه لا زكاة فيه ، وقد رجح الرافعي فيها التحريم ، فكيف يرجح ذلك ؟ إذ مقتضاه صحة وقفها ، فلعل مراد الرافعى إذا وقفت على قصد صحيح وإذا فرعنا على صحة وقفها . قال : وهـذا حكم المساجد فى ذلك ، وأما الحجرة الشريفة فتعليق القناديل فيها أمر معتاد من زمان ، ولا شك أنها أولىٰ بذلك من غيرها ، والذين ذكروا الخلاف فى المساجد لم يذكروها ، وكم من عالم وصالح قد أتى للزيارة ولم يحصل من أحد إنكار لذلك .

فهذا وحده كافٍ فى جواز ذلك مع ما تقدم ، واستقراء الأدلة فلم يوجد فيها ما يدل على المنع . قال : فنحن نقطع بالجواز ، والحجرة الشريفة هى بيت عائشة وما حوله ، وأشار إلى بيان أن ما حوله إما منـه أو من بقية الحجر المُدْخَلة فى المسجد .

قال : والمدفن الشريف بالحجرة له شرف على جميع المساجد وعلى الكعبة ؛ فلا يلزم من المنع فى المساجد والكعبة المنع هنا .

قال : ولم نر أحدا قال بالمنع هنا ، فما وقف من ذلك إكراما لذلك المكان صح وقفه ، وإن اقتصر على إهدائه صح أيضاً كالمهدَى للكعبة ، وكذلك المنذور له ، وقد يزاد هنا فيقال : إنه مستحق للنبى صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم حى ، وإنما يحكم بانقطاع ملكه بموته عما كان فى ملكه وجعله صدقة بعده .

وأما هذا النوع فلا يمتنع ملكه له ، وهو الذى فى أذهان كثير من الناس حيث يقولون : هذا للنبي صلى الله عليه وسلم .

ثم أورد ما رواه يحيى بن الحسين بسنده من الخبر الآتى فى إجمار المسجد عن عبد الله بن محمد بن عمار عن أبيه عن جده قال : أتى عمر بن الخطاب بمِجْمَرَة من فضة فيها تماثيل ، فدفعها إلى سعدٍ أحدِ المؤذنين ، وقال : أجمر بها فى الجمعة وفى

شهر رمضان ، فكان سعد يجمر بها بين يدى عمر بن الخطاب ، الخبرَ الآتى .

ثم قال : عبد الله بن محمد بن عمار بن سعد القرظ ضعفه ابن معين ، وكذا الراوى عنه ، ومحمد بن عمار حسن له الترمذى ، فلو سلم ممن دونه كان جيداً ، ومقتضى اشتراط الفقهاء الاحتواء فى المجمرة عدم تحريم هـذا الصنيع ، لـكن العرف دالّ على عد ذلك استعمالا ، فإما أن يكون الحديث ضعيفا ، وإما أن يكون احتمل ذلك لأجل المسجد تعظيما له ، فتـكون القناديل بطريق الأولى ؛ إذ لا استعمال فيها .

قال : ولا يجوز صرف شيء من قناديل الحجرة فى عمارتها ، ولا فى عمارة المسجد ؛ لأنها إنما أعدت للبقاء ، وليس قصد بها جهات إلا ذلك ، سواء وقفها أو اقتصر على إهدائها .

قال : وقد سئلت عن جواز بيعها لعمارة المسجد النبوى ، فأنكرته واستقبحته ، وكيف يبلغ ملوك الأرض أنا بعنا قناديل نبينا لعمارة حرمه ونحن نفديه بأنفسنا فضلا عن أموالنا ؟ وما برحت الملوكُ يفتخرون بعمارته .

قلت : وقد تعقبه جماعة ، والمحل قابل للمناقشة ، وليس ذلك من غرضنا ، غير أنا نقول : ستر الـكعبة بالديباج قام عليـه الإجماع ، وأما التحلية بما ذكر فلم يثبت عن من يحتج بفعله ، وترك عمر بن عبد العزيز يحتمل أعذارا ليس هذا محل بيانها .

وقد نقل الشيخ الموفق الإجماع على تحريم استعمال أوانى الذهب ، والقناديل من الأوانى بلا شك ، واستعمال كل شيء بحسبه ؛ فاستعمال ما ذكر بتعليقه للزينة ، وقد علم تحريم اتخاذ الأبنية منها أيضاً .

وقد ذكر الجمال الـكازرونى المدنى أشياء أيّدَ بها كلام السبكى : منها أن الله تعالى قال « فى بيوت أذِنَ الله أن ترفع » قال : وهى بيوت النبى صلى الله

عليه وسلم ، قاله مجاهد ، ومعنى ترفع تعظم ويرفع شأنها وتزين ، وتزيينها تعليق قناديل الذهب فيها ، وتطهر من الأنجاس والأقذار وتطيب .

قلت : قوله «ومن تعظيمها تعليق ذلك فيها» هو محل النزاع ؛ لأن من حرم ذلك لا يسلمه ، والله أعلم .

ومنها : أنه روى عن عثمان تعليق قناديل الذهب بالمسجد النبوى .

قلت : ولعله من اختلاف أعدائه عليه ، ولم أرَهُ مسطورا فى تأليف ، ولو كان له أصل لذكره مؤرخو المدينة

ومنها : أن عمر بن عبد العزيز فَعَله فى بنيانه للوليد ولم ينكر عليه .

قلت : ولم أره فى تأليف أيضاً .

ومنها : أنه روى أن سليمان بن داود عليه السلام بنى مسجد بيت المقدس ، وبالغ فى زينته وتعليق القناديل فيه ، وشَرْعُ من قبلنا شرع لنا مالم يرد ناسخ .

قلت : لم ينقل تعليق داود عليه السلام لقناديل الذهب به ، ولو صح ذلك فالناسخ فى شرعنا تحريمُ الآنية ، وهذا آنية ، وما تقدم عن السبكى فى كونه ليس بآنية ممنوع .

ومنها : ما رواه الثعلبى فى حديث إتيان المساجد يوم القيامة ، وفيه « وأئمتها يسوقونها ، وعمارها ومزينوها ومحلوها متعلقون بها » الحديث .

قلت : أخذ ذلك من رواية القرطبى عن الثعلبى ، كما رأيته فى بعض النسخ ، وقد راجعت القرطبى أيضاً فى ذلك فرأيته روى الحديث المذكور من طريق الثعلبى ، وليس فيه « ومزينوها ومحلوها » بل لفظه « وعمارها متعلقون بها » .

ومنها : ما رواه سعيد بن رَبّان — بالموحدة المشددة — قال : حدثنى أبى عن أبيه عن جده عن أبى هند قال : حَمَلَ تميم يعنى الدارىَّ من الشام إلى المدينة قناديل وزيتا ومقطا وقنديلا أو قنديلين من الذهب ، فلما انتهى إلى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة ، فأمر غلاما يقال له أبو البراد ، فقام فبسط المقط وعلق القناديل ،

وصب فيها الماء والزيت ، وجعل فيها الفُتُلَ ، فلما غربت الشمس أمر البراد فأسرجها ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ، فإذا هو بها تَزْهَرُ ، فقال : من فعَلَ هذا ؟ قالوا : تميم الدارى يا رسول الله ، فقال : نورت الإسلام ، وحليت مسجده ، نور الله عليك فى الدنيا والآخرة ! ـ الحديث .

قلت : قد أخـذ ذلك من تفسير القرطبى ، كما رأيته فى بعض النسخ ، وفى بعضها إسقاط عزوة للقرطبى ، وقد راجعت تفسير القرطبى فرأيته أورد الحديث المذكور بحروفه ، وليس فيه قوله « وقنديلا أو قنديلين من الذهب » ولا قوله « وحليت مسجده » .

ومنها : ما روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما دخل الشام تَلَقَّاه معاوية بعساكر وجنود كثيرة وخيول مسومة وأسلحة مُخَوَّصة بالذهب والفضة ولبوس الحرير والديباج وزينة حسنة كزينة فارس والروم ، فقال عمر : ما هذا يا معاوية ؟ وما هذه الزينة والفخار ؟ لقد أتيت أمْرًا إمْرًا وارتقيت مُرْتَقًى صعبا ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا غَيْظ كفارنا ، ومقهرة لأعدائنا ، وإن فرائصهم لترتعد ، وإن قوائمهم لتَخُور من ذلك ، وإنا لنجد بذلك المظهر عليهم والذلة والصَّغَار فيهم ، وأشربوا فى قلوبهم الرُّعْبَ حين يرون مساجدنا مُحَلَّاة بالذهب وسقوفها مُنَقَّطه بقناديل الذهب ـ الخبرَ ، وفيه أن عمر سكت عنه .

قلت : الخبر ذكره المؤرخون ، ومثله لا تقوم الحجة به ، ولم أر فيه الزيادة المتعلقه بتحلية المساجد ، وقد رأيت فى بعض النسخ نسبة ذلك للذهبى فى تاريخ الإسلام ، وأسقط العَزْوَ فى نسخة أخرى ، فليراجع ذلك من تاريخ الإسلام ، فإن لم يكن فيه هذه الزيادة فالذى يظهر لى أن بعض المتعصبين ألحق هذه الأشياء فى الروايات المتقدمة ليتم بها الاستدلال ، فإن المسألة وقع فيها تعصبات ، وكأن الجمال الـكازرونى إنما أراد إفادة أصل وضع القناديل ، وذكر ما يشعر بهذا الأمر ، فلما رأى ذلك المتعصب أن الاستدلال لا يتم إلا بذلك ألحقه ، ولم يشعر أنه

لو كان ذلك موجودا لم يكن فيه حجة لعدم اتصال السند الصحيح فى ذلك.

ومن تأمل سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأحواله لم يَخْفَ عليه أن كل ذلك لم يكن يعجبه فى حياته ، هذا الذى أعتقده ، والله أعلم .

الفصل السادس والعشرون

فى الحريق الأول القديم المستولى على تلك الزخارف المحدثة بالحجرة الشريفة والمسجد وسقفهما ، وما أعيد من ذلك ، وما تجدد من توسعة المسقف القبلى بزيادة الرواقين فيه ، وغير ذلك .

سبب الحريق وتاريخه

قال المؤرخون : احترق المسجد النبوى لَيلَة الجمعة أولَ شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وستمائة فى أول الليل ، ونقل أبو شامة أن ابتداء حَرْقه كان من زاويته الغربية من الشمال ، وسبب ذلك ـ كما ذكره أكثرهم ـ أن أبا بكر ابن أوحد الفرّاش أحَدَ القُوَّام بالمسجد الشريف دخل إلى حاصل المسجد هناك ومعه نار ، فغفل عنها إلى أن عَلِقَتّ فى بعض الآلات التى كانت فى الحاصل ، وأعجزه طفيها ، ثم احترق الفرّاش المذكور والحاصل وجميع ما فيه .

وقد صَنَّف القُطْبُ القسْطلانى فى ذلك وفى النار المتقدم ذكرها فى الفصل الثالث من الباب الثانى وهى نار الحجاز التى ظهرت بالمدينة الشريفة فى ذلك العام كتابا سماه «عروة التوثيق ، فى النار والحريق» ذكر فيه بدائع من حكم الله تعالى فى حدوث ذلك ، وقد كان القطب بمكة حين وقع ذلك ، وقد نبه فيه على ما يوافق ما قدمناه عن المؤرخين .

فقال : كتب إلى الصادق فى الخبر ، وشافهنى مَنْ شَاهَدَ الأثر ، أن السبب فى حريق المسجد الشريف دخول أحد قَوَمَة المسجد فى المخزن الذى فى الجانب الغربى من آخر باب المسجد لاستخراج قناديل لمنائر المسجد ، فاستخرج منها ما احتاج إليه ، ثم ترك الضوء الذى كان فى يده على قَفَص من أقفاص القناديل

وفيه مشاق ، فاشتعل فيه ، وبادر لأن يطفئه فغلبه وعَلِقَ بحُصُر وبسُط وأقفاص وقصب كان فى المخزن ، ثم تزايد الالتهاب وتضاعف إلى أن علا إلى سقف المسجد ، انتهى .

وفى العبر للذهبى أن حرقه كان من مسرجة القَوَّام .

قال المؤرخون : ثم دبت النار فى السقف بسرعة آخذة قبله ، وأعجلت الناس عن إطفائها بعد أن نزل أمير المدينة فاجتمع معه غالب أهل المدينة فلم يقدروا على قطعها ، وما كان إلا أقل من القليل حتى استولى الحريقُ على جميع سقف المسجد الشريف واحترق جميعه حتى لم تَبْقَ خشبة واحدة .

قلت : لعل مرادهم لم تبق خشبة كاملة ؛ لما قدمناه من مشاهدة بقايا خشب كثير عند إخراج الهَدْم الذى كان بالحجرة .

قال القطب القسطلانى : وتَلِفَ جميعُ ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوى والأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق وما اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها إحدى عشرة ستارة .

حكمة الله فى الحريق

ثم ذكر القطب حِكَماً لذلك وأسراراً ، لكون تلك الزخارف لم تُرْضِهِ صلى الله عليه وسلم ، ولكون القلوب لما لاحظت المساجد الثلاثة بعين التعظيم ولا يجوز فى ذلك أن تنزل فوق قدرها ، بل لابد أن يعتقد أن صفة قهره تعالى وعظمته مستولية على الجميع ؛ فهو الواحد القهار ، فوقع الحريق فى الكعبة وبيت المقدس قديماً ، ثم وقع بهذا المسجد فى هذا الزمان عقب ظهور المعجزة العظيمة فى ظهور نار الحجاز التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم وحماية جيرانه منها لما التجؤا إليه وانطفائها عند الوصول إلى حرمه كما سبق ، وربما خطر ببال العوام أن حبس النار عنهم ببركة الجوار مُوجِب لحبسها عنهم فى الآخرة ، فاقتضى الحال التبيين بذلك .

ونظم الأقشهرى أبياتاً مضمونها أن تسليط النار كان على تلك الزخارف

المنهى عنها ، وأن ما كان حقا فيبقى ، وما كان زوراً فبالنار يحرق ، قال : وأنشدنى الحافظ الصالح الشيخ إبراهيم بن محمد الكنانى رئيس المؤذنين هو وأبوه قال : وجد بعد الحريق فى بعض جدران المسجد بيتان وهما :

لم يحترقْ حَرَمُ النبيِّ لريبةٍ ... يخشى عليه وما به من عارِ
لكنه أيْدِى الروافضِ لامَسَتْ ... تلك الرسوم فطُهِّرَتْ بالنارِ

قلت : وأوردها المجد بلفظ :

لم يحترق حرم النبى لحادثٍ ... يُخْشَى عَلَيْه ولا دَهَاه العارُ
لكنما أيدى الروافض لامَسَتْ ... ذاك الجناب فطهرته النارُ

وأورد بعدها بيتين آخرين هما :

قل للروافض بالمدينة ما بكم ... لقيادكم للذم كل سفيه
ما أصبح الحرم الشريفُ محرّقا ... إلا لسبكم الصحابةَ فيه

قلت : وهذا لأن الاستيلاء على المسجد والمدينة كان فى ذلك الزمان للشيعة وكان القاضى والخطيب منهم ، حتى ذكر ابن فرحون أن أهل السنّة لم يكن أحد منهم يتظاهر بقراءة كتب أهل السنة

قال المؤرخون : ولم يسلم سوى القبة التى أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثمانى وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت — يعنى تلك الصناديق — بعد الثلاثمائة ، وهى باقية إلى اليوم ، يعنى فى زمانهم ، وذلك لكون القبة المذكورة بوَسَط صحن المسجد و ببركة المصحف الشريف العثمانى

وكانت عمارة القبة المذكورة — على ما ذكره ابن فرحون — سنة ست وسبعين وخمسمائة

قالوا : و بقيت سَوَارى المسجد قائمة كأنها جُذُوع النخل إذا هبت الرياح تمايل ، وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت ، ووقع السقف الذى كان على أعلى الحجرة على سقف بيت النبى صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا فى الحجرة

الشريفة وعلى القبور المقدسة . وعبارةُ الذهبي وتبعه التقي السبكي : فوقع بعضُ سقف الحجرة ، وكل ذلك قبل أن ينام الناس ، وأصبحوا يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة ، وكتب بذلك للخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان ، فوصلت الآلات صحبة الصناع مع رَكْب العراق في الموسم ، وابتدئ بالعمارة أول سنة خمس وخمسين وستمائة .

الشروع في العمارة بعد الحريق

قال المطرى : ولما شرعوا في العمارة قصدوا إزالة ما وقع من السقوف على القبور الشريفة فلم يجسروا على ذلك ، واتفق رأى صاحب المدينة يومئذ ـ وهو الأمير منيف بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنى الحسيني ـ ورأى أكابر أهل الحرم الشريف من المجاورين والخُدَّام أن يطالع الإمام المستعصم بذلك ليفعل ما يصل به أمره ، فأرسلوا بذلك ، وانتظروا الجواب ، فلم يصل إليهم جواب لاشتغال الخليفة وأهل دولته بإزعاج التتار لهم ، واستيلائهم على أعمال بغداد في تلك السنة ، فتركوا الرَّدْمَ على ما كان عليه ، ولم ينزل أحد هناك ، ولم يتعرضوا له ولا حركوه .

وعبارة المجد الشيرازي : فتركوا الردم على ما كان عليه ، ولم يجسر أحد على التعرض لهذه العظيمة التي دون مرامها تزلُّ الأقدام ، ولا يتأتى من كل أحد بادئ بدئه الدخول فيه والإقدام .

قلت : وقد كنت في تعجُّب عظيم من أهل ذلك الزمان في تركهم لذلك ، وألفت كتابا سميته « الوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى » بينت فيه أن الواجب في سلوك الأدب مع هذا النبي العظيم والقيام بما وجب على الأمة من تعظيمه وتعظيم قبره الشريف هو إزالة ذلك عنه وقَمُّه من حجرته الشريفة ، حتى اتفقت العمارة الآتي بيانها ، ولم يكن تأليفي السابق سببا في شيء من ذلك كما سيأتي بيانه ، حتى إني لم أطلع عليه متولي العمارة إلا بعد هَدْمه لشيء من جدار الحجرة ، فلما نقبوا الجدار الظاهر شاهدتُ بين الجدارين في الفضاء الذي خلف الحجرة

أمراً مَهُولاً من الهَدْم الذى خصّ ذلك الموضع ، فإنه كما سيأتى كان فيه نحو القامة ، فعلمت أن أهـل ذلك الزمان لم يتركوه إلا لعلمهم بأن إزالته لا تتأتى إلا بانتهاك الحرمة ، فتوقفوا فى ذلك ، فجزاهم الله تعالى خيرا ، وما كنت أعتقد إلا أنه أمر خفيف يتأتى قَمُّه مع رعاية الأدب ، فوجدته أمرا مَهُولا معظَمُه رَدْم سقف المسجد الأعلى وما بين السقفين من البناء الذى على رؤوس السوارى وغير ذلك ، ولذلك استخرتُ الله تعالى فى عدم حضور ذلك عند إخراجه ، ووقفتُ بين يَدَى النبى صلى الله عليه وسـلم وسألت منه المَدَدَ فى أن يوفقنى الله تعالى لما يرضيه فى ذلك ، لحفظنى الله من حضور ذلك .

وقال المطرى عقب قوله ولم يتعرضوا له ولا حركوه : إنهم أعادوا سقفا فوقه على رؤوس السوارى التى حول الحجرة الشريفة ؛ فإن الحائط الذى بناه عمر ابن عبد العزيز حول بيت النبى صلى الله عليه وسلم بين هذه السوارى التى حول بيت النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ به السقف .

قلت : تبع المطرىّ على ذلك مَنْ جاء بعده ، فتوافقوا على أنهم لم يجعلوا للحجرة بعد الحريق سقفا ؛ لأن السقف الذى على رؤوس السَّوَارى هو سقف المسجد ، فاقتضى ذلك أنهم جعلوا سقف المسجد سقف الحجرة ، وذكروا أنهم أداروا الشباك على رأس جدار عمر بن عبد العزيز حتى بلغوا به سَقْفَ المسجد ؛ وأول شيء ابتدأوا به من سقف المسجد ما حاذى الحجرة الشريفة منه ، وفيه مخالفة لما شاهدناه فى العمارة الآتى بيانها ، فإنهم وجدوا عليها سقفا مربعا على جدارها الداخل ، و يتصل بالخارج من المشرق والمغرب ، وهو دوين رأس الجدار الخارج بنحو شبر ، ثم تبين عند كَشْفه آثار السقف المنهدم وأن أخشابه كانت فى الجدار الداخل ، ولم يعيدوا هذا السقف المجدد موضع الأول ؛ لأنه لا يتأتى إلا بهدم سترته و إصلاح أماكن لرؤوس الخشب ، فتركوا ذلك تأدباً واحتراما ، ووضعوا ذلك السقف على أعلى سترة الجدار ، و بنوا فوقه سترة لطيفة ، وجعلوا

على ذلك السقف ســــتارة من المحابس اليمنية المبطنة بقماش أزرق مربوطة بمقطّ فى الشباك الذى بأعلى الحائز الظاهر ، وليس ذلك السقف مطينا ، وهو سقف محكم من ألواح ثخينة جداً من الساج الهندى ، وسمروا بعضها إلى بعض على قوائم من خشب ، وجعلوه أربع قطع كل قطعة كالباب العظيم ، وجعلوا عند ملتقى كل قطعتين من تلك القطع مقصاة من حديد ، وكَلَّبوا بعضها إلى بعض تكليبا محكما ، وجعلوا تحته ثلاث جزم من الساج الهندى تحمله ، وأوصلوا أطراف تلك الألواح بالجدار الظاهر كما تقدم ، ولم يجعلوا فى تلك الألواح دهانا ولا نقوشا ولا كتابة ، غير أن النجار الذى صنع السقف المذكور كتب اسمه على طرفه نقرا ، وكذلك سقف المسجد المحاذى للحجرة الشريفة مما يلى هذا السقف جميعُه من الساج النقى ليس عليه دهان ولا نقوش وفى وسطه طابق عليــه قفل فوته أنطاع ومشمع ، ولم يزل موجودا إلى أن عملت القبة الثانية بعد الحريق الثانى ، وجعلوا على جدار الحجرة الداخل من جهة الشام ألواحا من رأس الجدار إلى سقف المسجد .

والعجب أنهم عند رفع هذا السقف وجدوا جزمتين من الأخشاب التى تحته قد تأ كَّلتا ولم يبق إلا جزمة واحدة ، ومع ذلك كانت كافية فى حمله ، فجزى الله تعالى أهلَ ذلك الزمان خيرا ، والظاهر أن ذلك فعل عند إعادة سقف المسجد الذى ذكره المطرى .

ولنرجع إلى ما ذكره عقب ما تقدم عنه ، قال : وسقفوا فى هذه السنة ــ وهى سنة خمس وخمسين ــ الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلى و إلى الحائط الشرقى إلى باب جبريل عليــه السلام المعروف قديما بباب عثمان ، ومن جهة المغرب الروضة الشريفة جميعها إلى المنبر الشريف .

ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة فــكان فى المحرم منها واقعة بغداد واستيلاء التتار عليها وقَتْلهم الخليفةَ المذكورَ مع أهلها .

قلت : وهى من أعظم الوقائع ، وقد ذكرتها فى كتابى « الوفا » وأشرت

إليها فى الفصل الثالث من الباب الثانى عند ذكر نار الحجاز ، وذكرت ما أفاده الذهبى من استيلاء الحريق على بغداد أيضاً حتى ترِبة الخلفاء ، وكانوا فى العام قبله قد أشرفوا على الغرق ، فسبحان الملك العظيم .

قال المطرى عقب ما تقدم : فوصلت الآلات من مصر ، وكان المتولى عليها حينئذ الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيبك الصالحى ، ووصل أيضاً آلات وأخشاب من صاحب اليمن يومئذ وهو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور عمر بن على بن رسول ، فعملوا إلى باب السلام المعروف قديماً بباب مروان ، ثم عزل صاحب مصر المذكور ـ يعنى فى آخر سنة سبع وخمسين فى ذى القعدة منها ـ وتولى مكانه مملوك أبيه الملك المظفر سيف الدين قطز المعزى ، واسمه الحقيقى محمود بن ممدود ، وأمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، وأبوه ابن عمه أسر عند غلبة التتار ، فبيع بدمشق ، ثم انتقل بالبيع إلى مصر ، وتملك فى سنة ثمان وخمسين .

قلت : إنما ولى فى يوم السبت ثامن عشر ذى القعدة من سنة سبع ، وفى شهر رمضان من سنة ثمان كانت وقعت عين جالوت التى أعز الله فيها الإسلام وأهله على يديه ، ولم يستكمل فى ملكه السنة بكمالها ، بل قتل بعد الوقعة بشهر وهو داخل إلى مصر ، فكان العمل بالمسجد الشريف تلك السنة من باب السلام إلى باب الرحمة المعروف قديماً بباب عاتكة ، ومن باب جبريل إلى باب النساء المعروف قديماً بباب رَيْطَة بنة أبى العباس السفاح ، وتولى مصر آخر تلك السنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى ، ويعرف بالبندقدارى ، فعمل فى أيامه باقى سقف المسجد الشريف من باب الرحمة إلى شمالى المسجد ، ثم إلى باب النساء ، وكمل سقف المسجد كما كان قبل الحريق سقفا فوق سقف .

قلت : وذكر المؤرخون أن الظاهر ركن الدين المذكور لما ولى حصل منه الاهتمام بذلك ؛ فجهز الأخشاب والحديد والرصاص ، ومن الصناع ثلاثة وخمسين

صانعا وما يمونهم ، وأنفق عليهم قبل سفرهم ، وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحى وغيره ، ثم صار يمدهم بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات ، ثم لم يزل المسجد على ذلك حتى جَدَّدوا السقف الشرقى والسقف الغربى — أى الذى عن يمين صحن المسجد وشماله — فى سنتى خمس وست وسبعمائة فى أوائل دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى ، فجعلا سقفا واحداً نسبة السقف الشمالى أى سقف الدكاك فإنه جعل فى عمارة الملك الظاهر كذلك .

ثم فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة أمر السلطان الملك الناصر محمد المذكور بزيادة رواقين فى المسقف القبلى متصلين بمؤخره ، فاتسع مسقفه بهما وعم نفعهما .

قلت : ثم حصل فيهما خلل فجدّدهما الملك الأشرف برسْبَاى فى ذى القعدة سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة على يد مقبل القديدى من مال جوالى قبرص ، على ما أخبرنى به بعض مشايخ الحرم ، ورأيته مكتوباً كذلك باللوح التى كانت بظاهر العقود من المسقف القبلى مما يلى رحبة المسجد ، وهو سقف واحد فى مُوَازاة سقف المسجد الأسفل ، ولذلك صار سقف مقدم المسجد القديم مرتفعا من أعلاه على هذين الرواقين وغيرهما من بقية المسجد ، وله باب يدخل إليه من بين السقفين شارع فى مبدأ الرواقين المذكورين مما يلى المشرق ، وجدد الأشرف المذكور أيضاً شيئاً من السقف الشامى مما يلى المنارة السنجارية ، ثم حصل خلل فى سقف الروضة الشريفة وغيرها من سقف المسجد فى دولة الظاهر جَقْمَق فجدد ذلك فى سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة وما قبلها على يد الأمير بردبك الناصر المعمار وغيره .

ثم فى دولة مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى أدام الله تعالى تأييده ونصره أنهى إليه احتياجُ سقوف المسجد الشريف للعمارة فبَرَز أمرُه الشريف بذلك كما ستأتى الإشارة إليه للجناب الخواجكى الشمسى شمس الدين بن الزمن أعزه الله بعز طاعته ، فحضر لذلك فى أثناء سنة تسع وسبعين صُحْبة أمير جدة ورتّب أمر العمارة وسافر صحبته أيضاً ، فهدموا عقود المسجد التى تلى رحبته من

جهة المشرق وسقف الرواق الذى كان عليها ؛ لاقتضاء نظرهم ذلك ، ونقضوا بعض أساطينه فوجد بعضها لارصاص فيه ، و بعضها فيه رصاص ، ثم أعادوا ذلك فى سَنَتهم ، وهدموا أيضاً جانبا من سور المسجد الشريف مما يلى المشرق من جهة المنارة الشرقية المعروفة بالسنجارية من باب شآمها ، وهو الباب الثانى جوف بابها الظاهر ، إلى ما يوازى حرف الدكاك من القبلة ، وذلك آخر المسقف الشامى ، ومقدار ذلك سبعة وعشرون ذراعا بذراع اليد المتقدم وصفه ، هدموا ذلك من أعلاه إلى أسفله ، و بلغوا به دك الأس القديم ، وظهر فى أصـل جدار المنارة المذكورة انشقاق وكانت تضطرب عند الهدم بحيث خشى سقوطها ، فسكبوا فى ذلك الشق كثيراً من الجص المُذاب حتى امتلأ ، وكان ما هَدَموه من سور المسجد وعقوده مبنيا بالجص السكب ، فذكر مهندس العمارة أن الجدار إنما اختل لأن السباخ له تأثير فى إذابة الجص ، واقتضى رأيه أن يؤسسه بالطين والنورة المخلوطة بناعم الحصباء ، ففعلوا ذلك فى الجدار المذكور كله وفى العقود المذكورة أيضاً ، وكحلوا أطراف وجوه الأحجار بالجص من داخل المسجد وخارجه ، ورفعوا السقف الـكائن أمام المنارة المذكورة إلى جنب ما هدموه من الجدار المذكور ، وأعادوا ذلك من سنتهم أيضاً . ثم اتفقت أمور اقتضت تأخير العمارة ، فتعطلت فى سنة ثمانين . ثم ورد الخواجا الشمسى ابن الزمن إلى المدينة الشريفة صحبة أمير جدة فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وأقام لمباشرة العمارة بنفسه ، فرفعوا سقف الروضة الأعلى وما اتصل به مما حول القبة الزرقاء الآتى ذكر عملها بأعلى الحجرة الشريفة فى سقف المسجد الأعلى ، ورفعوا أيضاً شيئاً مما يلى ذلك من جهة ما يوازى غربى المنبر الشريف لتـكسر كثير من أخشابه ، وكان ذلك السقف مع بقية سقف مقدم المسجد على عبّارات من خشب موضوعة على أبنية فوق رؤوس السوارى بعرض تلك السوارى ، كما أن السقف الأسفل المشاهد مما يلى المسجد موضوع على عبارات كذلك فوق رؤوس السوارى ، فاقتضى رأى متولى العمارة

إبدال تلك الأخشاب بعقود من آجر كهيئة القناطر التى حول رحبة المسجد ، ورأى أن ذلك أبقى وأحكم من الأخشاب ، مع أن عبارات السقف الأسفل كما قدمناه على رؤوس السوارى بأصل تلك العقود ، ولكنه رأى الإحكام فى ذلك ، ففعله فى القطعة التى رفعها من السقف المذكور فقط ، ووضع أخشاب ذلك السقف على تلك القناطر ، فارتفع بسببه ذلك المكان من السقف الأعلى على بقية ما حوله منه ، وصار الماشى بين السقفين فى تلك الجهة يمشى منتصبا أو منحنيا قليلا ، وكان لا يتأتى قبل ذلك المشى هناك إلا مع انحناء كثير ، وتلك القناطر موضوعة على ما يحاذى صف الأساطين التى هى قبلة الروضة والمصلى الشريف من أولها من جهة المشرق إلى الأسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب وعلى ما يحاذى الصف الثانى وهو صف أسطوان عائشه رضى الله عنها فى موازاة الصف المتقدم ذكره من المشرق إلى المغرب ، وعلى ما يوازى الصف الثالث وهو صف أسطوان المحرس من المشرق إلى المغرب أيضاً ، وأما ما يوازى صف أسطوان الوفود فقد كان عليه بناء حائط حاجز لما بين السقف الأسفل والأعلى فيه باب يدخل منه إلى ما بين السقفين ، فهدموا ذلك الحائط ، وأحكموا بناءه ، وجعلوا أطراف الخشب عليه أيضاً ، فهذه الثلاثة الأروقة هى التى ارتفع سقفها الأعلى على ما حوله من الأساطين اللاصقة بالمقصورة إلى الأساطين التى تلى المنبر وصار سقف الرواقين اللذين بين الروضة والجدار القبلى مع سقف ما يحاذى الحجرة الشريفة إلى الجدار الشرقى وسقف ما كان غربى المنبر من مقدم المسجد كله منخفض عن ذلك .

ووجدوا أخشابا كثيرة متفرقة نحو الأربعين من السقف الأعلى أيضاً قد تكسرت ، فزرقوا بدلها ، ووضعوا إلى جانب بعضها أخشاباً مزرقة ، وسمروها من غير كشف للسقف ، وقلعوا السقف الأسفل الذى بالرواق الشرقى مما يلى الأرجل الشريفة ، وجانبا من سقف رواق باب جبريل إلى باب النساء ، وسقف

الرواق الأوسط الذى يلى الرواق الذى سبقت عمارتهم إياه فى العام الماضى ، وأعادوا ذلك ، وقلعوا السقف الأسفل المحاذى لموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف وكان من أقدم السقف ، ومع ذلك تعبوا فى قلعه أكثر من غيره لإتقانه و إحكامه فإنه من عمل الأقدمين ، وأظنهم وجدوا اسم الظاهر بيبرس عليه ، ثم أعادوه وأصلحوا شيئاً فى المسقف الشامى وغيره ، وجددوا أيضاً دِهَانَ بعض السقف التى حول الحجرة داخل المقصورة التى تعرف اليوم بالحجرة من غير قلع لتلك السقف . ثم احترق ذلك كله فى جملة حريق المسجد الثانى الآتى ذكره فى الفصل التاسع والعشرين ، وجعلوا سقف المسجد عند إعادته سقفا واحدا جميعه كما سيأتى .

الفصل السابع والعشرون

فى اتخاذ القبة الزرقاء التى جعلت على ما يحاذى سقف الحجرة الشريفة بأعلى سقف المسجد ، تمييزاً لها ، و إبدالها بالقبة الخضراء والمقصورة الدائرة بالحجر الشريفة .

القبة الزرقاء

أما القبة المذكورة فاعلم أنه لم يكن قبل حريق المسجد الشريف الأول وما بعده على الحجرة الشريفة قبة ، بل كان حول ما يوازى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فى سطح المسجد حَظِير مقدار نصف قامة مبنيا بالآجر تمييزا للحجرة الشريفة عن بقية سطح المسجد ، كما ذكره ابن النجار وغيره ، واستمر ذلك إلى سنة ثمان وسبعين وستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون الصالحى ، فعملت تلك القبـة ، وهى مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها بأخشاب أقيمت على رؤوس السوارى ، وسمر عليها ألواح من خشب ، ومن فوقها ألواح الرصاص ، وفيها طاقة إذا أبصر الشخص منها رأى سقف المسجد الأسفل الذى فيه الطابق ، وعليه المشمع المتقدم ذكره ، وحول هـذه القبة على سقف المسجد ألواح رصاص مفروشة فيما قَرُب منها ، ويحيط به و بالقبة درابزين من الخشب جعل مكان الحظير

الآجر ، وتحته أيضاً بين السقفين شباك خشب يحكيه محيط بالسقف الذى فيه الطابق ، وعليه المشمع المتقدم ذكره ، ولم أر فى كلام مؤرخى المدينة تعرض لمن تولى عمل هذه القبة .

ورأيت فى « الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد » فى ترجمة الكمال أحمد بن البرهان عبد القوى الربعى ناظر قوص أنه بنى على الضريح النبوى هذه القبة المذكورة ، قال : وقصد خيرا وتحصيل ثواب ، وقال بعضهم : أساء الأدب بعلو النجارين ودق الحطب ، قال : وفى تلك السنة وقع بينه و بين بعض الولاة كلام ، فوصل مرسوم بضرب الكمال ، فضرب ، فكان من يقول إنه أساء الأدب [يقول :] إن هذا مجازاة له ، وصادره الأمير علم الدين الشجاعى ، وخرب داره ، وأخذ رخامها وخزائنها ، و يقال : إنهم بالمدرسة المنصورية اه .

ويؤيد ما نقله عن بعضهم ما رواه أبو داود فى سننه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ فرأى قبة مُشْرِفة ، فقال : ما هذه ؟ قال له أصحابه : هذه لفلانٍ ، رجلٍ من الأنصار ، قال : فسكت وحملها فى نفسه ، حتى إذا جاء صاحبُها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم عليه فى الناس فأعرض عنه ، صنع ذلك مرارا ، حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه ، فشكا ذلك إلى أصحابه ، فقال : والله إنى لأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : خرج فرأى قبتك ، قال : فرجع الرجل إلى قبته فهدّمها حتى سوّاها بالأرض ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ يوم ، فلم يرَها ، قال : ما فعلت القبة ؟ قالوا : شكا إلينا صاحبُهاَ إعراضَك عنه فأخبرناه فهدمها ، فقال : أما إنّ كلّ بناء وَبَالٌ على صاحبه إلا مالا إلا مالا » أى إلا مالا بد منه

وقد جُدِّدَتْ هذه القبة فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون ، فاختلّت الألواح الرصاص عن وضعها ، فخَشُوا من كثرة الأمطار ، فجددت

وأحكمت فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد فى سنة خمس وستين وسبعمائة ، قاله الزين المراغى

وقد ظهر فى بعض أخشابها خلل فى سـنة إحدى وثمانين وثمانمائة فعَضَّدها متولى العمارة الشمس بن الزمن بأخشاب سمرت معها ، وقلع ما حولها من ألواح الرصاص التى على أعلى السطح بينها و بين الدرابزين المتقدم ذكره ، فوجدوا تحت ذلك أخشابا قد تأكلت من طول الزمان ونَدَاوة مياه الأمطار فأصلحوا ذلك وأعادوه بعد أن أضافوا إليه كثيرا من الرصاص من حاصل المسجد ومما أحضر من مصر ، وجددوا الدرابزين المحيط بها أيضا ، وقد كانت مياه الأمطار تتسرَّبُ من بين تلك الألواح وتصل إلى سقف الحجرة الشريفة ، فإن آثار المياه قد وجدت هناك ، وأثَّرتْ فى الشباك الذى بأعلى حائز عمر بن عبد العزيز بحيث تأكلَ بعضُه ، فأصلحه متولى العمارة أيضا ، وأثَّرت الأمطار أيضا فى الستارة التى على سقف الحجرة الشريفة بحيث تأكل بعضها ، ثم احترق ذلك كله فى حريق المسجد الثـانى ، فاقتضى رأيهم تأسيس القبة البيضاء الموجودة اليوم على دعائمَ بأرض المسجد وعقود من الآجر ، وجعلوا تلك الدعائم فى موازاة الأساطين التى كان بينها درابزين المقصورة الآتى وصفها ، وزادوا من جهة الشام دعائمَ بعضُها عند المثلث الذى بالحجرة الشريفة من بناء عمر بن عبـد العزيز ، وزادوا هناك أسطوانا ، وعند التأسيس لذلك وجدوا عند صفحة المثلث الشرقية قبرا بَدَا لحدُه و بعضُ عظامه ، و إن صح القول بدفن فاطمة رضى الله عنها فى بيتها كما ستأتى الإشارة إليه فهو قبرها ، وأبدلوا بعض الأساطين بدعائم ، وأضافوا إلى بعضها أسطوانة أخرى ، وقرنوا بينهما ليتأتى لهم العَقْد عليها ، وحصل فيما بين جدار المسجد الشرقى و بين تلك الدعائم ضيق لاتحاد بعض تلك الدعائم هناك ، فخرجوا بجدار المسجد الشرقى فى البلاط الذى يلى الجدار المذكور نحو ذراع ونصف ، فإنهم هَدَموا ذلك الجدار ، وأعادوه إلى باب جبريل عليه السلام ، ولم ينقلوا باب جبريل عن محله

ثم إن القبة المذكورة تشققت من أعاليها ولم ينفع الترميم فيها ، ففوّض السلطان للشجاعى شاهين الجمالى النَّظَر فى أمرها وأمْرِ المنارة الرئيسية أيضا عند توليته شيخ الحرم الشريف ، فاقتضى رأيه بعد مراجعة أهل الخبرة هـدْمَ أعالى المنارة المذكورة واختصار قليل منها ، فاتخذ أخشابا فى طاقاتها وجعل عليها سقفا يمنع ما يسقط عند الهدم للحجرة الشريفة ، ثم هدم أعاليها وأعاد بناءها أحكم من البناء الأول ، بحيث حمل لهـا الجبس الأبيض من مصر وجعله فى بنائها ، فجاءت محسنة محكمة ، وأزيل ذلك السقف عند تمامها ، وذلك فى عام اثنتين وتسعين وثمانمائة

المقصورة الدائرة على الحجرة

وأما المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة بين الأساطين حول جدار الحجرة الظاهر وحول بيت فاطمة رضى الله عنها فقد أحدثها السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وذلك أنه لمـا حج سنة سبع وستين وستمائة أراد أن يجعل على الحجرة الشريفة درابزينا من خشب ــ وهو المقصورة المذكورة ــ فقاس ما حول الحجرة الشريفة بيده وقدره بحبال وحملها معه ، وعمل الدرابزين ، وأرسله فى سنة ثمان وستين ، وأداره عليها ، وعمل له ثلاثة أبواب قبليا وشرقيا وغربيا ، ونصّبه بين الأساطين التى تلى الحجرة إلا من ناحية الشام فإنه زاد فيه إلى مُتَهَجَّدِ النبى صلى الله عليه وسلم

ثم زيد لهذه المقصورة باب رابع أحدث عند زيادة الرواقين المتقدم ذكرها فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وهو من جهة الشمال فى رحبة المسجد ، وكان عليه قبل الحريق الأول سقف مرتفع يحيط به رفرف ، ثم أحدث هذا الباب ، وأمامه من جهة رحبة المسجد سقف لطيف أيضا نحو سـتة أذرع دُوَيْنَ السقف المتقدم وجعل له رفرف أيضا يمنع الشمس ، وبسط تحته الرخام الملون شبه الرخام الذى تقدم ذكره حول حائز عمر بن عبد العزيز بالأرض داخل هذه المقصورة ، وذلك فى دولة الظاهر جَقْمَق سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة

قال الزين المراغى : وأعلم أن الذى عمله الملك الظاهر — أى ركن الدين — من الدرابزين نحو القامتين ، فلما كان فى سنة أربع وتسعين وستمائة زاد عليه الملك العادل زين الدين كتبغا شباكا دائرا عليه ، ورفعه حتى وصله سقف المسجد ، انتهى .

وقد جددمتولى العمارة المتقدم ذكره بعضَ هذه المقصورة أيضا مما يلى الروضة الشريفة فى العمارة الأولى ، ثم احترقت فى الحريق الثانى ، فجعلوا بدلها شبابيك من النحاس فى جهة القبلة ، وعلى أعلاها شَبَكة من شريط النحاس كالزرد ، بين أخشاب متصلة بالعقود المحيطة بالحجرة الشريفة ، وجعلوا لبقيتها من جهة الشام وما اتصل بها من المشرق والمغرب مشبكا من الحديد المشاجر ، و بأعلاه شريط النحاس أيضا ، وأحدثوا مشبكا من الحديد المشاجر أيضا لم يكن قبل ذلك ، جعلوه فاصلا بين الرحبة التى خلف مثلث الحجرة الشريفة و بينها ، و بها بعض المثلث المذكور ، و به بابان أحدهما عن يمين المثلث ، والآخر عن يساره ، وصار هذا المشبك متوسطا بين مشبك الحجرة الشامى وما يقابله . وقد صارت هذه المقصورة تعرف بالحجرة الشريفة ، وأبوابها بأبواب الحجرة ، وما يعلق بسقفها بقناديل الحجرة كما تقدم فى عبارة السبكى .

وفى كلام البدر ابن فرحون ما يقتضى أنه كان ثَمّ مقصورة متصلة بهذه المقصورة من جهة المغرب ، ثم أزيلت ، ولفظه : وقد تساهل مَنْ كان قبلنا فزادوا على الحجرة الشريفة مقصورة كبيرة عملت وقاية من الشمس إذا غربت ، وكانت بدْعَة وضلالة تصلى فيها الشيعة ؛ لأنها قطعت الصفوف ، واتّسَمَتْ بمن ذكر من الصنوف ، وندم على ذلك واضعها ، ولقد كنت أسمع بعضم يقف على بابها و يؤذن بأعلى صوته « حى على خير العمل » وكانت مواطن تدريسهم ، وخلوة علمائهم حتى قَيّضَ الله لها مَنْ سعى فيها فأصبحت ليلة منخلعة أبوابها ، مقوسة أخشابها ، متصلة صفوفها، وأدخل بعضها فى الحجرة الشريفة — يعنى ما اشتمل عليه الدرابزين

المذكور — وجعل فيها الباب الشامى ، وكان ذلك مع زيادة الرواقين اللذين زادهما الملك الناصر ، انتهى .

وذكر لى بعضُ مشايخ المدينة نقلا عمنْ أدركه من المشايخ أن هذه المقصورة كانت فى شامى أسطوان الوفود إلى جهة باب الحجرة الشامى ، والشيعة اليوم يصلون فى ذلك الموضع ، ومقتضى ما قدمناه عن ابن النجار فى بيت فاطمة رضى الله عنها — حيث قال : و بيتها اليوم حوله مقصورة ، وفيه محراب ، وهو خلف حجرة النبى صلى الله عليه وسلم — وجود مقصورة هناك قبل حريق المسجد ، فلعل ذلك مستند الظاهر ركن الدين فى إحداث ذلك .

وقد ذكر المطرى ما صنعه الظاهر من هذه المقصورة ، ثم قال : وظن الملك الظاهر أن ما فعله تعظيما للحجرة الشريفة ، فحجر طائفة من الروضة المقدسة مما يلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنع الصلاة فيها ، مع ما ثبت من فضلها وفضل الصلاة فيها ، فلو عكس ما حجره وجعله خلف بيت النبى صلى الله عليه وسلم من الناحية الشرقية وألصق الدرابزين بالحجرة مما يلى الروضة لكان أخَفّ ؛ إذ الناحية الشرقية ليست من الروضة ولا من المسجد المشار إليه ، بل مما زيد فى المسجد أيام الوليد ، قال : ولم يبلغنى أن أحداً من أهل العلم والصلاح ممن حضر ولا ممن رآه بعد تحجيره أنكر ذلك ، أو تفطن له وألقى له بالا ، وهذا من أهم ما ينظر فيه .

قال الزين المراغى عقبه : ينبغى أن يعلم أن للظاهر سلفاً فى ذلك ، وهو ما حجره عمر بن عبد العزيز على الحجرة الشريفة من جهة الروضة أيضاً ، لكنه قليل ، انتهى .

قلت : وهذا بناء على ما تقرر عنده من أن جدار الحجرة الذى داخل الحائز هو نهاية المسجد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وقد قدمنا فى حدود المسجد ما يرد

ذلك ، ولو سلم أن ذلك نهاية المسجد وأن عمر بن عبد العزيز اتخذ الجدار المذكور فيه فذلك لمصلحة حفظ القبر الشريف ، ولجعل بنائه على هيئة لا يتأتى معها استقبال القبر الشريف كما قدمناه ، وهذه المقصورة بضد ذلك ، والله أعلم .

وقال البدر بن فَرْحُون فى ترجمة ولى الله سيدى الشيخ على الـ[illegible] على مالفظه : حكى لى جمال الدين ـ يعنى المطرى ـ أن الشيخ بعث إلى الملك الناصر يقول له: أنا أضمن لك على الله تعالى قضاء ثلاث حوائج إن قَضَيْتَ لى حاجة واحـــدة ، وهى إزالة هذا الشباك الذى على الحجرة الشريفة ، يعنى هذه المقصورة ، فبلغه ذلك ، فتوقف ولم يفعل .

قال البدر بن فرحون : وليته فعل ؛ فإن الشباك الذى يدور على الحجرة قطع جانباً من المسجد ، وحجر كثيراً من الروضة ، وفى كل زمان يجدد ويعمر بما يتقوى به ويتأيد ، وأدخل فيه قطعة كبيرة لمـا أزيلت المقصورة ، يعنى المتقدم ذكر إزالتها .

وقال المجد الشيرازى ، عَقِبَ ذكره لمـا تقدم عن المطرى : والذى ذكره مُوَجَّه ، غير أن أحد الأبواب مفتوح دائماً لمن قصد الدخول والزيارة ، فيمكن من أراد الصلاة الدخول والوقوف مع الصف الأول فى الروضة ، ولا يخفى أن فى تقريب الدرابزين من الحجرة إخراجاً للبناء عن وضعه اللائق ، وأيضاً فيه تضييق عظيم على الزائرين ، لاسيما عند زحام الواسم ؛ فإنه مع هـــذا الاتساع ينخنق المكان بالخلق ، فكيف لو ضيق بحيث يتصل الدرابزين بجدار الحجرة؟ لايقال: إنه كان يتسع من جهة المشرق للزائرين ؛ لأن الناس إنما يقصدون هذه الجهة لكون الرأس الشريف هنالك ، وليكون الابتداء بالتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم دون أن يتخطوا الشيخين رضى الله عنهما ، فتأمل ذلك فإنه صحيح . قال: وهذه الكيفية لا مزيد عليها فى الحسن ، ولم يتعطل شىء من الروضة بسبب

ذلك ، بل بسبب كسل المصلين ، وقد رأيت جماعة من الخدام يصلون داخل الدرابزين أيام الجمعة ، انتهى .

قلت: وما ذكره صحيح بالنسبة إلى زمنه ؛ فإن الباب المذكور كان مفتوحاً فى سائر الأوقات . وقد نبه على ذلك ابن جماعة فى منسكه ، محاولا غلقه فى المواسم فقط ، فقال : إن هذا الدرابزين حجر طائفة من الروضة الشريفة مما يلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وصار ما بين الحجرة والدرابزين مأوى للنساء بأولادهن الصغار فى أيام المواسم ، وربما قذر الصغار فيه ، وقد تحدَّثْتُ مع الملك الناصر رحمه الله لما حج وزار سنه اثنتين وثلاثين وسبعمائه فى غلق الدرابزين أيام الموسم ، فسكت لما ذكرته ، ولم يجبنى بشىء ، وهذا من أهم ما ينظر فيه ، انتهى . فحدث بعد ذلك غلق الأبواب كلها دائماً ، ولا يفتح منها شىء إلا فى وقت إسراج القناديل ونحوه ، ولا يدخل لذلك إلا بعض الخدام والفراشين أو بعض من له وجاهة بإذن شيخ الخدام ، فيدخل للزيارة ليلا ، وتحقق بسبب ذلك تعطيل تلك البقعة ، وحرم الناس التبرك بأسطوان السرير ؛ فإن محله فى شرقى أسطوانه كما تقدم ، وكذلك الوقوف للزيارة فى موقف السلف بينها و بين الحجرة الشريفة أو على نحو أربع أذرع من جدار القبر على ما يأتى بيانه ، وكذلك التبرك بمُرَبَّعة القبر ومقام جبريل كما قدمناه ، و بيت فاطمة رضى الله عنها ، فإن ذلك كله فى جَوْف المقصورة ، بل كانت هذه المقصورة سبباً لما هو أعظم من ذلك وأطم ، وهو ابتناء دعائم القبة المتقدم ذكرها بأرضها ، فإنها صارت عند العوام بل وعند من لا إحاطة له بأحوال المسجد أنها ليست من المسجد ، بل من الحجرة ، فعاملوها معاملة غير المسجد ، ولما وقعت المفاوضةُ فى عملها صَرَّحْتُ بتحريم ذلك ، فأشار بعضهم بعمل القبة المذكورة على رؤوس الأساطين من غير بناء ، ثم رجعوا عن ذلك وأنا غائب بمصر .

وسبب غلق الأبواب المذكورة أن النجم بن حجى قاضى الشام لما حج فى

الموسم الشامى رأى ازدحام الناس بذلك المحل وما أشــار إليه ابن جماعة فيما تقدم عنه ، فأفتى بغَلْقها ، وخالفه الولى العراقى عند قدومه مع الحاج المصرى فأفتى بفتحها. وأخبرنى بعضُ مشايخ الحرم أن ذلك كان فى سنة اثنين وعشرين وثمانمائة وأن الحال استمر على ما أفتى به الولى العراقى ، فلما ولى النجم بن حجى ديوان الإنشاء تسبب فى بروز المراسيم السلطانية بالأمر بالغَلْق سنة ثمان وعشرين، واستمر ذلك إلى اليوم ، كذا أخبرنى به بعض مشايخ الحرم . ورأيت حاشيةً على كلام المجد بخط الحافظ جمال الدين بن الخياط اليمنى ، ولفظها : ومما أحدث فى دولة الملك الأشرف برسْبَاى صاحبِ مصر والشــام بعد الثلاثين وثمانمائة سُمِّرَت أبواب الدرابزين المذكور ، وصار الناس يزورون من وراء الدرابزين من غير دخــول أحدٍ إلى الحجرة الشريفة ، قصدوا بذلك زيادة الحرمة ، وتنزيه المشهد الشريف عن كثرة اللامسين بالأيدى وغيره ؛ فإن كثيراً من جُهَّال العرب وغيرهم يلصقون ظهورهم بصندوق القبر الشريف وجداره ، قاصدين بذلك التبرك ، والخيرُ كله فى استعمال الأدب ، انتهى .

قلت : والصوابُ المتعين وجوب فتح بعض تلك الأبواب ، خصوصاً فى غير أيام الموسم ، وليس الطريق فى إزالة المفسدة المذكورة غلق تلك الأبواب وتعطيل تلك البقعة ، بل وقوف الخدام عند ذلك المحل ، ومَنْع مَنْ يتعاطى فيه مالا يليق بالأدب ، على أن ذلك لم يَحْسم المادة ؛ لأن تلك الأمور ـ أعنى لمس الجهال ووضعهم الظهور ـ يفعل اليوم بهذا الدرابزين ، ولا شك أن الجدار الذى كان يفعل به ذلك ليس هو نفس القبر ، بل ولا جدار الحجرة كما قدمناه، بل جدار آخر دائر به، كما أن هذه المقصورة دائرة به ؛ فإن كان ذلك يقتضى تعطيل ذلك المحــل ، فليعطل من أجله المسجد بأجمعه ، وتعطيل المسجد أو شئ منه حرام فلا يرتكب لدفع مكروه مع إمكان دفعه بغيره ، وما يقال من أنه ربما وجد فى بعض المواسم هناك قذر ؛ فقد كان شيخنا شيخ الإسلام فقيه العصر شرف الدين المناوى يقول

فى جوابه : لاشك أن ذلك المحل من المسجد ، فإن كان وجود القذر فيه مقتضيا لتعطيله وصيانته بالغَلْق فليغلق المسجد بأجمعه ، فإن حكم الكل واحد من حيث وجوب صَوْنه واختصاص ما تقرب من المحل الشريف بمزيد التعظيم حاصل بالجدار الكائن عليه ، وطريقُ التعظيم المنعُ من ذلك كما قدمناه ، على أن لَمْسَ جدار القبر وتقبيله ليس مما أجمع على كراهته كما سنوضحه إن شاء الله تعالى فى باب الزيارة .

ولما قدم مولانا السلطان الملك الأشرف قايتباى أعز الله أنصاره المدينة الشريفة للزيارة سنة أربع وثمانين وثمانمائة واجتمعتُ به بالروضة الشريفة أردت أن أتكلم معه فى فتح بعض تلك الأبواب فى غير أيام الموسم ، فرأيته قد تعاظَمَ دخولَ هذه المقصورة لما عرض عليه ذلك . وقال : لو أمكننى الوقوف للزيارة فى أبعد من هذا الموضع فعلت ، ورأى أن ذلك هو التعظيم ، فعلمت أنه لا يوافق على ما أريده ، والله أعلم .

الفصل الثامن والعشرون

فيما تجدد من عمارة الحجرة الشريفة فى زماننا على وجه لم يخطر قط بأذهاننا ، وما حصل بسببه من إزالة هدم الحريق الأول من ذلك المحل الشريف، ومشاهدة وضعه المنيف ، وتصوير ما استقر عليه أمر الحجرة فى هذه العمارة .

اعلم أن بعض سُقف المسجد التى تقدم تجديدها كان قد ظهر تكسّر بعض أخشابه فى هذه الدولة الأشرفية ـ أعز الله أنصارها ، وأعلى فى سلوك العدل منارها ـ فورد المدينة المقر الأشرف السيفى شاهين الجمالى مُنْصَرَفه من جدة المعمورة ، فأروه ذلك ، وأروه الحائز المخمس الدائر على الحجرة الشريفة لانشقاق فيه قديم يظهر إذا رفعت الكسوة عند منتهى الصفحة الشرقية وانعطافها إلى الزاوية الشمالية ، فرفعوا عنه الكسوة ، وأحضروا بعض أرباب الخبرة بسبب ذلك ، فاختلف

النقل عمن حضر ذلك فى كونه ضروريا أو غير ضرورى ، فاجتمعت بالمشار إليه بسبب ذلك ، فذكر لى أن الذى تحرر أنه ليس بضرورى ؛ لأنه شق فى طول الحائط لافى عرضه ، وهو قديم مملوء بالجص ، والحائط ليس عليه سقف يثقله فنخشى عليه ، فأعجبنى كلامه .

ثم أنهى فى سنة ثمان وسبعين لمولانا السلطان الأشرف احتياج المسجد الشريف للعمارة ، وسقوطُ منارة مسجد قباء ، وكان الجناب الخواجكى الشمسى ابن الزمن مغرما بمثل ذلك ، وسبق له بالمدينة الشريفة عمارة لمدرسته المعروفة بالزمنية على يد بعض جماعته ، ففوض إليه السلطان أمْرَ عمارة المسجد النبوى ، فكان ماتقدم من مجيئه إلى المدينة الشريفة فى أثناء سنة تسع وسبعين ، وتقريره أمر العمارة ، ثم توجه إلى مصر المحروسة ، فكان من أمر العمارة ما قدمناه .

ثم رغب فى أمر العمارة المقر الشرفى شرف الدين الأنصارى تغمده الله برحمته ففوض له ذلك ، وحضر صحبة الحاج إلى مكة المشرفة ، وأقام بها مدة حتى يتكامل حصول آلات العمارة ، فتوفى بها ليلة سابع عشر صفر عام أحد وثمانين وثمانمائة بعد شكوى خفيفة .

ثم وردت المراسيم الشريفة بتفويض أمر العمارة للجناب الشمسى بن الزمن وكان بجدة المعمورة فورد المدينة الشريفة صحبة شاد جدة فى جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين ، وأحضر معه جماعة من أرباب الصنائع ، وأقام لينظر فى أمر العمارة بنفسه ، فكان ماتقدم من إصلاح السقف الأعلى وعمارة غيره من الشُّقف المتقدم ذكرها ، و إحكام القبة الزرقاء المحاذية للحجرة الشريفة بسقف المسجد، و إصلاح حِلْية الصندوق الكائن بأصل الأسطوان التى فى جهة الرأس الشريف والقائم المجدد فوقه .

ولما نزعوا القائم العتيق وما تحته من الصندوق وجدوا ماتحت ذلك من أحجار الأسطوانة المذكورة متشعبا، وأحجارها قطع مجوفة كالخرز، وكذا كل أساطين المسجد

العتيقة ، وفى جوفها الرصاص وعمد الحديد ، وأهل المدينة يسمون كل قطعة منه خرزة ، و يسمونها أيضا فلكة ، فاقتضى رأيهم تعميق ما على رأس الأسطوان المذكور من أخشاب السقف ، فجعلوا مرمة من الأخشاب حول الأسطوان المذكور ليكسروا الخرز المشقق من ذلك الأسطوان ، وهن ست ، ثم يعلقون ما صح من الأسطوان إلى أن يدخلوا مكان ذلك بدله ، ثم شرعوا فى كسر تلك الخرز ونزعها ، فتعسر ذلك عليهم ، وحصل بسببه دق عنيف ، حتى كانت جدران الحجرة تهتز له لاتصالها بالأسطوان المذكور ، فحصل بسبب ذلك كلام من الناس، ولكن بعد كسر بعض الخرز و إخراجه ، وكانوا يعالجون فى إخراج الرصاص أيضا علاجا أعظم من العلاج فى الحجر ، فعقدوا مجلسا ، وطلبنى متولى العمارة للحضور فيه ، فترددت لأنه بلغنى أن بعض الناس أوغر صدره منى وقرر عنده أنى حريص على أن لا تكون هذه العمارة على يده ، وكنت أرى منه محبة ومَيْلاً ثم تنكر بعض التنكر ، وعلمت أن الرجوع عن إصلاح الأسطوانة المذكورة غير ممكن لكسر بعضها و إخراجه ،فعلمت فوات وقت النظر ،فأجبت الرسول بذلك، ولم أحضر معهم مع علمى بأن بعض أهل المجلس كان مغرى بمخالفة ما أشير به ، و إن كان فى غاية الوضوح ، سامحه الله ، ثم افترقوا على إتمام ذلك ، فمكثوا أياما يعالجونه حتى تم،وأعادوا مكان تلك الخرزات الست مثلها من خرز أسطوان نقضوه من أساطين مسجد قباء ، فكان ذلك بقدر تلك الخرز سواء ، وأحكموا إعادتها بالرصاص وعمد الحديد أحسن إحكام .

وقد كنت أستبعد قدرتهم على ذلك ، وأتعجب من قيام بقية الأسطوان من أعلاه ، مع رفع أسفله ، وكونه كالجبل من الحجر والرصاص ، ولكن ساعدهم المدد المحمدى فى ذلك مع حسن معرفة المعلم المباشر لسبك الرصاص .

ثم كان ما تقدم من إعادة الصندوق المذكور والقائم فوقه إلى محلهما،ونقض الرخام المؤزّر به جدار الحجرة الظاهر وتجديده كما تقدم ، وعند قلع رخام الصفحة

الآخرة من الزاوية الشمالية إلى الصفحة الشرقية مع ما يليها من صفحة المشرق عند منعطفها ظهر الشق المتقدم ذكره وهو انشقاق قديم سدّ الأقدمون خَلَله بِكِسَر الآجر وأفرغوا فيه الجص و بيضوه بالقَصَّة فانشقّ البياض من رأس وَزَرة الرخام إلى رأس الجدار المذكور ، فأرادوا اختبار ماتحت البياض ليعلموا قدره ، فقشروا البياض عنه ، وأخرجوا مافى خلله من الجص والآجر ، فظهر من خلله بناء الحجرة المربع الذى هو جوف البناء المخمس المذكور فظهر منه ملتقى حائطه الشامى وحائطه الشرقى ، وظهر هناك شق أيضا فى جدار الحجرة الداخل عند ملتقى الجدارين المذكورين تدخل اليد فيــه ، وهو قديم أيضا ، وقد سَدَّه المتقدمون ، ثم اتّسع قليلا على دوام الأيام .

فلما كان عشية السبت ثالث عشر شعبان عَقَدوا مجلسا فى جوف المقصورة عند الجدار المذكور ، حضَره القضاة والمشايخ والخدام وشيخهم الأمير إينال ، وطلبونى لذلك المجلس ، فترددت فى الحضور لما قدمته ، ثم توضأت وصليت صلاة الاستخارة وسألت الله أن يلهمنى السَّداد والصواب ، وحضرت فوجدت الأمر قد اتفق عليه ، وشاهدت ما قدمته من وصف ذلك ، ورأيت على ذلك البناء الداخل من الهيبة والأنس ما لا يوصف ولا يدرك إلا بالذوق ، وتحرّر لى أن سبب انشقاق الجدار الظاهر انشقاق الجدار الداخل وميلانه نحو الجدار الظاهر وكأن الأقدمين لما رأوا انشقاق الجدار الداخل — ولعل رؤيتهم لذلك والله أعلم عقب الحريق عند ما أحدثوا السقف المتقدم وصفه على الحجرة الشريفة — أدعموا الجدار الداخل بأخشاب جعلوها بين الجدار الداخل والخارج عنــد رأسهما فى شرقى الحجرة ، فمال الجدار الظاهر من أعلاه بحيث صار أعلاه لا يوازى أسفله ، وخرج بسبب ذلك عن الاستقامة ، فحدث فيه الشق المذكور ، ورأيت الحاضرين بين ساكت ومشير ، فترجح عندى سلوك رأى ابن عباس رضى الله عنهما فى أمر الكعبة ، حيث أشار بترميمها فقط ، ورأيت أن ما يطلب هنا من الأدب أوْجَبُ مما يطلب هناك ، فحاولت إدعام البناء الظاهر ببناء ، فلم أوافق عليه ، فسألت

مهندس العمارةُ ـ وكان أعرف الحاضرين بهذا الأمر ـ هل تحققت الآن إشراف هـذا الجدار على السقوط وأنه لا يتأتى تأخيره ، أم يحتمل التأخير مدة إذا رمّ بالجص والآجر كما كان أوّلا فيؤخر إلى أن يصير غير محتمل للتأخير ؛ فإنه لا يفعل هنا إلا ما تدعو إليه الضرورة فى الحال؟ فقال : الترميم شىء وقطع الفرط شىء آخر ، ثم سأل متولى العمارة عن كيفية ما يكتب ليطالع به المسامع الشريفة، فقال له القاضى الزكوى قاضى الشافعية وأحد الناظرين سامحه الله تعالى : سَرِّح العمالَ غداً للهدم وكتابة المحضر علينا ، وخافَتَ متولى العمارة بالإنكار عليه فى إحضارى ، وحَثَّه على الإعراض عن كلامى .

ثم إن متولى العمارة ذكر لى أنه رأى رؤيا فهِمَ منها الهدم ، فصمَّم عليه ، ورأيت عنده من شجاعة الجَنَان وثبات الجأش فى هـذا الأمر ما لا يوصف ، و بلغنى أن بعض الناس ذكر له أن ما سبق من كلامى دليلٌ على ما كان قد ألقاه إليه من حرصى على أن لا تكون هذه العمارة على يده ، وأن لا يفوز بهذه المنقَبَة العظيمة التى لم يسبق إليها ، ومَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ ، ولـكنى أُشْهِدُ الله ورسوله على أنى لم أرد سوى محض الوفاء بما أوجبه الله علينا من الأدب مع حبيبه صلى الله عليه وسلم ومن بذل النصيحة .

ثم فى صبيحة الرابع عشر من شعبان المذكور شَرَعُوا فى هدم المحل الشريف المتقدم ذكره من الجدار الظاهر ، فهدموا جانبا من الصفحة الشرقية وجانبها مما يليها من الصفحة المنحرفة منها إلى جهة الزاوية الشمالية ، وسَعَة ذلك خمسة أذرع بذراع اليد ، وذلك من بعد نحو أربعة أذرع من الأرض إلى رأس الجدار المذكور ، فظهر حينئذ هَدْم الحريق الذى فى الفضاء الكائن بين جدارى الحجرة الشريفة ، ورأينا فيه كثيراً من الأخشاب المحترقة قد سلم من بعضها قدر الذراع ونحوه .

ثم فى خامس عشر الشهر المذكور حضروا لتنظيف ذلك ، وتوجه متولى

العمارة لشيخنا العارف بالله تعالى سيدى شهاب الدين الأبشيطى قدس الله روحه ، وسأله فى الحضور للتبرك به ، فحضر من خارج الجدار ، وامتنع من الدخول وقرأ الفاتحة ، وقال : نظفوا على بركة الله ، ثم انصرف وقال لى بعد ذلك : ذكروا لنا أن هَدْم ذلك ضرورى ، فقلنا لهم : الضرورى يعمل ، فلما دخلوا لإزالة ذلك شاهدت أمرا مَهُولا من رَدْم الحريق بحيث لم يتأتّ إزالته إلا بالعَتَل والمَسَاحى ، وتحققْتُ بسبب ذلك عذرَ من أدرك زمن الحريق فى عدم إزالة مابالحجرة الشريفة منه كما قدمناه ، وكان ارتفاعه فى ذلك المحل نحو القامة ، وهو رَدْم من السقف الأعلى وجص وآجر من الجدار الذى كان بأعلى سقف المسجد لتمييز الحجرة الشريفة عن غيرها ، كما تقدم بيانه ، ومما كان على رؤوس الأساطين ومما احترق من أخشاب ذلك ، فاشتغلوا بتنظيفه وتزاحم الناس عليه فاستمروا فى ذلك حتى بلغوا فى تنظيفه الأرض القديمة ، بحيث ظهر تحصيبُ ذلك المحل بحصباء تشبه مافى المسجد ، غير أنها قد اسْوَدَّت من نَدَاوة الأرض ، واعتبرتُ التفاوتَ بين الأرض المرخمة خارج الجدار الظاهر والأرض المذكورة بداخله ، فكانت الأرض المذكورة — أعنى الداخلة بين الجدارين — أنْخَفَضَ من الخارجة بذراع وثلث بذراع اليد ، وظهر من وصف البناء الداخل ماقدمناه فى الفصل الثانى والعشرين من كونه مربعا بأحجار منحوتة عليها أبهة عظيمة ، وأن الصفحة الغربية منه مُلاَصقة للصفحة الغربية من البناء الظاهر ، وليس بينهما ولا مغرز إبرة ، وأنه لا بابَ فيه ولا موضع باب ، وفى الصفحة الشمالية لاصق بها الأسطوان التى قدمنا وصفه ، وأن بعضه داخل فى الصفحة المذكورة ، وقد أثر فيه الحريق كما قدمناه حتى تشطب بعضه سيما فى أعاليه وهو فى صف مربعة القبر يليها من جهة المشرق .

وتبين حينئذٍ ما فى الجدار الداخل من الانشقاق المتقدم وصفه فى شماليه مما يلى المشرق ، فأدخلوا فيه شمعة ، فشاهدوا فيما يقابله من الجدار القبلى مما يلى

المشرق أيضاً انشقاقا مثله ، وتبين لى أن البناء المتقدم وصفه بين الجدارين القبليين فى موازاة الأسطوانة الظاهرة فى الجدار القبلى التى يقف عندها المسلّم على عمر رضى الله عنه إنما جعل إدعاما للجدار المذكور لما حدث به ذلك الانشقاق، وظهر ما أدعموا به من الأخشاب بين الجدار الداخل والخارج فى جهة المشرق على ما قدمناه ، فتردد متولى العمارة فى نقب الجدار الشامى لإحكام ذلك الشق وترميم الشق المقابل له .

ثم عزَم على هدم الجدار المذكور – أعنى جدار الحجرة الداخل من جهة الشام – بأجمعه ، فبدأ برفع السقف الذى وجد على الحجرة نفسها كما قدمناه ، وحينئذٍ ظهر لهم ساحة الحجرة الشريفة ، وستر الله تعالى القبور الشريفة عن الأعين بالردم ، ثم علمت أن هذا الموطن يطلب فيه من التثبت والأدب التام مالا يطلب فى غيره ، فانصرفت عازما على أن لا أحضر معهم ما داموا فى تعاطى الهدم وأن أحضر معهم فى البناء . ثم أفاضوا فى عَقْد قبة سُفْلية على جدار الحجرة الداخل رعاية الإتقان والإحكام فكرهت ذلك لعلمى أنه يجر إلى هَدْم معظم الحجرة مع ما فيه من تغيير الهيئة الأولى

ثم فى حادى عشر شعبان المذكور أجمعوا أمرهم على ذلك ، فشرعوا فى هَدْم الجدار الشامى والشرقى من البناء الداخل، فوجدوا فى الجانب الذى يلى المغرب من الجدار الشامى ، وكذا فيما يقابله من القبلى ، وكذا فى الغربى عند ما هَدَموا أسفل الستترة المبنية على السقف المحترق بين فصوص الأحجار وأعلاها مع رأس الجدر المذكورة لَبِناً غير مَشْوى طولُ اللبنة منه أرجح من ذراع وعرضه نصف ذِراع ، وسمكه ربع ذراع، وطولُ بعضه وعرضه وسمكه واحد وهو نصف ذراع، ولم يجدوا مثل ذلك فى الجدار الشرقى ، ولا فيما يليه من الشامى والقبلى ، وقد عاب بعضُ الناس على الأقدمين فى وضعهم ذلك فى الجدار ، ونَسَبهم به إلى التقصير ، وربما قال: إن

البنائين زمن الوليد لما أمر ببناء المسجد على يد عمر بن عبد العزيز كانوا كفارا ، وإن ذلك من غشهم ، وهذا جهل من قائله .

وقد قدمنا من شَرْح حال بناء الحجرة ما فيه كفاية ، وتقدم أن عمر بن الخطاب أو ابن الزبير هو البانى للحجرة على ما رواه ابن سعد ، ولو سلم أن تلك البناية فى ولاية عمر بن عبد العزيز للعمارة المتقدمة فهو أتقى لله من أن يُهمِل قبر نبيه بيد الكفار حتى يغشّوا فى بنائه بمثل ذلك . وقد ظهر لى فى ذلك أن السلف لما بنوا الحجرة الشريفة بالأحجار لقصد الإحكام والبقاء ، وكان ما عدا الأساس منها مبنياً باللبِن فى عهده صلى الله عليه وسلم كما يؤخذ مما قدمناه ، فرأوا أن لايخلو بناؤهم من بركة ذلك اللبن ، فوضعوا منه ما رأوا فيه الصلابة بين الأحجار المبنية بالقَصّة ، ولولا إتقان ذلك البناء لما مكث هذه المدة المديدة ، والعجبُ أن الخلَلَ والانشقاق لم يحصل إلا فى الناحية الخالية منه ، وقد قدمنا أن الذى يظهر أن تلك الناحية سقطت وأعيدت ، واختلاف البناءيْنِ شاهد بذلك ، حتى إن الجدار الشرقى لم يكن مبنياً بالحجارة الموجَّهة إلا من داخله دون خارجه ، وعرض منقبته أقل من عرض بقية الجدر . ولما بلغوا فى هدم الجدار الشامى أرض الحجرة الشريفة شَرَعُوا فى تنظيف الرَّدْم الساتر للقبور الشريفة ، وذلك فى صبيحة الثالث والعشرين من شعبان المذكور ، ومكثوا فى ذلك إلى غروب الشمس مع كثرتهم حتى بلغنى أن الحجرة الشريفة امتلأت بهم ، ولم يخصوا مكاناً دون مكان ، فظنوا أن القبر الشريف النبوى قريباً من وسط الحجرة ، وليس كذلك كما سنبينه ، ووضعوا ما أخرجوه من الردم عند طرف المسقف الغربى فى زاويته المتصلة بسقف الدكاك ، وبَنَى عليه متولى العمارة تلك الدكة البارزة هناك . ثم وفَّى القضاى الزكوى بما وعد به متولى العمارة من كتابة المحضر ، وكتب فيه أهل المدينة ، ولم أكتب فيه ، واعتذرتُ بأنه لم يسبق لى عادة بمثل ذلك ، وبعثوا به إلى مصر المحروسة ، فلما كان فى صبيحة الخامس والعشرين من الشهر المذكور بعث إلىّ

متولى العمارة لأتبرك بمشاهدة الحجرة الشريفة بعد تنظيفها ، وصار قائل يقول : ظهر القبر الشريف ، وقائل يقول : لم يجدوا لجميع القبور الشريفة أثراً ، فحثنى داعى الشوق وغلبة الوجد ، واستحضرت ما وقع لبعض السلف من سؤاله لعائشة رضى الله عنها أن تُرِيَه القبورَ الشريفة ، وغير ذلك مما سبق ومما سيأتى فى باب الزيارة ، ووصف السلف للقبور الشريفة ، وذكرهم ذرع الحجرة الشريفة وكيفيتها كما تقدم ، فعزمت على الإقدام ، وتمثلت بقول بعضهم :

ولو قيل للمجنون أرض أصابَهَا غبارُ ثَرَى ليلى لجَدَّ وأسرعا
لعَلَّ يرى شيئاً له نِسْبة بها يُعَلِّلُ قلباً كاد أن يتصدعا

فتطهرت وتوجهت لذلك مستحضرا عظيم ما توجهت إليه ، وموقع المثول ببيت أوسع الخلق كرما وعفوا ، وذلك هو المعول عليه ، واستحضرت قول بعضهم:

عَصَيْتُ فقل لى كيف ألقى محمدا وَوَجْهى بأثواب المعاصى مبرقع

ثم أنشدت الذى يليه :

عَسَى الله مِنْ أجْلِ الحبيب وقُرْبه يُدَارِكنى بالعفو فالعفو أوسع

وسألت الله أن يمنحنى حسنَ الأدب فى ذلك المحل العظيم ، ويلهمنى ما يستحقه من الإجلال والتعظيم ، وأن يرزقنى منه القبول والرضى ، والتجاوز عما سلف ومضى ، فاستأذنت ودخلت من مؤخر الحجرة ، ولم أتجاوز ذلك المحل ، فشمِمْتُ رائحة ما شممت فى عمرى رائحةً أطيب منها ، ثم سلمت بوجَل وحَيَاء ، على أشرف الأنبياء ، ثم على ضجيعيه خلاصة الأصفياء ، ودعوت بما تيسر من الدعوات ، وتشفعت بسيد أهل الأرض والسموات ، واستنزلت به فى بيته من الأزمات ، واغتنمت هذه الفرصة فى جميع الحالات ، ولله در القائل :

تمتَّعْ إن ظَفِرْتَ بنيل قرب وحَصِّلْ ما استطعت من ادّخار
فقد وسَّعت أبوابَ التدانى وقد قرَّبْتُ للزوار دارى

وقد هبَّتْ نُسَيْماتٌ لنجد ... فَطِبْ واشْرَبْ بكاسات كبار
فما وَقْتٌ يمـــرُّ بمستعاد ... وما دار الأعزَّة بالقـــرار
فودِّعْ أرضَ نجدٍ قبـــل بعد ... فما نجدٌ لمرتحِـــل بدار
أقول لمن يمرُّ بأرض نجـــد ... ويظفر من رباها بالديار
تزود من شميم عَـــرَارِ نَجْدٍ ... فما بعـــد العشية من عَرَارِ
وقـــل أيضاً لمغتنم صفاء ... على مَغْنًى يلوح لذى اعتبار
إذا العشرون من شَعْبان ولَّتْ ... فواصِلْ شُرْبَ ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار ... فإن الوقت ضاق على الصغار

فلما قضيتُ من ذلك الوطَر ، متعت عينى من تلك الساحة بالنظر ، لأتحف بوصفها المشتاقين ، وأنْشُرَ من طِيب أخبارها فى المحبين ، فتأملت الحجرة الشريفة فإذا هى أرض مستوية ، وتناولتُ من ترابها بيدى فإذا فيــه نَدَاوة وحصباء كالحصباء المتقدم وصفها بين الجدارين يظهر عند فحصه بالأصابع ، ولم أجد للقبور الشريفة أثراً ، غير أن بأوسط الحجرة موضعا فيه ارتفاع يسير جدا ، توهموا أنه القبر الشريف النبوى ، فأخذوا من ترابه للتبرك فيما زعموا ، ومنشأ ذلك الوهم جَهْلُ مَنْ كان هناك بأخبار الحجرة الشريفة ، وذلك المحل ليس هو القبر النبوى قطعا ، ولعله قبر عمر رضى الله عنه ؛ لأن الشافعى رضى الله عنه قد نص على أن النبى صلى الله عليه وسلم إنما لحد له فى جدار القبلة .

قال الشافعى ، فيما نقله عنه الأقشهرى رداً على من قال إن النبى صلى الله عليه وسلم أدخل لقبره معترضا : هـذا من فحش الـكلام فى الأخبار ؛ لأن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قريباً من الجدار ، وكان اللحد تحت الجدار ، فـكيف توضع الجنازة على عرض القبر حتى سُلَّ معترضا ؟ فدلَّ على أن هذا النقل غير صحيح ، انتهى .

وروى ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه قال : رُشَّ قبر النبى صلى الله عليه وسلم

وكان الذى رش الماء على قبره بلال بن رباح بقربة بَدَأ من قبل رأسه حتى انتهى إلى رِجْليه ثم ضَرّجه بالماء إلى الجدار ، لم يقدر على أن يدور من الجدار لأنهم جعلوا بين قبره و بين حائط القبلة نحوا من سَوْط .

وقال ابن سعد فى طبقاته : أخبرنا شُرَيح بن النعمان عن هشيم قال : أخبرنى رجل من قريش من أهل المدينة يقال له محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال : سقط حائط قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى زمن عمر بن عبد العزيز — وهو يومئذ على المدينة فى ولاية الوليد — فكنت فى أول مَنْ نهض ، فنظرت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا ليس بينه و بين حائط عائشة رضى الله عنها إلا نحو من شبر ، فعرفت أنهم لم يُدْخِلوه من قبل القبلة ، وعلى تقدير أن يكون ثَمّ موضع بين القبر الشريف و بين جدار القبلة بحيث يتأتى إدخاله صلى الله عليه وسلم من ناحية القبلة فلا يكون ذلك الموضع محل القبر الشريف ؛ لبعده من جدار القبلة جدا . وفيما رواه ابن زَبَالة ويحيى من خبر عبد الله بن محمد بن عقيل فى قصة سقوط جدار الحجرة الشريفة المتقدم ذكره أن عمر بن عبد العزيز قال لمزاحم لما دخل : يا مُزَاحم كيف ترى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قال : متطاطيا ، قال : فكيف ترى قبر الرجلين ؟ قال : مرتفعين ، قال : أشهد أنه رسول الله .

وقد قدمنا من وصف داخل الحجرة وذكر ذَرْعها ما فيه كفاية .

وقد تأملت التفاوت بين أرض الحجرة الشريفة و بين أرض الفضاء الخارج بين الجدار الشامى الداخل وزاوية الجدار الخارج فوجدتُ أرضَ الحجرة أنْزَل منه بنحو ذراع ونصف ، وتقدم أن أرض الفضاء المذكور أَخْفَضُ مما حول الحجرة من المسجد بذراع وثلث ، فيكون التفاوت بين داخل أرض الحجرة وأرض المسجد نحو ثلاثة أذرع .

وتأملت آثار رَدْم الحريق فى الجدران فرأيته فى بعضها نحو ثلاثة أذرع ، وفى بعضها نحو ذراعين ، وأخبرنى المباشرون لإخراجه بذلك أيضاً .

ثم هدموا من الجدار القبلي مما يلي المشرق جانبا نحو أربعة أذرع وشيء ، حتى بلغوا به أرض الحجرة .

وهدموا أيضاً جانبا من الجدار الغربى مما يلى الشام حتى بلغوا به الأرض أيضاً ، وذلك نحو خمسة أذرع منه ، فعلوا ذلك ليتأتى لهم إحكام القبة التى أجمعوا أمرهم عليها ، ولم يبق من أركان الحجرة الشريفة سوى مجمع جدار القبلة وجدار المغرب .

ثم إنهم هدموا من علو ما بقى من الجدارين المذكورين نحو خمسة أذرع ، ولم يبق من بناء الحجرة الأصلى إلا ما فضل منهما .

ووجدوا عند هدم مبدأ الجدار القبلى من أعلاه ميزابا قد احترق بعضه من جهة ما كان فى بناء الجدار ، وبقى منه نحو الذراع ، وهو من عَرْعَر له رائحة ذكية ؛ وسَعَة مجرى الماء فيه نحو أربعة أصابع أو خمسة ، كأنه كان ميزابا للحجرة الشريفة قديماً فحرص الأقدمون على ما بقى منه بعد الحريق ووضعوه بين السترة التى أحدثوها لأجل السقف وبين رأس الجدار ، فجزاهم الله خيرا .

ولما أعيد بنا الحجرة حرَضتُ على أن يُعَاد فيها ، فوعدنى متولى العمارة بذلك ، فلما كان عند ختم البناء سألته عنه ، فذكر لى أنه جعله فى البناء الآتى ذكره فى أعلى الجدار الشامى بين ما بقى من لَبِنِ الحجرة وليّس عليه بطين ذلك اللبن .

ثم عند الشروع فى إعادة بناء الحجرة اقتضى رأيهم إدخال الأسطوان المتقدم وصفه خلف جدار الحجرة الشامى لتشققه فزادوا فى عرض ذلك الجدار من الرحبة المثلثة الشكل المتقدم وصفها بين الجدارين ، وكان الشروع فى إعادة بناء الحجرة فى سابع عشر شعبان المذكور ، فابتدؤا بالجدار المذكور ، وأوصلوه بالجدار الغربى ، وأعادوا ذلك بأحجار الحجرة التى نقضوها منها ، ثم رأوا أن إحكام القبة التى عزموا عليها يقتضى تربيع محلها ، بحيث لا يزيد طوله على عرضه . وقد قدمنا فى

ذرع الحجرة مايقتضى عدم ذلك ، فعقدوا قبْواً على نحو ثلث الحجرة الذى يلى المشرق والأرجل الشريفة ، وجعلوا الجدار الخارج من جهة المشرق متصلا بجدار الحجرة الداخل، فأدخلوا ما كان بينهما فى جدار القبْو المذكور إلى نهاية ارتفاعه ، وكذا فعلوا فيما كان بين الجدار القبلى الداخل والخارج ، سَدُّوه أيضاً بالبناء حتى لم يبق حول البناء الداخل فضاء إلا ما بقى من الرحبة المثلثة الشكل فى جهة الشام وصار علو القبة المذكور فضاء أيضاً بين القبة و بين الجدار الظاهر فى جهة المشرق وعَقَدوا القبة المذكورة على ما بقى من الحجرة ، وهو ما يلى المغرب منها فى جهة الرؤس الشريفة ، وحاول بعض الناس أن يكون عقد القبة بالآجر ، فكرهت ذلك لما لا يخفى ، فاجتنبه متولى العمارة جزاه الله تعالى خيراً ، وعقَدَها بالأحجار المنحوتة من الحجر الأسود ، وكملها بالأبيض ، وأخبرونى أن ارتفاع القبة المذكورة من داخل أرض الحجرة الشريفة إلى محدَّب القبة المذكورة — وهو أعلاها المغروز فيه هلالها — اثنا عشر ذراعا بذراع العمل ؛ فيكون بالذراع المتقدم وصفه ثمانية عشر ذراعا وربع ذراع .

ومن أرض الحجرة أيضاً إلى نهاية القبْو الذى بنى عليه أحد حوائط القبة المذكورة ثمانية أذرع وشىء بذراع العمل ، وذلك نحو أحد عشر ذراعا بالذراع المتقدم وصفُه ، وارتفاع حائط القبة الشرقى — وهو الذى يلى القبو المتقدم وصفه — عن طرف القبو الذى بنى عليه الحائط المذكور ذراع وثلثان بذراع العمل ، وذلك ذراعان ونصف راجح بالذراع المتقدم وصفه ، وصار ما بين حائط القبة المذكور و بين حائط الحجرة الظاهر فى جهة المشرق — أعنى سطح القبو المذكور وما اتصل به — كما كان بين الجدارين ، وأدخل فى عرض الجدار رحبة واحدة تحيط بها من المغرب حائط القبة المتقدم وصفه ، ومن المشرق حائط الحجرة الظاهر ، ومن القبلة حائط الحجرة الظاهر أيضاً ، ومن الشام سترة بنيت له فيما بين جدار القبة الذى يليه وجدار الحجرة الظاهر فى المشرق .

وذَرْع هذه الرحبة المذكورة بسطح القبو المذكور طولا من القبلة إلى الشام سبعة أذرع ونصف سدس ذراع بذراع العمل ، وذلك أحد عشر ذراعا بالذراع المتقدم وصفه .

وذَرْعُها عرضا مختلف : فما يلى القبلة ذراعان ونصف بذراع العمل ، وما يلى الشام نحو الثلاثة .

وأما جدار القبة الشامى فقد تقدم أنهم زادوا فى عرضه من الرحبة خلفه وجعلوه أيضاً متفاوت العرض ؛ فجعلوا ما يلى المشرق منه ــ وهو الموضع المحاذى للأسطوانة التى وقعت الزيادة فى العرض لأجل إدخالها و إدعامها بذلك ــ أزيد من الجهة التى تلى المغرب منه بنحو نصف ذراع ؛ فإنهم جعلوا عرض الجدار فى هذه الجهة من أسفل عقد القبة نحو ثلاثة أذرع بذراع اليد ، وعرضه فى الجهة الأخرى دون ذلك بنحو نصف ذراع ، بحيث صارت جهة الأسطوان المذكور بارزة عن بقية ذلك الجدار فى الرحبة المذكورة كما سيأتى تصويره .

وقد جعلوا على رأس هذا الجدار بناء يسيرا مما بقى من اللبن الذى أخرج من بعض جدار الحجرة كما تقدم وصفه ، بعد أن تفرق اللبن المذكور ، وأخذ الكثير منه .

وتركوا فى نحو وسط هذا الجدار خَوْخَة ، فلما لم يبق إلا هى أدخلوا منها شيئاً كثيراً من الحصباء جاءوا بها من عَرْصَة العقيق من جنس حصباء المسجد بعد غَسْلها بالماء ليَضَعُوها على القبور الشريفة ، وكنت قد ذكرت لبعضهم أن موضع القبر الشريف النبوى مما يلى الجدار القبلى ، وأنه يستنبط مما قدمناه فى مسمار الفضة المحاذى للوجه الشريف أن أول القبر الشريف من جهة المغرب على نحو ذراعين بذراع اليد من الحائط الغربى ؛ لأنا إذا أسقطنا عرض الجدارين الغربيين ــ وهما الجدار الداخل والخارج ، وهو نحو ثلاثة أذرع مما بين المسمار وأول الجدار الظاهر الغربى وهو نحو خمسة أذرع كما تقدم ــ كان الباقى نحو

الذراعين إلى الرأس الشريف ، فاستحسن ذلك ، فحضر معهم لما دخلوا من الخَوْخَة المذكورة لوضع الحَصْباء على القبور الشريفة ، فوضعوا ذلك على المحل الشريف المذكور كما وصفت ، وأخذوا بالهيئة المشهورة فى كيفية القبور الشريفة مِنْ أن رأس أبى بكر رضى الله عنه خلفَ مَنْكِب النبى صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه خلف منكب أبى بكر ، فوضعوا الحَصْباء عليهما كذلك وكان بعض المباشرين لذلك حَنَفيا ـ وهو صهر متولى العمارة ـ فجعلها مُسَنَّمَة ، وذلك بعد أن أكثروا فى الموضع المذكور من البَخُور بالعُود والعَنْبر وغيرهما من أنواع الروائح ، وعَرْفُ المحل الشريف على ذلك كله راجح فائح ، ولله در القائل :

بطيب رسول الله طابَ نسيمُها فما المِسْكُ ما الكافور ما المَنْدَلُ الرَّطْبُ

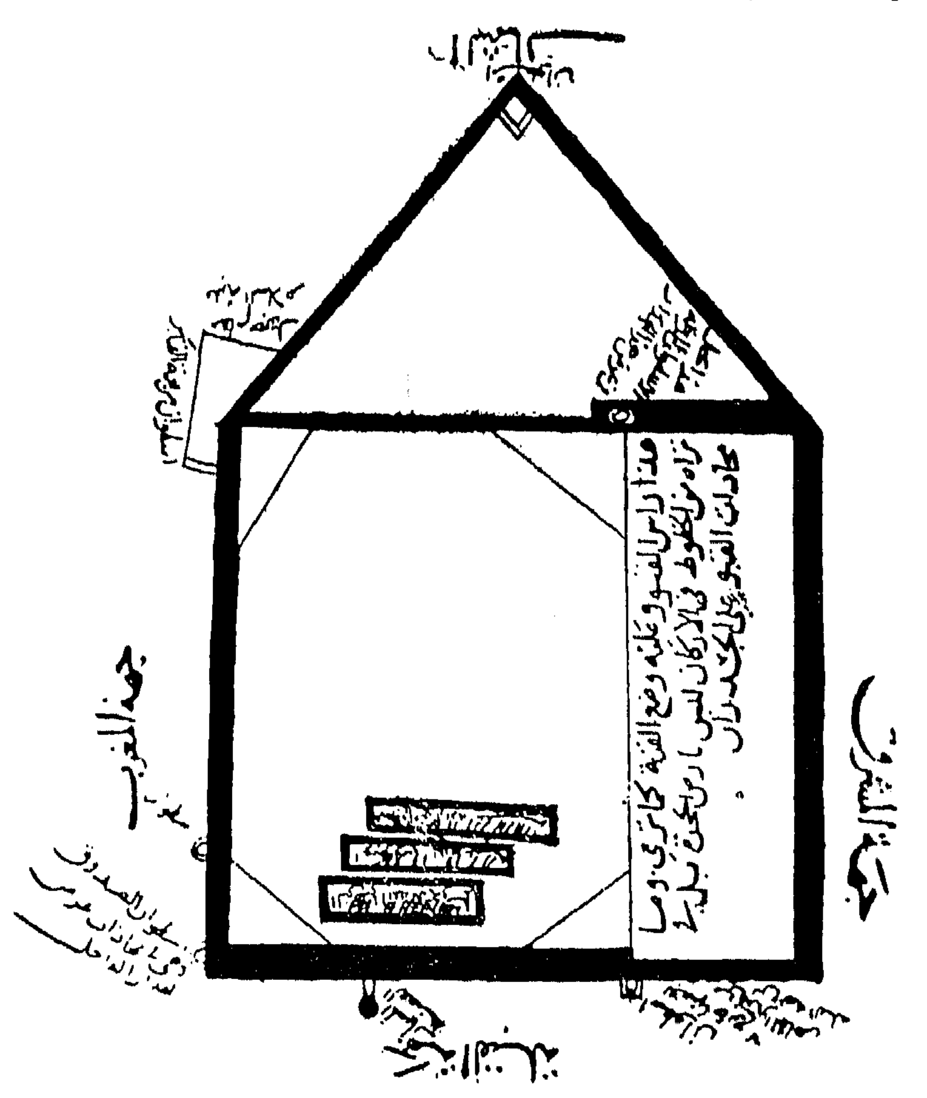
وألقى جماعة من الناس من تلك الخَوْخَة أوراقا كتبوا فيها التشفع بالنبى صلى الله عليه وسلم ومآربِ يسألونها بالحجرة الشريفة، ثم سدوا الخوخة المذكورة، وأحكموا بناءها كبقية الجدار ، و بيضوا القبة المذكورة وجميعَ جدرانهما من خارجها بالجص، وجاءت حسنة فَاضَ عليها أنسُ المحل الشريف ، ونَصَبُوا بأعلاها هلالا من نحاس يظنه الرائى ذهبا ، وهو قريب من سقف المسجد الأول ؛ فإن القبة المذكورة تحته ، ثم سدوا مابقى من نقب الجدار الظاهر ، وحضرتُ معهم فى ذلك الوقت، وحضرت أيضا بعض بناء الحجرة الشريفة ، وتبركت بالعمل فيه ، ولم أحضر غير ذلك طلبا للسلامة ، وأنشدت فى ذلك المحل الشريف قصيدتى التى تطفلت بها على واسع كرم الجناب الرفيع الحبيب الشفيع الحالّ بذلك الحِمَى المنيع ، التى أولها :

قف بالديار لحى فى ذرى الحرم وحَىِّ هذا المُحَيَّا من ذوى إضَمِ

وكان الفراغ من ذلك وخَتْمُ بناء الجدار الظاهر فى يوم الخميس المبارك سابع شوال من السنة المذكورة ، وأصرفوا فى ذلك وفى غيره من عمارات المسجد و إعادة مَنَارة مسجد قباء وتجديد بعض سقفه و إحكام مصرف المياه التى كانت تجتمع

حول المسجد عند كثرة الأمطار ما لا جزيلا ، ومن أعظم ذلك نفعاً ما جعل لمصرف المياه المذكورة كما سيأتى وصفه فقد عم نفعه ، وذلك كله فى الصحائف الشريفة السلطانية الأشرفية ، أعز الله أنصارها ، وأعلى فى سلوك العدل منارها ، على يد متولى العمارة الجناب الشمسى المتقدم ذكره ضاعف الله تعالى حسناته .

وهذا تصوير ما استقر عليه الأمر من هذه العمارة فى صورة الحجرة المشرفة والقبور الشريفة بها :



ثم حدث بعد الحريق الثانى عنـد إنشاء القبة الثانية التى جعلوها بدلا عن القبة الزرقاء المتقدم ذكرها تأسيسُ دعامة وعقدٍ فى جهة المغرب عند مقام جبريل

عليه السلام متصل بجدار الحجرة الظاهر من أعلاه وأسطوان وعقد فى مقابلة ذلك فى المشرق متصل بالجدار الظاهر أيضاً فى جهة المغرب .

الفصل التاسع والعشرون

فى الحريق الحادث فى زماننا بعد العمارة السابقة وما ترتب عليه .

ألحقته هنا مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه فى الفصول السابقة ؛ لحدوثه بعد الفراغ من مسودة كتابنا هذا لأنى توجَّهتُ إلى مكة المشرفة للاعتمار أول شهر رمضان عام ست وثمانين وثمانمائة ، فورَدَ على بها عدةُ كتبٍ من الصادقين فى الخبر ، وشافهنى من شاهد الأمر والأثر ، بما حصل من الخطب العظيم ، والرزء الجسيم ، باحتراق المسجد النبوى أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان ، وذلك أن رئيس المؤذنين وصدْر المدرسين الشمسى شمس الدين محمد ابن الخطيب قام يُهَلِّلُ حينئذٍ بالمنارة الشرقيـة اليمانية المعروفة بالرئيسية ، وصَعِدَ المؤذنون بقية المنائر ، وقد تراكم الغيمُ فحصل رعد قاصف أيقظ النائمين ، فسقطت صاعقة أصاب بعضُها هلالَ المنارة المذكورة ، فسقطت فى المسجد وله لهب كالنار ، وانشق رأسُ المنارة ، وتوفى الريّس المذكور لحِينِهِ صَعِقاً ففَقَد مَنْ كان على بقية المنائر صوته ، فنادوه فلم يجب ، فصعد إليه بعضهم فوجده ميتا ، وأصاب ما نزل من الصاعقة سقفَ المسجد الأعلى بين المنارة الرئيسية وقبة الحجرة النبوية فثقبه ثقبا كالترس ، وعلقت النار فيه وفى السقف الأسفل ، ففتح الخدام أبواب المسجد قبل الوقت المعتاد وقبل إسراجه ، ونودى بالحريق فى المسجد ، فاجتمع أمير المدينة وأهلُها بالمسجد الشريف ، وصَعَدَ أهلُ النجدة منهم بالمياه لإطفاء النار ، وقد التهبت سريعاً فى السقفين ، وأخذت لجهة الشمال والمغرب ، فعجزوا عن إطفائها ، وكلما حاولوه لم تزدد إلا التهابا واشتعالا ، فحاولوا قطعها بهَدْم بعض ما أمامها من السُّقُف ، فسبقتهم لسرعتها ، وتطبق المسجد بدخان عظيم ، فخرج غالبُ مَنْ كان به ، ولم يستطيعوا المكث ؛ فكان ذلك سببَ سلامتهم ، وهرب مَنْ كان

بسطح المسجد إلى شماليه ، ونزلوا بما كان معهم من حبال الدِّلاء التى اسْتَقَوْا بها الماء بخارج المسجد على الميضأة والبيوت التى هناك وما حول ذلك ، وسقط بعضهم فهلك ، ونزل طائفة منهم إلى المسجد من الدَّرَج فاحترق بعضهم ولجأ بقيتهم إلى صحن المسجد مع مَنْ حالت النار بينه و بين أبواب المسجد ممن كان أسفل ، ومنهم صاحبنا الشيخ العالم صدر المدرسين الشمسى شمس الدين محمد بن المسكين المعروف بالعوفى ، فمات بعد أيام لضيق نفسه بسبب الدخان مع توعُّك سابق ، رحمه الله تعالى ! واحترق من الخدام الزينى شند نائب خازن دار الحرم ، تغمده الله برحمته ! ومات جماعة تحت هَدْم الحريق من الفقراء وسُودَان المدينة ، وجملةُ من مات بسبب ذلك بضع عشرة نفسا ، وكانت سلامة من بقى بالمسجد على خلاف القياس ؛ لأن النار عظمت جدا حتى صارت كبحر لجى من نار ، ولها زفير وشهيق وألسُنٌ تصعد فى الجو ، وصار لفحها يؤثر من البعد حتى أثرت فى النخلات التى بصحن المسجد ، وعلق منها شىء بالمنارة الرئيسية فاحترقت ، ووصلت النار لثياب الريّس شمس الدين محمد رحمه الله تعالى فاحترقت بعد موته ، وصارت النار ترمى بشَرَر كالقَصْر فتسقط بالبيوت المجاورة المسجد ، ومع ذلك فلا تؤثر فيها ، حتى سقط بعض الشرر على سَعَف فلم يحترق ، وحمل بعض خزائن الكتب من تحت سقف المسجد إلى صحنه فأصابها الشرر فأحرقها .

ونقل عن جَمْع كثير أنهم شاهدوا حينئذٍ أشكال طيور بيض كالإوَزّ يَحُومُون حول النار كالذى يكفها عن بيوت الجيران .

وأخبر أمير المدينة الشريفة السيد الشريف زين الدين فيصل الجازى أن شخصا من العرب صادق الكلام رأى فى المنام ليلة ثانى عشر من شهر رمضان أن السماء فيها جَرَاد منتشر ، ثم عقبته نار عظيمة ، فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم النار وقال : أمْسِكُها عن أمتى ، فجزاه الله عن أمته ــ خصوصا عن جيرانه ــ أفْضَلَ ما جزى نبياً عن أمته

وحكى أيضا عن بواب رباط السبيل أنه ذكر مثل تلك الرؤيا عن غيره ، كتب لى بذلك صاحبنا العلامة شيخ المحدثين بالحرم النبوى الشيخُ شمسُ الدين بنُ شيخنا العلامة ناصر الدين العثمانى أمتع الله به

هذا مع ما حصل لأهل المدينة الشريفة من الدّهْشة العظيمة والحيرة لما شاهدوا من هول هذه النار ومنظرها الفظيع ، حتى أيقن بعضهم بالهلاك ، وانتقل بعض أهل الدور منها لما وصل إليهم الشَّرَر ، وخرج بعضهم من باب المدينة الذى يلى البَقيع ، و بعضهم من بابها الذى يلى المصلى ، وظنوا أن النار محيطة بهم . قال الشمس العثمانى : وصار لجميع المدينة من جميع جهاتها بالبكاء ضَجيج ، و بالدعاء عَجيج ، قال : وأمر هذه النار عجيب ، وليس الخبر كالمعاينة ، وصار المسجد كالتَّنُّور ، ولم يمض إلا أقل من عشر دَرَج وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف ، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه أولا وهو يسير ، وغير القبة التى بصحن المسجد ، وسبق ذكر سلامتها فى الحريق الأول ، وكنت تركت كتبى بالخَلْوة التى كنت أقيم بها فى مؤخر المسجد ، فكتب إلىّ باحتراقها ، ومنها أصْلُ هذا التأليف وغيره من التآليف والكتب النفيسة نحو ثلاث مائة مجلد ، فمنّ الله تعالى علىّ ببرد الرضى والتسليم ، وفراغ القلب عن ذلك ، حتى ترجحت هذه النعمة عندى على نعمة تلك الكتب لما كنت أجِدُه قبل من التعلق بها؛ فلله الحمد والشكر على ذلك . هذا ، مع ما منّ الله به على من غيبتى عن هذا الأمر المَهُول ؛ فإن وقوعه كان فى ليلة الوصول إلى الحرم المكى ، ولم يتفق لى منذ سكنت المدينة الخروجُ منها فى رمضان ، بل كنت ألازم المسجد النبوى فيه من أوله إلى آخره ليلا ونهارا ، فكان ذلك سبَب النجاة من هذا الأمر

ولما اشتعلت النار فى السقف المحاذى للحجرة الشريفة ذاب الرصاص من القبة التى بسقف المسجد الأعلى ، واحترقت أخشابها وما يحاذيها من السقف الأسفل

والشباك الدائر على حائز عمر بن عبد العزيز الذى تعلق الـكسوة بأعلاه ، وسقط ما سقط من ذلك على القبة السفلى التى تقدم تجديدها ، فلما أصبحوا بدأوا بطفى ما سقط على القبة المذكورة ، واستمروا فى ذلك إلى آخر النهار ، فسلمت القبة المذكورة مع أن بعضها من الحجر الأبيض الذى يُسْرع تأثره بالنار ، وذلك من المعجزات النبوية ؛ لأن كثيرا من أساطين المسجد الشريف سقطت لما ذاب بعضُ رصاصها وتهشمت وهى من الحجر الأسود ، ومع ذلك تفتت كأنه أحجار النورة ، وعدة ما سقط منها مائة و بضع وعشرون أسطوانا ، وما بقى منها فقد أثرت فيه النار أثرا بينا ، وسلمت الأساطين اللاصقة بجدار الحجرة أيضا ؛ فالحمد لله على حماية الحجرة المنيفة ، الحاوية للقبور الشريفة ، واحترقت المقصورة التى كانت حول الحجرة الشريفة والمنبر الشريف وما كان أمام المصلى المنيف بالروضة الشريفة من الصندوق وما عليه من المحراب المتقدم وصفه ، وسقطت أكثر عقود المسجد ، وما بقى منها فهو آيل إلى السقوط ، وسقط علو المنارة الرئيسية ، ثم خَشُوا من سقوط بعض ما بقى منها فهدموا نحو ثلثها ، وكتبوا إلى سلطان مصر مولانا الأشرف سلطان الحرمين الشريفين قايتباى أيد الله أنصاره بذلك سادس عشر رمضان ، واقتضى رأى نائب الناظر سد أبواب حواصل المسجد حتى القبة التى بوسطه المرصد فيها زيت مصابيحه ، وترك الردم على حاله حتى ترد الأوامر الشريفة فتضرر النـاس بذلك ، فاتفقت الآراء على تنظيف مقدم المسجد ماعدا ما جاور الحجرة الشريفة خوفا على ما سقط من حلية قناديلها ، مع أنها يسيرة كما يؤخذ مما سبق ، فجعلوا على ذلك حاجزا من الآجُرّ ، ونقلوا هدم مقدم المسجد إلى مايلى باب الرحمة من مؤخره ، وعمل فى ذلك أميرُ البلد والقضاةُ والأشراف وعامة الناس حتى الـكثير من النساء والأطفال تقربا إلى الله تعالى بغير أجرة ، ولم يتأخر عن ذلك إلا المخدّرات من النساء .

و بَنَوْا فى محل المنبر منبراً من آجر ، وصَلَّوْا بالمصلى النبوى من حينئذ ، وعملوا

لأبواب المسجد غير باب جبرائيل خوخاً يدخل منها ، وسدوا ما زاد على ذلك ، ونصب الخدام خياماً بالمسجد إذ لم يبق به ظل ، وصار بعض أهل الخير يُسْرِج قناديلَ متعددة من عنده فى المسجد مع توفر الزيت بحاصله ، لكن تعذر ذلك بسبب سَدِّه ، واستمرت النار فيما لم ينقل هدمه من المسجد حتى فيما حول الحجرة الشريفة وموقف الزائرين تجاه الوجه الشريف ، وأخبر بعضهم بمشاهدة الدخان يتصاعد من ذلك المحل الشريف بعد مدة ، وفى أثناء شوال أخبر قاضى المالكية شمسُ الدين السخاوى حفظه الله تعالى أنه رأى فى النوم من يقول له : أطفِئُوا النار من الحُجْرَة الشريفة ، يعنى الموضع الذى تركوا تنظيفه حولها ، فتفقدوا ذلك فوجدوا النار فى ثمانية مواضع ، فأطفؤوا ذلك ، ثم رأوا أن مادة هذه النار لا تنقطع إلا بتنظيف الرَّدْم ، فاجتمعت الآراء على ذلك بعد توقُّفٍ تام من نائب الناظر ، وعَيَّنُوا لتعاطيه من يثقون به من الخدام والفقهاء والفقراء ، وكان الصوابُ المبادرَةَ لذلك أولا ، ولكن على كل خير مانع ، ولا يدرى أحد أسرار ما الله فى عباده صانع ، ولما نظفوا ذلك وجدوا حلية الصندوق المَجْعُول فى جهة الرأس الشريف وجانباً من الكُسْوَة وبعض البُسُط سالماً لسقوط الردم عليه ، ووجدوا القناديل التى كان التخوُّفُ فى تنظيف ذلك المحل لأجلها ، وأداروا على الحجرة الشريفة جداراً من الآجر فى موضع المقصورة المحترقة ، وجعلوا فيها شبابيك وطاقاتٍ وأبواباً ، وقام بمصروف ذلك بعضُ النساء المباركات وغيرها ، وسامح البناؤون بنصف أجرهم مع توفُّر المصروف بحاصل المسجد الشريف ، وأحضرت تلك المرأة أيضاً وغيرها كسوة للحجرة الشريفة من القماش الأبيض فجعلت عليها .

وفى ذلك كله عبرة تامة وموعظة عامة لأولى الأبصار ، وهو منذر بأمر عظيم ، ولهذا اختص به هذا المحل المَنْسُوبُ إلى النذير صلى الله عليه وسلم ، وقد ثبت أن أعمال الأمة تُعْرَضُ عليه صلى الله عليه وسلم ، فلما ساءت منا الأعمال

المعروضة ناسَبَ ذلك الإنذار بإظهار عُنْوَان النار المجازَى بها فى موضع عَرْضها ، ولم أزَلْ فى وَجَل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ والانزجارُ ، وقد قال تعالى : « وَمَا نُرْسِلُ بالآيات إلا تخويفا » ، وقال تعالى «ذلك الذى يُخَوِّف الله به عباده يا عِبَادِى فاتقون » وكأن لسان القدرة ينادى : ألا تتعظون بما تَرَوْنَ وتسمعون ؟ ألا تنتهون وتنزجرون ؟ ألا ترون إلى هذا المحل الشريف مع عظيم نسبته وعلو رتبته ومكانته لما تَلَوَّثَ بآثاركم معشرَ المذنبين،وتدنَّسَ بأقذاركم كافة الغافلين،أرسلت عليه بحراً من النار السماوية تطهرُهُ من تلك الآثار ، وتزجركم عن التمادى على الإصرار ، وموالاة أتباع الأوزار ، وتشهد بصائركم عموم القدرة ، فترسلون من الأبصار سَوَابق العَبْرة ، تأسفا على ما اجترحتموه قبل هذه العِبْرة ، فمن لم يَنْتَه بهذا الزاجر الفعلى عن إصراره ، ولم يَقْتبس من هذه النار العظيمة قَبَسا يهتدى بأنواره ، فليَنظرْ فيما حدَثَ عقيب حريق المسجد القديم ، ويتفكر فى ضعفه عن احتمال العذاب الأليم ، حَمَانا الله من ذلك ، وسلك بنا أجمعين أحسن المسالك .

ومن العجائب أنه لم يتأتَّ إخراج رَدْم هذا الحريق بعد نَقْله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجّاج من سائر الآفاق الزيارة، وشاهدوا هذه العِبْرَة العظيمة ، ورأوا ما اجتمع من الردم كالآكام والتلول الجسيمة ، ثم قُبَيْلَ دخول الحاج مكة بالقَعْدَة الحرام من العام الثانى أرسل الله سَيْلا عظيما بمكة المشرفة ملأ ما بين الجبلين وعَلاَ جدار أبواب المعلى ، ودخل جوف الكعبة الشريفة ، وارتفع فيها أزيَدَ من قامة وهَدَم دوراً كثيرة يقال إنها تزيد على ألفى دار ، وذهب بسبب ذلك من الأموال والأنفس ما لا يُحْصيه إلا الله تعالى ، حتى أنهم ضَبَطوا من وجد تحت الردم بالمسجد الحرام فقط عند تنظيفه فكانت عدتهم نحو الثمانين ، وقيل أزيد من مائة ، ولم أقف فيما نقل من سيول الجاهلية والإسلام على مثل ذلك ، ولما نظفوا ذلك الردم ــ وهو أتربة ونقض هدم حملها السيل ــ لم يتأتَّ إخراجه قبل وصول

الحجاج وصار ذلك كالآرام والتلول العظيمة فى المسجد الحرام ، فحضر الحجاج كلهم وشاهدوا ذلك ، فسبحان مَنْ بيده الخلق والأمر لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

ولما وصـــل خبر الحريق لرودس من بلاد النصارى أظهروا بذلك فرحاً واستبشاراً ، وتظاهروا بالزينة وضرب النواقيس ، فلم يمض ذلك اليومُ إلا وقد أرسـل الله عليهم زلازل عظيمة هَدَمَتْ عليهم جانباً من سور البلد والكنيسة وكثيراً من دورهم ، وهلك منهـم بذلك خلائق لا يُحْصَوْن ، ودامت الزلازل عليهم ، أياما ،شاهدتُ ذلك فى كتب وردت من ثغر إسكندرية بخط مَنْ يعتمد عليه ، وذكروا أن المخبر لهم بذلك أهلُ المراكب الواردة من رودس المذكورة ، وأنهم سافروا والزلازلُ مستمرة بها ، وهم يخرجون الموتى من تحت الهدم بعد انتقال مَنْ بقى إلى خارج البلد ، فتأمل هـذه المعجزات النبوية ، والآيات الربانية .

ولما وصل القاصد إلى مصر المحروسة ، واتصل علم الحريق المذكور بسلطانها، عَظُمَ ذلك عليه ، و برزت أوامره الشريفة بالمبادرة إلى تنظيف المسجد الشريف، ورأى أن فى تأهيل الله تعالى له لعمارة ذلك مزيد التشريف ، وكمال التعريف ، وأنه كَرَامة من الله تعالى أكرمه بها ، وذخيرة يرجو الفوز بسببها ، فاستقبل أمر العمارة بهمة تعلو الهمم العلية ، ورَسَم بإبطال عمائره المكية ،و بتوجه شادها السيفى الأمير سنْقُر الجمالى صُحْبة الحاج الأول بزيادة على مائة صانع من البنائين والنجارين والنشارين والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخِّمين وغيرهم ، وكثير من الحمير والجمال ، وصحبته وصحبة أخيه المقر الأشرفى الشجاعى شاهين والأمير قاسم الفقيه شيخ الحرم الشريف مبلغ عشرين ألف دينار ، وشرع السلطان فى تجهيز الآلات والمُؤَن حتى كثرت فى الطُّور واليَنْبُع والمدينة الشريفة .

ثم جَهَّز متولى العمارة الأولى بالمدينة الشريفة ــ وهو الجناب العالى الخواجكى الشمسى شمس الدين بن الزمن ــ فى أثناء ربيع الأول وصحبته أكثر من مائتى

جمل ومن مائة حمار وأزيد من ثلثمائة من الصناع أهل الصنائع الأولى وغيرهم من الحمالين والمبيضين والسباكين والجباسين، وأصرفوا لهم شيئاً من الأجرة قبل سفرهم، وقد صارت أحمال المؤن متواصلة قلّ أن تنقطع براً و بحراً ، واستقبلوا أمر العمارة بجدّ واجتهاد ، فهدموا المنارة الرئيسية التى أصابها الحريق إلى أساسها ، وهَدَموا من ســور المسجد من ركن المنارة التى بباب السلام إلى آخر جدار القبلة وما يليه من المشرق إلى باب جبريل ، وما يلى المنارة من المغرب أيضاً إلى باب الرحمة ، وأعادوا المنارة الرئيسية وسور المسجد المذكور ، وزادوا فى عرضه يسيراً ، ووسعوا المحراب العثمانى ، وسقفوا مقدم المسجد سقفاً واحداً ، بعــد أن قصروا أساطينه وجعلوا عليها عقوداً من الآجر فوقها أخشاب السقف ، وكانت الأساطين المذكورة قبل ذلك واصلة إلى سقف المسجد كهيئة ما بقى من أساطينه فى بقية المشرق والمغرب والشام ، وجعلوا على المحراب العثمانى قبة على رؤوس الأساطين ، بعد أن قرنوا إلى كل أسطوانة ثانية ، وجمعوا فى بعضها بين خمس أساطين ؛ ليتأتى لهم عقد القبة المذكورة ، وأزالوا الأسطوانة التى كانت فى مُحاذاة الأسطوانة التى إليها المصلَّى النبوى بينها و بين المحراب العثمانى ، وجعلوا على مايُحَاذى الحجرة الشريفة وما حوله قبة عظيمة على دعائمَ بأرض المسجد وعقودا من الآجر بدلا عن القبة الزرقاء التى كانت قبل الحريق ، وكانت تلك على رؤوس السوارى كما سبق فى الفصل السابع والعشرين ، وقدمنا هناك ماحصل من ضيق المسجد من جهة المشرق بسبب ابتناء بعض تلك الدعائم هناك ، فخرجوا بجدار المسجد الشرقى — أعنى ما حاذى ذلك منه — بنحو عرض الجدار فى البلاط الشرقى ، وأبقوا الباب المعروف بباب جبريل فى محله .

ثم أحدثوا أسطواناً فى جانب مثلث الحجرة ليشتدَّ به العقدُ الذى عليه القبة فى تلك الناحية ، وحفروا لذلك أساساً عظيما ظهر بسببه القبر المنسوبُ فى أحد الأقوال لفاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وزادوا دعامتين وعقدا إلى جانب الأسطوانتين

اللتين فى جهة الوجه الشريف ، ولم يبالوا بما حدث بسبب ذلك من الضيق فى الموضع المواجِهِ للوجه الشريف داخل المقصورة وغيره لخشيتهم من سقوط القبة المذكورة ، وكانوا قد وجدوا فى جدار المنارة الرئيسية عند هَدْمها خزانةً وضع الأقدمون بها أوراقَ المصاحف المحترقة فى الحريق الأول وسَدُّوا عليها ، فأخرجوا تلك الأوراق ووضَعوها فى أعلى القبة المذكورة عند ختمها ، فبدأ فى القبة تَشَقّق ، فقيل لهم : إن ذلك بسبب وضع الأوراق المذكورة بها ؛ لأن الله تعالى يقول « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً مُتَصَدِّعاً من خشية الله » فأخرجوا تلك الأوراق منها ، فقضيتُ العجب من ذلك .

ومن الغريب أنى كنت قد عزمت على التوجه إلى أرض مصر لزيارة والدتى وأهلى قبل الشروع فى العمارة المذكورة ، فلم أحضر شيئاً من ذلك ، ومَن الله تعالى بالوصول إلى الوالدة والأهل ، فتوفيت الوالدة بعد قدومى بعشر ليالٍ ، وكانت مدة غيبتى عن أهلى ستة عشر سنة ، ثم مَنّ الله تعالى بالعَوْد إلى المدينة الشريفة بعد تعويض ما تدعو الحاجة إليه من الكتب المحترقة ، فوجدتهم قد عمروا القبة المذكورة ومقدم المسجد وعَقَدوا العقود المتصلة بهـذه القبة من المشرق والشام ، وجعلوها قَبْوًا بدل السقف ، واتخذوا فيما بين الحجرة الشريفة والجدار القبلى قبة لطيفة ، وحولها ثلاثة أخر تسمى مجاريد ، وجعلوا بين عقود هذه القباب و بين المنارة الرئيسية التى أعادوها بادهنجا للضوء والهواء ، وكان باب المنارة المذكورة من جهة المغرب ، فنقلوه إلى جهة الشام ، وأحدثوا أمامه أربع دَرَجات بأرض المسجد ، و إلى جانبها خِزانة ، وجعلوا موضع بابها الأول خَلْوة للخطيب يجلس بها إلى أن يخرج للخطبة يوم الجمعة ، وكان جلوسه فى الأعصار الخالية هناك مع وجود باب المنارة به ، واتخذوا أيضاً قبتين أمام باب السلام من داخله ، و بنوا الباب المذكور بالرخام الأبيض والأسود وَزَخْرفُوه زخرفةً عظيمة ، وكذلك القباب المذكورة ، وخفضوا أرض مقـدم المسجد حتى ساوت أرض المصلى

الشريف ، واتخذوا له محرابا فى محل الصندوق الذى كان هناك وزخرفوه بالرخام وكذا المحراب العثمانى زخرفةً عظيمة ، وأعادوا ترخيم الحجرة الشريفة وما حولها وترخيمَ الجدار القبلى ، وأزالوا البناء الذى عمله أهل المدينة فى موضع المقصورة المستديرة بالحجرة الشريفة ، وأبدلوا ما يلى القبلة من ذلك بشبابيك من النحاس ، و بأعلاها شبكة من شريط النحاس كهيئة الزَّرَد ، وجعلوا لبقيتها مما يلى الشام مشبكا مشاجرا من الحديد وفاصلا عن يمين مثلث الحجرة و يساره فيه بابان كما سبق بسط كل ذلك فى محله ، وعملوا المنبر ودكة المؤذنين من رُخام ، وجعلوا فيما يلى باب الرحمة و باب النساء إلى مؤخر المسجد دكتين إحداهما بالمسقف الغربى والأخرى بالمسقف الشرقى ، وجعلوهما أخْفَضَ من الدكاك الشامية يسيرا ، وردموهما من أتربة المسجد ، واتخذوا فيما أعادوه من الجدار الشرقى خزائنَ للكتب وطاقات كبارا كالأبواب المقنطرة فى أعالى الجدار وطاقات متسعة مستديرة أيضاً تكثيراً للضوء ، ولم يكن بأعالى الجدار المذكور أولا غير شباك واحد ، وجعلوا نظير تلك الطاقات فى الجدار القبلى أيضاً ، و بنو الجدار من ابتداء تلك الطاقات بالآجُرّ ، وسبب الاحتياج إلى ذلك أن أساطين مقدم المسجد الشريف كانت واصلة إلى سقفه كما سبق ، ولم يكن بذلك قناطر من العقود سوى ما يلى الرحبة من الرواقين اللذين جَدَّدهما الناصر كما سبق ، وكان الساقط من الأساطين بمقدم المسجد هو الأكثر لسقوط العقود التى كانت بين السقفين عليها وقت الحريق واشتعال النار المذيبة للرصاص الذى بين خرز الأساطين ، فاقتضى رأيهم إعادة تلك الأساطين قصيرة وتكميلها إلى السقف بعُقود القناطر ، فأخذت القناطر حصة من الضوء ، فعوّضوا ذلك بتلك الطاقات ، وأكد عندهم فتحها أخذ متولى العمارة للدور التى فى قبلة المسجد المعروفة بدور العشرة ليجعلها مَدْرَسة للسلطان ، وعرض الجدار القبلى يسيرا منها ، وجعل فيها فتحات لشبابيك متعددة أيضاً ، ثم صرف الله تعالى عزمه عن ذلك وسد فتحات الشبابيك

المذكورة كلها بفصوص الأحجار كنسبة بناء الجدار ، وسَدّ أيضاً الطاقاتِ التى بالجدار القبلى إلا ما يحاذى القبة التى على المحراب العثمانى ، فجعل لها ولما بقى من الطاقات قمريات من الزجاج وشبكات من شريط النحاس .

ثم استبدل متولى العمارة الرباط المعروف بالحصن العتيق وما فى شاميه من المدرسة الجوبانية والدار التى كانت تعرف بدار الشباك — وذلك كله فيما بين باب الرحمة و باب السلام — عند هدم هذا الجانب من الجدار الغربى ليتخذ فى ذلك مدرسة ورباطا لسلطان زماننا الأشرف أدام الله تعالى تأييده وتسديده ، واتخذ فى الجدار المذكور فتحاتٍ لشبابيك كثيرة فى ثلاث طبقات عدتها ثلاثون فتحة ، لأن الفتحة الثالثة من على يسار الداخل من باب السلام فى موضع باب خَوْخَة أبى بكر الصديق الآتى ذكرها فى أبواب المسجد ، جعلوه بابا ينفذ إلى المسجد ، وكذا الفتحتان اللتان بينها و بين باب السلام جعلوا لهما بابين إلى المسجد فقط ، وصارت هـذه الأبواب الثلاثة فى المسجد دون المدرسة من أصل حاصل المسجد الذى كان هناك ، والفتحة الخامسة — وهى الثالثة من خوخة أبى بكر — جعلوها بابا ينفذ من المسجد إلى أسفل المدرسة ، وجعلوا على الفتحات التى فى الطبقة العليا شبكة من شريط النحاس شبه الزرد ؛ لأنها جعلت لمجرد الضوء ، وقد تكلم الناس مع متولى العمارة فى أمر الشبابيك واتخاذها بجدار المسجد الشريف القبلى قبل انتقاله إلى هذه الجهة ، وكثر الكلام فى ذلك ، فكاتب السلطان فاستفتى علماء مصر فى ذلك فأفتاه جماعة منهم بذلك ، فقلدهم فيه ، وعوض ما فات من المصاحف والربعات ، و بعث بعض ذلك على يدى بحيث اجتمع من ذلك أكثر مما فات ، وكذلك الكتب بعث بجانب منها ووعَدَ بإرسال ما يحتاج إليه ، وكان من التوفيق بعثه للأمير الكبير الفَخْرى قاسم الفقيه ناظرا على المسجد الشريف وشيخا لخدامه ، وهو محب للعلم وأهله ، مُغْرَم بتلاوة القرآن الشريف ، لم يُرَ على طريقته مثله فى هـذا الباب ؛ فصار يباشر أمر الرّبعات والمصاحف بنفسه

ومماليكه ، واتخذ لها كراسيّ صغارا يوضَع عليها بالروضة الشريفة فى أوقات الصلوات النهارية ، فيقرأ هو والناس فيها ؛ فعم نفعها.

ولما قارب المسجد التمام أخذوا فى عمارة الرِّبَاط والمدرسة المذكورين ، وأسسوا لهما منارة فى ناحيتهما التى تلى باب الرحمة ، وشرعوا أيضاً فى عمارة رِباط آخر بدلَ رباط الحصن العتيق ، وفى حمام قبالة الرباط المذكور استأجروا أرضَ الحمام من الناظر على المِيضَأة التى بباب السلام فإنها منها ، وشرعوا أيضاً فى عمارة سبيل وفرن وطاحون ومطبخ للدشيشة ووكالة ذات حواصل فى الدور التى اشتروها قبل ذلك للسلطان من دور العباسا وما يلى ذلك فى جهة القبلة ، وذلك أن السلطان أعز الله تعالى أنصاره بعد رجوعه من الحج شرع فى شراء أماكن وجعلها وقفاً ليحمل رَيْعها إلى المدينة الشريفة ليفرَّقَ منه على أهلها ويعمل منه سماط كسماط الخليل عليه السلام ، وأبرز لذلك ستين ألف دينار كما ذكرناه فى الفصل الثالث والثلاثين ، فاتخذوا هذه الأماكن لذلك ، وهو أمر لم يُسْبَق إليه ، فسح الله تعالى فى أجله ، وبلغه من الخير غاية سؤاله وأمله ، ولم يكن بالمدينة الشريفة حمام قبل ذلك من مدة مديدة ، وكذا الطاحون ، وإنما يستعملون الأرحاء التى تُدَار بالأيدى .

ثم كتب إلى بعض الثقات بتكامل تحصيل تلك الأماكن ، وأن متحصلها سبعة آلاف إردب وخمسمائة إردب من الحبِّ فى كل سنة ، وأن السلطان أدام الله نصره أنجز وقفها وشَرَع فى عمارة أماكن بمصر تقوية للوقف ، ورسم بإبطال المُكُوس بالمدينة وتَعْوِيض أميرها .

وقد كملت سُقُفُ المسجد النبوى كلها فى أواخر شهر رمضان عام ثمان وثمانين وثمانمائة ، وتمت عمارة المسجد الشريف عقب ذلك ، ولم يبق سوى اليسير من العمائر السابق ذكرها وإكمال ترخيم المدرسة الأشرفية .

وفى عام تسع وثمانين حضر جماعة من الدّهانين بعث بهم السلطان الأشرف

أعز الله أنصاره من مصر لمحو ما بلغه أنه جُعل فى بعض سقف المسجد الشريف من الدهان بالنيلة و إبداله باللازورد ، وجهّز معهم أساقيل لذلك، فعملوه على أحسن وجه ، ثم جهز ةالمر الأشرف عين الأعيان ونخبة الزمان البهائى بهاءالدين أبا البقاء ابن الجيعان عظم الله شأنه وأسبغ عليه نعمه و إحسانه فى رَكْب مع جماعة من خَوَاصه ، فوصل إلى المدينة الشريفة سابع ذى القعدة الحرام من العام المذكور ، ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة بالمدرسة الأشرفية ، وأحمال كثيرة من الحَبّ والدقيق والقدور النحاس التى جعلت برسم السّماط المتقدم ذكره ، و بقايا الات العمارة مما جهز فى المراكب الشريفة إلى الينبع ، فقرر أمر السماط ، فصرف لكل شخص من المقيمين من الحب ما يكفيه على حسب عدة عياله ، لكل نفرٍ سُبْعُ إردب مصرى بتقديم السين على الموحدة ، وسَوّى فى ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد ، وجعل للآفاقيين ما يكفيهم من الخبز وطعام الجشيشة فى كل يوم، وقرر أمر المدرسة ، وصرف للمرخمين وغيرهم من أرباب الصنائع مصروف بقية عملهم ، وأحسن النظر فى ذلك حتى زاد جماعةً منهم من ماله وتلطف بهم وأحْسَنَ ، فانطلقت الألسُن بالدعاء له ، أحسن الله له الجزاء ، وجعل نصيبه من خيرى الدارين من أوفر الأجزاء .

وقد قارن هذه العمارة من السعد وتسهيل الأمور ما لا يوصف ، ويسر الله تعالى لهم من آلات العمارة ما لم نكن نظن حصوله بنواحى المدينة الشريفة ، خصوصا أخشاب الدَّوْم ، فقطعوا من الموضع المعروف بالشقرة ومن الصويدرة ومن الفرع وغير ذلك مالا يحصيه إلا الله تعالى ، وكذلك أخشاب السَّمُر .

وقد أخبرنى بعض المباشرين لهذه العمارة الميمونة أن المصروف فيها وفيما شرعوا فيه من عمارة المدرسة وتوابعها نقدا وأثمان آلات و بهائم وغير ذلك مائة وعشرون ألف دينار ، ومع ذلك فلم يتم بعد .

ثم بعد أن منّ الله تعالى بإتمامها بلغ السلطانَ الأشرفَ أن متولى العمارة تسمح

فى استعمال مؤن غير صالحة ، وأن القبة التى سبق اتخاذها على أعلى ما يحاذى الحجرة الشريفة قد تشققت ثم رمّت ثم تشققت ، ولم يفد الترميم فيها ، وأن المنارة الرئيسية قد مالت ، مع أمور أخرى ، فتغير خاطره على متولى العمارة ، ثم انتخب لذلك المقر الشجاعى شاهين الجمالى لما اشتمل عليه من الفضل والنبل و إصابة الرأى، وفوض إليه أيضاً مشيخة الحرم ونظره ونظر السماط ، فورد المدينة الشريفةَ فى موسم عام أحد وتسعين وثمانمائة ، وجمع الناس للنظر فى ذلك ، وراجَعَ فيه أهل الخبرة ، فاقتضى الحالُ هَدْمَ المنارة الرئيسية وهدم أعالى القبة المذكورة ، ولما هدم المنارة المذكورة ظهر أن الخَلَلَ من عدم المبالغة فى حفر أساسها ، فحفر أساسَها حتى بلغ به الماء ، واتخذ لها أحجاراً من الحجر الأسود مُتْقَنة ، وأحكم بناءها مع الحسن الفائق ، بحيث لم يُرَ قبلَها بالمدينة الشريفة مثلها ، وجعل بابها من المغرب فى محله الأول ، وأبطل تلك الدرج المحدثة بأرض المسجد على ماسبق ، وأما القبة فاتخذ فى الطاقات المحيطة بجوانبها سَقْفا يمنع من سقوط مايهدم منها إلى أرض الحجرة الشريفة ، ثم شرع فى هدمها و إعادتها ، بحيث لم يرفع كسوة الحجرة الشريفة ولم يتخذ المسجد طريقاً للعمال فى ذلك ، بل اتخذ أساقيل يمشى عليها إلى سطح المسجد فى ناحيته الشرقية ، واتخذ حاجزاً لمحل المنارة يحول بينها و بين المسجد بحيث يظن الظان أن المسجد لا عمارة به ، وصانه أيضاً من الامتهان بعمل أرباب الصنائع ، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ، وجعل ثوابه على ذلك من أوفر الأجزاء .

وقد جاءت القبة حسنة مع الإتقان ، حتى إنه استصحب فى هذه العمارة الجِبْسَ من مصر المحروسة ، واستعمله فى البناء ، وحَرَص على إتقان الآجر ، وزاد العمال فيه على عادتهم ، ولم يوفق متولى العمارة قبله لشىء من ذلك ، سامحه الله ، وكل مُيَسَّرٌ لما خلق له .

وقد ذكر ابن النجار ما كان عليه الخلفاء من الاهتمام بعمارة المسجد النبوى

فقال : ولم يزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الأمراء على المدينة الشريفة ، ويمدُّونهم بالأموال لتجديد ما ينهدم من المسجد النبوى ، فلم يزل ذلك متصلا إلى أيام الناصر لدين الله ، أى الخليفة فى زمنه ، قال : فإنه ينفذ فى كل سنة من الذهب العين الإمامى ألفَ دينار لعمارة المسجد ، وينفذ عدة من النجارين والبنائين والنقاشين وأرباب الحرف ، وتكون مادتهم مما يأخذونه من الديوان ببغداد من غير هذه الألف ، وينفذ من الحديد والصناع والرصاص والحبال والآلات شيئاً كثيراً ، ولا تزال العمارة مُتَّصلة فى المسجد حتى إنه ليس به موضع أصبع إلا وهو عامر ، انتهى .

قلت : وعقب وفاة ابن النجار بيسير انتقل أمرُ المدينة الشريفة إلى ملوك مصر ، ولم يزل ملوكها يهتمون بعمارة هذا المسجد الشريف ، ومن أعظمهم همةً فى ذلك ، وأنجحهم فى سلوك هذه المسالك ، سلطانُ زماننا الملك المالك لصفوة الممالك الأشرف أبو النصر قايتباى ، أعَزَّ الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ؛ فلذلك أجرى الله على يديه هذه العمارة ، وآثره بهذه الأثارة ، ومن تأمل ما قدمناه فى الفصل السادس والعشرين فى الحريق الأول عن المؤرخين من عمل سقف المسجد على يَدِ مَنْ سبق وطول مدته وصفته ، وأحاط علماً بما أسلفناه عن سلطان زماننا فى عمارته ، حكم يقيناً بعلو همته ، وفخار مَنْقَبته ومرتبته ، واختصاصه بما لم يَفُزْ به مَنْ سبقه ؛ فكان هو سابقا ، وإن عد فى الزمان لاحقا ، وقد ذكرنا ماله بالحجاز الشريف من الآثار الجميلة ، وبعض مناقبه الجليلة ، فى الفصل الثالث والثلاثين فى خَوْخَة آل عمر رضى الله عنه لما خصه الله به من حَسْم مادة المفاسد المترتبة عليها فى زماننا ، وأمره بسَدِّ طابقها ، شكر الله صنيعه ، وحَصَّنه من العُدَاة بحُصُونه المنيعة

خاتمة

فيما نقل من عمــل نور الدين الشَّهيد لخندق حَوْلَ الحجرة الشريفة مملوء بالرصاص ، وذكر السبب فى ذلك ، وما ناسبه

أعلم أنى قَدْ وقفْتُ على رسالة قد صنَّفها العلامةُ جمال الدين الأسنوى فى المنع من استعمال الوُلاَة للنصارى ، وسماها بعضهم « بالانتصارات الإسلامية » ورأيت عليها بخط تلميذه شيخ مشايخنا زين الدين المراغى ما صـورته « نصيحة أولى الألباب ، فى منع استخدام النصارى كتاب » لشيخنا العلامة جمال الدين الأسنوى ، ولم يسمه ، فسميته بحضرته ، فأقرنى عليه ، انتهى . فرأيته ذَكَر فيها ما لفظه : وقد دعتهم أنفُسهم ـ يعنى النصارى ـ فى سَلْطنة الملك العادل نور الدين الشهيد إلى أمر عظيم ظنو أنه يتم لهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون، ، وذلك أن السلطان المذكور كان له تهجُّد يأتى به بالليل ، وأوراد يأتى بها ، فنام عقبَ تهجده ، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه وهو يشير إلى رجلين أشْقَرَيْنِ ويقول : أنْجِدْنِى أنْقِذْنِى من هذين ، فاستيقظ فَزِعاً ، ثم توضَّأ وصلَّى ونام فرأى المنامَ بعينه ، فاستيقظ وصلى ونام فرآه أيضا مرة ثالثة ، فاستيقظ وقال : لم يبق نَوْم ، وكان له وزير من الصالحين يقال له جمال الدين الموصلى ، فأرسل خَلْفَه ليلا ، وحكى له جميعَ ما اتفق له ، فقال له : وما قُعُودك ؟ اخْرُجِ الآنَ إلى المدينة النبوية ، واكتم ما رأيت ، فتجهَّز فى بقية ليلته ، وخرج على رَوَاحلَ خفيفة فى عشرين نَفَرًا ، وصحبته الوزيرُ المذكور ، ومال كثير ، فقدم المدينة فى ستة عشر يوما ، فاغتسل خارجَها ودخل فَصَلَّى بالروضة ، وزار ، ثم جلس لا يدرى ماذا يصنع ، فقال الوزير وقد اجتمع أهل المدينة فى المسجد : إن السلطان قَصَد زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأحضر معه أموالا للصّدَقة ، فاكتبوا مَنْ عندكم ، فـكتبوا أهل المدينة كلهم ، وأمر السلطان بحضورهم ،

وكل مَنْ حضر ليأخذ يتأمله ليجد فيه الصفة التى أراها النبى صلى الله عليه وسلم له فلا يجد تلك الصفة ، فيعطيه ويأمره بالانصراف ، إلى أن انقضت الناس ، فقال السلطان : هل بقى أحد لم يأخذ شيئاً من الصدقة ؟ قالوا : لا ، فقال : تفكروا وتأملوا ، فقالوا : لم يبق أحد إلا رجلين مَغْربيين لايتناولان من أحد شيئاً ، وهما صالحان غَنِيّان يكثران الصدقة على المحاويج ، فانشرح صدرُه وقال : علىَّ بهما ، فأتى بهما فرآهما الرجلين اللذَيْن أشار النبى صلى الله عليه وسلم إليهما بقوله : أنجدنى، أنقذنى من هذين ، فقال لهما : مِنْ أين أنتما ؟ فقالا : من بلاد المغرب ، جئنا حاجَّيْنِ فاخترنا المجاورة فى هذا العام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَصْدُقانى ، فصمَّما على ذلك ، فقال : أين منزلهما ؟ فأخبر بأنهما فى رباط بقرب الحجرة الشريفة ، فأمسكهما وحضر إلى منزلهما ، فرأى فيه مالا كثيرا وخَتْمَتَين وكتباً فى الرقائق ، ولم ير فيه شيئاً غير ذلك ، فأثنى عليهما أهلُ المدينة بخير كثير وقالوا : إنهما صائمان الدهر ملازمان الصلوات فى الروضة الشريفة وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وزيارة البقيع كل يوم بكرة وزيارة قباء كل سبت ، ولا يَرُدَّانِ سائلا قط بحيث سَدَّا خَلَّة أهل المدينة فى هذا العام المجدب ، فقال السلطان : سبحان الله ! ولم يظهر شيئاً مما رآه ، وبقى السلطان يطوف فى البيت بنفسه ، فرفع حَصِيرا فى البيت ، فرأى سردابا محفورا ينتهى إلى صَوْب الحجرة الشريفة ، فارتاعت الناس لذلك ، وقال السلطان عند ذلك : اصْدُقانى حالكما وضَرَبَهُما ضربا شديدا ، فاعترفا بأنهما نصرانيان بَعَثَهُما النصارى فى زىّ حجاج المغاربة ، وأمالوهما بأموال عظيمة ، وأمروهما بالتحيل فى شىء عظيم خَيَّلته لهم أنفسهم ، وتوهموا أن يمكنهم الله منه ، وهو الوصول إلى الجناب الشريف ويفعلوا به ما زَيَّنه لهم إبليسُ فى النقل وما يترتب عليه ، فنزلا فى أقرب رباط إلى الحجرة الشريفة ، وفَعَلاَ ما تقدم ، وصارا يَحْفِرَان ليلا ، ولكل منهما محفظة جلد على زى المغاربة ، والذى يجتمع من التراب يجعله كل منهما فى محفظته ، ويخرجان لإظهار زيارة البقيع ،

فيُلقيانه بين القبور ، وأقاما على ذلك مدة ، فلما قربا من الحجرة الشريفة أرْعَدَتِ السماء وأبرقت ، وحصل رَجِيف عظيم بحيث خيل انقلاع تلك الجبال ، فقدم السلطان صبيحةَ تلك الليلة . واتفق إمساكهما واعترافهما ، فلما اعترفا وظهر حالها على يديه ، ورأى تأهيلَ الله له لذلك دون غيره بكى بكاء شديداً ، وأمر بضرب رقابهما ، فقتلا تحت الشباك الذى يلى الحجرة الشريفة ، وهو مما يلى البقيع ، ثم أمر بإحضار رَصاص عظيم ، وحَفَر خندقا عظيما إلى المـــاء حول الحجرة الشريفة كلها ، وأذِيبَ ذلك الرصاص ، وملأ به الخندق ، فصار حول الحجرة الشريفة سوراً رصاصاً إلى الماء ، ثم عاد إلى مُلْكه ، وأمر بإضعاف النصارى ، وأمر أن لا يستعمل كافر فى عمل من الأعمال ، وأمر مع ذلك بقطع المكوس جميعها ، انتهى

وقد أشار إلى ذلك الجمالُ المطرى باختصار ، ولم يذكر عمل الخندق حول الحجرة وسَبْك الرصاص به ، لكن بَيَّنَ السنة التى وقع فيها ذلك مع مخالفة لبعض ماتقدم ، فقال فى الكلام على سور المدينة المحيط بها اليوم : وصل السلطان نور الدين محمود بن زَنكى بن اقسنقد فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ذكرَها بعضُ الناس وسمعتُها من الفقيه علم الدين يعقوب ابن أبى بكر المحترق أبوه ليلة حريق المسجد عمن حدثه من أكابر مَنْ أدرك أن السلطان محموداً المذكور رأى النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يقول فى كل واحدة : يامحمود أنقذنى من هذين الشخصين الأشقرين تجاهه ، فاستحضر وزيره قبل الصبح فذكر له ذلك ، فقال له : هذا أمر حَدَثَ فى مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ليس له غيرك ، فتجهز وخرج على عجل بمقدار ألف راحلة وما يتبعها من خيل وغير ذلك ، حتى دخل المدينة على غَفْلة من أهلها والوزيرُ معه ، وزار وجلس فى المسجد لايدرى مايصنع ، فقال له الوزير: أتعرف الشخصين إذا رأيتهما ؟ قال: نعم ، فطلب الناسَ عامة للصدقة ، وفرق عليهم ذهباً كثيراً وفضة ، وقال : لايبقيَنَّ أحَدٌ بالمدينة إلا جاء ، فلم يبق إلا رجلان مجاوران من

أهل الأندلس نازلان فى الناحية التى قبلة حُجرة النبى صلى الله عليه وسلم من خارج المسجد عند دار آل عمر بن الخطاب التى تعرف اليوم بدار العشرة ، فطلبهما للصدقة فامتنعا وقالا : نحن على كفاية ما نَقْبَل شيئاً ، فجدّ فى طلبهما ، فجيء بهما ، فلما رآهما قال للوزير : هما هذان ، فسألهما عن حالهما وما جاء بهما ، فقالا : لمجاورة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : اصْدُقانى ، وتكرر السؤال حتى أفضى إلى مُعَاقبتهما فأقرّا أنهما من النصارى ، وأنهما وَصَلا لكى ينقلا مَنْ فى هذه الحجرة الشريفة باتفاق من مُلوكهم ، ووجدهما قد حَفَرا نَقْباً تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلى ، وهما قاصدان إلى جهة الحجرة الشريفة ، ويجعلان الترابَ فى بئر عندهما فى البيت الذى هما فيه ، هكذا حدثنى عمن حدثه ، فضرب أعناقَهما عند الشباك الذى فى شرق حجرة النبى صلى الله عليه وسلم خارج المسجد ، ثم أُحْرِقا بالنار آخر النهار وركب متوجها إلى الشام ، انتهى .

وقد ساق المجدُ هذه الواقعة على الوجه الذى ذكره المطرى فقال : ومن الحوادث فى المسجد الشريف مانقله جماعة من مشايخ المدينة وعلمائها ، وذكر ما تقدم ، وكذلك الزين المراغى ذكر ما تقدم عن المطرى نقلا عنه ، وزاد أن وزير السلطان نور الدين الذى استحضره وذكر له القصة هو الموفق خالد بن محمد ابن نصر الْقَيْسَرَانى الشاعر ، قال : وكان موفقاً ، انتهى .

ومأخذه فى ذلك — كما رأيته فى حاشية بخطه على كتابه — أن الذهبى قال فى ترجمة الموفق هذا : موفق الدين ، أبو البقاء ، صاحب الخط المنسوب ، وكان صَدْراً ، نبيلا ، وافر الحشمة ، وزَرَ للسلطان نور الدين ، توفى بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، انتهى .

وقد خالف الزين فى ذلك ما قدمناه عن شيخه الأسنوى من تسمية الوزير المذكور بجمال الدين الموصلى ، ولا يلزم من كون الموفق وزَر للسلطان نور الدين أن يكون هو الوزير عند وقوع الرؤيا المذكورة ؛ لاحتمال أنه وزَرَ له بعد ذلك

أو قبله ، وجمال الدين الموصلى هذا هو الجواد الأصفهانى،وقد تقدم ذكره فى ترخيم الحجرة ، ووصفه بأنه وزير بنى زَنْـكِى ؛ لأنه كان وزيرَ والد نور الدين الشهيد الذي هو زنكى ثم وزر لولده غازى ، وأدرك دولة نور الدين الشهيد وزمان هذه الواقعة ؛ فالظاهر أنه وزَرَ له، وأنه المراد فى هذه الواقعة .

والعجب أنى لم أقف على هذه القصة فى كلام مَنْ ترجم نورَ الدين الشهيد مع عظمها ، وهى شاهدة لما ذكره الإمام اليافعىّ فى ترجمته من أن بعض العارفين من الشيوخ ذكر أنه كان فى الأولياء معدوداً من الأربعين وصلاح الدين نائبه من الثلاثمائة ، انتهى .

وقال ابن الأثير : طالعتُ تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا ، فلم أر بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز ملكا أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، انتهى .

وقد اتفق بعد الأربعمائة من الهجرة ما يقرب من قصة رؤيا نور الدين الشهيد المتقدمة على ما نقله الزين المراغى عن تاريخ بغـداد لابن النجار ، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن المبارك المقرى ، عن أبى المعالى صالح بن شافع الجلى ، أنبأنا أبوالقاسم عبد الله بن محمد بن محمد المعلم ، ثنا أبو القاسم عبد الحليم بن محمد المغربى أن بعض الزنادقة أشار على الحاكم الْعُبَيْدى صاحب مصر بنقل النبى صلى الله عليـه وسلم وصاحبيه من المدينة إلى مصر ، وزيّنَ له ذلك ، وقال : متى تم لك ذلك شَدَّ الناس رحالَهم من أقطار الأرض إلى مصر ، وكانت مَنْقَبَة لسكانها ، فاجتهد الحاكم فى مدة وَبَنَى بمصر حائزا ، وأنفق عليه مالا جزيلا . قال : و بعث أبا الفتوح لنَبْشِ الموضع الشريف ، فلما وصل إلى المدينة الشريفة وجلس بها حضر جماعة المدنيين وقد عَلِمُوا ماجاء فيه ، وحضر معهم قارىء يعرف بالزلبانى ، فقرأ فى المجلس « وإن نَـكَثُوا أَيْمَانَهُمْ من بعد عَهْدِهِم » إلى قوله « إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » فماج الناس، وكادوا يقتلون أبا الفتوح ومَنْ معه من الجند ، وما منعهم من السرعة إلى ذلك إلا أن البلاد كانت لهم .

ولما رأى أبو الفتوح ذلك قال لهم : الله أحَقُّ أن يُخْشَى ، والله لو كان على من الحاكم فَوَات الروح ما تعرضْتُ للموضع ، وحصل له من ضيق الصدر ما أزعجه كيف نهض فى مثل هذه المخزية ، فما انصرف النهارُ ذلك اليوم حتى أرسل الله ريحاً كادت الأرضُ تزَلزَلُ من قوتها حتى دحرجت الإبل بأقتابها والخيلَ بسروجها كما تدحرج الكُرَة على وجه الأرض ، وهلك أكثرها وخلق من الناس ، فانشرح صدر أبى الفتوح وذهب رَوْعُه من الحاكم لقيام عُذْره من امتناع ما جاء فيه .

قلت : ونقل ابن عذرة فى كتاب «تأسى أهل الإيمان ، فيما جرى على مدينة القيروان » لابن سعدون القيروانى ما لفظه : ثم أرسل الحاكم بأمر الله إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من ينبش قبر النبى ، فدخل الذى أراد نبشه داراً بقرب المسجد وحفر تحت الأرض ليصل إلى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فرأوا أنواراً ، وسمع صائح: إن نبيكم ينبش ، ففتش الناس فوجدوهم وقتلوهم، انتهى.

ومما يناسب ذلك ما ذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة فى فضائل العشرة ، قال : أخبرنى هرون بن الشيخ عمر بن الزعب ـ وهو ثقة صدوق مشهور بالخير والصلاح والعبادة ـ عن أبيه ، وكان من الرجال الكبار ـ قال : كنت مجاوراً بالمدينة وشيخُ خدام النبى صلى الله عليه وسلم إذ ذاك شمسُ الدين صواب اللمطى ، وكان رجلا صالحاً كثير البر بالفقراء والشفقة عليهم ، وكان بينى و بينه أنس ، فقال لى يوماً : أخبرك بعجيبة ، كان لى صاحبٌ يجلس عند الأمير و يأتينى من خبره بما تمسُّ حاجتى إليه، فبينما أنا ذات يوم إذ جاءنى فقال: أمر عظيم حَدَث اليوم ، قلت : وما هو ؟ قال : جاء قوم من أهل حَلَب و بذَلوا للأمير بذْلاً كثيرا ، وسألوه أن يمكنهم من فَتْح الحجرة و إخراج أبى بكر وعمر رضى الله عنهما منها ، فأجابهم إلى ذلك ، قال صواب : فاهتممت لذلك هما عظيما ، فلم أنشب أن جاء رسولُ الأمير يدعونى إليه ، فأجبته ، فقال لى : يا صواب يَدُقُّ عليك الليلة أقوام المسجد ، فافتح لهم ، ومكنهم مما أرادوا ولا تعارضهم ، ولا تعترض

عليهم ، قال : فقلت له : سَمْعاً وطاعَةً ، قال : وخرجت ولم أزل يومى أجْمَعَ خلْفَ الحجرة أبكى لا ترقأ لى دمعة ولا يشعر أحد ما بى ، حتى إذا كان الليل وصلّينا العشاء الآخرةَ وخرج الناس من المسجد وغلقنا الأبواب فلم نَنْشَبْ أن دُقّ الباب الذى حذاء باب الأمير ، أى باب السلام ، فإن الأمير كان سكنه حينئذ بالحصن العتيق .

قال : ففتحت الباب ، فدخل أربعون رجــلا أعدُّهم واحداً بعد واحد ، ومعهم المسَاحِى والمَـكَاتل والشموع وآلات الهدم والحفر . قال : وقصدوا الحجرة الشريفة ، فوالله ما وصلوا المنبر حتى ابتلعتهم الأرض جميعَهم بجميع ما كان معهم من الآلات ، ولم يبق لهم أثر . قال : فاستبطأ الأميرُ خبرَهم ، فدعانى ، وقال : يا صواب ألم يأتِكَ القوم ؟ قلت : بلى ، ولـكن اتفق لهم ما هو كيت وكيت ، قال : انظر ماتقول ، قلت : هو ذلك ، وقم فانظر هل ترى منهم باقية أو لَهُمْ أثرا، فقال : هذا موضع هذا الحديث ، وإن ظهر منك كان يقطع رأسك ، ثم خرجت عنه، قال المحبُّ الطبرى : فلما وعيت هذه الحـكاية عن هرون حكيتها لجماعة من الأصحاب فيهم مَنْ أثق بحديثه فقال : وأنا كنت حاضراً فى بعض الأيام عند الشيخ أبى عبد الله القرطبى بالمدينة والشيخ شمس الدين صـواب يحكى له هذه الحـكاية سمعتها بأذنى من فيه ، انتهى ما ذكره الطبرى .

قلت : وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن أبى عبد الله بن أبى محمد المرجانى هذه الواقعة باختصــار فى تاريخ المدينة له ، وقال : سمعتها من والدى ، يعنى الإمام الجليل أبا عبد الله المرجانى ، قال : وقال لى : سمعتها من والدى أبى محمد المرجانى سمعها من خادم الحجرة ، قال أبو عبد الله المرجانى : ثم سمعتها أنا من خادم الحجرة الشريفة ، وذكر نحو ما تقدم، إلا أنه قال : فدخل خمسة عشر — أو قال عشرون — رجلاً بالمَسَاحِى والـقِفَاف ، فما مَشَوْا غير خُطْوة أو خطوتين وابتلعتهم الأرض ولم يُسَم الخادم ، والله أعلم .

الفصـــل الثلاثون

فى تحصيب المسجد الشريف

وذكر البُزَاق فيه ،وتخليقه، وإجماره ، وذكر شىء من أحكامه

أوله تحصيب المسجد النبوى

روى أبو داود فى سُنَنه عن أبى الوليد قال:سألت ابن عمر عن الحَصْبَاء الذى فى المسجد ، فقال : مُطِرْنَا ذاتَ ليلة ، فأصبحت الأرضُ مُبْتَلة ، فجعل الرجلُ يأتى بالحَصْبَاء فى ثوبه ويَبْسُطه تحته ، فلما قَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصلاةَ قال : ما أحْسَنَ هذا ؟ وهو صريح فى جعل الحَصْبَاء فى المسجد فى زمنه صلى الله عليه وسلم .

ويؤيده ما رواه أصحابُ السنن من حديث أبى ذر : إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه ، فلا يمسح الحصباء ، وكذا ما رواه أحمد من حديث حذيفة قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل شىء حتى عن مَسْح الحصى، فقال : واحدة أودَعْ ، وكذا مارواه أبو داود بإسناد جيدعن أبىهريرة ، قال أبو بدر : أراه رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : إن الحصاة تُنَاشِدُ الذى يخرجها من المسجد ، لكن قد سئل الدارقطنى عن هذا الحديث فذكر أنه رُوِى موقوفاً على أبى هريرة، وقال : رَفْعه وَهَم من أبى بدر.

وروى يحيى عن بعض السلف أنه كان إذا خرج بالحصاة من المسجد فىثوبه أو نعله أمر بردِّها إلى المسجد .

وروى ابن شبة عن سليمان بن يسار قال : الحصاة إذا أُخْرِجَتْ من المسجد تصيحُ حتى ترد إلى موضعها .

وذكر البرهان ابن فَرْحُون أن مالكاً سئل عن الرجل يخرج من المسجد فيجد شيئاً من حصى المسجد قد تعلَّق بوجهه ، أيلزمه ردُّه إلى المسجد ؟ فقال : لا يلزمه ذلك ، وأرْخَصَ له فى طَرْحه ، فقال السائل : يا أبا عبد الله إنهم يقولون

إذا أُخْرِجَتِ الحصاة من المسجد تصيح حتى ترد إلى المسجد ، فقال له مالكٌ : دعها تصيح حتى ينشق حلقها ، فقال : أوَلها حَلْق ؟ قال : فمن أين تصيح ؟

وروى ابن شبة عن ابن عباس أنه قال لنفيع فى الحصاة : رُدَّها و إلا خاصَمَتْك يوم القيامة .

وحكى الأقشهرى عن شيخ الخدام ظهير الدين بن عبد الله الأشرفى قال : أتانى عامَ خمسةَ عَشَر وسبعمائة رجُلٌ من الشام فى موسم الحاج وقال : كنت حَجَجْتُ عامَ أولَ وحملت شيئاً من تراب المسجد وحَصْبائه ، فلم أزل أراه فى المنام يقول لى : رُدَّنِى إلى موضعى ، عَذَّبْتَنِى عذبك الله ، فها أنا أتيت به ، قال : فأخرج صُرَّةً فيها ما ذكره ، فصببناها فى المسجد ، انتهى .

والذى يقتضيه كلام المؤرخين أن تحصيب المسجد إنما حدث فى زمان عمر ابن الخطاب ؛ فقد روى يحيى عن عبد الحميد بن عبد الرحمن الأزهرى قال : قال عمر بن الخطاب حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نَدْرِى ما نفرش فى مسجدنا ، فقيل له : افرش الخصف والحصر ، قال : هذا الوادى المبارك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «العَقِيقُ وادٍ مبارك» قال: فحصبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وروى ابن زبالة عن عبيد الله بن عمر قال : قدِم سفيان بن عبد الله الثقفى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومسجدُ النبى صلى الله عليه وسلم غير محصوب، فقال: أما لكم وادٍ ؟ فقال عمر : بلى ، قال : فاحْصِبُوه منه ، فقال عمر : احصبوه من هذا الوادى المبارك ، يعنى العقيق .

قال المطرى : رمل المسجد الشريف ــ أى الذى يحصب به ــ يحمل من وادى العقيق ، من العرصة التى تسيل من الجماء الشمالية إلى الوادى، وليس بالوادى رمل أحمر غير ما يسيل من الجماء ، وهو رمل أحمر يُغَرْبَلُ ثم يفرش فى المسجد ، انتهى .

وروى ابن زبالة من طريق الضحاك عن بشر بن سعيد أو سليمان بن يسار ـ شَكَّ الضحاك ـ أنه حَدَّث أن المسجد كان يرش فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وزمان أبى بكر وعامة زمان عمر ، وكان الناس يتنخَّمون فيه ويَبْصُقون حتى عاد زَلَقًا ، حتى قدم ابن مسعود الثقفى ، فقال لعمر : أليس قربكم وادٍ ؟ قال : بلى ، قال : فمر بحصباء تطرح فيه فهو أكَفُّ للمخاط والنخامة ، فأمر عمر بها ، وهذه الرواية مع ضعفها قد اشتملت على أنهم كانوا يبصقون فى المسجد .

حكم البزاق فى المسجد

وفى الصحيحين عن أنس مرفوعا « البُزَاقُ فى المسجد خطيئة ، وكفارتها دفنها» . وقد رواه ابن زبالة ، وروى أيضاً عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم رَأى نُخَامة فى المسجد فقال : « مَنْ فعل هذا جاء يوم القيامة وهى فى وجهه » .

وعن عبد الله بن قسيط مرفوعا « لا يبصق فى مسجدى هذا » .

وحديث ابن عمر رواه البزار وابن خزيمة فى صحيحه ، وروى أحمد عن أبى أمامة أنه صلى الله عليه وسلم قال «البُصَاق فى المسجد سيئة ، ودفنه حسنة» . ورواه ابن شبة بمعناه .

وروى أيضاً عن أبى هريرة قال «إن المسجد لينزوى من النخامة كما ينزوى الجلد من النار » ولهذا جزم النووى فى التحقيق وشرح المهذب بتحريمه . ووقع فى عبارة بعض أصحابنا التعبيرُ بالكراهة ، وحَمَلها بعضهم على كراهة التحريم ، وقال بعض العلماء : إنما يكون البُزَاق فى المسجد خطيئة لمن لم يدفنه لأنه يقذر المسجد و يتأذى به .

قال القرطبى : و يدل على صحة هذا التأو يل حديث أبى ذر الذى رواه مسلم وغيره « ووجدت فى مساوى أعمالها ـ أى الأمة ـ النخامة تكون فى المسجد لا تدفن » فلم يثبت لها حكم السيئة بمجرد إيقاعها فى المسجد ، بل بذلك و ببقائها غير مدفونة .

قلت : الرواية الأولى بينت أن الفعل خطيئة ، وأن الدفن يكفرها كما يكفر

الجَلْدَ معصية الزنى ، فلتحمل الرواية الأخرى عليها ؛ لأن الإخبار فيها عما استقر عليه الأمر ، لكن روى ابن شبة من طريق الفرج بن فضالة عن أبى سعيد قال : رأيت واثلة بن الأسقع دخل مسجدَ دمشق فصلى فيه ، فبزَقَ تحت رجله اليسرى ثم عرَكها ، فلما انصرفت قلت له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبْزُقُ فى المسجد؟ فقال: هكذا رأيت النبى صلى الله عليه وسلم صَنَع.

ورواه أبو داود من الطريق المذكورة بنحوه ، وفرج بن فضالة ضَعَّفه الدارقطنى وغيره ، وقواه أحمد ، واقتصر الحافظ ابن حجر فى التقريب على تضعيفه .

وروى ابن شبة أيضاً بإسناد فيه ضعف عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ دخل مسجدى هذا فبزَقَ أو تنخّم فليَحْفِرْ فليبعد وليدفنه ، فإن لم يفعل فليبزق فى ثوبه حتى يخرج به » وهذا لو صح كان حجة لهذا المذهب .

فإن قيل : يعضده حديث البخارى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم « رأى نُخَامة فى القبلة ، فشق ذلك عليه حتى رؤى فى وجهه ، فقام فحكَّه بيده ، فقال : إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يُناجى ربه ، أو إن ربه بينه و بين القبلة ، فلا يبزقن أحدكم قِبَلَ قبلته ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه ، ثم أخذ طرف ردائه فبَصَق فيه ثم رد بعضه على بعض ، فقال : أو يفعل هكذا » وكذا ما رواه ابن شبة بإسناد جيد عن أبى نضرة أن النبى صلى الله عليه وسلم « رأى نخامة فى قبلة المسجد ، فغضب غضبا شديدا حتى كاد يدعو على صاحبها ، ثم قال : لا يَبزُقْ أحدُكم فى قبلته ؛ فإن ربه مستقبله ، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكا ، ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى ، فإن كان على يساره أحد فليبزق فى ثوبه » وفى رواية « فإن كان عن يساره أحد يكره أن يبزق نحوه فليبزق فى ثوبه ، و بزق النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوبه وحَكَّ بعضَه ببعض » فاقتضى ذلك جواز البصاق فى المسجد فيما عدا القبلة واليمين حالة الصلاة ، وهو مقيد بالدفن لما سبق .

قلنا : مَسَاق الحديث لبيان أدب المصلى فى كيفية البصق ، من غير تعرض لكونه فى مسجد ، والبصاق فى المسجد قد بينه منطوق الحديث السابق ؛ فلا يُتْرَكُ بهذا ، وأفاد القفال فى فتاويه ــ وقد ذكر حديث النخامة فى المسجد ــ فائدةً حسنة فقال : هذا الخبر محمول على ما إذا نزلت النخامة من الرأس ، أما إذا كانت من الصدر فهى نجسة ؛ فلا يجوز دفنها فى المسجد » .

وروى أبو داود من حديث ابن عمر قال : بينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوما إذ رأى نخامة فى قبلة المسجد ، فتغيظ على الناس ، ثم حَكَّها ، وأحسبه قال : فدعا بزعفران فلطّخه به ، وقال : إن الله قِبَلَ وجه أحدكم فلا يبزقن بين يديه .

وروى ابن شبة عن شيخه خلاد بن يزيد بن عبد العزيز بن أبى رواد عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى صلاةً ذاتَ يوم ، فرأى فى قبلة المسجد نخامة ، فلما قضى صلاته أخذ عوداً فحكها ، ثم دعا بخلوق فَخَلَّقَ مكانها ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس إذا صلى أحدكم فلا يَتْفُلْ أمامه ولا عن يمينه ؛ فإنه يستقبل الرب عز وجل بوجهه .

مبدأ تخليق المسجد

وروى ابن شبة أيضاً بسند جيد إلى أبى الوليد قال : قلت لابن عمر : ما بَدْءُ الزعفران ــ يعنى فى المسجد ــ فقال : رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نخَامة فى المسجد ، فقال : ما أقبح هذا ! مَنْ فعل هــذا ؟ فجاء صاحبُها فحكها وطَلَاهَا بزعفران ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أحسن من ذلك .

ورواه يحيى بلفظ : قلت لابن عمر : يا أبا عبد الرحمن ألاتخبرنى ما كان بَدْءُ هذه الصفرة التى فى قبلة المسجد ؟ قال : نعم ، صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انصرف رأى نخَامة فى القبلة ، وذكره ، وقال : فسارَعَ الناسُ إليه ، فكان هذا بدأه .

وروى النسائى وابن ماجه عن أنس قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم

نخَامة فى قبلة المسجد ، فغضب حتى احمرّ وجهه ، فقامت امرأة من الأنصار فحكّتْها ، فجعلت مكانها خَلوقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحْسَنَ هذا !.

وروى ابن شبة أيضاً بسندٍ جيد عن أبى نضرة أن ذلك الذى بَزَقَ فى قبلته جاء بشىء من زَعْفَران فطَلَى ذلك المكان ، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أيضاً بسند لا بأس به قال : أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حائط المسجد بُزَاقا ، فحكّه على خرقة ، وأخرجه من المسجد ، فجعل مكانه شيئاً من طيب أو زعفران أو وَرْسٍ .

وعن إبراهيم بن قُدَامة عن أبيه أن عثمان بن مَظْعون تَفَل فى القبلة ، فأصبح مكتئبا ، فقالت له امرأته : مالى أراك مكتئبا ؟ قال : لا شىء إلا أنى تَفَلْت فى القبلة وأنا أصلى ، فعمدت إلى القبلة فغسلتها ثم عملت خَلوقا فخلّقتها ، فكانت أول من خَلّق القبلة .

وروى أيضاً برجال ثقات عن جابر عن عبد قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدنا هذا وفى يده عُرْجُون ابن طاب ، فرأى فى قبلة مسجدنا نخَامة فحكّها بالعُرْجون ، ثم أقبل علينا فقال : أيكم يحب أن يُعرِض الله عنه ؟ قلنا : لا أينا يا رسول الله ، قال : فإن أحدكم إذا قام يصلى فإن الله قِبَلَ وجهه فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه ، وليبصق قبل يساره تحت رجله اليسرى ، فإن عجلت به بادرة فليقل هكذا بثوبه ، ثم طَوَى بعضَه على بعض ، أرونى عَبيراً ، فقام فَتًى من الحى يشتدّ إلى أهله فجاء بِخَلوق فى راحته ، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة ، قال جابر رضى الله عنه : فمن هنالك جعلتم الخلوق فى مساجدكم .

وقد رواه أبو داود بنحوه . وجابر هو من بنى حَرَام بطنٍ مَن بنى سَلِمَة ،

ومسجدهم كان بمنازلهم التي في غربي بُطْحان ومساجد الفتح ، وليس هو مسجد القبلتين كما وقع للمطري وجماعة حتى جعلوا أمر الخلوق له لما سنبينه .

وسيأتي ما رواه ابن زبالة من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في مسجد بني حَرَام بالقاع ، وأنه رأى في قبلته نخامه ، وكان لا يفارقه عرجون ابن طاب يتخصَّر به ، وذكر الحديث الآتي ، وفيه « فكان أول مسجد خُلِّق » .

وروى أبو داود وابن حِبَّان في صحيحه عن أبي سهلة السائب بن خلاد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا أمَّ قوما فبَصَق في القبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ : لا يُصَلّي لكم ، فأراد بعد ذلك أن يصلي لهم فمنعوه وأخبروه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : نعم ، وحسبت أنه قال : إنك آذَيْتَ الله ورسوله .

وفي رواية أوردها المجد أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى النخامة في المحراب قال : مَنْ إمام هذا المسجد ؟ قالوا : فلان ، قال : قد عزَلْته ، فقالت امرأته : لِمَ عزلكَ النبي صلى الله عليه وسلم من الإمامة ؟ فقال : رأى نخامة في المحراب ، فعمدَتْ إلى خَلوق طيب فخلقت به المحراب ، فاجتاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مَنْ فعل هذا ؟ فقالوا : امرأة الإمام ، قال : وهَبْتُ ذنبه لامرأته ورددته إلى إمامته .

قلت : واختلاف هذه الروايات صريح في أنها وقائع متعددة ؛ فلا تعارض فيها ، نعم هي متضمنة للرد على ما رواه ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : كان أول مَنْ خلّق المسجد ورَزَقَ المؤذنين عثمان رضى الله عنه ، وتقدم في الفصل الرابع من رواية يحيى عن جابر بنحوه ، إلا أن يحمل على أن المراد أنه اتخذ له الخلوق من بيت المال .

ونقل ابن زبالة عن ابن عَجْلان أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامِلِه

على المدينة أن لايخلق إلا القبلة ، وأن يغسل الأساطين ، قال : فلم تكن الأساطين تخلّق فى سلطانه .

وقدمت الخيزُرَانُ أم موسى فى سنة سبعين ومائة ، فأمرت بالمسجد فخلّق ووَلِىَ ذلك مِن تخليقه مؤنسة جاريتها ، فقام إليها إبراهيم بن الفضل بن عبد الله مولى هشام بن إسماعيل فقال : هل لكم أن تسبقوا مَنْ بعدكم وأن تفعلوا مالم يفعل من كان قبلكم ؟ قالت له مؤنسة : وما ذلك ؟ قال : تخلقون القبر كله ، ففعلوا ، وإنما كان يخلق منه ثلثاه أو أقل ، وأشار عليهم فزادوا فى خَلُوق أسطوان التوبة والأسطوان التى هى علم عند مصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فخلقوهما حتى بلغوا بهما أسفلهما ، وزادوا فى الخَلُوق فى أعلاهما .

تخليق القبر

وروى بعضهم عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى) الآية ، قال : طهرا بيتى نظفاه وبخراه وخلقاه .

تجمير المساجد

وروى يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن على بن حسن بن حسن بن حسن — وكان من خيار الناس — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإجمار المسجد ، قال : ولا أعلمه إلا قال : يوم الجمعة .

وروى ابن ماجه عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : جنّبُوا مساجدَكم صبيانَكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسلّ سيوفكم ، واتخذوا على أبوابها المطاهر ، وجَمِّروها فى الجمع .

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خُزَيمة فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد فى الدور ، وأن تنظف وتطيب .

وروى يحيى من طريق محمد بن يحيى عن محمد بن إسماعيل عن أبيه أنه قدم

على عمر بن الخطاب بسَفَط من عُودٍ ، فلم يسع الناس ، فقال عمر : أجمروا به المسجد لينتفع به المسلمون ، فبقيت سُـــنّة فى الخلفاء إلى اليوم ، يؤتى كل عام بسَفَط من عود يجمر به المسجد ليلة الجمعة و يوم الجمعة عند المنبر من خلفه إذا كان الإمام يخطب .

وعن ســعد القرَظ قال : قدم على عمر بعود ، فقسمه بين المهاجرين ، ثم قسم للمسجد حظا ، فكان يجمره فى الجمع ، فجرى ذلك إلى اليوم ، وولاه سعد القرظ ؛ فكان الذى يجمر .

وقد تقدم من رواية يحيى أيضاً فى الكلام على حكم قناديل الحجرة أن عمر أتى بمِجْمَرَة من فضة ، وأنه دفعها إلى سعد جد المؤذنين وقال : أجمر بهـا فى الجمعة وشهر رمضان ، وكان سعد يجمر بها فى الجمعة ، وكانت توضع بين يدى عمر ابن الخطاب .

وروى ابن زبالة عن نعيم المجمر عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له : تُحْسِن تطوف على الناس بالمجمرة تجمرهم ؟ فقال : نعم ، فكان عمر يجمرهم يوم الجمعة .

وفى مسند أبى يَعْلَىٰ الموصلى عن ابن عمر أن عمر كان يجمِّرُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كل جمعة .

فرش المسجد

قال أصحابنا : و يستحب فرش المسجد ، وقد ترجم البخارى للصـلاة على الخمرة ، وروى عن مَيْمُونة أنها كانت تصلى عليها ، وقال ابن زيد : الخمرة هى السجادة ، وقال الطبرى : هى مُصَلًّى صغير ينسج من سعف النخل و يرسل بالخيوط ، وقال البخارى فى صحيحه : وصلى أنس على فراشه ، وقال : كنا نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فيسجد أحدنا على ثوبه ، وقال يحيى : حدثنا أبو مُصْعَب قال : حدثنا مالك عن عمه أبى إسماعيل بن مالك عن أبيه أن طِنْفِسَة لعقيل بن أبى طالب كانت تُطْرَح يوم الجمعة إلى جـدار المسجد الغربى ، فإذا غشى الطنفسة

كلما ظل الجدار خرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : ثم يرجع بعد صلاة الجمعة فقيّلَ قائلة الضحى ، ورواه ابن زبالة أيضاً ، وروى يحيى عن عطاء بن أبى رَبَاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تفقّدُوا نعالكم عند أبواب مساجدكم . وعن موسى بن يعقوب أن النبى صلى الله عليه وسلم اتبع غبار المسجد بجريدة . ورواه ابن أبى شيبة عن يعقوب بن زيد ، ولفظه : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتبع غبار المسجد بجريدة .

وقد ذكرنا فى آخر الكلام على فضل المسجد شيئاً مما جاء فى النهى عن قِرْبَان المسجد لمن أكل الثوم أو البصل ، وذكرنا فى زيادة عمر رضى الله عنه فى الكلام على البُطَيْحاء ماجاء فى النهى عن رفع الصوت فيه ، وما يتعلق بإنشاد الشعر فيه ، وذكرنا فى زيادة الوليد ما يتعلق بالصلاة على الجنائز فيه ، وروى ابن شبة عن شيبة بن قصاح مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأى أحدكم القملة فى ثوبه وهو فى المسجد فليحفر لها فليدفنها ، وليبصق عليها ، فإن ذلك كفارتها . ورواه ابن زَبالة ثم روى عن محمد بن المنكدر قال : أخبرنى مَنْ رأى أبا هريرة يَدْفِن قملة فى المسجد ، وروى يحيى عن يوسف بن ماهك قال : رأيت عبيد بن عمير أخذ من ثوب ابن عمر قملة فدفنها فى المسجد ، وعن أبى بكر بن المنكدر قال : رأيت عمى محمد بن المنكدر يأخذ القملة وهو فى المسجد فيقتلها فى المسجد فيبزق عليها ، وعن جعفر بن محمد قال : لابأس بأن يدفن القملة فى المسجد .

قلت : وهذه الأشياء لاتقوم الحجة بها . وقد روى أحمد فى مسنده عن أيوب قال : وجد رجل فى ثوبه قملة فأخذها ليطرحها فى المسجد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تَفْعَلْ رُدَّهَا فى ثوبك حتى تخرج من المسجد » وروى ابن شبة بسند جيد عن يحيى بن أبى كثير اليمانى عن الحضرمى أن النبى صلى الله

عليه وسلم قال : إذا أبصر أحدُكم القملة وهو يصلى فى المسجد فليصرها فى ثوبه ولا يقتلها فى المسجد . وروى يحيى عن ابن عمر قال : إذا وجَدَ أحدُكم القملة فى ثوبه وهو فى المسجد فليجعلها فى ثوبه حتى يخرج بها . قال النووى : فإن قَتَلها لم يجز إلقاؤها فى المسجد ؛ لأنها ميتة ، وكره مالك قتلها فى المسجد ، ونقل ابن العماد عن كتب المالكية أنه يحرم طرح القمل حيا ، بخلاف البرغوث ؛ لأن البرغوث يعيش بأكل التراب، بخلاف القمل ففى طرحه تعذيبه بالجوع ، انتهى .

وقد جاءت أحاديث فى النهى عن البيع والشراء و إنشاد الضالة فى المسجد ، وروى ابن أبى عدى الحافظ من حديث على بن أبى طالب قال : صليت العصر مع عثمان أمير المؤمنين ، فرأى خياطاً فى ناحية المسجد ، فأمر بإخراجه ، فقيل له : يا أمير المؤمنين إنه يكنس المسجد ، و يغلق الأبواب ، و يرش أحياناً ، فقال عثمان : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جنبوا صناعكم من مساجدكم .

قلت : ومن المنكرات فى زماننا ما يتساهل فيه المتكلمون فى أمر العمارة من استعمال النشارين والنجارين والحجارين بالمسجد النبوى للعمل فى آلاته واكتساب أولئك العمال بذلك ، مع ما يتولد من ذلك من الدق العنيف وتشعيث المسجد بما ينتشر من النشارة والنجارة وغير ذلك ، مع إمكان عمل ذلك خارج المسجد الشريف والإتيان به مُهَيأ . وقد قدمنا أن عائشة رضى الله عنها كانت تسمع الوتد أو المسمار يُضْرَب فى بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل إليهم : لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن عليا ما صنع مصراعى داره إلا بالمناصع تَوَقِّيا لذلك ، وفى خبر رواه المقدسى فى « مثير الغرام » عن كعب الأحبار أن سليمان عليه السلام قال للعفريت الذى أحضره لقطع الرخام لعمارة بيت المقدس : هل عندك من حيلة أقطع بها الصخر ؟ فإنى أكره صوت الحديد فى مسجدنا هذا ، والذى أمرنا الله به من ذلك هو الوقار والسكينة ، فقال : ابتغ لى وَكْرَ عقاب فإنى

لا أعلم فى السماء طيراً أشد منـه ولا أكثر حيلة ، فوجدوا وكر عقاب ، فغطى عليه ترساً غليظاً من حديد ، فجاءه العقاب فلم يقدر عليه ، فحلق فى السماء متطلعا فلبث يومَه وليلتَه ثم أقبل ومعه قطعة من السامور ، فتفرقت له الشياطين حتى أخذوه منه ، فأتوا به سليمان عليه السلام ، فكان يقطع به الصخر ، انتهى.

وكذلك إدخالهم البغال والحمير الحاملة لتلك الآلات مع إمكان حَمْل الرجال لها من باب المسجد ، والله الموفق

وإذا سمع شخص مَنْ ينشد ضالة فى المسجد فليقل له : أيها الناشد غـيرك الواجد ، وما أشبهه مما ورد ، إلا أن يسأل الإنسانُ جلساءه فليس بذلك بأس ، ولا يبلغ بذلك الصوت كما نقله ابن زبالة عن مالك ، ومن باع فيـه قيل له : لا أربَحَ الله تجارته ، كما ورد مرفوعا . قال الزين المراغى : والقياسُ أن يقـال للسائل فيه : لا فتَحَ الله عليه ، كما قاله بعض شيوخنا . وفى العُتْبية أن مالكا كره المَرَاوح فى المسجد ، ويجوز النوم فيه من غير كراهة عندنا ، وكرهه بعضهم لغير الغريب الذى لا مَوْضِع له غيره ، وروى فى ذلك أحاديث .

وأسند أحمد بن يحيى البلاذرى عن أبى سعيد مولى أبى أسيد قال : كان عمر بن الخطاب يَعُسُّ فى المسجد بعد العشاء ، فلا يرى أحداً إلا أخرجه إلا رجلا قائما يصلى ، فمر بنفر من أصحاب النبى صلى الله عليـه وسلم فيهم أبىّ بن كعب فقال : مَنْ هؤلاء ؟ فقال أبى : نفر من أهلك يا أمير المؤمنين ، قال : ما خلَّفـكم بعد الصلاة؟ قالوا : جلَسْنَانذكر الله ، فجلس معهم، ثم قال لأدناهم : خذ فى الدعاء فدعا ، فاستقرأهم رجلا رجلا حتى انتهى إلىّ وأنا بجنبه ، فقال : هاتِ ، فحُصِرْتُ وأخذنى الحجل ، فقال : قل ولو أنْ تقول : اللهم اغفرلنا ، اللهم ارحمنا، ثم أخذ عمر فى الدعاء ، فما كان أحد أكثر دمعة ولا أشد بكاء منه ، ثم قال : تفرقوا الآن ، انتهى .

الحدث في المسجد

ولا يحرم إخراج الريح من الدبر في المسجد ، لكن الأولى اجتنابه ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم « فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوآدم » قال الزركشي : وقال بعض المتكلمين على الحديث من القدماء : الحدَثُ في المسجد خطيئة يُحْرَمُ بها المحدث استغفار الملائكة ودعاءهم المرجو بركته .

وروى ابن عدى في الكامل من طريق حمزة بن أبي حمزة الضبي عن أبي الزبير عن جابر قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يمر باللحم في المسجد، قال ابن عدى : وهذا منكر بهذا الإسناد ، لا يرويه عن أبي الزبير غير حمزة ، وحمزة يضع الحديث .

قلت : وقد روى ابن شبة نحوه ، غير أنه منقطع الإسناد ، ويغنى عنه ما ورد من النهى عن اتخاذ المسجد طريقاً ، والله أعلم .

القراءة في المصحف بالمسجد

وقال مالك : لم تكن القراءة في المصحف بالمسجد من أمر الناس القديم ، وأول مَنْ أحدثه الحجاجُ بن يوسف . وقال أيضاً : أكره أن يقرأ في المصحف في المسجد ، وأرى أن يقاموا من المساجد إذا اجتمعوا للقراءة .

قلت : الذى عليه السلف والخلف استحباب ذلك ، وفي الصحيح « إنما بنيت — يعني المساجد — لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن » وهو عام في المصاحف وغيرها ، وقد روى ابن شبة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : إن أول من جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، ثم وضعه في المسجد، فأمر به يقرأ كل غداة . وعن محرز بن ثابت مولى سلمة بن عبد الملك عن أبيه قال : كنت في حَرَس الحجاج بن يوسف ، فكتب الحجاج المصاحف ، ثم بعث بها إلى الأمصار ، وبَعَث بمصحف إلى المدينة ، فكره ذلك آلُ عثمان ، فقيل لهم : أخرجوا مصحف عثمان يقرأ ، فقالوا : أصيب المصحف يوم مقتل عثمان . قال محرز : وبلغني أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان ، قال : فلما استخلف المهدىُّ بعَثَ بمصحف إلى المدينة ؛ فهو الذى يقرأ فيه اليوم ،

وعزل مصحف الحجاج فهو فى الصندوق الذى دون المنبر ، انتهى .

بعث المصاحف إلى المساجد

وقال ابن زبالة : حدثنى مالك بن أنس قال : أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف ، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير ، وهو أول مَن أرسل بالمصاحف إلى القرى ، وكان هذا المصحف فى صندوق عن يمين الأسطوانة التى عملت علماً لمقام النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يفتح فى يوم الجمعة والخميس، ويقرأ فيه إذا صليت الصبح، فبعث المهدى بمصاحف لها أثمان فجعلت فى صندوق ونحى عنها مصحف الحجاج ، فوضعت عن يسار السارية ، ووضعت منابر لها كانت تقرأ عليها ، وحمل مصحف الحجاج فى صندوقه فجعل عند الأسطوانة التى عن يمين المنبر ، انتهى .

قلت ولا ذكر لهذا المصحف الموجوداليوم بالقبة التى بوسط المسجدالمنسوب لعثمان رضى الله تعالى عنه فى كلام أحد من متقدمى المؤرخين ، بل فيما قدمناه ما يقتضى أنه لم يكن بالمسجد حينئذٍ ، بل ولا ذكر له فى كلام ابن النجار ، وهو أول من أرَّخَ من المتأخرين ، وقد ترجم لذكر المصاحف التى كانت فىالمسجد ، ثم ذكر ما قدمناه عن ابن زَبَالة ثم قال : وأكثر ذلك دَثَرَ على طول الزمان ، وتفرقت أوراقه ، قال : وهو مجموع فى يومنا هذا فى جِلاَلٍ فى المقصورة أى المحترقة إلى جانب باب مروان . ثم ذكر أن بالمسجد عدةمصاحف بخطوط مِلاَحٍ موقوفة مخزونة فى خزائن ساج بين يدى المقصورة خلف مقام النبى صلى الله عليه وسلم . قال : وهناك كرسى كبير فيه مصحف مُقْفَل عليه نفذ به من مصر ، وهو عند الأسطوانة التى فى صف مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، وإلى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأ الناس فيهما ، وليس فىالمسجد ظاهر سواهما ، انتهى . ولم أر نسبة المصحف الموجود اليوم لعثمان رضى الله عنه إلا فى كلام المطرى ومَنْ بعده عند ذكر سلامة القبة التى بوسط المسجد من الحريق كما قدمناه . نعم ذكر ابن جُبَير فى رحلته ما حاصله أن أمام مقام النبى صلى الله عليه وسلم ــ وقد عبر عنه بالروضة

الصغيرة ـ صندوقاً ، وأن بين المقام و بين الحجرة ـ أى بجانب المقام من جهة المشرق ـ محمل كبير عليه مصحف كبير فى غشاء مقفل عليه هو أحد المصاحف الأربعة التى وَجّه بها عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى البلاد ، انتهى .

وهذا المصحف الذى أشار إليه ينطبق فى الوصف على المصحف الذى ذكر ابن النجار أنه نفذ به من مصر ، ولم يصفه بما ذكره ابن جبير من نسبته لعثمان ، مع أن ابن جُبَير مُصَرِّح بأنه من المصاحف التى بعث بها عثمان إلى الآفاق ، لا أنه الذى قتل وهو فى حجره ، وقد قال ابن قتيبة : كان مصحف عثمان الذى قتل وهو فى حجره عند ابنه خالد ، ثم صار مع أولاده وقد دَرَجُوا . قال : وقال لى بعض مشايخ أهل الشام : إنه بأرض طُوسَ ، انتهى .

وقال الشاطبى ما حاصله : إن مالكا رحمه الله قال : إنما يكتب المصحف على الكتابة الأولى ، لا على ما استَحْدَثه الناس . قال : وقال : إن مصحف عثمان رضى الله عنه تغيَّبَ فلم نجد له خبراً بين الأشياخ . وقال أبو عبيد القاسمُ ابن سلام فى كتابه فى القراآت : رأيتُ المصحفَ الذى يقال له الإمام مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، استُخْرِج لى من بعض خزائن الأمراء ، وهو المصحف الذى كان فى حجره حين أصيب ، ورأيت آثار دمه فى مواضع منه . ورده أبو جعفر النحاس بما تقدم من كلام مالك. قال الشاطبى : وأباه المُنصِفُون لأنه ليس فى قول مالك « تَغَيَّب » ما يدل على عدم المصحف بالكلية بحيث لا يوجد ؛ لأن ما تغيب يرجى ظهوره .

قلت : فيحتمل أنه بعد ظهوره نقل إلى المدينة ، وجعل بالمسجد النبوى . لكن يُوهِن هذا الاحتمال أن بالقاهرة مصحفاً عليه أثر الدم عند قوله تعالى : (فسيكفيكهم الله ـ الآية) كما هو بالمصحف الشريف الموجود اليوم بالمدينة ، ويذكرون أنه المصحفُ العثمانى ، وكذلك بمكة ، والمصحف الإمام الذى قتل عثمان رضى الله عنه وهو بين يديه لم يكن إلا واحد ، والذى يظهر أن بعضهم

وضع خَلُوقاً على تلك الآية تشبيهاً بالمصحف الإمام ، ولعل هذه المصاحف التي قدمنا ذكرها مما بعث به عثمان رضى الله عنه إلى الآفاق ، كما هو مقتضى كلام ابن جبير فى المصحف الموجود بالمدينة ، وفى الصحيح من حديث أنس فى قصة كتابة عثمان رضى الله عنه للقرآن من الصحف التى كانت عند حَفْصة « وأنه أمر بذلك زيدَ ابن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف ، وأنه أرسل إلى كل أفقٍ بمصحف كما نسخوا» .

مصاحف عثمان التى أرسلها إلى الآفاق

واختلف فى عدة المصاحف التى أرسل بها عثمان إلى الآفاق ؛ فالمشهور كما قال الحافظ ابن حجر أنها خمسة . وأخرج ابن أبى داود فى كتاب المصاحف من طريق حمزة الزيات قال : أرسل عثمان أربعة مصاحف ، و بعث منها إلى الكوفة بمصحف ، فوقع عند رجل من مراد فبقى حتى كتبت مصحفى عليه . قال ابن أبى داود : وسمعت أبا حاتم السجستانى يقول : كَتَبَ سبعة مصاحف ، [وأرسلها] إلى مكة ، و إلى الشام ، و إلى اليمن ، و إلى البحرين ، و إلى البصرة ، و إلى الكوفة ، وحبس بالمدينة واحداً ، انتهى.

وليس معنا فى أمر المصحف الموجود اليوم سوى مجرد احتمال ، والله أعلم .

تعليق المصابيح فى المسجد

و يستحب تعليق المصابيح فى المسجد وقد قدمنا ما يقتضى أن تميما الدارى أول من فعل ذلك فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل : أول من فعله عمر بن الخطاب ، لما جمع الناس فى التراويح على إمام واحد . وروى ابن زَبالة عن يوسف ابن مسلم قال : كان زيت قناديل المسجد يحمل من الشام ، حتى انقطع ذلك فى ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة ، فجعله على سوق المدينة . قال : ثم لما طرح ما يؤخذ من العنب عن الناس فى ولاية داود بن عيسى على المدينة سنة ثمان وتسعين ومائة أخرج من بيت المال .

قال : ولم يزل رِزْقُ صاحب زيت المسجد ثلاثة دنانير تجرى عليه فى كل شهر من بيت المال ، وعليه فيها ما تكسر من القناديل ، انتهى .

وقال ابن النجار . وفى يومنا هذا يصل الزيت من مصر من وقوف هناك ، ومقداره سبعة وعشرون قنطاراً بالمصرى ، و يصل معه مائة وستون شمعة بين كبار وصغار ، وعلبة فيها مائة مثقال ندّ لتجمير المسجد ، انتهى .

قلت : وفى زماننا يُحْمَل له من الزيت من مصر والشام زيادة على مائةقنطار بعضُها من أوقاف تحت نظر قاضى الشافعية بمصر وبعضها تحت نظر الإمام بمصر، والله أعلم .

الفصل الحادى والثلاثون

فيما احْتَوَى عليه المسجدُ من الأروقة والأساطين

والبالوعات والسقايات والدروع ، وغير ذلك مما يتعلق به من الرسوم

وصف عام

قال ابن جبير : إن المسجد النبوى مستطيلٌ يحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به ، ووسطه كله صحن ، فجهة القبله منها — يعنى المسقف القبلى — خمس بلاطات ، يعنى أروقة ، وقد قدمنا أنه زيد فيه رواقان آخران فصار سبعة أروقة آخذةً من المشرق إلى المغرب ، قال : والجهة الشامية خمسة أروقة أيضاً .

قلت : وهذا مُوَافق لما قدمناه فى زيادة المهدى عن ابن زبالة من أنه جعل خمس أساطين فى السقائف الشامية ، وقدمنا أن الموجود به اليوم أربع فقط ، وذلك أربعة أروقة ، فكأنه لما زيد بعد الحريق الأول الرواقان فى مسقف القبلة اختصروا رواقاً من المسقف الشامى فأدخلوه فى صحن المسجد ، ولم أر مَنْ نبه على ذلك من المؤرخين ، وهذا المسقف هو المسمى اليوم بالدكاك ؛ لارتفاعه على بقية أرض المسجد ، ولم أعلم وقت حدوث ذلك ، ولم يتعرض ابن جُبَير لذكر ارتفاعه مع ذكره لما دون ذلك ، وقد كانت رحلته قبل حريق المسجد الأول فلعل ذلك مما حدث بعده ، كما حدثت الدكتان اللتان بجنبتى المسجد فى الحريق الثانى كما سبق .

وحدث فى زماننا قبيل ذلك عند طرف الدكاك القبلى مما يلى المغرب دكة بارزة هناك ، وهى الدكة التى وضع بها ما أخرج من جوف الحجرة الشريفة من الهَدْم فى العمارة التى أدركناها .

وفى كلام ابن زبالة ما يؤخذ منه تسمية المسقف الشامى بسقائف النساء .

قال ابن جبير : والجهة الشرقية ثلاثة أروقة آخذة من القبلة إلى الشام ، والجهة الغربية أربعة كذلك ، هـذا ما ذكره ابن جبير إلا أنه عبر فى الجميع بالبلاطات بدل الأروقة ، وكذا صنع ابن عبد ربه فى العقد ، وهو مطابق لما عليه المسجد اليوم ، إلا ما أشرنا إليه فى المسقف القبلى والشامى .

جدران المسجد

قال ابن جبير : ونصف جدار القبلة الأسفل رخام موضوع إزارا على إزار ، أى وزرة فوق أخرى ، مختلف الصنعة واللون ، مجزع أبدع تجزيع ، والنصف الأعلى من الجدار منزل كله بفصوص من الذهب المعروف بالفُسَيْفِساء قد أنتج الصناع فيـه نتائج من الصنعة غريبة تضمنت تصاوير أشجار مختلفات الصفات مائلة الأغصان بثمرها ، والمسجد كله على تلك الصنعة ، لـكن الصنعة فى جدار القبلة أَحْفَلُ ، والجدار الناظر إلى الصحن من جهة القبلة كذلك ، ومن جهة الشام أيضاً ، والغربى والشرقى الناظران إلى الصحن مُجَدَّدان أيضاً ومُقَرْنَصان قد زينا برسم يتضمن أنواعا من الأصبغة ، إلى ما يطول وصفه ، انتهى .

ووصف ابن عبد ربه فى « العقد » ما فى جدار القبلة من وَزَرَات الرخام وطرر الذهب والفسيفساء ، ثم قال : وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها .

وذكر أيضاً أن رؤوس الأساطين مذهبة عليها أكْفٌ منقشة مذهبة ، وكذلك أعتاب الأبواب مذهبة أيضاً .

قلت : وقد زال ذلك كله بسبب الحريق الأول ، وبقى من آثاره شىء يسير فى مؤخر المسقف الغربى بجدار المسجد مما يلى الدكاك ، وشىء يسير بالمأذنة الغربية

الشمالية مما يلى بابها فيه شىء من الفسيفساء . وأما جدار القبلة فليس به اليوم إلا لوح يتضمن صور أشجار عن يمين مستقبل المحراب الشريف ، وهو من الآثار القديمة ، وكان يقابله فى جهة يسار المستقبل لوح مثله سقط قريباً ، ثم زال ذلك كله فى الحريق الثانى . وبالجدار المذكور اليوم وَزَرة رخام أولُ مَنْ أحدثها بعد الحريق الأول الظاهر جَقْمَق كما قدمناه مع بيان أن المحراب العثمانى وما حوله كان مرخما قبل ذلك ، و بقية المسجد مبيض أحسن بياض .

وفى جدار القبلة عصابتان من طراز تقدم ذكرهما أيضاً ، وكان قد انقشر من العليا منهما شىء يسير ، فقلع متولى العمارة التى أدركناها ذلك وما حَوْله ، وجعله طرازا باسم سلطاننا الأشرف قايتباى أعزالله أنصاره ، ووصله ببقية العصابة المذكورة . وتقدم أيضاً ذكر الطراز الآخر من جهة السقف إلى قرب العصابة المذكورة ، و بيان أن الذى ترجّحَ عنـدى أنه جعل لتمييز المسجد النبوى عما زيد فيه ، وقد زال ذلك كله بعد الحريق الثانى ، وأعادوا منه ترخيم جدار القبلة كما سبق .

عدد أساطين المسجد

وأما عـدد الأساطين فذكر ابن زبالة أنها مائتان وستة وتسعون أسطوانا ، منها فى جدار القبر الشريف ستة . وذكر ابن النجار أيضاً ما يؤخذ منه ذلك .

وقال ابن جبير : عدتهـا مائتان وتسعون أسطوانا ، ولا مخالفة بينهما ؛ لأن ابن جبير لم يعتبر الأساطين الست التى فى جدار القبر الشريف ، وليس فيه خلل إلا بأسطوان واحد ؛ لأن الذى اقتضاه تحريرنا أن جملة الأساطين التى كانت فى ذلك الزمان بمـا فى جدار القبر مائتان وخمسة وتسعون أسطوانا ؛ لأن المسقف الغربى أربعة صفوف ، فإذا اعتبرتها من الجدار القبلى إلى الجدار الشامى كان كل صف ثمانية وعشرين أسطوانا ، فجملة هـذا المسقف مائة أسطوان واثنا عشر أسطوانا ، والمسقف الشرقى ثلاثة صفوف كل صف منها ثمانية وعشرون أيضاً إلا الصف الأوسط فإنه ينقص أسطوانا كما ظهر لنا عند انكشاف الحجرة ؛ لأن

الأسطوانة الملصقة إلى جدار الحجرة الشامى الذى فى جوف الجدار الظاهر التى تقدم أن متولى العمارة أدخلها فى عرض ذلك الجدار فى الصف المذكور إنما يقابلها فيه الأسطوان الداخل بعضها فى الجدار الظاهر من جهة القبلة ، وكان مقتضى وضع الأساطين فى مقابلة بعضها بعضاً من كل جانب أن تكون بينهما أسطوانة أخرى فى موازاة الأسطوانة التى بين مربعة القبر وأسطوان الصندوق الداخلة فى الجدار الظاهر ، لكن لم يتأتَّ ذلك ؛ لكونها تكون حينئذ فى جَوْف الحجرة الشريفة ، فسقط بسبب ذلك فى هذا الصف أسطوان ، وخفى ذلك على مَنْ لم يشاهد الحجرة الشريفة . وحينئذ فجملة أساطين المسقف الشرقى من جدار القبلة إلى الجدار الشامى ثلاثة وثمانون أسطوانا ، والباقى بعد ذلك فى المسقف القبلى ما يوازى صحن المسجد فقط ، وهو خمسة صفوف كل صف عشرة أساطين فجملة ذلك خمسون أسطوانا ، والباقى أيضاً فى المسقف الشامى خمسة صفوف تقابل ذلك وجملتها خمسون أسطوانا ، فجملة أساطين المسجد بما دَخَلَ فى جدار القبر مائتان وخمسة وتسعون أسطوانا — بتقديم التاء — وفى مؤخر المسقف الغربى أسطوانتان ملتصقتان إلى الجدار الغربى لم تدخلا فى هذه العدة .

وأما عدد أساطين المسجد اليوم فقد تقدم أنه زيد فى المسقف القبلى من ناحية صحن المسجد رواقان ونقص من المسقف الشامى من ناحية الصحن رواق ، فيزيد على ما تقدم عشرة أساطين ، وذلك خارج عن الأساطين التى أُحْدِثَتْ لأجل السقف البارز فى رحبة المسجد أمام الباب الشامى من المقصورة المستديرة على الحجرة الشريفة .

وحدث فى العمارة المتجددة بعد الحريق إسقاط أسطوان كانت بين الأسطوان التى إليها المُصَلَّى النبوى و بين المحراب العثمانى ، وضم بعض أساطين أخرى إلى الأساطين التى هنالك ، وفيما حول الحجرة الشريفة ، و إبدال بعضها بدعائم على ماسبقت الإشارة إليه فى الفصل التاسع والعشرين مع ماحدث من التغيير فى أساطين

المسقف القبلي، وكانت أساطين المسجد كلها ــ كما قال ابن جبير فى وصفها ــ أعمدة متصلة بالسمك دون قسى ينعطف عليها ، فكأنها دعائم قوائم ، وهى من حجر منحوت قطعا ململمة مثقبة، يوضع أنثى فى ذكر ، أى بأعمدة الحديد ، ويفرغ بينها الرصاص إلى أن يتصل عمودا قائما ، ويكسى بغلالة جيار ، ويبالغ فى صقلها ودلكها ، فتظهر كأنها رخام أبيض .

قلت : وأراد بالقسى ما نسميه اليوم بالقناطر المعقودة حول صحن المسجد ، وأما الأساطين الداخلة فى الأروقة فإنها متصلة بالسقف ، سوى الرواقين اللذين يليان رحبة المسجد من المسقف القبلي ، ثم جعل المسقف القبلي كنسبتهما بعد العمارة المتجددة بعد الحريق الثانى كما سبق .

وقد عبر ابن النجار ــ تبعا لمن قبله ــ عن تلك العقود بالطاقات ، فقال : وأما طاقاته أى المحيطة بالصحن ففى القبلة إحدى عشرة طاقة ، وفى الشامى مثلها ، وفى المشرق والمغرب ــ أى كل جانب منهما ــ تسع عشر طاقة ، و بين كل طاق وطاق أسطوان ، ورأس الطاقات مسدود بشبابيك من خشب .

قلت : وهو موافق لكلام ابن زبالة فيما يلى المشرق والمغرب ، مخالف له فيما يلى القبلة والشام ؛ فإنه قال : وعدد طاقاته مما يلى القبلة اثنتا عشرة طاقة ، ومما يلى الشام اثنتا عشرة ، ومما يلى المشرق تسع عشرة ، ومما يلى المغرب تسع عشرة ، فذلك اثنتان وستون طاقة ، انتهى .

وهذا لايتم إلا على تقدير أن يكون المسقف الغربى ثلاثة أروقة فقط كالمسقف الشرقى ، فتكون العقود التى تلى القبلة والشام اثنى عشر ، وما تقدم فى عدد الأساطين ينافيه ؛ فالصواب ماذكره ابن النجار .

وعدد قناطره المحيطة برحبته اليوم من جهة القبلة والشام موافق لما ذكره ابن النجار ؛ فإنها من كل جانب إحدى عشرة ، غير أن باب المقصورة الشامى وما أحدث له من السقف أمامه سد واحدة من تلك القناطر القبلية .

وأما عدد قناطره من المشرق والمغرب فقد نقصت واحدة من كل جهة ؛ لما تقدم من زيادة الرواقين بالمسقف القبلي، ونقص رواق من المسقف الشامي ، فصار عدد القناطر في كل جانب منهما ثماني عشرة قنطرة .

والمسدود اليوم بالشبابيك من رؤوس القناطر إنما هو رؤوس القناطر القبلية و بعض ما يليها من القناطر الشرقية ، ثم زال ذلك في الحريق الثاني ، وقد ذكر ابن زبالة عن محمد بن إسماعيل قال : أدركت المسجدَ كان يضيق عن الناس يوم الجمعة حتى يصلي بعضهم في دار القضاء ، وهي يومئذ مبنية ، وفي دار ابن مكمل ، وفي دار النحامين ، وفي دار عاتكة ، قال : فلما قدم أبو جعفر المنصور المدينةَ سنة أربعين ومائة أمر بستور فستر بها صحن المسجد على عمد لها رؤوس كقريات الفساطيط ، وجعلت في الطِّيقَانِ ــ أي القناطر المتقدم ذكرها ــ فكانت الريح تدخل فيها ، فلا يزال العمود يسقط على الإنسان ، فغيَّرَها وأمر بستورٍ هيأ كثف من تلك الستور و بحبال ، فأتي بها من جدة من حبال السفن القنبار ، وجعلت على يسبيك حبالها اليوم ، فكانت تجعل على الناس كل جمعة ، فلم يزل كذلك حتى خرج محمد بن عبد الله بن حسن يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة ، فأمر بها فقطعت دراريعَ لمن كان يقاتل معه ، فتركت حتى كان زمان هرون أمير المؤمنين فأحدث هـذه الأستار ، ولم يكن يعني صحن المسجد يستر زمان بني أمية .

قلت : وهذا شيء قد انقطع قديما لعدم الاحتياج إليه لما قلَّ الناسُ بالمدينة ، حتى إن كثيراً من الأروقة لا يمتلىء بالناس .

وبالمسجد اليوم ستارة بالقرب من باب الحجرة الشامي تُرْخَى على ما يليه من القناطر الشرقية لتَقِيَ من يجلس هناك من خدام المسجد حر الشمس .

وقال ابن زبالة ويحيى : وكان ماء المطر إذا كثر في صحن المسجد يغشى السقائف التي في القبلة ، وكانت حصباء تلك الناحية تسيل إلى صحن المسجد ،

فجعل بين القبلة والصحن لاصقاً بالسوارى حجاب من حجارة من المربعة التى فى غربى المسجد إلى المربعة التى فى شرقيه على القبر ، فمنع الماء من الصحن أن يغشى القبلة ومن حصباء القبلة أن يصير إلى الصحن . وعبارة يحيى : فأمر أبو البحترى بحجارة فجعلت رداً لذلك المـاء الذى كان يدخل والحصباء التى كانت تسيل فيما بين المربعة التى كانت عند القبر والمربعة التى فى غربى المسجد ، وجعل ذلك لاصقاً بالسوارى .

قلت : والمراد أنه جعل أحجار الحجاب المذكور فيما بين السوارى التى تلى رحبة المسجد من المشرق إلى المغرب ، وقد كانت مربعة القبر أول السـوارى المذكورة من جهة المشرق ؛ لأنهـا فى صف أسطوان الوفود كما قدمناه ، وذلك الصف كان آخر المسقف القبلى ، وكانت المربعة الغربية فى آخر السـوارى المذكورة مما يلى المغرب ، وهى الأسطوان المثمنة اليوم التى بينها وبين ركن صحن المسجد الغربى اليوم أسطوانتان بسبب زيادة الرواقين المتقدم ذكرهما فى مؤخر المسقف المذكورة ، وهذا الحجاب المذكور قد اندفن اليوم فلا يظهر منه شىء ، والظاهر أنه كان بين السوارى المُطيفة بصحن المسجد من المشرق والمغرب حجاب مثل ذلك ، وكانت بقاياه ظاهرة فيما يلى الدكاك من المسقفين المذكورين قبل حدوث ما سبق من الدكاك بهما ، والمسقف القبلى اليوم أرضه عالية على ما يليه من الصحن يسيراً ؛ فلا يغشاه مياه الأمطار ، لـكن وطأه متولى العمارة بعد الحريق الثانى حتى ساوى به أرض المصلى الشريف كما سبق ، فاحتاج إلى عمل حجاب من الأحجار بين السوارى التى تلى رَحَبَةَ المسجد من جهة القبلة وما حولها .

عدد بالوعات المسجد

وأما عدد البالوعات بصحن المسجد فقد ذكر ابن زبالة ويحيى أن به أربعاً وستين بالوعة لماء المطر عليها أرحاء لها صَماً ثم من حجارة يدخل الماء من خلالها .

قلت : ولا يظهر به اليوم غير بالوعة واحدة لها فُوّهتان ، وهى عند الحجرين

المتقدم ذكرها فى تجديد المسجد ، وإحدَى الفوهتين إلى جانب الحجرين من القبلة ، والثانية إلى جانبهما من جهة الشام ، ويجتمعان فى بئر واحدة هناك ، وعليهما حجران كالأرحاء ، وفى أسفل ما على فوهتيهما من ذلك مشبك يدخل الماء من خلاله ليمنع نزول الحصباء هناك ، ومع ذلك فقد بحروها فى العمارة المتقدم ذكرها أولا ، فخرج منها شىء كثير من الحصباء .

سقايات المسجد

وأما السقايات التى كانت به فذكر ابن زبالة أنه كان فى صحن المسجد فى زمنه تسع عشرة سقاية ، وذلك فى صفر سنة تسع وتسعين ومائة ، منها ثلاث عشرة أحدثتها خالصة ، وهى أول من أحدث ذلك ، ومنها ثلاث سقايات لزيد البربرى مولى أمير المؤمنين ، ومنها سقاية لأبى البحترى وهب بن وهب ، ومنها سقاية لشجن أم ولد هارون أمير المؤمنين ، ومنها سقاية لسلسبيل أم ولد جعفر بن أبى جعفر . وقد أورد ذلك ابن النجار مترجماً عليه بذكر السقايات التى كانت فى المسجد ، ثم قال : وأما الآن فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه . قال : وفيه بركة كبيرة مبنيـة بالآجر والجص والخشب ينزل إليها بدرج أربع فى جوانبها ، والماء ينبع من فوارة فى وسطها تأتى من العين ، ولا يكون الماء فيها إلا فى أيام المواسم إذا جاء الحاج، و بقية السنة تكون فارغة . عملها بعض الأمراء بالشام، واسمه شامة . قال : وعملت الجهة أم الخليفة الناصر لدين الله فى مؤخر المسجد سِـقَايَةً كبيرة فيها عدة من البيوت ، وحفرت لها بئراً ، وفتحت لها باباً إلى المسجد فى الحائط الذى يلى الشام ، انتهى .

قلت : الذى يظهر من كلام ابن زبالة أنه أراد بالسقايات ما يجعل لأجـل الشرب ، وظاهر ما ذكره ابن النجار أن المراد بذلك ما يجعل للوضوء . وذكْرُهُ لمـا عملته أم الخليفة الناصر لدين الله صريح فى ذلك ، فإنه يعنى بذلك الميضأة التى بابُهاَ فى حائط المسجد الشامى ، وكان لها باب آخر من خارج سُدَّ قديماً ، وهو ظاهر فيما يلى المسجد من المغرب .

وقوله « فيها عدة بيوت » أى عدد الأخلية التى بها.

وقوله أولا « فأما الآن فليس فى المسجد سقاية إلا فى وسطه ». الظاهرُ أنه يريد السقاية التى كانت للشرب بوسط المسجد .

وقد ذكرها البدر ابن فرحون فقال : ولقد كان فى وسط المسجد سقاية يحمل إليها الماء من العين بناها شيخ الخدام فى ذلك الوقت ، ووقف عليها أوقافاً من ماله وكانت متقدمة على النخل تقديرها خمسة عشر ذراعا فى مثلها ، وجعل فى وسطها مصرفاً للماء مرخما ، ونصب فيها مواجير الماء وأزياراً ودوارق وأكوازاً ، وحَجَّرها بالخشب والجريد ، وجعل لها غَلَقا من حديد ، واستمرت السنين العديدة ، فكثر الشر فيها ، والتزاحم عندها ، وصار يدخلها من يتوضأ فيها فربما يزيل فيها الأذى ، من استقرب المدى ، ثم تعدى الحال وزاد شرها . وذكر فتنة اتفقت للخدام مع بعض الأشراف بسببها ، قال : فلما غلبت مفسدتها على مصلحتها أزيلت عن اجتماع من القاضى شرف الدين الأميوطى والشيخ ظهير الدين ، انتهى .

وأما البركة التى ذكرها ابن النجار فإنها مذكورة فى كلام المطرى ، واقتضى كلامه نسبتها لابن أبى الهيجاء ، فإنه ذكر ما سيأتى عنه فى الكلام على العين الزرقاء من أن ابن أبى الهيجاء فى حدود الستين وخمسمائة أمدَّ منها شعبة وأوْصَلها إلى الرحبة التى عند المسجد من جهة باب السلام ، يعنى سوق المدينة اليوم . ثم قال : وكان قد جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها مَنْهلا بدَرَج عليه عَقْد يخرج الماء إليه من فَوَّارة يتوضأ منها مَنْ يحتاج إليه ، فحصل بذلك انتهاك حرمة المسجد الشريف من كشف العورات والاستنجاء فى المسجد ، فسُدَّت لذلك ، انتهى .

قلت : وقد رأيت آثار درجها فى غربى النخيل التى بصحن المسجد قريبا منها ، وليس بالمسجد اليوم شىء من السقايات إلا ما يحمل إليه من الدوارق المسبَّلة فيشربها الناس فى أوقات مخصوصة ، إلا أن خزانة الخدام الآتى ذكرها

لا يزال بها ماء لأجل شربهم . ثم لما عمر سلطان زماننا الأشرف مدرسته التى بين باب الرحمة و باب السلام جعل فيها سبيلا مما يلى باب الرحمة له شباك إلى المسجد .

حواصل المسجد

وأما الحواصل والخزائن التى بالمسجد الشريف ففيه القبة التى بصحنه ، وقد مر ذكرها ، وغالب ما يوضع فيها اليوم زيت وَقُود المسجد ، وتقدم أن المصحف المنسوب إلى عثمان رضى الله تعالى عنه موضوع بها .

و بالمسجد أيضا أمام كل من المنارات الأربع خزانة ، إلا أن ما أمام المنارتين القبليتين من ذلك أصلى ، بخلاف المنارتين الشاميتين فإنه محدث ، ولذلك قال البدر ابن فرحون : وما أحق بالإزالة ما أحدث بالمنارتين الشاميتين ؛ إذ قدم بابهما على بابيهما الأصليين ، وجعل ما بين البابين فى كل منارة خلوة اقتطع بها جانب من المسجد كبير لا شك فى تحريمه ، انتهى .

وفى جهة المغرب أيضا إلى جانب باب المنارة الشمالية الغربية المعروفة بالخشبية ـ سميت بذلك لأن حد الخشبيين كان يؤذن بها ـ خزانة صغيرة يضع بعض الخدام فرشهم فيها ، وربما أقام بها من يريد الاعتكاف بالمسجد ويليها فى جهة المغرب أيضا حاصلان كبيران يوضع فيهما القناديل الزجاج و بعض آلات المسجد ، وفى الأول منهما مما يلى الخزانة المذكورة وضعت كتبى ، وكنت أجلس به للمطالعة والاعتكاف فإنه من المسجد ، واتفق لى فى سبب الإقامة به أمر ليس هذا محل ذكره .

ويقابل ذلك فى جهة المشرق مما يلى المنارة المعروفة بالسنجارية خلوة كبيرة فيها فرش الخدام أيضا ، و إلى جانبها خزانتان إحداهما بيد من تكون له النوبة من الفراشين يضع فيها فوانيس المسجد ونحوها ، والثانية بيد الخدام أيضا ، وفى جهة المشرق قريبا من باب جبريل بينه و بين باب النساء خزانة يضع فيها الخدام الماء لشربهم و بعض فرشهم وأمتعتهم ، وهى المذكورة فى كلام ابن جبير حيث

قال : وفى الجهة الشرقية بيت مصنوع من عود هو موضع مبيت بعض السَّدَنة الحارسين للمسجد المبارك ، قال : وسدنته فتيان أحابيش وصقالبة ظِرَافُ الهيئة نظاف الملابس والشارات ، انتهى ، وإلى جانب الخزانة المذكورة صندوق يوضع فيه ما يستخرج من القبة من الزيت للوقود فى كل ليلة .

وفى غربى المسجد بين باب الرحمة و باب السلام حاصل يوضع فيه النورة ، يعرف بابه بخَوْخَة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، فإنها كانت فى مُحَاذاته كما تقدم ، فلما زيد فى المسجد جعلوا هناك خوخة فى المسجد تحاذى الخوخة الأولى وقد جعل لذلك ثلاثة أبواب عند عمارة المدرسة الأشرفية ، ومحل الخوخة من ذلك الباب الثالث من على يسارك إذا دخلت من باب السلام

قناديل المسجد

وأما عدد قناديله فذكر ابن زبالة أنها مائتان وتسعون قنديلا فى زمانه ، وجملتها فى زماننا مائتا قنديل وستة وخمسون قنديلا ، هذه الدائمة ، ونحو المائة قنديل يسرجونها فى بعض الأوقات ، ويجعلون فى كل قنطرة من القناطر التى تلى صحن المسجد من مقدمه وجنبتيه ثلاثة قناديل ، ويقتصرون فى بعض الأوقات على واحد فى كل قنطرة كما فى القناطر التى فى مؤخر المسجد ، سيما إذا قلّ عندهم الزيت ، وحدث بعد الحريق الثانى زيادة سلاسل كثيرة معدة لتعليق القناديل بها ، وبصحن المسجد أربعة مشاعيل اثنان فى جهة القبلة واثنان فى جهة الشام ، وكل واحد كالأسطوانة ، وبأعلاه مسرجة عظيمة تشعل فى ليالى الزيارات المشهورة ، ولا أدرى ابتداء حدوث ذلك ، ويزيدون تنانير وبزاقات فى مقدم الروضة وما حولها ، ويحتفلون بذلك سيما فى ليلة سبع وعشرين من رمضان ، ويسرجون فى كل ليلة منه نحو أربعين شمعة ، ويضعونها على شمعدانات كبار فى قبلة الروضة والحجرة ، وفى غربى المنبر ، وبعضها فى محراب الحنفية الآتى ذكره .

وللمسجد فوانيس عدتها ستة ، يطوف بها الخدام بعد صلاة العشاء الآخرة

لإخراج الناس من المسجد عند غلق أبوابه ، ولا يَدَّعُون به إلا الخدام ومَنْ له نوبة من أرباب وظائفه .

وذكر البدر ابن فرحون فى ترجمته شبل الدولة كافوراً المظفرى شيخ الخدام المعروف بالحريرى أن من آثاره الحسنة تبطيل الطوف بالشعل من جريد النخل وتبديلها بالفوانيس التى يطوفون بها اليوم كل ليلة ، وذلك أنهم كانوا قبل الحريرى وصَدْرا من ولايته يأخذ عبيد الخدام و بعض الفراشين شعلا من سعف النخل فيطوفون بها عوض الفوانيس اليوم يَجْرُون بها كأشد مايكون من الجرى، فإذا وصلوا باب النساء خرجوا بها وخبطوا ما بقى معهم منها ، وكانت تسود المسجد وتسود بابه أيضاً ، وفيها من البَشَاعة مالا يخفى ، فأمر بالفوانيس عوضها رحمه الله تعالى .

فى صحن المسجد نخيل مغروسة

و بصحن المسجد نخيل مغروسة ، ولم أدر ابتداء حدوث ذلك ، إلا أن ابن جبير قال فى رحلته عند ذكر القبة التى بصحن المسجد مالفظه : و بإزائها فى الصحن خمس عشرة نخلة ، انتهى .

وقال البدر ابن فرحون : إن أول مَنْ أدرك من مشايخ الخدام الشيخ عزيز الدولة ، قال : وفى أيامه غرس كثير من هذا النخل الذى بالمسجد اليوم ، وكان منه شىء قبل العزيزى ، ومات أكثره ، انتهى .

وذكر المجدُ عزيزَ الدولة وقال : إن غرس أكثر هذا النخل كان فى زمانه، ثم قال : وكأنه لم يتعرض أحد لإنكار هذه البدعة إجلالا لشأنه ، أو خوفاً من لسانه ، أو تمكيناً له من الاقتداء بمَنْ غرسه قبله وخنق فى عنقه من هذا المنكر حبله ، وقد انجعفت تلك النخيل لهبوب عاصفة هبت فى أواخر مشيخة ياقوت الرسولى ، ثم أعيد الغراس ، ووقع الإنكار من بعض الناس ، لكن لم يصادف كلامه محلا من الإشارة والإفادة ، ولعله سوغ حملا على احتمال أنه لم يغرس

أولا إلا بنوع من الاستحقاق ، لكن لا يخفى ما فى اعتماد الاحتمال البعيد من قلة التقى .

قلت : وقد أراد طوغان شيخ أن يزيد فيه سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ، فأنكرتُ ذلك ، وقام بعض أهل الخير فى المنع منه ، فبطل ذلك ولله الحمد .

أئمة المسجد

ولم يزل المسجد النبوى بإمام واحد يصلى بالناس فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، ويتقدم أيام الموسم إلى المحراب العثمانى ، حتى سعى طوغان شيخ المذكور فى إحداث محراب للحنفية فى دولة الأشرف إينال ، فقام أهل المدينة فى منعه ، وساعدهم على ذلك من أرباب الدولة المصرية صاحب الشيم المرضية جمال الدين يوسف ناظر الخواص الشريفة ، تغمده الله برحمته ، فلم يتم لطوغان المذكور ذلك ، فلما توفى المشار إليه أعاد طوغان السعى فى الدولة المذكورة ، فبرزت المراسيم به بعد الستين وثمانمائة[1] ، واستمر إلى زماننا فيصلى إمامه الصلوات الخمس عقب انصراف إمام المحراب النبوى ، وهو إمام الشافعية ، إلا فى التراويح فيصليان معاً ، وهذا الأمر دبَّ إلى المدينة الشريفة من مكة المشرفة .

وقد قال الزركشى : إن السبب فى حدوث ذلك بها أن الإمام كان فى ذلك الوقت مبتدعا ، فعندما امتنع الناس من إقامة الجماعة مع إمامهم الذى أقاموه سمحوا للناس فى اتخاذ أئمة لأنفسهم ، واستمر الأمر عليه ، وكذا جرى مثله فى بيت المقدس وجامع مصر قديما ، انتهى .

وقد بينا حكم ذلك فى كتابنا الموسوم « بدفع التعرض والإنكار ، لبسط روضة المختار » .

عرض جدر المسجد

وقال ابن زبالة ويحيى : وعرض منقبة جدار المسجد مما يلى المغرب ذراعان ينقصان شيئاً ، وعرض منقبته مما يلى المشرق ذراعان وأربعة أصابع ، وإنما زيد فيه لأنها من ناحية السيل .

قلت : وهذا لأن السيل كان يغشى المسجد من تلك الجهة ، ولهذا سقط

(١) هذا التاريخ لا يناسب ماقبله ، فلعله « بعد التسعين وثمانمائة »

جدار الحجرة الشرقى كما قدمناه ، وسقط أيضاً جدار المسجد من الناحية المذكورة كما قدمناه من قول ابن زبالة « أخاف المسجد من شرقيه فى سلطان محمد ابن عبد الله الربعى من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب من ناحية موضع الجنائز فأمر به فبنى » انتهى .

وقد قدمنا فى زيادة الوليد ما رواه يحيى من طريق ابن زبالة فى ذرع عرض المسجد ، وبينا فساده ، والصواب ما ذكره ابن زبالة فى أواخر الكلام على المسجد؛ فإنه ذكر ذَرْعَ مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الأول عرضا وطولا ، ثم قال : وذَرْعُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم ذَرْعُ عرضِه من مقدمه فى القبلة بين المشرق والمغرب مائة وخمسة وستون ذراعا ، وذرعُ عرضه من مؤخره إلى الشام بين المشرق والمغرب مائة وثلاثون ذراعا ، ينقص مؤخره عن مقدمه خمسة وثلاثين ذراعا ، وطولهُ من اليمن إلى الشام مائتان وأربعون ذراعا .

قلت : وقد حررت ذَرْعَه فكان عرضه من مقدمه فى القبلة مائة ذراع وسبعة وستين ذراعا ونصفا ، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ذراعين ونصفا ، وذلك لاختلاف الأذْرِعَة أو لرخاوة الحبل الذى وقع القياس به ، ونحو ذلك .

وكان عرضه من مؤخره فى الشام مائة وخمسة وثلاثين ذراعا فيزيد على ما ذكره خمسة أذرع .

وكان طوله من القبلة إلى الشام مائتى ذراع وثلاثة وخمسون ذراعا ، فيزيد على ما ذكره ابن زبالة ثلاثة عشر ذراعا .

وقد ذكر ابن النجار ما يوافق ذرعنا هـذا مع مخالفة يسيرة فقال : طولُ المسجدِ اليوم من قبلته إلى الشام مائتا ذراع وأربعة وخمسون ذراعا وأربعة أصابع ، ومن شرقيه إلى غربيه — يعنى فى مقدمه — مائة ذراع وسبعون ذراعا صافية ، انتهى .

قال ابن زبالة : وطول رحبة المسجد — يعنى صحنه — من اليمن إلى الشام مائة

وخمسة وستون ذراعا ، وعرضها بين المشرق والمغرب ثمان وتسعون ذراعا ، انتهى .

وذكر ابن النجار أن طولها مائة وتسعة وخمسون ذراعا وثلاثة أصابع ، وعرضها سبع وتسعون ذراعا راجحة .

قلت : وطول رحبة المسجد اليوم من القبلة إلى الشام مائة ذراع واثنان وخمسون ذراعا ونصف ذراع ، فإذا أضَفْتَ لذلك عرض الرواق الذى زيد فى الرحبة على ما قدمناه من أنه زيد فيها رواقان من ناحية ونقص رواق من ناحية والرواق نحو تسعة أذرع فيكون جملة ذلك مائة وأحداً وستين ذراعا ونصفا ، وذلك نحو ما ذكره ابن النجار .

وأما عرض الرحبة اليوم من مقدم المسجد فخمسة وتسعون ذراعا بتقديم التاء على السين ، والله تعالى أعلم .

وذكر ابن النجار أن طول المسجد فى السماء خمسة وعشرون ذراعا ، ومراده ارتفاعه من أرضه إلى أعلى شُرُفاته ؛ لأنه ذكر فى موضع آخر ما يقتضى أن ارتفاعه من أرض المسجد إلى سقفه أحد وعشرون ذراعا ، فيكون سمك السقف والحائط الذى عليه الشُّرَّاريف حول صحن المسجد أربعة أذرع ، والذى بين أرض مقدم المسجد وسقفه بعد خفض أرضه عقب الحريق الثانى اثنان وعشرون ذراعا ، وتقدم فى زيادة عمر رضى الله عنه ما يقتضى أنه كان بينهما فى زمانه أحد عشر ذراعا ، ولم أقف على ذكر ما جعله عثمان رضى الله تعالى عنه بينهما ، وذرع ما بين الأرض المحيطة بالمسجد من خارجه وأعلى سترة جداره من جهة المغرب ثمانية وعشرون ذراعا ؛ فهذا سمك المسجد من خارجه ، والله أعلم .

وقد تقدم ذكر منابر المسجد وذرْعها فى زيادة الوليد

الفصل الثانى والثلاثون

في أبواب المسجد وماسد منها ، وما بقى ، وما يحاذيها من الدور قديما وحديثا

أبواب المسجد

تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل للمسجد الشريف ثلاثة أبواب : بابا فى مؤخره ، والباب الذى يُدْعَى باب عاتكة و يقال له باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم وهو باب آل عثمان

وقد اقتضى كلام المؤرخين أن هذين البابين لم يحولا عن مكانهما ، بل لما زيد فى المسجد من جهتهما جعلا فى محاذاة محلهما الأول

وقد قدمنا فى زيادة عمر رضى الله عنه أنه جعل الأبواب ستة : بابين عن يمين القبلة ، و بابين عن يسارها ، و بابين خلف القبلة ، وأنه لم يغير باب عاتكة ولا باب عثمان ، بل زاد فى جهة باب عاتكة البابَ الذى عند دار مروان وهو باب السلام ، وزاد بعد باب عثمان البابَ المعروف بباب النساء ، فهذان البابان هما المَزِيدَان فى المغرب والمشرق .

وسبق أيضاً أن عثمان رضى الله تعالى عنه أقر هـذه الأبواب على حالها ، ولم يزد فيها شيئاً .

ولم يذكر ابن زبالة ولا يحيى ولا رزين ما زاده الوليـد من الأبواب ، ولا ما زاده المهدى حين زاد فى المسجد ، إلا أن ابن النجار قال : وأما أبواب المسجد فـكانت بعد زيادة المهدى فيه ، وذكر تسعة عشر بابا غيرَ باب خَوْخَة أبى بكر رضى الله عنه ، كما سيأتى ، و بين أماكنها كما سنشير إليه .

وقال المطرى وتبعه المراغى والمجدُ : لما بنى الوليد بن عبد الملك المسجد ووسّعه جعل له عشرين بابا ، وذكر الأبواب المذكورة بعينها مع الخَوْخَة المذكورة ، وهذا وهم ؛ لأن المنقول فى هذه الأبواب أنها إنما كانت فى زيادة المهدى ، وهى التى استقر عليها الحال فى أمر المسجد ، وأيضا فما سيأتى فى وصف الأبواب التى

فى جهة الشام وما يليها من جهة المشرق والمغرب لا يتصور أن يكون فى زمن الوليد ؛ لما تقدم من أن المهدى هو الذى زاد ذلك ، والمطرى موافق عليه ، فكيف يذكر وصف تلك الأبواب فيما نسبه للوليد ، وسيأتى أيضاً أن أحد هذه الأبواب — وهو باب زياد — إنما فتحه زياد فى ولاية أبى العباس المنصور .

والحاصل من كلام مَنْ كان قبل المطرى من المؤرخين أن الذى استقر عليه أمر المسجد بعد انتهاء زياداته فى أمر الأبواب عشرون بابا ، مع عَدِّ الخَوْخَة المذكورة ؛ فإنها كما سيأتى كانت شارعَةً فى رحبة دار القضاء ولا ينافى ذلك قول ابن زبالة . وفى المسجد — يعنى فى زمنه — أربعة وعشرون بابا لأنه قال فى تفصيلها : منها ثمانية من ناحية المشرق ، ومما يلى القبلة : باب يدخل منه الأمراء من ناحية باب مروان إلى المقصورة ، وعن يسار القبلة الباب الذى تدخل منه المقصورة من موضع الجنائز ، وعن يمين القبلة باب بحذائه سواء فى الطرف الآخر أى فى مقابلته يدعى باب بيت زيت القناديل ، ذكروا أن مروان عمله ، وخوخة آل عمر تحت المقصورة ، ومما يلى المغرب ثمانية أبواب منها الخوخة التى تقابل يمين خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ومما يلى الشام أربعة ، انتهى كلام ابن زبالة ؛ فغيره لم يعد الباب الذى كان فى القبلة شارعاً فى دار مروان ؛ لأنه باب دار ، وكذا خوخة آل عمر ؛ لأنها للدار لا للمسجد ، وكذا باب زيت القناديل؛ لأنه باب خزانة للمسجد لا يدخل منه عامة الناس ، وكان موضعه عند زاوية الجدار الغربية مما يلى القبلة وجدوه عند عمارة المنارة التى بباب السلام وسد بجدارها

وأما الباب الذى ذكره عن يسار القبلة فيؤخذ من كلامه أنه كان فى المشرق مقابلا لباب زيت القناديل وأنه خاص بالمقصورة ، ولو كان بابا عاما لعده فى الأبواب التى فى جهة المشرق ، وقد ظهر هذا الباب عند هَدْم المنارة الشرقية بعد الحريق الذى أدركناه ، وهو باب صُغير وجد مسدودا عند زاوية

جدار المسجد الشرقية ، وكأن الدخول كان منه إلى الخزانة التى تحت المنارة الشرقية اليمانية ثم منها إلى المقصورة ، ولهذا لما بسط ابن زبالة الكلام على أبواب المسجد فى موضع آخر لم يذكر هذه الأبواب الأربعة ، بل اقتصر على العشرين

فلنذكر ما ذكره وغيره فيها وما زاده المطرى فى بيانها مما يعرف بمحلها ثم نفرد خوخة آل عمر بالكلام عليها ، فنقول :

باب النبى صلى الله عليه وسلم

الأول : وهو مبتدأ أبواب جهة المشرق مما يلى القبلة ، بابُ النبى صلى الله عليه وسلم ، سمى بذلك لكونه فى مقابلة حجرة عائشة رضى الله تعالى عنها التى بها قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، لا لكونه دَخَل منه ؛ إذ لا وجود له فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، وقد سد عند تجديد الحائط الشرقى ، وجعل مكانه شباك يقف الإنسان عنده من خارج ، فيرى الحجرة الشريفة ، كذا قاله المطرى ومَنْ بعده ، وسيأتى ما يخالفه

باب على

الثانى : باب على رضى الله عنه ، كان يقابل بيتَه الذى خلف بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد سد أيضاً عند تجديد الحائط ، وما ذكرنا من أن باب النبى صلى الله عليه وسلم مقدم على هذا الباب للقبلة صرح به المطرى ومَنْ تبعه ، وهو الذى تقتضيه المناسبة التى ذكروها للتسمية بذلك ، لكن صرح ابن النجار بخلافه ، فقال فى عَدِّ أبواب جهة المشرق : باب على ، ثم باب النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم باب عثمان ، ثم باب مستقبل دار رَيْطَة ، إلى آخر الترتيب الآتى ، ومأخذه فى ذلك أن ابن زبالة و يحيى ذكرا ما كان مكتوبا على جدارات المسجد فقالا : وفى الزيادة الشرقية فى جَوْف المسجد بين باب على و باب النبى صلى الله عليه وسلم مكتوب ، وذكرا ما كان مكتوبا

ثم قالا : و بين باب النبى صلى الله عليه وسلم و باب عثمان مكتوب ، وذكرا ما كان مكتوبا

ثم ذكرا أيضاً فى الكتابة من خارج الجدار على الأبواب نحو هذا ، وقالا

أيضاً : إن فى القبلة من خارج المسجد فى موضع الجنائز حيث يصلى على الموتى عند باب على بن أبى طالب مكتوب بعد البسملة (إن فى خلق السموات والأرض ـ الآية) فاقتضى ذلك أن باب على هو أول أبواب هذه الجهة ، وأن باب النبى صلى الله عليه وسلم هو الثانى منها ، والذى حمل المطرى ومن تبعه على مخالفة ذلك ما قدمناه عنه من رعاية تلك المناسبة ، ويحتمل أن بيت على رضى الله عنه كان ممتدّاً فى شرقىّ حجرة عائشة رضى الله عنها إلى موضع الباب الأول فسمى باب على بذلك ، ويدل له ما تقدم عن ابن شبة فى الكلام على بيت فاطمة رضى الله عنها من أنه كان فيما بين دار عثمان التى فى شرقى المسجد و بين الباب المواجه لدار أسماء، و يكون تسمية الباب الثانى بباب النبى صلى الله عليه وسلم لقربه من بابه ، والله أعلم.

باب عثمان
باب جبريل

الثالث : باب عثمان ، وهو الباب الذى وضع قبالة الباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فقد قدمنا عن ابن زبالة و يحيى أن الباب الذى كان يدخل منه النبى صلى الله عليه وسلم هو باب آل عثمان ولذا أطلق عليه فى رواية ليحيى فى زيادة عثمان أنه باب النبى صلى الله عليه وسلم . وقد ظهر درج عند باب مقصورة الحجرة الشامى فى مقابلة الباب المذكور بسبب الحفر للدعامة التى هناك ، والظاهر أنه درج الباب المذكور قبل تحويله ؛ لكونه فى موازاة جدار المسجد الأول كما يؤخذ مما سبق من حدوده، وسمى بذلك لمقابلته لدار عثمان بن عفان، وسيأتى أنها كانت من الطريق التى تسلك إلى البقيع التى عن يسار الخارج من هذا الباب إلى الطريق التى فى شامى المدرسة الشهابية، والذى يقابل هذا الباب اليوم من دار عثمان رباط أنشأه جمال الدين محمد بن أبى المنصور الأصفهانى المعروف بالجواد وزير بنى زَنْكى.

قال المطرى : وقفه على فقراء العجم ، وجعل له فيه تربة لها شباك فى جهة الشباك المتقدم ذكره فى مقابلة القبر الشريف . ولما مرض وهو فى السجن قال للشيخ أبى القاسم الصوفى : كنت أخشى أن أنقل من الدست إلى القبر ، يعنى أنه فرح بأن يأتيه الموت وهو على تلك الحالة ، وقال له : إن بينى و بين أسد

الدين شركوه ـ يعنى عم صلاح الدين بن أيوب ـ عهداً أن مَنْ مات قبل صاحبه حمله صاحبه الحى إلى المدينة الشريفة فدفنه فيها فى التربة التى عملها ، فإن أنا مت فامْضِ إليه فذكره ، فلما توفى سار الشيخ إلى أسد الدين فى هـذا المعنى ، فأعطاه مالاصالحاً ليحمله به إلى مكة والمدينة الشريفتين ، وأمر أن يحج معه جماعة من الصوفية ، ومن يقرأ بين يدى تابوته عند النزول والرحيل وقدوم مدينة تكون فى الطريق ، وينادى بالصلاة عليـه فى البلاد ، فلما كان فى الحلة اجتمع الناس للصلاة عليه ، فإذا شاب قد ارتفع على موضع عالٍ ونادى بأعلى صوته :

سرى نَعْشُه فوق الرقاب ، وطالما ... سرى جودُه فوق الركاب ونائلُهْ

يَمُرُّ على الوادى فَتُثْنِى رماله ... عليـه ، وبالنادى فتثنى أراملُهْ

فلم يُرَ باكٍ أكثر من ذلك اليوم ، ثم وصلوا به إلى مكة فطافوا به حول الـكعبة ، وصلوا عليه بالحرم ، وحملوه إلى المدينة فصلوا عليه ودفنوه بتربته المذكورة .

وكانت وفاته فى سنة تسـع وخمسين وخمسمائة ، وكان له آثار حسنة سيما بالحرمين الشريفين ، وعمل للمدينة الشريفة السور الآتى ذكره ، وسنذكر هناك شيئاً من ترجمته .

وفى قبلة رباطه من دار عثمان أيضاً تُرْبَة اشترى أرضَها أسَدُ الدين شيركوه ابن شاذى عم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى ، وحمل إليهـا هو وأخوه نجم الدين أيوب والد صلاح الدين بعـد موتهما ودفنا فيها سنة ست وسبعين وخمسمائة ، وتوهم الذهبى أنهما دفنا بالبقيع لجزم به فى العبر .

وبقية دار عثمان من القبلة دار إلى جانب هـذه التربة موقوفة على خدام الحرم الشريف يسكنها مشايخهم ، وهذه دار عثمان الـكبرى المقابلة لهذا الباب ، وسيأتى ذكر داره الصغرى التى فى موضعها رباط المغاربة . ويعرف هـذا الباب أيضاً بباب جبريل عليه السلام .

قلت : ولم يبينوا سببَ تسميته بذلك ، ولعل سببها ما سبق فى الفصل الرابع والعشرين من قول أبى غسان : إن علامة مقام جبريل التى يعرف بها اليوم أنك

تخرج من الباب الذى يقال له باب آل عثمان فترى على يمينك إذا خرجت من ذلك الباب على ثلاثة أذرع وشبر وهو من الأرض على نحو من ذراع وشبر حجراً أكبر من الحجارة التى بها جدار المسجد ، مع ما قدمناه أيضاً من أن الأصل فى ذلك أن جبريل عليه السلام فى غَزْوَة بنى قُرَيْظَة أتى على فرس عليه اللأمة حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، ولم يكن ثم حينئذ غير الباب المذكور وروى ابن زبالة عن المطلب بن عبد الله أن حارثة بن النعمان مرّ والنبىُّ صلى الله عليه وسلم مع جبريل فى موضع الجنائز ، فمر ولم يسلم ، فقال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : أهو ممن شهد بدرا ؟ قال : نعم ، قال : فكيف هو فى أمتك؟ أيرون لهم به ؟ قال : نعم ، قال : مازالت الملائكة الذين شهدوا بدرا معك يرى لهم ، قال: فجاء حارثة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل رأيت الرجل الذى كان معى ؟ قال : نعم وشبهته بدحية الكلبى ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : فإنه جبريل ، وقد قال لو سلم لرددنا عليه ، فقال : ما منعنى من السلام إلا أنى رأيتك تُحَدِّثُ معه فكرهت أن أقطعه عنك، وروى البيهقى فى الدلائل عن حارثة بن النعمان قال : مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل جالس فى المقاعد ، فسلمت عليه ومررت ، فلما رَجَعْنا وانصرف النبى صلى الله عليه وسلم قال لى : هل رأيت الذى كان معى ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه جبريل عليه السلام ، وقد ردَّ عليك السلام .

وكان مكتوباً على هذا الباب من خارجه بعد البسملة (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ـ الآيتين) .

باب ريطة (باب النساء)

الرابع : باب رَيْطَة بفتح الراء ابنة أبى العباس السفاح ، كان يقابل دارها ، ويعرف بباب النساء ، وسبب تسميته بذلك مارواه أبو داود من طريق عبدالوارث عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو تركنا هذا الباب للنساء ، قال : نعم ، فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات . ثم قال أبوداود عقبه : وقال غير عبدالوارث : قال قال عمر ، وهو أصح، ثم رواه من طريق إسماعيل

عن أيوب عن نافع عن ابن عمر « قال قال عمر » بمعناه ، قال : وهو أصح . ثم رواه أيضاً من طريق بكير عن نافع قال : إن عمر بن الخطاب كان ينهى أن يدخل من باب النساء ، وهذا هو المعتمد ؛ لما تقدم من أنه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم فى شرقى المسجد غير باب آل عثمان . وقد روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن ابن عمر قال : سمعت عمر حين بنى المسجد يقول : هذا باب النساء ، فلم يدخل منه ابن عمر حتى لقى الله ، وكان لا يمر بين أيدى النساء وهن يصلين .

ودار ربطة التى كانت مقابلة لهذا الباب قال المطرى : كانت دار أبى بكر الصديق ، ونقل أنه توفى فيها ، وهى الآن مدرسة للحنفية بناها يازكوج أحد أمراء الشام ، وعمل له فيها مشهداً نقل إليه من الشام ، والطريقُ إلى البقيع بينها وبين دار عثمان ، نقل ذلك ابن زبالة .

قلت : وما ذكره من نسبة الدار المذكورة لأبى بكر الصديق سيأتى مستنده مع بيان مافيه .

وفى أعلى هذا الباب من خارجه لوح من الفسيفساء مكتوب فيه آية الكرسى من بناء المسجد القديم ، وقد زال عند الحريق الثانى .

خامس

الخامس : باب كان يقابل دار أسماء بنت الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم ، كانت من جملة دار جبلة بن عمرو الساعدى ، ثم صارت لسعد بن خالد بن عمر بن عثمان ، ثم صارت لأسماء المذكورة ، وهى اليوم رباط للنساء ، وقد سُدّ هذا الباب أيضاً عند تجديد الحائط الشرقى من المنارة الشرقية الشمالية إلى هذا الباب المذكور فى أيام الناصر لدين الله سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، كذا قاله المطرى ومَنْ تبعه ، وظاهر كلام ابن جُبَير أن سدّ هذا الباب وغيره من الأبواب كان قبل الثمانين وخمسمائة ؛ لأن رحلة ابن جبير كانت قبل الثمانين كما قدمناه ، وقد قال فيها : وللمسجد المبارك تسعة عشر بابا أى غير خوخة أبى بكر لم يبق منها مفتوحاً غير أربعة ، فى المغرب منها اثنان ، وفى المشرق

اثنان، انتهى. لكنه قال بعد ذلك: وفى القبلة باب واحد صغير مغلق ، يعنى باب دار الإمارة . ثم قال: وفى المغرب خمسة مغلقة أيضاً ، وفى المشرق خمسة أيضاً مغلقة ، وفى الشام أربعة مغلقة أيضاً ، انتهى . فتبين أنها كانت فى زمنه غير مسدودة لكنها مغلقة ، فيكون سَدُّها حَدَث فى التاريخ الذى ذكره المطرى ، والله أعلم .

باب سادس

السادس، باب كان يقابل دار خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقد دخل فى بناء الحائط المذكور، والدار المذكورة اليوم رباط الرجال ،ومعها فى جهة الشمال دار عمرو بن العاص كما سيأتى بيانه ، ويعرف الرباط المذكور اليوم برباط السبيل ، وكذا رباط النساء المتقدم ذكره يعرف بذلك أيضاً ، والرباطان المذكوران بناهما القاضى كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزورى رحمه الله تعالى . وذكر ابن زبالة ويحيى أنه كتب على نجاف هذا الباب من داخل « مما أمر به المهدى محمد أمير المؤمنين مما عمل البصريون سنة اثنتين وستين ومائة ومبتدأ زيادة المهدى فى المسجد .

قلت : وكتابة ذلك عليه تقتضى أنه الذى أحدثه وما بعده ، وأنه أول زيادته كما تقدم .

باب سابع

السابع : باب كان يقابل زقاق المناصع دخل أيضاً فى الحائط بعد تجديده ، وزقاق المناصع كان بين دار عمرو بن العاص وأبيات الصوافى ، وعبر عنها المطرى بدار موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى لأمر توهمه من كلام ابن زبالة كما سنوضحه إن شاء الله تعالى ، والزقاق اليوم ينفذ إلى دار الحسن بن على العسكرى ، وتعرف اليوم بحوش الحسن ، وكان الزقاق المذكور ينفذ إلى المناصع خارج المدينة ، وهو كان متبرزاً للنساء بالليل على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبيات الصوافى هذه التى عبر عنها المطرى بدار موسى ابن إبراهيم سيأتى أن بعضها اليوم رباط للرجال أنشأه القاضى الفاضل محيى الدين

أبو على عبد الرحيم بن على بن الحسن اللخمى البَيْسانى ، ودخل هذا الباب أيضاً فى الحائط عند تجديده .

باب ثامن

الثامن: باب كان يقابل أبيات الصوافى دخل فى الحائط أيضاً عند تجديده ، وأبيات الصوافى تقدم أن بعضها الذى يلى دار عمرو بن العاص هو رباط الفاضل ، وبعضها الآخر وهو الذى كان يقابل هذا الباب هو المعروف اليوم بدار الرسام التى وقفها الشيخ صفى الدين السلامى على أقاربه ثم على الفقراء ، وفى شاميها الباب الذى يدخل منه إلى رباطى النخلة ، وهما رباطا السلامى ، وقد عبر المطرى عن ذلك بقوله « وهى — يعنى أبيات الصوافى — فى دور كانت بين موسى بن إبراهيم المخزومى وبين عبيدالله بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم » قال : وموضع هذه الدور اليوم دار اشتراها الشيخ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى رحمه الله ووقفها على قرابته السلاميين ، انتهى .

وسيأتى أن أبيات الصوافى هى الدور التى كان فيها قهطم ، وأنها كانت بين دار عمرو بن العاص ودار موسى بن إبراهيم المخزومى المشتركة بينه وبين عبيد الله بن الحسين ، وأن هذه الدار المشتركة كانت أول الدور فى جهة المشرق مما يلى الشام ، فأبيات الصوافى هى دار قهطم ، وفى موضعها ما قدمناه من رباط الفاضل ودار السلامى . وأما الدار المشتركة ففى موضعها اليوم الميضأة المعطلة وبيت الرئيس إبراهيم الذى بين الميضأة والزقاق الذى يلى دار المضيف كما سيأتى بيانه ، ودار المضيف هى آخر الدور التى فى جهة الشام ، والدار المشتركة كانت ملاصقة لها ، وسيأتى بيانُ منشأ ما وقع للمطرى ، وهذا الباب آخر الأبواب التى كانت فى جهة المشرق .

أبواب المسجد الشامية

وقد طوى المطرى الكلام على الأبواب الشامية ، فقال : وفى شمالى المسجد

أربعة أبواب سدت أيضاً عند تجديد الحائط الشمالى ، وليس فى شمالى المسجد اليوم باب إلا باب سقاية عمرتها أم الإمام الناصر .

وسبب عدم كلام المطرى على الأبواب الشامية أن ابن زبالة لم يذكر ما يقابلها من الدور ، لكن ظهر لى أنه يؤخذ من كلامه وكلام ابن شبة فى الدور المطيفة بالمسجد ، فلنذكر ما استفدنا منهما فى ذلك ، فنقول :

باب تاسع

التاسع : باب كان فى دبر المسجد ، وهو أول أبواب الشام مما يلى المشرق ، وكان يقابل دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف ، وهى دار جده عبد الرحمن التى كان يُنْزِلُ بها ضيفانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى ، وبقية دار ابن مسعود ، وفى موضعهما الدار المعروفة بدار المضيف وما فى غربيها من رباط الظاهرية

باب عاشر

العاشر : باب كان يقابل دار أبى الغيث بن المغيرة ، وفى موضعها اليوم الرباط المعروف برباط الظاهرية والشرشورة

الباب الحادى عشر

الحادى عشر : باب كان يقابل ما يلى دار أبى الغيث من أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين ، وموضع ذلك المارستان الذى أنشأه أبو جعفر المنتصر بالله سنة سبع وعشرين وستمائة

الباب الثانى عشر

الثانى عشر : باب كان فى مقابلة بقية أبيات خالصة وفى موضع ذلك اليوم بيت وزقاق يتوصل منه إلى الرباط الذى أنشأه الشيخ شمس الدين الششترى وهذا الباب آخر الأبواب التى كانت فى جهة الشام ، وكلها اليوم مسدودة كما تقدم ، وما يوجد اليوم من الدور والأبنية الملاصقة لجدار المسجد المذكور كلها حادثة كما يؤخذ من كلام متقدمى المؤرخين ، ولم أقف على ابتداء حدوث ذلك

الباب الثالث عشر

الثالث عشر : وهو أول أبواب المغرب مما يلى الشام باب كان يقابل دار منيرة وكانت من دور عبد الرحمن بن عوف ، ثم صارت لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ثم صارت لمنيرة مولاة أم موسى ، وفى موضعها اليوم الدار التى

صارت لشيخنا العارف بالله سيدى عبد المعطى المغربى نزيل مكة المشرفة ، ثم انتقلت للسيد الشريف العلامة محيي الدين قاضى الحنابلة بالحرمين الشريفين ، وما فى قبلتها إلى الباب الذى يدخل منه إلى دور القياشين التى للخواجا قاوان ، وهذا الباب مسدود كما هو مشاهد من خارج المسجد .

الباب الرابع عشر

الرابع عشر : باب كان يقابل دار منيرة أيضاً كما صرح به ابن زبالة ويحيى ، ووهم المجدُ فجعله الذى بعده ، وموضع ما يقابله اليوم من دار منيرة الدار الموقوفة على الجدام التى فى قبلة الزقاق الذي يدخل منه إلى دور القياشين ، وهذا الباب مسدود اليوم كما يظهر من خارج المسجد أيضاً ، وبذلك يعلم أن محلهما من ذلك الجدار لم يجدد .

الباب الخامس عشر

الخامس عشر : باب كان يقابل دار نصير صاحب المصلى وهو مولى المهدى وكانت هذه الدار منزلا لسكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم ، وفى موضعها اليوم الدار التى عن يسار الداخل من زقاق دور القياشين والدار التى تعرف اليوم بدار تميم الدارى ، وقد آلت إلىّ ثم وقفتها ، وهى الآن منزلى ، ولم أقف على أصل فى تسميتها بذلك ، وهذا الباب فى مقابلة الدار المعروفة بدار تميم من دار نصير ، وهو مسدود اليوم ، وبقيت منه قطعة تظهر من خارج المسجد ، ودخل باقيه عند تجديد الحائط من باب عاتكة إليه .

الباب السادس عشر

السادس عشر : باب كان يقابل دار جعفر بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، وقد دخل فى داره هذه فارعٌ أطَمُ حسان بن ثابت كما قاله ابن زبالة ، وفى موضعها اليوم المدرسة الكلبرجية التى أنشأها السلطان شهاب الدين أحمد سلطان كلبرجة من بلاد الهند فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ، وهذا الباب دخل فى الحائط عند تجديده ، وأسقطه المطرى مع أنه مذكور فى كلام ابن زبالة ويحيى ، ولما أسقطه زاد بدله بابا لا وجود له فى كلام من قبله ، على ما سيأتى التنبيه عليه .

باب عاتكة
(باب السوق)
(وباب الرحمة)

السابع عشر : باب عاتكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية ، كان يقابل دار عاتكة المذكورة ، ثم صارت هذه الدار ليحيى بن خالد البرمكى والد جعفر ، ودخلت فى دار جعفر المتقدم ذكرها ، وتوهم الزين المراغى من نسبتها لجعفر بن يحيى ومن كون أطم حسان دخل فى دار جعفر بن يحيى أنها محل أطمه ، وليس كذلك لما قدمناه ، وفى موضعها اليوم دار من أوقاف الخدام فى قبلة المدرسة الكلبرجية تواجه يمينَ الخارج من باب المسجد المذكور ، وقد استبدلها الشيخ الزينى بن مزهر بإزالة ديوان الانشاآت وما غربيها من الدور، واتخذ ذلك مدرسة ورباطا وأروقة على يد صاحبنا العلامة الشيخ نور الدين المحلى نفع الله به ، ويعرف هذا الباب قديماً أيضا بباب السوق ، كما يؤخذ مما سيأتى فى باب زياد ، لأن سوق المدينة كانت فى المغرب فى جهته . ويعرف قديماً أيضا بباب الرحمة ؛ فإن يحيى ذكر فى بناء النبى صلى الله عليه وسلم لمسجده أنه صلى الله عليه وسلم جعل له ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ، وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة ، هذا لفظه . وأطْبَقَ على وصفه بذلك مَنْ بعده من المؤرخين ، حتى صار فى زماننا هو الأغلب عليه ، ومع ذلك فلم أر فى كلام أحد بيان السبب فى تسميته بذلك، وسألت عنه مَنْ لقيته من المشايخ فلم أجد عند أحد منهم علما من ذلك ، ثم ظهر لى معناه بحمد الله تعالى ، وذلك أن البخارى روى فى صحيحه عن أنس ابن مالك أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة من بابٍ كان نحو دار القضاء ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ، ثم قال : يارسول الله ، هلكَتِ الأموالُ ، وانقطعت السبل ،فادع الله يغثنا ،فرفَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : اللهم أغثنا ،اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، قال أنس : ولا والله ما نرى فى السماء من سَحَاب ولا قَزَعة ، وما بيننا و بين سَلْع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، ولما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمسَ سبعا ، ثم دخل رجل من

ذلك الباب فى الجمعة ــ يعنى الثانية ــ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ــ الحديث ــ بطوله ، وسنبين فى باب زياد ــ وهو الذى يلى هذا ــ أن دار القضاء كان محلها بين باب الرحمة وباب السلام ، وقد تقرر أنه لم يكن للمسجد فى زمنه صلى الله عليه وسلم فى هذه الجهة إلا الباب المعروف بباب الرحمة ؛ فظهر أن هذا الرجل الطالب لإرسال المَطر وهو رَحْمة إنما دخل منه ، وقد أنتج سؤالُه حصولَ الرحمة ، وأنشأ الله السحاب الذى كان سببا فيها من قِبَله أيضا ؛ لأن سَلْعا فى غربى المسجد ، فسمى والله أعلم بباب الرحمة لذلك ، لكن فى رواية البخارى عن أنس أيضا أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وُجَاه المنبر ، ومقتضاها أنه دخل من الباب الذى كان فى شامى المسجد ؛ لقرب إطلاق مواجهته للمنبر عليه ، لكن ذلك الباب ليس نحو دار القضاء ، فليجمع بين الروايتين بأن الواقعة متعددة كما اقتضاه كلام بعضهم ، أو بأنه وقع التجوز فى إطلاق كون ذلك الباب وُجَاه المنبر ، أو بأن باب الرحمة كان كما قدمناه فى آخر جهة المغرب مما يلى الشام ، فجاء ذلك الداخل من جهته ودخل منه ، ثم رأى أن قيامه بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر لا يتم له إلا بتخطى الصفوف ، فمرج إلى الباب الآخر المواجه للمنبر ، فغلب إطلاق باب الرحمة على الباب الذى فى جهة مجيئه ؛ لاعتضاده بما تقدم من مجىء السحاب من قبله ، والله أعلم

باب زياد
(باب القضاء)

والثامن عشر : باب كان يعرف بباب زياد ، وقد سد أيضا عند تجديد الحائط الذى هو فيه وكان بين خَوْخَة أبى بكر الآتى ذكرها و بين الباب الذى قبله وسمى بذلك لما رواه ابن شبة عن محمد بن إسماعيل بن أبى فديك عن عمه قال : كانت رَحْبة القضاء لعمر رضى الله عنه ــ يعنى دارا له ــ وأمر حفصة وعبد الله ابنيه رضى الله عنهما أن يبيعاها عند وفاته فى دَيْن كان عليه ، فإن بلغ ثمنها دينه و إلا فاسألوا فيه بنى عدى بن كعب حتى تَقْضُوه ، فباعوها من معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، وكانت تسمى دار القضاء ، قال ابن أبى فديك : فسمعت

عمى يقول : إن كانت لتسمى دار قضاء الدين . قال : وكان معاوية اشتراها عند ولايته ، فلم تزل حتى قدم زياد بن عبد الله المدينة سنة ثمان وثلاثين ومائة ، فهدَمها وجعلها رحبة للمسجد ، وفتح فيها الباب الذى إلى جنب الخَوْخَة الصغيرة ، وجعل هدمها على أهل السوق ، قال محمد بن إسماعيل بن أبى فديك : فأخذ منى فى هَدْمها أربعة دوانق ، قال ابن أبى فديك : وأخبرنى أيضا كما أخبرنى عمى عبيد الله بن عمر بن عبد الله بن عبد الله بن عمر قال : وأشار لى عبيد الله إلى صندوق فى بيته وقال : فى هذا الصندوق إبراآت من ذلك الدين . وروى أيضا عن عبد العزيز بن مروان أن دار القضاء كانت لعبد الرحمن بن عوف ، قال : وهى اليوم رحبة لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غربيه مما يلى دار مروان . وروى عن سَهْلَة بنت عاصم أنها إنما سميت دار القضاء لأن عبد الرحمن اعتزل فيها ليالى الشورى حتى قضى الأمر فباعها بنو عبد الرحمن من معاوية ، فصارت بعد فى الصوافى ، وكانت الدواوين فيها وبيت المال ، فهدمها أبو العباس أمير المؤمنين وصَيّرها رحبة للمسجد ، فهى اليوم كذلك

وروى ابن زبالة خبر ابن أبى فديك الأول مقتصراً عليه من طريق محمد ابن إسماعيل ــ يعنى ابن أبى فديك ــ عن ابن عمر أن عمر توفى وترك عليه ثمانية وعشرين ألفا ، فدعا عبد الله وحَفْصة فقال : إنى قد أَصَبْتُ من مال الله شيئاً ، وأنا أحِبُّ أن ألقى الله وليس فى عنقى منه شىء ، فبيعا فيه حتى تَقْضياه ، فإن عجز عنه مالى فسَلاَ فيه بنى عَدِى ، فإن بلغ وإلا فلا تَعْدُوَا قريشا ، فخرج عبد الله بن عمر إلى معاوية فباع منه دار عمر التى يقال لها دار القضاء ، وباع ماله بالغابة ، فقضى دينه ؛ فكان يقال « دار قضاء دين عمر » وهى رحبة القضاء .

قال محمد بن إسماعيل : فهدم زياد بن عبيد الله إذ كان واليا لأبى العباس على المدينة فى سنة ثمان وثلاثين ومائة دارَ القضاء ، وكانت تُكْرَى من تجار أهل

المدينة ، فهدمها زياد وجعلها رحبة للمسجد ، وفتح الباب الذى إلى جنب الخوخة ـ الخبرَ المتقدم .

قلت : وما تضمنه هذا الخبر من تاريخ هدم الدار وعمل الباب المذكور فيها ربما يخالف ما ذكره ابن زبالة ويحيى فيما كتبا على أبواب المسجد ، فإنهما قالا : وعلى باب زياد فى لوح من ساج مضروب بمسامير مكتوب من خارج ، ثم ذكرا من جملة المكتوب : أمَرَ عبدُ الله عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله بعمل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة هذه الرحبة توسعةً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن حضره من المسلمين فى سنة إحدى وخمسين ومائة ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، إلى آخر ما ذكراه .

قلت : وزياد هذا هو زياد بن عبيد الله بن عبد المَدَان الحارثى خالُ السفاح ، وكانت ولايته على المدينة ومكة من قبل أبى العباس المنصور فى سنة ثمان وثلاثين ومائة ؛ فقولُ ابن أبى فديك فى رواية ابن شبة «فلم يزل حتى قدم زياد بن عبيد الله سنة ثمان وثلاثين» مُبَيِّنٌ لتاريخ قدومه فقط ، وقوله « فهدمها » يعنى فى مدة ولايته ؛ فليس فيه تعرض لأن الهدم كان فى ذلك التاريخ ؛ فلا يخالف ما كتب على الباب المذكور ، وليحمل أيضاً قوله فى رواية ابن زبالة « فهدم زياد بن عبيد الله إذ كان والياً فى سنة ثمان وثلاثين ومائة » على أن المرادَ بيانُ ابتداء ولايته ، لا تاريخ الهدم ، جَمْعاً بين الكلامين ، والرواية الأولى أقرب إلى التأويل من هذه .

وقد ذكر ابن زبالة فى روايته المتقدمة عن محمد بن إسماعيل أنه قال : إن زياد بن عبيد الله جعل السُّتُورَ على الأبواب الأربعة : باب دار مروان أى المعروف بباب السلام ، والخَوْخَة أى المجعولة فى محاذاة خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وباب زياد أى المذكور ، وباب السوق أى وهو باب الرحمة كما يؤخذ من كلام يحيى .

وقال المجد فى ترجمة دار القضاء : هى دار مروان بن الحكم ، وكانت لعمر ابن الخطاب فبيعت فى قضاء دَيْنه ، وقد زعم بعضهم أنها دار الإمارة ، وهو محتمل لأنها صارت لأمير المدينة .

قلت : دار مروان هى الآتية فى قبلة المسجد ، وليست هذه بلا شك ، ولعل المراد أن مروان ملك دار القضاء فنسبت إليه ، وهو غير معروف ، إلا أن الحافظ ابن حجر نقل عن ابن شبة أنها صارت لمروان وهو أمير المدينة ، قال : فلعل ذلك شبهة من قال « إنها دار الإمارة » فلا يكون غلطا ، وقال فى المشارق : وقد غلط فيها بعضهم فقال يعنى دار الإمارة .

قلت : والذى رأيته فى ابن شبة إنما هو صيرورتها لمعاوية كما قدمناه ، مع أن المشهور قديما بدار الإمارة إنما هى دار مروان التى فى قبلة المسجد ، وتقدم أن الأمراء كانوا يدخلون من باب منها إلى المقصورة ، وتوهم البرهان ابن فرحون أنها رحبة دار القضاء ، فقال : قال ابن حبيب : وما كان مَنْ مضى — يعنى من القضاة — يجلسون فى رحاب المسجد ، بل إما عند موضع الجنائز ، يريد خارج باب جبريل ، وإما رحبة دار مروان وهى التى تسمى رحبة القضاء ، وقد جعل ذلك فى هـذا الوقت ميضأة ، انتهى .. وهو وَهَم ؛ لأن الذى جعل ميضأة هو نفس دار مروان كما سيأتى ، وبالجملة فلا خلاف فى كون دار القضاء هى الرحبة التى كانت فى غربى المسجد إلى باب مروان .

ويؤخذ مما تقدم أن هذه الرحبة كانت فى محاذاة باب زياد وما بعده إلى باب السلام .

ويؤخذ مما سيأتى فى الدور المُطِيفة بالمسجد أنها كانت ممتدة إلى باب الرحبة أيضاً ، وهو مقتضى ما أخبر به بعضُ مشايخ المدينة أنه لم يزل يسمع أنه لم يكن بين باب الرحمة وباب السلام دار تلاصق المسجد .

قلت : فموضع هذه الرحبة اليوم دار الشباك الملاصقة لباب الرحمة ، وما يليها من المدرسة الجوبانية والحصن العتيق .

ودار الشباك أنشأها شيخ الخدام كافور المظفرى ، المعروف بالحريرى ، بعد السبعمائة ، وجعل لها شباكاً إلى المسجد ، وليس حول المسجد دار لها شباك فى جدار المسجد إلا هى ، والذى يظهر أن باب زياد كان فى موضع شباكها أو إلى جانبه القبلى

وأما المدرسة الجوبانية فابتناها جوبان أتابك العساكر المُغلية فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، وجعل له فيها تربة ملاصقة لجدار المسجد بين دار الشباك والحصن العتيق ، وهى ــ أعنى التربة ــ من جملة رحبة القضاء ، واتخذ فيها شباكاً فى جدار المسجد ، وهو مسدود اليوم ، ولم يدفن فيها بعد أن حمل إليها فى تابوت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من بغداد بأمر السلطان أبى سعيد فدخلوا به مكة وطافوا به حول البيت كما فُعل بالجواد الأصفهانى ، وذلك صحبة الحاج العراقى ، فلما وصلوا به المدينة مَنَعهم أميرُها من ذلك حتى يشاور السلطان الناصر ، كذا قاله بعضهم ، وقال الصلاح الصفدى : لمـا بلغ الملك الناصر أمر تجهيزه ليدفن فى المدينة جهز الهجن إلى المدينة ، وأمرهم أن لا يمكن من الدفن فى تربته ، فدفن فى البقيع .

وذكر لى بعضُ الناس أن علة المنع من دفنه بتربته أنه إذا وضع فيها للقبلة كانت رِجلاه إلى الجهة الشريفة ؛ لأن تربته فى غربى المسجد ، بخلاف الجواد وغيره ممن دفن فى شرقى المسجد ، فإن رؤسهم إلى جهة الأرجـــل الشريفة ، والله أعلم .

وأما الحصن العتيق فإنه كان منزلا لأمراء المدينة ، ثم انتقل إلى السلطان غياث الدين سلطان بنجالة أبى المظفر أعظم ابن السلطان اسكندر، وابتناه مدرسة

فى سنة أربعة عشرة وثمانمائة ، وتوفى فى تلك السنة ، ويقال : إن غيره سبقه إلى جَعْله رِباطاً قبل ذلك .

ثم اقتضى رأىُ متولى العمارة بعد الحريق الحادث فى زماننا استبدال دار الشباك المذكورة وما يليها من الجوبانية وجميع الحصن العتيق عند هدم ما يلى ذلك من جدار المسجد الغربى ، وعمل ذلك مدرسة ورباطاً للسلطان الأشرف فيما بين باب السلام وباب الرحمة كما سبق فى الفصل التاسع والعشرين .

واعلم أن المطرى زاد هنا بابا بدل الباب الذى أسقطه قبل باب عاتكة فقال : إنه كان بين باب عاتكة وخَوخَة أبى بكر الآتية بابان سُدَّا عند تجديد الحائط ، وتبعه على ذلك مَنْ بعده ، والذى اقتضاه كلام ابن زبالة ويحيى وابن النجار أنه ليس بين باب عاتكة وبين الخوخة سوى باب زياد ، ولهذا لما أسقط ابن النجار ذكر الخوخة من الأبواب وجعل أبواب هذه الجهة سبعة قال : الخامس باب عاتكة ، السادس باب زياد ، السابع باب مروان ، انتهى . وبه يُعلم أن الصواب ماقدمناه ، والله أعلم .

خوخة تجاه خوخة أبى بكر

التاسع عشر : الخَوخَة المجعولة تُجاه خَوْخة أبى بكر رضى الله عنه لما زيد فى المسجد ، وهو معنى ما تقدم عن ابن زبالة حيث قال فى عدد الأبواب : ومما يلى المغرب ثمانية أبواب ، ومنها الخوخة التى تقابل يمنى خوخة أبى بكر .

قلت : وكانت شارعة فى رَحْبة دار القضاء كما قدمناه من كلام ابن زبالة وقدمنا أيضا فى زيادة عمر رضى الله عنه عن أبى غسان قال : أخبرنى محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أن عمه أخبره أن الخوخة الشارعة فى دار القضاء فى غربى المسجد خوخة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، أى المجعولة فى محاذاة خوخته .

قال ابن زبالة فى ذكر الكتابة على أبواب المسجد : وليس على الخوخة لا من داخل المسجد ولا من خارجه كتابة ، وقد قدمنا أن لهذه الخوخة اليوم بابا مما يلى المسجد ، وأنه باب حاصل يعرف بحاصل النورة ، وهى معروفة بخوخة أبى بكر ،

و يؤخذ مما تقدم أن ذلك الحاصل من دار القضاء ، و بابه اليوم هى الفتحة الثالثة من الفتحات التى على يسار الداخل من باب السلام ، جُعل بابا فى موضع الخَوْخَة يدخل منه للمسجد ، وبعده شباك ، ثم باب يدخل منه المدرسة الأشرفية .

العشرون : باب مروان ، سمى بذلك لملاصقته لداره التى كانت فى قبلة المسجد مما يلى الباب المذكور ، و بعضها ينعطف على المسجد من جهة المغرب ، وفى موضعها اليوم الميضأة التى أنشأها المنصور قلاوون الصالحى عام ست وثمانين وستمائة ، و يعرف الباب المذكور أيضا بباب السلام ، و باب الخشوع ، قاله المطرى . وفى رحلة ابن جبير أنه يعرف بباب الخشية ، اهـ . والزوار غالبا إنما يدخلون منه ؛ لكونه أقصد إلى طريقهم من باب المدينة ، فلا يخفى مناسبة تسميته بذلك كله

قال المطرى : ولم يكن فى القبلة حتى إلى اليوم باب إلا خَوْخَة آل عمر ، أو خوخة لمروان عند داره فى ركن المسجد الغربى ، شاهدناها عند بناء المنارة الكبيرة المستجدّة ، كان يدخل من داره إلى المسجد منها ، وقد انسدت بحائط المنارة الغربى

قال الزين المراغى : و ينبغى الاعتراض على من أطلق أن مروان كان يدخل منها للمسجد ؛ لأن مروان قتلته زوجته أم خالد بن يزيد آمنة بنت علقمة ، و يقال :فاختة بنت هاشم ، وقيل : مات مطعونا ، وقيل : مسموما ، فى نصف رمضان سنة خمس وستين

وكانت مدة خلافته تسعة أشهر ، وذلك قبل أن يزيد ولد ولده الوليد بن عبد الملك بن مروان فى المسجد بنحو من ثلاثين سنة ، ولا شك أنها خَوْخَة آل مروان ؛ فالصواب أنه كان يدخل من مثلها ، لا منها ، وكأن هذا الباب هو المراد بقول ابن زبالة : وباب فى قبلة المسجد يخرج منه السلطان إلى المقصورة

قلت : أما ما ذكره المطرى من أنه لم يكن فى قبلة المسجد باب — يعنى فيما مضى إلى زمنه — إلا خوخة آل عمر؛ فمردود بما قدمناه عن ابن زبالة ؛ فإنه فصل الأبواب الزائدة على العشرين فجعل منها الباب الذى كان فى القبلة يدخل منه الأمراء من ناحية دار مروان ، ثم ذكر البابين اللذين عن يمين القبلة وعن يسارها يدخل منهما إلى المقصورة ، والباب الذى عن يمين القبلة هو هـذا الذى أدركه المطرى ؛ فلا يصح ما ذكره الزين المراغى من حمل كلام ابن زبالة فى الباب الذى ذكره فى القبلة عليه ؛ لأنه قد غاير بينهما ، وأما استدراك المراغى على القول بأن مروان كان يدخل من الباب الذى ذكره المطرى فصحيح ، وقد تقدم عن ابن زبالة أنه يسمى باب بيت زيت القناديل . والذى يظهر كما قال المراغى أنه جعل فى مقابلة باب اتخذه مروان هناك أيضا ؛ لأن ابن زبالة روى أن مروان لما بنى داره جعل لها خَوْخَة فى القبلة ، ثم قال : أخشى أن أمنعها ، أى لكونها فى القبلة ، فجعل لها بابا على يمينك حين تدخل : أى وهو الباب المتقدم وصفه ، ثم قال : أخشى أن أمنع المسجد ، فجعل الباب الثالث الذى يلى باب المسجد، يعنى الملاصق لباب السلام من خارجه ، وفى موضعه اليوم السقاية المقابلة لباب مدرسـة الحصن العتيق ، وهذا سبب المناسبة فى تسمية رحبة القضاء برحبة دار مروان ؛ لمقابلتها لبابه هذا .

وروى ابن زبالة عن إسحاق بن مسلم أن عمر بن عبد العزيز لما بنى المسجد أراد أن يجعل فى الأبواب حلقا ، ويجعلها فى الدروب ؛ لئلا يدخلها الدواب ، فعمل الحلقة التى فى باب المسجد مما يلى دار مروان ، ثم بدا له فتركها .

قلت : المراد بذلك السلسلة الحديد المجعولة بجنبتى عقد باب السلام تمنع الدواب من الدخول . وفى باب الرحمة اليوم آثار سلسلة كانت هناك ، وسلسلة باب السلام ترفع فى أيام الموسم ؛ لأنه اتفق فى سنة أربع وخمسين وثمانمائة ازدحام الناس عندها فهلك جماعة ، وكان أمام باب السلام من داخله درابزين شبيه

بالدرابزين الذى كان من داخل باب جبريل ، وكان الناس لا ينزعون نعالهم إلا عنده ، وكذلك كان مثله أمام باب الرحمة من داخله أيضا ؛ فجعل الأمير بردبك المعمار أيام عمارته للظاهر جَقْمق هذه الأحجار المصفوفة إفريزا عند طرف عقد باب السلام مما يلى باب الحصن العتيق ، وجعل ما أمام الباب مما يحاذى العقد المذكور رحبة بالمسجد، وصار الناس ينزعون النعال عندها، وعمل عند عقد باب الرحمة مثل ذلك ، ورفع ذلك الدرابزين ، وكان ما بين الدرابزين و باب الرحمة منخفضا عن أرض المسجد فسواه بأرض المسجد كما هو اليوم ، فاحتاج إلى رفع عتبته ، فزاد العتبة المتخذة فوق العتبة الأصلية ، وقصر شيئا من أسفل الباب ، وذلك ظاهر فيه اليوم ، وحصل بذلك صيانة المسجد ، واتخذ أيضا الرحبة التى أمام باب النساء ، ورفع الدرابزين الذى كان من داخله ، واتخذ لباب جبريل الرحبة التى أمامه ، ولم يرفع الدرابزين ؛ لأن الناس لم يكونوا يَمْشُون بنعالهم إليه ، ثم أزيل درابزينه أيضا عند عمارته بعد الحريق الثانى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الثالث والثلاثون

فى خَوْخَة آل عمر رضى الله تعالى عنه المتقدم ذكرها ، وما يتعين من سَدِّها فى زماننا .

تحديد موضع خوخة آل عمر

أُعلم أنها اليوم هى التى يُتَوَصَّل إليها من الطابق الذى بالرواق الثانى من أروقة القبلة ، وهو الرواق الذى يقف الناس اليوم فيه للزيارة أمام الوجه الشريف بالقرب من الطابق المذكور . والذى يتخلَّص مما قدمناه فى زيادة عثمان رضى الله عنه والوليدِ والمهدىِّ أن الأصل فى ذلك أنه لما احتيج لدار حَفْصَة ــ يعنى حجرتها ــ قالت : كيف بطريقى إلى المسجد، فقيل لها : نعطيك أوسَعَ من بيتك ، ونجعل لك طريقا مثل طريقك ، فأعطيت دار عبيد الله بن عمر ، أى التى صارت إليه بعد حَفْصَة ، وكانت مِرْبَدًا ، هذا ما رواه ابن زبالة .

وقد قدمنا فى زيادة الوليد من رواية ابن زبالة أن عمر بن عبد العزيز بعث إلى رجال من آل عمر ، وأخبرهم أن أمير المؤمنين كتب إليه أن يبتاع بيت حَفْصَة ، وكان عن يمين الخَوْخَة أى من داخل المسجد ، فقالوا : ما نبيعه بشئ ، قال : إذاً أدخله فى المسجد ، قالوا : أنت وذاك ، فأما طريقنا فإنا لا نقطعها ، فهدم البيت ، وأعطاهم الطريق ووَسَّعها لهم

وقدمنا أيضا ما رواه يحيى عن مالك بن أنس من أن الحَجَّاج الثَّقَفى هو الذى ساوم عبيد الله بن عبد الله بن عمر فى هذا البيت وهدمه . وفى رواية ليحيى أن عمر بن عبد العزيز لما وصل فى العمارة إلى دار حفصة قال له عبيد الله : لست أبيع هذا هو حق حفصة ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يسكنها ، فقال عمر : ما أنا بتارككم أو أدخلها المسجد ، فلما كثر الكلام بينهما قال لهم عمر : أجعل لكم فى المسجد بابا تدخلون منه ، وأعطيكم دار الرقيق ، وما بقى من الدار فهو لكم ، ففعلوا

وقال المطرى : إن الوليد لما حج وطاف فى المسجد رأى هذا الباب فى القبلة فقال لعمر : ما هذا الباب ؟ فذكر له ما جرى بينه و بين آل عمر فى بيت حفصة ، وكان جرى بينه وبينهم فيه كلام كثير ، وجرى الصلح على ذلك ، فقال له الوليد : أراك قد صانعْتَ أخوالكَ .

وقد قدمنا من رواية ابن زبالة الإشارة إلى هذا ، وقدمنا من روايته أيضا عن عبد العزيز بن محمد أنه كان يسمع عبيد الله بن عمر يقول : لا أماتنى الله حتى أرانى سدها .

وتقدم أن تلك الخَوْخَة لم تزل طريق آل عمر إلى دارهم حتى عمل المهدى المقصورة على الرواق القبلى .

قال المطرى : فمنعوهم الدخول من بابهم ، فجرى فى ذلك أيضا كلام كثير تقدمت الإشارة إليه ، اصطلحوا على سدّ الخَوْخَة من أعلاها فى جدار المسجد ،

وأن يخفضوها فى الأرض و يجعلوا على أعلاها فى موضع الباب الأول شباك حديد فى القبلة ، وحفروها كالسرب ، فتخرج خارج المقصورة فى الرواق الثانى من أروقة القبلة ، ولها ثلاث دَرَجات عند بابها فى جَوْف السرب بالمسجد ، وهو الطابق الموجود اليوم ، وعليه قفل من حديد ، ولا يفتح إلا أيام قدوم الحاج للزيارة ، قال المطرى : وهى طريق آل عمر إلى دارهم التى تسمى اليوم دار العَشرة ، و إنما هى دار آل عبد الله بن عمر ، انتهى .

قلت : وعلى هذا السرب من خارج المسجد باب فى جدار المسجد أيضا ، وأمامه دهليز يتوصل منه إلى شارع فيه دور كثيرة سنشير إلى بعضها فى ذكر الدور المُطيفة بالمسجد .

اتخاذ بعض الناس بابا وسيلة للتدجيل

وقد اختلقوا لتلك الدور أسماء ، حتى قالوا فى بعضها : هو بيت النبى صلى الله عليه وسلم ، و بعضها نسبوه إلى فاطمة ابنته رضى الله تعالى عنها . و يتخذ بعض أهل تلك الدور على ما بلغنى كُحْلاً فى نقرة من الجدار و يقولون للحجاج : هذه مكحلة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ، و يشيرون أيضا إلى رَحاً عندهم فيقولون : هذه رحا فاطمة الزهراء ، أخبرنى بذلك من لَبَّسُوا عليه الأمر وأخبروه بهذه الأكاذيب حتى أعطاهم شيئاً . و يجلس عند ذلك الطابق بالمسجد شخص ليس هو اليوم من ذرية آل عمر ؛ لأن مَنْ كان بيدهم مفتاح هذا الطابق من آل عمر قد انقرضوا ، و بقيت منهم زوجة هذا الشخص الذى يجلس عند هذا الطابق ، ثم توفيت وتركت أولادا منه ، فاستمر المفتاح بيده ، فيستنيب مَنْ يجلس عند هذا الطابق و يفتحه أيام الموسم ، و يقف عنده جماعة يُزَوِّرون الحجاج و يأخذون من الداخلين منه شيئا شبيها بالمَكْس ؛ فإن الجالس عنده لا يمكن أحدا من الدخول منه إلا ببذل شىء يرضيه ، وما حال الحاج الغريب إذا رأى مثل هذا الباب بدرج تحت الأرض فى المسجد وقيل له : إنه يصل إلى بيت النبى صلى الله عليه وسلم و بيت ابنته ؟ .

وقد اشتهر ذلك عند أهل المدينة حتى إن أحداً منهم لاينكره ، فيود الغريب المسكينُ لو بذل روحه فى الوصول لذلك ، وربما لم يكن معه شىء ، فيتجشم المشقة فى الوصول لذلك ، فقد أخبرنى صاحبُنا الشيخُ المباركُ أبو الجود بركات الجيعانى أنه قدم المدينة قديماً قبل أن يجاور بها ، قال : فلم أملك نفسى أن دخلت فى هذا الطابق فطبقه الجالس عنده على ظهرى حتى كاد يقصمه لأنه لم يُعْطِه شيئاً . وأخبرنى هو وغـيره ممن أثق به أنه يقع فى أسفله من الازدحام واختلاط النساء بالرجال مالا يوصف مع ضيقه ، حتى إن الماشى فيه يحتاج إلى الانحناء .

وأخبرنى بعضهم أنه رأى فيـه منكراً شنيعاً، وهو أن بعض الأحداث يمشى خلف النساء مع الازدحام ، وكون المشى على تلك الهيئة ؛ فيقع ما لايرضى الله ولا رسوله بين يديه صلى الله عليـه وسلم . وكيف يتمادى الناس على إقرار ذلك الآن ؟ وهو ليس إلا لمجرد ما ذكرناه ، فإنه كان بابا لدار ، ولأن مَنْ هو بيده لا يملك شيئاً من تلك الدور ، ولو كان مالـكها فليس وضعه لسوى دخول أهل تلك الدور منه ، فإنه لم يجعل إلا ليدخل منه آل عمر إلى المسجد ، لا لأن يأخذوا فلوساً على من يخرج من المسجد ماراً منه ، فقد كانوا منزهين عن ذلك . ثم لوسلمنا أن تلك الدور مستحقة للزيارة فزيارتها متيسرة من خارج المسجد ، وكيف يتخذ المسجد طريقاً ، ويخص منه ما يكون بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم على تلك الحالة المنكرة لأجل شىء خسيس من الدنيا ؟ ونحن نفديه صلى الله عليه وسلم بأنفسنا فضلا عن أموالنا ، وقد أمر صلى الله عليـه وسلم بسد الأبواب التى كانت شارعة فى المسجد إلا خَوْخَة أبى بكر وإلا باب علىّ كما قدمناه ، مع أن أهل تلك الأبواب إنمـا كان قصدهم بها التوصل إلى المسجد ، فـكيف يبقى باب بين يديه صلى الله عليه وسلم لانفع له إلا أخذ شىء من الحطام على المرور منه ؟ هذا مالايرضاه مؤمن يَرَى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .

ثم إن هذا الطابق له قفل ، وما حوله من الخشب فيه نوع نتوء ، فقد رأيت مَنْ لا أحصيه من الخلق يتعثرون به ، وربما سقط بعضهم لوجهه ، ثم إنه إذا كثر الدوس عليه فى ليالى الزيارات كليلة النصف من شعبان ونحوها يرتجّ تحت الأرجل حتى تزلزل الأرض زلزالها ، وذلك يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قدمنا أن عائشة رضى الله عنها كانت تسمع الوتد يوتد والمسمار يضرب فى بعض الدور المطيفة بالمسجد فترسل إليهم لا تُؤْذُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : وما عمل علىّ مِصْرَاعَيّ داره إلا بالمناصع ــ وهو متبرَّزُ النساء ليلا خارج سور المدينة ــ توقّيا لذلك .

وروى يحيى فى كتابه عن محمد بن يحيى بن زيد النوفلى عن أبيه عن الثقة عنده أن عائشة رضى الله عنها ذكرت أن بعض نساء النبى صلى الله عليه وسلم دَعَتْ نجاراً فعلّق ضَبّة لها ، وأن النجار ضرب المسمار فى الضبة ضربا شديداً ، وأن عائشة رضى الله عنها صاحت بالنجار وكلمته كلاما شديداً وقالت : ألم تعلم أن حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ميتاً كحرمته حياً ؟ فقالت الأخرى : وماذا سمع من هذا ؟ قالت : إنه ليؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت هذا الضرب اليومَ ما يؤذيه لو كان حياً .

حج السلطان قايتباى

ولم أزل منذ قدمت المدينة أنكر هذا الأمر بالقلب واللسان وكتابة البنان ، ولكن لم أجد على ذلك مُعينا ؛ لرسوخ الطباع العامية فى التمسك بالعوائد الماضية من غير روية ، وقد نبهت على إنكار ذلك فى كتابى « الوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى » صلى الله عليه وسلم ، ثم شافهت فى أمره مولانا الهمام ، سلطان ممالك الإسلام ، ذا الشجاعة التى شاعت عجائبها ، والشهامة التى ذاعت غرائبها ، سلطان الإسلام والمسلمين ، ووجهة القاصدين والآملين ، السلطان الملك الأشرف قايتباى ، جعل الله الممالك منظومة فى سلك ملكه ، وأقطار الأرض جارية فى حَوْزه ومِلْكه ؛ فإنه لما حج سنة أربع وثمانين وثمانمائة بدأ بالمدينة النبوية لزيارة

التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، فقدمها طلوعَ الفجر من يوم الجمعة الميمون الثانى والعشرين من ذى القعـدة الحرام ، فلبِسَ لدخولها حلل التواضع والخشوع ، وتحلى بما يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع ، فترجّلَ عن جواده عند باب سورها ، ومشى على أقدامه بين رباعها ودورها ، حتى وقف بين يدى الجناب الرفيع ، الحبيب الشفيع ، صلى الله عليه وسلم ، وناجاه بالتسليم ، وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ، ثم ثنى بضَجِيعَيْه رضى الله تعالى عنهما بعـد أن صلى بالروضة الشريفة التحية ، وعفّر وجهه فى ساحتها السنية ، وعرض عليه الدخولُ إلى المقصورة المستديرة حول جدار القبور الشريفة ، المعروفة اليوم بالحجرة المنيفة ، فتعاظم ذلك ، وقال : لو أمكننى أن أقف فى أبعد من هذا الموقف وقفت ، فالجناب عظيم ، ومَنْ ذا الذى يقوم بما يجب له من التعظيم ؟ ثم صلى صبح الجمعة فى الصف الأول بين فقراء الروضة عند أسطوان المهاجرين بالقرب من مصلاى ، كان بينى و بينه إمامه شيخ الشيوخ الإمام العلامة نادرة الزمان وعين الأعيان برهان الدين الـكركى ، فسح الله فى أجله ، وأدام النفع به ، ولم يكن بينى و بينه سابق معرفة ، حتى إنى لم أبدأه بسـلام ولا كلام ، وكذلك السلطان أعزه الله أنصاره وضاعف اقتداره ، لم أتعرف إليه ، ولم يكن ذلك فى خَلَدى ولا عزمت عليه ، ثم توجه السلطان بجماعته لزيارة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب ومَنْ يليه من شهداء أحد رضوان الله عليهـم ، فمشى مترجِّلا كعادته ، حتى خرج من باب المدينة ، ولم يزل ذلك دأبه ، فلم يركب بالمدينة جَوَادا حتى خرج منها ، فلما كان وقت صلاة الجمعة حضر فى ذلك المصلى فكان بينى و بينه إمامه المشار إليه أيضا ، ثم قرأ شخص على شيخ المحدثين العلامة شمس الدين ابن شيخنا أبى الفرج العثمانى مجلس خَـتْم البخارى ، وكأن الإمام المشار إليـه تَفَرَّسَ فىّ الاتصاف بطلب العلم ، ففاتحنى الـكلام فى بعض المسائل العلمية المتعلقة بذلك ، فجاريته فيهـا ، فرأيت كماله واضح البرهان ،

وفضله ظاهر العنوان ، مع كال الإنصاف فى البحث ، فانتسجت المودة حينئذ ،
ثم قام الإمام المشار إليه، واستمر السلطان جالساً، ثم بدأنا بالملاطفة، وشرفنا بالمحادثة ،
وخاض فى شىء من العلم ، فرأيت من تواضعه وحلمه وثقوب فهمه مافاق الوصف ،
فأنشدته قول بعضهم :

كانت مُسَاءلة الركبان تخبرنى عن أحمد بن سعيد أطيبَ الخبر
ثم التقينا ، فلا والله ما سمعت أذنى بأحسَنَ مما قد رأى بصرى

وأنهيت إليه أمر الطابق المذكور ، وقلت فى نفسى : لعل الله تعالى أرسل
هذا السلطان المسعود وجمعنى به من غير قصد ليفوز بتنزيه الحضرة الشريفة من
ذلك ، ويكون ذلك فى صحائفه ، وقد قدمنا ما حاوله الملوك المَاضُونَ من سدّه
مع أن المفاسد التى قدمناها لم تكن موجودة فى زمنهم ، وإنما تركوه كما
قدمناه لمانع ، ولا مانع من سده اليوم بحمد الله تعالى ، فوعد بذلك . ثم وقع
الاجتماع بالإمام المشار إليه فكلمته فى ذلك ، وقلت له : بلغنى أن مَنْ بيده مفتاح
الطابق المذكور يجتمع له فى كل سنة نحو عشرة دنانير من هذا الطابق ، ولى
معلوم فى جهةٍ هذا قدرُه فى كل سنة ، فأنا أنزل عنه لمن بيده ذلك المفتاح تطييباً
لخاطره ، فذكر ذلك للسلطان ، فقال : نحن نرضيه من عندنا ، ثم إنه نصره الله
تعالى حضر لصلاة المغرب ، فتفضل بالبداءة بالكلام ، ولم يكن إمامه حاضراً ،
ولكنه سبق منه التربية التامة عنده ، فسألنى عن الآية المنقوشة فى المصلى
الشريف ، وهى قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء — الآية) هل نزلت
قبل المعراج وفرض الصلاة أم بعد ذلك ؟ وكيف كان الاستقبال قبل نزولها ؟
فشرعتُ فى الجواب ، فأقيمت الصلاة فى أثناء ذلك، فلما قضى صلاته تنفل بست
ركعات ، ثم أقبل علىّ طالبا للجواب ، فذكرت له تاريخ نزولها بالمدينة ، وما فيه
من الخلاف ، وأن فرض الصلاة ليلة فى المعراج كان بمكة ، وما ذكروه فى أمر

استقبال بيت المقدس ، وما حكى من الخلاف فى تعدد نَسخ القبلة ، وصلاته صلى الله عليه وسلم بمكة بين الركنين اليمانيين جاعلاً الكعبة بينه و بين بيت المقدس ، إلى غير ذلك من الفوائد التى قدمناها فى محلها من كتابنا هذا ، واستمريت معه كذلك حتى صلينا العشاء الآخرة ، لحصل منه فى ذلك المجلس من الإكرام ما أرجوله به كمال المجازاة من صاحب الحضرة الحبيب الشفيع صلوات الله وسلامه عليه .

وفرق بالمدينة الشريفة مالا جزيلاً ستة آلاف دينار أو أكثر ، ودفع إلىّ على يدإمامه المشار إليه من ذلك جزأ وافرا ، وتكلمت معه فى رَفْع مُكوس المدينة وتعويض أميرها عن ذلك شيئاً ، فأفهم الوعْد به ، وسألنى عن أمر دار العباسا التى اشتريت له ، وكانت سبباً فى قتل القضائى الزكوى تغمده الله تعالى برحمته لعدم السياسة فى أخذها ، فأخبرته بحقيقـــة الحال ، فقال : لم لم تكتب إلىّ بهذا ؟ فاعتذرت له بعذر قَبِله ، وتبرأ من جميع ما فعلوا فيها ، ووعد بما يكون فيه صلاح أمرها، ثم وفى بذلك بعدعوده ، فزادهم مبلغاً كثيراً رَضُوا به، وتفضل بالتشريف بطلب الكتابة إليه بما يكون فيه صلاح أحوال المدينة والتنبيه على من يَرِدُها من المحتاجين .

ثم توجه فى الرابع والعشرين من الشهر المذكور مصحوباً بالسلامة إلى مكة المشرفة ماشياً على أقدامه بين فقراء المدينة وفقهائها حتى خرج من باب المدينة ، فوقف هناك ، وقرأنا له الفاتحة ، ثم ركب جواده ، أدام الله تأييده وحرسه من الردى ، وأنار له طرق الحق والهدى .

ثم قدمتُ مكة صحبة الحاج الشامى فوجدته قد سلك بها مسلك التواضع أيضاً ، وتصدق فيها بمال جزيل أكثر مما تصدق بالمدينة الشريفة .

ولما اجتمعت بإمامه المشار إليه بمكة المشرفة تذاكرْنا الصـــدقة الشريفة

بالمدينة الشريفة وعمومها ، وما حصل بها من النفع ، فذكرتُ له أن أربعة من فقراء المغاربة لم يأخذوا شيئاً لملازمتهم لرباطهم ، وعدم إتيانهم لمن كان يفرق ، وأن شخصاً آخر مستحقاً كنت أود لو حصل له أكثر مما دفع له ، فبلغ ذلك السلطان ، فلما كان فى أوسط أيام منًى توجهت لوَدَاع الإمام المشار إليه ، فأشار بمُوادعة السلطان ، فقلت له : أخشى أن يتوهم أن المجيء لقصد آخر ، فقال : لابد من موادعته ، فتوجهنا إليه فحصل منه من الإكرام ما أطلب له الجزاء عليه من أكرم الأكرمين ، ثم قال : أنتم ذكرتم للامام كيت وكيت ، فلم ينس ماتقدم ذكره من أمر جماعة الفقراء ، فقلت له : نعم ، فأمر لهم بمائة دينار أقسمها عليهم لكل واحد عشرون ديناراً ، ثم قال : هل بقى أحد ؟ فقلت له : ما أستحضر أحداً ، ورأيت له اهتماماً تاماً بتعميم جيران الحضرة الشريفة ، وودعنى قائماً وسأل عن أمر الطابق المذكور لما قدمنا مكة ، وأمر بأن لا يفتح ، وأن يسد بعد ذلك ، فلما بلغ ذلك شيخ الخدام بالمدينة الشريفة منع من فتحه عند قدوم الحاج المصرى فى هذا العام ، ولكن بقى سده ، فإن الطريق فى قطع الشر قلع أصوله ، وقد وعد بسده .

وقف السلطان قايتباى لأهل المدينة المنورة

ثم إن السلطان أيده الله تعالى رجع إلى مصر مصحوباً بتأييد الله ونصره ، فبلغنا أنه أبرز بعد وصوله ستين ألف دينار ليشترى بها أماكن تكون أوقافاً يُحْمَل ريعها إلى الحضرة الشريفة ، ويعمل بها سماط كسماط الخليل عليه السلام ، وهذا أمر لم يسبقه إليه أحد من ملوك الإسلام ، والمسئول من الله تعالى أن ييسر له ذلك .

وقد ألحقنا فى الفصل التاسع والعشرين ما برزت به المراسيم الشريفة من إبطال المكوس ، وتعويض أمير المدينة الشريفة عنها ، وأنه وقف أماكن كثيرة يتحصل منها نحو سبعة آلاف وخمسمائة إردب من الحب كل سنة لعمل السماط

المذكور ، وليصرف من ذلك كفاية أرباب البيوت بالمدينة الشريفة ، ثم وصول البهائى أبى البقاء بن الجيعان عظم الله شأنه بجملة من ذلك والصرف والتقرير وعمل السماط على الوجه السابق ، والمرجو من الله تعالى دوام ذلك له ؛ فإن الله تعالى قد أجْرَى على يديه من الخيرات ما لم يجتمع لأحد من الملوك قبله : فمن ذلك ما تقدم من العمارة بالمسجد النبوى والحجرة الشريفة ، وإبطال هذا الطابق المتقدم وصفه ، ومن العجب أن مَنْ كان بيده هذا الطابق توجه إليه بمصر وسأل أن يمكّنَ من فتحه ، فلم يجبه لذلك ، وقرر له فى الذخيرة بضعة عشر ديناراً كل سنة عوضاً عما كان يحصل له منه ، ثم وردت المراسيم الشريفة بالإخبار بذلك ، والأمر بسده ، ولكن شَقّ على بعض أهل الحظوظ النفسية تمام هذا الأمر والمتسبب فيه الفقير الحقير ، فتسبب فى تأخيره ، فمات شيخ الخدام إينال الإسحاقى ولم يسده ، فلما قدمتُ مصر عام سبع وثمانين وثمانمائة أنهيت للسلطان أن الطابق لم يسد ، وخشيتُ أن يغضب بسبب ذلك على بعض الناس ، فاعتذرت بأن موجب التأخير وفاة شيخ الحرم ، فبرزت مراسيمه الشريفة لشيخ الحرم ومتولى العمارة الشمس بن الزمن بسده بالبناء ، بحيث لا يفتح أبداً ، وكان المعاكس فى هذا الغرض قد أمال متولى العمارة إليه مع ما سبق فى الفصل الثامن والعشرين من إيغار صدره منى ، وكان هذا الطابق قد احترق وارتدم بعد أمر السلطان بسده فى حريق سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وأثرت النار فى قبوه تأثيراً عظيما ، فأعاده متولى العمارة وأحكمه ، وجعل له باباً ، فلما وردت عليه المراسيم الشريفة بما سبق على يدىّ أجاب بأنه يراجع السلطان فى ذلك لأن تلك الدور صارت له .

ثم إن شيخ الحرم أنهى إلى السلطان ذلك ، فبرزت المراسيم الشريفة بسده واللوم على تأخيره مع تكرر الأمر بذلك ، فأمره متولى العمارة بتأخير ذلك ليراجع السلطان فيه ، وقال : إنه يجعل تلك الدور مَزَارات ليتم له ما أراده من بقاء ذلك

الطابق ، وتعجب الناس من إقدامه عليه ، ثم بلغ السلطان ذلك مع أمور يطول شرحها؛ فغضب غضباً شديداً وبرز مرسومه بسد ، بالوعيد التام على تأخيره ، فسده شيخ الحرم بالبناء المحكم من خارج المسجد ، ونزع باب طابقه ، وردمه بالأتربة حتى ساوى أرض المسجد ، ولم يبق له أثر ، وذلك فى رابع ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، وسُرَّ أهل الخير بذلك ، وتضاعفت أدعيتهم للسلطان نصره الله تعالى . وهذا من أعظم محاسنه .

من آثار قايتباى بالحرمين الشريفين

ومن ذلك إجراء عين خليص بعد انقطاعها مرة بعد أخرى ، وهى من أحسن مَناهل الحج وأعذبها ، وكذلك بركة الروحاء .

ومن ذلك عمارة مسجد الخيف بعد أن تهدّم بأجمعه ، وإنشاء المنارة والسبيل اللذين عند بابه ، وإجراء المعلوم لمن يؤذّن بتلك المنارة ولمن يؤم بالمسجد المذكور .

ومن ذلك إحداث الظل بمقدم مسجد نَمِرَة المنسوب لإبراهيم الخليل ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد كان الحجاج يقاسُونَ به شدة من حر الشمس فى ذلك اليوم ، فالله تعالى يظله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

ومن ذلك إجراء عين عَرَفة من بطن نَعْمان ، بعد أن دثَرت وانمحت معالمها واندرست ، وعمارة بركها ومجاريها، حتى فاضت الأنهار بأقاصيها وأدانيها ، وأوصلها إلى مسجد نمرة ، وأنشأ به صهريجا يجتمع فيه الماء ، فأذهب بذلك عن الحجج الأعظم الظمأ ، وقد كنت أرى الفقراء فى كل سنة فى ذلك اليوم لا يسألون غالبا إلا الماء ، وكان من أعز الأشياء هناك ، فلم يبق له طالب ، ولله الحمد ، سقاه الله بذلك من حوض الكوثر .

ومن ذلك المدرسة والرباط اللذان عمرهما بمكة المشرفة ، ولا نظير لهما فيها .

ومن ذلك حجه فى هذا العام ، فإن ذلك لم يقع لأحد من ملوك مصر من

نحو مائة وخمسين سنة ، وكان آخر من حج منهم الملك الناصر محمد بن قلاوون ، حج ثلاث حجات : أولاها سنة عشر وسبعمائة ، وثانيتها سنة عشرين ، وثالثتها سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، ولم يحج أحد بعد ذلك من سلاطين مصر ، وأرجو أن يفسح الله فى أجل سلطاننا هذا حتى يدرك ذلك ، ويتم له ما نواه من الخير بالحضرة النبوية .

وقد أنشأ بثغر إسكندرية برجا عظيما لم يسبق إليه ، وشحنه بالأسلحة والجند .

ولما توجهت إلى زيادة بيت المقدس رأيت له فيه وفيما بين مصر وبينه من الآثار العظيمة ما لم أره من غيره من الملوك من المدارس والمساجد والقناطر ، وهذا المحل لا يحتمل بسط ذلك ، وإنما ذكرنا من آثاره الجميلة ما يتعلق بالحجاز لأنه محل الغرض .

وهو ملك مطاع ، محظوظ ، صبور ، غير عجل ، كثير الحياء والوقار والمهابة ، إذا حاول أمرا لا يسرع فيه ، بل يتأنى كثيرا ، ويعظم أهل العلم ويجلهم .

وإنما أمتعنا بذكر ذلك هنا ليكون سببا فى حث الواقف على ذلك على الدعاء لهذا الملك السعيد بإنجاح المطالب ، ونيل المآرب ، ولتنبعث همة مَنْ جاء بعده من الملوك على أن يقتدى به فى الخير فيصنع مثل ما صنعه ، ونسأل الله تعالى أن يُفسِح فى أجله ، فقلّ أن يأتى بعده مثله .

الفصل الرابع والثلاثون

فيما كان مُطِيفاً بالمسجد الشريف من الدور ، وما كان من خبرها ، وجُلُّ ذلك من منازل المهاجرين رضى الله تعالى عنهم .

رسول الله يخط دور المدينة

روى ابن سعد فى طبقاته عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَّ الدور بالمدينة ، فخط لبنى زُهْرَة فى ناحية مؤخر المسجد ، فكان لعبد الرحمن بن عوف الحش ، والحش: نخل صغار لا يسقى.

وعنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الدور ؛ فخط لبنى زهرة فى ناحية مؤخر المسجد ؛ فجعل لعبد الله وعتبة ابنى مسعود هذه الخطة عند المسجد .

وقال ياقوت : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا إلى المدينة أقْطَعَ الناسَ الدور والرِّبَاعَ ؛ فخط لبنى زهرة فى ناحية من مؤخر المسجد ، وكان لعبد الرحمن بن عوف الحش المعروف به ، وجعل لعبد الله وعتبة ابنى مسعود الهُذَلِيَّيْنِ الخطة المشهورة بهم عند المسجد ، وأقطع الزبير بن العوام بَقيعاً واسعا ، وجعل لطلحة بن عبيد الله موضع دوره ، ولأبى بكر الصديق موضع داره عند المسجد ، وأقطع كل واحد من عثمان بن عفان وخالد بن الوليد والمِقدَاد وغيرهم مواضع درهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقْطِع أصحابه هذه القطائع ، فما كان فى عفاء الأرض فإنه أقطعهم إياه ، وما كان من الخطط المسكونة العامرة فإن الأنصار وهَبوه له فكان يقطع من ذلك ما شاء ، وكان أول من وهب له خططه ومنازله حارثه بن النعمان وَهَب له ذلك وأقطعه صلى الله عليه وسلم ، انتهى.

دار آل عمر بن الخطاب

فأولُ الدور الشوارِعِ حول المسجد من القبلة دارُ عبد الله بن عمر بن الخطاب التى فيها الخَوْخَة المتقدم وصفها ، وليست الدار المذكورة اليوم بيد أحد من آل عمر كما قدمناه ، وقدمنا أن موضع هذه الدار كان مِرْبَدًا أعطيته حَفْصَة رضى الله تعالى عنها بدل حجرتها لما احتيج إلى إدخالها فى المسجد ، وفى رواية أن آل عمر أعطوا بدلها دار الرقيق وما بقى منها .

وقال ابن غسان ، فيما نقله ابن شبة : وأخبرنى مخبر أن تلك الدار ــ يعنى دار آل عمر ــ كانت مربدا يتوضأ فيه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما توفى استخلصته حفصة رضى الله عنها بثلاثين ألف درهم ، فورثها عنها عبد الله بن عمر ؛ فهى التى قال فيها عبد الله فى كتاب صدقته : وتصدق عبد الله بداره التى عند المسجد التى ورث من حفصة .

بيت لأبى بكر الصديق صار لآل عمر

قال : وأخبرنى مخبر قال : كان بيت أبى بكر الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم « سدوا عنى هذه الأبواب ـ الحديثَ » بيد عبد الله بن عمر ، وهو البيت الذى على يمينك إذا دخلتَ دار عبد الله من الخوخة التى فى المسجد ، فتلقاك هناك خوخة فى جوف الخوخة التى هى الطريق مُبَوَّبة ، فتلك الخوخة خوخة أبى بكر .

قال : وكانت حفصة ابتاعت ذلك المسكن من أبى بكر مع الدار التى فوق هذه ، أى التى فى قبلتها كما سنبينه ، قال : وتصدقت بتلك الدار على ولد عمر .

قلت : هذه الرواية الأخيرة ضعيفة كما قدمناه ؛ ولذلك لم يبين قائلها ، ولأنه فى دور بنى تَيْم لما ذكر دار أبى بكر التى ورد فيها الحديث المذكور لم يذكر هذه الرواية ، بل اقتصر على الرواية المشهورة فى أنها فى غربى المسجد ؛ فإن الخوخة الواردة فيها الحديث هى الشارعة فى رحبة دار القضاء ، ولذلك لما زادوا فى المسجد أرادوا محاكاتها ، فجعلوها خوخة شارعة هناك ، ولم يجعلوها كبقية أبواب المسجد ، ولأنه جَزَم فى دور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم بأن عائشة رضى الله عنها اتخذت الدار التى يقال لها دار عائشة بين دار الرقيق و بين دار أسماء بنت أبى بكر فتصدقت بها .

قلت : فإن كانت دار الرقيق هى بيت حفصة فبيت عائشة إلى جنبه ، والمعروف عند الناس أن البيت الذى على يمين الخارج من خَوْخَة آل عمر المذكورة هو بيت عائشة رضى الله عنها ، فلعل الاشتباه فى نسبته إلى أبى بكر رضى الله عنه نشأ من ذلك ، مع أن الذى اقتضاه كلام المؤرخين أن البيت المذكور عن يمين الخَوْخَة هو بيت آل عمر ، وأن دار عائشة ليست فى هذا المحل ، وهذه الدار المذكورة ـ أعنى التى على يمين الداخل من الخوخة ـ وقف ناظره شيخ الخدام ، و بلغنى أن واقفها اشترط أن لا يسكنها متزوج ، و بابها اليوم

شارع فى القبلة ، ولها شباك عن يمين الخوخة لعله كان فى موضع بابها الأول لما كانت الخوخة شارعة فى الدار المذكورة ، وأما البيت الذى عن يسار الخَوْخَة فوقفه أيضاً ناظره شيخ الخدام ، و بابه ليس شارعا عند الخوخة ، بل بعيد منها فى المغرب ، وهو آخر الدور الآتى ذكرها ، ومقتضى ما سيأتى عن ابن شبة وابن زبالة أن الدار المعروفة اليوم بدار عائشة والدارين اللتين إلى جانبها الغربى فى قبلة المسجد من جملة دار آل عمر ؛ لأنهما قالا : فى الدور الشوارع من القبلة دار عبد الله بن عمر ، ثم دار مروان الآتى ذكرها ، وأما الدار الثانية التى تقدمت الإشارة إليها فى كلام أبى غسان من دور حفصة فوق هذه فقد ذكرها بقوله : وكانت لحفصة الدار التى بين زُقاق عبد العزيز بن مروان الذى أدخل فى دار مروان دار الإمارة و بين زقاق عاصم بن عمر بابها شارع قبالة دير أطم بنى النجار الذى يدعى فويرعا ، فتصدقت بها على ولد عمر ؛ فهى بأيديهم صدقة منها .

قلت : وهـذا الوصف منطبق اليوم على دار قاضى الشافعية أبى الفتح بن صالح وما لا صقها من جهة الشام ؛ لأن زقاق عاصم هو الزقاق الشارع بابُ هذه الدار فيه الآخذ منها إلى جهة القبلة والميضأة ، ولأن فويرعا كان فيما بينها و بين المدرسة الشهابية كما سيأتى بيانه ، وعلى هذا فزقاق عاصم هو الذى فى شاميها ، دخَـلَ بعضُه فيما حاذى دار مروان ، وبقى منه ما يفرق بين دار آل عمر هذه والدار التى لها الخوخة ، والله أعلم .

دار مروان ابن الحكم

ثم يلى دار عبد الله بن عمر ذات الخوخة فى قبـلة المسجد من غربيها دار مروان بن الحـكم ، قال ابن زبالة : وكان بعضها للنحام — يعنى نعيم بن عبد الله من بنى عدى — و بعضها من دار العباس بن عبد المطلب ، فابتاعها مروان فبناها وجعل فيها دارا لابنه عبد العزيز بن مروان ، ثم ذكر خبر أبوابها المتقدم ذكره فى أبواب المسجد .

وروى ابن زبالة فى ذيل زيادة عثمان بن عفان رضى الله عنه فى المسجد ، عن غير واحد منهم محمد بن إسماعيل عن أبيه أنه كانت فيها نَخَلات ، فابتاع مروان من آل النحام كل نخلة وموضعها بألف درهم ، وكن ثمانيا أو اثنتى عشرة ، فرأى الناس أن مروان قد أغلى ، فلما وجب له البيع عَقَرَهن و بناها دارا فغبطه الناس .

ونقل ابن شبة عن بعضهم أن دار مروان بن الحكم التى ينزلها الوُلاَة إلى جنب المسجد — يعنى الدار المذكورة — كانت مربدا لدار العباس التى دخلت فى المسجد ، فابتاعها مروان،فسمعت من يقول : كانت القبة التى كانت فى دار مروان وحُجْرتها التى تلى المسجد عن يسار مَنْ دخل الدار للنحام أخى بنى عدى بن كعب ، وكانت فيها نخلات ، فابتاعها مروان من النحام بثلاثمائة ألف درهم ، وأدخلها فى داره ، فذلك الموضع ليس من المربد الذى ابتاع من العباس

وذكر ابن شبة فى موضع آخر أن دار مروان صارت فى الصَّوَافى ، أى لبيت المال .

قلت : وفى موضعها اليوم كما قدمناه الميضأة التى فى قبلة المسجد عند باب السلام ، وما فى شرقيها إلى دور آل عمر ، قال ابن زبالة وابن شبة : وإلى جنبها — يعنى دار مروان — فى المغرب دارُ يزيد بن عبد الملك التى صارت لزبيدة ، وكان فى موضعها دار لآل أبى سفيان بن حرب ، كانت أشرف دار بالمدينة بناء وأذهبه فى السماء . ودار كانت لآل أبى أمية بن المغيرة ، فابتاعها يزيد ، وأدخلها فى داره ، وهدمها ، وكان بعض أهل المدينة وفَدَ على يزيد بن عبد الملك وقد فرغوا من بناء داره ، فسأله عنها ، فقال : ما أعرف لك أصلحك الله بالمدينة دارا ، فلما رأى ما فى وجهه قال : يا أمير المؤمنين ، إنها ليست بدار ، ولكنها مدينة ، فأعجب ذلك يزيد .

قلت : وفى موضع هذه الدار اليوم ما يقابل الميضأة فى المغرب من دار الأشراف العباسا والدار الملاصقة لها فى المغرب المشترا تَيْنِ للسلطان ، وقد أضافوا إليهما ما فى قبلتهما من الدور .

دار رباح ودار المقداد

وقد ذكر ابن شبة أن رباحا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ دارا على زاوية دار يزيد بن عبد الملك الغربية اليمانية ، وأن المِقْدَاد بن الأسود حليفَ بنى زهرة اتخذ دارا بين بيت رباح مولى رسول الله صل الله عليه وسلم و بين زقاق عاصم ، فتكون هذه الدار على زاوية دار يزيد الشرقية اليمانية ، فهما من جملة ما اشترى للسلطان اليوم . و بين الميضأة و بين هذه الدور زقاق لعله متصل بزقاق عاصم بن عمر ، إلا أن ابن زبالة وابن شبة لم يذكراه ، قالا : ثم وُجَاه دار يزيد دار أويس بن سعد بن أبى سرح العامرى . قال ابن شبة فى هذه الدار : أخبرت أنها كانت لمطيع بن الأسود فناقَلَ بها العباس إلى الدار التى بالبلاط يقال لها دار مطيع ، وزاده عشرة آلاف درهم ، ثم باعها العباس من عبد الله بن سعد بن أبى سرح بثلاثين ألف درهم ، فسكنها بنو أخيه ؛ فهى الدار التى يقال لها دار أويس عند دار يزيد بن عبد الملك بالبلاط ، وقد سمعنا مَنْ يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطع مطيعا داره تلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

قلت : وموضع دار أويس اليومَ المدرسةُ الباسطية التى أنشأها القاضى عبد الباسط سنة بضع وأربعين وثمانمائة ، وما فى شرقيها من مؤخر المدرسة المعروفة اليوم بالحصن العتيق المتقدم ذكرها ، فذلك كله يواجه دار يزيد المذكورة ، و يفصل بينهما بلاط باب السلام .

دار مطيع ابن الأسود

قالا : ثم إلى جنب دار أويس — أى فى المغرب — دار مطيع بن الأسود العَدَوى ، أى المتقدم ذكر قصتها وأنها كانت للعباس رضى الله تعالى عنه ، قال ابن شبة : و يقال لها دار أبى مطيع ، وعندها أصحاب الفاكهة ، وزاد فى قصتها أنه بلغه أيضا أن حكيم بن حزام ابتاعها هى وداره التى من ورائها بمائة ألف

درهم ، فشركه ابن مطيع ، فقاومه حكيم ، فأخذ ابن مطيع داره بالثمن كله و بقيت دار حكيم فى يده ربحا ، فقيل لحكيم : خدعك ، فقال : دار بدار ومائة ألف درهم ، وكان يقال لدار أبى مطيع العنقاء ، قال لها الشاعر :

* إلى العَنْقَاء دارِ أبى مُطِيع *

و بين يدى دار أبى مطيع أبيات ليزيد بن عبد الملك فيها الغسالون ، يقال : إن يزيد كان ساوَمَ آلَ مطيع بدارهم ، فأبوا أن يبيعوها ، فأحْدَثَ عليهم تلك البيوت ، فسدّ وجه دارهم ، فهى تدعى أبيات الضِّرار ، وهى مما صار للخيزران .

قلت : وموضع دار أبى مُطِيع اليوم الدار التى فى غربى المدرسة الباسطية التى اشتراها وكيل الخواجا ابن الزمن ، وفى غربيها سوق المدينة اليوم ، وهو من البلاط ، وموضعه عندها هو المراد بقول ابن شبة : وعندها أصحاب الفاكهة ، فكأن الفاكهة كانت تباع فيه حينئذ .

دار حكيم ابن حزام

وأما دار حكيم التى ذكر أنها من ورائها فمحلها اليوم الدارُ التى فى شامى هذه الدور التى عندها درج العين بالسوق المذكور ، قال ابن شبة فى دور بنى أسد : واتخذ حكيمُ بن حزام داره الشارعة على البلاط إلى جنب دار مطيع ابن الأسود ، بينها و بين دار معاوية بن أبى سفيان ، يحجز بينها و بين دار معاوية الطريق ، ومراده بالبلاط الموضع الذى به سوق المدينة اليوم أمام المدرسة الزمنية الممتد منها إلى الشام .

وقوله « يحجز بينها ـ أى دار حكيم ودار مطيع ـ و بين دار معاوية الطريق » أى البلاط المذكور ؛ فالظاهر أن دار معاوية هذه هى المقابلة لها بين الدارين فى المغرب ، وهناك فى مقابلتها اليوم رباط جدد أنشأه الفخر ناظر الجيوش بمصر سنة تسع عشرة وسبعمائة بابهُ شارع فى سوق المدينة اليوم ودار خربة .

وقال ابن شبة أيضا فى دور بنى عدى بن كعب : اتخذ النعمان بن عدى داره

التى صارت لمحمد بن خالد بن برمك و بناها ، وفى الشارعة عند الخياطين بالبلاط عند أصحاب الفاكهة ابتاعها من آل النحام وآل أبى جَهْم ، وكانت صارت لهم مواريث ، انتهى .

ومحل هذه الدار إما الدار الخربة التى إلى جانب الرباط الشارع فى السوق ، أو المدرسة الزمنية ، والله أعلم.

ولنرجع إلى ذكر الدور المطيفة بالمسجد .

دار عبد الله ابن مكمل

قال ابن شبة : وفى غربى المسجد دار عبد الله بن مكمل الشارعة فى رحبة القضاء ، وهى مما يتشاءمُ به ، وذلك مما نشأ عن بنائها .

وقال فى دور بنى زهرة : كان عبد الرحمن بن عوف وهبها لابن مكمل ، فباعها آله من المهدى ؛ فهى بأيدى ولده اليوم خراب إلى جنب المسجد ، أى قبل أن تبنى رحبة القضاء .

قال : وهى التى يقولون : إن أهلها قالوا : يارسول الله ، اشتريناها ونحن جميع فتفرقنا ، وأغنياء فافتقرنا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أتركوها فهى ذميمة .

وقال ابن زبالة : هى التى يجلس إلى رُكْحِها[1] صاحبُ الشرط ، و إليها أصحاب الفاكهة ، وهم يهابون بناءها و يتشاءمون بها ؛ فهى على حال ما اشتريت عليه .

وقد تَرْجَم فى الموطأ لما يتقى من الشؤم ، وروى فيه عن يحيى بن سعيد أن امرأة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ، دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقلّ العدد وذهب المال ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعُوهَا ذميمة » ورواه البزار بنحوه عن ابن عمر ، إلا أنه قال فيه : إن قوما جاؤا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وزاد فيه : فقالوا: يا رسول الله كيف نَدَعُها ؟ قال « بيعوها أو هَبُوها » .

(١) ركحها أى جانبها .

وقال البزار : أخطأ فيه صالح بن أبى الأخضر ، والصواب أنه من مُرْسَلات عبد الله بن شداد ، وروى الطبرانى نحوه عن سهل بن حارثة الأنصارى ، وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة .

قلت : وفى موضع دار ابن مكمل اليوم المدرسةُ المعروفة بالجوبانية من بابها إلى آخر رباطها الذى فى غربيها ، بل يؤخذ مما سبق عن ابن زبالة من جلوس أصحاب الفاكهة إليها أنها كانت تمتد إلى سوق الصواغين اليوم ؛ لما تقدم من بيان أصحاب الفاكهة ، ولما سيأتى فى الدار التى بعدها .

دار النحام

وفى المَغْرِب أيضاً دار النحام العدوى . وعبارة ابن زبالة وابن شبة : وفى غربى المسجد دار ابن مكمل ودار النحام ، الطريقُ بينهما قدر ستة أذرع .

وقال ابن شبة فى دور بنى عدى : واتخذ النَّحَّام نعيمُ بن عبد الله دارَهُ التى بابُها وجاه زاوية رحبة دار القضاء ، وشرقيها الدار التى قبضت عن جعفر بن يحيى ابن خالد بن برمك التى كانت بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية فهى بيد ولده على حَوْز الصدقة .

قال : وأخبرنى مخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم حازَهاَ له قطيعة منه .

قلت : ودار جعفر المذكورة هى المواجهة لباب الرحمة ؛ فعلم بذلك أن دار النحام هذه كانت فى مقابلة باب المدرسة الجوبانية المتقدم ذكرها فى بيان رحبة القضاء عند ذكر باب زياد ، وأن الطريق التى بين دار النحام ودار ابن مكمل هى البلاط الآخذ من باب الرحمة إلى السوق ، وعلم بذلك أن رحبة القضاء كانت تمتد من جهة باب الرحمة إلى باب الجوبانية .

دار جعفر ابن يحيى

ثم إلى جنب دار النحام دار جعفر بن يحيى التى دخل فيها بيت عاتكة بنت يزيد بن معاوية . وأطم حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه المسمى بفارع .

قلت : وقد تقدم بيان محلها فى باب الرحمة ، وأنه اليوم هو البيت المواجه

لباب الرحمة ، وهوكان موضع بيت عاتكة ، وما فى شاميه من المدرسة الـكلبرجية وهو موضع الأطم .

دار نصير

ثم إلى دار جعفر بن يحيى دار نصير صاحب المصلى ، كانت بيتا لسكينة بنت الحسين بن على رضى الله عنهم ، ثم إلى جنبها الطريقُ إلى دار طلحة بن عبيد الله ستة أذرع .

قلت : وقد تقدم فى أبواب جهة المغرب أن فى محل دار نصير اليوم الدار المعروفة بتميم الدارى ، والتى فى شاميها إلى الطريق التى تدخل منها إلى دور القياشين التى صارت للخواجا قاوان ، وهذه الطريق هى المرادة هنا ، وتلك الدور هى دور طلحة بن عبيد الله ، وفى شرقيها دار منيرة الآتى ذكرها .

قال ابن شبة فى دور بنى تيم : واتخذ طلحة بن عبيد الله داره بين دار عبد الله بن جعفر التى صارت لمنيرة و بين دار عمر بن الزبير بن العوام ، ففرقها ولده من بعده ثلاثة أدور ، فصارت الدار الشرقية اللاصقة بدار منيرة ليحيى ابن طلحة ، وصارت التى تليها لعيسى بن طلحة ، وصارت الأخرى لإبراهيم ابن محمد بن طلحة .

قلت : ودار عمر بن الزبير التى فى غربى دار طلحة ملاصقة لدار عروة ابن الزبير ، قال ابن شبة : اتخذهما الزبير وتصدق بهما عليهما وعلى أعقابهما ، وهما متلازقتان عند خوخة القوارير : انتهى .

وفى نهاية الطريق إلى دور القياشين خَوْخَة كانت شارعةً فى المغرب عند سوق العطارين ، الظاهرُ أنها المراد بخوخة القوارير .

دار منيرة مولاةأم موسى

ثم إلى جنب الطريق إلى دور طلحة دار منيرة مولاة أم موسى ، كانت لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

قلت : وقد بينا محلها فى أول أبواب المسجد من جهة المغرب ، و يستفاد منه أنها كانت من طريق دور القياشين إلى ما يحاذى نهاية المسجد .

ثم إلى جنبها خوخة آل يحيى بن طلحة .

قلت : وهناك اليوم زقاق لطيف خلف الفرن المحاذى لقرب مؤخر المسجد من المغرب ، يعرف بزقاق عانقينى ، هو المراد بذلك ؛ لأن بعض الدور التى فيه يسلك منها إلى دور القياشين التى هى دور طلحة .

حش طلحة

ثم إلى جنب خوخة آل يحيى بن طلحة حش طلحة بن أبى طلحة الأنصارى وهو اليوم خراب صوافى عن آل ابن برمك .

قلت : والظاهر أن فى محله اليوم الفرن المتقدم ذكره وما حوله .

وقد قدمنا فى زيادة المهدى ما ذكره ابن شبة فى إدخاله صدر دار آل شرحبيل ابن حسنة التى كانت لأم حبيبة رضى الله تعالى عنها فى مؤخر المسجد .

قال ابن شبة عقب ذلك : ثم باعوا بقيتها من يحيى بن خالد بن برمك فهدمها حين هدم حش طلحة ، ثم صارت بَرَاحا فى الصوافى ، ثم بنى فى موضعها الناس بأكثر من أصحاب الصوافى ؛ فعلم بذلك أن حش طلحة كان ينعطف على المسجد من جهة الشام ، وسيأتى فى ذكر البلاط ما يصرح بذلك ، والظاهر أن بقية دار شرحبيل من الحش المذكور هو ما حاذى الميضأة التى فى شامى المسجد من المغرب ، بدليل ما سيأتى ، والله أعلم .

ثم إلى جنب حش طلحة الطريق خمسة أذرع .

قلت : وهذه الطريق هى التى فى شامى الميضأة المتقدم ذكرها ، يتوصل منها إلى رباط الشيخ شمس الدين الششترى .

أبيات خالصة

ثم إلى جنب الطريق أبيات خالصة مولاة أمير المؤمنين ، وهى دار حباب مولى عتبة بن غزوان .

قلت : وفى موضعها اليوم دار أحد رئيسى مؤذنى المسجد ، وما يليها من المارستان الذى أنشأه المنتصر بالله ، وما يليه من رباط الظاهرية ، كما تقدم فى ذكر أبواب المسجد .

دار حميد بن عبدالرحمن بن عوف

ثم إلى جنب أبيات خالصة دارُ أبى الغيث بن المغيرة بن حميد بن عبد الرحمن ابن عوف ، وهى صدقة .

وذكر ابن شبة فى دور بنى زهرة أن من دور عبد الرحمن بن عوف التى اتخذها الدر التى يقال لها الدار الكبرى دار حميد بن عبد الرحمن بن عوف بحش طلحة .

قال : وإنما سميت الدار الكبرى لأنها أول دار بناها أحدٌ من المهاجرين بالمدينة ، وكان عبد الرحمن يُنْزِلُ فيها ضِيفانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت أيضاً تسمى دار الضيفان ، فسرق فيها بعض الضيفان ، فشكا ذلك عبد الرحمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بنى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بيده فيما زعم الأعرج ، وهى بيد بعض ولد عبد الرحمن بن عوف .

قلت : وهى غير دار عبد الرحمن بن عوف المعروفة بدار مليكة التى تقدم أنها دخلت فى المسجد .

وفى شامى المسجد اليومَ مما يلى الشرق دار تعرف بدار المضيف ، فلعل تسميتها بذلك لكونها فى موضع دار الضيفان المذكورة ، لكن ذكر الدار الآتية بعدها قبل جهة المشرق يبعد ذلك ، فكأن الجانب الغربى من دار المضيف وما حوله فى المغرب من الساباط وبعض رباط الظاهرية فى موضع الدار المذكورة .

ثم إلى جنب دار أبى الغيث بقيةُ دار عبد الله بن مسعود ، كانت لجعفر ابن يحيى ، وقد قبضت صافية عنه .

قلت : قد قدمنا أنها كانت تدعى دار القُرَّاء ، وأن بعضها دخل فى زيادة الوليد ، وبقيتها فى زيادة المهدى ، فكأن المراد بعض بقيتها ، بدليل ما هنا ، ومع ذلك فأنا أستبعد أن يبقى منها بقية فى جهة الشام ، سيما إذا كان المهدى قد زاد مائة ذراع .

ثم يضاف لذلك ما زاده الوليد منها ، وعرض الرحبة التى فى شامى المسجد ،

وأيّ دار يكون طولها هذا المقدار فضلا عن أن يبقى بعد ذلك منها بقية ؟ وموضع ما وصفوه اليوم هو ما يلى المشرق من الدار المعروفة بدار المضيف المتقدم ذكرها، والله أعلم .

دار موسى المخزومى

قال ابن زبالة وابن شبة : ثم من المشرق دار موسى بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن أبى ربيعة بن المغيرة المخزومى ، كان ابتاعها هو وعبيدُ الله ابن حسين بن على بن حسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم ، فتقاوماها ، فظن عبيدُ الله أن موسى لا يريد إلا الربح ، فأسلمها عبيد الله فصارت لموسى .

قلت : وظاهر ذلك أن الدار المذكورة أول جهة المشرق مما يلى الشام ، وفى موضعها اليوم — كما قدمناه فى ذكر أبواب المسجدِ — بيتُ بعض رئيسى المؤذنين الذى يلى دار المضيف ، وما يليه من الميضأة المعطلة اليوم ، و بين ذلك و بين دار المضيف زقاق يعرف بخرق الجمل يتصل إلى الدور الملاصقة لسور المدينة ، ولعله المعروف قديما بزقاق جمل ؛ فإن ابن شبة ذكر أن فاطمة بنت قيس اتخذت دارا بين دار أنس بن مالك و بين زقاق جمل ، ودارُ أنسِ بن مالك ذكر أنها فى بنى جديلة ، وهى فى شامى سور المدينة .

ثم إلى جنب دار موسى أبياتُ قهطم دار موسى ودار عمرو بن العاص ، وهى — يعنى دار عمرو — صدقة من عمرو ، وهى اليوم صوافى : أى أبيات قهطم ، هذه عبارة ابن شبة .

وعبارة ابن زبالة « وإلى جنبها أبيات فيها قهطم ، وهو صوافى » .

والطريق بين دار موسى بن إبراهيم و بين دار عمرو بن العاص السهمى ، وهى اليوم لهم صدقة .

أبيات الصوافى

قلت : وأبيات قهطم هى التى سماها ابن زبالة فى ذكر الكتابة على أبواب المسجد أبيات الصوافى ، وسمى الطريق التى ذكرها هنا بزقاق المناصع ، لكن

كلام ابن شبة يقتضى كون أبيات قهطم المذكورة بين دار موسى و بين دار عمرو بن العاص ؛ فتكون الطريق المذكورة بين أبيات قهطم و بين دار عمرو ابن العاص ، فلنحمل كلام ابن زبالة على ذلك ، ويكون قوله « والطريق بين دار موسى » يعنى وما يليها من أبيات قهطم و بين دار عمرو بن العاص .

وقد قدمنا أن فى محل أبيات الصوافى رباط الفاضل والدار المعروفة بدار الرسام وقف السلامىّ والباب الذى يدخل منه إلى رباط السلامى ، وموضع دار عمرو بن العاص اليوم مؤخر رباط السبيل الذى يسكنه الرجال ، وهو مما يلى الشام منه ، والطريق التى بينه و بين رباط الفاضل هى زقاق المناصع ، وليست اليوم نافذة كما تقدم ؛ ويؤخذ مما قدمناه فى زيادة المهدى أنه كان عندها رحبة تسمى برحبة المشارب ، والله أعلم .

دار خالد ابن الوليد

ثم إلى جنب دار عمرو دارُ خالد بن الوليد . قال ابن شبة وابن زبالة : وهى بيد بنى أيوب بن سلمة ـ يعنى ابن عبد الله بن الوليد بن المغيرة ـ زاد ابن زبالة : أن أيوب بن سلمة اختصم فيها هو وإسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ، يقول أيوب : هى ميراث وأنا أرثها دونكم بالقعد ، أى لأنه أقرب عصوبة ، ويقول إسماعيل : هى صدقة ، أى فيدخل فيها القريب وإن بَعُد ، فأُعْطِيَها أيوبُ ميراثاً بالقعد ، انتهى .

وهذا لأن أيوب المذكور كما ذكر ابن حزم وارث آخر مَنْ بقى من ولد خالد بن الوليد ، قال : لانقراض ولد عمه خالد بن الوليد كلهم . قال : وكان قد كثر ولد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلا ، وكانوا كلهم بالشام ، ثم انقرضوا كلهم فى طاعون وقَع فلم يبق لأحد منهم عقب ، انتهى . وروى ابن زبالة عن يحيى بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : شكا خالدُ بن الوليد ضيقَ منزله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له « ارْفَع البناء فى السماء وسَلِ الله السَّعَة » ورواه ابن شبة ، إلا أنه قال : فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « اتسع

فى السماء » وذكر من رواية الواقدى أن خالد بن الوليد حَبَسَ داره بالمدينة لاتُباع ولا تُوهب .

قلت : وفى موضعها اليوم مقدم رباط السبيل المتقدم ذكره ، وذلك يدل على صغرها ، بخلاف غيرها من الدور ، ولذلك شكا ضيقها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

دار أسماء بنت حسين

ثم إلى جنبها دار أسماء بنت الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكانت من دار جبلة بن عمر الساعدى .

قلت : وقد قدمنا ذكر حالها ، و بيان محلها ، فى خامس أبواب المسجد .

دار ريطة

ثم إلى جنبها دار رَيْطَة بنت أبى العباس ، وكانت من دار جبلة ودار أبى بكر الصديق ، قاله ابن زبالة .

قلت : مُرَاده أنه أدخل فى دار رَيْطَة من شرقيها ما يليها من دار أبى بكر الصديق[لا] أن دار أبى بكر كانت على سَمْتها فى محاذاة المسجد ، كما توهمه المطرى لجعل دار رَيْطَة هى دار أبى بكر ، وأنها المدرسة المقابلة لباب النساء كما قدمناه عنه ، والصواب أن دار أبى بكر كانت خَلْفَ المدرسة المذكورة فى جهة المشرق ؛ لأن ابن شبة قال فى دور بنى تَيْم : اتخذ أبو بكر رضى الله تعالى عنه دارا فى زقاق البقيع قبالة دار عثمان رضى الله عنه الصغرى ، وذكر أن دار عثمان الصغرى هى التى بنحو زقاق البقيع إلى جنب دار آل حَزْم الأنصاريين . وذكر فى خبر مقتل عثمان رضى الله عنه ما يقتضى أن هذه الدار الصغرى كانت متصلة بداره الكبرى الآتى ذكرها ، وأن قَتَلَته تَسَوَّروا ودخلوا عليه منها . وفى موضعها اليوم الرباط المعروف برباط المغاربة ، و يعرف برباط سيدنا عثمان ؛ فعلم بذلك أن دار أبى بكر كانت فى مقابلة ذلك من جهة الشام ؛ فتكون فى محل الدور التى فى شرقى المدرسة المذكورة إلى ما يحاذى الرباط المذكور ، ولا يبعد أن يكون بعضها دخل فى المدرسة المذكورة ، ودار أبى بكر هذه هى المرادة بما رواه ابن سعد فى طبقاته عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه مَرِضَ مَرَضَه الذى

الذى مات فيه وهو نازل يومئذٍ فى داره التى قَطَع له النبىُّ صلى الله عليه وسلم وجاه دار عثمان بن عفان ، أى الصغرى . والله أعلم .

ثم الطريق بين دار رَيْطَة و بين دار عثمان — يعنى العظمى — خمسة أذرع ، قاله ابن زبالة وابن شبة . ونقل المطرى عن ابن زبالة أن الطريق بينهما سبعة أذرع ، والذى ذكره ابن زبالة ماقدمناه ، وهى اليوم نحو ذلك ، ويعرف بطريق البقيع .

دار عثمان ابن عفان

ثم دار عثمان رضى الله عنه . وروى ابن سعد فى طبقاته عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : لما أقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدورَ بالمدينة خَطَّ لعثمان بن عفان داره اليوم ، ويقال : إن الْخَوْخَة التي فى دار عثمان اليوم وجاه باب النبى صلى الله عليه وسلم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج منها إذا دخل بيت عثمان ، هذا لفظ ابن سعد .

قلت : وهذه الدار هى التى عبر عنها ابن شبة بقوله « واتخذ عثمان رضى الله عنه داره العظمى التى عند موضع الجنائز فتصدق بها على ولده فهى بأيديهم صدقة » وقد قدمنا أن فى محلها اليوم رباط الأصفهانى وتربة أسد الدين شِيرِكُوه عم السلطان صلاح الدين بن أيوب ومعه فيها والد صلاح الدين أيضاً ، والدار التى يسكنها مشايخ الخدام .

دار أبى أيوب الأنصارى

ثم بعد دار عثمان فى القبلة الطريق خمسة أذرع ، أو نحو ذلك، ثم منزل أبى أيوب الأنصارى الذى نزله النبى صلى الله عليه وسلم ، وابتاعه المغيرة بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام ، وجعل فيه ماءه الذى يسقى فى المسجد .

قلت : قد قدمنا فى الفصل الرابع عشر من الباب الثالث شرح حال هذه الدار ، وأن الملك المظفر شهاب الدين غازى اشترى عَرْصتها و بناها مدرسة ووقفها على المذاهب الأربعة .

دار جعفر الصادق

ثم إلى جنب منزل أبى أيوب دار جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علىّ زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم التى يُسْقَى فيها الماء ، التى تصدق بها جعفر ، وكانت لحارثة بن النعمان الأنصارى .

قلت : فى موضعها اليوم العرصة الكبيرة التى فى قبلة المدرسة الشهابية ، وفيها محراب قبلة مسجد جعفر الصادق وأثر محاريب ، وهى الآن ملك الأشراف المنايفة ، ثم انتقلت منهم للشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم . ابتناها مسكناً له .

دار حسن ابن زيد

وقبالتها — أى فى المغرب — دارُ حسن بن زيد بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم ، وهو أطم كان حسن ابتاعه فخاصمه فيه أبو عَوْف النَّجَّارى ، فهدمه حسن ، فجعله دارا .

قلت : وهو الأطم الذى يدعى بفويرع ، وفى موضع هذه الدار اليوم بيت الأشراف المنايفة الذى عليه ساباطٌ متصل بالمدرسة الشهابية ، والبيت الذى فى قبلته وما فى غربيها إلى دار القُضاة بنى صالح .

دار فرج الخصى

والطريق خمسة أذرع بينها — أى بين دار حسن المذكورة — و بين دار فرج الخصى أبى مسلم مولى أمير المؤمنين ، وكانت دار فرج من دور إبراهيم بن هشام ، وهى قبلة الجنائز ، كان فيها سرب تحت الأرض يسلكه إبراهيم إلى داره دار التماثيل التى كان ينزل بها يحيى بن حسين بن زيد بن على .

قلت : أما الطريق المذكورة فهى الآخذة من باب المدرسة الشهابية إلى بيت بنى صالح ، ودار فرج المذكورة هى الرباط المعروف برباط مَرَاغة ، والطريق المذكورة بينه و بين دار المنايفة ، وأما دار التماثيل التى كان يتوصل إليها ابنُ هشام بالسرب المذكور فلم يبينها ابن زبالة ولا ابن شبة ، غير أنه كان شخص شرع فى عمارة الميضأة التى بباب السلام المتقدم ذكرها فى دار مروان فوجَدَ سربا تحت الأرض مَقْبُوًّا عند ركنها القبلى مما يلى المغرب ، وعنده باب الخربة المعروفة

بدار الخرازين ، وشرعوا فى عمارتها ـ أى دار الخرازين ـ بدلا من رباط الحصن العتيق . وقد دخلتها قبل هدمها ، فرأيت فيها صناعات غريبة فى البناء من صناعات الأقدمين ، فترجّحَ عندى بقرينة وجود السرب عندها ووجود ذلك بها أنها المرادة بدار التماثيل ، والله أعلم .

دار عامر ابن ابن الزبير ابن العوام

ثم إلى جنب دار فرج الخصى دار عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، وكان ابن هشام ـ حين بنى داره ـ أخذ بعضَ حق عامر ، فقال له عامر : فأين طريقى ؟ قال : فى النار ، قال عامر : تلك طريق الظالمين .

قلت : وموضعها اليوم البيت الموقوف الذى بيد الخدام ، وهو عن يسار الخارج من خَوْخَة آل عمر ، ويسمونه اليوم بيت النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم ترجع إلى دار عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه من حيث ابتدأت .

قلت : وذكر ابن شبة فى دور بنى هاشم أن حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه اتخذ الدار التى صارت لآل فُرَافصة الحنفيين ولآل وردان دبر زقاق عاصم بن عمر ، اهـ .

وقد تقدم فى ذكر سدّ الأبواب إلا ما استثنى ما يقتضى أن حمزة رضى الله تعالى عنه كان له طريق إلى المسجد ، وتقدم بيان زقاق عاصم ؛ فتحصل من ذلك أن دار حمزة رضى الله تعالى عنه كانت فى قبلة المسجد ، وهى غير معلومة المحل ، والله أعلم .

الفصل الخامس والثلاثون

فى البلاط ، وبيان ما ظهر لنا مما كان حوله من منازل المهاجرين

تحديد مكان البلاط

وقد بَوَّبَ البخارى فى صحيحه لمن عَقَلَ بعيره على البلاط أو باب المسجد ، وأورد فيه حديث جابر قال : دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المسجدَ ، فدخلت إليه ، وعَقَلْتُ الجمل فى ناحية البلاط ، وبوب أيضا للرجم بالبلاط ، وأورد فيه

حديث اليهوديين اللذين زَنَيَا ، قال ابن عمر : فرجما عند البلاط . وفى رواية لابن عمر : فَرُجِمَا قريبا من موضع الجنائز .

وعند أحمد والحاكم من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجم اليهوديين عند باب المسجد .

وفى الحديث أن عثمان رضى الله تعالى عنه أتى بماء فتوضأ بالبلاط .

وهذا كله مقتضٍ لأن البلاط كان قديما قبل ولاية معاوية رضى الله عنه .

وفيما قدمناه ما يبين أنه كان فى شرقى المسجد فى ناحية موضع الجنائز ، وظاهر كلام ابن زبالة وابن شبة أن أول حدوثه فى زمن معاوية رضى الله عنه ؛ فإنهما رَوَيَا عن عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله قال : بَلَّطَ مروانُ بن الحكم البلاطَ بأمر معاوية رضى الله عنه ، وكان مروان بلط ممرَّ أبيه الحكم إلى المسجد ، وكان قد أسن وأصابته ريح ، فكان يجر رجليه فتمتلئان ترابا ، فبلطه مروان بذلك السبب ، فأمره معاوية بتبليط ما سوى ذلك مما قارب المسجد ففعل ، وأراد أن يبلط بقيع الزبير فحال ابنُ الزبير بينه وبين ذلك ، وقال : تريد أن تنسخ اسم الزبير ، ويقال : بلاط معاوية ؟ قال : فأمضى مروان البلاط ، فلما حاذى دار عثمان بن عبيد الله ترك الرحبة التى بين يدى داره فقال له عبد الرحمن بن عثمان : لئن لم تُبَلِّطْهَا لأدخلنها فى دارى ، فبلطها مروان .

واقتصر عياض فى بيان البلاط على ما فى غربى المسجد منه ، فقال : البلاط موضع مبلط بالحجارة بين المسجد والسوق بالمدينة ، انتهى .

وقد تبع فى ذلك أبا عبيد البكرى ، وفيه نظر ؛ لأن مقتضى الأحاديث المتقدمة إرادة ما فى شرقى المسجد منه ، ومع ذلك فهو فى شرقى المسجد وغربيه والشام .

وقال ابن شبة : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا مَنْ يوثق به من أهل العلم أن الذى بلط حوالى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة معاوية بن أبى

سفيان رضى الله عنهما ، أمر بذلك مروان بن الحكم ، وولى عمله عبد الملك بن مروان ، و بلط ما حول دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز .

حدود البلاط

وحَدُّ ذلك البلاط الغربى : ما بين المسجد إلى خاتم الزوراء عند دار العباس ابن عبد المطلب بالسوق . وحده الشرقى إلى دار المُغيرة بن شُعْبة رضى الله عنه التى فى طريق البَقيع من المسجد . وحده اليمانى إلى حد زاوية دار عثمان بن عفان الشارعة على موضع الجنائز . وحده الشامى وَجْه حش طلحة خلف المسجد ، وهو فى المغرب أيضا إلى حددار إبراهيم بن هشام الشارعة على المصلى .

وللبلاط أسراب ثلاثة تصب فيها مياه المطر ؛ فواحدٌ بالمصلَّى عند دار إبراهيم ابن هشام ، وآخر على باب الزوراء عند دار العباس بن عبد المطلب بالسوق ، ثم يخرج ذلك الماء إلى ربيع فى الجبانة عند الحطابين ، وآخر عند دار أنسِ بن مالك فى بنى جَديلة عند دار بنت الحارث ، اهـ

و يؤخذ من ذلك أن البلاط كان من المغرب فيما بين المسجد و بين الدور المطيفة به .

و يمتد البلاط الآخر من باب الرحمة إلى أن يصلَ إلى الصواغ وسوق العطارين اليوم ، و يستمر كذلك إلى حد سوق المدينة الأول عند أحجار الزيت ومشهد مالك بن سنان ؛ فهناك خاتم الزوراء عند دار العباس ، وهو خاتم البلاط ، وذلك ما بين مشهد مالك بن سنان والدور المواجهة له كما سنبينه فى ذكر سوق المدينة ، وهو موجود اليوم فى تلك الجهة .

و يمتد أيضا البلاط الآخذ من باب السلام إلى أن يصل إلى المدرسة الزمنية ، و ينعطف لجهة الشام حتى يتصل بالبلاط الممتد من باب الرحمة لجهة سوق الصواغ والعطارين ، وهذا الجانب منه هو الذى تقدمت الإشارة إليه بأن عنده أصحاب الفاكهة .

وفى طبقات ابن سعد عن محمد بن عمرو فى دار حكيم بن حزام المتقدم ذكرها فيه أنها عند بلاط الفاكهة عند زقاق الصواغين ، انتهى .

ثم يمتد البلاط الآخذ من باب السلام فى الاستقامة من المدرسة الزمنية فيمر بالموضع المعروف اليوم بسويقة ، فيجاوز باب المدينة المعروف بباب سويقة حتى يصل إلى المصلى ، وهـذا معنى قوله « وهو فى المغرب أيضاً إلى حد دار إبراهيم ابن هشام الشارعة على المصلى » .

وهذه الناحية من البلاط الغربى هى المسماة بخط البلاط الأعظم ، وما كان عن يمين الماشى فى هذا البلاط قاصدا بابَ السلام فهو الذى يعبر عنه بميمنة البلاط الأعظم ، وما كان عن يساره فهو الذى يعبر عنه بميسرة البلاط الأعظم .

وأما البلاط الشرقى فحده من القبلة ظاهر عنـد زاوية الدار التى يسكنها مشايخ الخدام من دار عثمان وزاوية رباط مراغة .

ومن المشرق يمتد فى زقاق البقيع إلى خارج باب رباط المغاربة عنـد ما يعطف من آخر الدور التى قدمنا أنها فى محل دار أبى بكر رضى الله عنه المقابلة لرباط المغاربة ، ولعل دار المغيرة بن شعبة هى التى تواجهك حين تعطف هناك ، ثم تكون على يسارك وأنت ذاهب إلى البقيع فى مقابلة الرباط المعروف برباط الصادر والوارد ، ولعل البلاط كان متصلا بها .

وقد قال ابن شبة فى دور بنى عبد شمس : إن عثمان رضى الله تعالى عنه اتخذ أيضاً دار المغيرة بن شعبة التى بالبقيع فعارض المغيرة إلى دار عثمان بن عفان التى يقال لهـا دار عمرو بن عثمان التى بين دار المغيرة بن شعبة اليوم و بين دار زيد ابن ثابت من الأنصار ، انتهى .

فدار المغيرة التى ناقل بها عثمان ليست المرادة ؛ لأنه قال فيها « إنها بالبقيع » وذكر فى هذه التى حدد بها البلاط أنها بزقاق البقيع .

وأيضاً قد قدمنا قول محمد بن عقيل فى خبره فى سقوط جدار الحجرة « حتى

إذا كنتُ عند دار المغيرة بن شعبة لقيتني رائحة لا والله ما وجدت مثلها قط » فإنه يدل على قرب دار المغيرة من المسجد .

وأيضاً فمن الشائع بين الناس اليوم نسبتهم إلى عثمان رضى الله تعالى عنه الدارَ التى فى شرقى الدار التى قلنا لعلها دار المغيرة بينها و بينها ساباط ، ولعلها التى كانت لعثمان وناقل بها المغيرة إلى داره التى بالبقيع ، وقد قال فى وصفها « إنها بين دار المغيرة اليوم ودار زيد بن ثابت » فتكون دار زيد بن ثابت هى التى تلى ذلك فى المشرق أيضاً على يسار الذاهب إلى البقيع ، وما عن يمينه مما يلى رباط المغاربة دور آل حزم من الأنصار .

وقد قال ابن شبة : إن عتبة بن غَزْوَان حليفَ بنى نوفل بن عبد مناف اتخذ داره التى بالبقيع إلى شرقى دور آل حزم الأنصار ؛ فتكون على يمين الذاهب إلى البقيع بعد دور آل حزم .

فأما البلاط الشامى فمحله ظاهر بين المسجد والدور التى قدمناها فى شاميه ، لكن حدث فيه دور لاصقة بالمسجد بعد سد الأبواب التى فى تلك الجهة كما قدمناه .

وأما ما ذكره ابن شبة من أن الماء الذى يصبُّ فى السرب الذى بالمُصَلَّى والسرب الذى عند دار العباس يخرج إلى ربيع فى الجبانة عند الحطابين فالمراد أنه يخرج إلى الربيع المذكور فى شامى سوق المدينة عندسوق الحطابين قرب ثَنيَّة الوَدَاع ، لما سيأتى فى ترجمة الجبانة .

وقوله « إن السرب الآخر عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة عند دار بنت الحارث » فأما دار أنس فلم يتحرر لى معرفتها ، غير أنه سيأتى فى بئره — وكانت فى داره — ما ترجح عندنا فى محلها ؛ فيؤخذ منه أن داره كانت عند البئر المعروفة اليوم بالرباطين خلف الحديقة المعروفة بالرومية فى شامى سور المدينة .

وأما دار بنت الحارث فلم أعلم محلها ، وعلى ما ذكرناه فى دار أنس تكون

فى محل الحديقة المعروفة بالرومية أو ما حولها . ودار بنت الحارث هـذه لها ذكر فى أماكن كثيرة ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يُنْزِلُ بها الوفودَ ، وجعل بها أسْرَى بنى قريظة حتى خندق لهم الخنادق بالسوق وقتلوا .

وروى ابن زبالة عن محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم إلى نفرٍ من أصحابه من قريش والأنصار وهم فى دار بنت الحارث ، فلما رأوه أوْسَعُوا له ـ الحديث .

و بنت الحارث : اسمها رَمْلَة . وهـذه الأسراب الثلاثة لا يعرف منها شىء اليوم .

وقد علا الـكَبْسُ على كثير من البلاط ، ولم يبق ظاهرا منه إلا ما حول المسجد النبوى وشىء من جهة بيوت الأشراف ولاة المدينة . وله بلاليع يجتمع الماء فيها ، فإذا كثرت الأمطار تجتمع حول المسجد لامتلاء تلك البلاليع ، فيصير أمام أبواب المسجد كالغُدْران الـكبار ، خصوصا فى شرقى المسجد ، فحفر الشمسُ ابن الزمن متولى العمارة الشريفة البَلاَّعة التى فى شرقى المسجد وتتبَّع ما حولها ، فوجد سربا تحت الأرض آخذا من شرقى المسجد إلى جهة زقاق المناصع ، وتَتَبَّعه حتى وصل إلى الحوش المعروف اليوم بحوش الحسن ، فوجد الناس قد بنوا هنالك ، ولم يتمكنوا من تتبعه إلا بهدم الأبنية فتركوه ، وهذا هو السرب الذى تقدم أنه كان يخرج عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة .

ثم إن متولى العمارة حفر سربا لتلك البلاليع التى عنـد أبواب المسجد ، وأوصلها بالسرب الذى يسير فيه وسخ العين ؛ فحصل بذلك غاية النفع ، وصار الماء لا يقف بعـد ذلك بأبواب المسجد ، ووجد البلاط الأول على أكثر من نصف قامة من الأرض فيما يلى الصاغة وسوق العطارين ، وكذا فى شامى المسجد .

وأما الدور المطِيفة بالبلاط الأعظم ـ وهو الآخذ من باب السلام إلى المُصَلَّى ـ ففى قبلة منازل بنى زريق ، وسيأتى من كلام ابن شبة نقلا عن أبى غسان أن

ذَرْعَ ما بين مسجد النبى صلى الله عليه وسلم الذى عنده دار مروان و بين المسجد الذى يصلى فيه العيدُ بالمصلى ألف ذراع ، وقد ذَرَعْناه فكان كذلك ، لكن الذى يظهر أن البلاط لم يكن متصلا بمسجد المصلى ؛ لأنه ذكر أن نهايته دار ابن هشام ، ولم تكن الدور متصلة بنفس المسجد .

بيان الدور المطيفة بالبلاط

فأول الدور المطيفة بهذا البلاط مما يلى المُصَلّى فى ميسرته دار إبراهيم ابن هشام المخزومى .

وفى ميمنته فى قبلتها جانحا إلى المغرب دارُ سعد بن أبى وَقَّاص ، والطريق بينهما . ودار سعد هذه قال ابن شبة : إنها هى التى فى دبر دار جبى ، ولها فيها طريق مسلمة .

قال : وسمعت من يقول : كانتا دارا واحدة لسعد ، وإن عمر بن الخطاب كان قاسَمَه إياها ، وكانت دار جبى قسيمة هذه الدار حين قاسمه ماله مَقْدَمَ سعد من العرق ، فاشترى دار جبى عثمان بن عفان ، ثم صارت لعمرو بن عثمان ، وكانت جبى أرضعت عمرا فوهبها لها ، فكانت بيدها ، حتى سمعت نقيضا فى سقف بيتها فقالت لجاريتها : ما هذا ؟ قالت : السقف يسبح ، قالت : ماسبح شىء قط إلا سجد ! فخرجت ، فاضطربت خباء بالمصلى ، ثم باعت الدار من بعض ولد عمر بن الخطاب . قال : وسمعت من يقول : إن عثمان نفسَه أقطعها إياها .

ثم يليها فى ميمنة البلاط المذكور دار لسعد بن أبى وقاص أيضاً ، وكانت لأبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فناقَلَه أبو رافع إلى داريه بالبقال ، وكانتا دارا لسعد .

وفى ميسرة البلاط فى مقابلة هذه الدار دار لسعد أيضاً ، والطريقُ بينهما عشرة أذرع ، ودور سعد صدقة .

وقد ذكر ابن شبة كتابَ وَقْفها . و بقى من دوره دار أخرى قال ابن شبة :

واتخذ سعد أيضاً دارا بالمصلى ، بين دار عبد الحميد بن عبيد الـكنانى و بين الزقاق الذى يسلك فى بنى كعب عند الحمارين ، وفتح فى طائفة من أدنى داره بابا فى الزقاق ، حتى صارت كأنها داران .

قلت : وسيأتى ذكر منازل بنى كعب ، وذكر الحمارين ، و يعلم من مجموع ذلك أن زقاق الحمارين كان فى قبلة البيوت التى بالمصلى والبيوت التى فى قبلة البلاط ببنى زر ق .

ثم يلى دار سعد التى كانت لأبى رافع فى ميمنة البلاط المذكور دار آل خراش من بنى عامر بن لؤىّ ، وتعرف بدار نوفل بن مُسَاحق بن عمرو العامرى وفى دبرها من جهة القبلة كُتّاب عروة رجلٍ من اليمن ، كان يعلم . وفى كتاب عروة مسجد بنى زريق ، وعنده دار رفاعة بن رافع . ودار آل خراش هذه هى التى عناها ابن شبة بقوله : وقال — يعنى أبا غسان — : وحدثنى عبد العزيز أن رافع بن مالك الزرقى قتل بأُحُد فدُفن فى بنى زريق ، قال : وقيل : إن موضع قبره اليوم فى دار آل نوفل بن مساحق التى فى بنى زريق فى كتاب عروة ، وصارت للعباس بن محمد . ثم يلى دار آل خراش فى الميمنة أيضا دار الربيع التى يقال لها دار حفصة ، وهى مولاة لمعاوية بن أبى سفيان ، كانت تسكنها فنسبت إليها قبل ، وكانت هذه الدار قَطيعةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى العاص الثقفى ، فابتاعها من ولده معاويةُ بن أبى سفيان وكانت معها لعثمان أيضا دار آل خراش المتقدمة إلى جنبها ، ويقال : إنه ابتناها فى قطيعة النبى صلى الله عليه وسلم إياه أيضا . وفى الميسرة فى شامى الدارين المذكورين مقابلا لهما دارُ نافع بن عتبة بن أبى وقاص التى ابتاعها الربيع مولى أمير المؤمنين من ولد نافع ، وتعرف أيضا بدار الربيع . وفى دبر الدار المتقدمة التى يقال لها دار حفصة من القبلة دار عَبْد بن زَمْعَة ، قال ابن شبة : واتخذ عَبْدُ بن زَمْعة دارَهُ التى فى كتاب عروة إلى حدها الشامى ، فتكون دار حفصة بينها و بين البلاط بابها لازق فى كتاب

عروة ، أى فى غربيها . وفى قبلة دار عَبْد بن زَمْعة دار ابن مشنو ، قال ابن شبة أيضا : واتخذ عبد الرحمن بن مشنو دارَهُ التى فى كتاب عروة حدُّها من الشام دار عبد بن زمعة ، وحدُّها من المشرق كتاب إسحاق الأعرج بابُهَا لاصق فى كتاب عروة أى فى غربيها أيضا ، وهى صدقة منه . وفى قبلة دار ابن مشنو دارُ عمار بن ياسر فإنها حد دار ابن مشنو من القبلة ، قال ابن شبة : واتخذ عمار بن ياسر داره التى فى بنى زريق ، وكانت من دور أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وبابُهَا وُجَاهَ دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أى الذى فى شرقيها ، وكانت أم سلمة أعطته إياها ، ولها خَوْخَة شارعة فى كتاب عروة أى فى المغرب وهى خوخة عمار نفسه ، انتهى ؛ فهذه الدور الثلاثة مصطفة فى القبلة خلف دار حفصة المذكورة ، وخلف الدار الآتية بعدها ، و بينهن من المغرب كتاب عروة ومسجد بنى زريق ، ومن المشرق زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث الآتى ذكره .

وذكر ابن شبة ما حاصله أن دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فى بنى زريق ، فيما بين دار ابن أم كلاب الشارعة على المصلى إلى دار رفاعة بن رافع الأنصارى قبالة مسجد بنى زُرَيْق .

ثم يلى دار الربيع التى يقال لها دار حفصة فى ميمنة البلاط دارُ أبى هريرة رضى الله تعالى عنه . ثم يليها فى الميمنة أيضا زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ودارُه هى التى تقدم أنها تقابل دار عمار بن ياسر فى الشرق ، و بينها وبين البلاط الداران الآتى ذكرهما ، وهذا الزقاق سيأتى له ذكر فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من صلاة العيد .

وكذا دار أبى هريرة هذه ، قال ابن شبة : اتخذ أبو هريرة الدَّوْسِىُّ دارا بالبلاط بين الزقاق الذى فيه دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و بين خط البلاط الأعظم ، فباعها ولده من عمر بن بزيع .

والذى ظهر لى بعد التأمل فيما ذكره ابن شبة فى هـذه الدور — بقرينة

ما سنذكره إن شاء الله تعالى — أن زقاق عبد الرحمن بن الحارث هو أول زقاق يلقاك عن يمينك إذا دخلت من باب المدينة اليوم تريد المسجد ، وظهر لى أيضا أن دار هشام والدار الثانية التى تليها فى المَيْسَرة و بعض الثالثة كُنَّ من خارج سور المدينة ، وكذلك ما يقابل ذلك فى الميمنة من دارى سعد و بعض دار آل خراش .

ثم يلى زقاق عبد الرحمن بن الحارث فى ميمنة البلاط دارُ عبدالله بن عوف . ثم يليها فى الميمنة زقاق أبى أمية بن المغيرة ، قال ابن شبة فى دور بنى زهرة : واتخذ عبدُ الله بن عَوْف بن عبد عوف دارا بالبلاط بين زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث بن هشام و بين زقاق دار أبى أمية بن المغيرة ، و يقال لها : دار طلحة بن عبد الله بن عوف ؛ فهى صَدَقة بأيدى ولده إلا شيئا خرج منها صار لبكار بن عبد الله بن مصعب الزبيرى . و يلى دار أبى أمية التى نسب إليها الزقاق المذكور فى قبلتها دار الحُوَيْطب بن عبد العزى بينها و بين دار سعيد بن عمرو بن نفيل ، وهما شارعتان فى خط الحمارين الشارع إلى دار ابن عُتْبة ببنى زريق شرق دار أبى أمية ، وفى شرقيها أيضا دار صُهَيْب بن سِنان ، وكانت لأم سلمة رضى الله تعالى عنها، وكل هذه الدور فى بنى زريق .

ولنرجع إلى جهة الميسرة فنقول : وفى الميسرة فى مقابلة دار أبى هريرة وبعض التى قبلها دار حُوَيْطب بن عبد العُزى ، وهى غير داره السابقة ، وتلك ليست فى البلاط كما قدمناه ، قال ابن شبة فى دور بنى عامر بن لؤى : واتخذ حُوَيطب بن عبد العزى داره التى بين دار عامر بن أبى وقاص وعتبة بن أبى وقاص ، بالبلاط منها البيت الشارع على خاتمة البلاط بين الزقاق الذى إلى دار آمنة بنت سعد وبين دار الربيع مولى أمير المؤمنين ، وهى صدقة منه على ولده ، انتهى . ولم يذكر لعتبة ابن أبى وقاص دارا بالمدينة . والذى انتقل إلى المدينة واتخذ بها الدار إنما هو ابنُه نافع ، وداره هى المتقدم ذكرها التى صارت للربيع ؛ فهى المرادة .

وقال فى بيان دار عامر بن أبى وقاص الزهرى : واتخذ عامر بن أبى وَقّاص دارَه التى فى زُقاق حلوة بين دار حُوَيْطب بن عبدالعُزّى و بين خط الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد بن أبى سَرْح، انتهى .

فيتلخص من ذلك أن دار حُوَيْطب المذكورة فى شرقىّ دار الربيع المتقدمة فى المَيْسَرة و إلى جانبها خاتمة البلاط ، وهو اليوم الزقاق الذى بين سور المدينة و بين البيوت المقابلة له ولمشهد سيدنا مالك بن سِنان على يسارك عندما تدخل من باب المدينة ، وأن من دار حُوَيْطب بيتا خلفها من جهة جانبها الغربى شارعا على خاتمة البلاط المذكورة ، وخلفه من جهة الشام الزقاق الذى فيه دار آمنة ، وتكون دار عامر بن أبى وقّاص خلف دار حُوَيْطب من جهة جانبها الشرقى ، و يكون زقاق حلوة فى شرقيهما ، ولعله المعروف اليوم بزقاق الطول ؛ لانطباق الوَصْف المذكور عليه ، وسيأتى لزقاق حلوة ذكر فى الآبار

ثم فى الميسرة أيضا دارُ عبد الله بن مَخْرَمة قال ابن شبة فى دور بنى عامر بن لؤى : اتخذ عبد الله بن مَخرَمة داره التى فى البلاط الشارع بابها قبالة دار عبد الله بن عَوْف التى فيها بنو نَوْفَل بن مُسَاحق بن عبد الله بن مَخْرَمة، وخرج عنهم بعضها فهو فى يد ورثة عمر بن بزيع مولى أمير المؤمنين .

ولنرجع إلى جهة المَيْمَنة فنقول: ثم إلى زقاق دار أبى أمية فى الميمنة من شرقيه دار خالد بن سعيد الأكبر بن العاص التى يقال لها دار سعيد بن العاص الأصغر أبن سعيد بن العاص ، و يقال لها دار ابن عتبة، و إنما ورثها عبد الله بن عتبة عن عمه خالد بن سعيد . و يقابلها فى المَيْسَرة دار أم خالد التى لآل خالد بن الزبير بن العَوّام ، ورثوها عن أمهم أم خالد بن سعيد بن العاص ، وقيل : إنهما قَطيعة من النبى صلى الله عليه وسلم . ثم يلى دار خالد بن سعيد فى الميمنة دارُ أبى الجَهْم ، ثم دار نوفل بن عدى ، ثم دار آل المُنْكَدِر التَّيْمى . قال ابن شبة فى دور بنى عدى : واتخذ أبو الجَهْم داره التى بين دار سعيد بن العاص التى يقال لها دار أبن عتبة و بين دار نوفل ابن عدى بابها شارع فى البلاط .

قلت : وهذه الدار هى المرادة بما رواه مالك فى الموطأ عن عمه أبى سَهْل بن مالك بن أبى عامر عن أبيه : كنا نسمع قراءة عمر بن الخطاب ونحن عند دار أبى جَهْم بالبلاط ، وكذا بما رواه البيهقى عن موسى بن عقبة أن رجال بنى قُرَيْظة قُتلوا عند دار أبى جَهْم التى بالبلاط ، ولم يكن يومئذٍ بلاط ، فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التى كانت بالسوق .

وقال ابن شبة فى دور بنى أسـد : واتخذ نَوْفَل بن عَدِى بن أبى حُبَيش دارين : إحداهما التى بالبلاط عنـد أصحاب الرباع بين دار المنكدر التيمى و بين دار آل أبى جَهْم العدويين ، والدار الأخرى فى بنى زُرَيق وُجَاه الـكتاب الذى يقال له كتاب آل زيان بين منزل أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام الذى صار لبنى عبيد بن عبد الله بن الزبير و بين حد الزقاق الذى عند الحمارين ، دبرهما دار هانىء التى بأيدى آل جبر ، انتهى.

وهذه الأمور التى ذكرها فى الدار الثانية حول ماخلف دار سعيد بن العاص المسماة دار ابن عتبة من جهة القبلة ، والزقاق الذى ذكره هناك عند الحمارين يمتدّ فى المغرب إلى المصلَّى فى قبلة دور سعد بن أبى وقاص .

وقد ذكر ابن شبة أيضاً أن دار رُوَيْشِد الثقفى التى يقال لها القمقم فى كتاب ابن زيان هى التى حَرَّقها عليه عمر بن الخطاب فى الشراب ، وكان رويشد خمارا، وفى غربى هـذه الدار أدنى دار على بن عبد الله بن أبى فَرْوَة ، وشرقيها الطريق بينها و بين بيوت آل مصبح ، و يمانيهـا دار الأويسيين التى لسكن خالد بن عبد الله الأويسى ، وشاميها قبلة بيوت آل مصبح التى بينها و بين دار موسى بن عيسى ، و بيوت آل مصبح ذكرها فى دور بنى عامر بن لؤى فقال : واتخذ ابن أم مكتوم دارا هى البيوت التى للمصبحين بين دار آل زَمْعة بن الأسـود و بين شرقى القمقم ، انتهى . وهذه الأمور أيضاً حول الدور المتقدمة فى بنى رزيق .

وقوله فى دار نوفل الأولى وهى المقصودة لأنها التى فى ميمنة البلاط وأنهـا

عند أصحاب الرباع ، لم أعلم المراد به، غير أن فى طبقات ابن سعد أن دار حُوَيْطب ابن عبد العزى المتقدم ذكرها فى الميسرة عند أصحاب المصاحف ، فإنه قال فى ترجمته : وله دار بالبلاط عند أصحاب المصاحف ، فلعل المراد بالرباع المصاحف ؛ لأن المصحف يسمى ربعة ؛ فيستفاد منه أن هذه الناحية من البلاط ميمنة وميسرة تسمى بذلك ، لكن قال ابن شبة فى دور العباس بن عبد المطلب ما لفظه : وقد سمعتُ مَنْ يذكر أن دار فضالة بن الحكم بن أبى العاص التى بالبلاط الخربة التى عند أصحاب الرباع على يمين مَنْ سلك إلى بنى جديلة كانت مِرْبَدا للعباس رضى الله عنه ، ويقال : إنها كانت مربداً لنعم الصدقة ، انتهى .

وهو يقتضى أن أصحاب الرباع ليسوا فى البلاط الأعظم ، لأنه ليس فيه مَسْلك إلى بنى جديلة ، وإنما يتوصل منه إلى بنى جديلة بعد إتيان البلاط الآخر الذى هو موضع سوق المدينة اليوم عند درج العين ، وقد تقدم أن ذلك يسمى بموضع الفاكهة ، والله أعلم .

هذا ما علمته من الدور التى بهذا البلاط ، وفى الاقتصار عليها كفاية ؛ لأن المقصود المهمّ لنا من ذلك ما يتعلق ببيان مسجد بنى زُرَيق ، وبطريق النبى صلى الله عليه وسلم فى ذهابه إلى المصلى ورجوعه منها كما سيظهر لك .

وأما البلاط الممتد فى المغرب إلى سوق المدينة القديم فكان عند خاتمة دار العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه كما تقدم .

وقال ابن شبة فى دور العباس : ومنها الدار التى بالزَّوْرَاء سوق المدينة عند أحجار الزيت ، أقطعها له عمر بن الخطاب ، قال : وقد بلغنى أن دار طلحة بن عمر بالبلاط كانت مِرْبَدا لدار العباس هذه ، فابتاعها عمر من بعض بنيه . ويقوى ذلك أن المنصور أبا جعفر ابتاع تلك الدار من ولد طَلْحة بن عمر بأربعين ألف دينار .

ثم ذكر للعباس دارا أخرى ليست فى البلاط ، لكنها فى شامى هذه الدار ،

فقال : ومنها الدار التى إلى جَنْب دار آل قارظ حُلَفاء بنى زُهْرة ، بينها و بين خطة بنى ضَمْرة ، وهى التى كان عبد الله بن عباس يسكن وجعلت المحررة هناك لطعام كان ابن عباس يطعمه .

قلت : و إنما ذكرنا هاتين الدارين لمـا سيأتى من ذكرهما فى الدار التى أخذ بها هشام بن عبد الملك سوق المدينة .

و يستفاد مما سيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن دار العباس التى عند خاتمة البلاط المذكور كانت بقرب مشهد سيدنا مالك بن سنان فى شرقيه ، وسيأتى أنه دفن عنـد مسجد أصحاب العَبَاء ، أى الذين يبيعون العبى ، وهنالك كانت أحجار الزيت .

الفصل السادس والثلاثون

فيما جاء فى سوق المدينة الذى تصدق به النبى صلى الله عليه وسلم على المسلمين، وذكر دار هشام بن عبد الملك التى أخذ بها السوق .

الرسول ينشىء السوق

روى عمر بن شبة عن عطاء بن يَسَار قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل المدينة سوقا أتى سوق بنى قَيْنُقَاع ، ثم جاء سوق المدينة فضرب به برجله وقال : هذا سوقـكم ؛ فلا يضيق ، ولا يؤخذ فيه خَرَاج .

وروى ابن زَبَالة عن يزيد بن عبيد الله بن قسيط أن السوق كانت فى بنى قَيْنُقَاع حتى حول السوق بعد ذلك .

أسواق المدينة فى الجاهلية

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : وكان بالمدينة فى الجاهلية سوق بزَبَالة من الناحية التى تدعى يثرب ، وسوق بالجسر فى بنى قَيْنُقَاع ، وبالصفاصف بالعصبة سوق ، وسـوق يقوم فى موضع زقاق ابن حبين كانت تقوم فى الجاهلية وأول الإسلام ، وكان يقال لذلك الموضع : مزاحم .

وروى ابن شبة أيضاً عن صالح بن كَيْسَان قال : ضرب رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم قبة فى موضع بَقيع الزبير فقال : هذا سوقكم. فأقبل كعب بن الأشرف فدَخَلها وقَطَع أطنابها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا جَرَمَ لأنقلنَّها إلى موضع هو أغْيَظُ له من هذا ، فنقلها إلى موضع سوق المدينة ، ثم قال : هـذا سوقـكم ، لا تتحَجَّروا ، ولا يُضْرَب عليه الخراج .

وعن أبى أسيد أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله إنى قد رأيت موضعا للسوق ، أفلا تنظر إليـه ؟ قال : فجاء به إلى موضع سوق المدينة اليوم ــ أى فى زمنهم ــ قال : فضرب النبىُّ صلى الله عليه وسلم برجْله وقال: هذا سوقكم ؛ فلا ينقص منه ، ولا يضربَنَّ عليه خراج .

وروى ابن زبالة عن عباس بن سهل عن أبيه أن النبى صلى الله عليـه وسلم أتى بنى سـاعدة فقال : إنى قد جئتكم فى حاجة تُعْطُونى مكانَ مقابركم فأجعلها سوقاً ، وكانت مقابرهم ماحازت دار ابن أبى ذئب إلى دار زيد بن ثابت ، فأعطاه بعضُ القوم ، ومنعه بعضهم ، وقالوا : مقابرنا ومخرج نسائنا ، ثم تَلاَوَمُوا فلحقوه وأعْطَوه إياه ، فجعله سوقا .

قلت : وسيأتى ما يبين أن دار ابن أبى ذئب ودار زيد بن ثابت كانتا فى شرقى السوق ، الأولى عند أثنائه مما يلى الشام ، والثانية عند أثنائه مما يلى القبلة ؛ فليست المقابر المذكورة سوق المدينة كله ، بل بعضه . وقد قدمنا فى منازل بنى ساعدة أن ابن زبالة نقل أن عرض سوق المدينة ما بين المصَلَّى إلى جرار سعد ، وهى جرار كان يَسْقِى الناسَ فيها الماء بعد موت أمه ، وقدمنا أن الذى يترجح أن المصلى حده من جهة القبلة ، وأن جرار سعد حده من جهة الشام ؛ فتكون جرار سعد قرب ثَنِيَّة الوَدَاع ، وقد قوى الآن ذلك عندى جدا ، لما سيأتى فى ذكر دار هشام .

وروى ابن شبة أيضاً وابن زبالة عن محمد بن عبد الله بن حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدَّق على المسلمين بأسواقهم .

وروى ابن زبالة عن خالد بن الياس العدوى قال : قرئ علينا كتابُ عمر ابن عبد العزيز بالمدينة : إنما السوق صَدَقة فلا يضربَنّ على أحد فيه كِراء .

وعن ابن أبى ذئب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على خيمة عند موضع دار المنبعث فقال : ما هذه الخيمة ؟ فقالوا : خيمة لرجل من بنى حارثة كان يبيع فيها التمر ، فقال : حرقوها ، فحرقت . قال ابن أبى ذئب : و بلغنى أن الرجل محمد بن مسلمة .

وروى ابن شبة عن أبى مردود عبد العزيز بن سليمان أن عمر بن الخطاب رأى كِيرَ حَدّاد فى السوق ، فضربه برجله حتى هَدَمه ، وقال : أتنتقصُ سوق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

وروى ابن زبالة عن حاتم ابن إسماعيل عن حبيب قال : مر عمر بن الخطاب على باب معمر بالسوق ، وقد وضع على بابه جرة ، فأمر بها أن تُقلع ، فخرج إليه معمر فقال : إنما هذه جرة يَسْقِى فيها الغلامُ الناسَ ، قال : فنهاه عمر أن يحجر عليها أو يحوزها . قال : فلم يَلْبث أن مرّ عليها وقد ظلل عليها ، فأمر عمر بالجرة والظال فنزعهما .

وعن عبد الله بن محمد قال : كان الراكبُ ينزل بسوق المدينة فيضع رَحْله ، ثم يطوف بالسوق ورَحْله بعينه يُبْصره ، لا يغيبه عنه شىء .

وروى أيضاً قصة أخذ معاوية رضى الله تعالى عنه لدار النقصان من صحن سوق المدينة .

وروى أيضاً عن محمد بن طلحة وغيره قال : أحدث إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة فى سلطان هشام بن عبد الملك ، وهو يومئذ والٍ له على المدينة ، دارا أخذ بها سوق المدينة ، وسدَّ بها وجوه الدور الشوارع فى السوق ، وكتب إلى هشام يذكر له عليها وعظيم قدرها ، فكتب إليه هشام يأمره بإمضائها و إمضاء عين السوق ، وكان أحْدَثها فى سكك أهل

المدينة ، ودخلت فى بعض منازلهم ، فكتب إليه أن أمْضِهَا وإن كانت فى بطونهم .

قلت : ونقل ابن شبة عن أبى غسان أنه قال : كان الذى هاج هشام بن عبد الملك على بناء داره التى كانت بالسوق أن إبراهيم بن هشام بن إسماعيل كان خال هشام بن عبد الملك ، وكان ولاه المدينة ، فكتب إليه إبراهيم ، فذكر أن معاوية بن أبى سفيان بنى دارَيْن بسوق المدينة يقال لإحداها دار القطران والأخرى دار النقصان ، وضرب عليهما الخراج ، وأشار عليه أن يبنى دارا يدخل فيها سوق المدينة ، فقبل ذلك هشام ، و بناها ، وأخذ بها السوق كله ، انتهى .

وقال ابن زبالة عقب ما تقدم : فابتدأ الدار من خاتمة البلاط أى الذى عند دار العباس بالزوراء بقرب مشهد مالك بن سنان رضى الله عنه ، فيكون هذا الجدار فى شرقى السوق ، وهذا أول الجدار المذكور مما يلى القبلة ، وما سيأتى فيه دال على أنه استمر يمده إلى جهة الشام ، وليس ابتداء هذا الجدار من القبلة أول السوق لما سيأتى ، بل بقى منه بقية فى جهة القبلة إلى المصلى سيأتى ذكرها .

قال ابن زبالة عقب ذكره لابتداء الدار من خاتمة البلاط : فمضى بها حتى سد بها وجه دار العباس بن عبد المطلب ، أى التى عند خاتمة البلاط ودار نخلة ، وكانت لآل شيبة بن ربيعة ، وإنما سميت دار نخلة لنخلة كانت فيها . ثم دار معمر العدوى التى كان يجلس صاحبُ السوق بفنائها . ثم دار خالد بن عقبة التى بفنائها أصحابُ الرقيق .

وجعل لبنى ساعدة طريقا مبوبة ، ثم أخذ وجه دار ابن جحش . ثم وجه دار ابن أبى فروة التى كانت لعمر بن طلحة بن عبيد الله ، ثم وجه دار ابن مسعود ، ثم وجه دار زيد بن ثابت ، وجعل للطريق منفذا مبوبا . ثم وجه دار جبير ابن مطعم التى فيها أصحاب العَبَاء . ثم وجه دار القارظيين . ثم وجه دار العباس ابن عبد المطلب ، أى الثانية التى كان عبدُ الله بن عباس يسكنها ، وجعل لبنى

ضَمْرة طريقا مبوبا . ثم وجه دار ابن أبى ذئب . ثم دار آل شويفع . ثم صدقة الزبير ، وجعل لبنى الديل طريقا مبوبا .

قلت : وهذا الطريق عند نهاية هذا الجدار الشرقى مما يلى الشام قرب ثنية الوداع ، والطرق المذكورة قَبْله كلها فى الجدار المذكور خططها فى المشرق .

ثم بين ابن زبالة ما يقابل هـذا الجدار فى المغرب مبتدئا بما يقابله من جهة القبلة ، ثم إلى الشام فقال عقب ما تقدم :

ثم أخذ بها من الشق الآخر ، فأخذ وجـه الزوراء ووجه دار ابن نصلة الـكنانى . ثم على الطاقات حتى ورد بها خيام بنى غفار ، وجعل لمخرج بنى سلمة من زقاق ابن جبير بابا مبوبا عظيما يغلق . ثم مضى بها على دار النقصان ودار نويرة ، وجعل لسكة أسلم بابا مبوبا . ثم مضى بها على دار ابن أزهر ودار ابن شهاب ودار نوفل بن الحارث حتى جاوز بها دار حجارة ، وكانت لعبيد الله بن عباس ابن عبد المطلب ، حتى إذا جاوز بها دار حجارة جعل لها بابا عظيما يقابل الثنية .

قلت : يعنى ثنية الوَدَاع ، وهذا الباب فى جهة الشام كما صرح به ابن شبة فقال ، عقب ما تقدم : وجعل لها بابا شاميا خلف شامى زاوية دار عمر بن عبد العزيز بالثنية . ثم جعل بينها و بين دار عمر بن عبد العزيز عرضا ثلاثة أذرع ، ثم وضع جدارا آخر وُجاه هذا الجدار . ثم قاد الأساس بينه و بين الدور كلها ثلاثة أذرع حتى الزقاق الذى يقال له زقاق ابن جبير ، جعل عليه بابا ، وجعل على الزقاق الذى يقال له زقاق بنى ضمرة عند دار آل أبى ذئب بابا . ثم جعل على الزوراء خاتم البلاط أى بابا ؛ فيستفاد منه جعل باب هناك ، وليس فى كلام ابن زبالة تعرض له .

ثم إن ابن زبالة ذكر ما بقى من شقى الدار الغربى والشرقى مما يلى القبلة إلى المصلى، فقال عقب كلامه السابق : ثم ساقها من الشقين جميعا الغربى والشرقى فسدَّ بها وجوه الدور ، وأخذ بها السوق فسد بها من الشق الشرقى وجه دار

قطران ، وكانت من دور معاوية . ثم وجه دار ابن جودان وتلك الدور .

ومن الشق الغربي دار حجارة لكثير بن الصَّلت ، وكانت قبله لربيعة ابن دراج الجمحى . ثم وجه الربعة التى فيها دار آل أبى عثمان حُلَفاء أزهر ابن عبد عوف . ثم جعل للسكة منفذا . ثم وجه دار التمارين ، وكانت لمعاوية ابن أبى سفيان ، وقبله لسعيد بن عبد الرحمن بن يربوع .

فلما بلغ ابن هشام بالدار التمارين وقف ، وجعل لها هنالك بابا عظيما يقابل المصلى .

وقال ابن شبة عقب قوله فيما تقدم « وجعل على الزوراء خاتم البلاط » ما لفظه : ثم مدَّ الجدار حتى جاء به على طيقان دار القطران الأخرى الغربي ، حتى جاء بها إلى دار ابن سباع بالمصلى التى هى اليوم لخالصة ، فوضع ثم بابا أى بالمصلى .

قال : ثم بنى ذلك بيوتا ؛ فجعل فيه الأسواق كلها ، فكان الذى ولى ابن هشام أى على بنائها سعد بن عبد الرحمن الزرقى من الأنصار ، فتم بناؤها إلا شيئاً من بابها الذى بالمصلى .

ونقلت أبوابها إليها معمولة من الشام ، وأكثرها من البلقاء ، انتهى .

وقال ابن زبالة ، عقب كلامه السابق : وفعل ذلك فى بقيع الزبير ، وضرب عليه طاقات ، وأكراها ، وسد بها وجوه دورهم ، وجعل للسكك منفذا يغلق .

قلت : ومراده أنه جعل فى فضاء بقيع الزبير دارا كدار السوق ، ولا يتوهم من ذلك أن بقيع الزبير من جملة السوق ؛ لما سيأتى فى ترجمته .

قال ابن زبالة : وجعل لدار السوق حوانيت فى أسفلها ، وعلالىّ تكرى للسكن ، وحملت أبوابها من البلقاء ، فمنها بقية بالمدينة مكتوب فيها البلقاء .

قال : فبينا الناسُ لا يدرون بموت هشام إلى أن جاء ابن المكرم الثقفى من الشام بريدا بموته رسولا للوليد بن يزيد ، ويبشرهم بالعطاء ، فصاح حين دخل

هدم الدار التى وضعت مكان السوق

الثنية : ألا إنَّ هشاماً الأحول قد مات ، فوثب الناسُ على الدار فهدموها ، وعلى عين السوق فقطعوها .

وعبارة ابن شبة : فلم تزل — أى تلك الدار — على ذلك حياةَ هشام بن عبد الملك ، وفيها التجار ، فيؤخذ منهم الـكِرَاء ، حتى توفى هشام ، فقدم بوفاته ابن مكرم الثقفى ، فلما أشرف على رأس ثنية الوداع صاح : مات الأحول ، واستخلف أمير المؤمنين الوليد بن يزيد ، فلما دخل دار هشام تلك صاح به الناس: ما تقول فى الدار ؟ قال : اهْدِمُوها ، فوقع الناس فهدموها ، وانتهبت أبوابها وخشبها وجريدها ، فلم يمض ثالثة حتى وضعت إلى الأرض .

فقال أبو معروف أحدُ بنى عمرو بن تميم :

ما كان فى هَدْم دار السوق إذ هدمت ... سوقُ المدينة مِنْ ظُلْمٍ ولا حَيف
قام الرجال عليها يضربون معاً ... ضَرْباً يفرق بين السور والتحف
ينحطُّ منها ويَهْوِى من مناكبها ... صَخْر تقلب فى الأسواق كالخلف

وذكر ابن زبالة هذه الأبيات عن أبى معروف ، إلا أنه زاد قبلها ثلاثة أخرى فقال : وقال أبو معروف :

قل للوليد أبى العبَّاس قد جَمَعَتْ ... أيمانُ قومك بالتسليم فى الصحف
مازلْتَ ترمى ويرمى الناسُ عن هَدَفٍ ... حتى وضعت نصالَ النبل فى الهدف
أعطاك ربُّكَ طوعاً من قلوبهم ... نُصْحاً تبين قبل الظن والحلف
ما كان فى هدم دار السوق إذ هدمت ... الأبياتَ المتقدمةَ

بيت أم كلاب

وروى ابن زبالة من طريق جعفر بن محمد عن أبيه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم براوية الخمر التى أهْدَى له الدوسى فأهريقت بالسوق عند بيت أم كلاب حيث يُهَرَاق الشراب اليوم ، وسيأتى فى ترجمة أحجار الزيت قول ابن أبى فديك : أدركت أحجار الزيت ثلاثة مواجهة بيت ابن أم كلاب ، وهو اليوم يعرف ببيت

بنى أســد ، انتهى ، وكأنه غيرُ بيت ابن أم كلاب الذى له ذكر فى بنى زريق ، فهذا السوق هو المراد بما ورد من أنه صلى الله عليه وسلم خرج بأسْرَى بنى قُرَيظة إلى سوق المدينة فَخَنْدَقَ بها خنادق ، ثم ضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، ويظهر مما قدمناه ومما سيأتى فى ترجمة الزوراء أن مقدم سوق المدينة مما يلى خاتمة البلاط وما حول ذلك كان يسمى بالزوراء .

وروى ابن شبة عن بعضهم أنه قال : أدركت سوقاً بالزوراء يقال له سوق الحرص ، كان الناس ينزلون إليها بدرج.

البطحاء

قلت : ورأيت فى الأم للشافعى رضى الله تعالى عنه ما يقتضى تسمية سوق المدينة بالبَطْحَاء ؛ فإنه روى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطُب يوم الجمعة ، وكان لهم سوق يقال لها البطحاء ، كانت بنو سليم يجلبون إليها الخيلَ والإبل والغنم والسمن ، فقدموا فخرج إليهم الناسُ ــ الحديثَ .

بقيع الخيل

وروى ابن شبة من طريق عُرْوة عن عائشة رضى الله عنها قالت فى حديث ساقه : كان يقال لسوق المدينة بقيع الخيل ، وهذا الحديث تقدم من رواية ابن زبالة فى ذكر دُعَائه صلى الله عليه وسلم للمدينة وسؤاله نَقْلَ وبائها ، وفيه: ثم عمد إلى بقيع الخيل ــ وهو سوق المدينة ــ فقام فيه ووجْهُه إلى القبلة ، فرفع يديه إلى الله فقال : اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة ــ الحديث .

والبقيع هنا بالموحدة التحتية ؛ فهو المراد بقول ابن عمر فى حديثه الذى رواه الأربعة والحاكم : إنى أبيع الإبلَ بالبقيع بالدنانير ، وآخذ مكانها الدراهم ــ الحديث ولما خفى هذا على كثير من الناس قال بعضهم : إن الظاهر أن المراد النَّقيع بالنون أى حمى النقيع ، قال : لأنه أشبه بالبيع من البقيع الذى هو مدفن ، وقال النووى: ليس كما قال، بل هو بقيع الغرقد ــ بالباء ــ ولم يكن ذلك الوقت كثرت فيه القبور، انتهى، ولم يذكر أحد من مؤرخى المدينة أنه كان ببقيع الغرقد سوق ، مع اعتنائهم

بذكر أسواق المدينة فى الجاهلية والإسلام ؛ فالمعتمد ما قدمناه ، والمسمى بالبقيع هنا ما يلى المصَلّى من سوق المدينة ، ويسمى بقيع المصَلّى أيضاً كما سيأتى ، ولهذا روى أحمد والطبرانى عن أبى بُرْدة بن نيار قال : انطلقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع المصَلّى فأدخل يده فى طعام ثم أخرجها فإذا هو مغشوش ، أو مختلف ، فقال : لَيْسَ منا مَنْ غَشَّنا ، ورواه الطبرانى أيضاً عن أبى موسى قال : انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق البقيع ، فأدخل يَدَه فى غرارة ، فأخرج طعاماً ــ الحديثَ ، فعبر عن بقيع المصلى بسوق البقيع .

وروى ابن زبالة أيضاً فى ذكر سوق المدينة عن محمد بن طلحة قال : رأيت عثمان بن عبد الرحمن و إسماعيل بن أمية بن عمرو بن سعيد ومحمد بن المنكدر ، وزيد بن حصفة يقومون بفناء بركة السوق اليوم قبل أن تكون، يقومون مستقبلين فسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك ، فقال : قد اختلف علينا فى ذلك ؛فقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هنالك ، وقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم هنالك فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد ، قال : وكان عامر بن عبد الله بن الزبير يقف عند التبانين فيدعو ، وسيأتى فى ذكر المصلى ما رواه الشافعى فى الأم من طريق عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم رَجَع من المصلى يوم عيدٍ فسلك على التمارين من أسفل السوق ، حتى إذا كان عند مسجد المصلى الذى هو عند موضع الدار التى بالسوق قام فاستقبل فَجَّ أسلم فدعا ثم انصرف .

بركة السوق

قلت : وهذا بين أن بركة السوق فى شاميّ فَجِّ أسلم ، وسيأتى فى منازل أسلم ما يبين أن منازلهم فى شامى الثنية التى عليها حصن أمير المدينة اليوم ،وتقدم فى ذكر دار السوق حيث قال فيها فى جهة المغرب : وجعل لسكة أسلم باباً مايبين ذلك ، وحينئذ فبركة السوق هى المَنْهَل الذى ينزل إليه بالدرج عند مشهد النفس

الزكية من عين المدينة على يسار المار إلى ثنية الوَدَاع ، وفى كلام ابن زبالة مايومئ إلى أن الذى أحدث العينَ هناك إنَّما هو إبراهيم بن هشام ، وسيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن النبى صلى الله عليه وسلم استسقى عند أحجار الزيت قريباً من الزوراء ، والله أعلم .

وروى ابن شبة عن أبى هريرة أنه كان يقول : لا يذهب الليل والنهار حتى يخسف برجل بصَحْن هذا السوق ، قال ابن أبى فديك : وكنت أسْمَعُ من المشايخ أنه قال والله أعلم : إن ذلك يكون على باب بيت البرّادين ، ويقال : هو بفناء دار ابن مسعود .

وعن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد عن جده قال : خرجت مع أبى هريرة حتى إذا كنا عند دار ابن مسعود قال : يا أبا الحارث ، إن حِبِّى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم أخبرنى أنه رُبَّ يمين بهذه البقعة لا يصعد إلى الله ، قال : قلت له : أنَّى ذلك يا أبا هريرة ؟ قال : أما أنى أشهد ما كذبت ، قلت : وأنا أشهد .

وروى ابن زبالة عن عبد الرحمن بن يعقوب أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء السوق فرأى حنطة مُصَبَّرة فأدخل يَدَه فيها ، فناله بلل فى جوفها ، فقال : ماهذا ؟ لصاحب الطعام ، قال : أصابنى مطر فهو هذا البَلَلُ الذى ترى ، قال : ألا جعلته على رأس الطعام حتى يراه الناس ؟ مَنْ غَشَّ فليس منى ، من غَشَّ فليس منى ، وأصل الحديث رواه أبو داود وغيره ، ولفظه : أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ برجل يبيعُ طعاماً ، فسأله كيف تبيع ؟ فأخبره ، فأوحى إليه أن أدْخِلْ يَدَكَ فيه ، فأدخل يدهُ فإذا هو مبلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من غش .

وعن ابن المغيرة قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يبيع طعاما فى السوق بسعر هو أرفع من سعر السوق ، فقال : تبيعُ فى سوقنا بسعر هو أرفع من سعرنا؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : صبراً واحتساباً ؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال :

أبشروا فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد فى سبيل الله ، وإن المحتكر فى سوقنا كالمُلْحِد فى كتاب الله .

قلت : وقوله «بسعر هو أرفع» أى بزيادة فى المسعر وهو المبيع ، ويدل لذلك ما رواه ابن شبة عن ابن عبد الرحمن بن حاطب بن أبى بَلْتَعَةَ قال : كان أبى وعثمان بن عفان شريكين يجلبان التمر من العالية إلى السوق ، فمر بهم عمر بن الخطاب ، فضرب الغرارة برجله وقال : يابن أبى بَلْتَعة زد فى السعر وإلا فاخْرُج من سوقنا .

وروى ابن زَبَالة عن القاسم بن محمد أن عمر بن الخطاب مَرَّ بحاطب بن أبى بَلْتَعَة وهو بسوق المصَلّى وبين يديه غرارتان فيهما زَبيب ، فسأله عن سعره ، فسعَّر له مُدَّين بدرهم ، فقال عمر : قد حُدِّثْتُ بِعِيرٍ مُقْبلة من الطائف تحمل زبيباً وهم إذا وضَعُوا إلى جَنْبِك غداً اعتبروا بسعرك ، فإما أن ترفع فى السعر ، وإما أن تدخل زبيبك فى البيت فتبيعه كيف شئت ، فلما رجع عمر حاسَبَ نَفْسه فى الظهر ، ثم خرج فأتى حاطباً فى منزله فقال : إن الذى قلت لك ليس بعزيمة منى ولا قضاء ، وإنما هو شىء أردتُ به الخيرَ فحيث شئت فَبِعْ .

الفصل السابع والثلاثون

فى منازل القبائل من المهاجرين ، ثم اتخاذ السُّور على المدينة .

منازل بنى غفار قال عمر بن شبة : نزل بنو غفار بن مليل بن ضَمْرة بن بكر بن عبد مناف ابن كنانة القطيعةَ التى قطع لهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى ما بين دار كثير بن الصَّلْت التى تعرف بدار الحجارة السوق إلى زُقاق ابن حبين إلى دار أبى سَبْرة إلى منازل آل الماجَشُون بن أبى سلة ، وبهذه الخطة مسجد بنى غفار صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم وهو خارج من منزل أبى رُهْم بن الحصين الغفارى .

قلت : ودار كثير بن الصلت هذه تقدم بيانها فى غربى السوق مما يلى القبلة شامى المصلى ، وأما زقاق ابن حبين ، ففى غربى السوق أيضا مما يلى الشام بالقرب من حِصْن أمير المدينة ، وابن حبين كان مولى للعباس بن عبد المطلب . وأما دار أبى سَـبْرة فلم أعْرِفْها ؛ فالظاهر أنهـا كانت فى جهة غربى سوق التمارين . وأما منازل آل الماجشُون ، فذكر هو فى موضع آخر أنهـا فى زُقَاق الجلادين ، وسيأتى فى منازل بنى كعب أنه شارع على المُصَلَّى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

واتخذ سباع بن عُرْفُطة الغفارى خطة بالمُصَلَّى وهى الدار التى يقال لها دار عبد الملك بن مروان بالمصلى وجهها شارع قبالة الحجامين .

قلت : وذلك فى شامى المصلى مما يلى السوق والمغرب لأن ابن شبة قال : إن أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب اتَّخَـذ دارا بالمصلَّى فى موضع الحجامين ، ثم ابتاعها معاوية ، فزادها فى مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أدخلها بعد هشام بن عبد الملك فى داره التى أخذ بها السوق ثم هدمت .

ونزل سائر بنى غفار محلتهم وهى السائلة من جبل جُهَينة إلى بطحان وما بين خط دار كثير بن الصَّلت ببُطْحان إلى بنى غفار ؛ فنزلت بنو غفار منزلهم من خط دار كثير بن الصَّلت إلى أن يُفْضى إلى جهينة .

قلت : وجبل جهينة لم أعرفه ، فإما أن يكون أراد به ما يلى جبيل سَلْع فى مقابلة المُصَلَّى ونسبه إلى جهينة لنزولهم عنده ، وهناك سائلة تسيل من سَلْع إذا حَصَل المطر، و إما أن يكون أراد به أحد الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح لما سيأتى فى منازل جهينة . وأما دار كثير بن الصَّلت ببُطْحَان فقد ذكر فى موضع آخر ما يبين أنها كانت على شَفير وادى بُطحان بالعُدْوة الغربية ، وأن عقبة بن أبى مُعَيط لما جَلَده عثمان بن عفان فى الشراب حلَف لا يُساكنه إلا و بينهما بطن وادٍ ، فناقَلَ كثير بن الصَّلت بداره هذه إلى دار الوليد بن عقبة التى فى قبلة مصلى العيد الذى يصلى به الإمام اليوم ، والله أعلم .

ونزل بنو أبى عمرو بن نعيم بن مهان من بنى عبد الله بن غفار شامىّ وغربى بنى مبشر بن غفار ، ومعهم بنو خفاجة بن غفار .

منازل بنى ليث ابن بكر

ونزل بنو ليث بن بكر ما بين خط بنى مبشر بن غفار إلى خط بنى كعب بن عمرو بن خزاعة الذى يسلكك إلى دور الغطفانيين .

قلت : يؤخذ مما سيأتى فى منازل بنى كعب أن منازل بنى ليث كانت فى قبلة خط بنى مبشر ، وشامى بنى كعب ؛ فتكون جهة منازل بنى ليث فى شامى التمارين وغربيهم ، ولعل قول ابن زبالة فى دار السوق فى جهة المغرب قبل ذكر دار التمارين ثم جعل للسكة منفذا يريد به طريق بنى ليث ومن يشركهم فى ذلك . وقد قال ابن شبة فى دور بنى مخزوم : واتخذ أبو شريح الخزاعى حليف بنى مخزوم دارا غربيها شارع على بطحان ، وشاميها شارع إلى الزقاق الذى يدعى زقاق بنى ليث ، والله أعلم .

ونزل بنو أحمر بن يعمر بن ليث ما بين مسجدهم إلى سوق التمارين ، واتخذوا المسجد الذى فى محلتهم يدعى مسجد بنى أحمر .

ونزل بنو عمر بن معمر بن ليث ما بين مسجدهم الذى يدعى مسجد بنى كدل إلى بطحان إلى منزل بنى مبشر بن غفار إلى زقاق الجلادين الذى فيه دار الماجشون إلى دار أبى سَبْرة بن خلف إلى التمارين

ونزل آلُ قسيط بن يعمر بن ليث ما بين شامى بنى كعب من منازل آل نضلة بن عبيد الله بن خراش إلى خط كتاب النصر إلى الشارع إلى المصلى إلى بطحان .

ونزل بنو رجيل بن نعيم بطرف المُصَلَّى بين غربى دار كثير بن الصلت أى التى هى قبلة المصلى إلى دار آل قايع الأسديين الشارعة على بطحان .

ونزل بنو عتوارة بن ليث — وهم بنو عضيدة — ما بين طرف دار

الوليد بن عقبة اليمانى ببُطحان إلى الحَرّة إلى زقاق القاسم بن غنام من دار الوليد أبن عقبة .

منازل بنى ضمرة بن بكر

ونزل بنو ضَمْرة بن بكر إلا بنى غفار محلتهم التى يقال لها بنو ضمرة ، وهى شرقى ما بين دار عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر بالثنية إلى محلة بنى الدِّيل بن بكر إلى سوق الغنم الشارع إلى دار ابن أبى ذئب العامرى ، واتخذوا فى محلتهم مسجدا .

منازل بنى الديل

ونزل بنو الديل بن بكر فى محلتهم — وهى ما بين ضمرة إلى الدار التى يقال لها دار الحرق — حدُّها زقاق الحضارمة ، ويدعى الخط العظيم لهـا بنى ضمرة ، إلى جبل فى مربد أبى عمار بن عبيس من بنى الديل يقال له المستندر إلى دار الصَّلْت أبن نوفل النوفلى التى بالجبانة .

قلت : الجبل الذى ذكر أنه يسمى بالمستندر هو الجبل الصغير الذى فى شرقى مشهد النفس الزكية بمنزلة الحاج الشامى ؛ لانطباق الوصف المذكور عليه ، والله أعلم .

ونزل أبو نمر بن عُوَيف من بنى الحارث بن عبد مناف بن كنانة على بنى ليث بن بكر فاتخذوا الدارَ التى يقال لها دار أبى نمر ، وهى فى خط بنى أحمر بن ليث المتقدم ذكره .

منازل ابنى أفصى

منازل أسلم ومالك ابنى أفصى — نزل بنو أسلم ومالك ابنى أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر منزلين ؛ فنزلت بنو مالك بن أفصى وأمية وسهم ابنى أسلم ما بين خط زقاق ابن حبين مولى العباس بن عبد المطلب الشامى من زاوية يقصان التى بالسوق إلى خط جهينة إلى شامى ثنية عثعث .

قلت : قد علم ممـا سبق فى دار السوق أن زقاق ابن حبين فى غربى سوق المدينة ، وسيأتى فى ترجمة ثنية عثعث أنها منسوبة إلى جبل يقال له سليع عليه بيوت

أسلم بن أفصى؛ فهى الثنية التى عند الجبيل الذى عليه حصن أمير المدينة اليوم ، والمراد من بيوت أسلم منزل هؤلاء ، والله أعلم .

ونزلت سائر أسلم ، وهم آل بريدة بن الخصيب وآل سفيان ــ ما بين زقاق الحضارمة إلى زقاق القنبلة .

قلت : وذلك فى شرقى مؤخر سوق المدينة مما يلى الشام ، وفى جهة زقاق الحضارمة اليوم حديقة تعرف بالحضرمية شامىّ سور المدينة ، وفى شاميها جهة زقاق القنبلة .

ونزلت هذيل بن مدركة ما بين شامى سائلة أشجع وزاوية دور يحيى بن ابن عبد الله بن أبى مريم إلى دار حرام بن مزيلة بن أسد بن عبد العزى بالثنية زاويتها اليمانية ، وذلك مجتمعها ومجتمع أسلم .

منازل مزينة ومن حل معها

منازل مزينة ومَنْ حَلَّ معها من قيس عَيْلان بن مضر ــ ونزل بنو هدبة ابن لاطم بن عثمان بن عمرو ، إلا بنى عامر بن نور بن لاطم بن عثمان ، وعثمان نفسه الذى يقال له مزينة ، وهى أمه ــ ما بين زاوية بيت القروى المطِلّ على بطحان الغربية إلى زاوية بيت ابن هبار الأسدى الذى صار لبنى سمعان الشرقية إلى خط بنى زريق إلى دار الطائفى التى بشق بطحان الشرقى .

ونزل معها فى هذه المحلة بنو شيطان بن يربوع من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس و بنو سليم بن منصور وعدوان بن عمرو بن قيس .

وعن شرقى خطة مُزَينة هذه سليم بن منصور إلى دار خلدة بن مخلد الزرقى ، وأدنى دار أم عمرو بنت عثمان بن عفان إلى بيوت نفيس بن محمد مولى بنى المعلى فى بنى زريق من الأنصار ، إلى أن تلقى بنى مازن بن عدى بن النجار ؛ فهؤلاء الذين نزلوا مع مُزَينة ، ودخل بعضهم فى بعض ، و إنما نزلوا جميعا لأن دارهم فى البادية واحدة .

قلت : فمنازل مُزَينة ومَنْ حلّ معها فى غربى مصلى العيد اليوم إلى عُـدْوَة بطحان الشرقية ثم فى قبلة الدور التى بالمُصَلَّي ثم فى قبلة بنى رزيق إلى بنى مازن ابن النجار .

وقد نزلت بنو ذكوان من بنى سليم مع أهـل راتج من اليهود ، مابين دار قدامة إلى دار حسن بن زيد بالجَبَّانة .

قلت : ودار قدامة هى المرادة بقول ابن شبة فى دور بنى جُمَح « واتخذ قدامة ابن مظعون الدار التى فيها المجزرة على فوهة سكة بنى ضمرة ودبر دار آل أبى ذئب على يمينك وأنت ذاهب إلى بنى ضمرة » والله أعلم .

ونزل بنو أوس بن عثمان بن مزينة بطَرَف السورين ، مابين دار أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق إلى مُفْضَى السورين إلى الحمارين ، الزقاق الذى فيه قصر بنى يوسف مولى آل عثمان إلى البقال .

قلت : وهذه الأمور بقرب البقيع ، كما سيأتى فى تراجمها .

ونزل بنو عامر بن ثور بن ثعلبة بن هُدْبة بن لاطم مابين بيت أم كلاب الذى فى خط بنى رزيق الشارع على المصلى إلى دار مدراقيس الطبيب إلى دار عمرو بن عبدالرحمن بن عوف ودار عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ودار هشام ابن العاص المخزومى .

قلت : ودار مدراقيس الطبيب لها ذكر فى دور بنى محارب بن فهر .

قال ابن شبة : واتخذ مَعْمَر بن عبد الله بن عامر داراً فى بنى زُرَيق بين الدار التى يقال لهـا دار مدراقيس الطبيب ودار أم حسان التى صارت لعمر بن ابن عبد العزيز العمرى ، وهذه الأماكن فى قبلة ماتقدم ممـا يلى الدور التى فى قبلة البلاط فى الميمنة وما حولها ، ولعـل دار أم حسان المذكورة هى الموضع المعروف اليوم بدار حسان فى قبلة الدور التى بالبلاط المُوَالية لدرب سـويقة ، والله أعلم .

منازل جهينة وبلى

منازل جهينة و بلى ــ ونزل جهينة بن زيد بن السود بن الحارث بن قضاعة و بلى بن عمرو بن إلحاف بن قضاعة مابين خط أسلم الذى بين أسلم وجهينة ، إلى دار حرام بن عثمان السلمى الأنصارى التى فى بنى سلمة إلى الجبل الذى يقال له جبل جهينة إلى يمانى ثنية عثعث التى عليها دار ابن أبى حكيم الطيب .

قلت : ذكْرُ دار حرام بن عثمان فى بنى سلمة يرجح أن المراد بجبل جهينة أحَدُ الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح ، وهناك منازل بنى حرام من بنى سلمة ، وقد تقدم بيان ثنية عثعث ، وأنها منسوبة إلى الجبل الذى عليه حصن أمير المدينة اليوم ، والله أعلم .

منازل قيس ابن عيلان

منازل قيس بن عَيْلان ــ نزلت أشْجَع بن رَيْث بن غَطَفان بن سعد بن قيس الشعبَ الذى يقال له شعب أشجع ، وهو مابين سائلة أشجع إلى ثنية الوداع إلى جوف شعب سَلْع ، وخرج إليهم النبى صلى الله عليه وسلم بأحمال التمر فنثره لهم ، واتخذت أشجع فى محلتها مسجدا .

قلت : وما ذكره منطبق إما على شعب سلع الذى فى شرقيه ، فتكون منازلهم بين خط أسلم الذى فى شامى ثنية عثعث و بين جبل سلع وهكذا إلى ثنية الوداع ، و إما على شعب سلع الذى فى شاميه ، وقال عروة بن الزبير : قدمت أشْجَع فى سبعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة فنزلوا شعبهم ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحمال التمر ، فقال : يامعشر أشجع ، ماجاء بكم ؟ قالوا : يارسول الله جئناك اقرب ديارنا منك ، وكرهنا حَرْبك ، وكرهنا حرب قومنا لقلتنا فيهم ؛ فأنزل الله تعالى (أَوْجَاؤُكم حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ــ إلى قوله تعالى : سبيلا) .

ونقل ابن شبة فى تأديب عمر بن الخطاب الرعية فى أمر دينهم أن رجلا من أشجع يقال له بقيلة كان غازيا ، فبلغه أن جَعْدَة بن عبد الله السلمى يحدث

النساء ، وأن جوارى يَخرُجْنَ إلى سَلْع فيحدثهن ، ثم يعقل الجارية ويقول : قومِى فى العقال فإنه لايصبر على العقال إلا حَصَان ، فتقوم ساعة ثم تسقط ، فربما تكشفت ، فكتب الأشجعى إلى عمر :

ألا أبلغ أبا حَفْصٍ رسولا ... فِدًى لكَ مِنْ أخى ثقة إزارى

فما قُلُصٌ تَقُمْنَ مُعَقَّلَاتٍ ... قَفَا سَلْعٍ لمختلف النِّجَار

قلائصُ من بنى سَعْد بن بَكْرٍ ... أوَ اسْلَمَ أو جُهَيْنَةَ أو غفارِ

يُعَقِّلُهُنَّ جَعْدَةُ من سُلَيم ... معيدا يبتغى سَقَطَ العَذَارى

قلائصَنا هَدَاكَ الله إنا ... شُغِلْنا عنهمُ زَمَنَ الحِصَارِ

يُعقلهن أبيَضُ شَيْظَمِيٌّ ... فبئس مُعَقِّلُ الذود الطَّوَارى

فدعا عمر بجَعْدَة فقال : أنت لعمرى كما وصف أبيض شيظمى ، وسأله فأقرّ فضرب به مائةً مَعْقُولا ، وغرَّبه إلى الشام ، فكُلِّم فيه ، فأذن له على أن لايدخل المدينة ، ثم أذن له أن يجمع ، ثم أذن له أن يدخل فى الجمعة مرتين .

وقال ابن إسحاق : الذى كتب بالشعر رجل من هَوَازن يدعى خَيْثَمة .

منازل بنى جشم

ونزلت بنو جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس محلّتها التى يقال لها بنو جُشَم ، وهى ما بين الزقاق الذى يقال له زقاق سفين إلى الأساس الذى يقال له أساس إسماعيل بن الوليد إلى خَوْخَة الأعراب إلى دور ذكوان مولى مروان بن الحكم .

قلت : ولم أعرف شيئاً مما ذكره ، غير أنه ذكر فى دور بنى جُمَح أن محمد بن حاطب اتخذ الدار التى تُدْعى دار قُدَامة فى بنى زريق شرقيها الدار التى يقال لها دار الأعراب ، فلعل خوخة الأعراب وما ذكر معها فى تلك الجهة ، والله أعلم .

ونزلت بنو مالك بن حماد و بنو زنيم و بنو سكين من فَزَارة بن ذبيان بن

بَغيض بن ذئب بن غطفان المحلةَ التى يقال لها بنو فزارة ، وهى إلى حمام الصعبة إلى سوق الحطابين الذى بالجَبَّانة ، ولم ينزلها أحد من بنى عدى بن فزارة .

قلت : والذى علمنا جهته من ذلك سوق الحطابين بالجبانة قرب مسجد الراية وثنية الوَدَاع كما سيأتى فى ترجمة الجبانة ، والله أعلم .

منازل بنى كعب بن عمرو ، وإخوتهم من بنى المُصْطَلق .

منازل بنى كعب ابن عمرو وإخوتهم

نزل بنو كعب بن عمرو بن عدى بن عامر ما بين يمانى بنى ليث بن بكر إلى دار شريح العَدَوى إلى موضع التمارين بالسوق إلى زقاق الجلادين الشارع على المصلى يمنةً ويسرةً إلى بطحان إلى زقاق كدام ، وكدام : سقاط كان هناك ، إلى دار ابن أبى سليم الشارعة على شامى المصلى .

ونزلت بنو المصطلق بن سعد بن عمرو وأخوه كعب بن عمرو رَهْط جُوَيْرِية بنت الحارث زوج النبى صلى الله عليه وسلم ظاهرةَ حَرَّة بنى عضدة إلى أدنى دار عمر بن عبد العزيز إلى الدار التى يقال لها دار الخرازين .

قلت : وذلك بالحرة الغربية .

سعة المدينة فى عهد النبى

ومن تأمل ما ذكر فى دور المهاجرين ومنازل القبائل منهم — مع ما سبق فى منازل الأنصار — رأى أمراً عظيما فيما كان من عمارة المدينة وسَعَتها ، واتصال بعضها ببعض ، وآثار ما كان من العمارة شاهد بذلك اليوم ، واسمُ المدينة صادق على ذلك كله ، وسيأتى فى ترجمة قباء أنها كانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة الشريفة ، أى بما بينها من النخيل ، ولهذا لم تكن الجمعة تقام بغير المسجد النبوى ، ولو كانت قباء وغيرها من القرى المنفصلة اليوم منفصلة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبها تلك القبائل من الناس لوجَبَ إقامة الجمعة فى كل قرية بها أربعون كما تقرر فى موضعه ، فقد كانت كلها فى حكم البلد الواحد ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

اتخاذ سور المدينة

ولما طَرَق المدينة الشريفة الخرابُ فى أطرافها جعلوا لها سوراً ، قال المجد الفيروزبادى : سور المدينة الشريفة بَنَاه أولا عضدُ الدولة بن بُوَيْه بعد الستين وثلاثمائة فى خلافة الطائع لله بن المطيع لله ، ثم تهدم على طول الزمان وتخرب لخراب المدينة ، ولم يبق إلا آثاره ورَسْمُه .

وقال المطرى فى الكلام على مسجد جهينة : إن ناحية جُهَينة معروفة غربى حصن صاحب المدينة والسور القديم ، بينها و بين جبل سَلْع ، وعندها أثرُ باب للمدينة معروف بدرب جهينة إلى تاريخ كتابه ، وهو سنة ست وستين وسبعمائة .

قلت : قد قَدَّمْنا ما يخالف ما ذكره فى ناحية جهينة ؛ لأنا و إن لم نَرَ الباب الذى أشار إليه ، لكن رأينا آثار السور القديم قبلى جبل سَلْع ، وقرب الحصن المذكور . ويظهر من حاله أن غالب منازل جُهَينة وغيرها من المنازل المتقدمة كانت فى جوفه ، وأنه كان فى جهة المغرب على شَفير بطحان بالعُدْوة الشرقية ؛ لأن الأقشهرى نقل فى روضته عن صاحب سور الأقاليم أنه قال : المدينةُ أقلُّ من نصف مكة ، وهى فى حَرَّة سَبِخة الأرض ، وبها نخلٌ كثير ، ومياه نخيلهم وزرعهم من الآبار يسقى منها العبيد ، وعليها سور ، والمسجد فى نحو من وسطها . ثم ذكر صفة المسجد والقبر الشريف ، ثم قال : ومُصَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه الأعياد من غربى المدينة داخل الباب ، انتهى . فكون المُصَلى داخل الباب شاهدٌ لما ذكرنا ، وقد صرح بنحوه الإمام أبو عبد الله الأسدى فإنه ذَكَرَ المساجد الخارجة عن المدينة ، ثم ذكر المساجد التى بالمدينة فقال : وداخل المدينة مُصَلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال المطرى بعد ذكره لما تقدم من باب هذا السور القديم : ونقل ابنُ خلكان أن سور هذا الباب القديم بناه عَضُد الدولة بن بُوَيه بعد الستين وثلاثمائة من الهجرة فى أيام الطائع لله ابن المطيع ، ثم تهدم على طول الزمان وخرب لخراب

سور آل زنكى

المدينة ، ولم يبق إلا آثاره حتى جَدَّد لها جمالُ الدين محمد بن أبى منصور – يعنى الجواد الأصبهانى وزير بنى زنكى – سوراً محكما حول المسجد الشريف على رأس الأربعين وخمسمائة من الهجرة ، ثم كثر الناس من خارج السور ، ووصل السلطان الملكُ العادل نور الدين محمود بن زَنكى فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة إلى المدينة الشريفة بسبب رؤيا رآها ، وذكر ما قدمناه عنه فى خاتمة الفصل التاسع والعشرين .

ثم قال : إنه لما ركب متوجِّهاً إلى الشام صاح به مَنْ كان نازلا حول السور واستغاثوا وطلبوا أن يبنى عليهم سورا يحفظ أبناءهم وماشيتهم ، فأمر ببناء هذا السور الموجود اليوم ، فَبَنَى فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكتب اسمه على باب البقيع ؛ فهو باقٍ إلى تاريخ هذا الكتاب .

قلت : وهو باقٍ على باب البقيع إلى أن كتبنا كتابنا هـذا ، وصورته فى صفحات الحديد المصفح بها الباب : هذا ما أمَرَ بعمله العبدُ الفقير إلى الله تعالى محمود بن زنكى بن أقسنقر ، غفر الله له ، سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وهذا لايدل على أنه أنشأ السور .

وعبارة البدر بن فرحون عنـد ذكره لمحاسن نور الدين الشهيد رحمه الله ما لفظه : و بنى أيضاً سورَ بعلبكّ ، وكمل بناء سور المدينة ، وهو سورُها الموجود اليوم ، واسمُه مكتوب على باب البقيع ، وأما السور الذى داخل المدينة فإنما أحدثه الوزير جمالُ الدين محمد بن أبى منصور ، وكان وزيراً لوالِدِ الملكِ العادل يعنى زنكى ثم استوزره بعد زنكى ولدُه غازى بن زنكى يعنى أخا الملك العادل ؛ فهذا يقتضى أن الملك العادل إنما كمل بناء السور الموجود اليوم فقط ، ويبعده ما ذكره من بناء الجَوَاد لسوره ؛ فإنه لو كان السورُ المذكور موجوداً لكان هو أكمله ولم ينشىء سورا غيره ، ومدة بناء السورين المذكورين متقاربة كما يعلم مما قدمناه .

من مآثر الجواد الأصفهانى

وقال المجد : إن الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن أبى شامة قال فى كتابه ما صورته : ومن أعظم الأعمال التى عملها نفعا — يعنى وزير الموصل جمال الدين الجواد — أنه بنى سوراً على مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنها كانت بغير سور ينهبها الأعراب ، وكان أهلها فى ضَنْك وضرٍّ معهم .

قال ابن الأثير : رأيت بالمدينة إنسانا يصلى الجمعة ، فلما فرغ ترحَّم على جمال الدين ودَعَا له ، فسألناه عن سبب ذلك ، فقال : يجب على كل مسلم بالمدينة أن يدعُوَ له ؛ لأننا كنا فى ضر وضيق ونكد عيش مع العرب ، لا يتركون لأحدنا ما يواريه ويشبع جَوْعته ، فبنى علينا سوراً احتمينا به ممن يريدنا بسوء ، فاستغنينا ، فكيف لا ندعو له ؟ قال عقبه : قلت : وهذا السور الذى بناه جمال الدين هو السور الثانى ، والسور الذى بناه الملك العادل نور الدين هو السور الثالث ، أى بحسب الزمان ، وعلى كل منهما اسمُ بانيه على الأبواب ، وأما السور الأول الذى بَنَاه عضد الدولة فلم يبق منه أثر يعرف به مكانه ، انتهى . هكذا نقلته من تاريخ المجد . وبقوله انتهى ظهر أن قوله قلت إلى آخره من كلام ابن أبى شامة ، ويحتمل أن يكون من كلام ابن الأثير .

وقال المجد عقبه : قال : وكان الخطيب بالمدينة يقول فى خطبته « اللهم صُنْ حريمَ مَنْ صان حَرَم نبيك بالسور محمد بن على بن أبى منصور » فلو لم يكن له إلا هذه المكرمة لكفاه فخرا ، فكيف وقد أصابت صدقتُه تخومَ الأرض شرقاً وغربا وبرا وبحرا ؟ .

وأما شدّةُ عنايته بأهل المدينة فكانت عظيمة ، قال ابن الأثير : حكى لى بعضُ الصوفية ممن كان يصحب الشيخ عمر النشاى شيخ شيوخ الموصل قال : أحضرنى الشيخُ فقال لى : انْطَلِقْ إلى مسجد الوزير بظاهر الموصل واقْعُدْ هناك ، فإذا أتاك شىء فاحفظه إلى أن أحضر عندك ، ففعلت ، فإذا قد أقبل جمع كثير من الحمالين يحملون أحمالا من النصافى والخام ، وإذا نائب جمال الدين قد جاء

مع الشيخ ومعهما قماش كثير وثمانية عشر ألف دينار وعدة كثيرة من الجمال ، فقال لى : تأخذ هذه وتسير إلى الرحبة وتوصل هـذه الرزمة وهذا الكتاب إلى متوليها فلان ، فإذا حضر لك فلان العربى فتوصل إليه هذه الرزمة الأخرى وهذا الكتاب وتسير معه ، فإذا أوصلك إلى فلان العربى توصل إليه هذه الرزمة وهذا الكتاب ، وهكذا إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فتوصل إلى وكيلى فلان هذه الأحمال ، وهـذه الكسوات والمال الذى عليه اسم المدينة ليخرجها بمقتضى هذه الجريدة ، ثم تأخذ الباقى الذى عليه اسم مكة فتسير إليها فيتصدق به وكيلى بموجب الجريدة الأخرى ، فسِرْنَا بذلك إلى وادى القرى ، فرأينا هناك جمالا كثيرة تحمل الطعام إلى المدينة ، وقد منعهم خوفُ الطريق ، فلما رأونا سارُوا معنا إليها فوصَّلْناها والحِنْطة بها كل صاعين بدينار مصرى ، والصاع ـ أى فى ذلك الزمان ـ خمسة عشر رطلا بالبغدادى ، فلما رأوا المالَ والطعام اشتروا كل سبعة آصع بدينار ، فانقلبت المدينة بالدعاء له .

قلت : وقد قدمنا كيفية نقله إلى المدينة الشريفة بعد موته ودفنه بتربته التى برباطه المجاور للمسجد الشريف عند ذكر باب عثمان وهو باب جبريل لمقابلته له ، وتقدم ذكره أيضاً فى ترخيم الحجرة الشريفة .

ومن أعماله الحسنة تجديد مسجد الخيف ، وإجراء عين عرفة ، وبناء جدار الحجرة وترخيمه ، وتجديد باب الكعبة ، وكان النعش الذى حُمل فيه هو باب الكعبة القديم ، وفيه يقول أبو المجد بن قسيم :

أغَرُّ تُبْصِرُ منه الناسَ فى رَجُلٍ وَاللَّيْثَ فى بَشَرٍ، والبَدْرَ فى غُصُنِ
سَمَــا بهمته فى المكرمات إلى عَلْياء تَقْصُر عنها هِمَّةُ الزَّمَنِ

إلى أن قال فيه :

صان المدينةَ تَنْويرا وصَوَّرَها فى الْحُسْنِ غادَةَ مُلْكِ الشام وَالْيَمَنِ .

وصان بالمال أهْلِيهَا فمــــا بَقِيَتْ   هزلاء إلاّ تَشَـكَّتْ كثرة السِّمَنِ

ولسور المدينة اليوم أربعة أبواب غير باب حصن أمير المدينة المعروف بباب السر، وهو باب عظيم كله من الحديد .

أبواب السور

وأما الأبواب الأربعة :

فأحدها : الباب الذى غربى المدينة فى جهة المصلى عند منزلة الحاج المصرى ، ويعرف بدرب المصلى ، ودرب سويقة ، وذَرْعُ ما بينه وبين عتبة باب السلام ستمائة ذراع وخمسة وأربعون ذراعا ، وكان عليه باب مُتْقَن أحْرَقَه بعضُ صبيان الأمير ضغيم سنة عزله ، فأخذ أمير المدينة باب الحوش الذى عمره الأمير ضغيم وجعله عليــه ، ثم عُمِلَ له باب مُتْقن كالأول فى عمارة المسجد المتجددة بعد الحريق الثانى .

ثانيها : الباب الذى فى جهة المغرب أيضاً عند رحبة حصن أمير المدينة يعرف بالدرب الصغير .

ثالثها : الباب المعروف بالدرب الـكبير ، وبالدرب الشامى .

رابعها : الباب المعروف بدرب البقيع فى شرقى المدينة ، ويعرف بدرب الجمعة ، وعليه باب متقن مغشّى بصفائح الحديد ، والظاهر أنه باقٍ من زمن نور الدين الشهيد لما قدمناه من الـكتابة عليه .

وذَرْع ما بينه وبين عتبة باب المسجد المعروف بباب جبريل أربعمائة ذراع وثلاثة وثلاثون ذراعا .

وفى قبلة سور المدينة موضعُ بابٍ مسدود اليوم ، وكان يعرف بدرب السوارقية ولم يزل الملوك يهتمون بعمارة سور المدينة ، ويصلحون ما وَهَى منه.

وقد ذكر الزين المراغى أنه جُدِّد فى سنة خمس وخمسين وسبعمائة فى أيام الملك الصالح صالح أحد أولاد الناصر محمد بن قلاوون .

وذكر البدر ابن فرحون أن الأمير سعد بن ثابت بن حماد ابتدأ فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة عملَ الخَنْدَقِ الذى حَوْلَ السور المذكور ، ومات ولم يكمله ، وأكمله الأمير فَضْل بن قاسم بن حماد فى ولايته بعده ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم — بحمد الله تعالى وحوله — الجزء الثانى من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » صلى الله عليه وسلم . ويليه — إن شاء الله — الجزء الثالث ، وأوله « الباب الخامس ، فى مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد » نسأله — جَلَّت قدرته — أن يُعين على إكماله ، بمنه وفضله وتيسيره ، إنه لا ييسر إلى الخير سواه .

فهرس الموضوعات الوارة فى الجزء الثانى

من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »

لنور الدين على بن أحمد السمهودى ، المصرى ، المدنى

وقد تمت فهرست الجزء الثاني من كتاب « وفاء الوفا » والحمد لله أولا وآخراً ، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلق الله وأكرمهم عليه ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين .

وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين علي بن أحمد السمهودي

المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة

تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد

الجزء ٣-٤

دار الطلائع





وفاء الوفا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين على بن أحمد السمهودى

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه

الجزء الثالث

دار الكتب العلمية

بيروت — لبنان

الطبعة الاولى ١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م
الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ — ١٩٧١م
الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ — ١٩٨١م
الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م

يطلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: Nasher 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الخامس

في مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم في الأعياد ، وغير ذلك من المساجد التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، مما عَلِمْتُ عينَه أو جِهَتَه ، بالمدينة وما حولها ، وما جاء في مَقْبُرتها ومَنْ دُفِنَ بها ، والمشاهد المعروفة ، وفضل أُحُدٍ والشُّهَدَاء به . وفيه سبعة فُصولٍ:

الفصل الأول

في المُصَلَّى في الأعياد ، وفيه أطْرَاف

الأول : في الأماكن التي صَلَّى فيها النبي صلى الله عليه وسلم العيد .

أول عيد صلاه النبي بالمصلى

قال الوَاقِدِيُّ : أولُ عيدٍ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُصَلَّى سنةَ ثنتين من مَقْدَمه المدينةَ من مكة ، وحُملت له العَنَزَة وهو يومئذ يصلي إليها في الفضاء ، وكانت العَنَزَة للزبير بن العوام ، أعطاه إياها النَّجَاشي فوهَبَها للنبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكان يخرج بها بين يديه يوم العيد ، وهي اليوم بالمدينة عند المؤذنين ، يعني يخرجون بها بين يدي الأئمة في زمانهم .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : لما رجعنا من بني قَيْنُقَاع ضحينا أولَ أضحى في ذي الحجة صبيحة عشر ، فكان أول أضحى رآه المسلمون ، وذبح أهل اليُسْر من بني سلمة ، فعددت في بني سلمة سبعَ عشرة أضحية .

وروى ابن زبالة وابن شبة عن أبي هريرة قال : أول فطر وأضحى صلى

مكان مصلى العيد

فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس بالمدينة بفناء دار حكيم بن العــداء عند أصحاب المحامل .

وروى الثانى عن ابن أبى فروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى ذلك المكان.

وروى الأول عنــه ما يقتضيه ؛ فإنه روى عن إبراهيم بن أبى أمية قال : أدركتُ مسجدا فى زمان عثمان عند حرف زاوية أبى يَسَار عند أصحاب المحامل ، وليس ثم مسجد غــيره ، وذلك المسجد هو الذى صَلَّى فيه النبى صلى الله عليــه وسلم يوم أضحى ، وضَحَّى هناك هو وأصحابه حتى احتملت ضحاياهم من عنده .

قال : وأخبرنى من رأى الأنصار يحملون ضَحَاياهم من هناك ، ثم روى عن ابن أبى فَرْوَة قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى ذلك المسجد وهو خلف المَجْزَرَة التى بفناء دار العداء بن خالد ، ويقال لها : دار أبى يسار .

قلت : فالروايات المذكورة مُتَّفقة على الصلاة بالمحلّ المذكور ، ودارُ حكيم ابن العداء هى دار أبيه العداء بن خالد بن هوذة بن بكر بن هوازن ؛ فلا مخالفة فى ذلك ، ولم أعلم محل داره ، غير أن الظاهر من قوله « عند أصحاب المحامل » أنه موضع بأعلى السوق مما يلى المصلى، وفى أول الروايات المذكورة بيان أن الصلاة فيه كانت فى أول الأمر .

تعدد موضع صلاة العيد

وروى ابن زبالة أيضاً مايخالفه بالنسبة إلى الأولية عن إبراهيم بن أبى أمية عن شيخ من أهل السنّ والثقة قال : أول عيــد صَلاَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى حارة الدوس عنــد بيت ابن أبى الجنوب ، ثم صلى العيد الثانى بفناء دار حكيم عند دار حفرة داخلا فى البيت الذى بفنائه المسجد ، ثم صلى العيد الثالث عند دار عبــد الله بن درة المزنى داخلا بين الدارين دار معاوية ودار كثير بن الصَّلْت ، ثم صلى العيد الرابع عند أحجار كانت عند الحناطين بالمصلى ، ثم صلى داخلا فى منزل محمــد بن عبد الله بن كثير بن الصلت ، ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم .

وروى ابن شبة من طريق إبراهيم بن أبى أمية مولى بنى عامر بن لؤى قال: سمعت ابن باكية يقول : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدَ عنـد دار الشفّاء ، ثم صلى فى حارة الدوس ، ثم صلى فى المصلى ؛ فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى .

وروى أيضاً عن ابن شهاب قال : صلى النبى صلى الله عليـه وسلم العيدَ فى موضع آل درة ، وهم حى من مُزَيْنَة ، ثم صلى دون ذلك فى مكان أطُم بنى زريق عند أذنه اليسرى .

قلت : قوله « ثم صلى فى المصلى فثبت يصلى فيه حتى توفاه الله تعالى » هو بمعنى قوله فى الرواية التى قبلها « ثم صلى حيث يصلى الناس اليوم » يعنى بالمسجد المعروف بمسجد المصلى .

بين مصلى العيد وباب السلام ألف ذراع

وقد نقل ابن شبة عن شيخه أبى غَسّان وهو الـكنانى من أصحاب مالك أنه قال : ذرع ما بين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى عنده دار مروان ابن الحـكم و بين المسجد الذى يصلى فيه العيد بالمصلى ألف ذراع .

قلت : وقد اختبرته فكان كذلك ، وهذا المسجد هو المراد بقوله فى حديث ابن عباس فى الصحيح « إن النبى صلى الله عليه وسلم أتى فى يوم عيد إلى العَلَم الذى عند دار كثير بن الصلت ـ الحديثَ » وكأنهـم كانوا قبل اتخاذ المسجد بذلك المحل جعلوا لصلاة الشريف شيئاً يعرف به ، وهو المراد بالعَلَم بفتحتين .

وقال ابن سعد : كانت دار كثير بن الصلت قبـلة المصلى فى العيد ، وهى تطل على بطحان الوادى فى وسط المدينة ، انتهى . وليس المراد أنها متصلة بوادى بطحان ، بل بينهما بعد . ودار كثير هذه كانت قبله للوليد بن عقبة ، ثم اشتهرت بكثير بن الصلت ، وهو من التابعين ، ولد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فوقع التعريف بداره ليقرب إلى ذهن السامع فَهْمُ ذلك ، وليس كثير بن الصلت هو

الذى اختطها ، خلافا لما وقع فى كلام الحافظ ابن حجر حيث قال : و إنما بنى كثير بن الصلت داره بعد النبى صلى الله عليه وسلم بمدة ، لكنها لما كانت شهيرة فى تلك البقعة وصف المُصَلّى بمجاورتها ، انتهى . ومأخذنا فيما قدمناه قول ابن شبة فى دور بنى عبد شمس ونوفل: واتخذ الوليدُ بن عقبة بن أبى مُعَيْط الدارَ التى فى مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم التى صلى إليها العيد ،وهى يصلى إليها اليوم لآل كثير ابن الصلت الكندى ، فجَلَدَ عثمانُ الوليدَ فى الشراب ، فحلف لا يساكنه إلا و بينهما بطن واد ، فعارض كثير بن الصلت بداره هذه إلى دار كثير ببطحان التى يقال لها دار الوليد بن عقبة فى شَفِير الوادى ، أى من العُدْوَة الغربية كما بينه فى موضع آخر .

تحديد المواضع التى صلى فيها العيد

وأما الموضع المذكور لصلاة العيد أولا عند أصحاب المحامل — وهم الذين يبيعون المحامل و يصنعونها — فيظهر أنه المسجد المعروف اليوم بمسجد على رضى الله تعالى عنه الآتى ذكره .

وأما الموضع المذكور فى الرواية الأخرى عند دار بن أبى الجنوب فلم أعلم محله ، غير أن دار ابن أبى الجنوب كانت بالحَرّةِ الغربية التى غربى وادى بطحان كما يؤخذ مما سيأتى فى الخندق ومسجد الشجرة والمغرس .

وأما الموضع المذكور فى قوله « عند دار عبد الله بن درة المزنى إلى آخره » فقد تقدم أن منازل مُزَيْنة كانت فى غربى المصلى وفى قبلتها . وتقدم أن دار كثير بن الصَّلْت كانت قبلة المصلى ، ودار معاوية رضى الله تعالى عنه كانت فى مقابلتها ، وسيأتى فى بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء أنه كان يمر على المصلى ثم يسلك فى موضع الزقاق بين الدارين المذكورتين ؛ فيكون ذلك المحل فى قبلة المصلى اليوم : إما من المغرب ، و إما من المشرق ، والأول هو الأقرب .

وأما بقية المواضع المذكورة فلم أعرف جهاتها ، غير أن الذى يظهر أنها حول المصلى ، و بعضها بسوق المدينة ، لذكر الحناطين فيها ، وسيأتى فى مشهد مالك

أبن سنان أنه بطرف الحناطين ، والظاهر أن من هذه المواضع المسجد المعروف اليوم بمسجد أبي بكر رضى الله تعالى عنه بالحديقة المعروفة بالعريضية ، كما سيأتى عن المطرى .

وأما ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم أضحى إلى البقيع فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه وخطب وقال : إن أول ما نبدأ به فى يومنا هـذا أن نصلى ، ثم نرجع فننحر ـ الحديث ؛ فظاهره أن المراد بَقيع الغَرْقَد ، لـكنى أستبعده ؛ لأن المتقدمين من مؤرخى المدينة لم يذكروا ذلك مع اشتهار هـذا الحديث ، وكذلك المطرى ومن تبعه . وأغرب الحافظ ابن حجر فقال فى الـكلام على ترجمة البخارى للرجم بالمُصَلَّى : المراد المـكان الذى كان يصلى عنده العيد والجنائز ، وهو من ناحية بقيع الغرقد ، اهـ .

ومأخذه فى ذلك ظاهر هذا الحديث ، مع ما ورد من رواية أخرى من الرجم عند موضع الجنائز ، وقد تقدم أن موضع الجنائز فى شرقى المسجد عند باب جبريل ، وليس هو من البقيع ، وأما المصلى حيث أطلقت فإنما يراد بهـا الموضع المعروف الذى قدمناه فى غربى المدينة ، وبقيع الغرقد فى شرقيها ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى موضع آخر على الصواب كما سيأتى عنه فى الطرف الثانى ، وعلى تقدير أن يكون المراد من حديث البَرَاء المتقدم بَقيع الغَرْقَد فهو من المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض السنين ، وليس هو المراد إذا أطلق المصلى جزما . والذى يترجح عندى أن المراد بالبقيع فى حديث البراء سوق المدينة ؛ لمـا قدمناه فيه من أنه كان يسمى بقيع الجبل ، وهو أحَدُ الأماكن المتقدم ذكرها لصلاة العيد ، وكذلك هو المراد من حديث ابن عمر « أنى أبيع الإبل بالبقيع بالدراهم وآخذ مكانها الدنانير » كما قدمناه .

وقال الجمال المطرى عقب نقله لمـا قدمناه عن ابن زبالة : ولا يعرف من

المساجد التي ذكر لصلاة العيد إلا هـذا المسجد الذي يصلى فيه اليوم ، ومسجد شماليه وسط الحديقة المعروفة بالعريضي المتصلة بقبة عين الأزرق ، ويعرف اليوم بمسجد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ولعـله صلى فيه في خلافته ، ومسجد كبير شمالي الحديقة متصل بها يسمى مسجد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، ولم يرد أنه رضي الله عنه صـلى بالمدينة عيدا في خلافته ؛ فتكون هذه المساجد الموجودة اليوم من الأماكن التي صلى فيها رسـول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد سنة بعد سنة وعيدا بعد عيد ؛ إذ لا يختص أبو بكر وعلي رضي الله عنهما بمسجدين لأنفسهما ويتركان المسجد الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : ما ذكره من أنه لم يرد أن عليا رضي الله تعالى عنه صلى بالمدينة عيدا في خلافته ، أي فلا تظهر نسبة المسجد المذكور إليه ، وكأنه لم يقف على ما رواه ابن شبة عن سعد بن عبيد مولى ابن أزهر قال : صليت العيدَ مع علي رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه مَحْصُورٌ؛ فصلى ثم خطب بعد الصلاة.

وروى أيضا عن الزهري قال: صلى سَهْل بن حُنَيف وعثمان محصور الجمعة، وصلى يوم العيد علي بن أبي طالب ؛ فالظاهر أنه صلى حينئذ بذلك المكان لكونه أحَدَ المصلَّيات التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم، لا أنه ابتكر الصلاة فيه، والله أعلم .

مصلى العيد بالصحراء

ولم يكن المصلى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً ، بل كانت صَحْراء لا بِناء بها ، ونهى صلى الله عليه وسلم عن البناء بها كما سيأتي ، ولهذا وقع الرجم بها . وذهب بعض العلماء إلى أن المصلى يثبت لها حكم المسجد ، وإن لم يُوقَفْ ، وهو مردود ؛ فإن مَنْ شاهد مصلاه صلى الله عليه وسلم وما ذكر من امتدادها إلى سوق المدينة كما قدمناه فيه وما بها من الدور والشوارع علم عدم صحة ذلك ، وحَمْلُ الرجم المذكور في الحديث على أنه وقع بالقرب منها خلافُ مقتضى اللفظ . والمسجد المتخذ بها اليوم إنما هو في بعضها ، وهو المحل الذي قام به النبي صلى الله

عليه وسلم ، وكذلك المسجدانِ الآخران ، والظاهر أن بناء الثلاثة كان فى زمن عمر بن عبد العزيز :

وقد قدمنا ذكر الأول منها ، وهو المعروف اليوم بمسجد المصلى فيما نقله ابن شبة عن أبى غسان من الذَّرْع ؛ لما بينه و بين المسجد النبوى .

والثانى المنسوب إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالحديقة المذكورة عن يساره مخزن لدواب الحديقة المذكورة ، ومدخل الدواب من باب المسجد الذى فى شاميه ، فيمتهنه أهل الحديقة بمرور البهائم منه ، ور بمـا حَبَسُوها فيه ، فدخلته مرة فوجدته كالمزبلة ، وهو فى غاية الامتهان قد امتلأ بِرَوْثِ الدواب وبَوْلها ، ولم أجد موضعاً للصلاة فيه فتكلمت مع شيخ الخدام الأمير إينال الناظر على الحديقة المذكورة فى أن يغير باب المخزن المذكور ، و يجعله من خارج المسجد ، فأمر فقيهه الفقيه الشهاب أحمد النوسى بالنظر فى ذلك ، فجعل على الموضع المسقف من المسجد المذكور الذى فيه المحراب جدارا فى شاميه يمنع من وصول البهائم إليه ، وكان فى جدار المسجد الغربى ممـا يلى القبلة هيئة باب مشبك ، فجعله بابا لذلك المحل ، و بقيت رحبة المسجد التى فى شاميـه دهليزا للدواب ، فكلمته فى ذلك فذكر أنه قيل له : إن المسجد هو ذلك المسقف فقط ، وجدران المسجد شاهدة بخلاف ذلك ، فليتنبه له .

والمسجد الثالث المنسوب لعلى رضى الله تعالى عنه كان قد تَهَدَّم ودَثَر حتى صار بعض الحجاج يدفن فيه مَنْ يموت فى زمن الموسم ، فإنه إلى جانب منزلة الحجاج ، فجدد بناءه الأمير زين الدين ضغيم المنصورى أمير المدينة الشريفة سنة إحدى وثمانين وثمانمائة[1] .

وأما المسجد الأول المعروف اليوم بمسجد المصلى فلم يزل مَصُونا ، وكان بابه لا يزال مفتوحا فربما يقع له انتهاك ، فأمر شيخ الخدام بغلقه ، وعمارته الموجودة اليوم لاأدرى لمن تنسب ، إلا أنى رأيتُ على بابه حجرا قد انمحى بعضُ الـكتابة

(١) جدده السلطان عبد المجيد العثمانى فى سنة ١٢٦٨ (حسب الله)

منه ، وفيه « أمر بتجديد هذا المسجد المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد خرابه وذهاب عز الدين شيخ الحرم الشريف النبوى ، وذلك فى أيام السلطان الملك الناصر حسن بن السلطان محمد بن قلاون الصالحى » وما بعد ذلك قد انمحى . وابتداء ولاية السلطان حسن المذكور فى سنة ثمان وأربعين ، واستمر إلى أثناء سنة أثنتين وستين وسبعمائة ، وهـذا المسجد بابُهُ فى حائطه الشامى قريبا من محاذاة محرابه ، ومن خارج بابه على يمين الداخل منه درج يصعد إلى موضع لطيف على ميمنة الباب المذكور ، وقد أصلح ما تَشَعَّثَ من هذا المسجد الأمير بردبك المعمار سنة إحدى وستين وثمانمائة فى دولة الأشرف إينال ، وأحدث لذلك الموضع المتقدم وصفه فى ميمنة الباب المذكور درجة أخرى يتوصل بها إليـه من داخل المسجد ، وذلك الموضع هو الذى يقوم عليه الخطيبُ فى يوم العيد ، وأحدث الأمير بردبك أيضا أمام ذلك الموضع من خارج المسجد مسقفا ليجلس عليه المبلغون أمام الخطيب ، وفى يوم العيد يجتمع أهل السنة من أهل المدينة وأعيانهم بالمصلى المذكور ، بحيث لا يبقى خارجه من أهل السنة إلا اليسير مع شيخ الخدام وجماعته ، لأن العادة جَرَت بأن يكون صفهم أمام الخطيب فى الجمعة والعيد؛ لما ذكره البدر ابن فرحون من أن أول قاض ولى لأهل السنة القاضى الإمام العلامة السراج عمر بن أحمد الخضر سنة اثنتين وثمانين وستمائة فى دولة المنصور قلاوون الصالحى ، وكان القضاة قبل ذلك من الشيعة آل سنان ، وكانت الخطابة بأيديهم ، فانتزع السلطان المشار إليه ذلك منهم للسراج ، فـكانوا يؤذونه أذى شديدا .

قال ابن فرحون : أدركت من أذاهم له أنهم كانوا يرجمونه بالحصباء وهو يخطب على المنبر ، فلما كثر ذلك منهم تقدم الخدام وجلسوا بين أيديهم أمام المنبر ، فذلك هو السبب فى إقامة صَفّ الخدام قبالة الخطيب ، وخلفهم غلمانهم وعبيدهم ، اهـ .

وقد استمر ذلك إلى اليوم ، فإذا صلى الإمام بأهل المسجد المذكور صلاةَ العيد انصرف ، وخرج من بابه المذكور مخترقا للصفوف متخطّيا للرقاب إلى أن

يصعد فى أعلى تلك الدرج ، فيستدبر القبلة ويستقبل جهة الشام على عادة الخطباء ، ثم يخطب هناك ، فيصير جميع مَنْ فى المسجد خلف ظهره ، ثم إن أهل المسجد يستدبرون القبلة ويستقبلون ظهره وغالبُ من يصلى خارج المسجد لا يشاهده أيضاً لحيلولة المسقف المحدث أمام ذلك الموضع ، وهذا كله مخالف للسنة ، ولما ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم فى هذا المحل من قيامه فى مُصَلاه مستقبلا للناس وهم على صفوفهم كما سنوضحه ، ومَنْ زعم أن هذا الوضع فى محل قيام النبى صلى الله عليه وسلم وأنه صلى بذلك المحل على هذه الصفة الموجودة اليوم فقد أخطأ خطأ عظيما وأساء الأدب ، فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أنه ينصرف عن أصحابه حتى يستدبرهم أو الكثير منهم ثم يخطب لهم ؟ وتترك الصحابة رضى الله تعالى عنهم طلعته البهية ويرضون باستدباره صلى الله عليه وسلم مع قيامه لمخاطبتهم ، وهم أعظم الناس أدبا وحرصا على رؤيته الشريفة ، وكيف يتفق علماء الإسلام على أن السنة خلافُ ذلك كما سيأتى ؟ فالمتعين تغيير هذه الهيئة ، والله أعلم .

الطرف الثانى : فيما جاء من أن النبى صلى الله عليه وسلم قام بالمصلى على غير منبر مستقبلا للناس .

كيف صلى الرسول العيد؟

قال البخارى فى صحيحه ، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، ثم روى فيه حديث أبى سعيد الخدرى قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، فأول شىء يبدأ به الصلاة ، ثم ينصرف فيقوم مُقَابل الناس والناسُ جلوسٌ على صفوفهم ، فيَعِظهم ويوصيهم ويأمرهم ، فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه ، أو يأمر بشىء أمر به ، ثم ينصرف ، فقال أبو سعيد : فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجْتُ مع مروان وهو أمير المدينة فى أضحى أو فطر ، فلما أتينا المصلى إذا منبر بَنَاه كثير بن الصلت ، وإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلى ، فجبذته بثوبه ، فجبذنى ، فارتفع فخطب قبل الصلاة ، فقلت له : غيرتم والله ، فقال : أبا سعيد قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم والله خير مما لا أعلم ،

فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتها قبل الصلاة ، هذا لفظ رواية البخارى .

قال الحافظ ابن حجر : المراد بقوله إلى المصلى المصلى المعروف بالمدينة بينه و بين باب المسجد ألف ذراع ، قاله عمر بن شبة عن أبى غسان صاحب مالك ، وفى رواية ابن حبان من طريق داود : فينصرف إلى الناس قائما فى مُصَلاّه.

قلت : وهذا معنى قوله فى رواية البخارى «ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس» يعنى أنه يستدبر القبلة و يقف فى مصلاه ، وقد ترجم البخارى لاستقبال الإمام الناسَ فى خطبة العيد ، وأورد فيه طرفا من حديث أبى سعيد المذكور، وقد صرح الأئمة بأن ذلك هو السنة .

قال الزين ابن المنير : و إنما أعاد البخارى هذه الترجمة مع أنه قدم نظيرها فى الجمعة لدفع احتمال توهم أن العيد يخالف الجمعة فى ذلك ، وأن استقبال الإمام فى الجمعة يكون ضروريا لكونه يخطب على منبر ، بخلاف العيد فإنه يخطب فيه على رجليه لحديث أبى سعيد المذكور ، فأراد أن يبين أن الاستقبال سُنّة على كل حال .

من أحدث منبر المصلى العيد

قال الحافظ ابن حجر : وهذا يقتضى أنه لم يكن فى المُصَلّى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم منبر إلى أن اتخذ لمروان ، و يدل عليه قول أبى سعيد «فلم يزل الناس إلى آخره» . ووقع فى المدونة لمالك ، ورواه ابن شبة عنه قال : أول مَنْ خطب الناسَ فى المصلى على منبر عثمان بن عفان ، كلمهم على منبر من طين بَنَاه كثير بن الصلت ، وهذا مُعْضَل ، وما فى الصحيحين أصح ؛ فقد رواه مسلم بنحو رواية البخارى ، و يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان ، ولم يطلع على ذلك أبو سعيد ، انتهى .

قلت : لكن روى أبو داود وغيره فى حديث ذكر أنه غريب وأن سنده جيد عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : شكا الناسُ إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم قُحُوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى . وفى رواية للترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى الاستسقاء حتى أتى المصلى فرقى على المنبر ؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطَب فى الاستسقاء بالمصلى على منبر ، وكأن ذلك هو المستند لمن أحدث المنبر فى خطبة العيد قياسا على الاستسقاء ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم خَصّ الاستسقاء بذلك لتيسر رؤيته لعامة الناس فيها ، فيقتدون به فى تحويل الرداء عند تحويله ، وفى كيفية رفع اليدين فى الدعاء ، ونحو ذلك مما يختص بخطبة الاستسقاء .

قال الحافظ ابن حجر : وقول أبى سعيد « غيرتم والله » صريحٌ فى أنه هو المنكر ، ووقع فى رواية مسلم « فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، قال : قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه » فيحتمل أن يكون المنكِرُ أبا مسعود الذى وقع فى رواية عبد الرزاق أنه كان معهما ، ويحتمل أن يكون القصة تعددت ، ويدل على ذلك المغايرة بين روايتى عياض ورجاء ، ففى رواية عياض أن المنبر بُنِىَ له بالمصلى ؛ وفى رواية رجاء أن مروان أخرج المنبر معه ، ولأن إنكار أبى سعيد كان بينه وبينه ، وإنكار الآخر وقع على رؤوس الناس .

وقوله «إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة» يشعر بأن ذلك باجتهاد من مروان .

أول من خطب قبل صلاة العيد

وقد اختلف فى أول من خطب قبل الصلاة ، فرواية الصحيحين عن أبى سعيد مصرحة بأنه مروان .

وروى ابن المنذر بإسناد صحيح عن الحسن البصرى قال : أول من خطب قبل الصلاة عثمان ، صلى بالناس ثم خطبهم ، يعنى على العادة ، فرأى ناسا لم يدركوا الصلاة ، ففعل ذلك ، أى صار يخطب قبل الصلاة . وهذه العلة غير التى اعتلّ بها مروان ؛ لأن عثمان رضى الله تعالى عنه راعى مصلحة الجماعة فى

إدراكهم للصلاة ، وأما مروان فراعى مصلحتهم فى استماعهم الخطبة ، لكن قيل : إنهم كانوا فى زمن مروان يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سَبٍّ مَنْ لا يستحق السب ، والإفراط فى مدح بعض الناس ، فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه . ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك أحيانا ، بخلاف مروان فواظب عليه فلذلك نسب إليه .

وقد أوردنا بقية كلام الحافظ ابن حجر وغيره من الفوائد المتعلقة بذلك فى كتابنا الموسوم « بالوفا ، بما يجب لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم » وبينا فيه أن الدرج الموجودة التى يقوم عليها الخطيب اليوم ليست فى الموضع الذى بنى لمروان ؛ لأن مروان وإن قدَّم الخطبة على الصلاة فلما له فى ذلك من المقصد . وأما جعله المنبر على خلاف السنة وجعله القومَ أو بعضَهم خلف ظهره فلا ثمرة له ، وأيضاً فيبعد إقرار مَنْ جاء بعده على ذلك ، وأيضاً لو كان ذلك من فعله لأنكر عليه كما أنكر عليه ما تقدم ، ولو سلم أن تلك الدرج فى موضع منبر مروان فالسنة تغيير ذلك واتباع ما صح من فعله صلى الله عليه وسلم ، كما خولف فى أمر الخطبة واتبع بها فعله صلى الله عليه وسلم حيث جعلت بعد الصلاة ، والتشبث باستمرار أفعال الناس إنما يكون فى شىء لم يعلم حكمه من جهة الشرع ، أما ما علم حكمه فالواجب اتباعُ الشرع فيه ، واعتقاد حدوث ما عليه الناس ، وتقديره بأقرب زمان ، وقد ذم الله تعالى قوما تمسكوا فى جَحْد الحق بفعل سَلَفهم حيث قال حكاية عنهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون) فمن الواجب تطهير هذا المحل الشريف المنسوب للمصطفى صلى الله عليه وسلم عن هذه البدعة الشنعاء ، ولذلك بينا بعض الدرج عن يمين القائم فى محراب المسجد المذكور كما ذكر العلماء أنه السنة ، وتكون مرتفعة بحيث يرى القائم عليها من خارج المسجد ، والذى يظهر أن تلك الدرج إنما جعلت للمبلغ ، وأن الخطيب إنما كان يقوم فيه على الأرض ؛ لأنه الثابت من فعله صلى الله

عليه وسلم ، فكأن بعض الخطباء قام عليها بعد ذلك فاستمر الأمر على ذلك ، والله أعلم .

فضل المصلى

الطرف الثالث : فيما جاء فى فضل المصلى الشريف ، والدعاء به ، ونهيه صلى الله عليه وسلم عن تضييقه والبناء به .

أورد ابن شبة فى ترجمة المصلى عن جناح النجار قال : خرجت مع عائشة بنت سعد بن أبى وقاص إلى مكة ، فقالت لى : أين منزلك ؟ فقلت لها : بالبلاط ، فقالت لى : تمسك به فإنى سمعت أبى يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ما بين مسجدى هذا المسجد ومصلاى روضة من رياض الجنة » .

وقوله فى هذه الرواية « ما بين مسجدى هذا المسجد — إلى آخره » يدفع تأويلَ مَنْ أوَّلَ حديث الأوسط للطبرانى بلفظ « ما بين حجرتى ومُصَلاَّى » والحديث الذى رواه ابن زبالة من طريق عائشة بنت سعد عن أبيها بلفظ « ما بين منبرى والمصلى » بأن المراد مُصَلاَّه الذى يصلى فيه فى المسجد ؛ لأنه لا يصح أن يقال : ما بين هذا المسجد والمصلى الذى فيه ، ولهذا استدلّتْ به عائشةُ بنت سعد على الحث على التمسك بالدور التى بالبلاط ، يعنى الآخذة من باب السلام إلى المصلى ؛ لأنها فيما بين المسجد ومصلى العيد ، وإذا كان ما بين المسجدين المذكورين روضة فهماروضة من باب أولى ؛ لأن ذلك الفضل إنما حصل لما بينهما بحصوله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وتردده صلى الله عليه وسلم فيما بينهما، فكيف بمحلِّ سجوده وموقفه الشريف ؟

وروى ابن شبة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا قَدِمَ من سفر فر بالمُصَلّى استقبل القبلة ووقف يدعو .

وعن أبى عطاء عن أبيه قال : قال لى سعيد بن المسيب : يا أبا محمد ، أتعرف موضع دار كثير بن الصلت ؟ قلت : نعم ، قال : فإن النبى صلى الله عليه وسلم

خرج حتى انتهى إلى ذلك الموضع فقام وَصَّف أصحابه خلفه فصلى على النجاشى حين مات فى أرض الحبشة .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى يَسْتَسْقِى ، فبدأ بالخطبة ، ثم صلى وكبر واحدةً افتتح بها الصلاة وقال : هــذا مجمعنا ومُسْتَمْطَرُنَا ومدعانا لعيدنا ولفطرنا وأضحانا ؛ فلا يبنى فيه لبنة على لبنة ولا جهة ، ورواه ابن ز بالة إلا أنه قال : ثم قال : هذا مجتمعنا ومستمطرنا ومدعانا لعيدنا لفطرنا وأضحانا ، الحديثَ .

وروى يحيى عن داود بن أبى الفرات قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فقال : هــذا مستمطرنا ومُصَلاَّنا لأضحانا وفطرنا ، لا يضيق ، ولا ينتقص منه شىء .

وسيأتى فى ترجمة أحجار الزيت أن النبى صلى الله عليه وسلم استسقى عندها قريبا من الزوراء .

بيان طريق ذهاب النبى للمصلى ورجوعه

الطرف الرابع : فيما جاء من أنه صلى الله عليه وسلم : كان يذهب إلى هذا المصلى الشريف من طريق ويرجع فى أخرى ، وبيان كل من الطريقين .

روينا فى صحيح البخارى فى باب مَنْ خالف الطريق إذا رجع يوم العيد عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ يومَ العيدِ فى طريق ورجع فى طريق آخر ، وفى رواية « كان يأخذ يومَ العيدِ فى طريق ويرجع فى طريق آخر » .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى العيد فى طريق لم يرجع فيه .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى العيد رجَعَ في غير الطريق الذي أخذ فيه » .

وعنه رضي الله تعالى عنه أنه قال : ركن باب داري هـذا أحَبُّ إليّ من زِنتها ذهبا ، سَلَكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على داري إلى العيد ، فجعلها يَسَارا ، فمر على عضادة داري مرتين في غداةٍ واحدة .

قلت : ولا مخالفة بين هذا و بين الرواية الأولى لأن دار أبي هريرة كانت بالبلاط عنـد زقاق عبد الرحمن بن الحارث كما قدمناه في الدور المحيطة بالبلاط الأعظم ، و بعدها إلى جهة المصلى قريبا منها دارُ سعد بن أبي وقاص .

وقد روى ابن شبة عن يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتي العيد ماشيا على باب سعد بن أبي وقاص ، ويرجع إلى أبي هريرة » وحينئذ فيمر على دار أبي هريرة في ذهابه ثم في رجوعه ؛ لأن الشافعي روى في الأم ومنهـا نقلت عن المطلب بن حنطب أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يغدو يوم العيد إلى المصلى من الطريق الأعظم ، فإذا رجع رجع من الطريق الأخرى على دار عمار بن ياسر » .

ورواه ابن زبالة عن محمد بن عمار بلفظ « كان يخرج إلى المصلى من الطريق العظمى على أصحاب الفساطيط ، ويرجع من الطريق الأخرى على دار عمار ابن ياسر » وقد قدمنا أن دار عمار بن ياسر في زقاق عبد الرحمن بن الحارث الذي يسلك إلى البلاط عند دار أبي هريرة بابُهَا يقابل دار عبد الرحمن بن الحارث ، ولها خَوْخة في كُتّاب عروة ، فصَحَّ مروره صلى الله عليه وسـلم عليها مرتين في غداة واحدة مع ذهابه من طريق ورجوعه في أخرى .

وسيأتي في ذكر طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذهابا وإيابا ما يصرح بأنه إذا رجع يمر على مسجد بني زريق من كُتّاب عروة حتى يخرج إلى البلاط ، يعني من الزقاق المذكور ؛ لما قدمناه في وصف البلاط .

والطريق العظمى — كما قال المطرى — هى طريقُ الناسِ اليوم من باب المدينة : أى الدرب المعروف بدرب سويقة إلى مسجد المصلى ، ولم يتعرض لبيان الطريق الأخرى ، وقد مَنَّ الله سبحانه وتعالى ببيانه فلله الحمد على ذلك . وهذه الطريق هى المرادة بما رواه ابن زبالة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يذبح أضحيته بيده إذا انصرف من المصلى على ناحية الطريق التى كان ينصرف منها » وتلك الطريق والمكان الذى كان يذبح فيه مقابل المغرب مما يلى طريق بنى زريق ، أى أنه إذا انصرف من المُصَلَّى أتى موضعا فى غربى طريق بنى زريق فذبح ، ثم سلك فى تلك الطريق ، وهى سالكة فى بنى زريق آخذة من قبلة المصلى إلى أن يمر بدار أبى هريرة كما تقدم ، ولهذا روى الواقدى عن عائشة وابن عمر وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم « كان يذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية » أى المتقدم ذكرها . وسور المدينة اليوم مانع من سلوك هذه الطريق فى الرجوع . ويستفاد من هذا أن المخالفة بين الطريقين لم تكن فى جميعهما ، إلا أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا وصَلَ إلى محل البلاط الذى عند دار أبى هريرة لم يسلك فى بقية الطريق العظمى ، وهى الشارعة اليوم إلى باب السلام ، بل يأخذ فى ميسرة البلاط إلى الشام ؛ لأن الظاهر أن غالب تلك الأماكن كانت بَرَاحاً ثم يعرج إلى جهة داره بعد ذلك . على أن ماذكرناه فى وَصْف هذه الطريق مُقْتَضٍ لأن طريقه صلى الله عليه وسلم فى ذهابه أقْصَرُ من طريق رجوعه كما لا يخفى ؛ فيعكر على القول بأن المستحب أن يذهب فى أطْوَل الطريقين ويرجع فى أقصرهما .

وقد روى الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم عقب ما قدمناه عنه وصف طريق أخرى الرجوعُ فيها أبعدُ من الذهاب أيضاً بكثير جداً ؛ فإنه روى عقب ذلك عن معاذ بن عبد الرحمن التيمى عن أبيه عن جده أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم رَجَعَ من المصلّى يوم عيد فسلك على التمارين من أسفل السوق ، حتى إذا

كان عند مسجد الأعرج الذى هو عند موضع البركة[١] التى بالسوق قام فاستقبل فج أسلم فدعا ثم انصرف .

قال الشافعى عقبه : وأحبُّ أن يصنع الإمام مثل هذا ، وأن يقف فى موضع فيدعو الله مستقبل القبلة ، و إن لم يفعل فلا كفارة ولا إعادة عليه ، هذا لفظ الأم ومنها نقلت .

و يؤ يد هذا ما رواه يحيى عن محمد بن طلحة بن طو يل قال : رأيت عثمان ابن عبد الرحمن ومحمد بن المنكدر ينصرفان من العيد فيقومان عند البركة التى بأسفل السوق ، قال : وسألت عثمان بن عبد الرحمن عن ذلك فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عند ذلك المكان إذا انصرف من العيد .

وقد قدمنا عن ابن زبالة فى سوق المدينة أن محمد بن المنكدر وعثمان بن عبد الرحمن وجماعة كانوا يقومون بفناء بركة السوق مستقبلين ، وأن عثمان بن عبد الرحمن قال : قد اختلف علينا فى ذلك ؛ فقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو هنالك ، وقائل يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم هنالك فينظر إلى الناس إذا انصرفوا من العيد .

قلت : وقد بينَتْ روايةُ الشافعى المذكور أنه كان يدعو هنالك إذا انصرف من العيد ، ولا مانع من كونه مع ذلك ينظر إلى الناس المنصرفين من العيد أيضاً فلا اختلاف . وقد بينا هناك ما يقتضى أنه كان يسلك على سوق التمارين ، وهو فى شامى المصلى مما يلى المغرب ، و بينا أيضاً أن منازل أسْلَم كانت فى غربى سوق المدينة إلى الشام بعد التمارين ، وذلك عند حصن أمير المدينة وما سفل منه إلى جهة الشام مما يلى غربى سوق الشاميين عند منزل الحاج الشامى بالموسم ، و بينا أن بركة السوق هى المنهل المدرج الذى على يسار المتوجه إلى ثَنِيَّة الوَدَاع عند مشهد النفس الزكية ، والقائم عندها إذا استقبل فَجَّ أسلم كان مستقبلا للقبلة ، ولعل مسجد الأعرج الذى أشار الشافعى فى روايته إلى أنه عندها هو الموضع الذى

(١) هى المنهل الذى بقرب مشهد النفس الزكية،ويقال لها اليوم «عين الزكى» (حسب الله) .

هو قبلة مشهد النفس الزكية ، فإنه مسجد،وهو عند موضع البركة ، وماعلمتُ المرادَ بالأعرج الذى نسب إليه المسجد المذكور .

وقد أنشأ قاضى الحرمين السيد الشريف العلامة محيي الدين عبد القادر الحنبلى الفاسى المكى مسجدا بمنزلة الحاج الشامى بالقرب من المنهل المذكور فى جهة قبلته (١) .

إذا علمت ذلك فهذه الطريق تزيد على الطريق العظمى إلى المصلى بنحو ضعفها ، ويمكن سلوكها اليوم فى الرجوع من المصلى ، بخلاف الطريق السابقة ؛ لحيلولة السور .

وأهلُ المدينة اليوم يذهبون من الطريق العظمى ، ويرجعون فى بعض تلك الطريق السابقة ؛ لأنهم يأخذون من جهة قبلة المصلّى إلى المشرق خارج سور المدينة ، فيدخلون من درب البقيع ، وطريقهم هذه فى الرجوع أطول من الذهاب أيضاً ، ولو سلكوا الطريقَ المذكورة فى رواية الشافعى الثانية لكان أولى ، وليحصل الدعاء بذلك المحل الشريف اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ومن تقدم ذكره من السلف الصالح .

وقد فعلتُ ذلك فى عامنا هذا ، فسلكت فى الذهاب إلى المُصَلّى من الطريق العظمى ، ورجعت من أسفل السوق إلى أن قمت بفناء بركته المذكورة ، ثم انصرفت فدخلت المدينة من الباب الذى يلى حصن أمير المدينة ، والخيرُ كله فى الاتباع ومجانبة الابتداع ، وأى بركة أعظم من ذهاب الإنسان إلى المصلى فى ذلك اليوم السعيد فى طريق ذهب منها النبيُّ صلى الله عليه وسلم ؟ ثم صلاته بمُصَلاّه الشريف ، ثم رجوعه فى طريقه التى رجع منها .

وقد قال المجد : وإذا ثبت بما رويناهُ ـ يعنى من الأحاديث المتقدمة ـ أن المصلّى الموجودَ هو مصلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، فالصلاةُ فيه تزداد فضلا ومزية على كل مصلى أيّ ازدياد ، ويخص الفائزون بالصلاة فيه من الله تعالى

(١) يعرف اليوم بمسجد السبق (حسب الله) .

بأسبغ نِعَم وأياد ، و يمنح الحائزون فضل الحضور إليها فواضل قصرت عنها معالى معد وأيادى إياد .

قلت : وأخبرنى جماعة من المشايخ منهم شيخنا الكمال أبو الفضل محمد ابن العلامة نجم الدين المرجانى وأخته المسندة أم كمال كماليه والمسندة أم حبيبة زينب ابنة الشهابى أحمد الشونكى وغيرهم إذنا عن المجد المشار إليه قال عقب ما تقدم عنه : أنشدنى أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الحموى كتابة عن أبى البركات أيمن بن محمد بن محمد بن محمد الغرناطى لنفسه :

إنّ عيداً بطيبة وصلاةً ... بمُصَلّى الرسولِ فى يوم عيد

نِعَمٌ ضاق واسعُ الشكرِ عنها ... فَهْىَ بُشْرَى لكل عبد سعيد

كم تمنيتها فنِلْتُ التمنى ... آخِرَ العمر من مكان بعيد

و إذا كان فى البقيع ضَريحى ... وتوسَّدْتُ طيبَ ذاك الصعيد

فاشْهَدُوا لى بكلِّ خير و بشرٍ ... عند ربى ومُبْدِئى ومعيدى

والمسئول من فضل الله تعالى أن يكمل لأهل هـذا المصلى الشريف عظيمَ منته بجعل منبره المنيف على طريقته صلى الله عليه وسلم وسنته ، بمنه وكرمه ، آمين

الفصل الثانى

فى مسجد قباء ، وفضله ، وخبر مسجد الضِّرَار

تأسيس مسجد قباء

تقدم تأسيس النبى صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء فى الفصل العاشر من الباب الثالث ، عند مقدمه صلى الله عايه وسلم قباء ، و بَسَطْنا ذلك هناك ، فراجعه وذكرنا هناك ما جاء من أن النبى صلى الله عليه وسلم عمل فيه بنفسه ، وأنه أسّسه وجبريل يَؤُمُّ به البيت ، وأنه كان يقال : إنه أَقْوَمُ مسجد قبلةً ، وأنه صلى الله عليه وسلم أسسه ثانيا بعد تحويل القبلة ، وقدمنا أيضاً قول عروة فى الصحيح

فى حديث الهجرة الطويل « فَلَبِثَ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى » .

وفى رواية عبد الرزاق عنه قال « الذين بنى فيهم المسجد الذى أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف » وكذا فى حديث ابن عباس عند ابن عابد ولفظه « ومكث فى بنى عمرو بن عوف ثلاث ليال ، واتخذ مكانه مسجدا فكان يصلى فيه ، ثم بناه بنو عمرو بن عوف ، فهو الذى أسس على التقوى » وقدمنا أيضاً أنه أول مسجد بناه النبى صلى الله عليه وسلم وصلى فيه بأصحابه جماعة ظاهرا .

المسجد الذى أسس على التقوى

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى المراد بقوله تعالى (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) فالجمهور على أن المراد مسجد قباء ، وهو ظاهر الآية ، وتقدم فى فضل المسجد النبوى حديث مسلم المشتمل على أن أبا سعيد سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال « هو مسجدكم هذا » وفى رواية لأحمد والترمذى عنه : اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد المدينة ، فسألاه عن ذلك ، فقال : هو هذا ، وفى ذلك — يعنى مسجد قباء — خير كثير ، وقدمنا أيضاً الجمع بأن كلا من المسجدين قد أسس على التقوى من أول يوم تأسيسه ، وأنهما المراد من الآية ، وأن السر فى اقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر مسجد المدينة دفع توهم اختصاص ذلك بمسجد قباء ، كما هو ظاهر ما فهمه السائل وتنويها بمزية مسجده الشريف .

قال الحافظ ابن حجر : والحق أن كلا منهما أسس على التقوى ، وقوله تعالى فى بقية الآية (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يؤيد كون المراد مسجد قباء .

وعند أبى داود بإسناد صحيح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : نزلت (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) فى أهل قباء ، قال : كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم هذه الآية .

قال الحافظ ابن حجر : فالسر فى جوابه صلى الله عليه وسلم بما تقدم دفع توهم أن ذلك خاص بمسجد قباء .

قال الداودى وغيره : ليس هذا اختلافا ؛ لأن كلا منهما أسس على التقوى وكذا قال السهيلى وزاد أن قوله تعالى (من أول يوم) يقتضى مسجد قباء ؛ لأن تأسيسه كان فى أول يوم حَلَّ النبى صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة .

روى أحمد وابن شبة ، واللفظ لأحمد ، عن أبى هريرة قال : انطلقت إلى مسجد التقوى أنا وعبدُ الله بن عمر وَسُمَرة بن جندب ، فأتينا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لنا : انطَلَقَ نحو مسجد التقوى ، فانطلقنا نحوه ، فاستقبَلَنا يَدَاه على كاهلَىْ أبى بكر وعمر ، فثرنا فى وجهه فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا بكر ؟ فقال : عبد الله بن عمر ، وأبو هريرة ، وسمرة .

وروى ابن شبة من طرق ماحاصله أن الآية لما نزلت أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ قباء ، وفى رواية أهل ذلك المسجد ، وفى رواية بنى عمرو بن عوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قد أحْسَنَ عليكم الثناء فى الطهور ، فما بلغ من طهوركم ؟ قالوا : نستنجى بالماء » .

وذكر أبو محمد المرجانى الجمع بأن كلا من المسجدين أسِّسَ على التقوى ، ثم قال : فقد رُوِى عن عبد الله بن بُرَيْدة فى قول الله عز وجل (فى بيوتٍ أذِنَ الله أن ترفع) قال : إنما هى أربعة مساجد ، لم يبنهنَّ إلا نبى : الكعبة بناها إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام ، و بيت أريحاء بيت المقدس ، بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة ومسجد قباء اللذين أسِّسا على التقوى ، بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقال يحيى بن الحسين فى أخبار المدينة : حدثنا بكر بن عبد الوهاب أنبأنا عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « المسجدُ الذى أسِّسَ على التقوى من أول يوم هو مسجد قباء ،

قال الله جل ثناءه (فيـه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهر ين) و بكر ابن عبد الوهاب هو ابن أخت الواقدى صدوق ، وعيسى بن عبد الله يظهر لى أنه عيسى بن عبد الله بن مالك وهو مقبول ؛ فيـكون جده حينئذ عبد الله بن مالك ، وهو شيخ مقبول يروى عن على وابن عمر ؛ فالحديث حسن ؛ فتعين الجمع بما تقدم والله أعلم .

ما جاء فى أن الصلاة فيه تعدل عمرة

روى الترمذى عن أسيد بن حضير الأنصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاةُ فى مسجد قباء كعمرة » قال الترمذى : وفى الباب عن سهل ابن حنيف ، وحديث أسيد حديث حسن غريب ، ولا يعرف لأسيد شىء يصح غير هذا الحديث .

قلت : وأخرجه البيهقى وابن ماجه من طريق أبى بكر بن شيبة بإسناد الترمذى ، وهو جيد ، بلفظ « الصلاة فى مسجد قباء كعمرة » .

وأخرج ابن حِبَّانَ فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه شهد جنازة بالأوساط فى دار سعد بن عبادة ، فأقبل ماشيا إلى بنى عمرو بن عوف بفناء بنى الحارث بن الخزرج ، فقيل له : أين تؤم يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أهل هذا المسجد فى بنى عمرو بن عوف ؛ فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ صَلى فيه كان كعدل عمرة » .

ورواه ابن ز بالة موقوفا ، ولفظه أن عبد الله بن عمر شهد جنازة فى الأوساط من بنى الحارث بن الخزرج ، ثم خرج يمشى ، فقالوا له : أين تر يد يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : أر يد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ؛ « مَنْ صلى فيه ركعتين كان كعدل عمرة .

وأخرج ابن ماجه وعمر بن شبة بسند جيد عن سهل بن حنيف قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة » .

ورواه أحمد والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

ورواه يحيى من طريقين فيهما مَنْ لم أعرفه بلفظ « مَنْ توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له عدل عمرة » .

ورواه الطبرانى فى الكبير عن سهل من طريق موسى بن عبيدة — وهو ضعيف — بلفظ « مَنْ توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فيركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل رقبة » .

ورواه ابن شبة عن سهل من طريق موسى بن عبيدة المذكور بلفظ « مَنْ توضأ فأحسن وضوءه ثم جاء مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان له عدل عمرة » .

ورواه أيضاً بسندٍ فيه يوسف بن طهمان — وهو ضعيف — عن سَهْل ابن حُنَيف عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مؤمن يخرج على طهر إلى مسجد قباء لا يريد غيره حتى يصلى فيه إلا كان بمنزلة عمرة » .

وروى الطبرانى فى الكبير بسند فيه يزيد بن عبد الملك النوفلى — وهو ضعيف — عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ تَوَضَّأ فأسبغ الوضوء ثم عَمَدَ إلى مسجد قباء لا يريد غيره ، ولا يحمله على الغُدُوِّ إلا الصلاة فى مسجد قباء ، وصلى فيه أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بأم القرآن كان له كأجر المعتمر إلى بيت الله » .

وقال عمر بن شبة : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا أيوب بن صيام عن سعيد بن الرقيش الأسدى قال : جاءنا أنس بن مالك إلى مسجد قباء فصلى ركعتين إلى بعض هذه السوارى ثم سلم وجلس وجلسنا حوله ، فقال : سبحان الله ! ما أَعْظَمَ حَقَّ هذا المسجد ، لو كان على مسيرة شهر كان أهلا أن يؤتى ،

مَنْ خرج من بيته يريده معتمداً إليه ليصلى فيه أربعَ ركعاتٍ أقْلَبه الله بأجْرِ عُمْرة » .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : ومما يُقوِّى هذه الأخبار ويدل على تظاهرها فى العامة والخاصة قولُ عبد الرحمن بن الحكم فى شعر له :

فإن أهْلِكْ فقد أقْرَرْتُ عيناً من المتعمرات إلى قباء
مِنَ اللاتِى سَوَالِفُهُنَّ غيد عَلَيْهِنَّ المَلاحَةُ بِالْبَهَاء

تفضيل الصلاة فى مسجد قباء على بيت المقدس

ما جاء فى تفضيل الصلاة فيه على بيت المقدس ، ومغفرة ذنوب مَنْ صلى فيه مع المساجد الثلاثة .

روى ابن شبة بسند صحيح من طريق عائشة بنت سعد بن أبى وقاص قالت: سمعت أبى يقول : « لأن أصَلِّىَ فى مسجد قباء ركعتين أحَبُّ إلىّ من أن آتىَ بيت المقدس مرتين ، لو يعلمون ما فى قباء لضربوا إليه أكباد الإبل » .

ورواه الحاكم عن عامر بن سعد وعائشة بنت سعد سمعا أباهما يقول : لأن أصلىَ فى مسجد قباء أحَبُّ إلىّ من أن أصلى فى مسجد بيت المقدس ، قال الحاكم : وإسناده صحيح على شرطهما . وهذا شاهد لما روى عن محمد بن مسلمة المالكى أنه قال : إن إتْيَانَ مسجد قباء يلزم بالنذر ، وجمهور العلماء أن ذلك وإن كان قربة لا يلزم بالنذر .

وعن عاصم قال : أخبرنا أن مَنْ صلى فى المساجد الأربعة غُفِرَ له ذنبه ، فقال له أبو أيوب : يا ابن أخى أدلُّكَ على ما هو أيسر من ذلك ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ توضأ كما أمر ، وصلى كما أمر ، غفر له ما تقدم من ذنبه » أخرجه أبو حاتم وقال : المساجد الأربعة : المسجدُ الحرام ، ومسجد المدينة ، ومسجد الأقصى ، ومسجد قباء .

إتيان الرسول مسجد قباء

ما جاء فى إتيان النبى صلى الله عليه وسلم له راكبا وماشيا ، وصلاته فيه ، وتعيين الأيام التى كان صلى الله عليه وسلم يأتى قباء فيها هو وغيره من الصحابة .

روينا فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يَزُورُ قباء ، أو يأتى قباء ، راكبا وماشيا .

زاد في رواية لهما : فيصلى فيه ركعتين .

وروى ابن شبة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مسجد قباء ، فصلى فيه ، فجعلت الأنصار يأتون وهو يصلي ، فيسلِّمُونَ عليه ، فخرج عَلَىَّ صُهَيْبٌ فقلت : يا صُهَيْب كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يردُّ على مَنْ سلم ؟ قال : يُشير بيده .

وفى رواية للبخارى والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا » وكان عبد الله يفعله .

وفى رواية لابن حِبَّان فى صحيحه « كل يوم سبت ». وفيها رد على من قال : إن المراد بالسبت الأسبوع .

وروى ابن شبة عن سعيد بن عمرو بن سليم مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يُطرَحُ له على حمار أنبجانىّ لكل سبت ، ثم يركب إلى قباء » .

ورواه ابن زبالة بنحوه ، وزاد « ويمشى حوله أصحابه » .

وروى ابن شبة عن شريك بن عبد الله بن أبى نمر مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يأتى قباء يوم الاثنين » .

وعن محمد بن المنكدر مرسلا قال « كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان[1] » .

ورواه يحيى عن ابن المنكدر عن جابر متصلا . وفى كتاب رزين عن ابن المنكدر قال : أدركت الناس يأتون مسجد قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان .

وروى يحيى عن ابن المنكدر نحوه أيضاً .

وعن أبى غزية قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يأتى قباء يوم الاثنين ويوم الخميس ، فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يَجِدْ فيه أحداً من أهله ،

---

(١) هذا باق إلى زماننا والناس يسمون ذلك العمرة (حسب الله) .

فقال : والذى نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فى أصحابه تَنْقُلُ حجارتَهُ على بطوننا، يؤسِّسُه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده، وجبريل يؤم به البيتَ ، ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هـذا بطرف من الأطراف لضرَبْنَا إليـه أكباد الإبل ، ثم قال : اكسروا لى سَعَفَه واجتنبوا العوَاهن ، أى ما يلى القلب من السَّعَف ، فقطعوا السعفة ، فأتى بها ، فأخذ رزمة فربَطَها فمسحه ، قالوا : نحن نـكفيك يا أمير المؤمنين ، قال : لا تكفو نيه .

وفى رواية لرزين عقب قوله « وجبريل يؤم به البيت » ثم أخـذ أى عمر رضى الله تعالى عنه جرَائدَ فجعل يمسح جُدْرَانه وسطحه ، فقيل له : نـكفيك يا أمير المؤمنين ، فقال : لا تكفونيه ، أنا أريد أن أكفيـكم أنتم مثل هـذا ، وإن شئتم اعملوا مثل ما أعمل .

وقد استشكل الزين المراغى قوله «وجبريل يؤم به البيت» بأن ذلك كان قبل تحويل القبلة ، وقد أشَرْنا فيما تقدم لجوابه .

وأسند ابن زبالة عن شيخ من بنى عمرو بن عوف قال : أتانا عمرُ بن الخطاب بقباء فقال لخياط بسُدَّة الباب : انطَلِقْ فأتِنِي بجريدة وإياك والعوَاهنَ ، فأتاه بجريدة ، فقَشَرها وترك لها رأسا فضرب به قبلة المسجد حتى نفض الغبار .

ورواه ابن شبة ، إلا أنه قال : عن شيوخ من بنى عمرو بن عوْف أن عمر رضى الله تعالى عنه جاءهم بقباء نصفَ النهارِ ، فدخل مسجد قباء ، فأمر رجلا يأتيه بجريدة رَطْبة ، الخبرَ بنحوه .

وروى ابن زبالة عن زيد بن أسلم قال : الحمد لله الذى قرَّبَ منا مسجد قباء ، ولو كان بأفُقٍ من الآفاق لضرَبْنَا إليه أكباد الإبل .

وفى صحيح البخارى : كان سالم مولى أبى حُذَيفة رضى الله تعالى عنهما يؤم المهاجرين الأولين من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر .

ورواه ابن شبة عن ابن عمر ، ولفظه : وكان سالم مولى أبى حُذَيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار فى مسجد قباء ، فيهم أبو بكر وعمر وأبو سَلمة وزيد وعامر بن ربيعة رضوان الله عليهم .

وروى أيضاً عن أبى هاشم قال : جاء تميم بن زيد الأنصارى إلى مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مُعَاذا أن يصلى بهم ، فجاء صلاة الفجر وقد أسْفَرَ فقال : ما يمنعكم أن تُصَلوا ؟ ما لكم قد حبستم ملائكة الليل وملائكة النهار ؟ قالوا : يمنعنا أنا نَنْتَظر صاحبَنَا ، قال : فما يمنعكم إذا احتبس أن يصلى أحدكم ؟ قالوا : فأنت أحَقُّ من يصلى بنا ، قال : أترضون بذا ؟ قالوا : نعم ، فصلى بهم ، فجاء معاذ فقال : ما حَمَلَكَ يا تميم على أن دخلت علىّ فى سِرْبَال سَرْبَلَنيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن هذا تميمٌ دخل فى سربالٍ سَرْبَلْتَنِيه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما تقول يا تميم ؟ فقال مثل الذى قال لأهل المسجد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هكذا فاصْنَعُوا مثل الذى صنع تميم بهم ، إذا احتبس الإمام .

وروى ابن زبالة عن عويم بن ساعدة أن سعد بن عويم بن قيس بن النعمان كان يصلى فى مسجد قباء فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى زمان أبى بكر حتى توفى ،[وفى] زمان عمر بن الخطاب فأمر عمر مجمع بن حارثة أن يصلى بهم بعد أن رَدَّه ، وقال له : كنت إمام مسجد الضِّرَار ، فقال :يا أمير المؤمنين كنت غلاما حَدَثا ، وكنتَ أرى أن أمرهم على أحْسَن ذلك ، وقدَّمُونى لما معى من القرآن ، فأمَرَهُ فصلّى بهم .

ما جاء فى تعيين مُصَلاَّه صلى الله عليه وسلم منه ، وصفته ، وذَرْعِهِ

المكان الذى كان الرسول يصلى فيه بمسجد قباء

روى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى إلى الأسطوان الثالثة فى مسجد قباء التى فى الرحبة .

ونقل ابن شبة عن الواقدى أنه قال : عن مجمع بن يعقوب عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : كان المسجدُ فى موضع الأسطوان المخلّقة الخارجة فى رحبة المسجد .

وعن ابن رقيش قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء ، وقَدَّم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال : جبريلُ يؤم بى البيت . قال ابن رقيش : فحدثنى نافع أن ابن عمر كان بعدُ إذا جاء مسجد قباء صلى إلى الأسطوان المخلّقة يقصد بذلك مسجدَ النبى صلى الله عليه وسلم الأول .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى مَنْ أثِقُ به من الأنصار من أهل قباء أن موضع قبلة مسجد قباء قبل صَرْف القبلة أن القائم كان يقوم فى القبلة الشامية فيكون موضع الأسطوان الشارعة فى رَحْبة مسجد قباء التى فى صفة الأسطوان المخلّقة المقدمة التى يقال لها إن مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حَرْفها .

قال : وأخبرنى أيضاً أن مُصَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد قباء بعد صَرْف القبلة كان إلى حرف الأسطوان المخلّق كثير منها المقدمة إلى حرفها الشرق ، وهى دون محراب مسجد قباء عن يمين المصلى فيه .

وروى ابن زبالة عن عبد الملك بن بكر بن أبى ليلى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد قباء إلى الأسطوان الثالثة فى الرحبة إذا دخلْتَ من الباب الذى بفناء دار سعد بن خيثمة .

قلت : والباب المذكور هو المسدود اليوم يظهر رَسْمُه من خارج المسجد فى جهة المغرب ، وكان شارعاً فى الرواق الذى يلى الرحبة من المسقف القبلى ؛ فالأسطوان الثالثة فى الرحبة هى الأسطوان التى عندها اليوم محراب فى رحبة المسجد ؛ لانطباق الوَصْف المذكور عليها ؛ فهى المراد بقول الواقدى « كان المسجدُ فى موضع الأسطوان المخلّقة الخارجة فى رحبة المسجد وهى التى كان ابن عمر يصلى

إليها . ومقتضى ما تقدم عن أبى غسان أن هذه الأسطوانة عندها مصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول قبل تحويل القبلة ، وأن مصلاه بعد التحويل كان إلى الأسطوانة التى فى صفّ هذه الأسطوانة مما يلى القبلة ، وهى الثالثة من أسطوان الرحبة المذكورة ؛ فإنها الموصوفة بما ذكره من كونها دون المحراب على يمين المصلى فيه ، والمصلى إلى حرفها الشرقى يكون محاذيا لمحراب المسجد ؛ فالرواق القبلى مَزِيد فى المسجد ، وجعلوا المحراب به فى محاذاة المصلى الشريف من الأسطوان المذكورة . لكن قوله فى الرواية الأخرى « وقدم القبلة إلى موضعها اليوم » يقتضى أنه لم يزد أحَدٌ فى جهة القبلة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فينبغى أن يتبرك بالصلاة عند محراب القبلة ، وعند المحلين من الأسطوانتين المذكورتين .

وقد اقتصر يحيى فى بيان مصلى النبى صلى الله عليه وسلم على الأسطوان التى فى الرحبة ؛ فذكر رواية ابن زبالة ، ثم روى عن معاذ بن رفاعة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى إلى الأسطوان الخارجة ، وهى فى صَفِّ المخَلَّقة ، وإنما كان موضعها يومئذ كهيئة العريش . ثم ذكر أن موسى بن سلمة حدثه أنه رأى أبا الحسن على بن موسى الرضى يصلى إلى هذه الأسطوانة الخارجة . ثم قال يحيى : ورأيت غيرَ واحدٍ من أهل بيتى منهم عبدُ الله وإسحاق أبنا موسى بن جعفر وحسين بن عبد الله بن عبد الله بن حسين يصلون إلى هذه الأسطوانة الخارجة إذا جاءوا قباء ، ويذكرون أنه مُصَلّى رسولِ الله صلى اللهِ عليه وسلم . قال : ورأيت من أهل بيتى مَنْ يأتى قباء فيصلى إليها ممن يُقْتَدَى به ممن لا أبالى أن لا أرى غيرَه فى الفقه والعلم ، انتهى .

وعن يمين مستقبل الأسطوانة المذكورة هيئة محاريب فى رحبة المسجد لم أعلم أصْلَها ، وبالرواق الذى يلى الرحبة قريبا من محاذاة محراب المسجد دِكّة مرتفعة عن أرض المسجد يسيراً أمامَهَا محرابٌ فيه حجر منقوش فيه قوله تعالى (لمسجد أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ــ الآية) وبعدها ما لفظه :

هذا مقامُ النبي صلى الله عليه وسلم ، جُدِّد هـذا المسجد فى تاريخ سنة إحدى وسبعين وستمائة ، ولم يتبين اسمُ مَنْ جدد المسجد . وظاهر حال منْ صنع ذلك فى هذا المحل أنه محلُّ المصلَّى الشريف ، وفيما قدمناه ما يرده ، وقد اغترَّ المجدُ بذلك فجزم بأن تلك الدكة هى أول موضع صلى فيــه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه حين ألَّفَ كتابه كان غائبا عن المدينة ، فوصف تلك الدكة بقوله : وفى صَحْنه ممـا يلى القبلة شِبْهُ محرابٍ على مصطبة هو أول موضع رَكَعَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه وصفها بأنها فى صحن المسجد ليجامع ما تقدم عن المؤرخين فى وصف المصلى الشريف . ولا يصح القول بأنها كانت أولا فى رحبة المسجد ؛ لاحتمال أنه زيد بعده فى المسقف القبلى رواق ؛ لمـا سنبينه من أن أرْوِقَةَ المسجد ورحْبته كانت على ما هى عليه اليوم ، لم يزد فيها شىءٌ بعد ما ذكره المؤرخون .

ثم رأيت ما ذكره المجد بحدوثه فى رحلة ابن جُبير ، وكانت عام ثمان وسبعين وخمسمائة ، فتلك الدكة التى يعنيها ابن جبير كانت فى صحن المسجد عند الأسطوانة التى إليها اليوم المحراب فى رحبة المسجد ، فيوافق ما أطبق عليه الناسُ وكأنها دَثَرَتْ على طول الزمان ، ثم أعيدت فى غير محلها ؛ فإنه ذكر أنها بصحن المسجد مما يلى القبلة ،ووصف أروقة المسجد بما هى عليه اليوم ؛ فليست الدكة الموجودة اليوم لحدوثها بعده .

وأما الحظيرة التى بصحن المسجد فلم أرَ فى كلام المتقدمين تعرضا لذكرها ، والشائعُ على ألسنة أهل المدينة أنها مَبْرَكُ ناقة النبي صلى الله عليــه وسلم ، و به جزم المجد تبعا لابن جبير فى رحلته ؛ فقال : وفى وسط المسجد مَبْرَكُ الناقة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وعليه حظيرة قصيرة شبه روضة صغيرة يتبرك بالصلاة فيه ، انتهى .

وهو محتمل؛ لأن أصل مسجد قباء كان مِرْبَداً لـكلثوم بن الهدْم ، وعليه

نزل النبي صلى الله عليه وسلم على ما أسلفناه ، فأعطاه النبيّ صلى الله عليه وسلم فأسّسه مسجدا . وقيل فيه غير هذا مما قدمناه .

وقال ابن زبالة : حدثنا عاصم بن سويد عن أبيه قال : وكان مسجد قباء على سبع أساطين ، وكانت له درجة لها قبة يؤذن فيها يقال لها النعامة ، حتى زاد فيه الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد ذلك .

قلت : وعدد كل صف من أساطينه اليوم بين المشرق والمغرب سبع أيضا .

وقال الزين المراغي عقبَ نَقْلِ ذلك عن ابن زبالة : فيحتمل أن هذه — يعني الصفة المذكورة في كلام ابن زبالة — صفة بنائه عليه الصلاة والسلام ، ويؤكده قولهم « ولم يزل مسجد قباء على ما بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن بناه عمر بن عبد العزيز » أي زمن الوليد .

قلت : وما أيد به الاحتمالَ المذكور لم أرهُ في كلام أحد من المؤرخين غير المطري ومن تبعه .

وقد روى ابن شبة ما يصرح بخلافه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : إن ما بين الصومعة إلى القبلة زيادة زادها عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

قلت : والصومعة هي المَنَارة التي في ركنه الغربي مما يلي الشام ، وسيأتي في ترجمة غرة أنه اسم أُطُم لبني عمرو بن عوف ابتنيت المنارة في موضعه .

وقال ابن النجار : كان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بقباء في منزل كلثوم بن الهدم ، وأخذ مِرْبَدَهُ فأسسه مسجدا وصلى فيه ، ولم يزل ذلك المسجد يزوره صلى الله عليه وسلم ويصلى فيه أهلُ قباء ، فلما توفى صلى الله عليه وسلم لم تزل الصحابة تزوره وتُعَظمه .

تجديد مسجد قباء

ولما بنى عمر بن عبد العزيز مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قباء ووسّعه ، وبناه بالحجارة والجص ، وأقام فيه الأساطين من الحجارة بينها عواميد الحديد والرصاص ، ونقشه بالفُسَيْفِسَاء ، وعمل له منارة ، وسقفه بالساج ، وجعله

أروقة ، وفى وسطه رحبة ، وتَهَدَّم على طول الزمان حتى جَدَّد عمارته جمالُ الدين الأصفهانى وزير بنى زَنْـكى الملوك ببلاد الموصل .

قلت : وكان تجديد الجوَاد لمسجد قباء فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، كما قاله المطرى .

وفيما قدمناه من صورة ما كتب فى محراب الدكة التى بالرواق الذى يلى الرحبة ما يقتضى أنه جدد بعد ذلك فى سنة إحدى وسبعين وستمائة

وبالمسجد منقوش أيضا ما يقتضى أن الناصر بن قلاوون جدَّد فيه شيئاً سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ، وجدد غالب سقفه الموجود اليوم الأشرفُ برسْبَاى على يد ابن قاسم المحلى أحد مشايخ الخُدَّام سنة أربعين وثمانمائة .

وقد سقطت منارته سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، فجدَّدها متولى العمارة فى زماننا الجناب الخواجكى الشمسى بن الزمن ــ عامله الله بلطفه ــ فى سنة إحدى وثمانين وثمانمائة فى أثناء عمارته السابقة بالمسجد النبوى بعد هدمها إلى الأساس ، وهدم الأسطوانة التى كانت لاصقةً بها ، وكانت تلك الأسطوانة محكمة بالرصاص ، وأعيدت بغير رصاص ، وأبدلوا من أحجارها ما قدمنا أنهم أدخلوه فى أسطوان الصندوق التى فى جهة الرأس الشريف بالمسجد النبوى .

وهدم متولى العمارة أيضا ما يلى المنارة المذكورة من سور المسجد إلى آخر بابه الذى يليها فى المغرب ، وأعاد بناء ذلك ، وجدد بعض سقفه ، وبنى السبيل والبركة المقابلين للمسجد فى المغرب بالحديقة المعروفة بالسراج العينى الموقوفة على قرابته ، وقد كانت المنارة الأولى ألطَفَ من هذه فزاد فى طولها ؛ فإن ابن النجار قال : وطول منارته من سطحه إلى رأسها اثنان وعشرون ذراعا ، وعلى رأسها قبة طولها نحو عشرة أذرع ، قال : وعرض المنارة من جهة القبلة عشرة أذرع شافَّة ، ومن المغرب ثمانية ، وذكر قبل ذلك أن ارتفاع المسجد فى السماء عشرون ذراعا ؛

فيكون جملة طول المنارة الأولى اثنين وخمسين ذراعا من أعلاها إلى أسفل الأرض ، وهو يقرب لما نقله ابن شبة فى وصف المنارة المذكورة ، فإنه قال : وطول منارته خمسون ذراعاً ، وعرضها تسعة أذرع وشبر فى تسعة أذرع ، انتهى . وذَرْعُ هـذه المنارة المجددة اليوم من الأرض الخارجة عن المسجد إلى أعلى قبتها أحَدٌ وستون ذراعا ، وعرضها تسعة أذرع فى المشرق والقبلة ، وهناك بابها .

ونقل ابن شبة عن أبى غسان أن طول مسجد قباء وعرضه سواء ، وهو ست وستون ذراعا . قال : وطول ذَرْعه فى السماء تسعة عشر ذراعاً ، وطول رحبته التى فى جوفه — يعنى صحنه — خمسون ذراعا ، وعرضها ستة وعشرون ذراعا . وذكر ابن النجار نحوه ، فقال : طوله ثمانية وستون ذراعا تشف[1] قليلا، وعرضه كذلك .

قلت : وقد اختبرت ذلك فكان ذرع طوله من المشرق إلى المغرب مما يلى الشام ثمانية وستين ذراعا ونصفا ، وكان عرضه من القبلة إلى الشام تسعة وسبعين ذراعاً ، وذَرْعُ طوله بين المشرق والمغرب مما يلى جدار القبلة أرْجَحُ من سبعين ذراعاً بيسير ، وطول ذَرْعِهِ فى السماء من أرض المسجد إلى سَقْفه تسعة عشر ذراعاً ، وطولُه من خارجه من البلاط الذى فى غربيه إلى أعلى شَرَاريفه أربعة وعشرون ذراعا ، وذَرْعُ طول صَحْنه من المشرق إلى المغرب أحد وخمسون ذراعاً ، وعرض صحنه من القبلة إلى الشام ستة وعشرون ذراعا وربع ، وهذا الصحن هو الذى عبر عنه أبو غسان بالرحبة فى جوفه ؛ فصح بذلك أن رحبة المسجد اليوم على ما كانت عليه فى زمن أبى غسان وغيره من المؤرخين الذين قدمنا كلامهم ، وأن ما قدمناه فى بيان مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم بكونه عند المحراب الذى بجانب الأسطوانة التى فى رحبة المسجد اليوم صحيح ، وأن ماقاله المجدُ من كون تلك الدكة المتقدم وَصْفُها بصحن المسجد غير صحيح .

---

(١) تشف تنقص .

وقال ابن جبير فى رحلته : إن مسجد قباء سبع بلاطات ، يعنى أرْوِقة كما هو فى زماننا ، و بيانه أن المسقف القبلى ثلاثة أروقة ، والشامى اثنان ، وفى المغرب رواق واحـد يلى باب المسجد اليوم ، وفى المشرق فى مقابلته رواق واحد أيضاً .

وذكر ابن النجار فى عدد أساطينه ما يوافق كونه على سبعة أروقة أيضاً ؛ فقال : وفى المسجد تسعة وثلاثون أسطواناً ، بين كل أسطوان وأسطوان سـبعة أذرع شافّة .

قلت : وعددُها اليوم كذلك ؛ لأن جهة القبلة ثلاثة صفوف كل صف سبعة أساطين بين المشرق والمغرب ، وجهة الشام صفان كل صف سبعة أيضاً ، وفيما يلى الرحبة من المغرب أسطوانتان ، وفيما يليها من المشرق أسطوانتان ، وجملة ذلك ما ذكره .

ووقع فيما نقله ابن شبة عن ابن عساكر فى النسخة التى وقفنا عليها تصحيف فى عدد الأساطين ، وما قدمناه هو الصواب .

قال ابن النجار : وفى جُدْرَانه طاقات نافذة إلى خارج فى كل جانب ثمان طاقات ، إلا الجانب الذى يلى الشام فإن الثامنة فيها المنارة .

قلت : ولما أعادوا بناء ما هَدَموه مما حول المنارة المذكورة فى زماننا سَدُّوا من الجهة الشامية طاقة أخرى مما يلى المنارة المذكورة ، وسَدُّوا ممـا يليها من جهة المغرب ثلاث طاقات أيضاً ، فإنهم جعلوا الجدار فى بنائهم مُصْمَتا كله ، والله أعلم .

بيان ما ينبغى أن يُزَار بقباء من الآثار تتميما للفائدة

دار سعد ابن خيثمة

منها : دار سعد بن خَيْثَمة ، وقد تقدم أن باب مسجد قباء المسدود فى المغرب بفناء دار سعد بن خيثمة ، وهى فى قبلة مسجد قباء ، والجانب الذى يلى هذا الباب المسدود منها يدخله الناس للزيارة و يسمونه مسجد على رضى الله تعالى عنه ، وكأنه المراد بما سيأتى فى الفصل الرابع فى مسجد دار سعد بن خيثمة .

وروى ابن شبة عن أبي أمامة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « اضطجع في البيت الذي في دار سعد بن خيثمة بقباء » وعن ابن وقش أن النبي صلى الله عليه وسلم « دخَلَ بيت سعد بن خيثمة بقباء ، وجلس فيه » وروى ابن زبالة عنه أنه قال : يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من المُهْرَاس الذي يلي دار سعد بن خيثمة بقباء .

دار كلثوم ابن الهدم

ومنها : دار كلثوم بن الهدم ، وهي إحدى الدور التي قبلي المسجد أيضا ، يدخلها الناسُ للزيارة والتبرك . وقد قدمنا نزوله صلى الله عليه وسلم على كلثوم ابن الهدم بداره لَمَّا قدم قباء ، وكذلك أهله وأهل أبي بكر حين قدموا .

بئر أريس

ومنها بئر أريس ، وسيأتي ما جاء فيها في الآثار، قال ابن جبير في رحلته : وبإزائها دار عمر، ودار فاطمة ، ودار أبي بكر ، رضى الله تعالى عنهم !. ولعله يريد أماكن نزولهم قبل التحوُّل إلى المدينة ، والله أعلم .

طريق النبي إلى قباء ذاهبا وراجعا

ما جاء في بيان طريقه صلى الله عليه وسلم إلى قباء ذاهبا وراجعا

قال أبو غسان فيما نقله ابن شبة : أخبرني الحارث بن إسحاق قال : كان إسحاق بن أبي بكر بن إسحاق يحدث أن مبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركبه إلى قباء أن يمر على المصلى ، ثم يسلك في موضع الزقاق بين دار كثير ابن الصَّلْت ودار معاوية بالمصلى ، ثم يرجع راجعا على طريق دار صَفْوَان بن سلمة التي عند سقيفة محرق ، ثم يمر على مسجد بني زريق من كُتَّاب عُرْوَة حتى يخرج إلى البلاط ، قال : فذكر إسحاق أنه رأى الوليد بن عبد الملك سَلَكَ هذه الطريقَ على هذه الصفة في مبدئه ورجعته من قباء .

قلت : وهو يقتضي أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدَّرْب المعروف اليوم بدَرْب سويقة في الذهاب والرجوع ؛ لأن المصلى ومسجد بني

زريق فى جهته ، وقد سبق فى المصلى أن دار كثير بن الصَّلْت كانت قبلة المصلى ، وسبق ما يؤخذ منه أن دار معاوية رضى الله عنه كانت مقابلها .

وقوله « حتى يخرج إلى البلاط » أى الآخذ من باب السلام إلى جهة درب سويقة ؛ لما سبق فى الكلام على المصلى من رجوعه صلى الله عليه وسلم على مسجد بنى زريق من كُتَّاب عُرْوَة حتى يخرج إلى البلاط من زقاق دار عبد الرحمن بن الحارث المتقدم بيانُه فى الدور التى فى ميمنة البلاط المذكور ، وكثيرٌ من الناس اليوم يسلكون إلى قباء من طريق دَرْب البقيع ؛ لكونها أقصد يسيراً .

ذرع الطريق

وقد ذَرَعْتُ الطريقَ من هذه الجهة فكان بين عَتَبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل وعتبة باب مسجد قباء سبعة آلاف ذراع ومائتا ذراع بذراع اليد المتقدم تحريره يَشِفُّ يسيرا ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل . وسيأتى فى ترجمة قباء ما وقع للناس من الخبط فى بيان هذه المسافة ، فإن أسقطْتَ حصة ما بين باب جبريل و باب درب البقيع من ذلك كانت المسافة بين باب سور المدينة المذكور و باب مسجد قباء ميلين إلا مائتى ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ما جاء فى مسجد الضِّرَار مما يُنَوِّه بقدر مسجد قباء

بناة مسجد الضرار

روى البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجدا ضراراً) هم أناس من الأنصار ابْتَنَوا مسجدا فقال لهم أبو عامر : ابنُوا مسجدكم ، واستعدوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح ، فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتٍ بجند من الروم ، فأخرِجَ محمداً وأصحابه ، فلما فرغوا من مسجدهم أتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنا فرغْنا من بناء مسجدنا فنحبُّ أن تصلى فيه وتدعو بالبركة فأنزل الله عز وجل : (لا تَقُمْ فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم)

يعنى مسجد قباء (أحق أن تقوم فيه) إلى قوله : (على شفَا جُرُفٍ هارٍ فانْهارَ به فى نار جهنم) يعنى قواعده (والله لا يهدى القوم الظالمين) .

وروى ابن شبة عن هشام بن عُرْوة عن أبيه قال : كان موضعُ مسجد قباء لامرأة يقال لها لية ، كانت تربط حماراً لها فيه ، فابتنى سَعْدُ بن خَيْثَمة مسجداً ، فقال أهل مسجدِ الضرار : أنحن نصلى فى مَرْبط حمار لية ؟ لا ، لعمر الله ، لكنَّا نَبْنِى مسجداً فنصلى فيه حتى يجىء أبو عامر فيؤمَّنا فيه ، وكان أبو عامر فرَّ من الله ورسوله فلحق بمكة ، ثم لحق بعد ذلك بالشام فتنصر فمات بها ، فأنزل الله تعالى : (والذين اتَّخَذُوا مسجداً ضِرَاراً وكفرا) الآيات .

وعن سعيد بن جُبَيْر أن بنى عمرو بن عوف ابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعَوْهُ ليصلىَ فيه ، ففعل فأتاهم فصلّى فيه ، فحسَدَهم إخوتهم بنو فلان بن عمرو بن عوف ، يشك ، فقالوا : لا ، نبنى نحنُ مسجداً وندعو النبىَّ صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه كما صلى فى مسجد إخوتنا ، ولعل أبا عامر يصلى فيه ، وكان بالشام ، فابتنوا مسجداً ، وأرسلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى ، فقام ليأتيهم ، وأنزل القرآن (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لَمِنْ حارَبَ الله ورسوله من قبل ، وليحلفُنَّ إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً ، لمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى من أول يوم أحَقُّ أن تقوم فيه ، فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ، أفمن أسَّسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرٌ أم من أسَّسَ بنيانه على شفَا جُرُفٍ هار فانهار به فى نار جهنم ؟ والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم) قال : قال عكرمة: إلى أن تقطع قلوبهم (والله عليم حكيم) .

وأسند الطبرى فيما قاله ابن عطية عن ابن إسحاق عن الزهرى وغيره أن النبى

حرق مسجد الضرار

صلى الله عليه وسلم « أَقْبَلَ من غزوة تَبُوك حتى نزل بذى أوان بلدٍ بينه و بين المدينة ساعة من نهارٍ ، وكان أصحابُ مسجد الضِّرَار قد كانوا أتَوْهُ وهو يتجهَّزُ إلى تَبُوك فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لِذِي العِـلّة والحاجة والليـلَةِ المَطِيرة ، و إنا نحبُّ أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال : إنى على جَنَاح سَفَرٍ وحالِ شغلٍ ، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لـكم فيه ، فلما قَفَلَ ونزل بذى أوان نزل عليه القرآن فى شأن مسجد الضرار ، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ ابن الدخشم ومَعْن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهـله فاهْدِمَاه وحَرِّقاه ، فانطلقا مسرعين ففعلا وحرقاه بنار فى سَعَف .

وفى رواية ذكرها البغوى أن الذين أمَرَهم النبى صـلى الله عليه وسلم بهَدْمه و إحراقه انطلقوا سريعاً حتى أتوا سالم بن عوف ، وهم رَهْطُ مالك بن الدخشم فقال مالك : أنظِرُونى حتى أخرج إليكم بنار من أهلى ، فدخل أهله فأخذ سَعَفاً من النخيل ، فأشعل فيه ناراً ثم خرجوا يَشْتَدُّون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهَدَموه ، وتفرق عنه أهله ، وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ ذلك كناسة تُلْقَى فيها الجيفُ والنتن والقُمَامة .

وقال ابن النجار : هذا المسجد بناه المنافقون مُضَاهاة لمسجد قباء ، وكانوا يجتمعون فيه ويَعِيبُون النبى صلى الله عليه وسلم ، و يستهزئون به .

أسماء بناة مسجد الضرار

قال ابن إسحاق : وكان الذين بَنَوْهُ اثنى عشر رجلا : خدام بن خالد ، وهو من بنى عبيد بن زيد بن مالك ومن داره أخرجه ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد أى أحد بنى عمرو بن عوف ، ومُعَتِّب بن قشير من بنى ضبيعة ابن زيد ، وأبو حبيبـة بن الأذعر ، وعباد بن حنيف من بنى عمرو بن عوف ، وجار بن عامر ، وابناه مجمع وزيد ، ونبتل بن الحارث ، ومخرج ومجاد بن

عثمان ، سبعتُهُمْ من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت من بنى أمية بن زيد ، انتهى .

وقال بعضهم : إن رجالا من بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف كان فيهم نِفَاق حَسَدُوا قومهم بنى عمرو بن عوف ، وكان أبو عامر المعروف بالراهب — وسماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق — منهم .

قلت : وهو من بنى ضبيعة أحد بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وتقدم أن بنى غنم بن عوف و بنى سالم بن عوف من الخزرج وليسوا بقباء ، ففى هذا القول نظر .

قال : فكتب أبو عامر وهو بالشام إلى المنافقين من قومه أن يبنوا مسجداً مُقَاومة لمسجد قباء وتحقيراً له ، فإنى سآتى بجيش أخرج به محمداً وأصحابه من المدينة فبنوه وقالوا : سيأتى أبو عامر و يصلى فيه ، ونتخذه متعبداً ، وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى (و إرصاداً لِمَنْ حَارَبَ الله ورسوله) .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت (لا تقم فيه أبداً) كان لا يمر بالطريق التى فيها المسجد ، وهذا مما يؤيد ما قدمناه من أن المراد من قوله تعالى (لمسجد أُسِّسَ على التقوى) مسجد قباء .

وقال ابن عطية : روى عن ابن عمر أنه قال : المرادُ بالمسجد المؤسَّس على التقوى هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد يعنى بقوله تعالى :(أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) هو مسجد قباء ، وأما البنيان الذى أُسِّسَ على شَفَا جُرُفٍ هار فهو مسجد الضِّرار بالإجماع .

وقوله « فانهار به فى نار جهنم » قال ابن عطية: الظاهرُ منه ومما صح من خبرهم وهَدْم رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدَهم أنه خارج مخرج المثل لهم : أى جالهم كمن ينهار بنيانه فى نار جهنم . وقيل : بل ذلك حقيقة ، وأن ذلك المسجد

بعينه انهارَ فى نار جهنم ، قاله قتادة وابن جريج . وروى عن جابر بن عبد الله وغيره أنه قال : رأيتُ الدخانَ يخرج منه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه حين انْهارَ حتى بلَغَ الأرض السابعة ، ففزع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى أنهم لم يُصَلّوا فيه أكثرَ من ثلاثة أيام ، وانهار فى الرابع . قال ابن عطية : وهـــذا كله بإسناد لين ، والأول أصح .

وأسند الطبرى عن خلف بن يامين أنه قال : رأيت مسجدَ المنافقين الذى ذكر فى القرآن ، ورأيت فيه مكاناً يخرج منه الدخان ، وذلك فى زمن أبى جعفر المنصور .

وقيل : كان الرجل يدخل فيه سَعَفَة فتخرج سوداء محترقة ، ونقل عن ابن مسعود أنه قال : جهنم فى الأرض ، ثم تلا (فانهار به فى نار جهنم) .

الخلاف فى موضع مسجد الضرار

قال الجمال المطرى : وأما مسجد الضِّرَار فلا أثر له ، ولا يعرف له مكان فيما حول مسجد قباء ، ولا غير ذلك .

قلتُ : وهو كذلك ، لكن بالنسبة إلى زمنه وزمننا ؛ فقد قال ابن جُبَير فى رحلته : وهذا المسجد مما يتقرب الناسُ إلى الله برَجْمه وهَدْمه وكان مكانه بقباء عارض به اليهودُ مسجدَ قباء .

وقوله « اليهود » صوابه المنافقون .

وقال ابن النجار : وهذا المسجد قريب من مسجد قباء ، وهو كبير ، وحِيطانه عالية ، وتؤخذ منه الحجارة ، وقد كان بناؤه مليحاً ، انتهى .

وهذا يقتضى وجودَه فى زمن ابن النجار على تلك الحالة ، وقد قال المطرى : إنه وَهَم لا أصل له ، وتعقبه المجد بأنه لا يلزم من وجوده زمانَ ابن النجار كذلك استمراره ، وقد تبع ابن النجار فى ذلك غيره إن لم يكن شاهَدَه ، فهذا البشارى

يقول : ومنها مسجد الضِّرَار يتطوَّعُ العوام بهَدْمه ، وتبعه ياقوت فى معجمه ، وابن جبير فى رحلته ، انتهى .

وقال ابن النجار أيضاً ، فى ذكر المساجد المعروفة فى زمنه ما لفظه : واعلم أن بالمدينة مساجدَ خَرَاباً فيها المحاريب و بقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها : منها مسجدٌ بقباء قريب من مسجد الضِّرَار فيه أسطوان قائمة .

قلت : وهذا غيرُ معروفٍ اليوم ، وهو صريح فى اشتهار مسجد الضرار فى زمنه بقباء حتى عرف به المسجد المذكور .

ووقع فى كلام عياض فى المشارق ، وتبعه المجدُ ، ما يقتضى أن مسجد الضِّرار بذى أوان ؛ فإنه قال فى ذروان : إن روايته بلفظ ذى أوان وَهم . قال : وهو موضع آخر على ساعة من المدينة ، هو الذى بنى فيه مسجد الضرار ، هذا لفظه .

ولعل مراده هو الذى وقع ذكر بنائه به فى حديث مسجد الضرار ؛ لما قدمناه من أن أصحابه جاءوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بذى أوان ، وأخبروه ببنائه ، والله أعلم .

الفصل الثالث

فى بقية المساجد المعلومة العين فى زماننا بالمدينة الشريفة وما حولها

اعلم أن الاعتناء بهذا الغرض متعين ؛ فقد قال البغوى من الشافعية : المساجد التى ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فيها لو نَذَر أحدٌ الصلاةَ فى شىء منها تعين كما تتعين المساجد الثلاثة ، واعتناء السلف بتتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم معلومٌ ــ سيما ما جاء فى ذلك عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ــ وقد استفرغنا الوسع فى تتبعها .

فمنها : مسجد الجمعة ، و يقال « مسجد الوادى » قد تقدم فى الفصل الحادى عشر   مسجد الجمعة

متن الباب الثالث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خَرَج من قباء مَقْدمه المدينة أدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى بطن الوادى ، وادى ذى صُلب — بضم أوله — وأن ابن إسحاق قال : إن الجمعة أدركته فى وادى رَانونا ، يعنى ببنى سالم ، وكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وفى رواية لابن زبالة « فمر على بنى سالم فصلى فيهم الجمعة فى القبيب[١] ببنى سالم ، وهو المسجد الذى فى بطن الوادى » وفى رواية له « صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أول جمعة بالناس فى القبيب[١] ببنى سالم فهو المسجد الذى بناه عبد الصمد » .

والمراد أن موضع المسجد يسمى بالقبيب[١] ، وسيأتى فى أودية المدينة أن سَيْلَ ذى صُلَب وسيل رَانُونا يَصِلاَنِ إلى موضع مسجد الجمعة ، فلا مخالفة بين هذه العبارات ، وإنْ غَلَبَ اشتهار اسم رانونا على ذلك الموضع دون بقية الأسماء .

وروى ابن شبة عن كعب بن عجرة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم « جَمَّعَ فى أول جمعة حين قدم المدينة فى مسجد بنى سالم فى مسجد عاتكة » وعن إسماعيل بن أبى فديك عن غير واحد ممن يَثِقُ به من أهل البلد أن أول جمعة جمعها النبى صلى الله عليه وسلم حين أقبلَ من قباء إلى المدينة فى مسجد بنى سالم الذى يقال له مسجد عاتكة .

وقال المطرى : فى شمالى هذا المسجد أُطم خراب يقال له « المزدلف » أُطم عتبان بن مالك ، والمسجدُ فى بطن الوادى صغير جداً ، مبنى بحجارة قدر نصف القامة ، وهو الذى كان يحول السيل بينه وبين عتبان بن مالك إذا سال ؛ لأن منازل بنى سالم بن عوف كانت غربىّ هذا الوادى على طرف الحرة ، وآثارهم باقية هناك ، فسأل عتبان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى له فى بيته فى مكان يتخذه مُصَلى ، ففعل صلى الله عليه وسلم .

قلت : قصة عتبان المشار إليها مَرْوية فى الصحيح بلفظ أن عتبان أتى رسول

---

(١) وقع فى الخلاصة « العسيب » وفى أصول هذا الكتاب « الغبيب » وكلاهما تحريف صوابه ما أثبتناه بالقاف وبباءين بينهما ياء على صورة التصغير (عن حسب الله)

النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، قد أنكرتُ بَصَرى ، وأنا أصلي لقومى ، فإذا كانت الأمطار سال الوادى الذى بينى و بينهم لم أستطع أن آتى مسجدهم فأصلى بهم ، الحديثَ .

وسيأتى فى المساجد التى لا تعلم عينها أن بنى سالم لهم مسجد آخر هو مسجدهم الأكبر ؛ فالذى يظهر أنه المراد من حديث عتبان ، وأما هذا فهو مسجدهم الأصغر وقد تهدم بناؤه الذى أشار إليه المطرى ، فجدده بعض الأعاجم على هيئته اليوم ، مُقدَّمه رِوَاقٌ مُسَقف فيه عقدان بينهما أسطوان ، وخلفه رحبة ، وطوله من القبلة إلى الشام عشرون ذراعاً ، وعرضه من الجدار الشرقى إلى الغربى مما يلى محرابه ستة عشر ذراعاً ونصف ، وكان سقفهُ قد خَرِبَ فجدده المرحوم الخواجا الرئيس الجَوَاد المفَضَّل شمس الدين قاوان تغمده الله برحمته

ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت غسان ليس فى الأطم المذكور، بل عند أصله كما سيأتى .

مسجد الفضيخ

ومنها : مسجد الفضيخ ـ بفتح الفاء وكسر المعجمة بعدها مثناة تحتية وخاء معجمة ـ قال المطرى : و يعرف اليوم بمسجد الشمس وهو شرقى مسجد قباء على شفير الوادى ، على نَشَزٍ من الأرض ، مَرْضوم بحجارة سود ، وهو مسجد صغير .

وروى ابن شبة وابن زبالة ويحيى فى عدة أحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم « صلى بمسجد الفضيخ » .

وروى الأولان ـ واللفظ لابن شبة ـ عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : حاصَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بنى النضير ، فضرب قبته قريباً من مسجد الفضيخ ، وكان يُصَلِّى فى موضع مسجد الفضيخ ستَّ ليال ، فلما حرمت الخمر خرج الخبَرُ إلى أبى أيوبَ فى نفر من الأنصار ، وهم يشربون فيه فَضِيخاً ، فحلّوا وِكاء السِّقاء فهراقوه فيه ؛ فبذلك سمى مسجد الفضيخ .

قال الزين المراغى : وذلك قبل اتخاذ الموضع مسجداً ، أو كان الإعلام بنجاسة الخمر بعد ذلك ، لكن المشهور تحريم الخمر فى شوال سنة ثلاث ، و يقال أربع ، وعليه يتمشى ؛ لأن غزوة بنى النَّضِير سنة أربع على الأصح .

قلتُ : الحديثُ إنما تضمَّنَ صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بذلك المحل فى حصار بنى النضير ، ولا يلزم من ذلك اتخاذُه مسجداً حينئذ ؛ فيجوز أن يكون بناؤه مسجداً تأخر إلى أن حُرِّمت الخمر ، على أن أحمد روى فى مسنده من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم يعنى أتى بفضيخ فى مسجد الفضيخ فشربه ، فلذلك سمى مسجد الفضيخ .

ورواه أبو يَعْلى ولفظه : أتى بجر فضيخ ينش[1] وهو فى مسجد الفَضِيخ فشربه ، فلذلك سمى مسجد الفضيخ ، وفيه عبد الله بن نافع مولى ابن عمر ، ضعَّفه الجمهور ، وقيل فيه : يُكْتَب حديثه ، وهو أولى بالاعتماد فى سبب تسمية المسجد المذكور بذلك ؛ لأن ابن زبالة ضعيف ، وأما ابن شبة فرواه من طريق عبد العزيز بن عمران وهو متروك ، ولم أرَ فى كلام أحد من المتقدمين تسمية المسجد المذكور بمسجد الشمس .

وقال المجد : لا أدرى لم اشتهر بهذا الاسم ، ولعله لكونه على مكان عالٍ فى شَرْقى مسجد قباء أول ماتطلع الشمس عليه ، قال : ولا يظن ظانّ أنه المكانَ الذى أعيدت الشمسُ فيه بعد الغروب لعلى رضى الله تعالى عنه ؛ لأن ذلك إنما كان بالصَّهْبَاء من خيبر ، قال عياض فى الشفاء : كان رأس النبى صلى الله عليه وسلم فى حِجْر على رضى الله تعالى عنه وهو يُوحَى إليه ، فغربت الشمس ولم يكن علىٌّ صلى العصر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أصَلَّيْتَ يا على ؟ قال : لا ، فقال : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فَارْدُدْ عليه الشمسَ ، قالت أسماء : فرأيتُهَا غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت، ووقعت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء فى خيبر ، قال عياض : خرّجه الطحاوى فى مشكل الحديث ،

(١) ينش : يغلى ويفور ، وبابه ضرب (حسب الله) .

وقال : إن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغى لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء ؛ لأنه من علامات النبوة .

قال المجد : فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشمس دون ما سواه ،وصرح ابن حزم بأن الحديث موضوع ، قال : وقصة ردّ الشمس على عليّ رضى الله تعالى عنه باطلة بإجماع العلماء وسفه قائله .

قلت : والحديثُ رواه الطبرانى بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيتمى : رجالُ أحدها رجال الصحيح ، غير إبراهيم بن حسن ، وهو ثقة ، وفاطمة بنت على ابن أبى طالب لم أعرفها ، انتهى .

وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنتِ عميس ، وابن مردويه من حديث أبى هريرة ، و إسنادهما حسن ، وممن صححه الطحاوى وغيره ، وقال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ، بعد ذكر رواية البيهقى له:وقد أخطأ ابن الجوزى بإيراده له فى الموضوعات ، انتهى .

وهذا المسجد مربع ذَرْعُه من المشرق إلى المغرب أحد عشر ذراعاً ، ومن القبلة إلى الشام نحوها .

مسجد بنى قريظة

ومنها : مسجد بنى قرَيظة ، وهو شرقى مسجد الشمس، بعيد عنه ، بالقرب من الحَرَّة الشرقية ، على باب حديقة تعرف بحاجزة هى وقف للفقراء ، قاله المطرى وقد قدمنا فى منازل يهود أن أُطمَ الزبير بن باطا كان فى موضع مسجد بنى قرَيظة وعنده خراب أبيات من دور بنى قريظة شمالى باب الحديقة المذكورة ، و بقربه ناس نزول من أهل العالية ، وقد روى ابن شبة من طريق محمد بن عقبة بن مالك عن على بن رافع وأشياخ قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى بيت امرأة من الخضر ، فأدخل ذلك البيت فى مسجد بنى قريظة » فذلك المكان الذى صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم شرقى بنى قريظة عند موضع المنارة التى هُدِمت،هذا لفظ ابن شبة ؛ فينبغى الصلاة فى مسجد بنى قريظة مما يلى محل المنارة فى شرقى المسجد.

وقد روى ذلك ابن زبالة عن محمد بن عقبة ، إلا أنه لم يعين المحل المذكور ، بل قال : فأدخل الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد ذلك البيتَ فى مسجد بنى قُرَيْظة ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى بمقدم المسجد أيضا ، وإلا لجعلوا ما عند المنارة مقدمة .

قلت : الظاهر أن هذا المسجد هو المذكور فى حديث الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : نزل أهلُ قُرَيْظَة على حكم سَعْد بن مُعَاذ ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد ، فأتى على حمار ، فلما دنا قريبًا من المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار « قومُوا إلى سَيِّدكم أو خيركم » ثم قال « إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك » فقال : تقتل مُقَاتلتهم وتَسْبِى ذريتهم ، الحديثَ .

فقوله « قريبًا من المسجد » ليس المراد به مسجد المدينة ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن به حينئذ ، ولذا قال الحافظ ابن حجر : وقوله « فلما بلغ قريبا من المسجد » أى الذى أعَدَّه النبى صلى الله عليه وسلم أيام مُحَاصرته لبنى قريظة للصلاة فيه ، وأخطأ مَنْ زعم أنه غَلَط من الراوى لظنه أنه أراد بالمسجد المسجد النبوى بالمدينة فقال : إن الصواب ما وقع عند أبى داود من طريق شعبة بإسناد الصحيح بلفظ « فلما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم » انتهى . وإذا حمل على ما سبق لم يكن بين اللفظين اتفاق ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال ابن النجار : وهذا المسجد اليوم باقٍ بالعَوَالى ، كبير ، وفيه ست عشرة أسطوانة قد سقَط بعضها ، وهو بلا سقف ، وحيطانه مهدومة ، وقد كان مبنيا على شكل بناء مسجد قباء ، وحوله بساتين ومزارع .

وذكر فى ذَرْعه شيئاً الظاهرُ أنه تحريف فإنه قال : طوله نحو العشرين ذراعاً وعرضه كذلك ، وهذا لا يطابق ما عليه المسجد اليوم ، ولا ما قدَّمه هو من الوَصْف ولعله خمن أن ذَرْعَه كذلك فى حال غيبته عنه ، فقد قال المطرى : إن ذَرْعه نحو من خمسة وأربعين ذراعاً ، وعرضه كذلك

قال : وكان فيــه أساطين وعقود ومَنَارة فى مثل موضع منارة قباء ، فتهدَّم على طول الزمان ، ووقعت منارته ، وأثَرُها اليوم باقٍ تعرف به ، وأخذت أحجاره جميعاً . قال المطرى : و بقى أثره إلى العشر الأول بعد السبعمائة ، فجُدِّدَ و بنى عليــه حَظِير مقدار نصف قامة ، وكان قد نسى فمن ذلك التاريخ عُرِف مكانه .

قلت : وهو اليوم على الهيئة التى ذكرها المطرى ، وقد اختبرتُ ذَرْعَه فكان من القبلة إلى الشام أر بعة وأر بعين ذراعا ور بعا ، ومن المشرق إلى المغرب ثلاثة وأر بعين ذراعا ، وقد جَدَّد بناء جداره الشجاعىُّ شاهين الجمالى شيخ الحرم النبوى وناظره عام ثلاث وتسعين وثمانمائة .

مشربة أم إبراهيم

ومنها : المسجد الذى يقال له « مَشْرُبة أم إبراهيم عليه السلام » .

وروى ابن ز بالة و يحيى من طريقه وابن شبة من طريق أبى غسان عن ابن أبى يحيى عن يحيى بن محمد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مَشْرُبة أم إبراهيم » .

وروى ابن شبة فيما جاء فى صَدَقَات النبى صلى الله عليه وسلم عن ابن شهاب أن تلك الصَّدَقات كانت أموالا لمُخَيْريق ، كما سيأتى ، وعَــدَّ منها مَشْرُبَةَ أم إبراهيم ، ثم قال : وأما مشر بة أم إبراهيم فإذا خَلَفْتَ بيت مِدْرَاس اليهود فجئت مالَ أبى عُبَيْدة بن عبيدالله بن زمعة الأسدى فمشرَبَة أم إبراهيم إلى جنبه ، و إنما سميت مشر بة أم إبراهيم لأن أم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ولَدَتْه فيها ، وتعلَّقَتْ حين ضر بها المَخَاضُ بخشبة من خشَب تلك المَشْرُبَة، فتلك الخشبة اليوم معروفة ، انتهى ما رواه ابن شبة عن ابن شهاب .

قال ابن النجار : وهذا الموضع بالعَوَالى من المدينة بين النخيل ، وهو أكَمَة قد حُوِّط عليها بِلَبِنٍ ، والمشر بة : البستان، وأظنه قد كان بستانا لمارِيَةَ القِبْطية أم إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم .

قلت : قال فى الصحاح : المشربة بالكسر ـ أى بكسر الميم ـ إناء يشرب فيه ، والمَشْرُبَة بالفتح : الغرفة ، وكذلك المشربة بضم الراء ، والمشارب : العَلالى، وليس فى كلامه إطلاق ذلك على البستان ، والظاهر أنها كانت عِليّة فى ذلك البستان ، وهو أحَدُ صَدَقَات النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو الذى يناسب ماتقدم من رواية ابن شبة فى سبب تسميتها بذلك .

وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب : ذكر الزبيرُ أن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية فى المال الذى يقال له اليومَ مَشْرُبة أم إبراهيم بالقف .

وروت عَمْرَة عن عائشة حديثا فيه ذكر غَيْرتها من مارية ، وأنها كانت جميلة ، قالت : وأُعْجِبَ بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وكان أنزلها أولَ ماقدم بها فى بيت لحارثة بن النعمان، وكانت جارتنا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة النهار والليل عندها ، حتى قذعنا لها ـ والقذع الشتْمُ ـ فحوَّلها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشدَّ ، ثم رزقها الله الولَدَ وحُرِمْناه منه .

قال المجد : والمشربة المذكورة مسجدٌ شمالىّ بنى قُرَيْظة قريب من الحَرَّة الشرقية فى موضع يعرف بالدشت ، بين نخل تعرف بالأشْرَاف القواسم ، من بنى قاسم بن إدريس بن جعفر أخى الحسن العسكرى ، قال : وذَرَعْته فكان طوله نحو عشرة أذرع وعرضه أقل من ذلك بنحو ذراع ، وليس عليه بناء ولا جدار، وإنما هو عُرَيصة صغيرة[1] على رويبية، وقد حُوِّط عليها برضم لطيف من الحجارة السود، قال : وعلى شمالى المشربة دار متهدِّمة لم يَبْقَ من معالمها سوى بعض الجدران ، يظن الناس أنه مكان دار أبى سيف القين . والذى يغلب على ظنى أن ذلك بقايا أُطم بنى زَعُوراء ، فإن الزبير بن بكار قال مانصه : وكان بنوزَعُورَاء عند مَشْرُبَة أم إبراهيم ، ولهم الأُطم الذى عندها ، و بنوزَعُورَاء من قبائل اليهود .

قلت : دار أبى سيف القين التى كان إبراهيم ابنُ النبى صلى الله عليه وسلم مسترضَعًا فيها إنما هى فى دار بنى مازن بن النجار كما سيأتى . وما ذكره فى وصف

---

(١) فى أصول هذا الكتاب وفى الخلاصة « عريضة » بالضاد معجمة ، وصوابه ما أثبتناه بالصاد مهملة بزنة التصغير (عن حسب الله) .

المسجد المذكور قريبٌ مما هو عليه اليوم ، لكنَّ ذَرْعَه من القبلة إلى الشام أحَدَ عشر ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب أربعة عشر ذراعا راجحة ، وفى جهة المشرق منه سقيفة لطيفة ، و بالقرب منه فى جهة المغرب نخيل تعرف بالزبيريات . وسيأتى أنها المالُ الذى كان للزبير بن العوّام فتصدق به ، وفيه مسجده الآنى ، والله أعلم .

مسجد بنى ظفر

ومنها : مسجد بنى ظَفَر من الأوس ، و يعرف اليوم بمسجد البغلة ، وهو بطرف الحرة الشرقية فى شرقى البقيع[1] ، طريقه من عند القبة المعروفة بفاطمة بنت أسَدٍ أمِّ على رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، وقد روى يحيى عن جعفر بن محمود ابن محمد بن مسلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد بنى معاوية » أى الآنى « ومسجد بنى ظَفَر » .

وقال ابن زبالة : إن إبراهيم بن جعفر حدثه بذلك عن أبيه جعفر المذكور .

وروى ابن شبة عن الحارث بن سعيد بن عبيد أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلى فى مسجد بنى حارثة ومسجد بنى ظَفَر » .

وروى يحيى عن إدريس بن محمد بن يونس بن محمد الظفرى عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « جَلَسَ على الحجر الذى فى مسجد بنى ظَفَر » وأن زياد بن عبيد الله كان أمر بقَلْعه حتى جاءته مشيخة بنى ظَفَر وأعلموه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلَسَ عليه ، فرده ، قال : فقلَّ امرأة نَزَر ولدها تجلس عليه إلا حملت . قال يحيى عقبه : مسجد بنى ظفر دون مسجد بنى عبد الأشهل ، قال : وأدركت الناسَ بالمدينة يذهبون بنسائهم حتى ربما ذهبوا بهنَّ بالليل فيجلسن على هذا الحجر .

قلت : ولم أزل أتأمل فى سر ذلك حتى اتضح لى بما رواه الطبرانى برجال ثقات عن محمد بن فضالة الظفري ، وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاهُمْ فى مسجد بنى ظَفَر ، فجلس على الصخرة التى فى مسجد بنى ظَفَر اليومَ ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأناس من

(١) لعل الأصل « شرقيه البقيع » (حسب الله) .

أصحابه ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً فقرأ حتى أتى على هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اضطرب[1] لَحياه .فقال: « أىْ رَبِّ شهيد على مَنْ أنا بين ظَهْرَانيه ، فكيف بمن لم أر » ؟

قلت : ولم يزل الناس يصفون الجلوسَ على ذلك الحجر للمرأة التى لا تلد ، ويقصدون ذلك المسجدَ لأجله ، غير أنى لم أر فيه حَجَراً يصلُح للجلوس عليه ، إلا أن فى أسفل كتف بابه عن يسار الداخل حجراً مُثبتًا من داخله ، فكأنه هو المراد ، والناس اليوم إنما يقصدون حجراً من تلك الصخور التى هى خارجه فى غربيه فيجلسون عليه ، وهذا بعيد لأن الرواية المتقدمة مُصرِّحة بأنه فى المسجد .

وقال المطرى : وعند هذا المسجد آثار فى الحرة من جهة القبلة ، يقال : إنها أثَرُ حافر بغلة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى غربيه أى غربى أثر الحافر أثر على حجر كأنه أثر مِرْفَق يُذْكَر أن النبى صلى الله عليه وسلم اتَّكأ عليه ، ووضع مرفقه الشريفَ عليه ، وعلى حجر آخر أثر أصابع ، والناسُ يتبركون بها .

قلت : ولم أقف فى ذلك على أصل ، إلا أن ابن النجار قال فى المساجد التى أدركها خرابا مالفظه : ومسجدَانِ قريبَ البقيع ، وذكر ما سيأتى عنه فى مسجد الإجابة ، ثم قال : وآخَرُ يعرف بمسجد البغلة فيه أسطوان واحد ، وهو خرابٌ ، وحوله كثير من الحجارة فيها أثر يقولون: إنه أثر حافرَىْ بغلة النبى صلى الله وسلم ، انتهى .

وقد بنى ماتهدم منه بعد ابن النجار ، إلا أنه لم يجعل له سقفا ، فليس به شيء من الأساطين . ورأيت فيه حجر رخام عن يمين محرابه قد كتب فيه ماصورته: خَلَّد الله ملك الإمام أبى جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين . عمر سنة ثلاثين وستمائة ، وذرعته فكان مربعا ، طوله من القبلة إلى الشام أحد وعشرين ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك ، والله أعلم .

مسجد الإجابة

ومنهـا : مسجد الإجابة ، وهو مسجد بنى معاوية بن مالك بن عَوْف من الأوس، كما قدمناه فى المنازل مع بيان ماوقع للمطرى ومَنْ تبعه من الوَهْم فى جَعْلهم

(١) فى نسخة « اضطربت » (حسب الله) .

من بنى مالك بن النجار من الخزرج ، و بيان منشأ الوهم ، وما ناقض المطرى به كلامه عند ذكره مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبىّ الآتى فى الفصل بعده .

وقد روينا فى صحيح مسلم من حديث عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَقْبَلَ ذات يوم من العالية ، حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركَعَ ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربَّه طويلا ، ثم انصرف إلينا فقال : سألتُ ربى ثلاثا فأعطانى اثنتين ، ومنعنى واحدة ، سألته أن لا يهلك أمتى بالسَّنَة فأعطانى ، وسألته أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، فسألته أن لا يجعل بأسَهُم بينهم فمنعنيها ، فهذا سبب تسمية هذا المسجد بمسجد الإجابة .

وروى ابن شبة بسند جيد ، وهو فى الموطأ ، عن عبد الله بن عبد الله بن جابر ابن عتيك قال : جاءنا عبدُ الله بن عمر فى بنى معاوية ، وهى قرية من قرى الأنصار ، فقال : تَدْرُونَ أين صَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجدكم هذا ؟ فقلت : نعم ، وأشَرْتُ له إلى ناحية منه ، قال : فهل تدرون ما الثلاث التى دعا بهن فيه ؟ قلت : نعم ، قال : فأخبرنى ، قلت : دعا أن لا يظهر عليهم عدو من غيرهم ، وأن لا يهلكهم بالسنين ، فأعطيهما ، ودعا أن لا يَجْعَلَ بأسَهُم بينهم، فمنعها ، قال : صدقت ، فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة .

وعن سعد بن أبى وَقَّاص أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فمرَّ بمسجد بنى معاوية ، فدخل فركَعَ فيه ركعتين ، ثم قام فناجى رَبَّه ، ثم انصرف

ونقل ابن شبة أيضا عن أبى غسان عن محمد بن طلحة أنه قال : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى معاوية على يمين المحراب نحواً من ذراعين .

قلت : فينبغى أن يتحرّى بالصلاة ذلك المحل ، وأن يكون الدعاء فيه قائما بعد الصلاة ؛ للرواية المتقدمة .

وهـذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار فى المسجدين اللذين أدركهما خرابا قريب البقيع أحدهما يعرف بمسجد الإجابة وفيه أسطوانات قائمة ومحراب مليح وباقيه خراب .

قلت : ليس به اليوم شئ من الأساطين ، وقد رُمِّم ما تخرب منـه ، وهو فى شمالى البقيع على يسار السالك إلى العريض ، وسط تلول هى آثار قرية بنى معاوية ، وذَرَعْتُه فكان من المشرق إلى المغرب خمسة وعشرين ذراعا ينقص يسيرا ، وكان من القبلة إلى الشام عشرين ذراعا ينقص يسيرا .

مسجد الفتح

ومنها : مسجد الفتح ، والمساجد التى حوله فى قبلته ، وتعرف اليوم كلها بمساجد الفتح ، والأول المرتفع على قطعة من جبل سَلْع فى المغرب غربيه وادى بطحان ، وهو المراد بمسجد الفتح حيث أطلقوه ، ويقال له أيضا « مسجد الأحزاب » و« المسجد الأعلى » .

وروينا فى مسند أحمد برجال ثقات عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعَا فى مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ، فاستُجِيبَ له يوم الأربعاء بين الصلاتين ، فعُرِفَ البِشْرُ فى وجهه » قال جابر : فلم ينزل بى أمر مهمّ غليظ إلا توخَّيْتُ تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة ، ورواه ابن زبالة والبزار وغيرهما .

وروينا فى مسند أحمد أيضا بإسناد فيه رجل لم يُسَم عن جابر أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم « أتى مسجِدَ يعنى، الأحزاب ، فوضع رداءه وقام ، ورفع يديه مدا يدعو عليهم ، ولم يصل ، ثم جاء ودعا عليهم وصلى » .

وروى ابن شبة عن جابر رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم «قَعَدَ على موضع مسجد الفتح وحَمِدَ الله ودعا عليهم وعرض أصحابه وهو عليه» .

وعن سعيد مولى المهديين قال « أقبل النبى صلى الله عليه وسلم من الجرف ، فأدركَتْهُ صلاةُ العصر فصلاها فى المسجد الأعلى » .

وروى ابن زبالة ويحيى وابن النجار من غير طريقهما عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَرّ بمسجد الفتح الذى على الجبل وقد حضرت صلاة العصر ، فرَقِيَ فصلى فيه صلاة العصر » .

وروى ابن زبالة عن المطلب مرسلا أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعَا فى مسجد الفتح يوم الأحزاب حتى ذهبت الظهر وذهبت العصر وذهبت المغرب ، ولم يصل منهن شيئاً ، ثم صلاهن جميعا بعد المغرب » .

قلت : وفيه بيان الشغل الذى أخر لأجْلِهِ تلك الصلاةَ ؛ فإن المعروف تأخيرها أو تأخير العصر فقط كما فى الصحيح من غير بيان هذا السبب ، وذلك كان قبل مشروعية صَلاَة الخوف .

وروى أيضا عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَخَلَ مسجدَ الفتح فخَطَا خطوة ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفَعَ يديه إلى الله حتى رؤى بياض إبطيه — وكان أعفَرَ الإبطين — فدَعَا حتى سقط رداؤه عن ظهره ، فلم يرفعه حتى دعا ودعا كثيرا، ثم انصرف » .

وعن جابر قال « صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من وراء مسجد الفتح نحو المغرب » .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ « دَعَا النبى صلى الله عليه وسلم على الجَبَل الذى عليه مسجد الفتح من ناحية المغرب ، وصلى من وراء المسجد » أى فى الرحبة .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وسمعتُ غيرَ واحدٍ ممن يوثق به يذكر أن الموضع الذى دعا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجبل هو اليوم إلى الأسطوان الوسطى الشارعة فى رحبة المسجد .

قلت : ويستفاد منه أن الصلاة والدعاء هنالك يتحرّى بهما وسط المسجد فى الرحبة مما يلى سقفه ، ومقتضى الرواية الأولى أن تكون أقرب إلى جهة المغرب ، وإذا ضممت إلى ذلك الرواية المتقدمة من أنه صلى الله عليه وسلم « خَطَا خطوة

ثم الخطوة الثانية ، ثم قام ورفع يديه » ظهر لك أن طريقه صلى الله عليه وسلم كانت من جهة الدرجة الشمالية .

وروى يحيى عن هارون بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دَعَا يوم الخندق على الأحزاب فى موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح » قال يحيى : فدخلْتُ مع الحسين بن عبد الله مسجد الفتح ، فلما بلغ الأسطوانة الوسطى من المسجد قال : هذا مَوْضِـعُ مُصَلّى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذى دعا فيه على الأحزاب ، وكان يصلى فيه إذا جاء مسجد الفتح .

وروى ابن شبة عن جابر قال : دعا النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد المرتفع ، ورَفَع يديه مدا .

وعن سالم أبى النصر قال : دعا النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق « اللّٰهُمَّ منزل الكتاب ، ومُنْشِئُ السحاب ، اهزمهم وانصرنا عليهم » .

وروى ابن زبالة من طريق عمر بن الحكم بن ثوبان قال : أخبرنى مَنْ صلى وراء النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثم دعا فقال « اللهم لكَ الحمد هدَيْتَنِي من الضلالة ، فلا مُكْرِم لمن أهَنْت ، ولا مُهِين لمن أكرمت ، ولا مُعِزَّ لمن أذللت ، ولا مُذِلَّ لمن أعْزَزْتَ ، ولا ناصر لمن خَذَلْت ، ولا خاذِلَ لمن نَصَرْت ، ولا معطى لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا رازقَ لمن حَرَمْت ، ولا حارم لمن رَزَقْت ، ولا رافع لمن خفضت ، ولا خافض لمن رفعت ، ولا خارق لمن سترت ، ولا ساتر لمن خرقت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت » .

وذكر القرطبى دعاء آخر فى رواية يتضمن أن الدعاء وقع من النبى صلى الله عليه وسلم هناك فى الليلة التى أرسل الله فيها الريحَ على الأحزاب ، ولا مانع من أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم دعا فى تلك الليلة أيضا هناك ، ولفظه : ولما اشتد الأمر على المسلمين وطال المُقَام فى الخَنْدق قام عليه الصلاة والسلام على التلّ الذى عليه مسجد الفتح فى بعض الليالى وتوقّع ما وعده الله من النصر . وقال : مَنْ

يذهب ليأتينا بخبرهم ؟ قال : فانطلق حُذَيفة بسلاحه ، ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَه يقول « يا صَرِيخ المَكرُوبين ، ويا مُجيبَ المضطرين ، ويا كاشفَ همى وغمى وكربى ، فقد ترى حالى وحالَ أصحابى » فنزل جبريلُ فقال : إن الله سمع دَعْوتَكَ وكفاكَ هَوْلَ عدوكَ ، فخرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ، وبسط يديه ، وأرخى عينيه ، وهو يقول : شكراً كما رحمتنى ورحمت أصحابى ، وأخبره جبريل بأن الله مُرْسِل عليهم ريحاً ، فبشر أصحابه بذلك .

قلت : فينبغى أن يدعى بذلك كله هناك،فيقول : اللهم ياصريخ المستصرخين والمكروبين ، ويا غياث المستغيثين ، ويا مفرج كرب المكروبين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، صَلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، واكشف عنى كربى وغمى وحزنى وهمى ، كما كشفت عن حبيبك ورسولك صلى الله عليه وسلم كربه وحزنه وغمه وهمه فى هذا المقام ، وأنا أتشفع إليك به صلى الله عليه وسلم فى ذلك، يا حَنان يا مَنان ياذا الجودِ والإحسان .

ويقدم عليه ما فى الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يَدْعو عند الكرب لا إلٰهَ إلا الله العظيم الحليم ، لا إلٰهَ إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله ربُّ السموات ورب الأرضين رب العرش الكريم » .
وكذلك دعاء الشافعى رحمه الله تعالى الذى دعا به عند دخوله على الرشيد فى محنته فقد روى أبو نعيم بإسناد من طريق الشافعى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فى يوم الأحزاب،ورفعه غير صحيح كما قال البيهقى ، لكنه دعاء عظيم ، وفى ألفاظه اختلاف ، وقد جمعت بينها وهو « شَهِدَ الله أنه لا إلٰهَ إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم » ثم قال « وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهى وَدِيعة لى عند الله يؤدِّيها إلى يوم القيامة ، اللهم إنى أعوذُ بنور قُدْسِك وعظمة طهارتك وبركة جلالك من كل

آفةٍ وعاهةٍ ومن طوارق الليل والنهار، وطارق الجن والإنس ، إلا طارقا يطْرُقُ بخير ، اللهم أنت غياثى فبك أغوث ، وأنت ملاذى فبك ألوذ ، وأنت عياذى فبك أعوذ ، يامن ذلّتْ له رقاب الجبابرة ، وخضعت له أعناق الفراعنة ، أعوذ بجمال وجهك وكرم جَلالك من خِزْيك وكشف سَترك ، ومن نسيان ذكرك ، والإضراب عن شكرك ، أنا فى حِرزِك وكنَفك وكلاءتك فى ليلى ونهارى ، ونومى وقرارى ، وظعنى وأسفارى ، وحياتى ومماتى ، ذكرك شِعارى ، وثناؤك دثارى ، لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك ، تنزيهاً لاسمك وعظمتك ، وتكريماً لسُبُحات وجهك ، أجرنى من خِزْيك ومن شر عبادك ، واضرب علىّ سُرادقات حفظك ، وقنى سيآت عذابك ، وجُدْ على ، وعِدْنى منك بخير يا أرحم الراحمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم الكريم ، والصلاة على النبى المرتضى محمد وآله وصحبه وسلم » .

قلت : ومما يدل على اشتهار الاستجابة بهذا المسجد فى يوم الأربعاء وقصد السلف له فى ذلك اليوم حتى النساء ما حكاه الأديب شهاب الدين أبو الثناء محمودٌ فى كتابه « منازل الأحباب » من رؤية عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجَموح امرأةً ممن يزور هذا المسجد فى يوم الأربعاء مع نسوة المرةَ بعد الأخرى وذكر قصته فى تزوجه بها ، و إنشاده :

يا للرِّجال ليَوْم الأرْبعاء أما ... يَنفكُّ يحدث لى بعد النهى طرَبَا
ما إن يزال غزالٌ فيه يظلمنى ... يَهوى إلى مَسْجد الأحزاب مُنْتَقبا
يخبِّرُ الناسَ أنَّ الأجر هِمَّتهُ ... وما أتى طالبًا للأجر محتسبًا
لو كان يبغى ثوَابًا ما أتى ظهراً ... مُضَمخًا بفتيتِ المسك مُخْتَضِبًا

وفى كلام الزبير بن بكار ما يقتضى نسبة هذه الأبيات مع زيادة فيها لعبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى ، وأنه كان إمامَ المسجد المذكور فإنه قال : ولما ولى الحسنُ بن زيد المدينة منعَ عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلى أن يؤمَّ

الناسَ فى مسجد الأحزاب ، فقال له : أَصلَح الله الأميرَ لم منعتنى مقامى ومقام آبائى وأجدادى قبلى ؟ قال : ما منعَكَ منه إلا يوم الأربعاء ، يريد قوله :

* يا للرِّجالِ ليوم الأربعاء *

وذكر الأبيات الأربعة المتقدمة وزاد عقبها أربعة أخرى ، وهى :

فإن فيـــه لمَنْ يَبْغِى فَوَاضِلَهُ ... فَضْلاً وللطالب المرتاد مُطلبَا

كم حُرَّة دُرَّة قَدْ كنْتُ آلفُهَا ... تَسُدُّ من دونها الأبْوَابَ والُحجُبَا

قد ساغ فيه لها مَشيُ النهار كما ... ساغ الشرابُ لعطشَان إذا شَرِبَا

أُخرجن فيه ولا ترعين ذا كذب ... قَدْ أبْطَلَ الله فيه قولَ مَنْ كَذبَا

قال المجد : وأما تسميته يعنى المسجد الأعلى بمسجد الفتح فيحتمل أنه سُمِّى به لأنه أجيبت فيه دعوة النبى صلى الله عليه وسلم على الأحزاب ، فكان فَتْحًا على الإسلام أو أنزل الله عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح هناك ، انتهى .

قلت : وبالثانى جزم ابن جبير فى رحلته ، لكن جاء فى خبر أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان قد تَقَنَّعَ بثوبه يوم الخندق واضطجع لما أتاه أصحابه بخبر بنى قريظة ، ثم إنه رَفَعَ رأسه فقال : بشروا بفَتْح الله ونصره » كما فى مغازى ابن عقبة ، فلعل ذلك كان فى موضع هذا المسجد ، فسمى بذلك لوقوع البشارة بالفتح فيه .

وأيضًا فقد روى القرطبى ما يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أرسل حُذَيفة ليأتيه بخبر الأحزاب كان بمحل هذا المسجد .

وقد قال ابن عقبة : إن حذيفة لما رجع وجد النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى ، ثم انصرف إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد فتح الله عز وجل لهم وأقر أعينهم ، اهـ

وروى ابن شبة عن أسيد بن أبى أسيد عن أشياخهم أن النبى صلى الله عليه وسلم « دَعا على الجبل الذى عليه مسجد الفتح ، وصلى فى المسجد الصغ

الذى بأصل الجبل على الطريق حين يصعد الجبل» . وروى ابن زبالة عن معاوية ابن عبد الله بن زيد ، نحوه .

وعن معاذ بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلّى فى مسجد الفتح الذى على الجبل وفى المساجد التى حوله » .

المساجد التى حول مسجد الفتح

قلت : وظاهره أن المساجد حوله ثلاثة لأنه أقل الجمع ، وهو ما صرح به ابن النجار فقال : إن مسجد الفتح على رأس جبل يصعد إليه بدَرَج ، وقد عمر عمارة جديدة ، أى عمارة ابن أبى الهيجاء الآتية فإنه أدركها .

قال:وعن يمينه فى الوادى نخل كثير ، و يعرف ذلك الموضع بالسيحى،أى بالياء آخر الحروف . ومساجد حوله — وهى ثلاثة — قبلة الأول منها خراب ، وقد هدم وأخذت حجارته ، والآخران معموران بالحجارة والجص ، وهما فى الوادى عند النخل ، انتهى .

وقال المطرى : إن المسجدين اللذَين فى قبلة مسجد الفتح تحته يعرف الأول منهما يعنى الذى يلى مسجد الفتح بمسجد سَلْمَان الفارسى . والثانى الذى يلى القبلة —يعنى فى قبلة مسجد سلمان — يعرف بمسجد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ثم ذكر ما تقدم عن ابن النجار من أنه كان معهما مسجدٌ ثالثٌ ، ثم قال : وهذا لم يبق له أثر .

قلت : وفى قبلة المسجد المعروف بأمير المؤمنين جانحا إلى جهة المشرق يلحق طرف جبل سَلْع الذى فى قبلة المساجد رضم من حجارة رأينا الناس يتبركون بالصلاة بينها . وقد تأملتها فوجدت فى طرفها مما يلى المشرق حَجَراً من المقام الذى يجعل منه الأساطين ، وهو مثبت فى الأرض بالجص ، فترجح عندى أنه أثر أسطوان ، وأن ذلك هو المسجد الذى يشير إليه ابن النجار ، وما ذكره المطرى من نسبة المسجدين المذكورين لسلمان وعلى رضى الله تعالى عنهما شائع على ألسنة الناس ، ويزعمون أن الثالث الذى ذكر المطرى أنه لم يبق له أثر مسجد أبى بكر

رضى الله تعالى عنه ، و بعض العامة يسمى مسجد سلمان بمسجد أبى بكر رضى الله عنه ، ولم أقف فى ذلك كله على أصل .

قال المطرى : و يصعد إلى مسجد الفتح بدرجتين شمالية وشرقية ، وكان فيه ثلاث أسطوانات من بناء عمر بن عبد العزيز ، فلذلك قال فى الحديث « موضع الأسطوانة الوسطى » .

قلت : والمراد أنها ثلاث أساطين بين المشرق والمغرب ، فمسقّفه رواق واحد فقط كما هو عليه اليوم ، قال المطرى : لكنه تهدّم على طول الزمان فجدّده الأمير سيف الدين الحسين بن أبى الهيجاء أحد وزراء العُبَيْدِيِّينَ ملوكِ مصر فى سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، وكذلك جدد بناء المسجدين اللذين تحته من جهة القبلة فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

قلت : واسمه اليوم مرسوم على مسن فى أعلى قبلة مسجد الفتح ، وفى أعلى قبلة المسجد الذى يليه . وفيه ذكر العمارة فى التاريخ المذكور .

وأما المسجد الآخر ــ وهو الذى فى قبلتهما ، المنسوب لأمير المؤمنين على ــ فتهدّمَ بناؤه ، فجدّده الأميرُ زين الدين ضغيم بن حشرم المنصورى أمير المدينة الشريفة فى سنة ست وسبعين وثمانمائة ، وكان سقفه عَقْداً ، وفيه مسن عليه اسم ابن أبى الهيجاء كالمسجدين الآخرين ، فجعل سقفه خشبًا على أسطوان واحد ، وسقف كل من مسجد الفتح والذى فى قبلته رِوَاق واحد مَقْبوّ قبواً محكما ، وفى كل منهما ثلاث قناطر آخذة من المشرق إلى المغرب ، والظاهر أن الرحبة التى خلف الرواق المذكور لم تغير عن حالها القديم . وذَرْعُ المسجد الأعلى من القبلة إلى الشام عشرون ذراعا ينقص يسيرا ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا . وذَرْعُ المسجد الأسفل المنسوب لسلمان رضى الله تعالى عنه من القبلة إلى الشام أربعة عشر ذراعا شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة سبعة عشر ذراعا . وذَرْع المسجد الذى يليه ــ وهو المنسوب لعلى رضى الله عنه ــ من القبلة إلى الشام ثلاثة عشر ذراعا شافة ، ومن المشرق إلى المغرب مما يلى القبلة ستة عشر ذراعا شافة .

مسجد بنى حرام الكبير

و ينبغى لقاصد مساجد الفتح أن يزور مسجد بنى حرَام الكبير ، وهو غير مسجدهم الصغير الآتى ذكره ، وهذا المسجد هو الذى اتخذوه لشعبهم من سَلْع لما تحوَّلوا إليه على ما قدمناه فى ذكر المنازل ؛ لما فيه مما يقتضى أنهم تخلوا إليه بإذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم .

وقد روى رزين عن يحيى بن قتادة بن أبى قتادة عن مشيخةٍ من قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يأتى دور الأنصار فيصلى فى مساجدهم » .

وقدمنا هنالك أيضاً أن عمر بن عبد العزيز زاد فيه على بناء أهله له مِدْمَا كَيْن من أعلاه ، وطابق سقفه ، وكان أولا بخشب وجريد ، وجعل فيه زيت مسجد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فهذا يقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، لكن تقدم أيضاً ما يقتضى أن بنى حرام إنما انتقلوا للشعب المذكور فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة فى ذكر المساجد التى يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيها ، و يقال إنه لم يصل فيها ، عن حرام بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فى مسجد بنى حرام الأكبر ، ثم روى ما قدمناه من الاختلاف فى وقت تحوُّلهم إلى ذلك المحل.

فيتلخص من ذلك أنه مما اختلف فى صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، ولذلك لم يفرده بالذكر ، وقد ظهر لى محله فى قرية بنى حرام بشعبهم غربى جبل سَلْع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار السالك إلى المدينة من مساجد الفتح ، فإذا جاوَزْتَ البطن الذى فيه مساجد الفتح وأنت قاصدُ المدينة يَلْقَاكَ بعد ذلك بَطْن مُتَسع من سَلْع فيه آثار قرية هى قرية بنى حرَام ، وذلك شعبهم ، وقد انهدم المسجدُ بأجمعه ، و بقى أساسه وآثار أساطينه من الحزر المكسر ، وفيها آثار الرصاص وعُمُد الحديد وآثار الرمل بأرضه ، ولعل الله تعالى يبعث له من يحييه .

وينبغى لقاصد المسجد المذكور أن يَزُور كهف بنى حرام قرب شعبهم كهف بنى حرام المذكور ؛ لما سيأتى فى ذكر عين النبى صلى الله عليه وسلم عن عبدالملك بن جابر ابن عتيك أن النبى صلى الله عليه وسلم « تَوَضّأَ من العيينة التى عند كهف بنى حرام » قال : وسمعتُ بعضَ مشيختنا يقول : قد دخل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

وفى رواية أنهم كانوا ــ يعنى الصحابة ــ يخرجون مع النبى صلى الله عليه وسلم ويخافون البيَات ، فيدخلونه كهف بنى حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هَبَط ، وإنه نَقَرَ العيينة التى عند الكهف .

ولما روى ابن شبة عن يحيى بن النصر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم « جَلَس فى كهف سَلْع » والمراد به كهف بنى حرام .

ولما روى الطبرانى فى الأوسط والصغير عن أبى قتادة قال : خرج مُعَاذ بن جبل فطلب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجده ، فطلبه فى بيوته فلم يجده ، فاتّبعه فى سكة سكة حتى دُلَّ عليه فى جبل ثواب ، فخرج حتى رقى جبل ثواب فنظَر يميناً وشمالا فبصر به فى الكهف الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح ، قال معاذ : فإذا هو ساجدٌ ، فهبطت من رأس الجبل وهو ساجد فلم يرفع حتى أسأتُ به الظن ، فظننته أنه قد قُبِضَتْ روحُه ، فقال : جاءنى جبريل بهذا الموضع فقال : إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك : ما تحبُّ أن أصْنَعَ بأمتك ؟ قلت : الله أعلم ، فذهب ثم جاء إلى فقال : إنه يقول : لا أسُوءكَ فى أمتك ، فسجدت فأفضل ما تقرب به إلى الله عز وجل السجود .

قلت : وجبل ثواب لم أقف له على ذكر ، ولكن يؤخذ من قوله فى هذا الكهف إنه الذى اتخذ الناس إليه طريقا إلى مسجد الفتح أنه جبل سَلْع ، والمراد اتخذ الناس إلى الكهف طريقاً إلى طريق مسجد الفتح ، فهو كهف بنى حرام بقرينة ماسبق ، والكهف كما فى الصحاح : شبه البيت المنقور فى الجبل ، وهذا

الـكهف يظهر أنه الذى على يمين الْمُتَوَجِّه من المدينة إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية أيضا إذا قَرُبَ من البطن الذى هو شعب بنى حرام فى مقابلة الحديقة المعروفة اليوم بالنقيبينة عن يساره.

وكذلك الحِصْنُ المعروفُ بحصن حمل يكون فى جهة يساره فهناك مجرى سائلة تسيل من سَلْع إلى بطحان ، فإذا دخل فى تلك السائلة وصعد يسيراً من سلع طالباً جهةَ المشرق كان الـكهف المذكور على يمينه ، وعنده أثر نقر ممتد فى الجبل هو مجرى السائلة المذكورة ، وإذا صعد الإنسان من ذلك المجرى وكان فى أعلاه وجد كهفاً آخر ، لـكنه صغير جداً ، والأول أقرب إلى كونه المراد ، ولعل ذلك النقر هو المراد فيما يتعلق بالعيينة ، وإذا حصل المطر بسَلْع سالَتْ تلك السائلة ، ويبقى هناك مواضع يتحصل فيها المـاء ثم يجرى منها ؛ فينبغى التبرك بها ، والله أعلم .

مسجد القبلتين

ومنها : مسجد القبلتين ، قال رزين : وهو مسجد بنى حَرَام بالقاع ، وتبعه ابن النجار فَمَنْ بعده ، وزاد المطرى وتبعه من بعده أنه الذى رأى النبى صلى الله عليه وسلم النخامة فى قبلته فحـكّها بعُرْجُون كان فى يده ، ثم دعا بخَلُوق فجعَـله على رأس العُرْجُون ثم جعله فى موضع النخامة ، فكان أوّل مسجد خُلِّق ، وهذا كله مردود ؛ لأن ابن زبالة قال كما قدمناه فى المنازل : إن بنى سَوَاد بن غنم بن كعب نزلوا عند مسجد القبلتين ، ولهم مسجد القبلتين ، ونزل بنو عبيد بن عدى بن غنم ابن كعب عند مسجد الخربة ، ونزل بنو حَرَام بن كعب بن غنم بن كعب عند مسجد بنى حرام الصغير الذى بالقاع ، وابتنوا أُطماً يقال له جاعص كان فى السهل بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك وبين العين التى عملها معاوية بن أبى سفيان ، وحينئذ فلا يصح كون مسجد بنى حرام الصغير هو مسجد القبلتين . وكأن هؤلاء الجماعة فَهِمُوا من وصف مسجدهم هذا بالصغير أن مسجدهم الـكبير هو مسجد القبلتين ، وليس كذلك ؛ لمـا قدمناه من أن مسجدهم الـكبير نقل أن النبى

صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فيه ، وأنه الذى بشعب سَلْع ، وأيضا فقد صرح ابن زبالة بأن مسجد القبلتين لبنى سواد ، وأيضا فاسْمُ القاع إنما يناسب ما قدمناه فى بيان منازل بنى حرام فى غربى مساجد الفتح ، فمسجد بنى حرام هذا من المساجد التى لا تعلم اليوم عَيْنُها ، ولكن تعلم جهتها . ومما يوضح المغايرة بين مسجد بنى حرام وبين مسجد القبلتين ، ويصرح بخطأ ما ذهب إليه مَنْ جَعَلهما متحدين أن ابن شبة روى عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الخربة ، وفى مسجد القبلتين ، وفى مسجد بنى حرام الذى بالقاع . ورواه أيضا ابنُ زبالة عن جابر بلفظ « صَلَّى فى مسجد القبلتين وفى مسجد بنى حرام بالقاع » ولم يذكر مسجد الخربة ؛ فاتَّضَح بذلك ما قلناه ، وتعين اجتناب ما عداه ، وما ذكره المطرى من كون مسجد القبلتين أول مسجد خُلِّقَ أخذه من ورود ذلك فى مسجد بنى حرام لظنه اتحادهما ؛ فاجتنبه .

وقال ابن زبالة : وحدثنى موسى بن إبراهيم عن غير واحد من مَشْيَخة بنى سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «صَلَّى فى مسجد القبلتين» وقد قدمنا فى الفصل الثالث من الباب الرابع الاختلافَ فى تعيين المسجد الذى وقع فيه تحويلُ القبلة وسَنَتِه والصلاةِ التى وقَعَ ذلك فيها ، وفى بعض تلك الروايات أن ذلك كان بمسجد القبلتين ، وأن الواقدىّ قال : إن ذلك هو الثابت عنده .

وروى يحيى عن عثمان بن محمد بن الأخنس قال : زار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم امرأة — وهى أم بشر من بنى سلمة — فى بنى سلمة ، فصنعت له طعاما ، قالت أم بشر : فهم يأكلون من ذلك الطعام إلى أن سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن الأرواح ، فذكر حديثها فى أرواح المؤمنين والكافرين ، ثم قال : فجاءت الظهرُ فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه فى مسجد القبلتين الظهر ، فلما أنْ صَلَّى ركعتين أُمِرَ أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى الكعبة واستقبل الميزاب ؛ فهى القبلة التى قال الله تعالى «فلنولينك قبلة ترضاها » فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين .

وفى رواية له : فلما صلى ركعتين أُمِرَ أن يولى وجهه إلى الكعبة ، فاستدار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة والمسجد مسجد القبلتين ، وكان الظهر يومئذ أربعا منها ثنتان إلى بيت المقدس وثنتان إلى الكعبة .

قلت : وهذا ما أشار إليه ابنُ سعدٍ بقوله : ويقال إنه صلى الله عليه وسلم زار أم بشر بن البراء بن مَعْرور فى بنى سلمة ، فصنعت له طعاماً وحانَتِ الظهرُ ، فصلى بأصحابه ركعتين ، ثم أُمِرَ أن يوجِّه إلى الكعبة ، فاستداروا إلى الكعبة ، فسمى المسجد مسجد القبلتين .

وتقدم ما قاله الزمخشرى من صَرْفِ القبلة فى هذا المسجد فى صلاة الظهر ، وإنه صلى الله عليه وسلم تحول فى الصلاة وحَوَّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

وروى ابن زبالة عن محمد بن جابر قال : صُرِفت القبلَةُ ونفرٌ من بنى سلمة يصلون الظهر فى المسجد الذى يقال له مسجد القبلتين ، فأتاهم آتٍ فأخبرهم وقد صلوا ركعتين ، فاستداروا حتى جعلوا وجوهَهم إلى الكعبة ، فبذلك سُمِّى مسجد القبلتين .

قال المجد : فعلى هذا كان مسجد قباء أولى بهذه التسمية ؛ لما ثبت فى الصحيحين من وقوع نحو ذلك به .

وقد أطنب المجد هنا فيما جاء فى تخْليق القبلة لتوهمه أن مسجد القبلتين هو المراد ، وذلك وَهَم لما أسلفناه ، وهذا المسجد — كما قال المطرى — بعيد من مساجد الفتح من جهة المغرب على رابية على شفير وادى العقيق ، يعنى العقيق الصغير .

قلت : وهو مرتفع عن شَفير وادى العقيق كثيرا ، وكأنه أراد بذلك بيانَ مناسبة ما ادَّعاه من تسمية موضعه بالقاع ، وقد جدد سقف هذا المسجد وأصلحه الشجاعى شاهينُ الجمالى شيخُ الخدامين عام ثلاث وتسعين وثمانمائة ، والله أعلم .

مسجد السقيا

ومنها : مسجد السقيا[1] ، سُقْيَا سعد الآتى ذكرها فى الآبار ، فى شامى البئر المذكورة قريبا منها جانحا إلى المغرب يسيرا فى طريق المار إلى الرقيقين من طريق العقيق ، وهذا المسجد ذكره أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين فى مَنْسَكه فى المساجد التى تُزَار بالمدينة .

وروى ابن شبة فى ترجمة المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ومساجده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : عَرَضَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم المسلمين بالسقيا التى بالحرة متوجها إلى بَدْرٍ وصلى بها .

وقد قدمنا فى الفصل الرابع من الباب الثانى ما رواه الترمذى وقال حسن صحيح عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحَرَّة السُّقْيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بوَضُوء ، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن إبراهيم كان عَبْدَكَ وخليلَكَ ودعاكَ لأهل مكة بالبركة ، وأنا عَبْدُكَ ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مُدِّهم وصاعِهم مثل ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين.

وقدمنا أيضا أن ابن شبة رواه بنحوه إلا أنه قال : حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتُونِى بوَضُوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم كبر ثم قال ، الحديثَ بنحوه .

وتقدم أيضا رواية الطبرانى له بسند جيد ، وأن أحمد روى برجال الصحيح عن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بأرض سعد بأصْلِ الحَرَّةِ عند بيوت السقيا ، ثم قال : إن إبراهيم خليلَكَ وعَبْدَكَ ونبيك دَعَاك لأهل مكة ، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة مثلى ما دعاك به إبراهيم لمكة ، أن تبارك لهم فى صاعِهم ومُدِّهم وثمارهم ، اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حببت

(١) هذا المسجد هو القبة التى فى خارج باب العنبرية اليوم (حسب الله) .

إلينا مكة ، واجعل ما بها من وَبَاء بخم ، اللهم إنى حَرَّمْتُ ما بين لاَ بَتَيْهَا كما حرمت على لسان إبراهيم الحرم » .

وقال الواقدى فى غزوة بدر : لما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بيوت السُّقيا ، فحدثنى ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى عند بيوت السُّقْيَا ودعا يومئذٍ لأهل المدينة : اللهم إن إبراهيم عبْدك وخَليلك و نبيك ، الحديثَ .

وروى أيضا عن سعد بن أبى وقَّاص قال : خرجنا إلى بَدْر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنا سبعون بعيرا ، وكانوا يَتَعَاقبون الثلاثة والأربعة والاثنان على بعير ، وكنت أنا من أعظم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم غِنًى وأرْجَلِهم رُجْلَةً(١) وأرماهم بسَهم لم أركب خُطوة ذاهباً ولا راجعا . وقال صلى الله عليه وسلم حين فَصَلَ من يثرب للسقيا : اللهم إنهم حُفَاة فاحْمِلهم ، وعُرَاة فاكْسُهُمْ ، وجِيَاعٌ فأشْبِعْهُمْ ، وعَالَةٌ فأغْنِهِمْ من فضلك ، قال : فما رجَع أحد منهم يريد أن يركَبَ إلا وجَد ظهْرا للرجُلِ البعيرُ والبعيران ، واكتسى من كان عاريا ، وأصابوا طعاما من أزْوَادِهم ، وأصابوا فِدَاء الأسرى فأغنى به كل عائل .

وروى ابن زبالة عن عمر بن عبد الله الدينارى وعمار بن حفص أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدر بالسقيا ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هنالك لأهل المدينة أن يبارك لهم فى صَاعِهِم ومُدِّهم ، وأن يأتِيَهُم بالرزق من ههنا وههنا . قال : واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

قلت : ولم يكن هذا المسجد معروفا ، ولم يذكره المطرى ، بل تردد فى البئر بين البئر التى فى المحل المذكور وبين البئر المعروفة بزمزم ، ومال إلى ترجيح أنها

---

(١) الرجلة — بضم الراء وسكون الجيم — الشدة ، والأرجل : الوصف منه

التى فى المحل المذكور ، فاتفق أنى جئت إلى ذلك المحل وتطلبت المسجد ، فرأيت محله رضما ، فأرسلت إليه بعضَ المعلمين وأمرته أن يتتبع الأساس بالحَفْر من داخله فظهر محراب المسجد وتربيعه و بناؤه بالحجارة المطابقة بالجص ، وقد بقى منه فى الأرض أزيد من نصف ذراع فيه بياض المسجد بالقَصَّة بحيث يَعْلم الناظر أنه من البناء العمرى ، وخرج الناس أفواجا لرؤيته والتبرك به ، ثم بُنى ولله الحمد على أساسه الأول ، وهو مربع ، مساحته نحو سبعة أذرع فى مثلها .

مسجد ذباب (الراية)

ومنها : مسجد ذباب ، و يعرف اليوم بمسجد الراية ، ولما لم يعرفه المطرى قال : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجدا أعلى ثنية الوَدَاع عن يسار الداخل إلى المدينة من طريق الشام ، ومسجدا آخر على طريق السافلة ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قال الزين المراغى فى بيان المسجد الأول : وكأنه يريد به المسجد المعروف بمسجد الراية .

قلت : هو مراده ؛ لوجوده فى زمنه ، ولم يعدَّه فى المساجد وأطلق على محل ثنية الوداع لقربه منها ، وهو مبنى بالحجارة المطابَقَة على صفة المساجد العمرية ، وكان قد تهدم فجدده الأمير جانبك النيروزى رحمه الله تعالى سنة خمس أوست وأربعين وثمانمائة ، وقد اتضح لنا ما جاء فى هذا المسجد بحمد الله تعالى لأن الإمام أبا عبد الله الأسدى فى المتقدمين لما عدد فى كتابه الأماكن التى تزار فى المدينة الشريفة قال : مسجد الفتح على الجبل ، ومسجد ذباب على الجبل ، انتهى . وذباب : اسم الجبل الذى عليه المسجد المذكور كما سنوضحه .

وقد روى ابن زبالة وابن شبة عن عبد الرحمن الأعرج أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى على ذباب .

وروى الثانى عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى قال : ضرب النبى صلى الله عليه وسلم قبَّته على ذباب .

وعن الحارث بن عبد الرحمن قال : بعثَتْ عائشة رضى الله تعالى عنها إلى مروان بن الحكم حين قتل ذبابا وصَلَبه على ذباب تقول : مَوْقِفٌ صلى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم واتخذْتَهُ مَصْلَبا .

قال أبو غسان : وذباب رجل من أهل اليمن عَدَا على رجل من الأنصار ، وكان عاملا لمروان على بعض مساعى اليمن ، وكان الأنصارى عَدَا على رجل فأخذ منه بقرة ليست عليه ، فتبع ذباب الأنصاريَّ حتى قدم المدينة ، ثم جلس له فى المسجد حتى قتله ، فقال له مروان : ما حملك على قتله ؟ قال : ظلمنى بقرة لى ، وكنت امرأ خبيثَ النفسِ فقتلته ، فقتله مروان وصلبه على ذباب .

وتقدم من رواية ابن شبة فى اتخاذ المقصورة فى المسجد ما يقتضى أن الرجل الذى ظلمه ساعى مروان اسمه دب ، وأنه إنما هَمَّ بقتل مروان ، فأخذهُ مروان ، فذكر له السبب المتقدم وأنه حبسه ثم أمر به فقتل .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى بعضُ مشايخنا أن السلاطين كانوا يصلبون على ذباب ، فقال هشام بن عُرْوَة لزياد بن عبيد الله الحارثى : يا عجبا ، يصلبون على مَضْرِب قبة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكفَّ عن ذلك زياد وكفت الوُلاَة بعده عنه .

قلت : وقد جعل المطرى فى الكلام على الخندق مَضْرِبَ قبّة النبى صلى الله عليه وسلم هو محل مسجد الفتح من سَلْع ؛ لظنه أن الخندق لم يكن إلا فى غربى سَلْع ، وكأنه لم يطلع على ما هنا . ولم أر لما ذكره أصلا فى كلام غيره ، وقد غاير أبو عبد الله الأسدى بين مسجد الفتح ومسجد ذباب كما قدمناه ، وسيأتى ما يؤخذ منه أن الخندق كان شامى المدينة بين حَرَّتيها الشرقية والغربية .

وفى اتخاذ المسجد على هذا الجبل رد لما أوّل به الطبرانى الصلاةَ عليه بالدعاء فإنه روى بسند فيه عبد المهيمن بن عباس بن سهل عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى على ذباب ، قال الطبرانى عقبه : بلغنى أن ذبابا جبل بالحجاز

وقوله « صلى » أى بارك عليه .

قلت : صرح ابن الأثير بأنه جبل بالمدينة ، وفى الاكتفاء فى غزوة تبوك ما لفظه : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوَدَاع وضرب عبد الله بن أبى معه على حِدَة عسكره أسفلَ منه نحو ذباب .

وقد قال الكمال الدميرى : إن فى كتب الغريب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلب رجلا على جبل يقال له ذُباب ، وإن البكرى قال : هو جبل بجبَّانة المدينة .

وتقدم فى منازل بنى الديل حول ثنية الوَدَاع ذكر الجبَّانة ، وكذا فى ذكر البلاط .

وقال الواقدى فى كتاب الحرة : إنهم لما اصطَفُّوا لقتال جيش الحَرَّة على الخندق ، وكان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النَّعَم معه الدهم من الموالى ، وهو يحمل رايتهم ، وهو أميرهم ، وقد صف أصحابه كَرَادِيسَ بعضها خلف بعض إلى رأس الثنية أى ثنية الوَدَاع .

وهذا كله صريح فى أن ذبابا هو الجبل المذكور ، ولعل السبب فى اشتهار مسجده بمسجد الراية ما ذكره الواقدى من أن يزيد بن هرمز كان فى موضعه ومعه راية الموالى .

وقد تقدم فى منازل يهود قول ابن زبالة : وكان لأهل الشوط الأطمُ الذى يقال له السرعى ، وهو الأطم الذى دون ذباب ، وسيأتى فى ترجمة الشوط أنه قريب من منازل بنى ساعدة ، وقد رأيت لذباب ذكرا فى أماكن كثيرة جدا ، وكلها متفقة على وَصْفه بما يدل على أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، بحيث زال الشك عندى فى ذلك .

ويؤخذ مما سيأتى فى ترجمة الخندق أن الصخرة ــ التى خرجت من بطن الخندق وهم يحفرونه ، وضربها النبى صلى الله عليه وسلم بالمِعْوَلِ الحديثَ ــ كانت تحته ، لكنه سمى فى تلك الرواية ذو باب بزيادة واو ، والله أعلم .

مسجد القبيح

ومنها : المسجد اللاصق بجبل أحد على يمينك وأنت ذاهب إلى الشعب الذى فيه المهراس ، وهو صغير قد تهدم بناؤه .

قال الزين المراغى : ويقال : إنه يسمى مسجد القبيح .

قلت : وهو مشهور بذلك اليوم ، ويزعمون أن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تَفَسَّحُوا فى المجالس ـ الآية) نزلت فيه ، ولم أقف على أصل لذلك .

وقال المطرى : يقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه الظهر والعصر يوم أُحُدٍ ، بعد انقضاء القتال ، وكأنه لم يقف فيه على شىء .

وقد روى ابن شبة بسند جيد عن رافع بن خديج أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الصغير الذى بأُحُدٍ فى شعب الجرّار على يمينك لازق بالجبل .

مسجد فى ركن جبل عينين

ومنها : مسجد فى ركن جبل عينين الشرقى على قطعة منه ، وهذا الجبل كان عليه الرُّماة يوم أُحُدٍ ، وهو فى قبلة مشهد سيدنا حمزةِ رضى الله تعالى عنه ، وقد تهدم غالبُ هذا المسجد .

قال المطرى : يقال : إنه هو الموضع الذى طعن فيه حمزة رضى الله تعالى عنه .

قلت : وكذا هو مشهور اليوم ، وقد ذكر المجد هذا المسجد والذى بعده وقال : ينبغى اغتنامُ الصلاة فيهما ؛ لأنهما لم يبنيا إلا عَلَماً للزائرين ، ومشهداً للقاصدين ، وقول مَنْ قال إن الأول طعن مكانه حمزة والثانى صُرِع فيه فوقع لم يثبت فيه أثر ، وإنما هو قول مستفيض .

ثم قال : ويذكر بعضُ الناس أن المسجد الأول ـ يعنى هذا ـ كُسِرَ فى مكانه ثَنِيَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان من ابتلاء الله تعالى صفيه وخليله عليه الصلاة والسلام ، كل ذلك مقالات يذكرها أهل المدينة لم يَرِدْ بها نَقْل .

قلت : وكلامه وكلام المطرى صريح فى أنهما لم يقفا على ما جاء فيه .

وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ما رواه ابن شبة من أنه لما قتل أقام فى مَوْضِعِه تحت جبل الرُّماة وهو الجبل المذكور ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحُمِل عن بطن الوادى ، وهذا هو محل المسجد الثانى .

وأما هذا المسجد فقد روى ابن شبة فيه عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أُحُدٍ على عينين الظرب الذى بأُحُدٍ عند القنطرة ، وكأنه يعنى بالقنطرة قنطرة العين التى كانت قديماً هناك . وأشار إليها المطرى بقوله عقب ذكر هذا المسجد : وقد تجدَّدَتْ هناك عين ماء ، جَدَّدها الأمير بدر الدين ودى بن جماز صاحب المد ، مفيضها بالقرب من هذا المسجد ، انتهى .

والعين اليوم دائرة ، وقد تقدم فى غزوة أحد أن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذهابه إلى أُحُدٍ بات بالشيخان[1] وأَدْلَجَ فى السحَر فانتهى إلى موضع القنطرة ، فحانت الصلاة فصلّى بأصحابه الصبحَ صفوفا عليهم السلاح ؛ فيحتمل أن المراد بذلك هذا المسجد ، ويحتمل — وهو الأظهر — أن يراد به المسجد الآتى ذكره عقبه ؛ لأن فى رواية ابن شبة ذكر صلاة الظهر وأن الموضع من نفس الجبل عند القنطرة ، وفى هذه الرواية صلاة الصبح وأن ذلك فى موضع القنطرة ، والله أعلم .

مسجد العسكر

ومنها : مسجد فى شمالى المسجد المذكور قبله قرب عينين أيضا ، على شفير الوادى ، قد تهدم أكثره ، وكان مبنيا بالحجارة المنقوشة المطابقة على هيئة البناء العمرى ، وفيه بقايا آثار الأساطين ، ولم أقف فيه على شيء سوى ما قدمته من الاحتمال الثانى فى الرواية المتقدمة .

وذكر المطرى أنه يقال : إنه مَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، وإنه مَشَى بطَعْنته من الموضع الأول إلى هناك فصُرِع رضى الله تعالى عنه .

---

(١) قال شارح القاموس: «وشيخان مبنياً على الكسر على ماضبطه ابن الأثير : موضع بالمدينة على سا كنها أفضل الصلاة والسلام، وهو معسكره صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وبه عرض الناس » ا هـ

وقد أشرنا فيما سبق إلى أصل ما جاء فى أن الموضع الثانى مكانُ مَقْتَله ، وإنما أثبتُّه فى المساجد ـ مع ما قدمته من أنى لم أقف فيه على شىء صريح ـ لأن ابن شبة قال ما لفظه : قال أبو غسان : وقال لى غير واحد من أهل العلم من أهل البلد : إن كل مسجد من مساجد المدينة ونَوَاحيها مبنىّ بالحجارة المنقوشة المطابَقَة فقد صلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم سأل والناسُ يومئذ متوافرون عن المساجد التى صَلّى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة ، انتهى .

وقد ذكر هذا المسجد أبو عبد الله الأسدى من المتقدمين ، وسماه مسجد العسكر ، فقال فى تعديد المساجد : ومسجد العسكر ، ومسجد يمين هذا فى أصل الجبل ، انتهى ؛ فيتأيد ذلك الاحتمال الثانى المذكور فى الرواية المتقدمة لتسميته بمسجد العسكر ، على أنه قد ورد من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وَقَفَ على حمزة وقد قُتل ومُثّل به فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه ، فقال : رحمك الله أى عَمّ ، فلقد كنتَ وَصُولاً للرحم ، فَعُولاً للخيرات ، فوالله لئن أظفَرَنى الله بالقوم لأمثِّلَنَّ بسبعين منهم ، فما برح حتى نزل : « وإن عاقبتم فعاقِبُوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صَبَرْتم لهو خير للصابرين » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلى نصبر . وروى أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم وقَفَ على حمزة وصَلّى عليه حينئذٍ .

قلت : فهذا ما جاء فى أن الموضع المذكور مقتل حمزة كافٍ فى إثباته فى المساجد ، وسيأتى فى بيان المشاهد الخارجة عن البقيع عند ذكر مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه بيانُ أن الحجَرَ المثبت على قبره اليوم أخطأ واضعه ، وأنه إنما نقل من هذا المسجد عند تهدُّمه ، وفيه مكتوب بعد البسملة (إنما يَعْمُرُ مساجد الله ـ الآية) هذا مصرع حمزة بن عبد المطلب ومُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

عمره حسين بن أبي الهيجاء سنة ثمانين وخمسمائة ، وكأنه جدده فلما تهدم وسقط ذلك المسن نقل إلى المشهد المذكور كما سنوضحه .

وأما المسجدالمقابل لمشهد سيدنا حمزة فى شرقيه وعند بابه فمحدَثٌ ، لم يذكره المطرى ولا غيره ، وليس له أصل فى المساجد المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم .

مسجد أبى ذر الغفارى

ومنها : مسجد صغير جداً طوله ثمانية أذرع فى ثمانية أذرع على يمين طريق السالك إلى أُحُدٍ من طريق الأسواق ، فإذا جاوز البقيع المعروف ببقيع الأسواق قليلا كان على يمينه طريق إذا مشى فيها يسيراً وجَدَ هذا المسجد عند النخيل المعروفة بالبحير ، وهو ثانى المسجدين اللذين ذكرهما المطرى بقوله : وليس بالمدينة مسجد يعرف غير ما ذكر إلا مسجداً على ثنية الوَدَاع ومسجداً آخر صغيراً جداً على طريق السابلة ، وهى الطريق اليمنى الشرقية إلى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه ، يقال : إنه مسجد أبى ذَرٍّ الغفارى رضى الله عنه ، ولم يرد فيهما نقل يعتمد عليه .

قلت : روى البيهقى فى شُعَب الإيمان عن مولى لعبد الرحمن بن عوف قال: قال عبد الرحمن : كنت نائماً فى رحبة المسجد ، فرأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خارجا من الباب الذى يلى المقبرة ، قال : فلبثت شيئًا ثم خرجْتُ على أثره فوجَدْتُهُ قد دخل حائطا من الأسواق ، فتوضأ ثم صلى ركعتين فسجد سجدةً أطال فيها ، فلما تشهد تبدأت له ، فقلت : بأبى وأمى حين سجدت أشفقت أن يكون الله قد توفَّاكَ من طولها ، فقال : إن جبريل عليه السلام بَشَّرَنى أنه مَنْ صلى علىّ صلى الله عليه ، ومن سلم علىّ سلم الله عليه . قال البيهقى : وقد رويناه من وجه آخر عن محمد بن جبير عن عبد الرحمن ، ومن وجه آخر عن عبد الواحد ابن محمد بن عبدالرحمن بن عوف عن عبد الرحمن لم يذكر فيه الركعتين ، بل ذكر السجود فقط ، فزاد عبدالواحد فى حديثه : فسجدتُ لله شكراً . ورواه ابن زبالة بالطريق الأولى بلفظها ، إلا أنه قال: فقلت بأبى وأمى لقد سجدْتَ سجدةً أشفقت

إلى آخره . ورواه ابن أبى الدنيا وأبو يعلى والبزار ، إلا أن فى روايتهم : فجئتُهوقد خرج ، فاتبعته ، فدخل حائطاً من حيطان الأسواق ، فصلى فأطال السجود ، فقلت : قَبَضَ الله روحَ رسوله صلى الله عليه وسلم لا أراه أبداً ، فحزنت و بكيت، فرفعرأسه ، فدعانى فقال : ما الذى بك ؟ أو ما الذى وراءك ؟ فقلت : يارسولالله أطلْتَ السجودَ فقلت قبض الله رســوله لا أراه أبدا ، فحزنت و بكيت ، قال : سجدْتُ هذه السجدة شكراً لربى فيما أبلانى فى أمتى أنه قال : مَنْ صلى عليك منهم صلاة كتب له عشر حسنات ، وهذا اللفظ للبزار .

قلت : والأسواق قريبة من موضع هذا المسجد جداً ، و يحتمل أنه محل السجدة المذكورة ، بل هو الظاهر ؛ فلذلك أثبتناه . وحديث عبد الرحمن هذا أخرجه الإمام أحمد بلفظ : خَرَجَ رسولُ اللهصلىاللهعليهوسلم فتوجَّه نحو صَدَقته فدخل فاستقبل القبلة ، فخر ساجداً فأطال السجود حتى ظننت أن الله قَبَض نفسه فيها ، فدنَوْتُ منه ، فرفع رأسه وقال : مَنْ هذا ؟ قلت : عبد الرحمن ، قال : ما شأنك ؟ قلت : يا رسول الله سجدْتَ سجدة ظننت أن يكون الله قد قبض نفسك فيها ، فقال : إن جبريل أتانى فبشرنى فقال : إن الله عز وجــل يقول : مَنْ صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال البيهقى فى الخلافيات عن الحاكم قال : هذا صحيح ، ولا أعلم فى سجدة الشكر أصح منهذا الحديث ، انتهى .

وقوله « نحو صدقته » ينبغى حَمْله على الرواية المتقدمة ، ولا يمتنع أن يكون بعض حوائط الأسواق كان من صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، مع أن بالقرب منه موضعا يعرف قديما وحديثا بالصدقة ، أو أن القصة متعددة ، والله أعلم .

مسجد أبى بن كعب (بنى جديلة) (البقيع)

ومنها : مسجد على يمين الخارج من درب البقيع على ما ذكره البرهان ابن فرحون فإنه قال عقب ذكر المسجد المتقدم قبل هذا : إنه لم يرد فيه شىء يعتمد ، ثمقال: وكذلك المسجدالذى فىأول البقيععلىيمين الخارج من دَرْبالجمعة،انتهى.

قلت : يعنى الموضع الذى فى غربى مشهد عقيل وأمهات المؤمنين ، و به اليوم أسطوان قائمة ، و بلغنى أنه كان به عقدان سَقَطا ، و بقاياه شاهدة بأنه كان مبنيا بالحجارة المنقوشة والقَصَّة كالبناء العُمَرى ، وقد اتخذ بعض الأشراف الوحاحدة رحبته التى فى شامى الأسطوان مقبرة .

وقد ذكر المرجانى أيضاً مسجداً بالبقيع ، وذكر من عند نفسه أنه موضع مُصَلّى النبى صلى الله عليه وسلم العيد بالبقيع ، ولعله يعنى هذا المسجد ، وقد قدمنا فى ذكر المصلى ما يرده .

والذى ظهر لى أن هذا المسجد هو مسجد أبى بن كعب رضى الله عنه ، و يقال له : مسجد بنى جديلة ؛ لأنا قدمنا فى منازل بنى النجار أن بنى جديلة ابتنوا أطماً يقال له مشعط كان فى غربى مسجدهم الذى يقال له مسجد أبى ، وفى موضع الأطُم بيتٌ يقال له بيت أبى نبيه ، وسيأتى فى ذكر قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وابنته الزهراء رضى الله تعالى عنهن بالبقيع ما يقتضى أن فى أوله مما يلى هذه الجهة زقاقا يعرف بزقاق نبيه ، وخوخة تعرف بخوخة آل نبيه . وفى كلام ابن شبة ما يقتضى مجاورة البقيع لبنى جديلة واتصالهم به ؛ فترجَّح عندى أنه مسجد أبىّ رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى عن المطرى ذكر مسجد أبى فيما علمت جهته ولم تعلم عينه من المساجد .

وروى عمر بن شبة عن يحيى بن سعيد قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف إلى مسجد أبى فيصلى فيه غير مرة ولا مرتين ، وقال: لولا أن يميل الناسُ إليه لأكْثَرْتُ الصلاة فيه .

وعن أبى بكر بن يحيى بن النضر الأنصارى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِّ فى مسجد مما حَوَتْه المدينةُ إلا مسجد أبىّ بن كعب ، ثم ذكر مساجد ستأتى .

وروى ابن زبالة عن يوسف الأعرج ور بيعة بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى جديلة ، وهو مسجد أبىّ بن كعب .

وفى شامى مشهد عقيل أسفل الكومة مسجد صغير طريقه من بين الترب التى هناك أسفل محرابه موجود، ولم يتعرض لذكره فى المساجد وليس هو على هيآت البناء العُمَرِى، والله أعلم .

مساجد المصلى — ومنها : مساجد المُصَلّى الثلاثة التى ذكرناها فى الفصل الأول فراجعه .

مسجد ذى الحليفة — ومنها : مسجد ذى الحليفة ميقاتِ أهلِ المدينة ، والمسجد الذى فى قبلته ، وسيأتيان فى المساجد التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم بين الحرمين مع بيان محلهما من وادى العقيق الكبير .

مسجد مقمل — ومنها مسجد مقمل ، ذكره المجد هنا ، والصواب ذكره فى المساجد الخارجة عن المدينة ؛ لأنه كما سيأتى على يومين منها ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الرابع

فى المساجد التى عُلمتْ جهتها ، ولم تعلم عينها بالمدينة الشريفة

مسجد أبى بن كعب — منها : مسجد أبىّ بن كعب ببنى جديلة ، ويقال : مسجد بنى جديلة من بنى النجار ، على ما تقدم فى المسجد الذى بالبقيع عن المطرى من أن هذا المسجد لا تعرف عينه ، قال : ومنازل بنى جديلة عند بئر ماء شامى سور المدينة .

مسجد بنى حرام — ومنها : مسجد بنى حرام من بنى سلمة من الخزرج ، قد تقدم فى مسجد القبلتين توهيمُ مَنْ جعله إياه ، وما ورد من صلاة النبى صلى الله عليه وسلم بكل منهما . وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد بنى حَرَام الذى بالقاع ، وأنه رأى فى قبلته نُخَامة ، وكان لا يفارقه عُرْجُون ابن طابٍ يتخصّر به، فحَكّه ثم دعا بخَلوق فجعله على رأس العرجون، ثم جعله على موضع النخامة ، فكان أول مسجد خُلّق . ومنازل بنى حرام بالقاع فى غربى مساجد الفتح ووادى بطحان عند جبل بنى عبيد والعين التى أجراها معاوية رضى الله تعالى عنه .

مسجد الخربة — ومنها : مسجد الخربة لبنى عبيد من بنى سلمة ، وتقدم أن منازلهم كانت

عند مسجدهم هذا إلى الجبل الذى يقال له جبل الدويخل جبل بنى عبيد ، وذلك قرب منازل بنى حرام فى المغرب ، والقاصدُ إلى مسجد القبلتين من جهة مساجد الفتح يمر بمنازلهما ، وقد تقدم فى مسجد القبلتين ما روى من صلاته صلى الله عليه وسلم بهذا المسجد . وروى ابن زبالة عن يحيى بن عبد الله بن أبى قتادة عن مشيخته أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى السلافة أم البرَاء بن مَعْرور فى المسجد الذى يقال له مسجد الخربة دبر القرصة[1] ، وصلى فيه مرارا .

قلت : وسيأتى أن هناك نخل جابر بن عبد الله المذكورة قصته فى قضاء دينه هناك ، ولم يتعرض المطرى ومَنْ تبعه لذكر هذا المسجد . وقد روى يحيى بن الحسن فى كتابه خبر ابن زبالة المذكور ، ورأيته فى النسخة التى رواها طاهر بن يحيى عن أبيه يحيى لفظ : دبر القرصة[1] ، ثم قال عقبة ما لفظه : قال لنا طاهر بن يحيى : هذا فى بنى حارثة ، وكانت القرصة[1] ضيعة ، وهى عند بيت سعد بن معاذ ، انتهى وهو مخالف لما تقدم عن ابن زبالة فى المنازل ، والله أعلم .

مسجد جهينة

ومنها : مسجد جهينة وبَلِى ، وروى ابن شبة عن معاذ بن عبد الله بن أبى مريم الجهنى وغيره أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد جُهَينة ، وعن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَل فى مسجد مما حَوَتْهُ المدينة إلا مسجد أبىّ ، ثم قال : ومسجد جهينة ، إلى آخر ما ذكره ، وعن جابر بن أسامة الجهنى قال : لقيتُ رسول الله صلى الله عليه سلم فى أصحابه بالسوق فقلت : أين تريدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : نخطُّ لقومك مسجداً ، فرجعت فإذا قومى قيام وإذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد خَطَّ لهم مسجدا وغَرَزَ فى القبلة خشبةً أقامها فيها ، وعنه أيضا قال : خَطَّ النبى صلى الله عليه وسلم مسجدَ جهينة لبلىّ . وروى ابن زبالة عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَّ المسجدَ الذى لجهينة ولمن هاجر من بَلِىّ ، ولم يصل فيه . وعن خارجة بن الحارث بن رافع بن مكيث الجهنى عن أبيه عن جده

---

(١) فى نسخة « القراصة » بزيادة ألف بعد الراء فى كل المواضع ، وانظر ص ٨٦٤ الآتية .

قال : جاء النبي صلى الله عليه وسلم يَعُودُ رجلا من أصحابه من جهينة من بنى الربعة يقال له أبو مريم ، فعاده بين منزل بنى قيس العطار الذى فيه الأراكة و بين منزلهم الآخر الذى يلى دار الأنصار ، فصلى فى ذلك المنزل ، قال : فقال نفر من جهينة لأبى مريم : لو لَحِقْتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألته أن يَخُطَّ لنا مسجدا ، فقال : احملونى ، فحملوه فلحق النبي صلى الله عليه وسلم فقال : مالك يا أبا مريم ؟ فقال : يا رسول الله لو خَطَطْتَ لقومى مسجدا ، قال : فجاء النبي صلى الله عليه وسلم مسجدَ جهينة ، وفيه خيام لبلىّ ، فأخذ ضلعا أو محجَنًا فخطَّ لهم ، قال : فالمنزل لبلىّ ، والخطة لجهينة .

قال الجمال المطرى : وهذه الناحية اليوم معروفة غربى حصن صاحب المدينة ، والسور القديم بينها و بين جبل سلع ، وعنده آثار باب من أبواب المدينة خراب ، ويعرف إلى تاريخه ـ وهو سنة أربعين وسبعمائة ـ بدرب جهينة ، والناحية من داخل السور بينه و بين حصن صاحب المدينة ، انتهى .

قلت : قوله « من داخل السور » إن أراد به السور الموجود اليوم فليس بصحيح ؛ لأن ما كان داخل هذا السور فيما بينه و بين حصن صاحب المدينة فهو من السوق كما تقدم بيانه ، ومنازل هؤلاء كانت فى غربى السوق قبلى ثنية عثعث المنسوبة إلى سليع ـ وهو الجبل الذى عليه حصن أمير المدينة و يمتد فى جهة المغرب إلى بنى سلمة ـ وإن أراد أن الناحية المذكورة من داخل السور القديم فصحيح ، غير أن الداخل فيه بعضها لا كلها .

مسجد بنى غفار

ومنها : المسجد الذى عند بيوت المطرف ، وهو المتقدم ذكره فى منازل بنى غفار .

روى ابن زبالة عن أنس بن عياض عن غير واحد من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى عند بيوت المطرف ، عند خيام بنى

غفار ، وأن تلك المنازل كانت منازل آل أبي رهم كُلْثُوم بن الحصين الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المطرى : وليست الناحية معروفة اليوم .

قلت : عرف مما تقدم في منازل بني غفار وفي دار السوق أنها في غربي سوق المدينة بالقرب من منزل جهينة الذي يلي ثنية عثعث من جهة القبلة .

مسجد بنى زريق

ومنها : مسجد بني زُرَيْق — بتقديم الزاى كزبير — من الخزرج .

روى ابن زبالة عن عمر بن حنظلة أن مسجد بني زريْق أول مسجد قرئ فيه القرآن ، وأن رافع بن مالك الزُّرَقى لما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعَقَبة أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت ، قال : فقدم به رافع المدينة ، ثم جمع قومَه فقرأه عليهم في موضعه ، وهو يومئذ كوم ، قال : وعجب النبي صلى الله عليه وسلم من اعتدال قبلته .

وعن مروان بن عثمان بن المعلى قال : أول مسجد قرئ فيه القرآن مسجد بني زُرَيْق .

وعن يحيى بن عبد الله بن رفاعة قال : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، وعَجِبَ من اعتدال قبلته ، ولم يصل فيه .

وروى ابن شبة عن معاذ بن رفاعة الزُّرَقى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخَـلَ في مسجد بني زريق ، وتوضأ فيه ، وعجب من قبلته ، ولم يصل فيه ، وكان أول مسجد قرئ فيه القرآن .

قلت : تقدم في المنازل أن محل قرية بني زريق في قبلة المصلى وما والاها في المشرق داخل السور وخارجه ، وتقدم في ذكر الدور المحيطة بالبلاط الممتدّ من باب المدينة المعروف بدرب سويقة إلى باب السلام ما يبين أن هذا المسجد كان في قبلة الدور التي عن يمين السالك من درب سويقة المذكور قريبا منه ، وهو

المذكور فى حديث السباق بين الخيل التى لم تضمر ، قال عياض : و بينه و بين ثنية الوداع مِيل أو نحوه .

قلت : و بين ثَنِيَّة الوَدَاع و بين الموضع الذى ذكرناه نحو الميل ، وهو قريب من جهة محاذاة ثنية الوداع فى جهة القبلة .

وقد حدث فى جهة قبلة المُصَلّى مما يلى المغرب مسجدان ، أحدثهما شمسُ الدين محمد بن أحمد السلاوى بعد الخمسين وثمانمائة : الأول منهما على شَفير وادى بطحان على عُدْوته الشرقية ، والثانى بعده فى جهة القبلة على رابية مرتفعة من الوادى أيضا فى غربيه فى مقابلة المطرية ، وكان موضعه فى تلك الرابية فكان يطبخ فيه الآجرّ ، و إنما نبهت على ذلك لئلا يتقادم العهد بهما فيظن أن أحدهما مسجد بنى زريق ؛ لكون ذلك بالناحية المذكورة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

مسجدان لبنى ساعدة

ومنها : مسجدان لبنى ساعدة من الخزرج ، وسقيفتهم .

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى ساعدة ، وجلس فى سقيفتهم القصوى . وعن العباس بن سَهْل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى ساعدة فى جوف المدينة . وعن سعد بن إسحاق بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى ساعدة الخارج من بيوت المدينة . وعن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَسَ فى سَقِيفة بنى ساعدة القُصْوى . وعن عبد المنعم بن عباس عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَسَ فى السَّقِيفة التى فى بنى ساعدة ، وسقاه سهل بن سعد فى قَدَح .

وروى ابن زبالة حديثَ سهل بن سعد المتقدم ، ثم روى عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سقيفته التى عند المسجد ، ثم استسقانى فخُضْتُ له وَطبة ، فشرب ثم قال : زدنى ، فخُضْتُ له أخرى فشرب ، ثم قال : كانت الأولى أطْيَبَ من الآخرة ، فقلت : هما يا رسول الله من شئ واحد .

قوله « لخضت له » كذا هو فى نسخة ابن زبالة . ورواه المطرى كذلك ، وكذا كان فى خط الزين المراغى ، ثم رأيته مصلحا « فمخضت له » وكأن الذى ألحق الميم أخذ ذلك من كون الوَطْب سِقَاء اللبن ؛ فالمناسب له المخض ، ولا مانع من إطلاق الخَوْضِ على المخض .

وقد تلخص من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجدَىْ بنى ساعدة ، وجلس فى سقيفتهم ، والجلوس فى سقيفتهم مذكور فى الصحيح ، وهى السقيفة التى وقعت بَيْعَةُ أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيها ، والظاهر أنها كانت عند دار سعد بن عبادة ، ويدل على ذلك ما فى الصحيح من حديث الجوينية — وهى العائذة — من حديث سهل بن سعد حيث ذكر دخول النبى صلى الله عليه وسلم عليها ، وخروجه من عندها ، ثم قال : فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ حتى جلس فى سقيفة بنى ساعدة هو وأصحابه ، ثم قال : اسْقِنَا ياسهلُ ، فخرجْتُ لهم بهذا القَدَح فسقيتهم فيه ، الحديثَ . فطلبه صلى الله عليه وسلم من سهل بن سعد أن يسقيه وقد جلس فى سقيفتهم دالّ على قُرْب منزله منها ، ويدل لذلك أيضا اجتماعُ الأنصار بها عند سَعْد رضى الله تعالى عنه يوم السقيفة ، وكان سعد مريضا ، وقد أسلفنا فى منازل بنى ساعدة أنهم افترقوا فى أربعة منازل ؛ فمنزلهم الأول فى شرقى سوق المدينة وفيه بئر بُضاعة هو المراد بحديث الصلاة فى مسجدهم الذى فى جوف المدينة .

وأما مسجدُهم الخارج عن بيوت المدينة فيظهر أنه فى منزلهم الرابع ، وأنه فى شامى ذباب الجبل الذى عليه مسجد الراية ؛ لما سيأتى فى ترجمة الشوط من أن فى رواية لابن سعد أن الجوينية أنزلت بالشوط من وراء ذباب فى أطم . وفى رواية أخرى « فنزلت فى أجم بنى ساعدة » .

سقيفة بنى ساعدة

وأما سقيفة بنى ساعدة فيظهر أنها فى منزلهم الثالث ، وهو منزل بنى أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف ؛ لأنهم رَهْطُ سعد ، ولأن جِرَاره التى كان يسقى

فيها المـاء بعد وفاة أمه كانت لهـا ، وهو قريب من منزلهم الرابع ، كما يؤخذ مما قدمناه فى المنازل ، وذلك فى شامى سوق المدينة قرب ذباب .

وقد ترجّح عندى الآن خَطَأ ما قدمته هناك من احتمال أن تكون جرار سعد عند الموضع المعروف اليوم بسقيفة بنى ساعدة قرب مقعد الأشراف الوحاحدة من سويقة . وقد قدمنا قول المطرى إن قرية بنى ساعدة عند بئر بُضَاعة ، والبئر وسط بيوتهم ، قال : وشمالى البئر اليوم إلى جهة المغرب بقية أطم من آطام المدينة نقل أنه فى دار أبى دجانة الصغرى التى عند بئر بضاعة ، وأبو دجانة من بنى ساعدة ، ذكر ذلك فى بيان مسجد بنى ساعدة وسقيفتهم مقتصرا على مسجد واحد ، وقال : إنه مسجد بنى ساعدة رهط سعد بن عبادة ، وليس ما ذكره منزل رهط سعد ؛ لمـا قدمناه .

وأغرب رزين العبدرى فزعَم أن سقيفة بنى ساعدة معروفة بقباء ، وهو وهم

وروى ابن زبالة عن هند ابنة زياد زوجة سهل بن سعد الساعدى قالت : لمـا دخلتُ على سهل رأيت المسجد فى وسط البيت فقلت : ألا إلى العريش أو إلى الجدار ، فقال : إن النبى صلى الله عليه وسلم جلس ههنا ، وهو البيت الذى صار لابن حمران .

مسجد بنى خدارة

ومنها : مسجد بنى خدارة إخوة بنى خدرة من الخزرج .

روى ابن شبة عن شيخ من الأنصار أن النبى صـلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خدارة ، وحلق رأسه فيه . وعن هشام بن عُرْوَة أنه صلى الله عليه وسلم صَلَّى به . وعن عمرو بن شرحبيل أن النبى صلى الله عليه وسـلم وضَع يدَه على الحجر الذى فى أجم سعد بن عبادة عند جرّار سعد ، وصَلَّى فى مسجد بنى خدارة

قلت : قد تقدم ذكرُ جِرار سعد فى منزل بنى ساعدة الثالث ، وبيان أنها كانت حَدَّ سوقِ المدينة من جهة الشام قرب ثنية الوداع ، وأن منازل بنى خدارة كانت بجرار سعد .

وقال المطرى : هذه الدار قبلى دار بنى ساعدة وبئر بُضَاعة مما يلى سوق المدينة .

وإذا تأملت ما قدمناه فى منازل بنى ساعدة علمتَ أن هذه هى دارهم الثالثة التى بها رَهْط سعد ، وعندها السقيفة ، وليس بها لبنى ساعدة مسجد ، وينبغى أن لا يغفل عما قدمناه من حدوث مسجد فى منزلة الحاج الشامى قبليّ المنهل الذى عند مشهد النفس الزكية ، أنشأه قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى هناك؛ فلا يتوهّم أنه أحدُ هذه المساجد ، والله أعلم .

مسجد راتج

ومنها : مسجد راتج ؛ لم يتعرض المطرى ومن تبعه لذكره .

وقد روى ابن شبة عن خالد بن رياح أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد راتج ، وشرب من جاسوم[1] ، وهى بئر هناك .

وروى ابن زبالة صلاتَه صلى الله عليه وسلم فى مسجد راتج عن خالد بن رباح عن رجل من بنى حارثة . وسيأتى أن جاسوم[1] بئر أبى الهيثم بن التيهان ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى حائطه . وراتج تقدم فى المنازل أنه أطم سميت به الناحية ، وأن بنى الشطية كانوا إحدى قبائل راتج الثلاث ، وأن ممن كان به بنى زَعُورَاء إخوة بنى عبد الأشهل ومنهم أبو الهيثم بن التّيهان ؛ ولهذا نقل الأقشهرى عن المحب الطبرى أنه ذكر المساجد التى كانوا يصلون فيها بأذان بلال فقال : ومسجد بنى راتج من بنى عبد الأشهل .

قلت : وصواب العبارة « مسجد راتج » وقد سبق ذكر راتج أيضاً فى منازل مزينة من المهاجرين حيث قال فيها : ونزلت بنو ذكْوَان من بنى سليم مع أهل راتج من اليهود ما بين دار قدامة إلى دار حسن بن زيد بالجبانة . وسيأتى ذكر الجبانة فى ترجمة ذباب . وسيأتى لراتج ذكر فى ترجمة الخندق ، ومنه يؤخذ أنه كان فى شرقى ذباب الذى عليه مسجد الراية جانحاً إلى جهة الشام ، وبعده فى المشرق منزل بنى عبد الأشهل .

---

(١) فى نسخة « جاسم » .

وقال المطرى : إن فى غربى وادى بطحان من جهة مساجد الفتح جبلين صغيرين : أحدهما يقال له راتج ، ويقال للذى إلى جنبه جبل أبى عبيد .

قلت : وإن صَحّ ما ذكره فليس هو المراد هنا ؛ لأن تلك الجهة ليست فى منازل بنى عبد الأشهل وإخوتهم المذكورين . والذى صرح به ابن زبالة وغيره أنه اسمُ أطُم كما قدمناه ، فهو المعتمد والله أعلم .

مسجد واقم

ومنها : مسجد بنى عبد الأشهل من الأوس ، ويقال له مسجد واقم .

روى أبو داود والنسائى عن كعب بن عجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بنى عبد الأشهل فصَلّى فيه المغربَ ، فلما قضوا صلاتهم رآهم يسجدون[1] بعدها ، فقال : هذه صلاة البيوت ، وإسناده جيد ، إلا أن فيه إسحاق بن كعب ابن عجرة مجهول الحال .

وروى ابن شبة عن محمود بن لبيد قال : صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب فى مسجد بنى عبد الأشهل ، فلما فرغ من صلاته قال : صَلّوا هاتين الركعتين فى بيوتكم ، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة ، وجُلُّ روايته عن الصحابة ، وفى إسناده عَنْعنة ابن إسحاق ، ورواه أحمد برجال ثقات ، ولفظه : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجدنا فصَلّى بنا المغرب ، فلما سلّم منها قال : اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم ، للسبحة بعد المغرب ، ورواه ابن ماجه عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج قال : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عبد الأشهل ، فصلّى بنا المغرب فى المسجد ، الحديثَ ، وفى إسناده متروك

وروى ابن شبة وابن ماجه عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: جاءنا النبى صلى الله عليه وسلم فصَلّى بنا فى بنى عبد الأشهل ، فرأيته واضعاً يديه على ثوبه إذا سجد : وعبد الله بن عبد الرحمن ليست له صحبة ، قال الذهبى : وصوابه عن أبيه عن جده. وقد روى ابن ماجه عقبه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ثابت بن الصامت

---

(١) فى نسخة « يسبحون بعدها » والمراد على كل حال باللفظين يصلون .

عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى بنى عبد الأشهل ، وعليه كساء مُلْتَفٌ به يَضَعُ يديه عليه يَقِيهِ برد الحصى .

ورواه ابن شبة بنحوه ، وفى إسناد كل منهما ضعيف .

وروى ابن شبة عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبى حبيبة — وهو ضعيف — عن أبيه مُعْضَلا قال : صَلّى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد واقم فى بنى عبد الأشهل وعليه بَرْ نَكَان[1] لم يفض بيديه من البَرْ نكَان إلى الأرض .

وعن أم عامر أنها رأت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل أتى بعرق فتعرّقه ، ثم صلى ولم يمسّ ماء .

ورواه ابن زبالة إلا أنه قال : إنها قالت : أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعرق فتعرقه وهو فى مسجد بنى عبد الأشهل ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .

وروى يحيى عن بكر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر قال : قالوا : كان بالمدينة تسعةُ مساجدَ يسمعون فيها مؤذن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فيصلون فى مساجدهم ، ولا يأتون مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، إلا يوم الجمعة فإنهم كانوايجمعون فيه ، وربما خَرَجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الظهر إلى مسجد بنى عبدالأشهل فيصلى العصر والمغرب فى مسجد بنى عبدالأشهل ، ولم تكن دار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر لها غِشْيَانا من دار بنى عبد الأشهل قبل وفاة سعد بن معاذ و بعد وفاته .

قلت : والأخبار فى الصلاة فى هذا المسجد كثيرة ، وهو غير معروف اليوم ، وتقدم أن المطرى قال : إن دار بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظَفَر مع طرف الحرة الشرقية المعروفة بحَرَّة واقم ، وكأنه أخَذَه من قول يحيى فى مسجد بنى ظفر : إنه دون مسجد بنى الأشهل ، ولا دَلالة فى ذلك على ما قاله ، والصواب

---

(١) هو كزعفران : ضرب من الأكسية اهـ من هامش الأصل

ما قدمناه فى منازلهم من أنها كانت فى شامى بنى ظفر بالحرَّةِ المذكورة وما والاها بين بنى ظفر و بنى حارثة ، وسيأتى فى ترجمة الخندق ما يصرح بذلك . ويؤيده ما سيأتى فى مسجد القرصة من أنها ضيعة لسعد بن معاذ ، والقرصة معروفة اليوم بالجهة التى ذكرناها . و بنو عبد الأشهل هم رهط سَعْد بن مُعَاذ وأسيد بن حضير ، وقد رأيت قرب القرصة آثار منازل كثيرة الظاهرُ أنها منازلهم ، ويؤيده أن فيما نقله الواقدى عن كتاب مسرف بن عقبة إلى يزيد بعد مَقْتَلة الحرَّة «إنى فرقْتُ أصحابى على أفواه خنادقهم ؛ فوليت الحصين بن نمر ناحية ذباب وما والاها ، ووجهت حبيش بن دلجة إلى ناحية بقيع الغَرْقد ، وكنت ومَنْ معى من قواد أمير المؤمنين فى وجه بنى حارثة ، فأدخلنا عليهم الخيل حين ارتفع النهار من ناحية بنى عبد الأشهل ، فما صليت الظهر إلا فى مسجدهم ، و إنا أوقعنا بهم السيوف فقتلنا مَنْ أشْرَفَ لنا منهم، وتبعنا مُدْبِرَهم، وأجْهَزْنَا على جريحهم، وانتهبناها ثلاثاً » انتهى .

وقد تقدم فى الفصل الخامس عشر من الباب الثانى أن بعض بنى حارثة فتح لأهل الشام طريقاً من قبلهم ، وأنهم أتوا من قبل بنى حارثة . ونقل الواقدىُّ أن أول ما انتهبت والحربُ بعد لم تنقطع دار بنى عبد الأشهل ، أى لأنها التى كانت تليهم بعد الدخول من بنى حارثة ، والله أعلم .

مسجد القرصة

ومنها : مسجد القرصة — روى رزين عن يحيى بن قتادة عن مشيخة قومه أن النبى صلى الله عليه وسلم كاَنَ يأتى دُورَ الأنصار فيصلى فى مساجدهم ، فصلى فى مسجد القرصة ، والقرصة : ضَيْعة لسعد بن معاذ ، قال الزين المراغى : فلعلها القرصة المعروفة اليوم بطرف الحرة الشرقية من جهة الشمال ؛ لأنها قريبة من منازل بنى عبد الأشهل رهط سعد ، غير أن المسجد لا يعرف فيها اليوم .

قلت : رأيت بها قرب البئر على رابية أثرَ مسجدٍ ، والله أعلم .

مسجد بنى حارثة

ومنها : مسجد بنى حارثة من الأوس . روى ابن شبة عن الحارث بن سعد ابن عبيد الحارثى أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجدِ بنى حارثة .

وروى ابن ز بالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى حارثةَ ، وقضى فيه فى شأن عبد الرحمن بن سهل ، يعنى المقتول بخيبر ، أخى عبد الله بن سهل أبنى عم حُوَيصة ومُحَيصة .

وتقدم فى المنازل أن بنى حارثة تحوّلوا قبل الإسلام من دار بنى عبد الأشهل إلى دارهم فى سَنَد الحرّة التى بها الشيخان شامىّ بنى عبد الأشهل ، خلاف ما ذكره المطرى من أن منازلهم بيثرب .

مسجد الشيخين (البدائع)

ومنها : مسجد الشيخين ، و يقال له « مسجد البدائع » .

روى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى عند الشيخين ، و بات فيه ، وصلى فيه الصبح يوم أحُدٍ ، ثم غدا منه إلى أحد .

وعن ابن عباس عن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى المسجد الذى عند البدائع عند الشيخين ، و بات فيه حتى أصبح ، والشيخان : أطمان .

وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت:أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد البدائع بشِوَاء ، فأكله ، ثم بات حتى غدا إلى أحد .

وروى ابن زَبَالة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى المسجد الذى عند الشيخين ، وأنه غَدَل من ثمّ يوم أحُدٍ إلى أحد .

ورواه يحيى من طريق ابن ز بالة ، قال ابنه طاهر بن يحيى عقبه : و يعرف اليوم بمسجد العدوة .

وروى يحيى أيضاً عن محمد بن طَلْحة قال : المسجدُ الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة حين راح أى إلى أحد من هٰهنا هو المسجد الذى على يمينك إذا أردت قناة ، أى وادى الشطاة ، صلى فيه النبىُّ صلى الله عليه وسلم

العَصْرَ والعشاء والصبح ، ثم غدا إلى أُحُـــدٍ يوم السبت .

وسيأتى فى الشيخين قولُ المطرى : إنه موضعٌ بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحَرّة إلى جبل أحد . وتقدم قول ابن زبالة : وكان لبعض مَنْ هناك من اليهود الأُطمان اللذان يقال لهما الشيخان بفَضَاهما المسجدُ الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد .

مسجد بنى دينار

ومنها : مسجد بنى دينار بن النجار من الخزرج — روى ابن شبة عن يحيى بن النضر الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى دينار ، وعن عبد الله بن عقبة بن عبد الملك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان كثيراً ما يُصَلِّى فى مسجد بنى دينار عند الغسالين .

وروى ابن زبالة عن أيوب بن صالح الدينارى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه تزوّجَ امرأة منهم ، فاشتكى ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يَعُوده ، فكلَّموه أن يُصَلى لهم فى مكانٍ يصلون فيه ، فصلى فى المسجد الذى ببنى دينار عند الغسالين .

وتقدم فى المنازل عن المطرى أن دارهم بين دار بنى جديلة التى عند بير حاء و بين دار بنى معاوية أهل مسجد الإجابة ، وأن ابن زبالة صرح بخلافه ، حيث قال : نزلوا دارهم التى خلف بطحان الذى فى شقه الغربى مما يلى الحرة .

قلت : ويؤيده ما سيأتى فى الخندق ، أنهم خَنْدَقُوا من مسجد القبلتين إلى دار ابن أبى الجنوب بالحرة ، وذلك لأن منازلهم فى تلك الجهة ، ولأن ابن زبالة قال : إن بنى سواد من بنى سلمة نزلوا عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد الدينارى ، وسيأتى أن نَقْبَ بنى دينار هو طريق العقيق بالحرة الغربية ، وبه السقيا كما قال الواقدى ، فإنما كانوا بالحرة الغربية ، وقد سمى الأسدى مسجدهم بمسجد الغسالين ؛ لما تقدم من أنه كان عند الغسالين .

وفى غربى وادى بطحان بالحرة موضع يعرف اليوم بالمغسلة[1] ، قال المجد : كان يغسل فيها ، قال : وهى اليوم حديقة كثيرة النخيل من أقرب الحدائق إلى المدينة ، انتهى . فلعل ذلك فى موضع منازلهم .

وقد رأيت هناك حجراً عليه كتابة كوفية فيها ما لفظه : مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنده آثار يظهر أنها من آثار المسجد ، وقد بنى صاحب المغسلة هناك مسجداً فى تلك الآثار ، وجعل الحجَرَ فيه .

مسجد بنى عدى،ومسجد دار النابغة

ومنها : مسجد بنى عدى بن النجار ، ومسجد دار النابغة فى بنى عدى أيضاً — روى ابن شبة عن يحيى بن عمارة المازنى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى دار النابغة ، واغتسل فى مسجد بنى عدى .

وعن يحيى بن النضر أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد دار النابغة ومسجد بنى عدى .

وعن هشام بن عُرْوَة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى عدى وفى بيت صرمة فى بنى عدى .

ورواه ابن زبالة عنه بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد دار النابغة وفى مسجد بنى عدى .

وتقدم عن المطرى أن منازل بنى عدى غربى المسجد النبوى ، ولم أر لغيره ما يوافقه ولا ما يخالفه ، إلا أن النضر والد أنسٍ خادمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم .

وسيأتى فى بئره ما يبين أن داره كانت شامى المسجد النبوى عند بنى جديلة .

ودار النابغة : هى المرادة بما رواه ابن شبة عن أبى زيد النجارى قال : قبرَ عبد الله بن عبد المطلب ــ يعنى والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فى دار النابغة قال عبد العزيز : ووصَفَه لى محمد بن عبد الله بن كريم فقال : تحت عتبة البيت الثانى على يَسَار من دخل دار النابغة .

---

(١) المغسلة : موضع باق إلى اليوم معروف بهذا الاسم (حسب الله) .

وقال ابن عبد البر : توفى عبدُ الله والدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقبرُه بها فى دار من دور عدى بن النجار ، قال ابن الجوزى : هى دار النابغة .

مسجد بنى مازن

ومنها : مسجد بنى مازن بن النجار — روى ابن زبالة عن يعقوب بن محمد أن النبى صلى الله عليه وسلم خَطَّ مسجدَ بنى مازن ولم يُصَلِّ فيه .

وفى رواية عنه : وَضَعَ مسجد بنى مازن بيده ، وصَلّى فى بيت أم بردة فى بنى مازن .

قلت : أم بردة هذه هى مرضعة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفى عندها ، وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاته فى بيتها ، وظاهر ما سيأتى فى بقيع الزبير من قول ابن شبة فى بعض دوره على يَسَارِكَ إذا أردت بنى مازن ، وكذا ما قدمناه عنه فى منازل مزينة ومن حل معها أن منازل بنى مازن قرب منازل بنى زريق مما يلى القبلة والمشرق ؛ لأنه قال بعد ذكر منازل بنى زريق مالفظه : إلى أن يلقى بنى مازن بن عدى بن النجار ، لكن قوله ابن عدى خطأ فى النسخة لأن مازنا هو ابن النجار نفسه ، وعدى أخوه .

وتقدم عن المطرى أن منازل بنى مازن قبلى بئر البصة فى الناحية المسماة اليوم بأبى مازن[1] ، قال : وكان إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم مسترضَعًا فيها عند امرأة أبى سيف العين .

مسجد بنى عمرو

ومنها: مسجد بنى عمرو بن مبذول بن مالك بن النجار — روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى عمرو بن مبذول.

وروى ابن شبة عن يحيى بن النضر نحوه ، ولم يذكر المطرى ومن تبعه هذا المسجد ، ولم يعد بنى مبذول فى بطون بنى النجار .

وتقدم فى المنازل أن منزلهم كان عند بقيع الزبير ؛ فتؤخذ جهته من المسجد بعده .

---

(١) أبو مازن لايعرف اليوم وهناك بئر تسمى زيانة لعله هو (حسب الله)

مسجد بقيع الزبير

ومنها : مسجد بقيع الزبير[1] — روى ابن زبالة عن عطاء بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم صَلى الضحى فى بقيع الزبير ركعتين ، فقال له أصحابه : إن هذه الصلاة ما كنت تصليها ، قال : إنها صلاة رَغَب ورَهَب فلا تَدَعُوها .

وسيأتى فى بقيع الزبير أنه فى شرقى بنى زريق ، مُجاور لدور بنى غنم إلى جانب البقال .

مسجد صدقة الزبير

ومنها : مسجد صدقة الزبير ببنى محمم — روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد الذى وضعه الزبير فى بنى محمم .

ورواه ابن شبة عنه بلفظ : فى صدقة الزبير فى بنى محمم .

قلت : وذلك بالجزع المعروف بالزبيريات ، غربى مَشْرَُبة أم إبراهيم ، وقبلتها بقرب خنافة والأعواف ، وهما من أموال بنى محمم .

وقال الشافعى رحمه الله : وصدقة النبي صلى الله عليه وسلم قائمة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها .

ونقل ابن شبة عن أبى غسان أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبيرَ مالَه الذى يقال له بنو محمم من أموال بنى النضير ، فابتاع إليه الزبير أشياء من أموال بنى محمم ، فتصدق بها على ولده .

وفى سنن أبى داود عن أسماء بنت أبى بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبير نخلا .

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ الزبير حُضْرَ فرسِهِ ، فأجرى فرسه حتى قام ، ثم رمى سوطه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أعْطوه حيث بلغ السوط .

وفى الصحيح قصة الرجل الذى نازع الزبير فى السقى بشراج الحرة ، وسنبين أنها حرة بنى قريظة .

وروى الطبرانى أن ذلك الرجل من بنى أمية بن زيد ، ومنازلهم وأموالهم عند هذه الحرة .

---

(١) لعله داخل الرستمية (حسب الله) .

وفى حديث أسماء فى قصة حملها النوى من أرض الزبير أنها كانت على ميلين من المدينة ، وكله مؤيد لسكونها الموضع المعروف اليوم بالزبيريات .

ويؤيده أيضاً أن كثيراً منها بأيدى جماعة من ذرية الزبير بن العوام يعرفون اليوم بالكماة .

مسجد بنى خدرة

ومنها : مسجد بنى خُدْرة إخوة بنى خدارة من الخزرج — روى ابن زبالة عن هشام بن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد بنى خُدْرة .

وعن يعقوب بن محمد بن أبى صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى فى بعض منازل بنى خُدْرة ؛ فهو المسجد الصغير الذى فى بنى خُدْرة مقابل بيت الحية .

وروى ابن شبة عن ربيع بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى بيتٍ إلى جنب مسجد بنى خُدْرة .

وروى هو وابن زبالة عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يُصَلِ فى مسجد بنى خُدْرة .

وتقدم فى المنازل أن بنى خدرة ابتنوا بدارهم أطماً يقال له الأجرد ، ويقال لبئره البصة ، كان لجد أبى سعيد الخدرى ، قال المطرى : وبعضُه باقٍ إلى اليوم

قلت : وهو الذى ابتَنَى عليه الزكوى بن صالح المنزلَ الذى عند بئر البصة التى اتخذ لها الدرجة الآتى ذكرها

وقوله فى رواية ابن زبالة « مقابل بيت الحية » كأنه يشير إلى البيت الذى اتفقت به قصة الحية المذكورة فى صحيح مسلم عن أبى السائب أنه دخل على أبى سعيد الخُدْرى فى بيته ، قال : فوجدته يُصَلى ، فجلست أنتظره حتى يقضى صلاته ، فسمعت تحريكا فى عراجينَ فى ناحيةِ البيت ، فالتفتّ فإذا هى حية ، فوثبت لأقتلها، فأشار إلىّ أن أجلس،فجلست، فلما انصرف أشار إلى بيت فى الدار

فقال : أترى إلى هذا البيت ؟ فقلت : نعم ، قال : كان فتًى منا حديث عهد بعُرْس ، قال : فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق ؛ فكان ذلك الفتى يستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأنصاف النهار فيرجع إلى أهله ، فاستأذنه يوما ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خُذْ عليك سلاحَكَ فإنى أخشى عليك قريظة ، فأخذ الرجلُ سلاحَه ثم رجع ، فإذا امرأته بين البابين قائمة فأهوَى إليها الرمح ليطعنها به ، وأصابته غيرة ، فقالت له : اكْفُفْ عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظرَ ما الذى أخرجنى ، فدخل فإذا بحية عظيمة مُنْطَوية على الفرش ، فأهوى إليها بالرمح فانتظمها ، ثم خرج فركزه فى الدار ، فاضطربت عليه فما يدرى أيهما كان أسْرَعَ موتا الحية أم الفتى ، قال : فجئنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له ، وقلنا : ادع الله يُحْيِه لنا ، فقال : استغفروا لصاحبكم ، ثم قال : إن بالمدينة جِنًّا قد أسلموا ، فإذا رأيتم منهم شيئاً فآذنوه ثلاثة أيام ، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فإنما هو شيطان .

مسجد بنى الحارث ومسجد السنح

ومنها : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ، ومسجد السنح — روى ابن شبة عن هشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خدارة وبالحبلى وبالحارث بن الخزرج ومسجد السنح ، ورواه ابن زبالة بلفظ : مسجد بنى الحارث بن الخزرج ومسجد السنح .

قلت : تقدم أن منازل بنى الحارث شرقى بطحان وتربة صعيب ، ويعرف اليوم بالحارث بإسقاط بنى ، وبالقرب منه السنح ، كان على ميل من المسجد النبوى ، وهو منازل جُشَم وزيد ابنى الحارث بن الخزرج ، وبه منزل أبى بكر رضى الله تعالى عنه بزوجته بنت خارجة .

مسجد بنى الحبلى

ومنها : مسجد بنى الحبلى رهط عبد الله بن أُبَىٍّ بن سَلولَ من الخزرج — روى ابن زبالة وابن شبة عن هشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى الحُبلَى . ورواه ابن شبة أيضاً عن سعد بن إسحاق بن كعب .

وتقدم عن المطرى أن دارهم بين قباء وبين دار بنى الحارث التى فى شرقى بطحان ، مع ماقاله ابن حزم فى منازلهم فراجعه .

مسجد بنى بياضة

ومنها : مسجد بنى بَيَاضة من الخزرج ــ روى ابن شبة ويحيى عن سعيد ابن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد بنى بياضة . وروى ابن زبالة عنه نحوه ، وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كنت أُخْرِجُ أقود أبى بعد أن عمى إلى المسجد يوم الجمعة ، قال : فيسمع الأذان بالطريق ، فإذا سمعه قال : يرحمُ الله أسعد بن زرارة ، كان أول مَنْ جَمَّع بنا بهذه القرية ، ونحن يومئذ أربعون فى هزمة من حرة بنى بياضة .

وتقدم فى الفصل الثامن من الباب الثالث نحوه من رواية أبى داود .

وروى ابن زبالة أيضاً عن ربيعة بن عثمان أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى الحرة فى الرحابة .

وتقدم فى منازل بنى بياضة أن الرحابة مزرعة فى شاميها أطمُهم المسمى بعقرب ، وكانت لآل عاصم بن عطية بن عامر بن بياضة .

وذكر ابن زبالة أُطماً آخر كان بين المزرعتين الرحابة والحيرة .

وتقدم أيضا أن دار بنى بياضة شامى دار بنى سالم أهل مسجد الجمعة إلى وادى بطحان قبلى دار بنى مازن بن النجار ، ممتدة فى تلك الحرة وبعضها فى السبخة .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبد الله بن سعد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقعت هذه الليلة رحمة ؟ فيما بين بنى سالم و بنى بياضة ، فقالت بنو سالم و بنو بياضة : أننتقل إليها ؟ قال: لا ، ولكن اقبروا فيها

مسجد بنى خطمة

ومنها : مسجد بنى خطمة من الأوس ، ومسجد العجوز .

روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل وهشام بن عروة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد بنى خطمة .

ورواه ابن شبة عن هشام وعبد الله بن الحارث، وروى أيضا عن مسلمة بن عبيد الله الخطمى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد العجوز فى بنى خطمة عند القبر، ومسجد العجوز الذى عند قبر البراء بن معرور ، وكان ممن شهد العقبة ، فتوفى قبل الهجرة ، وأوصى للنبى صلى الله عليه وسلم بثلث ماله ، وأمر بقبره أن يستقبل به الكعبة .

وروى ابن زبالة عن أفلح بن سعيد وغيره من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد العجوز ببنى خطمة ، وهى امرأة من بنى سليم ثم من بنى ظفر بن الحارث .

وسيأتى فى الآبار عن عبد الله بن الحارث أن النبى صلى الله عليه وسلم توضأ من ذرع بئر بنى خطمة التى بفناء مسجدهم ، وصلى فى مسجدهم .

وتقدم عن المطرى أن الأظهر عنده أن منازلهم فى شرقى مسجد الشمس بالعوالى ، وأن الأظهر عندنا أنهم كانوا بقرب الماجشونية ؛ لقول ابن شبة فى سيل بطحان: إنه يَصُبُّ فى جفاف ، ويمر فيه حتى يُفْضى إلى فضاء بنى خطمة والأغرس، وقوله فى مذينب : إنه يلتقى هو وسيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة ، وسيأتى أن ذلك عند تنور النورة الذى فى شامى الماجشونية، وقد رأيت آثار القرية والآطام هناك

مسجد بنى أمية الأوسى

ومنها : مسجد بنى أمية بن زيد من الأوس — روى ابن شبة عن عمر بن قَتَادة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّىَّ فى مسجد لهم فى بنى أمية من الأنصار ، وكان فى موضع الكبا بين الخربتان عند مال نهيك ، وعن محمد بن عبدالرحمن بن وائل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى تلك الخربة ، وكان قريبا من مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم يسلم هناك أجم ، فانهدم ، فسقط على المكان الذى فيه ، فترك وطُرح عليه الترابُ حتى صار كباء .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلَّى فى بنى أمية فى موضع الكباء عند مال نهيك بن أبى نهيك .

قال المطرى: ودارهم شرقى دار بنى الحارث بن الخزرج، وفيهم كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نازلا بامرأته الأنصارية حين كان يتناوب النزولَ إلى المدينة هو وجاره من الأنصار .

قلت : الذى يتحرر مما سبق فى المنازل أنهم كانوا قرب النواعم وبئر العهن، وهى من أموالهم كما سنبينه فى الآبار ، ويمر سيل مذينب من بيوتهم ثم يسقى الأموال . وبالحرة الشرقية قريبا من الموضع المذكور آثار قرية يمر بها سيل مذينب الظاهر أنها قريتهم . ويشهد لذلك أن ابن إسحاق ذكر فى مقتل كعب ابن الأشرف ـ وكان فى بنى النضير ـ أن محمد بن مسلمة ومن معه انتهوا إلى حصنه فى ليلة مُقْمرة فهتَفَ به أبو نائلة ، ثم ذكر قتله ، وأن محمد بن مسلمة قال: فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بُعاث حتى أسْنَدْنا فى حرة العريض .

مسجد بنى وائل الأوسى

ومنها : مسجد بنى وائل من الأوس ـ روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى وائل .

وروى ابن شبة عن سلمة بن عبد الله الخطمى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلَّى فى بيت القعدة عند مسجد بنى وائل ، وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلى فى مسجد بنى وائل بين العمودين المقدمين خلف الإمام بخمسة أذرع أو نحوها ، قال : وضربنا ثَمَّ وَتِدًا .

قال المطرى : والظاهر أن منازلهم كانت فى شرقى مسجد الشمس .

قلت : الظاهر أنها بقباء ، وأن هذا المسجد هو المراد بقول ابن النجار : إن بالمدينة عدة مساجد خراب فيها المحاريب و بقايا الأساطين وتنقض وتؤخذ حجارتها فيعمر بها الدور: أحدها مسجد بقباء قريب من مسجد الضِّرار فيه أسطوان قائمة، انتهى؛ فكأنه فيما بين زمان المطرى وزمانه نقضت بقيته بحيث لم يدرك له المطرى أثرا .

مسجد بنى واقف

ومنها : مسجد بنى واقف من الأوس ـ روى ابن زبالة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد بنى واقف . قال المطرى وتبعه

فمن بعده حتى المجد : مسجدُ بنى واقف موضع بالعوالى ، كانت فيه منازل بنى واقف من الأوس رهط هلال بن أمية الواقفى أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم فى تخلفهم عن غزوة تَبُوك ، ولا يعرف مكان دارهم اليوم ، إلاّ أنها بالعَوَالى

قلت : لادار أعرف من دارهم ؛ لما تقدم فى المنازل من أنهم نزلوا عندمسجد الفضيخ ، وابتنوا أطما كان موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ ، وهذا من فوائد الاعتناء بذكر المنازل ، والمطرى لم يعتن بها ، لكن العجب من المجد فإنه ذكر ما قدمناه فى المنازل ، ثم قلد المطرى عند ذكر المساجد .

مسجد بنى أنيف

ومنها: مسجد بنى أُنيف، تصغير أَنف حى من بَلِى، ويقال: إنهم بقية من العماليق كما تقدم فى منازل اليهود ، وبينا فى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس أنهم كانوا حُلفاء لهم . وروى ابن زبالة عن عاصم بن سويد عن أبيه قال : سمعت مشيخة بنى أنيف يقولون : صَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يعود طلحة بن البراء قريبا من أُطمِهم ، قال عاصم: قال أبى : فأدركتهم يَرُشُّونَ ذلك المكان و يتعاهدونه ثم بنوه بعد ؛ فهو مسجد بنى أنيف بقباء .

قلت : طلحة بن البراء منهم . وقال المتكلمون فى أسماء الصحابة : إنه من بلىّ وكان حليفا للأوس ، وذلك هو السبب كما قدمناه فيما وقع للمطرى ومَنْ تبعه من أن بنى أنيف بطن من الأوس ، قال : ودارهم بين بنى عمرو بن عوف بقباء و بين العصبة .

قلت : المعتمد ما قدمناه ، ودارهم بقباء عند المال المعروف اليوم بالقائم فى جهة قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، وعند بئر عذق كما سبق .

مسجد دار سعد ابن خيثمة

ومنها : مسجد دار سعد بن خيثمة بقباء ــ ذكر ابن زبالة ــ فيما نقله المطرى أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى المسجد الذى فى دار سعد بن خيثمة رضى الله تعالى عنه بقباء ، وجلس فيه ، قال المطرى : وبيت سعد بن خَيثمة أحد الدور التى قبلى مسجد قباء ، يدخلها الناس إذا زاروا مسجد قباء ويصلون فيها .

وهناك أيضا دار كلثوم بن الهدم ، وفى تلك العَرصة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا قبل خروجه إلى المدينة ، وكذلك أهله صلى الله عليه وسلم وأهل أبى بكر رضى الله تعالى عنه حين قدم بهم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بعد خروج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وهن : سَوْدة ، وعائشة ، وأمُّهَا ، وأختها أسماء ، وهى حامل بعبد الله بن الزبير ، فولدته بقباء قبل نزولهم المدينة ، فكان أول مولود ولد من المهاجرين بالمدينة ، انتهى .

قلت : وفى قوله « إن عليا قدم ومعه من ذكر » نظر؛ فقد قدمنا أن علياً رضى الله تعالى عنه لحق النبى صلى الله عليه وسلم بقباء ، وأنه صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة بعد ذلك فقدما عليه بأهله ، وخرج معهم عبد الله ابن أبى بكر بعيال أبى بكر . وحديث أسماء فى ولادتها عبد الله بن الزبير متفق عليه . وفيه أنه كان أول مولود وُلد فى الإسلام ، ففرحوا به ؛ لأنه كان قد قيل لهم : إن اليهود سَحَرَتكم فلا يُولَد لكم . وفيه دلالة على تأخر ولادته عن مَقْدَم النبى صلى الله عليه وسلم بمدة . وقال الذهبى تبعًا للواقدى : إنه ولد فى سنة ثنتين ، وقال الحافظ ابن حجر : المعتمد أنه ولد فى السنة الأولى ؛ للحديث المتفق عليه ، وسبق فى سنى الهجرة عن أبى حاتم ما يوافقه .

وتقدم فى ذكر مسجد قباء أن دار سعد بن خيثمة هى التى تلى المسجد فى قبلته .

مسجد التوبة

ومنها : مسجد التوبة بالعصبة منازل بنى جَحْجَبَا من بنى عمرو بن عوف من الأوس — روى ابن زبالة عن أفلح بن سعد وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد التوبة بالعصبة ببئر هجيم ، قال المطرى : وليست بمعروفة اليوم ، يعنى البئر . والعصبة : فى غربى مسجد قباء فيها مزارع وآبار كثيرة .

قلت : يستفاد مما ذكرناه فى المنازل من أنهم ابتنوا أطما يقال له الهجيم

عند المسجد الذى صـلى فيه النبى صلى الله عليه وسلم أن بئر هجيم مضافة للأطم المذكور؛ فيطلب المسجد عند ذلك، وما علمت السبب فى تسميته بمسجد التوبة.

مسجد النور

ومنها: مسجد النور ـ قال ابن زبالة: حدثنا محمد بن فضالة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى موضع مسجد النور. قال المطرى: ولا يعلم اليوم مكانه.

قلت: وما علمت سبب تسميته بذلك، ورأيت الأسدى فى منسكه ذكر فى المساجد التى تزار فى ناحية مسجد قباء مسجدَ النور، ثم ذكر فى المساجد التى تزار بناحية المدينة وماحولها مسجد النور أيضا، ولعل هذا المسجد هو الموضع الذى انتهى إليه أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وهما من بنى عبد الأشهل، وكانا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى ليـلة ظلماء، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عَصًا أحدِهما، فمشيا على ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لـكل واحد منهما عصاه فمشى فى ضوئها، كما أخرجه البخارى؛ فيـكون المسجد المذكور بدار بنى عبد الأشهل.

وروى أحمد برجال الصحيح حديث قتادة بن النعمان الظفرى فى إعطاء النبى صلى الله عليه وسلم له العُرْجُونَ فى ليـلة مظلمة فأضاء له من بين يديه عشرا ومن خلفه عشرا ـ الحديث.

وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسولَ الله صـلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله تعـالى عنه سَمِرَا عند أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يتحدثان عنده، حتى ذهب ثلث الليل، ثم خرجا وخرج أبو بكر رضى الله تعالى عنه معهما فى ليـلة مظلمة ومع أحدهما عَصاً، فجعلت تضىء لهما وعليها نور حتى بلغوا المنزل.

مسجد عتبان بن مالك

ومنها: مسجد عتبان بن مالك بأصل أُطمِه المسمى بالمزدلف بدار بنى سالم ابن الخزرج ـ روى ابن زبالة عن إبراهيم بن عبدالله بن سعد أن عتبان بن مالك قال:

يارسول الله إن السيل يحول بينى و بين الصلاة فى مسجد قومى ، قال : فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ، فهو المسجد الذى بأصل المزداف . ورواه يحيى وقال : فهو المسجد الذى بأصل المزدلف أطم مالك بن العجلان .

قلت : تقدّم فى مسجد الجمعة أن المزدلف هو الأُطم الخراب الذى فى شامى مسجد الجمعة ، عند عدوة الوادى الشرقية ، وأن صلاته صلى الله عليه وسلم بدار عتبان فى الصحيح ، وأن الظاهر أن مسجد قومه الذى يحول السيلُ بينه و بينهم هو مسجدهم الأكبر الذى كان بمنازلهم بالحرة فى عدوة الوادى الغربية .

وروى ابن شبة عن عتبان بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى فى بيته سبحة الضحى ، فقاموا وراءه فصلوا .

وعن سعد بن إسحاق أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل فى مسجد بنى سالم الأكبر . وروى ابن زبالة نحوه عن كعب بن عجرة .

مسجد ميثب (صدقة النبى)

ومنها : مسجد ميثب صدقة النبى صلى الله عليه وسلم — روى ابن زبالة وابن شبة ويحيى عن محمد بن عقبة بن أبى مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى فى مسجد صدقته ميثب ، وسيأتى فى الصدقات أن الميثب مجاور ابرقة وغيره من الصدقات الآتية .

مسجد المنارتين

ومنها : مسجد المنارتين — روى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن حرام بن سعد بن محيصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى المسجد الذى بأصل المنارتين فى طريق العقيق الكبير ، قال المطرى : وهذا المسجد لايعرف ، وهو يلى طريق العقيق كما ذكر .

قلت : روى ابن زبالة عن عبد الله بن البولا أن أربعة رَهْط من المهاجرين الأولين كلهم يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَج إلى الجبل الأحمر الذى بين المنارتين ، فإذا بشاة ميتة قد أنتَنَتْ ، فأمسكوا على أنفهم ،

فقال رسول صلى الله عليه وسلم : ما ترون كرامة هذه الشاة على صاحبها ؟ فقالوا : يارسول الله ما تكرم هذه على أحد ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : للدُّنْيَا أهْوَنُ على الله من هذه على صاحبها » .

وعن إبراهيم بن محمد عن أبيه أن اسم الجبل الأنعم ، وهو الجبل الذى بنى عليه المزنى وجابر بن على الزمعى ثم أورد قول الشاعر :

* لمن الديارُ غَشِيتُهَا بالأَنْعُمِ *

البيت الآتى فى الأنعم .

قلت : وهو الجبل الأحمر الذى على يَسَارك إذا مررت من أوائل الرقيقين قاصدا العقيق ؛ لانطباق الوصف عليه ، ولأنى خرجت إليه وصَعَدته فرأيت عليه أساس البناء الذى أشار إليه ، وظهر بذلك أن المنارتين بقربه عند الرقيقين ؛ فهناك موضع هذا المسجد .

مسجد فيفاء الخبار

ومنها : مسجد فيفاء الخبار ـ قال ابن إسحاق فى غزوة العشيرة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلَكَ على نقب بنى دينار من بنى النجار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر يقال لها «ذات الساق» فصلّى عندها فثمّ مسجد ، وصنع له طعام عندها ، فأكل منه وأكل الناسُ معه ، فموضع آثاره فى البُرْمَة معلوم هناك ، واستسقى له من ماء يقال له المُشَيْرِب ، انتهى . والمشيرب : تصغير مشرب ما بين جبال فى شامى ذات الجيش .

قال المطرى : وفيفاء الخبار غربى الجماوات ، وهى أى الجماواتِ الأُجْبُلُ التى فى غربى وادى العقيق ، وتوهم المجـد أن الضمير فى قوله « وهى » لفيفاء الخبار فقال فيه : الصحيح أنه الأجبل التى فى غربى وادى العقيق ، انتهى .

وسيأتى فى رابع فصول الباب السابع عن الهجرى أن جَمَّاء أم خالد فى مَهَبِّ الشمال من جماء تضارع ، وأن فيفاء الخبار من جماء أم خالد .

ونقل ابن سعد عن ابن عقبة أن فيفاء الخبار من وراء الجماء ،والخبار ـ بفتح

المعجمة والموحدة كسحاب ـ مالآنَ من الأرض واسترخى ، والأرض ذات الجحرة والحفائر . والفيفاء ـ بفاءين بينهما مثناة تحتية ـ هى الصخرة الملساء .

قال المطرى : وبهذا الموضع كانت ترعى إبل الصدقة ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر قصة العُرَنيين التى قدمناها فى محلها . وينبغى لمن تيسر له الوصول إلى هذه الجهة أن يتبرك بالجاوات ؛ لما سيأتى فيها ، وكذلك جبل عظم لما سيأتى فيه أيضاً .

مسجد بين الجثجاثة وبئر شداد

ومنها : مسجد بين الجثجاثة و بئر شداد ، بطرف وادى العقيق مما يلى البقيع؛ لأن ابن زبالة روى فى سياق ذلك، عن عمر بن القاسم وعبد الملك بن عمر قال : صَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بين الجثجاثة و بين بئر شداد فى تَلْعة هنالك ، قال : وكان عبد الله بن سعد بن ثابت قد اقتطع قريبا منه و بناه .

وقال الهجرى : الجَثْجَاثة صدقة عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وبها قصور وميدان ، واقتضى كلامه أنها بين ثنية الشريد والحليفة .

وهذا آخر ما وقفنا عليه فى مساجد المدينة التى لا تعلم بعينها فى زماننا ، وعدتها نحو الأربعين .

الدور التى صلى بها الرسول

تتمة ـ تقدم ذكر بعض الدور التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، أو جلس ولم يتخذ محل لها ، ولنذكر ما وقفنا عليه من بقيتها تتميما للفائدة :

روى يحيى عن محمد بن طلحة بن طويل قال : سمعتُ غيرَ واحد ممن أدركت يقول : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا جاء مربده ، وهو مربد الحكم بن أبى العاص ، فكان إذا خرج منه وقَفَ عند بابه ، ودعا .

دار الشفاء

قال محمد بن طلحة : وأخبرنى محمد بن جعفر عن محمد بن سليمان بن أبى حثمة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى دار الشفاء فى البيت الذى على يمين من دخل الدار .

دار الضمرى

قال محمد : وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار عمرو بن أمية الضمرى عن يمين من دخل الدار .

دار بسرة

قال محمد : وصَلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى دار بُسْرة بنت صفوان .

قلت : أما دار عمرو بن أمية الضمرى فتقدم ما يبين جهتها فى ذكر دار السوق وغيرها .

وأما دار الشفاء فقال ابن شبة فى دور بنى عدى بن كعب : واتخذت الشفاء بنت عبد الله دارها التى فى الحكاكين الشارعة فى الخط ، فخرجت طائفة من أيدى ولدها فصارت للفضل ، و بقيت بأيديهم منها طائفة ، انتهى .

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأتى الشفاء هـذه ويَقِيلُ عندها ، وسبق فى مصلى الأعياد أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العيد عند دار الشفاء ؛ فالظاهر أنها كانت قربَ سوق المدينة والمصلى . ودار بسرة لم أعرفها ، وكذا المربد المذكور .

وتقدم فى ذكر البلاط ما جاء فى دار بنت الحارث .

وأخرج أبو داود والنسائى واللفظ له عن عبد الرحمن بن طارق عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا جاز مكانا من دار يعلى استقبل القبلة ودعا ، ولم أعرف جهة دار يعلى .

دار أم سليم

وفى صحيح البخارى عن ثمامة عن أنس أن أمّ سليم كانت تَبْسُطُ لنبى الله صلى الله عليه وسلم نِطَعاً فَيَقِيلُ عندها على ذلك النِّطَعِ ، قال : فإذا قام صلى الله عليه وسلم أخَذَت من عَرَقه وشَعَره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سك ، وقال : فلما حضرت أنَسَ بن مالك الوفاةُ أوصى أن يجعل فى حَنُوطه من ذلك السك ، قال : فجعل فى حَنُوطه .

وفيه أيضاً حديث أنس فى تكثير الطعام ، ولفظه : قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سمعتُ صوتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوعَ ،

فهل عندك من شيء ؟ قالت : نعم ، فأخرجت أقراصاً من شَعير ، ثم أخرجت خِماراً لها فلفَّتِ الخبز ببعضه ، ثم دسته تحت يدى ، ولاثتنى ببعضه ، ثم أرسلتنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فذهبت به فوجدته فى المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أرسَلَكَ أبو طلحة ؟ فقلت: نعم ، فقال لمن معه : قوموا ، فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئنا إلى أبى طلحة ، فأخبرته ، قال أبو طلحة : يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هلمى يا أم سليم ما عندك ، فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففُتَّ وعصرت أم سليم عُكّةً فأدَمَتْه ، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ، ثم قال : ائذن لعشرة ، الحديثَ ، وفى آخره : فأكلَ القوم كلهم وشَبِعُوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا .

قلت : وأم سليم والدة أنس وزوجة أبى طلحة ، فذلك إما فى دار أنس و إما فى دار أبى طلحة ، وكلاهما بجهة بنى جديلة .

دار أم حرام

وفى الصحيح من حديث أنس : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب إلى قباء يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه ، وكانت تحت عُبَادة بن الصامت ، فدخل يوماً فأطعمته ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ يضحك ، الحديثَ .

قلت : أم حرام هى خالة أنس أخت أم سليم المتقدم ذكرها ، وزوجها عُبَادة ابن الصامت ، كان ببنى سالم ؛ لأنه من بنى نوفل إخوة بنى سالم ، و يدل لذلك قوله « إذا ذهب إلى قباء » فإن بنى سالم بطريق قباء ، فيندفع ما توهمه بعضهم من أن دار أم سليم وأم حرام واحدة لكونهما أختين ، والله أعلم .

الفصل الخامس

في فضل مقابرها ، و إتيان النبي صلى الله عليه وسلم البقيع ، وسلامه على أهله واستغفاره لهم .

خروج النبي ليلا إلى البقيع

روينا فى صحيح مسلم والنسائى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لما كان ليلتى التى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها عندى انقلَبَ فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه و بسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع ، فلم يَلْبَثْ إلا ريثما ظن أنى قد رَقَدْتُ ، فأخذ إزاره رُوَيْدًا ، وانتعل رويدا ، وفتح الباب ، فخرج ، ثم أجافَهُ رويدا ، وجعلتُ درعى فى رأسى ، واختمرت ، وتقنعت إزارى ، ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع فأقام ، فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهرول فهرولت ، فأحضر فأحضرته ، فسبقته ، فدخلت ، فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال : مالك يا عائش حشيا رابية ، قلت : يارسول الله بأبى أنت وأمى، فأخبرته ، قال : فأنتِ السَّوَاد الذى رأيت أمامى ؟ قلت : نعم ، فَلَهزنى فى صدرى لهزة أوجعتنى ، ثم قال : أظَنَنْتِ أن يحيف الله عليك ورسوله ؟ قالت : مهما يَكْتُم الناسُ يعلمه الله ، قال : نعم ، قال : فإن جبريل عليه السلام أتانى حين رأيت فنادانى فأخفاه منك فأخفيته منك ، ولم يكن يدخل عليكِ وقد وضعتِ ثيابكِ ، وظننتُ أن قد رقدتِ فكرهتُ أن أوقظك ، وخشيت أن تستوحشينى ، فقال : إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم ، قال : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين .

وفى رواية له أيضاً قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت ليلتى منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ،

وأتاكم ما توعدون ، غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .

وخرجه فى الموطأ بلفظ : قالت عائشة : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلةٍ ، فلبس ثيابه ، ثم خرج ، فأمرت جاريتى بريرة تتبعه ، فتبعته حتى جاء البقيع ، فوقف فى أدناه ما شاء الله أن يقف ، ثم انصرف فسبقته ، فأخبرتنى ، فلم أذكر شيئاً حتى أصبح ، ثم ذكرت له ، فقال : إنى بعثت إلى أهل البقيع لأصلى عليهم .

وفى رواية للنسائى : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا وإياكم متواعدون غدا ومواكلون .

وفى رواية لابن شبة قالت : خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندى ، فظننت أنه خرج إلى بعض نسائه ، فتبعته ، حتى جاء البقيع ، فسلم ودعا ثم انصرف ، فسألته : أين كنت ؟ فقال : إنى أمرت أن آتى أهل البقيع فأدعو لهم .

وفى رواية له أنه قال فى دعائه : اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تَفْتِنَّا بعدهم .

وفى رواية للبيهقى قالت : دخل علىّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع عنه ثوبيه ، ثم لم يستتم أن قام فلبسهما ، فأخذتنى غيرة شديدة ظننتُ أنه يأتى بعضَ صويحباتى ، فخرجت أتبعه ، فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء ، الحديثَ ،وفيه بيان أن ذلك كان فى ليلة النصف من شعبان

وفى جامع الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بقبور أهل المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه فقال : السلام عليكم يا أهل القبور ، ويغفر الله لنا ولكم ، وأنتم لنا سَلَف ونحن بالأثر .

وروى ابن شبة عن أبى موهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أهَبَّنِى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : إنى أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانْطَلِقْ معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم قال :

السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلتِ الفتنُ كقِطَع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم استغفر لهم طويلا .

وفى رواية : ثم استغفر لهم ، ثم قال : يا أبا موهبة إنى قد أوتيتُ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ، فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى ثم الجنة ، قلت : بأبى وأمى خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا موهبة ، لقد اخترت لقاء ربى ثم الجنة ، ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبدىء به وَجَعُه الذى قبض فيه .

وعن عطاء بن يَسَار قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم البقيعَ فقال : السلام عليكم قوم موجلون ، أتانا وأتاكم ما توعدون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد .

وعن الحسن قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم على بقيع الغرقد فقال : السلام عليكم يا أهل القبور ، ثلاثا ، لو تعلمون ما الذى نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ، قال : ثم التفت فقال : هؤلاء خير منكم ، قالوا : يا رسول الله إنما هم إخواننا آمنَّا كما آمَنُوا ، وأنفَقْنَا كما أنفقوا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على أجلهم ونحن ننتظر ، فقال : إن هؤلاء قد مَضَوْا لم يأكلوا من أجورهم شيئاً ، وقد أكلتم من أجوركم ، ولا أدرى كيف تصنعون بعدى .

وروى ابن زبالة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى المقبرة فقال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، و إنا إن شاء الله بكم لاحقون ، وَدِدْتُ أنى قد رأيت إخواننا ، قالوا : يا رسول الله ألسنا إخْوَانَكَ ؟ قال : أنتم أصحابى ، و إخواننا الذين لم يأتوا بعد ، وأنا فَرَطهم على الحوض ، قالوا : يا رسول الله كيف تعرف مَنْ يأتى بعدك من أمتك ؟ قال : أرأيت لو كان لرجل خيل غُرٌّ محجلة فى خيل دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى ، قال : فإنهم يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحَجَّلين من الوضوء ، وأنا فَرَطهم على الحوض ، و لَيُذَادَن

رجالٌ عن حوضى كما يُذَادُ البعيرُ الضال ، فأناديهم : ألا هلم ، ألا هلم ، ألا هلُمّ ، فيقال : إنهم قد بَدّلوا ، فأقول : فسُحْقا ، فسُحْقا ، فسُحْقا .

من فضل البقيع

وروى الطبرانى فى الكبير ومحمد بن سنجر فى مسنده وابن شبة فى أخبار المدينة من طريق نافع مولى حَمْنَةَ عن أم قيس بنت محصن، وهى أخت عُكَّاشة ، أنها خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى البقيع ، فقال : يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، وكأن وجوههم القمر ليلة البدر ، فقام رجل فقال : يا رسول الله وأنا ، فقال : وأنت ، فقام آخر فقال : يا رسولَ الله وأنا ، قال : سبقك بها عُكَّاشة ، قال : قلت لها : لم لم يقل للآخر ؟ فقالت : أراه كان منافقا .

وذكر الهيثمى تخريج الطبرانى له وقال : فى إسناده مَنْ لم أعرفه .

وذكره الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى ، وسكت عليه .

ودخولُ سبعين ألفا الجنة بغير حساب من هذه الأمة من غير تقييد بالبقيع موجود فى الصحيح ، بل جاء أزيد منه .

فروى أحمد والبيهقى عن أبى هريرة مرفوعا : سألتُ ربى عز وجل ، فوعدنى أن يدخل الجنة من أمتى ، وذكر نحو رواية الصحيح ، وزاد : فاستزدت ربى ، فزادنى مع كل ألف سبعين ألفا ، قال الحافظ ابن حجر : وسَنَده جيد ، قال : وفى الباب عن أبى أيوب عند الطبرانى ، وعن حذيفة عند أحمد ، وعن أنس عند البزار ، وعن ثوبان عند أبى عاصم ، قال : فهذه طرق يقوى بعضها بعضا فى الزيادة المذكورة .

قال : وجاء فى أحاديث أخرى أكثر من ذلك أيضاً ، فأخرج الترمذى وحَسّنه والطبرانى وابن حبان فى صحيحه عن أبى أمامة رفعه : وعَدَنِى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا مع كل ألفٍ سبعين ألفا ، لا حساب عليهم ولا عذاب ، وثلاث حَثَيَات من حثيات ربى .

وفى صحيح ابن حبان والطبرانى بسند جيد نحوه .

ثم ذكر الحافظ ابن حجر ما يقتضى زيادة على ذلك أيضاً ، وأن مع كل واحـد سبعين ألفا ؛ فيتأيد بذلك رواية اختصاص البقيع بسبعين ألفا لا حساب عليهم ؛ فالكرم عَميم ، والجاه عظيم .

وروى ابن شبة عن ابن المنكدر رفعه مرسلا : يُحْشَرُ من البقيع سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر ، كانوا لا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون

قال : وكان أبى يخبرنا أن مُصْعَبَ بن الزبير دخل المدينة من طريق البقيع ومعه ابن رأس الجالوت ، فسمعه مصعب وهو خلفه حين رأى المقبرة يقول : هى هى ، فدعاه مصعب فقال : ماذا تقول ؟ فقال : نجدهذه المقبرة فى التوراة بين حَرَّتَيْن محفوفة بالنخل اسمها كفتة ، يبعث الله منها سبعين ألفاً على صورة القمر . وسيأتى من رواية ابن زبالة عن المقبرى نحوه .

وروى ابن زبالة عن جابر مرفوعا : يبعث من هذه المقبرة ــ واسمها كفتة ــ مائةُ ألفٍ كلهم على صورة القمر ليلة البـدر ، لا يَسْتَرْقُونَ ، ولا يكتوون ، ولا يتداوون ، وعلى ربهم يتوكلون .

وعن المطلب بن حنطب رفعه مرسلا : يحشر من مقبرة المدينة ــ يعنى البقيع ــ سبعون ألفا لا حساب عليهم ، تضىء وجوههم غمدان اليمن .

وجاء ما يقتضى أن هذا العدد يبعث من مقبرة بنى سلمة ، وهى عند منزل بنى حرَام منهم ، فروى ابن شبة عن أبى سعيد المقبرى أن كعب الأحبار قال : نجد مكتوبا فى الكتاب أن مقبرة بغربى المدينة على حافة سيل يحشر منها سبعون ألفا ليس عليهم حساب .

وقال أبو سعيد المقبرى لابنه سعيد : إن أنا هلكتُ فادْفنِّى فى مقبرة بنى سلمة التى سمعت من كعب ، وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مقبرة بغربى المدينة يعترضها السيل يسارا يبعث

منها كذا وكذا لا حساب عليهم ، قال عبد العزيز بن مبشر : لا أحفظ العدد .

وعن عقبة بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، وعن ابن أبي عتيق وغيرهما من مَشْيخة بني حرام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَقْبرة ما بين سيلين غربية يضيء نورُها يوم القيامة ما بين السماء إلى الأرض .

وروى ابن زبالة عن سهل عن أبيه عن جده قال : دفن قتلى من قتلى أحد في مقبرة بني سلمة .

وعن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة قال : أصيب أبو عمرة بن سكن يوم أحد ، فأمر به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فنقل ، فكان أولَ مَنْ دفن في مقبرة بني حرام .

وفي الكبير للطبراني — وفيه يعقوب بن محمد الزهري فيه كلام كثير ، وقد وثق — عن سعد بن خيثمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأن رحمةً وقعت بين بني سالم وبني بيَاضة ، قالوا : يا رسول الله أفننتقل إلى موضعها ، قال : لا ، ولكن اقبروا فيها ، فَقَبرُوا فيها موتاهم .

قلت : وهذه المقبرة لا تعرف اليوم ، وكذ مقبرة بني سلمة ، لكن تعرف جهتهما مما تقدم في المنازل .

وتقدم في الحث على الموت بالمدينة حديث « ما على الأرض بقعة أحبُّ إلى مِنْ أن يكون قبري بها منها » يعني المدينة ، يرجِّعها ثلاثَ مرات ، وحديث « مَن استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها » .

وفي رواية « فإني أشهد لمن يموت بها » . وفي أخرى « فإنه من مات بها كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » .

ورواه رزين بنحوه ، وزاد « وإني أول من تنشقُّ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي البقيع فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين » .

وفي رواية لابن النجار « فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيبعثون ، ثم يبعث أهل مكة .

وروى ابن شبة وابن زبالة عن ابن كعب القرظى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من دفن فى مقبرتنا هذه شفعنا له ، أو شهدنا له » وسيأتى فى الفصل الأول من الباب الثامن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » .

وروى ابن زبالة عن أبى عبد الملك يرفعه قال : «مقبرتان يضيآن لأهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لأهل الدنيا ، مقبرتنا بالبقيع بقيع المدينة ، ومقبرة بعسقلان » .

وعن كعب الأحبار قال : نجدها فى التوراة كفتة محفوفة بالنخيل وموكل بها الملائكة ، كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفؤها فى الجنة .

قال ابن النجار : يعنى البقيع .

وعن المقبرى قال : قدم مُصْعب بن الزبير حاجا أو معتمراً ومعه ابن رأس الجالوت فدخل المدينة من نحو البقيع ، فلما مر بالمقبرة قال ابن رأس الجالوت : إنها لهى ، قال مصعب : وما هى ؟ قال : إنا نجد فى كتاب الله صفَةَ مقبرة فى شرقيها نخل وفى غربيها بيوت يبعث منها سبعون ألفاً كلهم على صورة القمر ليلة البدر ، فطُفْتُ مقابرَ الأرض فلم أر تلك الصفة حتى رأيت هذه المقبرة .

وعن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : أقبل ابنُ رأس الجالوت فلما أشرف على البقيع قال : هذه التى نجدها فى كتاب الله كفتة ، لا أطؤها ، قال : فانصرف عنها إجلالا لها .

وفى كتاب الحرة للواقدى عن عثمان بن صفوان قال : لما حجَّ مصعب ابن الزبير ومعه ابن رأس الجالوت فانتهى إلى حَرَّة بنى عبد الأشهل وقف ثم قال : بهذه الحرة مقبرة ؟ فقالوا : نعم ، فقال : هل من وراء المقبرة حرة أخرى سوى هذه الحرة ؟ قالوا : نعم ، قال : إنا نجد فى كتاب الله أنها تسمى كفتة .

قال الواقدى : يعنى تسرع البلى — وكفيتة ، يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفاً كلهم وجوههم على صورة البدر ليلة أربع عشرة من الشهر .

وروى ابن زبالة عن خالد بن عوسجة : كنت أدعو ليلةً إلى زاوية دار عقيل بن أبى طالب التى تلى باب الدار ، فمر بى جعفر بن محمد يريد العريض معه أهلُه ، فقال لى : أعَنْ أثر وقفت ههنا ؟ قلت : لا ، قال : هذا موقف نبى الله صلى الله عليه وسلم بالليل إذا جاء يستغفر لأهل البقيع .

قلت : وسيأتى أن من دار عقيل الموضع المعروف بمشهده ، وأن به قبرَ ابن أخيه عبدِ الله بن جعفر على ما ذكره ابن النجار .

وقال عقب إيراد هذا الخبر : ودار عقيل الموضعُ الذى دُفن فيه ، قال الزين المراغى : فينبغى الدعاء فيه . قال : وقد أخبرنى غيرُ واحدٍ أن الدعاء عند ذلك القبر مستجاب ، ولعل هذا سببه . أو لأن عبد الله بن جعفر كان كثير الجود فأبقى الله قضاء الحوائج عند قبره .

ومن غريب ما اتفق ما أخبرنى به مَنْ أثق بدِينه أنه دعا فى هذا المكان ، وتذاكر مع رفيق له ذلك ، فرأى ورقة على الأرض مكتوبة ، فأخذها تفاؤلا لذلك ، فإذا فيها (وقال ربكم ادْعُونى أستجب لكم) من جهتيها ، انتهى .

قلت : ولم أقِفْ فى كلام المتقدمين على أصل فى دفن عبد الله بن جعفر هناك ، بل اختلف فى أنه دفن بالمدينة أو بالأبْوَاء ، والمعتمدُ فى سبب الاستجابة هناك ما ذكر أولا ، ولهذا يستحَبُّ الدعاء فى جميع الأماكن التى دعا بها النبىُّ صلى الله عليه وسلم ، وكلها مواطن إجابة .

الفصل السادس

فى تعيين قبور بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت ، والمَشَاهد المعروفة بالمدينة .

قبرإبراهيم ابن رسول الله

بيان قبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكونه عند قبر عثمان ابن مظعون ، وما جاء فيهما ، ومَنْ دفن عندهما .

روى ابن شبة بإسناد جيد عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : مات إبراهيم — يعنى ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — وهو ابن ستة عشر شهرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوه فى البقيع ، فإن له مرضعة فى الجنة تتم رضاعه .

وعن مكحول قال : توفى إبراهيم عليه السلام ، فلما وُضع فى اللحد ورُصِف عليه اللبِنُ بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرجة من اللبن ، فأخذ بيده مدرة فناولها رجلا فقال : ضعها فى تلك الفرجة ، ثم قال : أما إنها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر بعين الحي .

وعن محمد بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم رَشَّ على قبر ابنهِ إبراهيم ، وأنه أول من رش عليه ، قال : ولا أعلم إلا أنه قال : وحَثَا عليه بيده من التراب ، وقال حينَ فرغ من دفنه عند رأسه : السلامُ عليكم .

وروى الشافعى عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلا أن النبىَّ صلّى الله عليه وسلم رَشَّ قبرَ ابنه إبراهيم ووضَعَ عليه الحَصَى .

وروى أبو داود فى المراسيل والبيهقى ورجالُه ثقات مع إرساله نحوه عن محمد ابن عمر بن على ، وزاد أنه أولُ قبرٍ رش عليه ، وقال بعد فراغه : سلام عليكم ، ولا أعلمه إلا قال : حَثَا عليه بيده .

وروى ابن زبالة عن قُدَامة بن موسى أن أول مَنْ دَفَنَ رسولُ الله صلى

الله عليه وسلم بالبقيع عثمانُ بن مظعون ، فلما توفى ابنه إبراهيم قالوا : يارسول الله أين نحفر له ؟ قال : عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون .

وروى أبو غسان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : لما توفى إبراهيم ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يدفن عند عثمان بن مظعون ، فرغب الناسُ فى البقيع ، وقطعوا الشجر ، فاختارت كل قبيلة ناحية ، فمن هنالك عرفت كل قبيلة مقابرها .

وروى ابن شبة عن قدامة بن موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ادْفِنُوا عثمان بن مظعون بالبقيع يكون لنا سلفا ، فنعم السلف سلفنا عثمان ابن مظعون » .

وعنه أيضاً : كان البقيع غَرْقَدًا ، فلما هلك عثمان بن مظعون دفن بالبقيع ، وقطع الغرقد عنه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للموضع الذى دفن فيه عثمان : هذه الرَّوْحَاء ، وذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى زاوية دار عقيل اليمانية ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذه الروحاء ، للناحية الأخرى ، فذلك كل ما حازت الطريق من دار محمد بن زيد إلى أقصى البقيع يومئذ .

قلت : قد تلخص لنا أن دار عقيل كان بالمشهد المعروف به ، ودار محمد ابن زيد فى شرقيها وشرق مشهد سيدنا إبراهيم ؛ فالروحاء الأولى مابين المشهدين وتمتد إلى شرق مشهد سيدنا إبراهيم ، والثانية فى شرق الأولى إلى أقصى البقيع ، والأولى هى المرادة بما سيأتى فى قبر أسعد بن زُرَارة من قول أبى غسان ، والروحاء : المقبرة التى وَسَطَ البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع ، وكأنها اشتهرت بذلك دون الثانية لاقتصاره على الأولى .

وروى ابن زبالة عن عبيد الله بن أبى رافع قال : بلغنى أن إبراهيم ابنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات قالوا : يا رسول الله ، أين ندفن إبراهيم ؟

قال :عند فَرَطِنا عثمان بن مظعون ، ودفن عثمان بن مظعون عند كتاب بنى عمرو ابن عثمان .

وروى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن سعيد بن جبير قال : دُفِنَ إبراهيمُ ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزوراء موضع السقاية التى على يسار مَنْ سلكَ البقيعَ مُصْعِدا إلى جنب دار محمد بن زيد بن علىّ .

وعن سعيد بن جبير قال : رأيت قبر إبراهيمَ ابنِ النبى صلى الله عليه وسلم فى الزوراء ؛ فيستفاد منه تسمية ذلك الموضع بالزوراء أيضا .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن محمد بن جبير أنه رأى قبر إبراهيم عند الزوراء .

قال عبد العزيز بن محمد : وهى الدار التى صارت لمحمد بن زيد بن على .

وعن جعفر بن محمد أن قبر إبراهيم وُجاه دار سعيد بن عثمان التى يقال لها الزوراء بالبقيع ، فهدمت مرتفعاً عن الطريق .

وعن قدامة قال: دَفَن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيمَ ابنَه إلى جنب عثمان بن مظعون ، وقبره حذاء زاوية دار عقيل بن أبى طالب من ناحية دار محمد بن زيد

قبر عثمان بن مظعون

وروى ابن شبة عن سعد بن جبير بن مُطْعِم قال : رأيت قبر عثمان بن مظعون عند دار محمد بن على بن الحنفية .

وعن محمد بن قُدَامة عن أبيه عن جده قال : لما دفَنَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون أمَرَ بحَجَر فوضع عند رأسه ، قال قدامة : فلما صفق البقيع وجدنا ذلك الحجر ، فعرفنا أنه قبر عثمان بن مظعون . قال عبد العزيز بن عمران : وسمعتُ بعض الناس يقول : كان عند رأس عثمان بن مظعون ورجليه حجران.

وعن شيخ من بنى مخزوم يدعى عمر قال : كان عثمان بن مظعون أول مَن مات من المهاجرين ، فقالوا : يا رسول الله أين ندفنه ؟ قال : بالبقيع ، قال : فلحَدَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفَضَلَ حجرٌ من حجارة لحده ، فحمله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضَعه عند رجليه ، فلما ولى مروان بن الحكم المدينةَ مرّ على ذلك الحجر فأمر به فرمى به ، وقال : والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به ، فأتته بنو أمية فقالوا : بئس ماصنعت ، عمدت إلى حجر وضعه النبي صلى الله عليه وسلم فرميت به ، بئس ما عملت ، فَمُرْ به فليرد ، فقال : أما والله إذ رميتُ به فلا يرد .

وسيأتي في قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من رواية ابن زبالة أن مروان جعل ذلك الحجر على قبر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه .

وروى أبو داود بإسناد حسن عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، ولم يسم الصحابي الذى حدثه ، قال : لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا أن يأتى بحَجَر فلم يستطع حمله ، فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسَر عن ذراعيه — قال المطلب : قال الذى يخبرنى : كأنى أنظر إلى بياض ذراعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حسر عنهما — ثم حمله فوضعه عند رأسه ، وقال : أتعلّم به قبر أخى ، وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى .

ورواه ابن شبة وابن ماجه وابن عدى عن أنس والحاكم عن أبي رافع .

وروى ابن زبالة عن عائشة بنت قدامة قالت : كان القائمُ يقوم عند قبر عثمان ابن مظعون فيَرَى بيتَ النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس دونه حجاب .

قبر رقية بنت الرسول

قبر رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى الطبراني برجال ثقات ، وفى بعضهم خلاف ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى حديث قال فيه : فلما ماتت رقيةُ بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحَقِي بسلفنا عثمان بن مظعون .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : لما ماتت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحَقِي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ، قال : وبكى النساء ، فجعل عمر يضرب بهن بسَوْطه ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده وقال :

دَعْهن يا عمر ، و إيا كن ونَعيقَ الشيطان فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة ، ومهما يكن من اللسان ومن اليد فمن الشيطان ، قال : فبكَتْ فاطمة رضى الله تعالى عنها على شَـفير القبر ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ الدموع عن عينها بطرف ثو به .

قال ابن شبة عقبه : وروى خلافه ، أى من حيث حضوره صلى الله عليه وسلم لذلك ، ثم روى عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَلَّف عثمان بن عفان وأسامة بن زيد على رقية وهى وَجِعَة أيام بدر .

وعن الزهرى أن يزيد بن حارثة جاء بشيراً بوقعة بدر ، وعثمان قائم على قبر رقية يدفنها .

قلت : هذا هو المشهور ، والثابت فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم حضر دفن ابنته أم كلثوم زوجة عثمان رضى الله تعالى عنه ، فلعل الخبر الأول فيها ، أو فى زينب أختها ، فإنها توفيت سنة ثمان بالمدينة ، والظاهر أنهن جميعاً عند عثمان ابن مظعون ؛ لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم « وأدفن إليه مَنْ مات من أهلى » ويحتمل أن بعضهن هى التى وجد قبرها عند حفر الدعامة التى أمام المصلى الشريف ، كما سيأتى فى قبر فاطمة الزهراء ، وحصل الوهم فى نسبته لفاطمة ، والله أعلم .

قبر فاطمة بنت أسد

قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها
أم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنـــه

روى ابن زبالة عن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب قال : دفَنَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وكانت مهاجرةً مبايعة ، بالرَّوْحاء مقابل حمام أبى قطيفة ، قال : وثَمَّ قبرُ إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقبر عثمان بن مظعون .

وسيأتى ما نقله ابن شبة فى قبر العباس من قول عبد العزيز بن عمران : إنه دفن عند قبر فاطمة بنت أسـد بن هاشم فى أول مَقَابر بنى هاشم التى فى دار عقيل .

قلت : وهذا كله صريح فى مخَالفة ما عليه الناس اليومَ من أن قبرها فى المشهد الآتى ذكره ، وأول مَنْ ذكر أنها بذلك المشهد ابنُ النجار ، وتبعه مَن بعده ، ولم أقف له على مستند فى ذلك ، والأثبتُ عندى ما هنا ؛ إذ يبعد أنْ يدفنها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الموضع القاصى ويترك ما قرب من عثمان ابن مظعون وقد قال « وأدفن إليه من مات من أهلى » ، وأيضاً فلا يظهر أن الموضع المعروف بمشهدها من البقيع ؛ لأن مشهد عثمان كما سيأتى ليس من البقيع، وهذا المشهد بطرف زقاق فى شاميه إلى المشرق .

فإن قيل : النخيل التى تقابل هذا المشهد قال ابن النجار : إنها تعرف بالحمام، وقد قال فى الرواية الأولى « مقابل حمام أبى قطيفة » .

قلت : الظاهر أن ذلك منشأ الوهم فى ذلك ، وبقيـــةُ الرواية المذكورة .

وما نقله ابن شبة يدفع ذلك ويبين أن المراد موضع كان يعرف بحمام أبى قطيفة بجهة مشهد سيدنا إبراهيم ، وكأن ابن النجار لم يقف إلا على صدر الرواية الأولى؛ فإنه قال : قبر فاطمة بنت أسد وعليها قبة فى آخر البقيع ، ثم ذكر صدر الرواية الأولى إلى قوله : مقابل حمام أبى قطيفة ، ثم قال : واليوم يقابلها نخل يعرف بالحمام ، انتهى .

على أن النخيل التى بقرب هذا المشهد هى التى تقابله من جهة المشرق والشام، وإنما يعرف قديماً وحديثاً بالخضارى ، وإنما يعرف بالحمام النخلُ الذى فى شامى مشهد سيدنا إبراهيم عند السكومة ، وهو بعيد من المشهد المعروف بفاطمة ، وإن كان فى جهة مقابلته من المغرب ، ومن تأمل ذلك علم أن التعريف به لما

هو فى جهة مشهد سيدنا إبراهيم أقربُ ، فهو شاهد لنا ، وأيضاً فاسم الحمام مذكور لمواضع بالمدينة ، ولهذا أضافه إلى أبى قطيفة .

وقد روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بموضع حمام عبيدالله ابن حسين الذى اشترى محمد بن زيد ، فقدمه إلى البقيع قليلا ، فقال : نعم موضع الحمام .

القبور التى نزلها الرسول

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران ما حاصله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينزل فى قبر أحد قط إلا خمسة قبور ، ثلاث نسوة ورجلين ، منها قبر خديجة بمكة ، وأربع بالمدينة : قبر ابن خديجة كان فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم وتربيته ، وهو على قارعة الطريق بين زقاق عبد الدار و بين البقيع الذى يتدافن فيه بنو هاشم ، وقبر عبدالله المزنى الذى يقال له ذو البِجَادين ، وقبر أم رومان أم عائشة بنت أبى بكر ، وقبر فاطمة بنت أسد أم علىّ ، فأما ذو البجادين فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما أقبل مُهَاجراً وسَلَكَ ثنية الغابر وَعُرَتْ عليه الطريق وغلظت ، فأبصره ذو البِجادين فقال لأبيه : دَعْنِي أدُلّهم على الطريق ، فأبى ، فنزع ثيابه وتركه عُرْيَاناً ، فاتخذ عبدُ الله بجادا من شعر فطرحه على عَوْرَته ، ثم عدا نحوَهم ، فأخذ بزِمام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر قدومه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ وموته ودفنه .

ثم قال : وأما قبر فاطمة بنت أسد أم علىّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما فإن عبد العزيز حدث ، وذكر سَنَده إلى محمد بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما ، قال : لما استقر بفاطمة وعلم بذلك رسولُ اللهْ صلى الله عليه وسلم قال : إذا توفيت فأعلمونى ، فلما توفيت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقبرها فحفر فى موضع المسجد الذى يقال له اليوم قبر فاطمة ، ثم لَحَدَ لها لحداً ، ولم يضرح لها ضريحاً ، فلما فرغ منه نزل فاضطجع فى اللحد ، وقرأ فيه القرآن ، ثم نزع قميصه فأمر أن تُكفَّنَ فيه ، ثم صلى عليها عند قبرها ، فكبر تسعاً

وقال : ما أعفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، قيل : يا رسول الله ولا القاسم ؟ قال : ولا إبراهيم ، وكان إبراهيم أصغرهما .

قلت : وقوله فى موضع المسجد إلى آخره يقتضى أنه كان على قبرها مسجد يعرف به فى ذلك الزمان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : بينا نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه آت فقال : يا رسول الله ، إن أم على وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى أمى ، فقمنا وكأن على رؤوس من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نَزَعَ قميصَه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها إياه تحت أكفانها ، فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر ، حتى انتهينا إلى القبر فتمعَّكَ فى اللحد ثم خرج فقال : أدْخِلُوها باسم الله وعلى اسم الله ، فلما أن دفنوها قام قائماً فقال : جزَاكِ الله من أم ور بيبة خيراً ، فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لى ، قال : فقلنا له أو قيل له : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما قط ، قال : ما هو ؟ قلنا : نزعك قميصك وتمعكك فى اللحد ، قال : أما قميصى فأريد أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمعكى فى اللحد فأردتُ أن يوسِّعَ الله عليها فى قبرها .

وروى بن عبدالبر عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة أمُّ على بن أبى طالب ألْبَسَها رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ، واضطجع معها فى قبرها ، فقالوا : مارأيناك صنعتْ ما صنعت بهذه ! فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرَّ لى منها ، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حُلَل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها .

وفى الكبير والأوسط بسند فيه روح بن صلاح وثّقه ابن حِبَّان والحاكم وفيه ضعف ، و بقية رجاله رجال الصحيح ، عن أنس بن مالك قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس عند رأسها ،

فقال : رحمَكِ الله يا أمى بعد أمى ، وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببُرْده ، قال : ثم دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصارى وعمر بن الخطاب وغلاما أسْوَدَ يحفرون ، فحفروا قبرها ، فلما بلغوا اللحد حَفَره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ، ثم قال : الله الذى يحيي ويميت وهو حى لا يموت ، اُغفر لأمى فاطمة بنت أسد ، ووسِّعْ عليها مَدْخَلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى ، فإنك أرحَمُ الراحمين ، وكبر عليها أربعا ، فأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم .

قبر عبد الرحمن بن عوف

قبر عبد الرحمن ابن عوف

روى ابن زبالة عن حميد بن عبد الرحمن قال : أرسلت عائشة إلى عبد الرحمن ابن عوف حين نزل به الموت أنْ هلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أخَوَيْكَ ، فقال : ما كنت مُضَيِّقاً عليك بيتك ، إنى كنتُ عاهدت ابن مظعون أينا مات دفن إلى جانب صاحبه ، قالت : فمروا به علىّ ، فمروا به عليها فصلَّتْ عليه .

وروى ابن شبة عن حفص بن عثمان بن عبد الرحمن نحوَهُ ،

وعن عبد الواحد بن محمد عن عبد الرحمن بن عوف أنه أوصى إنْ هَلَكَ بالمدينة أن يدفن إلى عثمان بن مظعون ، فلما هلك حفِر له عند زاوية دار عقيل الشرقية ، فدفن هناك ، عليه ثوبُ حِبَرَة من العَصْب ، أتمارى أن يكون فيه لحمةذهب أولا .

قبر سَعْد بن أبى وَقَّاص

قبر سعد بن أبى وقاص

روى ابن شبة عن ابن دهقان قال : دعانى سعد بن أبى وقاص فخرجت معه إلى البقيع ، وخرج بأوتاد ، حتى إذا جاء من موضع زاوية عَقيل الشرقية الشامية أمرنى فحفرت، حتى إذا بلغت باطن الأرض ضرب فيها الأوتاد ثم قال : إن هلكت فادْلُلْهم على هذا الموضع يدفنونى به ، فلما هلك قلت ذلك لولده ، فخرجنا حتى دللتهم على ذلك الموضع ، فوجَدُوا الأوتاد ، فحفروا له هناك ودفنوه .

قبر عبد الله ابن مسعود

قبر عبد الله بن مسعود

روى ابن سعد فى طبقاته عن أبى عبيدة بن عبد الله أن ابن مسعود قال : ادْفِنُونى عند قبر عثمان بن مظعون .

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : مات عبد الله بن مسعود بالمدينة ، ودفن بالبقيع ، سنة اثنتين وثلاثين .

قبر خنيس ابن حذافة

قبر خنيس بن حذافة السهمى

كان زوج حفصة بنت عمر قَبْلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو من المهاجرين الأولين أصحاب الهجرتين ، نَالَتْه جراحة يوم أحد ، فمات بسببها بالمدينة .

قال أبو عبد الله محمد بن يوسف الزرندى المدنى فى سيرته : توفى فى السنة الثالثة من الهجرة ، ودفن عند عثمان بن مظعون ، قال : وكان عثمان بن مظعون توفى قبله فى شعبان من السنة المذكورة ، ونقل ابن الجوزى أن عثمان توفى فى السنة الثانية ، اهـ . وما قدمناه من موت خنيس بعد أحد من جراحة نالته يوم أحد هو ما جزم به ابن عبد البر ، وتبعه عليه الذهبى ، و يشكل عليه ما سبق فى الفصل الثانى عشر من الباب الثالث من أن أحداً كانت فى شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور ، وقيل : أربع ، وأنه صلى الله عليه وسلم تزوج بحفصة بنت عمر فى شعبان من السنة الثالثة على الأصح ، وقيل : فى الثانية ؛ فلا يصح ما جزم به ابن عبد البر ، إلا أن يكون خنيس قد طَلَّقها كما أشار إليه الذهبى ، لكن قد وهم الحُفَّاظ ابن عبد البر فى قوله « إن خنيساً استشهد بأحد بسبب تلك الجراحة » وإنما توفى قبلها بالمدينة ، قال ابن سيد الناس : المعروف أنه مات بالمدينة على رأس خمسة وعشرين شهرا ، وذلك بعد رجوعه من بدر ، اهـ.

قبر أسعد ابن زرارة

قبر أسعد بن زُرَارة أحَدِ بنى غنم بن مالك بن النجار

شهد العَقَبتين كما تقدم ، وتوفى فى الأولى من الهجرة والمسجد يبنى .

قال ابن شبة : قال أبو غسان : وأخبرنى بعض أصحابنا قال : لم أزل أسْمَعُ أن قبر عثمان بن مظعون وأسعد بن زرارة بالروحاء من البقيع ، والروحاء : المقبرة التى بوسط البقيع يحيط بها طرق مطرقة وسط البقيع .

قلت : فينبغى أن يسلّم على هؤلاء كلهم عند زيارة مشهد سيدنا إبراهيم بالبقيع

قبر فاطمة بنت الرسول

بيان قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بنيها ، ومَنْ عرفت جهة قبره بالبقيع من بنى هاشم ، وأمهات المؤمنين ، وغيرهم .

روى ابن شبة عن محمد بن علي بن عمر أنه كان يقول : إن قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم زاوية دار عقيل اليمانية الشارعة فى البقيع .

وعن منبوذ بن حويطب والفضل بن أبى رافع أن قبرها وُجَاه زقاق نبيه ، وأنه إلى زاوية دار عقيل أقرب .

وعن عمر بن عليّ بن حسين بن عليّ أن قبرها حذو الزقاق الذى يلى زاوية دار عقيل ، قال غسان بن معاوية بن أبى مزرّد : إنه ذَرَعَ من حيث أشار له عمر بن على فوجده خمسة عشر ذراعا إلى القناة .

وعن عمر بن عبد الله مولى عفرة أن قبرها حذو زاوية دار عقيل مما يلى دار نبيه .

وعن عبد الله بن أبى رافع أن قبرها مخرج الزقاق الذى بين دار عقيل ودار أبى نبيه .

وذكر إسماعيل راويه أنه ذَرَعَ الموضع الذى ذكر له أبوه فوجد بين القبر و بين القناة التى فى دار عقيل ثلاثة وعشرين ذراعا ، و بين القناة الأخرى سبعة وثلاثين ذراعا .

قال أبو غسان : وأخبرنى مخبر ثقة قال : يقال : إن المسجد الذى يصلى إلى جنبه شرقيًا على جنائز الصبيان كان خيمة لامرأة سوداء يقال لها رقية ، جعلها هنالك حسين بن على تبصر قبر فاطمة ، وكان لا يعرف قبر فاطمة غيرها .

قال : وأخبرنى عبد العزيز بن عمران عن حماد بن عيسى عن جعفر بن محمد

عن أبيه قال : دفن على فاطمةَ ليلا فى منزلها الذى دخَلَ فى المسجد ، فقبرها عند باب المسجد المواجه دار أسماء بنت حسين بن عبد الله ، أى وهو الباب الذى كان فى شامى باب النساء فى المشرق كما تقدم .

قال ابن شبة عقبه : وأظن هذا الحديث غلطا ؛ لأن الثبت جاء فى غيره .

ثم روى بسند جيد عن فائد مولى عبادل ، وهو صدوق ، أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن الحسن بن علىّ قال : ادْفِنُونِى فى المقبرة إلى جنب أمى ، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة مُوَاجه الخوخة التى فى دار نبيه بن وهب ، طريقُ الناسِ بين قبرها وبين خوخة نبيه ، أظن الطريق سبعة أذرع .

قال فائد : وقال لى منقد الحفار: إن فى المقبرة قبرين مطابقين بالحجارة ، قبر حَسَن بن على وقبر عائشة زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ، فنحن لا نحركها ، فلما كان زمن حسن بن زيد وهو أمير على المدينة استعدى بنو محمد بن عمر بن على ابن أبى طالب على آل عقيل فى قناتهم التى فى دورهم الخارجية فى المقبرة ، وقالوا : إن فاطمة رضى الله تعالى عنها عند هذه القناة ، فاختصموا إلى حسن ، فدعانى حسن فسألنى فأخبرته عن عبيد الله بن أبى رافع ومَنْ بقى من أهلى وعن حسن ابن على وقوله « ادفنونى إلى جنب أمى » ثم أخبرته عن منقد الحفار وعن قبر الحسن أنه رآه مطابقا ، فقال حسن بن زيد : أنا على ماتقول ، وأقر قناة آل عقيل .

ثم ذكر ابن شبة أن أبا غسان حدثه عن عبد الله بن إبراهيم بن عبيد الله أن جعفر بن محمد كان يقول : قبر فاطمة فى بيتها الذى أدخله عمرُ بن عبد العزيز فى المسجد ، قال : ووجدت كتابا كتب عن أبى غسان فيه أن عبد العزيز بن عمران كان يقول : إنها دفنت فى بيتها ، وصنع بها ماصنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنها دفنت فى موضع فراشها ، ويحتج بأنها دفنت ليلا ، ولم يعلم بها كثير من الناس .

ثم أشار ابن شبة إلى رد ذلك بماحدثه أبو عاصم النبيل قال : حدثنا كهمس ابن الحسن قال : حدثنى يزيد قال : كمدت فاطمة رضى الله تعالى عنها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم سبعين بين يوم وليلة ، فقالت : إنى لأستحيي من جلالة جسمى إذا أخرجت على الرجال غدا ، وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء فقالت أسماء بنت عميس أو أم سلمة : إنى رأيت شيئاً يصنع بالحبشة ، فصنعت النعش ، فاتخذ بعد ذلك سنة .

وسيأتى من رواية ابن عبد البر مايؤيده .

وروى ابن شبة عن سلمى زوج أبى رافع قالت : اشْتَكَتْ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت يوما كأَمْثَلِ ما كانت تكون ، وخرج على فقالت: يا أمتاه اسبكى لى غسلا ، ثم قامت فاغتسلت كأَحْسَن ما كانت تغتسل ثم قالت : هاتِ ثيابى الجُدُدَ ، فأعطتها إياها ، فلبستها ثم جاءت إلى البيت الذى كانت فيه فقالت : قَدِّمِي الفراش إلى وسط البيت ، فقدّمته فاضطجعت واستقبلت القبلة ووضعت يدها تحت خدها ثم قالت : ياأمتاه إنى مقبوضة الآن ، وإنى قد اغتسلت فلا يَكْشِفْنِي أحد ، قال : فقبضت مكانها ، وجاء عليّ فأخبرته فقال: لاجرم والله لايكشفها أحد ، فحملها بغسلها ذلك فدفنها .

ثم روى ابن شبة عقبه عن أسماء بنت عميس قالت : غسلت أنا وعلى ابن أبى طالب بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى البيهقى بإسناد حسن عن أسماء بنت عميس أن فاطمة أَوْصَتْ أن تغسلها هى وعلى ، فغسلاها .

ثم تعقبه بأن هذا فيه نظر ؛ لأن أسماء فى هذا الوقت كانت عند أبى بكر الصديق ، وقد ثبت أن أبا بكر لم يعلم بوفاة فاطمة ؛ لما فى الصحيح أن عليا دفنها ليلا ، ولم يُعْلم أبا بكر ، فكيف يمكن أن تغسلها زوجته وهو لايعلم ؟

وأجاب فى الخلافيات باحتمال أن أبا بكر علم بذلك ، وَأَحَبَّ أن لايرد غرض

على فى كتمانه منه ، قال الحافظ ابن حجر : ويمكن أن يجمع بأن أبا بكر علم بذلك وظن أن عليا سيدعوه لحضور دفنها ليلا ، وظن على أنه يحضر من غير استدعاء منه .

وقد احتج بحديث بنت عميس هذا أحمدُ وابن المنذر ، وفى جزمهما بذلك دليل على صحته عندهما فيبطل ماروى أنها غسلت نفسها وأوصت أن لايعاد غسلها

وقد رواه أحمد ، وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، وأفحش القول فى ابن إسحاق راويه .

وتولى ردّ ذلك عليه ابنُ عبد الهادى فى التنقيح .

قلت: وعلى كل تقدير لحديث بنت عميس أرجح ؛ للأدلة الدالة على وجوب غسل الميت مطلقا ، وليس فى حديث الصحيح أن أبا بكر ماعلم بوفاة فاطمة ، بل أن عليا دفنها ولم يُعلمه

وقد روى ابن عبد البر خبر أسماء بأتمّ من ذلك ، وفيه علم أبى بكر بموتها، وذلك من طريق عون بن محمد بن على بن أبى طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد ابن جعفر .

وعن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأسماء بنت عُميس : يا أسماء ، إنى قد استقبحت ما يُصْنَع بالنساء إنه يُطْرَح على المرأة الثوب فيَصِفُها ، قالت أسماء : ياابنة رسول الله ألا أريك شيئا رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعَتْ بجرائد رَطْبَة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا ، فقالت فاطمة : ما أحسن هذا وأجمله ؟ تُعْرَفُ به المرأة من الرجل ، فإذا أنامُتُّ فاغسليني أنت وعلى ، ولاتدخلى علىّ أحدا ، فلما توفيت جاءت عائشة تدخل فقالت أسماء : لاتدخلى ، فشكت إلى أبى بكر قالت : إن هذه الخثعمية تحولُ بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جعلت لها مثل هَوْدَج العروس فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال : ياأسماء ، ماحملك على أن مَنَعْتِ أزواجَ

النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلن على بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت لها مثل هَوْدَج العروس ؟ فقالت : أمرتنى أن لا يدخل عليها أحد ، وأريتها هذا الذى صنعت وهى حية فأمرتنى أن أصنع ذلك لها، قال أبو بكر : فاصنعى ما أمرتك، ثم انصرف ، وغسلها علىّ وأسماء رضى الله تعالى عنهما .

وقد خرّج الدولابى معنى ذلك مختصراً ، وفيه أنها لما أرتها النعش تبسمت، وما رؤيت متبسمة — يعنى بعد النبي صلى الله عليه وسلم — إلا يومئذ .

وخرج أيضاً أن الوصية كانت إلى علىّ بأن يغسلها هو وأسماء ، ويجوز أن تكون أوصت إلى كل منهما .

قال ابن عبد البر : فاطمة أول مَنْ غطى نعشها من النساء فى الإسلام على الصفة المذكورة فى الخبر المتقدم ، ثم بعدها زينب بنت جحش صنع بها ذلك . وتوفيت فاطمة يوم الثلاثاء لثلاث خلت من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وكانت أشارت على زوجها أن يدفنها ليلا .

قلت : لعلها أرادت بذلك المبالغة فى التستر ، وهو السبب فى عدم إعلام أبى بكر رضى الله تعالى عنه . ويتأيد بذلك رواية دَفنها بالبقيع ، وهو مقتضَى صنيع ابن زبالة فى إيراد الروايات الدالة على ذلك .

قبر بعض أبناء الإمام على بن أبى طالب

وقال المسعودى فى مروج الذهب : إن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم توفى سنة ثمان وأربعين ومائة ، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده ، قال : وعلى قبورهم فى هذا الموضع من البقيع رُخَامة عليها مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مبيد الأمم ، ومُحيي الرمم ، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وقبر الحسن بن على ، وعلى بن الحسين بن على ، وقبر محمد بن على، وجعفر بن محمد ، عليهم السلام، انتهى. وذكر ما يقتضى أنه حين ذكر هذا كان فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

المتوكل يأمر بهدم قبر الحسين بن على

وإنما أوجب عدم العلم بعين قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها وغيرها من السلف ما كانوا عليه من عدم البناء على القبور وتجصيصها ، مع ما عرض لأهل البيت رضى الله تعالى عنهم من مُعاداة الولاة قديماً وحديثاً ، حتى ذكر المسعودى أن المتوكل أمر فى سنة ست وثلاثين ومائتين المعروفَ بالزبرج بالمسير إلى قبر الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما ومَحْو أرضه وهَدْمه وإزالة أثره ، وأن يعاقب مَنْ وجد به ، فبذل الرغائب لمن يقدم على ذلك ، فكل خشى عقوبة الله فأحجم ، فتناول الزبرج مِسْحاة وهَدَم أعالى قبر الحسين ، فحينئذ أقدم الفَعَلة على العمل فيه ، وانتهوا إلى الحفيرة وموضع اللحد فلم يجدوا فيه أثر رِمَّة ولا غيرها ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى استخلف المنتصر ، انتهى .

ويتلخص مما تقدم أن المعتمد أن قبرها بالبقيع عند قبر الحسن ، وقيل : فى بيتها ، ويتفرع عليه قولان : أحدهما ما تقدم عن عبد العزيز من أن محله من المسجد ما يقابل الباب الذى يواجه دار أسماء بنت حسين ، يعنى شامى باب النساء وهو بعيد جداً ، وثانيهما حكاه العز بن جماعة وقال : إنه أظهر الأقوال ، وهو أنه فى بيتها ، وهو مكان المحراب الخشب الذى داخل مقصورة الحجرة الشريفة من خلفها ، وقد رأيت خُدَّام الحجرة يجتنبون دَوْس ما بين المحراب المذكور وبين الموضع المزور من الحجرة الشريفة الشبيه بالمثلث ، ويزعمون أنه قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها .

وقد سبق فى الفصل التاسع والعشرين من الباب الرابع أنهم لما أسَّسُوا دعائم القبة الكبرى المحاذية لأعلى الحجرة الشريفة أسسوا أسطوانة هناك زادوها عند الصفحة الشرقية من الموضع الشبيه بالمثلث خلف الحجرة ، فوجدوا قبراً بدا لحده وبعضُ عظامه ، وحصل للناس فى ذلك اليوم أمر عظيم ومشقة زائدة فيما أخبرنى به شيخ الخدام السيفى قانم وغيره .

وحكى ابن جماعة في قبر فاطمة رضى الله تعالى عنها قولين آخرين : أحدهما : أنه الصندوق الذى أمام مصلى الإمام بالروضة الشريفة ، قال : وهو بعيد جداً .

قلت : لم أقف له على أصل ، ولعله اشتبه على قائله بالمحراب المتقدم ذكره فى بيتها ؛ لأن عنده مصلى شبه حوض كالمصلى بالروضة ، وأمامه صندوق هو المحراب المذكور ، لـكن سبق فى الفصل الثالث من الباب الرابع أنهم لما أسسوا فى محل الصندوق المحترق الدعامة التى بها محراب المصلى النبوى ، وهو مصلى الإمام ، وجدوا هنالك قبراً بدا لحده مسـدوداً باللبِن أخرجوا منه بعض العظام ، وأن الأقدمين حرفوا أساس الأسطوانة التى عنده عنه ، فالله أعلم .

وثانيهما : أنه بالمسجد المنسوب إليها بالبقيع ، يعنى الذى بالقرب من قبة العباس رضى الله تعالى عنه من جهة القبلة جانحاً إلى المشرق .

وقد ذكر الغزالى هذا المسجد فى زيارة البقيع فقال : ويستحب له أن يخرج كلّ يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر القبور التى تزار ، وقال عند ذكر قبر الحسن : ويصلى فى مسجد فاطمة ، وذكره أيضاً غيره

وقال : إنه المعروف ببيت الحزن ؛ لأن فاطمة رضى الله تعالى عنها أقامت به أيام حزنها على أبيها صلى الله عليه وسلم ، ولم يذكر دفنها به ، والقول بذلك من فروع القول بدفنها بالبقيع ، لـكنه بعيد من الروايات السابقة لبعده جداً من دار عقيل وعن قبر الحسن .

وقال المحب الطبرى فى « ذخائر العقبى ، فى فضائل ذوى القربى » : أخبرنى أخ لى فى الله أن الشيخ أبا العباس المرسى رحمه الله تعالى كان إذا زار البقيع وقف أمام قبلة قبة العباس وسلم على فاطمة عليها السلام ، ويذكر أنه كُشِف له عن قبرها هناك .

قال الطبرى : فلم أزل أعتقد ذلك لاعتقادى صدقَ الشيخ ، حتى وقفت على ما ذكره ابن عبد البر من أن الحسن لما توفى دفن إلى جنب أمه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فازددت يقيناً .

قلت : وهو أرجح الأقوال ، والله أعلم .

قبر الحسن ابن على

قبر ابنها الحسن بن على ، ومن معه

وما روى من نقل بَدَن على ورأس الحسين إلى البقيع رضى الله تعالى عنهم

وروى ابن شبة عن فائد مولى عبادل أن عبيد الله بن على أخبره عمن مضى من أهل بيته أن حسن بن على رضى الله تعالى عنهما أصابه بطن ، فلما حز به وعرف من نفسه الموت أرسَلَ إلى عائشة رضى الله تعالى عنهما أن تأذن له أن يُدْفَنَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له : نعم ، ما كان بقى إلا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية استلأموا هم و بنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يُدْفَنُ فيه أبداً ، فبلغ ذلك حسن بن على رضى الله تعالى عنهما ، فأرسل إلى أهله أما إذا كان هذا فلا حاجة لى به ، ادفنونى فى المقبرة إلى جنب أمى فاطمة ، فدفن فى المقبرة إلى جنب فاطمة رضى الله تعالى عنها .

وعن نوفل بن الفرات نحوه ، وفيه أن الحسن قال للحسين : لعل القوم أن يمنعوك إذا أردت ذلك كما منعنا صاحبهم عثمان بن عفان ، ومروانُ بن الحكم يومئذ أمير على المدينة ، وقد كانوا أرادوا دفن عثمان فى البيت فمنعوهم ، فإن فعلوا فلا تُلاَحِهِم فى ذلك وادفنّى فى بقيع الغرقد ، ثم ذكر منع مروان ، وأن الحسين لما بلغه ذلك استلأم فى الحديد واستلأم مروانُ فى الحديد أيضاً ، فأتى رجل حسيناً فقال : يا أباعبد الله ، أتعصى أخاك فى نفسه قبل أن تدفنه ؟ قال : فوضع سلاحه ، ودفنه فى بقيع الغرقد .

وفى رواية لابن عبد البر أنهم لما استلأموا فى السلاح بلغ ذلك أبا هريرة رضى الله تعالى عنه، فقال: والله ما هو إلا ظلم، يمنع الحسن أن يدفن مع أبيه؟ والله إنه لابنُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ثم انطلق إلى الحسين وكلمه وناشده الله وقال له: أليس قد قال أخوك إن خفت أن يكون قتال فردونى إلى مقبرة المسلمين؟ فلم يزل به حتى فعل.

تسمية من دفن مع الحسن

وذكر ابن النجار أن مع الحسن رضى الله تعالى عنه فى قبره ابن أخيه زين العابدين على بن الحسين، وأبا جعفر الباقر محمد بن زين العابدين، وجعفرا الصادق ابن الباقر، رضوان الله عليهم أجمعين. وذكر الغزالى نحوه.

دفن على بالبقيع

وروى الزبير بن بكار من طريق شريك بن عبد الله عن أبى روق قال: حمل الحسن بدن على بن أبى طالب فدفنه بالبقيع.

قلت: وقد اتفق فى سنة بضع وستين وثمانمائة حفر قبر بمشهد الحسن والعباس أمام قبلته، فوجدوا فسقية فيها تابوت من خشب مُغَشًّى بشىء أحمر يشبه اللباد الأحمر مسمر بمسامير لها بريق و بياض لم تصدأ، وتعجب الناس لكونها لم تصدأ ولعدم بلاء ذلك الغشاء.

وأخبرنى جمع كثير ممن شاهد ذلك، وأن على مدخل تلك الفسقية أحجاراً من المسن، فلعله بدن على رضى الله تعالى عنه.

دفن رأس الحسين بن على

وذكر محمد بن سعيد أن يزيد بن معاوية بعث برأس الحسين رضى الله تعالى عنه إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وكان عامله على المدينة، فكفنه ودفنه بالبقيع عند قبر أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكن ذكر ابن أبى الدنيا أنهم وجدوا فى خزانة ليزيد رأسَ الحسين فكفنوه ودفنوه بدمشق عند باب الفراديس. وقيل غير ذلك، ولا بأس بالسلام على هؤلاء كلهم عند زيارة هذا المشهد.

قبر العباس بن عبدالمطلب

* قبر العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه *

قال ابن شبة فيما نقله عن أبى غسان : قال عبد العزيز : دفن العباس بن عبد المطلب عند قبر فاطمة بنت أسد بن هاشم فى أول مقابر بنى هاشم التى فى دار عقيل ، فيقال : إن ذلك المسجد بنى قبالة قبره ، قال : وقد سمعت من يقول : دفن فى موضع من البقيع متوسطا .

قبر صفية بنت عبدالمطلب

* قبر صفية بنت عبد المطلب رضى الله تعالى عنها *

قال عبد العزيز فيما نقله ابن شبة : توفيت صفية فدفنت فى آخر الزقاق الذى يخرج إلى البقيع عند باب الدار التى يقال لها دار المغيرة بن شعبة التى أقطعه عثمان ابن عفان لازقا بجدار الدار ، قال عبد العزيز : فبلغنى أن الزبير بن العوام اجتاز بالمغيرة وهو يبنى داره ، فقال : يامغيرة ارْفَعْ مطمرك[٢] عن قبر أمى ، فأدخل المغيرة جداره ، فالجدار اليوم منحرف فيما بين ذلك الموضع و بين باب الدار .

قال عبد العزيز : وقد سمعت مَنْ يذكر أن المغيرة بن شعبة أبى أن يفعل ذلك لمكانه من عثمان ، فأخذ الزبير السيفَ ثم قام على البناء ، فبلغ الخبرُ عثمانَ ، فأرسل إلى المغيرة يأمره بالمصير إلى ما أمره به الزبير ، ففعل .

وروى ابن زبالة عن محمد بن موسى بن أبى عبد الله قال : كان قبر صفية بنت عبد المطلب عند زاوية دار المغيرة بن شعبة الوضوء عليه[١] ، فلما بنى المغيرة داره أراد أن يقيم المطمر عليه[٢] ، قال : فقال الزبير : لا ، والله لاتبنى على قبر أمى ، فكفّ عنه .

قلت : والمعروف أن ذلك هو المشهد الآتى ذكره خارج باب البقيع ، والله أعلم .

قبر أبى سفيان ابن عبدالمطلب

* قبر أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وما قيل فى قبر عقيل وابن أخيه عبد الله بن جعفر ، رضى الله تعالى عنهم *

---

(١) كذا ، ولا معنى له ولم يتجه لى تصحيحه

(٢) المطمر — كمنبر — والمطمار أيضا : خيط البناء التى يقدر به

قال ابن شبة : قال عبد العزيز : بلغنى أن عقيل بن أبى طالب رأي أبا سفيان ابن الحارث يجول بين المقابر ، فقال : يا ابن عَمٍّ مالى أراك هنا ؟ قال : أطلب موضع قبر ، فأدخله داره وأمر بقبر فحفر فى قاعتها ، فقعد عليه أبو سفيان ساعةً ثم انصرف ، فلم يلبث إلا يومين حتى توفى فدفن فيه .

وقال الموفق بن قدامة : قيل عن أبى سفيان : إنه حفر قبره بنفسه قبل موته بثلاثة أيام ، قال : وكان سبب موته أنه حجّ فلما حلق الحلاق رأسه قطع ثُؤْلُولاً كان فى رأسه ، فلم يزل مريضا حتى مات بعد مَقْدَمه من الحج سنة عشرين ، ودفن فى دار عقيل ، وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنهم .

قلت : والظاهر أنه بالمشهد المنسوب اليوم لعقيل ؛ لأن ابن زبالة وابن شبة لم يذكرا قبر عقيل بالبقيع ، وكذا الغزالى لما ذكر فى الإحياء مَنْ يزار بالبقيع لم يذكره ، بل المنقول الذى ذكره ابن قدامة وغيره أن عقيلا توفى بالشام فى خلافة معاوية ، فكان سبب اشتهار ذلك المشهد به كون الدار التى هو بها له ؛ ويحتمل على بُعْدٍ أنه نقل من الشام ودفن بذلك المحل أيضا ، وأولُ من رأيته ذكر أنه بذلك المشهد ابن النجار ، فقال : وقبر عقيل بن أبى طالب أخى على رضى الله تعالى عنهما فى قبة أول البقيع ، ومعه فى القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبى طالب ، وهو الجواد المشهور رضى الله تعالى عنه .

قبر عبد الله بن جعفر الطيار

وقد ذكر أبو اليقظان أن عبد الله بن جعفر الجواد كان أجود العرب ، وأنه توفى بالمدينة وقد كبر ، وقال غيره : توفى ودفن بالأبواء سنة تسعين ، ويقال : إنه كان ابن عشر سنين حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قبور أمهات المؤمنين

* قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله تعالى عنهن *

روى ابن زبالة عن محمد بن عبيد الله بن على قال : قبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من خَوْخة نبيه إلى الزقاق الذى يخرج إلى البقال مستطيرة ؛ وترجم ابن شبة لقبر أم حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم روى عن زيد بن

السائب قال : أخبرنى جدى قال : لما حفر عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى داره بئرا وقع على حجر منقوش مكتوب فيه « قبر أم حبيبة بنت صخر بن حرب » فدفَنَ عقيلٌ البئر ، و بنى عليه بيتاً ، قال ابن السائب : فدخلت ذلك البيت فرأيت فيه ذلك القبر .

قلت : فهذا وما قبله أصلٌ فى زيارتهن بالمشهد المعروف بهن فى قبلة مشهد عقيل رضى الله عنه ، والظاهر أن خوخة نبيه فى غربى المشهد المذكور ، وكذا الزقاق الذى يخرج إلى البقال ؛ لما سيأتى فى ترجمته ، فيكون بعضهن بقرب الحسن والعباس رضى الله تعالى عنهما ، ولهذا روى ابن شبة عن محمد بن يحيى قال : سمعت مَنْ يذكر أن قبر أم سلمة رضى الله تعالى عنها بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن علىّ قريبا من موضع فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان حَفَر فوجد على ثمانية أذرع حجرا مكسورا مكتوبا فى بعضه « أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم » فبذلك عرف أنه قبرها .

وقد أمر محمد بن زيد بن على أهلَه أن يدفنوه فى ذلك القبر بعينه ، وأن يحفروا له عمقا ثمانية أذرع ، لحفر كذلك ودفن فيه .

وروى ابن زبالة عن إبراهيم بن على بن حسن الرافعى قال : حفر لسالم البانكى مولى محمد بن علىّ فأخرجوا حجرا طويلا فإذا فيه مكتوب « هذا قبر أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم » وهو مقابل خوخة آل نبيه بن وهب ، قال : فأهِيلَ عليه الترابُ وحفر لسالم فى موضع آخر .

وعن حسن بن على بن عبيد الله بن محمد بن عمر بن علىّ أنه هدم منزله فى دار على بن أبى طالب ، قال : فأخرجنا حجرا مكتوبا فيه « هذا قبر رَمْلَة بنت صخر » قال : فسألنا عنه فائدا مولى عبادل فقال : هذا قبر أم حبيبة ابنة أبى سفيان ، ويخالفه ما تقدم من أن قبرها فى دار عقيل ، ولعله تصحف بعلى .

وفى صحيح البخارى أن عائشة رضى الله تعالى عنها أوْصَتْ عبدَ الله بن

الزبير لا تدفنى معهم ، تعنى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، وادفنى مع صَوَاحبي بالبقيع .

وروى ابن زبالة عن فائد مولى عبادل قال : قال لى منقد الحفَّار : فى المقبرة قبران مطابقان بالحجارة : قبر حسن بن على ، وقبر عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فنحن لا نحركهما .

قلت : وأمهات المؤمنين كلهن بالمدينة ، إلا خديجة فبمكة ، وإلا ميمونة فبِسَرِف .

* قبر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه *

قبر الشهيد عثمان بن عفان

وروى ابن شبة عن الزهرى قال : جاءت أمُّ حَبيبة بنتُ أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فوقفت على باب المسجد ، فقالت : لَتُخَلُّنَّ بينى و بين دَفْن هذا الرجل أو لأَكْشِفَنَّ ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخلوها ، فلما أمْسَوْا جاء جُبَير بن مطعم وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وأبو الجهم بن حذيفة وعبد الله ابن حسل ، فحملوه فانتهوا به إلى البقيع ، فمنعهم من دَفْنه ابنُ بحرة ، و يقال : ابن نحرة الساعدى ، فانطلق به إلى حش كوكب ، وهو بستان بالمدينة ، فصلَّى عليه جُبَير ودفنوه وانصرفوا .

وعن عروة بن الزبير قال : منعهم من دَفْن عثمان بالبقيع أسْلَم بن أوس بن بجرة الساعدى ، فانطلقوا به إلى حش كوكب ، فصلى عليه حكيم بن حزام ، وأدْخل بنو أمية حش كوكب فى البقيع .

وعن عثمان بن محمد الأخنسى عن أم حكيمة قالت : كنت مع الأربعة الذين دَفَنُوا عثمان بن عفان : جُبَير بن مطعم ، وحكيم بن حزام ، وأبو جهم بن حذيفة ، ونيَار بن مكرم الأسلمى ، وحملوه على باب أسمع قرع رأسه على الباب كأنه دباة ، و يقول : دب دب ، حتى جاؤا به حش كوكب فدفن به ، ثم هد عليه الجدار وصلى عليه هناك .

قال : وحش كوكب : موضع فى أصل الحائط الذى فى شرقى البقيع الذى يقال له خضراء أبان ، وهو أبان بن عثمان .

قلت : ولذلك تسمى تلك الناحية إلى اليوم بالحضارى .

وفى طبقات ابن سعد عن مالك بن أبى عامر قال . كان الناس يتَوَقَّوْنَ أن أن يدفنوا موتاهم فى حُشِّ كوكب ، فكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : يوشك أن يهلك رجل صالح فيدفن هناك فيأتسى الناسُ به ، قال : فكان عثمان أول من دفن به .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن فروج قال : كنا مع طلحة فقال لى ولابن أخيه عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله : انطلقا فانظرا ما فَعَلَ الرجل ، قال : فدخلنا فإذا هو مُسَجَّى بثوب أبيض ، فرجعنا إلى طلحة فأخبرناه ، فقال : قوموا إلى صاحبكم فواروه ، فانطلقنا فجمعنا عليه ثيابه كما يصنع بالشهيد ، ثم أخرجناه نيصلى عليه ، فقالت المصرية : والله لا يُصَلَّى عليه ، فقال أبو الجهم بن حذيفة : والله إن عليكم أن لا تصلوا عليه ، قد صلى الله عليه ، فَنَخَزُوه ساعةً بنعال سيوفهم حتى ظننت أن قد قتلوه ، ثم أرادوا دفنه مع نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استوهب من عائشة رضى الله تعالى عنها موضعَ قبر فوهبت له ، فأبوا ، فدفن فى مقبرة كان قد اشتراها فزادها فى المقبرة ، فكان أول من دفن فيها .

وقيل : إن عمرو بن عثمان صلى عليه يومئذ .

وروى ابن زبالة عن ابن شهاب وغيره أن عُثمان منع من البقيع ، فدفن فى حش كوكب ، وكان عثمان بن مظعون أولَ مَنْ دفن بالبقيع ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسفل مهراس علامةً على قبره ليدفن الناس حوله ، وقال : لأجعلنَّكَ للمتقين إماما ، فلما استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة فى ملكه أدخل الحش فى البقيع ، وحمل المهراس فجعله على قبر عثمان ، وقال : عثمان وعثمان ، فدفن الناس حول عثمان رضى الله تعالى عنه .

قبر سعد بن معاذ

* قبر سعد بن معاذ الأشهلي رضي الله تعالى عنه *

نقل ابن شبة عن عبد العزيز أنه أصيب يوم الخندق، فدعا فحبس الله عنه الدم، حتى حَكَم في بني قريظة، ثم انفجر كله؛ فمات في منزله في بني عبد الأشهل، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه في طرف الزقاق الذي بلزق دار المقداد بن الأسود، وهو المقداد بن عمرو، وإنما تَبَنَّاه الأسود ابن عبد يغوث الزهري، وهي الدار التي يقال لها دار ابن أفلح في أقصى البقيع عليها جُنْبُذة، (١) انتهى. وهذا الوصف صادق بالمشهد المنسوب لفاطمة بنت أسد؛ لكونه بطرف زقاق في أقصى البقيع: وفي شرقيه ناحية بني ظَفَر وبني عبد الأشهل، فلعله قبره، ولكن وقع الاشتباه في نسبته لفاطمة رضي الله تعالى عنها لما قدمناه في قبرها، والله أعلم

قبر أبي سعيد الخدري

* قبر أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه *

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال: قال لي أبي: يا بني، إني قد كبرت، وذهب أصحابي وحان مني، فَخُذْ بيدي، فأخذت بيده حتى جئت إلى البقيع، فجئت أقصى البقيع مكانا لا يدفن فيه، فقال: يا بني، إذا هلكت فاحفر لي ههنا، لا تبك عليّ باكية، ولا يضربن عليّ فسطاط، ولا يمشي معي بنار، ولا تؤذنن أحدا، واسلك بي زقاق عمقة، وليكن مشيك بي خَبَباً، وفي رواية ثم اتكأ على فأتى البقيع حيث لا يدفن أحد، فقال: إذا مت فادفني ههنا، واسلك بي زقاق عمقة، وزاد: ولا تبك عليّ نائحة، وامْشُوا بي الخَبَبَ، ولا تؤذنوا بي أحدا، قال: فيأتيني الناسُ متى يخرج، فأكره أن أخبرهم لما قال لي، فأخرجته في صدر النهار، فأتيت البقيع وقد ملىء ناساً.

---

(١) جنبذة — هي بضم الجيم وسكون النون وضم الباء — شيء يشبه القبة

بيان المشاهد المعروفة اليوم بالبقيع وغيره من المدينة الشريفة

اعلم أن أكثر الصحابة رضى الله عنهم — كما قال المطرى — ممن توفى فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم و بعد وفاته مدفنون بالبقيع ، وكذلك سادات أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وسادات التابعين

وفى مدارك عياض عن مالك أنه مات بالمدينة من الصحابة نحو عشرة آلاف ، وباقيهم تفرقوا فى البلدان .

وقال المجد : لاشك أن مقبرة البقيع محشوة بالجماء الغفير من سادات الأمة ، غير أن اجتناب السلف الصالح من المبالغة فى تعظيم القبور وتجصيصها أفضى إلى انطماس آثار أكثرهم ، فلذلك لا يعرف قبر معينين منهم إلا أفرادا معدودة.

قلت : وقد ابتنى عليها مشاهد : منها مشهد على يمينك إذا خرجت من باب البقيع قبلى المشهد المنسوب لعقيل بن أبى طالب وأمهات المؤمنين ، تحوى العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحسن بن على ، ومن تقدم ذكره معه ، وعليهم قبة شامخة فى الهواء ، قال ابن النجار : وهى كبيرة عالية قديمة البناء وعليها بابان يفتح أحدهما فى كل يوم ، ولم يذكر الذى بناها ، وقال المطرى : بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضىء .

قلت : وفيه نظر ؛ لأن الناصر هذا كان معاصرا لابن النجار ؛ لأنه توفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، ووفاة ابن النجار سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقد قال ابن النجار : إن هذه القبة قديمة البناء ، ووصفها بما هى عليه اليوم . ورأيت فى أعلى محراب هـــذا المشهد : أمر بعمله المنصور المستنصر بالله ، ولم يذكر اسمه ولا تاريخ العمارة ، فلعله المنصور الذى هو ثانى خلفاء بنى العباس ، لـكنه لايلقب بالمستنصر بالله ، ولم أر مَنْ جمع بين هذين اللقبين ، وعلى ساج قبر العباس أن الآمر بعمله المسترشد بالله سنة تسع عشرة وخمسمائة ، ولعل عمارة القبة قبله ، وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مُغَشَّيَانِ بألواح ملصقة

أبدعَ إلصاق مضفحة بصفائح الصُّفْر مكوكبة بمسامير على أبدع صفة وأجمل منظر .

وينبغى أن يسلم زائرها على من قدمنا ذكر دفنه عندهما فى قبر فاطمة والحسن رضى الله تعالى عنهما ، وهناك قبور كثيرة لأمراء المدينة وأقاربهم من الأشراف يدفنون بهذا المشهد .

وفى غربيه قبر ابن أبى الهيجاء وزير العبيديين ، عليه بناء ، وقبر آخر يعرف بابن أبى النصر عليه بناء أيضا .

وفى شرقى المشهد بعيداً منه حَظِيرتَان فى إحداهما الأمير جوبان صاحب المدرسة الجوبانية ، وفى الأخرى بعض الأعيان ممن نقل إلى المدينة ، وإنما نبهت على ذلك خوفا من الالتباس على طول الزمان .

ومنها: مشهد فى قبلة المشهد المنسوب لعقيل متصل به ، قال المطرى : يقال : إن فيه قبور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال ابن النجار — فى القبور المعروفة فى زمانه — مالفظه : وقبور أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وهن أربعة قبور ظاهرة ، ولا يعلم تحقيق مَنْ فيها منهن .

قلت : باطن هذا المشهد كله أرض مستوية ليس فيها علامة قبور ، وكان حظيراً مبنِيًّا بالحجارة كما ذكره المطرى ، فابتنى عليه قبةَ الأميرُ بردبك المعمار سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

ومنها: مشهد عقيل بن أبى طالب على ما ذكره ابن النجار ، وتبعه مَنْ بعده ، قال : ومعه فى القبر ابن أخيه عبد الله الجواد بن جعفر الطيار ، كما قدمناه عنه فى قبر أبى سفيان بن الحارث ، مع بيان أن ذلك المشهد من دار عقيل ، وأن الذى نقل دفنه هناك إنما هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وأن عقيلا مات بالشام خلاف قول المطرى إن المنقول دفنه فى داره ، وجوزنا أن يكون نقل من

الشام إليها ، فينبغى السلام على الثلاثة المذكورين هناك ، وتقدم استجابة الدعاء عند زاوية الدار المذكورة .

ومنها : روضة بقرب مشهد عقيل ، يقال : إن فيها ثلاثة من أولاد النبى صلى الله عليه وسلم ، كذا قاله المجد ، وجعله مما يعرف فى زمنه بالبقيع ، ولم أره فى كلام غيره ، ولولا ذكره لمشهد سيدنا إبراهيم قبل ذلك لحملنا كلامه عليه ، وليس بقرب مشهد عقيل إلا القبة المتهدمة التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين ، ولا يعرف مَنْ بها ، فلعلها مراده ، أوالقبة الآتى ذكرها فى مشهد الإمام مالك رضى الله تعالى عنه فى ركنه الشرقى الشمالى ، فإن كلا منهما يصح وصفها بالقرب من مشهد عقيل ، ثم تبين أن مراده الأولى التى فى غربى مشهد أمهات المؤمنين ، فإن ابن جُبَير ذكر فى رحلته روضة عقيل ، ثم روضة أمهات المؤمنين ، ثم قال : وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويليها روضة العباس بن عبد المطلب ، إلى آخره ، فهذا مأخذ المجد .

ومنها : مشهد سيدنا إبراهيم بن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبره على نَعْت قبر الحسن والعباس ، وهو ملصق إلى جدار المشهد القبلى ، وفى هذا الجدار شباك ، قال المجد : وموضع تربته يعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه البيت الذى أوَتْ إليه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، والتزمت الحزن فيه بعد وفاة أبيها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

والمشهور ببيت الحزن إنما هو الموضع المعروف بمسجد فاطمة فى قبلة مشهد الحسن والعباس ، وإليه أشار ابنُ جُبَير بقوله : ويلى القبة العباسية بيت لفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ببيت الحزن ، يقال : إنه الذى أوَتْ إليه والتزمت الحزن فيه عند وفاة أبيها صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وفيه قبرها على أحد الأقوال كما قدمناه ، وأظنه فى موضع بيت على بن أبى طالب الذى كان اتخذه بالبقيع ، وفيه اليوم هيئة قبور .

وفى شامى قبر سيدنا إبراهيم بمشهده صورة قبرين حادثين لم يذكرهما ابن النجار ، ولا من تبعه ، إنما ذكروا ما قدمناه من كونه إلى جانب عثمان بن مظعون وأن عبد الرحمن بن عوف أوصى أن يدفن هناك ، وأنه ينبغى زيارتهما معه .

قلت : وكذا كل من قدمنا ذكر دفنه هناك .

ومنها : مشهد صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم الزبير بن العوام ، على يسارك عند ما تخرج من باب البقيع ، وهو بناء من حجارة لا قُبَّة عليه ، قال المطرى : وأرادوا عَقْد قبة صغيرة عليه فلم يتفق ذلك .

ومنها : مشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، وعليه قبة عالية ابتناها أسامة بن سنان الصالحى أحدُ أمراء السلطان السعيد صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة إحدى وستمائة ، قاله المطرى ، قال الزين المراغى : ونقل أبو شامة أن البانى لها عز الدين سلمة .

قلت : ولم يذكر ابن النجار هـذه القبة ، مع ذكره لقبة الحسن والعباس وسيدنا إبراهيم وغيرهما مما كان فى زمنه ، وقد أدرك التاريخ الذى ذكره المطرى وبعده بكثير .

وبمشهد سيدنا عثمان قبر خلف قبره يقال : إنه قبر متولى عمارة القبة .

وقد حدث فى زماننا أمام المشهد فى المغرب بناء مربع عليه قبو فيه امرأة كانت أم ولد لبعض بنى الجيعان توفيت بالمدينة الشريفة ، وإلى جانبه حظيرة فيها امرأة لبعض الأتراك ، وبين هـذا البناء وبين المشهد أيضاً حظيرة أخرى بها أخت صاحبنا قاضى الحرمين العلامة محيى الدين الحنبلى متع الله به .

ومنها : مشهد فاطمة[1] بنت أسد أم أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما بأقصى البقيع ، على ما فيه مما تقدم فى ذكر قبرها ، وينبغى أن يسلم هناك على سعد بن معاذ لما سبق .

---

(١) وبالبقيع فى آخر شامى مشهد عثمان رضى الله عنه قبة يزعم الناس أنها لحليمة السعدية مرضعة النبى (ص) ولم نر لذلك أصلا (حسب الله)

مشهد مالك ابن أنس الأصبحى

ومنها : مشهد الإمام أبى عبد الله مالك بن أنس الأصْبَحى إمام دار الهجرة إذا خرجت من باب البقيع كان مواجهاً لك عليه قبة صغيرة و إلى جانبه فى المشرق والشام قبة لطيفة أيضاً ، لم يتعرض لذكرها المطرى ومَنْ بعده ، فيحتمل أن تكون حادثة ، و يقال : إن بها نافعا مولى ابن عمر .

وفى كلام ابن جبير عند ذكر المشاهد المعروفة فى زمنه ما يؤخذ منه أن بين مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام و بين مشهد مالك تربة عن يمين مشهد سيدنا إبراهيم ، وأنها تربة ابن لعمر رضى الله عنه اسمه عبد الرحمن الأوسط ، قال : وهو المعروف بأبى شحمة ، وهو الذى جَلَده أبوه الحدّ فرض ومات ، وما ذكره ينطبق على القبة المذكورة .

مشهد إسماعيل ابن جعفر الصادق

ومنها : مشهد إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو كبير يقابل مشهد العباس فى المغرب ، وهو ركن سور المدينة اليوم من القبلة والمشرق ، بنى قبل السور ، فاتصل السور به ، فصار بابه من داخل المدينة ، قال المطرى : بَنَاه بعض العبيديين من ملوك مصر .

قلت : على باب المشهد الأوسط الذى أمامه الرحبة التى بها البئر التى يتبرك بها حجر فيه أن حسين بن أبى الهيجاء عَمَره سنة ست وأربعين وخمسمائة ، ولعل المطرى نسب ذلك لبعض العبيديين ؛ لأن ابن أبى الهيجاء كان من ورائهم .

قال المطرى : و يقال إن عرصة هـذا المشهد وما حوله من جهة الشمال إلى الباب كانت دار زين العابدين ، و بجانب المشهد الغربى مسجد صغير مهجور يقال : إنه مسجد زين العابدين .

قلت : على يمين الداخل إلى المشهد بين الباب الأوسط والأخـير حجر منقوش فيه وقف الحديقة التى بجانب المشهد فى المغرب على المشهد : وقَفَها ابنُ أبى الهيجاء ، ونسبة المسجد الذى بطرف الحديقة بجانب المشهد لزين العابدين ، وأن عرصة المشهد داره ، وأن بئره تلك يُتَدَاوى بها .

ويقال : إن ابنه جعفرا الباقر سقط بها وهو صغير ، وزين العابدين يصلى ، فلم يقطع صلاته .

وفى كلام ابن شبة ما يصلح أن يكون مستنداً فى نسبة تلك العرصة لزين العابدين ؛ لذكره داراً تقرب من وصفها ، ونَسَبَهَا لولده ، فقال : واتخذت صفية بنت حُيَي دارَ زيد بن على بن حسين بن على ، وقد صارت دارين ، وهما جميعاً دار واحدة ، بنى زيد بن على شقها الشرقى الذى يلى البقيع ، و بنى آل أبى سويد الثقفى شقها الغربى الذى يلى دار السائب مولى زيد بن ثابت ، فيحتمل أنه نسبها لولده لسكونه بناها وكانت لأبيه ، وقال أيضاً : واتخذ جعفر بن أبى طالب داراً بين دار أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم بالبقيع و بين دار أسماء بنت عُمَيس التى فى شامى دار أبى رافع تحت سقيفة محمد بن زيد بن على بن حسين . وبَيَّنَ ابن شبة أن دار أبى رافع نَاقَلَ بها سعدُ بن أبى وقاص أبا رافع فدفع لأبى رافع داره بالبقال .

وقد تقدم ذكر الشارع الذى يخرج إلى البقال فى قبور أمهات المؤمنين، وأنه فى غربى المشهد المعروف بهن ؛ لما سيأتى فى ترجمة البقال ، وقد جدد مسجد زين العابدين سنة أربع وثمانين وثمانمائة .

وأما المشاهد المعروفة بالمدينة فى غير البقيع فثلاثة :

مشهد حمزة

أحدها : مشهد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنه . وسيأتى ذكره مع شهداء أحد فى الفصل بعده ، وعليه قبة عالية حسنة مُتْقنة ، و بابه مصفح كله بالحديد . بَنَتْه أم الخليفة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضى، كما قاله ابن النجار ، وذلك فى سنة تسعين وخمسمائة، قال : وجعلت على القبر ملبناً من ساج ، وحوله حصباء ، و باب المشهد من حديد، يفتح كل يوم خميس، وقريب منه مسجد يذكر أنه موضع مقتله، انتهى.

وتبعه عليه مَنْ بعده . ووصفه القبر بأن عليه ملبن خشب ، يعنى أنه كهيئة قبر سيدنا إبراهيم ، فإنه عبر فيه بذلك أيضاً ، وقبر سيدنا إبراهيم على ذلك الوصف اليوم ، وكذلك الحسن والعباس .

وأما قبر حمزة فإنه اليوم مبنى مُجَصَّص بالقَصَّة لا خشب عليه ، وفى أعلاه من ناحية رأسه حجر فيه بعد البسملة : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » هذا مَصْرَع حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، ومصلى النبى صلى الله عليه وسلم ، عَمَره العبدُ الفقير إلى رحمة ربه حسين بن أبى الهيجاء ، غفر الله له ولوالديه سنة ثمانين وخمسمائة ، انتهى .

وهذا قبل عمارة أم الناصر بعشر سنين ، وابن النجار إنما قدم المدينة بعد ذلك ؛ لأنه ألَّفَ كتابه سنة مجاورته بها ، ومولده سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، فمقتضى ذلك أن ابن النجار أدرك القبر وهو بهذه الهيئة من الكتابة ، وقد صرح بخلافها ، وأيضاً فالتعبير فى تلك الكتابة بمَصْرَع حمزة وتصديره بالآية دليل الخطأ فى إثبات ذلك المسن هناك ، فالصواب أن ذلك المسن كان بالمسجد المعروف اليوم بالمصرع ، وكأنه لما تهدَّم نقل إلى المشهد لقربه منه ، ثم لما تكسر الخشب الذى ذكر ابن النجار أنه كان على القبر بَنَوْا القبر على هذه الهيئة ، وظنوا أن ذلك المسن لوضعه بالمشهد يتعلق به ، فأثبتوه بالقبر . ويؤيد ذلك أن نسبة عمارة القبة لأم الخليفة فى التاريخ المذكور موجودة اليوم بالكتابة الكوفية نَقْشًا فى جدار المشهد بالجص ، واقتلع الشجاعى شاهين شيخُ الحرم المسنَّ المذكور وأعاده إلى محله بالمصرع ، ومقتضى ما سبق عن ابن النجار ومَنْ تبعه أن أم الخليفة الناصر لدين الله هى أول من اتخذ المشهد المذكور على سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه ، وسيأتى فى الفصل بعده عند ذكر قبر حمزة رضى الله تعالى عنه عن عبد العزيز بن عمران أنه كان على قبر حمزة قديماً مسجد ، وذلك فى المائة الثانية ، فكأن أم الخليفة وسَّعته وجعلته على

هذه الهيئة الموجودة اليوم ، وقد زاد فيه سلطان زماننا الأشرف قايتباى أعز الله نصره زيادةً من جهة المغرب أَدْخَلَ فيها البئر التى كانت خارجة فى غربيه، واتخذ هناك أَخْلِيَة لمن يريد الطهارة ، وجعل بعضها بالسطح ، فعمَّ النفع بذلك ، واحتفر بئراً خارجهُ بجهة المغرب أيضاً يرتفق بها المارة ، وذلك فى شهر جُمَادى الأولى سنة تسعين وثمانمائة على يد الشجاعى شاهين الجمالى شيخ الحرم الشريف النبوى ، وشاد عمائره ، عظم الله شأنه .

واعلم أن القبر الذى بالمشهد عند رجلى سيدنا حمزة رضى الله تعالى عنه قبر رجل تركى اسمه سنقر ، كان متولى عمارة المشهد ، والقبر الذى بصحن المسجد قبر بعض أمراء المدينة من الأشراف ، فلا يظن أنهما من قبور الشهداء رضوان الله عليهم، وسيأتى فى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه أنه ينبغى أن يسلم معه على مُصْعب ابن عُمَير وعبد الله بن جَحْش ؛ لما سيأتى فيه .

مشهد مالك بن سنان الخدرى

ثانيها : مشهد مالك بن سنان ، والد أبى سعيد الخدرى ، فى غربى المدينة ملاصقاً للسور ، وسيأتى ما جاء فيه فى الفصل بعده ، وعليه قبة قديمة البناء بها محراب، وعن يمينه باب خزانة صغيرة فيها بناء أصغر من صفة القبور يظن الناس أنه محل القبر ، والظاهر أن القبر بالقبة المذكورة ، لما سيأتى فى ذكر من قيل إنه نقل من شهداء أحد من قول ابن أبى فدَيك إنه بالمسجد الذى عند أصحاب العَباء فى طرف الحناطين ، لكن فى رواية ابن زبالة أنه دفن عند مسجد أصحاب العباء : أى الذين يبيعون العبى ، وذلك المحل من سوق المدينة القديم .

مشهد النفس الزكية

ثالثها : المشهد المعروف بالنفس الزكية ، وهو السيد الشريف الملقب بالمهدى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، رضوان الله تعالى عليهم ، قتل فى أيام أبى جعفر المنصور ، وهذا المشهد شرقى جبل سَلْع ، وعليه بناء كبير بالحجارة السود ، قصدوا أن يبنوا عليه قبة فلم يتفق ، وهو داخل مسجد كبير مهجور، وفى قبلة المسجد مَنْهَل من عين الأزرق مدرج من شرقيه وغربيه .

والعين تجرى فى وسطه ، وتقدم فى سوق المدينة أن ابن زبالة عبر عن ذلك ببركة السوق . ولعل ذلك المسجد هو المنسوب إلى الأعرج كما تقدم فى مصلى العيد .

وما ذكرناه من كون النفس الزكية بهذا المشهد ذكره المطرى ومن تبعه ، وهو المستفيض بين أهل المدينة ، لكنه مخالف لما ذكره سبط ابن الجوزى فى رياض الأفهام ، فإنه ذكر خروجه على المنصور بعد حَبْسه لأبيه وأقاربه ، فبايعه كثير من الناس ، قال : فجهز إليه المنصور عيسى بن موسى عم المنصور فى أربعة آلاف ، فجاء ووقف على سلع وقال : يا محمد ، لك الأمان ، فصاح به : والله ما تفوز ، والموت فى عزّ خيرٌ من الحياة فى ذل ، فاغتسل هو ومَنْ بقى من أصحابه وتَحَنَّطوا وهم ثلاثمائة و بضعة عشر وحملوا على عيسى وأصحابه ، فهزموا ثلاثا ، ثم تكاثروا عليهم فقتلوهم ، وأتوا عيسى بن موسى برأس محمد . ووارت أُخْتُه زينبُ وابنتُه فاطمة جسدَه بالبقيع ، وكان قتله عند أحجار الزيت ، وكان معه ذو الفَقَار سيفُ علىّ رضى الله تعالى عنه ، فأخذه عيسى بن موسى ، ثم انتقل إلى الرشيد .

قال الأصمعى : أنا رأيته ، وفيه ثمانى عشرة فقارة ، اهـ

وقال محمد — أعنى النفسَ الزكية — فى يوم قتالهم لعبد الله بن عامر السلمى : تغشانا سحابة ، فإن أمطرتنا ظفرنا ، وإن تجاوزتنا إليهم فانظر إلى دمى عند أحجار الزيت . قال عبد الله : فوالله لقد أظلتنا سحابة فلم تمطرنا ، وتجاوزتنا إلى عيسى بن موسى وأصحابه ، فظفروا ، وقتلوا محمدا ، ورأيت دمه عند أحجار الزيت ، و بسبب محمدٍ هذا ضرب عيسى بن موسى الإمام مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه ، نقل ذلك المقريزى .

الفصل السابع
فى فضل أُحُدٍ والشُّهَداء به

الأحاديث الواردة فى فضل أحد

روينا فى الصحيحين وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأحد لما بدا له : هذا جَبَلٌ يحبنا ونحبه .

وفى رواية للبخارى بيان أن ذلك كان عند القدوم من خيبر ، ولفظ رواية ابن شبة عنه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فلما بدا لهم أحد قال ، الحديثَ .

وفى رواية له عن سويد الأنصارى قال . قَفَلْنَا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر ، فلما بدا له أحد قال : الله أكبر ، جَبَلٌ يحبنا ونحبه .

ورواه أحمد والطبرانى برجال الصحيح إلا عقبة بن سويد ، وقد ذكره ابن أبى حاتم ولم يذكر فيه جَرْحا .

وفى فضائل المدينة للجندى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم « طَلَع أحدا فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه » وفى رواية له « طلع علينا أحدا » وفى رواية أخرى للبخارى أن ذلك كان فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحج .

وفى رواية عن أبى حُمَيد الساعدى قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تَبُوك ، فلما أشرفنا على المدينة قال : « هذه طَابَةُ ، وهذا أحد ، جبل يحبنا ونحبه » ورواه ابن شبة أيضا .

وفى رواية له قال : أقبلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من منزله ، حتى إذا كنا بغرابات نظر إلى أحد فكبر ثم قال « جبل يحبنا ونحبه ، جبل سائر ليس من جبال أرضنا » .

وروى أيضا بإسناد جيد عن أبى قلابة قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا جاء من سَفَر فبدا له أحد قال : هذا جَبَلٌ يحبنا ونحبه ، ثم قال : آيبون تائبون ساجدون لربنا حامدون .

وروى أيضا عن أبى هريرة قال : لما قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة خيبر بدا لنا أحد ، فقال : هذا جبل يحبنا ونحبه ، إن أحدا هذا لعلى باب من أبواب الجنة .

وروى الطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى عبس بن جبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحدٍ : هـذا جبل يحبنا ونحبه ، على باب من أبواب الجنة ، وهذا عَيْر جبلٌ يبغضنا ونبغضه ، على باب من أبواب النار .

وفى الأوسط — وفيه كثير بن زيد : تُكُلِّم فيه ، ووثَّقه أحمد وغيره — من حديث أنس بن مالك مرفوعا « أُحُدٌ جبل يحبنا ونحبه ، فإذا جئتموه فكُلُوا من شجره ولو من عَضَاهه » ورواه ابن شبة بلفظ « أحد على باب من أبواب الجنة ، فإذا مررتم به فكُلوا من شجره ، ولو من عَضَاهه » .

وروى أيضا عن زينب بنت نبيط ، وكانت تحت أنس بن مالك ، أنها كانت ترسل وَلاَئدها فتقول : اذهبوا إلى أُحُدٍ فأتونى من نبَاته ، فإن لم تجدن إلا عضاها فأتننى به ، فإن أنس بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « هذا جبلٌ يحبنا ونحبه » قالت زينب : فكلوا من نباته ولو من عَضَاهه ، قال : فكانت تعطينا منه قليلا قليلا فنمضغه .

وعن رافع بن خديج قال : نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُحْتَشّ أحد إلا يوما بيوم .

وعن داود بن الحصين مرفوعا « أُحُدٌ على ركن من أركان الجنة ، وعَيْر على ركن من أركان النار » .

وعن إسحاق بن يحيى بن طلحة مرسلا رفعه « أحد وورقان وقدس ورَضْوَى من جبال الجنة » .

وروى أبو يعلى والطبرانى فى الكبير عن سهل بن سعد مرفوعا « أحد ركن من أركان الجنة » .

وفى الكبير أيضاً عن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة أجبال من أجبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة ، قيل : فما الأجبال ؟ قال : أحد يحبنا ونحبه جبل من جبال الجنة ، وورقان جبل من جبال الجنة ، والطور جبل من جبال الجنة ، ولُبْنَان جبل من جبال الجنة ، والأنهار الأربعة النيلُ والفُرَات وسَيْحان وجَيْحان ، والملاحم بَدْر وأُحُد والخَنْدَق وحُنَين » .

ورواه ابن شبة مختصرا ، وروى عن أبى هريرة نحوه ، وقال فيه : وسكت عن الملاحم ، وعن أبى هريرة أيضاً قال : خير الجبال أُحد والأشعر وورقان .

ونقل الحافظ ابن حجر اختلافَ الروايات فى الأَجْبُل التى بنى منها البيت الحرام ، وفى بعضها أنه أسس من ستة أجبل : أبى قبيس ، والطور ، وقدس ، وورقان ، ورَضْوَى ، وأُحُد .

وروى ابن شبة عن أنس بن مالك مرفوعا « لما تجلّى الله عز وجل للجبل طارت لعظمته ستة أجبل ، فوقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة ، وقع بالمدينة أحد وورقان ورضوى ، ووقع بمكة حِراء وثَبِير وثَوْر » .

موقع أحد من المدينة المنورة

قال أبو غسان راويه : فأما أحد فبناحية المدينة على ثلاثة أميال منها فى شاميها ، وأما ورقان فبالروحاء من المدينة على أربعة بُرُد ، وأما رَضْوَى فبينبع على مسيرة أربع ليال ، وأما حِراء فبمكة وُجَاه بئر ميمون ، وثَوْر أسفل مكة هو الذى اختفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غاره .

قلت : ولم يبين ثَبيرا ، وما ذكره من المسافة إلى أُحد يقرب مما حررته ، فإنى ذَرَعْتُ ما بين عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل و بين المسجد الملاصق لجبل أُحد المعروف بمسجد الفتح فكان ذلك ثلاثة أميال وزيادة خمسة وثلاثين ذراعا ، وأما ما بين باب المدينة المعروف بباب البقيع و بين أول جبل أُحد فميلان وأربعة أسباع ميل يزيد يسيراً ، و بين باب البقيع ومشهد سيدنا حمزة

ميلان وثلاثة أسباع ميل وخمس سبع ميل ، وأذْرُع يسيرة ، وقد علم بذلك التسامح الذى فى قول النووى فى تهذيبه : أحد بجنب المدينة على نحو ميلين ، وكذا قول المطرى ومَنْ تبعه : بين مشهد حمزة والمدينة ثلاثة أميال ونصف أو ما يقاربه ، و إلى جبل أحد نحو أربعة أميال ، وقيل : دون الفرسخ ، انتهى .

وجه تسمية أحد وحبه

وقال السهيلى : سمى هـذا الجبل أحدا لتوحده وانقطاعه عن جبال أخرى هناك ، ولما وقع من أهله من نصر التوحيد .

وللعلماء فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « يحبنا ونحبه » أقوال :

أحدها : أنه على حذف مضاف ، أى أهل أحد ، وهم الأنصار ؛ لأنهم جيرانه .

ثانيها : أنه للمسرة بلسان الحال ؛ لأنه كان يبشره إذا رآه عنـد القدوم بالقرب من أهله ، وذلك فعل المحب .

ثالثها : أن الحب من الجانبين على الحقيقة ، وأنه وضع فيه الحبُّ كما وضع فى الجبال المسبحة مع داود ، وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها (و إن منها لما يهبط من خشية الله) سيما وقد جاء أنه طار من الجبل الذى تجلى الله عز وجل له كما سبق ، وهذا الثالث هو الذى صححه النووى ، وقال الحافظ ابن حجر : إن الظاهر أن ذلك لـكونه من جبال الجنة ، كما ثبت فى حديث أبى عبس بن جبر مرفوعا « جبل أحد يحبنا ونحبه ، وهو من جبال الجنة » أخرجه أحمد ، ولا مانع فى جانب الجبل من إمكان المحبة ، كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه صلى الله عليه وسلم مخاطبة مَنْ يعقل فقال لما اضطرب « اسْكُنْ أُحُد » الحديث .

وقال الحافظ المنذرى : قال البغوى : الأولى إجراء الحديث على ظاهره ، ولا ينكر وصف الجمادات بحب الأنبياء وأهل الطاعة كما حَنّت الأسطوانة لمفارقته صلى الله عليه وسلم حتى سمع القومُ حنينها ، وكما أخبر أن حَجَرا كان يسلم عليه صلى الله عليه وسلم قبل الوحى ؛ فلا ينـكر أن يكون جبل أحد وجميع أجزاء

المدينة تحبه وتحنّ إلى لقائه ، قال المنذرى : وهو جيد .

قلت : ويرجحه قوله فى الحديث المتقدم « فإذا جئتموه فكلوا من شجره » فإن عيرا يجاوره أهل قباء ، ويظهر للقادم من جهة مكة قبل أحد ، بل ذلك فضل الله يوتيه من يشاء .

وقال السهيلى : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ، والاسم الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأَحَدِية ، ومع ذلك فحركاته الرفع ، وذلك مشعر بارتفاع دين الأحد ، فتعلق الحب به من النبى صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى ، فخص بذلك .

وليضف إليه أن المحبة لما تعلقت من الجانبين ، وكان المرء مع من أحب ، كان هذا الجبل معه صلى الله عليه وسلم فى الجنة إذا بُسَّت الجبال بسا .

وأيضاً لما انقسم أهل المدينة إلى محب مُوَحِّد وهم المؤمنون وإلى منافق مبغض وهم الجاهلون الجاحدون كأبى عامر الراهب وغيره من المنافقين ، وكانوا ثلث الناس يوم أحد رجعوا مع ابن أبى ولم يحضروا أحدا ؛ انقسمت بِقَاعُ المدينة كذلك ، فجعل الله تعالى هذا الجبل حبيبا محبوبا كمن حضر به ، وجعله معه فى الجنة ، وخصه بهذا الاسم ، وجعل عَيْرا مبغوضا إن صح الحديث فيه ، وجعل بجهته المنافقين من أهل مسجد الضرار فرجعوا من جهة أحد إلى جهته فكان معهم فى النار ، وخصه باسم العَيْر الذى هو الحمار المذموم أخلاقا وجهلا ، والله أعلم .

وروى ابن شبة كما سبق فى سكنى اليهود بالمدينة عن جابر بن عبد الله مرفوعا : خرج موسى وهرون عليهما السلام حاجَّيْنِ أو معتمرين ، حتى إذا قدما المدينة خافا اليهودَ فنزلا أحدا وهرونُ مريضٌ ، فحفر له موسى قبرا بأحُدٍ ، وقال : يا أخى ادخل فيه فإنك ميت ، فدخل فيه ، فلما دخل قبضه الله ، فحَثَا موسى عليه التراب .

زعموا أن هرون مدفون بأحد

قلت : بأحد شعب يعرف بشعب هرون ، يزعمون أن قبر هرون عليه السلام فى أعلاهُ ، وهو بعيد حسا ومعنى ، وليس ثم ما يصلح للحفر و إخراج التراب . وفى أعلى أحد بناء اتخذه بعض الفقراء قريبا والناسُ يصعدون إليه ، ولم يَرِدْ تعيينُ المحل الذى صعده النبى صلى الله عليه وسلم من أحد ، نعم وَرَدَ صلاته بالمسجد الملاصق به المعروف بمسجد الفتح كما سبق فى المساجد .

مزاعم فى مواضع من جبل أحد

وقال ابن النجار : وفى جبل أحد غار يذكرون أن النبى صلى الله عليه وسلم اختفى فيه ، ومسجد يذكرون أنه صلى فيه ، وموضع فى الجبل أيضاً منقور فى صخرة منه على قدر رأس الإنسان يذكرون أنه صلى الله عليه وسلم قَعَدَ — يعنى على الصخرة التى تحته — وأدخل رأسه هناك ، كل هذا لم يرد به نقل فلا يعتمد عليه .

قلت : أما المسجد فقد ثبت النقل به من رواية ابن شبة كما سبق ، لكن لم يقف عليه ابن النجار .

وأما الغار فقال المطرى : إنه فى شمالىّ هذا المسجد ، والموضع المنقور والصخرة التى تحته بقرب المسجد ، وروى ابن شبة عن المطلب بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يدخل الغار بأحُد .

وسيأتى فى ترجمة المهراس قول ابن عباس : ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما كان تحت المهراس ، ومقتضاه أن الغار بعد المهراس ، وسيأتى فى ترجمة شعب أحد أن النبى صلى الله عليه وسلم انتهى يوم أحد إلى فم الشعب وأسند فيه .

قال ابن هشام : و بلغنى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنيّة فى الشعب ، انتهى . وكأن مَنْ بناها ظن أن الصخرة التى نهض النبى صلى الله عليه وسلم ليعلوها ، وجلس له طلحة بن عبيد الله كانت هناك ، ولهذا أورده ابن هشام عند ذكرها .

شهادة الرسول لشهداء أحد

وروى يحيى أنه لما انكشف الناس يوم أحد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مُصْعَب بن عمير فقال (من المؤمنين رجال) إلى قوله (وما بدلوا تبديلا) اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، فأتوهم وسلموا عليهم ، فلن يسلم عليهم أحد ماقامت السموات والأرض إلا ردُّوا عليه ، ثم وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم موقفاً آخر فقال : هؤلاء أصحابى الذين أشهد لهم يوم القيامة ، فقال أبو بكر : فما نحن بأصحابك ؟ فقال : بلى ، ولكن لا أدرى كيف تكونون بعدى ، إنهم خرجوا من الدنيا خِمَاصا .

ورواه الثعلبى المفسر إلا أنه قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد مرَّ على مُصْعَب بن عمير ، فوقف عليه ، ودعا له ، ثم قرأ ، وذكر الآية وما بعدها بنحوه ، إلى قوله ثم وقف .

وروى أبو داود والحاكم فى صحيحه حديث «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جَوْف طير خُضْر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مُعَلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومَقِيلهم قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزَق لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا يكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) الآية » .

وفى صحيح البخارى حديث « صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودِّع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال : إنى بين أيديكم فَرَط ، وأنا عليكم شهيد ، و إن موعدكم الحوض » .

وروى ابن شبة وأبو داود عن طلحة بن عبيد الله قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء ، حتى إذا أشرَفْنَا على حَرَّة واقم ، فلما تدلينا منها فإذا قبور بمحنية ، فقلنا : يا رسول الله ، أقبور إخواننا هذه ؟ قال : قبور أصحابنا ، فلما جئنا قبورَ الشهداء قال : هذه قبور إخواننا .

زيارة النبي وخلفائه قبور الشهداء على رأس كل حول

وروى ابن شبة عن عباد بن أبي صالح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قبورَ الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، قال : وجاءها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، رضى الله تعالى عنهم ، فلما قدم معاوية بن أبي سفيان حاجا جاءهم ، قال : وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا واجَهَ الشعب قال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم أجر العاملين .

وعن أبي جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ترمُّه وتصلحه ، وقد تعلمته بحجر .

وروى رزين عنه أن فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت تزور قبور الشهداء بين اليومين والثلاثة .

ورواه يحيى بنحوه عن أبي جعفر عن أبيه على بن الحسين ، وزاد : فتصلى هناك وتدعو وتبكى حتى ماتت .

وروى الحاكم عن على رضى الله تعالى عنه أن فاطمة كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلى وتبكى عنده .

وروى ابن شبة عن ابن عمر أنه قال : من مر على هؤلاء الشهداء فسلّم عليهم لم يزالوا يردون عليه إلى يوم القيامة .

وروى يحيى عن العطاف بن خالد قال : حدثتني خالة لى ــ وكانت من العوابد ــ قالت : ركبت يوماً معى غلام حتى جئت إلى قبر حمزة ، فصليت ما شاء الله ، ولا والله ما فى الوادى دَاعٍ ولا مجيب يتحرك ، وغلامى قائم آخذ برأس دابتى ، فلما فرغت من صلاتى قمت فقلت : السلام عليكم ، وأشرت بيدى فسمعت رد السلام علىّ من تحت الأرض ، أعرفه كما أعرف أن الله خلقنى ، واقشعرت كل شعرة منى ، فدعوت الغلام فقلت : هاتِ دابتى ، فركبت .

وروى البيهقى فى الدلائل من طريق العطاف بن خالد عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي فروة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم « زار قبور الشهداء

بأحُد ، فقال : اللهم إن عبدك ونبيك يشهد أن هؤلاء شهداء ، وأنهم مَنْ زارهم أو سلَّم عليهم إلى يوم القيامة ردوا عليه » .

وقال العطاف : وحدثتنى خالتى أنها زارت الشهداء فسلمت عليهم ، فسمعت رد السلام ،وقالوا : والله إنا نعرفكم كما يعرف بعضنا بعضا ، قالت : فاقْشَعَرَرْتُ.

وذكر البيهقى أيضا رواية يحيى ، وأن الواقدى قال : كانت فاطمة الخزاعية تقول : لقد رأيتُنِي وغابت الشمسُ بقبور الشهداء ومعى أخت لى ، فقلت لها : تَعَالَيْ نسلم على قبر حمزة ، فوقفنا على قبره ، فقلنا : السلام عليكم ياعَمَّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعنا كلاما رد علينا : وعليكم السلام ورحمة الله ، قالت : وما قُرْبَنَا أحدٌ من الناس .

ثم روى البيهقى عن هاشم بن محمد العمرى من ولد عمر بن علىّ قال : أخذنى أبى بالمدينة إلى زيارة قبور الشهداء فى يوم جمعة بين الفجر والشمس ، فكنت أمشى خلفه ، فلما انتهى إلى المقابر رفع صوته فقال : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، قال : وأجيب وعليك السلام يا أبا عبدالله ، فالتفت أبى إلىّ فقال : أنت المجيب ؟ فقلت : لا ، فجعلنى على يمينه ، ثم أعاد السلام ، ثم جعل كلما سلَّم يُرَد عليه ، حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فخَرَّ ساجدا شكرا لله تعالى .

تسمية شهداء أحد

وقد تقدم فى غزوة أحد أن الذين أكرمهم الله بالشهادة يومئذ سبعون رجلا، وقيل : أكثر ، وقيل : أقلّ ، وقد سَرَدَ ابنُ النجار أسماءهم فتبعته ليسلِّم عليهم مَنْ شاء بأسمائهم ، فقال : حمزة بن عبد المطلب ، وعبد الله بن جَحْش ، ومصْعَب ابن عُمَير ، وشمَّاس بن عثمان ، هؤلاء الأربعة من المهاجرين .

ومن الأنصار : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعمارة بن زياد بن السَّكَن ، وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، وثابت بن وقش ، ورفاعة بن وقش ، وحُسَيل بن جابر ، وهو اليَمَان أبو حذيفة ، وصَيْفى بن قيظى بن عمرو ، والحُبَاب بن قيظى ، وعباد بن سهل ، والحارث بن

أوس بن مُعاذ ، وإياس بن أوس بن عَتيك ، وعبيد بن التيهان ، ويقال عتيك ، وحبيب بن زيد بن تيم ، ويزيد بن حاطب بن أمية بن رافع ، وأبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد ، وأنيس بن قتادة ، وحنظلة الغسيل ابن أبي عامر ، وأبو حية بن عمرو بن ثابت أخو سعد بن خيثمة لأمه ، وعبيد الله بن جبير بن النعمان ، وخَيثمة أبو سَعْدبن خيثمة ، وعبد الله بن مسلمة ، وسبيع بن حاطب بن الحارث، وعمرو بن قيس بن زيد ، وابنه قيس بن عمرو ، وثابت بن عمرو بن زيد ، وعامر ابن مخلد ، وأبو هبيرة بن الحارث بن عَلْقمة ، وعمرو بن مطرف بن علقمة ، وأوس ابن ثابت بن المنذر أخو حسّان بن ثابت ، وأنس بن النضر ، وقيس بن مخلد ، وكيسان مولى بني النجار ، وسليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو ، وخارجة ابن زيد ، وسعد بن الربيع ، وأوس بن الأرقم بن زيد ، ومالك بن سِنَان والدُ أبي سعيد الخُدْري ، وسَعْد بن سُوَيد بن قيس ، وعلبة بن ربيع بن رافع ، وثعلبة ابن سعد بن مالك ، ونقيب بن فروة بن البدن ، وعبد الله بن عمرو بن وهب ، وضَمْرة الجهني حليف لبني طَريف ، ونَوْفل بن عبد الله ، وعباس بن عبادة بن نضلة ونعمان بن مالك بن ثعلبة ، والمجذر بن زياد ، وعُبَادة بن الحَسْحَاس ، ورفاعة بن عمرو ، وعبد الله بن عمرو بن حَرَام ، وعمرو بن الجَمُوح ، وابنهُ خلاد ، وأبو أيمَنَ مولاه ، وعبيدة بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسَهْل بن قيس بن أبي كعب ، وذَكْوَان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلى بن لوذان ، ومالك بن نميلة ، والحارث بن عدي بن خرشة ، ومالك بن إياس ، وإياس بن عديّ ، وعمرو ابن إياس .

فهؤلاء الشهداء السعداء الذين صَدَقُوا القتالَ بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم وقاتَلوا وقُتِلوا ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ولنذكر ماعلمناه من خبر قبورهم وتعيينها ، فنقول :

سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ومصرعه

قبر حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذكر أنه معه

أخرج البخاري أن وَحْشيًّا قال في خبر : فلما خرج الناس عام عينين ، وعينين جبل بحيال أُحُدٍ بينه و بينه وادٍ ، خرجْتُ مع الناس إلى القتال ، فلما أن اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل مِنْ مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب فقال : يا سباع يا ابن أم أنمار مُقَطعة البظور ، أتحادُّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟ ثم شدَّ عليه فكان كأمْسِ الذاهب ، قال : وكمنت لحمزة تحت صَخْرة ، فلما دنا مني رميته بحَرْبتي فأضعها بين ثَنْدِيه حتى خرجَتْ من بين وركيه ، فكان ذلك [آخِرَ] العهد به ، ثم ذكر مجيئه للنبي صلى الله عليه وسلم -يعني لما أسلم- وقوله له : أنت قتلت حمزة ؟ قال : قلت : قد كان من الأمر ما بلَغك ، قال : فهل تستطيع أن تُغَيِّب وجهك عني ؟

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقَفَ على حمزة رضى الله تعالى عنه ، وقد مُثّل به ، جُدِعَ أنفه وأذناه وبُقِر بطنه عن كبده ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلا أن تحزَن صفية و يكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون في بطون السباع وحوَاصل الطير ، لَنْ أُصابَ بمثلك أبداً ، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إليَّ من هذا ، ثم قال : جاءنى جبريلُ وأخبرنى أن حمزة مكتوبٌ في أهل السموات السَّبْع « حمزة بن عبد المطلب أسَدُ الله وأسَدُ رسوله » وأمر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم فسُجِّيَ ببُرْدَة ثم صَلى عليه فكَبَّر عليه سبعين ودفنه .

واختلاف الروايات في الصلاة على شُهَدَاء أُحُدٍ مشهور ، والذى في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانَ يَجْمَعُ بين الرجلين من قَتْلى أحد في الثوب الواحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحَدٍ قدَّمه في اللحد ، وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يُصَلّ عليهم ولم يغسلوا .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز عن ابن سمعان عن الأعرج قال : لما قُتِلَ حمزة رضى الله تعالى عنه أقام في مَوْضِعه تحت جبل الرُّمَاة ، وهو الجبل الصغير

الذى ببطن الوادى الأحمر ، ثم أمر به النبى صلى الله عليه وسلم فحمل عن بطن الوادى إلى الرَّبْوَة التى هو بها اليوم ، وكفنه فى بردة ، وكفن مصعب بن عمير فى أخرى ، ودفنهما فى قبر واحد

قال عبد العزيز : وسمعتُ مَنْ يذكر أن عبد الله بن جَحْش بن رئاب قتلَ معهما ، ودفن معهما فى قبر واحـد ، وهو ابن أخت حمزة أُمُّهُ أميمة بنت عبد المطلب .

قال عبد العزيز : والغالب عندنا أن مُصْعَب بن عُمَير وعبد الله بن جَحْش دفنا تحت المسجد الذى بنى على قبر حمزة ، وأنه ليس مع حمزة أَحَدٌ فى القبر .

قلت : ينبغى أن يُسَلِّم عليهما مع حمزة بمشهده ؛ لأنهما إن لم يكونا معه فبقربه ، ولعل المشهَدَ اليوم أوسَعُ من ذلك المسجد ، وسبق فى المساجد ذِكْرُ المسجد الذى بمَصْرَع حمزة رضى الله تعالى عنه ، والمسجد الذى فى جهة قبلته بطرف جبل الرُّماة ، وما جاء فيهما .

عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام

قبر عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام والد جابر بن عبد الله ، ومَنْ ذكر معهما .

روى مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صَعْصَعة أنه بلغه أن عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو بن حَرَام الأنصاريين ثم السَّلَميين كانا فى قبر واحد ، وكانا ممن استشهد يوم أحد ، وكان قبرهما مما يلى السيل ، فحفر عنهما ليغيرا عن مكانهما ، فوجدا لم يتغيرا كأنما ماتا بالأمس ، وكان أحدهما قد جرح فوضَعَ يدَه على جرحه ، فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت ، وكان بين يوم أحد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة .

وقال مالك : إن عمرو بن الجَمُوح وعبد الله بن عمرو كفنا فى كفن واحد وقبر واحد ، رواه ابن شبة ، ثم روى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله

تعالى عنه قال : دُفن مع أبى رجلٌ يوم أحـد فى القبر فلَمْ تَطِبْ نفسى حتى أخرجته فدفنته على حِدَة .

قلت : يحتمل أن سبب الإخراج ما تقـدَّم من أمر السيل ، ووافق ذلك ما فى نفس جابر ؛ فتكون القصة واحدة ، لـكن روى البخارى فى صحيحه خَبَرَ جابر مطولا ، وفيه ما لفظه « قال : ودفنت معه آخر فى قبره ، فلم تَطِبْ نفسى أن أتركه مع أحد ، فاستخرجته بعد ستة أشهر ، فإذا هو كيوم وضعته غير هنية عند أذنه » .

فقوله « بعد ستة أشهر » يقتضى أن ذلك ليس هو قصة أمر السيل ؛ لأن المدة فى تلك ست وأربعون سنة .

وروى ابن شبة عن جابر أيضا قال : صرخ بنا إلى قتلانا يومَ أحد حين أجرى معاوية العينَ ، فأتيناهم فأخرجناهم رِطَابًا تتثنَّى أجسادُهم ، قال سعيد بن عامر أحَدُ رواته : وبين الوقتين أربعون سنة .

وقال ابن إسحاق : حدثنى أبى عن رجال من بنى سَلَمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ حين أصيب عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو يوم أحد ــ أجمعوا بينهما ؛ فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا ، قال أبى : فحدثنى أشياخ من الأنصار قالوا : لما ضرب معاوية عينَه التى مرت على قبور الشهداء استصرخنا عليهم ، وقد انفجرت العين عليهما فى قبورهما ، فجئنا فأخرجناهما وعليهما بردتان قد غُطِّى بهما وجُوهُهما ، وعلى أقدامهما شىء من نَبَات الأرض ، فأخرجناهما يتثنيان تثنيا كأنهما دُفنا بالأمس ، نقله البيهقى فى دلائل النبوة .

وعن جابر من حديث طويل قال : فبينا أنا فى النظَّارين إذ جاءت عَمَّتِى بأبى وخالتى عادلتهما على ناضح ، فدخلت بهما المدينة لتدفنهما فى مقابرنا إذ لحق رجل ينادى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمركم أن ترجعوا بالقتلى ، فيدفنوا فى مَصَارعهم حيث قتلوا ، فرجعناهما ، فدفنَّاهما حيث قتلا ، فبينا أنا فى خلافة

معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال : ياجابر ، لقد أثار أباكَ عمالُ معاوية، فخرج طائفة منه ، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتال ، فواريته ، الحديثَ ، رواه أحمد برجال الصحيح خلا نبيح الغنوى وهو ثقة .

قلت : فهذه قصة ثالثة ؛ فيؤخـذ من مجموع ذلك أن جابرا حَفَر عن أبيه ثلاث مرات :

الأولى: لعدم طيب نفسه بدَفْنه مع غيره ، ولعله استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فأذن له ؛ لما يترتب عليه من ظهور ما يَشْهَد لحياة الشهداء وسلامة أبدانهم ، وكان دفنهم مجتمعين للضرورة فى ذلك اليوم ، أو فَهِمَ جابر جوازَ ذلك عند زوال تلك الضرورة واتساع الوقت ففعله ، وكأنه لما أخرجه دفَنَه بإزاء قبر صاحبه وصهره محافظةً على القرب من مصرعه ، فقـد جاء الأمر بدَفنهم فى مصارعهم .

والثانية : لما أجرى معاوية رضى الله تعالى عنـه العينَ ، وكان فى ذلك أيضاً ظهور المعجزة بحياة الشهداء ، فقد أسند ابن الجوزى فى مشكله عن جابر قال : صرخ بنا إلى قَتْلانا يوم أُحُد حين أجرى معاوية رضى الله تعالى عنه العينَ ، فأخرجناهم بعد أربعين سنة تَتَثَنَّى أطرافُهم لينة أجسادهم ، وفى بعض طرقه : كأنهم نُوَّمٌ ، حتى أصابت المِسْحَاة قدمَ حمزة بن عبد المطلب فانبعث دَمٌ .

والثالثة : لحفر السيل عنه وعن صاحبه .

وقد روى الواقدى أن قبرهما كان مما يلى السيل ، فحفر عنهما وعليهما نمرتان، وعبدُ الله قد أصابه جرح فى يده فيده على جرحه فأميطت يدُه عن جرحه فانبعث الدم ، فردت إلى مكانها فسكن الدم ، قال جابر : فرأيت أبى فى حُفْرته فكأنه نائم ، وبين ذلك ست وأربعون سنة .

قال : ويقال : إن معاوية لما أراد أن يُجْرِيَ الكظامة نادى مُناديه بالمدينة:

مَنْ كان له قتيل بأحُدٍ فليشهد ، فخرج الناسُ إلى قتلاهم ، فوجدوهم رِطاباً يتثنون ، فأصابت المِسْحَاة رجلَ رجلٍ منهم فانبعث دم،فقال أبو سعيد الخدرى: لا ينكر بعد هذا منكر ، ووجد عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح فى قبر واحد فنقلا ، وذلك أن القَنَاة كانت تمر على قبرهما ، ولقد كانوا يجهزون التراب فحفروا ثمره من تراب فاح عليهم ريحُ المسك .

قلت : وفيه مخالفة لما تقدم عن الصحيح ؛ لاقتضائه بقاءهما فى قبر واحد حتى كان إجراء العين ، وفى ذلك كله ظهور المعجزة ، وهو السر فى تكرر ذلك .

وروى ابن شبة عن أبى قتادة قال : أتى عمرو بن الجَمُوح إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله أرأيت إن قاتَلْتُ حتى أُقْتَلَ فى سبيل الله ترانى أمشى برجلى هذه فى الجنة ؟ قال : نعم ، وكانت عرْجَاء ، فقتل يوم أحد هو وابن أخيه ، فمر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : كأنى أراك تمشى برجلك هذه صحيحةً فى الجنة ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما و بمولاهما فجعلوا فى قبر واحد .

قال أبو غسان : قال الواقدى : مع عمرو فى القبر خارجة بن زيد ، وسعد ابن الربيع ، والنعمان بن مالك ، وعبد الله بن الحَسْحَاس ، قال أبو غسان : وقبرهم مما يلى المغربَ من قبر حمزة رضى الله تعالى عنه نحو خمسمائة ذراع .

قال : وأما ما يعرف اليوم من قبور الشهداء فقبر حمزة بن عبد المطلب ، وهو فى عُدْوة الوادى الشامية مما يلى الجبل ،وقبر عبد الله بن حَرَام أبى جابر ومعه عمرو ابن الجَمُوح أى فى الموضع المتقدم وصفه ، وقبر سهل بن قيس بن أبى كعب بن القَيْن بن كعب بن سواد من بنى سلمة وهو دبر قبر حمزة شاميا بينه و بين الجبل.

قال : فأما القبور التى فى الحِظَار بالحجارة بين قبر حمزة و بين الجبل فإنه بلغنا أنها قبور أعراب أقحموا زمن خالد إذ كان على المدينة فماتوا هناك فدفنهم، سُؤّال كانوا يسألون عند قبور الشهداء .

قال : وقال الواقدى : هم ماتوا زمن الرّمادة .

قلت : زمن الرمادة عام جَدْب مشهور ، كان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

وأما زمن خالد فيعنى به خالدَ بنَ عبد الملك بن الحارث ، كان والياً لهشام ابن عبد الملك فقحط المطر فى ولايته سَبْعَ سنين ، وفيها جلا الناس من بادية الحجاز إلى الشام ، ولا يعرف اليوم من قبور الشهداء غير قبر حمزة رضى الله تعالى عنه كما قاله ابن النجار .

قال : وأما بقية الشهداء فهناك حجارة مرصوصة يقال : إنها قبورهم .

قلت : ينبغى أن يسلم على بقيّتهم عنـد قبر حمزة وفى غربيه وشاميه على النحو المتقدم

وقال المطرى ومتابعوه : وشمالى مشهد حمزة رضى الله تعالى عنه آرام من حجارة يقال : إنها من قبور الشهداء ، ولم يثبت ذلك بنقل صحيح .

وقد ورد فى بعض كتب المغازى أن هـذه القبور قبور أناس ماتوا عام الرّمادة ، ولا شك أن قبور الشهداء رضى الله تعالى عنهم حول قبر حمزة ؛ إذ لا ضرورة أن يبعدوا عنه ، انتهى .

قلت : قد تقدم النقل ببعد بعضهم عنه على نحو خمسمائة ذراع فى المغرب ، والمقتضى للبعد الأمر بدفنهم فى مَصَارعهم ، والقبور التى قيل إنها ليست قبورهم هى التى عليها حائز قصير من الأحجار قرب الجبل .

من دفن بالمدينة من قتلى أحد

ذكر قبور من قيل إنه نقل من شهداء أُحُد ودفن بقبره

قال ابن إسحاق : وكان ناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها ، فنهى رسـول الله صلى الله عليه وسـلم عن ذلك ، وقال : ادفنوهم حيث صُرعوا .

وتقدم فى فصل مقبرة بنى سلمة ما روى من دَفْن بعض قتلى أحد بها ، منهم أبو عمرو بن سكن .

وتقدم فى فصل قبل هذا أن خُنَيْسَ بن حُذَافة تأخرت وفاته فمات بالمدينة ، ودفن عند عثمان بن مظعون .

وروى ابن شبة عن عبد الرحمن بن عمران عن أبيه قال : نقلنا عبد الله بن سلمة والمجذر بن زياد فدفناهما بقباء .

وقال عبد العزيز : إن رافع بن مالك الزرقى قتل بأحد فدفن فى بنى زريق ، قال : وقيل: إن موضع قبره فى دار آل نوفل بن مُسَاحِق التى فى بنى زريق التى فى كُتَّاب عروة .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل من شهداء أحد إلى المدينة أن يدفنوا حيث أدركوا ، فأدرك أبى مالك بن سنان عند أصحاب العَباء فدفن ، ثم قال ابن أبى فديك : فقبره فى المسجد الذى عند أصحاب العَبَاء فى طرف الحناطين .

ورواه ابن زبالة بنحوه ، إلا أنه قال : فوافَوْهُ بالسوق ، فدفن مالك عند مسجد أصحاب العَبَاء ، وهناك أحجار الزيت .

قلت : وقد قدمنا بيان مشهده فى المشاهد ، ولكن روى الترمذى وقال حسن صحيح عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : كنا حَمَلْنا القَتْلَى يومَ أحد لندفنهم ، فجاءنا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمَرَنَا بدَفْن القتلى فى مَصَارعهم ، فرددناهم ، ولْيُحْمَلْ على مَنْ لم يَبْلُغوا به المدينة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب السادس

فى آبارها المباركات ، والعين ، والغِراس ، والصَّدَقَات التى هى للنبى صلى الله عليه وسلم منسوبات ، وما يُعْزَى إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد ، والمواضع التى صلى فيها فى الأسفار والغزوات ، وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول
فى آبارها المباركات

ورتبتها على حروف المعجم ، معتمدا للأول فالأول من الاسم الذى تضاف إليه البئر ، وختمته بتتمة فى العين المنسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم ، والعين الموجودة اليوم ، وغيرهما :

بئر أريس

بئر أرِيس – بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون المثناة التحتية و إهمال آخره – نسبة إلى رجلٍ من يَهُود يقال له أريس ، ومعناه بلغة أهل الشام الفَلَّاح .

روينا فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه أنه توضَّأ فى بيته ، ثم خرج فقال : لألزَمَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأكونَنَّ معه يَوْمِى هذا ، فجاء إلى المسجد ، فسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : خرج، وجَّه ههنا ، قال : فخرجت على أثره أسأل عنه ، حتى دخل بئر أريس ، قال : فجلست عند الباب وبابُها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ،فقمت إليه فإذا هو قدجَلَس على بئر أريس وتوسَّطَ قفها[1] وكشف عن ساقيه ودَلَّاهما فى البئر ، قال : فسلمت عليه ، ثم انصرفت فجلست عند الباب ، فقلت : لأكونَنَّ بوابَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم اليوم ، فجاء أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدفع الباب فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : أبو بكر ، فقلت : على رِسْلِكَ ، قال : ثم ذهبت فقلت : يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن ، فقال : ائذن له و بشره بالجنة ، قال : فأقبلت حتى قلت لأبى بكر رضى الله تعالى عنه : ادْخُلْ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة ، قال : فدخل أبو بكر وجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودَلَّى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى ، فقلت: إن يُرِدِ الله بفلان خيرا يأتِ به، فإذا إنسان يحرك الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : عمر بن الخطاب ، فقلت: على رِسْلِكَ، ثم جئت

---

(١) القف – بالضم – حجارة عظام ، وأراد ما أحاط بالبئر من بناء أو نحوه.

النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وقلت : هذا عمر يستأذن ، فقال : ائذن له وبشره بالجنة ، فجئت عمر فقلت : ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، قال : فدخل فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره ودَلَّى رجليه فى البئر ، ثم رجعت فجلست فقلت : إن يُرِدِ الله بفلان خيرا يعنى أخاه يأتِ به ، فجاء إنسان فحرَّكَ الباب ، فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : عثمان بن عفان ، فقلت : على رِسْلك ، قال : وجئت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : ائذن له وبشره بالجنة مع بَلْوَى تُصيبه ، فجئت فقلت : ادْخُلْ ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة مع بلوى تصيبك ، قال : فدخل فوجد القف قد ملىء ، فجلس وُجَاههم من الشق الآخر ، قال شريك : فقال سعيد بن المسيب : فأوَّلْتُها قبورَهم .

قلت : وسيأتى فى ترجمة الأسواق واقعة مثل هذه كان البواب فيها بلالا .

وروى أحمد والطبرانى من وجوه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قصة نحوها أيضا كان هو البواب فيها ، وقال : بُحشٌّ من حشان المدينة ، وبعض أسانيدها رجاله رجال الصحيح ، ولا مانع من تعدد ذلك .

وقد غاير رزين بين بئر أريس وبين البئر التى وقع الجلوس بقفها ، فقال فى ذكر الآبار المعروفة بالمدينة : بئر أريس التى سقط فيها الخاتم ، وبئر القف التى أدْلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجُلَهم فيها ، وذكر بقية الآبار .

وروينا فى صحيح البخارى من حديث أنس قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده وفى يد أبى بكر بعده وفى يد عمر بعد أبى بكر ، قال : فلما كان عثمان جلس على بئر أريس ، فأخرج الخاتم ، فجعل يعبث به ، فسقط ، فقال : فاختلفنا ثلاثة أيام مع عثمان ، فنزح البئر فلم نجده ، وفى مسند الحميدى عن ابن عمر أنه سقط من مُعَيْقيب ، وثبت ذلك من روايته فى صحيح مسلم .

ورواه ابن زبالة عنه على الشك ، فقال : فهو الخاتم الذى سقط من عثمان أو من معيقيب فى بئر أريس .

وروى عنه النسائى وابن شبة واللفظ له حديثَ اتخاذ النبى صلى الله عليه وسلم خاتمَه من الْوَرِقِ ، ونقشه فيه « محمد رسول الله » وصيرورته فى يد عثمان سِنِينَ من عمله ، ثم قال فيه : فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار فكان يختم به ، فخرج إلى قليب لعثمان فوقع فيها ، فالتُمِسَ فلم يُوجد ، فأمر بخاتم من وَرِق فعمل عليه ، ونقش « محمد رسول الله » .

ومعيقيب دَوْسِيٌ من أصحاب الهجرتين ، لكن قد يوصف المهاجرى بالأنصارى بالمعنى الأعم ، والجمع بأن نسبة السقوط إلى عثمان رضى الله تعالى عنه مُحَاذية لنيابة معيقيب عنه بعيد جداً ؛ لقوله فى رواية البخارى السابقة « فأخرج الخاتم فَجَعَل يعبث به فسقط » .

وكان سقوطه بعد ست سنين من خلافته ، وكان فيه سر مما كان فى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام ؛ لذهاب ملكه عند فقده ، ولما فقد عثمان الخاتم انتقض عليه الأمر ، وخرج عليه مَنْ خرج ، وكان ذلك مبتدأ الفتنة المتصلة إلى آخر الزمان .

وروى ابن زبالة عن ابن كعب القُرَظى قال : سَقَطَ — يعنى الخاتم — من عثمان فى بئر الخريف التى فى بئر أريس ، فعلّق عليها اثنى عشر ناضحاً فلم يقدر عليه حتى الساعة ، فاقتضى أنه لم يكن فى بئر أريس نفسها ، ولهذا نقل ابن شبة عن أبى غسان سقوط الخاتم فى بئر أريس وأنه قال : وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنما سقط فى بئر فى صدقته يقال لها بئر خريف أى من آبار المال المسمى ببئر أريس ؛ لأن ابن شبة قال أيضا : قال أبو غسان : ابتاع عثمانُ بئر أريس وفيها مال يقال له الدومة ، ابتاعه من حى من الأنصار وفيه سَهْمُه الذى أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير ، وفيها كيدمة مال لعبد الرحمن بن عوف ، ثم روى أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف دينار ، وأمر عثمان عبدَ الله بن سعد

ابن أبى سرح فدفعها إليه ، وأنه تصدق بها على أمهات المؤمنين وغيرهن .

وفى رواية أن عبد الرحمن أوصى بكيدمة لأمهات المؤمنين ، فبِعْنَهَا من عبد الله بن سَعْد بن أبى سَرْح .

ثم قال : قال أبو غسان : وأما أريس الذى نسب إليه المالُ فإن عبد العزيز ابن عمران حدثنى عن عنبس العقبى قال : أريس رجلٌ من يهود بنى جحجبى ، وكان له ذلك المال ، وفيه بئر عاضر التى يقول فيها اليهودى :

أمَرْتُ بلالاً أن يعلــق دَلْوَهُ عَلَى الأعليين اليوم مِنْ بئرِ عاضِرِ

فجمعها عثمان رضى الله تعالى عنه فى حِظَارٍ واحد ، وهى سبعة أموال، فتصدق بها ، قال : فحدث عبد الرحمن بن أبى الزناد عن إبراهيم بن عبد الله بن فروخ عن أبيه عن جده قال : دخل علينا عثمان بئر أريس ، وقد لقفنا له عذقا منها ، فقال : ماهذا ؟ فقلنا : لقفناه لك يا أمير المؤمنين ، قال: إنما تصدَّقْتُ بها على ذوى القربى والفقراء واليتامى والمساكين وابن السبيل ، حتى العافية عافية الطير والسباع ، قال: وقد كان لصدقة عثمان رضى الله تعالى عنه فيما بلغنى ذكر فى حَجَر منقوش على باب بئر أريس فطَرَحَه بعض ولاة المدينة فى بئر من تلك الآبار ، انتهى ما نقله ابن شبة عن أبى غسان ملخصاً .

وسيأتى فى ترجمة كيدمة أنها سَهْمُ عبد الرحمن بن عوف من بنى النضير ، وأن بقرب المشربة والجرع المعروف بالحسينات موضع يعرف بكيادم بلفظ الجمع ، والدومة معروفة اليوم بالعالية قرب بنى قريظة ، وبقربها موضع يعرف بالدويمة أيضاً .

وهذا يشكل على ما هو معروف اليوم ، وبه صرح ابن النجار كالغزالى ، وتبعه مَنْ بعده ، من أن بئر أريس هى المقابلة لمسجد قباء فى غربيه ، ويزيد الإشكالَ قوةً أن بنى النضير و بنى جحجبى لم يكونوا بقباء ، بل بجهة الدومة المذكورة

وما والاها ، كما يعلم مما تقدم فى المنازل .

وكنت قد أجَبْتُ عن ذلك باحتمال أن يكون بعضُ أموالهم كان بقباء وأن يكون منها ما يسمى بالدومة و بكيدمة فى تلك الجهة ثم نسى تسميته بذلك .

ثم رأيت فى كلام ابن زبالة ما يردُّ ذلك ، ويزيد الإشكالَ قوةً فإنه قال فى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ما لفظه : وأما الدلال والصافية فإنهما يَشْرَبان من سَرْح عثمان بن عفان الذى يَشُقُّ من مهزور فى أمواله ، يأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطَّنَ السورين ، فصَرَفه – أى عثمان رضى الله تعالى عنه – مخافة على المسجد فى بئر أريس ، ثم فى عقد أريم فى بَلْحَارث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

والموضع المعروف بقباء لايمكن وصولُ شىء من مهزور إليه ، كما يعلم مما سيأتى فى وصف وادى مهزور ، فالله أعلم .

من فضل بئر أريس

قال المجد : ومما يُذكر فى فضل بئر أريس ما رويناه عن زيد بن خارجة أنه عاش بعدَ الموت وذكر أموراً : منها ما يدل على فضل هذه البئر ، وسياق الخبر عن النعمان بن بشير قال : لما توفى زيدُ بن خارجة انتظر به خروجُ عثمان ، فكشف الثوب عن وجهه وقال : السلامُ عليكم ، قال : وأنا أصلى ، فقلت : سبحان الله ، فقال : أنصتوا أنصتوا ، محمد رسول الله ، كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، أبو بكر الصديق ، ضعيف فى جسده قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عمر بن الخطاب ، قوى فى أمر الله كان ذلك فى الكتاب الأول ، صدق صدق صدق ، عثمان بن عفان ، اثنتان و بقى أربع ، وأبيحت إلا حمى بئر أريس وماء بئر أريس .

وقد رويت هذه القصة من وجوه عن النعمان بن بشير ، ذكره الذهبى فى التذهيب .

قلت : رواها ابن شبة بنحوه ، إلا أنه قال فى آخرها : بئر أريس اختلف الناسُ، ارجعوا إلى خليفتكم فإنه مظلوم.

وقال فى رواية أخرى : ثم قال : أتخذت بئر أريس، ثم خَفَتَ الصوت .

وروى البيهقى فى دلائل النبوة هذه القصة من وجوه ، وقال فى بعضها : إسناده صحيح ، وفسر قوله « اثنتان » بأن ذلك كان بعد مضى سنتين من خلافة عثمان ، والأربع البواقى من خلافته ، والأمر فى بئر أريس سقوط خاتم النبى صلى الله عليه وسلم فيها بعد ست سنين من خلافة عثمان ، فعند ذلك تغيرت عماله ، وظهرت أسباب الفتن ، انتهى .

قال المجد : وفى الإحياء للغزالى أن النبى صلى الله عليه وسلم « تفَلَ فى بئر أريس » ولم أجد ذلك عند غيره ، وأعاد المجدُ ذِكْرَ بئر أريس فى ترجمة قباء وقال : إنها التى تَفَلَ فيها النبيُّ صلى الله عليه وسلم فعَذُبَتْ بعد أن كان ماؤها أجاجاً، ولم ينسبه للغزالى ، وهو فى ذلك متابع لابن جُبَير فى رحلته .

وقال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : إنه لم يقف على أصل الحديث [فى] تفْله صلى الله عليه وسلم فى بئر أريس .

قلت : ومن الغريب قولُ ابن جماعة فى مناسكه الكبرى فى باب الفضائل « فضل بئر أريس : قد صَحَّ أن سيدَنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تَفَلَ فيها » وأنه سقط فيها خاتمه » انتهى .

وخرج البيهقى من حديث إبراهيم بن طهمان عن يحيى بن سعيد أنه حدثه أن أنس بن مالك رضى الله عنه أتاهم بقباء يسأله عن بئر هناك، فدللته عليه، فقال : لقد كانت هذه وإنَّ الرجُلَ لَيَنْضَحُ على حماره فتنزح فيستخرجها له ، فجاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأمَرَ بذَنُوب فسقى ، فإما أن يكون توضأ منه أو تفَلَ فيه ، ثم أمر به فأعيد فى البئر ، فما نزحت بعدُ ، فرأيته صلى الله عليه وسلم بال ثم جاء فتوضأ ومَسَحَ على خُفَّيه ثم صلى ، لكن سيأتى فى بئر غَرْس

ما يبين أنها المُرَادة بذلك ، ولم يعد ابن شبة ولا ابن زبالة بئر أريس فى الآبار التى كان يُسْتَقَى منها للنبى صلى الله عليه وسلم ، و إنما ذكَرَهَا ابنُ شبة فى صدقة عثمان ، وذكر سقوطَ الخاتم فيها مع ما تقدم .

وهذه البئر المعروفة اليوم بقباء من أعذب آبار المدينة .

ذرع بئر أريس

وذكر ابن النجار أنه ذَرَعَ طولها فكان أربعة عشر ذراعاً وشبرا ، منها ذراعان ونصف ماء ، وعرضها خمسة أذرع ، قال : وطول قفها الذى جلس عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحباه ثلاثة أذرع تشف كفا ، قال : وهى تحت أُطُمٍ عالٍ ، خَرَابٌ من جهة القبلة ، وقد بنى فى أعلاه مسكن.

قال المطرى ، عقب ذكره أن ذلك المسكن يسكنه مَنْ يقوم بالحديقة ويخدم مسجد قباء .

قلت: وهو اليوم بيد المتكلم على الحديقة صاحبنا الشيخ برهان الدين القطان، ووقع بينه و بين صاحبنا الفخر العينى مشاجرة بسببه وسبب البئر ؛ لأن الفخر بيده قطعة تحت الحصن المذكور وقطعة أخرى فى مقابلة المسجد أنشأها ببعض أقار به هناك ، ثم اصطلحا على السَّقْى بالبئر المذكورة واستمرار الحصن بيد البرهان ، ثم رفعوا قف البئر عما أدركناه عليه نحو ثلاثة أذرع ، وذلك لما بنى متولى العمارة السبيلَ والبركة المقابلين لمسجد قباء المتقدم ذكرهما فيه ، وذلك ليتأتى وصولُ الماء إلى البركة ، وصار طولُ هذه البئر اليوم على ما ذَرَعْتُه تسعَ عشرة ذراعا ونصف ذراع ، منها أربعة أذرع ماء ، وذلك بعد تبحيرها .

ولهذه البئر درجة ذكرها المطرى ، فقال : وقد جدَّد الشيخُ صفى الدين أبو بكر بن أحمد السلامى لهذه البئر درجا ينزل إليها منه مَنْ يريد الوضوء والشرب من الزوار سنة أربع عشرة وسبعمائة ، انتهى . وهو مخالف لقول البدر ابن فرحون فى ترجمة نجم الدين يوسف الرومى وزير الأمير طفيل : إنه هو الذى أنشأ الدرجة الموجودة اليوم لبئر أريس بقباء عمرها فى سنة أربع عشرة وسبعمائة، قال: وكان الجماعة

الخرازون قد ابتدؤا فى عمارتها فسألهم أن يتركوا ذلك له ليفوز بحسنتها ، وكان الحامل لهم على ذلك أنهم كانوا إذا جاؤا إلى مسجد قباء لا يجدون ما يتوضؤن به ، إلا من الحديقة الجعفرية ، فكانوا يتحرّجونَ من دخولها لمـا سمعوا أنها مغصوبة من ملاكها ، انتهى .

وجمع المجد بأنّ الظاهر أن نجم الدين المذكور أنشأ الدرجة وتشعثت ، فأصلحها صفى الدين وجددها .

قلت: ويرده اتّحاذ التاريخ كما سبق . والذى يظهر أن جماعة الخرازين — كما ترجمهم به البدر — كانوا يسعون فى عمارة المساجد وغيرها ، وكانوا فقراء ؛ فيعينهم الخدم ، وأهل الخير ، وكان صفى الدين له دنيا عظيمة فتخلى عنها ، وله معروف فكأنه هو المدد للخرازين بما صرفوا على عمارة الدرج ، وكان المطرى يَصْحَب الجميع ، فالظاهر أنه اطّلَع على ذلك ، ثم أتم نجم الدين عمارة تلك الدرجة . والله أعلم .

بئر الأعواف

بئر الأعواف ، أحد صدقات النبى صلى الله عليه وسلم الآتية

روى ابن شبة عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على شفة بئر الأعواف صدقتِهِ ، وسال الماء فيها ، ونبتت نابتة على أثر وضوئه صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل فيها حتى الساعة .

وروى ابنُ زَبَالة عن عثمان بن كعب قال : طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سارقًا ، فهرب منه ، فنكبه الحجر الذى وُضع بين الأعواف صدقة النبى صلى الله عليه وسلم وبين الشطبية مال ابن عتبة ، فوقع السارق ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبَرّكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحجر ومَسّه ودعا له ، فهو الحجر الذى فيما بين الأعواف والشطبية يطلع طرفه يمسه الناس .

قلت : والأعواف اليوم اسم لجرع كبير فى قبلة المربوع ، وفى شاميه خنافة ، وفيه آبار متعددة؛ فلا تعرف البئر المذكورة منها ، وكذلك الحجر ؛ لأن

الشطبية غير معروفة اليوم ، ولعلها الموضع المعروف بالعتبي ؛ لقوله فى الرواية المتقدمة : مال ابن عتبة ، والعتبي بجنب الأعواف من المشرق ، فإن كان هو الشطبية فبئر الأعواف هى البئر التى فيما يلى خُنَافة من جرع الأعواف ، وهى اليوم معطلة لا ماء بها ، ويستأنس لذلك بما نقله ابن زبالة من أن الأعواف كانت لخنافة اليهودى جد ريحانة رضى الله تعالى عنها .

ولم يذكر المطرى ومَنْ تبعه هذه البئر ولا الغلالة بعدها ؛ لسكوت ابن النجار عنها .

بئر أنا

بئر أنا — بضم الهمزة وتخفيف النون كهنا ، وقيل : بالفتح وكسر النون المشددة بعدها مثناة تحتية ، وقيل : بالفتح والتشديد كحَتَّى ، وضبطه فى النهاية بفتح الهمزة وتشديد الباء الموحدة كحتى ، ذكره فى القاموس أيضاً ، وذكره ياقوت فى المشترك له ، وقال : كذا هو مضبوط بخط أبى الحسين بن الفرات ، ثم قال : وذكر آخرون أنها بئر أنا بضم الهمزة والنون الخفيفة .

روى ابن زبالة عن عبد الحميد بن جعفر قال : ضَرَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبته حين حاصَرَ بنى قريظة على بئر أنا ، وصلى فى المسجد الذى هناك ، وشرب من البئر ، وربَطَ دابته بالسِّدْرَة التى فى أرض مريم ابنة عثمان .

وقال ابن إسحاق : لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة نزل على بئر من آبارها ، وتلاحَقَ به الناس ، وهى بئر أنا .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، وناحية بنى قريظة عند مسجدهم

بئر أنس

بئر أنس بن مالك بن النضر ، وتضاف أيضا لأبيه .

وروى ابن زبالة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى ، فنزع له دلو من بئر دار أنس ، فسَكَبَ على اللبن فأتى به فشرب ، وعمر بين يديه وأبو بكر عن يساره ، وأعرابى عن يمينه ، الحديثَ ، وهو فى الصحيح عن أنس

بلفظ : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دارنا هذه ، فاستسقى ، فحلبنا شاة لنا ثم شُبْتُهُ من بئرنا هذه فأعطيته ، الحديثَ .

وروى ابن شبة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم شرب من بئر أنس التى فى دار أنس .

وخرج أبو نعيم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم بَزَقَ فى بئر داره ، فلم يكن بالمدينة بئر أعْذَبُ منها ، قال : وكانوا إذا حُوصِرُوا استعذب لهم منها ، وكانت تسمى فى الجاهلية البرود .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، لكن تقدم عن ابن شبة فى البلاط أنه كان له سرب يخرج عند دار أنس بن مالك فى بنى جديلة ، وتقدم فى بيان المحلّ الذى ضُرِبَ منه اللِبنُ للمسجد النبوى أن البئر المعروف اليوم بالرباطية وقف رباط اليمنة فى شامى الحديقة المعروفة بالرومية بقرب دار فحل يتبرك بها الفقراء ، كما ذكره الزين المراغى ، وقال : إنها تعرف ببئر أيوب ، وكذلك البئر ذات الدرج التى فى شرقيها فى الحديقة المعروفة بأولاد الصنى تعرف ببئر أيوب أيضاً .

قلت : والمعروف اليوم ببئر أيوب إنما هى الثانية ، والظاهر أنها بئر أبى أيوب الأنصارى ، وأما الأولى فالظاهر أنها بئر أنس ؛ لأنها فى جهة السرب الذى ذكره ابن شبة قرب منازل بنى جديلة ، ولتبرك الناس بها قديما ، ولأنها عذبة الماء بحيث يشرب منها كثير من أهل تلك الجهة أيام النقلة فى الصيف ، وسيأتى فى بئر السقيا أنه كان يستعذب للنبى صلى الله عليه وسلم الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس .

وروى ابن شبة عن أنس فى ذكر بئره قال : كان فى دارى بئر تدعى فى الجاهلية البرود ، كان الناس إذا حوصروا شربوا منها .

واعلم أن أنس بن مالك بن النضر بن عدى بن النجار قد روى أهلُ السير أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغ من العمر ستّ سنينَ خرجت به أمه إلى طيبة

تُزِيرُهُ أخوالَه من بنى عدى بن النجار ، قال صلى الله عليه وسلم : فأحسنت العوم في بئرهم .

بئر إهاب

بئر إهاب ، وفى نسخة لابن زبالة « بئر الهاب » والأول هو الصواب الذى اعتمده المجد .

روى ابن زبالة عن محمد بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بئر إهاب بالحرة وهى يومئذ لسعد بن عثمان ، فوجد ابنَه عُبَادة بن سعد مربوطا بين القرنين يفتل ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يلبث سعد أن جاء فقال لابنه : هل جاءك أحد ؟ قال : نعم ووصف له صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ذاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فالحقه ، وحَلَّه ، فخرج عُبَادة حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسَحَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس عُبَادة وبرك فيه ، قال : فمات وهو ابن ثمانين وما شَابَ ، قال : وبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بئرها .

قال : وقال سعد بن عثمان لولده : لو أعلم أنكم لا تبيعونها لقبرت فيها ، فاشترى نصفها إسماعيل بن الوليد بن هشام بن إسماعيل ، وابتنى عليها قصره الذى بالحرة مقابل حوض ابن هشام ، وابتاع نصفها الآخر إسماعيل بن أيوب ابن سلمة ، وتصدقا بما ابتاعا من ذلك .

قلت : وهى المذكورة فى حديث أحمد المتقدم فى بَدْء شأن المدينة وما يؤول إليه أمرها ، لقوله فيه « خرج حتى أتى بئر الإهاب ، قال: يوشك أن يأتى البنيان هذا المكان » .

وفى حديث عبادة الزرقى أنه يصيد القَطاَ فيرقى بئر إهاب ، وكانت لهم ، الحديثَ المتقدم فى صيد الحرم ، وهى بالحرة الغربية بئر ، غير أنها لا تعرف اليوم بهذا الاسم ، إلا أن حوض ابن هشام الذى فى مقابلتها كان عند فاطمة بنت الحسين التى رجَّحَ المطرىُّ أنها المسماة اليوم بزمزم كما سيأتى أيضاً فى خبر بئر فاطمة

المذكورة ، فلما بنى إبراهيم بن هشام دَارَهُ بالحرة بعد وفاة فاطمة وأراد نقل السوق إليها صنَعَ فى حفرته التى بالحوض مثل ما صنعت فاطمة ، فلقى جبلا ، فسأل إبراهيم بن هشام بن عبد الله بن حسن بن حسن أن يبيعه دار فاطمة ، فباعه إياها ، أى من أجل البئر التى احتفرتها فاطمة فى دارها .

وقال المطرى : إن ابن زبالة ذكر عدة آبار أتاها النبي صلى الله عليه وسلم وشرب منها وتوضأ ، لا نعرف اليوم شيئاً منها .

قال : ومن جملة ماذكر بئر بالحرة الغربية فى آخر منزلة النقاء ، وذكر ماسيأتى فى بئر السقيا .

ثم قال ما لفظه : ومنها بئر أخرى إذا وقفت على هذه ـ يعنى بئر السقيا ـ وأنت على جَادَّةِ الطريق وهى ـ يعنى السقيا ـ على يسارك كانت هذه على يمينك ، ولكنها بعيدة عن الطريق قليلا فى سند من الحرة قد حُوِّطَ حولها ببناء مُجَصَّص ، وكان على شفيرها حوض من حجارة تكسر ، ولم يزل أهل المدينة قديما وحديثاً يتبركون بها ، ويشربون من مائها ، وينقل إلى الآفاق منها ، كما ينقل من ماء زمزم ، ويسمونها زمزم أيضاً لبركتها .

ثم قال : ولم أعلم أحدا ذكر فيها أثرا يُعتمد عليه ، والله أعلم أيتهما هى السقيا ؟ الأولى لقربها من الطريق ، أم هذه لتواتر التبرك بها ؟ أو لعلها البئر التى احتفرتها فاطمة بنة الحسين حين أخرجت من بيت جدتها فاطمة الكبرى ، وذكر القصة الآتية فى حَفْرِها لبئرها ، ثم قال : إن الظاهر أن هذه هى بئر فاطمة ، والأولى هى السقيا .

قلت : قوله « إن الأولى هى السقيا » هو الصواب كما سيأتى ، وأما قوله « إن الثانية هى بئر فاطمة » فعجيب ؛ لأن مقتضى قوله ومنها أنها من جملة الآبار التى ذكر ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتاها وشرب منها ، وبئر فاطمة بنت الحسين هى التى احتفرتها بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرَها ابن

زبالة فى خبر بناء المسجد ، وذكر فى آبار النبى صلى الله عليه وسلم ما قدمناه فى بئر إهاب مع بئر السقيا وغيرها من الآبار ، ثم أفردها ثانيا فى سياق ما جاء فى الحرة الغربية ، وأيضا فقد ذكر المطرى أن البئر المذكورة لم تَزَلْ يتبرك بها قديما وحديثا ، وينقل منها الماء إلى الآفاق ، فكيف تَرَجَّحَ أنها المنسوبة لابنة الحسين مع وجود بئر فى تلك الجهة ينسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم إتيانُهَا والبَصْق فيها ؟ فالذى تَرَجَّحَ عندى أن هذه البئر المعروفة بزمزم هى بئر إهاب ، وقد رأيت عندها مع طرف الجدار الذى بجانبها الدائر على الحديقة آثارَ قصرٍ قديم كان مَبْنِيًّا عليها الظاهرُ أنه قصرُ إسماعيلَ بن الوليد الذى ابتناه عليها ، وفى شاميها بئر أخرى فى الحديقة المذكورة يحتمل أنها هى المنسوبة لابنة الحسين ، ولعل حوض ابن هشام كان هناك ، والله أعلم .

بئر البصة بئر البُصَّة — بضم الموحدة وفتح الصاد المشددة آخره هاء ، كأنها من بَصَّ الماء بَصًّا رشَحَ ، كذا قاله المجد — قال : وإن روى بالتخفيف فمن وَبَصَ يَبِصُ وَبْصاً وبِصَةً كوَعَدَ يَعِدُ وَعْدًا وعِدَةً إذا بَلَغ ، أومن وَبَصَ لى من المال أى أعطانى .

قلت: المعروف بين أهل المدينة التخفيف.

وروى ابن زبالة وابن عدى من طريقه عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى الشهداء وأبناءهم ، ويتعاهد عيالاتهم ، قال : فجاء يوما أبا سعيد الخدرى فقال : هل عندك من سِدْرٍ أغسل به رأسى فإن اليوم الجمعة ؟ قال : نعم ، فأخرج له سِدْراً ، وخرج معه إلى البصة ، فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فصب غُسالة رأسِهِ ومراقة شَعْره فى البصة .

قال ابن النجار : وهذه البئر قريبة من البقيع على طريق الماضى إلى قباء ، وهى بين نخل ، وقد هَدَمها السيل وطَمَّهَا ، وفيها ماء أخضر ، وقفت على قفها ، وذرعت طولها ، فكان أحد عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء ، وعرضها سبعة أذرع ، وهى مبنية بالحجارة ، ولون مائها إذا انفصل منها أبيض ، وطعمه حلو ، إلا أن

الأجون غلب عليه . وذكر لى الثقة أن أهل المدينة كانوا يَسْتَقُون منها قبل أن يَطُمَّها السيلُ ، اه .

وقد أصلحت بعده ، ولذا قال المطرى : إنها فى حديقة كبيرة محوط عليها بحائط ، وعندها فى الحديقة أيضا بئر أصغر منها ، والناس يختلفون فيهما أنهما بئر البصة ، إلا أن ابن النجار قَطَعَ بأنها الكبرى القبلية ، وذكر ما تقدم عنه فى طولها وعرضها ، ثم قال : والصغرى عرضها ستة أذرع ، وهى التى تلى أُطُمَ مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما . قال : وسمعت مَنْ أدركت من أكابر الخدام وغيرهم من أهل المدينة يقولون : إنها الكبرى القبلية ، وإن الفقيه الصالح القدوة أبا العباس أحمد بن موسى بن عجيل وغيره من صُلَحَاء اليمن إذا جاءوا للتبرك بالبصة لا يقصدون إلا الكبرى القبلية .

قلت : الظاهر أن ذلك كله ناشئ عما ذكره ابن النجار فى وصفها ، لكن يُرَجِّحُ أنها الصغرى كونُها إلى جانب الأطم المذكور ، وقد قال فيه ابن زبالة كما تقدم فى المنازل : إنه المسمى بالأجرد ، وإنه الذى يقال لبئره البصة ، كان لمالك ابن سنان ، والكبرى بعيدة عن الأُطُم المذكور .

وقد ابتنى قاضى المدينة زكى الدين بن أبى الفتح بن صالح تغمده الله برحمته على محلِّ هذا الأطم منزلا حسنا ، وجعل للبئر الصغرى درجا ينزل إليها منه ، وعمر البئر الكبرى أيضا لما استأجر الحديقة لولده بعد أن أجرها هو وشريكه فى النظر فى الولاية السلطانية لغيره ، وهى من جملة أوقاف الفقراء ، وقفها شيخ الخدام عزيز الدولة ريحان البدرى الشهابى على الفقراء الواردين والصادرين للزيارة على ما ذكره المطرى ، قال : وذلك بعد وفاته بعامين أو ثلاثة ، ووفاته سنة سبع وتسعين وستمائة ، اه .

وفى غربى البئر الصغرى بجانب الحديقة من خارجها سبيلٌ للدوابِّ يُمْلأ منها ، وعليه موقوف قطعة نخل تعرف بالركبدارية شمالىَّ سُور المدينة .

بئر بضاعة

بئر بضاعة ــ بضم الموحدة على المشهور ، وحكى كسرها ، و بفتح الضاد المعجمة ، وأهملها بعضهم ، وبالعين المهملة ، بعدها هاء ــ غربىّ بيرحاء إلى جهة الشمال ، بينهما غَلْوَة سهم سبق .

روينا فى سنن أبى داود عن أبى سعيد الُخدرى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ وهو يقال له : إنه يُسْتَقَى لك من بئر بُضَاعة ، وهى بئر تُلْقَى فيها لحومُ الـكلاب والمحائض وعُذَر الناس ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الماء طَهُورٌ لا يُنَجِّسه شىء » .

ورواه أحمد ، وصححه النسائى ، والترمذى وحسّنه ، والدار قطنى وقال فيه « من بئر بضاعة بئر بنى ساعدة » وابنُ شَبَّة إلا أنه قال « وعُذَر النساء » بدل قوله « وعذر الناس » وابنُ ماجه وزاد « لا ينجسه شىء إلاّ ما غلب عليه ريحه وطعمه ولونه » .

وفى رواية للنسائى عن أبى سعيد قال : مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ من بئر بضاعة ، فقلت : أتتوضأ منها وهى يُطْرح فيها ما يُكْرَه من النتن ؟ فقال « الماء لا ينجسه شىء » .

وروى ابن شبة عن سَهْل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ فى بضاعة » . وعنه أيضا : سقيتُ النبىّ صلى الله عليه وسلم بيدى من بُضَاعة ، ورواه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات إلا أنه قال « من بئر بضاعة » وكذا رواه أحمد .

وروى ابن زبالة وأبو يعلى عن محمد بن أبى يحيى عن أمه قالت : دخَلْنَا على سَهْل بن سَعْد فى نِسْوة فقال : لو أنى سقيتكن من بئر بُضَاعة لـكرهت ذلك ، وقد والله سقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بيدى منها

وفى الـكبير للطبرانى عن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَرّك على بُضَاعة » .

ورواه ابن زبالة عن أبي أسيد ، لكن بلفظ «دَعَا لبئر بضاعة» . وفى الكبير للطبراني عن مالك بن حمزة بن أبي أسيد الساعدى عن أبيه عن جده أبي أسيد ، وله بئر بالمدينة يقال لها بئر بُضَاعة ، قد بَصَقَ فيها النبي صلى الله عليه وسلم فهى يتبشر بها و يتيمن بها .

قال : فلما قطع أبو أسيد ثمرَ حائطه جعله فى غُرْفَة ، فكانت الغول تخالفه إلى مَشْرَبته فتسرق ثمره وتُفسِدُه عليه ، فشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال « تِلْكَ الغُولُ يا أبا أسيد ، فاستمع عليها ، فإذا سمعت اقتحامها فقل : بسم الله ، أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الغول : يا أبا أسيد ، أعْفِنِي أن تكلفنى أن أذهَبَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطيك مَوْثِقًا من الله أن لا أخَالِفَكَ إلى بيتك ، وأن لا أسرق ثمرك ، وأدلّكَ على آية تقرؤها على بيتك فلا يُخَالَفُ إلى أهلك ، وتقرؤها على إنائك فلا يُكْشَفُ غطاؤه ، فأعْطَتْه الموثق الذى رضى به منها ، فقالت : الآية التى أدلّكَ عليها هى آية الكرسى ، ثم حكت أسنانها تضرط ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقصّ عليه القصة حيث دَلّته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صَدَقَتْ وهِيَ كَذُوبٌ » قال الحافظ الهيتمى : رجاله وثقوا كلهم ، وفى بعضهم ضعف .

وقال المجد : وفى الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم « أتَى بئر بُضَاعة ، فتوضأ من الدَّلْو ورَدَّها إلى البئر ، و بَصَق فيها ، وشرب من مائها ، وكان إذا مرض المريضُ فى أيامه يقول : اغسلونى من ماء بُضَاعة ، فيغسل فكأنما يَنْشَطُ من عِقال » .

وقالت أسماء بنت أبي بكر : كنا نغسل المَرْضَى من بئر بُضَاعة ثلاثة أيام فيعافون ، اهـ .

قال أبو داود فى سننه : سمعتُ قُتَيبة بن سعيد يقول : سألتُ قَيِّمَ بئر بُضَاعة عن عُمْقها أكثر ما يكون فيها الماء ، قال : إلى العانة ، قلت : و إذا نَقَص ، قال : دون العورة ، قال أبو داود عقبه : وقَدَّرْتُ بئر بُضَاعة بردائى ، مَدَدْتُه عليها ثم ذَرَعْته

فإذا عرضها ستة أذرع ، وسألت الذى فتح باب البستان فأدخلنى إليه : هل غُيِّرَ بناؤها عما كانت عليه ؟ فقال : لا ، ورأيت فيها ماء متغير اللون .

وقال ابن النجار : هذه البئر اليوم فى بستان ، وماؤها عذب طيب ، ولونها صافٍ أبيض ، وريحها كذلك ، و يستقى منها كثيرا ، قال : وذرعتها فكان طولها أحَدَ عَشَر ذراعا وشبرا ، منها ذراعان راجحة ماء ، والباقى بناء ، وعَرْضها ستة أذرع كما ذكر أبو داود .

قلت : وذَرَعْتُها فكان ذَرْعها كذلك لم يتغير ، إلا أن قُفَّها مرتفع عن الأرض الأصلية ذراعا ونصفا راجحا ، وهى — كما قال المطرى — فى جانب حديقة عند طرف الحديقة الشامى ، والحديقة فى قبلة البئر ، و يستقى منها أهل حديقة أخرى شمالى البئر ، وهى بينهما ، وماؤها عَذْب طيب مع تَعَطُّلها فى زماننا وخراب قُفِّها ، وهى المرادة بما فى صحيح البخارى عن سَهْل بن سعد «إنْ كنا لنفرح بيوم الجمعة ، كانت لنا عجوز تأخذ من أصول الصلق » وفى رواية له « ترسل إلى بضاعة » قال ابن سلمة أى شيخ البخارى : محل بالمدينة ، الحديثَ .

قال الإسماعيلى : فى هذا بيان أن بئر بضاعة بئر بستان ؛ فيدل على أن قول أبى سعيد« كانت تلقى فيها الحيض وغيرها» أنها كانت تطرح فى البستان فيجريها المطر ونحوه إلى البئر .

قلت : ومن شاهَدَ بضاعة علم أنه كذلك لأنها فى وَهْدَة ، وحولها ارتفاع ، سيما فى شاميها ؛ إذا قدر اليوم هنالك أقذار لسال بها المطر إليها ، وتلقى الرياح فيها ماتلقى ، وادعى الطحاوى أنها كانت سَيْحاً ، وروى ذلك عن الواقدى ، و إنْ صَحَّ فلعل المراد به أن الأرض التى حولها كانت المياه تَسِيحُ فيها فتجرُّ الأقذار إليها ؛ لإطباق مؤرخى المدينة العالمين بأخبارها على تسميتها ببئر ، لا كما قال بعض الحنفية : إنها كانت عينا جارية إلى بستانين ، إذ المشاهدة تردُّه كما قاله المجد ، قال : ولو كان كذلك لما صلح أن يقول فيها المريض « اغسلونى من

ماء بضاعة » لأن الجرية الأولى سارت ببُصاق النبي صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فلو كانت قناة جارية وسدت لماخفى آثار مجاريها المنسدة ، والمشاهدة مع الإطباق على أنها البئر المذكورة كافية فى الرد .

وقال المجد : بُضَاعة داربنى ساعدة ، وبها هذه البئر ، ونقله الحافظ ابن حجر عن بعضهم ، ومقتضى كلام شيخ البخارى المتقدم أنها اسم للبستان الذى فيه البئر ، والظاهر إطلاقها على الثلاثة ، والله أعلم .

بئر جاسوم

بئر جاسوم ، ويقال جاسم — بالجيم والسين المهملة — لم يذكرها والتى بعدها ابن النجار ومن بعده ، وتقدم فى مسجد راتج من رواية ابن شبة أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد راتج ، وشرب من جاسوم ، وهى بئر هناك .

وروى هو وابن زبالة أيضا عن خالد بن رباح أن النبى صلى الله عليه وسلم « شَرِبَ من جاسوم بئر أبى الهيثم بن التيهان » .

وعن زيد بن سعد قال : جاء النبى صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما إلى أبى الهيثم بن التيهان رضى الله تعالى عنه فى جاسوم ، فشرب من جاسوم ، وهى بئر أبى الهيثم ، وصلى فى غائطه[1] .

وروى الواقدى عن الهيثم بن نصر الأسلمى قال : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم ولزمت بابه ، فكنت آتيه بالماء من بئر جاسم ، وهى بئر أبى الهيثم بن التيهان ، وكان ماؤها طيبا ، ولقد دخل يوما صائما ومعه أبو بكر على أبى الهيثم ، فقال : هل من ماء بارد؟ فأتاه بشجب[2] فيه ماء كأنه الثلج ، فصبَّ منه على لبن عَنْز له وسقاه ثم قال له : إن لنا عَريشا باردا ، فَقِلْ فيه يارسول الله عندنا ، فدخله وأبو بكر ، وأتى أبو الهيثم بألوان من الرُّطَب ، الحديثَ ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى أنه يؤخذ منه أن هذه القصة هى التى فى الصحيح عن جابر أن النبى صلى الله عليه دَخَلَ على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : إن كان عندك ماء باتت هذه الليلة فى شجب[2] وإلا كَرَعْنا، قال : والرجل يحول

(١) الغائط : اسم للمكان المنخفض (٢) الشجب — بفتح فسكون — سقاء يقطع نصفه فيتخذ أسفله دلوا .

الماء فى حائطه ، فقال الرجل : يارسول الله عندنا ماء بائت ، فانْطَلِقْ إلى العَرِيش ، قال : فانطلق بهما فسكب فى قدح ثم حلب عليه من داجِنٍ له ، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شرب الرجل الذى جاء معه .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، وتقدم بيان جهتها فى مسجد راتج

بئر جمل

بئر جمل ، بلفظ الجمل من الإبل — روى ابن زبالة عن ابن عبد الله بن رَوَاحة وأسامة بن زيد قالا : ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر جَمَل ، وذهبنا معه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل معه بلال ، فقلنا : لا نتوضأ حتى نسأل بلالا كيف توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالا : فسألناه ، فقال : تَوَضَّأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَسَح على الخفين والخمار ، وفى صحيح البخارى حديث « أقْبَلَ النبى صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل ، فلقيه رجل ، فسلم عليه — الحديث » .

وفى رواية للدارقطنى « أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغائط ، فلقيه رجل عند بئر جمل » .

وفى أخرى له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذَهَبَ نحو بئر جمل ليقضى حاجته ، فلقيه رجل مُقْبِل فسلّم عليه » .

وفى رواية النسائى « أقبل من نحو بئر الجمل » وهو من العقيق ، قاله المجد ، قال : وهى بئر معروفة بناحية الجرف بآخر العقيق ، وعليها مال من أموال أهل المدينة ، قال : ويحتمل أنها سميت بجمل مات فيها ، أو برجل اسمه جمل حَفَرها .

قلت : وهى غير معروفة اليوم ، ولم أر مَنْ سبق المجد لكونها بالجرف غير ياقوت .

وقوله « وهو من العقيق » لم أره فى السنن الصغرى للنسائى ، ويبعده سَوْق الروايات السابقة لقوله « ذهب نحو بئر جمل ليقضى حاجته » وفى أخرى أن الرجل توارى فى السكة ، والمعروف بقضاء الحاجة إنما هو ناحية بقيع الحجبة ، وهو ناحية

بئر أبى أيوب ، وهناك الموضع المعروف بالمناصع ، وتقدم بيان زُقَاق المناصع شرقى المسجد فيما يلى الشام ، وسبق فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث أن ناقته صلى الله عليه وسلم بركَتْ بين أظهر بنى النجار ، أى شرقى المسجد النبوى ، ثم نهضت حتى أتت زقاق الحبشى ببئر جمل فبركت، الحديثَ ، وهو مؤيد لما قدمناه على أن عند مؤخر المسجد زقاقا يعرف اليوم بخرق الجمل ، و بقرب درب سويقة بئر صغيرة فى زقاق ضيق زعم أهل تلك الناحية أنها هى ، وأظنه غلطا .

وقال المطرى عقب ذكر الآبار التى اقتصر عليها ابن النجار : إنها ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، إلا ما يسمع من قول العامة إنها بئر جمل ، ولم تعلم أين هى ، ولا مَنْ ذكرها غير ما ورد فى حديث البخارى ، وذكر ما قدمناه .

ثم قال : ولم يذكر بئر جمل فى السبع المشهورة ، وكأنه لم يقف على ذكر ابن زبالة لها فى الآبار وروايته لما تقدم .

بئر حاء

بير حاء — روينا فى صحيح البخارى عن أنس قال : كان أبو طَلْحة أكثر أنصارى بالمدينة مالا من نخل ، وكان أحب أمواله إليه بير حاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها و يشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس : فلما نزلت هذه الآية (لَنْ تَنَالُوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبون) قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وإن أَحَبَّ أموالى إلىَّ بير حاء ، وإنها صدقة لله أرجو برَّها وذُخْرها عند الله ، فضَعْها يارسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بخ ، ذلك مال رابح ، وقد سمعتُ ما قلتَ ، و إنى أرى أن تجعلها فى الأقربين » قال أبو طلحة : أفعَلُ يا رسول الله ، فقسَّمَها أبو طلحة فى أقاربه و بنى عمه ، وفى رواية له « فجعلها لأبىّ وحسان» وكانا أقربَ إليه منِّى ، وفى رواية له أيضاً عقب قوله «و إن أحب أموالى إلىّ بير حاء» قال: وكانت حديقة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ، و يستظل فيها ،

ويشرب من مائها ، قال : فهى إلى الله وإلى رسوله أرجو بره وذُخْرَه ، فَضَعْها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بَخٍ يا أبا طلحة ذلك مال رابحٌ ، قد قبلناه منك ، ورددناه عليك ، فاجعله فى الأقربين» فتصدَّقَ به أبو طلحة على ذوى قربى رحمه ، قال : وكان منهم أبىّ وحسان ، قال : فباع حسان حصته منه من معاوية ، فقيل له : تبيع صدقة أبى طلحة ؟ فقال : ألا أبيع صاعا من تمر بصاع من دراهم ؟ وكانت تلك الحديقة فى موضع قصر بنى جديلة الذى بناه معاوية .

قال الحافظ ابن حجر : وزاد ابن عبد البر فى روايته : وكانت دار أبى جعفر والدار التى تليها إلى قصر بنى جديلة حائطا لأبى طلحة يقال له بيرحاء ، قال : ومراده بدار أبى جعفر الدارُ التى صارت إليه وعرفت به ، وهو أبو جعفر المنصور الخليفة العباسى . وقَصْرُ بنى جديلة هى حصَّة حسان ، بنى فيها معاوية بن أبى سفيان هذا القصر ، وأغرب الكرمانى فزعم أن معاوية الذى بنى القصر المذكور هو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أحدُ أجداد أبى طلحة .

قلت : منشأ وهمه إضافة القصر إلى بنى جديلة ، وجديلة لقب معاوية المذكور وهو مردود ، بل إضافته إليهم لسكونه بمنازلهم .

قال ابن شبة : وأما قصر بنى جديلة فإن معاوية بن أبى سفيان بَنَاه ليكون حصنا ، وله بابان : بابٌ شارع على خط بنى جديلة ، وباب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد بن طلحة التَّيْمى ، وهو اليوم لعبد الله بن مالك الخزاعى قطيعة ، وكان الذى ولى بناءه لمعاوية الطفيل بن أبى كعب الأنصارى ، وفى وسطه بيرحاء

ثم روى عقبه عن العطاف بن خالد قال : كان حسان يجلس فى أُجُمَة فارع ، ويجلس معه أصحاب له ، ويضع لهم بساطا يجلسون عليه ، فقال يوما وهو يرى كثرة مَنْ يأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من العرب يسلمون :

أرَى الجَلاَبِيبَ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا   وابن الفريعة أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مَنْ لى من أصحاب البساط ؟ فقال صفوان بن المعطل : أنا لك يا رسول الله منهم ، فخرج إليهم واخترط سيفه ، فلما رأوه مقبلا عرَفوا فى وجهه الشر ، ففَرُّوا وتبدّدوا ، وأدرك حسان داخلا بيته ، فضربه ، فملق ثُنَّته ، فبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم عوَّضه وأعطاه حائطا ، فباعه من معاوية بن أبى سفيان بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية بن أبى سفيان قصرا .

وروى أيضاً فى خبر الإفك عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيْمى قصة ضرب صفوان لحسان ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أَحْسِنْ يا حسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يا رسول الله ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها بير حاء ، وهى قصر بنى جديلة اليوم بالمدينة ، كانت مالا لأبى طلحة ابن سهل تصدّق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها حسان فى ضربته شيرين أمةً قبطية

وروى ابن زبالة عن أبى بكر بن حزم أن أبا طلحة تصدّق بمال له كان موضعه قصر بنى جديلة ، فدفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فردَّه على أقاربه أبىّ بن كعب وحسان بن ثابت وثبيط بن جابر وشداد بن أوس أو أبيه أوس بن ثابت يعنى أخا حَسَّان بن ثابت ، فتقاوموه ، فصار لحسان بن ثابت ، فباعه من معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم ، قال : وكان معاوية قد بنى قصر خل ليكون حصنا لما كان يتحدَّث أنه نصيب بنى أمية ، وذكر ما سيأتى فى قصر خل ، ثم قال : فلما اشترى بير حاء بَنَى قصر بنى جديلة فى موضعها للذى كان يخاف من ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : وَبَيْعُ حسان لحصته من معاوية دليلٌ على أن أبا طلحة مَلَّكهم الحديقة المذكورة ، ولم يقفها عليهم ، ويحتمل أنه وقفها وشرط أن من احتاج إلى بيع حصته جاز له كما قال بجوازه على وغيره .

قلت : وقد اشترط على فى صدقته كما حكاه ابن شبة عن نسخة كتاب الصدقة

قال ابن النجار : و بير حاء اليوم فى وسط حديقة صغيرة جداً ، فيها نخيلات ويزرع حولها ، وعندها بيت مبنى على علو من الأرض ، وهى قريبة من سور المدينة ، وهى لبعض أهلها ، وماؤها عذب حلو .

وقال المطرى : وهى شمالى سور المدينة بينهما الطريق ، وتعرف الآن بالنورية اشتراها بعض النساء النوريين ووقفها على الفقراء والمساكين فنسبت إليها ، قال ابن النجار : وذَرَعْتها فكان طولها عشرين ذراعا ، منها أحد عشر ذراعا ماء ، والباقى بنيان ، وعرضها ثلاثة أذرع وشبر .

قلت : وهى اليوم على هذا النعت ، وفى قبلتها مسجد ليس من بناء الأقدمين لم يذكره ابن النجار ولا المطرى ، وكأنه لما حدث بعدهما . وذكره المجد فقال : وفى بير حاء بير قريبة الرشاء ضيقة القنا طيبة الماء ، وأمامها إلى القبلة مسجد صغير فى وسط الحديقة .

قلت : وقوله فى حديث الصحيح « وكانت مستقبلة المسجد » معناه أن المسجد فى جهة قبلتها ، فلا ينافى بعدها عنه على هذه المسافة الموجودة اليوم ، والظاهر أن بعض أرضها كان داخل سور المدينة ؛ لما تقدم من قسمتها وابتناء القصر فى بعضها ، ولم أر للفقراء أثرا هناك .

وقد تقدم أن حش أبى طلحة الذى فى شامى المسجد منسوب إلى أبى طلحة صاحبها ، فربما كانت أمواله ممتدة إلى هناك . وأما دار محمد بن طلحة التيمى التى ذكر ابن شبة أنه أحَدُ بانى القصر المبنى عليها عنده فيظهر أنها غير دار إبراهيم ابن محمد بن طلحة التى هى من دار جده طلحة المتقدم ذكرها فى الدور المطيفة بالمسجد ، لنسبتها لإبراهيم بن محمد ، ونسبة هذه لأبيه ؛ فلا يقدح ذلك فى كون بير حاء هى المعروفة اليوم ، والله أعلم .

تنبيه ــ فى ضبط بير حاء ، وقد أفرد له بعضهم مصنفا ذكر المجد ملخصه ،

وقد اختلف الناس فى ضبطه ، قال صاحب النهاية : بير حاء بفتح الباء وكسرها ، ضبط بير حاء
و بفتح الراء وضمها ، و بالمد فيهما ، و بفتحهما والقصر ، قال الزمخشرى : بير حاء
اسم أرض كانت لأبى طلحة ، وكأنها فيعلى من البَرَاح ، وهى الأرض المنكشفة
الظاهرة ، وقال مرة : رأيت محدِّثى مكة يقولون بير حاء على الإضافة ، وحاء :
من اسم القبائل ، وقيل : اسم رجل ، وعلى هذا يكون منونا ، قال ياقوت :
بير حا بوزن خيْزَ لى ، وقيل لى بير حاء مضاف إليه ممدود ، قال : ورواية المغاربة
قاطبة الإضافة ، و إعراب الراء بالرفع والجر والنصب ، وحاء على لفظ الحاء من
حروف المعجم .

وقال أبو عبيد البكرى : حاء ـ على وزن حرف الهجاء ـ بالمدينة ، مستقبلة
المسجد ، إليها ينسب بير حاء ، فالاسم مركب .

قال الحافظ ابن حجر : اختلف فى حاء هل هو رجل أو امرأة أو مكان
أضيف إليه البير ، أو هى كلمة زَجْر للإبل ، وكانت الإبل ترعى هناك وتزجر
بهذه اللفظة فأضيفت البير إلى اللفظة ، قال الباجى : أنكر أبو بكر الأصم
الإعراب فى الراء ، وقال : إنما هو بفتح الراء على كل حال ، قال : وعليه أدركت
أهل العلم بالمشرق .

وقال أبو عبد الله الصورى : إنما هو بفتح الباء والراء فى كل حال ، بمعنى
أنه كلمة واحدة ، قال عياض : وعلى رواية الأندلسيين ضبطنا هذا الحرف عن
أبى جعفر فى كتاب مسلم بكسر الباء وفتح الراء ، و بكسر الراء و بفتح الباء
والقصر ، ضبطناه فى الموطأ عن أبى عنان وغيره ، و بضم الراء وفتحها معا قيدناه
عن الأصيلى ، وقد رَوَاه من طريق حماد بن سلمة بريحا ، هكذا ضبطناه عن
شيوخنا فيما قيدوه عن البدرى وغيره ، ولم أسمع فيه خلافا ، إلا أنى وجدت الحميدى
ذكر فى اختصاره عن حماد بن سلمة بير حا ، كما قال الصورى ، ورواية الرازى
فى مسلم فى حديث مالك بريحا ، وهو وهم ، و إنما هذا فى حديث حماد ، و إنما

لمالك بير حا كما قيد الجميع على اختلافهم . وذكر أبو داود فى مصنفه هذا الحديث بخلاف ماتقدم فقال : جَعَلْتُ أرضى باريحا، وهذا كله يدل على أنها ليست ببئر ، انتهى كلام عياض .

قال الحافظ ابن حجر : قول أبى داود باريحا بإشباع الموحدة ، ووهم من ضبطه بكسر الموحدة وفتح الهمزة فإن أريحاء من الأرض المقدسة ، ويحتمل إن كان محفوظا أن تكون سميت باسمها .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « ذلك مال رابح ، أو قال رايح » فالأول بالموحدة أى ذو ربح ، والثانى بالمثناة التحتيَّة ، أى يَرُوح نفعه لقربه ، أى يصل إليك فى الرواح ، ولا يَعْزُب ، قال شاعر :

ســـأطلب مالاً بالمدينــة ؛ إننى   إلى عَازِبِ الأموال قلت فَوَضُلهْ

بئر حلوة

بئر حلوة ـ بالحاء المهملة ـ لم يذكرها والتى بعدها ابنُ النجار ومَنْ بعده ، وذكرها ابن زبالة ، فروى عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه قال : نَحَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جزوراً ، فبعث إلى بعض نسائه منها بالكتف ، فتكلمت فى ذلك بكلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتُنَّ أهْوَنُ على الله من ذلك » وهَجَرَهن ، وكان يقيل تحت أراكة على حُلْوة بئرٍ كانت فى الزقاق الذى فيه دار آمنة بنت سعد ، وبه سمى الزقاق زقاق حلوة ، ويبيت فى مشربة له ، فلما مَضَتْ تسع وعشرون ليلة دخَلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فقالت : يارسول الله ، إنك آلَيْتَ شهراً ، قال : إن الشهر تسع وعشرون .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بعينها ، وتقدم بيانُ جملتها فى الدورالتى فى ميسرة البلاط عند ذكر دار حُوَيطب بن عبد العزى .

بئر ذرع

بئر ذرع — بالذال المعجمة — وهى بئر بنى خَطْمَة ، وروى ابن زبالة حديث « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى خَطْمَة فصلى فى بيت العَجُوز ،

ثم خرج منه فصلى فى مسجد بنى خطمة ، ثم مضى إلى بئرهم ذَرِع فجلس فى قفّها ، فتوضأ و بصق فيها » .

وروى ابن شبة عن الحارث بن الفضل أن النبى صلى الله عليه وسلم « تَوضَّأَ من ذرع بئر بنى خَطَمَة التى بفناء مسجدهم » ، وفى رواية : « وصلى فى مسجدهم » .

وفى رواية عن رجل من الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم « بَصَقَ فى ذرع بئرِ بنى خطمة» .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، و يؤخذ بيان جهتها مما تقدم فى مسجد بنى خطمة .

بئر رومة

بئر رومة ــ بضم الراء ، وسكون الواو ، وفتح الميم ، بعدها هاء ، وقيل رؤمة بعد الراء همزة ساكنة ــ روى ابن زبالة حديث : « نعم القليبُ قليبُ المزنى فاشْتَرِها يا عثمان ، فتصدق بها » وحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الحفيرة حفيرة المزنى » يعنى رومة ، فلما سمع ذلك عثمانُ بن عفان ابتاع نصفها بمائة بَكْرة ، وتصدَّق بها ، فجعل الناس يَسْتَقُون منها ، فلما رأى صاحبها أن قد امتنع منه ما كان يصيب عليها باع من عثمان النصفَ الثانى بشىء يسير فتصدق بها كلها .

وروى ابن شبة عن عدى بن ثابت قال : أصاب رجلٌ من مُزَينة بئراً يقال لها رومة ، فذكرت لعثمان بن عفان وهو خليفة ، فابتاعها بثلاثين ألف درهم من مال المسلمين ، وتصدَّقَ بها عليهم .

قلت: فى سنده متروك ، ولذا قال الزبير بن بكار بعد روايته فى عتيقة : وليس هذا بشىء ، وثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله وتصدق بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وقال ابن أبي الزناد : أخبرني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نعم الصدقةُ صدقة عثمان » يريد رُومَةَ .

وقال محمد بن يحيي : أخبرني غير واحد من أهل البلد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نعم القليب قليب المزني » .

وروى ابن شبة أيضاً عن أبي قلابة قال : لما كانوا بباب عثمان وأرادوا قتله أشْرَفَ عليهم ، فذكر أشياء ، ثم ناشدهم الله فأعظم النِّشْدَةَ : هل تعلمون أن رُومَةَ كان لفلان اليهودي لا يَسْقِي منها أحداً قطْرَةً إلا بثمن ، فاشتريتُها بمالي بأربعين ألفاً ، فجعلت شربي فيها وشرب رجل من المسلمين سواء ، ما استأثرتها عليهم ؟ قالوا : قد علمنا ذلك .

وعن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يشتري رومة بشرب رِوَاء في الجنة ؟ فاشتراها عثمان رضي الله تعالى عنه من ماله فتصدق بها .

وعن عبد الرحمن بن حبيب السلمي قال : قال عثمان رضي الله تعالى عنه : أَنْشُدُكم الله ، أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنِ اشترى بئر رومة فله مثلها من الجنة ، وكان الناس لا يشربون منها إلا بثمن ، فاشتريتها بمالي فجعلتها للفقير والغني وابن السبيل ؟ فقال الناس : نعم .

وعن أسامة الليثي قال : لما حُصِرَ عثمان رضي الله تعالى عنه أرسل إلى عَمَّار ابن ياسر يطلب أن يدخل عليه رَوَايَا ماء ، فطلب له ذلك عمار من طَلْحة ، فأبى عليه ، فقال عمار : سبحان الله ! اشترى عثمان هذه البئر – يعني رومة – بكذا وكذا ألفاً ، فتصدق به على الناس ، وهؤلاء يمنعونه أن يشرب منها ! .

وروى النسائي والترمذي وحَسَّنه عن عثمان أنه قال : أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ، فقال : مَنْ يشري بئر رومة يجعل دَلْوه مع دلاء المسلمين – الحديثَ .

وفى صحيح البخارى عن عبد الرحمن السلمى أن عثمان حيث حُوصِر أشرف عليهم وقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها ـ الحديثَ ، وفيه : وصدَّقوه بما قال .

وللنسائى من طريق الأحنف بن قيس أن الذين صدقوه بذلك على بن أبى طالب وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص . ورواه ابن شبة من حديث الأحنف إلا أنه قال : أنشدكم الله الذى لا إلهَ إلا هو ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ يبتاع بئر رومة غفر الله له ، فابتعتها بكذا وكذا ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إنى ابتعت بئر رومة ، فقال : اجعلها سقاية للمسلمين ، وآخرها لك ؟ قالوا : نعم .

وقال ابن بطال فى الكلام على رواية البخارى قوله : « فحفرها عثمان » وهم فى بعض الروايات ، والمعروف أن عثمان اشتراها ، لا أنه حفرها ، قال الحافظ ابن حجر عقبه : المشهور فى الروايات كما قال ، لكن لا يتعين الوهم ؛ فقد روى البغوى فى الصحابة من طريق بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء ، وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة ، وكان يبيع منها القربة بمد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بِعْنيها بعين فى الجنة ، فقال : يا رسول الله ليس لى وعيالى غيرها ، ولا أستطيع ذلك ، فبلغ ذلك عثمان ، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتجعل لى مثلَ الذى جعلت له عيناً فى الجنة إن اشتريتها ؟ قال : نعم ، قال : قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين ، قال الحافظ ابن حجر : وإذا كانت أولا عَيْناً فلا مانع أن يحفر فيها عثمان بئراً ، ولعل العين كانت تجرى إلى بئر فوسَّعها أو طولها فنسب حَفْرُها إليه ، انتهى .

قلت : الإشكال ليس فى ذكر وقوع حفر عثمان لها فقط ، بل فى كون

الترغيب فيها بلفظ « مَنْ حفر » إلى آخره ؛ فطريق الجمع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال أولا : « من اشترى بئر رومة » فاشتراها عثمان ، ثم احتاجت إلى الحفر فقال : « مَنْ حفر بئر رومة » فحفرها، وتسميتها فى هذه الرواية عيناً غريب جداً ، ولعله لاشتمال البئر على ما ينبع فيها مقابلة لها بعين فى الجنة .

وقال المجد : قال أبو عبد الله بن منده : رومة الغفارى صاحب بئر رومة ، وروى حديثه ، وساق السند إلى بشر بن بشير الأسلمى عن أبيه قال : لما قدم المهاجرون ، وساق الحديث المتقدم ، ثم قال المجد : كذا قال رومة الغفارى ، ثم قال : عين يقال لها رومة .

وقال أبو بكر الحازمى أيضاً : هذه البئر تنسب إلى رومة الغفارى ، ولم يسمها عيناً ، والجمع بين هذا و بين قوله فى الحديث المتقدم « نعم الحفير حفيرة المزنى » يعنى رومة أن الذى احتفرها كان من مزينة ثم ملكها رومة الغفارى ، وذكر ابن عبد البر أنها كانت ركية ليهودى يبيع ماءها من المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يشترى رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدَلْوه فى دِلائهم وله بها شِرْبٌ فى الجنة ؟ فأتى عثمانُ اليهودىَّ فساومه بها ، فأبى أن يبيعها كلها ، فاشترى عثمان نصفها باثنى عشر ألف درهم ، فجعله للمسلمين ، فقال له عثمان : إن شئت جعلت لنصيبي قرنين ، و إن شئت فلى يوم ولك يوم ، فقال : بل لك يوم ولى يوم ، فكان إذا كان يومُ عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين ، فلما رأى اليهودى ذلك قال : أفسَدْتَ على ركيتى ، فاشترِ النصف الآخر، فاشتراه بثمانية آلاف درهم .

قلت : وهى بئر قديمة جاهلية ؛ لما رواه ابن زبالة عن غير واحد من أهل العلم أن تُبَّعاً اليمانى لما قَدِم المدينة كان منزله بقَنَاة ، واحتفر البئر التى يقال لها بئر الملك ، و به سميت ، فاستَوْبأ بئره تلك ، فدخلت عليه امرأة من بنى زريق يقال لها فكهة ، فشكا إليها و باء بئره ، فانطلقت فأخذت حمارين أعرابيين ،

فاستقت له من بئر رومة ، ثم جاءته به ، فشرب فأعجبه وقال : زِيدِيني من هذا الماء ، فكانت تصير إليه به مقامه ، فلما خرج قال لها : يا فكيهة إنه ليس معنا من الصفراء والبيضاء شيء ، ولكن لك ما تركنا من أزوادنا ومتاعنا ، فلما خرج نقلت ما بقى من أزوادهم ومتاعهم، فيقال : إنها كانت لم تزل هى وولدها أكثر بنى زريق مالاً حتى جاء الإسلام .

وهذه البئر فى أسفل وادى العقيق ، قريبة من مجتمع الأسيال ، فى بَرَاح واسع من الأرض ، وعندها بناء عالٍ بالحجارة والجص قد تهدم .

قال ابن النجار : قيل : إنه كان دارا ليهودى ، وحولها مزارع وآبار كثيرة ، وهى قبلى الجرف وشمالى مسجدالقبلتين بعيدة منه ، قال ابن النجار : وقد انقضت خرزتها وأعلامها ، إلا أنها بئر مليحة جدا ، مبنية بالحجارة الموجَّهة ، قال : وذَرَعْتُها فكان طولها ثمانية عشر ذراعا ، منها ذراعان ماء و باقيها مطموم بالرمل الذى تَسْفِيه الرياح فيها ، وعرضها ثمانية أذرع ،وماؤها طافٍ ، وطعمه حلو ، إلا أن الأجون غلب عليه .

وقال المطرى : وقد خربت ، ونقضت حجارتها ، وانطمّتْ ، ولم يبق منها اليوم إلا أثرها .

قال الزين المراغى : وقد جددت بعد ذلك ، ورفع بناؤها عن الأرض نحو نصف قامة ، ونزحت فكثر ماؤها ، أحياها كذلك القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المحب الطبرى قاضى مكة المشرفة فى حدود الخمسين وسبعمائة ، قال : فتناوله إن شاء الله تعالى عمومُ حديث « مَنْ حفر بئر رومة فله الجنة» انتهى .

ومن الغريب قول عياض فى مشارقه : بئر رومة بضم الراء بئران مشهوران بالمدينة ، انتهى ، ولم أقف له على أصل .

بئر السقيا — بئر السقيا ــ بضم السين المهملة ، وسكون القاف ، من سَقَاه الغيثَ وأسقاه ــ

تقدم ذكرها فى مسجد السقيا فى حديث ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدرٍ بالسقيا ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هناك ، الحديثَ ، وفيه واسم البئر السقيا ، واسم أرضها الفلجان .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله قال : قال أبى : يابنى إنا اعترضنا ههنا بالسقيا ، حين قاتلنا اليهود بحسيكة ، فظفرنا بهم ، ونحن نرجو أن نظفر ، ثم عرضَنا النبىُّ صلى الله عليه وسلم بها متوجها إلى بدر ، فإن سلمت ورَجَعْت ابتعها و إن قتلت فلا تفوتنك ، قال: فخرجت أبتاعها ، فوجدتها لذكوان بن عبد قيس، ووجدت سعد بن أبى وقّاص قد ابتاعها وسبق إليها ، وكان اسم الأرض الفلجان ، واسم البئر السقيا .

قال ابن شبة : قال محمدبن يحيى : وسألت عبد العزيز بن عمران عن حسيكة، وذكر ما سيأتى فيها ، ثم قال : قال أبو غسان : وأخبرنى عبدالعزيز بن عمران عن راشد بن حفص عن أبيه قال : كان اسم أرض السقيا الفلج ، واسم بئرها السقيا ، وكانت لذكوان بن عبد قيس الزرقى ، فابتاعها منه سعد بن أبى وقاص ببعيرين .

وروى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنهاأن النبى صلى الله عليه وسلم «كان يُسْتَقَى له الماء العَذْبُ من بئر السقيا» وفى رواية « من بيوت السقيا » ورواه أبو داود بهذا اللفظ ، وسنده جيد ، وصححه الحاكم .

وروى الواقدى من حديث سلمة امرأة أبى رافع قالت :كان أبو أيوبُ ـ حين نزل عنده النبى صلى الله عليه وسلم ـ يستعذب له الماء من بئر مالك بن النضر والد أنس ، ثم كان أنس وهند وحارثة أبناء أسماء يحملون الماء إلى بيوت نسائه من بيوت السقيا ، وكان رَبَاح الأسود عنده صلى الله عليه وسلم يستقى له من بئر غرس مرةً ومن بيوت السقيا مرةً

وتقدم فى رابع فصول الباب الثانى مارواه الترمذى وقال حسن صحيح عن

على بن أبى طالب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا بحرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتونى بوَضُوء ، فتوضأ فقام ثم قام فاستقبل القبلة ، الحديثَ .

وتقدم أيضا حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بأرض سعد بأرض الحرة عند بيوت السقيا ـ الحديث» .

قلت : و بئر السقيا هذه هى التى ذكر المطرى أنها فى آخر منزلة النقاء على يسار السالك إلى بئر علىّ بالحرم ، قال : وهى بئر مليحة ، كبيرة ، متنورة فى الجبل ، وقد تعطلت وخربت ، وعلى جانبها الشمالى ـ يعنى من جهة المغرب ـ بناء مستطيل مجصص .

قلت : والظاهر أنه كان حوضا أو بركة لورود الحجاج ، كانوا ينزلون بها أيام عمارة المدينة ، ولهذا سمى المطرى محلها منزلة النقاء ، وما سيأتى عنه فى النقاء مُصَرِّح بذلك ، وكان بعضُ فقراء العجم قد جَدَّدها وعَمَّرَها فى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة فصارت تعرف ببئر الأعجام ، كما رأيته بخط الزين المراغى .

قلت : وقد تهدمت وتَشَعَّثت بعد ذلك ، فجددها الجناب الخواجكى البدرى بدر الدين بن عليبة سنة ست وثمانين وثمانمائة ، تقبَّل الله منــه وأثابه الجنة بمنه وكرمه .

وتقدم فى بئر إهاب أن المطرى تردَّد فى أن هذه السقيا لقربها من الطريق أم هى البئر المعروفة اليوم بزمزم ؛ لتواتر التبرك بها ، ثم قال : إن الظاهر أن السقيا هى الأولى .

قلت : وهو الصواب ؛ لزوال التردد بما مَنَّ الله به من الظَّفَر بمسجد السقيا عندها ، كما تقدم فيه ، والظاهر أنها المرادة بقول الغزالى فى آداب الزائر : وليغتسل من بئر الحرة ، انتهى ، وذلك لكونها على جادَّة الطريق ، وكانت مجاورة لأول بيوت المدينة أيام عمارتها .

وقال أبو داود عقب روايته لحديث استعذاب الماء من بيوت السقيا : قال قتيبة : السقيا عين بينها وبين المدينة يومان .

قلت : وما ذكره صحيح كما سيأتى فى ترجمتها ، إلا أنها ليست المرادة هنا ، وكأنه لم يطلع على أن بالمدينة بئرا تسمى بذلك ، وقد اغترَّ به المجد فقال : السقيا قرية جامعة من عمل الفرع ، ثم أورد حديثَ أبي داود ، وقول صاحب النهاية : السقيا منزل بين مكة والمدينة ، قيل : على يومين ، ومنه حديث « كان يُسْتَعْذَبُ له الماء من بيوت السقيا » ثم قال : وقول أبي بكر بن موسى « السقيا بئر بالمدينة منها كان يستقى لرسول الله صلى الله عليه وسلم » محمول على هذا ؛ لأن الفرع من عمل المدينة ، ثم قال : وأما البئر التى على باب المدينة بينها و بين ثَنِيَّة الوَدَاع أى المدرج بها كما سيأتى عنه فيظنها أهل المدينة أنها هى السقيا المذكورة فى الحديث، قال : والظاهر أنه وهم ، قال : ومما يؤكد ذلك قوله فى الحديث «من بيوت السقيا» ولم يكن عند هذا البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك ، وأيضا إنما استعذب له صلى الله عليه وسلم الماء من السقيا لما استَوْخَمُوا مياه آبار المدينة ، قال : وهذه البئر التى ذكرناها ــ أى التى بين المدينة والمدرج ــ كانت لسعد بن أبى وقاص فيما حكاه المطرى ، قال يعنى المطرى : ونقل أن النبى صلى الله عليه وسلم عَرَضَ جيش بدر بالسقيا التى كانت لسعد ، وصلى فى مسجدها ، ودعا هنالك لأهل المدينة ، وشرب صلى الله عليه وسلم من بئرها ، و يقال لأرضها « الفلجان » بضم الفاء والجيم ، وهى اليوم مُعَطَّلة ، وكانت مطمومة فأصلحها بعضُ فقراء العجم ، اهـ .

قلت : حمله لكلام أبى بكر بن موسى على ما ذكره و نَقْلُه ما جاء فى السقيا المذكورة عن المطرى يقتضى أنه لم يقف على ما قدمناه عن ابن زبالة وابن شبة ، وأنه لا يرى أن بالمدينة نفسها بئرا تسمى بالسقيا ، وهو وهم مردود ، مع أن المعتمد عندى أن السقيا التى جاء حديث الاستعذاب منها إنما هى سقيا المدينة ، وذلك لوجوه :

الأول: إيراد ابن شبة الحديث فى ترجمة آبار المدينة التى كان يستقى له صلى الله عليه وسلم منها .

الثانى : قرنه لذلك بحديث عرض جيش بدر بها ، و إيراد ابن زبالة فى سياق آبار المدينة ، والسقيا التى من عمل الفرع ليست فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم إلى بدر ؛ لأن تلك الطريق معروفة ، والسقيا المذكورة معروفة أيضا ، وليست فى جهتها كما سيأتى فى بيان محلها ، وأيضا فى حديث جابر المتقدم أنهم اعترضوا بالسقيا عند قتال اليهود بحسيكة مع بيان أن حسيكة بالمدينة تنسبها إلى الجرف .

الثالث : ما تقدم أيضا من أنها كانت لبعض بنى زريق من الأنصار ، وتحريض والد جابر له على شرائها ، وأن سعدا سبقه لذلك .

الرابع : ما تقدم فى رواية الواقدى من أنه كان يُسْتَقَى له صلى الله عليه وسلم منها مرة ومن بئر غرس مرة ، و يبعد كلَّ البعدِ قرنُ السقيا التى هى على يومين بل أيام من المدينة كما سيأتى ببئر غرس التى هى بالمدينة .

الخامس : ما فى رواية الواقدى أيضا من أن المتعاطى لذلك أبناء أسماء أنس وهند وحارثة ، ومثل هؤلاء إنما يستقون من المدينة وما حولها ؛ لأن سقيا الفرع تحتاج إلى جمال ورجال .

السادس : ما قدمناه فى مسجد السقيا من إيراد الأسدى له فى المساجد التى تزار بالمدينة ، ثم ذكر فى المساجد التى بين الحرمين مسجد السقيا التى هى من عمل الفرع .

السابع : ما قدمناه من الظفر بمسجد بئر السقيا بالمدينة .

الثامن : أن المجد نقل عن الواقدى فى ترجمة بُقع أنه بضم الموحدة من السقيا التى بنقب بنى دينار ، وسنبين فى نقب بنى دينار أنه الطريق التى فى الحرة الغربية إلى العقيق .

وأما قول المجد « إنه لم يكن عند هذه البئر بيوت فى وقت ، ولم ينقل ذلك » فمن العجائب ؛ إذ مَنْ تأمل ما حول البئر المذكورة وما قرب منها علم أنه كان هناك قرى كثيرة متصلة ، فضلا عن بيوت ، كما يشهد به آثار الأساسات ونِقْضُ العمارات ، وليت شعرى أين هو من مسجد السقيا الذى أهمله تبعا لغيره ومنّ الله بوجوده بسبب التأمل فى تلك الأساسات وآثار العمارات ؟ ولما كشف التراب عن محله وجدنا من بنائه ومحرابه نحوَ نصفِ ذراع ، وهو مجاور لهذه البئر كما سبق ، وما ذكره من أن الاستعذاب من السقيا إنما كان لما اسْتَوْخَمُوا آبار المدينة فمردود ، بل هو طلب الماء العذب ، وأيضا أنهم لم يستوخموا كل آبارها . وفى الصحيح فى قصة مجيئه صلى الله عليه وسلم إلى أبى الهيثم بن التيهان قول زوجته « خرج يستعذب لنا الماء » ورواية الواقدى المتقدمة مُصَرِّحة بوقوع الاستعذاب من بئر مالك بن النضر والد أنس ، وكانت بدار أنس كما تقدم بيانه ، كما سيأتى فى بئر غرس الاستعذاب منها أيضا . ثم لو سلمنا أن المراد من حديث أبى داود فى الاستعذاب العين التى ذكرها قتيبة فهو محمول على أنه كان يستعذب له صلى الله عليه وسلم منها ، إذا نزل قربها فى سفر حجه ونحوه ، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلا ، والله أعلم .

بئر العقبة

بئر العقبة ــ بالعين المهملة ، ثم القاف ــ قال المجد : ذكرها رزين العبدرى فى آبار المدينة ، وقال : هى التى أدْلىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجُلَهم فيها ، ولم يعين لها موضعاً ، والمعروفُ أن هذه القصة إنما كانت فى بئر أريس ، اه .

والذى رأيته فى كتاب رزين فى تعداد الآبار المعروفة بالمدينة ما لفظه : و بئر العين سقط فيها الخاتم ، و بئر القف التى أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها ، انتهى . وقد قدمنا فى بئر أريس ما يقتضى تعدد الواقعة .

بئر أبى عنبة

بئر أبى عِنَبَة ـ بلفظ واحدة العنب ـ قال ابن سيد الناس فى خبرٍ نَقَله عن ابن سعد فى غزوة بدر ، ما لفظه : وضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عسكره على بئر أبى عنبة ، وهى على ميل من المدينة ،فعرض أصحابَهُ، وردَّ من استصغره، اهـ .

وهذا مستند ما نقله المطرى فى الـكلام على بئر السقيا حيث قال بعد ذكر عرض جيش بدر بالسقيا : ونقل الحافظُ ابن عبد الغنى المقدسى أنه عرض جَيْشَه على بئر أبى عِنَبَةَ بالحرة فوق هذه البئر أى السقيا ، إلى المغرب ، ونقل أنها على ميل من المدينة .

قلت : ولعل العرض وقع أولا عند مرورهم بالسقيا ، ثم لما ضرب عسكره على هذه البئر أعاد العرض لرد من استصغر ، ولعل هـذه البئر هى المعروفة اليوم ببئر ودى ؛ لانطباق الوصف المتقدم عليها ، ولأنها أعْذَبُ بئر هناك .

وقد روى ابن زبالة عن إبراهيم بن محمد قال : خرجنا نشيع ابنَ جُرَيج حين خرج إلى مكة ، فلما كنا عند بئر أبى عِنَبَةَ قال : ما اسم هذا المكان ؟ فأخبرناه ، فقال : إن عندى فيه لحديثاً ، ثم ذكر حديث عاصم بن عمر حين اختصم فيه عمر وجَدَّته إلى أبى بكر ، فقال عمر : يا خليفةَ رسولِ الله ، ابنى و يستقى لى من بئر [أبى] عِنَبَةَ ، فدل على أن الماء كان يُسْتَعْذَب منها ، قال المجد : وقد جاء ذكر هذه البئر فى غير ما حديث .

بئر العهن

بئر العهن ـ بكسر العين المهملة ، وسكون الهـاء ، ونون ـ ذكر المطرى الآبار التى ذكرها ابن النجار ـ وهى : أريس ، والبُصَّة ، و بُضَاعة ، ورُوَمة ، والغرس ، و بيرحاء ـ ثم قال : والآبار المذكورة ست ، والسابعة لا تعرف اليوم ، ثم ذكر ما تقدم عنه فى بئر جمل .

ثم قال : إلا أنى رأيتُ حاشيةً بخط الشيخ أمين الدين بن عساكر على نسخة من « الدرة الثمينة ، فى أخبار المدينة » للشيخ محب الدين بن النجار ما مثاله : العدد ينقص عن المشهور بئرا واحدة ؛ لأن المثبت ست ، والمأثور المشهور سبع ،

والسابعة اسمها « بئر العهن » بالعالية ، يزرع عليها اليوم ، وعندها سِدْرَة ، ولها اسم آخر مشهورة به .

قال المطرى عقبه : و بئر العهن هذه معروفة بالعَوَالى ، وهى بئر مليحة جدا ، منقورة فى الجبل ، وعندها سِدْرَة كما ذكر ، ولا تكاد تعرف أبدا ، وقال الزين المراغى عقب نقله : والسدرة مقطوعة اليوم .

قلت : ولم يذكروا شيئا يتمسك به فى فضلها ونسبتها إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، لكن لم يزل الناس يتبركون بها . والذى ظهر لى بعد التأمل أنها بئر اليسرة الآتى ذكرها ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم نزل عليها وتوضأ وبَصَق فيها ؛ لأن اليسرة بئر بنى أمية من الأنصار بمنازلهم كما سيأتى ، و بئر العهن عند منازلهم ، وقد أشار ابن عساكر إلى تسميتها باسم آخر ، فأظنه الاسم المذكور ، والله أعلم .

بئر غرس

بئر غُرْس — بضم الغين المعجمة كما رأيته فى خط الزين المراغى ، وهو الدائر على ألسنة أهل المدينة ، و يقال « الأغرس » كما يؤخذ مما سيأتى فى وادى بطحان أول الفصل الخامس ، وقال المجد : بئر الغَرْس بفتح الغين وسكون الراء وسين مهملة ، والغَرْس : الفَسِيل ، أو الشجر الذى يُغْرَس لينبت ، مصدر غَرَسَ الشجر ، قال : وضبطه بعض الناس بالتحريك مثال سَحَر ، وسمعت كثيرا من أهل المدينة يضمون الغين ، قال : والصواب الذى لا تحيد عنه ما قدمته ، أى من الفتح — وهى بئر بقباء فى شرقى مسجدها ، على نصف ميل إلى جهة الشمال ، وهى بين النخيل ، و يعرف مكانها اليوم وما حولها بالغَرْس ، قال : وحولها مقابر بنى حنظلة .

قلت : وأظنه تصحيفا ، والمذكور فى جهتها بنو خطمة ، وقد تقدم فى بئر السقيا أن رباحا الأسود عبدَ النبى صلى الله عليه وسلم كان يستقى له من بئر غَرْس مرة ومن بيوت السقيا مرة .

وروى ابن حبان فى الثقات عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال : ائتونى بماء من بئر غَرْس ؛ فإنى رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها و يتوضأ .

وفى سنن ابن ماجه بسندٍ جيدٍ عن على رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أنا مُتُّ فاغسلونى بسَبْع قرب من بئرى بئر غَرْس » وكانت بقباء ، وكان يشرب منها .

ورواه يحيى عن علىّ بلفظ : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا على ، إذا أنا مُتُّ فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحلل أوْكِيَتُهُنَّ » .

وروى ابن سعد فى طبقاته برجال الصحيح عن أبى جعفر الباقر محمد بن على ابن الحسين رضى الله تعالى عنهم قال : غسل النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات بماء وسِدْرٍ ، وغسل فى قميص ، وغسل من بئر يقال لها الغرس لسعد بن خيثمة بقباء ، وكان يشرب منها .

وروى ابن شبة بسند صحيح عنه أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم غسل من بئر سعد بن خيثمة بئرٍ كان يُسْتَعْذَب له منها ، وفى رواية : من بئر سعد بن خيثمة بئر يقال لها الغرس بقباء كان يشرب منها .

وروى أيضاً عن سعيد بن رقيش أن النبى صلى الله عليه وسلم تَوَضَّأ من بئر الأغرس ، وأهراق بقية وَضُوئه فيها .

وروى ابن زبالة عن سعيد بن عبد الرحمن بن رقيش قال : جاءنا أنس بن مالك بقباء فقال : أين بئركم هذه ؟ يعنى بئر غرس ، فدللناه عليها ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم جاءها ، وإنها لتسنى على حمار ، بسَحَر ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بدَلْو من مائها ، فتوضّأ منه ثم سَكَبَه فيها ، فما نزفت بعد .

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيتُ الليلَةَ أنى أصبحت على بئر من الجنة ، فأصبح على بئر غرس ، فتوضأ منها ، وبَزَقَ فيها ، وأهدى له عَسَل فصبه فيها ، وغسل منها حين توفى .

ورواه ابن النجار من طريق ابن زبالة ، دون قوله « وأهدى له من عسل إلى آخره » .

وقال المجد : وفى حديث ابن عمر : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد على شَفير غَرْس : رأيتُ الليلَةَ كأنى جالس على عين من عيون الجنة ، يعنى بئر غرس .

قال : وعن عاصم بن سويد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعَسَل فشرب منه ، وأخذ منه شيئاً فقال : هذا لبئرى بئر غرس ، ثم صَبَّه فيها ، ثم إنه بَصَق فيها ، وغسل منها حين توفى .

قلت : وسبق فى أوائل الفصل العاشر من الباب الرابع ما يقتضى أن هذه البئر عند مسجد قباء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أولَ مَقْدَمه قباء أناخَ على غدق عندها ، وقدمنا أن الظاهر أنه تصحيف ؛ لمخالفته لما هو المعروف فى محل هذه البئر .

وقال ابن النجار : هذه البئر بينها و بين مسجد قباء نحو نصف ميل ، وهى فى وسط الصحراء ، وقد خربها السيل وطَمَّها ، وفيها ماء أخضر ، إلا أنه عَذْب طيب ، وريحه الغالب عليه الأجون .

قال : وذَرَعْتُها فكان طولها سبعة أذرع شافة منها ذراعان ماء وعرضها عشرة أذرع .

قال المطرى : وهى اليوم ملك لبعض أهل المدينة ، وكانت قد خربت فجددت بعد السبعمائة ، وهى كثيرة الماء ، وعرضها عشرة أذرع ، وطولها يزيد على ذلك ، وماؤها يغلب عليه الخضرة ، وهو طيب عذب .

قلت : وقد خربت بعد ذلك ، فابتاعها وما حولها صاحبُنَا الشيخ العلامة المقـيد خواجا حسين بن الجواد المحسن الخواجكى الشيخ شهاب الدين أحمد القاوانى ، أثابه ٱلله تعالى ، وعمرها وحوط عليها حديقة ، وجعل لها درجة ينزل إليها منها من داخل الحديقة وخارجها ، وأنشأ بجانبها مسجداً لطيفا ، ووقفَها ، تَقَبَّلَ الله منه ، وذلك فى سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة .

بئر القراصة

بئر القراصة — لم يذكرها وما بعدها ابنُ النجار ومن بعده ، ولم أرَ مَنْ ضبطها ، ولعلها بالقاف و بالراء كما فى بعض النسخ ، وفى بعضها بالعين بدل القاف

وروى ابن زبالة عن جابر بن عبد الله قال : لما استُشْهِد أبى عبدُ الله بن عمرو بن حَرَام عَرَضْتُ على غُرَمائه القراصة ، وكانت له ، أصلها وثمرها بما عليه من الدين ، فأبوا أن يقبلوا ذلك منه ، إلا أن يُقَوِّمُوها قيمة و يرجعوا عليه بما بقى من الدين ، قال : فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : دَعْهم ، حتى إذا كان جدادها فجُدَّها فى أصولها ، ثم ائتنى فأعلمنى ، فلما حان جدادها جَدَّها فى أصولها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نَفَرٍ من أصحابه ، فبَصَق فى بئرها ، ودعا الله أن يؤدى عن عبد الله بن عمرو ، وقال : اذهب يا جابر إلى غُرَمَاء أبيك فشارِطهم على سعر وائت بهم فأوْفِهِمْ ، فخرج جابر فشارطهم على سعر ، وقال : انطلقوا حتى أوفيكم حقوقكم ، وكان أكبرهم اليهود ، قال : فقال بعضهم لبعض : أما تعجبون من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن صاحبه ، عرَضَ أصلَه وثمرَه فأبينا ، ويزعم أنه يوفينا من ثَمَرِهِ ، قال : فجاء بهم حتى أوفاهم حقوقهم ، وفَضَلَ منها مثل ما كانوا يجدون كل سنة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم ، إلا أن جهتها جهة مسجد الخربة ، وهى فى غربى مساجد الفتح ؛ لما تقدم فيه من أنه دبر القراصة ، و يؤيده أن أصل

حديث جابر فى أرضه مذكورٌ فى الصحيح بطرق وفى بعضها : وكانت لجابر الأرض التى بطريق رومة ، وهذه الجهة بطريق رومة .

وروى أحمد عن جابر قال : قلت : يا رسول الله ، إن أبى تَرَكَ دينًا ليهودى فقال : يأتيك يوم السبت إن شاء الله تعالى ، وذلك فى زمن التمر مع استجداد النخل ، فلما كان صبيحة يوم السبت جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل علىّ فى مالى أتى الربيع فتوضأ منه ثم قام إلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم دنوت به إلى خيمة لى فبسطت له بِجَادًا من شَعْر ، الحديثَ ، والله أعلم .

بئر القريصة

بئر القريصة ـ لم أرَ مَنْ ضبطها ، وأظنها بالقاف والصاد المهملة مصغرة .

روى ابن زبالة عن سعد بن حرام والحارث بن عبيد الله قالا : توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بئر فى القريصة بئر حارثة ، أو شرب ، و بَصَق فيها ، وسقط فيها خاتمه فنزع .

ثم روى عقبه سقوط الخاتم فى بئر أريس .

قلت : وهذه البئر لا تعرف اليوم ، إلا أن فى شرقى المدينة بقرب القراصة المتقدمة فى مسجد القراصة بئرا تعرف بالقُرَيْصَة مصغر القرصة ، فإن صح الضبط المتقدم فهى المرادة .

بئر اليسرة

بئر اليُسْرة ـ من اليسر ضد العسر .

روى ابن زبالة عن سعيد بن عمرو قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أمية بن زيد ، فوقفَ على بئر لهم فقال : ما اسمها ؟ قالوا : عسرة ، قال : لا ، ولكن اسمها اليسرة ، قال : فبصق فيها وبَرّكَ فيها .

وروى ابن شبة عن محمد بن حارثة الأنصارى عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم سَمّى بئر بنى أمية من الأنصار اليسرة ، و برّكَ عليها وتوضأ و بصق فيها

وروى ابن سعد فى طبقاته عن عمر بن سلمة أن أبا سلمة بن عبد الأسد لما مات غسل من اليسرة ، بئر بنى أمية بن زيد بالعالية ، وكان ينزل هناك حين

تحوّلَ من قباء ، غسل بين قرنى البئر ، وكان اسمها فى الجاهلية العسرة ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليسرة .

قلت : وهذه البئر غير معروفة اليوم بهذا الاسم ، والذى يظهر أنهـا بئر العهن ؛ لما قدمناه فيها .

وقد استقصينا هذا الغرض فبلغ كما ترى نحو عشرين بئرا ، وما اقتضاه كلام بعضهم من انحصار المأثور من ذلك فى سبع مردود ، لكن الذى اشتهر من ذلك سبع ، ولهذا قال فى الإحياء : ولذلك تقصد الآبار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب ، وهى سبعة آبار ، طلباً للشفاء ، وتبركا به صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : وهى أى السبعة المشار إليها : بئر أريس ، و بير حاء ، و بئر رومة ، وبئر غرس ، و بئر بُضَاعة ، و بئر البصة ، و بئر السقيا ، أو بئر العهن ، أو بئر جمل ؛ فجعل السابعة مترددة بين الآبار الثلاث ، ثم ذكر نحو ما قدمناه فى فضائل هذه الآبار إلا العهن فلم يذكر فيها شيئاً ؛ لأن الوارد فيها إنما هو باسمها الآخر ولم يشتهر . ثم قال : والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة .

وقد روى الدارمى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه: صُبُّوا علىّ سبع قرب من آبار شتى ، وهو عند البخارى دون قوله « من آبار شتى » انتهى .

قلت : ومع ذلك فلا دلالة فيه على أن تلك الآبار السبعة هى المرادة بذلك ، والمشهور عند أهل المدينة أن السابعة هى العهن ، ولهذا قال أبو اليمن ابن الزين المراغى فيما أنشدنيه عنه أخوه شيخنا العلامة أبو الفرج ناصر الدين المراغى :

إذا رُمْتَ آبارَ النبىِّ بطيبة * فعـدَّتُها سَبْعٌ مقالا بلا وَهْنِ
أريسٌ ، وَغَرْسٌ ، رُومَة ، وبُضَاعة * كذا بُصَّةٌ ، قل بير حاء مع العِهْنِ

تتمـــة

في العين المنسوبة للنبي صـــلى الله عليه وسلم ، وما يتصل بها من العين الموجودة في زماننا ، وغيرها من العيون .

عين كهف بني حرام

روى ابن شبة عن عبد الملك بن جابر بن عتيك أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من العين التي عند كهف بني حَرَام ، قال : وسمعت بعضَ مشيختنا يقول : قد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الكهف .

وترجم ابن النجار لذكر عين النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم روى من طريق محمد بن الحسن وهو عن ابن زبالة عن موسى بن إبراهيم بن بشير عن طلحة بن حراش قال : كانوا أيامَ الخندق يخرجون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويخافون البَيات ، فيُدْخِلونه كهفَ بني حرام ، فيبيت فيه ، حتى إذا أصبح هبط ، قال : وبقَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العيينة التي عند الكهف ، فلم تزل تجري حتى اليوم .

قلت : وهو في كتاب ابن زبالة ، إلا أنه قال فيه : عن طلحة بن حراش عن جابر بن عبد الله ، قال ابن النجار عقبه : وهذه العين في ظاهر المدينة ، وعليها بناء ، وهي في مقابلة المصلى .

قال المطري عقبه : أما الكهف الذي ذكره فمعروف في غربي جبل سلع ، على يمين السالك إلى مسجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار المتوجه إلى المدينة مستقبل القبلة ، يقابله نخل تعرف بالغنيمية ، أي المعروفة اليوم بالنقيبية في بطن وادي بطحان غربي جبل سلع ، قال : وفي الوادي عين تأتي من عَوَالي المدينة تسقي ما حول المساجد من المزارع وتعرف بعين الخيف خيف شامي ، وتعرف تلك الناحية بالسيح .

قلت : وقد تقدم في مساجد الفتح إيضاح هذا الكهف ، وأن عنده آثار نقْر في الجبل ، وليست عين الخيف التي ذكرها المطري بجارية في زماننا ، بل هي منقطعة ، ومجراها معلوم .

وبَيَّنَ ابنُ النجار بما يأتي عنه في الخندق أنها تأتي من قباء ، وأصلها فيما

يقال معلوم غربى قباء ، وقد شرع فى إجرائها متولّى العمارة الجناب الشمسى ابن الزمن ، فتتبّع قنَاتها إلى أن آل إلى الموضع الذى يقال إنه أصلها ، ثم بالغوا فى تنظيفه فلم يَجْرِ .

قال المطرى : فأما العين التى ذكر ابن النجار أنها مقابلة المصلىٰ فهى عين الأزرق ، وهو مروان بن الحكم ، أجراها بأمر معاوية رضى الله تعالى عنه ، وهو واليه على المدينة ، وأصلها من قباء المعروف من بئر كبيرة غربى مسجد قباء فى حديقة نخل ، و تجرى إلى المصلى ، وعليها فى المصلى قبة كبيرة مقسومة نصفين ، يخرج الماء منها فى وجهين مدرجين قبلى وشمالى ، وتخرج العين من جهة المشرق ، ثم تأخذ إلى جهة الشمال .

قال : وأما عين النبى صلى الله عليه وسلم التى ذكر ابن النجار فليست تعرف اليوم ، وإن كانت كما قال عند الكهف المذكور فقد دثرت ، وعفا أثرها .

قلت : مُرَادُ ابن النجار أن أصلها عند الكهف ، وأنها تجرى إلى الموضع الذى عليه البناء فى مقابلة المصلى ، وقد وافَقَ ابن النجار على ذلك ابن جبير فى رحلته ، فقال : وقبل وصولِكَ سورَ المدينة من جهة المغرب بمقدار غَلْوة تلقى الخندق ، و بينه و بين المدينة عن يمين الطريق العين المنسوبة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعليها حلق عظيم ، ومستدير ، ومنبع العين وسط ذلك الحلق كأنه الحوض المستطيل ، وتحته سقايات مستطيلات باستطالة الحلق ، وقد ضرب بين كل سقاية و بين الحوض بجدارين ، وهو يمدُّ السقايتين ، ويهبط إليها على أدراج نحو الخمس و العشرين درجة ، وهما لتطهير الناس واستقائهم وغسل أثوابهم ، والحوض المذكور لايتناول منه لغير الاستسقاء خاصة صونا له ، انتهى.

قال المجد : و يشبه أنه اشتبه عليه عين الأزرق بعين النبى صلى الله عليه وسلم

قلت : إتفاقه هو وابن النجار على ذلك يبعد الاشتباه ، بل يحتمل أن عين النبى صلى الله عليه وسلم كانت تجرى إلى هذا الموضع ، و كذا عين الأزرق ،

ثم انقطعت الأولى و بقيت الثانية التي هي عين الأزرق .

قال المطري : وقد أخذ الأمير سيف الدين الحسين ابن أبي الهيجاء في حدود الستين وخمسمائة منها شعبةً من عند مخرجها من القبة ، فساقها إلى باب المدينة من باب المصلى ، ثم أوصلها إلى الرحَبة التي عند مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من جهة باب السلام ، أي المقابلة لباب المدرسة الزمنية ، و بها سوق المدينة اليوم .

قال : و بنى لها هنالك مَنْهلا بدرج من تحت الدور ، يستقى منه أهل المدينة ، وجعل لها مصرفا من تحت الأرض يشق وسط المدينة على الموضع المعروف بالبلاط ، أي سوق العطارين اليوم ، وما والاه من منازل الأشراف أمراء المدينة ، يخرج إلى ظاهر المدينة من جهة الشمال شرقي الحصن الذي يسكنه أمير المدينة .

قال : وقد كان جعل منها شعبة صغيرة تدخل إلى صحن المسجد ، وجعل لها منهلا بدرج عليه عقد يخرج الماء إليه من فوّارة يتوضأ منها مَنْ يحتاج إلى الوضوء ، وحصل في ذلك انتهاكُ حرمةِ المسجد من كشف العورات والاستنجاء في المسجد ، فسدّت لذلك .

قلت : وقد سبق في الفصل الحادي والثلاثين من الباب الخامس عن ابن النجار في ذكر السقايات التي بالمسجد أن الذي عمل هذا المَنْهَلَ بعضُ أمراء الشام واسمه شامة .

ثم ذكر المطري وَصْفَ مسير العين من القبة التي بالمصلَّى إلى جهة الشام فقال : و إذا خرجَت العين من القبة التي في المصلَّى سارت إلى جهة الشمال ، حتى تصل إلى سور المدينة فتدخل تحته إلى منهل آخر بوجهين مدرجين: أي وهو الذي عند رحبة حصن الأمير ، ثم تخرج إلى خارج المدينة فتصل إلى مَنْهل آخر بوجهين مدرجين عند قبر النفس الزكية ، ثم تخرج من هنالك وتجتمع هي وما يتحصّل من مصلها في قناة واحدة إلى البركة التي ينزلها الحجاج ، يعني حجاج الشام ، وهي

التى تقدم عنه فى الباب الأول فى أثزب أن الحجاج يسمونها عيون حمزة ، أى لظنهم أنها عين الشهداء ، وأنها تأتى من جهة مشهد سيدنا حمزة ، وليس كذلك، إنما تأتى كما قال من قباء من البئر التى فى الحديقة المعروفة بالجعفرية ، و إذا جاوزت مشهد النفس الزكية وثنيّة الوَدَاع مرّتْ من شامى سَلْع على المسجد المعروف بمسجد الراية ، ولها هناك منهل آخر ، ثم تسير فى جهة المغرب فتمر فى غربى الجبلين اللذين فى غربى مساجد الفتح ، وهكذا حتى تصل إلى مغيضها ، وهو الموضع المسمى بالبركة ، وقد زرع عليها هناك نخيل كثيرة هى اليوم بيد أمراء المدينة ، وفقر قناتها ظاهرة فى الأماكن التى أشرنا إليها،ولا مرور لها بالشهداء أصلا فعين الشهداء غير هذه العين ، وهى المراد بما سبق فى سابع فصول الباب الخامس فى ذكر قبور الشهداء بأُحُد من قول جابر : صرخ بنا إلى قَتْلاَنا يوم أحد حين أجرى معاوية العَيْنَ ، وغيره من الأخبار المذكورة هناك ، وحينئذ فكل من العينين المذكورتين تنسب إلى معاوية :عين الشهداء ، وهى دائرة اليوم ، ويحتمل أنها التى كان مَغِيضُها عندالمسجد المعروف بمصرع حمزة رضى الله تعالى عنه المتقدم ذكرها فى المساجد، وأن الأمير وديا كان قد جَدّدها ثم دثرت، لكن أصْلُها من جهة العالية ، و بعض قطرها ظاهر يشهد بذلك

وقال البدر ابن فرحون فى ترجمة نور الدين الشهيد : إنه أجرى العين التى تحت جبل أحد ، قال : وأظنها عين الشهداء ، فإن العين التى أجْرَاها معاوية رضى الله تعـــالى عنه مستبطنة الوادى وقد دثرت ، ورسومها موجودة إلى اليوم . انتهى .

والعينُ الموجودةُ اليوم المعروفة بعين الأزرق ، وتسميها العامة العين الزرقاء ، سُميت بذلك لأن مروان الذى أجراها بأمر معاوية كان أزرق العينين فلذلك لقب بالأزرق .

ومن الغرائب العجيبة ما ذكره المنورقى فى جزء ألّفه فى فضائل الطائف عن الفقيه أبى محمد عبد الله بن حمو البخارى عن شيخ الخدام بالحرم النبوى بدر الشهابى أنه بَلَغه أن مِيضأة وقعت فى عين الأزرق بالطائف ، فخرجت فى عين الأزرق بالمدينة .

ويذكر أنه كان بالمدينة وما حَوْلها عيونٌ كثيرة تجددت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان لمعاوية رضى الله تعالى عنه اهتمام بهذا الباب ، ولهذا كثرت فى أيامه الغِلَالُ بأراضى المدينة ، فقد نقل الواقدى فى كتاب الحَرّة أنه كان بالمدينة على زمن معاوية صَوَافى كثيرة ، وأن معاوية كان يجدُّ بالمدينة وأعراضها مائة ألف وَسْق وخمسين ألف وَسْق ، ويحصد مائةَ ألفِ وَسْقٍ حنطةٍ .

الفصل الثانى

فى صدقاته صلى الله عليه وسلم ، وما غَرَسَه بيده الشريفة

أصل صدقات الرسول

روى ابن شبة فيما جاء فى أمواله صلى الله عليه وسلم وصَدَقاته عن ابن شهاب قال : كانت صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم أموالا لمُخَيْرِيق اليهودى ، أى بالخاء المعجمة والقاف مصغرا .

قال عبد العزيز — يعنى ابن عمران — بلغنى أنه كان من بقايا بنى قَيْنُقَاع ، ثم رَجَّح حديث ابن شهاب قال : وأوصى مُخَيْرِيق بأمواله للنبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد أحدا فقتل به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مُخَيْرِيق سابق يهود ، وسَلْمان سابق فارس ، وبِلَال سابق الحبشة .

أسماء صدقات الرسول ومواضعها

قال : وأسماء أموال مخيريق التى صارت للنبى صلى الله عليه وسلم : الدلال ، وبرقة ، والأعواف ، والصافية ، والميثب ، وحُسْنَى ، ومشربة أم إبراهيم .

فأما الصافية وبرقة والدلال والميثب فمجاورات لأعلى الصورين من خلف قصر مروان بن الحكم ، ويسقيها مهزور .

وأما مشربة أم إبراهيم فيسقيها مهزور ، فإذا بلغت بيت مِدْرَاس اليهود فحيث مال أبى عبيدة بن عبد الله بن زَمْعَة الأسدى فمشربة أم إبراهيم إلى جنبه ، وذكر ما قدمناه عنه فى المساجد فى سبب تسميتها بمشربة أم إبراهيم .

ثم قال : وأما حُسْنَى فيسقيها مهزور ، وهى من ناحية القف .

وأما الأعواف فيسقيها مهزور ، وهى من أموال بنى محمم .

ثم قال : قال أبو غسان : وقد اختلف فى الصدقات فقال بعض الناس : هى أموال بنى قُرَيْظة والنضير .

وروى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كانت الدلال لامرأة من بنى النضير ، وكان لها سلمان الفارسى ، فكاتبته على أن يحييها لها ، ثم هو حر ، فأعلم بذلك النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليها فجلس على فقير ، ثم جعل يحمل إليه الوَدِىّ فيضعُه بيده ، فما عَدَتْ منها ودية أن طلعت . قال : ثم أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال : والذى يظهر عندنا أنها من أموال بنى النضير ، ومما يدل على ذلك أن مهزورا يسقيها ، ولم يزل يسمع أنه لا يسقى إلا أموال بنى النضير .

قلت : فيه نظر ؛ إذ المعروف ببنى النضير إنما هو مذينب ، ومهزور لبنى قريظة .

ثم قال : وقد سمعنا بعض أهل العلم يقول : إن برقة والميثب للزبير بن باطا ، وهما اللتان غرس سلمان ، وهما مما أفاء الله من أموال بنى قريظة . والأعواف : كانت لخنافة اليهودى من بنى قريظة ، والله أعلم ما هو الحق من ذلك .

وقف الرسول أمواله

ثم قال : قال الواقدى : وقف النبى صلى الله عليه وسلم الأعواف وبرقة وميثب والدلال وحسنى والصافية ومشربة أم إبراهيم سنةَ سبع من الهجرة ، قال : وقال الواقدى عن الضحاك بن عثمان عن الزهرى قال : هذه الحوائط السبعة من أموال بنى النّضير : قال : وقال بسنده لعبد الله بن كعب بن مالك قال : قال مخيريق يوم أحد : إن أصبت فأموالى لمحمد يضعها حيث أراد الله ، فهى عامةً

صدقاتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقال عن أيوب بن أبى أيوب عن عثمان بن وثاب قال : ما هى إلا من أموال بنى النّضير ، لقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أُحُدٍ ففرّقَ أموال مخيريق ، اه ما أورده ابن شبة .

وقال المجد : قال الواقدى : كان مُخَيْرِيق أحَدُ بنى النضير حَبْراً عالماً ، فآمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وجعل ماله وهو سبع حوائط لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر الحوائط المتقدمة ، ونقل الذهبى عن الواقدى سوى ذكر الحوائط ، لكن فى أوقاف الخصاف : قال الواقدى : مُخَيرِيق لم يسلم ، ولكنه قاتَلَ وهو يهودى ، فلما مات دفن فى ناحية من مقبرة المسلمين ، ولم يصل عليه .

وروى ابن زبالة عن محمد بن كعب أن صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أموالا لمخيريق اليهودى ، فلما كان يوم أُحُدٍ قال لليهود : ألا تنصرون محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله إنكم لتعلمون أن نصرته حق ، فالوا : اليوم السبت ، قال : فلا سَبْتَ لكم ، وأخذ سيفه فمضى مع النبى صلى الله عليه وسلم فقاتل حتى أثبتته الجراح ، فلما حَضَرَته الوفاة قال : أموالى إلى محمد يَضَعُها حيث يشاء .

قال محمد بن طلحة راويه : قال عبد الحميد : وكان ذا مال كثير ، فهى عامةَ صدقاتُ النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مخيريق خير اليهود ، قال : وهى الدلال ، وذكر الحوائط المتقدمة ، إلا أنه قال : والعواف بدل الأعواف .

وروى أيضاً عن بكر بن أبى ليلى عن مشيخة الأنصار قالوا : كانت أموال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير حشاشين ومَزَارع وإبلا ، فغرَسَها الأمراء بعد ، وعملوها ، وهى سبعة أموال ، وذكر الحوائط المتقدمة .

وعن عثمان بن كعب قال : اختلف الناسُ فى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كانت من أموال بنى قريظة والنضير ، قال عثمان بن كعب :

وليس فيها من أموال بنى النضير شىء ، إنما صارت أموالُ بنى النضير للمهاجرين نَفَلاً ، قال : وكانت برقة والميثب للزبير بن بطا .

وقال بعضهم : كانت الدلال من أموال بنى ثعلبة من يهود ، وكانت مشربة أم إبراهيم من أموال بنى قُرَيْظَة ، وكانت الأعواف لخنافة جد ريحانة ، قال : ويقال : كانت الأعواف من أموال بنى النضير .

وروى أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه أن سلمان الفارسى كان لناس من بنى النضير ، فكاتَبُوه على أن يغرس لهم كذا وكذا وَدِيَّةً حتى تبلغ عشر سَعَفات ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ضَعْ عند كل فَقير وَدِيةً ، ثم غدا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فوضَعه بيده ، ودعا له ، فما عطبت منها وَدِيةٌ ، ثم أفاءها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فهى الميثب صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قلت : يتحصَّل من مجموع ما تقدم أن نَخْلَ سَلْمان الذى غَرَسَه صلى الله عليه وسلم هو الدلال ، وقيل : برقة والميثب ، وقيل : الميثب .

وروى أحمد والطبرانى برجال الصحيح إلا ابن اسحاق وقد صرح بالسماع عن سَلْمان الفارسى حديثَه الطويلَ ، وفيه ما يقتضى أنه بالفقير ، وأنه أثمرَ من عامه ، وأنه ذكر فيه عن سلمان أن يهوديا من بنى قُرَيظة ابتاعه من ابن عم له بوادى القرى ، قال : فاحتملنى إلى المدينة ، ثم ذكر خبر إسلامه ، وقال : ثم قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كاتِبْ ، فكاتبتُ صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفَقِير وأربعين أوقية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعِينوا أخاكم ، فأعانونى بالنخل ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لى ثلثمائة وَدِية ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب يا سلمان فَفَقِّرْ لها ، فإذا فرغت فائتنِى أكُنْ أنا أضَعُهَا بيدى ، قال : فَفَقَّرْتُ وأعاننى أصحابى ، حتى إذا فرغْتُ جئته فأخبرتُه ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى إليها، فجعلنا نقرب إليه الوَدِيَّ ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا ، فوالذي

نفسُ سَلْمان بيدى ما ماتت منها وَدِيَّةٌ واحدة ، قال : فأدَّيْتُ النخلَ و بقى علىّ المالُ ، وذكر خبره فيه .

وذكر ابن عبد البر فى خبر سلمان أن النبى صلى الله عليه وسلم اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما ، وعلى أن يغرس لهم كذا وكذا من النخل ، يعمل فيها سلمان حتى يُدْرِك ، فغرس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم النخلَ كله إلا نخلة غَرَسها عمر فأطعم النخلُ كله إلا تلك النخلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ غَرَسها ؟ قالوا : عمر ، فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فأطعمت من عامها ، وفى رواية أن تلك الودية التى لم تثمر غرسها سلمان .

قلت : والفقير اسمُ الحديقة بالعالية قُرْبَ بنى قريظة ، وقد خفى ذلك على بعضهم فقال كما نقله ابن سيد الناس : قوله « بالفقير » الوجْهُ إنما هو بالعفير ، انتهى . والصواب أنه اسم لموضع ، وليس هو من صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكر ابن شبة فى كتاب صدقة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه الذى كان بيد الحسن بن زيد ما لفظه : والفقير لى كما قد علمتم صدقة فى سبيل الله ، لكنه سماه قبل ذلك فى أخبار صدقاته بالفقيرين ، مُثَنًّى ، فقال : وكان لى صدقات بالمدينة الفقيرين بالعالية و بئر الملك بقناة ، فالظاهر أنه يسمى بكل من اسمين ، وأهل المدينة اليوم ينطقون به مفردا بضم الفاء تصغير الفقير ضد الغنى .

وقد ذكره ابن زبالة مفردا فيما رواه عن محمد بن كعب القُرَظىّ قال : كانت بئر غاضر والبرزتان قبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأضيافه ، وكانت لكعب بن أسد ، وكان الفقير لعمر بن سعد ، وصار لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

قال : وسمعت من يقول : كانت بئر غاضر والبرزتان من طعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير .

قلت : و بئر غاضر اليوم غير معروفة ، وأما البرزتان فحديقتان بالعالية متجاورتان يقال لإحداهما البرزه وللأخرى البريزة مصغرة ، ووقع فى النسخة التى وقفت عليها من كتاب ابن شبة : قال أبو غسان سمعت من يقول : كانت بئر غاضر والنو يرتين من طعمة أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وهما من أموال بنى قر يظة بعالية المدينة ، وقد قيل فى ذلك إن بئر غاضر مما دخلت فى صدقة عثمان فى بئر أريس ، انتهى . وأظن قوله « النو يرتين » تصحيفا ، وصوابه البرزتان كما فى كتاب ابن ز بالة لما قدمناه .

تحديد مواضع الصدقات والمعروف منها

وأما بيان مواضع صدقات النبى صلى الله عليه وسلم المذكورة فقد تقدم أن الصافية و برقة والدلال والميثب متجاورات بأعلى الصورين ؛ فالصافية معروفة هناك اليوم ، قال الزين المراغى : هى فى شرقى المدينة الشريفة بجزع زهرة ، ورأيته ضبط بخطه زُهَيْرة بضم الزاى مصغرة زهرة لاشتهاره فى زمنه بذلك ، و إنما هو زهرة مكبر لما سيأتى فى ترجمتها ، و برقة معروفة أيضا فى قبلة المدينة مما يلى المشرق ، ولناحيتها شهرة بها كما قال المراغى.

والدلال : جزع معروف أيضاً قبلى الصافة بقرب المليكى ، وقف فقهاء المدرسة الشهابية كما قاله الزين المراغى أيضا .

والميثب : غير معروف اليوم ، ويؤخذ من وصف هذه الأر بعة بكونها متجاورات قربها من الأماكن المذكورة ، ولعله بقرب برقة لما سبق من أنهما اللذان غرَسهما سلمان، وكانا لشخص واحد .

والأعواف : جزع معروف بالعالية بقرب المر بوع ، كما تقدم بيانه فى بئر الأعواف من الفصل قبله .

ومشر بة أم إبراهيم : معروفة بالعالية كما تقدم بيانه فى المساجد .

وحُسْنَى ــ ضبطها الزين المراغى كما فى خطه بالقلم بضم الحاء وسكون السين المهملتين ثم نون مفتوحة ــ قال : وروايته كذلك فى ابن ز بالة بالسين بعد الحاء ،

قال : ولا يعرف اليوم ، ولعله تصحيف من الحناء بالنون بعد الحاء ، وهو معروف اليوم .

قلت : حملُ ذلك على التصحيف المذكور متعذر ؛ لأنى رأيته بحاء ثم سين ثم نون فى عدة مواضع من كتاب ابن شبة ومن كتاب ابن زبالة وغيرهما ، وإن أراد أن أهل زمانه صَحَّفوه بالحناء فلا يصح أيضاً ؛ لأن الموضع المعروف اليوم بالحناء فى شرقى الماجشونية ، لا يشرب بمهزور ، وقد تقدم أن حُسْنَى يسقيها مهزور ، وأنها بالقف ، وسيأتى فى بيان القف ما يقتضى أنه ليس بجهة الحناء . والذى يظهر أن حُسْنَى هو الموضع المعروف اليوم بالحسينيات بقرب الدلال ، فإنه بجهة القف ، ويشرب بمهزور ، وسيأتى فى القف ما يؤيده .

وهذه الأماكن السبعة هى صدقاته صلى الله عليه وسلم ، ولم أقف على أصل ما قاله رزين العبدرى من أن الموضع المعروف بالبويرة بقباء صدقة النبى صلى الله عليه وسلم من النخل ، قال : ولم تزل معروفة للمساكين ، محبوسة عليهم ، وعلى مَنْ مرّ بها إلى عهد قريب من تاريخ الخمسمائة كالعشرين سنة ونحوها ، فتغلَّبَ عليها بعضُ ولاة المدينة لنفسه ، قال: وبها حصن النضير وحصون قريظة، انتهى.

وهو مردود من وجهين :

أحدهما : أن الأئمة المتقدم ذكرهم مع اعتنائهم بهذا الباب لم يذكروا هذا الموضع فى صدقاته صلى الله عليه وسلم .

والثانى : أن ما ذكره من أن بهذا الموضع حصون قريظة والنضير مردود بما قدمناه فى منازلهما ، والموضع الذى ذكره فى جهة قبلة المسجد إلى جهة المغرب من منازلهما ، وسنبين فى ترجمة البويرة أن هذا الموضع ليس هو البويرة المنسوبة لبنى النضير ، وكأن منشأ ما وقع له تسمية هذا الموضع بالبويرة ، وأن صدقة النبى صلى الله عليه وسلم من أموال النضير أو قريظة ، على ما سبق من الخلاف ، وظن أنه المراد .

طلب فاطمة من أبي بكر صدقات أبيها

وهذه الصدقات مما طلبتْهُ فاطمة رضى الله تعالى عنها من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، وكذلك سهمه صلى الله عليه وسلم بخيبر وفَدَك .

وفى الصحيح عن عُرْوَة بن الزبير أن عائشة أمَّ المؤمنين رضى الله تعالى عنها أخبرته أن فاطمةَ ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا نورَثُ ، ما تركنا صَدَقَةٌ » فغضبت فاطمة ، فهجرَتْ أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ، قال : وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبَهَا مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة ، فأبى أبو بكر عليها ذلك . وقال : لَسْتُ تاركا شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا إذا عملت به ، فإنى أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ ، فأما صدقته بالمدينة فدفعَهَا عمرُ إلى على وعباس ، وأما خيبر وفَدَكُ فأمسكهما عمر ، وقال : هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانتا لحقوقه التى تَعْرُوه .

ورواه ابن شبة ، ولفظه : أن فاطمة رضى الله تعالى عنها أرسلَتْ إلى أبى بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله على رسوله ، وفاطمةُ حينئذ تطلبُ صدقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفدك وما بقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« لا نورَثُ ، ما تركنا صَدَقة ، إنما يأكل آلُ محمدٍ من هذا المال » وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التى كانت عليها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأعملنَّ فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا ، فوجِدَتْ فاطمة على أبى بكر فى ذلك ، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ؛ فلما توفيت دفنها على ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، رضى الله تعالى عنهم .

وفى رواية له أن فاطمة والعباس أتيَا أبا بكر ، وذكره مختصرا كما فى رواية الصحيح أيضاً ، وقال فيه : فهجرته فاطمة فلم تكلمه فى ذلك المال حتى ماتت ، وكذا نقل الترمذى عن بعض مشايخه أن معنى قول فاطمة لأبى بكر وعمر «لا أكلمكما» أى فى هذا الميراث ، ولا يرده قوله « فهجرته» إذ ليس المراد الهجر الحرام ، بل تركها للقائه ، والمدة قصيرة ، وقد اشتغلت فيها بحُزْنها ثم بمرضها ، ويؤيد ذلك ما رواه البيهقى بإسناد صحيح إلى الشعبى مرسَلاً أن أبا بكر عَادَ فاطمة فقال لها على : هذا أبو بكر يستأذن عليك ، قالت : أتحِبُّ أن آذن له ؟ قال : نعم ، فأذِنَتْ له ، فدخل عليها فرضّاهَا حتى رضيت عليه .

أما سبب غضبها مع احتجاج أبى بكر بما سبق فلاعتقادها تأويله ، قال الحافظ ابن حجر : كأنها اعتقَدَتْ تخصيصَ العموم فى قوله «لا نورَثُ» ورأت أن المنافع [لـكل] ما خلفه من أرض وعَقَار لا يمنع أن يورث ، وتمسك أبو بكر بالعموم ، فلما صمم على ذلك انقطعت عنه .

قلت : بقى لذلك تتمة ، وهى أنها فهمت من قوله «ما تركنا صدقة» الوقف ورأت أن حق النظر على الوقف وقَبْض نمائه والتصرف فيه يُورَثُ ، ولهذا طالبت بنصيبها من صدقته بالمدينة ، فكانت ترى أن الحق فى الاستيلاء عليها لها وللعباس رضى الله تعالى عنهما ، وكان العباسُ وعلى رضى الله تعالى عنهما يعتقدَانِ ما ذهبت إليه ، وأبو بكر يرى الأمر فى ذلك إنما هو للإمام ، والدليل على ذلك أن عليا والعباس جاءا إلى عمر يطلبان منه ما طلبت فاطمة من أبى بكر ، مع اعترافهما له بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا نورَثُ ، ما تركنا صدقة » لما فى الصحيح من قصة دخولهما على عمر يختصمان فيما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بنى النضير ، وقد دفع إليهما ذلك ليعملا فيه بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به وأبو بكر بعده ، وذلك بحضور عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد والزبير ، قال فى الصحيح : فقال الرَّهْطُ عثمان وأصحابه : ياأمير المؤمنين

اقضِ بينهما وأرِحْ أحدَهما من الآخر ، فقال عمر : على تيدكم ، أنْشُدُكم الله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث، ماتركنا صدقة » يعنى نفسه ؟ فقال الرهط : قد قال ذلك ، فأقبل عمر على العباس وعَلَى علىّ فقال : أنشدكما بالله هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك ، قال عمر : فإنى أحدثكم عن هذا الأمر ، إن الله عز وجلّ قد خصّ رسولَه صلى الله عليه وسلم فى هذا الفىء بشىء لم يعطه أحداً غيره ، ثم قرأ (وما أفاء الله على رسوله) إلى قوله (قدير) فكانت هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما احتازها دونكم ولا استأثرها عليكم ، قد أعطاكموها و بثها فيكم حتى بقى منها هذا المال ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُنْفِقُ على أهله نفقةَ سنتِهم من هذا المال ، ثم يأخذ ما بقى فيجعلُه مجعل مال الله ، فعمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حياته ، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم ، ثم قال لعلى وعباس : أنشدكما بالله هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم ، قال عمر : ثم توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : أنا ولىُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بمـا عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله يعلم إنه فيها لصادق بارّ راشد تابع للحق ، ثم توفى الله أبا بكر فكنت أنا ولىّ أبى بكر فقبضتها سنتين من إمارتى، والله يعلم إنى فيها لَصادق بار راشد تابع للحق،ثم جئتمانى تكلمانّى وكَلِمَتُكما واحدة وأمْرُكما واحد،جئتنى ياعباس تسألنى نصيبك من ابن أخيك وجاءنى هذا — يريد عليا — يسألنى نصيبَ امرأته من أبيها ، فقلت لـكما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ، ماتركنا صدقة » فلما بدا لى أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتها إليكما على أن عليكما عَهْدَ الله وميثاقه لتعملانّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم و بما عمل فيها أبو بكر و بما عملتُ فيها منذ وليتها ، فقلتما: ادفعها إلينا ، فبذلك دفعتها إليكما ، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك ؟ قال

الرهط : نعم ، الحديثَ من رواية مالك بن أوس ، وهو صريح فى مطالبتهما مع اعترافهما بحديث « لانُورَثُ » فليس محله إلا ماتقدم من أنهما فَهِمَا أن ذلك من قبيل الوقف ، وأن ورثة الواقف أولى بالنظر على الموقوف ، سيما وما قبضاه من أموال بنى النضير هو صَدَقة النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولهذا زاد شعيب فى آخر الحديث المذكور : قال ابن شهاب : فحدثت بهذا الحديث عروة ، فقال: صَدَقَ مالك بن أوس ، أنا سمعت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول ، فذكر حديثها ، قال : وكانت هذه الصدقة بيدعلى منعها العباس فغلبه عليها ، ثم كانت بيد الحسن ، ثم بيد الحسين ، ثم بيد على بن حسين والحسن بن الحسن ، ثم بيد زيد بن الحسن ، وهى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى مثله ، وزاد : قال معمر : ثم كانت بيد عبد الله بن حسن حتى ولى هؤلاء ، يعنى بنى العباس ، فقبضوها، وزاد إسماعيل القاضى أن إعراض العباس عنها كان فى خلافة عثمان .

وفى سنن أبى داود عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فذكر قصة بنى النضير ، وقال فى آخرها : فكانت نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، أعطاها الله إياه ، فقال (ما أفاء الله على رسوله منهم ـ الآية) قال : فأعطى أكثرها للمهاجرين ، وبقى منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى فى أيدى بنى فاطمة .

وقال ابن شبة : قال أبو غسان : صدقاتُ النبى صلى الله عليه وسلم اليوم بيد الخليفة : يولى عليها ، ويعزل عنها ، ويقسم ثمرها وغلتها فى أهل الحاجة من أهل المدينة على قدر مايرى مَنْ هى فى يده .

قال الحافظ بن حجر ، بعد نقل نحو ذلك عنه : وكان ذلك على رأس المائتين ، ثم تغيرت الأمور ، والله المستعان .

قلت: قال الشافعى فيما نقله البيهقى: وصدقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بأبى هو وأمى ـ قائمـــة عندنا ، وصدقة الزبير قريب منها ، وصدقة عمر بن

الخطاب قائمة ، وصدقة عثمان ، وصدقة عليّ ، وصدقة فاطمة بنت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقة مَنْ لا أحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأعراضها .

وذكر المجد فى ترجمة فَدَكَ ما يقتضى أن الذى دَفَعه عمر إلى على والعباس رضى الله تعالى عنهم ووقعت الخصومة فيه هو فدك ، فإنه قال فيها : وهى التى قالت فاطمة رضى الله تعالى عنها : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَحَلَنِيها ، فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : أريد بذلك شهودا ، فشهد لها عليّ ، فطلب شاهدا آخر ، فشهدت لها أم يمن ، فقال : قد علمت يابنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يجوز إلا شهادة رجل وامرأتين ، وانصرفت ، ثم أدّى اجتهاد عمر[1] لما ولى وفتحت الفتوح ، وكان على يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم جَعَلها فى حياته لفاطمة ، وكان العباس يأبى ذلك ، فكانا يختصمان إلى عمر ، فيأبى أن يحكم بينهما ، ويقول : أنتما أعرف بشأنكما ، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله بالمدينة يأمره برد فَدَكَ إلى ولد فاطمة ، فكانت فى أيديهم أيامه ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك قَبَضَها ، فلم تزل فى بنى أمية حتى ولى أبو العباس السفاح الخلافة ، فدفعها إلى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ، فكان هو القيم عليها يفرقها فى ولد على ، فلما ولى المنصور وخرج عليه بنو حسن قَبَضَها عنهم ، فلما ولى ابنه المهدى أعادها عليهم ، ثم قبضها موسى بن الهادى ومَنْ بعده إلى أيام المأمون ، فجاءه رسولُ بنى عليّ فطالب بها ، فأمر أن يُسَجَّل لهم بها ، فكتب السجل وقرئ على المأمون ، فقام دِعْبِلٌ وأنشد :

أَصْبَحَ وَجْهُ الزمان قد ضَحِكَا ... بِرَدِّ مأمونِ هاشمٍ فَدَكَا

---

(١) الكلام لايتم إلا بذكر ما أدى إليه اجتهاد عمر رضى الله تعالى عنه ، والمراد مفهوم ، وهو أنه دفعها إليهم .

قلت : ورواية الصحيح السابقة عن عائشة ترد ما ذكره من دفع عمر فدك لعلى وعباس واختصامهما فيها ؛ لقول عائشة رضى الله تعالى عنها : وأما خيبر وفَدَك فأمسكهما عمر ، وكذلك ما ذكره من أن عمر بن عبد العزيز رد فَدَك إلى ولد فاطمة موافقٌ لما نقله هو عن ياقوت من أن عمر بن عبد العزيز لما ولى خطب الناس ، وقص قصة فدك وخلوصها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنفاقه منها ووَضْع الفضل فى أبناء السبيل ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضوان الله عليهم فعلوا كفعله ، فلما ولى معاوية أقْطَعَهَا مروان بن الحكم ، وأن مروان وهَبَهَا لعبد العزيز وعبد الملك ابْنَيْه ، قال : ثم صارت لى وللوليد وسليمان ، وأنه لما ولى الوليد سألتُه فوهَبَها لى وسألت سليمان حصَّتَه فوهبها لى ، فاستجمعتها ، وأنه ما كان لى مال أحَبُّ إلىّ منها ، وإنى أُشْهِدُكم أنى رَدَدْتُها على ما كانت فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم والأربعة بعده ، فكان يأخذ مالها هو ومَنْ بعده فيخرجه فى أبناء السبيل .

قلت : وقيل : إن الذى أقطع فدك لمروان عثمانُ رضى الله تعالى عنه ، قال الحافظ ابن حجر : إنما أقطع عثمانُ فدك لمروان ؛ لأنه تأول أن الذى يختص بالنبى صلى الله عليه وسلم يكون للخليفة بعده ، فاستغنى عثمان عنها بأمواله ، فوصل بها بعضَ قرابته .

وأما ما ذكره المجد من أن فاطمة رضى الله تعالى عنها ادَّعَتْ نَحْلَ فدك فروى ابن شبة ما يشهد له عن النمير بن حسان قال : قلت لزيد بن على وأنا أريد أن أهَجِّنَ أمْرَ أبى بكر : إن أبا بكر انتزع من فاطمة رضى الله تعالى عنها فدك فقال: إن أبا بكر رضى الله تعالى عنه كان رجلا رحيما ، وكان يكره أن يغير شيئاً تركَهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته فاطمة رضى الله تعالى عنها فقالت : إن رسول الله أعطانى فدك ، فقال لها : هل لك على هذا بينة ؟ فجاءت بعلى رضى الله تعالى عنه ، فشهد لها ، ثم جاءت بأم أيمن ، فقالت : أليس تشهد أنى من أهل

الجنة ؟ قال : بلى ، قالت : فأشهد أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فَدَكَ ؛ فقال أبو بكر : فبرجل وامرأة تستحقينها أو تستحقين لها القضية ؟ قال زيد بن على : وايم الله لو رَجَع لى الأمر لقضيتُ فيها بقضاء أبى بكر رضى الله تعالى عنه .

وروى ابن شبة أيضاً عن كثير النوى قال : قلت لأبى جعفر : جَعَلَنى الله فداءك ! أرأيت أبا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما هل ظلما كم من حقكم شيئاً أو ذهبا به ؟ قال : لا والذى أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ماظلمانامن حقنا مثقال حبة من خردل ، قلت : جعلت فداءك ! فأتولاهما ؟ قال : نعم ، ويحك ! تولهما فى الدنيا والآخرة ، وما أصابك ففي عنقى ، ثم قال : فَعَلَ الله بالمغيرة وبكيان فإنهما كذبا علينا أهل البيت .

قلت : وبذلك الكذب تعلقت الرَّوَافض ، ولم يفهموا الأحاديث المتقدمة على وجهها ، والله أعلم .

الفصل الثالث

فيما يُنْسَبُ إليه صلى الله عليه وسلم من المساجد التى بين مكة والمدينة ، بالطريق التى كان يسلكها صلى الله عليه وسلم ، وهى طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وهى تفارق طريق الناس اليوم من قرب مسجد الغزالة كما سيأتى ، فلا تمر بالخيف ولا بالصفراء ، بل تمر بالحى وثنية هَرْشَى ثم الجُحْفَة كما سيتضح لك ، ويكون طريق الناس اليوم على يمين السالك فى هذا الطريق ، فتمر على رابغ أسفل من الجحفة ، ثم تلتقى مع هذه الطريق فوق الجحفة قرب طريق قديد .

وفى الأخبار أن من أدب الزائر إلى المساجد التى بين الحرمين أن يصلى فيها ، وهى عشرون موضعاً .

قلت : وهذا بالنسبة إلى هذه الطريق ، مع أن أبا عبد الله الأسدى قد ذكر

فيها أزيد من ذلك ، وقد أضفنا إليه ما وجدناه فى كلام غيره ، وأوردناها على ترتيبها من المدينة إلى مكة ، زادها الله شرفاً .

مسجد الشجرة (ذى الحليفة)

فمنها مسجد الشَّجَرة ، ويعرف بمسجد ذى الحليفة أيضاً ، والحليفة : الميقات المدنى ، ويعرف اليوم ببئر على .

روينا فى صحيح مسلم عن ابن عمر قال : باتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة مبدأه ، وصلى فى مسجدها .

وروى يحيى عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج إلى مكة صلى فى مسجد الشجرة .

وروى ابن زبالة عنه أن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذى الحُلَيْفة حين يعتمر ، وفى حجته حين حج ، تحت سَمُرَة فى موضع المسجد الذي بذى الحليفة .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : صَلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الشجرة إلى الأسطوانة الوُسْطَى ، استقبلها ، وكانت موضع الشجرة التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى إليها .

وعن أنس بن مالك قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة الظهر أربعاً ، والعصرَ بذى الُحليفة ركعتين .

وعن ابن عمر أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم أنَاخَ بالبَطْحَاء التى بذى الحليمه وصلى بها .

قلت : المعنىُّ بذلك موضع المسجد المذكور ، فإنه كان موضعَ نزوله صلى الله عليه وسلم ، وبنى فى موضع الشجرة التى كانت هناك ، وبها سمى «مسجد الشجرة» وهى السَّمُرَة التى ذكر فى حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحتها بذى الحليفة كما فى الصحيح .

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استَوَتْ به راحلتهُ قائمةً عند مسجد ذى الحليفة أهَلَّ فقال : لَبَّيْكَ اللهم لبيك، الحديث .

وفى رواية له : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركعُ بذى الحليفة ركعتين، ثم إذا استَوَتْ به الناقة قائمة عند مسجد ذى الحليفة أهلَّ بهؤلاء الكلمات .

و يتحصل من صحيح الروايات أنه صلى الله عليه وسلم خرج لحجته نهاراً ، وبات بذى الحليفة ، وأحرم فى اليوم الثانى من عند المسجد ، فيظهر أن صلواته صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة كانت كلها به ، ولم أقف على اغتساله صلى الله عليه وسلم لإحرامه بذى الحليفة .

وفى باب « ما يلبس المحرم » من البخارى عن ابن عباس قال : انطَلقَ النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة بعدما تَرجَّلَ وادّهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه الحديث ، وليس فيه تصريح بالاغتسال ، لكن فى طبقات ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم خرج فى حجة الوداع من المدينة مُغتسلا متدهناً مترجِّلًا مُتَجَرِّداً فى ثوبين سحاريين إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذى القعدة.

وفى كتاب التنبيهات للقاضى عياض : ظاهر المذهب أن المستحب الاغتسال بالمدينة ، ثم يسير من فَوْره ، و بذلك فَسَّره سَحنون وابن الماجشون ، وهو الذى فعله النبى صلى الله عليه وسلم ، كما استحب أن يلبس حينئذ ثياب إحرامه ، وكذلك فعل عليه الصلاة والسلام ، انتهى .

قلت : ولم يتعرض أصحابُنا لذلك ، لكن قالوا : إن من اغتسل فى التنعيم فى الإحرام أجزأه عن الغسل لدخول مكة للقرب ، فيؤخذ منه اعتبار القرب ، وهو مُنَافٍ لظاهر ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يحرم من ذى الحليفة إلا فى اليوم الثانى ، فيحتمل أنه أعاد الغسل حينئذ بذى الحليفة . أما لو كان الإحرام عقب الوضوء إلى ذى الحليفة ونحوه فلا يبعد القول به عندنا ، كما ذكروا

فى الغسل للجمعة من الفجر ، وعدم اشتراطهم لاتصاله بالرَّوَاح .

قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده ، بعد بيان إحرامه صلى الله عليه وسلم عندما انبعثت به راحلته من عند المسجد : فينبغى للحاج إذا وصل إلى ذى الحُلَيفة أن لا يتعدى فى زاوية المسجد المذكور وما حوله من القبلة والمغرب والشام ، بحيث لا يبعد عما حول المسجد ، وإن كثيرا من الحجاج يتجاوزون ما حول المسجد إلى جهة المغرب ، ويصعدون إلى البيداء ، فيتجاوزون الميقات بيقين .

قلت : لم يبين نهاية ذى الحليفة . وقوله « حول المسجد » لا ضابط له ، ولا يلزم من نزوله صلى الله عليه وسلم بالمسجد وما حوله انحصار ذى الحليفة فى ذلك ، وسنشير إلى زيادة فى ذلك فى ترجمة ذى الحليفة ، مع بيان المسافة التى بينها وبين المدينة .

قال المطرى : وهذا المسجد هو المسجد الكبير الذى هناك ، وكان فيه عقود فى قبلته ، ومنارة فى ركنه الغربى الشمالى ، فتهدمت على طول الزمان .

قال المجد : ولم يبق منه إلا بعض الجدران وحجارة متراكمة .

قلت : جدد المقر الزينى زين الدين الاستدار بالمملكة المصرية تغمده الله برحمته هذا الجدار الدائر عليه اليوم ، لما كان بالمدينة معزولا عام أحد وستين وثمانمائة ، وبناه على أساسه القديم ، وموضعُ المنارة فى الركن الغربى باقٍ على حاله ، وجعل له ثلاث درجات من المشرق والمغرب والشام ، فى كل جهة منها درجة مرتفعة ، حفظاً له عن الدواب ، ولم يوجد لمحرابه الأول أثر لانهدامه ، فجعل المحراب فى وسط جدار القبلة ، ولعله كان كذلك ، واتخذ أيضاً الدرج التى للآبار التى هناك ينزل عليها مَنْ يريد الاستقاء .

وطولُ هذا المسجد من القبلة إلى الشام اثنان وخمسون ذراعا ، ومن المشرق إلى المغرب مثل ذلك .

مسجد آخر بذى الحليفة

قال المطرى : وفى قبلته مسجد آخر أصغر منه ، ولا يبعد أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه أيضاً ، بينهما مقـدار رمية سهم أو أكثر قليلا ، انتهى .

قلت : و يؤخذ مما سيأتى عن الأسدى أنه مسجد المُعَرَّس ، والله أعلم .

مسجد المعرس

ومنها : مسجد المعرس ـ قال أبوعبدالله الأسدى فى كتابه وهومن المتقدمين يؤخذمن كلامه أنه كان فى المائة الثالثة : بذى الحليفة عدة آبار ومسجدان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسجد الـكبير الذى يحْرِم الناس منه ، والآخر مسجد المُعَرَّس ، وهو دون مُصْعَد البيداء ناحية عن هذا المسجد ، وفيه عَرَّس رسولُ الله صلى الله عليه مُنْصَرَفَهُ من مكة .

قلت : ليس هناك غير المسجد المتقدم ذكره فى قبلة مسجد ذى الحليفة على نحو رَمْيةِ سهم سبقى منه ، وهو قديم البناء بالقَصَّة والحجارة المطابقة ؛ فهو المراد .

وفى صحيح البخارى فى باب المساجد التى على طريق المدينة والمواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم عن نافع أن عبدَ الله أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان ينزل بذى الحُلَيفة ـ حين يعتمر ، وفى حجته حين حج ـ تحت سَمُرة فى موضعِ المسجدِ الذى بذى الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان فى تلك الطريق أو حجٍّ أو عمرة هَبَط بطن وادٍ ، فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التى على شَفير الوادى الشرقية فَعَرَّس ثَمَّ حتى يصبح » ليس عند المسجد الذى بحجارة ولا على الأكمة التى عليها المسجد ، وكان ثَم خليج يصلى عبدُ الله عنده فى بطنه كثب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يصلى فَدَحا فيه السيلُ بالبطحاء ، حتى دفن ذلك المكان الذى كانَ عبد الله يصلى فيه .

قال الحافظ ابن حجر : قوله « بطن واد » أى وادى العقيق .

قلت : ورواه ابن زبالة بلفظ « هبط بطن الوادى ، فإذا ظهر من بطن الوادى أناخ بالبطحاء التى على شفير الوادى الشرقية » .

ورواه المطرى من غير عَزْوٍ ، وقال فيه « هبط بطن الوادى وادى العقيق »
وأظنه من الرواية بالمعنى ، وهو يقتضى أن يكون المعرَّسُ فى شرقى وادى العقيق
فلا يكون بذى الحليفة،فيتعين أن يكون المرادبطن وادٍ فىوادى العقيق؛ إذ المعرس
ذو الحليفة .

ففى الحج من صحيح البخارى عن ابن عمر أن رسول الله صلى اللهعليه وسلم
« كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق المعرس » وأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « كان إذا خرج إلى مكة يصلى فى مسجد الشجرة ، و إذارجع
صَلّى بذى الحليفة ببطن الوادى،وبات حتى يصبح » .

وفيه أيضا من طريق عقبة عن سالم بن عَبد الله بن عمر عن أبيه عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه أرِىَ وهو فى مُعَرَّسه بذى الحليفة ببطن الوادى قيل له :
إنك ببطحاء مباركة ، وقد أناخ بنا سالم يتوخَّى المُنَاخَ الذى كان عبد الله ينيخ
يتحرَّى مُعَرَّس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أسفل من المسجد الذى
ببطن الوادى ، بينه و بين الطريق وسطا من ذلك .

قلت : والمسجد المتقدم ذكره ببطن الوادى ، فلعله المراد ، و يكون المعرس
بقربه من المشرق .

وروى يحيى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قيل له وهو بالمعرس
نائم يعنى معرس الشجرة : إنك ببطحاء مباركة .

قلت : فيتأيد به ما تقدم لإضافته المعرس إلى الشجرة ، ولا يشكل ذلك
ببعد هذا المسجد عن الطريق التى تسلك اليومَ إلى المدينة ؛ لما تقدم من رواية
ابن عمر فى اختلاف طريق الشجرة وطريق المُعَرَّس .

وروى البزار بسند جيد عن أبى هريرة نحوه ، فقال : إن رسول الله
صلى الله عليه وسلم « كان يخرج من طريق الشجرة ، ويدخل من طريق
المعرس» .

وفى صحيح أبى عوانة حديثُ «كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج من طريق الشجرة إلى مكة ، وإذا رَجَع رَجَع من طريق المعرس» .

وروى بعضهم عن نافع أنه انقطع عن ابن عمر حتى سبقه إلى المعرّس ، ثم جاء إليه فقال : ما حَبَسَكَ عنى؟ فأخبره، فقال : إنى ظننت أنك أخذت الطريق الأخرى ، ولو فعلت لأوْجَعْتُكَ ضرباً ، وهذا لحرصه على الاتباع فى النزول هناك ، وقد أميتت هذه السنة .

وروى ابن زبالة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبى فَرْوَة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «كان إذا خرج إلى مكة يَسْلك على دار جبر بن على ، ثم على منازل بنى عطاء ، ثم فى بطحان ، ثم فى زقاق البيت ، حتى يخرج عندموضع دار ابن أبى الجنوب بالحرة» .

قلت : وهذه الأماكن غير معروفة بأعيانها ، والله أعلم .

مسجد شرف الروحاء

ومنها : مسجد شرف الرَّوْحَاء — قال البخارى عقب ما تقدم من رواية نافع وأن عبد الله حدّثه أن النبى صلى الله عليه وسلم «صَلّى حيثُ المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشَرَفِ الرَّوْحَاء» . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى فيه صلى النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول : ثم عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة ، بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك .

ورواه يحيى بلفظ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلّى إلى جانب المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشَرَف الرَّوْحَاء» وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعواسج ، يكون عن يمينك حين تقوم فى المسجد ، وباقيه كلفظ البخارى .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

بشرف الروحاء على يمين الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، و إلى يسارها وأنت مقبل من مكة .

قلت : وهذا المسجد هو المعني بقول الأسدى : وعلى مِيلَيْن من السيالة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الشرف ، قال : و بين السيالة والرّوحاء أحَدَ عشر ميلا ، و بينها و بين ملل سبعة أميال ، وهى لولد الحسين ابن على بن أبى طالب ولقوم من قريش ، وعلى ميل منها عين تعرف بسو يقية لولد عبد الله بن حسن ، كثيرة المساء عَذْبَة ، وهى ناحية عن الطريق ، قال : والجبل الأحمر الذى يَسْرَةَ الطريق حين يخرج من السيالة يقال له ورقان ، يسكنه قوم من جهينة يقال : إنه متصل إلى مكة لا ينقطع ، وذكر آبارا كثيرة بالسيالة .

وقوله « وعلى ميلين من السيالة » أراد من أولها ، ولهذا قال المطرى : شرف الروحاء هو آخر السيالة وأنت متوجه إلى مكة ، وأول السيالة إذا قطعت شرف ملل ، وكانت الصخيرات صخيرات الثمام عن يمينك ، وقد هبطت من ملل ثم رجعت عن يسارك واستقبلت القبلة ، فهذه السيالة وكانت قد تجدد فيها بعد النبى صلى الله عليه وسلم عيون وسكان ، وكان لها والٍ من جهة والى المدينة ولأهلها أخبار وأشعار ، و بها آثار البناء وأسواق ، وآخرها الشرف المذكور ، والمسجد عنده ، وعنده قبور قديمة كانت مدفن أهل السيالة ، ثم تهبط فى وادى الروحاء مستقبل القبلة ، و يعرف اليوم بوادى بنى سالم ، بطن من حرب عرب الحجاز ؛ ثم ذكر ما سيأتى .

قلت : وتلك القبور التى عند المسجد مشهورة بقبور الشهداء ، ولعله لكون بعضهم [دفن] فيها ممن قتل ظلما من الأشراف الذين كانوا بالسيالة و بسو يقة ، كما يؤخذ مما سنشير إليه فى ترجمة سو يقة .

مسجد عرق الظبية

ومنها : مسجد عِرْقِ الظُّبْيَة ـ قال المطرى عقب قوله « ثم يهبط فى وادى

الروحاء مستقبل القبلة» مالفظه : فتمشى مستقبل القبلة وشعب على يسارك ، إلى أن تدور الطريقُ بك إلى المغرب وأنت مع أصل الجبل الذى على يمينك ، فأولُ ما يلقاك مسجد على يمينك كان فيه قبر كبير فى قبلته فتهدم على طول الزمان ، صَلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعرف ذلك المكان بعرق الظبية ، ويبقى جبل ورقان على يسارك ، قال : وفى المسجد الآن حجر قد نقش عليه بالخط الكوفى عند عمارته الميل الفلانى من البريد الفُلاَنى ، انتهى.

وقال الأسدى : وعلى تسعة أميال — يعنى من السيالة — وأنت ذاهب إلى الرَّوْحَاء مسجدٌ للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الظبية ، فيه كانت مشاورةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتال أهل بدر ، وهو دون الروحاء بميلين ، انتهى .

وقال المجد فى ترجمة الشرف : إن فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها « أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحد بملل على ليلة من المدينة ، ثم راح فتعشى بشرف السياله ، وصلى الصبح بعرق الظبية » .

وروى ابن زبالة عن عمرو بن عوف المزنى قال : أول غزوة غزاها النبى صلى الله عليه وسلم وأنا معه غزوة الأبْوَاء ، حتى إذا كان بالرَّوْحَاء عند عرق الظبية قال : هل تدرون ما اسمُ هـذا الجبل ؟ يعنى ورقان ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حمت جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك لنا فيه ، وبارك لأهله فيه ، تدرون ما اسم هذا الوادى ؟ يعنى وادى الروحاء ، هذا سجاسج ، لقد صلى فى هذا المسجد قبلى سبعون نبيا ، ولقد مَرَّ بها — يعنى الروحاء — موسى بن عمران فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة له ورقاء ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم حاجا أو معتمرا ، أو يجمع الله له ذلك .

ورواه الطبرانى ، وفيه كثير بن عبدالله حَسَّنَ الترمذى حديثه ، وبقيةُ رجاله

ثقات ، إلا أنه قال فيه عقب قوله « و بارك لأهله فيه » وقال للروحاء هو سجاسج وهذا واد من أودية الجنة ، لقد صلى فى هذا الوادى قبلى سبعون نبيا ، ولقد مر به موسى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان على ناقة ورقاء فى سبعين ألفا من بنى إسرائيل حاجين البيتَ العتيقَ ، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى بن مريم عبدُ الله ورسوله . ورواه يحيى بنحوه ، إلا أنه قال : لقد صلى قبلى فى هذا الموضع سبعون نبيا ، ورواه الترمذى بلفظ : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى وادى الروحاء ، وقال : لقد صلى فى هذا المسجد سبعون نبيا .

قلت : وآثار هذا المسجد موجودة هناك .

مسجد آخر بالروحاء

ومنها : مسجد بالروحاء ، ذكره الأسدى ، وغاير ما بينه و بين ما قبله وما بعده.

وقال الواقدى فى غزوة بدر : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الروحاء ليلة الأربعاء النصف من شهر رمضان ، فصلى عند بئر الروحاء .

وسيأتى فى ترجمة الروحاء أنه كان بها آبار متعددة ، فلم يبق منها اليوم سوى بئر واحدة ، والله أعلم .

مسجد المنصرف (الغزالة)

ومنها : مسجد المنصرف ، و يعرف اليوم بمسجد الغزالة ، وهو آخر وادى الروحاء مع طرف الجبل ، على يسارك وأنت ذاهب إلى مكة .

قال المطرى : ولم يبق منه اليوم إلا عقد الباب .

قلت : وقد تهدم أيضا ، ولم يبق إلا رسومه .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من الروحاء ، يعنى وأنت قاصد مكة ، مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى سَنَد الجبل ، يقال له مسجد المنصرف ، جبل على يسارك تنصرف منه فى الطريق ، انتهى .

وقال البخارى : عقب ما قدمناه فى مسجد الشرف من رواية نافع : وأن ابن عمر كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذى بينه و بين المنصرف وأنت ذاهب

إلى مكة ، وقد ابتنى ثَمَّ مسجد فلم يكن عبد الله يصلى فى ذلك المسجد ، كان يتركه عن يساره ووراءه و يصلى أمامه إلى العرق نفسه .

قلت : توهَّم بعضهم أن المراد عرق الظبية ، وليس كذلك ؛ لتغاير المحلين ، ورأيت بخط بعضهم هنا : العرق جبل صغير .

وروى ابن زبالة عن ابن عمر قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بشرف الروحاء ، و بالمنصرف عند العرق من الروحاء .

وفى رواية ليحيى عن ابن عمر أنه كان يصلى إلى العرق الذى عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق أثناء طريقه على حافة الطريق ، دون السبيل الذى دون ثنية المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، قال نافع : كان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلى الظهر حتى يأتى ذلك المكان فيصلى فيه الظهر .

وقال المطرى عقب ما تقدم عنه فى هــذا المسجد : إن عن يمين الطريق إذا كنت بهذا المسجد وأنت مستقبل البادية موضعاً كان عبدُ الله بن عمر ينزل فيه ، ويقول : هذا منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ثَمَّ شجرة كان ابن عمر إذا نزل هــذا المنزل وتوضأ صَبَّ فَضْلَ وَضُوئِهِ فى أصل الشجرة ، ويقول : هكذا رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يفعل ، ووَدَّ أنه كان يدور بالشجرة أيضا ثم يصُبُّ الماء فى أصلها ، اتباعا للسنة ، وإذا كان الإنسان عند هذا المسجد المعروف بمسجد الغزالة كانت طريقُ النبى صلى الله عليه وسلم إلى مكة على يساره مستقبلَ القبلة ، وهى الطريق المعهودة قديما ، ثم السقيا ، ثم ثنية هَرْشَى ، وهى طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال : وليس بهذا الطريق اليومَ مسجدٌ يعرف غير هذه الثلاثة مساجد ، يعنى سوى مسجد ذى الحليفة .

قلت : سببُه هِجْرَانُ الحَجَّاج لهــذا الطريق ، وأَخْذُهم من طرف الروحاء على البادية إلى مضيق الصفراء ثم إلى بدر ، وذكر لى بعض النــاس ممن سلك

تلك الطريق أن كثيرا من مساجدها موجود ، وسيأتى أنى ظفرت برؤية مسجد طرف قديد الآتى ذكره ، والله أعلم .

مسجد الرويثة

ومنها : مسجد الرويثة ـ قال البخارى عقب ما تقدم عنه من حديث نافع : وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينزل تحت سَرْحَة ضَخْمَة دون الرويثة عن يمين الطريق ووُجاه الطريق فى مكان بطح سهل حتى يُفضى من أكَمَة دوين بريد الرويثة بميلين ، وقد انكسر أعلاها ، وانثنى فى جوفها ، وهى قائمة على ساق ، وفى ساقها كثب كثيرة .

وقوله « بريد الرويثة » أى الموضع الذى ينتهى إليه البريد بالرويثة ، ويُنزل فيه ، وقيل : البريد سكة الطريق ، ورواه ابن زبالة بنحوه ، وفى رواية له « صلى دون الرويثة عند موضع السرحة » .

وقال الأسدى : وفى أول الرويثة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وبين الرَّوْحاء والرويثة ثلاثة عشر ميلا ، وقال فى موضع آخر : ستة عشر ميلا ونصف ، ووصف ما بالرويثة من الآبار والحياض ، قال : ويقال للجبل المشرف عليها المقابل لبيوتها « الحمراء » وللذى فى دبرها عن يسارها قبل المشرق « الحسناء » .

مسجد ثنية ركوبة

ومنها : مسجد ثنية ركوبة كما سيأتى من رواية ابن زبالة فى مسجد مدلجة تعهن أنه صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى ثنية ركوبة ، وبَنَى بها مسجدا » . وسيأتى أن ركوبة ثنية قبل العرج للمتوجه من المدينة على يمين ثنية العابر وثنية العابر هى عقبة العرج ، والعرج بعدها بثلاثة أميال كما سيأتى ، ولم يذكر الأسدى هذا المسجد .

مسجد الأثاية

ومنها : مسجد الأثاية ـ بالمثلثة والمثناة التحتية ـ كالنواية على الراجح . روى ابن زبالة عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى عند بئر الأثاية ركعتين فى إزار ملتحفا به » .

قال المطرى : الأثاية ليست معروفة .

قلت : عرفها الأسدى فقال ، فى وصف طريق الذاهب لمكة : إن من الرويثة إلى الحى أربعة أميال ، ثم قال : وعقبة العرج على أحد عشر ميلا من الرويثة ، ويقال لها : المدارج ، بينها وبين العرج ثلاثة أميال ، وبها أبيات ، وبئر عند العقبة ، وقبل العرج بميلين قبل أن ينزل الوادى مسجدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يعرف بمسجد الأثاية ، وعند المسجد بئر تعرف بالأثاية ، انتهى .

وقال المجد : الأثاية موضع فى طريق الُجحْفَة ، بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخا ، وفيه بئر ، وعليها المسجد المذكور ، وعندها أبيات وشجرُ أراكٍ ، وهو منتهى حد الحجاز ، انتهى .

وهو موافق لما ذكره الأسدى ؛ فإن منتهى حد الحجاز مدارج العرج ، وهى بقربها

وروى أحمد برجال الصحيح عن عمير بن سلمة الضمرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَرَّ بالعَرْج فإذا هو بحمار عَقِير ، فلم يلبث أن جاء رجل بهر ، فقال : يا رسول الله ، هذا رميتى فشأنكم فيها ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه يقسمه بين الرفاق ، ثم سار حتى أتى عقبة الأثاية فإذا بظبى فيه سَهْم وهو حاقف فى ظل صخرة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه فقال : قِفْ هٰهنا حتى يمر الرفاق لا يرميه أحد بشىء » . ومقتضى ما سبق من صنيع الأسدى أن يكون هذا فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ، خلاف ما اقتضاه صنيع الهيتمى حيث ترجم عليه بجواز أكل لحم الصيد للمحرم إذا لم يصده أو يُصَدْ له .

مسجد العرج

ومنها : مسجد العَرْج — روى ابن زبالة عن صخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد العرج ،

وقَالَ فيه » يعنى من القَيْلُولة ، وأسقط المطرى هذا المسجد ، وجعله المجد الذى بعده ، وهو مردود ، ولم يتعرض له الأسدى .

مسجد المنبجس

ومنها : مسجد بطرف تَلْعَة من وراء العَرْج ، ووقع فى نسخة المجد وخط الزين المراغى « بطريق تلعة » وهو تصحيف لأن الذى فى صحيح البخارى وكتاب ابن زبالة طرف بالفاء .

قال البخارى ، عَقِبَ ما تقدم عنه فى مسجد الرويثة من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى طَرَفِ تلعة من وراء العرج ، وأنت داهب إلى هضبة ، وعند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة ، وعلى القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق ، عند سَلَمَات الطريق ، بين أولئك السلمات كان عبدُ الله يروح من العَرْج بعد أن تميل الشمسُ بالهاجرة فيصلى الظهر فى ذلك المسجد .

ورواه ابن زبالة إلا أنه قال فيه : من وراء العرج وأنت ذاهب على رأس خمسة أميال من العرج فى مسجد إلى هضبة .

وقال الأسدى : وعلى ثلاثة أميال من العرج قبل المشرق مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد المنبجِس قبل الوادى ، والمنبجس : وادى العَرْج ، وعلى ثمانية أميال من العرج حوضان على عين تعرف بالمنبجس ، انتهى . ولعله المسجد المذكور .

مسجد لحى جمل

ومنها : مسجد لحى جمل ـ قال الأسدى : وعلى ميلٍ من الطلوب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بموضع يقال له « لحى جمل » قال : والطلوب بئر غليظة الماء بعد العَرْج بأحد عشر ميلا ، والسقيا بعد الطلوب بستة أميال ، قال : وقبل السقيا بنحو ميل وادى العاند ، ويقال له وادى القاحة ، وينسب إلى بنى غفار ، اهـ .

فتلخص أن هذا المسجد قبل السقيا والقاحة و بعد العرج بالمسافة المذكورة .

ويؤيده أن ابن زبالة روى فى سياق هذه المساجد حديثَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « احْتَجَمَ بمكان يدعى لحى جمل بطريق مكة وهو محرم » .

وفى رواية له « احتجم بالقاحة وهو صائم محرم » ففيه بيان قرب ذلك من القاحة ، ولكن رأيت يحيى ختم كتابه بحديث ابن عمر فى هذه المساجد وبآخر النسخة ما صورته : نقل من خط أحمد بن محمد بن يونس الإسكاف فى آخر الجزء : قلت : إنه لم يذكر فى هذا الحديث المسجد الذى بين السقيا والأبواء الذى يقال له مسجد لحى جمل ، انتهى .

وهو يقتضى أنه بعد السقيا بينها وبين الأبواء ، ويوافقه قول عياض : قال ابن وضاح : لحى جمل فى عقبة الجحفة . وقال غيره : على سبعة أميال من السقيا .

ورواه بعض رواة البخارى « لحيَىْ جمل » أى بالتثنية ، وفسره فيه بأنه ما يقال له لحيى جمل أى فى حديث « احتجم النبى صلى الله عليه وسلم بلحيى جمل » .

وقال المجد : هى عقبة على سبعة أميال من السقيا .

وفى كتاب مسلم أنه ماء .

مسجد السقيا

ومنها : مسجد السقيا ــ روى ابن زبالة فى سياق المساجد التى بطريق مكة من حديث عوف بن مسكين بن الوليد البلوى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم « صَلَّى فى مسجد بالسقيا » .

وقال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه فى المسافة بين الطلوب والسقيا : وبالسقيا مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجبل ، وعنده عين عذبة ، ثم ذكر أن بالسقيا أزيد من عشر آبار ، وأن عند بعضها بركة . ثم قال : وفيها عين غزيرة الماء ، ومَصَبُّها فى بركة فى المنزل ، وهى تجرى إلى صدقات الحسن بن زيد ، عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقَطَعَتْ ثم عادت فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين

ثم انقطعت فى سنة ثلاث وخمسين ومائتين ، قال : وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التى يزرع عليها ثلاثون بئرا ، وفيها ما أحدث فى أيام المتوكل خمسون بئرا ، وماؤهن عذب ، وطول رشائهن قامة و بسطة ، وأقل وأكثر .

ثم وصَفَ ما بعد السقيا فقال : وعلى ثلاثة أميال من السقيا عين يقال لها تعهن انتهى .

وفى حديث أبى قتادة فى الصحيح بركة بتعهن ، وهو مقابل السقيا ، وسيأتى فى ترجمة تعهن ما قيل من أنها قبل السقيا ، مع بيان أن المعروف اليوم أنها بعدها .

مسجد مدلجة تعهن

ومنها : مسجد مدلجه تعهن ـ روى ابن ز بالة عن صخر بن مالك بن إياس عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلى بمدلجة تعهن ، و بنى بها مسجدا ، وصلى فى ثنية ركو بة ، و بنى بها مسجدا » .

قلت : لم يذكره إلا الأسدى ، وقد سبق عنه أن تعهن بعد السقيا بثلاثة أميال .

مسجد الرمادة

ومنها : مسجد الرمادة ـ قال الأسدى : ودون الأبواء بميلين مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم يقال له « مسجد الرَّمَادة » وذكر ما حاصله أن الأبواء بعد السقيا لجهة مكة بأحد وعشرين ميلا ، وأن فى الوسط بينهما عين القشيرى، وهى عين كثيرة الماء ، و يقال للجبل المشرف عليها الأيسر «قدس» وأوله فى العرج ، وآخره وراء هذه العين ، والجبل الذى يقابلها يمنة يقال له « باقل » و يقال للوادى الذى بين هذين الجبلين « وادى الأبواء » انتهى .

مسجد الأبواء

ومنها : مسجد الأبواء ـ قال الأسدى بعد ما تقدم فى وصف ما بين الأبواء والجحفة : إن الُجحْفة بعد الأبواء بثلاثة عشر ميلا ، قال : وفى وسط الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر بها آباراً و بركاً ، منها بركة بقرب

القصر ، قال : و إذا جُزْتَ وادِيَ الأبواء بميلين كان على يسارك شعاب تسمى « نلعان اليمن » وذكر أن وَدَّان ناحية عن الطريق بنحو ثمانية أميال ، ينزل به مَنْ لاينزل إلا الأبواء ، فمن أراده رَحَل من السقيا إليه ، و به عيون غزيرة عليها سبعة مشارع و بركة قديمة ، ثم يرحل منه فيخرج عند ثنية هَرْشَى بينها و بين وَدَّان خمسة أميال ، وقد عمل لهذه الطريق أعلام وأميال أمر بها المتوكل .

قلت : وكلا الطريقين عن يسار طريق الناس اليوم بأسفل وَدَّان وهى مَعْطَشة لا ماء بها إلا مايُحْمَل من بدر إلى رابغ .

مسجد البيضة

ومنها : مسجد يسمى بالبيضة ــ قال الأسدي : وعلى خمسة أميال وشيء من الأبواء مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له البيضة .

مسجد عقبة هرشى

ومنها : مسجد عقبة هَرْشَى ــ قال الأسدى : وعلى ثمانية أميال من الأبواء عقبة هَرْشَى ، وعلم منتصف الطريق مابين مكة والمدينة دون العقبة بميل ، وفى أصل العقبة مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم حد الميل الذى مكتوب عليه سبعة أميال من البريد ، انتهى .

قال البخارى ، عقب ماتقدم عنه فى المسجد الذى بطرف تلعة من رواية نافع: وأن عبد الله حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عند سَرْحَاتٍ عن يسار الطريق فى مسيل دون هَرْشَى ، ذلك المسيل لا صق بكراع هَرْشَى ، بينه و بين الطريق قريب من غَلْوَة ، وكان عبدُ الله بن عمر يصلى إلى سرحة هى أقرب السرحات إلى الطريق ، وهى أطولهن .

مسجد الجحفة

ومنها : مسجدان بالْجُحْفَة ــ قال الأسدى ، فى وصف مابين الجحفة وقديد، بعد ذكرما بالجحفة من الآبار والبرك والعيون : وفى أول الجحفة مسجدٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غورث ، وفى آخرها عند العلمين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له مسجد الأئمة .

مسجد غدير خم

ومنها : مسجد بعد الجحفة ، وأظنه مسجد غدير خُم ـ قال الأسدى ، بعد ما تقدم عنه : وعلى ثلاثه أميال من الجحفة يسرةً عن الطريق حِذَاء العين مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بينهما الغيضة ، وهى غدير خم ، وهى على أر بعة أميال من الجحفة ، انتهى .

وقال عياض : غدير خم غدير تصب فيه عين ، و بين الغدير والعين مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وأخبرنى مخبر أنه رأى هذا المسجدَ على نحو هذه المسافة من الجحفة ، وقد هدم السيل بعضه .

وفى مسند أحمد عن البَرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنه قال : كنا عندالنبى صلى الله عليه وسلم فنزلنا بغدير خم ، فنودى فينا الصَّلاَةَ جامعةً ، وكسح[1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فصلَّى الظهر ، وأخذ بيد على وقال : ألستم تعلمون أنى أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأخذ بيد على وقال : اللهم مَنْ كُنْتُ مولاه فعلىٌّ مَوْلاهُ ، اللهم وَالِ مَنْ والاه وعَادِ مَنْ عاداه ، قال: فلقيه عمرُ بعد ذلك فقال : هنيئا ياابن أبى طالب ، أصْبَحْتَ وأمْسَيْتَ مَوْلىٰ كل مؤمن ومؤمنة ، وعن زيد بن أرقم مثله .

مسجد طرف قديد

ومنها : مسجد ذكر الأسدى أنه قبل قديد بثلاثة أميال ، وذكر أن خيمَتَىْ أمِّ معبد الخُزَاعية وموضع مَنَاةَ الطاغية فى الجاهلية على نحو هذه المسافة .

قلت : وقد عَـثَرْتُ فى مسيرى إلى مكة على مسجد قديم قرب طرف قديد، وهو مرتفع عن يمين الطريق ، مبنى بالأحجار والقَصَّة ، يظهر أنه هذا المسجد .

مسجد عند حرة خليص

ومنها : مسجد عند حرة عقبة خليص ـ قال الأسدى : من قديد إلى عين

---

(١) كسح ـ وزان منع ـ أى كنس ، انتهى من هامش الأصل .

ابن بزيع وهى خليص على ثمانية أميال وشىء ، وذكر آبارا كثيرة بقديد ، قال : وعقبة خليص بينها و بين خليص ثلاثة أميال ، وهى عقبة تقطع حَرَّةً تعترض الطريق يقال لها ظاهرة البركة ، والشجر ينبت فى تلك الحرة ، وعند الحرة مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

مسجد خليص

ومنها : مسجد خليص _ قال الأسدى : خليص عين غزيرة كثيرة الماء ، وعليها نخل كثير ، و بركة ، ومشارع ، ومسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

مسجد بطن مر الظهران

ومنها : مسجد بطن مرّ الظَّهْران _ قال البخارى ، عقب ماتقدم عنه فى مسجد عقبة هرشى من رواية نافع : وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يَنْزِلُ فى المَسِيلِ الذى فى أدنى مَرِّ الظَّهْرَان قبل المدينة ، حين يهبط من الصفراوات ، ينزل فى بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، ليس بين منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين الطريق إلا رَمْيَة بحجر » .

قال المطرى ، فى وصف هذا المسجد : إنه بوَادِى مرّ الظهران حين يهبط من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة ، قال : ومر الظهران هو بطنُ مَرٍّ المعروف ، وليس المسجد بمعروف اليوم ، انتهى .

وقال الزين المراغى : و يقال : إنه المسجد المعروف بمسجد الفتح ، انتهى.

وقال التقى الفاسى : المسجدُ الذى يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادى مر الظهران ، يقال : إنه من المساجد التى صَلَّى فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر ماقاله المراغى .

ثم قال : وممن عَمَرَ هذا المسجدَ على مابلغنى أى جَدَّدَ عمارته أبوعلى صاحب مكة ، وممن عمره بعد ذلك الشريفُ حياش ، قال : و بيضه فى عصرنا ورفع أبوابه صوناً له الشريفُ حسن بن عجلان ، انتهى .

وهذا المسجد ينظره الذاهب من الجموم إلى مكة عن يساره عند المسيل .

وقال الأسدى : بين مكة وبطن مر سبعة عشر ميلا ، و ببطن مر مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، و بركة للسيل طولها ثلاثون ذراعا ، ور بما ملئت هذه البركة من عين يقال لها العقيق ، قال : و بحضرة هذه البركة بئران .

مسجد سرف

ومنها : مسجد سرف ــ بفتح السين المهملة ، وكسر الراء ــ وهــذا المسجد به قَبْرُ ميمونة رضى الله تعالى عنها ، شاهدته وزُرْته ؛ إذ المروىُّ أنها دفنت بسرف ، بالموضع الذى بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم فيه

وفى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم « كان لا ينزل منزلا إلا وَدَّعه بركعتين » وقال الأسدى ما لفظه : ومسجد سرف على سبعة أميال من مر ، وقبر ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم دون سرف ، اهـ . والمعروفُ ما قدمناه .

قال التقى الفاسى : من القبور التى ينبغى ز يارتها قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، وهو معروف بطريق وادى مر ، قال : ولا أعلم بمكة ولا فيما قرب منها قبر واحد ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم سوى هــذا القبر ؛ لأن الخلف تأثر ذلك عن السلف .

مسجد التنعيم

ومنها : مسجد بالتنعيم ــ قال الأسدى : والتنعيم وراء قبر ميمونة بثلاثة أميال ، وهو موضع الشجرة ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه آبار ، ومن هذا الموضع يُحْرِم مَنْ أراد أن يعتمر . ثم قال : ميقات أهل مكة بالإحرام مسجد عائشة ، وهو بعد الشجرة بميلين ، وهو دون مكة بأر بعة أميال ، و بينه و بين أنصاب الحرم غَلْوة ، اهـ .

الخلاف فى مسجد عائشة

قلت : و بالتنعيم عِدَّةُ مساجد : اثنان منها اختلف فى المنسوب منهما لعائشة رضى الله تعــالى عنها ، ولم يذكر التقى ولا غيره بالتنعيم مسجداً للنبى صلى الله عليه وسلم .

قال التقى فى ذكر مسجد عائشة : وهــذا المسجد اختلف فيه ، فقيل :

هو المسجد الذى يقال له مسجد الهليلجة ، لشجرة هليلجة كانت فيه وسقطت من قريب ، وهو المتعارف عند أهل مكة على ما ذكره سليمان بن خليل ، وفيه حجارة مكتوب فيها ما يؤيد ذلك ، وقيل : هو المسجد الذى بقرب بئر ، وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذى يقال له « مسجد على » بطريق وادى مر الظهران ، وفى هذا أيضا حجارة مكتوب فيها ما يشهد لذلك ، ورجّح المحبُّ الطبرى أنه المسجد الذى بقرب البئر ، وهو الذى يقتضيه كلام إسحاق الخزاعى وغيره ، قال : إن بين مسجد الهليلجة وأول الأعلام سبعمائة ذراع وأربعة عشر ذراعا بذراع الحديد ، وذرع ما بينه وبين المسجد الآخر ثمانمائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بالذراع المذكور ، اه .

والأقرب لكلام الأسدى أن مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها هو مسجد الهليلجة ؛ لكونه أقرب إلى أعلام الحرم من الثانى ، ولعل المنسوب للنبى صلى الله عليه وسلم هو مسجد علىّ أو المسجد الثانى .

عمرات الرسول

ورأيت عن بعضهم : روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة التنعيم ، وعمرة الجِعِرّانة .

قلت : وذكر التنعيم غير معروف ، والمعروف فى الرابعة أنها التى مع حَجّته ، فلعل المراد من نسبتها إلى التنعيم أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فيها من جهته .

مسجد ذى طوى

ومنها : مسجد ذى طوى — قال البخارى ، عقبَ ما تقدم عنه فى مسجد بطن مرّ من رواية نافع : وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان ينزلُ بذى طوى ، ويبيت حتى يصبح يصلى الصبح حين يقدم مكة » ومُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أَكَمَةٍ غليظةٍ ليس فى المسجد الذى بنى ثم ، ولكن أسفل من ذلك ، على أكمة غليظة ، وأن عبد الله حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم « استقبل فُرْضَتَى الجَبَلِ الذى بينه وبين الجبل الطويل

نحو الكعبة لجمل المسجد الذى بنى ثم يَسَار المسجد بطرف الأكَمَة ، ومصلى النبي صلى الله عليه وسلم أسفل منه على الأكمة السوداء ، تَدَعُ من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها ، ثم تستقبل الفرضتين من الجبل الذى بينك و بين الكعبة ، انتهى .

قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده : وادى ذى طوى هو المعروف بمكة بين الثنيتين .

قلت : و يعرف عند أهل مكة اليوم كما قال التقى بما بين الحَجُونين ، وهو موافق لقول الأزرق : بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلى إلى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين ، انتهى .

وقال الأسدى ، فى وصف ما بين مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها ومكة : فج بعد مسجد عائشة رضى الله تعالى عنها بنحو ميلين ، وعقبة المذنبين بعد فج بميل يسرة عن الطريق ، وطريق ذى طوى إلى المسجد نحوا من نصف ميل ، وقال فى موضع آخر : يستحب الصلاة بمسجد ذى طوى ، وهو بين مسجد ثنية المذنبين المشرفة على مقابر مكة و بين الثنية التى تهبط على الحصحاص ، وذلك المسجد ثنية ز بيدة ، انتهى .

الفصل الرابع

فى بقية المساجد التى بين مكة والمدينة بطريق الحاج فى زماننا ، و بطريق المشبان ، وماقرب من ذلك ، وماحل صلى الله عليه وسلم به من المواضع ، و إن لم يُبْنَ مسجدا .

دبة المستعجلة

فمنها : موضع بدَبَّة المستعجلة — بفتح الدال المهملة و تشديد الموحدة — وهو الكثيب من الرمل .

روى ابن زبالة عن محمد بن فضالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بالدَّبَّة دبة المستعجلة من المضيق ، واستقى له من بئر الشعبة الصابَّةِ أسفلَ من الدبة ، فهو لا يفارقها أبدا

قال المطرى : والمستعجلة هى المضيق الذى يصعد إليه الحاج إذا قطع النازية وهو متوجه إلى الصفراء ، يعنى من أعلى فركان خيف بنى سالم .

شعب سير

قال : وذكر ابن إسحاق أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نزل بشعب سَيَرٍ ـ وهو الشعب الذى بين المستعجلة والصفراء ـ وقسم به غنائم أهل بدر ، ولا يزال فيه الماء غالبا ، انتهى .

قلت :الذى قاله ابن إسحاق كما فى تهذيب ابن هشام : ثم أقبلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من بدر حتى إذا خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيبٍ بين المضيق و بين النازية يقال له سَيَر إلى سرحة ، وقسم هناك النَّفَلَ .

قلت : وهو صريح فى أن سَيَرَ بعد مَضِيق الصفراء للجائى من بدر ، و بعده النازية ، فإن كانت المستعجلة هى مضيق الصفراء فهو يقتضى أن سير بينها و بين النازية ، فهو مخالف لما ذكره المطرى من أنه بين المستعجلة والصفراء ، فليحمل مضيق الصفراء على غير المضيق الذى هو المستعجلة ، ويكون مضيق الصفراء هنا من ناحية أسفل الخيف ؛ لأن الذى ذكره المطرى فى شعب سير هو المعروف اليوم ، ولأنى رأيت فى أوراق لم أعرف مؤلفها أن شعب سير هو النزلة التى كانت للحاج إذا رجع عن المستعجلة ونزل فى فركان الخيف .

قال : وهناك بركة قديمة ، وهو الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء ، بينه و بين المستعجلة نحو نصف فرسخ ، انتهى . والبركة والموضع معروفان كما وصف ، ولعل سَيَرَ هذا هو المعبر عنه فى رواية ابن زبالة بالدبة ؛ لأنها مجتمع الرمل ، وقد سماه ابن إسحاق كثيبا ، ويؤخذ منه أن الخيف كله أعلاه ، وأسفله هو مضيق الصفراء .

ذكر عدة مساجد

ومنها : مسجد بذات أجدال ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران ، وموضع بذنب ذفران المقبل .

وروى ابن زبالة عن ابن فضالة قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

بمسجد بذات أجدال من مضيق الصفراء ، ومسجد بالجيزتين من المضيق ، ومسجد بذفران المدبر من البناء ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنب ذفران المقبل الذى يَصُبُّ فى الصفراء ، قال : فحفرت بئر هنالك يقال : إنها فى موضع جبهة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلها فضل فى العذوبة على ما حواليها .

قلت : مضيق الصفراء تقدمت الإشارة إليه قريبا ، وذفران : وادٍ معروفٌ قبل الصفراء بيسير ، يصب سَيْله فيها ، ويسلكه الحاج المصرى فى رُجُوعه من المدينة إلى ينبع ، فيأخذ ذاتَ اليمينِ ويترك الصفراء يسارا .

قال ابن إسحاقٍ ، فى وَصْف مَسِيره صلى الله عليه وسلم إلى بدر : فلما كان بالمنصرف — أى عند مسجد الغزالة — ترك طريق مكة بيسارٍ ، وسلك ذات اليمين على النازية يريد بدرا ، فسلك فى ناحية منها حتى جَزَع — أى قطع — واديا يقال له رحقان بين النازية وبين مضيق الصفراء ثم على المضيق ، ثم انصب حتى إذا كان قريبا من الصفراء ، ثم ذكر أنه بعث من يتجسس له الأخبار .

قال : ثم ارتحل ، فلما استقبل الصفراء — وهى قرية بين جبلين — سأل عن جبليها : ما أسماؤهما ؟ فقالوا : يقال لأحدهما المسلح ، وقالوا للآخر : هذا مخرى ، وسأل عن أهلهما فقيل : بنو النار وبنو حراق ، بطنان من بنى غفار ، فكرههما صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ، وتفاءل بأسمائهما وأسماء أهلهما ، فترك الصفراء يسارا ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذفران .

مسجد ذفران

قلت : وبذفران اليوم مسجد يتبرك به على يسار من سلكه إلى ينبع ، فأظنه مسجد ذفران ، ورأيت قبل الوصول إلى طرف ذفران الذى يلى الصفراء على يمين السالك فى طريق مكة يريد الصفراء ، رأيت عليها مسجدا مبنيا بالجص مرتفعا عن الطريق يسيرا ، يتبرك الناس بالصلاة فيه ، وليس بقربه مساكن ؛ فالظاهر أنه أحد المساجد المذكورة ، ورأيت أمام محرابه قبرا قديما محكم البناء ، ولعله قبر عبيدة بن الحارث بن المطلب [1] ، فقد ذكر ابن إسحاق وغيرُه أنه

---

(١) فى الأصول « بن عبد المطلب » والصحيح ما ذكرناه (عن حسب الله) .

مات بالصفراء من جِراحته التى أصابته فى المبارزة ببدر ، ولم يذكروا محل دفنه ، إلا أن ابن عبد البر قال عقبه : ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مع أصحابه بالنازيين قال له أصحـــابه : إنا نجد ريح مسك ، فقال : وما يمنعكم وههنا قبر أبى معاوية ؟ يعنى عبيدة بن الحارث ، انتهى . والنازيين غـير معروف اليوم .

وقال المطرى ، عقب ذكر وفاة عبيدة بالصفراء : فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان أَسَنَّ بنى عبد مناف يومئذ ، وأظن مستنده فى ذكر الدفن بها موته بها مع قول هند بنت أثاثة فى رثائه على ما نقله ابن إسحاق :

لَقَدْ ضُمِّنَ الصَّفْرَاء مجداً وسُودَداً ... وحِلْماً أصيلاً وَافِرَ اللُّبِّ وَالْعَقْلِ

عُبَيْدَة ، فابْكِيهِ لأضْيَافِ غُرْبَةٍ ... وأرْمَلَةٍ تَهْوِى لأشْعَثَ كالْجِذْلِ[1]

وقال الزين المراغى : إنه مات بالصفراء من جراحته ، فإن قبره بذفران ، هكذا رأيته بخطه ، ولم أقف على مستنده فى ذلك ، والنبىُّ صلى الله عليه وسلم لم يسلك ذفران فى رجوعه من بدر ؛ لأنه رجع على الصفراء ، لـكنه مرّ بطرف ذفران الذى يصب فيها .

مسجد الصفراء

ومنها : مسجد بالصفراء ــ روى ابن زبالة عن طلحة بن أبى حدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد الصفراء .

قلت : ذكر لى بعضُ الناس أن هذا المسجدَ معروف بالصفراء يتبرك به .

مسجد ثنية مبرك

ومنها : مسجد بثنية مبرك ــ روى ابن زبالة عن الأصبغ بن مسلم وعيسى ابن مَعْن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلّى مَطْلعه من ثَنِيَّة مبرك ، فى مسجد هناك بينه وبين دعان ستة أميال أو خمسة .

قلت : ثنية مبرك : معروفة تسلك إلى ينبع فى المغرب من جهة أسفل خيف بنى سالم من ذات اليمين ، وطريق الصفراء ذات اليسار .

(١) الجذل — بفتح الجيم وسكون الدال ـ كل عضو وكل عظم موفر لا يكسر ، فهو كناية عن الشدة وقوة العصب اهـ .

مسجد بدر

ومنها : مسجد بدر — كان العريشُ الذى بنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر عنده ، وهذا المسجد معروف اليوم بقرب بطن الوادى بين النخيل ، والعينُ قريبة منه ، و بقر به فى جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ، ولم أقف فيه على شيء .

مسجد العشيرة

ومنها : مسجد العشيرة — معروف ببطن ينبع ، وهو مسجد القرية التى ينزلها الحاج المصرى بينبع ، فى وِرْده وصَدَره.

روى ابن زبالة عن علىّ بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجد ينبع بعين بولا .

قلت : والعينُ اليومَ جاريةٌ عنده ، لـكن لا تعرف بهذا الاسم .

قال المجد : وهذا المسجد اليوم من المساجد المقصودة المشهورة ، والمعابد المشهودة المذكورة ، تحمل إليه النذور ، ويُتقَرب إلى الله بالزيارة له والحضور ، ولا يخفى على النفس المؤمنة روح ظاهرة على ذلك المـكان ، وأنس يشهد له بأنه حضرة سيد الإنس والجان .

مساجد الفرع

ومنها : مساجد ثلاثة بالفُرْع — بضم الفاء — يمر بها من سلك طريقها إلى مكة .

روى ابن زبالة عن أبى بكر بن الحجاج وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الأَكَمَة من الفُرْع ، فقال فى مسجدها الأعلى ، ونام فيه ، ثم راح فصلى الظهر فى المسجد الأسفل من الأَكَمَة ، ثم استقبل الفُرْع فبرّك فيها ، وكان عبدالله ابن عمر ينزل المسجد الأعلى فيقيل فيه ، فيأتيه بعضُ نساء أسلم بالفراش ، فيقول: لا ، حتى أضَعَ جنبى حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنبه ، وأن سالم ابن عبد الله كان يفعل ذلك ، وروى أيضاً عن عبد الله بن مكرم الأسلمى عن مشيخته أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل فى موضع المسجد بالبرود من مضيق الفُرْع، وصلى فيه .

مسجد الضيقة

ومنها : مسجدبالضيقة وكهف أعشار ــ روى ابنزبالة عن أبى بكر بنالحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلّى فى مسجد فى الضيقة مَخْرَجَه منذات حماط . وذكر الزبير ذات الحماط فى الأودية التى تَصُبُّ فى وادى العقيق فى القبلة مما يلى المغرب قرب البقيع ، ثم روى هذا الحديث . وذكر أيضاً فى هذه الأودية كهف أعشار ، كما سيأتى عنه ، ثم روى عن أبى بكر ابن الحجاج وسليمان بن عاصم عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المُصْطَلَق نزل فى كهف أعشار وصلى فيه .

مسجد مقمل

ومنها : مسجد مقمل ، بوسط النقيع حمى النبى صلى الله عليه وسلم ، على يومين من المدينة فى جهة درب المشبان .

روى ابن زبالة عن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف على مقمل ظرب وسط النقيع ، وصلى عليه ، فمسجده هنالك .

قال أبو هيصم المدنى : وكان أبو البحترى وهب بن وهب فى سلطانه على المدينة بعث إلىّ بثمانين درهما فعمرته بها .

قال أبو على الهجرى : إن مقملا على ظرب صغير ، على غَلْوة من برام، عليه المسجد المذكور ، ووهم المجد فعدّه فى مساجد المدينة .

الفصـــــل الخامس

فى بقية المساجد والمواضع المتعلقة به صلى الله عليه وسلم

مسجد العصر

فمنها : مسجد العصر [1]، وعصر سيأتى أنه على مَرْحلة من المدينة .

قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سَلَكَ على عصر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء .

(١) فى الخلاصة «مسجد بعصرة » .

قال المطري : مسجد عصر من مشهوري المساجد التي صلى فيها النبي صلى الله عيله وسلم عند خروجه إلى خيبر .

مسجد الصهباء

ومنها : مسجد بالصهباء ، وهي على روحة من خيبر .

روى مالك عن سويد بن النعمان رضي الله تعالى عنه أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم عامَ خَيبر ، حتى إذا كانوا بالصهباء – وهي من أدنى خيبر – نَزَل فصلى العصر ، ثم دعا بالأزواد ، فلم يُؤْتَ إلا بالسويق ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ ، قال المطري : والمسجد بها معروف .

قلت : وقد قدمنا قصة رد الشمس هنا عند ذكر مسجد الفضيخ من مساجد المدينة .

مسجدان قرب خيبر

ومنها : مسجدان بقرب خيبر أيضاً – قال الإقشهري ، ومن خطه نقلت : و بنى له صلى الله عليه وسلم مسجد بالحجارة حين انتهى إلى موضع بقرب خيبر يقال له المنزلة ، عرَّس [بها] ساعة من الليل فصلى فيها نافلة، فعادت راحلته تجرُّ زمامها ، فأدركت لترد فقال : دعوها فإنها مأمورة ، فلما انتهت إلى موضع الصخرة بركت عندها ، فتحوَّلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة ، وتحوَّلَ الناسُ إليها ، وابتنى هنالك مسجداً ، فهو مسجدهم اليوم .

مسجد بين الشق ونطاة

ومنها : مسجد بين الشق والنطاة من خيبر روى ابن زبالة عن حسن بن ثابت بن ظهير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتى خيبر ، ودليله رجل من أشجع ، فسلك به صُدُورَ الأودية ، فأدركته الصلاة بالقرقرة ، فلم يصل حتى خرج منها ، فنزل بين أهلَ الشق وأهل النطاة ، وصلى على عَوْسَجة هناك ، وجعل حولها الحجارة .

مسجد شمران

ومنها : مسجد بشمران – روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه

قال : صلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس جبل بخيبر يقال له شمران ، فثم مسجده من ناحية سهم بنى النذار[1] ، قال المطرى : ويُعْرف هذا الجبل اليوم نشمران .

مساجد تبوك

ومنها : مساجدغزوةتبوك ــ قال ابن رشد ، فى بيانه: بنى النبىُّ صلى الله عليه وسلم بين تبوك والمدينة نحو ستةعشر مسجدا ، أولها بتبوك وآخرها بذى خشب ، وذكر ابن زبالة نحو هذه العدة ، وقال ابن إسحاق : كانت المساجد معلومةً مسماة ، وسَرَدها أربعة عشر مسجدا ، وخالف فى تعيين بعض مواضعها لما ذكره ابن زبالة ، وذكرها الحافظ عبد الغنى وزاد عن الحاكم مسجدا .

وقد اجتمع لنا من مجموع ذلك عشرون مسجدا

فالأول بتَبُوك ، قال ابن زبالة : ويقال له مسجد التوبة ، قال المطرى : وهو من المساجد التى بناها عمر بن عبد العزيز ، قال المجد : دَخَلْته غير مرة ، وهو عقود مبنية بالحجارة .

الثانى : بثنية مدران ــ بفتح الميم وكسر الدال المهملة ــ تلقاء تبوك.

الثالث : بذات الزراب ــ بكسر الزاى ــ على مرحلتين من تَبُوك .

الرابع: بالأخضر ، على أربع مراحل من تبوك.

الخامس : بذات الخطمى ، كذا فى تهذيب ابن هشام ، ومشى عليه المجد ، وفى كتاب المطرى « بذات الخطم » ــ بفتح الخاء المعجمة ثم طاء مهملة ــ على خمس مراحل من تبوك .

السادس: ببَأْلَى ــ بالموحدة المفتوحة ، ثم همزة ولام مفتوحتين ــ على خمس مراحل أيضاً منها ، قاله المطرى ، وكذا هو فى تهذيب ابن هشام ، وفى نسخة ابن ربالة بنقيع بولا .

السابع : بطرف البتراء ، تأنيث أبتر ، قال ابن إسحاق : من ذنب كواكب وقال أبو عبيدة البكرى : إنما هو كوكب جبل هناك ببلاد بنى الحارث بن كعب

(١) فى الخلاصة « البراز » وفى نسخة « النزار » .

الثامن : بشق تارلد ـ بالمثناة الفوقية والراء ـ زاد ابن ز بالة : من جويرة .

التاسع : بذى الحليفة ، قاله ابن ز بالة وغيره أيضاً ، وهو غريب لم يذكره أصحاب البلدان .

العاشر : بذى الخليفة ، لم أر من جمعه مع الذى قبله إلا المجد ، وقال : إنه بكسر الخاء المعجمة ، وقيل بفتحها ، وقيل بجيم مكسورة ، وقيل بحاء مهملة مفتوحة، واقتصر فى أسماء البقاع على كسر الجيم ، والذى فى تهذيب ابن هشام ذكر هذا المسجد بدل الذى قبله ، وعَكَس ابنُ ز بالة .

الحادى عشر : بالشوشق ، قاله الحافظ عبد الغنى عن الحاكم ، قال المجد : وكأنه تصحيف .

الثانى عشر : بصدر حوضى ـ بالحاء المهملة ، والضاد المعجمة ، مقصوركما وجد بخط ابن الفرات ، واقتصر عليه المطرى ، وقال المجد ـ مع ذكره لذلك فى أسماء البقاع : إنه بفتح الحاء والمد موضع بين وادى القرى وتبوك ـ قال : وهناك مسجده صلى الله عليه وسلم ، انتهى . وهو مخالف لما ذكره هناك من المغايرة بين مسجد ذى الحليفة و بين مسجد صدر حوضى فى ذنب حوضى ومسجد آخر فى ذى الحليفة من صدر حوضى ، والمغايرة هى التى فى تهذيب ابن هشام ، ولعل صدر حوضى هو المعبر عنه بسمنة فى رواية ابن ز بالة ، فإنه كما سيأتى ماء قرب وادى القرى ، وفى نسخة المجد فى حكاية روايته : ومسجد بذنب حويضى بدل قوله بسمنة .

الثالث عشر: بالحجر ، وذكر ابن ز بالة بدله العلاء ، وكلاهما بوادى القرى .

الرابع عشر: بالصعيد صعيد قزح .

الخامس عشر: بوادى القرى ، وقال الحافظ عبد الغنى ، فى مسجد الصعيد : وهو اليوم مسجد وادى القرى .

قلت : فهذا والذى قبله بوادى القرى ، وفى رواية ابن ز بالة : ومسجدان

بوادى القرى أحدهما فى سوقها والآخر فى قرية بنى عذرة ، فلعل هذا هو الذى بقرية بنى عذرة ، والذى قبله هو الذى بالسوق ، لـكن المجد غاير بين الثلاثة أخذا بظاهر العبارة ، ولأن فى رواية أخرى لابن زبالة « صَلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى بصعيد قزح من الوادى ، وتعلمنا مصلاه بأحجار وعظم ، فهو المسجد الذى يجتمع فيه أهل الوادى » .

السادس عشر : بقرية بنى عذرة ، لم يذكره ابن إسحاق ، وذكره ابن زبالة كما تقدم .

السابع عشر : بالرقعة ، على لفظ رقعة الثوب ، قال أبو عبيد البكرى : أخشى أن يكون بالرقمة ــ بالميم ــ من الشقة شقة بنى عذرة ، وقال ابن زبالة بدلَه: بالسقيا ، قال المجد فى أسماء البقاع : والسقيا من بلاد عذرة قريبة من وادى القرى

الثامن عشر : بذى المروة ، قال المطرى : وهو على ثمانية بُرُدٍ من المدينة ، كان بها عيون ومزارع و بساتين أثرُهَا باقٍ إلى اليوم .

قلت : وسيأتى فى ترجمتها ما جاء فى نزوله صلى الله عليه وسلم بها .

التاسع عشر : بالفيفاء فيفاء الفحلتين ، قاله المطرى ، كان بها عيون و بساتين لجماعة من أولاد الصحابة وغيرهم .

قلت : وسيأتى فى ترجمة الفحلتين أنهما قنتان تحتهما صخر على يوم من المدينة .

العشرون : بذى خشب على مرحلة من المدينة ، ولفظ رواية ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم صَلّى تحت الدومة التى فى حائط عبيد الله بن مروان بذى خشب ، فهنالك يجتمعون .

وفى سنن أبى داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نَزَل فى موضع المسجد تحت دومة ، فأقام ثلاثا ، ثم خرج إلى تبوك ، و إن جهينة لحقوه بالرحبة ، فقال لهم : من أهلُ ذى المروة ؟ قالوا : بنو رفاعة من جهينة ، فقال : قد قطعتها لبنى رفاعة ، فاقتسموها ، فمنهم من باع ومنهم من أمسك فعمل .

وسنتكلم على هذه الأماكن بأوفى من هذا فى محلها إن شاء الله تعالى .

مسجد الكديد

ومنها : موضع مُصَلَّاه بنخل ، ومسجد على مِيلٍ من الكديد — روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بنخل تحت أثَلَةٍ لرجل من أشجع من بنى نعيم فى مزرعة له فى وسطها نخل ، وصلى تحتها ، فأضَرَّ الناس بتلك المزرعة، فقطع صاحبُ المزرعة تلك الأثلة ، قال : ثم أصعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل ، فنزل تحت سرْحَة وصَلَّى تحتها ، فموضع مسجده اليوم معروف ، وأنه صلى الله عليه وسلم صلى بالجبل من بلاد أشجع .

قلت : نخل موضع بنجد كما سيأتى فى محله ، والكديد : موضع بقربه ، لا الكديد الذى بين خليص وعسفان ، وذكر الأسدى هذا المسجد فى وصف الطريق بين فيد والمدينة ، فقال بعد ذكر ذى أمر : إن الكديد وادٍ ، والطريق يقطعه ، فلما يفارقه ماء عذب مستنقع ، وفيه مسجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبه خيام أعراب من بنى كنانة ، والنخيل قريب منها ، وذكر أن بين النخيل وبئر السائب اثنين وأربعين ميلا ؛ فعبر عن نخل بالنخيل مصغرا ، وذلك هو المعروف اليوم قرب الكديد .

مسجد الشجرة بالحديبية

ومنها : مسجد بالحديبية يقال له مسجد الشجرة — وهو غير معروف ، بل قال المطرى : لم أر فى أرض مكة من يعرف اليوم الحديبية إلا الناحية لا غير ، انتهى . وهو الموضع الذى نزل به النبى صلى الله عليه وسلم فى عُمْرَة الحديبية يريد مكة فعاقه المشركون .

قال ابن شبة ، فيما نقل عن ابن شهاب : الحديبية وادٍ قريبٌ من بلدح ، وقال صاحب المطالع : هى قرية ليست بالكبيرة ، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة ، وقال التقى الفاسى : يقال إن الحديبية الموضع الذى فيه البئر المعرف ببئر شميس بطريق جدة .

مسجد ذات عرق

ومنها : مسجد دون ذات عرق بميلين ونصف ـ قال الأسدى فى وصف طريق ذات عرق من جهة نجد والعراق : إن بركة أوطاس يسرة عن الطريق بائنة عن المحجة ، و بعدها مسجد يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، ودون ذات عرق بميلين ونصف مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ميقات الإحرام ، وهو أول تهامة، فإذا صِرْتَ عند الميل الثامن رأيتَ هناك بيوتاً فى الجبل خراباً يمنة عن الطريق ، يقال : إنها ذات عرق الجاهلية ، وأهل ذات عرق يقولون : الجبلُ كله ذات عرق ، و بعض أهل العلم كان يحب أن يحرم من ذات عرق الجاهلية .

مسجد الجعرانة

ومنها : مسجد بالجِعِرّانة ـ عن محرس الكعبى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الجِعِرّانة ليلا مُعْتمراً ، وجاء مكة ليلا ، فقضى عمرته، ثم خرج من ليلته وأصبح فى الجِعِرّانة كبائت ، فلما زالت الشمس من الغد خرج فى بطن شرف حتى جامع الطريق ، فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس ، رواه أحمد والترمذى وحسّنه .

وذكر الواقدى أن إحرامه صلى الله عليه وسلم من الجِعِرّانة كان ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ، وأنه أحرم من المسجد الأقصى الذى تحت الوادى بالعُدْوَة القُصْوى ، وكان مُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان بالجعرانة به ، فأما الأدنى فبناه رجل من قريش ، واتخذ الحائط عنده ، ولم يَجُز رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادىَ إلا محرما .

وعن مجاهد أن النبى صلى الله عليه وسلم أحرم من الجعرانة من وراء الوادى حيث الحجارة المنصوبة ، و إنى لأعرف مَنِ اتخذ هذا المسجد على الأكَمَة ، بناه رجل من قريش ، واشترى مالا عنده ونخلا . وبَيَّن فى رواية أخرى أن المسجد الأقصى الذى من وراء الوادى بالعُدْوة القصوى مُصَلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما كان بالجعرانة ، وأن المسجد الأدنى بناه رجل من قريش ، رواه الأزرقى .

مسجد لية

ومنها : مسجد لية ، و بين وادى ليّة ووادى الطائف نحو ثمانية أميال .

قال ابن إسحاق : سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من حُنَين متوجها إلى الطائف على نخلة اليمانية ، ثم على قرن وهو مُهَلُّ أهل نجد ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرُّغا من لية ، فابتنى بها مسجداً وصلى فيه .

قال المطرى : وهو معروف اليوم وسط وادى لية ، رأيته وعنده أثر فى حجر يقال به أثر خف ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن إسحاق عن حديث عمرو بن شعيب له: إنه صلى الله عليه وسلم أقاد يومئذ ببحرة الرُّغَا ، وحين نزلها ندم ، وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل من بنى ليث قَتَلَ رجلا من هُذَيل، فقتله به.

مسجد الطائف

ومنها : مسجد بالطائف ـ قال ابن إسحاق بعدما تقدم عنه : ثم سلك صلى الله عليه وسلم فى طريق يقال له الضيقة ، وسأل عن اسمها فقيل: الضيقة ،فقال بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نَخِب ـ وهي عقبة فى الجبل ـ حتى نزل تحت سِدْرَة يقال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثقيف ، ثم مضى حتى نزل قريباً من الطائف ، فقتل ناس من أصحابه بالنبل لاقتراب عسكره من حائط الطائف ، فوضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بِضْعاً وعشرين ليلة ، ومعه امرأتان من نسائه إحداهما أمُّ سَلَمَة ، فضرب لهما قُبتَّين ، ثم صلى بين القبتين ، فلما أسلمت ثَقِيفٌ بنى على مُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية فيما يزعمون لا تَطْلع الشمسُ عليها يوماً من الدهر إلا سُمِع لها نَقِيضٌ ، انتهى .

وذكر الواقدى بناء عمرو بن أمية للمسجد على مُصَلّى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، قال : وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرار ، فكانوا يرون أن ذلك تسبيح .

قال المطرى : وهو جامع كبير ، فيه منبر عالٍ عمل فى أيام الناصر أحمد بن المستضىء ، وفى ركنه الأيمن القبلى قبر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب فى قبة عالية ، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صَحْن هذا الجامع بين قبتين صغيرتين يقال : إنهما بُنيتا فى موضع قبتى زوجتيه عائشة وأم سلمة رضى الله تعالى عنهما .

قلت : قال التقى الفاسى : إن المسجد الذى يُنْسَبُ للنبى صلى الله عليه وسلم هناك فى مؤخر المسجد الذى فيه قبر عبد الله بن عباس ؛ لأن فى جداره القبلى من خارجه حجراً فيه : أمَرَتْ أمُّ جعفر بنت أبى الفضل أمُّ وُلاَة عهد المسلمين بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . وفيه أن ذلك سنة اثنتين وسبعين ومائة ، قال : والمسجد الذى فيه قبر ابن عباس أظن أن المستعين العباسى عمره مع ضريح ابن عباس ، انتهى . فإن كان المسجد الذى ذكر الفاسى أنه فى مؤخر الجامع المذكور فى صحنه فلا مخالفة فيه لما ذكره المطرى ، وإلاَّ فيخالفه .

قال المطرى : ورأيت بالطائف شجراتٍ من شجر السِّدْر يذكر أنهن من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينقل ذلك خلفُ أهل الطائف عن سلفهم ، فمنهن واحدة دور جذرها خمسة وأربعون شبراً ، وأخرى أزيد على الأربعين ، فأخرى سبعة وثلاثون ، وأخرى يذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بها وهو على راحلته فانفرق جذرها نصفين ، وأن ناقته دخَلَتْ من بينهما وهو ناعس ، قال : رأيتُها قائمة كذلك سنة ست وتسعين ، وأكلت من ثمرها ، وحملت منه للبركة ، ثم فى سنة تسع وعشرين وسبعمائة رأيتها وقعت ويبست وجذرُها مُلْقَى لا يغيره أحد لحرمته بينهم ، انتهى .

وكأنه بقي منها بقية ؛ فإن التقي الفاسي ذكرها ، وقال : إنها انفرجَتْ للنبي صلى الله عليه وسلم نصفين لما اعترضته وهو سائر وَسْنان ليلا في غزوة الطائف وثقيف على ساقين، على ما ذكر ابن فورك فيما حكى عنه عياض في الشفاء، و بعضُ هذه السِّدْرة باقٍ إلى الآن ، والناسُ يتبركون به ، انتهى .

وقال المرجاني : ورأيت بوَجّ من قُرى الطائف سدرةً محاذية للجبر قريبة أيضاً يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحتها حين أتاه عديس بالطبق العنب وأسلم ، وقالوا : سَحَره محمد ، والقصة مشهورة ، قال : ورأيت في جبل هناك عند آخر الحبرة تحته العين يذكر أنه صلى الله عليه وسلم جلس فيه ، انتهى .

وعن الزبير قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بلية — قال الحميدي : مكان بالطائف — حتى إذا كنا في السدرة وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند طرف القرن الأسود عندها ، فاستقبل نخباً — قال الحميدي : مكان بالطائف — ببصره ، ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال : إن صيدَوَجّ وعضاهَهُ حِرْمٌ محرم لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفاً ، كذا في نسخة العيسوي عن الحميدي ومسند أحمد وسنن أبي داود أيضاً ، وضعفه النووي .

وختم ابنُ زبالة الكلامَ على المساجد بحديث عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ، ولو مثل مَفْحَصِ القَطَاة » قالت : فقلت : يا رسول الله والمساجدُ التي بين مكة والمدينة ؟ قال : نعم ، ورواه البزار . وفيه كثير بن عبد الرحمن ، ضعفه العقيلي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، ولفظه « مَنْ بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ، قلت : وهذه المساجد التي في طريق مكة ؟ قال : وتلك » ، والحديث في الصحيح عن عثمان بدون هذه الرواية ، ولفظه « مَنْ بنى مسجداً يبتغي به وَجْهَ الله بنى الله له بيتاً في الجنة » .

قلت : فينبغى الاعتناء بما دمر من المساجد التى بالمدينة وغيرها وعمارتها ، والله الموفق .

الباب السابع

فى أوديتها ، وأحمائها ، وبِقَاعها ، وجبالها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، ومشهور ما فى ذلك من المياه والأودية ، وضَبْط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك ، وفيه ثمانية فصول

الفصل الأول

فى فضل وادى العقيق ، وعَرْصَته ، وحُدُوده

ماورد من الأحاديث فى فضل وادى العقيق

روينا فى الصحيح عن ابن عمر قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادى العقيق : « أتانى الليلةَ آتٍ فقال : صَلِّ فى هذا الوادى المبارك ، وقل عمرة فى حجة » .

وتقدم فى مسجد المَعرس فى رواية له « أُرِىَ وهو فى مُعَرَّسه بذى الُحلَيفة ببطن الوادى قيل له : إنك ببطحاء مباركة » .

وروى ابن شبة عن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعا « العقيقُ وادٍ مبارك» .

وعن هشام بن عروة قال: اضطجع النبىُّ صلى الله عليه وسلم بالعقيق ، فقيل له: إنك فى وادٍ مبارك .

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد بن أبى وقَّاصٍ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم « نامَ بالعقيق ، فقام رجل من أصحابه يُوقِظه ، فحال بينه و بينه رجل من أصحابه آخر ، وقال : لا تُوقِظْه فإن الصلاة لم تفته ، فتدارآ حتى أصاب بعضُ أحدِهما رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأيقظه، فقال : مالكما ؟ فأخبراه . فقال : لقد أيقظتمانى

و إنى لأرانى بالوادى المبارك » وعن زكريا بن إبراهيم بن مطيع قال : باتَ رجلانِ بالعقيق ، ثم أتيَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين بتما ؟ فقالا : بالعقيق ، فقال : لقد بِتُّماَ بواد مبارك .

وتقدم أن عمر رضى الله تعالى عنه قال : احْصِبُوا هذا المسجد ـ يعنى مسجد المدينة ـ من هذا الوادى المبارك ، ورواه صاحب الفردوس مرفوعا .

وقال أبو غسان : أخبرنى غيرُ واحدٍ من ثقات أهل المدينة أن عمر رضى الله تعالى عنه كان إذا انتهى إليه أن وادىَ العقيق قد سَالَ قال : اذهبوا بنا إلى هذا الوادى المبارك ، و إلى الماء الذى لو جاءنا جاء من حيث جاء لتمسَّحْنَا به .

وروى ابن زبالة عن عامر بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «رَكِبَ إلى العقيق ، ثم رجع فقال : يا عائشة جِئْنَا من هذا العقيق ، فما ألْيَنَ موطئه ، وأعْذَبَ ماءه ، قالت : فقلت : يا رسول الله أفلا ننتقل إليه ؟ قال : وكيف وقد ابتنى الناسُ ؟» .

وعن خالد العدوانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى عرصة العقيق « نعم المنزل العرصة لولا كثرة الهوام » .

وعن محمد بن إبراهيم التيمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ فى بعض مَغَازيه ، فأخذ على الشارعة حتى إذا كان بالعَرْصَة قال : هى المنزل لولا كثرة الهوام » .

وروى السيد أبو العباس العراقى فى ذيله على ابن النجار عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادى العقيق ، فقال : يا أنس خذ هذه المِطْهَرَةَ امْلأها من هـذا الوادى فإنه يحبنا ونحبه ، فأخذتها فملأتها ، الحديثَ .

وروى ابن شبة عن سلمة بن الأكْوَع قال : كنت أصِيدُ الوَحْشَ وأهدى لحومها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَفَقَدَنِى فقال: يا سلمة أين كنت تصيد

الوحش ؟ فقلت : يارسول الله تباعَدَ الصيدُ فأنا أصيد بصدور قناة نحو ثيب ، فقال : لو كنت تصيد بالعقيق لَشَيَّعْتكَ إذا خرجت وتلقيتُكَ إذا جئت ، إنى أحب العقيق ، ورواه الطبرانى بنحوه ، قال الهيتمى : و إسناده حسن

وروى ابن ز بالة عن جابر قال : كان سلمة يَصِيدُ الظباء فيهدى لحومها لرسول الله صلى الله عليه وسلم جَفِيفاً وطَرِيًّا ، فافتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا سلمة مالك لا تأتى بما كنت تأتى به ؟ فقال : يارسول الله تباعَدَ علينا الصيدُ فإنما نصيد بثيب وصدور قناة ، فقال:أما إنك لو كنتَ تصيدُ بالعقيق لشيعتُكَ إذا ذهبتَ وتلقيتُكَ إذا جئت ، فإنى أحب العقيق .

قلت : ومحمله إن صح على ما قَبْلَ تحريم المدينة ، أو أن المراد من الصيد بالعقيق طرفه الخارج عن الحرم ، جمعا بين الأدلة .

حد العقيق

ونقل ابن ز بالة والزبير بن بكار عن هشام بن عروة أنه كان يقول : العقيق ما بين قصر المَرَاجل فهلم صُعُداً إلى النقيع ، وما أسفل من ذلك ـ أى من قصر المراجل ـ فمن زغابة .

وعن المنذر بن عبد الله الحرانى أنه سمع من أهل العلم أن الجرف ما بين محجة الشام إلى القصاصين ، أى أصحاب القصة ، وأن وطيف الحمار ما بين سقاية سليمان إلى الزغابة ، وأن العرصة ما بين محجة بين إلى محجة الشام ، وأن العقيق من محجة بين فاذهب به صعدا إلى النقيع .

قلت : محجة بين تباين آخر الجروف ، أى طريقها ، وأظنها طريق درب العصرة ، ومن سلكها مغربا كانت الجماوات عن يساره .

قال : وحدثنى آخرون أن العقيق من العرصة أبداً إلى النقيع .

قال الزبير : ولم أزل أسمع أهلَ العلم والسنن يقولون : إن العقيق الكبير مما يلى الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل ، ومما يلى الجماء مابين قصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى إلى قصر المراجل ، ثم اذهب بالعقيق صعدا

إلى منتهى النقيع ، ويقولون لما أسفل من المراجل إلى منتهى العرصة العقيق الصغير ، فأعلى أودية العقيق النقيع .

وقالت الخنساء بنت عمرو بن الحارث بن الشَّريد السُّلَمية تبكى أخاها صخر ابن عمرو وقد مات بالنقيع من جراحة فدفن فيه على رأس برام :

أفيقِي من دُمُوعِكِ واستفيقى وصَبْراً إن أطَقتِ،ولنْ تُطِيقى

وقولِي : إن خير بنى سليم وغـــيرهم ببطحاء العقيق

وروى بنقعاء العقيق .

ونقل أبو على الهجرى أن النقيع يبتدئ أوله من برام ، والعقيق يبتدئ أوله من حضير إلى آخر منتهاه من العقيق الصغير ، ثم يصب فى زغابة .

ونقل أيضا أن حضيرا آخرُ النقيع وأول العقيق، وآخر العقيق زغابة، قال: وزغابة مجتمع السيول غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ، وهو أعلى وادى إضم .

قلت : فهى منتهى العقيق والعرصة ، ومبتدؤه حضير ، وهى مزارع معروفة بقرب النقيع على أزيد من يوم عن المدينة .

وقال عياض : النقيع صدر العقيق ، والعقيقُ وادٍ عليه أموال أهل المدينة ، قيل : على ميلين منها ، وقيل : على ثلاثة ، وقيل : ستة أو سبعة ، وهما عقيقانِ ، أدناهما عقيق المدينة ، وهو أصغر وأكبر ، فالأصغر فيه بئر رومة ، والأكبر فيـه بئر عُرْوَة . والعقيق الآخر على مقربة منه ، وهو من بلاد مُزَينة ، وهو الذى أقطعه النبى صلى الله عليه وسلم بلالَ بن الحارث ، وأقطعه عمر الناسَ ، فعلى هذا تحمل المسافات لا على الخلاف . والعقيق الذى جاء فيه « إنك بوادٍ مبارك » هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة ، وهو الأقرب منهما — أى من العقيقين — المنقسم أحدهما إلى الكبير والصغير فلا ينافى كون ما يلى الحرة من العقيق أقرب . على أنه سيأتى مايقتضى أن النبى صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ بلالَ بن الحارث كلَّ العقيق بعيدَه وقريبه ، وأن الذى أقطعه عمر الناس هو الأدنى من المدينة ،

وهو المنقسم إلى كبير وصغير ، وكلام الزبير وغيره صريح في ذلك ، والصواب أن مَهبِطَ الثنية المعروفة بالمدرج أول شاطئ وادى العقيق ،على ميلين من المدينة أيام عمارتها ، كما اقتضاه اختبارى لمساحة ما بين المسجد النبوى ومسجد ذى الحليفة ، وبه صرح الأسدى من المتقدمين ، فقال : إن العقيق علي ميلين من المدينة ، الميل الأول خلف أبيات المدينة ، والثانى حين ينحدر من العقبة في آخره يعنى المدرج ، وكأنّ مَنْ عَبّر بالثلاثة اعتبر المسافة من المسجد النبوى إلى أول بطن الوادى بعد القصر المعروف بحصن أبى هشام ، ومن عبر بالستة اعتبرها إلى طرفه الأبعد وهو الذى به ذو الحليفة ، فأدخل بطن الوادى فى المسافة ، أو هو مفرع علي القول بأن الميل ألفا ذراع ،والراجح الموافق لاختبارنا أنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع

وقال المطرى : وادى العقيق أصل مسيله من النقيع قبلي المدينة الشريفة علي طريق المشبان ، و بينه و بين قباء يوم ونصف ، و يصل إلى بئر علىّ العليا المعروفة بالخليقة — بالقاف والخاء المعجمة — ثم يأتى علي غربى جبل عَيْر ، ويصل إلى بئر علي بذى الحليفة المحرم ، ثم يأتى مشرقا إلى قريب الحمراء التى يطلع منها إلى المدينة ، ثم يعرج يسارا ، ومن بئر المحرم يسمى العقيق ، فينتهى إلى غربى بئر رومة ، انتهى .

وقوله : « ومن بئر المحرم يسمى العقيق » أى فى زمنه كزماننا ، وهو العقيق الأدنى فى كلام عياض .

وقال عقب قوله « والعقيق الذى جاء فيه إنك بواد مبارك هو الذى ببطن وادى ذى الحليفة وهو الأقرب منهما» ما لفظه : وهو الذى جاء فيه أنه مُهَلّ أهل العراق من ذات عرق ، اهـ . وهو خطأ ، إلا أن يحمل علي ما ذكره بعضهم من أن عقيق ذات عرق يتصل واديه بعقيق المدينة ، والمعروف قديما امتدادُه إلى النقيع كما سبق ، قال الزبير : سألت سليمان بن عياش السعدى : لم سُمِّىَ العقيقُ عقيقا ؟ قال : لأن سيله عق فى الحرة ، وكان سليمان من أفْقَه مَنْ رأيتُ فى كلام العرب .

وقوله « عق » أى شَقَّ وقطع فى الحرة ، ولما شَخَصَ تُبَّع عن منزله بقَنَاة ومر بالعرصة وكانت تسمى السليل قال : هذه عرصة الأرض ، فسميت العرصة ، ومر بالعقيق فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمى العقيق ، وقيل : سمى بذلك لحمرة موضعه .

الفصل الثامن

فى أقطاعه ، وابتناء القُصُور به ، وطريف أخبارها

رسول الله يقطع بلالا العقيق

روى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم أَقْطَعَ بلال بن الحارث العقيقَ كلَّه ، فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُقْطِعْكَهُ لتحجره ، وأقطعه عمرُ الناسَ .

وقال ابن شبة : حدثنا محمد بن يحيى قال : حدثنا مَنْ نثق به من آل حزم وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَقْطَعَ بلالَ بن الحارث المزنى العقيقَ ، وكتب له فيه كتابا نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسولُ الله بلالَ بن الحارث ، أعطاه من العقيق ما أصلح فيه معتملا . وكتب معاوية ، قال : فلم يعمل بلال فى العقيق شيئاً، فقال له عمر فى ولايته : إن قويتَ على ما أعطاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من معتمل العقيق فاعتمله ، فما اعتملت فهو لك كما أعطاكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن لم تعتمله أقطعتُه بين الناس ولم تحجره عليهم ، فقال بلال : تأخذ منى ما أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشترط عليك فيه شَرْطا ، فأقطعه عمر رضى الله تعالى عنه بين الناس ، ولم يعمل فيه بلال شيئاً ؛ فلذلك أخذه عمر رضى الله تعالى عنه ، ورواه الزبير بن بكار ، وأسند نسخة القطيعة المذكورة عن هشام بن عروة .

وروى عن محمد بن سلمة المخزومى قال : أَقْطَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال بن الحارث المزنى معادنَ القبلية والعقيق ، فبلغنا أنه باع رومة من عثمان بن

عفان ، وانتزع منه عمر بقية العقيق وأقطعه للناس ، وقال : إنما أعطاك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تعمر ولم يعطك تحجر .

وعن هشام بن عروة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أقْطَعَ ابلال بن الحارث العقيقَ ، فلم يزل على ذلك حتى ولى عمر فَدَعَا بلالاً فقال : قد علمتَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سُئِله ، و إنك سألتَه أن يعطيك العقيقَ فأعطاكه ، فالناسُ يومئذٍ قليل لا حاجة لهم ، وقد كثر أهل الإسلام واحتاجوا إليه ، فانظر ما ظَنَنْتَ أنك تَقْوَى عليه فأمسكه وارْدُدْ إلينا ما بقى نُقْطِعه ، فأبى بلال ، فترك عمر بيد بلال بعضَه وأقطع ما بقى للناس .

وذكر فى روايةٍ مع العقيق « معادن القبلية وحيث يصلح الزرع من قدس » وهى فى سنن أبى داود بدون ذكر العقيق .

وروى ابن شبة عن عبد الله بن أبى بكر أن عمر لما ولى قال : يابلال ، إنك استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا طويلة عريضة ، فأقطعها لك ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يمنع شيئاً سُئِله ، و إنك لا تُطِيقُ ما فى يدك ، فقال : أجَلْ ، فقال : فانظر ما قَوِيتَ عليه منها فأمسكه ، ومالم تطق فادفعه إلينا نقسمه ، فأبى ، فقال عمر : والله لنفْعَلَنَّ ، فأخذ منه ماعجز عن عمارته فقسمه بين المسلمين .

خبر قصر عُرْوَةَ ، و بئره

عن عروة بن الزبير قال : لما أخذ عمرُ بن الخطاب من بلال بن الحارث ما أخذ من العقيق وقَفَ فى موضع بئر عُرْوَة بن الزبير التى عليها سِقَايته، وقال : أين المستقطعون ؟ فنعم موضع الحفيرة ، فاستقطعه ذلك خَوَّاتُ بن جُبَير الأنصارى، ففعل ، قال مصعب بن عثمان : فقرأت كتاب قطيعته أرض عروة بن الزبير بالعقيق فى كتب عروة ما بين حرة الوبرة إلى ضفيرة المغيرة بن الأخنس .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما أقطع عمرُ العقيقَ فدنا من موضع قصر عروة وقال : أين المستقطعون منذ اليوم ؟ فوالله مامررت بقطيعة شِبْهِ هذه القطيعة ، فسألها خَوّات ، فأقطعها له ، وكان يقال لموضعها « خيف حرة الوبرة » فلما كانت سنة أحد وأربعين أقطع مروان بن الحكم عبد الله بن عياش بن علقمة ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس بالعقيق إلى الجبل الأحمر الذى يطلعك على قباء ، قال هشام : فاشترى عروة موضع قصره وأرضه وبئاره من عبد الله بن عياش ، وابتنى واحتفر وحجر وضفر ، وقيل له : إنك لست بموضع مُدِر ، فقال : يأتى الله به من النقيع ، فجاء سيل فدخل فى مَزَارعه فكساها من خليج كان خَلَجه ، وكان بناه جنابذ ـ أى جمع جنبذ بضم الجيم ، وهو ما ارتفع واستدار كالقبة ـ قال: وكان لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان الناحية الأخرى المراجل وقَصْرُ أمية والمنيف والآبار التى هناك والمزارع ، فاستفتى عبدُ الله عبدَ الله بن عبد الله بن عَمْرو على عروة وقال : إنه حَمَلَ على حق السلطان ، فهدم عمر بن عبد العزيز جنابذه وضفائره ، وسد بئاره ، فقدم رجل من آل خالد ابن أسيد بن أبى العِيص بن أمية يريد الوليد ، وسأل عن عروة ، فأخبر قصته ، فقدم على الوليد فسأله عن عروة وحاله ، فأخبره ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز ما عروة ممن يُتَّهَمُ فَدَعْه وما انتقص من حق السلطان ، فبعث إليه عمر وقال : كتبتَ فىّ إلى أمير المؤمنين ؟ فقال : مافعلت ، فقال : اذهب فاصنع ما بدا لك فقال عروة : جزعُوا من جَنَابِذَ نبنيها ، والله لأبنينه بناء لا يبلغونه إلا بِشِقّ الأنفس ، فبنى قصره هذا البناء ، وهيل بئاره ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبتاه لو تبَدَّلْت بئارا فاحتفرتها لكان أهون فى العزم ، فقال : لا والله إلا هى بأعيانها وأنشأ عروة يقول :

بَنَيْنَاهُ فأحْسَنّا بنـــاه * بحمـــد الله فى خـير العَقِيقِ
تراهم يَنْظُرُون إليـــه شَزْراً * يَلوحُ لهم على وَضَحِ الطَّرِيقِ

فساء الكاشحين وكان غيظاً * لأعدائي وسُرَّ به صديقي
يَرَاهُ كلُّ مُرْتَفِقٍ وسارٍ * وَمُعْتَمِرٍ إلى بَيْتِ الْعَقِيقِ

وعن مصعب بن عثمان قال : لما كتب الوليدُ إلى عمر بن عبدالعزيز فى ذلك ولى عروة عمر بن عبد الله بن عروة بناء قصره ، فلما كثرت النفقة فيه لقيه عمه يحيى بن عروة فقال : يا ابن أخى ، كم أنفقت فى القصر ؟ قال : كذا وكذا ، قال : هذه نفقة كثيرة لو علم أبى بها لا قتصر فى بنائه ، فأخبره بذلك ، فأخبر عمر جده ،فقال : لقيك يحيى ؟ قال : نعم ، قال : إنما أراد أن يعوق عليّ بنائى ، أنفق ولا تحسب ، فأنفق ولم يحسب حتى فرغ ،وحفر بئارا إحداهن بئر السقاية ، و بئر يدعى العسيلة ، و بئر القصر .

وقال مصعب : وسبب هَدْم عمر بن عبد العزيز وتهوره البئر أن عروة أراد أن يرفع فى رأس عينه محلا فمنعه عبد الله بن عمرو بن عثمان إلا أن يسأله ذلك ، وكان له حقيق به ، فقال عروة : مثلى يُكلَّف ذلك ؟ وتركها ، فلما بنى عبد الله قصره المراجل وعمل مزارعه عمل له خليجا ، فلما بلغ به مزارع عروة حال بينه و بين ذلك ، فاستفتى عبدُ الله بن عبد الله عمر بن عبد العزيز على عروة ،وقال: بنى وحفر فى غير حقه ، وكانت جَنَابذه سبعا ، وكانت الركبان ينزلون على بئر مروان ، فلما حفر عروة بئره وأعذب اختاروا السهل والعذوبة فتركوا النزول على بئر مروان وكان فى نفس عمر بن عبد العزيز شىء من ذلك ، مع ما كان فى نفسه على جميع بنى الزبير .

وعن ابن أبى ربيعة أنه مرَّ بعروة وهو يبنى قصره بالعقيق فقال : أردت الحرب يا أبا عبد الله ؟ قال : لا ، ولكن ذكر لى أنه سيصيبها عذاب ، يعنى المدينة ، فقلت : إن أصابها كنت منتحيا عنها .

وعن عروة مرفوعا : يكون فى آخر أمتى خَسْف وقَذْف ومَسْخ ، وذلك عند ظهور عمل قوم لوط ، قال عروة : فبلغنى أنه قد ظهر شىء منه ، فتنحَّيْتُ

عنها ، وخشيت أن يقع وأنا بها ، و بلغنى أنه لا يصيب إلا أهل القصبة قصبة المدينة ، وفى نسخة المجد « القُصَيبة » مصغراً ، فأوردوه فى ترجمة القصيبة ، وهو وهم.

وعن هشام قال : لما اتخذ عروة قصره قال له الناس : قد جَفَوْتَ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنى رأيتُ مساجدهم لاهية ، وأسواقهم لاغية ، والفاحشةَ فى فجاجهم عالية ، فكان فيما هناك عما هم فيه عافية .

وتصدق عروة بقصره وأرضه و بئره على المسلمين ، وأوصى بذلك إلى الوليد ابن عبد الملك ، فولاه ابنيه يحيى وعبد الله ، ثم توفى يحيى وأقام عبدُ الله فى القصر نحوا من أر بعين سنة ، ثم توفى عبد الله ، ثم وليها هشام بن عروة بالسن ، ثم عبد الله بن عروة ، وقيل له : مالك تركت المدينة ؟ قال : لأنى بين رجلين حاسد لنعمة أو شامت بمصيبة ، وهو القائل :

لو كان يدرى الشيخُ عذرى بالسحر ... نَحْوَ السقاية الَّتِي كَانَ احْتَفَرْ

لِفِتْيَةٍ مثـل الدَّنَانِيرِ غُرَرْ ... وقَاهُمُ الله النِّفَاقَ وَالضَّجَرْ

بَيْنَ أبى بـكرٍ وَزَيْدٍ وَعُمَرْ ... ثمَّ الْحَوَارِىُّ لَهُمْ جَـدٌّ أغَرْ

فَهُمْ عَلَيْهَا بِالْعَشِىِّ وَالْبـكَرْ ... يَسْقُونَ مَنْ جَاءَ وَلاَ يؤذوا بَشَرْ

* لَزَاد فى الشُّـكْرِ وَكَانَ قَدْ شَـكَرْ *

ولما ولى إبراهيم بن هشام المدينة لهشام بن عبد الملك أراد أن يدخل فى حقوق بنى عروة بالفُرْع ، فحال عبد الله ويحيى بينه و بين ذلك فهدم قصرَ عروة وشَعَّثه ، وطرح فى بئر عروة جملا مطليا بقطران ، فكتب عبدُ الله إلى هشام ابن عبد الملك بذلك ، فكتب إلى ابن أبى عطاء عامله على ديوان المدينة أن يردَّ ذلك على ماكان حتى يَضَعَ الوتد فى موضعه ، فكان غرم ذلك ألف دينار وثلاثين ألف درهم .

وكان عبد الله يتحيَّنُ ركوب ابن هشام ، فإذا أشرف على الحرَّة قال للناس : كبروا ولـكم جزور ، فيفعلون ، فينحرها ، فيغيظ بذلك ابن هشام و يبلغ منه .

وقال فى ذلك يحيى بن عروة أبياتا منها :

ألا أبلغ مُغَلْغَلَةً بَرِيدا ... وأبلغ إن عَرَضْتَ أبا سعيد

وأبلغ معشراً كانت إليهم ... وَصَايا ما أريد بنى الوليد

فإن لا تعتنى قُرْبَاىَ منكم ... فَوُدِّى غيرذى الطمع الكدود

ولما قدم الوليد بن يزيد فى خلافة هشام بن عبد الملك ليدفع بالناس فى الموسم وأقام عبد الله بن عروة بالعقيق ، حتى قيل : هذا ولى العهد[قدركم فى بركة مكة؟]فلقيه عبد الله وهو على ظهر الحرة،فلما نظر الوليدُ إلى قصور بنى أمية عَنْبَسة ابن سعيد ومروان بن سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر جعل يقول لعبد الله ابن عروة : لمن هذا ؟ فيخبره ، فلما نظر إلى قصر عُرْوة قال : لمن هذا ؟قال : هذا قصر عروة ، قال : عامر بن صالح فى قَصْر عُرْوَة و بئره :

حَبَّذَا القَصْرَ ذو الظِّلال وذو البئرِ ببَطْن العقيق ذَاتِ السَّقاة

ماء مُزْنٍ لم يبغ عُرْوَة فيها ... غير تقْوَى الإلهِ فى المقطعات

بمكانٍ من العقيق أنيس ... باردِ الظل طَيِّبِ الغُدُوَاتِ

وقال أيضا :

يا حَبَّذَا القَصْرُ لذى الإملاق ... ذو البئر بالوادى عليها الساقى

وقال أيضا :

ولقصر عروة ذو الظلال و بئره ... بشقا العقيق البارد الأفيَاء

أشهى إلىّ من العيون وأهلها ... والدور من لحلين والفرعاء

وقال جابر الزمعى فى بئر عُرْوَة :

يعرضها الآتى من الناس أهله ... ويجعله زادا له حين يذهب

وقال الزبير بن بكار : رأيت الخرّاج من المدينة إلى مكة وغيرها ممن يمر بالعقيق يخففون من الماء حتى يتزودوه من بئر عروة ، و إذا قدموا منها بماء يَقْدَمُون به على أهلهم يشربونه فى منازلهم عند مقدمهم .

وقال : ورأيت أبى يأمر به فيغلى ، ثم يجعل فى القوارير ثم يهديه إلى أمير المؤمنين هارون بالرقة .

وعن نوفل بن عمارة قال : لما بَنَتْ أمى قصرها أرسل إليها هشام بن عروة يقول : إنك نزلت بين الطيبين بئر عروة و بئر المغيرة بن الأخنس ، فأسألك برحمى إلا جعلت شرابك من بئر عروة ووضوءك من بئر المغيرة ، فكانت أمى لا تشرب إلا من بئر عروة ، ولا تتوضأ إلا من بئر المغيرة،حتى لقيت الله تعالى .

وعن مرزوق بن والاة[؟]أنه قال لهشام بن عروة : رأيت أن عينا من الجنة تصب فى بئر عروة .

وقال السَّرِىُّ بن عبد الرحمن الأنصارى :

كَفِنُونِى إن مُتُّ فى دِرْعِ أَرْوَى ... واسْتَقُوا لى من بئر عُرْوَةَ مائى

سخنة فى الشتاء باردة الصيـ ... ـف سِرَاج فى الليلة الظلماء

وقال على بن الجهم :

هـذا العقيق فَعَدِّ أيـ * دى العيسِ عن غلوائها

وإذا أصفت بـئر عُرْ * وَةَ فاسْقِـنِى من مائها

إنا وعيشـك ما ذمـ * نـا العيش فى أفنائها

قال المجد : إنه لم يَجِدْ من يعرف هذه البئر من أهل المدينة .

قلت : سيأتى فى قصر عاصم أن جماء تضارع مُشْرِفَةٌ على قصر عروة ، وتسيل إلى بئره .

وقال الأسدى : إن الميل الثالث من المدينة وراء بئر عروة بقليل ؛ فيظهر أنها البئر المطمومة اليوم على يمينك وأنت متوجه إلى ذى الحليفة إذا جاوزت الحصن المعروف بأبى هاشم بنحو ثلث ميل وقريب من الجماء .

قصر عاصم

قصر عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان ، وهو فى قبل الجماء جماء

تضارع المشرفة على قصر عروة وعلى الوادى يُوَاجه بئر عروة بن الزبير ، والجماء تسيل على قصر عاصم وعلى بئر عروة .

وكان عبد الله الجعفرى وعمر بن عبد الله بن عروة تعاونا فى هجاء قصر عاصم ، فقالا :

ألا يا قَصْرَ عاصم لو تُبِينُ   فتستعدى أمـــير المؤمنينِ
فتذكر ما لقيت من البـلايا   فقد لاقيت حزنا بعد حين
بنيت على طريق الناس طرا   يَسُبُّكَ كل ذى حسب ودين
ولم توضع على غمض فتخفى   ولم توضع على سهل ولـين
يرى فيك الدخان لغير شىء   فقد سميت خَـدَّاع العيون

فى أبيات آخرها :

قبيح الوجه منعقد الأواسى   خبيث الخلق مطرود بطـين

فاشترى عاصم قصة فطرّه بها وغرم فيه ألفى درهم ، وقال يرد عليهما :

بَنَوْا و بَنَيْتُ واتَّخذُوا قُصُوراً   فـــا سَاوَوْا بذلك ما بَنَيْتُ
بنيت على القـــرار وجانبوه   إلى رأس الشواهق واستويت
على أفعالهم وعلى بنـــاهم   علوت وكان مجدا قـد حويت
وتلك صلاصـــل قد فلستهم   وذاك وديهم فيها يمـــوت
فليس لعامـــل فيها طعام   وليس لضيفهم فيهـا مبيت

وقيل : البيتان الأخيران لزيد بن عاصم ، قال الزبير : وهو أشبه .

وصلاصل : أرض كانت لعروة بحرة بطحان ، ثم صارت لابنه يحيى ، فوقفها فى بنيه ، وكان يقال لها المقتربة ، فكانت فتاتان لبعض نساء بنيه تختصمان بها عند اجتناء الرطب ، و تضرب إحداهما الأخرى ، فغلب عليها اسم صلاصل لكثرة صلاصلهما بالخصومة ، وفيها يقول عروة :

مآثر أخوالى عدىّ ومازِنٍ * تخيرتهـا ، والله يعطى الرغائبا

فمن قال فيها قيل صدق فلم يقل   ومن قال فيها غيره كان كاذبا

ومر ابن أبي البداح - وكان أعلم الناس بالنخيل - على عُرْوة وهو يغرسها ألوانا، فقال له : إن كنتَ ولا بد غارسا فعليك بعذق ابن عامر ، فإنه ليس عذق أحسن للتنزه ولا أصبر على المالح منه .

قصر المغيرة

قصر أبي هاشم المغيرة بن أبي العاص و بئره - روى عنه الزبير : أنه قال : لما أردت أن أبني قصراً بالعقيق قلت : أبنيه بيتين ، ثم مضيت للنزهة العشرة الأيام وما أشبهها ، قال : فدخلت على مولاة لي فقالت : يا أبا هاشم ، أردتَ بناء قصر بالعقيق ؟ فقلت لها : نعم ، فقالت : ابْنِهِ على أنه لم يبن بالعقيق مُغِيرِي غيرك ، فبنيته هذا البناء ، وغرمت فيه غرما كبيرا ، قال : وهو القصر الذي يعرف بقصر بنت المرازقي .

وعن عبد الله بن ذَكْوَانَ قال : كانت بنو أمية تجري في الديوان ورقا على من يقوم على حوض مروان بن الحكم بالعقيق ، في مصلحته وفيما يصلح بئر المغيرة من علقها ودلائها .

قال : ومر هشام بن عبد الملك وهو يريد المدينة بجر هشام بن إسماعيل بالرابع فقيل له : يا أمير المؤمنين ، جر جدك هشام ، فأمر بمصلحتها وما يقيمها من بيت المال ، فكانت توضع هنالك جرار أربع يسقي منهن الناس ، وسيأتي ذكر الرابع في شعر في القصر الآتي .

قصر عنبسة ابن عثمان ابن عفان

قصر عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهو إلى جنب الجَمّاء بعد أن تجاوز المصعد تريد البطحاء ، وهو الذي قيل فيه :

يا قصر عَنْبَسَةَ الذي بالرابع   لا زلْتَ تُؤْهَلُ بالْحَيَا المتتابع

فلقد بنيت على الوطاء ، و بنيت   تلك القصور على رُبًا ورفائع

يارب نعمة ليلة قد بتها   بفنائك الحسن المنيف الواسع

وقال شاعرهم :

خذل ابن عنبسة بن عمرو وعده   وكذبت حين أقول مالم يفعل

وبنى قصيرا بالعقيق ملعنا لا بالكريم ولا جميل المدخل

ودعا المهندس فاختفى فى جوفه بئرا فأنبطها كطعم الحنظل

قصر عنبسة ابن سعيد ابن العاص

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص بالعقيق الصغير — ركب هشام بن عبد الملك ومعه عَنْبَسة بن سعيد ، فمر بموضع قصر عنبسة ، فقال : نعم موضع القصر يا أبا خالد ، قد أقطعته لك ، قال : يا أمير المؤمنين مَنْ يقوى على هذا ؟ قال : فإنى أعينك فيه بعشرين ألفَ دينار ، فدفعها عنبسة إلى ابنه عبد الله وقال : إنك أنزلت بين الأشياخ ، فانظر كيف تبنى ؟ وكان أول من قارب بين القصور ، ونزل إلى جنب عبد الله بن عامر ، فلما فرغ من القصر بنى ضفاثره بالآجر المطبق ، فقال له عنبسة : أما علمتَ أن متنزهى أهل المدينة يدقون عليه العظام ، ابنِه بالحجارة المطابقة ، ففعل ، و بعث إليه هشام بأربعين بُخْتيا ، فكان ينضح عليها فى مزارعه وصهريجه .

قلت : ولعل الموضع المعروف اليوم بالعنابس مزارع عنبسة هذا .

وعن بعض ولد عنبسة قال : بينا عبد الله بن عنبسة نائم فى قاعة القصر ، وعنده خصى يذبُّ عنه ، وكان له غلام صُغْدى يسقيهم الماء ، فدخل فرآه نائما ، فنزع القربة وشد عليه بخنجر كان معه ، وثار الخصى يحول بينهما ، فقتل الخصى ، وانتَبَه عبد الله واتقاه بوسادة ، وتداعى عليه أهل القصر وأخذوه ، وأمر به عبد الله فقتل وصلب بفناء القصر .

وكان قصر عنبسة فيما أُخِذَ من أموال بنى أمية ، ثم رد على ابن عنبسة .

وكان جعفر بن سليمان إذ كان والياً بالمدينة نزله ، وابتنى إليه أرباضا ، وأسكنها حَشَمه ، ثم تحول منه إلى العرصة فابتنى بها وسكنها حتى عزل فخرج منها ، ولذلك يقول ابن المزكى :

أوحشت الجماء من جَعْفَرٍ وطالما كانت به تُعْمَرُ

كم صارخٍ يدعو وذى كُرْبَةٍ يا جَعْفَرَ الخيراتِ يا جعفر

أنت الذى أحييت بذل الندى　　وكان قد مات فلا يذكر
ثم ابعباس وصىّ الهدى　　ومن به فى المحل يُسْتَمْطر

وقال شاعر :

إنى مررت على العقيق وأهله　　يشكون من مطر الربيع نزُورَا
ما ضركم أن كان جعفر جاركم　　أن لا يكون عقيقكم ممطورا

وقال محمد بن الضحاك : خرج أبى وابن عبد الله بن عَنْبَسة فى جماعة من لِدَتِهِمْ إلى قصر عنبسة بالعقيق الصغير ، وخرج بى أبى معهم وأنا حَدَثُ السن ، ونحروا جزُورا ، فجعلوا يمزحون به فيما بينهم ، يقول هذا بيتا وهذا بيتا ، فكان مما حفظت من ذلك قولُ أحدهم :

حبذا ثم حبذا　　فى قصر ابن عنبسه
ولمات تجمعوا　　وجَزور مُكَرْدَسَه
والتواليدُ عندنا　　كالرباط المورّسَهْ

قصر أبى بكر الزبيرى المعروف بالمستقر

قصر أبى بكر بن عبد الله بن مصعب الزبيرى الذى يعرف بالمستقر ـ اشتراهُ وهو بيت أو بيتان ، فهدم ذلك ، و بناه قصرا ، ففيه يقول القائل :

يا قصر لو كان خالداً أحد　　بالجود والمجد كان مولاكا
ولو تفدي المنون ذا كرم　　كان أبو بكر الندى ذاكا

وفيه يقول أيضاً حين بيع فى تركة أبى بكر :

أوْحَشَ المستَقَرُّ بعد أبى بكر فأضحى ينوح فى كل حين
بعد عز وبهجة وبهاء　　تاه [يوما] به على الثقلين
فاعذروه يا هؤلا ؛ إن ذا الشجو ليجرى دموعه من معين

قصر عبد الله ابن أبى بكر العثمانى

قصر عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن عثمان بن عفان ـ قال محمد بن معاوية : كنت أنا ومحمد بن عبد الله البكرى ـ وكان قاضيا على المدينة ـ متنزهين بالعقيق فى قصر ابن بكير ، فكتب محمد بن عبد الله فى الجدار :

أين أهل العقيق أين قريش   أين عبد العزيز وابن بكير

* وَلَوَ أنَّ الزمان خلد حيا *

ثم كتب تحته : من أتم هذا النصف فله سبق ، قال: فتنزه عمر بن عبد الله بن نافع فى قصر ابن بكير ، فقرأ الكتابة ، فأتم النصف ، فكتب :

* كان فيه يخلد ابن الزبير *

قال محمد بن معاوية : فعاد محمد بن عبدالله للنزهة ، فوجد البيت قد أتم ، فسأل من أتمه ، فقلت له : عمر بن عبد الله ، فقال : لو كنت أكمله وفيت له بسبقه ، أحسن وصدق.

وكان عمر بن عبد الله له هاجرا .

وستأتى قصور أخرى فى الجمّاوات ، قال أبو على الهجرى : إن سيل الوادى يُفْضِى إلى الشجرة التى بها مُحْرَمُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يلى ذلك مزارع أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، ثم تتابع القصور يَمْنَةً ويَسْرَةً بها منازل الأشراف فيها يبتدئون ، منها منازل عن يمين الجائى من مكة بسفح عير .

جملة من القصور والآبار

ومنها قصر لإسحاق بن أيوب المخزومى ، وقصر لإبراهيم بن هشام ، وقصر لآل طلحة بن عمر بن عبيد الله ، ومنازل أسفل منها عن يمين الطريق أيضاً لآل سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، ووجاه ذلك فى قبالة جماء تضارع منازل لعبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يليها منازل لعبد الله بن بكير ابن عمرو بن عثمان ، وهو قصر ظاهر بن يحيى ومنازل ولده .

ووجاهها فى صير حرة الوبرة مزارع عروة بن الزبير و بئره ، وأسفل منها البئر التى تعرف ببئر المغيرة بن أبى العاص ، وأسفل منها بئر زياد بن عبد الله المَدّانى وحوضها ، وضفاثر قصر مراجل والزبيني قصر سكينة بنت حسين ، وقصور فوق الزبينى لإسحاق بن أيوب متتابعة ، وفوقها قصور كثيرة لغير واحد ، ثم قصور ابنة المرازقى الزهرية ، ثم منازل جعفر بن إبراهيم الجعفرى ، ثم يُفْضى إلى

بئر رومة ، وقصور كثيرة يَمْنة و يَسْرة منها قصور عبد الله بن سعيد بن العاص ، و ببطن الوادى بئار لعبد الله بن على بن عبد الله بن العباس والقصور يمنة و يسرة .

ثم ذكر ما بالعرصة من القصور ، وقال : ثم يُفْضِى ذلك إلى الجرف ، وفيه سقاية سليمان بن عبد الملك ، وهى على ميمنة من خرج إلى السلام يعسكر بها الخارج من المدينة إليها ، ثم الزغابة و بها مزارع وقصور أيضاً ، انتهى .

الفصل الثالث

فى العرصة وقصورها ، وشىء مما قيل فيها وفى العقيق من الشعر

قصر خارجة

قصر خارجة ـ روى ابن زبالة أن بنى أمية كانوا يمنعون البناء فى العرصة حيالها ، وأن سلطان المدينة لم يقطع فيها قطيعة إلا بإذن الخليفة حتى خرج خارجة ابن حمزة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام إلى الوليد بن عبد الملك ، فسأله أن يقطعه موضع قصر فيها ، فكتب إلى عامله بالمدينة أن أقْطِعْهُ موضع قصر فيها وألحقه بالسواد ، أى الحرة ، فلم يزل بأيديهم حتى صار ليحيى بن عبد الله بن حسين ابن على بن حسين .

قصر عبد الله بن عامر

قصر عبد الله بن عامر برومة ـ قال الواقدى : إنه بَنَاه هناك من أول ما بنى بذلك العقيق إلا قصرا بعَرْصَة البقل ، ولما قتل أهل الحرة وعسكر مشرف بالجرف أمر بالعسكر ، فحول إلى عرصة البقل ، وأمر بالأسرى فحبسوا هناك .

وقال ابن أبى عوف : إنه بعد أن نهب المدينة خرج إلى قصر ابن عامر ، وقتل من قتل .

قصر مروان

قصر مروان بن الحكم ـ روى الزبير أن مروان ابتنى بعرصة البقل ، واحتفر وضرب لها عينا فازدرع .

قصر سعيد ابن العاص

قصر سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، أحد مشاهير الأجواد

ـ ابتنى سعيد بالعرصة قصرا فى سرتها ، واحتفر بها ، وغرس النخل والبساتين ، وكان نخلها أبكر شىء بالمدينة ، وكانت تسمى عرصة الماء .

وعن يحيى بن كعب مولى سعيد قال : كان نخل سعيد بالعرصة لا يطير حمامها ، وكانت فيها بثار ثلاث ، العليا منهن اليمانية تدعى الشمردلية ، والتى تليها أسفل منها تدعى الواسطية ، قال : وأنسيتُ السفلى ، و بنى بالعرصة عند نخله قصره الذى يقول فيه أبو قطيفة عمر بن الوليد بن عقبة :

والقَصْرُ ذو النخل فَالجَمَّاء بينهما أشهى إلى النفس من أبواب جَيْرُونِ

وقال الهجرى : ثم يُفضِى ـ يعنى سيل العقيق ـ إلى العرصة عرصة البقل ، وعرصة الماء ، وعرصة جعفر بن سليمان بقبل الجماء العاقر مرتفعة فى حصن الجبل . و بالعرصة الكبرى قصرى سعيد بن العاص الذى امتدحه الشاعر بقوله ، وذكر البيت المتقدم .

والذى ذكره الزبير وغيره أن قصر سعيد بعرصة الماء ـ وهى العرصة الصغرى ـ لأنهم قالوا : وفى عرصة الماء يقول داود بن سَلْم :

أبْرَزْتَهَا كالقمر الزاهر فى عصفر كالشرر الطائر
بالعَرْصة الصغرى إلى موعد بين خليج الواد والظاهر

قالوا : إنما قال لها العرصة الصغرى لأن العقيق الكبير ينيفها من أحد جانبيها ، و ينيفها عرصة البقل من الجانب الآخر ، وتختلط عرصة البقل بالجرف فيتسع ، والخليج الذى ذكر خليج سعيد بن العاص ، انتهى ؛ فالعرصة الكبرى هى عرصة البقل ، والصغرى هى عرصة الماء ، فهى عرصة سعيد بن العاص ، وأظنها التى فيها البناء المعروف اليوم بعقد الأرقطية ، ولعله قصر سعيد بن العاص وموضع آباره و بستانه فيما يليه ، و يلى ذلك عرصة البقل لجهة بئر رومة .

وقال فضالة بن عثمان : لما حضر سعيدا الموت قال لابنه عمرو وهو الأشدق : أوصيك بثلاث: علىّ دين عظيم ، فأكثر فيه مالى حتى تؤديه ،وانظر إخوانى فإن

فَقَدُوا وجهي فلا يفقدوا معروفى ، ولا تزوج بناتى إلا فى الأكفاء ، ثم مات ، فركب عمرو إلى معاوية ، فقال الحاجب له : عمرو بالباب ، فقال معاوية : هَلَكَ والله سعيد ، فأدخله ، فنعى له سعيدا وأخبره بوصيته ، فقال : نحن قاضون عنه الدين قال : إنما أوصى إلىّ أن يكون من صُلْبِ ماله ، فقال : بِعْنِي بعض ضِياعه ، و إلى أكره إحْنَ صَدْرِ مروان وذويه من قريش بقضاء دين أبيك ، فباعه العرصة بألف ألف ، فقالت قريش : أيخدع معاوية نفسه أو يكيدنا ؟ وقال مروان : يا أمير المؤمنين مادون الله يد تحجزك عن هواك ، ولنحن أهون عليك فيما تريد ، فعلام تخدع نحلك وتكيدها ؟ هلا جعلت ما أعطيت عمرا صِلَةً ؟ فقال : إنك عاديت سعيدا حيا وميتا ، وما بلغ من إثمانى لضيعته مكيدة قريش ، ولقد علمت قريش أنى أحفظ الميت فى الحى وأصل الحى للميت ، ولهو خير لكم أن أكون كذلك ، فأخذ عمرو المالَ ، فأتى به المدينة فقضى دين أبيه ، ثم أمر بأخوال أبيه فدخلوا عليه ، فوصَلَهم ، ثم أدخل إخوانه ، فوقع الشر بينه و بين مروان ومروان خاله ، فقال :

يُكَايِدُنَا معاويةُ بن حَرْبٍ ولسنا جاهلين بما يكيد

فى أبيات بلغت معاوية ، فأنشد :

ألا لله دَرُّ غُواة فِهرٍ أريدُ سوى الذى فهرٌ تريد
أرانى كلما أخلقتُ ضغنا أتانى منهمُ ضغنٌ جديد

فى أبيات ، قال الزبير : ولم يصح عندى الشعرانِ .

وروى عن سعيد أنه قال لابنه : إن منزلى هذا بالعرصة ليس من العقد ، إنما هو منزل نزهة ، فبِعْهُ من معاوية ، واُقْضِ دينى ومواعيدى ، ولا تقبل من معاوية قضاء دينى .

وعن نوفل بن عمارة أن سعيدا قال لابنه : إنى مُوصِيك بأربع ، لا تنقلنى

من موضعى ـ يعنى قصره ـ حتى أموت فيه ؛ فإنه أحب المواضع إلىّ ، وقليل لى من قومى فى برى بهم أن يحملونى على رقابهم إلى موضع قبرى ، وذكر الوصايا الثلاث المتقدمة ؛ فلما توفى حَمَلَه رجال قريش حتى دفنوه بالبقيع ، وقصره على ثلاثة أميال من المدينة ، ثم رحل ابنه إلى معاوية ، فدخل وهو أشْعَث ، فقال له معاوية : مابالك ؟ قال : هَلَكَ أبو عثمان ، فترحَّم عليه ، ثم قال : حاجَتكَ فذكر وصاياه ، فسأله عن دينه ، فقال : ثلاثة آلاف ألف ، قال : هو علىّ ، قال : إنه أمرنى أن لا يكون إلا من صُلْب ماله ، قال : فبِعْنِي ، قال : بعتك العَرْصَة ، قال : قد أخذت القصر بألف ألف ، والنخيل بألف ألف ، والمزارع بألف ألف ، ثم قال : يا أهل الشام ، اكْتُبُوا عليه لئلا يَنْدَم ، وفى رواية أنه قال : أمرنى أن أبيع فى دينه ما استباع من أمواله ، قال معاوية : فعرضنى ماشئت قال : أنفسها وأحبهـــا إلينا منزله بالعَرْصة ، فقال : هيهات لايبيعونه ، انظر غيره ، قال : تحب تعجيل قضاء دينه ؟ قال : قد أخذته بثلثمائة ألف ، قال : اجعلها بالوافية يعنى الدرهم زنة المثقال ، قال : قدفعلت ، قال : و تحملها إلى المدينة قال : ونفعل ، فقدم عمرو فجعل يفرقها فى الديوان ، ويحاسبهم بما بين الدراهم الوافية وهى البغلية والدراهم الجواز ، حتى أتاه فتى من قريش بذكر حق له من أديم فيه عشرون ألف درهم بخط مولى لسعيد وشهادة سعيد على نفسه ، فعرف الخط وأنكر أن يكون لذلك الفتى الصعلوك ذلك ، فقال : ماسببُ مالك ؟ قال : رأيته وهو معزول وهو يمشي وَحْده ، فمشيت معه لباب داره ، فوقَفَ وقال : هل لك حاجة ؟ قلت : رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك ، فقال : وصَلَتْكَ رحم ، يعنى قطعةأديم ، فأتيته بهذه القطعة ، فكتب غلامه هذا الكتاب وفيه شهادته ، ثم قال: يا ابن أخى ، ليس عندنا اليوم شىء ، فخذ هذا الكتاب ، فقال عمرو : لاجَرَمَ لا يأخذها إلا وافية ، ودفعها إليه بَغْلية .

ولما أصفت العرصتان عن بنى أمية استقطع خنجر ـ وهو كثير بن العباس

ابن محمد ـ عرصة سعيد بن العاص ، فأقطعه إياها أبو العباس المنصور ، فقال زياد ابن عبد الله الحارثى ـ وكان واليا على المدينة ـ بخ بخ ياخنجر ، صارت لك عرصة سعيد ، فقال : وما ينكر من ذلك ؟ فأعجب منه دار معاوية بن سفيان بالبلاط لزياد بن أم زياد ، واقتطع السلطان فى سلطان بنى هاشم فى العرصة،وابتنوا عرصة الماء ، وفى ذلك يقول ذؤيب الأسلمى :

قد أقر الله عينى بغزال يا ابن عون

طاف من وادى دجيل بفتًى طَلْق اليدين

بين أعلى عرصة الما ء إلى قصر زبين

فقضانى فى منامى كل موعود ودين

وفيها يقول أبو الأبيض سهل [بن أبى كثير] :

قلت من أنت فقالت بكرة من بكرات

ترتعى نبت الخزامى تحت تلك الشجرات

حبذا العرصة ليلا فى ليال مقمرات

طاب ذاك العيش عَيْشاً وحديث الفتيات

ذاك عيشى أشتهيه وحديثى مع لمات

وفيها يقول بعض المدنيين :

وبالعرصة البيضاء إن زرت أهلها مَهاً مهملات ما عليهن سائس

يدرن إذا ما الشمس لم يخش حرها خلال بساتين خَلاَهن يابس

إذا الحر آذاهن لذن ببحرة كما لاذ بالظل الظباء الكوانس

وقال عامر بن صالح فى العرصتين :

أهوى البلاط فجانبيه كليهما فالعرصتين إلى نخيل قباء

وقال حكيم بن عكرمة الديلى فيهما وفى العقيق وجوانب المدينة :

لعمرك لَلْبَلَاطُ وجانبـــاه وحرة واقِمٍ ذات المنـــار
فجماء العقيـــق فعرصتاه فمفضى السيل من تلك الحرار
إلى أحد مدى حرض فبنى قبـاب الحى من كنفى صرار
أحبّ إلى من ريح وبصرى بلا شك على ولا تمـــارى
ومن قريات حمص وبعلبك لَوَ انّى كنت أجعل بالخيـار

وفيهما وفى العقيق يقول الوليد بن زيد :

لم أنس بالعرصتين مجلسنا بالسفح بين العقيق والسند

وقال عبد الله بن مصعب فى ذلك وفى الصلصل :

أشرف على ظهر القُدَيمة هل ترى برقا سرى فى عارض متهلل
نضح العقيق فبطن طيبة موهنا ثم استمر يؤم فضل الصلصل
فـكأنما ولعت مخائل برقه بمعالم الأحبـــاب ليست تأتلى
فالعرصتين فسفح عـير فالربا من بطن خاخ ذى المحل الأشهل

وقال سعيد المساحقى فى ذلك [وهو] ببغداد ، وذكر أنه ابتلى بعد أخيه بمحادثة غلامه زاهر :

أرى زاهرا لما رأى من تَوَحُّشِى وأن ليس لى من أهل ودى زائر
فظل يعاطينى الحديث وإننـــا لمختلفان حين تبـــلى السرائر
يحدثنى مما يجمِّعُ عقـــله أحاديثَ منهـا مستقيم وجائر
وما كنت أخشى أن أرانىَ راضياً يُعَلِّلُنِى بعـــد الأحبة زاهر
وبعد المصلى والبلاط وأهله وبعد العقيق حيث يحلو التزاور
إذا اعشوشبت قُرْيَانُه وتزينت عراص بهـا نبت أنيق وزاهر

وقال أيضاً :

ألا قل لعـــبد الله إما لقيته   وقل لابن صفوان على النأى والبعد

ألم تعلمــــا أن المصلى مكانه   وأن العقيق ذا الظلال وذا الورد

وأن رياض العرصتين تزينت   بنوارها المصفر والأشكل الوردى

وأن بهـــا لو تعلمان أصائلا   وليلا رقيقا مثل حاشية البرد

وأن غدير اللابتــين مكانه   وأن طريق المسجدين على العهد

فهـــل منكما مستأذن فمسلم   على وطن أو جاذب لذوى الود

فما العيش إلا مايسر بهالــفتى   إذا لم يجد يوما سبيل ذوى الرشد

فأجابه عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان :

أتانى كتاب من سعيد فشاقنى   وزاد غرامَ القلب جهدا على جهد

وأذرى دموع العين حتى كأنما   بها رمد عنـــه المراود لاتُجْدِى

بأن رياض العرصتين تزينت   وأن المصـلى والبلاط على العهد

وان غـــدير اللابتين ونبته   له أرج كالمسك فى عنبر الهند

فكدت لما أضمرت من لاعج الهوى   ووجد بما قد قال أقضى من الوجد

وقال إبراهيم بن موسى الزبيرى:

ليت شعرى هل العقيق فسلع   فقصور الجمـــاء فالعرصتان

فإلى مسجد الرسول فما حا   ز المصـــلى فجانبا بطحان

فبنو مازن على العهـد أم ليـــس كعهدى فى سالف الأزمان

وأنشد عبد السلام بن يوسف وهو فى غاية العذوبة :

على سا كنى بطن العقيق سلامُ   و إن أسْهَرُونى بالفـراق وَنَامُوا

حظرتم علىّ النوم وهو محلل   وحللتم التعذيب وهو حـرام

إذا بنتمُ عن حاجر وحجرتم   على السمع أن يدنو إليه كلام

فلا مَيَّلَتْ ريح الصبا فرع بانة ... ولا سجعت فوق الغصون حمام

ولا قهقهت فيه الرعود، ولا بكى ... على حافتيه بالعشىّ غمـــام

فمـــالى ومالِلربع قد بان أهله ... وقد قوضت من ساكنيه خيام

ألا ليت شعرى هل إلى الرمل عودة ... وهـــل لى بتلك البانتين لمام

وهل نهلة من بئر عروة عذبة ... أداوى بهــــا قلبا براهُ أوام

ألا يا حمامات الأراك إليكمُ ... فما لى فى تغريدكن مَرَام

فوجدى وشوقى مسعد ومؤانس ... ونوحى ودمعى مطرب ومدام

وقال أعرابى :

أيا سَرْحَتَىْ وادى العقيق سُقيتما ... حَياً غضة الأنفاس طيبة الورد

ترويكما مج الـــثرى ، وتغلغلت ... عروقكما تحت الندى فى ثرى جعد

ولا يهنين ظلاكما أن تباعدت ... بى الدار من يرجو ظلالـكما بعدى

وعن محمد الزهرى قال : ركب عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وعبد الله ابن حسن بن حسن ومحمد بن جعفر بن محمد على بغلاتٍ لهم ، حتى إذا كانوا بالعقيق أصابهم المطر ، وهنالك سَرْحَة عظيمة ، فدخلوا تحتها ، فقال عبد العزيز ابن عمر :

خبرينا ياسَرْحَ ـخصصت بالغيـــث ـ بصدق فالصدق فيـه شفاء

هل يموت المحب من لاعج الحـــب ويشفى من الحبيب اللقاء

ثم إن السماء أقلعت ، فساروا ساعـة ، ثم رجعوا للسَّرْحة فإذا فى أصلها كتاب فيه :

إن جهلا سؤالك السرح عما ... ليس يوما به عليك خفـــاء

فاستمع تخبر اليقين وهـــل يشـــفى من الشك نفسك الأنباء

ليس للعاشق المحب من الحـــب سوى رؤية الحبيب شـــفاء

وعن رجل من الأنصار أنه كان نازلا تحت سَرْحَة ببطن العقيق إذ وقف عليه ابن عمر ، فسلم، ثم قال : مَنْ دَلَّك عليها ؟ قال : الذى دَلَّك عليها ، قال ابن عمر : فهل تدرى لم يستحب ظلال السرح ؟ قال الرجل : إنه ظَلِيل ، وليس له شوك ، قال ابن عمر : ولغيره ، أرأيت إذا كنت بين الأخشبين من مِنًى فإن بينك و بين مطلع الشمس واديا يقال له وادى سرر ، سُرَّ به سبعون نبيا ، وقد سر نبي منهم تحت سرحة فدعا للسرح ، فهى لا تقيل كما يقيل الشجر [؟] .

وعن محمد بن معن الغفارى قال : أراد محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أن يخرج إلى مكة ، فذكر ذلك لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، قال له عبد العزيز : هل لك أن تَقِيلَ عندى أنت وأصحابك ثم تروحون من عندنا وهو بالبطحان فى قصر عمر بن عبد العزيز ؟ فقال محمد : نعم ، فهيأ لهم نزلا ، فقال محمد : ما بقى شىء يبر به أحد أحدا إلا وقد أنزلتناه إلا طعام البادية ، قال : وما هو ؟ قال : التمر والزبد ، قال : أما الغنم فإنها لعاصم بنت سفيان بن عاصم بن عبد العزيز ، يعنى امرأته ، ولست مقدما على شىء منها إلا بإذنها ، ولكنى سأستطعمها لكم ، وكتب إليها :

إن عندى فَدَتْكِ نفسى ضُيُوفاً واجبٌ حقُّهم كُهُولاً ومُرْدَا
عمدوا جارك الذى كان قدما لا يرى من كرامة الضيف بدا
فلديه أضيافه قد قَرَاهم وهو يشتهون تمرا وزبدا
فلهذا جرى الحديث ، ولكن قد جعلنا بعض المزاحة جدا

فقال له محمد : مازال هذا العيش بينكما ، قال : نعم والله مامسست غيرها ، ولا احتلمت بغيرها قط ، ولا خالفتها فى شىء هويته قط ، فبعثتْ إليهم بتمر وزبد .

وعن عبد العزيز بن أبى حازم قال : كان عروة بن الزبير قائما بفناء قصره نصف النهار ، إذ أقبل شيخ من أهل المدينة معه حمام ، فوقف عند الميل ، فمسح

حمامه ، وسوّى ريشه ثم أرسله ، ثم أقبل على بئر عروة فشرب من مائها ، فقال له عروة : جئت فى مثل هذه الساعة كأنك صبى ، فأرسلت حماما ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيطان يتبعه شيطان » فقال الشيخ :

ياخليـلى لا تكلم   ليس فيه من ملام

وعن عبد العزيز بن عبد الله قال : بينا أنا بالعقيق إذ أقبل رجل له موضع يحمل حماما ، فقلت له : مثلك يحمل هذا الحمام ؟ ولا أراك إلا قد راهنت به ، قال : أجل ، وما فى ذلك ؟ قلت : إنه حرام ، قال : فهذه الخيل يُرَاهَنُ بها ، قلت : تلك سنة ، قال : وهذه رعلة ، ثم انصرف ، انتهى .

والرعلة : نوع من تمر المدينة ، وكذا السنة ، فحمل السنة على ذلك .

الفصـــــل الرابع

فى جَمَاواته ، وأرض الشجرة ، وثنية الشريد وغيرها من جهاته

نقل ابن زبالة وغيره أن الجماوات ثلاث :

جماء تضارع

الأولى : جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم و بئر عروة ، وقال الهجرى : أول الجماوات جماء تضارع التى تسيل على قصر عاصم وهو منزل أبى القاسم طاهر ابن يحيى وولده ، وفيها يقول أُحَيْحَةُ بن الجُلاَح :

إنى والمَشْعَرِ الحرام وما   حَجَّتْ قريشٌ له وما نحروا
لا آخذ الخطة الدنيَّة ما   دام يُرَى من تضارع حَجَرُ

وتحته المكيمن مكيمن الجماء(١) .

وعن محمد بن إبراهيم مرفوعاً : إذا سالَتْ تضارع فهو عام ربيع .

وروى ابن شبة حديث « لا تسيل تضارع إلا عام ربيع » قال : وتضارع الجبل الذى بسفحه قصر ابن بكير العثمانى ، وقصور عبد العزيز بن عبد الله العثمانى على ثلاثة أميال من المدينة ، على يمين الذاهب إلى مكة .

---

(١) فى الأصول « مكين » محرفا ؛ وصوابه عن ياقوت .

قلت : هذا الجبل هو الذى يقابلك وأنت بالمدرج تريد مكة ، فإذا استبطنت العقيق صار عن يمينك ، والجبل المعروف بمكيمن الجماء متصل به ، آخذ منه على يمين الذاهب أيضاً .

جماء أم خالد

الثانية: جماء أم خالد التى تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفرى وما والاه، وفى أصلها بيوت الأشعث ، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلى ، وفيفاء الخَبَار من جماء أم خالد ، قاله الزبير .

ونقل ابن شبة عن عبد العزيز بن عمران نحوه ، إلا أنه قال : فى أصلها بيوت الأشعث وفيفاء الخبار ، و بينها و بين جماء العاقر طريق من ناحية بئر رومة وفيفاء الخبار من جماء أم خالد فى مَهَبِّ الشمال من الأولى مما يلى مسيل وادى العقيق منحدرا ، وفيفاء الخبار منهما .

وقال المجد : فى أصل جماء أم خالد جبل يقال له سفر كما سيأتى فى ترجمته .

روى الزبير عن موسى بن محمد عن أبيه قال : وجد قبر آدمى على رأس جماء أم خالد مكتوب فيه : أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية .

وعن ابن شهاب قال : وجد قبر على جماء أم خالد أربعون ذراعا فى أربعين ذراعا ، مكتوب فى حجر فيه : أنا عبد الله من أهل نِينَوَى رسولُ رسولِ الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه القرية ، فأدركنى الموت ، فأوصيت أن أدفن فى جماء أم خالد .

قال عبد العزيز بن عمران : نينوى موضعان : أحدهما من أرض السواد بالطف حيث قتل الحسين رضى الله تعالى عنه . والآخر قرية بالموصل ، وهى التى فيها يونس النبى صلى الله عليه وسلم ، ولسنا ندرى أى الموضعين عَنَى . وتقدم فى أوائل الباب الثالث روايتان جاءتا فى ذلك قال فى إحداهما : فإذا فيه « أنا عبدالله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل قرى عرينة »

وقال فى الأخرى « و إذا فيه أنا عبد الله رسول نبى الله سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، وأنا يومئذ على الشمال » .

جماء العاقر (العاقل)

الثالثة جماء العاقر — بالراء كما فى كتاب ابن شبة وغيره ، وفى بعض نسخ ابن زبالة والهجرى ومعارف العقيق للزبير باللام — قال ابن شبة ، عقب ما تقدم عنه : وجماء العاقر الجبلُ الذى خلفه المشاش ، و إليه قصور جعفر بن سليمان بن على بالعرصة ، وقال الهجرى : الثالثة جماء العاقل ، فيها طريق إلى جماء أم خالد ، تسيل على قصور جعفر بن سليمان ، خلفها المشاش وهو وادٍ يصبُّ فى العرصة ، وقال الزبير : جماء العاقل طريقٌ بينها و بين جماء أم خالد خلفها المشاش .

وفى المشاش يقول عُرْوة بن أذَيْنَةَ :

إذ جرى شعب المشاش بهم ... وعضيف تلـــة الرخمة [؟]

ومنَ البطحاء قـد نزلوا ... دارَ زيدٍ فوقهـا العجمة [؟]

وأورد ابن زبالة هنا حديث « لا تقوم الساعة حتى يقتل رجلان موضع فسطاطيها فى قبل الجماء » وحديث « نعم الجماء المنزل لولا كثرة الأساود » . وقد قدمنا فى الفصل الأول نحوه فى العرصة ، وقدمنا ماجاء فى ذى الحليفة و بطحانها والمعرس ومسجد الشجرة ، وروى البيهقى فى المعرفة عن الشافعى قال : كان سعيد ابن زيد وأبو هريرة يكونان بالسحر على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة و يَدَعانها .

وروى الزبير عن نافع أنه لما استصرخ على سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل يوم الجمعة بعدما ارتفع الضحى أتاه ابن عمر بالعقيق ، وترك الجمعة.

وعن العَلاَء بن عبد الرحمن عن أبيه أن أرْوَى بنتَ أويس أسعدت مروان ابن الحكم على سعيد بن زيد فى أرضه بالشجرة ، فقالت : إنه أدخل ضفيرتى فى أرضه ، فقال : كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من اقْتَطَعَ شبراً من الأرض طُوِّقه من سبع أرَضِينَ يوم القيامة » ؟ وترك لها سعيد

ما أَدَّعَتْ ، وقال : اللهم إن كانت أروى ظلمتنى فأَعْمِ بَصَرَها ، واجعل قبرها فى بئرها ، فعميت أَرْوَى ، وجاء سيل فأبدى عن ضفيرتها خارجا عن حق سعيد ، فأقْسَمَ سعيدٌ على مروان ليركَبَنَّ معه و ينظر إلى ضفيرتها ، فركب والناس حتى نظروا إليها، ثم إن أروى خرجَتْ لبعض حاجتها فوقعت فى البئر فماتت.

وفى رواية أنها سألت سعيدًا أن يَدْعُوَ لها ، وقالت : إنى ظلمتك ، فقال : لا أردُّ على الله شيئًا أعطانيه .

قال إبراهيم بن حمزة : وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض فيقول : أعماك الله كما أعمى أروى ، يريدونها ، ثم صار الجهال يقولون : أعماك الله كما أعمى الأروى ، يعنون أروى الجِبَالِ ، يظنونها شديدة العمى .

وفى رواية أن سعيدا قال : اللهم إن كانت أَرْوَى كاذبة فلا تخرجها من الدنيا حتى تعمى ، وتجعل منيتها فى بئرها ، فعميت ، فكانت لها جارية تخرج بها تَقُودها ، فتقول لها : أخبرينى ما يعمل العمال ، فتخبرها ، فتقول لهم : أنتم تفعلون كذا وكذا ، وتصيح عليهم ، فغفلت الجارية عنها يوما ، فخرجت إلى العمال فوقَعَتْ فى بئرها فماتت ، فلذلك يقولون : عمى أَرْوَى .

وعن يحيى بن موسى قال : كان أبو هريرة نَزَلَ الشجرة قبل أن تكون مزدَرَعاً ، فمرّ به مروان وقد استعمله معاوية على المدينة فقال : مالى أراك ههنا ؟ قال : نزلت هذه البرية مع أبى أصلى فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة ، فأقطعه مروان أرضه وضفرها له ، فتصدق بها أبو هريرة على ولده ، ولم يزل العقيق نخلا حتى عملت العيون .

ثنية الشريد

ونقل ابن زبالة أن ثنية الشريد كانت لرجل من بنى سُلَيم كان بقية أهل بيته ،فقيل له : الشريد ، وكانت أعنابا ونخلا لم يُرَ مثلها ، فقدم معاوية المدينة ، فطلبها منه ، فأبى ، ثم ركب يوما فوجَدَ عماله فى الشمس،فقال : مالكم ؟ فقالوا:

نسجم البثار ، فركب إلى معاوية فقال : يا أمير المؤمنين إنه لم يزل فى نفسى منعى إياك ماطلبت منى ، فهو لك بما أردت ، فكتب إلى ابن أبى أحمد أن يدفع إليه الثمن ، قال : وسمتهم يكثرونه جدا ، فقال له ابن أبى أحمد : إن أمير المؤمنين لم يَسُمْكَ بها وهى على هذه الحال ، فقال : إنى رجوت حين صار امرى إليك التيسير على ، فدفع إليه الثمن .

ومزارع ثنية الشريد من أرض الحرمين إلى أرض المنصور بن إبراهيم ، وقال المجرى : إن سيل العقيق يُفْضِي إلى ثنية الشريد ، وبها منازل و بثار كثيرة ، وهى ذات عضاهٍ وآكام ، تُنْبِتُ ضروبا من الكلأ ، صالحة للمال، تحف الثنية شرق عير الوادى وغربى جبل يقال له الفراء ، ثم يُفْضى إلى الشجرة التى بها المحرم والمعرس

وقال ابن النجار عن أهل السير : إن النبى صلى الله عليه وسلم ولى العقيق لرجل اسمه هيصم المزنى ، وأن وُلاة المدينة لم يزالوا يولُّون عليه ، حتى كان داود ابن عيسى فتركه فى سنة ثمان وتسعين ومائة .

قلت : هذا إنما ذكره ابن زبالة والزبير فى حمى النقيع كما سيأتى .

وروي ابن زبالة عن يحيى بن سعيد أن رجلا كان لا يعرف والده كان يوما بالعقيق ، فنهاه عمر بن عبد العزيز .

وفى رواية: كان يصلى لهم الجمعة بالشجرة ، فنهاه عمر بن عبد العزيز أن يؤمهم لأنه لا يعرف له أبٌ ، وهو يقتضى أن الجمعة كانت تقام بالعقيق ، فآثار أبنية مكان العقيق موجودة إلى اليوم ، وهى دالة على ما كان به من القُصُور الفائقة ، والمناظر الرائقة ، والآبار العذبة احسان ، والحدائق الملتفةِ الأغصان ، دَثَرَتْ على طول الزمان ، وتكرر الحدثان ، و بقى هناك بعض الآبار ، و بقايا الآثار ، فترتاح النفوس برؤيتها ، وتنتعش الأرواح بانتشاق نَسْمتها ، فهى كما قال حَبيبُ ابن أوْس :

ما ربع مَيَّـــةَ معمورا يُطيف به غَيْلاَن أبْهى رُبًا من رَبْعها الخرِب
ولا الخـدود وإن أدمينَ من نَظَرٍ أشْهى إلى ناظرٍ من خـدها الترب

وقال أعرابى :

ألا أيها الركب المُجِثُّونَ هل لكم بأهـــل عقيق والمنازل من عِلْم
فقالوا : نعم تلك الطلولُ كعَهْدها تَلوحُ ، وما يغنى سُـؤَالُكَ عن عِلْم

خاتمـــة

فى سرد مايدفع فى العقيق من الأودية ، وما به من الغُدْرَان

قال فى جزيرة العرب لأبى عبيدة رواية أبى عبد الله المازنى عنه ، مالفظه : والعقيق يشق من قبل الطائف ، ثم يمر بالمدينة ، ثم يلقى في إضم البحر ، انتهى

وسيأتى فى وادى قَناَة أنه من وَجّ الطائف أيضا ، ولـكن قال الزبير وغيره : أعلى أودية العقيق النقيع ، ثم ذو العش ، ثم ذو الضرورة ، ثم ذو القرى ، ثم ذو الميت ، ثم ذو المـكبر ، ثم ذات القطب ، ثم حد المولى ، ثم حد الأبانى ، ثم ذو تنقية ، ثم القويع ، ثم ذو الصواير ، ثم الفلجة ، ثم الوشيجة ، ثم مخايل الوغائر ، ثم مخايل الرمضة ، وكلاهما يصب فى حصين ، ثم ذوالمشيرة ، ثم الرتاحة ، ثم ذو سمر ، ثم مرخى الحرة اليمانى والشامى محتذيان جميعاً ، ثم يجتمع ذو سمر ومرخان فيقال لمجتمعهن: المجتمعة ، ثم ذات السليم ، ثم ذو الغصين ، ثم شوظى ، ثم خاخ ، ثم المناصفة ، ثم شعاب الحرى والفراء وعيرين .

وقال الزبير : وأوديته مما يلى القبلة فى المغرب أعلاها ذات الرابوقة ثم نفعا

وعن مشيخة مربية أن صدور العقيق ما يبلغ فى النقيع من قدس وما قبل من الحرة وما دبر من النقيع وثنية عمق، فهو يصب فى الفرع، وما قبل من الحرة مما يدفع فى العقيق يقال له بطاويح ، قال : ثم فرش موزد ، ثم راية الأعمى ، ثم راية الغراب ، ثم الخائع ، ثم ذو عاصم ، ثم بلغة السرح ، ثم بلغة برام ، ثم بلغة رماد ، ثم بلغة المعيرا ، ثم بلغة الرمس ، ثم نبعة العشرة ، ثم نبعة الطوى ، ثم الحنينة ،

ثم النبعة ، ثم ضاف ، ثم بلغة التمر ، ثم نبع الأضاة ، ثم الأئمة أئمة عبد الله بن الزبير ، ثم ذات الحاط ، وفى حديث تقدم أنه صلى الله عليه وسلم « صلى فى مسجد بالضيقة مَخْرَجَه من ذات الحاط » ثم هاوان ، ثم فريقان ، ثم الساهية ، ثم أعشار ، وتقدم فى حديث نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار وصلاته فيه ، ثم ريم ، ثم لاى ، ثم ذو سلم النظيم ، ثم ذو بدوم ، ثم حفية ، ثم قسبان ، ثم الصهوة ، ثم بقرة ، ثم ذو سنية ، وسنية : قوم من مزينة ، ثم الرمامية ، ثم الموقية ، ثم ضبع ، ثم مهر ، ثم الملحاء ، ثم المليحة ، ثم التخيل ، ثم الرديهة ، ثم أنفة ، ثم المنتقبة ، ثم مراح الصحرة ، ثم سائلة أبى يسار التى تسيل على قصر المخرمى ، ثم شعاب الفراء ، ثم ذات الجيش ، وتقدم حديث الأعلام فى حَرَم المدينة على شرف ذات الجيش ، ثم وادى أبى كبير بن سعيد بن وهب بن عبد ابن قصى ، وذات الجيش يدفع فيه ، و به قصر الرماد لآل أبى كبير ، وكانت لهم بئر بطرف الفراء يُورِدُون عليها سبعين أو ثمانين بعيرا لهم ، قال الزبير : وأنا رأيت بئر أحد طرف الفراء مكبوسة ، وما قبل من الصلصلين يدفع إلى بئر أبى عاصية ، ثم يدفع فى ذات الجيش ، ثم يدفع فى وادى أبى كبير ، وما دبر منهما يدفع فى البطحاء ، فطرف عظيم الغربى يدفع فى ذات الجيش ، وطرفه الشامى يدفع فى البطحاء بين الجبلين فى وادى العقيق ، ثم الجاوات ثلاث ، وتفصيل مسائلها كما قدمناه فيها .

ثم ذكر مجتمع سيول المدينة بزغابة ، وذلك أعلى وادى إضم ، قال : وأعلى غُدُر مسيلات العقيق التى فى درج الوادى مما يلى الحرة موكلان من أعلى ذى العش ، ثم غدير سليم ، ثم ذو التحاميم ، ثم الأعوج ، ثم غدير الجبال ، ثم يماعم ، ثم غدير الذباب ، ثم غدير الجبر ، ثم غدير فليج الأعلى ، ثم غدير فليج الأسفل ، وهذه الثلاثة تعرف بمنحنيات فليج الزبيرى ، ثم غدير السيالة ، ثم الطويل ، ويُعدمن منحنيات فليج أيضا ، ثم غدير البيوت بيوت عبد الله العمرى ،

ثم غدير رتيجة ، ثم بكين، ثم غدير سلافة، ثم غدير الرعاء، ثم غدير الأحمى مقصوراً والأحمى : طرب العدس فى أصله ، ثم غدير حصير ، ثم الندبة من أسفل حصير ، ثم العرابة فى أعلى مرج ، ثم مرج ، ثم غدير السدر ، ثم غدير الخم، ثم المستوجبة ، ثم حُليف ، ثم حليف ، ثم الحقن ، ثم ذو الطفيتين ، ثم ذو اللحبين، ثم ذو الابثة ، ثم غدير مريم ، ثم غدير المجاز ، ثم غدير المرس ، ثم رابوع ، وقلما يفارقه ماء و إذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل شىء من غُدْرَان درج العقيق إلا غدير أسفل منه يقال له غدير السيالة ؛ هذا كلام الزبير .

ونقل ابن شبة أن سيل العقيق يأتى من موضع يقال له بطاويح ، وهوحرس من الحرة ، وغربى شطاى حتى مضيا جميعاً فى النقيع وهو قاع كبير الدر ، وهو من المدينة على أربعة بُرُد فى يمانيها ، ثم يصب فى غدير يَلْبَن و برام، و يدفع فيه وادى البقاع ، و يصب فيه لقما فيلتقين جميعاً بأسفل من موضع يقال له نقع ، ثم يذهب السيل مشرقا فيصب على رواوتين يعترضهما يسارا ، و يدفع عليه واد يقال له هلوان ، ثم يستجممن فيلقاهن بوادى دبر بأسفل الحليفة العليا ، ثم يصب على الأثمة وعلى الجام ، ثم يُفْضِى إلى وادى الحميراء فيستبطن واديها و يدفع عليه الحرتان شرقياً وغربيا حتى ينتهى إلى ثنية الشريد إلى أن يُفْضِى إلى الوادى فيأخذ فى ذى الحليفة حتى يصب بين أرض أبى هريرة رضى الله تعالى عنه و بين أرض عاصم بن عدى بن العجلان ، ثم يستبطن الوادى فيصب عليه شعاب الجماء ونمير حتى يُفْضِى إلى أرض عُرْوَة بن الزبير و بئره ، ثم يستبطن بطن الوادى فيأخذ منه شطيب إلى خليج عثمان بن عفان الذى حفر إلى أسفل العرصة التى يقال لها خليج بنات نائلة وهن بنات عثمان منها ، وكان عثمان ساقه إلى أرض اعتملها بالعرصة ، ثم يفترش سيل العقيق إذا خرج من حوافر عبد الله بن عَنْبَسة ابن سعيد يمنةً ويسرةً ، و يقطعه نهر الوادى ، ثم يستجمع حتى يصب فى زغابة ، انتهى .

ونقل المجرى أن سيل العقيق إذا أفضى من النقيع أفضى إلى قراره أسفل قاع لا شجَرَ فيه ، وأسفل منه حصير ، ثم يُفْضِي إلى مرج ، ثم إلى المستوجبة ، ثم إلى غدير يقال له ديوا الضرس ، ثم إلى غدير المجاز ، ثم إلى غدير يقال له رواوة ، ثم إلى غدير الطفيتين ، ثم الابنة ، ثم أسفل من ذلك رابوع، ثم يلقاه وادي بريم فإذا التقيا دفعا فى الحليفة حليفة عبد الله بن أبى أحمد بن جحش ، ثم سطح سيول النقيع والصحرة ومراج وأنفة عند جبل يقال له واسطة المسطح ، ثم يُفْضِى إلى الجبخانة صدقة عباد الز بيرى ، وله دوافع من الحرة مشهورة منها شوظى وروضة الجام ، ثم يُفْضِى إلى حمراء الأسد ، ثم إلى ثنية الشريد ، ثم إلى الشجرة التى بها المحرم ، اهـ .

الفصل الخامس

فى بقية أودية المدينة ، وصدورها ، ومجتمعها ، ومغايضها

وادى بطحان

فمنها وادى بطحان — روى ابن شبة والبزار عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بطحان على ترعة من ترع الجنة » قال ابن شبة : وأما سيل بطحان — وهو الوادى المتوسط بيوت المدينة ، أى فى زمنه — فإنه يأخذ من ذى الحدر، والحدر قرارة فى الحرة يمانية من حلبات الحرة العليا حرة معصم ، وهو سيل يفترش فى الحرة حتى يصب على شرقى ابن الز بير وعلى جفاف ومرفية والحساة حتى يُفْضى إلى فضاء بنى خطمة والأعرس ، ثم يستنُّ حتى يرد الجسر ، ثم يستبطن وادى بطحان حتى يصب فى زغابة .

وسيأتى فى مذينب من رواية ابن ز بالة أن بطحان يأتى من الحلابين حلابى مصعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، وفى رواية له أن بطحان يأتى من صدر جفاف .

فيتلخص أنه يأتى من الحلابين فيصل اولا إلى وادى جفاف ، ثم إلى

بطحان ، ولهذا استغنى ابن زبالة وغيره ببطحان عن إفراد جفاف بالذكر ، وجعل المطرى ومَنْ تبعه الترجمة لجفاف ، قالوا : ووادى جفاف على موضع فى العوالى شرقى مسجد قباء ، اه .

ويفهم من أطراف كلام ابن شبة أن ابتداء وادى بطحان من جسر بطحان ، وذلك بقرب الماجشونية وآخره فى غربى مساجد الفتح ، ويشاركه رانونا فى المجرى من الموضع الذى فى غربى المصلى وما والاه من القبلة ، لأنها تصبُّ فيه كما سيأتى ، والذى يقتضيه كلام غيره أن الماجشونية وتربة صعيب من بطحان .

وادى رانونا

ومنها : رانونا ، ويقال رانون ـ قال ابن شبة : وأما سَيْلُ رانون فإنه يأتى من مقمة فى جبل فى يمانى عير ومن حرس شرقى الحرة ، ثم يصب على قرين صريحه ثم سد عبد الله بن عمرو بن عثمان ، ثم يفترق فى الصفاصف فيصب فى أرض إسماعيل ومحمد ابنى الوليد بالقصبة ، ثم يستبطن القصبة حتى يعترض قباء يمينا ، ثم يدخل غوسا ثم بطن ذى خصب ، ثم يجتمع ما جاء من الحرة وما جاء من ذى خصب ، ثم يقترن بذى صلب ، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قمر البركة ثم يفترق فرقتين ؛ فتمر فرقة على بئر جشم تصب على سكة الخليج حتى تفرغ فى وادى بطحان ، وتصب الأخرى فى وادى بطحان ، اه .

وفى رواية لابن زبالة عن عبد الله بن السائب قال : رانونا تأتى من بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان و بين الحرة وتلتقى هى ووادٍ آخر عند الجبل الذى يقال له مقمن أو مكمن .

وقال ابن زبالة : وأما ذو صلب فيأتى من السد ، وأما ذو ريش فيأتى من جوف الحرة ، ثم قال فى رواية أخرى : إن صدر سيل ذى صلب من رانونا ، وصدر رانونا يأتى من التجنيب ، ثم يسكب ذو صلب ورانونا فى سد عبد الله ابن عمرو بن عثمان ، ثم فى ساخطة وأموال العصبة ، ثم فى غوسا ، ثم فى بطحان ،

ثم يلتقى هو وبطحان عند دار الشواترة ، وهى فى عداد بنى زريق ، ويزعمون أنهم من عاملة ، اه .

والسد موجود فى تلك الجهة ، ولكنه لا يُضَاف اليوم لعبد الله المذكور ، قال المراغى : والسد لا يعرف اليوم بهذا الاسم ، ولعله المعروف بسد عنتر ؛ لانطباق الوصف عليه ، وساخطة لا تعرف ، ولعلها مزرعة السد ، وغوسا غير معروفة ، ولعله أراد حوسا ـ بالحاء المهملة ـ وهى معروفة بقباء ، ويشرب من رانونا ، ووقع فى الاسم تغيير ، اه . وقال نصر : عوسا قريب قباء .

قلت : وقرين صريحه ينطبق وصفه على القرين المعروف اليوم بقرين الصرطة ، وقال المطرى : إن رانونا ينتهى إلى مسجد الجمعة ببنى سالم ، ثم يصب فى بطحان . قال المراغى : الذى رواه ابن زبالة أنه صلى الله عليه وسلم صلى ببنى سالم فى ذى صلب ، لا رانونا ، وأن كلام ابن زبالة السابق يدل على المغايرة بينهما .

قلت : هما وإن افترقا فى بعض الأماكن فينتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يقترن بذى صلب ، كما سبق ، فيسمى برانونا لمرورها عليه ، ولذا قال ابن إسحاق فى أمر الجمعة : فأدركته فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى وادى رانونا ، فعبر به عن ذى صلب ، بل فيما تقدم عن ابن زبالة أنه يأتى من جَوْف الحرة ، فلعله المعنىُّ بقول ابن شبة : ثم يجتمع ما جاء من الحرة ـ ويعنى بالحرة حرة بنى بياضة لما تقدم فى منازلهم من أن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن عضب بن جشم ابتنى الأطم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش .

وأما السرارة المذكورة فى كلام ابن شبة فتقدم ذكرها أيضا فى منازل بنى بياضة ، فليست هى الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة .

وأما بئر جشم فغير معروفة اليوم ، ولعلها مضافة إلى جُشَم بن الخزرج الأكبر ،

كما حدثنى مالك بن عضب ، وهم بنى بياضة ، وسيأتى ما يرجِّحه ، ويحتمل أن تكون مضافة إلى جشم بن الحارث ، ومنازلهم بالسنح ، وهو بعيد .

وادى قناة

ومنها : وادى قناة ـ سمى بذلك لأن تبعا لما غزَا المدينة نزل به ، فلما شخص عن منزله قال : هذه قَنَاة الأرض ، فسميت قناة ، وتسمى الشظاة ، وفى القاموس أن هذا الوادى عند المدينة ، أى ما حاذاها منه تسمى قناة ، ومن أعلى منها عند السد أى الذى أحدثته نار الحرة تسمى بالشظاة .

وقال ابن شبة : وادى قناة يأتى من وَجّ أى وج الطائف .

وعن شريح بن هانئ الشيبانى أنه قَدِمَ على عمر بن الخطاب ومعه امرأته أم الغمر فأسلمت ، ففرق بينهما عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ارْدُدْ على زوجتى ، فقال : إنها لا تحل لك إلا أن تسلم ، فنزل شريح بقَنَاة وقال :

ألا يا صاحِبَيَّ ببَطْنِ وَجٍّ ... رَوَادِف لاَ أرَى لَكُمُ مُقَامَا

ألا ترَيانِ أم الغَمْرِ أمْسَتْ ... قَرِيباً لاَ أُطِيقُ لها كَلاَمَا

فجعل بطن قناة بطن وج لأن السيل يأتى منه .

وقال المدائنى : قناة وادٍ يأتى من الطائف ، ويصب فى الأرخصية وقرقرة الكدر ، ثم يأتى بئر معاوية ، ثم يمر على طرق القدوم فى أصل قبور الشهداء بأُحُد

وقال ابن زبالة : إن سيول قَنَاة إذا استجمعت تأتى من الطائف ، قالوا : ومحول أودية العرب قناة و إضم ، أى اللاتى فى مجتمع السيول ووادى نخلة ، و إنما سميت محولا لبعد صدورها وكثرة دوافعها ، ويأتى وادى قناة من المشرق حتى يصل السد الذى أحدثته نار الحجاز المتقدم ذكرها آخر البــاب الثانى ، وتقدم هناك أن هذا الوادى كان قد انقطع بسبب ذلك ، وانحبس السيل حتى صار بحرا مدّ البصرِ عرضا وطولا ، كأنه نيل مصر عند زيادته ، قال المطرى : شاهدته كذلك سنة سبع وعشرين وسبعمائة ، وتقدم أنه انخرق من تحته سنة تسعين وستمائة ، فجرى الوادى سنة ، فملأ ما بين الجانبين ، وسنة أخرى دون ذلك ،

ثم انخرق بعد السبعمائة فجرى سنة أو أزيد ، ثم انخرق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة بعد تواتر الأمطار فكثر الماء وجاء سيلٌ لا يُوصَف كثرة ، ومجراه على مشهد سيدنا حمزة ، وحَفَر واديا آخر قبلى الوادى والمشهد . وقبلى جبل عينين فى وسط السيل ، ومكثا نحو أربعة أشهر لا يقدر أحـد على الوصول إليهما إلا بمشقة ، ولو زاد مقدار ذراع فى الارتفاع وصل إلى المدينة ، ثم استقر فى الواديين القبلى والشمالى قريبا من سنة ، وكشف عن عين قديمة قبلى الوادى جَدَّدها الأمير ودى ، وهذا الوادى هو المراد بقوله فى حديث الاستنشاق من رواية الصحيح « وسال وادى قناة شهرا » وينتهى سيل قناة إلى مجتمع السيول ترعا أيضا .

وادى مذينب

ومنها : وادى مذينب ، ويقال : مذينيب — قال ابن زبالة عن غير واحد من الأنصار : مذينب شعبة من سيل بطحان ، يأتى مذينب إلى الروضة روضة بنى أمية ، ثم ينشعب من الروضة نحوا من خمسة عشر جزءا فى أموال بنى أمية ، ثم يخرج من أموالهم حتى يدخل بطحان وصدير ، مذينب وبطحان يأتيان من الحلابين حلابى صعب على سبعة أميال من المدينة أو نحو ذلك ، ومصبهما فى زغابة حيث تلتقى السيول ، اه .

وقوله « من سيل بطحان » يعنى من أصـله من الحلابين كما بينه أخيرا ، وسبق بيان منازل بنى أمية وأن من أموالهم بئر العهن .

وسيأتى عن ابن شبة ما ظاهره المخالفة لهـذا ، حيث قال فى مهزور : حتى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى واد يقال له مذينب ، ثم يلتقى هو وسيل بنى قريظة بالمشارف فضاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان مهزور ومذينب ، فمقتضاه أن مذينب من أصل مهزور ، ولهذا قال المجد : قال أحمد بن جابر : ومن مهزور إلى مذينب شعبة تصبُّ فيه .

قلت : لـكن أعلى صدر سيل بطحان ومذينب ومهزور من حرة واحدة ، فيصح تشعب مذينب من كل منهما .

ولهذا نقل المجد عن أبي عبيدة أن اليهود لما نزلوا المدينة نزلوا بالسافلة ، فاستوبؤها ، فبعثوا رائداً إلى العالية ، فرأى بطحان ومهزورا يهبطان من حرة ينصب منهما مياه عذبة ، فرجع فقال : وجدت بلداً طيبا وأودية تنصب إلى حرة عذبة ، فتحولوا ؛ فنزل بنو النضير على بطحان ، وقريظة على مهزور ، اهـ . مع أن الذى تقدم فى المنازل أن بنى النضير نزلوا بمذينب ، ومنازلهم النواعم ، فمن أطلق نزولهم على بطحان راعى اتحاد الأصل وأن مذينب يصب فى بطحان أيضا ، كان فى زماننا يشق فى الحرة الشرقية قبلى بنى قريظة ، ويمر فى وسط قرية قديمة كانت شرقى العهن والنواعم ، ويتشعب فى تلك الأموال ، ويخرج ما فَضَل منه من الموضع المعروف بنقيع الرديدى ومن الناصرية ، فيصب فى الوادى الذى يأتى من ضفاف شرقى مسجد الفضيخ ، حتى يأتى الفضاء الذى عند بؤور النورة خلف الماجشونية فتلقاه هناك شعبة من مهزور ، ثم يصبان جميعا فى بطحان .

وقال المطرى : مذينب شرقى جفاف ، يلتقى هو وجفاف فوق مسجد الشمس ، ثم يصبان فى بطحان ، ويلتقيان مع رانونا ببطحان ، فيمران بالمدينة غربى المصلى ، اهـ . ومراده جفاف أصل مسيل بطحان .

وادى مهزور

ومنها : مهزور — نقل ابن زبالة أنه يأتى من بنى قريظة ، ثم قال فى هذه الرواية ما لفظه : وأما معجب فيأتى سيله ، وكان يمر فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم، وقالت الأنصار : إنما الذى يمر فى المسجد مهزور ، ولم يبين أصل سيل معجب ، وكذا ابن شبة ، فقال : وأما بطن مهزور فهو الذى يتخوف منه الغرق على أهل المدينة فيما حدثنا به بعض أهل العلم ، ثم ذكر رواية ابن زبالة السابقة .

وقال ابن زبالة عقب ما تقدم عنه فى مذينب، مالفظه : وسيل مهزور وصدره من حرة سوران ، وهو يصب فى أموال بنى قريظة ، ثم يأتى بالمدينة فيسقيها ، وهو السيل الذى يمر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسكب فى زغابة ، ويلتقى هو وبطحان بزغابة حيث تلتقى السيول ، اهـ .

واجتماعه فى بطحان بزغابة من مَجْرَى قناة ، ولهذا قال ابن شبة : وسيل مهزور يأخذ من الحرة من شرقيها ومن هكر ، وحرة صفة ، حتى يأتى أعلى حلاة بنى قريظة ، ثم يسلك منه شعيب فيأخذ على بنى أمية بن زيد بين البيوت فى وادٍ يقال له مذينب ، ثم يلتقى وسيل بنى قريظة بفَضَاء بنى خطمة ، ثم يجتمع الواديان جميعا مهزور ومذينب فيتفرقان فى الأموال ويدخلان فى صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها إلا مشربة أم إبراهيم ، ثم يُفْضِى إلى السورين على قصر مروان بن الحكم ، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف ، ثم يأخذ فى البقيع حتى يخرج على بنى حديلة ، والمسجد ببطن مهزور ، وآخره كومة أبى الحمرة ، ثم يمضى فيصبُّ فى وادى قناة ، انتهى .

ومقتضاه أن الشعبة التى تجتمع من مهزور بمذينب بالفضاء المذكور تسقى بعد ذلك . فكأنها صرفت عن جهة الصدقات إلى بطحان ، أو أن كلامه مُؤَوَّل ؛ لأن المعروف اليوم أن الشعبة التى تلقى مذينب من مهزور تصبُّ بعد اجتماعهما فى بطحان كما سبق ، والذى يسقى ماذكر من الصدقات ويمر بالبقيع إنما هو شعبة أخرى من مهزور ، ولا تجتمع بمذينب ، بل تمر على الصافية وما يليها من الصدقات ، ثم تغشى بقيع الغرقد والنخيل التى حوله خصوصاً الجزع المعروف بالحضارى ، فاتخذ لذلك شيخ الحرم الزينى مرجان التقوى حفظه الله تعالى طريقاً إلى بطحان ، وحفر له مجرى من ناحية الصدقات ، فصارت الشعبة المذكورة تصب أيضاً فى بطحان ، ولا تمر بالبقيع ، ولم يتعرض ابن شبة للشعبة التى تشق من مهزور إلى العريض وهو معظمه بسبب السد المبنى هنالك ، وقد اقتصر عليها المطرى فقال : مهزور شرقى العوالى ، شمالى مذينب ، ويشق فى الحرة الشرقية إلى العريض ، ثم يصب فى وادى الشظاة .

قال الزين المراغى عقب نقلهِ : وكأن حَرَّةَ شوران أى المذكورة فى كلام ابن زبالة هى الحرة الشرقية .

وقال ابن شبة : وكان مهزور سال فى ولاية عثمان رضى الله تعالى عنه سيلا عظيما على المدينة خيف على المدينة منه الغرق ، فعمل عثمان الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به السيل عن المسجد وعن المدينة .

وذكره ابن زبالة فقال : وأما الدلال والصافية فيشربان من سَرْحِ عثمان ابن عفان الذى يقال له مدرى الذى يشق من مهزور فى أمواله و يأتى على أريس وأسفل منه حتى يتبطن الصورين، فصَرَفَه مخافة على المسجد فى بئر أريس، ثم فى عقد أريم ثم فى بَلْحَارث بن الخزرج ، ثم صرفه إلى بطحان ، انتهى .

وقال ابن شبة عقب ما تقدم : ثم سال وعبدُ الصمد بن على وال على المدينة فى خلافة المنصور سنة ست وخمسين ومائة ، فخيف منه على المسجد فبعث إليه عبدُ الصمد عبيد الله بن أبى سلمة العمرى ، وهو على قضائه ، ونَدَبَ النـاس فخرجوا إليه بعد العصر ـ وقد طغي وملأ صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ـ فدلوا على مصرفه ، فحفروا فى برقة صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبْدَوْا عن حجارة منقوشة ففتحوها فانصرف المـاء فيها وغاض إلى بطحان . دلهم على ذلك عجوز مُسِنة من أهل العالية، قالت : إنى كنت أسمع الناس يقولون : إذا خيف على القبر من سيل مهزور فاهدِموا من هذه الناحية ، وأشارت إلى القبلة ، فهدمها الناسُ فأبْدَوْا عن تلك الحجارة ، انتهى .

وذكره ابن زبالة مع مخالفة فى التاريخ فقال : وفى ليلة الأربعاء هلال المحرم سنة ثمان وخمسين ومائة فى إمارة عبد الصمد لمـا أصيب المسجدُ بتلك الغَرْقَةِ استغاث الناسُ على سيل مهزور مخافة على القبر ، فعمل الناس بالمَسَاحى والمَكَاتل والماء فى برقة إلى أنصاف النخل ، فطلعت عجوز من أهل العالية فقالت : أدركتُ الناسَ يقولون : إذا خيف على القبر فاهدموا من هذه الناحية ، يعنى القبلة ، فدار الناسُ إليها فهدموا وأبْدَوْا عن حجارة منقوشة ، فعدل الماء إلى هذا الموضع اليوم وأمِنُوا ، وهىَ الليلة التى هدمت فيها بيوت بطحان و بنى جشم ، انتهى .

ونقله المراغى إلا أنه قال كما رأيته بخطه : وأبدوا حجارة منقوشة ، وضبط

الباء بالتشديد ، والذى فى كلام ابن زبالة وابن شبة ماقدمته ، قال المراغى عقبه : و بنو جشم لاتعرف ، و إنما المعروف دشم ــ بالدال ــ بستان شامى مسجد الفعلة على نحو رميتى سهم منه ، فلعلها منازلهم ، ووقع فى الأسم تغيير .

قلت : والظاهر أن المراد منازل بنى جشم بن الحارث بالسنح لقربهـا من بطحان ، فطغى الماء إليها لما صَرَفُوه .

تتمـــة

فيما قضى به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الأودية

قضاؤه بين رجل من الأنصار والزبير

رويناً فى الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن الزبير أن رجلا من الأنصـار خاصَمَ الزبير فى شراج الحرة التى يَسْقُونَ بها النخل ، فقال الأنصارى : سرح الماء يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير : اسْقِ يازبير ثم أرسِلِ الماء إلى جارك ، فغضب الأنصاريُّ ، فقال : أنْ كانَ ابنَ عمتك ؟ فتَلَوَّنَ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : اسْقِ يازبير ثم احْبِسِ الماء حتى يرجع إلى الجدر .

وفى رواية للبخارى : حتى يرجع الماء إلى الجدر ، فكان ذلك إلى الـكعبين ، وفي أخرى له : كان النبى صلى الله عليه وسلم أشار على الزبير برأى فيه سَعة ، فلما أحْفظَ الأنصارى النبيَّ صلى الله عليه وسـلم ــ أى أغضبه ــ استوفى للزبير حقه فى صريح الحـكم .

والجدر قيـل : أصل الشجرة ، وقيل : جدور المشارب التى يجتمع فيها الماء فى أصول النخل ، وقيل : المسحاء وهو ما وقع حول المزرعة كالجدار ، وقال ابن شهاب : قدرت الأنصارُ والناسُ ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك إلى الـكعبين .

قضاؤه فى سيل مهزور

وفى سنن أبى داود عن ثعلبة بن أبى مالك أنه سمع كُبَرَاءهم يذكرون أن رجلا من قريش كان له سهم من بنى قريظة ، فخاصم إلى النبى صلى الله عليه

وسلم فى مهزور السيل الذى يقسمون ماءه ، فقضى بينهم رسول الله صلي الله عليه وسلم أن الماء إلى الكعبين لايحبس الأعلى على الأسفل .

وفى رواية له : قضى فى السيل المهزور أن يمسك حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، كذا قال فى « السيل المهزور » والمشهور كما قال السبكى « فى سيل المهزور » .

وفى الموطأ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سيل مهزور ومذينب : يمسك حتى الكعبين ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل .

وروى ابن شبة : قَضَى فى سيل مهزور أن يمسك الأعلى على الأسفل حتى يبلغ الكعبين والجدر ، ثم يرسل الأعلى على الأسفل ، وكان يسقى الحوائط .

وعن جعفر قال : قضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى سيل مهزور أن لأهل النخيل إلى العقيق ، ولأهل الزرع إلى الشراكين ، ثم يرسلون الماء إلى مَنْ هو أسفل منهم .

وهو صريح فيما قاله المتولى والماوردى من أن التقدير بالكعبين ليس على عموم الأزمان والبلدان والزرع والشجر ؛ لأن الحاجة تختلف ، ولم يقف السبكى على هذه الرواية فقال : وهو قوى ، والحديث واقعة حال ، ولولا هَيبَة الحديث لكنت أختاره .

خاتمة

فى مجتمع الأودية ومَغَائضها

مجتمع سيول العالية

قال الزبير : ثم يلتقى سيل العقيق ورَانُونَا بوادٍ آخرَ وذى صلب وذى ريش و بطحان ومعجف ومهزور وقناة بزغابة ، وسيولُ العَوَالى هذه يلتقى بعضها ببعض قبل أن يلتقى العقيق ثم يجتمع ، فيلتقى العقيق بزغابة .

قلت : والحاصلُ أن سيول العالية ترجع إلى بطحان وقناة ، ثم تجتمع مع العقيق بزغابة عند أرض سعد بن أبى وقاص كما صرح ابن زبالة .

قال الزبير : وذلك أعلى وادى إضم ، وفيه يقول إسحاق الأعرج :

غَشِيتُ دياراً بأعلى إضَمْ محاها البِلَى واختلافُ الدِّيَمْ

قال المجرى : سمى إضم لانضمام السيول به واجتماعها فيه ، وقال ابن شبة : تجتمع هـذه الأودية بزغابة ، وهو بطرف وادى إضم ، سمى بإضم لانضمام السيول به .

قلت : ويسمى اليوم بالضيقة ، ويسمى زغابة بمجتمع السيول ، ولهـذا أورد الزبير هنا حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم « رَكِبَ إلى مجتمع السيول فقال : ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة ـ الحديث » .

قال الزبير : ثم تمضى هذه السيول إذا اجتمعت فتنحدر على عين أبى زياد والصورين فى أدنى الغابة، ثم تلتقى هذه السيول فى وادى نقمى ووادى نعمان أسفل من عين زياد ، ثم تنحدر هـذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفيها ، ثم يلقاها وادى ملك بذى خشب وظلم والجنينة ، ثم يلقاها وادى ذى أوان ودوافعه من الشرق ، ويلقاها من الغرب وادٍ يقال له بواط والحزار ، ويلقاها من الشرق وادى الأثمة ، ثم تمضى فى وادى إضم حتى يلقاها وادى برمة الذى يقال له ذوالبيضة من الشام ، ويلقاها وادى ترعة من القبلة ، ثم يلتقى هو ووادى العيص من القبلة ، ثم يلقاه دوافع وادٍ يقال له حجر ووادى الجزل الذى به السقيا والرحبة فى نخيل ذى المروة مغربا ، ثم يلقاه وادى عمودان فى أسفل ذى المروة ، ثم يلقاه وادٍ يقال له سفيان حين يُفْضِى إلى البحر عند جبل يقال له أراك ، ثم يدفع فى البحر من ثلاثة أودية يقال لهـا اليعبوب والنتيجة وحقيب ، وذكر ابن شبة نحوه، وكذا الهجرى .

وقال المطرى : إن السيول تجتمع بدومة سـيل بطحان والعقيق والزغابة والنقمى وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلا واحدا ويأخذ فى وادى الضيقة إلى إضم جبل معروف، ثم إلى كرى من طريق مصر ويصب فى البحر ، انتهى .

وفيه أمور : الأول : جعله مجتمع السيول برومة ، وإنما مجتمعها بزغابة كما سبق ، وذلك أسفل من رومة غربى مشهد سيدنا حمزة كما قاله المجرى ، وهو أعلى وادى إضم ، ومأخذ المطرى قول ابن إسحاق فى غزوة الخندق : أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة ، وهو مخالف لما سبق

الثانى : جعله لزغابة سيلا ينصب لرومة ، ورومة هى التى تنصب إلى زغابة .

الثالث : جعله النقمى مما يجتمع مع السيول برومة ، مع أنه المعبر عنه فيما سبق بنقمى ، وإنه يجتمع مع السيول بالغابة .

الرابع : جعله لغراب سيلا يجتمع برومة ، ولم أقف له على مستند ، وغراب جبل فى تلك الجهة على طريق الشام .

الخامس : جعله إضَمَ اسم جبل ، ومغايرته بينه و بين وادى الضيقة ، خلاف ما تقدم ، واختلف اللغويون فى أن إضم اسم لموضع أو جبل هناك ، والظاهر أنه اسم للجبل ووادية .

الفصل السادس

فيما سمى من الأحماء ، ومَنْ حماها ، وشرح حال حمى النبى صلى الله عليه وسلم

معنى الحمى

والحمى ، لغةً : الموضع الذى فيه كلأ يُحْمَى ممن يرعاه ، وشرعاً : موضع من المَوَات يمنع من التعرض له ليتوفر فيه الكلأ فترعاه مواشٍ مخصوصة . وهو بالقصر ، وقد يمد ، و يكتب المقصور بالألف والياء ، قال الأصمعى : الحما حِمَيَان : حمى ضَرِيّة ، وحمى الرَبَذَة ، وكأنه أراد المشهور من الحمى بنجد ، قال صاحب المعجم : ووجدت أنا حمى فيد ، وحمى النير ، وحمى ذى الشرى ، وحمى النقيع .

حمى النقيع

قلت : وهى عدا النقيع بنجد، وهى متقاربة ، بل سيأتى ما يؤخذ منه دخول النير فى حمى ضرية . والنقيع بالنون المفتوحة والقاف المكسورة والياء التحتية

السا كنة والعين المهملة على الصحيح المشهور ، وهو كل موضع يستنقع فيه الماء ، و به سمي هذا الوادي . وحكى عياض عن أبي عبيد البكري أنه بالباء كبقيع الغَرْقَد ، قال : ومتى ذكر دون إضافة فهو هذا .

قلت : الذي نقله السهيلي عن أبي عبيد أنه بالنون ، قال عياض : وأما الحمى الذي حَمَاه النبي صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الأربعة فهو الذي يضاف إليه غور النقيع ، وفي حديث آخر « أتي بقدح لبن من النقيع » . وحمى النقيع على عشرين فرسخاً من المدينة ، وهو صَدْرُ وادي العقيق ، وهو أخصب موضع هناك ، وهو ميل في بريد ، فيه شجر ، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب ، فاختلف الرواة وأهل المعرفة في ضَبْطه: فوقع عند أكثر رواة البخاري بالنون، وذكر نحو ماتقدم، وهو موافق في ذكر المسافة لأبي على الهجري ، وقد تقدم عنه أنه ينتهي إلى حضير ، وأن العقيق يبتدىء من حضير ، ولعل المراد من رواية ابن شبة في أن النقيع على أربعة بُرُدٍ من المدينة طرفه الأقرب إليها ، ومراد الهجري طرفه الأقصى .

وقال نصر : النقيع قرب المدينة كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حَمَاه ، وهو من ديار مزينة ، وهو غير نقيع الخضمات ، وكلاهما بالنون ، وأما الباء فيهما فخطأ صُرَاح .

وقال الهجري : الطريق إلى الفرع وسيارة وسنانة والصابرة والقرنين جند والأكحل وأموال تهامة ؛ تعترض النقيع يساراً للخارج من المدينة ، و بعض الناس يجعلها إلى مكة ، وهي طريق التهمة .

ونقل أيضاً أن أول الأحماء وأفضلها وأشرفها ما أحمى النبي صلى الله عليه وسلم من النقيع ، أحماه لخيل المسلمين وركابهم ، فلما صلى الصبح أمر رجلا صَيِّتاً فأوفى على عسيب وصاح بأعلى صوته ، فكان مَدَى صوته بريداً ، ثم جعل ذلك حمى

طوله بريد وعرضه الميل فى بعض ذلك وأقل ، وذلك فى قاع مدر طيب ينبت أحرار البقل والطرائف ويستأجم ـ أى يستأصل أصله ويغلظ نبته حتى يعود كالأجمة ـ يغيب فيه الراكب إذا أحيا ، وفيه مع ذلك كثير من العِضَاهِ والغَرْقد والسِّدْر والسَّيَال والسَّلَم والطَّلْح والسَّمُر والعَوْسج ، ويحف ذلك القاع الحرة حرة بنى سليم شرقاً ، وفيها رياض وقيعان ، ويحف ذلك القاع من غربيه الصخرة ، وفى غربيه أيضاً أعلام مشهورة مذكورة : منها برام ، والوائدة ، وضـــاف ، والشقراء ، وببطن قاع النقيع فى صير الجبل غُدُر تضيف ، فأعلاها براجم ، ثم ألْبَن ، وبعضهم يقول : يَلْبَن، وهو أعظمهما وأذكرها .

وفى سنن أبى داود بسند حسن عن الصَّعْب بن جَثَّامة أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع وقال « لا حِمَى إلا لله » .

وفى رواية له : « لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم » من غير ذكر حمى النقيع كما فى الصحيح ، ورواه الزبير بلفظ الرواية الأولى ، وزاد « ولرسوله » وسنده حسن .

وروى أحمد بسند فيه عبد الله العمرى ـ وهو ثقة ، وإن ضَعَّفه جماعة، وقال الذهبى : إنه حسن الحديث ـ عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل ، فقلت له : لخيله ؟ قال : لخيل المسلمين .

وفى رواية لابن شبة عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم حَمَى قاع النقيع لخيل المسلمين .

وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم حمى النقيع للخيل ، وحمى الربذة للصدقة ، وفى الكبير للطبرانى برجال الصحيح عن ابن عمر قال : حَمَى النبى صلى الله عليه وسلم الربذة لإبل الصدقة .

وروى ابن شبة فى ترجمة ما جاء فى النقيع بسند جيد عن رجاء بن جميل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حَمَى وادىَ نخيل للخيل المُضَمَّرة ، وهى تقضى أن

النقيع تسمى بذلك ، ولم أر من صرح به ، نعم تقدم فى الفصل الثالث قول ذؤيب الأسلمى فى عرصة العقيق :

* طاف من وادى دجيل *

الأبيات وهو بالدال فى عدة نسخ ، والذى فى نسخة ابن شبة بالباء بدل الدال، ولعله تصحيف ، فيكون ذلك اسماً للنقيع ، و يؤيده قول مصعب الزبيرى يتشوق إلى رومة من العقيق فى أبيات :

أعِرْنِى نظرةً بقرى دجيل　　نخائلها ظلاماً أو نهارا

فقال:أرى برومة أو بسَلْعٍ　　منازلَهاَ مُعَطَّلة قفَارا

وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزنى قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع على مقمل وصليب ، وقال فى حمى النقيع : « نِعْمَ مَرْتَعُ الأفراس ، يُحْمى لهن ، ويجاهد بهن فى سبيل الله » وحَماه ، واستعملنى عليه .

وعن غير واحد من الثقات عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه « صَلّى على مقمل ، وحماه وما حوله من قاع النقيع لخيول المسلمين » ثم زادت بنو أمية بعد والأمراء أضعافَ ما حَمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنقيع .

وعن محمد بن هيصم المزنى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشرف على مقمل طرف وسط النقيع ، فصلى عليه ، فمسجده هنالك » .

قال ابن هيصم عن أبيه : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى،وقال : إنى مُسْتَعْمِلُكَ فى هذا الوادى ، فما جاء من ههنا وههنا ــ يشير نحو مطلع الشمس ومغربها ــ فامْنَعْهُ ، فقال : إنى رجل ليس لى إلا بنات ، وليس معى أحد يعاوننى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل سيرزقك ولداً ، و يجعل لك ولياً » قال : فعمل عليه ، وكان له بعد ذلك ولد ، فلم تزل الوُلاَة يولون عليه والياً منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستعمله والى المدينة ، حتى كان داود بن عيسى فنزله سنة ثمان وتسعين ومائة ، و إنما تركه داود

لأن الناس جَلَوْا عنه للخوف ذلك الزمان ، فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه ، قال الزبير : وربما كَتَب إلىّ عبدُ الله بن القاسم وهو فى ماله بنعف النقيع يقول لى: إن ناساً عندنا بالنقيع قد عاثُوا فى حِمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم الأمير يكتب فى التشديد فيه .

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم « صَلى فى موضع مسجده على موضع مقمل ثم بعده إلى ما بينه و بين يلبن من قاع النقيع » .

وقال : لحمى لأفراس تغدو وتروح فى سبيل الله ، وفد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وقارَبَ بينهما ، ولم يضمهما ، وحَمَاه ، واستعمل عليه جد أبى الحليس ، فقال : يا رسول الله ، أولادى النساء ، وليس معى غناء ، قال : فقم بهن معك فارْدُدْ ما جاء من الحرة فى الحرة ، واردد ما جاء من الصحرة فى الصحرة ، قال يعقوب المزنى : ثم تزايَدَ الناسُ بعدُ فى الحمى ، فحموا ما بين تراجم إلى يلبن ، واتخذوا المرابد يحبسون فيها ما رعى الحمى من الإبل ، حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض ، قال الزبير : وقال لى : لقد رأيتُ لأبيك أكثرَ من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع ، وهو إذ ذاك أمير المدينة ، ما يرعى رعاؤه منها شيئاً فى الحمى ، حتى يكتمل العشب و يبلغ نهايته ، فيرسل عامل الحمى صائحاً يصيح فى الناس يُؤْذنهم باليوم الذى يأذن لهم يرعون الحمى ، فيسرع فيه رعاء أبيك والناس يداً واحدة كفَرَسَىْ رِهانٍ .

حكم الحمى

قلت : مقتضاه جواز رَعْى الحمى للناس إذا استووا فيه، وهو مخالف لمذهبنا ؛ إذ لا يَدْخُله سوى العاجز عن النُّجْعَة من الناس .

قال الشافعى : قوله صلى الله عليه وسلم : « لا حمى إلا لله ورسوله » يحتمل معنيين :

أحدهما : ليس لأحد أن يحمى للمسلمين غير ما حمى صلى الله عليه وسلم ؛ فلا يكون لوالٍ أن يحمى .

والثانى : أنه لا يحمى إلا على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فللخليفة أن يحمى على مثل ما حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والثانى هو أظهر القولين ، وهو قول الأزهرى ، وقال : يعنى للخيل التى تُرْكَبُ فى سبيل الله ، وقيل : معناه ليس لأحد أن يحمى لنفسه إلا النبى صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك من خصائصه ، وإنْ لم يقع منه ، ولو وقع لكان من مصالح المسلمين ؛ لأن مصلحته مصلحتهم .

وقال فى الأم : كان الرجل العزيز من العرب إذا استنجع بلدا مُخْصباً أوْفىٰ بكلبٍ على جَبَل إن كان أو نَشَز إن لم يكن جبل ، ثم استَعْواه ووقف له من يسمع منتهى صوته ، فحيث بلغ صوتُه حَمَاه من كل ناحية ، ويرعى مع العامة فيما سواه ، ويمنع هذا من غيره لضعفى سائمته ، وما أراد قربه منها ؛ فيرى أن قوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم « لا حمى إلا لله ولرسوله » لا حمى على هذا المعنى الخاص ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان يحمى إن شاء لمصالح عامة المسلمين ، لا لما حمى له غيره من خاصة نفسه ، وذلك أنه لم يملك إلا ما لا غنى به وبعياله عنه ، وصير ما ملكه الله من خمس الخمس مردوداً فى مصلحتهم ، وماله ونفسه كان مفرغا فى طاعة الله .

حمى أبى بكر وعمر

قال : وقد حمى بعده عمر رضى الله تعالى عنه أرضاً لم يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حماها ، وقال غيره : حمى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، وحمى عمر الشرف ، قيل : والربذة ، وقيل : حماها أبو بكر ، وقيل : النبى صلى الله عليه وسلم ، ولعله حمى بعضها ثم زاد كل منهما بعده فيها شيئاً .

وسيأتى عن الهجرى أن عمر أول ما أحمى بضرية ، وأن عثمان زاد فيه .

وما حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز تغييره بحال ، بل ينسحب عليه حكم الحمى وإن زالت معَالمه على الأصح ، بخلاف حمى سائر الأئمة ، قال

الشافعى : ويكره أن يقطع الشجر بالمدينة ، وكذا بوجّ من الطائف ، وكذا بكل موضع حَمَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والموضع الذى حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك فيه بالنقيع ، وأما الصيد فلا يكره فيه ، انتهى .

والمراد بالكراهة هنا كراهة التحريم .

وروى ابن عبد البر أن عمر رضى الله تعالى عنه بلغه عن يَعْلَى بن أمية — ويقال : أمينة ، وكان عاملا على اليمن — أنه حمى لنفسه ، فأمره أن يمشى على رجليه إلى المدينة ، فمشى أياماً إلى صَعْدة ، فبلغه موت عمر ، فركب .

وروى الشافعى وغيره أن عمر استعمل مولاه هنيا على الحمى ، فقال له : ياهنى ضم جناحك للناس ، واتَّقِ دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مُجَابة ، وأدخل رب الصريمة والغنيمة ، وإياك ونَعَم ابن عفان وابن عوف ، فإنهما إن تهلِكْ ماشيتُهما يرجعا إلى نخل وزرع ، وإن رب الغنيمة يأتينى بعياله فيقول : يا أمير المؤمنين ، يا أمير المؤمنين ، أفتاركهم أنا لا أبالك ؟ فالماء والكلأ أهون علىّ من الدنانير والدراهم ، ألا وايم الله لعلىّ ذلك ، إنهم ليرون أنى قد ظلمتهم ، إنها لَبِلَادهم قاتلوا عليها فى الجاهلية وأسلموا عليها فى الإسلام ، ولولا المال الذى أحمل عليه فى سبيل الله ما حَمَيْتُ على المسلمين من بلادهم شبرا .

قال الشافعى : وإنما نسب الحمى إلى المال الذى يحمل عليه فى سبيل الله لأنه كان أكثر ما عندهُ مما يحتاج إلى الحمى .

وعن مولى لعثمان بن عفان أنه كان معه فى ماله بالعالية فى يوم صائف ، إذ رأى رجلا يسوق بَكْرَيْنِ ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر ، فقال : ما على هذا لو أقام بالمدينة حتى يبرد ثم يروح ، انظروا مَنْ هذا ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقلت : هذا أميرُ المؤمنين ، فقام عثمان فأخرج رأسه من الباب ، فإذا لفحُ السَّمُوم ، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال : ما أخرجك هذه الساعة ؟ فقال : بَكْرَان

من إبل الصَّدَقه تخلفا فأردت ألحقهما بالحمى ، وخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عنهما ، فقال عثمان : هَلُمَّ إلى الماء والظل ونكفيك ، فقال : عُدْ إلى ظلك ، ومَضَى ، فقال عثمان : مَنْ أحَبَّ أن ينظر إلى القوى الأمين فلينظر إلى هذا ، فعاد إلينا فألقى نفسه .

وفى الموطأ عن يحيى بن سعيدأن عمر رضى الله تعالى عنه كان يحمل فى العام الواحد على أر بعين ألف بعير ، يحمل الرجل إلى الشام على بعير، و يحمل الرجلين إلى العراق على بعير .

وعن مالك قال : بلغنا أن الخيل التى أعَدَّها عمر رضى الله تعالى عنه ليحمل عليها فى الجهاد ومَنْ لا مركوب له عدتها أر بعون ألفا .

وروى بعضهم أن عمر رضى الله تعالى عنه رأى فى رَوْثِ فرسِهِ شعيرا فى عام الرَّمَادة، فقال : لأجعلن له من عرر النقيع ما يكفيه .

وفى رواية « المسلمون لا يشبعون والشعير فى رَوْثك ، لتعالجن عرر النقيع » قال الخطابى : العرر نبت ينبته الثمام .

وقال عبد الرحمن بن حسان فى قاع النقيع :

أرقْتُ لبرق مستطير كأنه ... مصابيح تخبو ساعة ثم تَلْمَحُ
يضىء سَنَاه لى سروراً وَوَدْقُهُ ... بقاع النقيع أو سَنَا البرق أبْرَحُ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن :

فَهَلْ أرَيَنْ كما قد رأيتُ ... لعزَّةَ بالنعف يوماً حُمُولاَ
بقاع النقيع بصَحْن الحمى ... يُبَاهين بالرقم غيما مخيلا

وقال عبد العزيز بن وديعة المزنى :

ولنا بقدس فالنقيع إلى اللِّوَى ... رَجْــع إذا لهث السبىُ الواقع
وادٍ قرارةُ ماؤه ونبــاته ... يرعى المخاض به ووادٍ فارعُ
سعد يحرر أهلنـــا بفروعه ... فيه لنا حِرْزٌ وعَيْش رافــع

وقال أبو سلمى :

لنا منزلان مؤلف الماء مونق كريم ، وواد يحدر الماء قارع
وداران دار يرعد الرعد تحتها ودار بها ذات السلم فرابع

وهذا وماقبله يشير إلى ما سبق فى العقيق من أن صدوره مادفع فى النقيع من قدس وماقبل من الحرة وما دبر ، فهو يصب فى الفرع .

وقال أبو قطيفة :

ليت شعرى وأين منى لَيتٌ أَعَلَى العهدِ يَلْبن فَبَرَامُ[1]
أم كمهدِى النقيعُ أم غيَّرته بعدنا المُعصِرَات والأيام

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

أزجرت الفؤاد منك الطروبا أم تصابَيْتَ إذ رأيت المشيبا
أم تذكرت آل سلمة إذ حَلُّوا رياضا من النقيع ولوبا
ثم لم يتركوا على ماء عمق للرجال الورّاد منهم قلوبا

الفصل السابع

فى شرح حال بقية الأحماء ، وأخبارها .

حمى الشرف

منها : الشرف ، حماه عمر رضى الله تعالى عنه ، وليس هو شرف الروحاء ، بل موضع بكبد نجد .

قال نصر : الشرف كبد نجد ، وقيل : وادٍ عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر أنه مُرَاد مَنْ غاير بينه و بين حمى ضرية والربذة .

قال الأصمعى : الشرف كبد نجد ، وكانت منازل بنى آكل المُرَار ، وفيها

---

(١) يلبن ـ بفتح الياء المثناة تحت وسكون اللام ثم باء موحدة مفتوحة ثم نون ـ غدير بنقيع الحمى ، وبرام بفتح الباء الموحدة أوله ، وقد تكسر ـ جبل من أعلام النقيع اهـ .

اليوم حمى ضرية ، وفى أول الشرف الرَّبَذَة ، وهى الحمى الأيمن ، والشريف إلى جَنْبه يفصل بينهما السرير ، فما كان مُشْرِقاً فهو الشريف ، وما كان مغربا فهو الشرف ، انتهى .

ويحتمل أن المراد بقولهم « حمى الشرف والربذة » حمى ضَرِية والربذة لما سيأتى فى حمى ضَرِيَّةَ أنه كان يقال لعامله عامل الشرف ، ولم يفرد الهجرى فى أحماء نجد الشرف ، ولم يبين له محلا ، وإنما ذكر الربذة وضرية مع ماسيأتى فيهما.

وقال الأصمعى : كان يُقَال : من تَصَيَّفَ الشرف ، وتربَّعَ الحزم ، وشَتَّى الصمّان ؛ فقد أصاب المرعى .

حمى الربذة

ومنها : حمى الرَّبَذَة — قرية بنجد من عمل المدينة ، على ثلاثة أيام منها ، قاله المجد ، وفى كلام الأسدى مايقتضى أنها على أربعة أيام ، قال المجد : وكان أبوذَر الغفارى خرج إليها مُغَاضِباً لعثمان رضى الله تعالى عنهما ، فأقام بها إلى أن مات ، وتقدم قول الأصمعى إنها فى الشرف وإنها الحمى الأيمن ، وقال نصر : هى من منازل الحاج بين السليلة والعقيق ، أى الذى بذات عرق .

وفى تاريخ عبيد الله الأهوازى أنها خَرِبَتْ فى سنة تسعَ عشرة وثلثمائة ؛ لاتصال الحروب بين أهلها وأهل ضرية ثم استأمَنَ أهل ضريَّة إلى القَرَامطة ؛ فاستنجدوهم عليهم ، فارتحل أهلُ الرَّبَذَة عنها فخربت ، وكانت أحسن منزل بطريق مكة .

وقال الأسدى : الرَّبَذَة لقوم من ولد الزبير ، وكانت لسعد بن بكر من فزَارة ، ووصف ما بها من البرك والآبار ، وقال : إن بها بئرا تعرف ببئر المسجد بئر أبى ذر الغفارى .

وتقدم أن النبى صلى الله عليه وسلم حَمَى الربذة لإبل الصدقة ، وقيل : أبو بكر ، وقيل : عمر ، وهو المشهور .

وروى ابن أبى شيبة بإسناد صحيح عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ، ولهذا نقل الهجرى عن جماعة أن أول من أحمى الحمى

بالربذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة ، وأن سَعَة حماه الذى أحمى بريد فى بريد ، وأن سُرَّة حمى الربذة كانت الحرة ، ثم زاد الوُلاَة بعدُ فى الحمى ، وآخر من أحماه أبو بكر الزبيرى لنَعَمِه ، وكان يرعى فيه أهلُ المدينة ، وكان جعفر بن سليمان فى عمله الأخير على المدينة أحماه لظهره بعدَ ما أبيحت الأحماء فى ولاية المهدى ، ثم لم يَحْمِهِ أحد منذ عزل بكار الزبيرى .

وأول أعلامه رحرحان جبل غربى الربذة على أربعة وعشرين ميلا منها فى أرض بنى ثعلبة بن سعد كثير القُنَان ، وأقرب المياه منه ماء يقال له الكديد حفائر عادية عِذاب ، ثم أروم جبل عن يَسَار المُصْعد ، ويدعى الجندورة فى أرض بنى سُلَيم ، وأقرب المياه منه ماء لبنى سليم يدعى ذنوب داخل فى الحمى على اثنى عشر ميلا من الربذة ، ثم اليعملة ، وبها مياه كثيرة ، بينها وبين الربذة ثلاثة عشر ميلا ، ثم عن يسار المصعد هضبات حُمْر يدعين فوافى بأرض بنى سُلَيم ، على اثنى عشر ميلا من الربذة ، ثم عمود المحدث ، وهو عمود أحمر فى أرض محارب ، بأصله مياه تدعى الأقمسية ، على أربعة عشر ميلا من الربذة ، وهو بلد واسع .

حمى ضرية

ومنها : حمى ضرية — قرية سميت باسم بئر يقال لها ضرية ، وقال ابن الكلبى : سميت ضرية بضرية بنت نزار ، وهى أم حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة ، وقال الأصمعى : ويقال ضرية بنت ربيعة بن نزار ، وقال نصر : ضرية صقع واسع بنجد ، ينسب إليه حمى ضرية ، يليه أميرُ المدينة ، وينزل به حاج البصرة ، قال أبو عبيد البكرى : ضرية إلى عامل المدينة ، وقال غيره : هى قرية عامرة قديمة فى طريق مكة من البصرة ، وهى إلى مكة أقرب ، غير أنها من أعمال المدينة يحكم عليها واليها .

وذكر الأسدى فى وصف طريق البصرة ما يقتضى أن ضرية على نحو عشرة

أيام من مكة ، وأخبرنى أهل المعرفة بها أنها من المدينة على نحو سبع مراحل ، وأنها إلى المدينة أقرب .

وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء بطن من أبى بكر كانوا ينزلون البكرات بناحية ضرية ، و بين ضرية والمدينة سبع ليال ، انتهى .

وتقدم قول الأصمى فى الشرف إن به حمى ضرية ، قال : وضرية : بئر ماؤها عذب طيب ، قال الشاعر :

ألا ياحبذا لَبَنُ الخلاَيَا بماء ضَرِيَّةَ العَذْبِ الزلال

ونقل المجد أن أشهر الأحماء وأسْيَرَهَا ذكراً حمى ضرية ، وكان حمى كليب ابن وائل فيما يزعم بعض بادية طيىء ، قال : وذلك مشهور عندنا بالبادية يَرْوِيه كابر عن كابر ، وفى ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن .

قلت : وأخبرنى بذلك رئيس أهل نجد ورأسُها سلطان البحرين والعطيف فريد الوصف والنعت فى جنسه صلاحا و إفضالا وحسن عقيدة أبو الجود أجود ابن جبر أيده الله تعالى وسدده ، وقال : إن قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه ، قال : ودلنى عليه بعضُهم لأقصده ، فقلت : هو واحد من الجاهلية .

ونقل الهجرى أن أول مَنْ أحمى الحمى بضَرِية عمر بن الخطاب ، أحماه لإبل الصدقة وظهرَان الغُزَاة ، وأن سُرُوحَ الغنم العادية من ضرية ترعى على وجوهها ثم تؤوب بضرية ، وذلك ستة أميال من كل ناحية ، وضرية فى وسط الحمى ؛ فكان على ذلك حياةَ عمر وصَدْراً من ولاية عثمان ، ثم كثر النعم حتى بلغ أر بعين ألف بعير ، فضاق عنه الحمى ، فأمر عثمان أن يُزَاد مايسع إبل الصدقة وظهران الغزاة ، فزاد زيادة لم يحددوها ، إلا أن عثمان رضى الله تعالى عنه اشترى ماء من مياه بنى ضبيبة[1] كان أدنى مياه غنى إلى ضَرِية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت فى حمى عثمان ، ثم لم تزل الولاة تزيد فيه ، واتخذوه مأكلة ، ومن أشدهم فيه انبساطا ومنعاً إبراهيم

(١) فى الخلاصة « بنى ضبيبة » .

ابن هشام المخزومى ، زاد فيه وضَيَّقَ على أهله ، واتخذ فيه من كل لون من ألوان الإبل ألف بعير ، ولم تزل حواط الحمى يقاتلون عليه أشدَّ القتال ، ويكون فيه الدماء ، وقاتل مرة حواط ابن هشام ورُعيان أهل المدينة وهم أكثر من مائتى رجل ناسا من غنى على ماء لغنى يقال له الساه قتالا شديداً ، فظفر الغنويون ، فقتلوا منهم اثنى عشر رجلا ، ثم صالحوهم على العقل ، لكل واحد مائة من الإبل ، فقال بعض الغنويين :

يال غنى إنه عقل النَّعَمْ وليس بالنَّوْم وترجيل اللِّمَمْ

وكان ناس من الضباب قدموا على ولد عثمان ، فاستسقوهم بالبكرة فأسقوهم ، فلم تزل بأيديهم .

وحفر عثمان عَيْناً فى ناحية أرض غنى خارجة عن الحمى بناحية الماء الذى يقال له نبى على نحو خمسة عشر ميلا من أضاخ ، وفقرت لها بها فقر كبيرة ، وابتنى عماله عندها قصراً أثره بين قرب واردات مقبل ، ولم تجرِ ، فتركها العمال ، فلم يحرك ذلك السيح إلى اليوم .

ودفنت غنى فى فتنة ابن الزبير عنصر العين وتلك الفقر ، فنسيت عيونه وكل ما سلف من أضاخ فى شرقيها تميمى .

وأدنى مياه بنى تميم إلى أضاخ ماء يقال له أضيح لبنى الهجيم ، وقد دفن منذ دهر ، فقال ناس من بنى عبد الله بن عامر لأصهارٍ لهم من بنى الهجيم : نحن نستسقى لكم آل عثمان فنسقى ، فرغبوا فى ذلك ، فأجابهم آل عثمان ، فاستظعن الهجيميون قومهم إليه ، فلقيهم رعاء غنى ، فسألوهم ، فقالوا : إن بنى عثمان وَلَّوْنَا أمره ، و بلغ الخبر مَنْ بينهم من غنى ، فتواعدوا أن ينزلوا أدنى منازلهم من بقى ، فاجتمع منهم جمع كثيف ، وعلم بنو الهجيم أنهم إن ثبتوا يعظم البلاء ، فظعنوا ليلا إلى بلادهم ، وخاف بعضهم أن يُدْرَك فتركوا به الرحال وما ثقل و بَهْماً فى أرباقه يعنى العُرَى التى يشد بها البَهْمَ ، فغضب أصهار الهجيميين ، واستغضبوا آل عثمان ، فلما قدم

الحسن بن زيد المدينة ومعه بعض أصهـار المجيميين فقالوا لآل عثمان : نجيء لـكم بخيـار تميم ومشايخ أضاخ يشهدون لـكم ، فاستعدى آل عثمان الحسنَ بن زيد على غنى ، وســـألوه المحاكمة بأضاخ لقربها من بنى تميم ، وكلم آلُ عثمان عبدَ الله بن عمرو بن عبسة العثمانى ، فاجتمعوا عند أبى مطرف عامل الجيش بأضاخ ، وولى الخصومة من غنى الحصين بن ثعلبة أحد بنى عمرو الذين امتدحهم ابن عرندس بالأبيات الآتية ، فصـار كلما جاء العثمانى بشاهدٍ من تميم جاءه الغَنَوِى بشاهدين يخرجانه من قيس ، فلحق العثمانى بأهله ، فلم يزل بقى مَوَاتًا . وهذه الخصومة فى سنة خمسين أو إحدى وخمسين ومائة .

واحتفر عبدُ الله بن مُطِيع حفيرةً هى فى أيدى الضباب على بريد من ضرية على طريق أضاخ للمدينة فى ناحية شُعَبَى ، وكان الـكِنْدِيُّونَ يسقون ، وماؤهم يسمى الثريا ، ومنهم العباس بن يزيد الذى هجاه جرير بقوله :

أَعَبْداً حَلَّ فى شُعَبَى غَرِيبا ... أَلُؤْماً لا أبالَكَ واغترابا

إذا حَلَّ الحجيجُ على قنيع ... يبيت الليـل يسترق العتابا

وقنيع : ماء للعباس الـكندى على ظهر مَحَجَّة أهل البصرة فى دارة من دارات الحمى يقال لها دارة عسعس ، فلما أجلى الـكنديون عن قنيع تنازعت بنو أبى بكر بن كلاب و بنو جعفر ، فقالت أبو بكر : نحن أحق بماء حلفائنا ، وقال الجعفريون : هو عند بيوتنا فنحن أحق به ، فجمع بعضهم لبعض بملتقى قنيع ، وكان سيد بنى جعفر عبود بن خالد ، ورأس أبى بكر معروف بن عبد الـكريم وأخته زوجة عبود أم ولده طفيل ، وكان طفيل من أشد بنى جعفر على أخواله ، فخرجت أمُّهُ ليلا لقومها ، فقالت : أشد بنى جعفر لـكم عداوةً ابنُ أختكم ، فإنه معلم بجبه حر مر ، فليـكن أول قتيل ، ثم تداعى القومُ للصلح على تحـكيم سلمة ابن عمرو العريقى ، وكتبوا بذلك وأشهدوا وتواعدوا أن يتوافَوْا عنده بأربعين من كل بطن ، ثم نزلوا بسلمة عند الأجل ، فأقام أياما ينحر لهم كل يوم جزورا ،

ويعطف بعضهم على بعض، ويزهدهم فى قنيع ، فقالوا : إنالم نجئ لتنحر لنا إبلك ، فقال : حياكم الله يا بنى كلاب ، أتيتمونى فى أمر عار ذكره وأهجن ، ولست بحاكم حتى أعقد لنفسى أن لا تردُّوا أنتم ولا مَنْ وراءكم حكمى ، فأخذ عليهم الطلاق والعتاق والمواثيق ، ثم قال : أراكم يا بنى كلاب كلكم ظالم ، تقطعون أرحامكم فى غير مائكم ، لاأرى لأحد منكم فيه حقا ، فَرَضُوا جميعاً ، فامتدحه شعراؤهم ، وكان شريفا حسن العلم بالسنن .

قال عقيل بن عرندس الكلابى يمدحه وأهلَ بيته بنى عمرو بقصيدة منها :

يا أيها الرجـــل المعنى شبيبته	تبكى على ذات خَلْخَال وأسْوَار
خـيرتنـا وبنى عمرو فإنهمُ	ذوو فضول وأحــــلام وأنظار
هَيْنُون لَيْنُون أيْسَار بنو يَسَر	سُوَّاسُ مكرمة أبناء أيْسَار
مَنْ تَلْقَ منهم فقد لاقيتَ سيدَهم	مثل النجوم سَرى فى ضوئها السارى

وقال فيه وفى أخيه جامع أحد بنى بكر :

إذا ماغنى فأخرتْهَا قبيـــلة	فإن غنيًا فى ذَرَى المجد أفْخَرُ
وكم فيهمُ من سيد وابن سيد	ومن فارس يوم الكريهة مِسْعَرُ
هُمُ رتقوا الفَتْقَ الذى كان باديًا	وقامُوا بأفق الحق ، والحقُّ أنورُ
فرحنا جميعا طائعين لحكمه	وهل يدفع الحكم الجليل المنور

واحتفر بعض بنى حسن بن على بالحمى ، واتخذ إلى جنب حفرته عينا ساحت ثم خرجت فى غربى طخفة بشاطىء الريان على ثلاثة عشر ميلا من ضرية ، وهى بيد ناس من بنى جعفر ثم من بنى ملاعب الأسنة من جهة بنى أختهم الحسنيين .

وكان لبنى الأردم — وهم من بنى تميم بن لؤى — ماء قديم على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ثمانية عشر ميلا من ضرية يسمى الجفر ، ومعهم نفر من بنى عامر بن لؤى ، فاحتفر سعيد بن سليمان الساحقى العارى عينا وأساحها وغَرَسَ

عليها نخلا كثيرا على ميل أو نحوه من حفر بنى الأدرم بدارة الأسود جبل عظيم أسود ، وهى عامرة كثيرة النخل .

ولما ولى إبراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحمى حفيرة [با]لهضب اليمنى على ستة أميال من ضرية على طريق البكرة إلى ضرية ، سماها النامية ، وأخرى بناحية شعبى بين ضرية وحَفْر بنى الأدرم على سبعة أميال من ضرية بواد يقال له فاضحة لأنه انفضاح أى انفراج واتساع بين جبال .

ولما هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة إلى جنب حفيرة ابن هشام بفاضحة ، ونزلها بولده حتى مات ، فأقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن فخرج مع محمد ، فلما قتل هرب إلى البصرة ، ثم رجع إلى فاضحة ، وتزوج من بنى جعفر ثم بنى الطفيل فأولد عبد الله فزوّجه ابنة القاسم بن جندب الفزارى ، وكان علما من أعلام العرب ينزل باللواء ، وكان القاسم لا يسير أبدا ، ولم يكن حج قط ، ولا يكاد يقدم ضرية ، وأولاد عبد الله من ابنته فى بقية من أموالهم بفاضحة .

واحتفر عبد الله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ، ودفن حفيرة ابن هشام ، وأخفى مكانها .

واحتفر جُرْش مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بنى الأدرم وحفرة المساحقى سماها الجرشية ، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج من الأنصار ، وأحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان ، فنازعهم محمد بن جعفر ابن مصعب بحق بنى الأدرم ، وكان من أشد الرجال ، فقاتلهم وحده ، فاجتمعوا فأصابه رجلان منهم بفرعين خفيفين فى رأسه ، فأخذهما أسرى حتى أقدمهما ضرية ، واسْتَعْدَى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة ، فضربهما بالسياط ، ثم عفا عنهما ، واختصموا فى الجرشية والحفيرة حتى قضى لبنى الأدرم والمساحقى ، فكلمهم الناسُ فسبقوهم بهما ، وكان الأنصاريون أهل عمود وماشية ، فلما كانت الفتنة

أكلتهم لصوص قيس من كلاب وفزارة ، فلحقوا بطيء وناسبوهم ، فأمنوا مدة ، ثم غارت عليهم لصوص طيء فتفرقوا وتركوا البادية ، وكانت بنو الأدرم و بنو بحير القرشيون قد كثروا بالحفر ، ثم وقع بينهم شر ، وكان جيرانهم من قيس يكرمونهم ، فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض ، فنهبهم بنو كلاب وفزارة ، وقتلوا بعض رجالهم ، فلحقوا بالمدينة ، وتفرقوا ، وقال عبد الجبار المساحقى لبنى فزارة فيما فعلوا بالقرشيين :

مهلا فَزَارَة مَهْلاً لا أبالَكُمُ   مَهْلاً فقد طال إعذارىَ وإنذارى

فى أبيات

وكانت ضرية من مياه الضباب فى الجاهلية لذى الجوشن الضبابى والد شمر قاتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، وكانت مسلمة الضباب يروون أن ذا الجوشن قال فى الجاهلية :

دَعَوْتُ الله إذ سَغِبَتْ عِيالى   لِيَجْعَلَ لى لَدَى وسط طعاما

فأعطانى ضَرِيَّةَ خَيرَ بِئرٍ   تمجُّ الماء والحب التؤاما

ووسط : جبل على ستة أميال من ضرية يطأ الحاج المُصْعِد خيشومه ، و بناحيته اليسرى دارة سعتها ثلاثة أميال أو أربعة ، وقنيع فى أعلاها ، وهى بين وسط وعَسْعَس و يقال لها أيضا : دارة عَسْعَس ، وعسعس : جبل أحمر مجتمع فى السماء بهيئة رجل جالس له رأس ومنكبان .

وأما عين ضرية وسَيْحُها فيقال : إنه كان لعثمان بن عنبسة بن أبى سفيان ، وهو الذى حفرها واغترس النخل وضفر بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء ، وهو سد يعترض الوادى فيقطع ماءه وينحبس زمانا ليكون أغزر للعين ، فلما قام أبو العباس كان ذلك فيما قبضوا ، ففى آخر ولاية أبى العباس وكانت تحته أم سلمة المخزومية من بنى جعفر بن كلاب وقد أحالها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه فسأله أن يقطعه عين ضرية فأقطعه ، وكان بدويا ذا زرع ، فلما أرْطَبَ نخلها

نزلها بأهله ، وكانت نعمه تَرِدُ عليه ، وسأله ناسٌ من ضَرِيَّةَ أن يعريهم من نخلِهِ ، فأعراهم ، وصار يجنى للضيفان من الرطب ، ويحلب لهم من إبله ، فمكث نحو شهرين ، فأتاه ضيفان بعد ماولى الرطب ، فأرسل فلم يؤت إلا بقليل ، وقال له الرسول : ذَهَبَ الرطب إلا ما ترى ، فقال : يسوءنى أن أعود على ضيفانى من نخلكم ، وكان قيمه على العين زَرَع قثاء وبطيخا ، فأتاه بشىء منه ، فقال : قبح الله ماجئت به ، أُحذر أن يراه عيالى ، وكره النخل ، وأراد بيعه ، فاشتراه منه عبدُ الله الهاشمى عاملُ اليمامة بألفى دينار ، ثم ولاه جعفر بن سليمان إذ سأله إياه ، فأحدث بسوق ضرية حوانيت جعلها سماطين داخلين فى سماطَىْ ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتا ، فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزرع ثمانية آلاف درهم فى السنة ، وكان شأن الحمى عند ولاة المدينة عظيما ، كانوا يستعملون عاملا وحده ، وكانت إصابته فيه عظيمة ، وكان لحواطه سلطان عظيم ، وحواط كل ناحية : سادةُ القوم وأشرافهم ، وكان يقال لعامل الحمى :عامل الشرف .

وأقرب أجْبُلِ الحمى المصعد ــ أى أقرب ما ترى من جباله ــ جبل السبتار على طريق البصرة ، أحمر مستطيل فيه ثنايا تسلك ، ومنه طريق البصرة ، بينه وبين أمرة خمسة أميال ، وهو فى دار غنى فى ناحية هضب الأشق ، وبالأشق مياه : منها الريان فى أصل جبل أحمر طويل ، ومن هضب الأشق هضبة فى ناحية عرفج يقال لها الشيماء ، وفى غربى الأشق سواج الطريق تطأ خيشومه .

ومتالع : جبل أحمر عظيم عن يمين أمرة ، على ثلاثة أميال منها البثاءة بينها من أكرم أعلام العرب موضعا .

ولما ولى أبو خليد العبسى خال الوليد عمل ضَرِية نزلها وحَفَر فى جوف الثُّنَاءة فى حق غنى قبره ، فلما ولى بنو العباس هدمت غنى تلك الحفرة وسَوَّوْها بالأرض .

ولبنى عبس ماء فى شعب يقال له الأسودة ، ولهم بالحمى ماء يقال له ضحيح [؟]

فى إبط رميلة الحمى حمى بنى حصبة ، ولهم الحاء بها نخل كثير ، ولهم مياه أخرى ، ثم الأقمس ، ثم تليه هضبات تدعى قطبيات فى إقبـال البئر ، ثم يليها هضبات يقال لها العرائس فى بلد كريم من الوضح فى إقبال البئر أيضا ، و بين العرائس جبل يقال له عمود الـكور .

شعر

شعر : جبل عظيم فى ناحية الوضح ، وعنده ماء يقال له الشطون ، أكثر الشعراء من ذكره ، قال الحضرى :

سَقَى الله الشطون شطون شعر وما بَيْنَ الـكواكب والغَدِير

وعن يسار العرائس بالوضح جبال بينهن آبار صغار سود علاهن الرمل مشرفات على مهزول ، وهو وادٍ فى إقبال البئر ، وهن تسمين العثاعث ، ذكرهن ابن شوذب فى شعر مدح به السرى ، فقال من أبيات :

بربا العثاعث حيث واجهت الربا ســند العروس وقابلت مهزولا

ثم يلى العثاعث ذو عثث وادٍ يصبُّ فى التسرير ، و يصب فيه وادى مرعى وهو بناحية الحمى ، ثم يليه نضاد ، وهو بطرف البئر الشرقى فى حقوق غنى ، و يلى البئر جبال كثيرة سود بعضها إلى بعض ، ومنها تخرج سيول التسرير ، و بنضاد وذى عثث تلتقى سيولها ، والحثحاث والبقر بأقبال نضاد ، وهما المعنيان بالحمى ، ثم يلى الأقمس عن يسار المصعد هضب اليلبين ، وأقرب المياه إليه ماء يقال له اليلبين ، و بين هضب اليلبين والر بذة نيف وعشرون ميلا ، ثم يلى هضب اليلبين عن يسار المصعد الجارة قنان سود بينها و بين الربذة خمسة عشر ميلا ، فى مهب الشمال عن الربذة ، و بينهما هضب يقال لها سنام ، ثم يلى الجارة جبال سود تدعى الهاربية ، بينها و بين الر بذة أر بعة عشر ميلا ، ثم هضب المنحر ، ثم رحرحان .

انتهى مالخصته مما نقله الهجرى ، وقد أكثر الشعراء وغيرهم من ذكر هذا الحمى وأعلامه وأخباره .

وحكى ابن جنى فى النوادر الممتعة عن المفضل بن إسحاق قال هو أو قال بعض المشيخة : لقيتُ أعرابيا فقلت : ممن الرجل ؟ فقال : من بنى أسد ، فقلت : فمن أين أقبلت ؟ قال : من هذه البادية ، قلت : فأين مسكنك منها ؟ قال : مساقط الحمى حمى ضَرية بأرض ها لعمر الله ما نريد بها بدلاً ولا عنها حِولا ، قد نصحتها الغدوات ، وحفتها الفَلَوات ، فلا يَمْلَوْلح ترابها ، ولا يمعر جنابها ، ليس فيها أذى ولا قذى ، ولا وعك ، ولا موم ، ولا حُمى ، فنحن فيها بأرْفَهِ عيش وأرغد معيشة قلت : وما طعامكم ؟ قال : بخ بخ ، عيشنا والله عيش يعلل حاديه ، وطعامنا أطيب طعام وأمرؤه وأهناه : الفَثُّ والهبيد والفطس والصليب والعنكث والعلهز والذآنين والطراثيث والحِسَلَة والضباب ، وربما والله أكلنا القد ، واشتوينا الجلد ، فما نرى أن أحداً أحسن منا حالا ، ولا أخصب جنابا ، ولا أرخى بالا ، فالحمد لله على ما بسط علينا من النعمة ، ورزق من حسن الدَّعَة ، أو ما سمعت قائلنا يقول :

إذا ما أصبنا كلَّ يوم مذيقة ... وخَمسَ تميرات صِغَارٍ كوانِزِ
فنحن ملوك الناس شرقا ومغربا ... ونحن أسود الناس عند الهزاهز
وكم مُتَمَنٍّ عيشَنَا لا يناله ... ولو نالَهُ أضْحَى به جِدٌّ فائز

قلت : فما أقدمك هذه البلدة ؟ قال : بغية ليه ، قلت : وما بغيتك ؟ قال : بَكَرَات أضللتهن ، قلت : وما بكراتك ؟ قال : أبقات عرصات هبصات أرِنَات أوَابٍ ، عِيط عوَائط ، كُومٌ فوَاسج ، أعز بتهن قفا الرحبة رحبة الخرجا ، ضجعن منى فحمةَ العشاء الأولى ، فما شعرت بهن إلى أن ترجل الضحى ، فقفوتهن شهرا ما أحِسُّ لهن أثراً ، فهل عندك جالبة عين أو جابية خبر ؟ لَقيتَ المَرَاشد وكفيت المفاسد .

الموم ـ بالضم ـ البرسان . والفث ـ بالفاء ثم المثلثة ـ حب يعالج و يطحن ويؤكل فى الجدب .

والهبيد : حب الحنظل ينقع فى الماء و يعالج حتى يحلو . والفطس ـ بالسكون ـ حب الآس . والصليب ـ آخره موحدة ـ الوَدَك . والعنكث ـ بالمثلثة ـ نبت خشن شائك يعالجه الضب بذنبه حتى يتحات و يلين ثم يأكله . والعلهز : دم وو بر يلبك ليؤكل فى الجدب. والذآنين ـ بالمعجمة ـ جمع ذؤنون ، نبت معروف ، والطراثيث ـ بالطاء المهملة ومثلثتين بينهما مثناة تحتية ـ جمع طرثوث نبت أحمر . والحسلة ـ كقردة ـ جمع حِسْل ، وهو ولد الضب ، والعرص والهبص والأرَنُ : النشاط ، أوَابٍ : جمع آبية ، وهى التى ضربت فلم تلقح ، عيط عوائط : بمعناه . وكوم فواسج: سمان . وأعز بتهن : بيتُ بهن عازبا عن الحى . قفا الرحبة : خلفها الخرجا : موضع به حجارة فيها سواد و بياض . وضجعن : عدلن ومِلْن ؛ وجابية خبر : أى طريق خارقة .

حمى فيد

ومنها : حمى فَيْد ـ بالفاء ثم المثناة التحتية ـ منزل بنجد فى طريق الحاج العراق ، فيه سوق و برك ونخيل وعيون ، قيل : سميت بفيد بن حام ؛ لأنه أول من سكنها .

وقال ابن جبير : إنه خرج من المدينة النبوية يوم السبت صحبة الركب العراقى فوَصَلوا فيدا صبيحة الأحد التاسع من خروجهم ، وقال الأسدى : فيد بطيىء لبنى نَبْهَان ، و به أخلاط من أسد وهمدان وغيرهم ، و به ثلاث عيون : عين النخل احتفرها عثمان بن عفان ، والأخرى تعرف بالحارة فى وسط الحصن والسوق احتفرها المنصور ، والثالثة تعرف بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدى ، و بفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا ، انتهى .

وقال الهجرى : وأما حمى فيد وصفته فلم أجد أحداً عنده علم ممن كان أول من أحماه ، ولا كم كانت منعته أول ما أحمى ، إلا أن فيدا كان موضعه الذى هو به اليوم فلاة من الأرض بين بنى أسد وطيىء ، وكانت إلى جبل طيىء أقرب ، فذكر أهل العلم ممن لقيت من أهله أنه التقطت به ركبتان كانتا جاهليتين ، التقطهما

أناس من بنى أبى سلام ومعهم نفر من طيىء وهم يرعون هناك فى ولاية بنى مروان، وأن أول من حفر به حفراً فى الإسلام أبو الديلم مولى لفزارة ، فاحتفر العين التى هى اليوم قائمة وأساحها وغَرَسَ عليها ، وكانت فى يده حتى قام بنو العباس فقبضوها ، فهى اليوم فى أيديهم .

قلت : وكأنه لم يقف على ما ذكره الأسدى من عين عثمان رضى الله تعالى عنه ، ولعله أول مَنْ أحماه .

قال الهجرى : وأما أجبل حمى فيد فأولها على طريق الكوفة بين فيد والأجفر جبل يقال له الجبيل أحمر عظيم ، على ستة عشر ميلا من فيد فى أرض بنى أسد ، ليس بين فيد والكوفة جبل غيره ، ثم يليه الغمر جبل أحمر طويل على عشرين ميلا من فيد ، عن يسار المصعد لمكة ، وإلى جنبه ماء يقال له الرخيمة ، وماء يقال له الثعلبية ، وكل ذلك فى الحمى ، ثم عن يسار المصعد قبة سوداء تدعى أذنة ، على ستة عشر ميلا من فيد ، فى أرض بنى أسد ، وفى ناحيتها فى الحمى مياه يقال لها الوراقة . ثم عن يسار المصعد هضب الوراق لبنى أسد، وفى ناحيته مياه يقال لها أفعى ، ومياه يقال لها الوراقة ، ثم جبلان أسْوَدَانِ يُدْعَيَان القرنين فى أرض بنى أسد ، على ستة عشر ميلا من فيد ، والطريق إلى مكة تتوسطهما ، ثم عن يمين الطريق للمصعد جبل أسود يقال له الأحول فى أرض طيىء ، على ستة عشر ميلا من فيد ، وأقرب مياهه أبضة فى حرة سوداء ، ثم عن يمين المصعد جبل يقال له دخنان بأرض طيىء ، على اثنى عشر ميلا من فيد ، ثم جبل يقال له الغبر ، ثم جبلان يقال لهما جاش وجلذية لطيىء ، على أكثر من ثلاثين ميلا من فيد ، وهٰهنا اتسع الحمى وكرم ، ثم الصدر على سبعة أميال وثلاثين ميلا من فيد ، ثم صحراء ليس بها جبل يقال لها صحراء الخلة ، عن يمين الأجفر ، على ستة وثلاثين ميلا من فيد وأقرب مياهها الجثجاثة .

ثم يليها على المحجة أكمة مشرفة على الأجفر . ثم سويقة هضبة حمراء طويلة

فى السماء ، وهى فى الحمى فى أرض الضباب ، على ثلاثين ميلا أو أكثر من ضرية ، وهى التى عنت جمل بنت الأسود الضبابية ، وذلك أنها جاورت بنى الهدر فى أعلى بلاد الضباب ، وهى متعالية لهم واد رغاث يقال له كراء فى علياء دار بنى هلال على ليلتين من الطائف ، وكانت بنو هلال ينهضون على أهله ، حتى جمعت لهم الضباب جمعا وقتلوا منهم وسَبَوْا ، وجاؤا ببعضهم إلى الحمى فهابوهم .

وللضباب ملك آخر يقال له العَرّى بناحية بيشة قرب تبالة ، فجاورت جمل بنى الهدر فى تلك الناحية ، وأغارت لصوصهم على عكرة لها يوم الأضحى ، واغتنموا تشاغل الناس بالعيد ، فقالت جمل وكانت بليغة :

بنى الهدر ماذا تأمرون بعكرة ... قَلَائد لم تُخْلَطْ بخبث نصابها

تظل لأبناء السبيل مُناخَةً ... على الماء يُعْطى دَرُّهَا ورقابها

أقول وقد وَلَّوْا بهيت كأنه ... مَناكِبُ حوضى رملُها وهضابُها

أَلَهْفَ على يوم كيوم سُوَيْقَةٍ ... شفى غل أكباد فساغ شرابها

بنى الهدر لو كنتم كراما وفيتمُ ... لجارتِكم حتى يحينَ انقلاَبُهاَ

ولكنما أنتم حمير حساءة ... مُجَدَّعَةُ الأذناب غُلْبٌ رقاَبُهاَ

فأشارت بقولها « كيوم سويقة » إلى وقعة كانت للضباب مع عامل ضرية مهروب الهمدانى من قبل زياد بن عبيد الله الحارثى ، وذلك أن عاملا له مع حواط الحمى وجدوا نعما للضباب فى الحمى بناحية سويقة فطردوها أقبح الطرد ، فركبوا فى أثره ، فأصابوه بضرب ، وعَقَرُوا راحلته ، فأتى عامل ضرية ، فخرج بجنده وسخر رجالا معه من أهل ضرية كرها حتى لقى نعما للضباب فيها بعضهم ، فأسر نفرا منهم ، فبلغ الضباب ، فأدركوه بسويقة ، فكر عليهم ، فنادوا : يا أهل ضرية ، أنتم مُكْرَهُون فاعتزلوا ، ونادوه أن خل سبيل أصحابنا وما أصيب منا بالذى أصبنا منك ، فتراموا بالنبل حتى فنيت ، ثم اقتتلوا فانهزم ، وأدركوه فقطعوه بالسيوف ، وقتلوا نفرا من أصحابه ، ورجعوا بالأسرى .

ثم يلي سويقة جبل ذو قنان كثيرة ، ليس بالحمى أكبر منه إلا أن يكون شُعَبَى ، وهو جبل أسود ، فى أرض الضباب ، كثير المعادن من التبر ، كان به معدن يقال له النجادى ، كان لابن أبى نَجَّاد[1] ، لم يعلم فى الأرض مثله؛ فمن شيخ من موالى خُزَاعة أنه خرج منه مالم يسمع بمثله ، ورخص الذهب بالعراق والحجاز لما أن كثر حتى قل نيله لغلبة الماء عليه . وقر به قرية عظيمة ، وكان له عامل مفرد يخرج من المدينة .

كبد منى

ثم كبد منى : قنة عظيمة مفردة شرقى منى ، وهو جبل يشرف على ما حوله ينظر إليه الحجاج حين يصدرون عن أمرة ، و بين حليت ومنى جبل يقال له قادم ، و إلى جنبه قويدم ، و بهما مياه يقال لها القادمة من أطيب ماء بالحمى وأرقه ، يضرب بها المثل فى العذوبة ، بينها و بين منى دارة الفهيدة التى عقرت لها ناقة المنسرح وعقر لها ما عقر ، وذلك أنه كان تمثالا لا يكاد يبين ، وله صريمة يحلب عقيلتها لأمه ، فكانت حياتها لأن الناس أشتوا ، فبينا هو بدارة الفهيدة فى ولاية ابن هشام إذ دخلت الحمى فتركها فباتت فرآها بعض الحواط من الموالى ، فطرد الصريمة أقبح الطرد ، فعرض له المنسرح ليكفه ، ولا سلاحَ معه ، فطعَنَ الناقَةَ التى يحلبها المنسرح لأمه فى ضَرْعها فاختَلطَ لبنُها بدمها ، فحلف لا يسكن الحمى ولا يمس رأسه دُهْن حتى يعقر إبل مَنْ عقر ناقته ، فتوجه إلى قومه ، فأخبرهم خبره ، وطلب سيفا قاطعا لا يقع فى شئ إلا خرج منه ، فأعطوه إياه ، فأتى إبلا للمولى مهارى ، فقال للراعى : أنا رسولُ مولاكم وهو بضرية يأمركم أن تَعْقِلوا خيار إبلكم فإنه نصيحكم لأمر حدث ، وأخرج لهم عُقُلاً ، فصدقوه وحلبوا له ناقة ، فوضع الإناء ، فقالوا : ألا تَغْتبق ، قال : دعوه حتى يبرد ، قال : و إنما كرهتُ أن أشرب اللبن وأعقر إبله .

فلما غَفَلُوا عنه أهْرَاقَه ، وعقلوا من خيار الإبل نحو ثلاثين ، فلما ناموا استلّ سيفَه وضرب ناقة على حقيبتها فمضى حتى فَلَقَ ضرعها ، وتواثبت الإبل ، فطفق

(١) فى معجم البكرى « لرجل من ولد سعد بن أبى وقاص يقال له نجاد بن موسى »

فى المَعْقُلَةِ عَقْراً حتى أتى عليها ، وقطع بعضها العُقُلَ فتبعها فما أدرك بعيراً إلا عقره، وفَطِنَ الرعاء فرأوا ما يعمل السيف ، فولوا هَرَباً ، ثم دفن سيفَه بالحمى ، وكان أعز عليــه من نفسه ، وأرسل يخبر أهله ، وركب صاحب الإبل فى الناس حتى نظروا إليهــا ، وقال الرِّعاء : لا نعرفه إلا أنه بمقــام ، فعرف أنه المنسرح ، فأمر ابن هشام بطلبه ، وأُخِذ إخوتُه وأهلُ بيته فحبسوا ، فسمع ، فجاء إلى العــامل فقال : حُلَّ هؤلاء فأنا بِغْيَتُك ، فحبسه وخَلَّاهم ، ورفعه فى وَثَاق إلى ابن هشام ، وخرج معه بعضُ أهل بيته ، قالوا : فلما قدمنا المدينة جعل يأتينا الرجلُ الشريف فيسألنا عن السيف ، ويقول : أرأيتم إن خَلَّصْتُ صاحبكم وضمنت عنه تأتونى بالسيف ، فننــكر ولا نقر بشىء من أمر السيف ، فتوعَّدَه ابنُ هشــام وسأله أن يقر ، فأبى ، وكلم أصحابه نفر من بنى مخزوم فى أن يؤخذ صاحبهم بالبينة أو يحلف ، فسأل ابن هشام خصمه البينة ، فلم يقمها، فأمر بيمينه عند المنبر الشريف .

فلما قرب من المنبر وذكر له ما يحلف عليه ، واندفع يحلف ، شرح الله لسانَه فقال : أحْلِفُ بالله لأنا عقرت إبل فلان بيدى ، ولقد برىء منها غيرى ، فرَدوه إلى ابن هشام ، وابتدرته قريش كل يقول : علىّ الإبل ، طمعاً فى السيف ، ثم اختلف علماء غنى ؛ فقال بعضهم : احتمل ذلك رجل من قريش ، وخلى سبيله ، وخرج معه رسول للسيف، فطلبه فلم يقدر عليه ، وانطلق لسانه من يومئذ فسمى المنسرح.

ثم يلى كبد منى هضب الأشق . هذا آخر ما لخصته من كتاب الهجرى .

قد تم ــ بحول الله تعالى ، وقوته ، ومَعُونته ــ الجزء الثالث من كتاب «وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » للعلامة السمهودى ، ويليه ــ إن شاء الله سبحانه ــ الجزء الرابع ، وهو نهاية الــكتاب ، ومطلعه « الفصل الثامن ، فى بقاع المدينة ، وأعراضها ، وأعمالهــا ، ومضافاتها ، وأنديتها ، وجبالها ، وتلاعها » نسأل الذى لا يعين على الخير سواه أن يمن علينا بإكمالِهِ ، ويوفقنا بفضله إلى إتمامه ؛ إنه ولى ذلك كله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فهرست الجزء الثالث

من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »
لنور الدين على بن أحمد ، المصرى ، السمهودى ، نزيل المدينة المنورة

تمت ـ بحمد الله تعالى وتوفيقه ـ فهرس الجزء الثالث من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » .

والحمد لله أولا وآخراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه



بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين على بن أحمد ، المصرى ، السمهودى ، نزيل دار الهجرة

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة

حَقَّقه ، وفَصَّله ، وعلق حوَاشيه

محمد محيى الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه !



الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م
الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧١ م
الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
الطبعة الرابعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

الحمدُ لله الذى اختار رسولَه محمدا صلى الله عليه وسلم من أطيب الا رومات ، والصلاةُ والسلامُ الأَتمَّانِ الأَكْمَلاَن على أشرف الـكائنات ، وعلى آله وصحبه الذين فَدَوْهُ بالأنفُس والأموال و بالآباء والأمهات . وعلى مَنِ اتبعه واتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

الفصل الثامن

في بقاع المدينة ، وأعراضها ، وأعمالها ، ومضافاتها ، وأنديتها ، وجبالها ، وتِلاَعها ، ومشهور ما في ذلك من الآبار ، والمياه ، والأودية ، وضَبْط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك وبالمساجد والآطام والغزوات ، وشَرْح حال مايتعلق بجهات المدينة وأعمالها من ذلك ، على ترتيب حروف الهجاء الأول فالأول ، وربما اعْتَبَرْتُ في المركب المضافَ إليه لشهرته ، وهذا ممالايستغنى عنه : لعظم نفعه خصوصا للمشتغل بالحديث واللغة ، وقد اعتنى به المجد في كتابه « المغانم » ولخصْتُ كلامَه ، مع حَذْفِ مالا تدعو الحاجة إليه ، وزيادةِ ماهو أولى ، وميزت مازدته من الأسماء برقم (ز) على ذلك الاُسم ، فنقول :

حرف الألف

آرام — آرام — جبل بنواحي الرَّبَذَة ، كأنه جمع إرَم ، وهي حجارة تُنْصَب كالعَلَم ، وفيه يقول شاعر(١) :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَ بَعْدَنَا   أرومٌ فَآرَامٌ فَشَابَةُ فالحضر

وَهَلْ تَرَكَتْ أُبْلِيْ سَوَادَ جِبَالِهَا   وَهَلْ زَالَ بَعْدِي عَنْ قنينته الحجر

وجبل آخر بين مكة والمدينة، وذو آرام :حزم به آرام جَمَعَتْها عادٌ على عهدها ، قاله ياقوت ، وقال أبو زيد : من جبال الضِّبَاب ذات آرام قُنَّة سوداء فيها يقول القائل :

تحلت ذات آرام   ولم تخل عن مصر

آرة — آرة — جبل كبير لمُزَيْنة فوق رأس قدس ممايلي الفُرْع ، قال مُزَرد(٢) لكعب ابن زهير بن أبي سلمى يعزوه إلى مُزَينة ويذكر مكانه من بني عبد الله ابن غَطَفَان :

---

(١) انظر معجم ياقوت (١ / ٩٠) .   (٢) في الأصول « يزيد » تطبيع .

وأنتَ امرُؤٌ من أهْلِ قُدْس وَآرَة   أحَلّكَ عَبْدُ اللهِ أ كْنَافَ مبهل

ومبهل لعبد الله بن غطفان .

وقال عرّام: وآرة يقابل قدسا الأسود من أشمَخ الجبال ، تخر من جوانبه عيون على كل عين قرية ، فمنها الفُرْع قرية كبيرة ، وأم العيال صدقة فاطمة الزهراء ، والمضيق قرية قرية كبيرة أيضا ، والمحضة والوبرة والخضرة والفعوة ، وفى كلها نخيل ومزارع ، وأوديتها تصبُّ فى الأبواء ثم فى وَدَّان ، و يسمى وادى آرة حقيل و به قرية يقال لها و بعان ، وخلف آرة وادٍ فيه قرى ، انتهى .

آنقة

آنقة — تقدم فيما يدفع فى العقيق من الأودية .

أبار ، وأبير

أبار ، وأبير — بالضم ، والثانى مصغر — من أودية الأجرد ، يصبان فى ينبع

أبرق خترب

أبرق خترب — بحمى ضَرِيَّة به مَعْدن فضة كثير النيل .

أبرق الداث

أبرق الداث[1] — بالحمى أيضا ، وسيأتى شاهده فى جبلة ، والداث وادٍ عظيم بين أعلاه و بين ضرية نحو ثمانية أميال .

أبرق العزاف

أبرق العَزّاف — بعين مهملة ثم زاى مشددة آخره فاء ، بين المدينة والرَّبَذَة على عشرين ميلا منها ، به آبار قديمة غليظة الماء ، وسيأتى فى العَزّاف أنه سمى بذلك لأنه كان يُسْمَع به عَزِيف الجن ، أى صوتهم .

وروى ابن إسحاق أن خريم بن فاتك قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ألا أخبرك بِبَدْء إسلامى ؟ بينا أنا فى طلب نَعَم لى ومضى الليل بأبرق العزاف ، فناديت بأعلى صوتى : أعوذ بعزيز هذا الوادى من سُفَهَائه ، و إذا هاتف يهتف بى :

عُذ يافَتَى باللهِ ذِى الجَلالِ   وَالْمَجْدِ وَالنَّعْمَاء وَالإِفْضَالِ

وَاقْرَأْ بآيَاتٍ مِنَ الأَنفَالِ   وَوَحِّـــدِ اللهَ وَلاَ تُبَالِ

فزِعْتُ من ذلك رَوْعاً شديداً ، فلما رجعت إلى نفسى قلت :

---

(١) فى ياقوت دأاث بوزن شداد ، وفى البكرى دآث بوزن كسالى .

يا أيها الهاتِفُ ما تَقُولُ　　أرَشَدٌ عندك أم تَضْلِيلُ
بَيِّنْ لَنَا هُدِيتَ ما السَّبِيلُ

قال فقال :

هٰذَا رَسُولُ اللهِ ذِى الْخَيْرَاتِ　　يَدْعُو إلىَ الْخَيْرَاتِ وَالنَّجاَةِ
يأمُرُ بالصَّوْم وَبالصَّلاَةِ　　ونزع الناس عَنِ الْهَنَاةِ

ثم ذكر شعرا آخر ومجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم و إسلامه .

والأبارق كثيرة ، وهو لغة : الموضع المرتفع ذو الحجارة والرمل والطين .

أبلى أبلى ـ كحبلى ، قال عرّام بعد ذكر الحجر والرحضية : ثم يمضى نحو مكة مُصْعِدا فيميل إلى وادٍ يقال له عريفطان حذاء جبال يقال لها أُبْلَىٰ ، ثم ذكر مياهها الآتية وأنها لبنى سُلَيم .

قلت : هى معروفة اليوم بين السُّوَارقية والرحضية ، على نحو أربعة أيام من المدينة .

وعن الزهرى : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض بنى سُلَيم ، وهو يومئذ ببئر معاوية بجرف أُبْلَىٰ ، وأُبْلَى بين الأرحضية وقران ، كذا ضبطه أبو نعيم .

الأبواء الأبواء ـ بالموحدة كحَلْواء ممدود ، تقدم بيانه فى مسجد الرَّمَادة ومسجد الأبواء .

وسئل كثير عزة : لمَ سميت الأبواء ؟ قال : لأنهم تبوؤها منزلا ، وقيل : لأن السيول تبوأتها ، وقال المجد : هى قرية من عمل الفُرْع ، بينها و بين الْجُحْفَة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا ؛ فتكون على خمسة أيام من المدينة ، وقيل : الأبواء جبل عن يمين آرة ويمين الطريق للمُصْعِد إلى مكة ، وهناك بلد تنسب إلى ذلك الجبل ، وهو بمعنى قول الحافظ ابن حجر : الأبواء جبل من عمل الفُرْع سمى به لِوَبَائه على القلب ، وقيل: لأن السيول تتبوؤه أى تحلُّه .

قلت : ويجمع بأنه اسم للجَبَل والوادى وقريته ، وله ذكر فى حديث الصَّعْب بن جَثّامة وغيره ، وبه قبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن أباه صلى الله عليه وسلم خرج إلى المدينة يَمْتَار تمراً فمات بها ، فكانت زوجته آمنة تخرج كل عام تزور قبره ، فلما أتى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ستُّ سنينَ خرجت به ومعها عبد المطلب — وقيل : أبو طالب — وأم أيمن ، فماتت فى مُنْصَرفها بالأبواء ، وفى رواية أن قبرها بمكة .

وقال النووى : إن الأول أصح .

الأَثَمَة — أَثَمة عبد الله بن الزبير ، تقدمت فى أودية العقيق ، قال الهجرى : الأثمة بساط واسع ينبت عصما للمال ، تدفع على حضير ، وبها بئر تعرف بابن الزبير ، كان الأشعث المدَنى يلزمها ويتخذ بها المال ، فاقتنى ماشية كثيرة . — الأثمة

أثال — بالضم آخره لام ، وادٍ يصب فى وادى الستارة المعروف بقديد ، يسيل فى وادى خيمتى أم معبد ، قاله ياقوت . — أثال

الأثاية — مثلث الهمزة ، وبالمثناة التحتية قبل الهاء ، واقتصر المجد هنا كعياض على ضم الهمزة وكسرها ، ورجح فى فضل المساجد الفتح كما تقدم مع بيانه فى مسجد الأثاية . — الأثاية

وتقدم فى الفضائل حديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان إذا أَقبَل من مكة فكان بالأثاية طرَحَ رداءه وقال : هذه أرواح طيبة » وفى الموطأ فى حديث خروجه صلى الله عليه وسلم إلى مكة « ثم مضى حتى إذا كان بالأثاية بين الرويثة والعَرْج إذا ظبى حاقف فى ظل ، فيه سهم ، فأمر رجلا أن يقف عنده لا يريبه أحد من الناس حتى يجاوزه » .

الأَثَبَة — محركة — واحدةُ الأثَب للشجر المعروف ، وتقدم فى غُدْران العقيق ذو الأثبة ، وفيه يقول أبو وَجْزة : — الأثبة

قَصَدْنَ رياضَ ذِى أُثُبٍ مَقِيلاً وَهُـنَّ رَوَائِح عَيْنَ العَقِيق

وقال الهجرى فى حِمَى النقيع : وفى شرقى الحرة مثلثان نقى ماؤهما ، وهما أثب وأثيب، وقال فى ترتيب مجراه وغدرانه مالفظه: ثم الأثبة ، وبها غدير يسمى الأثبة ، و به سميت ، و به مال لعبدالله بن حمزة[1] الز بيرى، ونخل ليحيى الز بيرى.

الأثيفية الأثيفية ـ بضم أوله وفتح ثانيه وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء بعدها مثناة تحتية مخففة ـ موضع بعقيق المدينة ، قاله الصَّغَانى ، وتقدم فى أوديته ذو أثيفية .

الأثيل الأُثَيْل ـ تصغير الأثل ـ موضع بين بَدْر والصفراء ، به عين لآل جعفر بن أبى طالب ، و يقال : ذوأثيل ، قال ابن السكيت : إنه بتشديد الياء ، قَتَل عنده النبيُّ صلى الله عليه وسلم النَّضْرَ بن الحارث بن كلدة مُنْصَرَفَهُ عن بدر ، فقالت بنته قُتَيْلة ترثيه وتمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

يا راكبا إنَّ الأُثَيْل مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْح خَامِسَةٍ وأَنْتَ مُوَفَّقٌ
بَلِّغْ بِهِ مَيْتاً هُنَــاكَ تحية مَا إن تزالُ بِهَا الركائبُ تَخْفِقُ
ظلت سُيُوف بَنِى أبيهِ تَنُوشُهُ لله أَرْحَامٌ هُنَـاكَ تُشَقَّقُ
أَمحمدٌ ولأنتَ نَجْـلُ نَجِيبَةٍ فى قَوْمِهَا وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الفَتَى وَهُوَ المَغِيظ المُحْنَقُ

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرها رقَّ لها وقال : لوسمعتُه قبل قتله لوهبته لها .

قال الواقدى : ويقال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَه من بدر العصر بالأثيل ، فلما صلى ركعةً تبسم ، فلما سئل عن ذلك قال : مَرَّ بى ميكائيل عليه السلام وعلى جناحه النقع ، فتبسم إلىَّ وقال : إنى كنت فى طلب القوم .

والأثيل : موضع آخر فى ذلك الصقع أكثره لبنى ضَمْرة من كنانه .

ذات أجدال ذات أجدال ـ موضع بمضيق الصفراء .

(١) فى معجم البكرى « عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير » .

الأجرد — أُطمٌ لبنى خُدْرة عند البصة ، وجبل لجهينة شامى بُوَاط الجلسى يأتى مع الأشعر ، والأجرد جبل آخر ، وموضع قبل مدلجة تعهن . الأجرد

أجش — بفتحِ الهمزة والجيم وتشديد الشين المعجمة — أطم لبنى أنيف بقباء . أجش

الأجفر — بفتح الهمزة والفاء ، موضع بين الخزيمية وفيد . الأجفر

أجُم بنيِ ساعدة — بضم أوله وثانيه ، أطم كان لهم قرب ذباب ، وآجام المدينة وآطامها : حصونها ، وقال ابن السكيت : أجم حِصْن بَنَاه أهلُ المدينة ، وكل بيت مربع مسطح أجم . أجم

أحامر — بضم أوله ، قال عرّام : وحذاء أُبْلى جبلٌ يقال له ذو الموقعة من شرقيها ، وهو جبل معدن بنى سليم ، وحذاءه عن يمينه قبل القبلة جبل يقال له أحامر ، وقال ياقوت فى كتابه المشترك : أحامر البغيبغة جبل أحمر من جبال حمى ضَرِية . أحامر

أحباب : جمع حبيب ، بلد فى جنب السوارقية . أحباب

أحجار الزيت — عند الزوراء ، قال ياقوت : هو موضع كان فيه أحجار عَلَتْ عليها الطريق فاندفنت . أحجار الزيت

وقال ابن جُبَير : هو حجر موجود يزار ، يقال : إن الزيت رشَحَ للنبى صلى الله عليه وسلم منه ، وهو موضع صلاة الاستسقاء ، وسبق — فيمن ذكر أنه نقل من شهداء أحد — أن مالك بن سِنان دُفن عند أصحاب العَبَاء.

قال ابن زبالة فى روايته : وهناك كانت أحجار الزيت ومشهد ، مالك بن سنان معروف؛ فأحجار الزيت عنده كما يعلم من أطراف كلام ابن شبة بالزوراء من سوق المدينة .

قال : وحدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبى فديك قال : أدركت أحجار الزيت

ثلاثة مواجهة بيت أم كلاب ، قال : وتعرف اليوم ببيت بنى أسد ، فَعَلاَ السَّكبسُ الحجارةَ فاندفنت .

وعن هلال بن طلحة العمرى أن حبيب بن سلمة كتب إليه أن كعبا سألنى أن أكتب له إلى رجل من قومى عالم بالأرض ، فلما قدم كعب المدينة جاءنى بكافية ، فقال : أعالم أنت بالأرض ؟ قلت : نعم ، قال : إذا كان بالغَدَاة فاغْدُ على ، فجئته حين أصبحت ، فقال : أتعرف موضع أحجار الزيت ؟ قلت : نعم ، وكانت أحجارا بالزَّوْراء يَضَعُ عليها الزياتون رَوَايامم ، فأقبلت حتى جئتها ، فقلت : هذه أحجار الزيت ، فقال كعب : لا ، والله ما هذه صفتها فى كتاب الله ، انطلق أمامى فإنك أهْدَى بالطريق منى ، فانطلقنا حتى جئنا بنى عبد الأشهل ، فقال : إنى أجدُ أحجار الزيت فى كتاب الله هنا ، فَسَلِ القومَ عنها ، فسألتهم عنها ، وقال : إنها ستكون بالمدينة مَلْحَمَة عندها .

قلت : فأحجار الزيت موضعان ؛ فالأول هو المراد بحديث أبى داود واللفظ له والترمذى والحاكم وابن حبان فى صحيحه عن عمير مولى آبى اللحم أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء ، قائما يدعو يستسقى رافعا يديه قبل وجهه ، وفى رواية عن محمد بن إبراهيم أخبرنى مَنْ رأى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو عند أحجار الزيت باسطا كفيه ، والموضع الثانى الذى عَنَى كعبُ الأحبار بمنازل بنى عبد الأشهل بالحرة ، و به كانت واقعة الحرة ، ولعله المراد بحديث : يا أبا ذر ، كيف بك إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت فى الدم ؟ قال : قلت : ما خار الله ورسوله ، قال : عليك بمن أنت معه ، وفى رواية لأبى داود : عليك بمن أنت منه ، وفى رواية لابن ماجة : كيف أنت .

وقيل : يصلب الناسُ حتى تغرق أحجار الزيت بالدم ، ويحتمل أن يكون المراد من ذلك الموضع الأول ، وهو مقتضى قول بعضهم عقب إيراد الحديث

المذكور : إن ذلك وقع فى مقتل محمد الملقب بالنفس الزكية عند أحجار الزيت كما سبقت الإشارة إليه فى ذكر مشهده ، وقال المرجانى : إن بالحرة قطعة تسمى أحجار الزيت لسواد أحجارها كأنها طُليت بالزيت ، وهو موضع كان يستسقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : اشتبه عليه أحد الموضعين بالآخر ؛ لأن الاستسقاء إنما كان بالموضع الذى بقرب الزوراء كما سبق .

أحجار المراء

أحجار المراء — بقباء ، قاله المجد ، وسبق ذكره فى منازل بنى عمرو بن عوف ، وفى نهاية ابن الأثير فيه أنه صلى الله عليه وسلم كان يَلْقَى جبريلَ بأحجار المراء قال مجاهد : هى قباء .

أحد

أحد — بضمتين ، تقدم مع فضائله فى سابع فصول الباب الخامس .

الأحياء

الأحياء — جمع حى من أحياء العرب ، اسمُ ماء أسفل من ثنية المرة برابغ ، به سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب .

الأخارج

الأخارج — من جبال بنى كلاب بجهة ضرية .

أخزم

أخزم — بالزاى كأحمد — جبل بين ملل والروحاء ، ويعرف اليوم بخزيم ، قال ابن هَرْمة :

بأخْزَمَ أوْ بالمُنْحَنَى من سويقة ألا رُبّما قد ذكر الشوقَ أخزمُ

الأخضر

الأخضر — بالفتح والضاد المعجمة ، منزل قرب تَبُوكَ نَزَله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسيره إليها .

أدية

أدية — قُنَّة سوداء على ستة عشر ميلا من فيد .

أذاخر

أذاخر — جمع إذخر ، من أودية المدينة كما تقدم فى الفصل الخامس ، وموضع قرب مكة ينسب إليه نبت أذاخر .

أذبل

أذبل — كأحمد ، أُطم ابتناه سالم وغنم عند الأراكة بدار بنى سالم .

أرابن

أرابن — بالضم ثم الفتح وكسر الموحدة ثم نون ، منزل على قفاَ مبرك ، ينحدر من جبل جهينة على مضيق الصفراء ، قال كثير :

وذكرت عزّةَ إذ تُصاقِبُ دارها　　بُرحَيِّبٍ فأرابن فنخـــال

أراك　أراك ــ جبل يُفْضِى عنده سُيول إضم إلى البحر .

أرثد　أرثد ــ بالمثلثة والدال المهملة كأحمد ــ وادفى الأبواء ، قال كثير :

وإن شفانى نَظْرة إن نظَرتها　　إلى ثافل يوماً وخلفى شنائك

وأن تبرز الخيمات من بطن أرثد　　لَنَا وجبالُ المرختين الدكادك

وقال آخر (١) :

ألم تسأل الخيمات من بطن أرثد　　إلى النخل من وَدّانَ مافعلت نعم

تَشَوَّقنى بالعـــرج منها منازل　　و بالخبت من أعلى منازلهم رسم

أرجام　أرجام ــ بالفتح ثم السكون و بالجيم ، جبل قرب المدينة .

الأرحضية　الأرحضية ــ بحاء مهملة وضاد معجمة ومثناة تحتية مشددة ، قرية للأنصار و بنى سليم ، بها آبار ومزارع كثيرة ، وحذاءها قرية يقال لها الحجر ، قاله عرّام، ومنه أخذ المجد قربها من أبْلىٰ لما تقدم فيها ، وتعرف اليوم بالرحضية ــ بضم الراء ــ وكذا هو فى نسخة لعرّام ، وكذا أعادها المجد فى الراء كاسيأتى ، وذكر الأسدى أنها فى وسَط الطريق بين المدينة ومعدن بنى سليم على نحو خمسين ميلا من كل منهما ، وأن الرشيد كان يسلك هذه الطريق فى رجوعه من المدينة ، وسماها الأرحضية .

أرض جابر　أرض جابر التى عرض علىغُرَمائه، بطريق رومة ، تقدمت فى بئر القرّاصه.

أروى　أروى ــ جمع أروية لأنثى الوُعُول ، اسم ماء لفزَارة قربَ العقيق عند الحاج ، قال شاعرهم :

وإن بأرْوَى مَعدنا لو حَفَرْته　　لأصبحْت غُنْيانًا كثير الدراهم

أروم　أروم ــ جبل سبق فى حمى الربذة ، وشاهده فى أراك .

أريكة　أرَيكة ــ لجهينة ، موضع غربى حمى ضرية ، كان مُصَدِّق المدينة أول ما ينزل عليه .

---

(١) البيتان لنصيب .

أسقف — جبل بطرف رابوع ، وشاهده خاخ .

الأسواف — بالفتح آخره فاء ، موضع شامى البقيع ، سبق فى مساجد المدينة ، قال ابن عبد البر : به صدقة زيد بن ثابت ، وفى طبقات ابن سعد عن خارجة بن زيد عن أبيه زيد بن ثابت أن عمر بن الخطاب كان يستخلفه على المدينة ، فقلّ سفر يرجع إلا أقطع له حديقة من نخل ، قال أبو الزياد : فكنا نتحدث أن الأساويف مما كان عمر أقطعه له .

قلت : و بعض الأسواف بيد طائفة من العرب بالتوارث يعرفون بالزيود ، فلعلهم ذرية زيد بن ثابت .

وفى الأوسط للطبرانى عن جابر قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا لسعد بن الربيع الأنصارى ، ومنزله بالأسواف ، فبسطت امرأته لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سور من نخل ، فجلس وجلسنا معه ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع أبو بكر ، ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع عمر ، ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فطلع عثمان .

وعن أبى سعيد الخدْرى أن النبى صلى الله عليه وسلم جَلَس على بئرٍ بالأسواف ، وأدْلىٰ رجليه فيها ، وذكر مجىء أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ، كما فى حديث بئر أريس ، وأنه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يأذن لكل منهم ، ويبشره بالجنة .

وروى الواقدى عن جابر أن امرأة سعد بن الربيع بعد أن قتل بأُحُدٍ وقبض أخوه ماله قبل نزول الفرائض كانت بالأسواف ، فصنعت طعاما ، ثم دعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال : قوموا بنا ، فقُمْنَا معه ونحن عشرون رجلا ، انتهينا إلى الأسواف ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلنا معه ، فنجدها قد رَشَّتْ ما بين سورين وطَرَحَتْ خفعة[1] ، قال

(١) الخفعة : قطعة من جلد تطرح فى مؤخرة الرحل .

جابر : ما ثَمّ وِسادة ولا بِساط ، و إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فتراءينا مَنْ يطلع ، فطلع أبو بكر ، فقمنا فَبَشّرْناه ثم سلم فردُّوا عليه ، ثم جلس ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فتراءينا من خلال السَّعَفِ مَنْ يطلع ، فطلع عمر ، فقمنا فبشرناه ، فسلم ثم جلس ، ثم قال : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ، فنظرنا من خلال السَّعَف فإذا على بن أبى طالب قد طلع ، فبشرناه بالجنة ، ثم جاء فجلس ، ثم أتى بالطعام ، فأتى بقدر ما يأكل رجل واحد أو اثنان ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَه فيه فقال : كُلوا باسم الله ، فأكلنا منها حتى نهلنا وما أرانا حركنا منها شيئا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارْفَعُوا هٰذا الطعام ، فرفعوه ، ثم أتينا برُطَب فى طبق باكورة قليل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : باسم الله كلوا ، فأكلنا حتى نهلنا و إنى لأرى فى الطبق نحوا مما أتى به ، وجاءت الظهر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمس ماء ، ثم رجع إلى فتحدث ، ثم جاءت العصر فأتى ببقية الطعام نتشبّع به ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم فصلى بنا العصر ولم يمس ماء ، ثم قامت امرأة سعد ابن الربيع فقالت : يا رسول الله إن سعد بن الربيع قُتل بأُحد ، وذكر قصتها فى أخذ أخيه لماله ، ونزول الفرائض بعد ذلك ، وأن ابنة سعد بن الربيع كانت زوجَ زيد بن ثابت ، وهى أم ابنه خارجة بن زيد ، وكانت يومئذ حاملا .

أشاقر

أشاقر — جبال بين مكة والمدينة .

الأشعر

الأشعر — جبل جهينة ، ينحدر على ينبع ، قال الهجرى : وجدت صفة الجبلين الأشعر والأجرد جبلى جهينة ومن أخذ من قريش بذلك أرضا ، فنقلته للحديث الذى جاء فيهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأمان من الفتن .

وقال الأشعرى : يحده من شقه اليمانى وادى الروحاء ، ويحده من شقه الشامى بواطان ، وتقدم فى فضل أُحُد حديث «خير الجبال أُحُدٌ والأشعر وورقان »

الأشنف ـ أطُم يواجه مسجد الخربة .

الأشيق ـ بعشاة تحتية يضاف إليه هضب الأشيق ، والعقيليون يقولون : الشفيق ، تقدم فى حمى فَيْد ، وهو بلد سَهْـل كأن ترابه الكافور الأبيض، وأفضل مياهه الريان ثم عرفجا .

أضاة بنى غفار ـ بالضاد المعجمة والقصر كحَصَاة ، مستنقع الماء ، قال فى المشارق : هو موضع بالمدينة ، وفيه حديث أن جبريل عليه السلام لقى النبىَّ صلى الله عليه وسلم عند أضَاة بنى غفار ، انتهى . ولعله فيما تقدم من منازل بنى غفار ، لـكن سيأتى فى تناضب ما يقتضى أنه بقرب مكة .

أضاخ ـ كغُرَاب ، آخره معجمة ، وقد تبدل همزته واوا ، سوق على ليلة من عرفجا .

أضافر ـ جمع ضفيرة ، وهى الحقف من الرمل ، اسم ثنايا سلَـكَهَا النبى صلى الله عليه وسلم بعـد ارتحاله من ذفران يريد بدرا ، وذو الأضافر : هضبات على ميلين من هَرْشَى ، ويقال لهن الأضافر أيضاً .

إضم ـ كعِنَب ، قال المجد : اسم الوادى الذى فيه المدينة ، والصواب فيـه ما تقدم فى خاتمة الفصل الخامس فى الأودية ، ويوافقه قولُ الهجرى : أول إضم مجتمع الأسيال ، وإياه عنى الأحوصُ بقوله :

يا واقدَ النـــارِ بالعَلْيَاء مِنْ إضَمِ أوْقِدْ فَقَدْهِجْتَ شَوْقاً غيْرَمُنْصَرِم

قال : وبإضم أموال زعاب على عيون ، وإنما سمى إضما لانضمام السيول به .

قلت : ويسمى اليوم بالضيقة ، وبهذا الوادى جبل يسمى بإضم كما تقدمت الإشارة إليـه ، وفى قاموس المجد : إضم جبل ، والوادى الذى فيه المدينة النبوية عند المدينة يسمى قناة ، ومن أعلى منها عند السد الشُّظَاة ، ثم ما كان أسفل من ذلك يسمى إضما ، انتهى . وعبارة ياقوت فى المستدرك له: إضم وادٍ فى المدينة ، ويسمى عند المدينة القَنَاة ، إلى آخره .

وروى البيهقى خبرا فى مصارعته صلى الله عليه وسلم رُكَانة يتضمَّنُ أن رُكانة كان يَرْعَى غنما له فى وادٍ يقال له إضم ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة رضى الله تعالى عنها إلى ذلك الوادى ، وذكر قصة المصارعة به .

و بطن إضم كما فى طبقات ابن سعد فى سرية أبى قتادة إلى بطن إضم : ما بين ذى خشب وذى المروة ، بينها و بين المدينة ثلاثة بُرُدٍ .

الأطول — الأطول ـ أطم بمنازل بنى عبيد عند مسجد الخربة من القبلة .

أعشار — أعشار ـ من أودية العقيق ، وتقدم نزوله صلى الله عليه وسلم بكهف أعشار فيه .

أعظم — أعظم ـ بضم الظاء المعجمة[1] ، جمع عظم ، جبل كبير شمالى ذات الجيش ، قاله المجد ، وفى خط المراغى بفتح الهمزة والظاء معاً ، و يقال فيه عَظَم ـ بفتحتين ـ وهو المعروف بين أهل المدينة ، والموجود فى كلام الزبير ، قال : وفيه يقول عامر الزبيرى :

قل للذى رَامَ هٰذَا الحىَّ من أَسَدٍ　　رُمْتَ الشَّوامِخَ من عَيْرٍ ومن عَظَمِ

وفى أبيات الهمزة فى كتاب الهجرى عن محمد بن قليع عن أشياخه قالوا : مابرقت السماء قط على عَظَم إلا استهلت . وكانوا يقولون : إن على ظهره قبر نبى أو رجل صالح ، قال : وأنا أقول : إن عَظَم من منزلى إذا بَدَوْتُ فى ضيعتىَّ ـ بالتثنية ـ بحيث يناله دعائى ، فقلما أصابنا مطر إلا كان عَظَم أسعدَ جبالنا به وأوفرها حظًا .

أعماد — أعماد ـ أربعة آطام بين المَذَاد والدَّوَيخل ، جبل بنى عبيد ، بعضها لبنى عبيد ، و بعضها لبنى حرام من بنى سلمة .

الأعواف — الأعواف ـ ويقال العواف ، إحدى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم وآباره المتقدمة .

الأعوص — الأعوص ـ بالعين والصاد المهملتين ، موضع شرقىَّ المدينة بطرف الطريق ،

---

(١) فى معجم ياقوت ومعجم البكرى « أعظام » .

بين بئر السائب و بئر المطلب ، به أبيات وآبار ، سمى بذلك لأن رجلا من بنى أمية أراد أن يستخرج به بئراً ، فاعتاصت عليه ، وكان يسكنه إسماعيل بن عمرو ابن سعيد الأشدق ، و إياه عنى عمر بن عبد العزيز بقوله : لو كان لى أن أعْهَدَ ما عدوت أحدَ الرجلين : صاحب الأعوص [أو أعْمَشَ بنى تميم ، يعنى القاسم بن محمد](١) .

الأغلب — الأغلب ـ بالغين المعجمة ، أُطم لبنى سواد ، تقدم فى منازلهم .

أفاعية — أفاعية ـ كمجاهدة بعين مهملة مكسورة ، منهل لسليم فى الطريق النجدى إلى مكة ، على ستة وعشرين ميلا ونصف من معدن بنى سليم ، وذكر الأسدى ما فيها من البرك ، والآبار ، قال : وهى لقوم من ولد الصديق وولد الزبير رضى الله تعالى عنهما وقوم من قيس .

الأفراق — الأفراق ـ قال فى المشارق : بفتح الهمزة و بالفاء عند كافة شيوخنا كأنه جمع فَرَق ، وضبطه بعضهم بالكسر ، موضع من أموال المدينة وحوائطها ، و بالفتح ذكره البكرى .

الأفلس — الأفلس ـ قال الهجرى : إذا أفضى سيلُ العقيق من قاع البقيع خرج إلى قرادة أفلس قاع لاشجر فيه ، وأرضه بيضاء كالمرآة ، لها حس تحت الحافر .

الأقمس — الأقمس ـ جبل تقدم بحمى ضرية .

الأكحل — الأكحل ـ ذكره صاحب « المسالك والممالك » فى توابع المدينة وتخاليفها ، فكان به مال لعاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما ، وسبق فى الفصل السادس أن الطريق إلى سنانة و إلى القرينين جند والأكحل يعترض حمى النقيع يساراً للخارج من المدينة إلى ذلك .

الأب — ألاَب ـ كسراب ، قال المجد : شعبة واسعة من ديار مزينة .

قلت : هو وادٍ معروف عده الهجرى فى أودية الأشعر ، وقال : يلتقى مع مضيق الصفراء أسفل من عين العلا .

(١) زيادة عن معجم البكرى لايتم الكلام بدونها .

ألبن — ألبن ـ بالفتح ثم السكون و بموحدة مفتوحة على الأفصح ، كما سيأتى فى يلبن بإبدال الهمزة مثناة تحتية .

ألهان — ألهان ـ بالفتح وسكون اللام ، موضع كان لبنى قريظة .

أم العيال — أم العيال ـ سبق فى آرة ، عن عرام أنها صدقة فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ، وأنها عين عليها قرية هناك ، وقال ابن حزم : هى عين لجعفر بن طلحة ابن عبيد الله التيمى ، أنفق عليها مائتى ألف دينار ، وكانت تسقى أزيد من عشرين ألف نخلة .

أمج — أمج ـ بالجيم وفتحتين ، بلد من أعراض المدينة ، قاله المجد ، قال : وقال أبو المنذر بن محمد : أمج وعران واديان يأخذان من حرة بنى سليم ، و يفرغان فى البحر .

قلت : ذكر الأسدى أن أمج بعد خليص بجهة مكة بميلين ، قال : و بعده بميل وادى الأزرق ، و يعرف بعران ، وأمج لخزاعة ، و به نحو عشرين بئرا يزرع عليها . انتهى . وهو موافق لما سبق فى تاسع فصول الباب الثالث لاقتضائه أنه بين عُسْفان وقديد .

وقال الوليد بن العباس القرشى : خرجت إلى مكة فى طلب عبد آبِقٍ لى ، فسرت سيرا شديدا حتى وَرَدْتُ أمج فى اليوم الثالث غدوة ، فتعبت ، فحَطَطْتُ رَحْلى ، واستلقيت على ظهرى ، واندفعت أغنى :

يامن على الأرض من غادٍ ومُدَّلجٍ ... اقْرَ السَّلاَم على الأبيات من أمَجِ
اقْرَ السَّلاَم على ظبْيٍ كَلِفْتُ به ... فيها أغَنَّ غضيضِ الطَّرْف من دَعَجِ
مَنْ لا يُبَلِّغُهُ عـــنى تحيتَـــهُ ... ذَاقَ الحِمَامِ وَعَاشَ الدهْرَ فى حَرَجِ

قال : فلم أدرِ إلا وشيخ على عَصًا يهدج إلىّ ، فقال : يا فتى أنشدك الله إلا رددت إلىّ الشعر ، فقلت : بلحنه ؟ قال : بلحنه ، ففعلت ، فجعل يتطرب ، فلما

فرغت قال : أتدرى مَنْ قائله ؟ قلت : لا ، قال : أنا والله قائله من ثمانين سنة ، وإذا هو من أهل أمج ،

ومنهم حميد الأمجى الذى يقول :

شربتُ المُدَام فلم أقْلِع وعُوتِبْتُ فيها فلم أسْمع
حميد الذى أمَجٌ دارُه أخو الخمر ذو الشيبة الأصلع
عَلَاه المشيب على حبها وكان كريماً فلم ينزع

حكى أن عمر بن عبد العزيز قال له : أنت القائل * حميد الذى أمج داره * البيتين ؟ قال : نعم ،قال عمر : ما أرانى إلا حادك ، أقرَرْتَ بشربها ، وأنك لم تنزع عنها ، قال : ألم تسمع الله يقول (والشعراء يتبعهم الغاوون) إلى (وأنهم يقولون مالا يفعلون) فقال عمر : ما أراك إلا قد أفلَتَّ ، ويحك يا حميد كان أبوك رجلا صالحا وأنت رجل سوء ، قال : أصلحك الله وأين من يشبه أباه كان أبوك رجل سوء وأنت رجل صالح .

وقال : جعفر الزبيرى :

هل بادّكار الحبيب مِنْ حَرَج أم هل لهمّ الفؤاد من فرج ؟
ولَسْتُ أنسى مَسِيرَنَا ظُهراً حين حَلَلْنَا بالسفح من أمج

ذو أمر

ذو أمر — بفتحتين ، وادٍ بطريق فَيْد إلى المدينة على نحو ثلاث مراحل من المدينة بقرية النخيل ، قاله الأسدى ، وظاهر كلام غيره أنه الذى بقرية نخل ؛ لما سيأتى فيها ، وقال ابن حزم : إن النبى صلى الله عليه وسلم عَقَدَ لعَوْسَجَة الجهنى على ألف من جهينة وأقطعه ذا أمر ، وإن بعض ولد عبد الله ابن الزبير اعتزل بأمر من بطن إضم فى بعض الفتن .

إمرة

إمّرة — كإمّعَة ، وبفتح الهمزة والميم ، موضع بشق حمى ضرية قرب جبل

المنار ، وهو من منازل الحاج العراق ، به آبار كثيرة طيبة ، سمى باسم الصغير من ولد الضأن .

إنسان إنسان ــ جبل فى وسطه ماء يقال له : إنسان ، قال الهجرى فى حمى فَيْد : و بشرقى الرخام ماء يقال له إنسان لكعب بن سَعْد الغَنَوى الشاعر ، وهو عن يمين الجبل والرملة التى تدعى برملة إنسان.

الأنعم الأنْعُم ــ بضم العين ، موضع بالعالية ، وقال نصر : جبل بالمدينة عليه بعض بيوتها ، قال جرير :

* حيِّ الديار بعاقلٍ فالأنْعُم *

كذا قال المجد ، والصواب أن الذى عناه جرير جبل ببطن عاقل قرب حمى ضَرِية ، وقال المجد : إنه بفتح العين ، وغايَرَ بينه و بين هذا فى الترجمة ، وقال : إنه ببطن عاقل بين اليمامة والمدينة ، و إنه الذى بنى عليه المزنى وجابر بن عبد الله الربعى ، وفيه يقول الشاعر :

لمن الديار غَشِيتُها بالأنعم دَرَسَتْ وعهد جديدها لم يقدم[1]

وقوله « إنه الذى بنى عليه المزنى ــ إلى آخره » إنما هو فى الأنعم الذى قال نصر فيه: إنه بالمدينة ، كما تقدم عن ابن زبالة فى مسجد المنارتين بطريق العقيق ، و إنه الجبل الذى على يسار المارِّ أولَ الرقيقين للعقيق ، مع أن المجد ذكر فى الأنعم الذى ببطن عاقل الحديثَ المتقدم أيضاً فى خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الجبل الأحمر الذى بين المنارتين ، واسمه الأنعم ، ولعل الخلل من النساخ .

إهاب إهاب ــ ككتاب ، فى حديث مسلم « تبلغ المساكن إهاب أو يهاب » قال عياض : كذا جاءت الرواية على الشك « أو يهاب » بكسر الياء المثناة من تحت عند كافة شيوخنا الأسدى والصدفى ، وعند التميمى كذلك ، وقال : وبالنون معاً ، ولم أجد هذا الحرف فى غير هذا الحديث ، ولا مَنْ ذكره ، وهو موضع قرب المدينة ، انتهى .

---

(١) البيت لبشر بن أبى خازم ، والمروى فى عجزه * تبدو معالمها كلون الأرقم .

وتبعه المجد ، وقد سبق من رواية أحمد أنه صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ حتى أتى بئر الإهاب ، قال : يوشك البنيان أن يأتى هذا المكان » وتقدم فى صيد الحرم عن عباد الزرقى أنه كان يصيد العصافير فى بئر إهاب ، وهذه البئر هى المتقدمة فى الآبار المباركات أول الباب السادس مع ما جاء فيها ، وبينّا أنها فى الحرة الغربية ، وأن الظاهر أنها المعروفة اليوم بزمزم .

ذو أوان ذو أوان ــ بلفظ الأوان للحين ، موضع على ساعة من المدينة ، قال ابن إسحاق : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قَفَلَ من تَبُوك ونزل بذى أوان بلد بينه و بين المدينة ساعة من نهار ، أتاه خبرُ مسجد الضرار .

الأوساط الأوساط ــ تقدم فى حديث فى مسجد قباء « شهدَ جنازةً بالأوساط بدار سعد بن عُبادة » ورأيته بخط العلامة أبى الفتح المراغى وكان منقباً مجرّداً عن النقط، فلعله بالسين والطاء المهملتين ، ويؤخذ منه أنه بمنازل بنى ساعدة ، ويخالفه قوله فى الرواية الأخرى « من بَلْحَارث بن الخزرج » إلا أن يراد من كان بدار سعد من بلْحَارث ، على ما سبق فى المنازل .

أيد أيد ــ بلفظ الأيد للقوة والاشتداد من آد يَئِيدُ أيْداً ، موضع على مقربة من المدينة .

حرف الباء

بئر أرمى بئر أرْمَى ــ بفتح الهمزة وسكون الراء وميم ثم ألف مقصورة ، بئر كان عندها غزوة ذات الرقاع ، على ثلاثة أميال من المدينة ، كذا قاله المجد ، ومأخذه ماسيأتى عن الواقدى فى نخل ، وسنبين أن صوابه ثلاثة أيام .

بئر ألية بئر ألية ــ بلفظ ألية الشاة ، فى حرم بنى عوال ، على نيف وأر بعين ميلا من المدينة ، وقيل : ألية وادٍ بفسح الحيا ، والفسح : وادٍ بجانب عُرَنة ، وعرنة : روضة بوادٍ مما كان يحمى للخيول فى الجاهلية والإسلام بأسفلها ، انتهى .

بئر جشم

بئر جُشَم – بضم الجيم وفتح الشين المعجمة ، تقدم ذكرها فى وادى رَانُونا من الفصل الخامس ، وأن الظاهر أنها مضافة إلى جُشَم بن الخزرج جَدِّ بنى مالك ابن عصب ، ومنزلهم ببنى بياضة غربى رَانُونا .

وفى الموطأ عن عمرو بن سليم الزُّرَقى قال : قيل لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إن ههنا غلاماً يفاعاً لم يحتلم من غسان ووريثه بالشام ، وهو ذو مال ، وليس له هنا إلا ابنة عم ، فقال : فليوصِ لها ، فأوصى لها بمالٍ يقال له « بئر جشم » فبيع ذلك المال بثلاثين ألف درهم ، وابنة عمه التى أوصَى لها أم عمرو بن سليم الزرقى .

وسبق آخر الكلام فى منازل بنى بَياضة أن عبد الله بن حبيب بن عبدحارثة ابن مالك بن عصب بن جشم والد أبى جبلة الغسانى ملك غَسَّان بالشام ، فيتأيد به ما سبق ، وقال المجد تبعاً لياقوت فى الجرف : إن بئر جُشَم به ، فإن صح فهى غير المذكورة فى مسيل رانونا .

بئر الحرة

بئر الحرة – ذكر الغزالى أن القادم للزيارة يغتسل منها ، ولعلها بئر السُّقْيا ، لما سبق فيها .

بئر خارجة

بئر خارجة – بالخاء المعجمة وكسر الراء وفتح الجيم ، فى حديث أبى هريرة عند مسلم « كنا قعُوداً حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر فى نفر ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا ، وخشينا أن يقتطع دوننا ، وفزعنا ، وقمنا فكنت أول من فزعَ ، فخرجت أبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أتيت حائطاً للأنصار لبنى النجار فدُرْتُ به عَلّى أجد له باباً ، فلم أجد ، فإذا ربيع يدخل فى جوف حائط من بئرٍ خارجَةَ ، فاحتفرت ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، يروى « خارجَهُ » أى خارج البستان،

و«خارجةٍ» على النعت ، والصواب الأول،وهو الإضافة،صرح به صاحب التحرز ، قال : وخارجة رجل أضيفت إليه البئر ، قاله النووى.

بئر خريف

بئر خريف – تقدم فى بئر أريس أن عثمان رضى الله تعالى عنه أدخلها فى صدقته ببئر أريس وسقوط الخاتم بها فى رواية .

بئر الحصى

بئر الحصى – ستأتى فى الخاء المعجمة .

بئر خطمة

بئر خطمة – هى بئر ذرع المتقدمة أول الباب السادس .

بئر الدريك

بئر الدُّرَيك – تصغير درك ، ويقال فيها : بئر الزريق ، قاله المجد ، وفى منازل بنى خطمة أنهم ابتنوا أطما كان على بئر الدرك ، فهى المرادة . وقال قيس بن الخطيم :

كأنا وقد أخلوا لنا عن نسائهم أُسُودٌ لها فى غيل بيشة أشبُلُ
ببئر دُرَيك فاسْتَعِدُّوا لمثلها وأصغوا لها آذانكم وتأملوا

بئر ذروان

بئر ذَرْوَان – بفتح الذال المعجمة وسكون الراء عند رواة البخارى كافة ، وكذا روى عن ابن الحذاء ، وفى كتاب الدعوات من البخارى فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها : وذروان بئر فى بنى زريق ، قال الجرجانى : رواة مسلم كافة بئر ذى أروان ، ووقع عند الأصيلى بئر ذى أوان ، بغير راء ، قال عياض وتبعه المجد : هو وهم ، فإن ذا أوان موضع آخر على ساعة من المدينة ، وهو الذى بنى فيه مسجد الضرار .

قلت: الصواب أن خبر مسجد الضرار أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بذى أوان كما سبق لأنه بنى به .

وقال الحافظ ابن حجر : كأن رُوَاة الأصيلى كانت بئر ذى أروان ، فسقطت الراء ، قال : ويجمع بين رواية ذروان وذى أروان بأن الأصل ذى أروان ثم

سهلت الهمزة لكثرة الاستعمال ، فصار ذروان ، ويؤيده أن أبا عبيد البكرى صوّب أن اسم البئر أروان ، وأن الذى قال ذروان أخطأ ، وقد ظهر أنه ليس بخطأ ، ووقع فى رواية كما قال البكرى بئر أروان بإسقاط ذى .

قلت : فمن قال ذروان فقد تصرف فى أصل الكلمة ، ولذلك قال عياض : قال الأصمعى : وبعضهم يخطىء فيقول : بئر ذروان ، والذى صححه ابن قتيبة ذو أروان بالتحريك .

وحديث هذه البئر فى الصحيحين وغيرهما فى سحر لَبيد بن الأعصم ، وفى رواية أنه أعصم السحولى ، وفى أخرى رجل من بنى زريق حليف ليهود وكان منافقاً ، سحر فى السنة الثامنة كما سبق رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ووضعه تحت راعوفة هذه البئر ، فأثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أُرِيَهُ فى نومه ودُلّ عليه فيها ، فأرسل إليها ، وكأن ماءها نقاعة الحناء ، وكأن نخلها رؤس الشياطين ، فاستخرج السحر وحل .

وفى رواية فى الصحيح أيضاً « فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه إلى البئر ، فنظر إليها وقال : هذه البئر التى أريتها ، فرجع إلى عائشة ، قالت : فقلت : يارسول الله أفلا أخرجته ، وفى أخرى : أفلا أحرقته ، قال : لا ، أما أنا فقد عافانى الله ، وكرهت أن أثير على الناس شراً ، فأمرت بها فدفنت » .

وفى رواية لابن سعد : فقلت يارسول الله فأخرجه للناس ، فقال : أما أنا فقد عافانى الله .

فظهر أن الذى امتنع منه إنما هو إخراجه للناس ، لا إخراجه من البئر ، جمعاً بين الروايات .

وعند النسائى : سَحَر النبى صلى الله عليه وسلم رجلٌ من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، فأتاه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، عقَدَ لك عقداً فى

بئر كذا وكذا ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فحلّها ، فقام كأنما نَشِطَ من عِقال ، فما ذكر ذلك لذلك اليهودى ولا رآه فى وجهه قط .

وفى رواية لابن سعد أن لبيد بن الأعصم سَحَر النبى صلى الله عليه وسلم، ثم إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أخْبَرَاه ، فأخذه ، فاعترف ، فاستخرج السحر فحله ، فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفا عنه .

وفى رواية له : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عنه .

وقال عكرمة : ثم كان يراه بعد عَفْوه فيعرض عنه ، قال الواقدى : وهذا أثْبَتُ عندنا ممن روى أنه قتله .

وفى رواية له : لما رجَع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الُحديبية ودخَل المحرم جاءت رؤساء يهود الذين بقوا بالمدينة ممن يُظْهر الإسلام وهو منافق إلى لبيد بن الأعصم — وكان حليفا فى بنى زُرَيق ، وكان ساحرا قد علمت يهود أنه أعلَمُهم بالسحر — فقالوا: يا أبا الأعصم ، أنت أسْحَرنا ، وقد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئاً ، وأنت ترى أثره فينا ، ونحن نجعل لك على ذلك جُعْلا ، فجعلوا له ثلاثة دنانير على أن يسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعمد إلى مشط وما يمشط من الرأس من الشعر فعقد فيه عُقَدا وتَفَلَ فيه تفلا ، وجعله فى جف طلعة ذكر ، ثم جعله تحت أرعوفة البئر ؛ فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً أنكره بصره حتى دله الله عليه ، فدعا جبير بن إياس الزرقى فدلَّه على موضع فى بئر ذروان تحت أرعوفة البئر ، ثم أرسل إلى لبيد بن الأعصم ، فقال له : ما حملك على ما صنعت فقد دلنى الله على سحرك ؟ فقال : حُبُّ الدنانير.

قال إسحاق بن عبد الله : فأخبرت عبد الرحمن بن كعب بن مالك بهذا ، فقال : إنما سحره بنات أعْصَمَ أخواتُ لبيد ، وكنّ أسْحَرَ منه وأخْبَثَ ، وكان لبيد هو الذى أدخله تحت أرعوفة البئر .

وقال الحارث بن قيس : يارسول الله ، ألانهور البئر ، فأعرض عنه ، فهوّرها الحارث وأصحابه ، وكان يستعذب منها .

قال : وحفروا بئرا أخرى فأعانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على حَفْرها حتى استنبطوا ماءها ، ثم تهورت بعد ، ويقال : إن الذى أخرج السحر بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن .

وفى رواية لابن سعد أيضا : فبعث نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إلى على وعمار وأمرهما أن يأتيا الركى فيفعلا الذى سمع ، يعنى من الملكين ، فأتياها وماؤها كأنه قد خُضِبَ بالحناء ، فنزلاها ثم رفعا الصخرة ، فأخرجا طلعة فإذا فيها إحدى عشرة عقدة ، ونزلت هاتان السورتان (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلَّتْ عقدة حتى انحلت العقد .

بئر رئاب — بئر رئاب — بكسر الراء ثم همزة وألف وآخره موحدة ، بئر بالمدينة لها شاهد فى مخيض .

بئر ركانة — بئر رُكانة — على عشرة أميال من المدينة بطريق العراق ، وبها حوض ، وهناك آخر عمل الطرف وأول عمل المدينة . ووراءها بميلين بئر بنى المطلب ، قاله الأسدى .

بئر زمزم — بئر زمزم — بزايين معجمتين ، تقدمت فى بئر إهاب أول الباب السادس ، سميت بذلك لكثرة التبرك بمائها ونقله إلى الآفاق كبئر زمزم .

بئر زياد — بئر زياد[1] — لها ذكر فيما سيأتى فى عيون الحسين .

بئر السائب — بئر السائب — بالطريق النجدى على أربعة وعشرين ميلامن المدينة ، وبينها وبين الشقرة مثل ذلك ، وبها قَصْر وعمائر وسوق ، وسميت بذلك لأن عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه حفرها للناس ، ويقال لواديها العرنية ، سَيْله يمضى

(١) فى أصول الكتاب « بئر دياب » تصحيف .

منها فيدفع فى الأعواض ، ثم فى قناة ، والجبل المشرف على بئر السائب يقال له شباع ، ذكر بعض أهل البادية أن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان قد نزل فى أعلاه ، قاله الأسدى .

بئر سميحة

بئر سميحة ـ ستأتى فى السين .

بئر شداد

بئر شداد ـ بناحية الحشحاثة .

بئر عائشة

بئر عائشة ـ رجل من بنى واقف ، وهو عائشة بن نمير بن واقف ، كان له أُطم عليها ، ومنازلهم فى جهة قبلة مسجد الفضيخ .

بئر عذق

بئر عَذْق ـ بفتح العين وسكون الذال المعجمة بلفظ العَذْق للنخلة ، معروفة بقباء ، وهى المتقدمة فى منازل بنى أنيف .

بئر عروة

بئر عروة بن الزبير ـ تقدمت مع قصره بالعقيق ، وكانت شهيرة ثم دثرت ، حتى قال المجد : إنه لم يجد من يعرفها .

بئر ذات العلم

بئر ذات العَلَم ـ بفتحتين ، تجاه الروحاء ، يقال: إن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قاتَلَ الجنَّ بها ، وهى بئر متناهية بعد هَرْشَى ، يكاد لا يلحق قعرها، قاله المجد

بئر غامر

بئر غامر ـ أدخلها عثمان رضى الله تعالى عنه فى صدقته بئر أريس ، وفى رواية أنها كانت من طعم أمهات المؤمنين كما تقدم فى الصدقات .

بئر غدق

بئر غَدَق ـ بفتحتين والدال مهملة بعدها قاف ، من قولهم غَدِقَتِ العين فهى غدقة أى غزيرة ، وماء غدق غزير ، وهى بئر بالمدينة عندها أطم البلويين الذى بالقاع كما قال المجد ، ولم أقف له على أصل إلا ما تقدم فى منازل اليهود من أن بنى أنيف من بلى ، وكانوا بقباء ، ولهم أطم عند بئر غدق ، لكنه لا يسمى بالقاع ، وتلك البئر معروفة اليوم بالعين المهملة والذال المعجمة كما سبق ، والمجد لم يذكرها فإن كانت مراده فقد خالف ما هو المعروف فى أسمائها .

بئر فاطمة

بئر فاطمة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما ــ تقدم فى زيادة الوليد ما رواه ابن زبالة عن منصور مولى الحسين فى خروجها من بيت جدتها فاطمة الزهراء عند إدخالها فى المسجد ، قال : وانتقلت إلى موضع دارها بالحرة فابتنتها ، وهى يومئذ بَرَاح ، وموضعها بين دار ذكوان و بناء إبراهيم بن هشام ، قال : فلما بَنَتْ قالت : مالى بدّ من بئر للوضوء وغير ذلك من الحاجة ، فَصَلَّتْ فى موضع بئر دارها ركعتين ، ثم دعت الله وأخذت المِسْحَاة فاحتفرت بئرها ، وأمرت العمال فعملوا ، فما لقيت حصاة حتى أماهَتْ ، فلما بنى إبراهيم بن هشام داره بالحرة بعد وفاة فاطمة بنة الحسين وأراد نَقْلَ السوق إليها صنع فى حفرته التى بالحوض مثل ما صنعت فاطمة ، فلقى جبلا أو قال عليه وعظم غرمه فيه ، فسأل إبراهيم بن هشام عبدَ الله بن حسن بن حسن أى ابنَ فاطمة ابنة حسين أن يبيعه دار فاطمة ، فباعه إياها بثلاثة آلاف دينار ،فقال : يا أبامحمد تجوَّزْ عنا بدنانيرلناأصابها حريق ، قال : نعم ، فأخذها وقد انضمّ بعضُها إلى بعض ، فقيل له : إن كسرتها غرمت فيها كثيرا وصارت تبرا ، و إن بعثْتَ بها إلى الشام ضربت دنانير وعادت على حالها ، فبعث بها فضربت له . فكان غرمه بضعة وأربعين دينارا ، ووقع تجوزه بها من ابن هشام موقعا حسنا .

وتقدم فى بئر إهاب ترجيحُ المطرى لأن هذه البئر هى المعروفة اليوم بزمزم بطرف الحديقة المعروفة بزمزم من جهة القبلة ، وأن الراجح عندنا أن تلك بئر إهاب ، فإن بئر فاطمة بقربها ، ولعلها التى فى شاميها بالحديقة المذكورة .

بئر فجار

بئر فَجّار ــ بتشديد الجيم ، وستأتى مع شاهدها فى الشطبية .

بئر مدرى

بئر مِدْرَى ــ بكسر الميم وسكون الدال المهملة بلفظ المدرى الذى يحك به ــ قال المجد : هى من آبار المدينة المعروفة بالغَزَّارة والطيب ، قال الزبير : خَطَبَ رجل من بنى قريظة امرأةً من بَلْحارث بن الخزرج ، فقالت : أله مال على بئر مدرى أوهامات أوذى وشيع أو على بئر فجار ، وهى فى بئر أريس .

قلت : هذا الخبر إنمـا سَبَقَ فى ذكر الشطبية كما سيأتى فيها بلفظه فقوله «وهى بئر أريس» إن أراد ماسيق الخبر له فهو الشطبية لا بئر مدرى ، وتقدم حينئذ فيما عليه الناس من أن بئر أريس بقباء ، وكذا إن أراد جميع هذه الآبار إذ منها الشطبية وهى بجانب الأعواف كما سبق فى بئر الأعواف و إن أراد به بئر فجّار فهى غير معروفة ، وتقدم فى سيل مهزور أن عثمان رضى الله تعالى عنه عمل الردم الذى عند بئر مدرى ليرد به سيل مهزور عن المسجد .

قال ابن زبالة : إن سرح عثمان الذى يقال له مدرى يشق من مهزور فى أمواله [حتى] يأتى على أريس ، إلى آخر ماسبق عنه .

بئر مرق

بئر مَرَق ــ بفتح الميم والراء وقد تسكن الراء أيضا ، لغتان مشهورتان ، آخره قاف ، بئر بالمدينة لها ذكر فى حديث الهجرة ، قاله فى النهاية .

قلت : هى المذكورة فى سابع فصول الباب الثالث ، وفى رواية البيهقى أن أسعد بن زرارة خرج لمصعب بن عمير يوما إلى دار بنى عبد الأشهل ، فدخل به حائطا من حوائط بنى ظفر ، وهى قرية لبنى ظفر دون قرية بنى عبد الأشهل ، وكانا ابنى عم ، يقال له بئر مرق ، ويؤخذ منه قربها من دار بنى ظفر و بنى عبد الأشهل ، وهناك بناحية مسجد الإجابة نخيل تعرف بالمرقية ، فالظاهر أنها منسوبة لها .

بئر مطلب

بئر مطلب ــ بضم الميم وفتح الطاء المشددة وكسر اللام ، على سبعة أميال من المدينة ، منسوبة إلى المطلب بن عبدالله بن حَنْطب المخزومى ، قاله المجد ، وذكرها الأسدى فى الطريق النجدى ، وقال : إنها على خمسة أميال من المدينة ، والميل السادس على حرة واقم المشرفة على المدينة ، ولعلها بئر بنى المطلب المتقدمة فيما نقلناه عنه فى بئر رُكانة ، و إن خالف ماهنا فى المسافة .

قال المجد : قدم صخر بن الجعد المحاربى المدينة ، فأتى تاجرا يقال له سيار ،

فأبتاع منه بُرًّا وعطرا ، وقال له : تأتينى غدوةً فأقضيك ، وركب من تحت ليلته إلى البادية ، فسأل عنه سيار لما أصبح ، فركب فى أثره فى جماعة حتى أتوا بئر مُطّلب على سبعة أميال من المدينة وقد جهدوا من الحر ، فنزلوا عليها ، وأكلوا تمرا كان معهم ، وأراحوا دوابهم ، ثم انصرفوا راجعين فقال أبياتا منها :

حين استغاثوا بألوى بئر مطلب وقَدْ تحرّقَ منهم كلُّ تَمَّارِ

وقال أولهم نصحاً لآخرهم ألاارجعوا أدركوا الأعراب فى النار

بئر معونة

بئر مَعُونَة — بفتح الميم وضم العين ثم واو ثم نون مفتوحة وهاء ، وقد يتصحف ببئر معاوية التى بين عسفان ومكة بلفظ معاوية بن أبى سفيان ، وليست بها ؛ فإن هذه بالنون وهى بين جبال يقال لها أبلى فى طريق المُصْعِدِ من المدينة إلى مكة ، وهى لبنى سليم ، قاله المجد أخذا من قول عرّام عقب ماسيأتى عنه فى النازية : وفى أبلى مياه منها بئر مَعُونة وذو ساعدة وذو جماجم أو حماجم والوسيا [؟] وهذه لبنى سُليم ، وهى قناة متصلة بعضها ببعض ، وتقدم بيان أبلى ، وأنها بين السوارقية والرحضية ، ويؤيده أن مَعُونة بالنون واد معروف هناك كما أخبرنى به أمير المدينة الشريفة السيد الشريف فسيطل [؟] .

ويوافقه قولُ النووى فى تهذيبه : بئر معونة قبل نجد ، بين أرض بنى عامر وحرة بنى سُليم .

ويوافقه أيضاً ماتقدم عن الزهرى فى أُبْلى ، لكن صرح عياض فى المشارق بخلافه ، وجعلها التى بين عُسْفَان ومكة ، وتبعه فى ذلك جماعة من آخرهم الحافظ ابن حجر .

ونقل المجد عن الواقدى أن بئر مَعُونة فى أرض بنى سُليم وأرض بنى كلاب ، وأن عندها كانت قصة الرجيع ، وفيه ترجيح لكلام عياض ؛ لأن الرجيع موضع كانت قربه قصة سرية عاصم بن ثابت وحبيب فى عشرة ، وقد ترجم البخارى

لها بغزوة الرجيع ، ثم روى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : بَعَثَ النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا ، وأمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفَان ومكة ذكروا لحى من هذيل ، فتبعوهم بقريب من مائة رامٍ ، فاقْتَصُّوا آثارهم ، حتى أتوا منزلا نزلوه ، فوجدوا فيه نَوَى تمرٍ تزودوه من المدينة ، وذكر القصة ، و بين أبو معشر فى مغازيه أن ذلك المنزل هو الرجيع ، فقال : فنزلوا بالرجيع سَحَراً ، فأكلوا تمر عَجْوة ، فسقطت نَوَاة بالأرض، وكانوا يسيرون بالليل وَيَكْمُنُونَ النهار ، فصاحت امرأة من هذيل : أتيتم ، فجاؤا فى طلبهم ، فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل .

وفى رواية للبخارى : حتى إذا كانوا بالهدأة ، بدل قوله «بين عسفان ومكة» وعند ابن إسحاق « الهدة » بتشديد الدال بغير همز ، قال : وهى على تسعة أميال من عسفان .

ثم ذكر البخارى فى باب غزوة الرجيع قصة أهل بئر معونة ، ففيه إشارة لما ذكره الواقدى من اتحاد الموضع ، مع إفادة أنه بين عسفان ومكة ، لكن يشهد لما ذكره المجدُ صنيعُ ابن إسحاق فإنه قال فى غزوة الرجيع : حتى إذا كانوا على الرجيع ماء لهذيل بناحية الحجاز على صدور الهدة غَدَرُوا بهم .

وقال فى غزوة معونة : إن أبا بَرَاء عامرَ بن مالك مُلاَعِب الأسنَّة قال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجدٍ فدعَوْهم إلى أمرك ، ثم ذكر بَعْثَ القراء ، ثم قال : فساروا حتى نزلوا بئر مَعُونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سُليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حرة بنى سُليم أقرب ، فهو صَريح فى المغايرة ، وأبلى تحدَّث به فى شرقى المدينة ، فما ذكره المجد مُوَافق لكلام ابن إسحاق .

بئر الملك بئر الملك — بكسر اللام — وهو تُبَّعٌ اليمانى ، حَفَرَها بمنزله بقَنَاة ، لما قدم

المدينة ، وبه سميت ، فاستَوْبأها ، فاستقى له من بئر رُومَة كما سبق فيها .

ونقل ابن شبة أن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان من صَدَقَاته بالمدينة بئر الملك بقناة .

بئر الهجيم بئر الهجيم ـ بالجيم ، ثم الياء المثناة تحت كما فى كتاب ابن زبالة ويحيى ـ منسوبة إلى الأطم الذى يقال له الهجيم بالعصبة ، تقدمت فى مسجد التوبة بالعصبة من المساجد التى لاتعرف عينها ، وقال فيها المطرى : بئر هجم ، وفى خط المراغى على الهاء فتحة ، وعد ابن شبة فى آبار المدينة بئرا يقال لها الهجير ـ بالراء بدل الميم ـ وقال : إنها بالحرة فوق قصر ابن ماه .

بألى بَألىٰ ـ بفتحات ثلاث ـ تقدم أيضا فى مساجد تبوك .

البتراء البتراء ـ تقدمت فيها ، ولعلها غير البتراء التى على نحو مرحلة من المدينة ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة بنى لحيان موريا بأنه يريد الشام ، فسلك على غُراب ، ثم على مخيض ، ثم على البتراء ، ثم أخذ ذات اليسار ، ثم خرج على بين ، ثم على صخيرات الثمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة .

البجرات البجرات ـ بفتح الباء والجيم ـ ويقال البُجَيرات بالتصغير ، مياه من مياه السماء فى جبل شوران .

بجدان بُجْدان ـ جبل على ليلة من المدينة ، ذكره صاحب النهاية ، وفيه حديث « سِيرُوا هذا بُجْدان سبق المفردون » كذا روى الأزهرى ، والأكثرون رواه جُمْدان بالجيم والميم ، كما سيأتى فيه .

بحران بحران ـ بالضم وسكون الحاء المهملة ثم راء فألف فنون ، وقيده ابن الفرات بفتح الباء ـ قال ابن إسحاق ، فى سرية عبد الله بن جحش : فسلكَ على طريق الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له بحران .

وقال بعد غزاة ذى أمر : ثم غزا صلى الله عليه وسلم يريد قريشاً ، حتى بلغ بحران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع ، فأقام به شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى

ثم رجع ولم يلق كيدا .

وقال ابن سعد : إنه صلى الله عليه وسلم خرج فى ثلاثمائة رجل من أصحابه حتى ورد بحران ، فوجد جمع بنى سُلَيم قد تفرقوا فى مياههم ، وكانت غيبته عشر ليال .

بخرج

بخرج : أطُم بقباء لبنى عمرو بن عوف .

بدا

بدا — بالفتح وتخفيف الدال — موضع قرب وادى القرى ، كان به منزل على ابن عبد الله بن العباس وأولاده .

البدائع

البدائع : تقدم فى مسجد الشيخين مما لا تعرف اليوم عينُه بالمدينة .

بدر

بدر — بالفتح ثم السكون — بئر احتفرها رجل من غفار اسمه بدر بن قريش ابن مخلد بن النضر بن كنانة ، وقيل : بدر رجل من بنى ضمرة سكن ذلك الموضع فنسب إليه ، ثم غلب اسمه عليه ، وقال الزبير : قريش بن الحارث بن مخلد ، ويقال : مخلد بن النضر به سميت قريش قريشاً لأنه كان دليلَها وصاحب مِيرتها ، وكانوا يقولون : جاء عير قريش ، وابنه بدر بن قريش ، به سميت بدر التى كانت بها الوقعة المباركة ، لأنه كان احْتَفَرها ، ويقال : بدر اسم البئر التى بها سميت بذلك لاستدارتها ، أو لصفاء مائها ، فكان البدر يرى فيها ، وحكى الواقدى إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بنى غفار ، قالوا : إنما هى مأوانا ومنازلنا وما مَلَكَها أحد قط يقال له بدر ، وإنما هو عَلَمٌ عليها كغيرها من البلاد ، وبدر الموعد ، وبدر القتال ، وبدر الأولى ، وبدر الثانية ، وبدر الثالثة ، كله موضع واحد ، واستشهد من المسلمين بوقعة بدر التى أعز الله بها الإسلام أربعة عشر رجلا ، منهم أبو عبيدة بن الحارث تأخرت وفاته حتى وصل الصفراء ، ويظهر من كلام أهل السِّيَر أن بقيتهم دفنوا ببدر ، وبها مسجد العمامة المتقدم .

ورأيت بأوراق فى منازل الحاج ، مالفظه : ومن بدر إلى الدخول نحو نصف فرسخ ، وهو الغار الذى دخل النبى صلى الله عليه وسلم فيه ، انتهى . وهذا

الغار على يمين المصعد من بدر ، ورأيت الحجاج يتبركون بالصلاة فيه ، ولم أقف فيه على غير ماتقدم .

وقال المرجانى : شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً بسيفه الذى يدعى العضب ، وضربت فيها طبلخانة النصر ، فهى تضرب إلى قيام الساعة ، انتهى .

ويقال : إنهـا تسمع بالموضع المذكور ، وهو على أربع مراحل من المدينة ، به عين ونخيل .

براق — بِرَاق — بكسر أوله — يضاف لبدر المتقدم فى قول كُثير :

فَقُلْتُ وَقَدْ جَعَلْنَ بِرَاقَ بَدْرٍ يميناً وَالْعنَابَةَ عَنْ شِمَالِي[1]

براق حورة — براق حورة — بكسر أوله ، وفتح الحاء المهملة والراء — موضع من أودية الأشعر ، بناحية القبلة ، قال الأحْوَصُ :

فَذُوالسَّرْحِ أقْوَى فَالْبِرَاقُ كَأَنَّهَا بِحَوْرَةَ لم يَحْلُلْ بِهِنَّ عَرِيبُ

براق خبت — براق خَبْت — بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الموحدة ، بعدها مثناة — صحراء يمر بها المُصْعِد من بدر إلى مكة ، وقيل : خبت ماء لكلب ، قال بشر :

فأودِيَةُ اللِّوَى فَبِرَاقُ خَبْتٍ عَفَتْهَا الْعَاصِفَاتُ مِنَ الرِّيَاحِ

برام — برام — بفتح أوله ، و بكسره — جبل كأنه فُسْطَاط ، يبتدىء منه البقيع ، وهو من أعلامه فى المغرب ، و يقابله عسيب فى المشرق ، وفيه يقول المحرق المزنى :

و إنى لأهْوَى مِنْ هَوَى بعضِ أهله برامَ وأجْرَاعاً بِهِنَّ بِرَامُ

برثان — برثان — بالفتح — وادٍ بين ملل وأولات الجيش ، سلك عليه النبى صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، ولعله تصحيف تربان التى فى التاء المثناة ، قاله المجد ، وهو كما ظن لما سيأتى .

برج — برج — بفتح الباء والراء ، أطم لبنى النضير .

(١) فى الأصول « رحلن براق بدر ... والعبابة » تحريف

البرريان — كانتا من طعم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأظنهما المعروفتين بالبررة والبريرة بالعالية . البرريان

برق — بلفظ البرق اللامع من السحاب ، قرية بقرب خيـــبر ، ويوم برق من أيامهم . برق

برقة — بالضم ، وروى بالفتح — من صدقاته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ، وأما برقة العَبَرَات — بفتح العين المهملة والمثناة التحتية — فبرقة واسعة حسنة جداً ، بين ضرية والبستان ، على أقل من نصف ميل منها ، وهى التى فى شعر امرىء القيس الآتى فى حليت . برقة

برك — بالـكسر ، وادٍ بحذاء شواحط ، بناحية السوارقية ، كثير السَّـلَمِ والعروط ، وفيه مياه ، وسيأتى فى مبرك أنه يسمى ببرك أيضاً . برك

البركة — مغيض عين الأزرق ، بها نخيل حسنة بيد الأمراء . البركة

برمة — بكسر أوله ، من أعراض المدينة ، قرب بلاكث ، بين خيبر ووادى القرى ، به عيون ونخل لقريش ، ويقال له « ذو البيضة » كما سبق فى مجتمع أودية المدينة ومغايضها . برمة

البرود — بالفتح وضم الراء — موضع بين طرف جبل جهينة يعنى الأشعر ، وموضع آخر بطرف حرة النار . البرود

بزرة — بالضم ، وسكون الزاى ، وفتح الراء ، ثم هاء — ناحية على ثلاثة أيام من المدينة ، بينها و بين الرويثة ، عن نصر ، قاله المجد ، وفيه نظر ؛ لما سيأتى فى الرويثة ، وقال ياقوت عن ابن السكيت : بزرتان — أى بالتثنية — شعبتان قريبتان من الرويثة ، يصبان فى درج المضيق ، من بليل ، وقد ذكره الشعراء ، وكان فيه يوم لهم ، قال عبد الله بن جذل الطِّعَان : بزرة

فِدَاء لهم نَفسِى، وأمِّى لهم فِدًى   بِبُزْرَةَ إذ نحصيهُم بالسَّنَا بِكِ

البزواء — بلدة بيضاء مرتفعة من الساحل ، بين الجار وودان وغيقة ، من أشد البزواء

بلاد الله حَرًّا ، سكانها بنو ضمره من بكر ثم من كنانة ، وهم رهط عَزَّة صاحبة كثير ، قال كثير يهجوهم :

ولا بأس بالبزْوَاء أرْضاً لَوَ انَّها تُطَهَّرُ من آثارهم فَتَطِيبُ

بصة بصة ـ يضاف إليها بئر البصة المتقدمة أول الباب السادس .

البضيع البضيع ـ بالضم وفتح الضاد المعجمة مصغرا ـ قاله ياقوت ، ونقل عن ابن السكيت أنه طرف عن يسار الحال أسفل من عين الغفاريين فى قول كثير :

تَلُوحُ بأ كْنَافِ البُضَيْع كأنها كتابُ زَبُورٍ خُطَّ لَدْنًا عَسِيبُهَا

قلت : والظاهر أنه الآتى فى النون .

البطحاء البطحاء ـ يدفع فيها طرف عظم الشامى، وما دبر من الصلصين ، وتدفع هى من بين الجبلين فى العقيق كما سبق ، ولعلها بطحاء ابن أزهر .

بطحان بطحان ـ بالضم ثم السكون ـ كذا يقوله المحدثون ، وحكى أهلُ اللغة فتح أوله وكسر ثانيه ، قال أبو على القالى : لا يجوز غـيره ، قال المجد : وقرأت بخط أبى الطيب أحمد بن أحمد بن أحمد الشافعى وخطه حجة بَطْحَان بفتح أوله وسكون ثانيه .

قلت : ونقل بعضهم عن أبى عبيد القاسم بن سلام أنه قال : هو بضم الباء وسكون الطاء ، سمى بذلك لسَعَته وانبساطه ، من البَطْح وهو البسط ، وتقدم فى الفصل الخامس فى الأودية ، قال الشاعر :

ياسَعْدُ إنى لم أزَلْ بَعْدَكم فى كُرَب للشَّوْق تَغْشَانِى[1]

كَمْ مجلسٍ وَلَّى بلَذَّاته لم يَهْنِنِى إذ غابَ نَدْمَانِى

سَقْياً لسَلْعٍ ولساحَاته والْعَيْش فى أكْنَاف بُطْحَانِ

أمْسَيْتُ من شَوْقِى إلى أهْلِهَا أدْفَعُ أحْزَانًا بأحْزَانِ

وقال بعضهم : بطحان من مياه الضباب ، فهو موضع آخر

بطن إضم بطن إضم ـ تقدم فى إضم .

(١) فى معجم ياقوت « أبا سعيد لم أزل بعدكم »

بطن ذى صلب

بطن ذى صلب ـ تقدم فى الفصل الخامس .

بطن نخل

بطن نخل ـ جمع نخلة ، قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة ، بينهما الطرف ، وهو بحذاء برق العراف لقاصد المدينة ، قاله المجد ، وقال الأسدى فى وصف طريق فيد : إن من بطن نخل إلى الطرف عشرين ميلا ، ومن الطرف إلى المدينة خمسة وعشرون ميلا ، قال : و بطن نخل لبنى فزارة من قيس ، و بهـا أكثر من ثلاثمائة بئر كلها طيبة ، و بها يلتقى طريق الربذة ، وهى من الربذة على خمسة وأربعين ميلا ، اهـ . وسيأتى فى الجموم عن ابن سعد أنها بناحية بطن نخل ، عن يسارها ، قال : و بطن نخل من المدينة على أربعة برد ، اهـ .

وذكر الفقهاء فى صَلاَة الخوف ببطن نخـل أنه موضع من نجد فى أرض غَطَفَان ، وتقدم فى زيادة عثمان أن القَصَّة كانت تحمل من بطن نخل ، و بخط المراغى عند ذكره لذلك : بطن نخل موضع على أربعة أميال من المدينة ، فإن صح فهو غير ما تقدم ، ولعـله ذو القَصَّة ، وسيأتى أنه على خمسة أميال من المدينة فى طريق الربذة ، وتسميته بذى القصة وهى الحصن شاهد لذلك .

البطيحان

البطيحان ـ تصغير بطحان ، تقدم فى زيادة عمر بن الخطاب .

بعاث

بعاث ـ أوله بالحركات الثلاث ، وقال عياض : أوله بالضم لا غير ، وآخره ثاء مثلثة ، من ضواحى المدينة ، كانت به وقائع فى الجاهلية بين الأوس والخزرج ، وحكاه صاحب العين ـ وهو الخليل ـ على ما نقله أبو عبيد البـكرى بالغين المعجمة ، ولم يسمع من غيره ، وقال أبو أحمد السكرى : هو تصحيف ، وحكى السكرى أن بعضهم رواه عن الخليل وصحفه بالمعجمة ، وذكر الأزهرى أن الذى صحفه الليثُ الراوى عن الخليل ، وقال فى المطالع والمشارق : بعاث بضم أوله وعين مهملة على المشهور ، وقيده الأصيلى بالوجهين ، وهو عند القابسى بالغين المعجمة ، قال الحافظ ابن حجر : و يقال إن أبا عبيدة ذكره بالمعجمة أيضا ، وهو مكان ، و يقال : حصن ، و يقال : مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة ، وقال

الزركشي : هو حصن للأوس ، وقال بعضهم : هو من أموال بني قريظة ، به مزرعة يقال لها قورى ، وقال رزين : هو موضع عند أعلى القرورا .

قلت : لعله تصحيف قورى ، قال قيس بن الخطيم :

نحن هَزَمْنَا جمعهم بكتيبة　　تَضَاءَلَ منْهَا حِرْزُ قُورَى وَقَاعُهَا
تركْنَا بُعَاثاً يومَ ذلكَ مِنهمُ　　وقُورَى عَلَى رَغْمٍ شباعا سِبَاعُهَا

وقال أيضاً :

ويَوْم بُعَاث أسْلَمَتْنَا سُيُوفنَا　　إلى نَسَبٍ من جذم غَسَّانَ ثَاقِب

وقال كثير :

كأن حدائج أظعاننا　　بغيقة لما هبطنا البراثا
نَوَاعم عُمٌّ على ميثب　　عظام الجذوع أحِلَّتْ بعاثا

وميثب : حائط تقدم في الصدقات أنه مجاور للدلال والصافية ، وأسفل الدلال نخل يسمى قوران ، الظاهرُ أنه قورى كما سيأتي فيها ، فبعاث بتلك الجهة ، ويشهد له ما نقل ابن إسحاق عن محمد بن مسلمة في قتل كعب بن الأشرف ، قال : فخرجنا — يعني بعد قتله — حتى سلكنا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بعاث ، حتى أسندنا في حرة العريض ؛ وبه يعلم ضعف قول عياض ومن تبعه : إنه موضع على ليلتين من المدينة .

بعبع　بُعبع — بالضم وإهمال العينين ، أُطم بمنازل بني عمرو بن عوف بقباء .

بغيبغه　بغيبغة — بإعجام الغينين تصغير البغبغ وهي البئر القريبة الرشاء ، وروى ابن شبة أن ينبع لما صارت لعلي رضي الله تعالى عنه كان أول شيء عمله فيها البغيبغة ، وأنه لما بشر بها حين صارت له قال : تسرُّ الوارث ، ثم قال : هي صدقة على المساكين وابن السبيل وذوي الحاجة الأقرب ، وفي رواية للواقدي أن جدادها بلغ في زمن علي رضي الله تعالى عنه ألف وَسْق

وقال محمد بن يحيى : عمل علي بينبع البغيبغات ، وهي عيون منها عين يقال لها خيف

الأراك ، ومنها عين يقال لها خيف ليلى ، ومنها عين يقال لهـا خيف بسطاس ، قال : وكانت البغيبغات مما عمل على وتصدق به ، فلم يزل فى صدقاته حتى أعطاها حسين بن على عبد الله بن جعفر بن أبى طالب يأكل ثمرها ويستعين بها على دَيْنه ومؤنته ، على أن لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية ، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية ، ثم قبضت حين ملك بنو هاشم الصوافى ، فـكلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس وهو خليفة فردها فى صدقة على ، فأقامت فى صدقته حتى قبضها أبو جعفر فى خلافته، وكلم فيها الحسن بن زيد المهدى حين استخلف ، وأخبره خبرها ، فردها مع صدقات على .

قلت : وهى معروفة اليوم بينبع ، ولـكن فى يد أقوام يدّعون ملـكها .

وقال المبرد : روى أن عليا لما أوصى إلى الحسن وقف عين أبى نيزر البغيبغة ، وهى قرية بالمدينة ، وقيل : عين كثيرة النخل غزيرة الماء .

وذكر أهل السير أن معاوية كتب إلى مروان : أما بعد ، فإن أمير المؤمنين أحَبَّ أن يرد الألفة ، ويزيل السَّخيمة ، ويصل الرحم ، فاخْطُبْ إلى عبد الله ابن جعفر ابنَتَه أمَّ كلثوم على ابن أمير المؤمنين ، وأرغب له فى الصداق ، فوجه مروان إلى عبد الله فقرأ عليه الـكتاب وعرّفه ما فى الألفة ، فقال : إن خالها الحسين بينبع ، وليس ممن يُفْتَات عليه ، فأنْظِرْنِي إلى حين يقدم ، فلما قدم ذكر له ذلك ، فقام ودخل على الجارية وقال : إن ابن عمك القاسمَ بن محمد بن جعفر أحَقُّ بك ، ولعلك ترغبين فى الصداق ، وقد نحلتك البغيبغات ، فلما حضر القومُ للاملاك تـكلم مروان ، فذكر معاوية وما قصده ، فتكلم الحسين وزوّجها من القاسم ، فقال له مروان : أغَدْراً يا حسين ؟ فقال : أنت بدأت ، خطب الحسنُ بن على عائشةَ بنت عثمان بن عفان ، واجتمعنا لذلك ، فتكلمت أنت وزوجتها من عبد الله بن الزبير ، فقال مروان : ما كان ذاك ، فالتفت الحسين إلى محمـد بن حاطب وقال : أنشدك الله أكان ذلك ؟ فقال : اللهم فنعم

فلم تزل هذه الضَّيْعة فى يد بنى عبد الله من ناحية أم كلثوم يتوارثونها ، حتى استخلاف المأمون ، فذكر له ، فقال : كلا هذا وقف علىّ ، فانتزعها ، وعوضهم عنها ، وردها إلى ما كانت عليه .

البقال

البقال ـ بالفتح وتشديد القاف ، قال الزبير فى ذكر طلحة من بنى البحترى : وداره بالمدينة إلى جنب بقيع الزبير بالبقال ، وتقدم فى قبور أمهات المؤمنين أنها من خوخة بيته إلى الزقاق الذى يخرج على البقال ، وأن دار أبى رافع التى أخذها من سعد بالبقال مجاورة لسقيفه محمد بن زيد بن على بن حسين بالبقيع ، وتقدم فى مشهد إسماعيل بن جعفر أنه دار زين العابدين على بن حسين ، فالبقال هناك .

بقعاء

بقعاء ـ بالمد وفتح أوله بمعنى المجدب من الأرض ، موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة ، خرج إليه أبو بكر لتجهيز المسلمين لقتال أهل الردة ، ويقال : بقعاء ذى القصة كما قاله ياقوت .

بقع

بقع ـ بالضم ، اسم بئر بالمدينة ، وقال الواقدى : البقع بالضم هى السقيا التى بنقب بنى دينار ، وقال ياقوت فى المشترك له : البقع اسم بئر بالمدينة قبلى نقى السقيا التى بنقب بنى دينار(١) .

بقيع بطحان

بقيع بطحان ـ مضاف إلى وادى بطحان المتقدم ، وفى الصحيح عن أبى موسى : كنت أنا وأصحابى الذى قدموا معى فى السفينة نزولا فى بقيع بطحان .

بقيع الخبجبة

بقيع الخبجبة ـ بفتح الخاء المعجمة ثم باء موحدة وفتح الجيم والباء ثم هاء ، قال المجد : كذا ذكره أبو داود فى سننه، والخبجبة : شجر عرف به هذا الموضع، قال السهيلى : وهو غريب ، وسائر الرواة ذكروه بجيمين ، انتهى . وليس فى السنن ضبط ، بل ذكره قبل الجنائز بباب قصة المقداد حين وجد به الدنانير ، ولم يذكر ضبطا ، فلعل المراد أن الرواية فيها بهذا الضبط ، لكن ضبطه ابن الأثير فى نهايته بخاءين معجمتين بينهما موحدة ، وفى القاموس : الخبجبة ـ أى بالخاء المعجمة ـ شجر عن السهيلى ، ومنه بقيع الخبجبة بالمدينة ؛ لأنه كان منبتها ، أوهو

(١) كذا ، والذى فى المشترك « قيل هى السقيا التى بنقب بنى دينار » .

بجيمين ، انتهى . ورأيته بخط الأقشهرى بجيمين أولاهما مضمومة ، وتقدم بيانه عند ذكر اتخاذ اللَّبِن للمسجد النبوى به .

وروى ابن أبى شبة قصة المقداد عن ضباعة بنت الزبير ، وكانت تحت المقداد ، قالت : كان الناس إنما يذهبون لحاجتهم قرب اليومين والثلاثة ، فيبعرون كما تبعر الإبل ، فلما كان ذات يوم خرج المقداد لحاجته حتى بلغ الخبجبة ، وهى ببقيع الغرقد ، فدخل خربة لحاجته ، فبينا هو جالس إذ أخرج جرذ من جحر دينارا ، فلم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر دينارا ، قال : فخرجت بها ، حتى إذا جئت بها إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبرها ، فقال : هل اتبعت يدك الجحر؟ فقلت : لا والذى بعثك بالحق ، فقال : لا صدقة عليك فيها بارك الله لك فيها ، قالت ضباعة : فما فنى آخرها حتى رأيت غرائر الورق فى بيت المقداد .

بقيع الخيل

بقيع الخيل — موضع شرقىّ المدينة المجاور للمصلى ، وهو المراد بقول أبى قطيفة :

ألا ليت شعرى هل تَغَيَّر بعدنا بقيعُ المصلَّى أم كعهدى القرائنُ

بقيع الزبير

بقيع الزبير — يجاور منازل بنى غنم ، وشرقى منازل بنى زريق ، وإلى جانبه فى المشرق البقال ، ولعل الرحبة التى بحارة الخدم بطريق بقيع الغرقد منه .

روى ابن شبة عقب قصة كعب بن الأشرف المتقدمة فى سوق المدينة لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يتخذ موضع بقيع الزبير سوقا أنه لما قتل كعب استقطع الزبيرُ النبى صلى الله عليه وسلم البقيع فقطعه ، فهو بقيع الزبير ، ففيه من الدور للزبير دار عروة ، ثم فى شرقيها دار للمنذر بن الزبير إلى زقاق عروة ، وفيه دار مصعب بن الزبير التى على يسارك إذا أردت بنى مازن ، وفيه دار آل عكاشة بن مصعب على باب الزقاق الذى يخرج بك إلى دار نفيس بن محمد ،

يعنى مولى بنى المعلى فى بنى زريق ، وفيه دار آل عبد الله بن الزبير ممدودة إلى دار أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما ، وفيه بيت نافع الزبيرى الذى بمفترق الطرق ، وكل هذا صدقة من الزبير على ولده .

وذكر أيضا أن عباس بن ربيعة اتخذ داره فى بنى غنم بين دار أم كلثوم بنت الصديق وبين الخط الذى يخرجك إلى بقيع الزبير ، وسبق لهذه الدار ذكر مع البقال فى منازل بنى أوس من مزينة .

وقال عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة الزبيرى :

ليت شعرى وللّيالى صُرُوف ... هل أرى مَرّةً بقيعَ الزبير
ذاك مَغْنًى أحبُّه وقَطِين ... تشتهى النفسُ أن ينال بخير

بقيع الغرقد بقيع الغرقد ـ وهو كبار العوسج ، كان نابتاً بالبقيع ، مقبرة أهل المدينة ، فقطع عند اتخاذها مقبرة ، كما سبق مع ماجاء فى فضلها ، والبقيع : كل موضع فيه أروم الشجر من ضروب شتى .

وقال عمرو بن النعمان البَيَاضى يرثى مَنْ قتل من قومه الذين أغلقوا عليهم حديقة ، واقتتلوا حتى لم يبق منهم أحد كما سبق :

خَلَتِ الديار فسُدْتُ غيرَ مُسَوَّدِ ... ومن العَنَاء تَفَرُّدِى بالسودد
أين الذين عهدتهم فى غِبْطَة ... بين العقيق إلى بقيع الغرقد
كانت لهم أنْهَابُ كل قبيلة ... وسلاحُ كل مُدَرَّب مستنجد
نفسى الفداء لفتيةٍ من عامر ... شربوا المنية فى مقام أنكد
قومٌ هُمُ سفكوا دماء سَرَاتِهم ... بعض ببعض فعلَ من لم يَرْشُدِ

ونسبه الحَمَاسىُّ لرجل من خثعم بزيادة فى أوله .

البكرات البكرات ـ تقدمت بحمى ضرية وشاهدها فى حليت .

البلاط البلاط ـ تقدم مستوفى .

بلاكث — بالفتح وكسر الكاف ثم مثلثة ، بجانب برمة ، وقال يعقوب : بلاكث
بلاكثة قارة عظيمة ببطن إضم بين ذى خشب وذى المروة ، وقال كثير :

نظرتُ وقد حالَتْ بلاكثُ دونهم ... وبطنان وادِى برمة وظهورها

وقال :

بينما نحن بالبَلاَكِثِ فالقا ... ع سِرَاعاً والعيسُ تَهْوِى هُوِيًّا
خطرت خَطْرة على القلب من ذكـ ... ـراكِ وَهْناً فما استطعتُ مُضِيا

بلحان — بالفتح ثم السكون ، أطم كعب بن أسد القرظى بالمال الذى يقال له بلحان
الشجرة ، ويعرف اليوم بالشجيرة مصغراً .

بلدود — بضم أوله وقد يفتح ، وضبطه الصغانى بفتحتين ، موضع من نواحى بلدود
المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

هل ما مضَى منكِ يا أسماء مَرْدُودُ ... أم هل تَقَضَّتْ مع الوصل المَوَاعِيدُ
أم هل لياليكِ ذات البين عائدةٌ ... أيامَ تجمعنا خلص فبلدود

البلدة والبليدة — تصغير الأولِ ، معروفان بأسفل نخل من أودية الأشعر البلدة والبليدة
قرب الفقيرة التى تحمل منها الرياضية إلى المدينة ، قال الهجرى : وذكر كثير
البليد فقال :

وقَدْ حال من حزم الحماتين دونهم ... وأعْرَضَ من وادِى البليد شُجُونُ
وتأتيك عيرُ الحى لما تقاذفت ... ظهور لها من ينبع وبطون

وقال المجد : بليد كزبير واد قرب المدينة ، يدفع فى ينبع ، ثم أورد شعر كثير
المتقدم ، وفى النهاية : بليد — بضم الباء وفتح اللام — قرية لآل على بوادٍ قريب
من ينبع ، انتهى . وأظنه البليد مصغرا ، وهو المتقدم ذكره ؛ لأن ياقوتاً قال :
البليد تصغير بلدموضعان:

الأول : ناحية قرب المدينة فى وادٍ يدفع فى ينبع لآل على رضى الله تعالى عنهم .

والثانى : ناحية لآل سعيد بن عنبسة بن سعيد بن العاص بالحجاز .

بواطان

بواطان – قال الهجرى : هو فى الأشعر ، و يحده من شقه الشامى بواطان الغورى والجلسى ، وهما جبلان مفترقا الرأسين ، وأصلهما واحد ، و بينهما ثنية تسلكها الحامل ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذى العشيرة ، وأهل بواط الجلسى بنو ذبيان و بنو الربعة من جهينة ، وهو يلى ملحتين ، وقال عياض : بواط – بضم أوله وتخفيف ثانيه آخره طاء مهملة ، ورويناه من طريق الأصيلى وغيره بفتح الباء والضم هو المعروف ، وهو من جبال جهينة ، وسبق ذكر وادى بُوَاط فى مجتمع أودية المدينة ومغائضها ، و به غزوة بُوَاط خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مائتين إلى ناحية رَضْوَى يريد تجارة قريش حتى بلغ بواطا فى السنة الثانية .

البويرمة

البويرمة – بئر لبنى الحارث بن الخزرج ، كما فى النسخة التى وقعت لنا من كتاب ابن شبة ، ولعلها البويرة لما سيأتى .

البويرة

بويرة – تصغير البئر التى يسقى منها ، وفى الصحيح : حَرَّق نخل النضير ، وهى البويرة ، قال المجد : البويرة موضع منازل بنى النضير ، وذكره المرجانى ثم قال : وقيل : اسم موضع مخصوص من مواضعهم .

قلت : ويرجح الأول قولُ جبل بن جوال الثعلبى من أبيات :

وأقفرت البُوَيْرَةُ من سلام ... وسَعْيَة وابن أخطب فهْىَ بُورُ

وقد كانوا ببلدتهم بعـــولا ... كما ثقلت بميطان الصخور

واعتمد الثانى الحافظ ابن حجر ، قال : و يقال لها البويلة – باللام بدل الراء – وقال ابن سيد الناس فى قوله[1] :

* حريق بالبويرة مستطير *

ويروى « بالبويلة » قال : وذكر ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) هو حسان بن ثابت ، وصدره : * لهان على سراة بنى لؤى *

أعطى الزبير بن العوام وأبا سلمة البويلة من أرض بنى النضير ، وتقدم أن البويلة أطم لبنى النضير بمنازلهم ، قال ابن زبالة : كان لحى منهم لحقوا باليمن ، فلعله كان بقرب البويرة فسميت به أيضا .

وقلد الحافظ ابن حجر رزينا ومن تبعه فى أن البويرة الموضع المعروف بهذا الاسم فى قبلة مسجد قباء من جهة المغرب ، قال رزين : و به منازل النضير وقريظة وحصنهم ، و إنه صدقة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم مع رده فى الفصل الثانى فى الصدقات ، مع بيان منشأ الوهم فيه ، وذكر ابن زبالة فى مساجد المدينة ومقاماته صلى الله عليه وسلم حديث تربة صعيب المعروف اليوم عند ركن الحديقة الماجشونية فى قبلة ديار بنى الحارث ، ثم قال : وصعيب عند نخلة المرجئة على الطريق فى بناء من البويرة .

وروى أيضا فى فضل دور الأنصار أن النبى صلى الله عليه وسلم وقَفَ على السيرة التى على الطريق حَذْو البويرة فقال : إن خير نساء ورجال فى هذه الدور، وأشار إلى دار بنى سالم ودار بَلْحُبْلى ودار بَلْحَارث بن الخزرج ، وهذا الوصف لا يطابق الموضع الذى فى قبلة مسجد قباء لبعده جدا .

والذى يتحرر أن البويرة المتعلقة ببنى النضير التى وقع بها التحريق وهى المذكورة فى شعر حسان ليست البويرة التى بقباء ، بل بمنازل بنى النضير المتقدمة فى محلها ، وسبق أن بعض منازلهم كانت بناحية الغرس ، فيطابق أنها بقرب تربة صعيب و بُلْحَارث .

البيداء

البيداء ــ قال المطرى فمن تبعه : هى التى إذا رحل الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مُصْعِدين إلى المغرب .

وقال الحافظ ابن حجر : البيداء فوق علمى ذى الحليفة لمن صعد من الوادى، قاله أبوعبيد البكرى وغيره، انتهى. فأول البيداء عند آخر ذى الحليفة،وكان هناك

علمان للتمييز بينهما ، ولذا قال الأسدى فى تعداد أعلام الطريق : إن على مخرج المدينة علمين ، وعلى مدخل ذى الحليفة علمين ، وعلى مخرج ذى الحليفة علمين ، وقال فى موضع آخر : والبيداء فوق علمى ذى الحليفة إذا صعدت من الوادى ، وفى أول البيداء بئر ، انتهى . وكأن البيداء مابين ذى الحليفة وذات الجيش .

وفى حديث عائشة فى نزول آية التيمم « حتى إذا كنا بالبيداء ، أو بذات الجيش » وفى الحديث « إن قوما يغزون البيت ، فإذا نزلوا بالبيداء بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فيقول يابيداء أبيديهم » وفى رواية لابن شبة عن أم سَلَمَة مرفوعا « يتابع الرجل بين الركن والمقـــام عدة أهل بدر ، فتأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشـام ، فيغزوهم جيش من أهل الشام ، فإذا كانوا بالبيداء خسف بهم ، ثم يغزوهم رجل من قريش أخواله كلب فيلتقون فيهزمهم الله ، فالخائب من خاب من غنيمة كلب » وفى رواية له « جيش من أمتى من قبل الشام يؤمُّونَ البيتَ لرجل منعه الله منهم ، حتى إذا عَلَوا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم ، ومصادرهم شتى . قلت : بأبى أنت وأمى يارسول الله ، كيف يخسف بهم جميعا ومصادرهم شتى ؟ قال : إن منهم من جبر » وعن ابن عمر « إذا خسف بالجيش بالبيداء فهو علامة خروج المهدى » وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه « يجىء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة ، فيقتلون المقاتلة ويبقرون بطون النساء ، ويقولون للحبلى فى البطن : اقتلوا صبابة الشر ، فإذا عَلَوا البيداء من ذى الحليفة خسف بهم ، فلا يدرك أسفلهم أعلاهم ولا أعلاهم أسفلهم » قال أبو الهرم : فلما : جاء جيش ابن دلجة قلنا هو فلم يكونوا هم ، يعنى جيش مسرف

بيسان بيسان ـ بالفتح وسكون المثناة تحت ثم سين مهملة وألف ونون ، بين خيبر والمدينة ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله علية وسلم « نَزَلَ فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له بيسان ، فسأل عن اسمه ، فقالوا : اسمه بيسان ، وهو ملح،

فقال رسول الله صل الله عليه وسلم : بل هو نعمان ، وهو طيب » وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسم ، وغير الله الماء ، فاشتراه طلحة ونصدق به ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنت ياطلحة إلا فياض ، فسمى طلحة الفياض .

حرف التاء

تاراء

تاراء ـ بالمد ، سبق فى مساجد تبوك ، قال نصر : وهو موضع بالشام .

تبوك

تَبُوك ـ كصَبُور ، موضع بين وادى القرى والشام ، على اثنتى عشرة مرحلة من المدينة ، قيل : اسم بركة هناك ، وقال أبو زياد : تَبُوك بين الحجر وأول الشام ، على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام ، وهو حصن به عين ونخل وحائط تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم ، ويقال : إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا به ، ولم يكن شعيب منهم بل من مدين ، ومدين على بحر القلزم على نحو ست مراحل من تبوك .

وقال أهل السير : توجَّهَ النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع إلى تَبُوك ، وهى آخر غزواته ، لغزومن انتهى إليه أنه قد تجمع من الروم وعاملة ولَخم وجُذَام ، فوجدهم قد تفرقوا ، فلم يلق كيدا ، ونزلوا على عين ، فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن لايمس أحد من مائها ،فسبق رجلان وهى تَبِض بشىء من ماء،فجعلا يدخلان فيها سهمين ليـكثر ماؤها ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : مازلتما تبوكانها منذ اليوم ، أى يحركانها بما أدخلاه ، وبذلك سميت تبوك ، وركز النبى صلى الله عليه وسلم عَنزَته فيها ثلاث ركزات ، فجاءت ثلاث أعين ، فهى ترمى بالماء إلى لآن .

وحديث عين تبوك فى صحيح مسلم ، وفيه أنه صلى الله وسلم « غسل وجهه ويده بشىء من مائها ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير » الحديثَ ، وفى

رواية ابن إسحاق « فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق » ثم قال « يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ماههنا قد ملىء جنانا » وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك أياما حتى صالحه أهلها ، وانتدب خالد بن الوليد إلى دومة الجندل .

قال المجد : وذكرنا لتبوك ليس من شرط الكتاب لبعده من المدينة ، لكن لكثرة ذكره فى الأحاديث زاغ القلم بذكره .

قلت : سيأتى فى السين المهملة ذكر المجد لسرع ، وأنها بوادى تبوك على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة ، وأنها آخر عمل المدينة ، وهى بعد تبوك ، وسيأتى فى مدين أنها من أعراض المدينة ، وهى فى محاذاة تبوك .

وقال صاحب المسالك والممالك ، كما فى خط الأقشهرى : وكانت قريظة والنضير ملوكا على المدينة على الأوس والخزرج ، وكان على المدينة وتهامة فى الجاهلية عامل من جهة مرزبان البادية ، يجبى إليه خراجها .

ثم قال : ومن توابع المدينة ومخاليفها وقراها تيماء ، وبها حصنها الأبلق الفرد ، ومنها دومة الجندل ، وهى من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة ، وحصنها المارد . انتهى .

تخنم — تخنم — بضم النون وكسرها[1] ، وقيل : بتاءين الثانية تكسر وتضم ، جبل بالمدينة .

تربان — تربان — بالضم ثم السكون ، وادٍ بين أولات الجيش وملل ، قاله أبو زياد ، وقال ابن هشام فى المسير إلى بدر : قال ابن إسحاق : فسلكَ على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، ثم على ذى الحليفة ، ثم على أولات الجيش ، قال ابن هشام : ذات الجيش ، ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، هكذا فى أصل معتمد ، وتقدم فى حدود الحرم أن ذات الجيش نقب ثنية الحفيرة ،

(١) وقع فى أصل هذا الكتاب « نجتم » وهو تحريف ، ولا يتفق مع نظام المؤلف وترتيبه ، وهو يتكلم الآن على ما أوله تاء ، ووقع فى معجم ياقوت « تخنم » وذكر أنه يروى « تخنم » بنون بعد الخاء

قال الأسدى: بين الحفيرة أى التى تنسب الثنية لها و بين ملل ستة أميال، انتهى؛ فتربان فيما بين ذلك ، و بينه [و بين] ثنية مفرح موضع يقال له سمهان ، قال[١] كثير :

ترعة

رأيت جمالها تعلو الثنايا كأن ذرى هوادجها البروج[٢]

وقد مرّت على تربان تحدى لها بالجزع من ملل وسيج[٣]

ترعة ـ واد يلقى إضم من القبلة كما سبق ، قال الزبيرى عقبه : وفى ترعة يقول بشر السلمى :

أرى إبلى أمست تحن لقاحها بترعة ترجو أن أحل بها أبلى

وذكر ابن شبة فى صدقات على رضى الله تعالى عنه واد [يا] يقال له ترعة بناحية فدك بين لابتى حرة .

ترن

ترن ـ كزفر ، ناحية بين مكة والمدينة .

تريم

تريم ـ كحذيم ، واد بين المضايق ووادى ينبع .

تسرير

تسرير ـ واد بحمى ضرية بين ضلعيها ، وقال بعضهم فيه السرير بلفظ السرير الذى يجلس عليه ، وهو خطأ ، أنشد أبو زياد الكلابى :

إذا يقولون : مايشفيك ؟ قلت لهم : دخان رمث من التسرير يشفينى

تضارع

تضارع ـ بضم أوله وضم الراء ، ولا نظير له ، وروى بكسر الراء أيضا ، و يقال بفتح أوله وضم الراء ، اسم لحمى تضارع المتقدمة فى العقيق ، وتضارع وتضرع أيضاً: جبلان لبنى كنانة بتهامه أو بنجد .

تعار

تعار ـ بالكسر و إهمال العين ، وروى إعجامها ، قال عرام ، فيما بجهة أبلى مالفظه : ومن قبل القبلة جبل يقال له يرمرم ، وجبل يقال له تعار ، وهما عاليان لا ينبتان شيئاً فيهما النمران كثيرة ، قال لبيد :

عشت دهراً ولا يعيش مع الأيام إلا يرمرم وتعار

(١) فى أصول هذا الكتاب « قال كثير بن مقبل » وهو عجيب فى خلط النساخ

(٢) فى أصول هذا الكتاب « تعلو السنانا » تحريف .

(٣) وفيها أيضا « على تربان تجرى » و « وشيج » وكلاهما تحريف

التعانيق   التعانيق ـ بالفتح و بعد الألف نون مكسورة و ياء ساكنة وقاف ، موضع بشق العالية ، قال زهير :

صحا القلب عن سلمى وقد كان لا يسلو   وأقفر من سلمى التّعانيق فالثقل[1]

تعهن   تعهن ـ بكسر أوله وثالثه ، وروى بفتحهما ، وحكى أبو ذر الهروى أنه سمعه من العرب بذلك المكان بفتح ثالثه ، قال : ومنهم من يضم أوله و يفتح العين و يكسر الهاء ، وأغرب أبو موسى المزينى فضبطه بضم أوله وثانيه وتشديد الهاء ، ووقع فى رواية الإسماعيلى «دعهن» بالدال المهملة بدل المثناة، و يقال فيه «تعاهن» بالضم وكسر الهاء ، وتقدم فى المساجد عن الأسدى أن تعهن بعد السقيا التى بطريق مكة بثلاثة أميال لجهة مكة ، وقال : إنها عين ماء خربة ، وكان عندها امرأة يقال لها أم عقى ، يقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بها فاستسقاها ماء، فأبَتْ ، فدعا عليها فُسِخَتْ صخرة ، وذكر قوم أنها كانت تدعى أم حبيب الراعية ، واختلفوا فى اسمها وخبرها ، انتهى .

وقال السهيلى : و بتعهن صخرة يقال لها أم عقى ، روى أن امرأة كانت تسكن تعهن يقال لها أم عقى ، فحين مر بها النبى صلى الله عليه وسلم ـ يعنى فى سفر الهجرة ـ استسقاها ، فأبت ، وذكر ماتقدم ، قال : ومدلجة تعهن عند السقيا وهى المذكورة فى سفر الهجرة ، حيث قالوا : سلك بذى سَلَم من بطن أعداء مدلجة تعهن ، ثم أجاز القاحة ، وقال عياض : تعهن عين ماء سمى به الموضع ، وهى على ثلاث أميال من السقيا ، وقال المجد : هى بين القاحة والسقيا ، وهو مخالف لماسبق ؛ لأن القاحة قبل السقيا ، بميل فقط إلى جهة المدينة كما سيأتى عنه، وتعهن على ثلاثة أميال من السقيا ، فكيف يكون بين القاحة والسقيا ، لكن فى حديث أبى قتادة فى سؤاله الغفارى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ،

---

(١) وقع فى الأصول « فالثحل » وسيذكره المؤلف على هذا الوجه فى حرف الثاء ، وكلاهما صحيح ، إلا أنه بالثاء والجيم لا الحاء

فقال : تركته بتعهن، وهو قائل السقيا ، وذلك بعد أن صاد أبو قتادة الحمار الوحشى بالقاحة ؛ لأنه لم يكن أحرم كما فى الصحيح .

فقوله «وهو قائل السقيا» إن كان من القيلولة فالمراد أنه تركه بتعهن وهو يريد أن يقيل بالسقيا ، فتعهن بين القاحة والسقيا كما قاله المجد ، وكذا إن كان من القول ، أى وهو قائل : اقصدوا السقيا ، مع أنى سألتُ بعض العارفين بهذه الأماكن ، فقال : هى معروفة اليوم : القاحة مما يلى المدينة ، ثم السقيا إلى جهة مكة ، ثم تعهن بعدها ، ثم سألت جماعة عن ذلك وكلهم أخبرنى بذلك ، وهو مخالف لظاهر الحديث ، نعم روى «وهو قابل السقيا » بالباء الموحدة والضمير لتعهن كما نقله الحافظ ابن حجر ، فلا تعرض فيه لكيفية ترتيب الموضعين ، وأما مارواه الإسماعيلى «وهو قائم بالسقيا» فهو أشكل ، إلا أن يكون الضمير للغفارى ، ويكون ذلك من كلام أبى قتادة ، وانتهى كلام الغفارى بقوله تركته بتعهن ، وهو بعيد جدا ، وقال ابن قيس الرقيات :

أقفرت بعد عبد شمسٍ كداء ... فكدى فالرُّكْنُ فالبطحاء

مُوحشات إلى تعاهن فالسقـ ... ـيا قفار من عبد شمس خلاء

تمنى

تمنى — بفتحين وتشديد النون المكسورة ، أرض يطؤها المنحدر من ثنية هَرْشَى يريد المدينة ، وبها جبال تسمى البيض .

تناضب

تناضب — بضم أوله وكسر الضاد المعجمة ، شعبة من شعب الدُّوداء ، وهو واد يدفع فى العقيق ، وأما التناضب بالفتح وضم الضاد المعجمة وكسرها فموضع آخر فى حديث عمر ، قال : لما أردت الهِجْرَةَ إلى المدينة أنا وعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص أبعدت أنا وهما، التناضب من أضاة بنى غفار فوق سرف ، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه ، فأصبحت أنا وعياش عند التناضب وحبس هشام وفتن فأفتن وقدمنا المدينة

تهمل

تهمل — بفتح التاء والميم ، موضع قرب المدينة ، ويروى بالمثلثة .

تيدد — تيدد ـ بفتح أوله وسكون المثناة التحتية ثم دالين مهملتين ، تقدم فى أسماء المدينة ، وهو اسم موضع آخر من أودية الأجرد جبل جهينة ، يلى وادى الحاضر به عيون صغار خيرها عين يقال لها أذينة ، وعين يقال لها الطليل ، وعيون تيدد كلها تدفع فى أسنان الجبال فإذا أسهل بغراسها لم ينجب زرعها ، وذلك أن صاحبها ـ وكان من جهينة ـ ذمها ، وقال : هى فى الجبل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا أسْهَلَتْ تيدد » فما أسهل منها فلا خير فيه ، نقله الهجرى ، وقال رجل من مزينة فى شىء وقع بينهم و بين جهينة فى الجاهلية :

فإن تشبعوا منا سباع رواوة   فإن لها أكناف تيدد مرتعا

تيس — تيس ـ بلفظ فحل المعز ، أطم لبنى عنان من بنى ساعدة بمنازلهم .

تيم — تيم ـ بفتحتين ، عبر به ابن النجار ومن تبعه عن ثيب جبل شرقى المدينة ، كما فى حدود الحرم .

تيماء — تيماء ـ بالفتح والمد ، بلدة على ثمان مراحل من المدينة ، بينها و بين الشام ، وسبق فى تبوك أنها من توابع المدينة .

حرف الثاء

الثاجة — الثاجة ـ بالجيم المشددة ، ماء يثج بحرض وبحراض ناحية أخرى .

ثافل — ثافل ـ الأصغر وثافل الأكبر بالفاء ، جبلان بعدوة غيقة اليسرى ، عن يسار المصعد من الشام إلى مكة ، ويمين المصعد من المدينة ، بينهما ثنية لا تكون رمية سهم ، وهما لضمرة وهم أصحاب غلال و يسار ، و بينهما و بين رضوى وغرور ليلتان ، قاله عرام .

وقال الأسدى : الجبل الذى يقابل عين القشيرى يمنة يقال له : ثافل ، وهو يعاود الطريق مع العين التى تقابل الأثاية دون العرج بميلين .

ثبار — كـكتاب آخره راء ، موضع على ستة أميال من خيبر ، به قَتَلَ عبدالله ابن أنيس أسير بن رزام اليهودى ، ويروى بفتح أوله ، وليس بشىء .

ثبار

ثجل — بالضم ، موضع بشق العالية ، تقدم شاهده فى التعانيق[1] .

ثجل

ثرا — بالـكسر والقصر ، موضع بين الرويثة والصفراء ، أسفل وادى الجىّ .

ثرا

ثريا — بلفظ اسم النجم الذى فى السماء ، من مياه الضباب بحمى ضرية ، ومياه لمحارب فى جبل شُعَبى ، قاله ياقوت .

ثريا

ثعال — كغراب ، شعبة بين الروحاء والرويثة .

ثعال

ثغرة — بالضم والغين المعجمة ثم راء وهاء ، ناحية من أعراض المدينة .

ثغرة

الثمام — بالضم والتخفيف ، ويقال الثمامة بلفظ واحدة الثمام للنبت المعروف ، يضاف إليه صخيرات الثمام ، ورواه المغاربة بالياء آخر الحروف بدل المثلثة[2] ، وهو الموضع المعروف اليوم بالصخيرات ، قال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر : مرّ على تربان ، ثم على ملل ، ثم على عميس الحمائم من مرتين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم على السيالة .

ثمام

ثمغ — بالفتح والغين المعجمة ، مال بخيبر لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، قاله المجد ؛ لحديث الدارقطنى أن عمر أصاب أرضاً بخيبر يقال لها ثمـغ ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له : احبس أصلها وتصدق بثمرتها ، وفى البخارى أن عمر تصدق بمال يقال له ثمغ ، وكان نخلا ، الحديث ، لـكن تقدم فى منازل يهود أن بنى مزانة كانوا فى شامى بنى حارثة ، وأن من آطامهم هناك الأطم الذى يقال له الشعبان فى ثمغ صدقة عمر بن الخطـاب رضى الله تعالى عنه ، قاله ابن زبالة ، وفى بعض طرق حديث صدقة عمر من رواية ابن شبة أن عمر رضى الله تعالى عنه أصاب أرضاً من يهود بنى حارثه يقال لها ثمغ .

ثمغ

---

(١) انظر ص ١١٦٢ واقرأ الهامشة رقم ١ (٢) قالوا : صخيرات اليمام

وذكر الواقدى اصطفاف أهل المدينة على الخندق فى وقعة الحرة ، ثم ذكر مبارزة وقعت يومئذ فى جهة ذباب إلى كومة أبى الحمراء ، ثم قال : كومة أبى الحمراء قرية من ثمغ .

وقال أبوعبيد البكرى : ثمغ أرض تلقاء المدينة كانت لعمر ، وذكره ابن شبة فى صدقات عمر بالمدينة ، وغاير بينه و بين صدقته بخيبر ، وأورد لفظ كتاب صدقته ، وفيه: ثمغ بالمدينة وسهمه من خيبر ، وروى عن عمرو بن سعيد بن معاذ قال : سألنا عن أول من حبس فى الإسلام ، فقال قائل : صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قول الأنصار ، وقال المهاجرون : صدقة عمر ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما قدم المدينة وجد أرضاً واسعة بزهرة لأهل رابح وحسيكة ، وقد كانوا أجلوا عن المدينة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم ، وتركوا أرضاً واسعة منها براح ومنها ما فيه واد لا يسقى يقال له الحشاشين ، وأعطى عمر منها ثمغاً ، واشترى عمر إلى ذلك من قوم من يهود ، فكان مالا معجبا ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن لى مالا ، و إنى أحبه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : احْبِسْ أصله وسَبِّلْ ثمره .

فهذا كله صريح فى كونه بالمدينة فى شاميها ، فكأن ما فى رواية الدارقطنى من تصرف بعض الرواة ، وأن كلا من صدقتيه يسمى ثمغاً .

وعن ابن عمر قال : ثمغ أول ما تصدق به فى الإسلام .

وعن ابن كعب : أول صدقة فى الإسلام وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال المسور : فقلت : فإن الناس يقولون : صدقة عمر ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قَبَضَ ما أوصى له به مخيريق من أمواله على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة وتصدق بها ، و إنما تصدق عمر بثمغ حين رجع من خيبر سنة سبع ، ورواه ابن شبة أيضا .

ثنية البول ثنية البول ــ بالباء الموحدة ، بين ذى خشب والمدينة .

ثنية الحوض

ثنيـة الحوض ـ روى الطبرانى عن سلمة بن الأكوع قال : أقبلتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقيق ، حتى إذا كنا على الثنية التى يقال لها ثنية الحوض التى بالعقيق أوْمَأ بيده قبل المشرق ـ الحديثَ ، وكأنها أضيفت إلى حوض مروان المتقدم فى قصر أبى هاشم بن المغيرة بالعقيق ، وأظنها ثنية المدرج .

ثنية الشريد

ثنية الشريد ـ تقدمت فى الفصل الرابع .

ثنية العاير

ثنية العاير ـ بمثناة تحتية قبل الراء ، ويقال بالغين المعجمة ، والإهمال هو الأشهر ، وهى عن يمين ركوبة ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم فى الهجرة .

ثنية عثعث

ثنية عثعث ـ منسوبة إلى جبل يقال له سليع ، كما سيأتى فى عثعث ، ويؤخذ من كلام ابن شبة أنها الثنية التى بقرب الجبيل الذى عليه حصن أمير المدينة ، بينه وبين سلع ، فذلك الجبيل هو سليع .

ثنية مدران

ثنية مدران ـ بكسر الميم ، تقدمت فى مساجد تبوك .

ثنية المرة

ثنية المِرَّةَ ـ بالكسر وتشديد الراء ، قرب ماء يدعى الأحياء من رابغ ، لقى بها أبو عبيدة بن الحارث فى سريته جمعَ المشركين ، وقال ياقوت : ثنيـة المرة بتخفيف الراء يشبه تخفيف المرة من النساء ، فى حديث الهجرة أن دليلهما يسلك بهما إلخ ، ثم ثنية المرة ، ثم لقفا ، وهو أيضا فى حديث سرية عبيدة بن الحارث ، انتهى .

ثنية المرار

وأما ثنية المرار ـ فبضم الميم أو كسرها ، كما ذكره مسلم على الشك ، وفتحها بعضهم ، قال عياض : أراها بجهة أُحُد .

قلت : الصواب ما قاله النووى من أنها عند الحديبية ، قال ابن إسحاق : هى مهبط الحديبية ، انتهى .

ثنية الوداع

ثنية الوداع ـ بفتح الواو ، تقدم فى أمكنة المدينة وحفظها من الوباء عن جابر أنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع ، فإن لم يعشر بها مات قبل أن

يخرج ، فإذا وقف على الثنية قيل : قد ودع ، فسميت ثنية الوداع ، حتى قدم عروة بن الورد فلم يعشر ، ثم دخل فقال : يا معشر يهود مالكم وللتعشير ؟ قالوا : لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها إلا مات ، ولا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله الهزال ، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ، ودخلوا من كل ناحية .

وروى ابن شبة عنه أيضا قال : إنما سميت ثنية الوداع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل من خيبر ومعه المسلمون قد نكحوا النساء نكاح المتعة ، فلما كان بالمدينة قال لهم : دعوا ما فى أيديكم من نساء المتعة ، فأرسلوهن ، فسميت ثنية الوداع .

وفى الأوسط عنه قال : خرجنا ومعنا النساء اللاتى استمتعنا بهن ، حتى أتينا ثنية الركاب ، فقلنا : يا رسول الله هؤلاء النسوة اللاتى استمتعنا بهن، فقال : هن حرام إلى يوم القيامة ، فودعناهن عند ذلك ، فسميت بذلك ثنية الوداع ، وما كانت قبل إلا ثنية الركاب .

وأخرجه البخارى بلفظ : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك حتى إذا كنا عند العقبة مما يلى الشام جاء نسوة كنا تمتعنا بهن يطفن برحالنا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا ذلك له ، فغضب وقام خطيبا وأثنى على الله ونهى عن المتعة ، فتوادعنا يومئذ ، فسميت ثنية الوداع .

وروى أبو يعلى وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فنزلنا ثنية الوداع ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصابيح ، ورأى نساء تبكين تمتع منهن ، فقال : حرم ، أو قال : هذا المتعة والنكاح والطلاق والعدة والميراث [؟].

وقال ابن إسحاق فى غزوة تبوك : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبى معه على جدة عسكره

أسفل منه نحو ذباب ، وقال ابن سعد فى سرية مؤتة دون دمشق : وخرج النبى صلى الله عليه وسلم مُشَيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع ، فوقف وودعهم ، وعسكروا بالجرف .

وفى البخارى عن السائب بن يزيد قال : أذكر أنى خرجت مع الصبيان نتلقى النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مَقْدَمَهُ من غزوة تبوك ، وكل هذه الروايات متظاهرة على أن هذه الثنية هى المعروفة بذلك اليوم فى شامى المدينة بين مسجد الراية الذى على ذباب ومشهد النفس الزكية ، يمر فيها المار بين صدين مرتفعين قرب سلع .

ومن تأمل كلام ابن شبة فى المنازل وغيرها لم يَرْتَبْ فى ذلك ، وسوق المدينة كانت هناك .

وتقدم فى الدار التى أحدثها ابن هشام هناك بسوق المدينة ما يشهد لذلك ، وأن ابن مكدم لما قدم من الشام وأشرف على ثنية الوداع صاح : مات الأحول ، وأن الناس سألوه عن دار السوق ، فقال : اهدموها ، فابتدرها الناس .

ويوضحه أيضا ما رواه ابن إسحاق فى غزوة العالية حيث قال : أول من نذر بهم سلمة ، غدا ومعه قوسه وهو يريد الغابة ، فلما أشرف على ثنية الوداع نظر إلى الجبل ، فعلا فى سلع ثم صرخ : واصباحاه ، انتهى .

وأحَدُ صدى هذه الثنية المعروفة اليوم متصل بسلع .

وفى خبر رواه البيهقى عن أبى قتادة أنه أسْرَجَ فرسَه ، ثم نهض حتى أتى الزوراء ، فلقيه رجل ، فقال : يا أبا قتادة ، تشوط دابتك وقد أخذت اللقاح ، وقد ذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبها وأصحابه ، فقال : أين ؟ فأشار له نحو الثنية ، فإذا بالنبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه جلوسا عندديار [1] ، وذكر قصته فى غزوة الغابة .

والزوراء : فى قبلة هذه الثنية ، وذباب : فى شاميها .

---

(١) كذا ، وأظنه « عند ذباب » .

وقال الحافظ ابن حجر فى حديث الهجرة : أخرج ابن سعد فى شرف المصطفى وروينا فى فوائد الخلعى بسند معضل عن عائشة رضى الله تعالى عنهـا قالت : لمـا دخل النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جعل الولائد يَقلْنَ :

طلع البـدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشـكر علينا ما دعا لله داعى

قال : ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك .

قلت : وذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة ، على أنى أقول : إن ذلك لا يمنع من كونه فى الهجرة عند القدوم من قبـاء ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته ، وأرْخَى لها زمامها ، وقال : دعوها فإنها مأمورة ، ومر بدور الأنصار كما سبق ، حتى مر ببنى ساعدة ، ودارُهم فى شاميّ المدينة قرب ثنيـة الوداع ، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية حتى أتى منزله بها ، وقد عرج النبى صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من بدر إلى ثنية الوداع ؛ لمـا فى مغازى ابن عقبة أنه صلى الله عليه وسلم سلك حين خرج إلى بدر حتى نقب بنى دينار ، ورجع حين رجع من ثنية الوداع .

وذكر البيهقى فى الدلائل فى القدوم من غزوة تبوك الخـبر فى قول النساء والصبيان والولائد * طلع البدر علينا * إلى آخره ، ثم قال : وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه المدينة من مكة ، وقد ذكرناه عنده ، إلا أنه إنما قدم المدينة من ثنية الوداع عند مقدمه من تبوك ، انتهى . وقد تقدم ما يوضح ذلك .

وقال عياض : ثنية الوداع موضع بالمدينة على طريق مكة ، سمى بذلك لأن الخارج منها يودعه مشيعه ، وقيل : لوَدَاع النبى صلى الله عليه وسلم بعض المسلمين المقيمين بالمدينة فى بعض خرجاته ، وقيل : وَدَّع فيها بعضَ أمراء سراياه ، وقيل: الوَدَاع وادٍ بمكة كذا قاله المظفر فى كتابه ، وحكى أن إماء أهل مكة قلنه فى رجزهم عند لقاء النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، خلاف ماقاله غيره من أن نساء أهل المدينة قلنه عند دخوله صـــلى الله عليه وسلم المدينة

والأول أصح ؛ لذكر الأنصار ذلك مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدل على أنه اسم قديم لها ، اهـ .

وقال الحافظ ابن حجر فى خبر السائب بن يزيد المتقدم : إن الداوودى أنكره ، وتبعه ابن القيم ، وقال : ثنية الوداع من جهة مكة ، لا من جهة تبوك ، بل هى فى مقابلها كالمشرق من المغرب ، إلا أن يكون هناك ثنية أخرى فى تلك الجهة ، قال ابن حجر عقبه : ولا يمنع كونها من جهة مكة أن يكون الخروج إلى جهة الشام من جهتها .

ثم ذكر رواية الخليعات [؟]فى قول النسوة، وقال : قيل كان ذلك عند قدوم الهجرة ، وقيل : عند القدوم من غزوة تبوك ، اهـ .

ومراد الداوودى حيث وصف الثنية بما ذكره أنها موضع لا يسلكها الخارج إلى جهة الشام ، فكيف يجاب بهذا ؟ وسيأتى فى المدرج أنه الثنية المشرفة على العقيق والمدينة ، وأنها ثنية الوداع عند من ذهب إلى أنها من جهة مكة ، فهى كما قال الداوودى وقد تبعه المجد فصرح به فى ترجمة المدرج ، وقال هنا: هى ثنية مشرفة على المدينة ، يطؤها من يريد مكة ، وقيل : من يريد الشام ، واختلف فى تسميتها بذلك فقيل : لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة ، وقيل : لأن النبى صلى الله عليه وسلم ودَّع بعض مَنْ خلفه بالمدينة فى آخر خرجاته ، وقيل : فى بعض سراياه المبعوثة عنه ، وقيل : الوداع اسم وادٍ بمكة ، والصحيح أنه اسم قديم جاهلى ، سمى به لتوديع المسافرين ، وهكذا قال أهل السير والتاريخ وأصحاب المسالك إنها من جهة مكة ، وأهلُ المدينة اليوم يظنونها من جهة الشام ، وكأنهم اعتمدوا قول ابن قيم الجوزية فى هَدْيه فإنه قال : من جهة الشام ثنيات الوداع ، ولا يطؤها القادم من مكة البتة ، ووَجْهُ الجمعِ أن كلتا الثنيتين تسمى بثنية[الوداع] ، اهـ كلام المجد .

والظاهر أن مستند من جعلها من جهة مكه ما سبق من قول النسوة ، وأن ذلك عند القدوم من الهجرة ، مع الغفلة عما قدمناه فى توجيهه ، وهو فى الحقيقة حُجّة لمن ذكرها فى جهة الشام ، ولم أر لثنية الوداع ذكرا فى سفر من الأسفار التى بجهة مكة ، وما نقله المجد عن ابن القيم هو الموجود فى هَدْيه ، فإنه قال فى ذكر القدوم من تبوك ما لفظه : فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه ، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البـــدر علينا　　من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا　　ما دعـــا لله داعى

و بعض الرواة وهم فى هذا و يقول : إنما كان ذلك عند مَقْدَمه المدينةَ من مكة ، وهو وهم ظاهر ؛ لأن ثنيات الوداع إنما هى من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام ، اه .

وهو مخالف لما نقله عنه الحافظ ابن حجر ، و إن سلم الجمع الذى ذكره المجد من أن كلا من الثنيتين يسمى بذلك فالمراد من الأخبار المتقدمة كلها الموضع المتقدم بيانه فى شامى المدينة ، وكذلك من حديث السباق فى أمد الخيل المضمرة أنه من الغابة أو الحفيا إلى ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق ؛ لانطباق المسافة المذكورة فى ذلك على الموضع المتقدم ، كما سبق فى مسجد بنى زريق ، وكما سيأتى فى الحفيا ، مع أن ما بين بنى زريق وثنية المدرج لا يصلح للسباق أصلا ، وهو على نحو ضعفى ما ذكروه فى المسافة .

ثور 　ثور ــ بلفظ فحل البقر ، تقدم مستوفى فى حدود الحرم .

ثيب 　ثيب ــ تقدم فى حدود الحرم أيضا .

حرف الجيم

الجار — قرية كثيرة الأهل والقصور ، بساحل المدينة ، ترد السفن إليها ، قاله في المشارق ، وقال ياقوت : الجار مدينة على ســـاحل بحر اليمن ، وهى فُرْضَة المدينة ، بينها و بين المدينة يوم وليلة ، ينسب إليها عبد الملك الجارى مولى مروان ابن الحكم ، وسيأتى عن المجد فى السرير أنه بقرب الجار ، وهى فرضة أهل السفن الواردة من مصر والحبشة إلى المدينة ، قال المجد عقبه : والجار بينه و بين المدينة يوم وليلة ، انتهى . ومقتضاه أن الفرضة السرير ، لا الجار ، وسيأتى عنه فى عدينة أن الجار بلد على البحر قرب المدينة .　　الجار

جاعس — بكسر العين ثم ســـين مهملتين ، أُطم بمنازل بنى حرام ، غربى مساجد الفتح .　　جاعس

جَبَار — بالفتح وتخفيف الموحـــدة آخره راء ، موضع بجهة الحباب من أرض غطفان .　　جبار

الجَبَّانة — كندمانة ، أصله المقبرة ، وهو موضع شامى المدينة ، وسيأتى فى ذباب عن البكرى أنه بالجبانة ، وسبق ذكرها فى منازل القبائل، بمنزل بنى الديل وبنى ذكوان و بنى مالك بن حمار ، وكذا فى أسراب البلاط ، وكذا فى حديث عمر لما زاد فى المسجد من شاميه ، ثم قال : لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .　　الجبانة

جبل بنى عبيد — بمنازلهم غربى مساجد الفتح .　　جبل بنى عبيد

جبل جهينة — تقدم فى منازلهم .　　جبل جهينة

الجبوب — بالفتح وموحدتين من تحت بينهما واو ، الأرض الغليظة ، وجبوب المصلى : بالمدينة فى قول أبى قطيفة :　　الجبوب

* جبوب المصلّى أم كعهدى القرائنُ *

قاله ياقوت :

الجثا — الجثا ـ بالضم وتخفيف الثاء المثلثة والقصر ، أصله الحجارة المجتمعة ، وهو موضع بين فدك وخيبر .

الجثجاثة — الجثجاثة ـ تقدم بيانها فى آخر مساجد المدينة وأن سيل العقيق يُفضِى إليها، ثم إلى حمراء الأسد ، والجثجاثة أيضاً : ماء لغنى بحمى فيد ، وقال : بقرب حمى ضرية ، ورأيته فى كتابه بإسقاط الجيم الثانية ، ولعله غلط من الناسخ ، وقال : إنه أيضاً بادية من بَوادى المدينة .

جحاف — جحاف ـ بالفتح وتشديد الحاء المهملة ، مال بالعالية ، بجانب سميحة ، و يقال له قديماً : مال جحفاف ، كان به أطم لبعض مَنْ كان هناك من اليهود .

الجحفة — الجحفة ـ بالضم وسكون الحاء المهملة ، أحَدُ المواقيت ، قرية كانت كبيرة ذات منبر ، على نحو خمس مراحل وثلثى مرحلة من المدينة ، وعلى نحو أربع مراحل ونصف من مكة ، وكانت تسمى أولا « مهيعة » كما سيأتى .

الجداجد — الجداجد ـ بجيمين ودالين مهملتين ، جمع جدجد ، وهى الأرض المستوية ، وفى سفر الهجرة : سلك بطن ذى كشب ، ثم على الجداجد ، ثم على الأجرد ، قال المجد : وكأنها آبار ؛ لقوله فى الحديث « أتينا على بئر جدجد » قال أبو عبيد الصواب بئر جد ، يعنى قديمة ، و يقال « بئر جدجد » أيضاً .

جد الأثافى — جد الأثافى ـ بالضم والتشديد ، البئر القديمة ، والأثافى : جمع أثْفِية ، وهى الحجارة التى يوضَعُ عليها القِدْر ، وهو موضع بالعقيق .

جد الموالى — جد الموالى ـ بالعقيق أيضا ، قاله المجد ، وتقدم فى أودية العقيق : جد الموالى، ثم جد الأثافى ، ثم ذو أثيفية .

ذو الجدر — ذو الجدر ـ بسكون الدال[1] ، لغة فى الجدار ، مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء ، كانت به اللقاح التى أغير عليها ، وسيل بطحان يأخذ من ذى

(١) قال ياقوت « بسكون الدال » وضبط ضبط قلم بفتح الجيم

الجدار كما سبق عن ابن شبة ، قال : والجدر قرارة فى الحرة يمانية من حليات الحرة العليا حرة معصم وهو جبل .

جذمان — كعثمان والذال معجمة ، موضع به أطم من آطام المدينة ، قطع تُبّع نخله لما غزاهم ، والجِذْم : القطع ، قاله المجد . وتقدم أن تبعاً أمر بحرق نخل أُحَيْحَة بن الجلاَح الجَحَجبى لما تحصن بحصنه ، وهو من الأوس ، وتقدم قول بعض الخزرج مفتخراً عليهم : جذمان

هَلم إلى الجلاح إذ رقّ عظمهم ... وإذ أصلحوا مالاً بِجُذْمان ضَائِمَا

وقال قيس بن الخطيم لما ظهروا على الخزرج ببُعَاث :

كان رؤس الخزرجيين إذ بَدَتْ ... كتائبنا تَتْرَى مع الصبح حَنْظَلُ

فلا تقربوا جُذْمَانَ إنّ حِرَارهُ ... وجنته تأذَى بكل فتحمـــلوا[1]

وأذى يأذى بمعنى تأذى يتأذى .

الجراديح — بالفتح والدال المهملة آخره حاء ، ثنيات سود بين سويقية ومشعر ، وشاهدها فى مشعر . الجراديح

الجرف — بالضم ثم السكون ، قاله المجـد ، وهو تابع لياقوت فى ذلك ، والذى قاله أبو بكر الحازى وأبو عبيد البكرى : إنه بضم أوله وثانيه . الجرف

وقال عياض : هو بضم الجيم والراء ، موضع بالمدينة ، فيه أموال من أموالها ، و به كان مال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، وهو على ثلاثة أميال من المدينة من جهة الشام .

وفى طبقات ابن سعد : مات المقداد بالجرف ، على ثلاثة أميال من المدينة ، فحُمِل على رقاب الرجال حتى دفن بالبقيع ، وسبق فى حدود العقيق أن الجرف ما بين مَحَجّة الشام إلى القصاصين ، وتقدم أن العرصة الكبرى التى بها بئر رومة تختلط بالجرف فتتسع ، قالوا : سمى الجرف لأن تبعاً مر به لما شخص من

(١) فى معجم ياقوت « إن حمامه وجنته تأذى بكم — إلخ »

منزلِهِ بقَنَاة فقال: هذا جرف الأرض، وكان يسمى قبل ذلك العرض. قال كعب ابن مالك يوم أُحُد :

فلما هَبَطْنَا العرض قال سَرَاتُنَا عَلَامَ إذا لَمْ نمنع العرض نزرع

وروى ابن زبالة أن تبعاً بعث رائداً ينظر إلى مزارع المدينة ، فأتاه فقال : قد نظرت ، فأما قناة فحب ولا تبن ، وأما الجرار فلا حب ولا تبن ، وأما الجرف فالحب والتبن ، وسيأتى فى الزاى أن الزين مزرعة فى الجرف ازْدَرَعها النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى طبقات ابن سعد أن أبا بكر أقطع الزبير الجرف ، وروى المجد أن عثمان رضى الله تعالى عنه خَلَجَ خَليجاً حتى صَبَّه فى باطن بلد من الجرف ، وجعله لبناته من نائلة بنت الفُرَافصة ، وأنه استعمل فيه ثلاثة آلاف من سبى بعض الأعاجم ، وذكر أن من أموال الجرف بئر جشم و بئر جمل .

جر هشام جرّ هشام — سقاية لهشام بن إسماعيل ، تقدمت فى قصر أبى هاشم بالعقيق .

الجزل الجزل — بالفتح وسكون الزاى ، لغة الحطب اليابس ، يضاف إليه واد يلقى إضم بذى المروة ، ويضاف إليه سقيا الجزل ، وبه قبر طُوَيْس المخنَّث المغنِّى .

جزيرة العرب جزيرة العرب ــ تقدم فى أسماء المدينة على رأى ، وقال الأعرابى : هى من حَفْر أبى موسى على خمس مراحل من البصرة إلى حضرموت إلى العذيب ومن جدة وسواحل اليمن إلى أطراف الشام ، وقال الأصمعى : هى من العُذَيب إلى عَدَن أَبْيَن فى الطول ، والعرض من الأيلة إلى جدة ، وهى أربعة أقسام : اليمن ، ونجد ، والحجاز ، والغَوْر ، وهو تهامة . وقيل : سميت بذلك لإحاطة البحار بها من أقطارها ، يعنى بحر الحبشة والفرس ودجلة والفرات ، وقيل : هى كل بلد لم يملكه الروم ولا فارس ، ونسب للأصمعى ، والذى رأيته فى جزيرة العرب له ما تقدم .

جسر بطحان — كان عنده سوق بنى قَيْنُقَاع ، وتقدم فى بُطْحَان أن سيله حين يأتى يُفْضِى إلى فضاء بنى خطمة والأعرس ، ثم يسير حتى يَرِدَ الجسر ، ثم يستبطن وادى بطحان ؛ فالجسر عند أعلى بطحان بناحية الموضع المعروف اليوم بزقاق البيض .

جسر بطحان

جفاف — بالكسر وفاءين بينهما ألف ، معروف بالعالية ، به حدائق حسنة .

جفاف

الجفر — ما بلغ أربعة أشهر من أولاد الشاء ، والبئر إذا لم تُطْوَ أو طوى بعضها ، وهو اسم عين بناحية ضَرِيَّة ، و بقرب فرش ملل ماء يعرف اليوم بالجفر ، وأظنه المعنى بقول الهجرى عقب ما سيأتى عنه فى معلاوين : و بعلى الحرومة ماء يقال له جفر الرغباء ، كان لطلق بن أسعد ، ثم صار لعبد الله بن حسن .

الجفر

الجلسى — بالفتح ، أرض نجد ، والجلسى من أرض القبلية : ما ارتفع منها ، والغورى : ما انهبط.

الجلسى

جلية — تصغير الجلى وهو الواضح وزيادة هاء التأنيث ، موضع قرب وادى القرى .

جلية

جماوات — جمع جماء ، بالفتح وتشديد الميم والمد ، وهن ثلاث تقدمن فى الفصل الرابع ، وجعلهن المجد واحدة ، فقال : الجماء جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق إلى الجرف ، قال الزمخشرى : الجماء جبيل بالمدينة ، سميت بذلك لأن هناك جبلين هى أقصرهما ، فكأنها جماء ، وقال أبو الحسن المهلبى : هما جماوان ، وهما هضبتان على يمين الطريق ، ثم حكى المجد تعددها على نحو ما قدمناه ، وسبق شاهد الجماء فى قصر سعيد بن العاص .

جماوات

جمدان — بالضم ثم السكون و إهمال الدال ، من منازل أسلم ، بين قديد وعسفان ، قاله عياض ، وعن أبى بكر بن موسى أنه جبل بين ينبع والعيص على ليلة من المدينة ، وقيل : وادٍ بين ثنية عرال وأمج .

جمدان

وقال الأسدى : وخلف أمج بميل وادى الأزرق ، وفى الوادى عين ، و بين العين والوادى جبل يقال له جمدان ، على يمين الطرق ، وفى الحديث « مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمدان ، فقال : سيروا ، هذا جمدان ، سبق المفردون » وقال الأزهرى : مرّ النبى صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة على جبل يقال له بجدان ، هكذا عنده بالباء الموحدة ، وعند غيره جَمَدَان تثنية جَمَد ، وكأنه صلى الله عليه وسلم لما رآه ذكر قول زيد بن عمرو العدوى أو ورقة بن نوفل :

سُبْحَانَ ذِي العرش سبحانا يدوم له　　　وقبلنا سَبَّحَ الجودىُّ والجَمَـــدُ

فذكر أصحابه بتسبيح الجمد الذى هـذا تلبيته فى القديم ، مع كونه جمادا ، فإنه جبل لبنى نصر بجهة نجد ، ويذكر الجاهلية لذلك ، وإن ذكر الله سبب السبق والتقدم ، ويحتمل أنه لما كان الذكر مطلوبا فى الصعود وهبوط الأودية قارن رؤية جمدان أحد الأمرين فذكرهم بذلك ، أى هـذا جمدان صعدتم ثنيته أو هبطتم واديه فاذكروا الله ، أو هو سبب السبق ، ويحتمل أيضا أنه صلى الله عليه وسلم تذكر برؤيته تلبية موسى عليه السلام عنده ؛ لما فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مَرَّ بوادى الأزرق فقال : كأنى أنظر إلى موسى هابطا من الثنية له جؤار ، وجمدان بوادى الأزرق ؛ فاتضح ما أشكل على ياقوت حيث قال : لا أدرى ما الجامع بين سبق المفردين ورؤية جمدان ، ومعلوم أن الذاكر سابق ، قال : ولم أر أحدا ذكر فى ذلك شيئاً .

الجموح

الجموح ـ بالفتح ، ما بين قباء ومران على جهة طريق البصرة ، وذكر أبو عبيدة الجموح وعرفة ، يعنى الذى بمكة ، ثم قال : والجموح الذى دون قباء ، انتهى ، وليس المراد قباء المدينة كما ستأتى الإشارة إليه ، قال المجد : والجموح أيضا أرض لبنى سليم ، وبها كانت إحدى غزوات النبى صلى الله عليه وسلم ، و بعث زيد بن حارثة إلى بنى سليم فسار حتى ورد الجموح ناحية بطن نخل عن يسارها .

قلت : والذى يظهر أنها المذكورة أولا .

الجمة — بالفتح وتشديد الميم ، قال الكمال الدميرى : عين بأحَدِ أودية خيبر ، سماها النبى صلى الله عليه وسلم قسمة الملائكة ، يذهب ثلثا مائها فى فلج ، والثلث الآخر فى فلج[الآخر]والمسلك واحد ، وقد اعتبرت من زمان النبى صلى الله عليه وسلم إلى اليوم يُطْرَح فيها ثلاث خشبات أو تمرات تذهب اثنتان فى الفلج الذى له الثلثان وواحدة فى الآخر ، ولا يقدر أحد أن يأخذ من ذلك الفلج أكثر من الثلث ، ومن قام فى الفلج الذى يأخذ الثلثين ليردّ الماء إلى الآخر غلبه الماء وفاض ولم يرجع إلى الفلج الآخر شىءٌ يزيد على الثلث ، قاله البكرى وغيره ، والفلج : النهر الصغير ، اه . الجمة

الجِناب — بالكسر ، موضع بعراض خيبر ، وقيل : من منازل بنى مازن ، وقال نصر : الجِناب من ديار بنى فزارة ، بين المدينة وفيد ، وفى طبقات ابن سعد : الجناب أرض عذرة و بلى ، وقال سُحَيم الرياحى : الجناب

تحمل من وادى الجِناب فناشنى   بأجماد جوّ من وراء الخضارم

جَنَفَاء — بالتحريك والمد والقصر ، وقد يضم أوله أيضا فى الحالتين ، قال ابن سعد : كان ينزل بها أبو الشموس البلوى الصحابى . وعن ابن شهاب : كانت بنو فَزَارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم ، فراسلهم النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يعينوهم ، وأن يخرجوا عنهم ، ولهم من خيبر كذا وكذا ، فأبوا ، فلما فتح الله خيبر قالوا : حظنا والذى وعدتنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : حظكم — أو قال « لكم » — ذو الرقيبة بجبل من جبال خيبر ، فقالوا : إذا نقاتلك ، فقال : موعدكم جنفاء ، فخرجوا هار بين ، وفى بعض طرقه : جنفاء ماء من مياه بنى فزارة ، وجنفاء أيضا : موضع بين خيبر وفيد ، قال ياقوت : وهو الذى وقع ذكره فى غزوة خيبر ، وضلع الجنفاء : موضع بين الربذة وضرية ، من ديار محارب ، على جادة اليمامة إلى المدينة . جنفاء

الجنينة — تصغير جنة للبستان ، تقدمت فى أودية العقيق ، ثم ماء يدفع فى إضم ، الجنينة

وهو عقدة بين ظلم وملحتين ، والجنينة أيضاً : قرب وادى القرى ، ووجه الجنينة : بين ضرية وحزن بنى يربوع .

الجواء الجِوَاء - بالكسر والمد ، ماء بحمى ضَرِية .

الجوانية الجوانية - بالفتح وتشديد الواو وكسر النون وياء مشددة وحكى تخفيفها ، موضع ، وقيل : قرية قرب المدينة ، إليها ينتسب بنو الجوانى العليون ، قاله المجد ، وقال عياض : قال البكرى : كأنها نسبت إلى جوان ، وهى أرض من عمل المدينة من جهة الفرع ، انتهى . والصواب قول النووى : إنها موضع قرب أحد ، فى شامى المدينة ، لذكرها فى منازل يهود بالمدينة ، وسبق أنه كان لهم بها من الآطام صرار والريان ، وصارا لبنى حارثة وسبقا فى منازلهم ، فالجوانية هناك بطرف الحرة الشرقية مما يلى الشام ، وفى حديث معاوية بن الحكم السلمى عند أبى داود قال : قالت جارية لى كانت ترعى غنيمات قبل أحد والجوانية ، الحديث .

الجبار الجِبار - ككتاب ، موضع من أرض خيبر .

ذات الجيش ذات الجيش - بالفتح وسكون التحتية ، ويقال : أولات الجيش ، تقدمت فى الحرم ، وأنها على ستة أميال من ذى الحليفة - وعن ابن وهب أنها على ستة أميال من العقيق ، وكأنه أراد من طرفه الذى بذى الحليفة ، ويقرب منه قول ابن وضاح : هى على سبعة أميال من العقيق ، وقال ابن القاسم : بينها وبين العقيق عشرة أميال ، وعن الثعلبى اثنا عشر ميلا ، وقيل : بينهما ميلان ، ويقال : إن قبر نزار بن معد وقبر ابنه ربيعة بن نزار بذات الجيش ، وهي أحد منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، وفى غزاة بنى المصطلق ، وهناك نزلت آية التيمم وهى ممر طريق مكة ، وقد ذكرها الشعراء ، قال عروة بن أذينة :

كَادَ الْهَوَى يوم ذَاتِ الجيش يَقْتُلُنِي ... لمنزل لم يهيج للشوق من صقب

وقال جعفر بن الزبير :

تنبيها لمن رَبْعٌ بذات الجيش أمسَى دَارِساً خَلَقَا

كلفت بهم غداةَ البَيْـ ... نِ مَرّتْ عِيسُهُمْ حِزَقا
تَنَكَّرَ بعْدَ ساكِنِهِ ... فأمْسَى أهـلُهُ فِرَقَا
عَـلَوْنَا ظَاهِرَ البَيْدَا ... ءِ والمَحْزُونُ من قلقا

ذو الجيفة

ذو الجيفة ـ بالكسر ، بين المدينة وتبوك ، وكذا اقتصر عليه المجد هنا ، مع ذكره لما سبق عنه فى مساجد تبوك .

الجى

الجى ـ بالكسر وتشديد الياء ، تقدم فى مساجد طريق مكة ، قال الأسدى : و به منازل و بئران عذبتا الماء ، انتهى . وهو فى سَفْح الجبل الذى سال بأهله وهم نيام ، و ينتهى عنده ورقان .

حرف الحاء

حاجر

حاجر ـ موضع غربى النقا إلى منتهى حرة الوبرة ، من وادى العقيق ، فمنه المدح وما والاه ، وهذا هو المذكور فى الأشعار ، لا الذى هو فى منازل الحاج بالبيداء ، وحاجر الثنيا معروف بطريق مكه .

حاطب

حاطب ـ بكسر الطاء ، طريق بين المدينة وخيبر ، سيأتى حديثه فى مرحب

حالة

حالة ـ واحدة الحال ، موضع عند حرة الرجلاء .

حائط بنى المداش

حائط بنى المداش ـ بفتح الميم والدال المهملة وألف وشين معجمة ، موضع بوادى القرى ، أقطعهم إياه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فنسب إليهم .

حبرة

حبرة ـ بالكسر ، أطم بالمدينة ، قاله الصغانى ، وقال ابن زَبَالة : إن بنى قَيْنُقَاع كان لهم أطمان عند الحشاشين ، عند المال الذى يقال له خيبر [؟] .

قلت : وأظنه بالحاء ثم الموحدة

حبس

حبس ـ بالضم ثم السكون ، جبل لبنى مرة ، قاله الزمخشرى ، وقال غيره : هو بين حرة بنى سليم والسوارقية ، وفى الحديث « تخرج نار من حبس سيل » قال نصر : حبس سيل بالفتح إحدى حرتى بنى سليم ، وهما حرتان ، فيهما فضاء ،

كلتاهما أقل من ميلين ، وقال الأصمعي : الحبس جبل مشرف على الثلما ، لو انقلب لوقع على أهلها ، وهم بنو قرة ، وأنشد :

سقى الحبسَ وَسْمِيّ السحابِ ، ولا يَزَلْ عليـه رَوَايا المُزْنِ والدِّيم الهُطُلُ

والسد الذى أحدثته النار يسمى اليوم بالحبس .

الحبيش الحبيش ـ بالضم مصغراً آخره شين معجمة ، أطم لبنى عبيد بمنازلهم ، غربي مساجد الفتح ، عند جبل بنى عبيد .

الحت الحت ـ بالضم والمثناة من فوق ، من جبال القبلية لبنى عرك من جهينة .

حثات حِثات ـ بالكسر وثاءين مثلثتين ، عرض من أعراض المدينة .

الحجاز الحِجاز ـ بالكسر ، مكة والمدينة واليمامة ومَخَاليفها ، قاله الشافعي ، وقال عياض : هو ما بين نجد والسَّرَاة ، قال الأصمعي : سميت بذلك لأنها حُجِزَت بالحِرار الخمس .

قلت : الذى فى جزيرة العرب له بعد التقسيم السابق فيها أن ما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق ، وما احترمت به الحرار حرة سوران وحرة ليلى وحرة واقم وحرة النار وعامة منازل بنى سليم إلى المدينة فذلك الشق كله حجاز ، وما بين ذات عرق إلى البحر غور تهامة ، وطرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج ، فكأن الخامسة حرة بنى سُليم ، أخذ من قوله عامة منازل بنى سليم ، وعليه فالمدينة حجازية بخلاف مكة ، ولهذا قال بعده : والحجاز اثنتا عشرة دارا : المدينة ، وخيبر ، وفدك ، والمروة ، ودار بلى ، ودار أشجع ، ودار مزينة ، ودار جهينة ، ونفر من هوازن ، وجل سُليم ، وجل هلال ، وظهر حرة ليلى . ثم قال : ومما يلى الشام شغب و بَدَا اللذين يقول فيهما جميل :

لعمرى قد حَبَّبْتِ شَغْبا إلى بدَا إلىّ ، وأوطانى بلادٌ سواهما

وَالحد الثالث مما يلى تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والرابع شانه وودان ، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نجد ، وقال فى موضع آخر وأظنه تتمة

كلام عن غيره ما لفظه : والحجاز من تخوم صنعا من العبلا وتبالة إلى تخوم الشام ، وإنما سمى حجازاً لأنه حَجَزَ بين تهامة ونجد ؛ فمكة تهامية ، والمدينة حجازية . ثم قال : وقال عمارة : ما سال من حرة بنى سليم وحرة ليلى فهو الغور حتى يقطعه البحر ، وما سال من ذات عرق مغرباً فهو الحجاز إلى أن تقطعه تهامة ، وهو حجارة سود تحجز بين نجد وتهامة ، وما سال من ذات عرق مقبلا فهو نجد إلى أن يقطعه العراق .

وقال الأصمعى : إنما سميت الحجاز حجازاً لأنها احتجزت الجبال .

فدل على أن ماتقدم من كلام غيره على ما ذكر الأصمعى يكون الحجاز بمعنى المحجوز ، وعلى ما تقدم عن غيره يكون بمعنى الحاجز ، وحكاهما الدميرى بقوله : سمى الحجاز حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد ، وقيل : لاحتجازه بالحرار الخمس ، وهى : حرة واقم ، وحرة راجل بالراء والجيم ، وحرة ليلى ، وحرة بنى سُليم ، وحرة النار ، وحرة وبرة ، انتهى .

وقال أبو المنذر : الحجاز ما بين جبلى طيئ إلى طريق العراق لمن يريد مكة ، سمى حجازاً لأنه حجز بين تهامة ونجد ، وقيل : لأنه حجز بين نجد والسراة ، وقيل : لأنه حجز بين الغور والشام ، وبين تهامة ونجد ، وقال بعضهم : جبل السَّرَاة أعظم جبال العرب حجزاً ، وهو الحد بين تهامة ونجد ، وذلك أنه أقبل من قعر اليمن حتى بلغ أطراف الشام ، فسمته العرب حجازاً ؛ لأنه حَجَزَ بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر ، وأما ما انحاز إلى شرقيه فهو الحجاز .

وقسم بعضهم جزيرة العرب خمسة أقسام : تهامة ، والحجاز ، ونجد ، والعروض ، واليمن ، وقال عرّام : الحجاز من معدن البصرة إلى المدينة ، فنصف المدينة حجازى ، ونصفها تهامى ، ومن القرى الحجازية بطن نخل ، ونجد أنخل جبل يقال له الأسود نصفه حجازى ونصفه نجدى ، انتهى .

وقال ابن شبة : المدينة حجازية ، وقال الحرقى : إن تبوك وفلسطين من الحجاز ، وتقدم فى ظهور نار الحجاز أن الشافعى نصّ على أن المدينة ومكة يمانيتان ، مع الحديث الوارد فى بيان الشام من اليمن ، وأن النووى قال : المدينة ليست شامية ولا يمانية ، بل حجازية ، وتقدم فى العروض من أسمائها أنها نجدية ، وكأن بعض الأسماء يطلق على بعض بحسب الاعتبار ، وقد أكثر الشعراء من ذكر الحجاز ، قال أشجع بن عمرو الأسلمى :

بأكْنَافِ الحجاز هوًى دَفِينُ ... يُؤَرِّقنى إذا هَدَتِ الْعُيُونُ
أحِنُّ إلى الحجاز وساكنيه ... حَنِينَ الإلف فَارَقَهُ القَرِينُ
وأبكى حين تَرْقُدُ كلُّ عَيْنٍ ... بكاء بَيْن زفرته أنين

وقال أعرابى :

كفَى حَزَنًا أنى ببغدادَ نازلٌ ... وقلبى بأكناف الحجاز رهين
إذا عَنَّ ذكْرٌ للحجاز استفزَّنى ... إلى مَنْ بأكناف الحجاز حَنِينُ

حجر

حِجْر — بالكسر وسكون الجيم بعدها راء ، وعوام المدينة يفتحون الحاء ، والصواب الكسر ، قال عرّام عند ذكر نواحى المدينة وذكر الأرحضية ، ثم قال : وحذاءها قرية يقال لها حجر ، وبها آبار وعيون لبنى سُليم خاصة ، وحذاءها جبل يقال له قبة الحجر ، قاله المجد ظناً منه أن عرّاما أراد القرية المعروفة اليوم قرب الفرع بحجر بالفتح كحجر الإنسان ، وعرّام لم يردها ؛ إذ ليست بجهة الأرحضية ، وبقرب الأرحضية اليوم موضع يعرف بالحجرية بالكسر ، فيه آبار ومزارع ، فهو الذى أراد عرّام ، وكذا ياقوت حيث قال : حجر بالكسر ويروى بالفتح أيضاً قرية من ديار بنى سُليم بالقرب من قلهى وذى رولان ، انتهى .

والحجر بالكسر أيضاً : قرية على يوم من وادى القرى ، بين جبال ، بها كانت منازل ثمود ، وبيوتها فى أضعاف جبال تسمى الأثالث ، وهناك بئر ثمود .

حديلة — حُدَيلة — كجهينة والدال مهملة ، يضاف إليها منازل بنى حُدَيلة من بنى النجار، وكان بها دار لعبد الملك بن مروان .

حراض — حُراض — بالضم آخره ضاد معجمة ، وادٍ من أودية الأشعر ، فى شامى حورة، ليس به إلا ماء سَيْح يقال له الثاجية .

حربى — حربى — كان اسماً لما بين مسجد القبلتين إلى المذاد ، فغيره النبى صلى الله عليه وسلم وسماه صلحة ، كما سيأتى فى الصاد ، قاله المجد هنا وخالفه فى قاموسه فذكرها فى الخاء المعجمة ، وقال : سماها صالحة ، وسنذكره فى الخاء المعجمة لأنه الأظهر ، ورأيته كذلك فى خط المراغى ، وقال : فسماها طلحة ، وكذا هو فى نسخة ابن زبالة .

حرض — حُرُض — بضمتين وضادٍ معجمة ، وادٍ عند أحُدٍ ، وقد تفتح راؤه ، والأول أرجح؛ لأنه لغة الأشنان، وهو كثير النبات بذلك الوادى، ويقال له: «ذو حُرُض» من أجل ذلك ، وقال حكيم بن عكرمة يتشوق إلى المدينة :

إلى أحُدٍ فذى حُرُضٍ فمبنى   قباب الحى من كنفى صرار

و به أوقع أبو جبيلة بيهود فقالت سارة القرظية :

بأهلى رمة لم تُغْنِ شيئاً   بذى حُرُضٍ تعفيها الرياح

وقال كثير :

أرْبع لحَىٍّ معارف الأطلال   بالجزع من حرض فهن بَوَال

قال ابن السكيت : حُرُض هنا وادٍ من أودية قناة بالمدينة على ميلين ، أى وهو المتقدم، قال : وذو حرض وادٍ على خمسة أميال من معدن البصرة لبنى عبدالله ابن غطفان ، له ذكر فى شعر زهير .

حرة أشجع — حرة أشجع — ستأتى فى حرة النار .

حرة حقل — حرة حقـل — بوادى آرة .

حرة الحوض	حرة الحوض ــ بين المدينة والعقيق ، يقال لها : حرة حوض زياد بن أبى سفيان ، قاله ياقوت .

حرة راجل	حرة راجل ــ فى بلاد بنى عبس ، نقله ياقوت عن أحمد بن فارس ، قال النابغة :

تؤم بربعىّ كأن زهاءه	إذا هَبَطَ الصَّحْراء حرة راجل

حرة الرجلى	حرة الرَّجْلَى ــ بديار بنى القين ، بين المدينة والشام ، سميت بذلك لأنه يترجل فيها ويصعب المشى ، وفى الصحاح : حرة رجلى أرض مستوية ، كثيرة الحجارة ، يصعب المشى فيها ، وفى القاموس : وحرة رَجْلَى كسكرى ويمد ، حرة خشنة يترجَّلُ فيها ، أو كثيرة الحجارة ، وقال ابن شبة فى صدقات على : وله بحرة الرَّجْلاَء من ناحية شعب زيد وادٍ يدعى الأحمر شطره فى الصدقة وشطره بأيدى آل مناع وبنى عدى منحة من على ، وله أيضاً بحرة الرَّجْلَى وادٍ يقال له البيضاء فيه مزارع وعفا ، وهو فى الصدقة ، ثم قال : وله بناحية فَدَك بأعلى حرة الرجلى مال يقال له القصيبة ، وسيأتى فى روضة الأجداد أن وادى القصيبة قبلى خيبر وشرقى وادى عصير ، وقال الراعى من أبيات :

وقلت والحرة الرَّجْلاَء دُونَهمُ	وبطن لجان لما اعتادنى ذِكَرى
صلى على عَزَّةَ الرحمنُ وابنتها	ليلى وصلى على جاراتها الأخر

حرة رماح	حرة رُماح ــ بضم الراء وبالحاء المهملة ، بالدهناء . قالت امرأة من العرب :

سلام الذى قد ظَنَّ أن ليس رَائياً	رُمَاحاً ولا من حرتيه ذرى خضرا

حرة زهرة	حرة زُهرة ــ بضم الزاى ، من حرة واقم .

حرة بنى سليم	حرة بنى سُليم ــ تحت قاع النقيع يعنى الحمى شرقياً ، وفيها رياض وقيعان ، ويدفع ذلك فى قاع البقيع كما نقله الهجرى .

حرة شوران	حرة شوران ــ تأتى فى الشين المعجمة ، وهى صدر مهزور كما سبق .

حرة عباد	حرة عباد ــ حرة دون المدينة . قال عبيد الله بن ربيع :

أبيت كأنى من حذار قضائه   بحرة عباد سليم الأســـاود

حرة بنى العُضَيْدة — بضم العين وفتح الضاد المعجمة ، غربى وادى بطحان كما سبق فى منازل القبائل .

حرة بنى العضيدة

حرة قباء — قبل المدينة ، لها ذكر فى الحديث .

حرة قباء

حرة ليلى — لبنى مرة بن عوف بن سعد من غطفان ، يطؤها الحاجُّ الشامى فى طريقه إلى المدينة ، وعن بعضهم أنها من وراء وادى القرى من جهة المدينة ، فيها نخل وعيون ، وقال بعضهم : هى فى بلاد لبنى كلاب ، قال الرماح المرى وقد أمره عبد الملك بالمقام :

حرة ليلى

ألا لَيْتَ شعرى هل أبيتنَّ ليلةً   بحَرَّة لَيْلَى حيثُ زيننى أهْلى

بلادٌ بها نِيطَتْ علىَّ تمــائمى   وقُطِّعن عَنِّى حين أدركنى عَقْلِى

حرة معصم — هى الحرة العليا التى بها ذو الجدر ، منها يأخذ سيل بطحان .

حرة معصم

حرة ميطان — وهو جبل شرقى بنى قريظة .

حرة ميطان

حرة النار — بلفظ النار المحرقة ، قرب حرة ليلى ، وقيل : حرة لبنى سليم ، وقيل: بمنازل جُذام و بلى وعذرة ، وفى القاموس : هى قرب خيبر ، وقال عياض: حرة النار فى حديث عمر من بلاد بنى سليم بناحية خيبر ، وقال نصر : حرة النار بين وادى القرى وتيماء من ديار غطفان و بها معدن . وذكر الأصمعى حرة فَدَكَ فى تحديد بعض الأودية ، ثم قال : وحرة النار فدك ، وفدك قرية بها نخيل وصوافى، فاقتضى أنهــا بفدك ، وهى التى سالت منها النار التى أطفأها خالد بن سنان عن قومه ، لمــا سبق فى نار الحجاز أن قومه سَالَتْ عليهم نار من حرة النار فى ناحية خيبر ، تأتى من ناحيتين جميعاً ، وفى رواية : تخرج من جبــل من حرة أشجع ، وفى رواية : أنهم طلبوا منه إسالة الحرة ناراً ليؤمنوا به ، فدعا الله فسالت عليهم ، قال الراوى : فرأيتنا نعشى الإبل على ضوء نارها ضلما الربذة ، و بين ذلك ثلاث.

حرة النار

ليال ، وفى رواية : أن نار الحديان خرجت بحرة النـار حتى كانت الإبل تعشى بضوئها مسيرة إحدى عشرة ليلة .

وفى الحديث أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فقال عمر : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن أنت ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : حرة النار ، قال : بأيها ؟ قال : بذات اللظى ، فقال عمر : أدْرِكِ الحى لا يحترقوا ـ وفى روايه «فقد احترقوا» ـ قيل : إنه رجع إلى أهله فوجد النار قد أحاطت بهم .

ولها ذكر فى شعر النابغة ، وسماها أم صبار ، وقال أبو المهند الفزارى :

كانت لنا أجْبَالُ حِسْمَى فاللوى وحرة النـــار فهذا المستوى
ومن تميم قد لقينـا باللوى يومَ النِّسَارِ وسقيناهم روى

حرة واقم

حرة واقم ـ هى حرة المدينة الشرقية ، سميت برجل من العمالقة نزل بها ، قاله المجد ، وسبق قول ابن زبالة عقب ذكر واقم أنه أطم بنى عبد الأشهل ، و به سميت تلك الناحية واقما ، وله يقول شاعرهم :

نحن بنينـا واقماً بالحَرَّةْ بلازبِ الطين و بالأصِرَّةْ

وتسمى أيضا حرة بنى قريظة ؛ لأنهم كانوا بطرفها القبلى ، وحرة زهرة ؛ لمجاورتها لها كما سيأتى ، وكان بها مَقْتَلة الحرة كما سبق ، وتقدم حديث « يقتل بحرة زهرة خيار أمتى » وفى رواية « فلما وقفت بحرة زهرة وقف واسترجع » .

وفى كتاب الحرة عن عبد الله بن سلام أنه وقف بحرة زهرة زمن معاوية ، فقال : هٰهنا أجدُ صفةً فى كتاب يهوذا الذى لم يغير ولم يُبَدَّلْ ،مقتلة تقتل فى هذه الحرة،قوم يقومون يوم القيامة واضعى سيوفهم على رقابهم حتى يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفوا بين يديه فيقولون : قُتِلْنَا فيك .

وروى ابن زباله أن السماء أمطرت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

فقال لأصحابه : هل لكم فى هذا الماء الحديث العهد بالعرش لنتبرك به ، ولنشرب منه ، فلو جاء من مجيئه ركبٌ لتمسَّحْنا به ، فخرجوا حتى أتوا حرة واقم وشِرَاجُها تطرد ، فشربوا منها وتوضؤا ، فقال كعب : أما والله يا أمير المؤمنين لتسيلَنَّ هذه الشِّرَاج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء ، فقال عمر : إيهاً الآن دَعْنَا من أحاديثك ، فدنا منه ابن الزبير فقال : يا أبا إسحاق ومتى ذلك ؟ فقال : إياك يا عبيس أن تكون على رجلك أو يدك .

وقال عبد الرحمن بن سعيد الذى أبوه أحَدُ العشرة ، وكان ممن حضر وقعة الحرة .

فإن تَقْتُلُونا يوم حَرَّة وَاقِمٍ فنحنُ على الإسلام أولُ مَنْ قُتِلْ

الأبيات المتقدمة ، قاله المطرى ، ونسبها المجد لمحمد بن وجرة الساعدى .

حرة بنى بياضة

وأما الحرة الغربية فحرة بنى بياضة وما اتصل بها ، وبها كان رَجْمُ ماعز كما يوضحه رواية ابن سعد فى قصته .

حرة الوبرة

حرة الوَبَرَة ـ محركة ، وجوز بعضهم سكون الموحدة ، وهى على ثلاثة أميال من المدينة ، ولها ذكر فى حديث أهبان ، كذا قاله المجد هنا ، وسيأتى حديث أهبان فى الوبرة ، وأن المجد ذكر فيها مايقتضى بُعْدَها عن المدينة ، والمعتمد ماهنا ، لما سبق فى قصر عروة بالعقيق أنه كان يقال لموضعه « خيف حرة الوبرة » وقال الهجرى : مزارع عروة وقصره فى حرة الوبرة .

وسبق فى حاجر أنه غربى النقا إلى منتهى حرة الوبرة ، فهى المشرفة على وادى العقيق ، ولهذا صح فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر عنه جرأة ونجدة ، ففرح أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فلما أدركه قال : يارسول الله جئتُ لأتبعك وأصيبَ معك ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : فارْجِعْ فلَنْ

أستعين بمشرك ، قالت : ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة ـ أى بذى الحليفة ـ أدركه الرجل ، فقال له كما قال أول مرة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة ، قال : لا ، قال : فارجع فلن أستعين بمشرك ، قال : ثم رجع فأدركه بالبَيْدَاء ، فقال له كما قال أول مرة: تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : نعم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فانْطَلِقْ

حزرة — حزْرَة ـ بالفتح وسكون الزاى ، من أودية الأشعر ، يفرغ فى القفارة ، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسلميون ، و به المليحة ، وبأسفلها العين التى تدعى سويقة .

حزم بنى عوال — حزم بنى عوال ـ بقرب الطرف ، وأحد مياهه بئر ألية المتقدمة ، وقال ياقوت: السد ماسماه فى حزم بنى عوال جبيل لغطفان فى أعمال المدينة .

حزن — حزن ـ ضد السهل ، اسم لطريق بين المدينة وخيبر ، امتنع النبى صلى الله عليه وسلم من سلوكه ، وسلك مرحبا ، كما سيأتى ، وحزن بنى يربوع من أكرم مراتع العرب ، فيـــه رِيَاض وقيعان ، وهو المراد بقولهم « مَنْ تَرَبَّعَ الْحَزْنَ وَشَتَّى الصَّمّان وتَقَيَّظَ الشرف فقد أخصب »

حسنى — حَسْنَى ـ بالفتح ثم السكون وآخره ألف مقصورة قبلها نون ، جبل قرب ينبع ، قاله ابن حبيب ، وحسنى أيضا : صحراء بين العذيبة والجار

قلت : وحسنى أيضاً : أحَدُ صدقات النبى صلى الله عليه وسلم المتقدمة ، لـكن ضبطها المراغى بالضم ثم السكون .

حسيكة — حُسَيْكَة ـ تصغر حَسَكة لواحد حَسَك السَّعْدَان ، موضع بطرف ذباب ، كان به ناس من يهود ، قاله الواقدى ، وقال أبو الفتح الإسكندرى : هو موضع بين ذباب ومساجد الفتح ، وله ذكر فى شعر كعب بن مالك ، وقال ابن شبة : قال محمد بن يحيى : سألت عبد العزيز بن عمران : أين حُسَيْكَة ؟ فقال : ناحية

أرض ابن ماقية إلى قصر ابن أبى عمرو الرابض إلى قصر ابن الشمعل إلى أدانى الجرف كله ، وفيها يقول الشاعر :

صَفحْنَاهُمُ بالسَّفْحِ يوم حُشَيكة صفائح بصرى والردينية السُّمْرا

فما قام منهم قائم لِقِرَاعِنَا ولا ناهَبُونَا يوم نزجرهم زجرا

الحشا

الحشا — بلفظ الحشا الذى تنضم عليه الضلوع ، موضع عن يمين آرة ، قال أبو جندب الهذلى :

تتبعتهم ما بَيْنَ حَدَّاء والحشا وأوردتهم ماء الأثيل فعاصما

وقال أبو الفتح الإسكندرى : الحشا وادٍ بالحجاز ، والحشا جبل الأبواء .

حشان

حشان — بالكسر جمع حَشّ بالفتح وهو البستان ، اسم أُطم ليهود على يمين الطريق من شهداء أحد ، والحشاشين بصيغة الجمع أيضاً بمنازل بنى قَيْنُقاع .

حش طلحة

حش طلحة بن أبى طلحة الأنصارى — تقدم فى الدوز المطيفة فى المسجد من الشام ، وفى البلاط الذى فى شامى المسجد ، وتلخص منه أنه موضع الدور التى فى شامى المسجد ، وما يلى المشرق منه كان لعبد الرحمن ، لما سبق عن ابن سعد أول الفصل الثالث والثلاثين من الباب الرابع .

حصن خل

حصن خل — بفتح الخاء المعجمة ، هو قصر خل الآتى .

حضوة

حِضْوَة — بالكسر وسكون الضاد المعجمة وفتح الواو ، موضع قرب المدينة وقيل: على ثلاث مراحل منها ، كان اسمه عفوة فسماه النبى صلى الله عليه وسلم حِضْوَةَ ، وفى الحديث شكا قوم من أهل حضوة إلى عمر وَبَاء أرضهم ، فقال : لو تركتموها، فقالوا: معاشُنَا ومعاش آبائنا ووطننا ، فقال للحارث بن كلدة : ماعندك فى هذا؟ فقال : البلاد الوبيئة ذات الأدغال والبعوض ، وهى عش الوباء ، ولكن ليخرج أهلها إلى مايقاربها من الأرض العذبة إلى مُرْتَبَع النجم ، وليأكلوا البصل والكراث ، ويباكروا السمن العربى فيشربوه ، وليمسكوا الطيب ، ولايمشوا حُفَاة ، ولاينامو بالنهار ،

فإن فعلوا أرجو أن يسلموا ، فأمر عمر بذلك .

حضير — حَضِير — كأمير ، قاع فيه آبار ومزارع ، إليه ينتهى النقيع و يبتدىء العقيق .

حفياء — حفياء — بالفتح ثم السكون ثم مثناة تحتية وألف ممدودة ، موضع قرب المدينة ، منه أجريت الخيل المضمرة إلى ثنية الوَدَاع ، قاله الحازمى ، ورواه غيره بالقصر ، وضبطه بعضهم بالضم والقصر ، وأخطأ ، ورواه بعضهم حيفاء بتقديم الياء على الفاء ، قال البخارى : قال سفيان : من الحفياء إلى الثنية خمسة أميال أو ستة ، وقال ابن عقبة : ستة أو سبعة ، قال المجد : وهى على مقربة من البركة فيما يغلب على الظن .

قلت : هى شامى البركة مغيض العين ؛ لأن الهجرى قال بعد ذكر مجتمع السيول بزغابة : ثم يفضى إلى سافلة المدينة وعين الصورين بالغابة ، وبها الحفياء صدقة الحسن بن زيد بن على ، وعبارة الزبير : فينحدر على عين أبى زياد والصورين فى أدنى الغابة ، فالحفياء التى عبر عنها الهجرى بالحيفاء بأدنى الغابة ، ولهذا جاء فى حديث السباق : من الغابة إلى موضع كذا .

حفير — حفير — كأمير ، فَعيل من الحفر ، موضع بين مكة والمدينة ، وحفر : موضع آخر بجنبه ، قاله المجد ، وقال ياقوت : الحَفْر بفتح الحاء وسكون الفاء من مياه على بطن وادٍ يقال له مهزول ، انتهى . والمعروف بالحفر اليوم منزل الأشراف من آل زبان و به آبار ومزارع ، وليس هو الحفر المذكور فى حدود جزيرة العرب ؛ لأن ذاك محرك ، وهو بقرب البصرة ، والحُفَيْر مصغر : منزل بين ذى الحليفة وملل ، فيسلكه الحاج ، قاله ياقوت .

قلت : وهو المعبر عنه فيما سبق فى الألفاظ الواقعة فى بيان حدود الحرم بالحفيرة .

الحقل — حقل — بالفتح وسكون القاف ، يضاف إليه آرة حقل .

الحلاءة

الحِلاءة ـ بالكسر والمد و يفتح واحدها حلاة ، قال عرّام بعد ذكر ميطان ومعاليه لشوران مالفظه : و بحذائه جبل يقال له سن ، وجبال كبار شواهق يقال لها الحلاءة لا تنبت شيئاً ولا ينتفع بها إلا ما يقطع للأرحاء والبناء ينقل إلى المدينة وما حولها .

وأنشد الزمخشرى لعدى بن الرقاع :

كانت تحلُّ إذا ما الغَيْثُ أصْبَحَهَا بطنَ الحـــلاءة فالأمرار فالسررا

حلائى صعب

حلائى صعب ـ واديان أو جبلان على سبعة أميال من المدينة أو نحوها ، قاله المجد ، وتقدم أن سيل بطحان يأتى من حلائى صعب ، والظاهر أنهما من الحلاءة المتقدمة ؛ لاتحاد الجهة والمسافة .

الحلائق

الحلائق ـ كأنه جمع حليقة ، قال ابن إسحاق : ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطحاء ابن أزهر فنزل الحلائق يسارا ، ورواها بعضهم الخلائق بالخاء المعجمة ، قاله المجد ، وهو المرجح عندى ؛ لما سيأتى فى الخلائق بالخاء المعجمة .

حليت

حِلّيت ـ بالكسر كسكين ، تقدم فى حمى فيد ، وقال امرؤ القيس :

ألا يا ديار الحى بالبكرات فعارمة فبُرْقَة العِـــيرات

فغــول فحِلِّيت فنفى فمنعج إلى عاقل فالجب ذى الأمَرَاتِ

الحليف

الُحلَيْف ـ مصغر الحلف ، منزل بنجد ينزله مصدق بنى كلاب إذا خرج من المدينة .

الحليفة

الحليفة ـ كجهينة تصغير الحَلَفَة بفتحات واحد الحلفاء وهو النبات المعروف ، قال المجد : هى قرية بينها و بين المدينة ستة أميال ، وهى ذو الحليفة ، وميقات أهل المدينة ، وهو من مياه بنى جُشَم بالجيم والشين المعجمة، بينهم و بين بنى خَفَاجة من عقيل ، انتهى .

وهو تابع لعياض فى ذلك ، وزاد كونها قرية ، وقد سبق أول الباب عند ذكر حدود وادى العقيق عن عياض أن بطن وادى ذى الحليفة من العقيق وأن العقيق

من بلاد مُزَينة ، وهذا هو المعروف ، وما ذكره هنا من نسبة ذى الحليفة إلى بنى جُشَم إلى آخره غيرُ معروف ، ولعله اشتبه عليه بالحليفة التى من تهامة ، وماذكره من المسافة موافق لتصحيح النووى كالغزالى أنها على ستة أميال ، و يشهد له قول الشافعى كما فى المعرفة : قد كان سعيد بن زيد وأبو هريرة يكونان بالشجرة على أقل من ستة أميال فيشهدان الجمعة ويَدَعَانِها ، والمراد بالشجرة ذو الحليفة،لما سبق فى مسجد الشجرة بها ، و بها أيضاً مسجد المعرس

وفى سنن أبى داود:سمعت محمد بن إسحاق المدينى قال:المعرس على ستةأميال من المدينة .

وسبق أن المَعَرس دون مصعد البيداء ، فهو بأواخر الحليفة ، فلا يخالف ما سبق عن الشافعى ، وعليه يحمل ما رواه أحمد والطبرانى والبزار واللفظ له عن أبى أروى قال : كنت أُصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم صلاة العصر بالمدينة ثم آتى ذا الحليفة قبل أن تغيب الشمس وهى على قدر فرسخين ، وقال الرافعى كابن الصلاح : ذو الحليفة على ميل من المدينة ، وهو مردود تدفعه المشاهدة ، ولعلهما اعتبرا المسافة مما يلى قصور العقيق ؛ لأنهاعمارات ملحقة بالمدينة ، وقال الأسنوى : الصواب المعروف المشاهَدُ أنها على فرسخ ، وهو ثلاثة أميال أو تزيدقليلا ،انتهى

وذكر ابن حزم أنهاعلى أربعة أميال من المدينة ، وقد اختبرتُ ذلك بالمساحة فكان من عَتَبة باب المسجد النبوى المعروف بباب السلام إلى عَتَبَة باب مسجد الشجرة بذى الحليفة تسعة عشر ألف ذراع وسبعمائة ذراع واثنين وثلاثين ذراعا ونصف ذراع بذراع اليد المتقدم تحديده فى حدود الحرم ، وذلك خمسة أميال وثلثا ميل ينقص مائة ذراع ، وكان المسجد ليس أول ذى الحليفة ؛ لأن أبا عبد الله الأسدى من المتقدمين قال : الرحلة من المدينة إلى ذى الحليفة وهى الشجرة ومنها يحرم أهل المدينة وهى على خمسة أميال ونصف مكتوب على الميل الذى وراءها قريب من العلمين : ستة أميال من البريد ، ومن هذا الميل أَهَلَّ رسول الله صلى

الله عليه وسلم ، انتهى ؛ فالميل المذكور عند المسجد لأنه محل إهلاله صلى الله عليه وسلم ، وأول ذى الحليفة قبله بنصف ميل .

وقوله « قريب من العلمين » يحتمل أن يريد على مدخل ذى الحليفة لقوله فى تعداد الأعلام «وعلى مدخل ذى الحليفة علمان» فيفيد ماتقدم من عدم التعرض لانتهاء الحليفة ، لكنه ذكر كما سبق فى البيداء أن على مخرج ذى الحليفة علمين آخرين ، وأن البيداء فوق على الحليفة إذا صعدت من الوادى ، فيحتمل أن يريد بقوله « قريب من العلمين » على مخرج الحليفة ، فيفيد أن المسجد قرب آخر الحليفة ، وهو الظاهر ؛ لأن البَيْدَاء هى الموضع المشرف على ذى الحليفة وذلك على نحو غَلْوة سهم من مسجدها . والأعلام المذكورة غير موجودة اليوم .

وقال العز بن جماعة : وبذى الحليفة البئر التى تسميها العوام بئر على ، وينسبونها إلى على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ؛ لظنهم أنه قاتل الجن بها ، وهو كذب ، ونسبتها إليه غير معروفة عند أهل العلم ، ولا يرمى بها حجر ولا غيره كما يفعل بعض الجهلة ، انتهى .

وسبق فى مسجد ذى الحليفة ذكر اتخاذ الدرج لآبارها ، وسبق فى خاتمة الفصل الرابع عن ابن شبة أن فوق ذى الحليفة التى هى الحرم فى القبلة قبل حمراء الأسد موضعاً من أعلى العقيق يسمى بالحليفة العليا ، فيكون المحرم الحليفة السفلى ، ولم أره فى كلام غيره ولعله الخليقة بالخاء المعجمة والقاف لما سيأتى فيها .

وأما ذو الحليفة المحرم فهى أيضا من وادى العقيق ، ولذا روى أبو حنيفة كما فى جامع مسانيده عن ابن عمر قال : قام رجل فقال : يا رسول الله ، من أين المُهَل ؟ فقال: يُهِلُّ أهل المدينة من العقيق ، ويُهِلُّ أهل الشام من الْجُحْفَة ، ويُهِلُّ أهل نجد من قرن ، فأطلق على ذى الحليفة اسم العقيق .

وذو الحليفة أيضا : موضع بين حاذَة وذات عرق ، ومنه حديث رافع بن خديج قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة من تهامة فأصبنا نهب غنم ،

وتقدم فى مساجد تبوك مايقتضى أن ذا الحليفة أيضاً موضع آخر بين المدينة وتبوك .

الحاتان الحاتان ـ موضع قرب البليدة ، يضاف إليه حرم الحاتين ، وسبق شاهده فى البلدة والبليدة .

حمام حُمَام ـ بالضم والتخفيف ، وذات الحمام : موضع بين مكة والمدينة ، وعميس الحمام : موضع بين الفرش وملل كما سيأتى فى العين المهملة .

ذات الحماط ذات الحُمَّاط ـ تقدم فى أودية العقيق والمساجد ، وشاهده فى المرابد ، بالضم وتشديد الميم ، حائط تقدم فى منازل بنى بياضة .

حمت حمت ـ بالفتح ثم السكون، اسم لجبل ورقان كما فى الحديث الآتى فيه ؛ وقال عَرّام : ويقطع بين قدس الأبيض وقدس الأسود عقبة يقال لها حَمْت ، وسيأتى فى شاهد ريم ذكر حَمْت ، قال الزبير : حَمْت وصورى من صدور أئمة ابن الزبير

حمراء الأسد حمراء الأسد ـ بالمد والإضافة ، والأسد الليث ، موضع على ثمانية أميال من المدينة ، إليه انتهى رسول الله صلى الله وسلم مَرْجِعَهُ من أحد فى طلب المشركين وأقام به ثلاثة أيام ، وكان المسلمون يُوقِدُونَ كل ليلة أكثر من خمسمائة نار لترى من المكان البعيد ، وسبق فى العقيق ما يقتضى أن حَمْرَاء الأسد فوق ثنية الشريد

قال الهجرى : وبها قصور لغير واحد من القرشيين ، قال : وهى ترى من العقيق نحو طريق مكة ، أى عن يسارها ، قال : وفى شق الحمراء الأيسر منشد ، وفى شقها الأيمن شرقيا خاخ .

قلت : وعلى يسار المصعد من ذى الحليفة جبل يعرف بحمراء نملة ، والظاهر أنه منشد ، وليس هو حمراء على ما سنوضحه فى النون ، والحمراء : اسم لمواضع أخرى : منها موضع فيه نخل كثير قبيل الصفراء .

الحميراء الحميراء ـ تصغير حمراء ، موضع ذو نخل بنواحى المدينة ، قال ابن هرمة :

كأن لم تجـاورنا بأكْنَافِ مثعر وأخْزَم أو خيف الحميراء ذى النخل

ولعله الحمراء التى بقرب الصفراء ، ولـكن صغرها .

الحمى الحمى ـ تقدم مبسوطاً فى الفصل السادس والسابع .

الحية

الحية ـ ذكرها صاحب « المسالك والممالك » فى توابع المدينة ومخاليفها .

الحنان

الحنان ـ بالفتح والتخفيف ، لغة الرحمة ، اسمُ كثيب كبير كالجبل ، قاله الزمخشرى ، وقال نصر : الحنان بالفتح والتشديد رمل قرب بدر ، وهو كثيب عظيم كالجبل . وقال ابن إسحاق فى مسير النبى صلى الله عليه وسلم إلى بدر بعد سلوكه لذفران : ثم ارتحل منه فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر ، ثم انحط إلى بلد يقال له الدبة ، وترك الحنان بيمين ، وهو كثيب كالجبل عظيم ، انتهى.

قلت : وإليه يضاف « أبرق الحنان » وهو لبنى فزارة ، قال كُثَيِّر :

* لمن الديار بأبرق الحنان *

وقال ياقوت : إنه غير الحنان السابق ذكره .

حنذ

حنذ ـ بالفتح و إعجام الذال ، قرية لأُحَيْحَة بن الجُلاَح من أعراض المدينة فيها نخل ، أنشد ابن السكيت لأحيحة يصف نخلها فإنه يتأبر منها دون أن يؤبر :

تأبَّرِى ياخيرة الفَسِيل تأبرى من حنذ وشُولِى

إن ضَنَّ أهلُ النخل بالفحول

حورتان

حورتان اليمانية والشامية ، و يعرفان اليوم بحورة وحويرة ، وهما من أودية الأشعر ، وسيأتى لهما ذكر آخر الحروف فى يين .

قال الهجرى : وهما لبنى كلب وبنى ذهل من عوف ثم من جهينة ، قال : وبحورة اليمانية وادٍ يقال له ذو الهدى ؛ لأن شداد بن أمية الذهلى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بعَسَل شَارَهُ منه ، فقال له : من أين شُرْته ؟ قال : من واد يقال له ذو الضلالة ، فقال : لا ، بل ذو الهدى ، انتهى .

وسيأتى فى خضرة عن أبى داود ما يشهد لأصل ذلك .

وحورة اليمانية معروفة ، والوادى غير معروف ، ويحمل منها إلى المدينة العسل والحنطة الرياضية التى تأتى من ناحية الفغرة ، و بها موضع يقال له المخاضة يستخرج منه الشب ، و يقال له ذو الشب .

وحورة الشامية لبنى دينار مولى كلب بن كبير الجهنى ، وكان طبيباً لعبدالملك ابن مروان ، ومن ولده عرارة الخياط صاحب القيان بالمدينة ، وكان عبد الملك قد اتخذ بحورة الشامية بقاعاً ومنزلا يقال له ذو الحماط .

حوضى حوضى ـ تقدم فى مساجد تبوك .

حوض عمرو حوض عمرو ـ بالمدينة ، منسوب إلى عمرو بن الزبير بن العوام .

حوض مروان حوض مروان ـ تقدم مع بئر المغيرة فى قصر أبى هاشم المغيرة بن أبى العاص بالعقيق .

حوض ابن هاشم حوض ابن هاشم ـ بالحرة الغربية ، تقدم فى بئر إهاب و بئر فاطمة .

حيفاء حيفاء ـ لغة فى الحفياء كما تقدم فيها .

حرف الخاء

خاخ خاخ ـ بخاءين ، و يقال : روضة خاخ، قال الهجرى : وفى شق حمراء الأسد الأيمن خاخ ، بلد به منازل لمحمد بن جعفر بن محمد وعلى بن موسى الرضى وغيرهما، و بئر محمد بن جعفر وعلى بن موسى ومزارعهما تعرف بالحضر ، وخاخ تقدمت فى أودية العقيق ، ولهذا ذكرها ابن الفقيه فى حدوده ، وقال : هى بين شـــوظا والناصفة .

وقال الواقدى : روضة خاخ بقرب ذى الحليفة ، على بريد من المدينة ، وفى حديث على : بعثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والزبيرَ والمقدادَ ، فقال : انْطَلِقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتابٌ ، الحديثَ ، ورواه بعضهم عن حاطب بن عبد الرحمن ، و بين فيه أن المكان على قريب من اثنى عشر ميلا من المدينة ، ويقرب خاخ من خليقة عبد الله بن أبى أحمد ، جاء فى رواية ابن إسحاق : فأدركوها بالخليقة خليقة ابن أبى أحمد .

وقد أكثر الشعراء من ذكر خاخ ، قال الأحْوَصُ:

طربت وكيف تطرب أم تصابىٰ ... ورأسُكَ قد توشّـعَ بالقتيرِ
لغانيةٍ تحـلُّ هضابَ خاخ ... فأسقُفَ فالدوافع من حضير

وقال أيضاً :

يا موقد النـار بالعلياء من إضم ... أوقد فقد هجت شوقاً غير مضطرم
يا موقدَ النـار أوْقِدْهَا فإن لها ... سَنًا يهيج فؤاد العاشق السدم
نار يضىء سـناها إذ تشب لنا ... سعديّة ذكرها يشفى من السقم
وما طربت لشجو أنت نائله ... ولا تنورت تلك النار من إضم
ليست لياليك فى خاخ بعائدة ... كما عهدت ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فغنى فيه معبد ، وشاع الشعر ، فأنشد لسكينة بنت الحسين رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : عائشة بنت سعد بن أبى وقاص ، فقالت : قد أكثر الشعراء فى خاخ ، لا والله ما أنتهى حتى أنظر إليه ، فبعثت إلى مولاها فنْد ، فحملته على بغلة وألبسته ثيابَ خز من ثيابها ، وقالت : امض بنا نقف على خاخ ، فمضى بها ، فلما رأته قالت : ما هو إلا ما أرى ؟ قال : ما هذا إلا هذا ، فقالت : والله لا أريم حتى أوتى بمن يهجوه ، فجعلوا يتذكرون شاعراً قريباً إلى أن قال فند : أنا والله أهجوه ، قالت : قل ، فقال : خاخ خاخ خاخ أخ ، ثم تفل عليه كأنه تنَخّع ، فقالت : هجوته ورب الكعبة ، لك البغلة وما عليك من الثياب .

خاص

خاص — واد بخيبر ، فيه الأموال القصوى الوحيدة وسلالم والكثيبة والوطيح .

خبء

خَبْء — بالفتح وسكون الموحدة بعدها همزة ، وادٍ بالمدينة إلى جنب قباء ، وقيل : هو بالضم واد ينحدر من الكاثب ، ثم يأخذ ظهر حرة كشب ، ثم يسير إلى قاع أسفل من قباء ، والخبء أيضاً : موضع بنجد .

الخبار

الخبار — كسحاب ، تقدم فى مسجد فيفاء الخبار من مساجد المدينة ، ويقال:

فيف الخبار ، وفى القاموس : الخَبَار مالانَ من الأرض واسْتَرْخَى،وجحرة الجرذان وفى المثل «من تجنَّبَ الخبار ، أمن من العثار » وفيفاء ـ أوفيف ـ الخبار : موضع بنواحى عقيق المدينة ، انتهى .

وقال ابن شهاب : كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من عُرَينة كانوا مجهودين مضرورين، فأنزلهم عنده، فسألوه أن ينحيهم من المدينة، فأخرجهم إلى لِقاح له بكتف الخبار وراء الحمى ، وقال ابن إسحاق : وفى جمادى الأولى غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ، فسلك على نقب بنى دينار من بنى النجار ، ثم على فيفاء الخبار ، قال الحارثى : وجد به مضبوطاً مقيداً بخط ابن الفرات بالحاء المهملة والباء المشددة ، والصوابُ المشهور الأول .

خبان

خبان ـ كعثمان ، جبل بين معدن النقرة وفدك [1] .

خبراء العذق

خبراء العذق ـ بكسر العين المهملة وفتح الذال المعجمة ثم قاف ، قاع بناحية الصمّان ، وفى القاموس : أنه موضع بناحية الصمان كثير السِّدر والماء .

خبراء صائف

خبراء صائف ـ بين مكة والمدينة ، قال شاعر :

ففدفد عبود فخبراء صـــائف ... فذو الجَفْر أقْوَى منهمُ ففدافدُهْ

خبزة

خبزة ـ بلفظ واحدة الخبز المأكول ، حصن من أعمال ينبع .

الخرار

الخرّار ـ بالفتح ثم التشديد من أودية المدينة ، وقيل : ماء بالمدينة ، وقيل : موضع بخيبر ، وقيل : بالحجاز ، وقيل : بالجحفة ، وفى شامى مثعر غدير يقال له الخرار ، وسبق ذكر بواط والخرار فيما يلقى سيل إضم ، وَالخرار فى سفر الهجرة الظاهر أنه بالجحفة ، وقال ابن إسحاق : وفى سنة واحد ، وقيل سنة اثنتين، بعثَ رسول لله صلى الله عليه وسلم سعد بن أبى وقاص فى ثمانية رَهْط من المهاجرين ، فخرج حتى بلغ الخرار من أرض الحجاز ، فرجع ولم يَلْقَ كيداً .

خربى

خربى ـ كحُبْلَى منزلة لبنى سلمة فيما بين مسجد القبلتين إلى المَذَاد ، غيرها

(١) ضبط ياقوت هذا بفتح أوله ، وجعل الذى بالضم قرية باليمن .

صلى الله عليه وسلم وسماها صالحة تفاؤلا بالحرب ، قاله المجد فى القاموس ، خلاف ما سبق عنه فى الحاء المهمله ، ولعل الصواب ما هنا .

الحرماء — تأنيث الأخرم للمشقوق الشفة ، عين بوادى الصفراء . الخرماء

خريق — كأمير ، وادٍ عند الجار يتصل بينبع . خريق

خُرَيْم — كزبير ، ثَنِية بين جبلين بين المدينة والجار ، وقيل : بين المدينة والروحاء ، كان عليها طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْصَرَفه من بدر ، قال كُثير : خريم

فأَجْمَعْنَ بَيْناً عاجلاً وتركنَنِي بفَيْفَا خُرَيم قائماً أتبلّدُ

الخزيمية — بالضم وفتح الزاى ، منزلة للحاج العراقى بين الأجفر والثعلبية . الخزيمية

خشاش — كسحاب ، وهما خشاشان ، وهما جبلان من الفرع قرب العمق ، وله شاهد فى العمق . خشاش

خُشُب — بضمتين آخره باء موحدة ، وادٍ على ليلة من المدينة ، له ذكر فى الحديث والمغازى ، وهو ذو خشب المتقدم فى الأودية التى تَصُبُّ فى إضم ، وفى مساجد تَبُوك ، وكان به قصر لمروان بن الحكم ومنازل لغير واحد ، و به نزل بنو أمية لما أخرجوا إلى الشام قبيل وقعة الحرة حتى تلاحقوا به ، ثم أرسل إليهم عبد الله بن حَنْظَله ، فأخرجوا منه أقبح الإخراج ، وقال شاعر : خشب

أبت عَيْنِي بذى خُشُبٍ تَنَامُ وأبكَتْها المنازلُ والخيامُ

وأرقنى حمامٌ بات يَدْعُو على فَنَنٍ يجاوبه حمام

الخشرمة — وادٍ قرب ينبع ، يصب فى البحر . الخشرمة

خشين — تصغير خشن ، جبل ، قال ابن إسحاق : غزا زيد بن حارثة جذام من أرض خشين ، وفى المثل « إن خُشَيْناً من خَشِنٍ[1] » وهما جبلان أحدهما أصغر من الآخر . خشين

(١) المحفوظ فى المثل « إن العصا من العصية ، وإن خشينا من أخشن » .

الخصى	الخصى ـ فعيل من خَصَاه نزع خصيته ، أطُم كان شرقى مسجد قباء ، على فم بئر الخصىّ لبنى السلم ، والخصى أيضاً : أطم فى منازل بنى حارثة . .

خضرة	خضرة ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ، من القرى المتقدمة فى آرة ، وأرض لمحارب بنجد ، وقيل : تهامة ، وقال ابن سعد: كان بها سَرِية أبى قتادة إلى خضرة، وهى أرض محارب بنجد ، وقال أبو داود : غير رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً تسمى عفرة سماها خضرة ، وشعب الضلالة سماها شعب الهدى ، و بنى الزنية سماهم بنى الرشدة ، قال الخطابى : عفرة بفتح العين وكسر الفاء نقب، الأرض التى لا تنبت شيئاً ، فسماها خضرة على معنى التفاؤل حتى تخضر .

الخطمى	الخطمى ـ تقدم فى مساجد تبوك .

خفينن	خفينن ـ بفتح أوله وثانيه ثم مثناة تحتيه ساكنة ونونين الأولى مفتوحة ، وادٍ ـ وقيل : قرية ـ بين ينبع والمدينة ، وقيل : شعبتان واحدة تدفع فى ينبع والأخرى تدفع فى الخشرمة ، قال كثير :

وهاج الهَوَى أظْعَانُ عَزَّةَ غدوةً	وقد جعلت أقرانُهُنَّ تبين
تأطَّرْنَ بالميثاء ثم تركنه	وقد لاح من أثقالهن شجون
فأتبعتهم عينىَّ حتى تلاحمت	عليها قنان من خفينن جُونُ

خفية	خَفِيَّة ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ثم مثناة تحتية مشددة ، موضع بعقيق المدينة، قاله المجد أخذاً من ابن الفقيه المتقدم عن الزبير عدهُ فى أودية مسيله .

الخلائق	الخلائق ـ أرض بنواحى المدينة ، كانت لعبد الله بن أحمد بن جَحْش ، قاله المجد ، وهو جمع الخليقة الآتية ، قال الهجرى : سيلُ العقيقِ بعد خروجه من النقيع يلقاه وادى ريم ، وهما إذا اجتمعا دفعا فى الخليقة خليقة عبدالله بن أبى أحمد ابن جحش ، وبها مزارع وقصور ونخيل لغير واحد من آل الزبير وآل أبى أحمد، انتهى ، وسيأتى عن المجد أنها على اثنى عشر ميلا من المدينة ، وسبق عن المطرى أن سيل النقيع يصل إلى بئر علىّ العليا المعروفة بالخليقة .

قلت : هى معروفة اليوم فى درب المشيان ، وهى خليقة عبد الله المذكورة ، وسيأتى فى نقب مياسير أنه حد الخلائق خلائق الأحمديين ، وأن الخلائق آبار، فالبئر المذكورة إحداها ، وفى تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق فى غزوة العشيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار ، فنزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر ، ثم ارتحل فنزل الخلائق بيسار ، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله ، وذلك اسمها ، ثم ضرب الماء حتى دخل بليل فنزل بمجتمعه ومجتمع الضَّبُوعة ، ثم سلك الفرش فرش ملل حتى لقى الطريق بصخيرات اليمام، ثم اعتدل به الطريق .

وقوله « الخلائق » بالخاء المعجمة فى نسخة معتمدة ، وقال صَخْر بن الجَعْد :

أَتَنْسَيْنَ أياما لَنَا بسُوَيْقَةٍ وأيامَنَا بالجزع جزع الخلائق

وقال الحزين الديلى :

لاتَزْرَعَنَّ من الخلائق جَدْوَلاً هيهات إن رتعت و إن لم ترتع

خلائق

والخلائق أيضاً: فَلَاة بذروة الصمان تمسك ماء السماء فى صفاة خلقها الله فيها وأخوتها حريقة ، قاله الأزهرى .

خلائل

خلائل — بالضم ، موضع بالمدينة ، قال ابن هَرْمَةَ :

احبس على طلل ورسم منازل أقوين بين شواحطٍ وخلائل

خلص

خَلْص — بالفتح وسكون اللام وصاد مهملة ، تقدم فى آرة أنه وادٍ فيه قرى ، وعن حكيم بن حزام قال : لقد رأيت يوم بدر وقد وقع بوادى خَلْص بجاد من السماء قد سَدَّ الأفق ، فإذا الوادى يسيل نملا ، فوقع فى نفسى أن هذا شىء من السماء أيد به محمد صلى الله عليه وسلم ، فما كانت إلا الهزيمة وهى الملائكة .

خل

خل — موضع بين مكة والمدينة قرب مرجح ، وسيأتى شاهده فيه . وخَلّ المضاف إليه قصر خل بالمدينة سيأتى أنه الطريق التى عنده فى الحرة .

خليقة

خليقة ـ بالقاف كسكينة ، هي المتقدمة فى الخلائق ، وقال المجد : هى منزل على اثنى عشر ميلا من المدينة ، بينها و بين ديار سُلَيم .

خم ـ بالضم ، اسم رجل شجاع أضيف إليه الغدير الذى بقرب الجحفة ، أو اسم واد هناك ، وقال النووى : اسم لغَيْضة على ثلاثة أميال من الُجحْفة عندها غدير مشهور يضاف إليها ، وقال الحافظ المنذرى : إنه لايُولَد بهذه الغيضة أحد فيعيش إلى أن يحتلم إلا أن يرحل عنها لشدة مابها من الوباء والحمى بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم فى نقل حمى المدينة إليها ، وتقدم عن الأسدى أن على ثلاثة أميال من الُجحْفَة يسرة عن الطريق حذاء العين المسجد المتقدم ذكره ، قال : ويليها الغَيْضَة ، وهى غدير خم ، وهى على أربعة أميال من الُجحْفة ، وكأن العين التى أشار إليها عين خم التى يتقى شرب مائها ، فيقال : إنه ماشرب منه أحد إلا حُمَّ ، وقال عَرّام : ودون الجحفة على ميل غدير خم ، ووادية يصب فى البحر ، لاينبت غير المَرْخ والثُمَام ، والغدير من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء أبدا من ماء المطر ، و به أناس من خزاعة وكنانة غير كثير .

الخندق

الخندق ـ قال المطرى ، وتبعه مَنْ بعده : حَفر النبى صلى الله عليه وسلم الخندق طولا من أعلى وادى بطحان غربى الوادى مع الحرة إلى غربى مصلى العيد ثم إلى مسجد الفتح ثم إلى الجبلين الصغيرين اللذين فى غربى الوادى ، وجعل المسلمون ظهورهم إلى جبل سَلْع ، وضرب النبى صلى الله عليه وسلم قُبَّته على القرن الذى فى غربى سلع فى موضع مسجد الفتح اليوم ، والخندق بينهم و بين المشركين ، وفرغ من حفره بعد ستة أيام ، وتجمع فيه جميع المسلمين ، وهم يومئذ ثلاثة آلاف ، انتهى . وكأنه أخذه من قول ابن النجار ، والخندق اليوم باقٍ ، وفيه قناة تأتى من عين بقباء ، تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حوالى مسجد الفتح ، قال : وفى الخندق نخل أيضاً ، وقد انطم أكثره وتهدمت حيطانه ، انتهى .

والموضع الذى ذكره من الخندق ، لا أنه منحصر فيه ؛ فقد روى الطبرانى

عن عمرو بن عوف المزنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطَّ الخندق من أجَمَة الشيخين طرف بنى حارثة عام حَزَّبَ الأحزابُ حتى بلغ المداحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا ، واحتج المهاجرون والأنصار فى سلمان الفارسى ، وكان رجلا قويا ، فقال المهاجرون : سلمان منا ، وقالت الأنصار : منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

وسيأتى أن الشيخين أُطُمَان شامى المدينة بالحرة الشرقية ، وأما المداحج فلا ذكر لها فى بقاع المدينة ، وقد روى البيهقى فى دلائل النبوة حديث عمرو بن عوف بلفظ : خَط رسولُ صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب من أجم السمر طرف بنى حارثة حتى بلغ المذاد ، ثم قطع أربعين ذراعا بين كل عشرة ، وذكر نحو ما سبق فى الاحتجاج فى سلمان ، والمذاد : بطرف منازل بنى سلمة مما يلى مساجد الفتح وجبل بنى عبيد . ولمنازلهم ذكر فى الخندق من جهة الحرة الغربية.

قال ابن سعد : ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق وَكَّلَ بكل جانب منه قوما ، وكان المهاجرون من ناحية راتج إلى ذباب ، وكانت الأنصار يحفرون من ذباب إلى جبل بنى عبيد ، وكان سائر المدينة مشككا بالبنيان فهى كالحصن ، وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبى الجنوب اليوم ، وخندقت قبلهم بنو عبد الأشهل مما يلى راتجا إلى خلفها أى خلف بنى عبد الأشهل ، وهو طرف بنى حارثة ، قال : حتى جاء الخندق وراء المسجد ، وفرغوا من حفره فى ستة أيام ، انتهى .

وقد أوضح ذلك الواقدى فى كتاب الحرة ، فنقل أنه لما دَنا عسكر يزيد تشاور أهل المدينة فى الخندق ، واختلفوا أياما ، ثم عزموا على الخندق خندقِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وشكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية .

قال حنظلة بن قيس الزرقى : عملنا فى الخندق ـ أى عام الحرة ـ خمسة عشر يوماً ، وكان لقريش مابين راتج إلى مسجد الأحزاب ، وللأنصار مابين مسجد

الأحزاب إلى بنى سلمة ، والموالى مابين راتج إلى بنى عبد الأشهل ، ثم ذكر فتح بعض بنى حارثة طريقا فى الخندق من قبلهم لأهل الشام كما سبق .

فتلخص أن الخندق كان شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية إلى طرف الحرة الغربية ؛ لأن منازل بنى سلمة لسند الحرة الغربية كما سبق .

وقوله فى رواية ابن سعد « وخندقت بنو دينار من عند خربى » أى منازل بنى سلمة « إلى موضع دار ابن أبى الجنوب » أى التى فى غربى بطحان قرب المصلى ، فهو خندق آخر غير الأول ، ولهذا قال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه من الباب فيما قيل فى الخندق من الشعر على ما ذكره ابن إسحاق :

بباب الخندقين كأن أسداً ... شوابكهن تحمين العرينا

فوارسنا إذا بكروا وراحوا ... على الأعداء شوسا معلمينا

لننصر أحمدا والله حتى ... نكون عباد صدق مخلصينا

وقال ابن إسحاق : وكان الذى أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسى ، وكان أول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ حر ، فقال : يارسول الله ، إنا كنا بفارس إذا حصرنا خندقنا علينا ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه ، وكان أحد جانبى المدينة عَوْرَة ، وسائر جوانبها مشككة بالبنيان والنخيل لايتمكن العدوُّ منها ، انتهى .

فهذا الجانب هو الذى تقدم بيانه ، والمراد بجعل ظهورهم إلى سَلْع من جهة الشام والمغرب ، وما ذكره المطرى فى مضرب القبة مردود كما بيناه فى مسجد ذباب ، وكأنه ظن لحصره الخندق فيما ذكره أن موضع مسجد الفتح هو المسمى بذباب ؛ لأن الوارد أنه صلى الله عليه وسلم ضرب قبته على ذباب .

وفى تفسير الثعلبى عن عبد الله بن عمرو بن عوف قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب ، ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا ،

واستعاروا من بنى قُرَيْظة مثل المعاول والفؤس وغير ذلك ، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ترغيبا للمسلمين ، وربما كان يحفر حتى يعيا ثم يجلس حتى يستريح ، وجعل أصحابه يقولون : يارسول الله نحن نكفيك ، فيقول : أريد مشاركتكم فى الأجر ، وذكر ماتقدم فى الاحتجاج فى سلمان ، ثم قال : وكنت ، أنا وسَلْمانُ وحذيفة والنعمان بن مُقَرِن المزنى فى ستة من الأنصار فى أربعين ذراعا ، لحفرنا حتى إذا كنا تحت ذوباب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة مرو كسرت حديدنا وشقت علينا ، فقلنا : ياسلمان أرْقَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر هذه الصخرة ، فإما أن نعدل عنها فإن المَعْدلَ قريبٌ وإما أن يأمرنا فيها بأمر فإنا لانحب أن نجاوز خطه ، فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال له ذلك ، فهبط مع سلمان الخندق فأخذ المِعْوَلَ من سلمان فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها — يعنى المدينة — حتى لكأنّ مصباحا فى جوف بيت مظلم ، فكبر النبى صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ، ثم ضربها الثانية ، وذكر مثل ماتقدم، ثم ضربها الثالثة فكسرها ، وبرق منها برق، وذكر مثل ماتقدم، قال : فأخذ بيد سلمان ورقى ، فقال سلمان : بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيئا مارأيت مثله قط ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم فقال : أرأيتم ما يقول سلمان ؟ فقالوا : نعم يارسول الله ، قال : ضربت ضربتى الأولى فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور الحيرة ومداين كسرى كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، فأبشروا ، فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله وعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر ، فقال المنافقون : ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ، ويخبركم أنه يُبْصِر من يثرب قصورَ الحيرة ومداين كسرى وأنها تفتح لكم ،

وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفَرَق لا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزل القرآن (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وَعَدَنا الله ورسوله إلا غرورا) وأنزل الله فى هذه القصة (قل اللهم مالك الملك) انتهى .

وقوله « ذو باب » كذا هو بالواو بعد الذال ، فإن صحت الرواية به فهو اسم لذباب أيضا ؛ لأنه مَضْرِب القبة فى الخندق ، ولم أر من ذكر ذو باب فى بقاع المدينة .

وروى الواقدى فى سيرته أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يضرب يوم الخندق بالمِعْوَل ، فصادف حجرا صلدا ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول وهو عند جبل بنى عبيد ، فضرب ضربة فذهبت أولها برقة إلى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت أخرى إلى الشام ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقة نحو المشرق ، وكسر الحجر عند الثالثة ، فكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول : والذى بَعَثَه بالحق لصار كأنه سهلة ، وكان كلما ضرب ضربة يتبعه سلمان ببصره فيبصر عند كل ضربة برقة ، فقال سلمان : رأيت المعول كلما ضربت به أضاء ماتحته ، فقال : أليس قد رأيتَ ذلك ؟ قال : نعم ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت فى الأولى قصورَ اليمن ، ثم رأيت فى الثانية قصور الشام ، ورأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن ، وجعل يَصِفُه لسَلْمان ، فقال : صدقت والذى بعثك بالحق إن هذه لصفته ، فأشهد أنك رَسُولُ الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدى ياسلمان ، ليفتحن الشام ويهرب هِرَقْل إلى أقصى مملكته وتظهرون على الشام فلا ينازعكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، ولتفتحن هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده ، قال سلمان رضى الله تعالى عنه : فكُلٌّ هذا قد رأيت .

وماتقدم من فراغ الخندق فى ستة أيام هو المعروف ، لكن قال الحافظ ابن حجر : إن فى مغازى ابن عقبة أنهم أقاموا فى عمله قريبا من عشرين ليلة ، وعند الواقدى أربعا وعشرين ، وفى الروضة للنووى خمسة عشر يوما ، وفى

الهدى لابن القيم : أقاموا شهرا ، انتهى . والذى فى الهدى : وأقام المشركون شهرا يحاصرون ، وكذا مانقله عن الروضة إنما هو فى الحصار ، وكذا ابن عقبة إنما ذكر ذلك فى الحصار كما سبق فى السنة الخامسة ، لكن نقل ابن سيد الناس عن ابن سعد أن المدة فى عمل الخندق ستة أيام ، ثم قال : وغيره يقول : بضع عشرة ليلة ، وقيل : أربعا وعشرين.

خويفة — ذكرها صاحب « المسالك والممالك » فى توابع المدينة ومخاليفها . خويفة

خيبر — اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير ، والخيبر بلسان اليهود : الحصن ، ولذلك سميت بخيابر أيضا ، لكثرة حصونها . خيبر

وقال أبو القاسم الزجاجى : سميت بخيبر أخى يثرب ابنى قانئة بن مهليل ابن إرم بن عبيل ، وعبيل : أخو عاد ، وعم الربذة وزرود والسفرة ، وكان أول مَنْ نزل بها ، وهى على ثلاثة أيام من المدينة ، على يسار حاج الشام ، نزلها النبى صلى الله عليه وسلم قريبا من شهر ، وافتتحها حصنا حصنا ، فأول ما افتتح حصن ناعم ، ثم العموص حصن ابن أبى الحقيق ، واختار سَبَايا منهن صَفِية ، ثم جعل بيدنا الحصون والأموال حتى انتهى إلى الوطيح والسلالم فكانا آخر ما فتح ، فحاصرهم بضع عشرة ليلة ، حتى إذا أيقنوا بالهلَكة صالحوه على حَقْن دمائهم وترك الذرية ، على أن يخلوا بين المسلمين و بين الأرض والصفراء والبيضاء والبزة إلا ما كان منها على الأجساد ، وأن لا يكتموه شيئا ، فإن فعلوا فلا ذمة لهم فغيبوا مسكا كان لحيى بن أخطب فيه حليهم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حتى نظفر بالمسك ، فقتل ابن أبى الحقيق وسبى نساءهم وذراريهم ، وأراد أن يجْلى أهل خيبر فقالوا : دعنا نعمل فى هذه الأرض فإن لنا بذلك علما ، فأقرهم وعامَلهم على الشَّطْر من التمر والحب ، وقال : نقركم على ذلك ماشئنا أو ماشاء الله، فكانوا بها حتى أجلاهم عمر بعد ذلك .

وروى ابن شبة عن حسيل بن خارجة أن أهل الوطيح وسلالم صالحوا عليهما

النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك له خاصة ، وخرجت الكثيبة فى الخمس ، وهى مما يلى الوطيح وسلالم ، فجمعت شيئاً واحدا ؛ فكانت مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدقاته ، وهو يقتضى أن بعض خيبر فتح عنوة و بعضها صلحا ، و به يجمع بين الروايات المختلفة فى ذلك ، وهو الذى رواه ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب قال : فتح بعضها عنوة و بعضها صلحا ، والكثيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح ، قلت لمالك : وما الكثيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهى أر بعون ألف عذق .

قلت : المراد أن الكثيبة بخيبر ، لا أنها كل أرضها ، لما سبق .

وروى ابن زبالة حديث « مِيلاَنِ فى ميل من خيبر مقدس » وحديث « خيبر مقدسة ، والسوارقية مؤتفكة » وحديث « نعم القرية فى سُنَيَّات المسيخ خيبر » يعنى زمان الدجال .

وتوصف خيبر بكثرة التمر والنخل ، قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

أتفخر بالكتان لما لبسته ... وقد لبس الأنباط رَيْطاً مقصرا
و إنا ومن يهدى القصائد نحونا ... كمستبضع تمرا إلى أرض خيبرا

وتوصف أيضا بكثرة الحمى ، قَدِمَهاَ أعرابى بعياله فقال :

قُلْتُ لحمَّى خيبرَ اسْتَعِدِّى ... هاك عيالى فاجْهَدِى وجِدِّى
وباكِرِى بصالب وورْدِ ... أعانَكِ الله على ذا الجند

فحم ومات و بقى عياله .

خيط خيط ـ بلفظ واحد الخيوط ، أُطُمٌ كان لبنى سَوّاد على شرف الحرة شرقى مسجد القبلتين .

الخيل الخيل ـ بلفظ الخيل [التى] تركب ، يضاف إليه بقيع الخيل المتقدم فى سوق المدينة

عند دار زيد بن ثابت ، والخيل أيضاً : جبلٌ بين مجنب وصِرار ، له ذكر فى المغازى ، وروضة الخيل : بأرض نجد .

حرف الدال

دار القضاء — تقدمت فى باب زيادة أبواب المسجد . **دار القضاء**

دار ابن مكمل — تقدمت فى الدور المطيفة بالمسجد . **دار ابن مكمل**

دار النابغة — تقدمت فى مسجد دار النابغة . **دار النابغة**

دار نخلة — مضافة إلى واحدة النخل ، تقدمت فى سوق المدينة . **دار نخلة**

الدبة الدبة — بفتح أوله و تشديد ثانيه كدبة الدهن ، وقد تخفف ، موضع بمضيق الصفراء يقال له « دبة المستعجلة » قال نصر : كذا يقوله المحدثون بالتخفيف ، والصواب الأول : لأن معناه مجتمع الرمل ، والدبة أيضا : موضع بين أضافر و بدر اجتاز به النبى صلى الله عليه وسلم بعد ارتحاله من ذفران يريد بدرا ، وفى القاموس: الدبة بالضم موضع قرب بدر .

در در — بالفتح وتشديد الراء ، غدير بأسفل حرة بنى سليم على النقيع ، سقى ماله الربيع كله .

درك درك — بفتحتين ، موضع كانت فيه وقعة بين الأوس والخزرج فى الجاهلية، ويروى بسكون الراء ، أظنه الذى سبق فى بئر دريك مصغراً .

دعان دعان — بالفتح ، بين المدينة وينبع ، وإياه عنى معاوية رضى الله تعالى عنه بقوله « اللاتى فى الغابة ، وأما دعان فنهانى عن نفسه » ويأتى شاهده فى ضأس .

الدف الدف — بلفظ الدف الذى ينقر به ، موضع فى حدان بناحية عسفان .

الدماخ الدماخ — بالكسر وآخره خاء معجمة ، جبال ضخام بحمى ضرية ، ودمخ الدماخ : جبل هو أعظمها .

دهماء مرضوض دهماء مرضوض ــ موضع بنواحى حمى البقيع لمزينة ، قال ابن مَعْن بن أوْسٍ المزنى :

فدهماء مرضوض كأن عراصها بها نضو محذوف جميل محافده

الدهناء الدهناء ــ بفتح أوله وسكون ثانيه ونون وألف ممدودة وتقصر ، موضع بين المدينة وينبع ، والدهناء أيضا : سبعة أحبل ــ بالحاء المهملة ــ من الرمل بديار تميم ، بين كل حبلين شقيقة ، من أكثر بلاد الله كلأً مع قلة مياه ، و إذا أخصبت وسعت العرب كلهم لسعتها وكثرة شجرها ، وساكنها لا يعرف الحُمَّى لطيب تربتها وهوائها ، و يصب واديها فى مَنْعِج ثم فى الدومة .

الدوداء الدوداء ــ بالمد ، موضع قرب ورقان .

دوران دوران ــ كحوران ، وادٍ عند طرف قديد مما يلى الجحفة .

الدومة الدومة ــ بالفتح ، تقدمت فى بئر أريس ، والمعروف اليوم بذلك حديقة قرب بنى قريظة ، و إلى جانبها الدويمة مصغرة .

دومة الجندل دومة الجندل ــ بضم أوله وفتحه ، وأنكر ابن دريد الفتح ، وفى رواية « دوما الجندل » وعدها ابن الفقيه من أعمال المدينة ، سميت بدوما بن إسماعيل عليه السلام ، وقال الزجاجى : دومان بن إسماعيل ، وقال ابن الكلبى : دوما بن إسماعيل . قال : ولما كثر ولد إسماعيل بتهامة خرج دوما حتى نزل موضعه دومة ، وبنى به حصناً فقيل « دوما » ونسب الحصن إليه ، وقال أبو عبيد : دومة الجندل حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبل طيء .

قال : ودومة من القريات من وادى القرى ، وذكر أن عليها حصناً حصينا يقال له « مارد » وهو حصن أكيدر الملك ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم وَجَّه إليه خالدَ بن الوليد من تبوك ، وقال له : ستلقاه يصيد الوحش ، وجاءت بقرة وحشية فحككت قرونها بحصنه ، فنزل إليها ليلا ليصيدها ، فهجم عليه خالد فأسره

وقتل حسانا أخاه ، وافتتح دومة عنوة ، وقدم بأكيدر معه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بجير الطائى :

تبارك سائق البقــرات إنى رأيت الله يهــدى كل هاد

فمن يكُ حائداً عن ذى تبوك فإنا قــد أمـرنا بالجهاد

ثم صالحه النبى صلى الله عليه وسلم على دومة الجندل ، وأقره على الجزية ، وكان نصرانيا ، ونقض أكيدر الصلح بعدُ ، فأجلاه عمر إلى الحيرة ، فنزل بقرب عين التمر ، و بنى منازل سماها دومة باسم حصنه بوادى القرى ، قاله المجد ، وفيه نظر ؛ لما سيأتى فى وادي القرى .

وقال ابن سعد : دومة الجندل طرف من الشام ، و بينها و بين دمشق خمس ليال ، و بينها و بين للمدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة ، وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم غزاها ونزل بساحة أهلها ، فلم يلق أحدا ، فأقام بها أياما و بث السرايا .

وقال ابن هشام فى غزوة دومة : إن النبى صلى الله عليه وسلم رَجَعَ قبل أن يصلحها ، وقيل : كان منزل أكيدر أولا دومة الحيرة ، وكان يزور أخواله من كلب فخرج معهم للصيد ، فرفعت لهم مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل ، فأعادوا بناءها ، وغرسوا الزيتون وغيره فيها ، وسموها دومة الجندل ، فرقا بينها و بين دومة الحيرة ، وكان أكيدر يتردد بينهما .

وزعم بعضهم أن تحكيم الحكمين كان بدومة الجندل ، وفى كتاب الخوارج عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : مررت مع أبى موسى بدومة الجندل ، فقال : حدثنى صلى الله عليه وسلم أنه حكم فى بنى إسرائيل فى هذا الموضع حكمان بالجور ، وأنه يحكم فى أمتى حكمان بالجور فى هذا الموضع ، قال : فذهبت الأيام حتى حكم هو وعمرو بن العاص فيما حكما ، قال : فلقيته فقلت : يا أبا موسى قد حدثتنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : فالله المستعان ، كذا أورده المجد

الدويخل الدويخل ـ بالضم مصغرا ، جبل بنى عبيد ، قال المطرى : هو أحد الجبلين الصغيرين غربى وادى بطحان ومساجد الفتح .

حرف الذال

ذات أجدال ذات أجدال ـ بالجيم بمضيق الصفراء .

ذات القطب ذات القطب ـ من أودية العقيق كما سبق .

ذات النصب ذات النُّصُب ـ بضم النون والصاد المهملة و باء موحدة ، موضع بمعدن القبلية أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المزنى ، وفى الموطأ أن ابن عمر ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة ، قال مالك : و بين ذات النصب والمدينة أربع برد .

ذباب ذباب ـ كغراب وكتاب لغتان ، قال البكرى : ذباب جبل بجبانة المدينة، وسبق فى المساجد بيان أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، وتقدم فى الخندق ما يقتضى أن اسمه ذو باب أيضاً .

ذرع ذرع ـ اسم بئر بنى خطمة المتقدمة .

ذروان ذروان ـ بمنازل بنى زريق قبلى الدور التى فى جهة قبلة المسجد ؛ وما والى ذلك ، يضاف له بئر ذروان المتقدمة .

ذفران ذفران ـ بفتح أوله وكسر ثانيه ثم راء وآخره نون ، وادٍ تقدم بيانه فى مساجد طريق مكه اليوم .

ذوحده ذوحدة ـ قال البيضاوى فى قوله تعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) إن ابن أبى وأصحابه تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى حدة أسفل من ثنية الوداع ، وعن ابن إسحاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره يومئذ على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه نحو ذباب ، كذا فى تهذيب ابن هشام ، وفى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن إسحاق : فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره

على ثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين ألفا من الناس ، وضرب عبد الله بن أبى على ذى حدة أسفل منه .

ذهبان — بفتحات و باء موحدة ونون ، جبل لجهينة أسفل من ذى المروة ، بينه و بين السقيا ، وقرية بين حدة و بين قديد ، قاله ابن السكيت

ذهبان

حرف الراء

رائع — بهمزة بعد الألف ، يقال : فرس رائع أى جواد ، وشىء رائع ، أى حسن ، كأنه يَرُوعُ لحسنه أى يبهت ، وهو فناء من أفنية المدينة قاله ياقوت ، كذا قال المجد ، والذى رأيته فى المشترك لياقوت أنه بياء بعد الألف غير مهموزة ، وسبق ذكره فى قصر عنبسة بن عمرو بالعقيق ، وفى جرهشام بن إسماعيل .

رائع

رابغ — بموحدة بعد الألف ثم غين معجمة ، وادٍ من الجحفة ، ورابغ أيضا قال الهجرى : فلق بطرف أسقف به غدير ، واسمه القديم رابوغ كما سبق فى غدران العقيق عن الزبير ، قال : وقلما يفارقه ماء ، إذا قل ماؤه احتسى ، وهو أسفل شىء من غدير العقيق ، إلا غدير السيالة ، انتهى . ولعله المعروف اليوم هناك بالحسى .

رابغ

راتج — بالمثناة الفوقية بعد الألف ثم جيم ، أطم سميت به الناحية ، وكان ليهود، ثم صار لبنى الجذماء ثم صار لأهل راتج خلفاء بنى عبد الأشهل كما سبق عن ابن زبالة آخر المنازل ، وأن ابن حزم قال : أهل راتج بنو زعورا بن جشم أخى عبد الأشهل أبناء الحارث بن الخزرج الأصغر ، قال ابن حبيب : الشرعبى وراتج ومزاحم آطام بالمدينة ، وهو لبنى جشم بن الحارث بن الخزرج أى الأصغر ، وسبق فى مسجد راتج أنه فى شرقى ذباب جانحا إلى الشام ، ولهذا خندقت بنو عبد الأشهل منه إلى طرف حرتهم ، وهو طرف بنى حارثة كما سبق فى الخندق ، ولم يعرج المطرى على ما ذكرناه ، بل قال : إن الجبل الذى إلى جنب جبل بنى عبيد غربى

راتج

بطحان يقال له راتج ، وقال بعضهم فى جبال المدينة : ذباب ، وسَلْع ، وراتج ، وجبل بنى عبيد .

راذان — راذان — قرية بنواحى المدينة ، قاله المجد ، وراذان أيضاً : من سواد العراق قريتان عليا وسفلى ، وفى حديث ابن مسعود «لا تتخذوا الضيعة» قال عبد الله : براذان ما براذان ،أربعا، و بالمدينة ما بالمدينة،أى لا سيما إن اتخذتم الضيعة براذان أو بالمدينة ، خصّهما لنفاستهما وكثرة الرغبة فيهما ، قال ياقوت:راذان من نواحى المدينة لها ذكر فى حديث ابن مسعود ، انتهى .

رامة — رامة — منزل بطريق الحاج العراقى على مرحلة من أمرة ، وسماه أبو عبيدة رامتان ، فقال فى منازل طريق الحاج : وأما رامتان فهما ز بيبتان مثل ثدى المرأة ، ثم ذكر أمرة .

رانوناء — رانوناء — بنونين ممدودة كعاشوراء ، و يقال رانون كما سبق فى الفصل الخامس .

راية الأعمى — راية الأعمى — من أودية العقيق .

راية الغراب — راية الغراب — من أوديته أيضاً .

رباب — رباب — كسحاب ، جبل بطريق فيد للمدينة ، يقابله جبل يقال له حولة ، وهما عن يمين الطريق و يساره .

الربا — الربا — بالضم ثم الفتح مخففا مقصورا ، جمع ربوة ، بين الأبواء والسقيا بطريق مكة .

الربذة — الربذة — بالتحريك و إعجام الذال ، تقدمت فى الفصل السابع .

الربيع — الربيع — بلفظ ربيع الأزمنة ، موضع بنواحى المدينة ، و يوم الربيع : من أيام الأوس والخزرج ، قال قيس بن الخطيم :

ونحن الفوارس يوم الربيع وقد علموا كيف فرساننا

الرجام — الرجام — ككتاب ، جبل مستطيل أحمر على ثلاثة عشر ميلا من ضرية

على طريق أهل أضاخ ، وفى غربيه ماء عذب يقال له الرجام ، وليس بينه و بين طخفة إلا طريق ثنية ، وفى أعراضه نزل جيش أبى بكر أيام الردة .

الرجلاء

الرجْلاَء ــ تقدم فى حرة الرجلاء .

الرجيع

الرجيع ــ كأمير ، وادٍ قرب خيبر ، قال ابن إسحاق فى غزوة خيبر : ثم أقبل حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم و بين غطفان ليحيل بينهم و بين أن يمدوا أهــل خيبر ، فعسكر به ، وكان يراوح القتال منه ، ويخالف الثقل والنساء والجرحى بالرجيع ، والرجيع أيضاً : بين مكة والطائف به سرية عاصم حَمِيِّ الدَّبْر كما سبق فى بئر مَعُونة .

الرحابة

الرحابة ــ كغمامة ، موضع بالحرة الغربية ببنى بياضة كما تقدم فى مساجد بنى بياضة .

الرحبة

الرحبة ــ كرقبة ، بلاد عذرة قرب وادى القرى وسقيا الجزل ، وذكرها صاحب المسالك والممالك فى توابع المدينة ومضافاتها .

رحرحان

رحرحان ــ بحاءين مهملتين بينهما راء ، تقدم فى حمى الربذة .

الرحضية

الرحضية ــ بالــكسر كالزنجية والضاد معجمة ، هى الأرحضية كما سبق فيها ، قال الصغانى : الرحضية قرية للأنصار ، وحذاءها قرية يقال لها الحجر ، وقال المجد : هى للأنصار و بنى سليم ، بها آبار وعليها مزارع كثيرة ونخيل

رحقان

رُحْقَان ــ بالضم ثم السكون والقاف آخره نون ، وادٍ عن يمين المتوجه من النازية إلى المستعجلة وسيله يصب عن يسار المستعجلة فى خيف بنى سالم ، ولهذا قال ابن إسحاق فى السير إلى بدر كما سبق فى مسجد مضيق الصفراء : فسلكَ فى ناحية منها ، يعنى النازية ، حتى جَزَع واديا يقال له رحقان بين النازية و بين مضيق الصفراء ، أى قطع طرف الوادى المذكور مما يلى المستعجلة ، وهى أول مضيق الصفراء .

الرديهة

الرديهة ــ من أودية مسيل العقيق .

رحيب — رحيب ـ بالضم كنفير تصغير رحب ، جبل معروف قرب أراين ، سبق شاهده فيه .

رحية — رحية ـ تصغير رحا ، بئر بين المدينة والجحفة .

الرس — الرس ـ بالفتح وتشديد السين ، من أودية القبلية ، قاله الزمخشرى ، وقال غيره : هو ماء لبنى منقد من بنى أسد بنجد ، وقال ابن دريد : الرس والرسيس واديان بنجد أو موضعان ، والرس الذى فى التنزيل : وادٍ قبل وادى أذربيجان ، وهو وادٍ عجيبٌ فيه رمان لم ير مثله ، وزَبيبُه يجفف فى التنانير ؛ لأنه لا شمس عندهم لكثرة الضباب ، وكان عليه ألف مدينة ، فبعث الله إليهم نبيا فكذبوه ، فدعا عليهم ، فحول الله جبلين عظيمين كانا بالطائف فأرسلهما عليهم فهم تحتهما .

رشاد — رشاد ـ من أودية الأجرد ، وكان اسمه غوى ، وهو لبنى عنان من جهينة ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم رشادا ، وقال لهم : أنتم بنو رشدان .

ذات الرضم — ذات الرَّضَم ـ محركة وتسكن ، موضع على ستة أميال من وادى القرى ، قال عمرو بن الأهيم(١) :

قفا نبك من ذكرى حبيب وأطلال   بذى الرضم فالرمانتين فأوعال

الرضمة — الرضمة ـ محركة وتسكن ، من نواحى المدينة ، قال ابن هَرْمة :

سلكوا على صفر كأن حمولهم   بالرضمتين ذرى سَفِينٍ عوم

رضوى — رضوى ـ بالفتح كسكرى ، جبل قرب ينبع ، ذو شعاب وأودية ، و به مياه وأشجار ، ومنه يقطع أحجار المسانّ ، قال ابن السكيت : رَضْوَى قَفَاه حجاز و بطنه غور ، وهو لجهينة . وقال عرام : هو أول جبال تهامة ، على مسيرة يوم من ينبع ، وعلى سبع مراحل من المدينة ، ميامنه طريق مكة ، وسبق آخر الباب الخامس عند ذكر فضل أحد أن رضوى مما وقع بالمدينة من الجبل الذى تَجَلَّى الله تعالى له ، وصار لهيبته ستة أجبل ، وأن أبا غسان قال : أما رضوى فبينبع

(١) البيت لعبدة بن الطبيب ، وفى ياقوت لعمرو بن الأهتم .

على مسيرة أربع ليال من المدينة ، وهذا هو المعروف فى المسافة بينهما .

وسبق هناك أيضاً أن رَضْوَى من جبال الجنة ، وفى رواية أنه من الجبال التى بنى منها البيت ، وفى حديثٍ « رَضْوَى رضى الله عنه ، وقُدْس قدسه الله ، وأحد جبل يحبنا » وتزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم برضوى يرزق .

الرعل

الرِّعْل ـ بالكسر وسكون العين المهملة ، أطم بمنازل بنى عبد الأشهل ، ولما أجلاهم عنها بنو حارثة كما سبق قال حضير بن سماك يوما : ارفعونى أنْظُرْ إلى الرعل ، فقال أساف بن عدى الحارثى :

فلا و بَنَاتِ خالك لاتراه ... سجيسَ الدهر ما نَطَقَ الْحَمَامُ

فإنَّ الرِّعْلَ إذ أسْلَمْتُمُوهُ ... وساحة واقم منكم حرام

ذات الرقاع

ذات الرقاع ـ بالكسر ، جمع رقعة ، قال الواقدى : هي قرب نخل ، على ثلاثة أميال من المدينة ، وهى بئر جاهلية ، و إنما سميت بذلك لأن تلك الأرض بها بُقَع بيض وحمر وسود ، وقيل : ذات الرقاع جبل فيه سَوَاد و بياض وحمرة ، فكأنها رقاع فى الجبل ، كذا نقله المجد ، والذى نقله الحافظ ابن حجر عن الواقدى أن الغزوة سميت ذات الرقاع باسم نخيل هناك فيه نقع .

وسيأتى فى ترجمة نخـــل أن غَزْوة ذات الرقاع كانت به ، مع مانقل عن الواقدى فى ذلك ، وقال ابن هشام وغيره : سميت بذلك لأنهم رقعوا راياتهم ، وقال الداودى : لأن صلاة الخوف كانت بها فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها ، وقال أبو موسى الأشعرى : سميت بذلك لما لفوا فى أرجلهم من الخرق كما فى صحيح مسلم ، وقيـل : سميت باسم شجرة هناك يقال لها ذات الرقاع ، وقيل : لأن خيلهم كان بها سواد و بياض

الرقعة

الرقْعة ـ بالفتح ثم السكون ، موضع قرب وادى القرى من الشقة شقة بنى عذرة ، فيه مسجد للنبى صلى الله عليه وسلم كذا قاله المجد ، وهو مخالف لمـا سبق عن المطرى فى مساجد تبوك من أنه على لفظ رقعة الثوب ، وأن البكرى

قال : أخشى أن يكون بالرقة من الشقة شقة بنى عذرة ، فما ذكره المجد إنما يصح فى الرقمة بالميم .

الرقمتان — الرقمتان ـ بحرة المدينة الغربية ، وهما نهدان من أنهادها لونهما أحمر إلى الصفرة ، وتلك الحرة سوداء ، فسميا بذلك،وقد يقال فيهما الرقمة ـ بالإفراد ـ قال الأصمعى : الرقمتان إحداهما قرب المدينة والأخرى بقرب البصرة ، وقال العمرانى : إحداهما بالبصرة والأخرى بنجد ، وأما التى فى شعر زهير :

ودار لها بالرقمتين كأنها ‏ مراجع وشم فى نواشر معصم

فبأرض بنى أسد .

رقم — رقم ـ محرك ، وقد يسكن ، بالمدينة ينسب إليه السهام الرقميات ، وقال نصر : الرقم جبال بدار غطفان ، وماء عندها ، والسهام الرقميات منسوبة إلى هذا الموضع .

وروى أبو نعيم خَبَرَ عامر بن الطفيل وأربد بن صيفى فى همهما بقتل النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وأن أربد لما وضع يده على السيف يبست على قائمِهِ ، فلم يستطع سَلَّه ، فخرجا حتى إذا كانا بحرة واقم نزلا فخرج إليهما سعد بن معاذ وأسد بن حضير فقال : اشْخَصَا يا عدوى الله ، لعنكما الله ، فخرجا حتى إذا كانا بالرقم أرسل الله على أربد صاعقةً فقتلته ، وخرج عامر حتى إذا كان بالحريث أرسل الله عليه قرحة ، وذكر موته بها .

الرقيبة — الرقيبة ـ تصغير رقبة ، وقال نصر : إنه بفتح أوله كسفينة ، جبل مطل على خيبر له ذكر فى قصة عُيَينة بن حصنٍ فى فتح خيبر .

الركابية — الركابية ـ بالكسر منسوبة إلى الركاب وهى الإبل ، موضع على عشرة أميال من المدينة .

ركنان — ركنان ـ بالتحريك ، قرب وادى القرى .

ركوبة

ركوبة ــ بالفتح كحلوبة بالباء الموحدة ، ثنية بين مكة والمدينة عند العرج ، على ثلاثة أميال منه لجهة المدينة ، كما سيأتى فى المدارج .

قال ابن إسحاق فى سفر الهجرة : ثم خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية الغاير عن يمين ركوبة .

وقال المجد : ركوبة ثنية شاقة يضرب بصعوبتها المثل ، سلكها النبى صلى الله عليه وسلم عند مُهَاجَرِه إلى المدينة ، قرب جبل ورقان وقدس الأبيض ، وكان معه ذو البجادين ، فحدا به وجعل يقول :

تَعَرَّضِى مَدَارِجا وسُومِى تَعَرُّضَ الجوزاء للنجوم

* هذا أبو القاسم فاستقيمى *

ومأخذه قول الأصمعى فى تفسير قول بشر بن أبى خازم :

* ولكن كراً فى ركوبة أعسر *

ركوبة عند العرج سلكها النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان دليله إليها عبدالله ذو البجادين ، انتهى .

وكل من ركوبة وثنية الغاير بعقبة العرج ، والعقبة هى المدارج كما سيأتى ، وأغرب، الحافظ ابن حجر فقال فى الكلام على نار الحجاز : ركوبة ثنية صعبة المرتقى فى طريق المدينة إلى الشام ، مر بها النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، ذكرها البكرى ، انتهى . فإن صح فهى غير هذه ، وسيأتى عن عرام فى ورقان أنه ينقاد إلى الحى بين العرج والرويثة ، ويغلق بينه و بين قدس الأبيض عقبة يقال لها ركوبة .

الرمة

الرمة ــ بالضم ويكسر ، قاع عظيم بنجد ، قاله فى القاموس، وقال الأصمعى: الرمة تخفف وتثقل ، و بين أسفلها وأعلاها سبع ليالٍ من الحرة حرة فدك إلى القصيم ، وقال غيره : بطن الرمة ببلاد غُطفان فى طريق فيد إلى المدينة .

رواوة

رُوَاوَة ــ بالضم كزرارة ، قال ابن السكيت ، رُوَاوة والمبيضى وذو السلاسل

أوْدِية بين الفرع والمدينة ، انتهى ، وسبق عن الهجرى أن سيل العقيق يفضى إلى غدير يقال له رُوَاوة ، قال أبو الحسن : رُوَاوة يدفع فى خليقة ابن أبى أحمد ، وسبق عن ابن شبة أن سيل العقيق يصبُّ فى غدير يلبن ، ثم على رُوَاوتين يعترضهما يَسَارا ، فثناه ، وأورد المجد شاهد الإفراد ، وسبق نحوه فى تيدد وشاهد التثنية ، وسيأتى فى لأى .

الروحاء الروحاء ـ بالفتح ثم السكون والحاء المهملة ، قال المجد : موضع من عمل الفرع على نحو أربعين ميلا من المدينة ، وفى صحيح مسلم : على ست وثلاثين ميلا ، وفى كتاب ابن شبة : على ثلاثين ميلا ، وقال أبو غسان : إن ورقان بالروحاء من المدينة على أربعة برد ، وقال أبو عبيد البكرى : قبر مضر بن نزار بالروحاء على ليلتين من المدينة بينهما أحد وأربعون ميلا ، وذكر الأسدى فى موضع أنها على خمسة أو ستة وثلاثين ميلا ، وقال فى موضع : اثنين وأربعين ميلا ، قال : وعلى مدخل الروحاء عَلَمان ، وعلى مخرجها علمان ؛ فالجمع بين ذلك أن الروحاء اسم للوادى ، وفى أثنائه منزلة الحجاج ، فيحمل أقل المسافات على إرادة أوله مما يلى المدينة ، وأكثرها على آخره ، ومتوسطها على وسطه .

قال ابن الكلبى : لما رجع تُبَّع من قتال أهل المدينة نزل بالروحاء ، وأقام بها وأراح ، فسماها الروحاء . وسئل كثير : لم سميت الروحاء ؟ قال : لانفتاحها وروحها ، ويقال : بقعة روحاء ، طيبة ذات راحة .

وسبق فى مسجد شرف الروحاء أن من الشرف يهبط فى وادى الروحاء ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : هذا وادٍ من أودية الجنة ، يعنى وادى الروحاء ، وأن اسمه سجاسج ، وأن موسى بن عمران عليه السلام مرّ بالروحاء فى سبعين ألفاً ، وأنه صلى بذلك الوادى سبعون نبياً .

وقال ابن إسحاق فى مسيره صلى الله عليه وسلم إلى بدر : ونزل سجسج ، وهى بئر الروحاء ، وقال الأسدى : وبالروحاء آثار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،

و بها قصران وآبار كثيرة منها [بئر] تعرف بمروان عندها بركة للرشيد ، و بئر لعثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه عليها سانية ، وسيل مائها إلى بركتها ، و بئر تعرف بعمر بن عبد العزيز فى وسط السوق يسقى منها فى إحدى البركتين ، و بئر تعرف بالواثق ، وهى شر آبار المنزل طول رشائها ستون ذراعا ، انتهى . و بها اليوم بركة تملأ للحاج تعرف ببركة طار ، ولعله جددها وجعل لها معلوما ووقفا . وقال ابن الرضية :

إذا اغرورقت عيناى قال صحابتى لقد أولعت عيناك بالهملان

ألا فاحملانى بارك الله فيكما إلى حاضر الروحاء ثم دعانى

و يؤخذ مما سلف فى فضائل بقيع الغرقد تسمية المقبرة التى بوسطه وفيها مشهد سيدنا إبراهيم عليه السلام بالروحاء .

روضة الأجاول

روضة الأجاول — بالجيم ، بنواحى وَدَّان ، منازل نصيب الشاعر .

روضة الأجداد

روضة الأجداد — قرية ببلاد غطفان من وادى القصيبة قبلى خيبر وشرقى وادى عصيرة ، قال الهيثم بن عدى : خرج عُرْوَة الصعاليك وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها ، فعشروا — أى نهقوا كالحمير — يرون أنه يصرف عنهم الوَبَاء ، وامتنع عُرْوة أن يعشر ، وأنشد :

وقالوا احث وانْهَقْ لا تضرك خيبر وذلك من دين اليهود ولوع

لعمرى لئن عَشرتُ من خشية الردى نهاق حمير إننى لجزوع

فلا وألَتْ تلك النفوس ولا أتت على روضة الأجداد وهى جميع

قال : ودخلوا وامتاروا ورجعوا ، فلما بلغوا روضة الأجداد ماتوا إلا عروة .

روضة ألجام

روضة ألجام — بفتح الألف وسكون اللام والجيم وألف وميم ، ويقال : روضة آجام ، نحو النقيع ، قاله ابن السكيت فى قول كثير :

فروضة ألجام تهيج لى البكا وروضات شوظى عهدهن قديم

وعدها الهجرى من دوافع وادى العقيق المشهورة التى من الحرة .

روضة خاخ — روضة خاخ — بخاءين معجمتين ، تقدمت فى خاخ .

روضة الخرج — روضة الخُرْج — بضم الخاء وسكون الراء ثم جيم ، من نواحى المدينة .

روضة الخرجين — روضة الخرجين — تثنية الذى قبله ، ولعله هو ، قال :

بروضة الخرجين من مهجور   تربعت فى غارب نضـــير

ومهجور : ماء بنواحى المدينة .

روضة الخزرج — روضة الخزرج — بلفظ القبيلة من الأنصار ، بنواحى المدينة ، قال حفص الأموى :

فالمح بطرفك هل ترى أظعانهم   بالبارقيـــة أو بروض الخزرج

روضة الحماط — روضة الحماط — هى روضة ذات الحماط ، وذات الحماط : من أودية العقيق .

روضة ذى الغصن — روضة ذى الغصن — بلفظ غصن الشجرة مضافة إلى ذى الغصن أحـد أودية العقيق .

روضة الصها — روضة الصها — بضم الصاد المهملة ، شمالى المدينة على ثلاثة أيام ، والصُّهَا : جمع صَهْوة ، وهى أجبال هنالك ، وربما قالوا رياض الصها .

روضة عرينة — روضة عُرَيْنَة — لجهينة ، وادٍ ناحية الرحضية ، كان يحمى للخيول فى الجاهلية والإسلام ، بأسفلها قلهى ، وهو ماء لبنى جذيمة بن مالك .

روضة العقيق — روضة العقيق — عقيق المدينة ، أنشد الزبير :

عُجْ بنا يا أنيس قبل الشروق   نلتمسهـــا على رياض العقيق

روضة الفلاج — روضة الفِلاج — بكسر الفاء آخره جيم ، يأتى فى الفلجة أحد أودية العقيق .

روضة المرخ — روضة مَرَخ — بالتحريك والخاء المعجمة ، بالمدينة ، قال ابن المولى المدنى :

هل تذكرين بجنب الروض من مَرَخ   يا أمْلَحَ النـاس وَعْداً شفنى كمـدا

روضة نسر — روض نسر — بفتح النون وسكون السين المهملة آخره راء ، يأتى فى النون .

ذو رولان — ذو رولان — واد قرب الرحضية لبنى سليم به قلهى .

الرويثة — الرويثة — بالضم وفتح الواو وسكون المثناة تحت وفتح المثلثة آخره هاء ، قال ابن السكيت : منهل بين مكة والمدينة ، ولما رجع تبع من قتال أهل المدينة

نزل الرويثة ، وقد أبطأ فى مسيره ، فسماها الرويثة من رَاثَ إذا أبطأ ، وهى على ليلة من المدينة ، كذا قال المجد ، وصوابه ليلتين ؛ لأنها بعد وادى الروحاء ببضعة عشر ميلا ، ولذا قال الأسدى : إنها على ستين ميلا من المدينة .

رهاط

رُهَاط ــ كغراب والطاء مهملة ، موضع بأرض ينبع ، اتخذ به هُذَيل سُوَاعا ، قاله ابن الكلبى ، وعن راشد بن عبد ر به قال : كان سُوَاع بالمعلاة من رهاط يدين لها هذيل و بنو ظفر من سليم ، وذكر ما سمعه من الهاتف من بطن سُوَاع وغيره من الأصنام بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه رأى ثعلبين[1] يَلْحَسَان ما حول سُوَاع و يأكلان ما يهدى إليه ، ثم يبولان عليه ، فأنشد :

أربٌّ يبول الثُّعْلُبَان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وذكر خروجه إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليقطعه قطيعة برهاط ، فأقطعه بالمعلاة من رهاط شأو الفرس ورميته ثلاث مرات بحجر ، وأعطاه إداوة مملوءة من ماء وتَفَل فيها ، وقال له : فرغها فى أنحاء القطيعة ، ولا تمنع الناس فُضُولها ، ففعل ، فجعل الماء يغبُّ فجمه فغرس عليها النخل وصارت رهاط كلها تشرب منه ، وسماها الناس ماء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأهل رهاط يغتسلون منها و يستشفون بها .

وقال عرام : فيما يطيف بجبل شمنصير قرية يقال لها رهاط بقرب مكة على طريق المدينة ، و بقربها الحديبية ، وهى مواضع بنى سعد و بنى مسروح الذين نشأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال صاحب المسالك والممالك فيما نقله الأقشهرى : ومن توابع المدينة ومخاليفها ساية ورهاط وعمران .

الريان

الرَّيَّان ــ ضد العطشان ، أطم لبنى حارثة ، وأطم لبنى زريق ، وماء بحمى ضرية فى أصل جبل أحمر طويل ، قال جرير :

---

(١) صوابه «ثعلبا» لأن الذى فى البيت مفرد بضم الثاء واللام ، وهو ذكر الثعالب

يا حبذا جبلُ الريان من جَبَلٍ   وحبذا ساكنُ الريان من كانا

والريان أيضا : وادٍ هناك ، وجبل ببلاد بنى عامر ، وموضع بمعدن بنى سليم به قصر كان الرشيد ينزله إذا حج .

ريدان

ريدان — بالفتح وسكون المثناة تحت ودال مهملة ، أُطُم بالمدينة لآل حارثة ابن سهل بن الأوس ، نقله ياقوت ، ثم قال : ولا أعرف بطنا من الأنصار يقال لهم ذلك .

قلت : الذى ذكره ابن زبالة أن بنى واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ابتنوا أطما يقال له الريدان كان موضعه فى قبلة مسجد الفضيخ ، وله يقول قيس بن رفاعة :

وكيف أرْجُو مَزِيدَ العيشِ بعدهُمُ   وبعد ما قد مَضَى من أهل ريدان

ريم

ريم — بالكسر وسكون الياء غير مهموز ، قاله عياض ، وضعفه المجد ، وقال : إنه بهمزة ساكنة وادٍ لمزينة يصب فيه ورقان ، وسبق أنه من أودية العقيق يلقاه ثم يدفع فى خليقة ابن أبى أحمد ، وفى الموطأ عن ابن عمر أنه ركب إلى ريم فقَصَرَ الصلاة فى سيره ذلك ، قال يحيى : قال مالك : وذلك نحو أربعة بُرُد ، قال عياض : وفى مصنف عبد الرزاق ثلاثين ميلا ، ونقل المجد ما يخالف ما سبق عن مالك ومصنف عبد الرزاق ، وفى طبقات ابن سعد : كان عبد الله بن بحينة رضى الله تعالى عنه ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة ؛ فلا يخفى وجه الجمع ، وفى سفر الهجرة : وسار حتى هبط بطن ريم ، ثم قدم قباء . وقال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

لسنا بريم ولا حمت ولاصَوَرَى   لكن بمرج من الجولان مغروس

والجولان : قرية بدمشق .

ريمة

ريمة — كديمة ، واد لبنى شيبة قرب المدينة بأعلى نخل .

ذوريش

ذوريش — بلفظ ريش الطائر ، تقدم فى أودية المدينة .

حرف الزاى

زبالة — زبالة الزج — شمالى المدينة ، بينها و بين يثرب ، كان لأهلها أطمان ، وهما اللذان عند كومة أبى الحمراء كما سبق ، وزبالة أيضاً : موضع بطريق العراق ، ليس من عمل المدينة .

الزج — الزج — بالضم وتشديد الجيم ، قاله المجد ، وقال ابن سيد الناس : بالخاء المعجمة ، موضع بناحية ضرية ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصيد بن سلمة بن قرط مع الضحاك الكلابى إلى القرطاء، وهم قرط وقَرِيط وقُرَيْط من أبى بكر ابن كلاب ، يدعوهم إلى الإسلام ، فقاتلوهم فهزموهم ، فلحق الأصيد أباه سلمة بزج بناحية ضرية ، والزج أيضاً : ما أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم العَدّاء ابن خالد من بنى ربيعة بن عامر .

الزراب — الزراب — ككتاب ، ويقال : ذات الزراب ، تقدم فى مساجد تبوك .

زرود — زرود — بالفتح ثم الضم آخره دال مهملة ، موضع بقرب أبرق العزاف كما يؤخذ مما سيأتى عن الصحاح فى العزاف ، وسبق فى ترجمة خيبر ما يؤخذ منه أنه اسم لأول مَنْ سكن به من أولاد إخوة عاد .

زريق — زريق — مصغر ، ويقال : قرية بنى زريق ، ومسجد بنى زريق ، تَقَدَّما .

زغابة — زغابة — كسحابة والغين معجمة ، مجتمع السيول آخر العقيق غربى قبر حمزة رضى الله تعالى عنه ، وهى أعلى إضم كما سبق عن المجرى وغيره ، وأن ابن إسحاق قال : نزلت قريش بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة ، قال أبو عبيد البكرى فى ضبطه : زعابة بالضم و إهمال العين ، وقال محمد بن جرير : الرواية الجيدة بين الجرف والغابة ؛ لأن زعابة لا تعرف ، قال ياقوت : ليس كذلك ؛ فإن فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال « ألا تعجبون لهذا الأعرابى؟أهدى إلى

ناقتى أعرفها بعينى ، ذهبت منى يوم زعابة ، وقد كافأته بست — أى بست بكَرَات — فسخط » وجاء ذكر زعابة فى حديث آخر ، فكيف لا يكون يعرف؟ .

زمزم زمزم — اسم للبئر التى على يمين الذاهب للعقيق ، بعيدة من الجادة كما سبق فى الآبار ، سميت بذلك لكثرة التبرك بمائها ونقله إلى الآفاق .

زور زور — بالفتح آخره راء ، جبل بالحجاز ، أو وادٍ قرب السوارقية ، شاهده فى منور .

الزوراء الزوراء — بالفتح ثم السكون ، تقدم فى البلاط وسوق المدينة ، وقال ابن شبة فى دور العباس : منها الدار التى بالزوراء سوق المدينة عند أحجار الزيت ، وسبق أن أحجار الزيت عند مشهد مالك بن سنان ، لما فى رواية ابن زبالة أنهم دَفَنوه بالسوق فدفن عند مسجد أصحاب العباء ، وهناك كانت أحجار الزيت ، فالزوراء ذلك المحل من سوق المدينة ، وقيل : الزوراء اسم لسوق المدينة !

وفى صحيح مسلم عن أنس « أن نبى الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بالزوراء ، والزوراء بالمدينة عند السوق » .

وفى البخارى « أن عثمان رضى الله تعالى عنه زاد النداء الثالث على الزوراء » قال البخارى : الزوراء موضع بالسوق ، وفى رواية له « النداء الثانى » .

وقوله « الثالث » لجعله الإقامة نداء ، ولفظ ابن ماجة « على دار فى السوق يقال لها الزوراء » ويؤخذ من وصف دار السوق التى أخذها ابن هشام أن لعثمان بالسوق دارا تسمى الزوراء ، ولذا قال ابن شبة : واتخذ عثمان الدار التى يقال لها الزوراء ، اه . فهى التى أحْدَثَ النداء عليها ، وكأنها سميت باسم موضعها من السوق ، قال الحافظ ابن حجر : جزم ابن بطال بأن الزوراء حجر عند باب المسجد ، وفيه نظر ؛ لما فى رواية ابن إسحاق عن الزهرى عند ابن خزيمة وابن ماجه « زاد النداء الثالث على دار فى السوق يقال لها الزوراء» وقال ابن حجر أيضا فى حديث

أنس فى تكثير الماء : قوله « بالزوراء » هو مكان معروف بالمدينة عند السوق، وزعم الداوودى أنه كان مرتفعا كالمنارة ، وكأنه أخذه من أمر عثمان بالتأذين عليه ، وذلك كان بالزوراء أى الذى يؤذن عليه ، لا أنه الزوراء نفسها ، اهـ . وفى العُتْبِيَّة ما يُشْعِر بأنه كان بالزوراء من سوق المدينة منارة ، ولعلها من الدار التى كان يؤذن عليها ؛ لأنه ترجم لتواضع العلماء وجلوسهم فى الأسواق ، وعند أصحاب العَبَاء أى الذين يبيعون العباء ، ثم أورد عن مالك عن يحيى بن سعيد قال : ما أحدث أحاديث كثيرة عن سعيد بن المسيب إلا من عند أصحاب العَبَاء فى السوق ، وما أحدث عن سالم بن عبد الله أحاديث إلا فى ظل المنارة التى فى السوق ، كان يقعد فى ظلها وسعيد عند أصحاب العباء ، اهـ .

ويؤخذ مما تقدم فى فضل بقيع الغرقد أن الزوراء أيضا : اسمٌ للموضع الذى دفن به سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وقال البرهان بن فرحون : قال ابن حبيب : كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا رقى المنبر جلس ثم أذن المؤذنون ، وكانوا ثلاثة يؤذنون على المنائر واحدا بعد واحد ، فإذا فرغ الثالثُ قام فخطب ، ثم استمر ذلك ، فلما كان عثمان وكثر الناس أمر أن يؤذن بالزوراء عند الزوال وهو موضع بالسوق ، ليرتبع الناس منه ، وهو إلى ناحية البقيع ، فإذا جلس على المنبر أذن المؤذنون على المنار ، ثم نقل هشام بن عبد الملك الأذان الذى كان بالزوراء إلى المسجد فجعله واحدا يؤذن عند الزوال على المنار ، فإذا خرج هشام أذن المؤذنون كلهم بين يديه ، اهـ .

وقوله « فى ناحية البقيع » محمول على بقيع الخيل سوق المدينة ، لا بقيع الغرقد ؛ لأن سوق المدينة لم يكن فى ناحيته .

زهرة

زهرة ـ بالضم ثم السكون ، قال ابن زبالة : هى ثبرة ـ أى بمثلثة ثم موحدة ـ وهى الأرض السهلة بين الحرة والسافلة مما يلى القف ، وكان من أعظم

قُرَى المدينة ، وكان فى قريتها ثلثمائة صائغ ، وكانت لهم الأُطُمَان اللذان على طريق العرض حين يهبط من الحرة ، والمراد الحرة الشرقيـة ، فإنها تعرف بحرة زهرة كما سبق ، ومقتضاه أن زهرة مما يلى طرف العالية ، وما نَزَل عنها فهو السافلة ، وأدنى العالية ميل من المسجد كما سيأتى ،ويرجحه قوله « مما يلى القف» لما سيأتى فيه أنه بقرب صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن المشربة به ، وسبق فى الصدقات أن الظاهر أن حَسْنى وهى بالقف هى الحسنيات بقرب الدلال والصافية فتكون زهرة بقرب ذلك ، ويؤيده ما سبق فى الصدقات عن المراغى أنه يقال لجزع الصافية «جزع زهيرة» مصغر زهرة المذكورة ، ويؤيده أيضا ما سبق أول الباب الثانى أنه بقى من صعل وفالج امرأة تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ، وأنه لما غشيها الدود قالت : رب جَسَدٍ مَصُون ، ومالٍ مدفون ، بين زهرة ورانون .

وفى كتاب الحرة للواقدى : أقبل نَفَر من أهل الشام على خيولهم يُطِيفون فيما بين زهرة إلى البقيع ، فيصادفون نفرا من الأنصار على أقدامهم .

الزين الزين ــ بلفظ ضد الشين ، مزرعة بالجرف . روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدَرَعَ المزرعة التى يقال لها الزين بالجرف .

حرف السين

سائر سائر ــ كصابر ، من نواحى المدينة ، قال :

عفا مثعر من أهـــله فثقيب فسفح اللوى من سائر فجريب

وعد صاحب « المسالك والممالك » من توابع المدينة ومخاليفها السائر .

السافلة السافلة ــ تقابل العالية ، وأدنى العالية كما سيأتى فيها السنح على ميل من المسجد ، فما نزل عنه فهو السافلة ، ويحتمل أن يكون بينهما واسطة ، وربما أومأ إليه ما سبق فى زهرة أنها بين الحرة والسافلة ، والناس اليوم يطلقونها على ما كان فى شامى المدينة ، والعالية على ما كان فى قبلتها ، ويؤيد الأول مارواه ابن إسحاق

من أن النبى صلى الله عليه وسلم لما انتصر ببدر أرسل ابنَ رَوَاحَة بشيرا إلى أهل العالية وزيد بن حارثة لأهل السافلة ، قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبرُ حين سوَّينا الترابَ على رُقَيَة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زيد بن حارثة قدم ، فجئته وهو واقف بالمُصَلَّى قد غشيه الناس ، فظاهره الانقسام إلى السافلة والعالية فقط ، وأن المعروف بالمدينة اليوم من السافلة لإتيان بشير السافلة إلى المصلى .

الساهية — تقدمت فى أودية العقيق . الساهية

ساية — كغاية ، قال المجد : وادٍ من أعمال المدينة لم يزل واليه من قبل صاحبها ، إلا فى زماننا ، وانفرد عن حكمها كسائر أعراض المدينة ، وفى ساية نخل ومزارع وموز ورمان وعنب ، وأصلها لولد على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وفيها من أفناء الناس ، ويطلع عليها جبل السَّرَاة دون عسفان ، قاله عرام ، وقال ابن جنى : شمنصير جبل ساية وادٍ عظيم به أكثر من سبعين عينا ، وهو وادى أَلج . ساية

سبر — بالفتح وتشديد الموحدة المكسورة ، كثيبٌ بين بدر والمدينة ، قَسَم به رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم بدر ، نَقَله المجد عن نصر ، وذكر فى سير بالمثناة التحتية ما سيأتى من أن القَسم به فيرجع إلى الاختلاف فى ضبط اللفظ ، والراجح ما سيأتى . سبر

السِّتَار — بالكسر والمثناة فوق ثم ألف وراء ؛ جبل بحمى ضرية ، وجبل آخر بالعالية فى ديار سليم ، وأجبل سود على ثلاثة أيام من ينبع . الستار

سجاسج — اسم وادى الرَّوْحَاء ، قال ابن شبة : والسجسج الهواء الذى لا حَرَّ فيه ولا برد . سجاسج

السد — بالضم ، سد عبد الله بن عمرو بن عثمان يأتى منه رانوناء فيها ، وهناك سد بقرب عير يعرف اليوم بسد عنتر ، وقال عرام : السد هو ماء سماء جبلُ شوران مُطِل عليه ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسده ، ومن السد قناة إلى قباء اه السد

وكأنه يريد السد المتقدم ، لما اقتضاه كلامه فى شوران أنه جبل عير كما سيأتى ، وقال بعضهم : السد موضع بالمدينة كان يجلس فيه إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، فنسب إليه .

وقال الحارثى : السد ماء سماء فى حزم بنى عوال ، ولعله يعنى السد الذى فى الطريق التى كان الرشيد يسلكها من المدينة إلى معدن بنى سُلَيم بين المدينة والرحضية على عشرين ميلا من المدينة ، قاله الأسدى ، قال : وبه ماء كثير فى شعب كان معاوية رضى الله تعالى عنه عمل له سدا يحبس فيه الماء شبيها بالبركة ، انتهى .

وأخبرنى بعض أمراء المدينة أنه معروف دون هكر .

وفى البخارى فى حديث رجوعه صلى الله عليه وسلم من خيبر بصفية : فخرج بها حتى بلغنا سد الروحاء حلت ، وكنت أستشكله ، لأن صفية حَلَّت بالصهباء ، وليست الروحاء بطريق خيبر ، ولهذا قال الكرمانى : قيل الصواب سد الصهباء وقد ثبت فى رواية أخرى للبخارى : فخرج بها حتى بلغنا سد الصهباء ، وصوبها الحافظ ابن حجر ، وهى رواية أبى داود وغيره ، وبين ابن سعد فى خيبر رواية أن الموضع الذى وقع البناء بصفية فيه على ستة أميال من خيبر .

وقال عياض : سد الروحاء جبلها ، يقال بالضم والفتح ، وسد الصهباء مثله ، والسد : الردم أيضاً ، وقال : السد بالضم خِلْقة ، وبالفتح فعل الإنسان ، وقال الكسائى : هما واحد ، انتهى . ويؤخذ من كلام ياقوت أن الموضع المعروف بالحبس فى زماننا بأعلى وادى قناة يسمى بالسد أيضاً .

السراة

السراة — بالفتح وتخفيف الراء ، تقدم فى الحجاز .

ذو السرح

ذو السَّرْح — بفتح السين وسكون الراء ثم حاء مهملة ، وادٍ قرب مَلَل .

السر

السِّر — بالكسر ضد الجهر ، موضع بنجد لبنى أسد ، وموضع فى بلاد بنى تميم ، والسُّرُّ — بالضم — موضع بالحجاز فى ديار مُزَينة .

السرارة — السَّرَّارة — بالفتح وتشديد الراء الأولى ، تقدمت فى منازل بنى بَيَاضة ، وفى رانوناء من أودية المدينة ، وهى غير الحديقة المعروفة اليوم بالسرارة عند قباء .

سرغ — سَرْغ — بالفتح و إعجام الغين ، قرية بوادى تَبُوكَ على ثلاث عشرة مرحلة من المدينة ، وهى آخر أعمال المدينة ، قاله المجد .

السرير — السَّرِير — كزبير ، وادٍ قرب المدينة ، قال كثير :

* وسُرَيْرُ البُضَيع ذاتَ الشمال *

وسرير أيضاً : موضع بقرب الجار ، وهى فُرْضَة أهـل السفن الواردة من الحبشة على المدينة ، قاله المجد ، والظاهر أنهما واحد ، لإضافة الأول فى شعر كثير إلى البضيع ، ثم ظفرت بالإشارة إلى ذلك فى كلام ياقوت ، فإنه ذكر ما قاله المجد ، ثم قال : ولا يبعد أن يكون الثانى هو الأول ، والسرير أيضاً : الوادى الأدنى بخيبر ، و به الشق والنطاة ، نزل به النبى صلى الله عليه وسلم أولا فشدّ أهله لقتاله فهزمهم الله .

السعد — السَّعْد — بالفتح وسكون العين ثم دالٍ مهملتين ، موضع كان بقر به غزوة ذات الرقاع ، وقال نصر : هو جبل على ثلاثين ميلا من الكديد ، عنده منازل وسوق وماء عذب بطريق فَيْد ، و به يعلم خطأ من قال : إنه على ثلاثة أميال من المدينة .

سفا — سفا — بالفاء كقفا ، موضع من نواحى المدينة .

سفان — سفان — تثنية الذى قبله [؟] ، وادٍ يلقى وادى إضم عند البحر كما سبق .

سفوان — سفوان — بفتحات ، وادٍ من ناحية بدر ، إليـه انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بدر الأولى طالبا لكرز الفهرى الذى أغار على سَرْح المدينة ، وقال وداك بن ثميل المازنى :

رُوَيْدَ بنى شَيْبَان بعض وعيدكم ... تلاَقَوا غَدًا خَيْلِى على سَفَوَان
تلاَقَوا جياداً لا تَحِيدُ عن الوَغى ... إذا ما بَدَتْ فى المأزِقِ المتدَانِى

عليها الكُماة الغُرُّ من آل مازنٍ أولات طِعَانٍ عند كل طعان

سقاية سليمان

سقاية سليمان بن عبد الملك ـ بالجرف على محجة مَنْ خرج إلى الشام ، يعسكر بها الخارج من المدينة إلى الشام ، وكذا من خرج إلى مصر قديماً .

السقيا

السقيا — بالضم ثم السكون ، سقيا سعد بالحرة الغربية كما سبق فى الآبار ، وقرية جامعة من عمل الفرع بطريق الحاج القديمة ، قال السهيلى : سميت السقيا بآبار كثيرة فيها و برك. وسئل كثير:لم سُمِّيت بذلك؟فقال لأنهم سُقوا بها ماء عذباً، وقال ابن الفقيه : لما رجع تبع من المدينة نزل السقيا وقد عطش ، فأصابه بها مطر، فسماها السقيا ، وقال الخوارزمى : السقيا قرية عظيمة قريبة من البحر ، على مسيرة يوم وليلة ، وقال المجد : هى على يومين من المدينة ، ومأخذه قول أبى داود عقب حديث الاستعذاب من السقيا ، قال قتيبة : هى عين بينها و بين المدينة يومان ، وتقدم أن حديث الاستعذاب إنما هو فى سقيا سعد بالمدينة ، ومع ذلك فهو مخالف لقول المجد فى القاحة : إنها قبل السقيا بميل ، على ثلاث مراحل من المدينة ، بل قال : إن الأبواء على نحو خمسة أيام من المدينة ، وسبق أنها بعد السقيا بأحد عشر ميلا ، فالسقيا على نحو أربعة أيام من المدينة ، و به صرح الأسدى ، فإنه ذكر ما حاصله أن بينهما مائة ميل إلا أربعة أميال ، والسقيا اليوم معروفة على نحو هذه المسافة ، و يوافقه قول المجد : الفرع عن يسار السقيا على ثمانية بُرُدٍ من المدينة ، وقول عياض : بين السقيا و بين الفرع مما يلى الجحفة سبعة عشر ميلا ، والسقيا أيضاً :موضع بوادى الجزل ببلاد عذرة قرب وادى القرى ، وذكر الأسدى أنها على نحو سبع مراحل من المدينة ، وعلى نحو مرحلتين من ذى المروة ، وأنه كان يلتقى بها مَنْ يريد المدينة الشريفة على غير طريق الساحل مع من يصل من الشام .

سقيفة بنى ساعدة

سقيفة بنى ساعدة ـ تقدمت بمنازلهم ومساجدهم ، وقال الأزهرى : السقيفة كل بناء سقف به صفة أو شبه صفة مما يكون بارزاً ، وقال المجد : سقيفة بنى ساعدة ظُلّة كانوا يجلسون تحتها عند بئر بضاعة ، ولعله يريد قربها من جهة بئر بضاعة ، لما سبق من أنها بمنزل رَهْط سعْد ، وهو القائل يوم بيعة أبى بكر بها : منا أمِيرٌ ومنكم أمير ، ولم يبايع أبا بكر ولا غيره ، وقتلته الجن بحوران فيما يقال .

سكاب

سكابِ ـ كقطام ، جبل من جبال القبلية .

سلاح

سلاح — كقطام ، موضع أسفل خيبر ، عنده لقى بشير بن سعد الأنصارى جَمْعَ غَطَفَان فى سريته إلى يمن وجبار ، كذا قال المجد ، وضبطه ابن سيد الناس بكسر أوله، وسلاح أيضاً : ماء لبنى كلاب ملح لا يشرب أحد منه إلا سلح .

السلاسل

السلاسل — بلفظ جمع السلسلة ، ماء بأرض جُذَام ، على عشرة أيام من المدينة ، خلف وادى القرى ، به سميت الغزوة ، قال ابن إسحاق : الماء سلْسَل ، و به سميت ذات السلاسل .

السلالم

السلالم ـ بضم أوله ، كان آخر حصون خيبر فتحا .

ذو السلائل

ذو السلائل ـ واد بين الفرع والمدينة .

سلع

سلع — بالفتح ثم السكون آخره عين مهملة ، جبل معروف بالمدينة .

وفى صحيح البخارى أن جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنما لهم بالجبيل الذى بالسوق ، وهو سلع ، وسبق فى مساجد الفتح أن به كهف بنى حرَام، دخله النبى صلى الله عليه وسلم و بات به مع ما يقتضى أنه يسمى بجبل بواب أيضاً .

قال الأصمعى : غنت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ومسموعاً ، وكان شديد الكلف بها ، ونشأت بسلع :

لَعَمْرُكَ إننى لأحِبُّ سلعاً لرؤيته ومن أكناف سلع

تقــــر بقر به عينى ، وإنى لأخشى أن يكون يريد فجعى

فتنفست الصعداء ، فقال لها : لم تنفسين ؟ والله لو أردتِه لنقلته إليك حجراً حجراً ، فقالت : وما أصنع به ؟ إنما أردت ساكنيه .

ذو سلم — ذو سلم ــ بالتحريك، موضع من بطن مدلجة تعهن ، له ذكر فى سفر الهجرة، وذو سلم النظيم : تقدم فى أودية مسيل العقيق ، وله شاهد فى لأى .

سليع — سليع ــ تصغير سلع ، جبل بالمدينة عليه بيوت أسلم بن أفصى ، نقله ياقوت ، ويؤخذ مما سبق فى منازلهم أنه الجبيل الذى يقابل سلعاً ، عليه حصن أمير المدينة اليوم ، والذى ابتناه عليه الأمير ابن شيخة أيام إمرته ، وابتداؤها قبل السبعين وستمائة ، ابتناه ليتحصن به ، ويكشف منه نواحى المدينة ، وكان حصن الأمراء قبله الحصن العتيق المجاور لباب السلام ، وهو اليوم المدرسة الأشرفية كما يؤخذ من كلام البدر ابن فرحون .

السليل — السليل ــ كأمير ، اسمُ عرصة العقيق كما سبق .

السليلة — السليلة ــ موضع من الربذة .

السليم — السليم ــ مصغر سلم، وذات السليم : من أودية العقيق كما سبق .

سمران — سمران — جبل بخيبر ، والعامة تقول له مسمران ، وضبطه بعضهم بالشين المعجمة .

روى ابن زبالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلّى على رأس جبل بخيبر يقال له سمران » .

ذو سمر — ذو سمر ــ من أودية العقيق .

سميحة — سميحة ــ مصغر سمحة بالحاء المهملة، بئر بالمدينة معروفة ، قال نصر : هى بئر قديمة غزيرة الماء بالمدينة ، قال كثير :

كأنِّى أكف وقد أمعنت بها من سميحة غَرْبا سجيلا

وقال يعقوب : سميحة بئر بالمدينة عليها نخل لعبيد الله بن موسى ، قال كثير:

كأن دموع العين لما تخللت مَخَارِمَ بيضاً من تَمَنَّى جِمَالُهَا

قبلن غروباً من سميحة أنزعت بهنَّ السَّوَانى واستدار محالها

القابل : الذى يتلقى الدلو حين يخرج من البئر ويصبها فى الحوض ، وقد غرس بعضُ أهل المدينة اليوم على سميحة هذه حديقة .

سنام

سنام — مصبٌّ قرب الربذة .

السنح

السنح — بالضم ثم السكون كما قاله المجد ، أطم لُجشَم وزيد ابنى الحارث، سميت الناحية به ، وسبق أنه على ميل من المسجد النبوى ، وكان بالسُّنْح منزلُ أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بزوجته الأنصارية ، وبلغه وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وهو به .

وقال ابن عساكر فى تحفته : السنح بضم السين والنون ، وقيل بسكونها — موضع بعَوَالى المدينة فيه منازل بنى الحارث ، وذكر شيخنا أبو عبد الله — يعنى ابن النجار — أن السنح هو الموضع الذى فيه مساجد الفتح .

قلت : وهو وهم على ابن النجار ، لما سيأتى فى السيح بالمثناة التحتية وكسر السين ، وكأن المراغى اغتر بذلك فقال ما سيأتى عنه فيه من أنه سمى باسم أطم جُشَم وزيد .

سنحة

سَنْحة — بالفتح ثم السكون وحاء مهملة ، موضع بالمدينة .

سن

سن — بالكسر ، جبل حذاء شوران أو ميطان كما يؤخذ مما سبق فى الخلاء .

سواج

سواج — بالضم آخره جيم ، من جبال ضَرِية تأويه الجن ، ويقال له سواج طخفة .

سوارق — وادٍ قرب السوارقية ، يستعذبون منه الماء .

سوارق

السوارقية — بفتح أوله وضمه و بعد الراء قاف، وياء النسبة ، ويقال السويرقية مصغرة ، قرية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، وكانت لبنى سليم ، وقال عرام : هى قرية غناء كبيرة ، فيها مسجد ومنبر وسوق . يأتيها التجار من الأقطار ولكل بنى سليم فيها شىء ، ولهم مزارع ونخيل كثيرة وموز وعنب وتين ورمان وسفرجل وخوخ ، ولهم إبل وخيل وشاء وقرى حواليهم و يميرون طريق الحجاز ونجد فى طريق الحاج .

السوارقية

سوق أهْوَى — كأحوى ، بالربَذَة .

سوق أهوى

سوق بنى قينقاع — بقافين بينهما مثناة تحتية ثم نون وآخره عين مهملة ، كان سوقاً عظيما فى الجاهلية عند جسر بطحان ، يقوم فى السنة مراراً ، و يتفاخر الناس به ، و يتناشدون الأشعار .

سوق بنى قينقاع

وذكر ابن شبة خبرا فى اجتماع حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه بنابغة بنى ذبيان بهذه السوق ، وأن النابغة لما قدمها نزل عن راحلته وجثا على ركبتيه واعتمد على يديه ، وأنشد :

عرفت منازلا بعد الثنايا بأعلى الجزع بالخيف المتن (١)

قال حسان : فقلت فى نفسي : هَلَكَ الشيخ ، ركب قافية صعبة ، قال : فوالله ما زال حتى أتى على آخرها ، ثم نادى : ألا رَجُل ينشد ، فتقدم قيس بن الخطيم بين يديه فأنشد :

أتعرف رسما كالطراز المُذَهَّب لعمرة وَحْشاً غير موقف راكب

حتى أتى على آخرها ، فقال له النابغة : أنت أشعر الناس يا ابن أخى ، قال حسان : فدخلنى بعض الفرق ، و إنى لأجد على ذلك فى نفسى قوة ، فجلست بين يديه ، فقال : أنشد فوالله إنك لشاعر قبل أن تتكلم ، فأنشدته :

(١) هكذا وقع فى أصول هذا الكتاب محرفا كأكثر ماورد فى هذا الباب من الشعر والأعلام ، وصوابه :

عرفت منازلا بعريتنات فأعلى الجزع للحى المبن

* أسألتَ رَبْع الدار أم لم تسأل *

فقال : حسبك يا ابن أخى .

وفى القاموس : حُبَاشة ـ أى بالحاء المهملة ثم الموحدة وشين معجمة بعد الألف ، كثمامة ـ سوق وكانت لبنى قينقاع .

السويداء — السويداء ـ تصغير سوداء ، موضع بعد ذى خشب على ليلتين من المدينة .

سويد — سويد ـ أطم أسود بمنازل بنى بيَاَضة شامى الحماضة .

سويقة — سويقة ـ تصغير ساق ، هضبة حمراء طويلة على ثلاثين ميلا أو أكثر من ضرية ، وسويقة أيضا : عين عذبة كثيرة الماء بأسفل حزرة على ميل من السيالة ناحية عن الطريق يمين المتوجه إلى مكة ، لولد عبد الله بن حسن .

قال المجد : هى موضع قرب المدينة يسكنه آل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وكان محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى الحسنى خرج على المتوكل ، فأنفذ إليه أبا الساج فى جيش ضخم ، فظفر به و بجماعة من أهله فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم ، وأخرب سويقة ، وعَقَر بها نخلا كثيراً ، وخرب منازلهم ، وما أفلحت سويقة بعد ذلك ، وكانت من جملة صدقات على بن أبى طالب ، ثم قال : وسويقة أيضا قرب السيالة ، انتهى .

قلت : هى التى قبلها ، وتبع المجد فى المغايرة بينهما كلام ياقوت ، وسويقة أيضا : جبيل بين ينبع والمدينة ، نقله ياقوت عن ابن السكيت ، وتعرف اليوم بالسويق منازل بنى إبراهيم أخى النفس الزكية ، قال ياقوت : وجوّ سويقة : موضع آخر ذكرته الشعراء ، وقال فى حرف الجيم : الجو عند العرب كل مكان اتسع بين الأودية ، وجو سويقة : من نواحى المدينة لآل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

قلت : فهو الذى بقرب السيالة لما سبق

السى — السِّىّ — بالكسر ، على خمس ليال من المدينة ناحية ركية من وراء المعدن كان إليها سرية شجاع بن وهب الأسدى لجمع من هوازن .

السيالة — السيالة — مخففة كسَحَابة ، سبقت فى مسجد شرف الروحاء . قال ابن السكيت : مرّ تُبّع بالسيالة بعد رجوعه من المدينة ، وبها واد يسيل ، فسماها السيالة ، وآخر السيالة شرف الروحاء ، وهى على ثلاثين ميلا من المدينة .

السيح — السيح — بالكسر[1] وسكون المثناة التحتية ، مصدر ساح يسيح سيحا ، اسم للموضع الذى فى غربى مساجد الفتح .

قال ابن النجار : وفى الخندق قناة تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة بالسيح حوالى مسجد الفتح ، انتهى .

وذكره المطرى ، وزاد ضبطه كما سبق ، وكذا الزين المراغى ، وزاد ابن زبالة نقل أن تلك الناحية إنما سميت بذلك لأن جُشما وأخاه زيدا سكنا فيه ، وأُبتنيا أطما يقال له السيح ، فسميت به الناحية . انتهى .

وهذا ما نقله ابن زبالة فى السنح بالنون كما سبق ، ولهذا أورده المجد وغيره فيه ، والقناة التى ذكرها ابن النجار هى قناة العين التى تقدم أنها هناك فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس .

سير — سير — بفتح أوله والمثناة التحية كجَبل ، كثيب بين المدينة و بدر ، يقال : إن قسمة غنائم بدر كانت به ، قاله المجد ، قال : وقال أبو بكر بن موسى : وقد يخالف فى لفظه .

قلت : كأنه يشير إلى ما سبق فى سبر بالموحدة من أن القسم وقع به ، على أن أبا بكر هو الحارثى ، وفى تهذيب النووى بعد ذكر القسم بشعب من شعاب الصفراء أن الحارثى قال : وأما شير بفتح الشين المعجمة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة مكسورة — فكثيب بين المدينة و بدر ، يقال : هناك قَسَم النبىّ صلى الله عليه وسلم غنائمَ بدر ، قال : وقد يخالف فى لفظه ، انتهى .

---

(١) ضبطه ياقوت بفتح السين ، ومصدر ساح يسيح بفتح السين .

وما ذكره المجد من الضبط أقرب إلى الصواب ؛ لأنى رأيته كذلك فى نسخة معتمدة من تهذيب ابن هشام ، ولفظه : حتى خرج من مضيق الصفراء نزل على كثيب بين المضيق و بين النازية يقال له سير ، فقسم هناك النفل ، و بين النازية والصفراء علو خيف بنى سالم موضع يعرف اليوم عند العرب بشعب سير كما ضبطه المجد ، ورأيت فى أوراق لبعضهم وصفه بما هو عليه اليوم ، فقال : شعب سير هو المنزلة القديمة للحاج إذا رحل من المستعجلة ونزل فى فركات الخيف وهناك بركة قديمة ، قال : وهذا الشعب بين جبلين يعرف بجبال المضيق علو الصفراء بينه و بين المستعجلة نحو نصف فرسخ .

حرف الشين

شابة — بباء موحدة مخففة ، جبل بين الربذة والسليلة . شابة

شاس — أطم برحبة مسجد قباء ، على يسارك مستقبل القبلة ، كان لشاس أخى بنى عطية بن زيد . شاس

الشبا — كالعصا ، واد بالأثيل بناحية الصفراء ، فيه عين تسمى خيف الشبا لبنى جعفر بن أبى طالب . الشبا

شباع — ككتاب ، سبق فى بئر السائب أنه الجبل المشرف عليها . شباع

الشباك — كالجبال ، جمع شبكة ، موضع من بلاد غنى ، بين المدينة وأبرق العزاف ، وموضع آخر قرب سَفَوان ، وشباك بنى الكذاب : من نواحي المدينة . الشباك

الشبعان — بلفظ ضد الجيعان ، أطم بالمدينة ، كان فى ثمغ صدقة عمر رضى الله تعالى عنه . الشبعان

الشبكة — مفرد الشباك ، موضع بوادى إضم ، به مال يسمى الشبكة بعد ذى خشب . الشبكة

الشجرة — الشجرة — بلفظ واحـــدة الشجر ، يضاف إليها مسجد ذى الحليفة كما سبق فيه ، وهى سَمُرة كان النبى صلى الله عليه وسلم ينزل تحتها هناك فعرف الموضع بها ، والشجرة أيضا : مال فيــه أُطم لبنى قُرَيظة ؛ ولعله المعروف اليوم هناك بالشجيرة مصغرا .

شدخ — شدْخ — بسكون الدال المهملة وخاء معجمة ، وادٍ به الموضع المسمى بنخل كما سيأتى .

الشراة — الشراة — جبل مرتفع فى السماء تأويه القِرَدة ، لبنى ليث و بعض بنى سليم ، دون عُسْفَان عن يسارها ، وفيه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز تسمى الخريطة .

الشربة — الشربة — بثلاث فتحات والباء موحدة مشددة ، كل أرض مُعْشبة لا شَجَر بها ، وهى اسم موضع بين السليلة والربذة ، وقيل : إذا جاوزت البقرة وماوان تريد مكة وقعت فى الشربة ، وهى أشد بلاد نجد قرا ، وقيل : هى فيما بين نخل ومعدن بنى سليم ، ومعنى هذ الأقوال واحد .

شرج — شرج — بالفتح ثم السكون آخره جيم ، موضع قرب المدينة يعرف بشرج العجوز ، له ذكر فى حديث كعب بن الأشرف ، وشرج أيضا : ماء بنجد ، وماء أو وادٍ لفَزَارة به بئر .

الشرعبى — الشرعبى — بالفتح ثم السكون وفتح العين المهملة وكسر الموحدة آخره ياء النسبة، أطم دون ذباب ، كان لأهل الشوط من يهود ، ثم صار لبنى جُشَم من الأوس .

الشرف — الشرف — محرك ، الموضع العالى ، وهو شرف الروحاء ، وشرف السيالة لكونه آخر السيالة وأول وادى الروحاء ، والشرف أيضا : كبد نجد ، وفيه الربذة وحمى ضرية كما سبق فى حمى الشرف .

شريق — تصغير شرق ، موضع بوادى العقيق ، قال أبو وجرة :

إذا تربعت مابين الشريق إلى روض الفلاج أولات الشرج والعنب

أى عنب الثعلب . وروى « الشريف » بالفاء .

الشطآن

الشطآن ـ بالضم وسكون الطاء المهملة ، من أودية المدينة .

شطمان

شطمان ـ مال فى بنى قريظة .

الشطون

الشطون ـ بئر بناحية شعر .

الشطيبة

الشطيبة ـ مال ابن عتبة بجنب الأعواف ، ولعلها المعروف هناك بالعتبى ، قال ابن زبالة : وفى الشطيبة يقول رجل من بنى قريظة وخطب امرأة من بَلْحَارث ابن الخزرج ، فقالت : أله مال على بئر مدري أو هامات أو ذى وشيع أو الشطيبة أو بئر لجار ؟ وهى فى بئر أريس ، فقال القرظى : .

تكلفنى مخارق بئر مدرى وهامات وأعذق ذى وشيع

فما حازت شطيبة من سواد إلى الفجار من عذق الرجيع

الشظاة

الشظاة ـ بالفتح ، اسم لوادى قناة ، تقدم فى إضم عن القاموس أنه اسم مايلى السد من الوادى ، وفى تهذيب ابن هشام فيما قيل فى بنى النضير من الشعر قول عباس بن مرداس أخى بنى سُلَيم من أبيات :

و إنك عَمْرى هَلْ أريك ظَعَائنا سَلَكْنَ على ركن الشظاة فتيأبا

عليهن عـــين من ظباء تبالة أوانس تصبين الحليم المجربا

شعب

شعب ـ بالضم ، علم لوادٍ يصبُّ فى الصفراء ، نقله النووى عن الحازمى ، وسيأتى فى نخال أنه اسمه ، والشعب ـ بالكسر ـ واحد الشعاب للطريق بين الجبلين أو ما انفجر بينهما أو مسيل الماء فى بطن وأرض . وشعب أحد : هو الذى نهض المسلمون برسول الله صلى الله عليه وسلم إليه يوم أحد ، وأسندوا إليـه ، قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرجَ على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه حتى ملأ درقته من المهراس . وشعب العجوز :

بظاهر المدينة ، قتل عنده كعب بن الأشرف ، ويذكر بد له شرج العجوز ، وقد سبق ، وفى السير أنه لما هتف أبو نائلة بكعب بن الأشرف وهو فى حصنه ببنى النضير ليلة قتله ، فنزل لأبى نائلة وأصحابه ، فقالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تماشى إلى شعب العجوز فنبحث بقية ليلتنا هذه ؟ فقال : إن شئتم ، فمشوا ساعة حتى استمكنوا منه وقتلوه .

شعبى — شعبى — بالضم وفتح العين والموحدة مقصورة ، جبل ، وقيل : جبال منيعة بحمى ضرية .

شعب المشاش — شعب المشاش — تقدم فى العقيق ، وهو خلف جماء العاقل .

شعب شوكة — شعب شوكة — يأتى فى شوكة أنه المعروف بشعب على قرب الشرف .

شعبة — شعبة — بالضم ثم السكون ، واحدة الشُّعَب ، وهى الطائفة من الشىء ، ومن الجبال رؤسها، ومن الشجر أغصانها ، وشعبة: اسم عين قرب بليل، وشعبة عبد الله : تقدمت فى الخلائق، وشعبة عاصم: ستأتى فى عاصم، ووادى شعبة : من أودية أُبلى.

شعث — شعث — بالضم ثم السكون آخره مثلثة جمع أشعث ، موضع بين السوارقية ومعدن بنى سليم .

شعر — شَعْر — بلفظ شعر الرأس ، جبل ضخم مشرف على معدن الماوان ، قبل الربذة بأميال ، قاله المجد ، وقال الهجرى : هو من ناحية الوضح ، وقد أكثر الشعراء من ذكره ، قال حكيم الخضرى :

سقى الله الشطون شطُون شَعْر   وما بين الكواكب والغدير

شغبى — شَغْبى — بالفتح وسكون الغين المعجمة وفتح الموحدة كسَكْرَى ، قرية بين المدينة وأيلة ، وكذا بدا قرية أخرى ، قال كثير :

وأنتِ التى حَبَّبْتِ شَغْبَى إلىٰ بَدَا   إلىّ ، وأوطانى بلادٌ سواهما

حللت بهذا حَلّة ، ثم حلة   بهذا ، فطاب الواديان كلاهما

شفر — شُفَر — كزفر جمع شَفِير الوادى(١) ، جبل بأصل حمى أم خالد، يهبط إلى بطن العقيق ، كان يرعى به سَرْح المدينة يوم أغار عمرو بن جابر الفِهْرِى ، فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى طلبه حتى ورد بدرا .

شقر — شقر — بالقاف كزُفَر ، ماء بالر بذة عند سَنَام جبل مشرف على معدن الماوان.

الشقراء — الشقراء — تأنيث الأشقر ، فى الحديث : وفَدَ عمرو بن سلمة الكلابى على النبى صلى الله عليه وسلم ، واستقطعه حمى بين الشقراء والسعدية ، وهما ماآن فى البادية ، قاله ياقوت .

الشقراة — الشقراة — جبيل انصب فى غربى النقيع .

الشقرة — الشقرة — بالضم ثم السكون ، موضع بطريق فيد ، بين جبال حمر ، على نحو ثمانية عشر ميلا من النخيل ، وعلى يوم من بئر السائب ويومين من المدينة ، انتهى إليه بعضُ المنهزمين يوم أحد ، كما رواه البيهقى ، ومنه قطع كثير من خشب الدوم لعمارة المسجد النبوى بعد الحريق .

شق — شق — بالفتح عن الزمخشرى ، وقيل: بالكسر ، من حصون خيبر ، وقرية من قرى فدك يعمل فيها اللجم .

وروى الواقدى أن النبى صلى الله عليه وسلم تحوّل إلى أهل الشق، وبه حصون ذوات عدد ، يعنى بعد فراغه من النطاة ، فذكر فتح أول حصونه ، وأن أهله هربوا إلى حصن البزار بالشق أيضاً ، وأنهم كانوا أشد أهل الشق رمياً للمسلمين بالنبل والحجارة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ كفا من حصباء فحصب به حصنهم ، فرجف بهم ثم ساخ فى الأرض ، فأخذ المسلمون أهله .

شقة بنى عذرة — شقة بنى عذرة — تقدمت فى مساجد تبوك .

شاول — شاول — بلامين كصَبُور ، موضع بنواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

أتذكر عهد ذى العهد المحيل وعصرك بالأعارف والشَّلُول

(١) لا يكون جمع شفيرعلى وزن زفر، بل يكون بضم أوله وثانيه كسرير وسرر

وتعريج المطية يوم شوظى   على العرصات والدمن الحلول

الشماء الشماء — بالتشديد والمد ، هضبة عالية فى حمى ضرية ، قاله المجد ، وسماها الهجرى الشيماء — بالمثناة التحتية — وقال : إنها من هضب الأشقِ بناحية عرفجا ، سميت بذلك لأنها حمراء وفى ناحيتها سواد .

الشماخ الشماخ — بالفتح والتشديد و إعجام الخاء ، أُطم فى قبلة بيوت بنى سالم خارجها .

شمنصير شَمَنْصير — بفتحين ثم نون ساكنة وصاد مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية وراء ، جبل ساية .

شناصير شناصير — من نواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

لو عاج صحبك شيئا من رواحلهم   بذى شناصير أو بالنعْفِ من عظم

شنوكة شنوكة — بالفتح ثم الضم ثم السكون وفتح الكاف بعدها ، جبل بعد شرف الروحاء بقليل ، يقابل الشعب المعروف بشعب على ، وهو شعب شنوكة على ثلاثة أميـال من مسجد شرف الروحاء ، قاله الأسدى ، قال ابن إسحاق فى المسير لبدر : مر على فج الروحاء ، ثم على شنوكة حتى إذا كان بعرق الظبية ، وقال ابن سعد : شنوكة فيما بين السيالة وملل ، وعندها هرب سهيل بن عمرو ، وكان أسره ابن الدخشم يوم بدر ، فقال له عند ما كانوا بها : خل سبيلى للغائط ، فهرب وظفر به النبى صلى الله عليه وسلم .

الشنيف الشنيف — كزبير ، أُطم لبنى ضبيعة بقرب أحجار المراء ، وسبق ذكره فى مقدمه صلى الله عليه وسلم قباء ، قال كعب بن مالك :

فلا تَتَهَدَّدْ بالوعيـــد سَفَاهةً   وأوعد شُنَيْفاً إن غضبت وواقا

شواحط شُوَاحط : بالضم و بعد الألف حاء مهملة مكسورة وطاء مهملة ، جبل قرب السوارقية كثير النمور والأرَاوى ، و يوم شُوَاحط : من أيام العرب .

شوران

شَوْران ـ بالفتح ، جبل يضاف إليه حرة شوران التى تقدم أن صدر مهزور منها ، ولعله المعروف اليوم هناك بشوطان.

وقال عرام : ويُحيط بالمدينة عير ، ثم قال : وعير جبلان أحمران من عن يمينك وأنت ببطن العقيق تريد مكة ، ومن عن يسارك شوران ، وهو جبل مطل على السد كبير مرتفع .

ثم ذكر الصادر[1] فى قبلة المدينة، ثم قال : وليس على شىء من هذه الجبال نبت ولا ماء ، غير شوران فإن فيه مياه سماء كثيرة يقال لها : البجيرات ، وكرم ، وعين ، وامعاء ، وهو ماء يكون السنين الكثيرة ، وفى كلها سمك أسود مقدار الذراع وما دون ذلك أطيب سمك يكون ، انتهى .

فقوله « من عن يمينك وأنت ببطن العقيق » يقتضى أن الجبل المعروف بعير هو شوران ، وهو مشرف على السد كما سبق ، وكان بناحيته بالعقيق كرم ثنية شريد ، لكن ابن زبالة والزبير والهجرى كلهم سموه عيرا ، وليس عليه ماء ، فتناول كلامه بأن المتوجه إلى مكة من قبلة المدينة إذا صار ببعض أودية العقيق التى تصب فيه هناك كان فى جهة يمينه عير الصادر ، وعير الوارد فى المغرب ، وعن يساره شوران فى المشرق ، ويؤيده أن ما ذكره بعد ذلك كله فى شرقى المدينة من ناحية القبلة ، وقال : ثم يمضى نحو مكة مصعدا ، وذكر ما سبق فى أُبْلىٰ ، ولأنه قال : إن ميطان حذاء شوران ، وميطان فى المشرق من جهة القبلة . فيكون السد المشرف عليه شوران غير السد الذى بقرب عير .

وقال نصر : شوران وادٍ فى ديار سليم يفرغ فى الغابة ؛ وهى من المدينة على ثلاثة أميال ، وكأنه أطْلَق وادى شوران على ما ينحدر من حرته إلى المدينة .

وروى الزبير عن محمد بن عبد الرحمن قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم إبلاً فى السوق ، فأعجبه سمنها ، فقال : أين كانت ترعى هذه ؟ قالوا : بحرة شوران ، فقال : بارك الله فى شوران! .

(١) فى نسخة « الصارى » وكلاهما يصح

وكانت البغوم صاحبة ريحان الخضرى نذرت أن تمشى فى شوران حتى تدخل من أبواب المسجد كلها مزمومة بزمام من ذهب ، فقال :

يا ليتنى كنتُ فيهم يوم صبّحهم   من نقب شوران ذو قرطين مزموم
تمشى على نجش يدمى أناملها   وحولهـا القبطريات العياهيم
فبات أهـل بقيع الدار يفعمهم   مسك ذكى ويمشى بينهم ريم

شوط

شوط ـ بالفتح ثم السكون وطاء مهملة ، كان لأهله الأطم الذى يقال له الشرعبى دون ذباب ، وتقدم أن بعض بنى الحارث سكن الشوط وكرم الـكومة التى يقال لها كومة أبى الحمراء ، فهو فى شامى ذباب قرب منازل بنى ساعدة والـكومة المذكورة .

وقال ابن إسحاق فى مخرجه صلى الله عليه وسلم إلى أحد : حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عبد الله بن أبى ، ورجع إلى المدينة .

وروى البيهقى فى الدلائل عن ابن شهاب أنه قال فى خروج النبى صلى الله عليه وسلم إلى أحد : حتى إذا كان بالشوط من الجبانة انخذل عبد الله بن أبى ، وسبق فى ذباب أنه بالجبانة ، وفى الصحيح فى حديث العابدة : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط ، وذكر نزول الجونية هناك فى بيت لبعض بنى ساعدة ، ودخوله صلى الله عليه وسلم عليها .

وفى رواية ابن سعد عن أبى أسيد قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى الجون ، فأمرنى أن آتيه بها ، فأتيته بها ، فأنزلتها بالشوط من وراء ذباب فى أطم ، وفى رواية له : فأنزلتها فى بنى ساعدة ، وفى أخرى : فنزلت فى أجم بنى ساعدة ، فخرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءها ، وقال النضر بن شميل : الشوط مكان بين شرفين من الأرض ، يأخذ فيه الماء والناس كأنه طريق ، ودخوله فى الأرض أن يوارى البعير وراكبه ،

ولا يكون إلا فى سهول الأرض ، انتهى ، وسبق فى سيل مهزور أن آخره كومة أبي الحمراء ، ثم يصب فى قناة .

شوطى

شوطى — بحروف الذى قبله مقصور كسكرَى ، قال الهجرى : وللعقيق دوافع من الحرة مشهورة ذكرتها الشعراء ، منها شوطى وروضة أجام ، قال ابن أذَيْنَة :

جاد الربيع بشوطى رسم منزلة أحبُّ من حبها شوطى فأجاما
فبطن خاخ فأجزاع العقيق لها نهوى، ومن جونتى عيرين أهضاما

وقال المجد : شوطى موضع بعقيق المدينة فيها يقول المزنى لغلام اشتراه بالمدينة :

تروَّحْ يا يسار فإن شوطى وتربانين بعد غد مقيل[1]
بلاد لا يحس الموت فيها ولكن الغذاء بها قليل

وشوطى أيضاً : بحرة بنى سليم .

قلت : وأظنه الذى قبله .

شيخان

شيخان — بلفظ تثنية شيخ ، أطمان بجهة الوالج ، قال ابن زبالة : بفضائهما المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد .

وقال المجد : هو موضع يقال له ثنية شيخان ، عسكر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لأحد ، وهناك عرض الناس فأجاز من رأى وردَّ من رأى ، قال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : كنت ممن رُدَّ من الشيخين يوم أحد، وقيل : هما أطمان ، سميا به لأن شيخاً وشيخة كانا يتحدثان هناك ، وقال المطرى: هو موضع بين المدينة وجبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه لأحد على الحرة الشرقية حرة واقم ، وبات بالشيخين ، وغدا صبح يوم السبت إلى أحد .

(١) فى معجم ياقوت « تروح ياسنان » .

حرف الصاد

صاحة — صاحة ـ كرامة ، الأرض التى لاتنبت أصلا ، وهو اسم هضبات خمس لباهلة قرب عقيق المدينة ، قاله المجد ، وكأن الوليد بن عقبة جمعها حيث قال :

ولولا علىّ كان جلّ مقــالهم   كضرطة عير بالصحاصح من إضم

صارة — صارة ـ جبل بين تيماء ووادى القرى ، قال :

سقى الله حيا بين صَارَةَ والحمى   حمى فيد صَوْبَ المدجنات المواطر

صارى — صارى ـ بكسر الراء وتخفيف الياء ، جبل فى قبلة المدينة .

صايف — صايف ـ موضع بنواحى المدينة .

صبح — صبح ـ بالضم ثم السكون بلفظ أول النهار، قال ياقوت : صبح وصباح ما آن حيال نملى لبنى قريظة ، وقال الأصمعى: وفى حيال نملى صباح وصبح ما آن ، قالت امرأة تزوجها رجل فحنت إلى وطنها :

ألا ليت لى من وَطْب أمى شربةً   تشاب بمــاء من صبيح فأبضع

أى أروى ، والباضع : الريان ، انتهى ، وأما قول أعرابى:

ألا هل إلى أجبال صبح بذى الغَضَى   غضى الأثل من قبــــل الممات مَعَادُ

فالظاهر أنها جبال صبح التى عن يسار المتوجه إلى مكة ببدر وما حولها ، ولهذا قال المجد : اجتزتُ بها فى مسيرى إلى المدينة من مكة ، فذكر بعض العرب أن على متن جبال صبح نخيلا كثيرة ومزارع ، انتهى . وليست هى فى جهة نملى ؛ لما سيأتى فيها .

الصحرة — الصحرة ـ بالضم و إسكان الحاء المهملة لغة جوبة تنجاب فى الحرة ، وهى اسم أرض تحف قاع النقيع من غربيه ، وأعراب تلك الجهة يسمونها اليوم السحرة ـ بضم السين المهملة بدل الصاد .

صحن — صحن ـ بلفظ صحن الدار ، جبل فوق السوارقية ، فيه ماء عذب يزرع عليه ، قال شاعرهم :

جلبنا من جنوب الصحن جُرْداً　　عتاقا سرها نسلا لنسل

فسوافينا بهـا يومى حنين　　رسول الله جدا غير هزل

صخيرات الثمام

صخيرات الثمام — تقدم فى الثاء المثلثة .

صدار

صُدَار — كغراب ، موضع بنواحى المدينة .

قلت : لعله المعروف بالصدارة بوادى الروحاء .

صرار

صِرَار — ككتاب ، وروى بالضاد المعجمة ، وهو وهم ، قال الخطابى : هى بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، قال عياض : ويدل لكونها اسم موضع غير بئر لكن بها بئار قولُ الشاعر :

* لعل صرارا أن تجيش بثارها *

قلت : سبق فى منازل يهود أن أناساً منهم كانوا بالجوانية ، وكان لهم بها الأطُم الذى يقال له صرار ، وبه سميت تلك الناحية صرارا ، ولهم الريان أيضاً ، وصارا لبنى حارثة ، قال ابن زبالة : وله يقول نُهيك بن سياف :

لعل صرارا أن تجيش بثاره　　ويسمع بالريان تبنى مسار به

فصرار : أطم شامى المدينة من ناحية الحرة ومنازل بنى حارثة ، وسبق أنهم كانوا مع بنى عبد الأشهل فى دارهم ، ثم أجلوهم إلى خيبر ، ثم رق لهم حضير ابن سماك الأشهلى لما عناه خُفَاف بن نَدْبة بقوله :

فإن حضيرا والذى قد أرادها　　حضير كرانى حفته وهو شار به

لعل صرارا أن تغور بثاره　　ويسمع بالريان تعوى ثعالبه

فإن يهلكوا تهلك ، وإن تدن دارهم　　تكون حبا خير أصابك خاصبه

فقال: إن هذا لهكذا ، إنى والله إن هلكت هلكت بنوحارثة ، وإن يهلكوا نهلك ، ولا مانع أن يكون فى طريق العراق ماء يسمى بصرار أيضاً ، ويدل له قول نصر : صرار ماء بقرب المدينة محتفر جاهلى ، له ذكر كثير على سَمْت العراق

وقال ياقوت : صرار اسم جبل من جبال القبلية قرب المدينة ، قال جرير :

إن الفرزدق لا يزايل لؤمه   حتى تزول عن الطريق صرار

قال : وصرار أيضا موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق ، انتهى.

وقال العمرانى : صرار اسم جبل ، وأنشدنى جار الله العلامة للأفطس العلوى ، وفى الأغانى أنه لأيمن بن خريم :

كأن بنى أمية حين راحوا   وَعُرِّىَ من منازلهم صرار

وقال : هو من جبال القبلية ، قال : وصرار أيضا بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة ، على طريق العراق ، وقيل : موضع بالمدينة ، وفى غزوة عرفدة الكدر أنهم اقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة أميال من المدينة ، قاله ابن سعد .

قلت : والمراد من حديث أمره صلى الله عليه وسلم بنحر بقرة لما قدم صرارا إنما هو صرار الذى بالمدينة ، ولهذا قال البخارى : صرار موضع ناحية بالمدينة ، وترجم عليه « باب اتخاذ الطعام عند القدوم » وتوضحه الرواية الأخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة نحر جزورا أو بقرة .

الصعبية الصعبية ـ بالفتح ثم السكون ، آبار عذبة يزرع عليها ، لبنى خفاف من بنى سليم قرب أبلى .

صعيب صعيب ـ تصغير صعب ، وقيل : صعين بالنون تصغير صعن ، تقدم مستوفى فى الاستشفاء بتراب المدينة ، وله ذكر فى البويرة .

الصفاح الصِّفَاح ـ بالكسر والحاء المهملة ، موضع بالروحاء .

صفاصف صفاصف ـ موضع بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان و بين الصعبية .

الصفراء الصفراء ـ تأنيث الأصفر ، وادٍ كثير النخل والعيون والزروع ، سبق ذكره فى المساجد ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم عدل عنه إلى ذفران فى المسير

إلى بدر الكبرى ، وسلكه فى رجوعه ، وقال المجد : سلكه النبى صلى الله عليه وسلم غير مرة .

صفر — بلفظ الشهر الذى يلى المحرم ، جبل أحمر بفرش ملل ، يقابل عبودا ، الطريقُ بينهما ، و به بناء كان للحسن بن زيد ، و بقَفَاه ردهة يقال لها ردهة العجوزين ، والعجوزين : هضبات هناك كان يسكنها أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الزمعى جد ولد عبد الله بن حسن بن حسن بن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم لأمهم ، وقال بعضهم فى رثائه :

إذا ما ابن زاد الركب لم يَسْرِ ليلة فى صَفَر لم يقرب الفرش زائر[1]

وقال عمر بن عائذ الهذلى :

أرى صَفَرا قد شاب قبل لِدَاته وشابة أيضا شاب منه العواقر

وشابت قناة بالعجوزين لم تكن تشيب وشاب العرفط المتجاور

الصفة — بالضم وفتح الفاء المشددة ، تقدمت فى الفصل الثانى من الباب الرابع .

صَفْنة — بالفتح كجفنة بالنون ، منزلة بنى عطية بن زيد ، و به أطمهم شاس برحبة مسجد قباء .

صفينة — كسفينة ، موضع بين بنى سالم وقباء

ذو صلب — بالضم ، تقدم فى أودية المدينة .

صلحة — بالضم ثم السكون ، اسمُ دار بنى سلمة ، سماها بذلك النبى صلى الله عليه وسلم كما سبق عن المجد فى حربى ، وأن الذى فى نسخة ابن زبالة وخط المراغى طلحة بالطاء المهملة .

صلصل — بالضم ثم السكون والتكرير ، موضع على سبعة أميال من المدينة ، قاله المجد ، وسبق فى أودية العقيق أن ما أقبل من الصلصلين يدفع فى بئر أبى

(١) فى معجم ياقوت « لم يمس نازلا » ، وفى الأصول «لم يقرب الفرش رائد»

عاصية ، وما دبر منهما يدفع فى البطحاء ، والبطحاء تدفع من بئر الجبلين فى العقيق ، وقال ابن سعد : خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى غَزْوة الفتح من المدينة يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان بعد العصر ، فلما انتهى إلى الصلصل قدم أمامه الزبير بن العوام فى مائتين من المسلمين ، ونادى مناديه : مَنْ أَحَبَّ أن يفطر فليفطر ، ومن أَحَبَّ أن يصوم فليصم ، وله شاهد بالإفراد ، فما قيل فى العقيق من الشعر فهو بالتثنية كما يأتى ، وهو جبل معروف اليوم فى أثناء البيداء على يمين المتوجه إلى مكة شرقى عظم إلى القبلة .

صلاصل — صلاصل[1] — أرض بحرة وادى بطحان ، تقدمت فى قصر عاصم بالعقيق ، قال أبو معروف أخو بنى عمرو بن تميم :

أَحِبُّ الصلصلين فبطن خاخ ... إلى مُفْضَى البلاط إلى النقيع

إلى قـــبر النبى فجانبيه ... إلى الفيفاء أو أدنى مطيع

إلى وادى صلاصل فالمصلَّى ... إلى أكناف أعذق ذى وشيع

فتلك إذا تشاجرت النَّوَاصِى ... ولج النـــاس فى الخلق البديع

منازل غبطة و بلاد أمْــنٍ ... تــكفُّ عن المفاقر والقنوع

الصمد — الصمد — بسكون الميم و إهمال الدال ، ماء قرب المدينة ، له يوم مشهور ، قاله المجد . والصمد : موضع بقباء ، وجمعه كعب بن مالك فى شعره فقال :

ألا أبلغ قريشا أن سَلْعاً ... وما بين العريض إلى الصماد

نواضح فى الحروب مدربات ... وحوص نقيت من عهد عاد

الصمغة — الصمغة — بالغين المعجمة ، موضع بقرب قناة ، ذكر ابن هشام نزول قريش بعينين على شفير وادى قناة ، ثم ذكر تسريحهم الظَّهْر والـكُرَاع فى زرع كانت بالصمغة من قناة .

الصمان — الصمان — بالفتح وتشديد الميم وألف ونون ، جبل أحمر ينقاد ثلاثة أيام ، وليس له ارتفاع ، يجاور الدهناء ، وقيل : قرب رمل عالج ، قاله ياقوت .

---

(١) فى معجم البكرى بضادين معجمتين ، وعجز ثانى الأبيات عنده « إلى العنقاء قبر بنى مطيع » .

قلت : والمراد من الدهناء التى هى سبعة أحبل ـ بالحاء المهملة ـ من الرمل بديار تميم . والظاهر أنها رمل عالج ، فالمراد من العبارتين واحد ، ولذا قال فى القاموس : الصمان كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل ، وموضع بعالج .

صوار

صُوَار ـ بالضم وواو وألف وراء ، موضع بالمدينة ، قال الشاعر:

فمحيص فواقم فصُوَار فإلى ما يلى حجاج غُرَاب

صورى

صَوَرَى ـ كجَمَزَى ، قال ابن الأعرابى : واد فى بلاد مزينة قرب المدينة .

قلت : هو بجهة النقيع ، يعرف اليوم بصورية بزيادة هاء ، وقد أورد الزبير شاهد ريم المتقدم ، وفيه ذكره ، ثم قال : وصورى من صـــدور أتمة ابن الزبير .

الصوران

الصَّوْرَان ـ تثنية صور بالفتح ثم السكون ، النخل المجتمع الصغار ، موضع بأقصى البقيع مما يلى طريق بنى قريظة ، قال مالك : كنت آتى نافعاً مولى ابن عمر نصفَ النهار ما يظلنى شىء من الشمس ، وكان منزله بالبقيع بالصورين ، وفى السير : لما توجه النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة مر فى طريقه بنفر من أصحابه بالصورين ، وتقدم أن الصافية وما معها من الصدقات متجاورات بأعلى الصورين قصر مروان ، وأن سيل مهزور يسقيها ، ثم يُفْضى إلى الصورين قصر مروان ، ثم يأخذ بطن الوادى على قصر بنى يوسف ، ثم يصب فى النقيع ، والصوران أيضاً : فى أدنى الغابة .

ذو صوير

ذو صوير — كزبير ، من أودية العقيق بقرب صورى .

صهى

صُهِىٌّ — بالضم ، جمع صهوة ، قُلل فى جبل تقدمت فى روضة الصهى .

الصهباء

الصهباء ـ بلفظ اسم الخمر ، من أدنى خيبر ، بها مسجد ، وبها كان رد الشمس كما سبق ، وهى على بريد من خيبر فيما قاله ابن سعد .

الصهوة

الصهوة ـ من أودية العقيق ، قال ابن شبة : وتصدَّق عبدُ الله بن عباس

رضى الله تعالى عنهما بماله بالصُّهْوَة ، وهو موضع بين ينبع و بين حورة ، على ليلة من المدينة ، وتلك الصدقة بيد الخليفة توكل بها .

الصياصى — الصياصى — أربعة عشر أُطمًا كانت بقباء يتعاطى أهلها النيران بينهم من قربها .

الصيصة — الصيصة — أطم بقباء .

حرف الضاد

ضاحك — ضاحك — اسم فاعل من ضحك ، جبل بفرش ملل ، بينه و بين ضو يحك واد يقال له يين .

ضأس — ضأس — كفأس ، موضع بين المدينة و ينبع ، قال كثير :

بعينك تلك العــير حتى تغيبت وحتى أتى من دونها الخبت أجمع[1]

وحتى أجازت بطن ضأسٍ ودونها دعان فهضبا ذى النخيل فينبع[2]

ضاف — ضاف — واد غربى النقيع ، من أوديته ، تحفه الجبال ، وقدس فى غربيه ، وأرضه مستوية يخالطها حمرة مهبط ثنية تبع من أتمة ابن الزبير ، قال عروة بن أذينة :

لسعدى بضاف منزلٌ متأبد عَفَا ليس مأهولا كما كنت تعهد

ضبع — ضبع — بسكون الباء الموحــدة وضمها ، من أودية العقيق ، فيه يقول أبو وجرة :

فما بغرة فالأجــراع من ضبع فالموفيات فذات الغيض فالسند[؟؟]

والضبع أيضاً : موضع بحرة بنى سليم ، بينها و بين أفاعية .

ضبوعة — ضبوعة — بالفتح كحلوبة ، منزل عند بليل ، بين مشيرب و بين الخلائق ، ومشيرب : شامى ذات الجيش ، وسبق فى الخلائق نزوله صلى الله عليه وسلم بمجتمع بليل ومجتمع الضبوعة ، واستقى له من بئر الضبوعة ، وفى بعض النسخ «الصبوغة» بالصاد المهملة والغين المعجمة .

ضجنان — ضَجْنان — بالفتح وسكون الجيم ونونين بينهما ألف ، قال أبو موسى: موضع

(١) فى ياقوت « أتى من دونها الحب » (٢) وفيه «رعان فهضبا ذى النجيل»

أو جبل بين الحرمين ، وقال البكرى : بين قديد وضجنان يوم ، وفى القاموس أنه على خمسة وعشرين ميلا من مكة .

ضحيان

ضحيان ـ بالفتح وسكون الحاء المهملة و بالمثناة تحت ، أطم بالعصبة لأُحَيْحَة ابن الجُلاَح ، وقال ياقوت : شاده بأرضه التى يقال لها قنان ، وله يقول :

إنى بنيت واقما والضحيان والمستظل قبــله بأزمان

ضرعاء

ضرعاء ـ قرية قرب جبل شَمَنْصير .

ضرية

ضرية ـ تقدمت فى حمى ضرية .

ضرى

ضرى ـ كسمى ، بئر من حفر عاد بضرية .

ضع ذرع

ضع ذرع ـ أطم شبه الحصن ، كان عند بئر بنى خطمة المسماة بذرع .

ضغاضغ

ضغاضغ ـ بضادين وغينين معجمات[1] ، جبل قرب شَمَنْصير ، عنده قرى لبنى سعد بن بكر أصهار[2] النبى صلى الله عليه وسلم .

ضغن

ضِغْن ـ بالكسر وسكون الغين المعجمة ثم نون ، ماء لفزارة ، بين خيبر وفيد .

ضفيرة

ضفيرة ـ بالفتح وكسر الفاء ، الحقف من الرمل ، والمسناة المستطيلة فى الأرض وما يعقد بعضه على بعض ليحبس السيل ونحوه ، قال المجد : هى اسم أرض بالعقيق للمغيرة بن الأخنس ، قال الزبير : أقطع مروان عبد الله العامرى ما بين الميل الرابع من المدينة إلى ضفيرة أرض المغيرة بن الأخنس التى بالعقيق كما سبق .

قلت : هذا لا يقتضى أنها اسم لأرضه ، بل مضافة لأرضه ، وكأنها بناء يفصلها من غيرها و يحبس السيل ، وسبق بالعقيق بناء الضفيرة به فى غير موضع وأن أروى زعمت أن سعيد بن زيد أدخل ضفيرتها فى أرضه ، ثم أبدى السيل عن ضفيرتها خارجة عن أرضه ، وقال الهجرى : إن عثمان بن عنبسة ضفر بعين ضرية ضفيرة بالصحراء ، وجعلها تحبس الماء .

ضلع

ضلع بنى الشيصبان وضلع بنى مالك ـ جبلان بحمى ضرية ، بينهما وادى

---

(١) جعله ياقوت بعينين مهملتين . (٢) كذا ، ولعله « أظآر » جمع ظئر .

التسرير مسيرة يوم ، و بنو مالك : بطن من الجن مسلمون ، و بنو الشيصبان : بطن من الجن كفار ، ولم يزل الناس يذكرون إسلام هؤلاء وكفر هؤلاء ، و يقع بينهما القتال ، وفى ذلك خبر غريب نقله المجد ، قال : وضلع بنى مالك يحل به الناس و يرعون و يصيدون ، بخلاف ضلع بنى الشيصبان ، وربما مر به من لا يعرف فيرعى الكلأ فأصابه شر ، ولغنى ماء إلى جنب ضلع بنى مالك .

ضويحك — ضويحك ـ جبل يناوح ضاحكا ، بينهما وادى يين .

الضيقة — الضيقة ـ بقرب ذات خماط ، بها مسجد تقدم فى الفصل الرابع من الباب السادس، والضيقة أيضا : يسمى بها اليوم أعلى وادى إضم .

حرف الطاء

طاشا — طاشا ـ بالشين المعجمة[1]، من أودية الأشعر الغَوْرية، يصب على وادى الصفراء

طخفة — طِخْفَة ـ بالكسر وسكون الخاء المعجمة ، جبل أحمر طويل حذاء منهل وآبار، سبق ذكره فى حمى ضرية .

الطرف — الطرف ـ بفتح الراء و بالفاء ، قال المجد : إنه على ستة وثلاثين ميلا من المدينة، قال الواقدى : هو ماء دون النخيل ، وقال ابن إسحاق : هو من ناحية العراق ، وقال الأسدى فى وصف طريق العراق : إنه على خمسة وعشرين ميلا من المدينة ، وعلى عشرين ميلا من بطن نخل ، وذكر فيه آبارا وبركا ، قال : وآخر أعلى الطرف بئر أبى ركانة على عشرة أميال من المدينة .

ذو الطفيتين — ذو الطُّفْيتين ـ بالضم وسكون الفاء ، من غدران مسيل العقيق ، واسمه اليوم أبو الطفا ، قال الهجرى : وهو فى رَضْرَاضة غليظة من أعذب ماء شرب ، ماشرب منه أحد إلا بال الدم .

طفيل — طفيل — قال عرام : إنه جبيل صغير متوسط للخبيت ، والخبتُ : بين هَرْشَى فى المغرب ، وهو غير طفيل المذكور فى شعر بلال

(١) جعله البكرى بالسين المهملة .

طويلع — تصغير طالع ، فى ألسنة العامة أنه موضع بالمدينة ، وليس كذلك ، إنما هو موضع بنجد ، وقيل : لبنى تميم . **طويلع**

طيخة — بسكون المثناة تحت و إعجام الخاء — وقيل : مهملة — و يقال فيه « طيخ » بغير هاء ، موضع بأسفل ذى المروة . **طيخة**

حرف الظاء

الظاهرة — بناحية النقا والمدرج من الحرة الغربية ، وسبق أواخر الفصل الحادى عشر من الباب الثالث قول الطائفتين من الأنصار : موعدكم الظاهرة ، وهى الحرة ، فخرجوا إليها ، و بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج إليهم فيمن عنده من المهاجرين . **الظاهرة**

ظبية — بلفظ واحـــدة الظباء ، موضع بديار جهينة ، وفى حديث عمرو ابن حزم : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا ما أعطى محمد النبى صلى الله عليه وسلم عوسجة بن حرملة الجهنى من ذى المروة إلى الظبية إلى الجعلات إلى جبل القبلية ، وظبية أيضا : موضع بين ينبع وغيقة بساحل البحر ، وماء بنجد . **ظبية**

ظبية — بالضم ثم السكون ، علم مرتجل يضاف إليه عرق الظبية المتقدم فى مساجد طريق مكة بوادى الروحاء ، وقال السهيلى : الظبية شجرة تشبه القَتَادة يستظل بها ، و بهذا الموضع قُتلَ عقبة بن أبى مُعَيْط صبرا منصرَفَهم من بدر ، فقوله فى حديث الصحيح « رأيتهم صَرْعَى ببدر » معناه أكثرهم ، ولأن عمارة ابن الوليد أيضاً كان عند النجاشى ، فاتهمه فى حرمه ، وكان جميلا ، فنفخ فى إحليله شجرا فهام مع الوحش فى بعض جزائر الحبشة فهلك . **ظبية**

ظلم — بالفتح ثم الكسر ككَتِف ، من أودية القبلية ، وعدّه الهجرى فى أودية الأشعر ، وقال نصر : ظلم جبل بين إضم وجبل جهينة ، وظلم أيضاً كما قال الأصمعى **ظلم**

جبل أسود لعمرو بن كلاب ، وهو أحد الجبال الثلاثة التى تكتنف الطرق فيما قاله عرام .

الظهار الظهار ـ ككتاب ، حصن بخيبر .

حرف العين

عابد عابد — بكسر الباء الموحدة ودال مهملة ، وعَبُّود ـ بالفتح وتشديد الموحدة ـ وعُبَيْد بالضم مصغراً ، ثلاثةُ أجْبُلٍ ذكرها الهجرى فيما نقله من وصف فرش ملل ، وعبود فى الوسط ، وهو الأكبر ، وهو بين مدفع مربين وبين ملل مما يلى السيالة ، وقيل : عنده البريد الثانى من المدينة ، و بطرفه عين لحسن بن زيد ، على الطريق منقطعة ، فيها يقول ابن معقل الليثى :

قد ظهرت عين الأمير مظهراً بســـفح عبود أتته من مرا

عارمة عارمة — كفاطمة ، ردهة بين هضبات تدعين عوارم بوسط حمى ضرية ، وشاهدها فى حِلّيت .

عاص عاص وعويص ـ واديان عظيمان بين مكة والمدينة .

عاصم عاصم ـ كصاحب ، أطُم لبنى عبد الأشهل ، كان على القفارة فى أدنى بيوت بنى النجار ، وأطم آخر لبعض يهود بقباء ، وفيه البئر التى يقال لها قباء ، وذو عاصم : من أودية العقيق ، سمى بذلك لأن الأوس لما جَلَوْا عن المدينة ونزلوا النقيع حالفوا مزينة ، وعقد الحلف بينهم عاصم بن عدى بن العجلان ، فسميت الشعبة التى وقع فيها الحِلْف : شعبة عاصم .

عاقل عاقل ـ بكسر القاف ، جبل يناوح منعجاً ، وكان يسكنه الحارث بن آكل المرار جَدُّ امرئ القيس بحمى ضرية .

العالية العالية ـ تأنيث العالى ، قال عياض : العالية وعوالى المدينة كل ما كان من

جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة

قلت :هذا مسمى العالية من حيث هى[لا]عالية المدينة؛ إذ مقتضاه أن المدينة وما حولها عالية لما سبق فى الحجاز عن الأصمعى ، وإن قلنا برأى عرام من أن المدينة نصفها حجازى ونصفها تهامى فلا تصدق العالية على شىء منها ، أو على نصفها الذى يلى المشرق فقط ، واستعمال عالية المدينة فى الأحاديث وغيرها يخالفه لتصريح الأحاديث بأن قباء من العالية ، ولما عدد ابن زبالة أودية العالية لم يعد قناة ، وهى فى شرقى المدينة ، وعد رانوناء وهى فى غربيها للقبلة ، والمعروف أن ما كان فى جهة قبلة المدينة على ميل أو ميلين فأكثر من المسجد النبوى فهوعالية المدينة كما سنوضحه ، وقال المجد عقب ماسبق عن عياض : وقال قوم : العالية ما جاوز الرمة إلى مكة ، وقال أبو منصور : عالية الحجاز أعلاها بلداً وأشرفها موضعاً ، وهى بلاد واسعة ، انتهى ، وبه يعلم أن هـذا كله فى مطلق العالية ، لا فى عالية المدينة ، وقال عياض : والعوالى من المدينة على أربعة أميال ، وقيل : ثلاثة ، وهذا حد أدناها ، وأبعدها ثمانية أميال، انتهى ، ويرده أنه قال فى السنح : إنه منازل بنى الحارث بن الخزرج بعوالى المدينة ، بينه وبين منزل النبى صلى الله عليه وسلم ميل ، وذكره ابن حزم أيضاً ، ونقله الحافظ ابن حجر عن أبى عبيد البكرى، وفى العتبية عن مالك : أقصى العالية على ثلاثة أميال ، يعنى من المسجد النبوى ، ويؤيده ما فى الصحيح عن أنس من طريق الزهرى « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العصر والشمس مرتفعة حية ، فيذهب الذاهب إلى العوالى فيأتيهم والشمس مرتفعة ، وبعض العوالى من المدينة على أربعة أميال أو نحوها» ولفظ البيهقى « وبُعْدُ العوالى » بضم الموحدة ، وفى رواية له « وبعد العوالى أربعة أميال أو ثلاثة » ولفظ أبى داود « العوالى على ثلاثة أميال » ووقع عند الدارقطنى « على ستة أميال » وعند عبد الرزاق « على ميلين أو ثلاثة » .

وقوله « والعوالى » إلى آخره مُدْرج من كلام الزهرى كما بينه عبد الرزاق وطريق الجمع أن أدنى العوالى من المدينة على ميل أو ميلين ، وأقصاها عمارة على ثلاثة أو أربعة أميال ، وأقصاها مطلقاً ثمانية أميال .

عاند عاند — بكسر النون ودال مهمله ، وادٍ بجنب السقيا من عمل الفرع ، ويروى «عايذ» بالياء والذال المعجمة ، قاله المجد ، وقال الأسدى : وادى العاند قبل السقيا بميل ، ويقال له : وادى القاحة .

عائذ عائذ — بالذال المعجمة ، قرب الربذة .

عاير عاير — يضاف إليه ثنية العاير ، عن يمين ركوبة ، ويقال بالغين المعجمة أيضاً ، والأول أشهر .

عبابيد عبابيد — موضع قرب تعهن ، وروى عبابيب بثلاث باآت موحدات بعد الثانية مثناة تحتية ، ويروى العثيانية بمثلثة ثم مثناة تحت ثم ألف ونون ، جاء ذكره فى سفر الهجرة .

عباثر عباثر — جمع عبيثران للنبات المعروف ، وادٍ من الأشعر بين نخل و بُوَاط ، به نقب يؤدى إلى ينبع ، وهو لبطن من جهينة ، ابتاع موسى بن عبد الله الحسينى منهم أسفله ، وعالج به عيناً .

العبلاء العبلاء — بالفتح ثم السكون ممدود ، موضع من أعمال المدينة ، ويقال لها : عبلاء الهرودة ، نبت يصبغ به ، وعبلاء البياض : موضع آخر .

عبود عبود — بالفتح ثم الضم مشدداً ، تقدم فى عايد .

العتر العتر — بالكسر وسكون المثناة الفوقية ثم راء ، جبل بالمدينة فى قبلتها . يقال له : المستندر الأقصى ، قال زهير :

* كمنصب العتر إذ فى رأسه النسك *

قالوا: أراد بمنصب العتر صنما كان يقرب له عتر ، أى ذبيحة ، والعتر بالفتح : الذبح ، قاله المجد .

عثاعث — جبال صغار سود بحمى ضرية مشرفات على مهزور . عثاعث

عثعث — بمثلثتين كَرَبْرَب ، الجبل الذى يقال له سليع بالمدينة ، عليه بيوت أسلم . عثعث

العجمتان — تثنية عجمة ، بجانب البطحاء بالعقيق . العجمتان

عدنة — بالنون محركا ، موضع من الشربة وهضبة بالفريش كان بها منزل داود بن عبد الله بن أبى الكرام و بنى جعفر بن إبراهيم . عدنة

عدينة — مصغر عدنة ، أطُم بالعصبة بين الصفاصف والوادى ، سمى باسم امرأة كانت تسكنه . عدينة

عَذْق — بالفتح ثم السكون ، أطم لبنى أمية بن زيد ، و بئر عذق : تقدمت فى الآبار . عذق

عذيبة — تصغير عذبة ماء بين الينبع والجار ، و يقال فيها العذيب بغير هاء ، قال كثير : عذيبة

خليلىّ إنْ أمَّ الحكيم تحملت وأخلت لخيمات العذيب ظلالها

فلا تسقيانى من تهامة بعـــدها بلالا ، و إن صَوْبُ الربيع أسالها

عراقيب — قرية ضخمة ، ومعدن بحمى ضرية . عراقيب

عُرَّى — كغُزَّى ، اسم وادى نقمى كما سيأتى فى النون ، قال سالم بن زهير الخضرى : عرى

إذا ما الصبا هبت وقد نام صبيتى بأخيال عُرَّى لم يرعنا حثيثها

عَرِب — بكسر الراء ككَتِف ، ناحية قرب المدينة أقطعها عبد الملك كثيراً الشاعر ، وأما عرم بوزنه إلا أن آخره ميم فوادٍ ينحدر من ينبع إلى البحر ، وجبل لعله بالوادى المذكور ، و إياه عنى كثير بقوله : عرب

* سحت بماء الفلاة من عرم *

العرج — بالفتح ثم السكون ، قرية جامعة تقدمت فى مساجد طريق مكة . العرج

قال المجد : هى ثمانون ميلا إلا ميلين من المدينة ، قيل : لما رجع تُبَّع من المدينة رأى هناك دوابَّ تمرج فسماها العَرْجَ ، وقيل لـكثير : لم سميت بذلك ؟ قال : لأنها يعرج بها عن الطريق ، قال ابن الفقيه : يقال إن جبلها يمتد إلى الشام حتى يصل بلبنان ، ثم إلى جبال أنطاكية وشمساط ، وتسمى هناك اللكام ، ثم إلى ملطية وقالى قلا إلى بحر الخزر ، وفيه الباب ويتصل ببلاد الدان ، وطوله خمسمائة فرسخ ، وفيه اثنان وسبعون لسانا .

العرصة — العَرْصَة ـ بالفتح ثم السكون وإهمال الصاد ، كل جوبة متسعة لا بناء فيها لاعتراص الصبيان فيها ، أى لعبهم ، وعرصة العقيق : تقدمت فى الفصل الثالث ، وتنقسم إلى كبرى وصغرى كما سبق .

العرض — العِرْض ـ بالـكسر ، اسم للجرف كما سبق فيه ، قال المطرى : إن حول مسجد القبلتين آباراً ومزارع تعرف بالعرض ، فى قبلة مزارع الجرف ، قال شمر : وأعراض المدينة بطون سوادها حيث الزرع ، وقال الأصمعى : أعراضها قراها التى فى أوديتها ، وقيل : كل وادٍ فيه شجر فهو عرض ، وقيل : كل واد عرض ، ويقال للرساتيق بأرض الحجاز : الأعراض ، وقال يحيى بن أبى طالب :

ولست أرى عيشاً يطيب مع النوى ... ولـكنه بالعِرْض كان يَطِيبُ

عرفات — عرفات ـ بلفظ عرفات مكة ، تَلٌ مرتفع فى قبل مسجد قباء ، سمى بذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقف يوم عرفة عليه ، فيرى منه عرفات ، كذا قاله ابن جُبَير فى رحلته .

عرفجاء — عرفجاء ـ أحد مياه الأشق .

عرفة — عرفة ـ بالضم وسكون الراء وفتح الفاء ، لغةً : المتين المرتفع من الأرض فينبت الشجر ، ويقال لمواضع متعددة منهـا : عرفة الأجبال ، أجبال صبح فى ديار فزارة بها ثنايا يقال لها المهادر ، وعرفة الحمى حمى ضرية ، وعرفة منعج .

عرق الظبية — عرق الظبية ـ تقدم فى الظاء المعجمة .

عريان

عريان ــ بلفظ ضد المكتسى ، أطم لآل النضر رهط أنس بن مالك من بنى النجار ، كما فى صقع القبلة ، كذا قاله المجد .

عريض

عُرَيْض ــ تصغير عرض ، واد بالمدينة ، قاله الهَمْدَانى ، وهو معروف شامى المدينة قرب قناة ، وتقدم حديث « أصح المدينة من الحمى مابين حرة بنى قريظة إلى العريض » وفى السير أن أبا سفيان أحرق صورا من صيران نخل العريض ، ثم انطلق هاربا .

عريفطان

عريفطان ــ تصغير عرفطان تثنية عرفط ، واد سبق فى أُبْلى .

عرينة

عرينة ــ كجهينة ، قرى بنواحى المدينة فى طريق الشام ، وعن معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرى عرينة ، فأمرنى أن آخذ خط الأرض ، رواه أحمد والطبرانى فى الكبرى ، وقال الزهرى : قال عمر (ما أفاء الله على رسوله) الآية : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة قرى عرينة : فدك وكذا وكذا .

ووجد على حجر بالحمى كما سبق : أنا عبد الله الأسود رسولُ عيسى بن مريم إلى أهل قرى عرينة .

العزاف

العزاف ــ بالفتح وتشديد الزاى آخره فاء ، جبل بالدهناء ، قاله المجد ، وسيأتى شاهده فى المحيصر ، وقال المجد هناك : ومن العزاف إلى المدينة اثنا عشر ميلا ، وقال فى القاموس : إنه بوزن شَدَّاد وسَحَاب فيه عزيف الرعد ، ورمل لبنى سعد ، أو جبل بالدهناء على اثنى عشر ميلا من المدينة ، سمى بذلك لأنه كان يسمع به عزيف الجن ، وأبرق العزاف : ماء لبنى أسد يجاء من حَوْمَانة الدرَّاج إليه ، ومنه إلى بطن نخل ، ثم الطرف ، ثم المدينة ، انتهى . وفى الصحاح العزاف : رمل لبنى سعد ، ويسمى أبرق العزاف ، وهو قريب من زرود ، وفى النهاية عزيف الجن جرس أصواتها ، وقيل : هو صوت يسمع بالليل كالطبل ، وقيل : إنه صوت الرياح فى الجو فيتوهمه أهل البادية صوت الجن ، وعزيف الرياح : ما يسمع من دويها .

عزوزى — عزوزى ـ بزايين معجمتين ، موضع بين الحرمين ، وفى سنن أبى داود « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة ، حتى إذا كنا قريباً من عزوزى نزل ، ثم رفع يديه فدعا الله ساعة ثم خرّ ساجداً » الحديث .

عسعس — عَسْعَس ـ كفر قد ، جبل بحمى ضرية تضاف إليه دارة عسعس .

عسفان — عسفان ـ بالضم ثم السكون و بالفاء ، كانت قرية جامعة بين مكة والمدينة ، على نحو يومين من مكة ، سميت بذلك لعَسْفِ السيول فيها ، وذكر الأسدى بها آبارا و بركا وعيناً تعرف بالعولاء .

عسيب — عسيب ـ جبل يقابل برأما ، فى شرق النقيع ، وهو أول أعلامه من أعلاه ، ونقل الهجرى عن بعضهم أن عليه مسجداً للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمعروف بذلك إنما هو مقمل ، قال : وفيه يقول صخر ، ونسبه المجد إلى امرىء القيس :

أجارتَنا إن الخطوبَ تنوبُ ۝ وإنى مقيمٌ ما أقام عسيب

قال المجد : وهو جبل بعالية نجد لهذيل .

عسية — عسية ـ بالفتح كدَنية ، موضع بناحية معدن القبلية ، ويروى بالغين والشين المعجمتين .

العش — العش ـ بالضم للغراب وغيره ، وذو العش : من أودية العقيق .

العشيرة — العشيرة ـ تصغير عشرة من العدد ، وذو العشيرة : من أودية العقيق ، قال عروة بن أذينة :

ياذا العُشَيْرَة هَيَّجْتَ الغَدَاةَ لنا ۝ شوقا ، وذكرتنا أيامنا الأوَلاَ

ما كان أحْسَنَ فيك العيشَ مرتبعاً ۝ غَضًا وأطْيَبَ فى آصالك الأصُلاَ

وذو العشيرة أيضاً : تقدم فى حدود الحرم شرقى الحفياء ، وقال المطرى : نقب بالحفياء من الغابة ، وذو العشيرة أيضاً : موضع بالصّمان ينسب إلى عُشَرَةٍ فيه نابتةٍ ، قال الأزهرى : وذو العشيرة أيضاً : حصن صغير بين ينبع وذى المروة يفضل تمره على سائر تمر الحجاز إلا الصيحانى بخيبر والبرنى والعجوة بالمدينة ، قاله

أبو زيد ، وتقدم فى المساجد ذو العشيرة بينبع ، وتقدمت غزوتها . وفى المغازى « باب غزو العشيرة ، أو العسيرة » بالشك بين إعجام الشين و إهمالها ، وعند أبى ذر « ذو العشيرة » بالمعجمة من غير شك ، ونقل عياض عن الأصيلى « العشيرة ، أو العَسِير » بفتح العين وكسر السين المهملة ، وعند القابسى فى الأول « العَشِير » كالأول إلا أنه بغير هاء « أو العسر » كما للأصيلى فى الثانى ، وقيل : العشيرة أو العشير ، بالشين المعجمة ، بلفظ التصغير ، ثم أضيف إليها « ذات » قال ابن إسحاق : ذات العشيرة من أرض بنى مدلج ، أى الغزوة ، وقال فيها : حتى نزل العشيرة من بطن ينبع ، قال الحافظ ابن حجر : ومكانها عند منزل الحاج بينبع ، ليس بينها و بين البلد إلا الطريق .

العصبة

العُصْبة ــ بإسكان الصاد المهملة ، واختلف فى أوله فقيل : بالضم ، وقيل : بالفتح ، وضبطه بعضهم بفتح العين والصاد معاً ، و يروى المُعَصَّب كمحمد ، منزل بنى جحجبى ، غربى مسجد قباء ، وفى البخارى عن ابن عمر : لما قدم المهاجرون الأولون العُصْبة موضع بقباء قبل مَقْدم النبى صلى الله عليه وسلم كان يؤمهم سالم مولى أبى حذيفة ، وكان أكثرَ قرآنا ، ثم أورده فى الأحكام ، وزاد : وفيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد بن حارثة وعامر بن ربيعة، واستشكل ذكر أبى بكر، وأجاب البيهقى باستمرار إمامته حتى قدم أبو بكر فأمَّهُمْ أيضاً .

عصر

عِصْر ــ بالكسر ثم السكون ، و يروى بفتحتين ، جبل سلك عليه النبى صلى الله عليه وسلم لما خرج لخيبر ، كما سبق فى المساجد ، وقال ابن الأشرف فى حديث خيبر « سلكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إليها على عَصَر » : هو بفتحتين جبل بين المدينة ووادى الفرع ، وعنده مسجد صلى به النبى صلى الله عليه وسلم ، انتهى ، وفيه نظر .

عظم

عظم ــ بفتحتين ، تقدم فى أعظم . وأما ذو عُظُم بضمتين فمن أعراض خيبر ، فيه عيون ونخيل ، قال ابن هَرْمة :

أهاج صَحْبُكَ شيئاً من رَوَاحلهم　　بذى شناصير أو بالنعف من عظم

ويروى عَظَم بالتحريك .

عقرب　عقرب ـ بلفظ عقرب الحشرات ، أُطم شامى الروحاء ، به بنو بياضة .

العقيان　العقيان ـ بالكسر ثم قاف ومثناة تحت ، أُطم ببنى بيَاضة ، شامى أرض فراس مما يلى السبخة .

عقيربا　عقير با ـ مصغر عقرب ، مال كان لخالد بن عقبة شامى بنى حارثة .

العقيق　العقيق ـ بالفتح ثم الكسر وقافين بينهما مثناة تحتية ساكنة ، تقدم أول الباب .

العلاء　العلاء ـ بالفتح والمد بمعنى الرفعة ، أُطم أو موضع بالمدينة ، والعُلاَ ـ بالضم والقصر ـ بناحية وادى القرى ، تقدم فى مساجد تبوك .

العلم　العلم ـ بالتحريك ، جبل فرد شرقى الحاجر يقال له أبان ، فيه نخل ، وفيه وادٍ لو دخله مائة أهل بيت بعد أن يملكوا عليهم المدخل لم يقدر عليهم أبدا ، وفيه مياه وزروع ، قاله ياقوت ، وكأن المراد بالحاجر حاجر الثنيا بطريق مكة ، وهذا الوصف مشهور عن جبل هناك لصبح .

العمق　العَمْق ـ بالفتح ثم السكون آخره قاف ، وادٍ يصب فى الفرع ، ويسمى عمقين ، لبعض ولد الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : هو عين بوادى الفرع ، وسبق فى أودية العقيق أن ما دبر من ثنية عمق يصب فى الفرع ، والعمق أيضاً : منزل للحاج بين السليلة ومعدن بنى شريد ، وفى القاموس أنه كصُرَد ، وبضمتين ، أو بضمتين خطأ : منزل بين ذات عذق ومعدن بنى سليم .

العميس　العَمِيس ـ بالفتح ثم الكسر وسكون المثناة تحت وسين مهملة ، وادٍ بين الفرش وملل ، قال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر : ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، ثم على عَميس الحمام من مريين ، ثم على صخيرات الثمام ، قال المجد : هكذا ضبطه ابن الفرات ، وعليه المحققون ، وقيل : إنه بالغين المعجمة .

عناب

عناب — بالضم وفتح النون آخره موحدة ، اسمُ الطريق المطروقة بين المدينة وفَيْد ، وقيل : جبل ، قال جرير :

أنكرت عهدك غير أنك عارف طَللاً بألوية العنـاب مُحِيلا

العنابس

العنابس — بالفتح وكسر الموحدة ، مَزَارع فى جهة قبلة مسجد القبلتين .

العنابة

العنابة — بلفظ عناب بزيادة هاء ، قارة سوداء أسفل من الرويثة إلى المدينة ، وماءة فى ديار بنى كلاب على طريق كانت تسلك إلى المدينة ، كان زين العابدين ابن الحسين رضى الله تعالى عنهما يسكنها ، والمحدثون يشددون ، والعنابة أيضا : بركة ومكان قرب سميراء .

العناقة

العَنَاقة — بالقاف كسَحَابة ، موضع لغنى قرب ضرية ، وفى القاموس أنها ماءة لهم .

العواقر

العواقر — هضبات بالفرش شاهدها فى ضفر .

عوال

عُوَال — بالضم والتخفيف ، أحد الأجْبُل الثلاثة التى تكتنف الطريق ، على يوم وليلة من المدينة ، والآخران ظلم واللعباء ، قاله المجد ، وعبارة عرام : الطرف يكتنفه ثلاثة أجبال : ظلم ، وحزم بنى عوال ، وهما لغطفان ، وفى عوال آبار منها بئر لية ، ثم قال : والسد ماء سماء ، واللعباء ماء سماء ، فليس فيه أن اللعباء الجبل الثالث ، وظاهره أن حزم بنى عوال جبلان ، أوفى النسخة خلل ، ونقل ياقوت عن عرام أن حزم بنى عوال جبل لغطفان على طريق القاصد إلى المدينة فيه مياه آبار ، ثم قال : وعوال ناحية يمانية عن الحازمى .

العوالى

العوالى — تقدمت فى العالية .

عوسا

عوسا — تقدمت فى وادى رانوناء .

العويقل

العويقل — تصغير العاقل ، نقب بحزرة .

عير

عير — بالفتح وسكون المثناة تحت آخره راء حمار الوحش ، اسم للجبل الذى فى قبلة المدينة شرقى العقيق ، سبق فى حدود الحرم ، وفوقه جبل آخر يسمى باسمه ،

ويقال له عير الصادر ، وللأول عير الوارد ، ولهذا قال الزبير فى أودية العقيق :
ثم شعار الحمراء والفراة وعيرين ، قال : وفى عيرين يقول الأحْوَص :

أقْوَتْ رواوة من أسماء فالجد فالنعف فالسفح من عيرين فالسند

قال المجرى : إن سيل العقيق يُفْضِى لثنية الشريد ، ثم قال : ويحف الثنية شرقيا عير الوارد ، وغربيا جبل يقال له الفراة ، ثم يفضى إلى الشجرة التى بها المحرم، وسبق فى شوران قوله إن عرارا وعيرا جبلان أحمران ، وذكر ابن أذينة أيضاً عيرين فى شعر تقدم فى شوظا ، وقال عامر بن صالح الزبيرى فيما نقله الزبير :

قل للذى رام هذا الحى من أسد رمت الشوامخ من عير ومن عظم

ونقل أيضاً عن عمه مصعب الزبيرى من أبيات :

وعلى عير فما جاز الفرا وابل مار عليه واكتسح

وهذا يقدح فيما سبق فى حدود الحرم عن عياض أن مصعبا الزبيرى قال : لايعرف بالمدينة جبل يقال له عير ولاثور ، وتقدم فى فضل أحد حديث « أحد على ركن من أركان الجنة ، وعير على ركن من أركان النار » . وفى رواية لابن ماجه بإسناد وَاهٍ « إن أحدا جبل يحبنا ونحبه وهو على ترعة من ترع الجنة ، وعير على ترعة من ترع النار » .

العيص العيص — بالكسر ثم السكون وإهمال الصاد ، من الأودية التى تجتمع مع إضم ، وفى غزوة وَدَّان : وبعث النبى صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص ، وفى حديث أبى بصير : خرج حتى نزل بالعيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام ، وقال ابن سعد: سرية زيد بن حارثة إلى العيص على أربع ليال من المدينة وعلى ليلة من ذى المروة .

عينان عينان — تثنية العين كما فى المشارق والنهاية والقاموس ، ونقل عن الصغانى

وضبطه أولهم بكسر أوله ، قال المجد : وليس بثبت ، وضبطه المطرى بالفتح ثم السكون وكسر النون الأولى ، وسيأتى مستنده فى عينين ، وهو الجبل الذى كان عليه الرماة يوم أحد ، وفى ركنه الشرقى مسجد نبوى كما سبق فى مساجد المدينة وكانت قنطرة العين التى هناك عنده ، ولعل عين الشهداء كانت هناك أيضاً فسمى عينان ، وقيل : إن إبليس قام عليه يوم أحد ونادى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل .

وقال ابن إسحاق : وأقبلوا — يعنى المشركين — حتى نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى مقابل المدينة .

عين إبراهيم — عين إبراهيم بن هشام — بفرش ملل .

عين أبى زياد — عين أبى زياد — فى أدنى الغابة ، كما فى خاتمة أودية المدينة .

عين أبى نيزر — عين أبى نَيْزَر — بفتح النون وسكون المثناة تحت وفتح الزاى ثم راء ، بينبع من صدقة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه .

قال ابن شبة فيما نقل فى صدقته : وكانت أمواله متفرقة بينبع ، ومنها عين يقال لها : عين البحير ، وعين يقال لها : عين أبى نيزر ، وعين يقال لها : نولا ، وهى التى يقال : إن عليا رضى الله تعالى عنه عمل فيها بيده ، وفيها مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى ذى العشيرة ، وعمل على أيضا بينبع البغيبغات ، وفى كتاب صدقته أن ما كان لى بينبع من ماء يعرف لى فيها وما حوله صدقة وقفتها غير أن رباحا وأبا نيزر وجبيرا أعتقناهم وهم يعملون فى الماء خمس حجج ، وفيه نفقتهم ورزقهم ، انتهى ، وأبو نيزر : مولى على الذى تنسب إليه العين ، كان ابنا للنجاشى الذى هاجرَ إليه المسلمون ، اشتراه على وأعتقه مكافأة لأبيه .

وذكروا أن الحبشة مرج أمرها بعد النجاشى ، وأرسلوا إلى أبى نيزر ليملكوه ، فأبى وقال : ما كنت أطلب الملك بعد ما من الله على بالإسلام ، وكان من أطول الناس قامة وأحسنهم وجها .

وقال ابن هشام : صح عندى أن أبانيزر من ولد النجاشى ، فرغب فى الإسلام صغيرا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار مع فاطمة وولدها .

قال أبو نيزر : جاءنى علىّ وأنا أقوم على الضيعتين عين أبى نيزر والبغيبغة فقال: هل عندك من طعام؟ وذكرقصة أكله وشربه ، قال :ثم أخذالمعول وانحدر فجعل يضرب ، وأبطأ عليه الماء ، فخرج وقد تصبَّبَ جبينُه عرَقا ، فانتكف العرق عن جبينه ، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين ، فأقبل يضرب فيها وجَعَل يهمهم ، فسالَتْ كأنها عنق جزور ، فخرج مسرعا ، وقال : أشهد الله أنها صدقة ، علىّ بدَوَاة وصحيفة ، قال : فجئت بهما إليه ، فكتب وذكر الصدقة بالضيعتين البغيبغة وعين أبى نيزر ، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، لا يُبَاعان ولا يُوهَبَان ، إلا أن يحتاج لهما الحسن أو الحسين فهما طِلْق لهما ، وليس ذلك لغيرهما .

قال ابن هشام : فركب الحسينَ رضى الله تعالى عنه دَيْنٌ فحمل إليه معاوية بعين أبى نيزر مائتى ألف دينار ، فأبى أن يبيع .

عين الأزرق — عين الأزرق ــ وتسميها العامة العين الزرقاء ، تقدمت فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس .

عين تحنس — عين تُحَنِّس ــ بضم المثناة فوق وفتح الحاء المهملة وكسر النون المشددة وسين مهملة ، كانت بالمدينة للحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، أُستنبطها غلام له يقال له تحنس ، و باعها على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما من الوليد أبن عقبة بن أبى سفيان بسبعين ألف دينار ، قضى بها دين أبيه الحسين إذ قُتِلَ وعليه هذا القدر .

عين الحديد — عين الحديد ــ بالضم .

عيون الحسين — عيون الحسين بن زيد بن على بن الحسين ــ وهى ثلاث بأعمال المدينة : إحداها بالمضيق ، والأخرى بذى المروة ، والثالثة بالسقيا .

روى أبو الفرج النهرواني عنه أنه نشأ في حجر أبي عبد الله جعفر الصادق ، فلما بلغ قال له : مايمنعك أن تتزوج من فتيات قومك ؟ قال : فأعرضت عن ذلك ، فأعاد ، فقلت : من ترى ؟ فقال : كلثوم بنت محمد بن عبد الله الأرقط ، فإنهـا ذات جمال ومال ، فأرسلت إليها ، فضحكت من رسولي وتَعَجَّبت من جرأتي على ذلك ، فأخبرت أبا عبد الله ، فألبسني ثوبين يمنيين مُعْلَمين ، ثم قال : تعرّض أن تمر بمنزلها واحرص على أن تعلم بمكانك ، فوقفت ببابها ، فأشرفَتْ فنظرَتْ إليّ وقالت : تَسْمَعُ بالمعيديِّ خير من أن تراه ، فأخبرت أبا عبد الله فقال : إذا شئتَ فتغيَّبْ عن المدينة أياما ، فغبت أتصيد ، ثم نزلت المدينة فإذا مَوْلاَةٌ لها أتتني فقالت : نحن نريدك للفرش وأنت تطلب الصيد ؟ قد جئتك غير مرة من سيدتي ، بعثت معي ألف دينار وعشرة أثواب وتقول لك : تقـدم إذا شِئْتَ فاخطبني وامهر بها فإن لك عِشْرَة جميلة ، فغدوت فملكتها وأمرتها بالتهيؤ ، ثم أخبرت أبا عبد الله ، فقال : تهيأ للسفر ، وإذا كان ليلة الخميس فادخل المسجدَ وسَلِّم على جدك ، ونحن ننتظرك ببئر زياد بن عبيد الله ، ففعلت ، فأتيته ، فأمر لي بثياب السفر ، وقال : استشعر تقْوَى الله ، وأَحْدِثْ لكل ذنب توبة ، امْضِ فقد كتبت لك إلى معن بن زائدة ، وغيبتك ثلاثة أشهر إن شاء الله ، فإذا جئت صنعا فانزل منزلا وأْتِ معناً ؟ ففعلت ماأمرني به ، ودخلت على معن بإذن عام ، فإذا به قاعداً والناس سماطان قياما ، فسلمتُ فردَّ وقال : مَنْ أنت ؟ فأخبرته ، فصاح : لا والله ، ما أريد أن تأتوني ، بابُ أمير المؤمنين أعْوَدُ عليكم من بابي ، فقلت : أستغفر الله من حُسْنِ الظن بك ، وانصرفت ، فأدركني رجل فقال : قد عَوّضَكَ الله خيراً مما فاتك ، وآتاني ثلاثة آلاف دينار ، وسألني عما أحتاج إليه من الكسوة ، فكتبتها له ، فلما كان بعد العشاء دخل عليَّ معنُ بن زائدة وأكبَّ على رأسي ويدي وقال : يا ابن سيدي وسادتي اعْذِرْني فإني أعرف ما أداري ، وأعطيته كتابَ أبي عبد الله ، فقبله وقرأه ، ثم أمر لي بعشرة آلاف

دينار ، ثم قال : أيُّ شيء أَقْدَمَكَ ، فأخبرته خبرى ، فأمر لى بعشرة آلاف دينار أخرى وثلاث نجائب برحالها ، وكسانى ثلاثين ثوباوغيرها ، ثم وَدَّعنى، فقضيتُ حوائجى وقدمت مكة موافيا لعمرة رمضان ، فوافيتُ أبا عبد الله قَدِمَ مكة ، وسلمت عليه ، فقال : أَصَبْتَ من معن بعد ماجبهك عشرين ألف دينار سوى ما أصبت من غيره ؟ قلت : نعم ، قال : فإن معنا جماعة كانوا يدعون الله لك ، فمر لهم شيء ، فقلت : ذاك إليك ، قال : كم فى نفسك أن تعطيهم ؟ قلت : ألف دينار ، قال : إذاً تُجْحِفُ بنفسك، ولكن فرق عليهم خمسمائة دينار وخمسمائة لمن يعتريك بالمدينة ، ففعلت ، وقدمت المدينة واستخرجت عينا بالمروة وعينا بالمضيق وعينا بالسقيا ، و بنيت منازل بالبقيع ،فترونى أؤدى شكر أبى‌عبدالله وولده أبدا؟ .

عين الخيف عين الخيف ــ تأتى من عوالى المدينة فتسقى ما حول مساجد الفتح ، وهى متقطعة ، وفقرها ظاهرة تسمى اليوم بشبشب .

عين الرسول عين رســول الله صلى الله عليه وسلم ــ تقدمت فى تتمة الفصل الأول من الباب السادس .

عين الشهداء عين الشهداء ــ التى تقدم أن معاوية رضى الله تعالى عنه أجْرَاهَا ، وكانت تسمى الكاظمة ،غير معروفة ، و بقرب عينين‌مجرى عين‌فوقها ثنية تأتى من العالية ، والظاهر أنها غير عين الشهداء .

عين الغوار عين الغوار ــ بالغين المعجمة ، بإضم .

عين فاطمة عين فاطمة ــ سبق لها ذكر فى منازل يهود ، وأنها حيث كان يطبخ اللبن للمسجد النبوى ، و بالحرة الغربية قرب بطحان‌آرام كانت فى مطابخ للآجر قديماً ، كما يظهر من رؤيتها ، وهناك بئر طويلة على هيئة قصب العين [؟] .

عين القشيرى عين القشيرى ــ بطريق‌مكة ، بين السقيا والأبواء ، كثيرة الماء ، لها مشارع، يشرب منها الحاج ، وعليها نخل كثير ، كانت لعبد الله بن الحسن العلوى .

عين مروان عين مروان ــ بإضم ، وكذا اليسرى .

عينين

عينين ــ قال المجد : هو تثنية عين ، وتقدم آنفاً فى عينان ، لكن بعضهم يتلفظ به على هذه الصيغة فى جميع أحواله ، فإن الأزهرى ذكره مبتدئاً فقال : عينين ــ بفتحتين ــ جبل بأحد ، انتهى .

وكذا صنع عياض فى المشارق ، وهو يقتضى أنه بفتح العين والنون الأولى ، وإنما خالف ما سبق فى لزومه لذلك ، لكن المطرى ضبطه بفتح العين وكسر النون الأولى، فلعله كذلك فى كلام الأزهرى ، فلا يكون تثنية عين ، قال المجد: وضبطه بعضهم بكسر العين وفتح النون الأولى ، وليس بثبت .

حرف الغين

الغابة

الغابة — قال فى المشارق : بالموحدة ، مال من أموال عوالى المدينة ، وهو المذكور فى السباق : من الغابة إلى كذا ، ومن أثل الغابة حتى يأتى أحداً من الغابة ، وفى تركة الزبير منها الغابة ، فقد صحف قديماً كثير هذا الحرف فى حديث السباق ، فقال : الغاية ــ أى بالمثناة تحت ــ فرده عليه مالك ، انتهى .

وقال الحافظ ابن حجر تبعاً له : الغابة من عوالى المدينة ، وزاد أنها فى جهة الشام ، انتهى . والغابة إنما هى فى أسفل سافلة المدينة ، لا يختلف فيه اثنان، ولهذا قال : إنها فى جهة الشام، وكيف تكون من عوَالى المدينة وهى مغيض مياه أوديتها كما سبق فى خاتمة الفصل الخامس ؟

وقال الهجرى : ثم تُفْضِى ــ يعنى سيول المدينة ــ إلى سافلة المدينة وعين الصورين بالغابة ، انتهى .

وهى معروفة اليوم فى سافلة المدينة ، وكان بها أملاك لأهلها استولى عليها الخراب ، وكان الزبير بن العوام رضى الله تعالى عنه قد اشتراها بمائة وسبعين ألفاً، وبيعت فى تركته بألف ألف وستمائة ألف .

وروى الزبير بن بكار عن عبيد الله بن الحسن العلوى قال : قال معاوية بن

أبي سفيان لعبد الرحمن بن أبي أحمد بن جحش ، وكان وكيله بضياعه بالمدينة ، يعني أودية اشتراها واعتملها ، فلبث ثم جاء فقال : قد وجدت لك أودية بجهة ، قال: قل ، قال : البلدة ، قال : لاحاجة لي بها ، قال : النخيل ، قال : لاحاجة لي به ، قال : رعان ، قال : لا حاجة لي به ، قال : الغابة ، قال : اشْتَرِها لي ، فقال له ابن أبي أحمد : ذكرت لك أودية لاتعرفها فكرهتها ، وذكرت لك وادياً لاتعرفه وقلت اشْتَرِه ، فقال : ذكرتُ البلدة فبلدت عليّ والنخيل وكان مصغراً ورعان فنهتني عن نفسها والغابة فدلتني على كثرة مائها ، وقد قال الأول :

إن كنت تبغي العلم أو مثله … أو شاهداً يخبر عن غائب

فاخْتَبِرِ الأرض بأسمائها … واعتبر الصاحبَ بالصاحب

قلت : أخذ من لفظ الغابة كثرة مائها لأنها لغةً ذاتُ الشجرِ المتكاثف ، فتغيب ما فيها ، وذلك لكثرة الماء ، وعن محمد بن الضحاك أن العباس رضي الله تعالى عنه كان يقف على سلع فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم ، وذاك من آخر الليل، و بينهما ثمانية أميال.

وقال المجد : الغابة على نحو بريد ، وقيل : ثمانية أميال من المدينة .

قلت : يحمل البريد على أقصاها ، وما بعده على أثنائها ، وأما أدناها فقد سبق في الحفياء .

وقال ياقوت : إن السباع وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم بالغابة تسأله أن يفرض لها ما تأكله ، وروى ابن زبالة حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة بالغابة في غزوة ذي قرد .

ذات الغار ذات الغار — بئر عذبة كثيرة الماء على ثلاثة فراسخ من السوارقية ، وغار الآتي في شاهد مثعر هو من الصدارة نحو شرف السيالة شرقا ، والغار بأحد فوق المهراس ، لما سيأتي في المهراس .

الغبيب — بالضم تصغير غب ، اسمُ موضع مسجد الجمعة . **الغبيب**

ذو عُشث — كصُرَد بمثلثتين ، جبل بحمى ضرية . **ذو عشث**

غدير الأشطاط — بالفتح وشين معجمة وطاءين ، على ثلاثة أميال من عسفان مما يلي مكة . **غدير الأشطاط**

غدير خم — سبق فى الخاء المعجمة . **غدير خم**

غراب — بلفظ الطائر المعروف ، جبل شامى المدينة ، بينها و بين مخيض ، وسبق عن المطرى فيما يجتمع مع السيول برومة . **غراب**

وقال ابن زبالة فى المنازل : كان قوم من الأمم فيما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين إلى طرف أحد .

وقال ابن إسحاق : خرج النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة فسلك على غُرَاب جبل بناحية المدينة على طريق الشام ، ثم على مخيض ، ويقال فيه : غُرَابات بصيغة الجمع ، ومنه الحديث: حتى إذا كنا بغُرَابات نظر إلى أحد ، ويسمى اليوم غر يبات — بالتصغير — قال المجد : و إياه أراد معن بن أوس بقوله :

فمندفع الغلان من جنب منشد فنعف الغراب خطبـه وأساوده

قلت : قال الزبير فى أودية العقيق : ثم راية الغراب ، وفيها يقول معن بن أوس ، وذكر البيت ، وظاهره بعده عن هذا ، وغراب أيضاً : غدير فى طريق الرحضية على يوم من المدينة .

غران — بالضم والتخفيف، اسم وادى الأزرق، خلف أمج بميل ، كما سبق إليه . **غران**

وقال المجد : هو علم مرتجل لوادٍ ضخم وراء وادى ساية ، ويقال له أيضاً : رهاط .

قال ابن إسحاق : غرَان وادٍ بين نخل وعسفان إلى بلد يقال له ساية، وغران: منازل بنى لحيان ، وسبق فى رهاط عن صاحب المسالك والممالك عَدُّه فى توابع المدينة ومخاليفها .

ذو الغراء ذو الغَرَاء ـ بالفتح ممدوداً ، بعقيق المدينة ، له ذكر فى شعر أبى وجرة .

غرة غرة — بالضم والتشديد ، بلفظ غرة الفرس لبياض بجهته ، اسمُ أطُمٍ موضعه منارة مسجد قباء ، وكأنه يروى بالعين المهملة أيضاً ؛ لأن المجد ذكره فيهما .

غزة غزة ـ بالفتح وتشديد الزاى ، منزل بنى خطمة عند مسجدهم ، شبهوها بغزة الشام لكثرة أهلها .

غزال غزال ـ بلفظ واحد الظباء ، وادٍ يأتى من ناحية شَمَنْصِير سكانه خزاعة .

غشية غشية ـ بالفتح وكسر المعجمة وتشديد المثناة تحت ، موضع بناحية معدن القبلية ، وروى بمهملتين .

ذو الغصن ذو الغصن ـ بلفظ غصن الشجرة ، من أودية العقيق .

غضور غضور ـ كجعفر والضاد معجمة آخره راء ، موضع بين المدينة و بلاد خُزَاعة وكنانة ، وقال ياقوت : هى بين مكة والمدينة بديار خزاعة .

ذو الغضوين ذو الغَضَوَيْن ـ محرك بلفظ تثنية الغضى ، قال ابن إسحاق فى سفر الهجرة : ثم تبطَّنَ بهما الدليلُ مرجحا من ذى الغضوين ، ويقال : من ذى العصوين بالمهملتين .

غمرة غمرة ـ بالفتح ثم السكون ما يغمر الشىء ويعمه ، اسمُ موضع بطريق نجد، أغزاه النبى صلى الله عليه وسلم عُكَّاشة بن محصن ، وسماه ابن سعد « غمر مرزوق» بغير هاء ، قال : وهو ماء لبنى أسد .

الغموض الغموض ـ بلفظ الغموض بالضم والضاد المعجمة ، حصن بنى الحقيق بخيبر، وقيل : هو قموص ـ بالقاف والصاد المهملة ـ وهو أقرب .

غميس غَمِيس ـ كأمير والسين مهملة ، تقدم فى العين المهملة .

الغميم الغميم ـ بالفتح، موضع بين رابغ والجحفة ، قاله نصر ، سمى برجل اسمه الغميم، أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أوفى بن موالية ، وشرط عليه إطعام ابن السبيل

والمنقطع، وكتب له كتاباً فى أديم، قاله المجد هنا، وأحال عليه[فى]« كراع الغميم» لكن الأسدى ذكر كراع الغميم فيما بين عسفان ومر الظهران، وقال عياض: إن الغميم وادٍ بعد عسفان بثمانية أميال، والكراع: جبل أسود بطرف الحرة يمتد لهذا الوادى.

قلت: ويؤيده قول ابن هشام: الغميم بين عسفان وضجنان.

الغور الغَوْر - بالفتح ثم السكون، كل ما انحدر مغرباً عن تهامة وما بين ذات عرق إلى البحر، وسمى الغور الأعظم، وموضع بديار بنى سليم، وما سال من أرض القبلية إلى ينبع.

غول غول - كجول، جبل غربى حِلّيت، سبق شاهده فيه، وبه نخل ليس بالقليل.

غيقة غيقة - بالفتح ثم السكون ثم قاف وهاء، موضع بساحل البحر قرب الجار، يصب فيها وادى ينبع ورضوى، قاله عرام.

وقال السكونى: هو ماء لبنى غفار.

وقال ابن السكيت: غَيْقَة: أحساء على شاطىء البحر فوق العذيبة، وغيقة أيضاً: بظهر حرة النار لبنى ثعلبة بن سعد، أو سُرّةُ وادٍ لهم.

حرف الفـــاء

فارع فارع - بالراء والعين المهملتين كصاحب، أطُم كان فى موضع دار جعفر بن يحيى بباب الرحمة، وجاء جلوس النبى صلى الله عليه وسلم فى ظله، وفارع أيضاً: قرية بأعلى ساية بها نخيل وعيون.

فاضجة فاضجة - بكسر الضاد المعجمة وفتح الجيم، مال بالعالية معروف اليوم بناحية جفاف، كان به أطم لبنى النضير عامة، وفاضجة أيضا: وادٍ من شُعَبَى إلى ضَرِية، قاله الهجرى، وفاضجة: انفضاج أى انفراج من الأرض بين جبلين أو جبال.

فاضح　فاضح ـ بكسر الضاد ثم حاء مهملة ، جبل قرب ريم ، وواد فى الشريف من بلاد بنى العير .

فج الروحاء　فج الروحاء ـ بالفتح ثم الجيم ، بعد السيالة ، مرّ به النبى صلى الله عليه وسلم غير مرة .

فحلان　فحلان ـ بلفظ تثنية الفحل ، موضع بجبل أحد ، وفى القاموس فحلان ـ بالكسر ـ موضع فى أحد .

الفحلتان　الفحلتان ـ قنتان مرتفعتان على يوم من المدينة ، بينها و بين ذى المروة عند صحراء يقال لها : فيفاء الفحلين ، لها ذكر فى مساجد تبوك ، وغزاة زيد بن حارثة لبنى جُذَام .

فدك　فدك ـ بالفتح و إهمال الدال ثم كاف ، تقدمت فى الصدقات ، قال عياض : هى على يومين ـ وقيل : ثلاثة ـ من المدينة ، واقتصر المجد على الأول ، واستغرب عدم معرفة أهل المدينة لها اليوم ، وكنت أيضا أستغرب به لشهرتها وقربها ، حتى رأيت كلام ابن سعد فى سرية على رضى الله تعالى عنه إلى بنى سعد بن بكر بفَدَك ، فنقل أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ، فبعث إليهم عليا رضى الله تعالى عنه فى مائة رجل ، فسار الليل وكَمَنَ النهار حتى انتهى إلى العجم وهو ما بين خيبر وفدك ، و بين فدك والمدينة ست ليال ، فوجد به رجلا ، فسألوه عن القوم ، فقال : أخبركم على أن تؤمنونى ، فأمنوه ، فدلهَّم ، فأغاروا عليهم ، وأخذوا خمسمائة بعير وألفى شاة ، وهربت بنو سعد بالظعن ، انتهى .

وسبق قول الأصمعى : حرة النار فدك ، انتهى .

وكان أهلها يهود، فلما فتحت خيبر طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يتركوا له البلد ، فكانت له خاصة ، لأنها مما لم يُوجَفْ عليه بخيل ولا ركاب ، وفى رواية : أنهم صالحوه على النصف ، وأن عمر رضى الله تعالى عنه لما

أجلاهم بعث من قوّمها وعوّضهم من نصفها ، ويجمع بأن الصلح وقع عليها كلها واستعملهم النبي صلى الله عليه وسلم فيها بشطر ثمارها كخيبر ، فمن روى الصلح على الشطر نظر لما استقر عليه الأمر في الثمار .

قيل : وسميت بفدك بن حام ؛ لأنه أول من نزلها .

الفراء

الفراء ـ بالراء والمد كالغراب ، وجاء في الشعر مقصورا ، جبل غربي عير الوأرد ، بينهما ثنية الشريد ، وسبق شاهده ، وفي القاموس : ذو الفراء موضع عند عقيق المدينة .

فرش ملل

فرش ملل ، والفُرَيش مصغره ـ معروفان قرب ملل ، يفصل بينهما بطن واد يقال له مثعر ، كان بهما منازل وعمائر ، كان كثير بن العباس ينزل فرش ملل على اثنين وعشرين ميلا من المدينة .

الفرع

الفرع ـ بضم أوله وسكون ثانيه ثم عين مهملة ،وقال السهيلي: هو بضمتين ، قاله المجد ، والثاني هو الذي اقتصر عليه في المشارق ، وقال في التنبيهات : كذا قيده ابن سيد الناس ، وكذا رويناه ، وذكر عبد الحق عن الأجدل أنه بإسكان الراء ، ولم يذكره غيره ، انتهى . واقتضى ترجيح مانقله المجد عن السهيلي ، لكن قال ابن سيد الناس في غزوة نجران : قال ابن إسحاق : ثم غزا يريد قريشا حتى بلغ نجران معدنا بالحجاز من ناحية الفرع ، قال : والفرع بفتح الفاء والراء قيده السهيلي ، انتهى . فاقتضى أنه عند السهيلي محرك بالفتح ، والمحرك بالفتح من أودية الأشعر قرب سويقة ، بينها و بين مثعر ، على مرحلة من المدينة ، وهو فرع المسور بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري على مانقله الهجري ، وأما الفرع الذي هو بضمتين أو بضمة وسكون ونجران من ناحيته فيما يظهر فهو كما قال عياض عمل من أعمال المدينة ،واسع به مساجد للنبي صلى الله عليه وسلم ومنابر وقرى كثيرة .

وقال المجد : الفرع عن يسار السقيا على ثمانية برد من المدينة ، و بها منبر ونخل ومياه كثيرة ، وهي قرية غنّاء كبيرة ، وأجل عيونها عينان غزيرتان : إحداها

الربض ، والأخرى النجف ، يسقيان عشرين ألف نخله ، وهى كالكورة ، فيها عدة قرى ، سبقت فى آره .

قال السهيلى : يقال ، هى أول قرية مَارَتْ إسماعيلَ وأمه التمر بمكة .

فريقات — فريقات — بلفظ جمع مصغر فرقة ، من أودية العقيق ، وهن عقد يدفعن فى هلوان .

الفضاء — الفضاء — بفتح الفاء والضاد المعجمة و بالمد ، وقال الصغانى : بالقصر ، موضع بالمدينة ، قاله المجد ، وفضاء بنى خطمة تقدم فى منازلهم ، و يُفْضِى إليه سيل بطحان و به يلتقى سيل مهزور ومذينب ، وهو بقرب الماجشونية .

فعرى — فعرى — بسكون العين المهملة كَسَكْرَى ، وقيل : بكسر الفاء ، جبل يصب فى وادى الصفراء .

الفغوة — الفغوة — بسكون الغين المعجمة ، قرية بلحف جبل آرة .

الفقار — الفقار — تقدم ذكره فى حرزة بالحاء المهملة ، وأظنه المعروف اليوم بالفقرة .

الفقير — الفَقِير — ضد الغنى ، اسم موضعين قرب المدينة يقال لهما : الفقيران ، وعن جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقطع عليا رضى الله تعالى عنه أربع أرضين : الفقيرين ، و بئر قيس ، والشجرة ، وقيل : الفقير اسم بئر بعينها ، قاله المجد ، و بعالية المدينة حديقة تعرف بالفُقَيْر بالضم تصغير الفقير بالفتح ، ونقل ابن شبة فى صدقة على رضى الله تعالى عنه أن منها الفقيرين بالعالية ، وأنه ذكر أن حسنا أو حُسَيْنا باع ذلك ، فتلك الأموال متفرقة فى أيدى الناس . ثم حكى كتاب الصدقة نصا ،ولفظه : والفقير لى كما قد علمتم صدقة فى سبيل الله . ثم ذكر تسويغ البيع لكل من الحسن والحسين دون غيرهما ، وسبق فى الصدقات مكاتبةُ سلمانَ سيدَه القرظى على أن يُحْيِي له ذلك النخل بالفقير ، فالظاهر أنه المعروف اليوم بالفقير قرب بنى قريظة ، وإن كان أصله مكبرا فقد صغروه كما صغروا الشجرة فيقولون فيها « الشجيرة » كما سبق .

الفلجان — بالضم ثم السكون ثم جيم ، اسم أرض سقيا سعد بالحرة الغربية . الفلجان

فلجة — بالفتح ثم السكون وفتح الجيم ، من أودية العقيق كما سبق ، قال الزبير: الفلجة
وفيها يقول أبو وجرة السعدى :

إذا تربعت ما بـــين الشريق إلى   روض الفلاج أولاتِ السَّرْح والعنب
واحْتَلّتِ الجوّ فالأجراع من مرج   فمالها من مـــلاحات ولا طلب

فعلم أن المراد بالفـــلاج جمع فلجة المذكور بعد حذف تائه ، و به صرح ياقوت ، فقال : فلجة موضع بعقيق المدينة بعد الصوير سماها أبو وجرة الفلاج ، انتهى . وغاير المجد بينهما واستشهد للفلاج ، وقال : هى كـكتاب رياض بنواحى المدينة جامعة للناس أيام الربيع ، و بها مسايل تجتمع فيها مياه المطر ، ومنها غدير يقال له المختبى ، قال : ومرج واد بين فدك والوابشة .

قلت : فى غدران العقيق مرج ، لـكنه بالزاى . ولعله المراد فى شعر أبى وجرة و بالعقيق مختبيات فليج الثلاثة ، لـكن ذكر عرام السوارقية وقبة الحجر ثم قال : وهناك واد يقال له ذو رولان لبنى سليم فيه قرى ، ثم قال : وبأعلى هذا الوادى رياض تسمى الفلاج ، وذكر ماقاله المجد ، إلا أنه لم يستشهد بالشعر .

فليج : كزبير تصغير فلج بالـكسر أو الفتح ، من العيون التى تجتمع فيها فُيُوضُ أودية المدينة ، قال هلال بن سعد المازنى : فليج

أقول وقد جاوَزْتُ نقمى وناقتى   تحنُّ إلى جنبى فليج مع الفجر

وهو يقتضى أنه بالضم .

فنيق — بالفتح وكسر النون ثم مثناة تحتية وقاف ، موضع قرب المدينة . فنيق

فو يرع — أطم بمنازل بنى غنم من بنى النجار . فويرع

فيفاء الخبار — تقدم فى الخبار من الخاء المعجمة . فيفاء الخبار

فيفاء الفحلين — فى الفحلتين . فيفاء الفحلين

حرف القاف

القائم — القائم ـ كصاحب ، مال لبنى أنيف ، معروف فى قبلة قباء من المغرب .

القار — القار ـ قرية من قرى المدينة كما فى العباب .

القاحة — القاحة ـ بفتح الحاء المهملة ثم هاء ، على ثلاث مراحل من المدينة كما فى البخارى ، وهى قبـل السقيا لجهة المدينة بنحو ميل ، قاله المجد ، قال الحافظ ابن حجر وغيره : ويقال لواديها : وادى العباديد ، وتقدم عن الأسدى أنه يقال له : وادى العائد ، وهو لبنى غفار ، وقال عياض : القاحة واد بالعباديد ، رواه الناس بالقاف إلا القابسى والهمدانى فبالفاء وهو تصحيف ، وفى حديث الهجرة : أجاز القاحة ، قال المجد : الأشهر فيـه القاف ، وروى بالفاء ، وقال عرام : وفى ثافل الأصغر ماء فى دارة فى جوفه يقال له القاحة ،وظاهر إيراد المجد[له]هنا أنه بالقاف، والذى رأيته فى نسختين من كتاب عرام بالفاء والجيم .

القاع — القاع ـ موضع مسجد بنى حرام غربى مساجد الفتح ، وقال المجد : هو أطم البلويين ، عنده بئر عذق ، وما علمت مأخذه فيه ، والقاع أيضاً : بطريق مكة ، وقاع النقيع : بديار سليم .

قباء — قباء ـ بالضم والقصر وقد تمد ، وأنكر البكرى القصر؛ وقال النووى : المشهور الفصيح فيه المد والتذكير والصرف ، وقال الخليل : هو مقصور قرية بعوالى المدينة وقال ابن جبير : مدينة كبيرة كانت متصلة بالمدينة المقدسة ، والطريق إليها من حدائق النخل ، وفى الأحاديث مايقتضى أن منها العصبة و بئر غرس ، فيظهر أن ذلك حدها من المغرب والمشرق ، وآبار عماراتها كثيرة ممتدة فى جهة قبلة مسجدها، ولم أقف على شىء فى حدها الشامى مما يلى المدينة إلا ما سيأتى فى المسافة بينهما ، وفى منازل بنى عمرو بن عوف من الأوس ، قال المجد تبعاً للمشـارق : وهى فى الأصل اسم بئر هناك عرفت القرية بهـا ، ومأخذه قول ابن زبالة : كان بقباء

شخص من يهود له أُطُم بها يقال له عاصم ، كان فى دار ثوبة بن حسين بن السائب ابن أبى لبابة ، وفيه البئر التى يقال لها قباء ، وقال المراغى ومن خطه نقلت : وإنما سميت قباء ببئر كانت بها تسمى هبارا ، فتطيروا منها فسموها قباء كما نقله ابن زبالة ، انتهى . ولعله سقط من النسخة التى وقفت عليهـا من كتاب ابن زبالة لأنى رأيته بخط الأقشهرى : قال ابن زبالة : حدثنى عبدالرحمن بن عمرو العجلانى قال : إنما سميت قباء ببئر كانت بها يقال لها قبار ، فتطيروا منها ، فسموها قباء ، وكانت البئر فى دار ثوبة بن جسين بن أبى لبابة ، انتهى . وقتار فى خط المراغى بالمثناة فوق ، وفى خط الأقشهرى بالباء الموحدة ، قال المجد : وهى على ميلين من المدينة ، وهو قول الباجى ، ونقله النووى عن العلمـاء ، وعبر بمنازل بنى عمرو بن عوف ، وفى مشارق عياض : هى قرية بالمدينة على ثلاثة أميال منها ، وعبر عنه الحافظ ابن حجر بقوله : هى على فرسخ من المسجد النبوى بالمدينة .

قلت : وقد اختبرته من عتبة باب المسجد النبوى المعروف بباب جبريل إلى عتبة مسجد قباء ، فكانت مساحة ذلك بذراع اليد المتقدم وصفه فى حدود الحرم سبعة آلاف ذراع ومائتى ذراع ، تزيد يسيرا ، وذلك ميلان وخمسا سبع ميل على المعتمد من أن الميل ثلاثة آلاف ذراع ، فالأصوب هو الأول ، وإن صحح المطرى الثانى ، ونسب إلى عياض الأول .

وفضائل قباء ومآثرها تقدمت فى مسجدها .

وقباء أيضا : قرية كبيرة لمحارب وعامر بن ربيعة وغيرهم ، بها آبار ومزارع ونخيل ، ذكرها عرام فى ناحية أفاعية ومران ، وذكرها الأسدى فى طريق ضرية إلى مكة على نحو أربع مراحل من ذات عرق ، وذلك بجهة الموضع المعروف اليوم بكشب .

قباب قباب ـ كغراب ، من آطام المدينة ، قاله الصغانى ، وقال ياقوت : هو قبابة كصبابة .

القبلية

القبلية ـ بفتحتين مثال عَرَبية ، كأنه نسبة إلى القَبَل محركا ، وهو النشز من الأرض يستقبلك ، وفى القاموس أنها بالكسر والتحريك و إليها تضاف معادن القبلية ، قال عياض وتبعه المجد : هى من نواحى الفرع ، وفى النهاية:هى ناحية من ساحل البحر بينها وبين المدينة خمسة أيام ، وقيل : هى من ناحية الفرع ، وهو موضع بين نخلة والمدينة ، انتهى . وقال الزمخشرى : القَبَلية سراة فيما بين المدينة و ينبع ، ماسال منها إلى ينبع سمى بالغَوْر ، وما سال منها إلى المدينة سمى بالقبلية ، وحدها من الشام مابين الخبء ـ وهو من جبال بنى عراك من جهينة ـ وما بين شرف السيالة ، أرض يطؤها الحاج ، وفيها جبال وأودية ، انتهى . و يؤيده أن مايذكر أنه بالقبلية ماهو معروف اليوم أنه بهذه الجهة ، فالفرع الذى عمل فيه قرى ليست القبلية منه ، وبالجهة التى ذكرها الزمخشرى فرع المسور بفتحتين كما سبق ، فالظاهر أنه المراد ، و يؤيده أن الزبير نقل عن محمد بن المسور أنه كان بفرع المسور ابن إبراهيم ، قال : فرأى فراس المزنى جبلا فيه عروق مَرْو ، فقال : إن هذا المعدن فلو علمته ، قال محمد بن المسور : فقلت:مالك وله ؟ إنما هو ابتعنا مياهه وقطع لنا سائره أبان بن عثمان فى إمارته ، فقال المزنى : عندى أحق من ذلك قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، و قال محمد: فرجعت إلى إبراهيم فذكرت له ذلك، فقال : صدق إن يكن معدنا فهو لهم ، قطع لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معادن القبلية غوريها وجلسيها ، يشير إلى حديث « أقطع بلالَ بن الحارث المزنى معادن القبلية غوريها وجلسيها ، وذات النصب وحيث صلح الزرع من قدس » وفى رواية « وثنايا عمق » وفى رواية عقب وجلسيها: عشبة وذات النصب وحيث صلح الزرع من قدس إن كان صادقا .

قلت : والجلسى نسبة إلى الجَلْس ، وهو أرض نجد ، يقال لكل مرتفع من الأرض جَلْس ، والغَوْر : ما انهبط من الأرض ، فالمراد أنه أقطعه جميعَ تلك الأرض نجدها وغورها .

قدس قُدْس : بالضم وسكون الدال المهملة ، قال الهجرى : جبال قدْس غربى ضاف من البقيع ، وقدس : جبال متصلة عظيمة كثيرة الخير تنبت العَرْعَر والخزم ، وبها تين وفواكه وفراع ، وفيها بستان ومنازل كثيرة من مزينة ، وسبق أن صدور العقيق ما دفع فى النقيع من قدس ، وذكر الأسدى أن الجبل الأيسر المشرف على عين القشيرى يقال له قدس ، أوله فى العرج وآخره وراء هذه العين ، وقال عرام : ورقان ينقاد إلى الجىّ بين العرج والرويثة ، ويفلق بينه وبين قدس الأبيض ثنية بل عقبة يقال لها ركوبة ، وقدس هذا ينقاد إلى المتعشى بين الفرع والسقيا ، ثم يقطع بينه وبين قدس الأسود عقبة يقال لها حمت ، والقدسان جميعا لمزينة .

القدوم القدوم ــ كصَبور ، جبل . قال المدائنى : قناة واد يمر على طرف القَدُوم فى أصل قبور الشهداء بأحد ، قال الزمخشرى : وقدُوم أيضا ثنِيه بالسَّراة ، وموضع من نعمان ، واسم مختتن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، قال عياض : وأما طرف القَدُوم فى حديث الفريعة فلم يختلف فى فتح القاف فيه ، وقالوه بتخفيف الدال وتشديدها ، قال ابن وضاح : هو جبل بالمدينة ، وأما الذى فى حديث أبى هريرة « قدوم ضان » مفتوحا مخففا فثنية من جبل ببلاد دوس .

قديد قُدَيد ــ كزُبَير ، قرية جامعة بين مكة والمدينة كثيرة المياه ، قاله البكرى ، والمسلك الذى كان به شاه الطاغية ثنية مشرفة عليه ، ويضاف إليه طرف قديد بطريق مكة .

قديمة قديمة ــ بالضم ثم الفتح كجُهَينة ، جبل بالمدينة ، شاهده سبق فيما قيل فى العقيق من الشعر .

قراضم قراضم ــ بالضم وكسر الضاد المعجمة ، موضع بنواحى المدينة ، قال ابن هرْمَة :

فأجزاع كفت فاللِّوَى فقراضم تناجى بليل أهله فتحملوا

قراقر — قراقر ـ بالفتح وقافين ، موضع من أعراض المدينة لآل حسين بن على بن أبى طالب .

القرائن — القرائن ـ ثلاث دور اتخذها عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه ، فدخلت فى المسجد ، وقيل : ثلاث جنابذ له .

قران — قران ـ بالضم وتشديد الراء ، وادٍ بين مكة والمدينة إلى جنب أبلىٰ .

قرح — قرح ـ بالضم ثم السكون ، سوق وادى القرى ، يضاف إليه صعيد قرح ، قاله المجد ، ومقتضاه أن يكون بالراء ، لـكنه بخط المراغى فى مساجد تبوك بفتح الزاى ، وكان به سوق فى الجاهلية ، وقيل : بهذه القرية كان هلاك عاد قوم هود عليه الصلاة والسلام ، وقال عبد الله بن رَوَاحة :

جلبنا الخيل من آجام قُرْحٍ تُغَرُّ من الحشيش لها العُـكُومُ

قرد — قَرَد ـ بفتحتين ، وذو قرد : ما انتهى إليه المسلمون فى غزَاة الغابة ، ولهذا أضيفت الغزوة إليه أيضا ، قال ابن الأثير: هو بين المدينة وخيبر ، على يومين من المدينة ، وقال عياض : هو على نحو يوم من المدينة ممـا يلى بلاد غَطَفَان ، وقال أبان بن عثمان صاحب المغازى : ذو قَرَد ماء لطلحة بن عبيد الله اشتراه فتصدق به على مارة الطريق ، قاله المجد ، والذى سبق فى بيسان ورواه المجد فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر فى غزاة ذى قَرَد على ماء يقال له بيسان ، وذكر ما سبق فيه ، وشراه طلحة وتصدق به .

قردة — قردة ـ كسجدة ، ويقال بالفاء : ماء من مياه نجد ، كان به سرية زيد بن حارثة ، ومات بها زيد الخيل ، قاله مغلطاى .

القرصة — القرصة ـ محركة والصاد المهملة ، ضيعة لسعد بن معاذ ، تقدمت فى مساجد المدينة .

قرقرة الـكديد — قرقرة الـكديد ـ ستأتى فى الـكاف ، والقرقرة أيضا : بخيبر ، سلك بهم الدليل يوم خيبر صدور الأودية فأدركتهم الصلاة بالقرقرة ، فلم يصل رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى نزل بين الشق ونَطَاة ، وفى مغازى ابن عقبة فى قتل ابن رزام اليهودى : فلما بلغوا قرقرة تياز وهى من خيبر على ستة أميال ، وذكر قتله مع أصحابه .

القرية — القرية ـ مصغر كسُمَيَّة ، موضع قرب المدينة ، قال ابن هَرْمَةَ :

انظر لعلك أن ترى بسُوَيْقَةٍ أو بالقُرَيَّةِ دون مغنى عاقل

القرى — القرى ـ جمع قرية يضاف إليها وادى القري الآتى ، وسبق فى العين قرى عرينة .

قسيان — قسيان ـ كعثمان بمثناة تحتية ، وقُسَيَّان مصغرة : من أودية العقيق .

قشام — قشام ـ كغراب بالشين المعجمة ، جبل على أيام من المدينة ، قال جبيهاء لزوجته فى قصة طلبها سكنى المدينة :

إن المدينة لا مدينة فالزمى حقف الستار وفيئة لقشام[1]

قصر إسماعيل — قصر إسماعيل بن الوليد ـ على بئر إهاب ، سبق فيها .

قصر إبراهيم — قصر إبراهيم بن هشام ـ دون بنى أمية بن زيد ، ولعله بالناعمة التى له .

قصر بنى حديلة — قصر بنى حُدَيلة ـ بضم الحاء المهملة ، تقدم فى بيرحاء .

قصر خارجة — قصر خارجة بن حمزة ـ بالعرصة ، وسائر قصور العقيق تقدمت فيه .

قصر خل — قصر خل ـ بالخاء المعجمة ، ويعرف اليوم بحصن خل ، غربى بطحان .

قال ابن شبة : وأما قصر خل الذى بظاهر الحرة على طريق رومة فإن معاوية أمر النعمان بن بشير ببنائه ليكون حصنا لأهل المدينة ، ويقال : بل أمر به معاويةُ مروانَ بن الحكم وهو بالمدينة ، فولاه مروانُ النعمانَ بن بشير ، وفيه حجر منقوش فيه: لعبد الله معاوية أمير المؤمنين مما عمل النعمان بن بشير ، وإنما سمى قصر خل لأنه على الطريق ، وكل طريق فى حرة أو رمل يقال له : خل ، انتهى .

وروى ابن زبالة فى بيرحاء عن أبى بكر بن حزم أن معاوية رضى الله تعالى

(١) فى معجم ياقوت « وقنة الأرجام » .

عنه بنى قصر خل ليكون حِصْناً ، لما كان يحدث أنه يصيب بنى أمية ، وإنما سمى قصر خل لأنه بُنى على خل من الحرة فقيـل له : لو كان كوزماء ما بلغوه حتى يقتطعوا دونه ،فلما شرى بيرحاء بنى قصر بنى حُدَيلة فى موضعها ؛ للذى كان يخاف من ذلك ، وكان قصر خل فى بعض السنين سجناً .

قصر ابن عراك

قصر ابن عراك ـ بجهة مقبرة بنى عبد الأشهل بطريق أحد .

قصر ابن عوان

قصر ابن عوان ـ كان بالمدينة ، وكان ينزل فى شقه اليمانى بنو الجذماء من اليمن قبل الأوس والخزرج ، قاله ياقوت عن نصر .

قلت : وهو الذى قبله ، إلا أن النسخة التى وقعت لنا من كتاب ابن ز بالة « ابن عراك » ولفظه : كان بنو الجذماء مابين مقبرة بنى عبد الأشهل و بين قصر ابن عراك ، انتهى .

قصر ابن ماه

قصر ابن ماه ـ أسفل من بئر هجيم .

قصر مروان

قصر مروان بن الحكم ـ قرب الصورين والصدقات النبوية ، وفى تلك الجهة مواضع تعرف بالقصور ، كل حائط منها يضاف لمسالكه .

قصر نفيس

قصر نفيس ـ بفتح النون وكسر الفاء رجل من موالى الأنصار ، وقصره بحرة واقم على ميلين من المدينة .

قصر بنى يوسف

قصر بنى يوسف موالى آل عثمان ـ أسفل من قصر مروان مما يلى النقال والنقيع .

ذو القصة

ذو القصة ـ بالفتح وتشديد الصاد ، موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد ، خرج إليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقطع الجنودَ وعقدالألوية ، قاله المجد ، وقال الأسدى : إنه على خمسة أميال من المدينة ، وقال نصر : أربعة وعشرين ميلا ، وقال ابن سعد : سرية محمد بن مسلمة إلى بنى ثعلبة و بنى عوال، وهم بذى القصة ، بينه و بين المدينة أربعةوعشرون ميلا،[على]طريق الربذة،وذو القصة أيضاً:موضع

بين ز بالة والشقوق ، دون الشقوق بميلين ، فيه قُلُب للأعراب يدخلها ماء السماء، وليس هو من عمل المدينة ، فإنه قبل فيد بأيام بجهة العراق .

القصيبة القصيبة — بالضم وفتح المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الموحدة ، وادٍ بين المدينة وخيبر ، وسيأتى فى وادى الدوم .

ذو القطب ذو القطب — بالضم وسكون الطاء المهملة ، من أودية العقيق .

القف القف — بالضم والتشديد ، أصله ما ارتفع من الأرض وغلظ ، وكان فيه إشراف على ما حوله وأحجار كالإبل البُرُوك ، وقد تكون فيه رياض وقيعان ، وهو عَلَم لوادٍ من أودية المدينة فيه أموال لأهلها ، وسبق له ذكر فى زهرة ، وكان بنو ماسكة مما يلى صدقة النبى صلى الله عليه وسلم لهم الأُطمان اللذان فى القف فى القرية ، كما سبق ، وسبق أن حَسْناء أَحَدَ الصدقات بالقف تشرب بمهزور ، وأن الظاهر أنها الموضع المعروف بالحسينيات ، ويؤيده أن الحسينيات فى شامى المشربة بقربها ، وهى من القف ، قال الزبير فيما نقله ابن عبد البر : إن مارية ولدت إبراهيم عليه السلام بالعالية فى المال الذى يقال له اليوم مشربة أم إبراهيم بالقُفّ ، وأسند أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له قطعة غنم ترعى بالقُفّ تروح على مارية .

وروى أبو داود عن ابن عمر : أن نَفَراً من اليهود دَعَوْا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القف ، فأتاهم فى بيت المِدْرَاس ، وقد سبق بيان بيت المِدْرَاس فى مسجد المشربة .

وفى الموطأ أن رجلا من الأنصار كان يصلى فى حائط بالقف ، وادٍ من أودية المدينة فى زمان التمر والنخل ، قد ذللت فهى مطوقة بتمرها ، فنظر إليها فأعجبه ما رأى من تمرها ، ثم رجع إلى صلاته فإذا هو لا يدرى كم صلى ، فقال : لقد أصابنى فى مالى هذا فتنة ، فجاء عثمان وهو خليفة ، فذكر له ذلك ، فقال : هو صدقة فاجعله فى صدقة الخير ، فباعه عثمان بخمسين ألفا ، فسمى ذلك المال « الخمسين » .

وبقرب الحسينيات مال يعرف بالثمين ، بمعنى كثير الثمن ، فلعله هو فغير اسمه .

القلادة القلادة ـ بلفظ قلادة العنق ، جبل من جبال القبلية .

قلهى قلهىّ ـ بفتحتين وكسر الهاء و بالياء المشددة ، حفيرة قرب المدينة لسعد ابن أبى وقاص ، اعتزل بها بعد قتل عثمان ، وأمر أن لا يُحَدَّثَ بشىء من أخبار الناس حتى يصطلحوا .

وقال ابن السكيت : قَلَهِىّ مكان به ماء لبنى سليم ، وفى أبنية كتاب سيبويه قلهيا و برديا ، قالوا فى تفسيره : قلهيا حفيرة لسعد بن أبى وقاص ، وقال كثير :

ولكن سقى صوب الربيع إذا أتى إلى قلهيا الدار والمتخيا

قلهى قَلهى ـ بفتحات كجَمَزَى ، وحكى بعضهم سكون لامه ، قرية بوادى ذى رولان لبنى سليم ، قاطبة ، وهى التى عنى ابن السكيت ، وأنشد لزهير :

إلى قَلَهى تكون الدار منا إلى أكناف دومة والحجون

بأودية أسافلهن روض وأعلاها إذا خفنا حُصُون

وقال ياقوت : وأما قَلْهى بسكون اللام فقال عرام : بالمدينة وادى ذى رولان به قرى منها قلهى ، وهى كثيرة ، وقلهى فى قول زهير :

إلى قلهى تكون الدار منا إلى أكناف مكة والحجون

فإنى أظنه موضعا آخر ، انتهى .

القموص القَمُوص ـ كصبور بالصاد المهملة ، جبل بخيبر، كذا فى العباب، وقيل: حصن، وقيل : جبل عليه حصن لبنى الحقيق اليهودى، وهو أصوب ، وقيل: الحصن بالغين والضاد المعجمتين ، وذكر موسى بن عقبة فى غزوة خيبر أن اليهود دخلوا حصنا لهم منيعا يقال له القَمُوص ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من عشرين ليلة ، ثم ذكر خروج مَرْحَب و إعطاء الراية لعلى وقَتْلَ مَرْحَب .

قناة قناة ـ أحد أودية المدينة المتقدمة .

قنيع قنيع ـ بالضم وفتح النون ثم مثناة تحتية ، تقدم فى حمى ضرية .

القواقل القواقل ـ بقافين ، أطم بطرف منازل بنى سليم مما يلى العصبة .

القويع — بالفتح والموحدة ، من أودية العقيق . **القويع**

قوران — وادٍ يصب فى الحرة ، يبطنه قرية تسمى الملحاء من قرى السوارقية فيه مياه آبار كثيرة عذاب ونخل . **قوران**

قورى — كسكرى ، تقدم فى بعاث ، والظاهر أنه الحائط المعروف اليوم بقوران شرقى المدينة أسفل الدلال ، لما سبق فى بعاث . **قورى**

قَيْنُقَاع — بالفتح ثم سكون المثناة تحت وضم النون وكسرها وفتحها ثم قاف وألف وعين مهملة ، شَعْب من يهود يضاف إليهم سوق بنى قَيْنُقَاع لأنه كان بمنازلهم كما سبق . **قينقاع**

حرف الكاف

كاظمة — بالظاء المعجمة ، قال ابن مرزوق فى شرح البردة : رأيت ولا أتحقق الآن محله أن كاظمة موضع بقرب المدينة المشرفة ، وقال الأصمعى : يخرج — أبى مريد مكة — من البصرة إلى كاظمة فيسير ثلاثا ، وماؤها ملح صلب ، انتهى . **كاظمة**

وقال ياقوت بعد ذكر ماقاله الأصمعى : وكاظمة أيضا موضع ذكره أبو زياد .

قلت : ولعله الذى عناه ابن مرزوق .

كبا — بالفتح والتشديد مقصور كحتّى ، موضع ببطحان ، قال الكلبى : كان بالمدينة مخنث يقال له البغاشى ، فقيل لمروان : إنه لا يقرأ من القرآن شيئا ، فاستقرأه أم القرآن ، فقال : والله ما أقرأ بناتها ، فكيف الأم ؟ فقال مروان : أتهزأ بالقرآن ؟ وأمر به فضربت عنقه بموضع يقال له كبا فى بطحان . **كبا**

كتانة — بالضم ثم مثناة فوقيه وألف ونون مفتوحه وهاء ، عين بين الصفراء والأثيل لبنى جعفر بن أبى طالب .

كتيبة — بلفظ كتيبة الجيش ، وقال أبو عبيد : بالثاء المثلثة ، حصن بخيبر ، كان خمس الله وسهم رسوله صلى الله عليه وسلم وذوى القربى واليتامى والمساكين **كتيبة**

وطعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وطعم رجال مَشَوْا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين أهل فدك فى الصلح .

وقال الواقدى بعد ذكر فتح الشق والنطاة : ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم تحول إلى الكتيبة بالوطيخ والسلالم ، حصن ابن أبى الحقيق الذى كانوا فيه فتحصنوا أشد التحصن ، وجاءهم كل فَلٍّ انهزم من النطاة والشق فتحصنوا معهم فى القبوص وهو فى الكتيبة ، وكان حصناً منيعا فى الوطيخ والسلالم ، وذكر محاصرة النبى صلى الله عليه وسلم لهم أربعة عشر يوما ، وهمُّهُ بنصب المنجنيق ، وسؤالهم الصلح على حقن دماء مَنْ فى حصونهم وترك الذرية لهم ، و يخلون مالهم من مال وأرض والصفراء والبيضاء والكراع والحَلْقة والبز إلا ثوبا على ظهر إنسان .

كدر كدر ـ بالضم جمع أكدر يضاف إليه « قرقرة الكدر » والقرقرة : أرض ملساء ، والكدر : طير فى لونه كدرة ، يسمى بذلك موضع بناحية المعدن قرب الرحضية .

وفى طبقات ابن سعد : قرقرة الكدر ـ و يقال : قرارة الكدرة ـ بناحية معدن بنى سليم قريب من الأرحضية ، وراء سد معاوية ، خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمع من سُليم ، فوجد الحى خلوفا ، فاستاق النعم ، ولم يلق كيدا ، و بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة السويق يطلب أبا سفيان ، وكان سلك النجدية بعد أن أحرق صورا بالعريض .

وقال ابن إسحاق فى غزوة بنى سُلَيم : فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر ، فأقام عليه ثلاث ليال .

وقال عرام : فى حرم بنى عوال مياه آبار ، منها بئر الكدر ، وذلك بجهة الطرف ، قال كثير :

سَقَى الكُدْرَ فاللعباء فالبرق فالحمى ... فكود الحصى من يعملين فأظلما[1]

---

(١) فى معجم ياقوت « فلوذ الحصى من تغلمين فأظلما »

الكديد — بالفتح ودالين مهملتين بينهما مثناة تحت ساكنة ، وادٍ قرب النخيل يقطعه الطريق من فيد إلى المدينة ، على ميل منه مسجد تقدم ، وقال بعضهم : هو قرب نخل ، والمعروف اليوم ما سبق . والكديد أيضا : عين بعد خليص بثمانية أميال لجهة مكة يمنة الطريق . الكديد

كراع الغميم — فى الغين المعجمة . كراع الغميم

الكر — بالضم ، جزيرة على البحر المالح على ستة أميال من الجحفة . الكر

كشب — بالمعجمة ككتب ، جبل أسود تعرف به ناحيته ، وبها ينزل أمراء المدينة أحيانا . كشب

الكفاف — بالكسر ، موضع قرب وادى القرى . الكفاف

كفت — بالفتح ثم السكون ، من نواحى المدينة ، شاهده فى قرى إضم . كفت

كفتة — بزيادة هاء فى آخره ، اسم لمقبرة بقيع الغرقد ؛ لأنها تسرع البلى كما سبق عن الواقدى فى الفصل الخامس من الباب الخامس ، وقال المجد : سميت به لأنها تكفت الموتى ، أى تحفظهم وتحرزهم . كفتة

الكلاب — بالضم مخففا آخره موحـــدة . ماء بناحية حمى ضرية ، قال الفرزدق : الكلاب

ملوكٌ منهمُ عمرو بن عمرو وسفيان الذى ورد الكلابَا

أى سفيان بن مجاشع ، كان يوم الكُلاَب أول الناس وَرَدَه .

كلاف — بالضم آخره فاء ، وادٍ من أعمال المدينة . كلاف

كلب — أُطمٌ من آطام المدينة ، ورأس الكلب : جبل . كلب

كُلَيّة — تصغير كلية ، قرية بطريق مكة ، وقال الأسدى : وعلى اثنى عشر ميلا من الجحفة إلى القاع بها بئر مالحة يقال لها كلية ، فتحها ذراعان وعندها حوانيت كلية

كلى — ككسرى ، اسم بئر ذروان ، قال ابن الكلبى فى رواية قصة السحر عن ابن عباس : تحت صخرة فى بئر كلى ، قاله المجد . كلى

كنس حصين — كُنْسُ حُصَيْنٌ — بالفتح وسكون النون و إهمال السين ، وحُصَين : تصغير حصن ، أطم كان عند المهراس بقباء .

كواكب — كواكب — بضم الكاف الأولى وقد تفتح ، وكسر الثانية، جبل بين المدينة وتبوك ، سبق فى مساجدها ، وقال أبو زياد الكلابى : الكواكب جبال عدة فى بلاد أبى بكر بن كلاب .

كوثر — كَوثر — جبل بين المدينة والشام،وقرية بالطائف، وكان الحجاج الثقفى مُعَلما بها

كومة — كومة أبى الحمراء الرابض — كومة تراب كأنها آطام قريبة من ثمغ فى شامى المدينة ، وآخر بطن مهزور كومة أبى الحمراء ، ثم تصب فى قناة كما سبق ، ولعلها كومة المدر .

كوير — كُوَيْر — كزبير ، جبل بضرية .

الكويرة — الكويرة — كالذى قبله بزيادة هاء ، من جبال القَبَلية .

كيدمة — كيدمة — بالفتح وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة والميم ثم هاء ، سهم عبد الرحمن بن عَوْف رضى الله تعالى عنه من أموال بنى النضير ، تقدمت فى بئر أريس ، فى الأوسط للطبرانى بإسناد حسن أن عبد الرحمن بن عوف باع كيدمة من عثمان بأربعين ألف دينار ، وأنه قسم ذلك بين بنى زهرة وفقراء المسلمين وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم .

حرف اللام

لأى — لأى — بوزن لعا ، من نواحى المدينة ، قال ابن هرمة :

حىّ الديار بمسند فالمنتضى ... فالهَضْب هضب رواوتين إلى لأى

اللابتان — اللابتان — تثنية لابة وهى الحرة ، وهما حرتا المدينة الشرقية والغربية ، وقال الأصمعى : اللابة الأرض التى ألبست الحجارة السود .

لأى — لأى — كلَحْى بهمزة ساكنة ثم ياء ، من أودية العقيق ، وقال المجد : موضع بالعقيق ، وهو غير لأى المذكورة أولا ، قال مَعْنُ بن أوس :

تغير لأىٌ بعدنا فعتائده ... فذو سَلَم أنشاجه فسواعده

لحيا جمل

لحيا جمل ـ بالفتح ثم السكون تثنية لحى وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان السفلى ، وجمل : بالجيم للبعير ، وروى « لحى جمل » بالإفراد ، وروى بكسر اللام ، والفتح أشهر ، وسبق بيانه فى مسجد « لحى جمل » من مساجد طريق مكة ، ولحيا جمل أيضا : جبل بطريق فيد على ستة أميال من الأحرجة ، قال الأسدى : سميا بذلك لأنهما نشزا وامتدا واقترب ملتقاهما ، فشبها باللحيين ، وقال المجد فى جمل : ولحى جمل أيضا بين المدينة وفيد على عشرة فراسخ من فيد ، ولحى جمل أيضا : موضع بحران وتثليث ، ولحيا جمل بالتثنية : جبلان بالمدينة فى ديار قشير .

لظى

لظى ـ بالقصر والفتح من أسماء النار ، وذات لظى : منزل ببلاد جُهَينة فى جهة خيبر ، ويقال « ذات اللظى » أيضا .

اللعباء

اللعباء ـ بالموحدة ممدودا ، موضع كثير الحجارة بحزم بنى عوال ، قاله فى القاموس ، وسبق فى عوال ما يخالفه ، وقال ياقوت : لعباء ماء سماء فى حزم بنى عوال ، جبل لغطفان فى أكناف الحجاز ، واللعباء : أرض غليظة بأعلى الحمى لبنى زنباع من بنى أبى بكر بن كلاب .

لعلع

لعلع ـ بعينين مهملتين ، جبل قرب المدينة ، وجبل بمكة ، وماء بالبادية ، ومنزل بين البصرة والكوفة .

لفت

لفت ـ بالفتح ، وقيل : بالكسر ، وقيل : بالتحريك ، ثنية بطريق مكة إلى المدينة أقرب ، وقيل : وادٍ بجنب هَرْشَى .

لقف

لقف ـ بالكسر وسكون القاف ثم فاء ، آبار عذبة ليس عليها مزارع ولا نخل ، بأعلى قوران وادٍ بناحية السوارقية ، وفى لقف ولفت وقع الخلاف فى حديث الهجرة ، وكلاهما صحيح ، هذا موضع وذاك آخر ، قاله المجد ، والصحة من حيث وجود الموضعين مُسَلمة ، لكن ناحية السوارقية ليست فى طريق الهجرة .

اللوى

اللوى ـ بالكسر والقصر كإلى ، أطم ببنى بياضة ، ووادٍ بمنازل بنى سليم ،

وموضع بين رملة الدملول و بين الجريب على أر بعين ميلا من ضرية ، وسبق له شاهد فى حرة النار ، وقال بعضهم :

لقد هاج لى شوقا بكاء حمامة   ببطن اللوى ورقاء تصرخ بالفجر
هَتُوف تبكى ساقَ حُرٍّ ولا ترى   لها عَبْرَةً يوما على خدها تجرى

حرف الميم

المابة   المابة ـ مال لبنى أنيف بقباء ، كان بينه و بين القائم أطمان لهم .

الماجشونية   الماجشونية ـ نسبة إلى الماجشون ، علم معرب ، مال بوادى بطحان بقر به تر بة صعيب .

المثب   المثب ـ مهموز كمنبر والثاء مثلثة ، فى اللغة : ما ارتفع من الأرض ، وكذا الأرض السهلة ، وهو اسم لإحدى صدقات النبى صلى الله عليه وسلم ، كما سبق فيها ، وفى القاموس : هو جبل أو موضع كان به صدقة النبى صلى الله عليه وسلم .

قلت : ووقع فى كتاب يحيى ميثم بميم فى آخره بدل الموحدة والأول أصوب .

وقال ياقوت : إنه بكسر الميم والياء الساكنة والمثلثة والباء الموحدة ، ومقتضى كلامه أنه غير مهموز ، فإنه أورده أواخر الحرف فى الميم مع الياء المثناة تحت .

المأثول   المأثول ـ بضم المثلثة آخره لام ، من نواحى المدينة .

مبرك   مَبْرَك ـ كمَقْعَد ، مكان بركت فيه راحلة النبى صلى الله عليه وسلم ببنى غنم عند مسجده ، وهو معروف اليوم بالمدرسة الشهابية التى بنيت فى موضع دار أبى أيوب كما سبق فى الفصل الحادى عشر من الباب الثالث ، ومبرك أيضا: نقب يخرج من ينبع إلى المدينة ، عرضه نحو أر بعة أميال أو خمسة ، تنسب إليه ثنية مبرك ، وهو معروف اليوم ، و إياه عنى كثير بقوله :

* فقد جعلت أشجان برك يمينها *

قال المجد : الأشجان المسائل ، وبرك ههنا : نقب يخرج إلى المدينة ، وذكر ما تقدم ، قال : وكان يسمى مبركا ، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن السكيت فى قول كثير :

إليك ابن ليلى تمتطى العيس صحبتى ترامى بنا من مبركين المثاقل

أراد مبركا ومناخا فَثَنى ، وهما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق يلبل وفيه طريق المدينة ، ومناخ على قفا الأشعر .

مبضعة — بالضاد المعجمة ، بين الجى والرويثة ، قال ابن عاديا : مبضعة

ولم أر غيرهن مجلجلات كأن ببطن مبضعة كلابا

مُتَابِع — بالضم والمثناة فوق ، جبل عن يمين أمرة بحمى ضرية ، وقال ياقوت : متابع متالع بضم الميم وكسر اللام : ماء شرقى الظهران عند الفوارة فى جبل القنان ، والظهران : جبل فى أطراف القنان ، وهو غير الوادى الذى قرب مكة .

مثعر — بالمثلثة والعين المهملة كمقعد ، ويروى بالغين المعجمة ، من أودية مثعر القَبَلية بين الثاجة وحورة ، ويدفع فيما بين الفرش والفريش ، قال ابن أذينة :

عفا بعدنا ذات السليم فمثعر ففرق فما حول الجراديج مقفر

مثقب — بالكسر ثم السكون وفتح القاف ثم موحدة ، اسم الطريق التى مثقب بين المدينة ومكة ، قيل : سمى باسم رجل من أشراف حمير ، بعثه بعض ملوكها على جيش فَسَلَكه ، ومثقب أيضا : طريق مكة إلى الكوفة ، وعن الأصمعى فتح ميمه .

المجتهر — تقدم فى حدود الحرم . المجتهر

المجدل — أطم بمزرعة تقابل سقاية سليمان بن عبد الملك ، وقال ياقوت : هو المجدل بالفتح ثم السكون وفتح الدال المهملة منزل لهذيل

مجر — بالفتح ثم السكون ثم راء ، غدير كبير بين هضبات ببطن قوران حول مجر الملحاء بناحية السوارقية ، ويقال للهضبات : ذو مجر .

المحضة — المحضة ـ بالحاء المهملة من المحض للخالص ، قرية بلحف جبل آرة .

مخنب — مخنب ـ بالضم ثم الفتح وكسر النون المشددة ثم موحدة ، بئر وأرض بناحية طريق العراق .

المحيصر — المحيصر ـ تصغير المحصر من الحصار ، موضع قرب المدينة ، قال جرير :

بين المحيصر والعـــزاف منزلة كالوحى من عهد موسى فى القراطيس

محيص — محيص ـ بالفتح ثم الكسر والصاد المهملة كمليك ، موضع بالمدينة ، قال الشاعر :

اسْلُ عَمَّنْ سلا وصالك عَمْداً وتصابى وما به مِنْ تَصَابِ

ثم لا تنسها على ذاك حتى يسكن الحى عند بئر رئاب

فإلى ما يلى العقيق إلى الجما وسلع ومسجد الأحزاب

فمحيص فواقـــم فصؤار فإلى ما يلى حجاج غراب

المخاضة — المخاضة ـ بالخاء المعجمة ، بقاع فى حوزة اليمانية .

مخايل — مخايل ـ بالضم وكسر المثناة تحت آخره لام ، من أودية العقيق ، وقال الخلصى : مُخايل ثلاث عقد ، فالعلياء تصب فى أفلس ، والثنتان على حضير ، قال نمير مولى عمر :

ألا قالت أثيلة إذ رأتنى وحلو العيش يذكر فى السنين

سكنت مُخَايلا وتركت سَلْعا شقاء فى المعيشة بعد لين

المختبى — المختبى ـ غدير بالفلاج من وادى ذى رولان ، سمى بذلك لأنه بين عَضَاه وسلم وسدر وجلاف ، وإنما يؤتى من طرفه دون جنبيه ، لأن له حرفين لا يقدر عليه من جهتهما ، قاله عرام ، ومختبيات فليح : تقدمت فى غدر العقيق .

مخرى — مخرى ـ بالضم ثم الفتح وكسر الراء المشددة اسم فاعل من خرّاه إذا أسلحه ، اسم لأحد جبلى الصفراء ، واسم الآخر مسلح ، ولذلك كره النبى صلى الله عليه وسلم المرور بينهما كما سبق . وسبب تسميتهما بذلك أن عبد الغفار كان يرعى بهما

غنما فرجع يوما من المراعى فقال له سيده : لِمَ رجعت ؟ فقال : هذا الجبل مسلح للغنم ، وهذا مخرى لها .

مخيض — بلفظ مخيض اللبن ، جبل سلك عليه النبى صلى الله عليه وسلم ثم على غُرَاب ، وسبق فى حدود الحرم .

المدارج — عقبة العرج ، قبله بثلاثة أميال مما يلى المدينة ، قاله الأسدى ، و بها ثنية الغاير وركو بة ، وقال الأصمعى : طرف تهامة من جهة الحجاز مدارج العرج ، و إذا تصو بت من ثنايا العرج فقد أتهمت ، وقال ذو البجادين فى رجزه وقد سلكها مع النبى صلى الله عليه وسلم :

تعرضى مَدَارجا وسُومى   تَعَرُّضَ الجوزاء للنجوم

* هذا أبو القاسم فاستقيمى *

مدجج — بالضم وتشديد الجيم المكسورة كما فى النهاية ، من « دجّج » إذا لبس السلاح ، وادٍ بطريق مكة ، زعموا أن دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلكه فى سفر الهجرة .

مدران — يضاف إليه « ثنية مدران » فى مساجد تبوك ، ذكره المجد هنا على الصواب ، ثم أعاده فى مردان بتقديم الراء على الدال ، وقال : إنه اسم للموضع المذكور .

المدرج — بفتح الراء المشددة من « دَرَّجَه » إذا رفعه دَرَجَةً بعد أخرى ، اسم مُحدَث لثنية الوداع ، قاله المجد بناء منه على أنها من جهة طريق مكة ، فجعلها الثنية التى تنحدر على العقيق .

مِدْعى — بالكسر ثم السكون والعين مهملة مقصورة ، وقيل : الذال معجمة ، ماء لبنى جعفر بن كلاب بناحية ضرية ، وقال الهجرى : وادى مِدْعى يصبّ فى ذى عثث ، وذو عثث من أكرم مياه الحمى ، وقال العامرى : مدعى ورقا ما آن لغنى بينهما ضحوة ، و بمدعى بئر لبنى جعفر ، قال الشاعر :

فَلَنْ تَرِدِي مدعى ، ولن تردى رقا ولا النقر إلا أن تخـــلى الأمانيا

ولن تسْمَعِى صوت المهيب عشيةً بذى عُشَث يدعو القِلَاصَ الشواليا

مدين — مدين — نقل المقريزى عن محمد بن أسهل الأحول أنها من أعراض المدينة مثل فدك والفرع ورهاط ، قال المقريزى : ومدين على بحر القُلْزُم تحاذى تَبُوك على نحو ست مراحل ، وهى أكبر من تبوك ، وبها البئر التى استقى منها موسى عليه الصـــلاة والسلام لسائمة شعيب وعمل عليها بيتاً ، انتهى .

المذاد — المذاد ـ بالفتح ثم ذال معجمة وآخره مهملة من « ذَادَه » إذا طرده ، اسمُ أُطم لبنى حَرَام من بنى سلمة غربى مسجد الفتح ، به سميت الناحية ، وعنده مزرعة تسمى بالمذاد ، قال كعب بن مالك يوم الخندق :

مَنْ سَرَّه ضَرْب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المُحْرَق

فليأتِ مأسَدَةً تســـل سيوفها بين المَذَاد وبين جزع الخندق

المذاهب — المذاهب ـ موضع بنواحى المدينة .

مذينب — مذينب ـ تصغير مذنب ، تقدم فى الأودية .

المرابد — المرابد ـ جمع مربد ، موضع بعقيق المدينة ، قال معن بن أوس :

فذات الحماط خرجها وطلوعها فبطن العقيق قاعه فمرابده[1]

كذا أورده المجد ، والذى فى كتاب الزبير .

* فبطن النقيع قاعه فمرابده *

مراخ — مراخ ـ بالضم آخره خاء معجمة ، سبق فى أودية العقيق مما يلى القبلة فى المغرب ، ويقال له « مراخ الصحرة » وبئر معروف اليوم .

المراض — المراض ـ كسَحَاب ، موضع بناحية الطرف على ستة وثلاثين ميلا من المدينة ، قاله ابن سعد ، ويضاف إليه « روضات المراض » ويروى بكسر الميم .

---

(١) فى معجم ياقوت « فبطن البقيع » .

مران

مران ـ بالفتح وتشديد الراء آخره نون ، وحكى ضم أوله ، موضع على ثمانية عشر ميلا من المدينـة ، كذا قال عياض ، وقال المجد : مران فى كتاب مكة ، يعنى « مرّ الظهران » المتقدم فى مساجد طريق مكة بقربها ، فإنه يقال فيه « مران » فكأنه ينكر مقالة عياض ، لـكن فى عمل المدينة مران أيضاً ، وإن لم يكن على المسافة التى ذكرها عياض ، فقد سبق فى الجموم أنه بين قباء ومران ، وليست قباء التى بالمدينة ، بل بجهة أفاعية قرب معدن بنى سُلَيم ، قال عرام : مران قرية غَنَّاء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخل والمزارع على طريق البصرة لبنى هلال وجزء لبنى ماعز[1] ، وبها حصن ومنبر ، وفيها يقول الشاعر :

مررنا على مران يوماً فلم نَعُجْ على أهل آجام به ونخيـل

ثم ذكر قباء .

قلت : وهى بالجهة المعروفة اليوم بكشب .

المراوح

المراوح ـ بالفتح جمع مروح ، أطم بقباء كان لثابت من بنى ضبيعة .

المربد

المربد ـ بالـكسر ثم السكون ثم موحدة مفتوحة ودال مهملة ، تقدم فى بناء المسجد النبوى أنه كان مِرْبَداً ، وكذا مسجد قباء ، والمرابد كثيرة بالمدينة .

مربد النعم

مربد النعم ـ تيمم ابن عمر عنده كما فى البخارى ، وترجم عليه بالتيمم فى الحضر ، ورواه الشافعى بسند صحيح بلفظ أن ابن عمر أقْبَل من الجرف حتى إذا كان بالمربد تيمم وصلى العصر ، فقيل له : أتتيمم وجُدْرَان المدينة تنظر إليك ؟ فقال : أو أحيا حتى أدخلها ؟ ثم دخل المدينة والشمس حية مرتفعة ولم يُعِدِ الصلاة .

وقال الهجرى : مربد النعم على ميلين من المدينة ، وقال غيره : على ميل ، وهو الأقرب ، قال الواقدى فى الأصطفاف فى وقعة الحرة على أفواه الخنادق :

---

(١) فى أصل هذا الـكتاب « لبنى هلال وجسر وبنى ماعر » تحريف مضحك .

كان يزيد بن هرمز فى موضع ذباب إلى مربد النعم معه الدُّهْم من المَوَالى وهو يحمل رايتهم ، قال الواقدى : ومربد النعم كانت النعم تحبس فيه زمن عمر ابن الخطاب .

مربع — مربع — كمنبر ، أطم فى بنى حارثة .

مرتج — مرتج — بالفتح ثم السكون وكسر المثناة فوق آخره جيم ، وادٍ قرب المدينة لحسن بن علىّ رضى الله تعالى عنهما ، وقيل : موضع قرب ودان .

مرجح — مرجح — بجيم مفتوحة ثم حاء مهملة، موضع بطريق مكة، وقال ابن إسحاق فى سفر الهجرة : ثم سلك بهما الدليلُ مرجح مجاج ، ثم تبطّن بهما مرجحاً من ذى العضوين، ثم بطن كشد ، ثم على الجداجد، ثم ذكر الأجرد وذا سلم وتعهن.

وكان المنذر بن ماء السماء الملك نزل على مراد مُرَاغماً لأخيه عمرو بن هند ، فتجبر عليهم فقتله المكشوح المرادى ، وقال :

نحن قَتَلْنَا الكَبْشَ إذ ثرنا به ... بالخل من مرجح قمنا به[؟؟]

وقال قيس بن مكشوح لعمرو بن معدى كرب :

وأعمامى فَوَارسُ يوم لحج ... ومرجح إن شككت ويوم شام

مرحب — مرحب — بالحاء المهملة كمقعد ، طريق سلكه النبى صلى الله عليه وسلم لخيبر ، وكان الدليل انتهى به إلى موضع وقال : إن لها طرقا تؤتى منها كلها ، فقال : سَمِّها لى ، فقال : طريق يقال لها حزن ، قال : لا تسلكها ، قال : طريق يقال لها شاش ، قال : لا تسلكها، قال: طريق يقال لها حاطب ، قال: لا تسلكها، ما رأيت كالليلة أسماء أقبح ، قال : لها طريق واحدة لم يبق لها غيرها اسمها مرحب فقال : نعم اسلكها .

ذو المرخ — ذو المرخ — بالخاء المعجمه وسكون الراء ، موضع قرب ينبع بساحل البحر .

ذو مرخ — بفتحتين وقد تسكن الراء ، وادٍ بين فدك والوابشية ، قال الحطيئة: ذو مرخ

ماذَا تقولُ لأفْرَاخٍ بذى مَرَخٍ زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجر

وأورد المجد هنا شاهد فلجة المتقدم فيها ، والظاهر أن الذى فيه إنما هو مزج الآتى غير أنه حرك الزاى ، لكن قال ياقوت : ذو مرخ بفتح الراء والخاء المعجمة بالعقيق ، قال الزبير: مرخ وذو مرخ فى العقيق ، وأنشد لأبى وجزة :

واحتلت الجو فالأجراع من مرخ

وأنشد لابن المولى المدنى :

هل تذكرين بجنب الروض من مرخ يا أملح الناس وَعْداً شــــفنى كمدا

مروان — تثنية مَرْو للحجارة البيض البراقة ، جبل بأكناف الربذة ، وقيل : حصن . مروان

ذو المروة — بلفظ أخت الصفا، على ثمانية بُرُد من المدينة كما سبق فى مساجد تَبُوكَ ، وقال المجد : هى قرية بوادى القرى ، وهو مأخوذ من قول ياقوت : ذو المروة قرية بوادى القرى ، على ليلة من أعمال المدينة ، ثم قال المجد : وقيل: بين ذى خشب ووادى القرى . ذو المروة

قلت : كونها بين ذى خشب ووادى القرى المشهور هو المعروف ، لكن أهل المدينة اليوم يسمون القرى التى بوادى ذى خشب « وادى القرى » فلعله مراد ياقوت .

وذكر الأسدى ما يقتضى أن ذا المروة بعد وادى القرى بنحو ثلاث مراحل لجهة المدينة الشريفة ، وروى ابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم نزل بذى المروة وصَلّى بها الفجر ، ومكث لا يكلمهم حتى تعالى النهار ، ثم خرج حتى أتى المروة فأسند إليها ظهره ملصقاً ، ثم دعا حتى ذرّ قرن الشمس شرقاً يدعو ، ويقول فى آخر دعائه : أللهم بارك فيها من بلاد ،

واصرف عنهم الوباء ، وأطعمهم من الجنى ، اللهم اسقهم الغيث ، واللهم سلمهم من الحاج ، وسلم الحاج منهم ، وفى رواية أنه نزل بذى المروة فاجتمعت إليه جهينة من السهل والجبل يشكون إليه نزول الناس بهم ، وقهر الناس لهم عند المياه ، فدعا أقواما فأقطعهم ، وأشهد بعضهم على بعض بأنى قد أقطعتهم ، وأمرت أن لا يضاموا ، ودعوت لكم ، وأمرنى حبيبى جبريل أن أعدكم حلفاء ، وسبق فى آخر مساجد تبوك ذكر إقطاعها لبنى رفاعة من جهينة .

مريح

مُرَيح ـ بالحاء المهملة تصغير مرح وهو الفرح ، أطم كان لبنى قينقاع ، عند منقطع جسر بطحان ، يمين قاصد المدينة .

مريخ

مريخ ـ بالخاء المعجمة تصغير مرخ للشجر المعروف ، قرن أسود قرب ينبع ، بين برك ورعان .

مريسيع

مريسيع ـ بالضم ثم الفتح وسكون المثناة تحت وسين مهملة مكسورة ثم مثناة تحت وعين مهملة فى أصح الروايات وأشهرها ، وضبط بالغين المعجمة ، وهو بناحية قديد إلى الساحل ، قاله ابن إسحاق ، وفى حديث للطبرانى : هو ماء لخزاعة بينه و بين الفرع نحو يوم ، وقال المجد : الفرع على ساعة من المريسيع ، و به غزو بنى المصطلق وسبيهم .

مزاحم

مزاحم ـ بالضم وكسر الحاء المهملة ، أطم كان بين ظهرانى بيوت بنى الحبلى ، وكان بزقاق ابن حيين سوق يقوم فى الجاهلية وأول الإسلام يقال لموضعها مزاحم كما سبق فى سوق المدينة .

مزج

مزج ـ بالضم ثم السكون ثم جيم ، من غدر العقيق ، يُفضِى السيل من حضير إليه ، وهو فى شق بين صدمتين ، يعنى حجابين من الحرة يمر به السيل فيحفره لضيق مسلكه ولا يفارقه الماء .

المزدلف

المزدلف ـ بالضم ثم السكون وفتح الدال المهملة وكسر اللام ثم فاء ، أطم مالك بن العجلان والد عتبان ، عند مسجد الجمعة .

المستظل — اسم فاعل من قولك «اسْتَظَلّ بالظل» أطم كان عند بئر غَرْس لأُحَيْحَة بن الجُلَاح ، ثم صار لبنى عبد المنذر فى دية جدهم .

المستعجلة — وهى المضيق الذى يصعد إليه مَنْ قطع النازية قاصدا الخيف والصفراء

المستنذر — جبل سبق فى منازل بنى الديل من القبائل ، والمستنذر الأقصى : تقدم فى العير .

المسير — بالضم ثم الفتح وسكون المثناة تحت ، أطم بنى عبد الأشهل ، كان لبنى حارثة .

المسكبة — بالفتح من السكب وهو الصَّبُّ ، موضع شرقى مسجد قباء ، كان به أطم يقال له واقم .

المسلح — بالفتح ثم السكون ثم لام مفتوحة وحاء مهملة ، موضع من أعمال المدينة .

مُسْلِح — بالضم ثم السكون وكسر اللام ، أحد جبلى الصفراء كما سبق فى مخرّى .

المشاش — وادٍ يصب فى عرصة العقيق .

مسروح — بالفتح ثم السكون وراء وحاء مهملة ، موضع بنواحى المدينة .

مشعط — كمرفق ، أطم لبنى حُدَيلة غربى مسجد أبى بن كعب ، وفى موضعه بيت أبى نبيه ، ويؤخذ مما سبق فى قبور أمهات المؤمنين وفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنهن أنه فى غربى البقيع لذكر خوخة أبى نبيه هناك ، وسبق حديث « إن كان الوباء فى شىء فهو فى ظل مشعط » وفى الحديث الآخر « وما بقى منه فاجعله تحت ذنب مشعط » .

مشعل — كمنبر ، موضع بين مكة والمدينة .

المشفق — وادٍ بين المدينة وتبوك .

قال ابن إسحاق فى منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى المدينة : وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بوادٍ يقال له وادى المشقق ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : مَنْ سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يسقين منه شيئاً حتى نأتيه ، فسبقه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه لم ير شيئاً ، فقال : ألم أنْهَهُم ، ثم لَعَنهم ودعا ، ثم وضع يده تحتَ الوَشَل ، فجعل يصب من يده ما شاء الله ، ثم نَضَحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله ، فانخرق من الماء كما يقول مَنْ سمعه أن له حسا كحس الصواعق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم — أو من بقى منكم — ليسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

وذكره الواقدى بنحوه ، إلا أنه قال : وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا، حتى إذا كان بين تبوك ووادٍ يقال له وادى الناقة وكان فيه وَشَل.

المشيرب — المشيرب ـ تصغير مشرب موضع الشرب ، سبق فى حدود الحرم .

مضر — مَضَرّ ـ بفتحتين وتشديد الراء ، وادٍ بأعلى حمى ضرية .

مصلوق — مصلوق ـ ماء من مياه بنى عمرو بن كلاب يصدقهم المصدق عليها بعد مِذْعَىً ، قال ابن هَرْمَة :

لم ينس ركبك يوم ذاك مطيهم من ذى الحليف فصبحوا مصلوقا

المصلى — المصلى ـ بالضم ثم الفتح وتشديد اللام ، مصلى العيد بالمدينة ، وموضع بعينه فى عقيق المدينة ، قال المجد منشدا يقول ابن هرمة :

* ليت شعرى هَلِ العقيقُ فَسَلْع *

الأبيات المتقدمة فى العقيق ، وليس المراد منها إلا مصلى العيد .

المضيح — المضيح ـ بالضم وفتح الضاد المعجمة وتشديد المثناة تحت و إهمال آخره ، جبل لهوازن ، وماء لمحارب بن خَصَفَة ، وماء لبنى الأضبط بن كلاب ، وجبل بنجد على شط وادى الحريب كان معقلا فى الجاهلية فى رواية محصن قاله ياقوت .

المضيق — بالفتح وكسر الضاد المعجمة ومثناة تحت وقاف ، قرية تقدمت مع الفرع فى آرة ، وبها إحدى عيون الحسين بن زيد، ومضيق الصفراء : هو المستعجلة فما بعدها على ما سبق فى المساجد . المضيق

مطلوب — بئر بعيد القعر قرب المدينة فى شاميها ، وماء بنملى ، وماء كان لخثعم ، واتخذ عليه عبد الملك ضيعة من أحسن ضياع بنى أمية . مطلوب

مظعن — بالضم وسكون الظاء المعجمة وكسر العين المهملة ، واد بين السقيا والأبواء . مظعن

معجب — وفى بعض النسخ « معجف » بالفاء بدل الموحدة ، أَحَدُ أودية المدينة المتقدمة ، ومعجف : اسم حائط كان لعبد الله بن رَوَاحة جعله لله ورسوله فى غزوة مؤتة . معجب

معدن الأحسن — ويقال « معدن الحسن » موضع أو قرية من أعمال المدينة لبنى كلاب ، وقيل : هو من قرى اليمامة . معدن الحسن

معدن بنى سُلَيم — بضم السين ، ويقال له « معدن قران » به قرية كبيرة بطريق نجد بها آبار وبرك على مائة ميل من المدينة ، وقال ابن سعد : على ثمانية بُرُد . معدن بنى سليم

معدن المأمون — سيأتى فى مغيث . معدن المأمون

معدن النقرة — على يومين من بطن نخل معدن النقرة

المعرس — بالضم ثم الفتح وتشديد الراء المفتوحة وسين مهملة ، سبق فى مسجد المعرس ، والتعريس : نومة المسافر وقت السحر بعد إدلاجه . المعرس

المعرض — أطم بنى قريظة الذى كانوا يلجؤن إليه إذا فَزِعوا ، كان فيما بين الدوحة التى فى بقيع بنى قريظة إلى النخيل التى يخرج منها السيل . ومعرض أيضا : أطم لبنى عمرو وبنى ثعلبة من بنى ساعدة بدار سويد المواجهة لمسجدهم . المرض

المعرقة — بالضم ثم السكون ثم الكسر وبالقاف ، طريق كانت قريش المعرقة

تسلكها إذا سارت إلى الشام ، تأخذ على ساحل البحر ، وفيها سلكت عِيرُ قريش حين كانت وقعة بدر ، وقال عمر لسلمان رضى الله تعالى عنهما : أين تأخذ أعلى المعرقة أم على المدينة ؟

المعصب — المعصب – بوزن المعرس والصاد مهملة ، اسم منازل بنى جَحْجَبَى كما سبق فى العصبة .

المغسلة — المغسلة – بالغين المعجمة ، قال المجد : هى بكسر السين المهملة كمنزلة :جَبَّانة بطرف المدينة يغسل فيها ، كذا ذكره أصحاب التاريخ ، وهى اليوم حديقة كبيرة من أقرب الحدائق الكبار إلى المدينة ، انتهى . وهى غربى بطحان ، لكنها معروفة اليوم بالمغسلة بفتح السين كمَرْحَلة ، وسبق أن مسجد بنى دينار يعرف بمسجد الغسالين لأنه كان عند الغسالين وأن الظاهر [أنه] كان بها .

مغلاوان — مغلاوان[1] – بالضم ثم الفتح ، مغلى الموارد ، ومغلى ، الحرومة يلتقيان من المعرس، والحرومة : هضبة عظيمة هى على عين ابن هشام ، وقال كثير :

فليت مغلاوين لم يك فيهما طريق يعديه من الناس راكب

مغيث — مُغِيث : اسم فاعل من « أغاثه » وادٍ بين معدن النقرة والربذة ، يعرف بمغيث ماوان ، قاله المجد ، وسماه الأسدى « مغيثة الماوان » بزيادة هاء ، وذكر بها آبارا وبركا ، قال : وعلى ميل ونصف منها معدن الماوان ، ويقال للجبل المشرف على المعدن : مشقر .

مغوثة — مغوثة – بضم الغين المعجمة وفتح الثاء المثلثة ، موضع قرب المدينة .

مفحل — مفحل – بالضم وسكون الفاء وكسر الحاء ، من نواحى المدينة ، قال ابن هَرْمَة :

فكيف إذا حلت بأكناف مفحل وحل بوعْساء الحليف تبيعها

مقاريب — مقاريب – بالفتح و بعد الألف راء ثم مثناة تحت وباء موحدة ، من نواحى المدينة .

المقاعد — المقاعد – جمع مقعد ، موضع عند باب المدينة ، وقيل : مساقف حولها ،

(١) هى فى الأصول بعين مهملة ، وترتيب الكتاب يقتضى أنها بالغين معجمة .

وقال الداوودى : هى الدرج ، وقيل: دكا كين عند دار عثمان بن عفان ، قاله المجد وعبارة عياض : قيل: هو موضع عند باب المسجد ، وقيل: مساطب حوله ، وقال ابن حبيب عن مالك : هى دكا كين عند دار عثمان ، انتهى . ودار عثمان عند باب المسجد فى المشرق ، فيوافق قول الباجى وغيره : هو موضع عند باب المسجد

وفى صحيح البخارى عن حُمْرَان قال : أتيت عثمان بِطَهور وهو جالس على المقاعد ، فتوضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم توضأ وهو فى هذا المجلس ، الحديثَ .

ولأبى داود : لما مات إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم صلى عليه فى المقاعد

وفى خبر حكاه أبو الفرج النهروانى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد أن ينشد رجل جاء به شعرا ، قاله فى الله ورسوله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قُومُوا بنا إلى المقاعد ، فلما أتوا المقاعد أنشد شعره .

المقشعر

المقشعر — اسم فاعل من القشعريرة من جبال القبلية .

مقمل

مقمل — بفتح القاف والميم المشددة ، ظرب صغير على غَلْوة من برام بحمى النقيع ، عليه مسجد مقمل المتقدم فى المساجد .

المكرعة

المكرعة — بالفتح ، موضع بقباء قرب بئر عذق .

المكسر

المكسر — اسم مفعول من كَسَّرَه تكسيرا ، وذو المكسر : من أودية العقيق .

مكيمن

مكيمن — تصغير مكمن ، ويقال : مكيمن الجماء ، وهو الجبل المتصل بجماء تضارع ببطن العقيق ، وفى أخبار مكة لابن شبة أنه كان بجماء العاقر بعقيق المدينة صنم يقال له المكيمن ، فلعله سبب التسمية لقرب جماء العاقر منه ، وقد رَدَّه إلى مكبره سعيدُ بن عبد الرحمن بن ثابت فقال :

عَفَا مكمن الجماء من أم عامر فسَلْع عفَا منها فحَرَّةُ وَاقِمِ

ملتذ — ملتذ ـ بالضم ثم السكون ثم فتح المثناة فوق وذال معجمة ، موضع بعقيق المدينة ، قال عروة بن أذينة :

فروضه ملتذ فجنبا منـــــيرة   فوادى العقيق أنْسَاحَ فيهن وابله

اللحاء — اللحاء ـ بالحاء المهملة ممدود ، من أودية العقيق ، قال ابن أذينة :

مباعدة بعد أزمامها   بملحاء ريم وأمهارها

اللحة — اللحة ـ أطُم لبنى قريظة دبر مال ابن أبى جديس ، وفى أسفل بنى قريظة مزرعة إلى جانب ركية وضرية يقال لها « مِلْحَة » بكسر الميم ، وبهـا أطم ، فلعله هو .

ملحتان — ملحتان ـ تثنية ملحة للقطعة من الملح ، من أودية القبلية بالأشعر مما يلى ظلم من شقه الشامى ، وهما ملحة الرمث وملحة الحريض ، وبهـــا شعب ضيق بحرض الإبل .

ملل — ملل ـ بلامين مُحرَّكا ، وادٍ بطريق مكة ، على أحد وعشرين ميلا من المدينة ، وعن ابن وضاح اثنين وعشرين ميلاً ، وقيل : ثمانية عشر ميلا ، وقيل : على ليلتين منها ، وفى الموطأ أن عثمان بن عفان صلى الجمعة بالمدينة وصلى العصر بملل قال مالك : وذلك للتهجير وسرعة الســير ، قال بعضهم : ملل وادٍ ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب فى فرش سويقة ، ويقال : فرش ملل ، ثم ينحدر من الفرش حتى يصب فى إضم ، وسبق أنه يلقى إضم بذى خشب ، فذلك مراد القائل بأنه على ليلتين من المدينة ، ويضاف إليه الفرش والفريش ، وجمعه كثير فى قوله :

* إذ نحن بالهضبات من أملال *

قال ابن الكلبى : لما صدر تُبَّع عن المدينة نزل ملل وقد أعيا ومَلَّ ، فسماه ملل، وقيل لكثير : لم سمى بذلك ؟ قال : لأن ساكنه مَلَّ المُقَام به، وقيل : سمى

به لأن الماشي من المدينة لايبلغه إلا بعد جَهْد ومَلَل .

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعى ، وقيل : جعفر الزبيرى :

أجزنا على ماء العشيرة والهوى على ملل يالهف نفسى على ملل

وفى كتاب النوادر لابن جنيّ أن رجلا من أهل العراق نزل بملل ، فسأل عنه ، فأخبر باسمه ، فقال : قبح الذى يقول :

* على ملل يالهف نفسى على ملل *

أى شيء كان يتشوق إليه من هذه ؟ وإنما هى حرة سوداء ، فقالت له صبية كانت تلقط النوى : بأبى أنت وأمى إنه كان والله له بها شَجَن ليس لك .

المناصع

المناصع ــ متبرز النساء بالمدينة ليلا ، قبل اتخاذ الكنف بالبيوت ، على مذاهب العرب ، وهو ناحية بئر أبى أيوب ، ولعلها المعروفة اليوم ببئر أيوب شرقى سور المدينة شامى بقيع الغرقد ، وزقاق المناصع : تقدم فى الدور المطيفة بالمسجد من جهة المشرق .

المناقب

المناقب ــ جبل قرب المدينة ، فيه ثنايا طرق إلى اليمن وإلى اليمامة وإلى أعالى نجد ، قاله المجد ، واستشهد بأبيات فيها ذكره وذكر العقيق . والذى يفهمه كلام الأصمعى أنه بنجد قرب ذات عرق ، فليس المراد عقيق المدينة ، لأن الأصمعى ذكر قرنا ونخلة اليمانية ، ثم قال : ثم يجلس إلى نجد بطلع المناقب ، ووصف ثناياه بما سبق ، وقال : وإلى أعالى نجد وإلى الطائف ، قال : وفيه ثلاث مناقب : إحداها عقبة يقال لها الزلالة ، بها صخرة ، وهى التى أقحم فيها العقيلى ناقته فاقتحمت من شق فيها ، وذلك أنهم خاطروه على ذلك .

المنبجس

المنبجس ــ بالضم ثم السكون ثم موحدة ثم جيم مكسورة ثم سين مهملة ، وادى العرج .

منتخر

منتخر ــ بالضم ثم السكون ثم مثناة فوق وخاء معجمة مكسورة ، موضع بفرش ملل بجنب مثعر .

المنحنى

المنحنى ــ بالضم ثم السكون وفتح الحاء والنون الثانية ، موضع له ذكر في الغزل بأماكن المدينة ، وأهلها اليوم يقولون : إنه بقرب المصلى شرقى بطحان ، ولهذا قال الشيخ شمس الدين الذهبي :

تولى شبابى كأن لم يكن ‏ ‏ ‏ ‏ وأقبل شيبٌ علينا تَولى

ومن عاين المُنْحَنَى والنقا ‏ ‏ ‏ ‏ فما بعد هــذين إلا المصلى

منشد

منشد ــ بالضم ثم السكون وكسر الشين المعجمة ثم دال مهملة ، جبل فى الشق الأيسر من حمراء الأسد كما قال الهجرى ، ولعله المعروف اليوم بحمراء نملة كما سبق ، وفيه يقول الأحوص :

نظرت رجا بالموقران ، وقد أرى ‏ ‏ ‏ ‏ أكاديس يحتلون خاخا فمنشدا

وقال المجد : هو على ثمانية أميال من حمراء المدينة بطريق الفرع ، ومنشد أيضاً : موضع بين رضوى والساحل ، و بلد لتميم ، قال زيد الخيل :

سقى الله مابين العقيق فطابة ‏ ‏ ‏ ‏ فما دون أزمام فما فوق منشد(١)

منعج

منعج ــ بالفتح ثم السكون وكسر العين المهملة وروى بفتحها ، وسماه الهجرى منجع بتقديم الجيم على العين ، وادٍ فيه أملاك لغنى ، بين أضاخ وأمرة ، بناحية حمى ضرية ، وقال المجد : هو موضع بحمى ضرية ، ووادٍ لبنى أسد كثير المياه .

المنقى

المنقى ــ اسم مفعول من نقاه ، قال المجد : هو اسم للأرض التى بين أُحُد والمدينة ، قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعراض .

قلت : فالمنقى ليس اسما لما ذكر المجد لما سبق فى الأعوص ، بل هو معروف شرقى المدينة فى طريق العراق ، والمجدُ ظن أن الانهزام لم يكن إلا للمدينة ، وليس كذلك ، لما سبق فى الشقرة ، وفى معارف ابن قتيبة فى ترجمة بعضهم أنه انهزم على مسيرة ثلاثة أيام .

---

(١) فى معجم ياقوت « مابين القفيل » وفيه ، « فمادون أرمام » .

منكثة — من نكث ينكث إذا نقض ، من أودية القبلية ، يسيل من الأجرد جبل جهينة فى الجلس ، و يلقى بوطا . منكثة

منور — كمقعد آخره راء ، جبل قرب المدينة ، وفى القاموس هو موضع أو جبل بظهر حرة بنى سليم ، قال أبو هريرة : أيكم يعرف دور ومنور ؟ فقال رجل من مزينة : أنا ، قال : نعم المنزل مابين دور ومنور لأنها مقانب الخيل ، أما والله لوددت أن حظى من دنيا كم مسجد بين دور ومنور أعْبُدُ الله فيه حتى يأتينى اليقين ، ومنور أيضاً : أطم لبنى النضير كان فى دار ابن طهمان . منور

منيع — فَعِيل ، موضع أُطم لبنى سواد يمانى مسجد القبلتين على ظهر الحرة . منيع

منيف — اسم فاعل من أناف ، أطم لبنى دينار بن النجار عند مسجدهم . منيف

مهايع — قرية غنَّاء كبيرة ، بها منبر ، قرب ساية ، واليها كان من قبل أمير المدينة . مهايع

مهجور — ماء بنواحى المدينة . مهجور

مهراس — بالكسر ثم السكون آخره سين مهملة ، ماء بجبل أُحُد ، قاله المبرد، وهو معروف أقصى شعب أحد ،يجتمع من المطر فى نقر كبار وصغار هنالك ، والمهراس : اسم لتلك النقر . مهراس

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم عَطِشَ يومَ أحد فجاءه على فى درقته بماء من المهراس ، فوجد له ريحا فعافَهُ وغسل به الدم عن وجهه وصَبَّ على رأسه ، وفى رواية لأحمد « وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، إنما كان تحت المهراس » ثم ذكر إقبال النبى صلى الله عليه وسلم إليهم .

وفى مغازى ابن عقبة أن الناس أصْعَدُوا فى الشعب ، وثبت الله نبيه وهو يدعوهم فى أخراهم إلى قريب من المهراس فى الشعب ، ثم ذكر إصعاد النبى صلى الله عليه وسلم فى الشعب يدعوهم .

مهروز — مهروز — بضم الراء وآخره زاى ، موضع سوق المدينـة كما فى معارف ابن قتيبة والفائق .

مهزور — مهزور — بالفتح ثم السكون وضم الزاى وآخره راء ، تقـدم فى أودية المدينة .

مهزول — مهزول — آخر لام ، وادٍ فى أقبال البئر بحمى ضرية ، وقال الزمخشرى : إنه فى أصل جبل يقال له تنوف .

مهيعة — مَهِيعة — كمعيشة بالمثناة تحت ، و يقال « مَهْيَعة » كمرحلة ، اسم للجُحْفة ، قال الحافظ المندرى : لما أخرج العماليق بنى عبيل أخى عاد من يثرب نزلوها ، فجاءهم سيل الجُحَاف — بضم الجيم — فجحفهم وذهب بهم ، فسميت حينئذ الجحفة ، انتهى . وقال عياض : سميت الجحفة لأن السيول أجحفتها وحملت أهلها ، وقيل : إنما سميت بذلك من سنة سيل الُجحَاف سنة ثمانين لذهاب السيل بالحاج وأمتعتهم .

الموجا — الموجا ـ بالفتح والجيم ، أطم لبنى وابل بن زيد كان موضع مسجدهم .

مياسر — مياسر ـ موضع بين الرحبة وسقيا الجزل ببلاد عذرة ، قرب وادى القرى .

ذو الميثب — ذو الميثب ـ بالـكسر ثم السكون ثم مثلثة ، من أودية العقيق .

ميطان — مَيْطان ـ بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وألف ونون ، جبل شرقى بنى قريظة وهو المذكور فى شعرهم فى مسلم ، وقال عرام : هو حذاء شوران ، به ماء بئر يقال لها صعة ، وليس به نبات ، وهو لسليم ومزينة ، و بحذائه جبل يقال له سن ، وجبال شواهق يقال لها الحِلاَء واحدها حلاة ، وقال فى النهاية : وفى حديث بنى قريظة والنضير

وقد كانوا ببلدتهم ثقـالا كما ثقلت بميطان الصخور

وهو ـ بكر الميم ـ موضع فى بلاد بنى مزينة بالحجاز ، انتهى ، والمعروف ماسبق .

المُنْفَعَة — بالكسر ثم السكون وفاء وعين مهملة ، موضع بناحية نجد وراء بطن نخل على النقرة قليلا ، على ثمانية برد من المدينة ، إليه كانت سرية غالب بن عبد الله الليثى . المنفعة

حرف النون

نابع — كصاحب من نبع الماء إذا ظهر ، موضع قرب المدينة . نابع

ناجية — بالجيم والمثناة التحتية ، موضع قرب المدينة على طريق البصرة ، قاله المجد ، وقال الأصمعى : ماء ببلاد بنى أسد أسفل من الحبس . ناجية

النازية — بالزاى وتخفيف المثناة تحت ، موضع واسع به عَضَاه ومَرْخ بين المستعجلة وهو مضيق الصفراء و بين مسجد المنصرف وهو مسجد الغزالة ، وجعله عياض اسمَ عينٍ هناك ، فقال : هى عين كانت ترد على طريق الآخذ من مكة قرب الصفراء ، وهى إلى المدينة أقرب قبل مضيق الصفراء ، سدت بعد حروب جرت فيها ، انتهى . وتبعه المجد ، وقال عرام بعد ذكر الرحضية : ثم يميل نحو مكة مصعدا إلى واد يقال له عريفطان ، وحذاءه جبال يقال لها أبلى ، وقنة يقال لها السودة لبنى حقاق من بنى سليم ، وماؤهم الضبعية وهى آبار عذاب يزرع عليها ، وأرض واسعة ، وكانت بها عين يقال لها النازية بين بنى حقاف و بين الأنصار ، فتصاروا فيها فسدُّوها ، وهى عين ماؤها عذب كثير ، وقد قتل فيها أناس كثيرون بذلك السبب ، وطلبها سلطان البلد مراراً بالثمن الكثير فأبوا ، ثم ذكر مياه أُبلى ، وقال : و إذا جاوزت عين النازية وردت ماء يقال له المدينة ، ثم ينتهى إلى السوارقية على ثلاثة أميال منها ، انتهى ؛ فالنازية التى هى عين وقع فيها حروب ليست فيما بين مضيق الصفراء والمدينة ، بل فى جهة أُبلى والرحضية والسوارقية ، ولكن اتفقا فى الاسم . النازية

النازيين — موضع مرتفع به قبر عبد الله بن الحارث كما سبق فى مسجد مضيق الصفراء . النازيين

الناصفة — الناصفة — بكسر الصاد المهملة ، من أودية العقيق ، وعدّه الزمخشرى فى أودية القبلية .

ناعم — ناعم — كصاحب ، من حصون خيبر ، قتل عنده محمود بن مسلمة يوم خيبر ألقوا عليه رحا . وناعم : موضع آخر .

الناعمة — الناعمة — حديقة غنّاء بالعوالى ، وإلى جنبها النويعمة ، ويعرف الموضع بالنواعم .

النباع — النباع — بالكسر وعين مهملة، موضع بين ينبع والمدينة ، وفى أودية العقيق نبعة العشرة ، ثم نبعة الطوى ، ثم الحيثية ، ثم النبعة ، قال الزبير عقبه : وفى النباع يقول خفاف بن ندبة :

* عشقت دياراً ببطن النباع *

فاقتضى أن النباع ما ذكر .

نبيع — نبيع — كزبير من نبع الماء ، موضع قرب المدينة .

النبى — النبى — بلفظ النبى صلى الله عليه وسلم ، اسم جبل قرب المدينة ، واسم أماكن أخرى ، وقيل : رمل بعينه .

نجد — نجد — ما بين جرش إلى سواد الكوفة ، وحده مما يلى المغرب الحجاز ، وعن يسار القبلة اليمن ، ونجد كلها من عمل اليمامة ، قاله عياض ، والصواب أن الذى من عمل اليمامة موضع مخصوص من نجد لا كله .

النجير — النجير — بالضم وفتح الجيم آخره راء ، ماء حذاء صفينة ، قاله عرام .

النجيل — النجيل — بالجيم تصغير النجل ، من أعراض المدينة قرب ينبع ، قال كثير :

وحتى أجازت بطن ضاس ودونها   رعان فهضبا ذى النجيل فينبع

وفى القاموس : النجيل كزبير موضع بالمدينة أو من أعراض ينبع .

نخال — نخال — بالضم ، علم مرتجل لوادٍ يصب فى الصفراء يقال له شعب ، وشاهده فى أراب .

نخل — بلفظ اسم جنس النخلة ، من منازل بنى ثعلبة بنجد ، على يومين من المدينة ، قال ابن إسحاق : وغزا النبى صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بنى محارب و بنى ثعلبة بن غطفان حتى نزل نخلا ، وهى غزوة ذات الرقاع ، وقال الحافظ ابن حجر فى غزوة ذات الرقاع : قوله « فنزل نخلا » هو مكان على يومين من المدينة بوادٍ يقال له شدخ ، وبالوادى طوائف من قيس وفزارة وأشجع وأنمار ذكره أبو عبيد البكرى ، وذكر الواقدى فى سبب غزوة ذات الرقاع ما يقتضى إيجادها مع غزوة أنمار ، ونقل البيهقى فى الدلائل عن الواقدى أنه قال : ذات الرقاع قريبة من النخيل بين السعد والشقراء و بئر أرما ، على ثلاثة أميال من المدينة ، انتهى وصوابه ثلاثة أيام لقوله بين السعد والشقراء .

نخلى — كجَمَزَى ونسكى ، من أودية الأشعر الغَوْرِية ، تصب فى ينبع ، و بأسفله عيون لحسن بن على بن حسن منها ذات الأسيل ، و بأسفله البلدة والبليدة .

نخيل — تصغير نخل ، عين على خمسة أميال من المدينة ، قاله المجد ، وقال الأسدى : إنه منزل فى طريق فيد به مياه وسوق قرية الكديد ، و به عيون كانت للحسين بن على المقتول بفخ ، وذكر ما يقتضى أنه على نيف وستين ميلا من المدينة وأن بالكديد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الوادى الذى به الطريق ذو أمر .

و إذا تأملت ذلك مع ما سبق فى مساجد الغزوات علمت أن الذى عبر عنه بالنخيل هو نخل ؛ لقوله فى خبر المسجد « نزل بنخل ، ثم أصعد فى بطن نخل حتى جاز الكديد بميل » ويؤيده ما سبق فى نخل عن الواقدى من تعبيره فى ذات الرقاع بالنخيل مصغراً ، لكن الأسدى غاير بين بطن نخل و بين النخيل ، والنخيل معروف اليوم بقرب الكديد فوق الشقرة .

النسار — ككتاب ، جبل بحمى ضرية ، وقيل : هما نسران جمعا وجعلا

موضعاً واحداً ، وقيل: هو جبل يقال له «نسر». فجمع ، وقال أبو عبيد : النسار أجبل متجاورة يقال لها الأنسر وهى النسار .

نسر — نسر — بلفظ الطائر المعروف، موضع بنواحى المدينة، قال أبو وجزة السعدى:

بأجماد العقيق إلى مراخ فنعف سويقة فرياض نسر[1]

نسع — نسع — بالكسر ثم السكون وعين مهملة ، موضع حماه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ، وهو صدر وادى العقيق ، قاله المجد ، وكأنه اسم لحمى البقيع؛ إذ هو صدر العقيق .

النصيب — النصب — بالضم ثم السكون وصاد مهملة و باء موحدة ، موضع قرب المدينة ، وقيل : من معادن القبلية .

وعن مالك أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ركب إلى ذات النصب فقصر الصلاة ، والنصب — بالضم و بالضمتين — الأصنام المنصوبة، قاله المجد ، وسبق فى ذات النصب أنها بضمتين من معادن القبلية ، وهو الذى قاله عياض .

النصع — النصع — بالكسر و إهمال الصاد والعين ، جبال سود بين الصفراء و ينبع ، والنصيع مصغرا :جبل قرب العذيبة .

نضاد — نضاد — بالفتح وضاد معجمة وآخره دال مهملة ، والحجازيون يقولون نَضَادِ كقطام ، وتميم تنزله منزلة مالا ينصرف ، وهو جبل لغنى بحمى ضرية ، وكان سراقة السليمى أصاب دما فى قومه فانحاز لغنى فقال :

حللت إلى غنىّ فى نَضَاد بخير محلة و بخير حال

النضير — النضير — بالفتح ثم الكسر ثم مثناة تحت ثم راء ، قبيل من يهود تقدموا فى منازلهم .

نطاة — نطاة — كقَطَاة ، حصن من حصون خيبر ، وقيل : كل أرض خيبر، وقيل : عين ماء و بيئة هناك ، والذى يقتضيه كلام الواقدى أنه ناحية من خيبر ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم لما افتتح حصن ناعم وغيره من حصونه تحوّل أهلُها إلى

(١) فى معجم ياقوت « فنعاف نسر ».

قلعة الزبير ، وهو حصن منيع فى رأس قُلّة ، قال : فجاء رجل من يهود للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : تؤمننى على أن أدلك على ما تستريح من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق ؟ فآمنه ، فقال : إنك لو أقمت شهرا ما بالوا ، إن لهم دبولا تحت الأرض يشربون منها ، فقطع دبولهم ، قال : وكان هذا آخر حصون النَّطَاة فتحا ، ثم تحوّل إلى أهل الشق .

نعمان — بالضم والعين المهملة ، وادٍ بالمدينة يلقى سيول المدينة هو ونقمى أسفل عين أبى زياد بالغابة ، وفى دلائل النبوة للبيهقى عن ابن إسحاق أن المشركين فى غزوة الخندق نزلوا باب نعمان إلى جانب أحد ، وفى الاكتفاء عن ابن إسحاق أن عُيَينة بن حِصْن فى غطفان نزلوا إلى جانب أُحُدٍ بباب نعمان ، والذى فى تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق نزولهم بنقمى .

نعمان

نُعَيم — كزبير ، موضع قرب المدينة ، وجمعه بعضهم فى شعره فقال نعائم .

نعيم

نعف مناسير — قال ابن السكيت : نعف هنا ما بين الدوداء و بين المدينة ، وهو حد الخلائق خلائق الأحمديين ، والخلائق : آبار ، وسبق شاهد النعف فى حمى النقيع فيما قيل فيه من الشعر ، وسبق أيضا ذكر نعف النقيع ، ومقتضى إثبات المجد له هنا أن يكون بالغين المعجمة ، و إلا لقدمه على ما قبله ، ولم يتعرض لذلك فى القاموس ، بل قال فى النعف بالعين المهملة : إنه ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى ، ومن الرملة مقدمها وما استدق . وفى الصحاح فى مادة العين المهملة أيضا : النعف ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى ، فما بينهما نعف وسرو وحنف ، والجمع نعاف ، انتهى ، فالظاهر أن ما سبق كله بالعين المهملة الساكنة مع فتح أوله .

نعف مناسير

النفاع — بالفتح وتشديد الفاء ، أُطم بمنازل بنى خطمة ، كان على بئر عمارة .

النفاع

ذونفر — بالتحريك وقد تسكن الفاء ، موضع خلف الربذة ، على ثلاثة أيام من السليلة .

ذو نفر

نفيس — نفيس – بالفتح ثم الكسر يضاف إليه قصر نفيس المتقدم .

النقات — النقاب – بلفظ نقاب المرأة ، من أعمال المدينة ، يتشعب منه طريقان إلى وادى القرى ووادى المياه .

النقا — النقا – بالفتح والتخفيف مقصور ، ما بين وادى بطحان والمنزلة التى بها السقيا المعروفة ببئر الأعجام ، قال المطرى : النقا المذكور فى الأشعار غربى المصلى إلى منزلة الحاج غربى وادى بطحان ، والوادى يفصل بين المصلى والنقا ، ولمجاورة المكانين قال بعضهم موريا عن الشيب ومصلى الجنائز :

ألا ياساريا فى قعر عمرو يكاد وفى السرى وعرا وسهلا
بلغت نقا المشيب وجزت عنه وما بعد النقا إلا المصلى

نقب بنى دينار — نقب بنى دينار بن النجار – ويقال « نقب المدينة » هو طريق العقيق بالحرة الغربية ، وبه السقيا كما سبق عن الواقدى فى بقع ، وقال ابن إسحاق فى المسير إلى بدر : فسلك طريق مكة على نقب المدينة ، ثم على العقيق ، وقال فى موضع آخر : غزا قريشا فسلك على نقب بنى دينار ، ثم على فيفاء الخبار

نقعاء — نقعاء – كحمراء بالعين المهملة ، موضع خلف حمى النقيع من ديار مزينة ، نزله النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق ، وهو من أودية العقيق ، ولهذا روى فى شعر الخنساء كما سبق :

وقولى إن خير بنى سُلَيم وغيرهم بنقعاء العقيق

وسمى كثير مرج راهط نقعاء راهط .

وفى سير الواقدى ذكر إسراعهم السير فى الرجوع من المريسيع ، وأنه صلى الله عليه وسلم نزل فى اليوم الثالث ماء يقال له نقعاء فوق النقيع ، وسرح الناس ظهورهم ، فأخذهم ريح شديدة حتى أشفق الناس منها ، ثم ذكر إخبار النبى صلى الله عليه وسلم بأن الريح عصفت لموت منافق عظيم النفاق بالمدينة ، وكان موته للمنافقين غيظا شديدا ، وهو زيد بن رفاعة بن التابوت ، مات ذلك اليوم ،

ولما قدموا المدينة ذكر لهم أهلها أنهم وَجَدُوا مثل ذلك من شدة الريح ، حتى دفن عدو الله فسكنت الريح

نقمى

نقَمَى – قال المجد : هو مثال نسكى وجَمَزَى موضع بقرب أحد ، كان لأبى طالب ، قال ابن إسحاق : وأقبلت غطفان يوم الخندق ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد وروى نقم ، اه . وسبق فى مجتمع الأودية أن وادى نقمى يلقاها أ.فل من عين أبى زياد بالغابة ، وروى الزبير عقبه عن عمر بن عبيد الله بن معمر أن اسم نقمى ليس نَقَمى ، وإنما هو نقمان ، أى بالتثنية ، وأن اسمه أولا كان عرى فخرج رجلان من العرب لقومهما فرجعا فلم يحمدا فقيل نقمان ، أى بالتثنية ، فسميا بذلك السبب نقما ، انتهى . ومقتضاه أن يكون بكسر القاف .

النقيع

النقيع – بالفتح ثم الكسر وسكون المثناة تحت وعين مهملة ، تقدم فى حمى النقيع .

نقيع الخضمات

نقيع الخضمات – بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ، قال المجد : نقيع الحمى غير نقيع الخضمات . وكلاهما بالنون ، وأما الباء فيهما فخطأ صراح ، والخضمة : النبات الناعم الأخضر والأرض الناعمة النبات ، كأنهم جمعوها على خضمات تخفيفا . ونقيع الخضمات : موضع قرب المدينة حماه عمر رضى الله تعالى عنـــه لخيل المسلمين ، وهو من أودية الحجاز ، يدفع سيله إلى المدينة ، وحمى النقيع على عشرين فرسخا ، انتهى .

وذكر ابن سيد الناس حديث أبى داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك : حدثنى سلمة قال : كان أبى إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زرارة ، فسألته ، فقال : كان أول من جَمَّع بنا فى هَزْم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات ، ثم قال : نقيع الخضمات وقع فى هذه الرواية بالتاء ، وقيده البكرى بالنون ، وقال : هزم النبيت جبل على بريد من المدينة .

قلت : هو مردود بقوله فى الحديث من حرة بنى بياضة ؛ لأنها موضع قريتهم من الحرة الغربية ، ولهذا قال ابن زبالة فى روايته : كان أول من جَمَّع بنا فى هذه القرية فى هزمة من حرة بنى بياضة ، فالصواب قول النووى فى تهذيبه : نقيع الخضمان بالنون كما قيده الحازمى وغيره ، وهى قرية بقرب المدينة على ميل من منازل بنى سلمة ، قاله الإمام أحمد كما نقله الشيخ أبو حامد ، اهـ . وقرية بنى بياضة على نحو الميل من بنى سلمة ، فهى المراد ، ورأيت بين منازلهم بالحرة أماكن منخفضة يستنقع فيها ماء السيل ، والهزمُ لغةً : النقر والحفر ، ويحتمل أن يراد به محل الهزيمة ؛ فإن النبيت اسم لقبائل من الأوس ، وقد وقع بينهم و بين بنى بياضة من الخزرج حروب كان الظفر فى أكثرها قبل بعاث للخزرج .

نمرة نمرة ــ كعطرة ، موضع بقديد ، ذكرها صاحب المسالك والممالك فى توابع المدينة ومخاليفها .

نملى نملى ــ كجمزى وقلبى ونسكى ، عن الجرمىّ أنه ماء بقرب المدينة ، ويقال نَمْلاَء كحمراء ، كأنه سمى به لكثرة النمل عنده ، وقال الأصمعى عن العامرى : نملى جبال حواليها جبال متصلة فيها سواد وليست بطوال . ومن مياه نملى الحنجرة والودكاء ، قال : ولأهل نملى ماء آخر بوادٍ يقال له مهزور ، ومقتضاه أنه بناحية حمى ضرية ، قال : وسمع هاتف فى جوف الليل من الجن يقول :

وفى ذات آرام حبوب كثيرة   وفى نَمَلَى لو تعلمون الغنائم

نهبان نَهْبان ــ بالفتح ثم السكون ، نهب الأسفل ونهب الأعلى ، وهما جبلان شامخان لمزينة و بنى ليث يقابلان القدسين يمين طريق المصعد ، يفرق الطريق بينهما و بين القدسين وورقان ، وفى نهب الأعلى ماء فى دوار من الأرض و بئر كبيرة غزيرة الماء عليها مباطح و بقول ونخلات يقال لها ذوخيا .

النواحان النواحان ــ أطمان لبنى أنيف بقباء .

النواعم النواعم ــ سبقت فى الناعمة ، وهى منازل بنى النضير [فى] العالية .

نوبة — بالضم ثم السكون وباء موحدة ، موضع على ثلاثة أميال من المدينة ، له ذكر فى المغازى ، قاله ياقوت ، ونوبة أيضا : هضبة حمراء بأرض بنى أبى بكر ابن كلاب . نوبة

نيار — بالكسر آخره راء ، أطم أو شخص أضيف إليه أطم نيار بمنازل بنى مخدعة من بنى حارثة . نيار

النير — بالكسر ، جبال تقدم ذكرها فى حمى ضرية ، وقال الأصمعى : النير جبل بأعلى نجد ، شرقيه لغنى ، وغربيه لفاخرة . النير

نيق العقاب — بالكسر وضم العين ، موضع قرب الجحفة ، لقى به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن المغيرة مهاجرين عام الفتح ، وفى الاستيعاب أنهما لقياه بين السقيا والعرج ، وقيل : بالأبواء . نيق العقاب

حرف الهاء

الهَدَبية — بفتح أوله وثانيه وكسر الموحدة وتشديد المثناة تحت ثم هاء ، ثلاث آبار لبنى جفاف ليس عليهن مزارع ولا نخل ، بقاع واسع بين حرتين سوداوين ، على ثلاثة أميال من السوارقية . الهدبية

هجر — المذكور فى حديث القُلّتين ، قال النووى : هى بفتح الهاء والجيم قرية قرب المدينة النبوية عملت فيها تلك القِلاَل أولا ، وليست هى هجر البحرين المدينة المعروفة ، اهـ . قال الزركشى : وقيل هجر البحرين ، وبه قال الأزهرى ، وهو الأَسَدّ . هجر

قلت : ولذا لم يذكرها المجد .

الهجيم — بالضم وفتح الجيم ، أطم بالعصبة ، تقدم فى بئر هجيم . الهجيم

الهدار — بالفتح وتشديد الدال المهملة آخره راء مشدداً ، حساء من أحساء مغار قرب السوارقية ، قاله ياقوت ، والهدار أيضا : منزل مسيلمة الكذاب من ناحية اليمامة الهدار

المدن المدُن — بضمتين وإهمال الدال ، ماء وراء وادى القرى .

هرشى هَرْشَى — كسكرى والشين معجمة ، ينسب إليها ثنية هرشى ، ويقال : عقبة هرشى . وعلم منتصف طريق مكة دون عقبة هرشى بميل كما سبق فى مسجدها .

قال عرام : هرشى هضبة ململة بأرض مستوية لا تنبت شيئاً ، أسفلها ودان على ميلين مما يلى مغيب الشمس ، يقطعها المصعدون من حجاج المدينة ، ويتصل بها عن يمينها ، بينها وبين البحر خبت وهو رمل لا ينبت غير الأرْطَى ، وهرشى على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة ، قال المجد : أراد بطريق الشام طريق مصر اليوم .

قلت : وهى طريق حجاج المدينة اليوم ، لكن يكون هرشى على يسارهم ؛ لأنهم يسيرون فى الخبت ، وودان أسفل منها إلى رابغ ، فإنما كانت ملتقى الطريق قديماً ، ولها طريقان ، وكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد ، ولذلك قيل :

خذا أنفَ هَرْشَى أو قفَاها؛ فإنما   كلا جانبى هَرْشَى لهن طريق

وحكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه استقرأ عقيل بن علقمة ، فقرأ الزلزلة حتى بلغ آخرها فقرأ (فمن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) فقال عمر : ألم أقل إنك لا تحسن أن تقرأ ؟ إن الله قدم الخير وأنت قدمت الشر ، فقال * خذا أنفَ هرشىَ — البيت المتقدم * فضحك القوم .

هلوان هلوان — من أودية العقيق ، قال مصعب الزبيرى :

وما حسنت من رحلة مثل رحلة   بهــلوان لما هيجتها المحاصر

هكر هَكْر — بالفتح ثم السكون ثم راء ، موضع معروف ، به ماء ، على أربعين ميلا من المدينة ، ينزله أمراؤها أحياناً ، له ذكر فى شعر امرىء القيس .

هكران — هَـكَران ـ محرك ، جبل حذاء قباء التى بالناحية المعروفة بكشب .

همج — همج ـ محرك ، ماء عيون عليه نخل من ناحية وادى القرى .

هيفاء — هيفاء ـ بمثناة تحت وفاء ، موضع على ميل من بئر المطلب ، وفى سرية أبى عبيدة إلى ذى القصة أن سرح المدينة كانت ترعى بهيفا على سبعة أميال من المدينة .

حرف الواو

وابل — وابل ـ كصاحب ، المطر الشديد الوقع ، وهو موضع فى أعالى المدينة .

الواتدة — الواتدة ـ قرن منتصب شارع على أعلى نقيع الحمى بمدفع شجوى ، ورواه الخلصى « الوتدة » بغير ألف ، نقله الهجرى .

وادى — وادى ـ معرفة غير مضافة ، علم للوادى الذى به فج الروحاء ، وتقدم فى مفرش قول ابن عمر : هبطت بطن واد فإذا ظهر من بطن واد مع بيان المزية .

وادى أبى كبير — وادى أبى كبير ـ فوق الخرم والمعرس وصدر الحفيرة .

وادى أحيليين — وادى أحيليين ـ بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة ثم مثناة تحتية ثم لام ومثناتين كذلك ، تقدم فى نار الحجاز .

وادى الأزرق — وادى الأزرق ـ بسكون الزاى ثم راء ، سبق فى جمدان أنه بعد أمج بميل وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بوادى الأزرق فقال : كأنى أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية له جُؤار إلى الله بالتلبية ، ثم أتى على ثنية هَرْشَى فقال : كأنى أنظر إلى يونس بن متّى ،الحديثَ .

وقوله « ثم أتى » يعنى فى الرجوع إلى المدينة .

وادى بطحان — وادى بطحان وغيره من الأودية التى بالمدينة ـ سبقت فى الفصل الخامس وما قبله .

وادى الجزل — وادى الجزل — بالجيم والزاى ، الوادى الذى به الرحبة ، وسقيا الجزل قرب وادى القرى ، و يلقى وادى إضم فى نخيل ذى المروة .

وادى دحيل — وادى دحيل — سبق فى حمى النقيع .

وادى الدوم — وادى الدوم — معترض فى شمالى خيبر إلى قبلتها ، أوله من الشمال غمرة ، ومن القبلة القصيبة، وهو فاصل بين خيبر والعراص .

وادى السمك — وادى السَّمْك — بفتح السين المهملة ثم السكون ، بناحية الصفراء ، يسلكه الحاج أحياناً ، ذكره المجد فى السين .

وادى القرى — وادى القرى — واد كثير القرى ، بين المدينة والشام ، وقال الحافظ ابن حجر : هى مدينة قديمة بين المدينة والشام ، وأغرب ابن قُرْقُول فقال : إنها من أعمال المدينة ، انتهى . ولا إغراب فيه لتصريح صاحب المسالك به كما سبق فى تبوك ، وسبق أن دومة الجندل من أعمال المدينة ، وأنها بوادى القرى ، بل يظهر أنها أبعد منه لأنها على خمس عشرة أو ست عشرة ليلة من المدينة ، وأما وادى القرى ففى طبقات ابن سعد أن أسامة بن زيد لما رجع من غزوة الروم أَجَدَّ السير ، فورد وادى القرى فى سبع ليال ، ثم قصد يعدو فى السير فسار إلى المدينة ستاً ، وسبق أن حجر ثمود على يوم من وادى القرى ، وأن العلا بناحية وادى القرى .

وروى البيهقى من طريق الواقدى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى وادى القرى ، فلما نزلنا إلى وادى القرى انتهينا إلى يهود وقد ثَوَى إليها ناس من العرب ، وذكر استقبال يهود لهم بالرمى وهم يصيحون فى آطامهم وقتالهم حتى أمسوا ، قال : وغدا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم، فلم ترتفع الشمس قيدَ رمح حتى أعطوا بأيديهم . وفتحها عَنْوة ، وغنمه الله أموالهم ، وأصابوا أثاثاً ومتاعاً كثيراً ، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب ، وترك الأرض والنخل

بأيدى يهود ، وعاملهم عليها ، فلما بلغ يهود تيماء ما وطىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفدك ووادى القرى صالحوه على الجزية ، وأقاموا بأيديهم أموالهم فلما كان عمر أخرج يهود خيبر وفدك ، ولم يخرج أهل تيماء ووادى القرى ؛ لأنهما داخلتان فى أرض الشام ــ ويروى أن ما دون وادى القرى إلى المدينة حجاز ، وأن ما وراء ذلك من الشام ــ فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ترفع من خيبر ومن وادى القرى ، وقال أحمد بن جابر : قيل : إن عمر أجلى يهود وادى القرى ، وقيل : لم يجلهم .

وسبق فى ذى المروة أن بعضهم عده من وادى القرى ، وأنه إن ثبت فهو غير وادى القرى المذكور ، وسبق فى بلاكث وبرمة ما يؤيده ، وعليه أهل المدينة اليوم ؛ لأنهم يسمون ناحية ذى المروة وناحية ذى خشب وادى القرى ، ولعلها قرى عرينة .

واردات

واردات — هضبات صغار بحمى ضرية ، فيها يقول الأخطل :

إذا ما قلت قد صالحت بكراً ... أبى الأضغان والنَّسَبُ البعيد

ومُهْــــرَاق الدماء بواردات ... تبيد المجريات ولا تبيـــــد

واسط

واسط ــ أطم لبنى خدرة ، وأطم آخر لبنى خزيمة رهط سعد بن عبادة ،[1] وآخر لبنى مازن بن النجار ، وموضع بين ينبع وبدر ، وجبل تنتطح سيول العقيق عنده ثم يفضى إلى الجنجانة ، وفيه يقول كثير :

أقاموا ، فأما آل عزة غدوة ... فبانوا ، وأما واســط فمقيم

واقم

واقم ــ كصاحب ، أُطم بنى عبد الأشهل ، نسبت إليه حَرَّتهم ، وله يقول شاعرهم :

نحن بنينا واقماً بالحــرهْ ... بلازب الطين وبالأصِرَّهْ

وواقم أيضاً : أطم بالمسكبة شرقى مسجد قباء لأبى عويم بن ساعدة ، وأطم آخر فى موضع الدار التى يقال لها واقم بقباء كان لأحيحة قبل تحوله للعصبة .

(١) سعد بن عبادة ــ رضى الله عنه ــ من بنى حارثة الخزرجيين

الواتج — الواتج ـ كان به الشيخان ، وهما أطمان كما سبق ، و بطرفه ممايلى قناة أطم يقال له الأزرق .

الوبره — الوبْرَة ـ بسكون الموحدة ، قرية على عين من جبال آرة ، وجاء ذكرها في حديث أهبان الأسلمى أنه كان يسكن يين وهى من بلاد أسـلم : بينا هو يرعى بحرة الوَبْرَة عدا الذئب على غنمه ، الحديث ، قاله المجد تبعا لياقوت ، وهو وهم ؛ لأن الوبرة هذه بالفرع كما يؤخذ مما سبق فى آرة ، على أربعة أيام من المدينة و يين على بريد من المدينة كما سيأتى ، وتقدم عن المجد فى حرة الوبرة ما يخالف المذكور هنا ، وهو الصواب ، وقد وقع الموضعان كذلك فى كلام ياقوت فتبعه المجد .

وبعان — و بعان ـ بالفتح ثم الكسر و إهمال العين آخره نون ، و يقال باللام بدل الباء ، قرية على أكناف آرة ، قاله المجد .

وجمة — وجْمة ـ بالفتح وسكون الجيم ، جبل يدفع سيله فى عنقه .

الوحيدة — الوحيدة ـ مؤنث الوحيد للمنفرد، من أعراض المدينة بينها و بين مكة .

ودان — وَدّان ـ بالفتح ودال مهملة مشددة آخره نون، قريةمن نواحى الفرع لضمرة وغفار وكنانة ، على ثمانية أميال من الأبواء ، أكثر نُصَيب من ذكرها قال :

أقول لرَكْبٍ قافلـين عشيةً ... قفَا ذَات أوشالٍ ومولاكَ قاربُ

قفوا أخبرونى عن سليمان ، إننى ... لمعروفهِ من أهل ودّان راغب

فعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وقال أبو زيد : ودّان من الجحفة على مرحلة ، بينها و بين الأبواء ستة أميال وبها كان أيام مقامى بالحجاز رئيس لبنى جعفر بن أبى طالب ، ولهم بالفرع وساية ضياع وعشيرة ، و بينهم و بين الحسنيين حروب ، ولم يزل كذلك حتى استولت طائفة من اليمن تعرف ببنى حرب على ضياعهم .

ودعان — ودعان ـ بالفتح ثم السكون وعين مهملة آخره نون ، موضع بينبع .

الوراق — هضب الوراق ـ جبل تقدم [فى] حمى ضرية .

ورقان — وَرِقان — بالفتح ثم الكسر وقد تسكن و بالقاف ، جبل عظيم أسود على يسار المصعد من المدينة ، و ينقاد من سيالة إلى الجى بين العرج والرويثة ،و بسفحه عن يمينه سيالة ثم الروحاء ثم الرويثة ثم الجى ، وفى ورقان أنواع الشجر المثمر وغير المثمر والقرظ والسماق ، وفيه أوشال وعيون ، سكانُه بنو أوس من مزينة قوم صدق أهل عمود ، قاله عرام .

وقال الأسدى : إنه على يسار الطريق حين يخرج من السيالة ، و يقال : إنه يتصل إلى مكة ، انتهى .

وذكر عرام أن الذى يليه عند الجى القدسان ، يفصل بينه و بينهما عقبة ركوبة ، وسبق فى فضل أُحُد من حديث الطبرانى أن ورقان من جبال الجنة ، وحديث « خير الجبال أحد والأشعر وورقان » وأنه أحَدُ الأَجْبُل التى وقعت بالمدينة من الجبل الذى تجلى الله تعالى له ، وفى رواية أنه أحد الأجبل التى بنيت الكعبة منها ، وسبق فى مسجد عرق الظبية قوله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما اسم هذا الجبل » يعنى ورقان « هذا حمت ، جبل من جبال الجنة ، اللهم بارك فيه و بارك لأهله » ثم قال « هذا سجاسج للروحاء ، هذا واد من أودية الجنة » قال ابن شبة: يقال يومٌ حمت ؛ إذا كان شد الحر : أى هو قوى شديد .

الوسباء — الوسباء — بالفتح وسكون السين المهملة ثم باء موحدة و بالمد ، ماء لبنى سليم بلحف أبلى .

وسط — وسط — جبل بحمى ضرية ، ينسب إليه دارة وسط بناحيته اليسرى .

وسوس — وسوس — من الوسواس من أودية القبلية ، يصب من الأجرد على الحاضرة والنكباء ، وهما فرعان بهما نخل لجهينة وغيرهم ، والحاضرة عين لبنى عبد العزيز ابن عمر فى صدر الحرار .

الوشيجة — الوشيجة — بالفتح وكسر الشين المعجمة ثم مثناة تحت وجيم وهاء ، من أودية العقيق

ذو وشيع — ذو وشيع — بالفتح ثم الكسر آخره عين مهملة ، من أموال المدينة .

الوطيح — الوطيح ـ بالفتح وكسر الطاء المهملة وياء وحاء مهملة ، من أعظم حصون خيبر ، سمى بوطيح بن مازن رجل من ثمود ، وفى كتاب أبى عبيدة «الوطيحة» بزيادة هاء .

وظيف الحمار — وظيف الحمار ـ بالظاء المعجمة والمثناة تحت والفاء ، مستدق الذراع والساق من الحمار ونحوه ، هو من العقيق ما بين سقاية سليمان بن عبد الملك إلى زغابة

وفى طبقات ابن سعد فى قصة ماعز أنه لما مَسَّته الحجارة فر يعدو قبل العقيق فأدرك بالمكيمن ، وكان الذى أدركه عبد الله بن أنيس بوظيف حمار ، فلم يزل يضرب به حتى قتله ، انتهى . والمكيمن : بالعقيق ، لكنه بعيد من الموضع المذكور

وعيرة — وعيرة ـ بالفتح وكسر العين المهلة وسكون المثناة تحت وفتح الراء ثم هاء ، جبل شرقى ثور ، أكبر منه وأصغر من أحد .

ولعان — ولعان ـ لغة فى و بعان كما سبق

حرف الياء

يتيب — يتيب ـ بالفتح ثم كسر المثناة فوق ثم مثناة تحت ثم موحدة ، جبل له ذكر فى حدود الحرم ، وفى نزول أبى سفيان به حين حرق صورا من صيران العريص كذا قاله المجد ، وسبق فى حدود الحرم مايخالفه فى الضبط .

يثرب — يثرب ـ تقدم فى أسماء المدينة ، وقال ابن زبالة : يثرب أم قرى المدينة ، وهى ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف ، أى هذا حدها من المشرق والمغرب وما بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة أى من الشام والقبلية ، وفى شامى الموضع المعروف اليوم بيثرب نخل يعرف بالمال ، وزبالة تقدم بيانها .

ذو يدوم — ذو يدوم ـ من أدوية العقيق

يديع — يديع ـ بالفتح وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ثم عين مهملة ، ناحية بين فدك وخيبر ، بها مياه وعيون لفزارة وغيرهم

يراجم — يراجم ـ غدير ببطن قاع النقيع فى صير الجبل نصيف [؟] روى الزبير أن

النبي صلى الله عليه وسلم توضأ من غدير يراجم بالنقيع وقال : إنكم ببقعة مباركة، وقال تبع الملك :

ولقد شربت على يراجم شربة كادت بباقية الحـــياة تذيع

يرعة

يَرَعَة — محركة والعين مهملة ، فى ديار فزارة ، بين ثوابة والحراضة .

يلبن

يلبن — بالفتح ثم السكون ثم موحدة مفتوحة ثم نون ، غدير بنقيع الحمى فى صير ، وقال ابن السكيت : هو قَلْتٌ[1] عظيم بالنقيع من حرة سليم ، قال الهجرى : و يقول الفصحاء فيه « ألبن » بهمزة بدال الياء و « يلبن » بالياء ، وقال المجد : هو جبل قرب المدينة ، وقيل: غدير بها .

اليسيرة

اليسيرة — بئر بنى أمية بن زيد ، تقدمت فى الآبار .

يليل

يليل — بياءين مفتوحتين بينهما لام وآخره لام ، وادٍ بناحية ينبع والصفراء، يصب فى البحر ، و به عين كبيرة تخرج من جوف رمل من أغزر ما يكون من العيون ، وتجرى فى الرمل فلا يستطيعون الزراعة عليها إلا فى أحياء الرمل ، وبها نخل وبُقُول ، وتسمى النجير ، و يتلوها الجار ، وهو على شاطىء من النجير ، قاله عرام .

وفى غزوة بدر أن قريشا نزلت بالعُدْوَة القُصْوَى من الوادى خلف العَقَنْقَل و يليل بين بدر و بين العقنقل ، فيليل هذا غير يليل السابق ذكره فى الخلائق ؛ لأن ذاك عند الضبُوعة ، ومن مجتمعهما تخرج إلى فرش ملل .

وروى برجال وثقوا عن سبرة بن معبد قال: رأى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سحابة ، فقالوا : يا رسول الله كنا نرجو أن تُمْطِرنا هذه السحابة، فقال : إن هذه أمِرَتْ أن تمطر بيليل ، يعنى واديا يقال له يليل .

---

(١) القلت : النقرة فى الجبل .

ينبع

ينبع – بالفتح ثم السكون وضم الموحدة و إهمال العين مضارع « نَبَعَ الماء » أى ظهر ، من نواحى المدينة على أربعة أيام منها ، و إنما أفردت عنها فى الأعْصُر الأخيرة ، سميت به لكثرة ينابيعها ، قال بعضهم : عددت بها مائة وسبعين عينا .

ولما أشرف عليها على رضى الله تعالى عنه ونظر إلى جبالها قال : لقد وضعت على نقى من الماء عظيم ، وسكانها جهينة و بنو ليث والأنصار ، وهى اليوم لبنى حسن العلويين .

وروى ابن شبة أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أقطع عليا بينبع ، ثم اشترى علىّ إلى قطيعة عمر شيئاً .

وروى أيضاً عن كشد[؟] بن مالك الجهنى قال : نزل طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد بن على بالمنحار – وهو موضع بين حوزة السفلى و بين منحو ين على طريق تجار الشام – يرقبان عير أبى سفيان ، فأجازهما كشد ، فلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبع أقطعها لكشد ، فقال : إنى كبير ، ولكن أقطعها لابن أخى ، فأقطعها له ، فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد الأنصارى بثلاثين ألف درهم ، فخرج عبد الرحمن إليها وأصابه صافيها وريحها ، فقدرها ، وأقبل راجعاً ، فلحق على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه دون ينبع ، فقال : من أين جئت ؟ فقال : من ينبع ، وقد سئمتها ، فهل لك أن تبتاعها ؟ قال على : قد أخذتها بالثمن ، قال : هى لك ، فكان أول شىء عمله على فيها البغيبغة .

وعن عمار بن ياسر قال : أقطع النبى صلى الله عليه وسلم عليا بذى العشيرة من ينبع ، ثم أقطعه عمر بعد ما استخلف قطيعة ، واشترى علىّ إليها قطيعة ، وكانت أموال على بينبع عيونا متفرقة تصدق بها .

وروى أحمد بن الضحاك أن أبا فضالة خرج عائداً لعلى بينبع ، وكان مريضاً، فقال له : ما يسكنك هذا المنزل ؟ لو هلكت لم يلك إلا الأعراب أعراب جهينة،

فاحتمل إلى المدينة فإن أصابك قَدَر وَليكَ أصحابُكَ ، فقال على : إنى لستُ بميت من وجعى هـذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلىّ أن لا أموت حتى أضرب ثم تخضب هذه — يعنى لحيته — من هذه، يعنى هامته .

يهيق — موضع قرب المدينة ، قال المجد : لم أر مَنْ تعرض له ، وفى الحديث « ليوشكن أن يبلغ بنيانهم سيفاً » يعنى أهل المدينة

يهيق

ينبن — بياءين مفتوحة ثم ساكنة ثم نون ، وليس فى كلامهم ما فاؤه وعينه ياء غيره ، وضبطه الصغانى بفتح الياءين .

ينبن

قال نصر : ينبن وادٍ به عين من أعراض المدينة ، على بريد منها ، وهى منازل أسلم من خزاعة .

وقال الزمخشرى : يَيْن عين بوادٍ يقال له حورتان ، لبنى زيد الموسوى من بنى الحسن .

وفى سر الصناعة : ينبن واد بين ضاحك وضويحك ، جبلان بأسفل الفرش .

قلت : وسيلهما يصب فى حورتين ، فلا تخالف ، وأثر العين والقرية اليوم موجود هناك ، وكان بها فواكه كثيرة ، حتى نقل الهجرى أن ينبن بلد فاكهة المدينة ، وكانت تعرف من قريب بقرية بنى زيد ، فوقع بينهم و بين بنى يزيد حروب ، فجلا بنو زيد عنها إلى الصفراء ، و بنو يزيد إلى الفرع ، فخربت ، وكانت منازل بنى أسلم قديماً .

وعن أسماء بن خارجة الأسلمى قال : دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء ، فقال : أصُمْتَ اليوم يا أسماء ؟ فقلت : لا ، قال : فصم ، قلت : قد تغديت ، قال : صُمْ ما بقى من يومك ، وأمر قومك يصومونه ، قال : فأخذت نعلى بيدى فما دخلَتْ رجلى حتى وردت ينبن على قومى ، فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم أن تصوموا بقية يومكم .

وفى حديث أهبان الأسْلَمِى ثم الخزاعى أنه كان يسكن يين ، فبينا هو يرعى بحرة الوَبْرَة عدَا الذئبُ على غنمه ، الحديثَ .

وقال ابن هَرْمَةَ :

أدار سـليمى بَيْنَ يَيْنَ فمثعر أبيني ، فما استُخْبِرْتَ إلا لتُخْبِرِى

ومحجة يين طريق درب الفقرة التى فى شـامى الجمَّاوات : لأن يَيْن على يمين طريق مكة قرب ملل ، وقال الهجرى : قال أبو الحسن : عبود جبل بين مدفع مر يين و بين ملل ومر يين طريق ، أى يسلك هناك و يريد مر يين بطرف عبود . وقال ابن إسحاق ، فى المسير إلى بدر : ثم مر على تربان ، ثم على ملل ، ثم على عميس الحمام من مر يين ثم على صخيرات الثمام ، و يين أيضاً : بئر بوادى بوادى عياش ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب الثامن
فى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم
وفيه أربعة فصول

الفصل الأول
فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصا

الحديث الأول

روى الدار قطنى والبيهقى وغيرها ، قال الدارقطنى : حدثنا القاضى المحاملى ، حدثنا عبيد بن محمد الوراق ، حدثنا موسى بن هلال العبدى ، عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » .

قال السبكى: كذا فى عدة نسخ مُعْتَمَدة من سنن الدارقطنى عبيدالله مصغرا، وكذلك الدارقطنى فى غير السنن ، واتفقت رواياته من طريق محمد بن أحمد بن

محمد ومحمد بن عبد الملك بن بشران وأبى النعمان تراب بن عبيد كلهم عن الدارقطنى عن المحاملى على عبيد الله مصغراً ، ورواه غير الدارقطنى عن غير المحاملى كما رواه البيهقى من طريق محمد بن رنجويه القشيرى ، قال : حدثنا عبيد بن محمد بن القاسم ابن أبى مريم الوراق ، حدثنا موسى بن هلال العبدى ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، الحديث ؛ فثبت عن عبيد بن محمد وهو ثقة روايته على التصغير ، ورواه جماعة غيره عن موسى بن هلال منهم جعفر ابن محمد البزورى حدثنا محمد بن هلال البصرى عن عبيد الله مصغراً رواه العقيلى ومنهم محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى، واختلف عليه؛فروى عنه مصغرا كغيره، وروى عنه مكبراً ، ومرّض ذلك الحافظ يحيى بن على القرشى ، وصوب التصغير ، وفى تاريخ ابن عساكر بخط البرزالى : المحفوظ عن ابن سمرة « عبيد الله » وفى كامل ابن عدى « عبد الله أصح » قال السبكى : وفيه نظر ، والذى يترجح « عبيد الله » لتضافر روايات عبيد بن محمد كلها و بعض روايات ابن سمرة ، ولما سيأتى فى الحديث الثالث من متابعة مسلمة الجهنى لموسى بن هلال ، و يحتمل أن موسى سمع الحديث من عبيد الله وعبد الله جميعاً ، وحدث به عن هذا تارة وعن هذا أخرى . وممن رواه عن موسى عن عبد الله مكبراً الفضلُ بن سهل ؛ فإن صح حمل على أنه عنهما ، إذ لامنافاة ، على أن المكبر روى له مسلم مقرونا بغيره ، وقال أحمد : صالح ، وقال أبو حاتم : رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه ، وقال يحيى بن معين : ليس به بأس ، يُكتَب حديثه ، وقال : إنه فى نافع صالح، وقال ابن عدى : لا بأس به ، صدوق . وقال ابن حبان ما حاصله : إن الكلام عليه لكثرة غلطه لغلبة الصلاح عليه ، حتى غلب عن ضبط الأخبار .

قال السبكى : وهذا الحديث ليس فى مظنة الالتباس عليه ، لا سندا ولا متنا ؛ لأنه فى نافع ، وهو خصيص به ، ومتنه فى غاية القصر والوضوح ، والرواة إلى موسى

ابن هلال ثقات ، وموسى قال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به ، وقد روى عنه ستة منهم الإمام أحمد ، ولم يكن يروى إلا عن ثقة ، فلا يضره قول أبى حاتم الرازى : إنه مجهول ، وقول العقيلى : لا يتابع عليه ، وقول البيهقى : سواء قال عبيد الله أم عبد الله فهو منكر عن نافع ، لم يأت به غيره ، فهذا وشبهه يدلك على أنه لا علة لهذا الحديث إلا تفرد موسى به ، وأنهم لم يحتملوه له لخفاء حاله ، وإلا فكم من ثقة ينفرد بأشياء وتُقْبل منه .

قلت : ولهذا قال بعض الحفاظ ممن هو فى طبقة ابن منده : هذا الخبر رواه عن موسى بن هلال محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسى ، ومحمد بن جابر المحاربى ، ويوسف بن موسى القطان ، وهرون بن سفيان ، والفضل بن سهل ، والعباس بن الفضل ، وعبيد بن محمد الوراق ، وبعض هؤلاء قال فى حديثه : عن عبيد الله بن عمر ، ذكرناه بأسانيده فى الكتاب الكبير ، ولا نعلم رواه عن نافع إلا العمرى ، ولا عنه إلا موسى بن هلال العبدى ، تفرد به ، انتهى .

قال السبكى عقب ما تقدم : وأما بعد قول ابن عدى فى موسى ما قال ووجود متابع فإنه يتعين قبوله ، ولذلك ذكره عبد الحق فى الأحكام الوسطى والصغرى ، وسكت عليه مع قوله فى الصغرى « إنه تخيرها صحيحة الإسناد ، معروفة عند النقاد » وقد نقلها الأثبات ، وتداولها الثقات ، وذكر نحوه فى الوسطى المعروفة اليوم بالكبرى ، وسبقه ابن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث كما سيأتى ، وهو متضمن لمعنى هذا ، وأقل درجات هذا الحديث الحُسْنُ إنْ نُوزِعَ فى صحته لما سيأتى من شواهده ، وتضافرُ الأحاديثِ يزيدُها قوة ، حتى إن الحسن قد يترقى بذلك إلى درجة الصحيح .

وقال الذهبى : طرق هذا الحديث كلها لينة يقوى بعضها بعضاً ؛ لأنه ما فى رواتها متهم بالكذب ، قال : ومن أجودها إسناداً حديث حاطب « مَنْ رآنى بعد موتى فكأنما رآنى فى حياتى » أخرجه ابن عساكر وغيره ، انتهى .

ومعنى قوله « وجبت » أنها ثابتة لا بد منها بالوعد الصادق .

وقوله «له» إما أن يراد بخصوصه فيخص الزائر بشفاعةٍ لا تحصل لغيره ، و إما أن يراد أنه تفرد بشفاعةٍ مما يحصل لغيره ، والإفراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة ، و إما أن يراد أنه بعدم تركه الزيارة يجب دخوله فيمن تناله الشفاعة؛ فهو بشرى بموته مسلماً ، فيجرى على عمومه ، ولا يضم فيه شرط الوفاة على الإسلام ، بخلافه على الأولين .

وقوله « شفاعتى » فى هذه الإضافة تشريف ، فإن الملائكة والأنبياء والمؤمنين يشفعون ، والزائر له نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه ، والشفاعة تعظم بعظم الشافع .

الحديث الثانى

روى البزار من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفارى : حدثنا عن عبد الرحمن ابن زيد عن أبيه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ زار قبرى حَلَّتْ له شفاعتى » .

قال البزار : عبدالله بن إبراهيم حدث بأحاديثَ لم يتابَعْ عليها ، و إنما يكتب من حديثه مالا يحفظ إلا عنه ، وقال أبو داود : إنه منكر الحديث.

قال السبكى : وهذا الحديث هو الأول ، ولذلك عزاه عبدُ الحق للدارقطنى والبزار ، إلا أن فى الأول « وجبت » وفى هذا «حلت » فلذلك أفردته ، والقصدُ تقوية الأول به ، فلا يضره ما قيل فى الغفارى ، وكذا ما قيل فى عبد الرحمن بن زيد ، إذ ليس راجعاً إلى تهمة كذب ولا فسق ، ومثله يحتمل فى المتابعات والشواهد ، وقد روى الترمذى وابن ماجه لعبد الرحمن بن زيد، وقال ابن عدى: إن له أحاديث حِساناً ، و إنه ممن احتمله الناسُ وصدقه بعضهم ، و إنه ممن يكتب حديثه ، وصحح الحاكم حديثاً من جهته فى التوسل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

الحديث الثالث

روى الطبرانى فى الكبير والأوسط ، والدارقطنى فى أماليه ، وأبو بكر بن

المقرئ في معجمه ، من رواية مسلمة بن سالم الجهني قال : حدثني عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ جاءني زائراً لا تَحْمِله حاجة إلا زيارتي كان حقا عليّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة » وفي معجم ابن المقرىء عن مسلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن سالم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ جاءني زائراً كان له حقاً على الله عز وجل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » فقد تابع مسلمة الجهني موسى بن هلال في شيخه عبيد الله العمري ، والطرق كلها في روايته متفقة على عبيد الله المصغر الثقة ، إلا أن مسلمة بن حاتم الأنصاري رَوَاه عن مسلمة عن عبد الله مكبراً ، وأورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث في باب « ثواب من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم » من كتابه المسمى بالسنن الصحاح المأثورة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهو إمام حافظ ثقة مات بمصر سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، وكتابه هذا محذوف الأسانيد ، ومقتضى ما شرطه في خطبته أن يكون هذا الحديث مما أجمع على صحته .

قلت : ولهذا نقل عنه جماعة منهم الحافظ زين الدين العراقي أنه صححه ، فإما أن يكون ثبت عنده من غير طريق مسلمة أو أنه ارتقى إلى ذلك بكثرة الطرق ، وتبويبهُ دال على أنه فهم من هذا الحديث الزيارة بعد الموت ، أو أن ما بعد الموت داخل في العموم ، قال السبكي : وهو صحيح .

الحديث الرابع

روى الدارقطني ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وغيرهما من طريق حفص ابن داود القارىء عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ حَجَّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي » .

ورواه ابن الجوزى فى « مثير الغرام الساكن» من طريق الحسن بن الطيب: حدثنا على بن حجر حدثنا حفص بن سليمان عن ليث عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من حج فزار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى وصحبنى » قال أبو اليمن بن عساكر : تفرد بقوله « وصحبنى» الحسن بن الطيب عن على بن حجر ، وفيه نظر، وهى زيادة منكرة ، قال السبكى : ولم ينفرد بها ابن الطيب ؛ فقد رواه كذلك ابن عدى فى كامله من طريق الحسن بن سفيان عن على بن حجر بالسند المتقدم ، ورواه أبو يعلى من طريق حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر بدون قوله « وصحبنى» .

قلت : والتشبيه بمن صحبنى لا يقتضى التشبيه به من كل وجه حتى يناقضه قوله « لو أنفق أحَدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهبا ـ الحديثَ » كما زعمه بعضهم .

وروى بعض الحفاظ المعاصرين لابن منده هذا الحديث من طريق حفص ابن سليمان عن ليث بلفظ « من حج فزارنى فى حياتى » قال السبكى : وحفص ابن أبى داود وَثّقه أحمد ، ثم روى ذلك عنه من طريقين ، قال : وذلك مقدم على من روى عنه تضعيفه ، وضعفه جماعة ، وهم حفص بن سليمان القارى الغاضرى على ما قاله البخارى وابن أبى حاتم وابن عدى وابن حبان وغيرهم ، وهو لم ينفرد بهذا الحديث ، ودعوى البيهقى انفراده به بحسب اطلاعه ؛ فقد جاء فى الكبير والأوسط للطبرانى متابعته ؛ فإنه روَاه من طريق عائشة بنت يونس امرأة الليث عن ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى فى حياتى » قال الهيثمى : فيه عائشة بنت يونس ،ولم أجد مَنْ ترجمها .

الحديث الخامس

روى ابن عدى فى الكامل من طريق محمد بن محمد بن النعمان حدثنى جدى

قال : حدثنى مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ حج البيت ولم يزرنى فقد جَفَانى » قاله ابن عدى : ولا أعلم رواه عن مالك غير النعمان بن شبل ، ولم أر فى أحاديثه حديثا غريباً قد جاوز الحد فأذكره ، وروى فى صدر ترجمته عن عمران بن موسى أنه وثقه وعن موسى بن هارون أنه متهم ، قال السبكى : هـذه التهمة غير مفسدة ، فالحكم بالتوثيق مقدم عليها ، والحديث ذكره الدار قطنى فى غرائب مالك بالسند المتقدم وقال : تفرد به هذا الشيخ وهو منكر ، والظاهر أن ذلك بحسب تفرده ، وعدم احتماله له بالنسبة إلى الإسناد المذكور ، ولا يلزم أن يكون المتن فى نفسه منكرا ولا موضوعا ، وذكر ابن الجوزى له فى الموضوعات سَرَفٌ منه.

الحديث السادس

روى الدارقطنى فى السنن فى الكلام على حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « مَنِ استطاع أن يموت فى المدينة فليفعل » من طريق موسى بن هارون عن محمد بن الحسن الجيلى عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ زارنى إلى المدينة كنت له شهيدا وشفيعا » قيل للجيلى : إنما هو سفيان بن موسى ، قال : اجعلوه على بن موسى . قال موسى بن هارون : ورواه إبراهيم بن الحجاج عن وهيب عن أيوب عن نافع مرسلا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلا أدرى أسمعه إبراهيم بن الحجاج أولا ؟

قلت : والصواب أنه من رواية سفيان بن موسى ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات .

قيل : وأخطأ راويه فى متنه ، والمعروف من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة ـ الحديث » وفيه نظر .

الحديث السابع

روى أبو داود الطّيالسي قال : حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدى قال : حدثنى رجل من آل عمر ، عن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ زار قبرى ـ أو قال مَنْ زارنى ـ كنت له شفيعا ، أو شهيدا ، ومن مات فى أحَدِ الحرمين بَعَثَهُ الله عز وجلّ فى الآمنين يوم القيامة » .

قال السبكى : سَوّار بن ميمون روى عنه شعبة ، فدل على ثقته عنده ، فلم يبق من يُنْظَرَ فيه إلا الرجل الذى من آل عمر ، والأمر فيه قريب ، لاسيما فى هذه الطبقة التى هى طبقة التابعين .

الحديث الثامن

روى أبو جعفر العقيلى من رواية سَوّار بن ميمون المتقدم عن رجل من آل الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ زارنى متعمدا كان فى جِوَارِى يوم القيامة ، ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله فى الآمنين يوم القيامة » وفى رواية أخرى عن هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب مرفوعا نحوه ، وزاد عقب قوله فى جوارى يوم القيامة « ومن سَكَنَ المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة » وقال فى آخره « من الآمنين يوم القيامة » بدل « فى الآمنين » . وهرُون بن قزعة ذكره ابن حبان فى الثقات ، والعقيلى لم يذكر فيه أكثر من قول البخارى : إنه لا يتابع عليه ، فلم يبق فيه إلا الرجل المبهم وإرساله .

وقوله فيه « من آل الخطاب » يوافق قوله فى رواية الطيالسى « من آل عمر » وقد أسنده الطيالسى عن عمر رضى الله تعالى عنه ، لكن البخارى لما ذكره

فى التاريخ قال: هارون بن قزعة عن رجل من ولد حاطب عن النبى صلى الله عليه وسلم « من مات فى أحد الحرمين » روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه ، وقال ابن حبان : إن هٰرون بن قزعة روى عن رجل من ولد حاطب المراسيلَ ، وعلى كلا التقديرين فهو مرسل جيد ، وسيأتى عن هٰرون بن قزعة أيضاً مسنداً بلفظ خر فى الحديث التاسع ، قاله السبكى .

الحديث التاسع

روى الدارقطنى وغيره من طريق هارون بن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة » وفى رواية أحمد بن مروان صاحب المجالسة عن هارون بن أبى قزعة مولى حاطب عن حاطب ، والرواية « عن رجل عن حاطب » كما سبق أولى الصواب

الحديث العاشر

روى أبو الفتح الأزدى فى الثانى من فوائده من طريق عمار بن محمد : حدثنى خالى سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عَلْقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ حج حجة الإسلام ، وزار قبرى ، وغزا غَزْوَة ، وصلى فى بيت المقدس ، لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه » .

قال السبكى : وعمار هو ابن أخت سفيان ، روى له مسلم والحسن بن عثمان الزيادى ، ووثقه الخطيب ، والراوى عنه ماعلمت من حاله شيئاً . وصاحب الخبر أبو الفتح من أهل العلم والفضل ، وكان حافظا ، ذكره الخطيب وابن السمعانى ، وأثنى عليه محمد بن جعفر بن علان ، وقال أبو النجيب الأرموى : رأيت أهل الموصل يُوَهِّنُونه جدا ، وسئل البرقانى عنه ، فأشار إلى أنه كان ضعيفا ، وذكر غيره كلاما أشد من هذا الحديث .

الحديث الحادى عشر

روى أبو الفتوح سعيد بن محمد اليعقوبى فى جزئه رواية إسماعيل المشهور بابن الأنباطى عنه قال فيه من طريق خالد بن يزيد : حدثنا عبد الله بن عمر العمرى قال : سمعت سعيدا المقبرى يقول : سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حىّ ، ومن زارنى كنت له شهيدا ، أو شفيعا ، يوم القيامة» .

وخالد بن يزيد إن كان العمرى فقد قال ابن حبان : إنه منكر الحديث.

الحديث الثانى عشر

روى ابن أبى الدنيا من طريق إسماعيل بن أبى فديك عن سليمان بن يزيد الكعبى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ زارنى بالمدينة كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » وفى رواية « كنت له شهيدا — أو شفيعاً — يوم القيامة » ورواه البيهقى بهذا الطريق ، ولفظه «مَنْ مات فى أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة ، ومن زارنى محتسباً إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة » .

وإسماعيل مجمع عليه ، وسليمان ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال أبو حاتم : إنه منكر الحديث ليس بقوى .

قلت : وزعم ابن عبد الهادى أن روايته عن أنس منقطعة، وأنه لم يدركه، فإنه إنما يروى عن التابعين وأتباعهم .

الحديث الثالث عشر

روى ابن النجار فى أخبار المدينة له، قال : أنبأنا أبو محمد بن على أخبرنا أبو يعلى الأزدى أخبرنا أخبرنا أبو إسحاق البجلى أخبرنا أبو سعيد بن أبى سعيد النيسابورى أخبرنا إبراهيم بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن محمد حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا

جعفر بن هارون حدثنا سمعان بن المهدى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ، ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة ، وما من أحدٍ من أمتى له سَعَة ثم لم يزرنى فليس له عذر » .

قلت : لم يتكلم عليه السبكى ، وقال الذهبى : سمعان بن مهدى عن أنس لايعرف ، أُلْصِقَتْ به نسخة مكذوبة ، رأيتها ، قبح الله مَنْ وضعها، انتهى .

قال الحافظ ابن حجر : وهى من رواية محمد بن مقاتل عن جعفر بن هارون الواسطى عن سمعان ، وهى أكثر من ثلثمائة حديث ، أَكْثَرُ متونها موضوعة ، انتهى .

الحديث الرابع عشر

روى أبو جعفر العقيلى فى الضعفاء فى ترجمة فضالة بن سعيد بن زميل المازنى من طريقه عن محمد بن يحيى المازنى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ، ومن زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا ، أو قال شفيعا » وذكره ابن عساكر من جهته بإسناده، إلا أنه قال « من رآنى فى المنام كان كمن رآنى فى حياتى » والباقى سواء .

وفضالة قال العقيلى : حديثه غير محفوظ ، لا يعرف إلا به ، قال السبكى : كذا رأيته فى كتاب العقيلى . ونقل ابن عساكر عنه أنه قال : لا يتابع على حديثه من جهة تَثْبت ، ولا يعرف إلا به . ومحمد بن يحيى المازنى قال ابن عدى: أحاديثه مظلمة منكرة ، ولم يذكر ابن عدى هذا الحديث فى أحاديثه ، ولم يذكر فيه ولا العقيلى فى فضالة شيئاً من الجرح سوى التفرد والنكارة .

الحديث الخامس عشر

روى بعض الحفاظ فى زمن ابن مَنْده قال : حدثنا أبو الحسن حامد بن حماد

ابن المبارك بسُرَّ مَنْ رأى بنصيبين حدثنا أبو أيوب إسحاق بن يسار بن محمد النصيبي حدثنا أسيد بن زيد حدثنا عيسى بن بشير عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان » وهو فى مسند الفردوس ، ولم يذكره السبكى .

وأسيد بن زيد هو الجمال ، قال الحافظ ابن حجر : هو ضعيف ، أفرط ابن معين فكذبه ، وله فى البخارى حديث واحد معروف بغيره ، انتهى؛ فهو ممن يستشهد به . وعيسى بن بشير : مجهول ، ومَنْ بعده ثقة .

الحديث السادس عشر

روى يحيى بن الحسن بن جعفر الحسينى فى أخبار المدينة له من طريق النعمان ابن شبل قال : حدثنا محمد بن الفضل مدينى سنة ست وسبعين عن جابر عن محمد ابن على عن على رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن لم يزرنى فقد جفانى » ولم يتكلم السبكى عليه .

والنعمان بن شبل : تقدم الكلام عليه فى الحديث الخامس ، وعن محمد بن الفضل قال : إنه مدينى ، فهو غير محمد بن الفضل بن عطية الذى كذبوه ، خلاف قول ابن عبد الهادى إنه هو ؛ لأن ذاك كوفى ، ويقال : مروزى نزل بخارى . وجابر إن كان الجعفى ــ كما قال ابن عبد الهادى ــ فهو ضعيف ، فيه كلام كثير وثقه شعبة والثورى . ومحمد بن على إن كان أبا جعفر الباقر فالسند منقطع ؛ لأنه لم يدرك جده على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، وإن كان ابن الحنفية فقد أدرك أباه علياً ، وقد قال أبو سعيد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الجركوسى فى شرف المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم : روى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ، ومن لم يزر قبرى فقد جفانى » .

وعبد الملك هذا توفى سنة ست وأربعمائة بنيسابور ، وقبره فيها مشهور يزار ، قاله السبكى ، قال : وقد روى حديث على من طريق أخرى ليس فيها تصريح بالرفع ، ذكرها ابن عساكر من طريق عبد الملك بن هرون بن عنترة عن أبيه عن جده عن على رضى الله تعالى عنه قال : مَنْ سأل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الدرجَةَ والوسيلة حَلّتْ له شفاعته يوم القيامة ، ومن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعبد الملك بن هرون بن عنترة فيه كلام كثير ، رَمَاه يحيى بن معين وابن حبان ، وقال البخارى :منكر الحديث ، وقال أحمد : ضعيف الحديث ، اه .

قلت : وقد رأيت فى نسخة من كتاب يحيى رواية ابنه طاهر بن يحيى عنه عقب حديث علىّ المتقدم مالفظه : حدثنا أبو يحيى محمد بن الفضل بن نباتة النميرى قال : حدثنا الجمالى قال : حدثنا الثورى عن عبد الله بن السائب عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مثله ، اه . ولم أر ذلك فى النسخة التى هى رواية ابن ابنه الحسين بن محمد بن يحيى عن جده يحيى .

الحديث السابع عشر

روى يحيى أيضاً قال : حدثنا محمد بن يعقوب حدثنا عبد الله بن وهب عن رجل عن بكر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ أتى المدينة زائراً لى وجبت له شفاعتى يوم القيامة ، ومن مات فى أحد الحرمين بعث آمنا » ولم يتكلم عليه السبكى .

ومحمد بن يعقوب هو أبو عمر الزبيرى المدنى ، صدوق . وعبد الله بن وهب ثقة ، ففيه الرجل المبهم . و بكر بن عبد الله إن كان المزنى فهو تابعى جليل؛ فيكون مرسلا ، و إن كان هو بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصارى فهو صحابى .

الفصل الثانى

فى بقية أدلة الزيارة، و إن لم تتضمن لفظ الزيارة نصاً

و بيان تأكد مشروعيتها وقربها من درجة الوجوب ، حتى أطلقه بعضهم عليها ، و بيان حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى قبره ، ومشروعية شدّ الرحال إليه ، وصحة نذر زيارته صلى الله عليه وسلم ، والاستئجار للسلام عليه .

روى أبو داود بسند صحيح كما قال السبكى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مامن أحدٍ يُسَلم علىّ إلا رَدَّ الله علىّ رُوحى حتى أرد عليه السلام » وقد صَدَّر به البيهقى باب زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، واعتمد عليه جماعة من الأئمة فيها منهم الإمام أحمد ، قال السبكى : وهو اعتماد صحيح ؛ لتضمنه فضيلة رد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهى عظيمة .

وذكر ابن قدامة الحديثَ من رواية أحمد بلفظ « مامن أحد يسلِّم علىّ عند قبرى » فإن ثبت فهو صريح فى تخصيص هذه الفضيلة بالمسلم عند القبر ، و إلا فالمسلِّم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب ابتداء وجوابا ، ففيه فضيلة زائدة على الرد على الغائب ، مع أن السلام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم على نوعين : الأول ما يقصد الدعاء منا بالتسليم عليه من الله ، سواء كان بلفظ الغيبة أو الحضور ، كقولنا : صلى الله تعالى عليه وسلم ، والصلاة والسلام عليك يارسول الله ، سواء كان من الغائب عنه أو الحاضر عنده ، وهذا هو الذى قيل باختصاصه به صلى الله عليه وسلم عن الأمة ، حتى لا يسلم على غيره من الأمة إلا تبعاً كالصلاة عليه ، فلا يقال : فلان عليه السلام . الثانى : مايقصد به التحية كسلام الزائر إذا وَصَل إلى قبره ، وهو غير مختص ، بل يعم الأمة ، وهو مبتدع للرد على المسلم بنفسه أو برسوله فيحصل ذلك منه عليه السلام . وأما الأول فالله أعلم ، فإن ثبت امتاز

الثانى بالقرب والخطاب ، و إلا فقد حُرِمَ مَنْ لم يزر هذه الفضيلة ، وهو مقتضى ما فسر به الحديث الإمام الجليل أبوعبدالرحمن عبد الله بن زيد المقبرى أحداً كابر شيوخ البخارى ، حيث قال فى قوله «مامن أحديسلم علىّ الحديثَ» :هذا فى الزيارة إذا زارنى فسلَّم على رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه ، وأما حديث « أتانى ملك فقال يامحمد أما يرضيك أن لايصلى عليه أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ، أو لا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشراً» فالظاهر أنه فى السلام بالنوع الأول .

وروى النسائى و إسماعيل القاضى بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه مرفوعاً إن لله ملائكةً سَيَّاحِينَ فى الأرض يُبَلِّغُون من أمتى السلام ، وجاءت أحاديث أخرى فى عرض الملك لصلاة الأمة وسلامها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهذا فى حق الغائب . وأما الحاضر عند القبر ، فهل يكون كذلك أو يسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم بلا واسطة ؟ فيه حديثان : أحدهما : « مَنْ صلى علىّ عند قبرى سمعته ، ومن صلى على نائياً بُلِّغْته » رواه جماعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعاً من طريق أبى عبد الرحمن محمد بن مروان السدى الصغير ، وهو ضعيف . قال الطيالسى: حدثنا العلاء بن محمود حدثنا أبو عبدالرحمن ـ قال البيهقى : أبو عبد الرحمن هذا هو محمد بن مروان السدى فيما أرى ـ وفيه نظر ، انتهى . قلت : وروى نحوه أبو محمد عبد الرحمن بن حمدان بن عبد الرحمن ابن المرزبان الخلال من طريق أبى البحترى ، وهو ضعيف جدا ،عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « مَنْ صلى علىّ عند قبرى رَدَدْتُ عليه ، ومن صلى على فى مكان آخر بلغونيه» .والحديث الثانى ـ وهو أضعف من الأول ـ عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أيضاً « مَنْ صلى على عند قبرى وكّلَ الله بها ملكا يبلغنى ، وكُفِىَ أمر آخرته ، وكنت له شهيداً وشفيعاً » وفى رواية « ما من عبد يسلم على عند

قبرى إلا وكل الله بها مَلَكا يبلغنى ، وكفى أمر آخرته ودنياه ، وكنت له شهيداً وشفيعا يوم القيامة » فإن ثبت الأول فكفى بذلك شرفا ، وإلا فهو مرجو ، فينبغى الحرص عليه ، قال السبكى : وسيأتى مايدل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع من يسلم عليه عند قبره ويرد عليه عالما بحضوره عند قبره . وكفى بهذا فضلا حقيقا بأن ينفق فيه مُلك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض .

قلت : روى عبد الحق فى الأحكام الصغرى ـ وقال : إسناده صحيح ـ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « ما مِنْ أحــدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه إلا عَرَفَه ، ورد عليه السلام » ورواه ابن عبد البر وصححه كما نقله ابن تيمية ، لكن بلفظ « مامن رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا رَدَّ الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام » وقال عبد الحق فى كتاب العاقبة : ويروى من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم » وروى ابن أبى الدنيا عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : إذا مر الرجل بقبرٍ يَعْرِفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام .

والآثار فى هذا المعنى كثيرة ، وقد ذكر ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم ـ كما نقله ابن عبد الهادى ـ أن الشهداء بل كل المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلَّم عليهم عرفوا به ، وردوا عليه السلام ، فإذا كان هذا فى آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ؟

وذكر البارزى فى « توثيق عرى الإيمان » عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبى صلى الله تعالى وسلم فى النوم فقلت : يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم ؟ قال : وأرد عليهم .

وروى ابن النجار عن إبراهيم بن بشار ، قال : حججت فى بعض السنين ،

فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسلمت عليه ، فسمعت من داخل الحجرة : وعليك السلام ، وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من الأولياء والصالحين .

ولا شك فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته ، وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم حياةً أكملَ من حياة الشهداء التى أخبر الله تعالى بها فى كتابه العزيز ، ونبيُّنا صلى الله تعالى عليه وسلم سيدُ الشهداء ، وأعمال الشهداء فى ميزانه ، وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم « علمى بعد وفاتى كعلمى فى حياتى » رواه الحافظ المنذرى .

وروى ابن عدى فى كامله عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « الأنبياء أحْياء فى قبورهم يصلون » ورواه أبو يعلى برجال ثقات ، ورواه البيهقى وصححه ، وروى من طريق ابن أبى ليلى — وهو سيىء الحفظ — عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « إن الأنبياء لا يتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكن يصلون بين يدى الله حتى ينفخ فى الصور » قال البيهقى : وإن صح بهذا اللفظ فالمراد — والله أعلم — لا يتركون لا يصلون إلا هذا المقدار ، ثم يكونون مصلين فيما بين يدى الله تعالى .

قال البيهقى : ولحياة الأنبياء — صلوات الله وسلامه عليهم — بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة ، ثم ذكر حديث « مَرَرْتُ بموسى وهو قائم يصلى فى قبره » وغيره من أحاديث لقاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الأنبياء وصلاته بهم ، وحديثَ الصحيحين « فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله عز وجل » قال البيهقى : وهذا إنما يصح على أن الله عز وجل يردُّ على الأنبياء صلوات الله

وسلامه عليهم أرواحَهم ، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، فإذا نفخ فى الصور النفخة الأولى صُعِقُوا فيمن صعق ، ثم لا يكون ذلك موتا فى جميع معانيه ، إلا فى ذهاب الاستشعار فى تلك الحالة . ويقال : إن الشهداء ممن استثنى الله عز وجل بقوله (إلا من شاء الله) قال : وروينا فى ذلك خبرا مرفوعا ، وذكر أيضا حديث أوس بن أوس مرفوعا « أفْضَلُ أيامِكم يومُ الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكْثِرُوا علىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على » قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ ؟ يقولون بَلِيتَ ، فقال « إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه ، وذكر البيهقى له شواهد ، ثم ذكر حديث « إن لله ملائكة سَيَّاحين يبلغون عن أمتى السلام » وغيره .

وروى ابن ماجه بإسناد جيد — كما قال المنذرى — عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « أكْثِرُوا الصلاةَ على يوم الجمعة فإنه مَشْهود تَشْهده الملائكة ، وإنْ أحَدٌ يصلى على إلا عرضت على صلاته حين يفرغ منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال « وبعد الموت ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » فنبى الله صلى الله عليه وسلم حى يرزق ، هذا لفظ ابن ماجه ، قال السبكى : وفى إسناده زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى، إلا أنه يتقوى باعتضاده بغيره .

وروى البزار برجال الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال « إن لله ملائكةً سَيَّاحِينَ يبلغونِّى عن أمتى » قال : وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « حياتى خير لكم ، تُحَدِّثون ويحدث لكم ، ووفاتى خير لكم ، تعرض على أعمالكم ، فما رأيت من خير حمدت الله عليه ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم » .

وقال الأستاذ أبو منصور البغدادى فى أجوبة مسائل الجاجرميين : قال المتكلمون المحققون من أصحابنا : إن نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم حى بعد وفاته ، يُسَرُّ بطاعات أمته، وإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يَبْلَوْنَ ، وسيأتى فى الفصل الثالث قولُ ابن حبيب : فإنه صلى الله عليه وسلم يَسْمَع ويَعْلَمَ وقوفك بين يديه .

وقال البيهقى فى كتاب الاعتقاد : الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد ما قبضوا ردَّتْ إليهم أرواحهم ؛ فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، وقد رأى نبيُّنا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج جماعةً منهم ، قال : وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتابا .

قلت : ويؤيد ذلك حديث « إن عيسى ابن مريم عليه السلام مار بالمدينة حاجا أومعتمرا ، وإن سلم علىَّ لأردَّنَّ عليه » .

فان قيل : قوله فى الحديث المصدر به هذا الفصل « إلا رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه » دال على عدم استمرار الحياة .

فالجواب من وجوه : الأول : أن البيهقى استدل به على حياة الأنبياء ، قال : وإنما أراد والله أعلم إلا وقد رد الله علىّ روحى حتى أرد عليه، الثانى : أن السبكى قال : يحتمل أن يكون ردا معنويا ، وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة والملأ الأعلى عن هذا العالم ؛ فإذا سلم عليه أقبلت روحه على هذا العالم لتدارك السلام وترد على المسلِّم ، يعنى أن رد روحه الشريفة التفاتٌ روحانى ، وتنزُّلٌ إلى دوائر البشرية من الاستغراق فى الحضرة العلية . الثالث : قال بعضهم : هو خطاب على مقدار فَهم المخاطبين فى الخارج من الدنيا أنه لا بد من عَوْد روحه حتى يسمع ويجيب ، فكأنه قال : أنا أجيب ذلك تمام الإجابة ، وأسمعه تمام السماع ، مع دلالته على رد الروح عند سلام أول مسلِّم ، وقبضها

بعد لم يرد ، ولا قائل بتكرر ذلك ، إذ يفضى ذلك إلى توالى موتات لا تحصر ، مع أنا نعتقد ثبوتَ الإدراكات كالعلم والسماع لسائر الموتى ، فضلا عن الأنبياء ، وَيَقْطَع بعَوْد الحياة لكل ميت فى قبره ، كما ثبت فى السنة ، ولم يثبت أنه يموت بعد ذلك موتة ثانية ، بل ثبت نعيمُ القبرِ وعذابه ، و إدراك ذلك من الأعراض المشروطة بالحياة ، لكن يكفى فيه حياة جزء يقع به الإدراك ، فلا يتوقف على البنية كما زعم المعتزلة .

وأما أدلّة حياة الأنبياء فمقتضاها حياة الأبدان كحالة الدنيا ، مع الاستغناء عن الغذاء ، ومع قوة النفوذ فى العالم ، وقد أوضحنا المسألة فى كتابنا المسمى « بالوفا ، لما يجب لحضرة المصطفى » صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقال أبو محمد عبد الله بن عبد الملك المرجانى فى أخبار المدينة له : قال صاحب الدر المنظم : إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات ترك فى أمته رحمة لهم، روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : مامن نبى دفن إلا وقد رفع بعد ثلاث غيرى ، فإنى سألتُ الله عز وجل أن أكون بينكم إلى يوم القيامة ، اهـ وقال الحافظ ابن حجر : إن حديث « أنا أكرم على ربى من أن يتركنى فى قبرى بعد ثلاث » ذكره الغزالى لا أصل له ، اهـ .

وروى عبد الرزاق أن سعيد بن المسيب رأى قوما يسلمون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : مامكث نبى فى الأرض أكثر من أربعين ، ثم روى عبد الرزاق إلىّ حديث « مررت بموسى ليلة أسرى بى وهو قائم يصلى فى قبره » كأنه أراد رَدَّ ما روى عن ابن المسيب ، وهو رد صحيح ، ولو صح قول ابن المسيب لم يقدح فى مشروعية زيارة القبر ؛ لشرفه بنسبته إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلاقته به ، وابن المسيب لم ينكر التسليم ، و إنما أفاد تلك الفائدة ، مع أنا قد قطعنا بوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قبره الشريف ، والأصل استمراره ؛ فيستمر على ذلك حتى يقوم قاطع على خلافه ، مع أنه جاء عن غير

ابن المسيب ما يقتضى الاستمرار ، فمن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه أنه لما حُضِرَ أشار بعضُ الصحابة عليه أن يلحق بالشام ، فقال : لن أفارق دار هجرتى ومجاورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ، وقصة سعيد بن المسيب فى سماعه الأذان والإقامة من القبر الشريف أيام الحرة مشهورة .

وقال يحيى : حدثنا هرون بن عبد الملك ابن الماجشون أن خالد بن الوليد بن الحارث بن الحكم بن العاص وهو ابن مطيرة قام على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة فقال : لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وهو يعلم أنه خائن ، ولكن شفعت له ابنتُه فاطمة رضى الله تعالى عنها ، وداود بن قيس فى الروضة ، فقام فقال : أس ، أى يسكته، قال : فزق الناس قميصا كان عليه شقائق حتى وتروه ، وأجلسوه حذرا عليه منه ، وقال : رأيت كفا خرجت من القبر قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول : كَذَبْتَ ياعدوّ الله ، كذبت يا كافر ، مرارا .

وممن سافر إلى زيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الشام إلى قبره عليه السلام بالمدينة بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه،قال : لما رحل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه من فَتْح بيت المقدس فصار إلى جابية ، سأله بلال أن يقره بالشام ، ففعل ، وذكر قصة فى نزوله بداريا ، قال : ثم إن بلالا رأى فى منامه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورنى يا بلال ؟ فانتبه حزينا وَجِلاً خائفاً ، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسنُ والحسين رضى الله تعالى عنهما ، فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا له : يا بلال، نشتهى أن نَسْمَعَ أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد ، ففعل ، فعَلاَ سَطْحَ المسجد ، فوقف موقفه الذى كان يقف فيه ،

فلما أن قال « الله أكبر الله أكبر » ارتجّت المدينة ، فلما أن قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » ازدادت رجتها ، فلما أن قال «أشهد أن محمداً رسول الله» خرجت العوَاتق من خدورهن،وقالوا : بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فما رؤى يومٌ أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك اليوم ، كذا ذكر ابن عساكر فيما نقل السبكى ، فقال الحافظ عبد الغنى وغيره فى ترجمة بلال : ولم يؤذن بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما روى إلا مرة واحدة فى قدومه المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد طلب إليه الصحابة ذلك ، فأذن ولم يتم الأذان ، وقيل : إنه أذن لأبى بكر رضى الله تعالى عنه فى خلافته ، قال السبكى : ليس اعتمادنا ـ يعنى فى الأخذ بذلك فى السفر للزيارة ـ على رؤيا المنام فقط ، بل على فعل بلال، سيما فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ، والصحابة متوافرون ولا تخفى عنهم هذه القصة ، ورؤيا بلال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مؤكدة لذلك .

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه أنه كان يبرد البريد من الشام يقول : سلم لى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذلك فى زمن صدر التابعين .

وممن ذكره عنه الإمام أبو بكر بن عمرو بن عاصم النبيل ، ووفاته فى المائة الثالثة ، قال فى مناسكه له «ألتزم له الثبوت » وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقرىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام ثم يرجع ، انتهى .

وفى فتوح الشام أن عمر رضى الله تعالى عنه لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له : هل لك أن تسير معى إلى المدينة وتزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتتمتع بزيارته؟فقال : نعم يا أمير المؤمنين

أنا أفعل ذلك ، ولما قدم عمر المدينة كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم .

وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه .

وفى الموطأ رواية يحيي بن يحيي أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يقف على قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ، وعند ابن القاسم والقَعْنبي : ويدعو لأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما .

وعن ابن عون قال : سأل رجل نافعا : هل كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يسلم على القبر؟ قال : نعم ، لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة ، كان يأتى القبر فيقوم عنـده فيقول : السلام على النبى ، السلام على أبى بكر ، السلام على أبى .

وفى مسند أبى حنيفة عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : من السنة أن تأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل القبلة ، وتجعل ظهرك إلى القبلة، وتستقبل القبر بوجهك ، ثم تقول : السلامُ عليك أيها النبي ورحمة الله و بركاته، أخرجه الحافظ طلحة بن محمد فى مسنده عن صالح بن أحمد عن عثمان بن سعيد عن أبى عبد الرحمن المقرىء عن أبى حنيفة عن نافع عن ابن عمر .

قلت : وقد تقرر أن قول الصحابى « من السنة كذا » محمول على سنته صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فله حكم المرفوع .

وروى أحمد بسند حسن كما رأيته بخط الحافظ أبى الفتح المراغى المدنى قال : حدثنا عبد الملك بن عمرو قال : حدثنا كثير بن زيد عن داود بن أبى صالح قال:

أقبل مروان يوما ، فوجد رجلا واضعاً وجهه على القبر ، فأخذ مروان برقبته ثم قال : هل تدرى ما تصنع ؟ فأقبل عليه، فقال : نعم إنى لم آتِ الحجر ، إنما جئتُ رسولَ الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم آت الحجر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهله ، قال الهيتمى : رواه أحمد والطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه كثير بن زيد ، وثقه جماعة وضعفه النسائى وغيره .

قلت : هو — كما قال فى التقريب — صدوق يخطىء ، وسيأتى فى الفصل بعده أن يحيى رواه من طريقه ، وأن السبكى اعتمد توثيقه .

وذكر المؤرخون والمحدثون منهم ابن عبد البر وأحمد بن يحيى البلاذرى وابن عبد ربه أن زياد بن أبيه أراد الحج ، فأتاه أبو بكرة وهو لا يكلمه ، فأخذ ابنه فأجلسه فى حجره ليخاطبه ويسمع زياداً ، فقال : إن أباك فعل وفعل ، وإنه يريد الحج ، وأم حبيبة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هناك ، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإن هى حَجَبته فأعظم بها حُجَّة عليه ، فقال زياد : ما تَدَعُ النصيحة لأخيك ، وترك الحج تلك السنة فيما قاله البلاذرى .

وحكى ابن عبد البر ثلاثة أقوال : أحدها أنه حج ولم يزر من أجل قول أبى بكرة . والثانى أنه دخل المدينة وأراد الدخول على أم حبيبة رضى الله تعالى عنها فذكر قول أبى بكرة فانصرف . والثالث أن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها حجبته

قال السبكى : والقصة على كل تقدير تشهد لأن زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت ، وإلا فكان زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة ، بل هى أقرب إليه ؛ لأنه كان بالعراق ، ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمراً لا يترك .

وتقدم فى سابع فصول الباب الثانى عند ذكر الخاصة الثمانين اختلاف السلف فى أن الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة أو بمكة قبل المدينة ، وأن ممن اختار البداءة بالمدينة علقمة والأسود وعمرو بن ميمون من التابعين ، ولعل سببه عندهم — كما قال السبكى — إيثار الزيارة ، وممن اختار البداءة بمكة ثم إتيان المدينة والقبر الإمامُ أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ، ففى فتاوى أبى اللَّيْث السَّمَرْقندى: روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال : الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نُسُكه مر بالمدينة ، وإن بدأ بها جاز ، فيأتى قريباً من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقوم بين القبر والقبلة .

وقد أوضح السبكى أمر الإجماع على الزيارة قولا وفعلا ، وسَرَد كلام الأئمة فى ذلك ، وبين أنها قُرْبة بالكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس .

أما الكتاب فقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظَلَمُوا أنفسهم جاؤك) الآية دالة على الحث بالمجىء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاستغفار عنده ، واستغفاره لهم وهذه رتبة لا تنقطع بموته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد حصل استغفاره لجميع المؤمنين؛ لقوله تعالى (استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) فإذا وجد مجيئُهم فاستغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ولرحمته . وقوله (واستغفرلهم) معطوف على قوله (جاؤك) فلا يقتضى أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم مع أنا لا نسلم أنه لا يستغفر بعد الموت ؛ لما سبق من حياته ومن استغفاره لأمته بعد الموت عند عرض أعمالهم عليه ، ويعلم من كمال رحمته أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه .

والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتى الموت والحياة ، واستحبوا لمن أتى القبر أن يتلوها ويستغفر الله تعالى ، وحكاية الأعرابى فى ذلك نقلها جماعة من الأئمة عن العُتْبى ، واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو ، أدرك ابن عيينة وروى عنه ،

وهى مشهورة حكاها المصنفون فى للمناسك من جميع المذاهب ، واستحسنوها ، ورأوها من أدب الزائر ، وذكرها ابن عساكر فى تاريخه ، وابن الجوزى فى مثير الغرام الساكن ، وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالى ، قال : دَخَلْتُ المدينة ، فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابى فزاره ، ثم قال : يا خَيْرَ الرسل إن الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ـ إلى قوله رحيما) وإنى جئتك مستغفرا ربك من ذنوبى ، متشفعا بك ، وفى رواية : وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك إلى ربى ، ثم بكى وأنشأ يقول :

يا خير من دُفِنَتْ بالقـاع أعْظُمُهُ فطاب من طيبهن القاعُ والأَكَمُ
نفسى الفداء لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ فيه العَفَاف وفيه الجودُ والكرم

ثم استغفر وانصرف ، قال : فرقدت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نومى وهو يقول : الحق الرجلَ وبَشِّرْهُ بأن الله غفر له بشفاعتى ، فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده .

قلت : بل قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان فى كتابه مصباح الظلام : إن الحافظ أبا سعيد السمعانى ذكر فيما روينا عنه عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : قدم علينا أعرابى بعد مادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وحَثَا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله ـ الآية) وقد ظلمت وجئتك تستغفر لى ، فنودى من القبر : إنه قد غفر لك ، انتهى .

وروى ذلك أبو الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله الكَرْخى عن على ابن محمد بن على ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائى قال : حدثنى أبى

عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن ابن صادق عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فذكره .

وأما السنة فما سبق من الأحاديث فى زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بخصوصه وقد جاء فى السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور ، وقبرُ النبى صلى الله عليه وسلم سيد القبور وداخل فى عموم ذلك .

وأما الإجماع فقال عياض رحمه الله تعالى : زيارة قبره صلى الله عليه وسلم سنة بين المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغب فيها ، انتهى .

وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى ، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها .

وقد اختلفوا فى النساء ، وقد امتاز القبر الشريف بالأدلة الخاصة به كما سبق ، قال السبكى : ولهذا أقول : إنه لا فرق فى زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجال والنساء ، وقال الجمال الريمى فى التقفية : يستثنى — أى من محل الخلاف — قبر النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ، فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع ، كما اقتضاه قولهم فى الحج : يستحب لمن حج أن يزور قبرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، وحينئذ فيقال معاياةً : قبورٌ يستحب زيارتها للنساء بالاتفاق ، وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهورى الكبير ، وأضاف إليه قبور الأولياء والصالحين والشهداء ، انتهى .

وأما القياس فعلى ما ثبت من زيارته صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع وشهداء أُحُد ، وإذا استحب زيارة قبر غيره فقبره صلى الله عليه وسلم أولى ؛ لما له من الحق ووجوب التعظيم ، وليست زيارته إلا لتعظيمه والتبرك به ، ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه عند قبره بحضرة الملائكة الحافين به ، وذلك من الدعاء المشروع له .

والزيارة قد تكون لمجرد تذكر الآخرة ، وهو مستحب ؛ لحديث « زوروا

القبور فإنها تذكركم الآخرة » . وقد تكون للدعاء لأهـل القبور كما ثبت من زيارة أهل البقيع ، وقد تكون للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح ، وقال أبو محمد الشارمساحى المالـكى : إن قصـد الانتفاع بالميت بِدْعَة إلا فى زيارة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبور الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، قال السبكى : وهـذا الاستثناء صحيح ، وحكمه فى غيرهم بالبدعة فيه نظر .

قلت : قد ذكر هذا الاستثناء ابن العربى أيضاً ، فقال : ولا يقصد ـ يعنى زائر القبر ـ الانتفاع بالميت فإنها بدعة ، وليس لأحد على وجه الأرض إلا لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، نقل ذلك عنه الحافظ زين الدين الحسينى الدمياطى ، ثم تعقبه بأن زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء وسائر المرسلين للبركة أثر معروف .

وقد قال حجة الإسلام الغزالى : كلُّ من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعو موته ، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ، انتهى .

وقد تكون الزيارة لأداء حق أهل القبور ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « آنَسُ ما يكون الميتُ فى قبره إذا زاره مَنْ كان يحبه فى دار الدنيا» وسبق عن ابن عباس مرفوعا «ما من أحَدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه فى الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » ورأيت بخط الأقشهرى : روى بَقِيُّ بن مخلد بسنده إلى محمد بن النعمان عن أبيه مرفوعا « مَنْ زار قبر أبَوَيْهِ فى كل جمعة أو أحدهما كتب بارا و إن كان فى الدنيا قبل ذلك بهما عاقا »

قال السبكى : وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم فيها هذه المعانى الأربعة فلا يقوم غيرها مقامها .

وقد قال عبد الحق الصقلى عن أبى عمران المالـكى ، قال : إنما كره مالك أن يقال « زُرْنَا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم » لأن الزيارة من شاء فعلها ومن

شاء تركها ، وزيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة ، قال عبد الحق : يعني من السنن الواجبة ، انتهى .

واختار عياض أن كراهة مالك لذلك لإضافة الزيارة إلى القبر ، وأنه لو قال « زرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم » لم يكره ؛ لحديث « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر قطعا للذريعة .

قال السبكي : ويشكل عليه حديث «من زار قبري » إلا أن يكون لم يبلغ مالكا ، أو لعله يقول : المحذور في قول غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ، مع أن ابن رشد نقل عن مالك أنه قال : وأكره ما يقول الناس زرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأعظم ذلك أن يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يزار .

قال ابن رشد : ما كره مالك هذا إلا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة ، فلما كانت الزيارة تستعمل في الموتى وقد وقع من الكراهة ما وقع كره أن يذكر مثل ذلك في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : كرهه لأن المضي إلى قبره ليس لِيَصِلَه بذلك ولا لينفعه ، وإنما هو رغبة في الثواب ، انتهى ملخصا .

والأخير هو المختار في تأويل كلام مالك كما قاله السبكي ، قال : والمختار عندنا أنه لا يكره إطلاق هذا اللفظ .

ويستدل أيضاً بقوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ــ الآية) على مشروعية السفر للزيارة وشدّ الرحال إليها ، على ما سبق تقريره بشموله المجيء من قرب ومن بعد ، وبعموم قوله « من زار قبري » وقوله في الحديث الذي صححه ابن السكن « من جاءني زائرا » وإذا ثبت أن الزيارة قربة فالسفر إليها كذلك ، وقد ثبت خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة لزيارة قبور الشهداء ، فإذا جاز الخروج للقريب جاز للبعيد ، وحينئذ فقبره صلى الله تعالى عليه وسلم أولى ، وقد انعقد الإجماع على ذلك ؛ لإطباق السلف والخلف عليه . وأما حديث

« لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » فمعناه لا تشدوا الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة ، إذ شَدُّ الرحال إلى عرفة لقضاء النسك واجب بالإجماع ، وكذلك سفر الجهاد والهجرة من دار الكفر بشرطه ، وغير ذلك ، وأجمعوا على جواز شد الرحال للتجارة ومصالح الدنيا .

وقد روى ابن شبة بسند حسن أن أبا سعيد — يعنى الخدرى رضى الله تعالى عنه — ذكر عنده الصلاة فى الطور ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ينبغى للمَطِىِّ أن تشدّ رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » فهذا الحديث صريح فيما ذكرناه ، على أن فى شَدِّ الرحال لما سوى هذه المساجد الثلاثة مذاهب : نقل إمام الحرمين عن شيخه أنه أفتى بالمنع ، قال : وربما كان يقول : يكره ، وربما كان يقول : يحرم ، وقال الشيخ أبو على : لا يكره ولا يحرم ، وإنما أبان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن القربة المقصودة فى قصد المساجد الثلاثة،وما عداها ليس قربة .

قال السبكى : ويمكن أن يقال : إن قَصَدَ بذلك التعظيم فالحق ماقاله الشيخ أبو محمد ؛ لأنه تعظيم لما لم يعظمه الشرع،وإن لم يقصد مع عينه أمر آخر [؟] فهذا قريب من العبث؛ فيترجح ما قاله أبو على .

وذهب الداودى إلى أن ماقرب من المساجد الفاضلة من المصر فلا بأس بإتيانه مشيا وركوبا ، استدل بمسجد قباء لأن شد الرحال لا يكون لما قرب غالبا ، ونقل عياض أنه إنما يمنع إعمال المطىّ للناذر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه لا يصح نذر ما سوى المساجد الثلاثة ، ومذهب ليث بن سعد صحة ذلك مطلقا ، وقال بعضهم : يلزم ما لم يكن شد رحل كمسجد قباء وهو قول محمد بن مسلمة المالكى .

وروى مالك عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم أن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل عمن جعل على نفسه مشياً إلى مسجد قباء وهو بالمدينة ، فألزمه ذلك ، وأمره أن يمشى ، قال ابن حبيب فى الواضحة : فكذلك من نذر أن

يمشي إلى مسجده الذى يصلي فيه مكتوبته ، وليس بلازمه فيما نأى عنه من المساجد لا ماشياً ولا راكباً . قال السبكي : هذا كله في قصد المكان لعينه ، أو قصد عبادة فيه تمكن في غيره ، أما قصده بغير نذر لغرض فيه كالزيارة وشبهها فلا يقول أحد فيه بتحريم ولا كراهة ، مع أن السفر بقصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم غايته مسجد المدينة ؛ لأنها إنما تكون فيه لمجاورته القبر الشريف ، وغرض الزائر التبركُ بالحلول في ذلك المحل، والتسليمُ على مَنْ بذلك القبر الشريف ، وتعظيم مَنْ فيه كما لو كان حيا بالحياة المألوفة فسافر إليه ، وليس القصد تعظيم بقعة القبر لعينها .

وقال الماوردى : قال أصحابنا عند ذكر من يلى أمر الحج: فإذا قضى الناس حجهم أمهلهم الأيام التى جرت عادتهم بها ، فإذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، رعاية لحرمته ، وقياما بحقوق طاعته ، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة ، وعبادات الحجيج المستحسنة ، وقال القاضى الحسين : إذا فرغ من الحج فالسنة أن يقف بالملتزم ويدعو ، قال : ثم يأتى المدينة ، ويزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال القاضى أبو الطيب : ويستحب أن يزور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن يحج ويعتمر ، وقال المحاملى فى التجريد : ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وتقدم قول أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه : الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة ، فإذا قضى نسكه مر بالمدينة — إلى آخره . والحنفية قالوا : إن زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من أفضل المندوبات والمستحبات ، بل تقرب من درجة الواجبات، وكذلك نص عليه المالكية والحنابلة، وأوضح السبكى نقولهم وسردها فى كتابه فى الزيارة ، ولا حاجة إلى تتبع ذلك مع الإجماع عليه .

فإن قيل : روى عبد الرزاق أن الحسن بن الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم رأى قوما عند القبر ، فنهاهم ، وقال : إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال

« لاتتخذوا قبرى عيدا ، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً،وصلوا علىّ حيثما كنتم ؛ فإن صلاتكم تَبْلُغُنى » وروى أبو يعلى عن على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما ، أنه رأى رجلا يجىء إلى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخل فيها فيدعوه ، فنهاه ، فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى عن جدى عن رسول صلى الله عليه وسلم قال « لاتتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبوراً ، فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم » وروى القاضى إسماعيل فى الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن سهل بن أبى سهيل قال :جئت أسَلِّمُ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحَسَنُ بن حسن رضى الله تعالى عنهما يتعشى ، و بيتُه عند بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم — وفى رواية : رآنى الحسنُ بن الحسن رضى الله تعالى عنهما عنـد القبر ، وهو فى بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها يتعشى — فقال : هَلُمَّ إلى العَشاء ، فقلت : لا أريده ، فقال : مالى رأيْتُكَ عند القبر ؟ وفى رواية : مالى رأيتك وقفت ؟ قلت : وقفتُ أسَلِّم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال : إذا دخلْتَ فسلم عليه ، وفى رواية « إذا دخَلْتَ المسجدَ فسلم عليه » ثم قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لاتتخذوا بيتى عيدا ، ولا بيوتكم مقابر ـ الحديث» ثم قال : ما أنتم ومَنْ بالأندلس إلا سَوَاء .

قلنا: روى القاضى إسماعيل أيضاً فى فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسَنَده إلى علىّ بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم أن رجلا كان يأتى كل غداة؛ فيزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، و يصلى عليه ، و يصنع من ذلك ما انتهره عليه على بن الحسين ، فقال له على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما : ما يحملك على هذا ؟ قال : أحب التسليم على النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم ، فقال له على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما : هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبى ؟ قال: نعم ، قال له على بن الحسين رضى تعالى عنهما: أخبرنى أبى عن جدى أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا قبرى عيدا ـ الحديث »

فهذا يبين أن ذلك الرجل زاد فى الحد ، فيكون على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما موافقا لما سيأتى عن مالك من كراهة الإكثار من الوقوف بالقبر ، وليس إنكاراً لأصل الزيارة ، أو أنه أراد تعليمه أن السلام يبلغه مع الغيبة لما رآه يتكلف الإكثار من الحضور .

وعلى ما ذكرناه يحمل ماورد عن حسن بن حسن رضى الله تعالى عنه ، بدليل قوله « إذا دخلْتَ فسلم عليه » ولأن يحيى الحسينى روى فى كتابه عن جعفر بن محمد بن علىّ بن الحسين عن أبيه عن جده أنه كان إذا جاء يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عند الأسطوانة التى تلى الروضة ، ثم يسلم ، ثم يقول : ههنا رأسُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

قال المطرى وغيره : وهـذا موقف السلف قبل إدخال الحجر فى المسجد . وسبق فى الكلام على المسمار المواجه للوجه الشريف بيانُ الموضع الذى كان يقف عنده على بن الحسين من جهة الوجه الشريف أيضاً ، وقال يحيى فى أخبار المدينة له : حدثنا هرون بن موسى الفروى قال : سمعت جدى أبا علقمة يسأل : كيف كان الناسُ يُسَلِّمون على النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم قبل أن يَدْخُلَ البيتُ فى المسجد ؟ فقال : كان يقف الناسُ على باب البيت يسلمون عليه ، وكان الباب ليس عليه غَلَق ، حتى هلـكت عائشة رضى الله تعالى عنها .

قلت : وكيف يتخيل فى أحد من السلف المنع من زيارة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى ، فضلا عن زيارته صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ وما روى عن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى أنه قال « مارأيت أبى قط يأتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يكره إتيانه » محمولٌ على تقدير صحته على ما سيأتى عن مالك من كراهة الوقوف بالقبر لمن لم يقدم من سفر .

وقوله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا قبرى عيدا » قال الحافظ المنذرى : يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا فى بعض الأوقات كالعيد الذى لا يأتى فى العام إلا مرتين ، قال : ويؤيده قوله « لا تجعلوا بيوتكم قبورا » أى لا تتركوا الصلاة فيها حتى تجعلوها كالقبور التى لا يصلى فيها ، قال السبكى : ويحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا له وقتا مخصوصا لا تكون الزيارة إلا فيه ، ويحتمل أيضا أن يراد لا تتخذوه كالعيد فى العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل فى الأعياد ، بل لا يأتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه .

قلت : وقد كانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقصدون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وفاته للزيارة ، وهو صلى الله تعالى عليه وسلم حى الدارين ، بل روى أحمد بإسنادين أحدهما برجال الصحيح عن يعلى بن مرة من حديث قال فيه : ثم سرنا فنزلنا منزلا ، فنام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرتُ له ، فقال: هى شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها . فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعظيم هذا النبى الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم الممتلئ بالشوق إليه ؟ وحديث حَنِين الجذع تقدم ذكره فى محله . وقال القاضى ابن كج من أصحابنا : إذا نذر أن يزور قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعندى يلزمه الوفاء وَجْهاً واحدا ، وإذا نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان . قال السبكى : لم ير لغيره من أصحابنا خلافه ، والقطع بذلك هو الحق ؛ للأدلة الخاصة فى ذلك ، ومن يشترط فى النذر أن يكون مما وجب جنسه بالشرع ويقول « إن الاعتكاف كذلك ؛ لوجوب الوقوف[1] » فقد يقول : إن زيارة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجب جنسها وهى الهجرة إليه فى حياته .

(١) أراد الوقوف بعرفة ، وأنه من جنس الاعتكاف .

ووجه الخلاف فى قبر غيره تشبيهه بزيارة القادمين و إفشاء السلام ونحو ذلك مما لم يوضع قربة مقصودة و إن كان قربة من حيث ترغيب الشرع فيه لعموم فائدته ، وعلى هذا يكون الأصح لزومه بالنذر كما فى تلك المسائل .

وقال العبدى من المالكية فى شرح الرسالة : وأما النذر للمشى إلى المسجد الحرام والمشى إلى مكة فله أصل فى الشرع وهو الحج والعمرة ، والمشى إلى المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس ، وليس عنده حج ولا عمرة ، فإذا نذر المشى إلى هذه الثلاثة لزمه ، فالكعبة متفق عليها، ويختلف أصحابنا وغيرهم فى المسجدين الآخرين ، قال السبكى : والخلاف الذى أشار إليه فى نذر إتيان المسجدين الآخرين لا فى الزيارة .

وفى كتاب تهذيب الطالب لعبد الحق : رأيت فى بعض المسائل التى سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبى زيد ، قيل له فى رجل استؤجر بمال ليحج بهوشرطوا عليه الزيارة ، فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك . قال : يَرُدُّ من الأجرة بقدر مسافة الزيارة ، قال الحاكى لذلك عنه : وقال غيره من شيوخنا : عليه أن يرجع ثانية حتى يزور ، وقال ابن عبد الحق : انظر ، إن استؤجر للحج لسنة بعينها فهاهنا يسقط من الأجرة ما يخص الزيارة ، و إن استؤجر على حجة مضمونة فى ذمته فهاهنا يرجع و يزور ، وقد اتفق النقلان ، قال السبكى : وهذا فرع حسن ، والذى ذكره أصحابنا أن الاستئجار على الزيارة لا يصح ؛ لأنه عمل غير مضبوط ولا مقدر بشرع ، والجعالة إن وقعت على نفس الوقوف لم يصح أيضا؛ لأن ذلك مما لا يصح فيه النيابة عن الغير ، و إن وقعت الجعالة على الدعاء عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم كانت صحيحة ؛ لأن الدعاء مما يصح النيابة فيه ، والجهل بالدعاء فيه لا يبطلها ، قاله الماوردى فى الحاوى .

قال السبكى : و بقى قسم ثالث لم يذكره ، وهو إبلاغ السلام ، ولا شك فى جواز الإجارة والجعالة عليه كما كان عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه

يفعل ، وأن الظاهر أن مراد المالكية هذا ، وإلا فمجرد الوقوف من الأجير لا يحصل للمستأجر غرضا ، انتهى .

وذكر الديمى فى التقفية : أن حاصل مافى مسألة الاستئجار للزيارة ثلاثة أوجه للأصحاب : أصحها فيما حكاه ابن سراقه فى مختصره جواز ذلك ، واختاره الإمام محمد بن أبى بكر الأصبحى صاحب الإيضاح والمفتاح وأفتى به ، والثانى لا يجوز ، وبه قطع الماوردى ، قال : لأنه عمل غير مضبوط ، والثالث — وبه قال الإمام على بن قاسم الحكمى ، واختاره صاحب الأصبحى — أنه يُبْنَى على ما إذا حلف لا يكلم فلانا فكاتبه أو راسله ، والصحيح عند الأكثرين أنه لا يحنث ، فلا يصح الاستئجار ، وإن قلنا يحنث صح الاستئجار .

قلت : وهذا البناء ضعيف ؛ لأن مبنى الأيمان على العرف ، وأما ذلك فقربة مقصودة كما أن المكاتبة والمراسلة يحصل بهما التودد والصِّلة ، وإن لم يسم كلاما ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

الفصل الثالث

فى توسُّل الزائر ، وتشفعه به صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ربه تعالى ، واستقباله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سلامه وتوسله ودعائه .

اعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبجاهه وبركته إلى ربه تعالى من فعل الأنبياء والمرسلين ، وسير السلف الصالحين ، واقعٌ فى كل حال ، قبل خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد خلقه ، فى حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعَرَصات القيامة .

الحال الأول : وَرَدَ فيه آثار عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولنقتصر على ما رواه جماعة منهم الحاكم وصحح إسناده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما اقترف آدمُ الخطيئةَ قال : يارب أسألك

بحق محمد لما غفرت لى ، فقال الله : يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال : يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىّ من روحك رفَعْتُ رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحَبَّ الخلق اليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحَبُّ الخلق إلىّ ، إذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك» رواه الطبرانى وزاد « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

قال السبكى : و إذا جاز السؤال بالأعمال كما فى حديث الغار الصحيح وهى مخلوقة فالسؤالُ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أولى ، وفى العادة أن مَنْ له عند شخص قدر فتوسل به إليه فى غيبته فإنه يجيب إكراما للمتوسَّل به ، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سببا للاجابة ، ولا فرق فى هذا بين التعبير بالتوسل أو الاستغاثة أو التشفع أو التوجه ، ومعناه التوجه به فى الحاجة ، وقد يتوسل بمن له جاه إلى من هو أعلى منه .

الحال الثانى : التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا . منه ما رواه جماعة منهم النسائى والترمذى فى الدعوات من جامعه عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضَريرَ البصرِ أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : ادع الله لى أن يعافينى ، قال : إن شئتَ دعوتُ و إن شئتَ صبرتَ فهو خير لك ، قال : فادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى ، اللهم شفعه فىّ . قال الترمذى . حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وصححه البيهقى ، وزاد : فقام وقد أبصر ، وفى رواية : ففعل الرجل فبرأ .

الحال الثالث : التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته ، روى الطبرانى

فى الكبير عن عثمان بن حنيف المتقدم أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فى حاجة له ، وكان لا يلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته ، فلقى ابن حنيف فشكا إليه ذلك ، فقال له ابن حنيف : ائْتِ الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبى الرحمة ، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربك أن تقضي حاجتى ، وتذكر حاجتك ، فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى باب عثمان ، فجاءه البواب حتى أخذ بيده ، فأدخل على عثمان رضى الله تعالى عنه ، فأجلسه معه على الطُّنْفِسة ، فقال : حاجتك ، فذكر حاجته وقضاها له ثم قال له : ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة ، وقال : ما كانت لك من حاجة فاذكرها ، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى ابن حنيف فقال له : جزاك الله خيراً ، ما كان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمتَهُ فىّ ، فقال ابن حنيف : والله ما كلمته ولكن شهدْتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره ، فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : إن شئت دعوت أو تصبر ، فقال : يا رسول الله إنه ليس لى قائد وقد شق علىّ ، فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم صل ركعتين ، ثم ادع بهذه الدعوات ، قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا ، وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط ، ورواه البيهقى من طريقين بنحوه .

قال السبكى : والاحتجاج من هذا الأثر بفهم عثمان ومَنْ حضره الذين هم كانوا أعلم بالله ورسوله و بفعلهم .

قلت : وقد سبق فى قبر فاطمة بنت أسد رضى الله تعالى عنها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه إليها « بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى » وأن فى سنده روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف ، و بقية رجاله رجال الصحيح ، وفيه دلالة ظاهرة للحال الثانى بالنسبة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ،

وكذا للحال الثالث ، لقوله صلى الله تعالي عليه وسلم « والأنبياء الذين من قبلي » .

وقد يكون التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة بمعنى طلب أن يدعو كما كان فى حياته ، وذلك فيما رواه البيهقى من طريق الأعمش عن أبى صالح عن مالك الدار ، ورواه ابن أبى شيبة بسند صحيح عن مالك الدار ، قال : أصاب الناسَ قحط فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، فجاء رجل إلى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام فقال : ائت عمر فاقرئه السلام وأخبره أنهم مسقون ، وقل له: عليك الكيس الكيس ، فأتى الرجل عمر رضى الله تعالى عنه فأخبره ، فبكى عمر رضى الله تعالى عنه ثم قال : يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه .

وروى سيف فى الفتوح أن الذى رأى المنام المذكور بلالُ بن الحارث المزنى أحد الصحابة رضى الله تعالى عنهم .

ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى البرزخ ودعاؤه لربه فى هذه الحالة غير ممتنع ، وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد ، فلا مانع من سؤال الاستسقاء وغيره منه كما كان فى الدنيا .

وسبق فى الفصل الحادى والعشرين من الباب الرابع ما رواه أبو الجوزاء قال : قحط أهل المدينة قحطاً شديدا فشكوا إلى عائشة رضى الله تعالى عنها ، فقالت : فانظروا إلى قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاجعلوا بينه كوّة إلى السماء حتى لا يكون بينه و بين السماء سقف ، ففعلوا ، فمطروا — الخبر المتقدم .

وقد يكون التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب ذلك الأمر منه ، بمعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قادر عَلَى التسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربه فيعود إلى طلب دعائه و إن اختلفت العبارة . ومنه قول القائل له : أسألك

مرافقتك فى الجنة ـ الحديث ، ولا يقصد به إلا كونه صلى الله تعالى عليه وسلم سببا وشافعا .

الحال الرابع : التوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم فى عَرَصَات القيامة فيشفع إلى ربه تعالى ، وذلك مما قام الإجماع عليه وتواردت به الأخبار . وروى الحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : أوحى الله إلى عيسى : ياعيسى آمِنْ بمحمد وأمُرْ مَنْ أدركته من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، ولولا أنى خلقت محمدا ماخلقت الجنة والنار ، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب ، فكتبت عليه لا إلهَ إلا الله محمد رسول الله فسكن .

قلت : فكيف لا يستشفع ، ولا يتوسل بمن له هذا المقام والجاه عند مولاه ؟ بل يجوز التوسل بسائر الصالحين كما قاله السبكى ، وإن نقل بعضُهم عن ابن عبد السلام ما يقتضى أن سؤال الله بعظيم من خلقه ينبغى أن يكون مقصورا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقد روى ابن النعمان فى مصباح الظلام قصة استسقاء عمر رضى الله تعالى عنه بالعباس عم رسول الله صلى الله عليه تعالى وسلم نحو ما فى الصحيح ، وأن الحافظ أبا القاسم هبة الله بن الحسن رواها من طرق ، وفى بعضها عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه إذا قحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب رضى الله تعالى عنه ، ويقول : اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاسقنا ، قال : فيسقون . وفى رواية له عن ابن عباس أن عمر رضى الله تعالى عنهم قال : اللهم إنا نستسقيك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ، ونستشفع إليك بشيبته ، فسقوا وفى ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبى لهب :

بعمى سَقَى الله الحجاز وأهله   عشيةَ يَسْتَسْقِى بشيبته عُمَرْ

وروى أن العباس رضى الله تعالى عنه قال فى دعائه : وقد توجه بى القوم إليك لمكانى من نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم .

وقال عياض فى الشفاء بسند جيد عن ابن حميد أحد الرواة عن مالك فيما يظهر قال : ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال مالك : يا أمير المؤمنين لاترفع صوتك فى هذا المسجد فإن الله تعالى أدَّبَ قوماً فقال : (لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) الآية ، ومدح قوماً فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عندرسول الله) الآية، وذم قومافقال : (إن الذين ينادونك من وراءالحجرات) الآية ، و إن حرمته ميتا كحرمته حيا ، فاستكان لها أبو جعفر ، فقال : يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله تعالى وسلم ؟ فقال : لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة ؟ بل استقبله واستشفع به ، فيشفعك الله تعالى قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم) الآية .

فانظر هذا الكلام من مالك ، وما اشتمل عليه من أمر الزيارة والتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم واستقباله عند الدعاء ، وحسن الأدب التام معه .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسين السامرى الحنبلى فى المستوعب: باب زيارة قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وذكر آداب الزيارة ، وقال : ثم يأتى حائطَ القبر فيقف ناحيته ، ويجعل القبر تلقاء وجهه ، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره ، وذكر كيفية السلام والدعاء . منه : اللهم إنك قلت فى كتابك لنبيك عليه السلام (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، وإنى قد أتيت نبيك مستغفراً ، فأسألك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته ، اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم ، وذكر دعاء طويلا .

وقال أبو منصور الكرمانى من الحنفية : إن كان أحَدٌ أوصاك بتبليغ التسليم تقول : السلام عليك يارسول الله من فلان بن فلان ، يستشفع بك إلى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع له .

وقال عياض : قال مالك فى رواية ابن وهب : إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجْهُه إلى القبر لا إلى القبلة ، ويدنو ، ويسلم ولا يمس القبر بيده ، وفى رواية نقلها عياض عن المبسوط أنه قال : لا أرى أن يقف عند القبر يدعو ، لكن يسلم ويمضى .

قلت : وهى مخالفة أيضا لما تقدم فى مناظرة المنصور لمالك ، وكذا لما نقله ابن المواز فى الحج فيما جاء فى الوداع ، فإنه قال: قيل لمالك : فالذى يلتزم أترى له أن يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع ؟ قال : لا،ولكن يقف ويدعو ، قيل له : وكذلك عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ قال : نعم ، انتهى . وحَمَل بعضُهم رواية المبسوط على مَنْ لم يُؤْمَنْ منه سوء الأدب فى دعائه عند القبر .

نقل ابن يونس المالكى عن ابن حبيب فى باب فرائض الحج ودخول المدينة أنه قال : ثم اقصد إذا قضيت ركعتيك إلى القبر من وُجاه القبلة ، فادْنُ منه وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأثن عليه وعليك السكينة والوقار ، فإنه صلى الله عليه وسلم يسمع ويعلم وقوفك بين يديه، وتسلم على أبى بكر وعمر وتدعو لهما .

وقال النووى فى رؤس المسائل : عن الحافظ أبى موسى الأصبهانى أنه روى عن مالك أنه قال : إذا أراد الرجل أن يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيستدبر القبلة ، ويستقبل النبى صلى الله عليه وسلم ، ويصلى عليه ويدعو .

وقال إبراهيم الحربى فى مناسكه : تولى ظهرك القبلة ، وتستقبل وسطه — يعنى القبر —

وروى أبو القاسم طلحة بن محمد فى مسند أبى حنيفة بسنده عن أبى حنيفة قال : جاء أيوب السختيانى فدنا من قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فاستدبر القبلة ، وأقبل بوجهه إلى القبر ، وبكى بكاء غير متباك .

وقال المجد اللغوى : روى عن الإمام الجليل أبى عبد الرحمن عبد الله بن المبارك قال : سمعت أبا حنيفة يقول : قدم أيوب السختيانى وأنا بالمدينة فقلت : لأنظرنّ ما يصنع ، فجعل ظهره مما يلى القبلة ووجْهَه مما يلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبكى غير متباك ، فقام مقام رجل فقيه .

قلت : فهذا يخالف ما ذكره أبو الليث السمرقندى فى الفتاوى عطفا على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبى حنيفة من أن المسلِّم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستقبل القبلة ، وقال السروجى الحنفى : يقف عندنا مستقبل القبلة ، قال الكرمانى الحنفى منهم : ويقف عند رأسه ويكون وقوفه بين المنبر والقبر مستقبل القبلة .

وعن أصحاب الشافعى وغيره : يقف وظهره إلى القبلة ووجهه إلى الحظيرة ، وهو قول ابن حنبل ، انتهى .

وقال محقق الحنفية الكمال بن الهمام : إن ما نقل عن أبى الليث من أنه يقف مستقبل القبلة مردود بما رَوَى أبو حنيفة فى مسنده عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، قال : من السنة أن تأتى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل القبلة ، وتجعل ظهرك إلى القبلة ، وتستقبل القبر بوجهك ، ثم تقول : السلام عليك أيها النبى الكريم ورحمة الله وبركاته .

وقال ابن جماعة فى منسكه الكبير : ومذهب الحنفية أنه يقف للسلام والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند الرأس المقدس بحيث يكون عن يساره ، ويبعد عن الجدار قدر أربعة أذرع ، ثم يدور إلى أن يقف قبالة الوجه المقدس مستدبر القبلة ، فيسلم ويصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم . وشذ الكرمانى من الحنفية فقال : إنه يقف للسلام عليه صلى الله عليه وسلم مستدبر القبر المقدس مستقبل القبلة ، وتبعه بعضهم ، وليس بشىء ، فاعتمد على ما نقلته، انتهى .

واعتمد السبكى ما تقدم من نسبة ماقاله الكرمانى للحنفية ، قال : واستدلوا بأن ذلك جمع بين العبارتين ، قال : وقول أكثر العلماء هو الأحسن ؛ فإن الميت يعامل معاملة الحى ، والحى يسلم عليه مستقبلا ، فكذلك الميت ، وهذا لا ينبغى أن يتردد فيه ، انتهى .

وذكر المطرى أن السلف كانوا إذا أرادوا السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل إدخال الحجُرات فى المسجد وقفوا فى الروضة مستقبلين السارية التى فيها الصندوق الخشب ، أى لكونها فى جهة الرأس الشريف ، مستدبرين الروضة وأسطوان التوبة . وتقدم من رواية يحيى عن زين العابدين على بن الحسين أنه كان يفعل نحو ذلك ، وروى يحيى بسند جيد عن أبى علقمة الفروى الكبير قال : كان الناس قبل أن يدخل البيت فى المسجد يقفون على باب البيت يسلمون .

قلت : وذلك لتعذر استقبال الوجه الشريف حينئذ ، ولذا قال المطرى : فلما أدخل بيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وأدخلت حجرات أزواجه رضوان الله عليهن وقف الناس مما يلى وجه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، واستدبروا القبلة للسلام عليه ، فاستدبارُ القبلة فى هذه الحالة مستحب كما فى خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة كما قاله ابن عساكر فى التحفة .

وروى ابن زبالة عن سلمة بن وردان قال : رأيت أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما إذا سلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يأتى فيقوم أمامه . وفى كلام أصحابنا أن الزائر يستقبل الوجه الشريف فى السلام والدعاء والتوسل ، ثم يقف بعد ذلك مستقبل القبلة والقبر عن يسار. والمنبر عن يمينه فيدعو أيضاً كما سنشير إليه .

خاتمة — فى نُبَذٍ مما وقع لمن استغاث بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ،

أو طلب منه شيئاً عند قبره ، فأعطى مطلوبه ونال مرغوبه ، مما ذكره الإمام محمد بن موسى بن النعمان فى كتابه « مصباح الظلام ، فى المستغيثين بخير الأنام » .

فمن ذلك ما قال : اتفق الجماعة من علماء سلف هذه الأمة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين ، قال محمد بن المنكدر : أودع رجل أبى ثمانين ديناراً وخرج للجهاد ، وقال لأبى : إن احتجْتَ أنفقها إلى أن أعود ، وأصاب الناسَ جهدٌ من الغلاء ، فأنفق أبى الدنانير ، فقدم الرجل وطلب ماله ، فقال له أبى : عُدْ إلىّ غداً ، وبات فى المسجد يلوذ بقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة وبمنبره مرة ، حتى كاد أن يصبح ، يستغيث بقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فبينما هو كذلك وإذا بشخص فى الظلام يقول : دونكها يا أبا محمد ، فمد أبى يده فإذا هو بصرة فيها ثمانون ديناراً ، فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه .

وقال الإمام أبو بكر بن المقرىء : كنت أنا والطبرانى وأبو الشيخ فى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا على حالة ، وأثر فينا الجوع ، وواصلنا ذلك اليوم ، فلما كان وقتُ العشَاء حضرتُ قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت : يا رسول الله الجوعُ ، وانصرفت ، فقال لى أبو القاسم : اجلس ، فإما أن يكون الرزق أو الموت ، قال أبو بكر : فقمت أنا وأبو الشيخ والطبرانى جالس ينظر فى شىء ، فحضر بالباب علوى ، فدقّ ففتحنا له ، فإذا معه غلامان مع كل واحد زنبيل فيه شىء كثير ، فجلسنا وأكلنا وظننا أن الباقى يأخذه الغلام ، فولى وترك عندنا الباقى ، فلما فرغنا من الطعام قال العلوى : يا قوم أشكوتم إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؟ فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فأمرنى أن أحمل بشىء إليكم .

وقال ابن الجلاد : دخلت مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبى

فاقة ، فتقدمت إلى القبر وقلت : ضيفك ، فغفوتُ فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأعطانى رغيفاً ، فأكلت نصفه ، وانتبهت و بيدى النصف الآخر .

وقال أبو الخير الأقطع : دخلتُ مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا بفاقة، فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذَوَاقاً ، فتقدمت إلى القبر ، وسلمت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى أبى بكر وعمر ، وقلت : أنا ضيفك يا رسول الله ، وتنحّيْتُ ونمت خلف القبر ، فرأيت فى المنام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلى بن أبى طالب بين يديه ، فحركنى علىّ وقال : قم ، قد جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقمت إليه وقبلت بين عينيه ، فدفع إلىّ رغيفا ، فأكلت نصفه ، وانتبهت فإذا فى يدى نصف رغيف .

وقال أبو عبد الله محمد بن أبى زرعة الصوفى : سافرت مع أبى ومع أبى عبدالله ابن خفيف إلى مكة، فأصابتنا فاقة شديدة، فدخلنا مدينةَ الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، و بتنا طاوِينَ ، وكنت دون البلوغ ، فكنت أجىء إلى أبى غير دفعة وأقول : أنا جائع ، فأتى أبى الحظيرة وقال : يا رسول الله أنا ضيفك الليلة ، وجلس على المراقبة ، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكى ساعة و يضحك ساعة ، فسئل عنه فقال : رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع فى يدى دراهم ، وفتَح يده ، فإذا فيها دراهم ، و بارك الله فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز، وكنا ننفق منها .

وقال أحمد بن محمد الصوفى : تُهتُ فى البادية ثلاثة أشهر ، فانسلخ جلدى، فدخلت المدينة . وجئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيته صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى : يا أحمد ، جئت ؟ قلت: نعم ، وأنا جائع وأنا فى ضيافتك ، قال : افتح كفيك ، ففتحتهما فملأهما دراهم،

فانتبهت وهما مملوءتان ، وقمت فاشتريت خبزاً حوارياً وفالوذجا ، وأكلت، وقمت للوقت ودخلت البادية .

وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر فى تاريخه بسنده إلى أبى القاسم ثابت ابن أحمد البغدادى ، قال : إنه رأى رجلا بمدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أذن للصبح عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال فيه : الصلاة خير من النوم ، فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك ، فبكى الرجل ، وقال : يارسول الله فى حضرتك يفعل بى هـذا الفعل ؟ ففلج الخادم ، وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ومات .

قلت : والواقعة التى نقلها ابن النعمان عن أبى بكر المقرئ رواها ابن الجوزى فى كتابه الوفاء بإسناده إلى أبى بكر المقرى ، وبقية الوقائع المذكورة ذكرها غيره أيضا .

ومن ذلك ما ذكر ابن النعمان أنه سمعه ممن وقع له أو عنه بواسطة فقال : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد يقول : كنت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ثلاثة من الفقراء فأصابتنا فاقة ، فجئت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ليس لنا شئ ، ويكفينا ثلاثة أمداد من أى شئ كان ، فتلقانى رجل فدفع إلى ثلاثة أمداد من التمر الطيب .

وسمعت الشريف أبا محمد عبد السلام بن عبد الرحمن الحسينى الفاسى يقول : أقمت بمدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام لم أستطعم فيها ، فأتيت عند منبره صلى الله عليه وسلم فركعت ركعتين وقلت : يا جدى جعت وأتمنى عليك ثردة ، ثم غلبتنى عينى فنمت ، فبينا أنا نائم وإذا برجل يوقظنى، فانتبهت فرأيت معه قدحا من خشب وفيه ثريد وسمن ولحم وأفاويه ، فقال لى : كل ، فقلت له : من أين هذا ؟ فقال : إن صغارى لهم ثلاثة أيام يتمنون هـذا الطعام ، فلما كان اليوم فتح الله لى بشيء عملت به هذا ، ثم نمت فرأيت رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم فى النوم وهو يقول : إن أحد إخوانك تمنى على هـذا الطعام فأطعمه منه .

وسمعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبى الأمان يقول : كنت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم خلف محراب فاطمة رضى الله تعالى عنها ، وكان الشريف مكثر القاسمى قائما خلف المحراب المذكور ، فانتبه فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وعاد علينا متبسما ، فقال له شمس الدين صواب خادم الضريح النبوى : فيم تبسمت ؟ فقال : كانت بى فاقة ، فخرجت من بيتى فأتيت بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فاستغثت بالنبى صلى الله عليه وسلم وقلت : إنى جائع ، فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فأعطانى قدح لبن فشربت حتى رويت ، وهذا هو فبصق اللبن من فيه فى كفى ، وشاهدناه من فيه .

وسمعت عبد الله بن الحسن الدمياطى يقول : حكى لى الشيخ الصالح عبد القادر التنيسى بثغر دمياط قال : كنت أمشى على قاعدة الفقير ، فدخلت إلى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وسلمت على النبى صلى الله عليه وسلم ، وشكوت له ضررى من الجوع ، واشتهيت عليه الطعام من البر واللحم والتمر ، وتقدمت بعد الزيارة للروضة فصليت فيها ، و بت فيها ، فإذا شخص يوقظنى من النوم ، فانتبهت ومضيت معه ، وكان شابا جميلا خَلقا وخُلقا ، فقدم إلى جفنة تريد وعليها شاة وأطباق من أنواع التمر صيحانى وغيره وخبزا كثيرا من جملته خبز أقراص سويق النبق ، فأكلت فملأ لى جرابى لحما وخبزا وتمرا،وقال : كنت نائما بعد صلاة الضحى فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام وأمرنى أن أفعل لك هذا ، ودلّنى عليك ، وعرفنى مكانك بالروضة،وقال لى : إنك اشتهيت هذا وأردته .

وسمعت صديقى على بن إبراهيم البوصيرى يقول : سمعت عبد السلام بن

أبى القاسم الصقلى يقول : حدثنى رجل ثقة نسى اسمه، قال : كنت بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لى شىء ، فضعفت ، فأتيت إلى الحجرة وقلت : يا سيد الأولين والآخرين ، أنا رجل من أهل مصر ولى خمسة أشهر فى جوارك ، وقد ضعفت ، فقلت : أسأل الله وأسألك يا رسول الله أن يسخر لى من يشبعنى أو يخرجنى ، ثم دعوت عند الحجرة بدعوات ، وجلست عند المنبر فإذا برجل قد دخل الحجرة فوقف يتكلم بكلام، ويقول :ياجداه ياجداه، ثم جاء إلى وقبض على يدى وقال لى : قم ، فقمت وصحبته ، فخرج بى من باب جبريل ، وعدا إلى البقيع وخرج منه فإذا بخيمة مضروبة وجارية وعبد، فقال لهما: قوما فاصنعا لضيفكما عيشه فقام العبد وجمع الحطب وأوقد النار ، وقامت الجارية وطحنت وصنعت ملة ، وشاغلنى بالحديث حتى أتت الجارية بالملة فقسمها نصفين وأتت الجارية بعُكَّة فيها سَمْن فصَبَّ على الملة وأتت بتمر صَيْحانى فصنعها جيدا ، وقال لى : كل ، فأكلت شيئا قليلا ، فصدرت، فقال لى : كل ، فأكلت ، ثم قال لى : كل ، فقلت : يا سيدى لى أشهر لم آكل فيها حنطه ، ولا أريد شيئا ، فأخذ النصف الثانى وضم ما فضل منى من الملة وأتى بمزود وصاعين من تمر فوضعهما فى المزود ، وقال لى : ما اسمك ؟ فقلت : فلان ، فقال : بالله عليك لا تَعُدْ تشكو إلى جدى فإنه يعز عليه ذلك ، ومن الساعة متى جعت يأتيك رزقك حتى يسبب الله لك من يخرجك ، وقال للغلام : خُذه وأوصله إلى حجرة جدى ، فغدوت مع الغلام إلى البقيع ، فقلت له : ارجع قد وصلت ، فقال : يا سيدى الله الأحد ما أقدر أفارقك حتى أوصلك إلى الحجرة لئلا يُعْلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سيدى بذلك ، فأوصلنى إلى الحجرة ، وودعنى ورجع ، فمكثت آكل من الذى أعطانى أربعة أيام ، ثم جُعْتُ بعد ذلك ، فإذا بالغلام قد أتانى بطعام ، ثم لم أزل كذلك كلما جعت أتانى بطعام حتى سبب الله لى جماعة خرجْتُ معهم إلى ينبع .

وروى ابن النعمان أيضاً بسنده إلى أبى العباس بن نفيس المقرىء

الضرير قال : جُعْت بالمدينة ثلاثة أيام ، فجئت إلى القبر وقلت : يا رسول الله ، جعت ، ثم نمت ضعيفا ، فركضتني جارية برجلها ، فقمت إليها فقالت : أعزم ، فقمت معها إلى دارها ، فقدمت إلى خبز بر وتمرا وسمنا وقالت : كل يا أبا العباس، قد أمرني بهذا جدي صلى الله عليه وسلم ، ومتى جعت فأت إلينا .

قال أبو سليمان داود في مصنفه في الزيارة بعد روايته لذلك كله : إنه قدوقع في كثير مما ذكر وأمثاله أن الذي يأمره صلى الله عليه وسلم في ذلك إنما يكون من الذرية الشريفة ، لاسيما إذا كان المتناول طعاما ؛ لأن من تمام جميل أخلاق الكرام إذا سئلوا القِرَى البداءة بأنفسهم ، ثم بمن يكون منهم ، فاقتضى خلقه الكريم أن إعطاء سائل القِرَى يكون منه ومن ذريته الكريمة .

قلت : والحكايات في هذا الباب كثيرة ، بل وقع لي شيء منها : أني كنت بالمسجد النبوي عند قدوم الحاج المصري للزيارة ، وفي يدي مفتاح الخلوة التي فيها كتبي بالمسجد ، فمر بي بعض علماء المصريين ممن كان يقرأ على بعض مشايخي ، فسلمت عليه ، فسألني أن أمشي معه إلى الروضة الشريفة وأقف معه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، ففعلت ، ثم رجعت فلم أجد المفتاح ، وتطلبته في الأماكن التي مشيتُ إليها فلم أجده ، وشق علي ذهابه في ذلك الوقت الضيق مع حاجتي إليه ، فجئتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقلت : يا سيدي يا رسول الله ، ذهب مفتاح الخلوة ، وأنا محتاج إليه وأريده من بابك ، ثم رجعت فرأيت شخصا قاصدا الخلوة ، فظننته بعض مَنْ أعرفه ، فمشيت إليه ، فلم أجده إياه ، ووجدت صغيرا لا أعرفه بقرب الخلوة بيده المفتاح ، فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال : وجدته عند الوجه الشريف ، فأخذته منه .

ومن هذا النوع ما اتفق لي في سكناي تلك الخلوة في ابتداء الأمر وغير ذلك مما يطول ذكره .

وأنشدت مرة بين يديه صلى الله عليه وسلم فى قضية أوذيت فيها قصيدة أولها :

يُضَام بحيكم يا عُرْبَ رَامَه نزيل أنتمُ صرتم مَرَامَه
ويعدو من أعاديه عليه عداة صار قصدهم اهتضامه
وأنتم عز من ينمى إليكم ومن أبوابكم حاز احترامه
وفى حرم بساحتكم مقيم فلا يبغى العراق ولا شآمه
وحبكمُ تحكم فى حشاه وحبكم لذا أضحى غرامه
وليس له ملاذ أو نصير يجرد دون نصرته حسامه
سواكم آل غالب الموالى حماة الجار إن لحقته ضامه
ليوث الحرب إن مدت حراب غيوث المحل إن يخلب غمامه
بحقكم وذاك أجل حَقٍّ له انتصروا فأنتم من تهامه
كرام مكرمون بخير رسل عظيم الجار موفيه ذمامه

وهى طويلة تزيد على ستين بيتا ، ومنها :

له حرم به كرم مفاض لساكنه فقد حاز الكرامه
به قد صار عندكمُ نزيلا ويرجو نصركم فيما أضامه
جواركمُ عدت فيه الأعادى عليه إذ رأوا منه الإقامه
بحضرتكم فلا يبغى انتقالا ولكن قد أطال لها التزامه
وكادوه بما لم يخف عنكم ليقصُوا عن عراصكمُ خيامه
فأنجز لى رسول الله نصرى لتهنأ لى بذا الحرم الإقامه
ويكبت من عداتى شامتوهم وتعظم فى قلوبهم الندامه
فقد أملت جاهك يا ملاذى لذا ولكل هول فى القيامه
وحاشا أن تخيب لى رجاء وأنت الغوث من عرب برامه

كريم إن أضيمَ له نزيل ... فنصر الله يقـــدمه أمامه
ومن عاداته نصرى وجَبْرِى ... وعادة مثـله أبدا مدامه

فرأيت عقب ذلك مناما يؤذن بالنصر العظيم ، ثم رأيته فى اليقظة ، ولله الحمد والمنة .

وقال الفقيه أبو محمد الإشبيلى فى مؤلفه فى فضل الحج : إنه نزل برجل من أهل غرناطةَ علةٌ عجز عنها الأطباء وأيسوا من برئها ، فـكتب عنه الوزير أبو عبد الله محمد بن أبى الخصال كتابا إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فيه الشفاء لدائه والبرء مما نزل به ، وضمنه شعرا ، وهو :

كتاب وقيذ من زمانة مستشف ... بقبر رسول الله أحمد يستشفى
له قدم قد قَيَّد الدهر خطوها ... فلم يستطع إلا الإشارة بالـكف
ولمـــا رأى الزوار يبتدرونه ... وقد عاقه عن ظعنه عائق الضعف
بكى أسفا واستودع الركب إذ غدا ... تحية صدق تفعم الركب بالعرف
فيا خاتم الرسل الشفيع لربه ... دعاء مَهِيض خاشع القلب والطرف
عتيقك عبد الله ناداك ضارعا ... وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف
رجاك لضر أعجز الناس كشفه ... ليصدر داعيه بما جاء من كشف
لرجل رمى فيها الزمان فقصرت ... خطاه عن الصف المقدم فى الزحف
وإنى لأرجو أن تعـود سويَّةً ... بقدرة من يحيى العظام ومن يشفى
فأنت الذى نرجوه حيا وميتا ... لصرف خطوب لا تريم إلى صرف
عليك سلام الله عـدة خلقه ... وما يقتضيه من مزيد ومن ضعف

قال : فما هو إلا أن وصل الركبُ إلى المدينة ، وقرئ على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هـذا الشعر ، وبرأ الرجل فى مكانه ، فلما قدم الذى استودعه إياه وجده كأنه لم يصبه ضر قط .

الفصل الرابع

فى آداب الزيارة والمجاورة ، وهى كثيرة

منها الآداب المتعلقة بسفرها ، وهى كما فى سائر الأسفار : من الاستخارة ، وتجديد التوبة ، والخروج من المظالم ، واستحلال المعاملين ، والتوصية ، وإرضاء مَنْ يتوجه إرضاؤه ، وإطابة النفقة ، والتوسعة فى الزاد على نفسه ورفيقه وجماله ، وعدم المشاركة فيه ، وتوديع الأهل والإخوان والتماس أدعيتهم ، وتوديع المنزل بركعتين ، ويقرأ بعد السلام آية الكرسى ولإيلاف قريش ، ثم يدعو ويسأل الإعانة والتوفيق فى سائر أموره ، ويقول : اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وَعْثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب ، اللهم أقبض لنا الأرض وهون علينا السفر ، فإذا نهض من جلوسه قال : اللهم بك انتشرت ، وإليك توجهت ، وبك اعتصمت ، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى ، اللهم اكفنى ما أهمنى ، وما لا أهتم له ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم زودنى التقوى ، واغفر لى ذنبى ، ووجهنى للخير حيثما توجهت .

ويستحب أن يتصدق عند الخروج من منزله بشىء وإن قل ، وأن يحرص على رفيق موافق ، راغب فى الخير ، كاره للشر ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، إلى غير ذلك من آداب السفر .

ومنها : إخلاص النية ، وخلوص الطوية ، فإنما الأعمال بالنيات ، فينوى التقرب إلى الله تعالى بزيارة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ويستحب أن ينوى مع ذلك التقرب بالمسافرة إلى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم ، وشد الرحل إليه ، والصلاة فيه ، كما قاله أصحابنا منهم ابن الصلاح والنووى ، قال ابن الصلاح : ولا يلزم من هذا خلل فى زيارته على ما لايخفى.

ونقل شيخ الحنفية الكمال بن الهمام عن مشايخهم أنه ينوى مع زيارة القبر

زيارة المسجد ، ثم قال : إن الأولى عنده تجريد النية لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، ثم إن حصل له إذا قدم زيارة المسجد أو يستفتح فضل الله فى مرة أخرى ينويهما فيها ؛ لأن ذلك زيادة تعظيمه وإجلاله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وليوافق ظاهر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لا تحمله حاجة إلا زيارتى» انتهى.

وفيه نظر ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم حث أيضاً على قصد مسجده ، ففى امتثاله تعظيمه أيضاً .

وقوله « لا تحمله حاجة » أى لم يحث الشرع عليها ، وقد لا يسمح له الزمان بزيارة المسجد ، فليغتنم قصد ذلك مع الزيارة ، بل ينوى أيضاً الاعتكاف فيه ولو ساعة ، وأن يعلِّم فيه خيرا أو يتعلمه ، وأن يذكر الله فيه ويذكر به .

ويستحب إكثار الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وختم القرآن إن تيسر ، والصدقة على جيرانه صلى الله عليه وسلم ، وغير ذلك مما يستحب للزائر فعله ؛ فينوى به التقرب أولا ليثاب على القصد ، فنية المؤمن خير من عمله ، وينوى اجتناب المعاصى والمكروهات حياء من الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم .

ومنها: أن يكون دائم الأشواق إلى زيارة الحبيب الشفيع كل عام بالوصول إلى ذلك الجناب الرفيع ؛ فالشوق إلى لقائه وطلب الوصول إلى فنائه من أظهر علامات الإيمان . وأكثر وسائل الفوز يوم الفزع الأكبر بالأمن والأمان ، وليزدد شوقا وصَبَابة وتوقا ، وكلما ازداد دنوا ازداد غراما وحنوا .

ومنها: أن يقول إذا خرج من بيته : بسم الله ، وتوكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إليك خرجت وأنت أخرجتنى ، اللهم سلمنى وسلم منى ، ورُدَّنى سالما فى دينى كما أخرجتنى ، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضَلّ ، أو أزل أو أُزل ، أو أظلم أو أُظلم ، أو أجهل أو يُجهل علىّ ، عزّ جارك وجل ثناؤك

وتبارك اسمك ولا إلٰهَ غيرك ، وكذا يقول الدعاء المستحب لقاصد المسجد .

ومنها : الإكثار فى المسير من الصلاة والتسليم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، بل يستغرق أوقات فراغه فى ذلك وغيره من القربات .

ومنها : أن يتتبع ما فى طريقه من المساجد والآثار المنسوبة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيُحَيِّيها بالزيارة ، ويتبرك بالصلاة فيها ، وقد استقصيناها فيما سبق .

ومنها : إذا دنا من حرم المدينة وشاهد أعلامها ورُباها وآكامها فليستحضر وظائف الخضوع والخشوع مستبشرا بالهنا وبلوغ المنى ، وإن كان على دابة حَرَّكها أو بعير أوضعه تباشُرًا بالمدينة ، ولله در القائل :

قُرْبُ الديار يزيد شوق ٱلْوَالِهِ … لاسيما إن لاح نُورُ جَمَالِهِ
أو بَشَّر الحادى بأن لاح النَّقا … وبَدَتْ على بعد رؤس جباله
فهُنَاكَ عِيلَ الصَّبْر من ذى صَبْوَةٍ … وبَدَا الذى يخفيه من أحواله

وليجتهد حينئذ فى مزيد الصلاة والسلام ، وترديد ذلك كلما دنا من الربا والأعلام .

ولا بأس بالترجُّلِ والمشى عند رؤية ذلك المحلِّ الشريف والقرب منه ، كما يفعله بعضهم ؛ لأن وَفْدَ عبد القيس لما رأوا النبى صلى الله عليه وسلم نزلوا عن الرواحل ، ولم ينكر عليهم ، وتعظيمه بعد الوفاة كتعظيمه فى الحياة .

وقال أبو سليمان داود المالكى فى الانتصار : إن ذلك يتأكد فعله لمن أمكنه من الرجال ، وإنه يستحب تواضعاً لله تعالى وإجلالا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم .

وحكى عياض فى الشفا أن أبا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجَّلَ باكيا منشدا :

ولمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لم يدع لنا … فؤادا لعرفان الرسوم ولا لُبًّا

نزلْنَا عن الأكوار نمشى كرامة   لمن بان عنه أن نُلِمّ به ركبا

ومنها : إذا بلغ حرمَ المدينة الشريفة فليقل بعد الصلاة والتسليم : اللهم هذا حَرَمُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى حَرَّمْتَه على لسانه ، ودَعَاكَ أن تجعل فيه من الخير والبركة مِثْلَى ما هو فى حرم البيت الحرام ، فحرمنى على النار ، وآمِنِّى من عذابك يوم تبعث عبادك ، وارزقنى من بركاته مارزقته أولياءك وأهل طاعتك ، ووفقنى لحسن الأدب وفِعْلِ الخيرات وترك المنكرات . ثم تشتغل بالصلاة والتسليم . وإن كانت طريقه على ذى الُحلَيْفة فلا يجاوز المعرسَ حتى يُنِيخ به ، وهو مستحب ، كما قاله أبو بكر الخفاف فى كتاب الأقسام والخصال والنووى وغيرهما .

وقال صاحب الطراز من المالكية : من آداب الزائر الغسل ، ولباس أنظفِ الثياب .

وقال أبو عبد الله السامرى الحنبلى فى باب الزيارة من المستوعب : وإذا قدم مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم استحبّ له أن يغتسل لدخولها .

وقال فى الإحياء : وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ، وليلبس أحسن ثيابه .

وقال الكرمانى من الحنفية : فإن لم يغتسل خارج المدينة فليغتسل بعد دخولها .

وفى حديث قيس بن عاصم أنه لما قدم مع وَفْدِه أسرعوا هم بالدخول ، وثبت هو حتى أزال مهنته وآثار سفره ولبس ثيابه ، وجاء على تؤدة ووَقار ، ثم أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فرضى له ذلك وأثنى عليه بقوله « إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم ، والأناة » .

وفى حديث المنذر بن ساوى التميمى أنه وَفَدَ من البحرين مع أناس ، فذهبوا مع سلاحهم فسلموا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ووضع المنذر سلاحه

ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدُهْن ، فأتى نبى الله صلى الله عليه وسلم — الحديث .

ويتجنب ما يفعله بعض الجهلة ، من التجرد عن المخيط تشبها بحال الإحرام .

ومنها : إذا شاهَدَ القبة المنيفة ، وشارف المدينة الشريفة ، فيلزم الخشوع والخضوع مستحضرا عظمتها ، وأنها البقعة التى اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وحبيبه وصفيه ، ويمثل فى نفسه مواقع أقدام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند تَرْدَاده فيها ، وأنه ما من موضع يطؤه إلا وهو موضع قدمه العزيزة ، فلا يضع قدمه عليه إلا مع الهيبة والسكينة ، متصوِّراً خشوعه صلى الله تعالى عليه وسلم وسكينته فى المشى وتعظيم الله عز وجل له حتى قرن ذكره بذكره وأحبط عمل من انتهك شيئاً من حرمته ، ولو برفع صوته فوق صوته ، ويتأسف على فوت رؤيته فى الدنيا ، وأنه من رؤيته فى الآخرة على خطر لسوء صنعه وقبح فعله ، ثم يستغفر لذنوبه ، ويلتزم سلوك سبيله ، ليفوز بالإقبال عند اللقاء ويحظى بتحية المقبول من ذوى البقاء .

ومنها : أن لا يخل بشىء مما أمكنه من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والغضب عند انتهاك حرمة من حرمه أو تضييع شىء من حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإن من علامات المحبة غيرة المحبِّ لمحبوبه ، وأقوى الناس ديانةً أعظمهم غيرة ، وإذا خلا القلب من الغيرة فهو من المحبة أخلى ، وإن زعم المحبة فهو كاذب .

ومنها : أن يقول عند دخوله من باب البلد : بسم الله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله ، رب أدخلنى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرجنى مخرج صدق ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ، حسبى الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، لاحول ولاقوة إلا بالله ، اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاى هذا إليك ، فإنى لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مَرْضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى ؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

ولْيَحْرِص على ذلك كلما قصد المسجد ؛ ففي حديث أبي سعيد الخدرِي رضي الله تعالى عنه مرفوعا أن مَنْ قال ذلك في مسيره إلى المسجد وكَّلَ الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ، ويقبل الله عليه بوجهه . ثم لْيَقْوَ في قلبه شرفُ المدينة وأنها حوَتْ أفضلَ بقاعِ الأرض بالإجماع ، وأن بعض العلماء قال : إن المدينة أفضل أمكنة الدنيا .

أرض مَشَى جِبْرِيلُ فيعَرَصَاتها والله شَرّفَ أرضَهَا وسماءها

ومنها : أن يقدم صدقة بين يدى نَجْوَاه ، ويبدأ بالمسجد الشريف قبل أن يقدم على أمر من الأمور، أو شيء هو إلى مباشرته في ذلك الوقت غير مضطر أو مضرور ؛ فإذا شاهَدَ المسجدَ النبوى والحرم الشريف المحمدي فليستحضر أنهآتٍ مهبط أبي الفتوح جبريل ، ومنزلَ أبي الغنائم ميكائيل ، والموضع الذى خصه الله بالوحى والتنزيل ، فليزدد خضوعاً وخشوعاً يليق بهذا المقام ، ويقتضيه هذا المحـــلُّ الذى ترتعد دونه الأقدام ، ويجتهد في أن يوفى المقام حقه من التعظيم والقيام .

ومنها : ما قاله القاضى فضل الدين بن النصير الغورى من أن دخول الزائر من باب جبريل أفضلُ أيضاً، أى لمـا سبق فيه عند ذكر الأبواب ، وجرت عادة القادمين من ناحية باب السلام بالدخول منه ، فإذا أراد الدخول فليفرغ قلبه ، وليصف ضـميره ، ويقدم رجله اليمنى ، ويقول : أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الـكريم ، وبنوره القديم ، من الشيطان الرجيم ، بسم الله ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ماشاء الله ، لاقوة إلا بالله ، اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ، اللهم اغفرلى ذنوبى ، وافتح لى أبواب رحمتك ، رب وفقْـنِى وسددنى وأصلحنى وأعِنِّى على ما يرضيك عنى ، ومُنّ علىّ بحسن الأدب في هذه الحضرة الشريفة، السلام عليك أيها النبي ورحمة

الله تعالى و بركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . ولا يترك ذلك كلما دخل المسجد أو خرج منه ، إلا أنه يقول عند خروجه : وافتح لى أبواب فضلك ، بدل قوله « أبواب رحمتك » .

ومنها : إذا صار فى المسجد فَلْيَنْوِ الاعتكاف مدة لُبْثه به و إن قَلَّ على مذهب الشافعى ؛ ليحوزَ ما فيه من الفضل ، ثم ليتوجه إلى الروضة المقدسة ، و إن دخل من باب جبريل فليقصدها من خلف الحجرة الشريفة مع ملازمة الهيبة والوقار ، وملابسة الخشية والانكسار ، والخضوع والافتقار ، ثم ليقف فى مُصَلَّى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إن كان خاليًا ، و إلا ففيما يلى المنبر من الروضة و إلا ففى غيرها ، فيصلى تحية المسجد ركعتين خفيفتين ، قال الكرمانى : يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة (قل يا أيها الكافرون) وفى الثانية الإخلاص ، فإن أقيمت مكتوبة أو خاف فَوْتَها بدأ بها ، وحصلت التحية بها ، فإذا فَرَغَ حمد الله ، وأثنى عليه على ما منحه من هذه النعمة العظيمة ، والمنة الجسيمة .

قال الكرمانى وصاحب الاختيار من الحنفية : إنه يسجد بعد الركعتين شكرًا لله تعالى ، و يبتهل إليه فى أن يتمم له ما قصد من الزيارة مع القبول ، وأن يهَبَ له من مهمات الدارين نهاية السُّول .

ونقل الزين المراغى عن بعض مشايخه أن محل تقديم التحية على الزيارة إذا لم يكن مروره قبالة الوجه الشريف ، فإن كان ذلك استحبت الزيارة أولا ، مع أن بعض المالكية رَخَّصَ فى تقديم الزيارة على الصلاة ، وقال : كل ذلك واسع .

والحجة فى استحباب تقديم التحية مانقله البرهان ابن فرحون عن ابن حبيب أنه قال فى كتاب الصلاة : حدثنى مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر ابن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال : قدمْتُ من سفر ، فجئت رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم عليه وهو بفناء المسجد ، فقال : أدَخَلْتَ المسجد فصليت فيه ؟ قلت : لا ، قال : فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم على .

وقال اللخمى فى التبصرة فى باب من جاء مكةَ ليلا : ويبتدىء فى مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بتحية المسجد قبل أن يأتى القبر ويسلم ، هذا قول مالك . وقال ابن حبيب : يقول إذا دخل : بسم الله ، والسلام على رسول الله ، يريد أن يبتدىء بالسلام من موضعه ، ثم يركع ، ولو كان دخوله من الباب الذى بناحية القبر ومروره عليه فوقف فسلم ثم عاد إلى موضع يصلى فيه لم يكن ضيقاً ، انتهى .

قلت : وليس فى كلام ابن حبيب مخالفة لما ذكره مالك؛ إذ مراده أن الداخل من باب المسجد يستحب له السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنده كما يستحب له الصلاة عليه؛ لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعاً « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وليصل ، وليقل : اللهم أجرنى من الشيطان الرجيم » ولأن ابن حبيب ذكر بعد ذلك صلاة التحية ، ثم الوقوف بالقبر ، والسلام ، والله تعالى أعلم .

ومنها : أن يتوجه بعد ذلك إلى القبر الكريم، مستعيناً بالله تعالى فى رعاية الأدب فى هذا الموقف العظيم ، فيقف بخشوع وخضوع تامين تجاه مسمار الفضة الذى بجدار الحجرة المتقدم بيانه فى محله لجعله فى موضع محاذاة الوجه الشريف ، وربما منع بابُ المقصورة التى حول الحجرة الشريفة الواقفَ للزيارة خارجها من مشاهدة ذلك المسمار إلا بتأمل يشغل القلب ويذهب الخشوع فليقصد المصرعة الثانية من باب المقصورة القبلى الذى على يمين مستقبل القبر

الشريف ، فإذا استقبلها كان محاذيا له ، والزيارة من داخل المقصورة أولى ؛ لأنه موقف السلف .

والمنقول أن الزائر يقف على نحو أربعة أذرع من رأس القبر ، وقال ابن عبد السلام : على نحو ثلاثة أذرع ، وعلى كل حال فذلك من داخل المقصورة بلا شك . وقال ابن حبيب فى الواضحة : واقصد القبر الشريف من وجاه القبلة وادْنُ منه . وقال فى الإحياء — بعد بيان موقف الزائر بنحو ما قدمناه — : فينبغى أن تقف بين يديه كما وصفنا ، وتزوره ميتا كما كنت تزوره حيا ، ولا تقرب من قبره إلا ما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا ، اه .

ولينظر الزائر فى حال وقوفه إلى أسفل مايستقبل من جدار الحجرة الشريفة ، ملتزما للحياء والأدب التام فى ظاهره وباطنه ، قال الكرمانى من الحنفية : ويضع يمينه على شماله كما فى الصلاة .

وقال فى الإحياء : واعلم أنه صلى الله عليه وسلم عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك ، فمثل صُورَتَه الكريمة فى خيالك ، وأخطر عظيم رتبته فى قلبك ؛ فقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أن الله تعالى وَكَّلَ بقبره مَلَكا يبلغه السلام ممن يسلم عليه من أمته ، هذا فى حق مَنْ لم يحضر قبره ، فكيف بمن فارق الوطَن وقطع البوادى شوقا إليه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة ؟ انتهى .

ثم يسلم الزائر ، ولا يرفع صوته ولا يخفيه ، بل يقتصد فيقول : السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك ياخيرة الله ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك يا خير الخلائق أجمعين ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى آلك وأهل بيتك وأزواجك وأصحابك أجمعين ، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين ، جَزَاكَ الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى

به نبيا ورسولا عن أمته ، وصلّى عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون أفضل وأكمل ما صلى على أحد من الخلق أجمعين ، أشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنك عبده ورسوله وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وكشفت الغُمَّة ، وجاهدت فى الله حق جهاده ، اللهم آتِهِ الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وآته نهاية ما ينبغى أن يسأله السائلون ، اللهم صَلِّ على سيدنا محمد نبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

ومَنْ عجز عن حفظ هذا أو ضاق الوقت عنه اقتصر على بعضه كما قاله النووى ، قال : وأقله السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ، وجاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما وغيره من السلف الاقتصار جدا ، وعن مالك «يقول : السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته» .

ونقل البرهان ابن فرحون عن أبى سعيد الهندى من المالكية قال فيمن وقف بالقبر : ولا يقف عنده طويلا ، ثم ذكر سلام ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ، ثم قال : وهذه طريقة ابن عمر ، وتبعه مالك فى ترك تطويل القيام ، واختار بعضهم التطويل فى السلام ، وعليه الأكثرون .

وقال ابن حبيب فيما نقل عياض : ثم تقف بالقبر متواضعا متوافرا ، فتصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتثنى بما يحضرك ، قال ابن فرحون : وقال ابن حبيب : يقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، صلى الله عليك وسلم يارسول الله أفضل وأزكى وأعلى وأنمى صلاة صلاها على أحد من أنبيائه وأصفيائه أشهد يا رسول الله أنك قد بلغت ما أرسلت به ، ونصحت الأمة ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، وكنت كما نَعَتَك الله فى كتابه حيث قال (لقد جاءكم

رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم) فصلوات الله وملائكته وجميع خلقه فى سمواته وأرضه عليك يا رسول الله، السلام عليكما يا صاحبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا أبا بكر و يا عمر ، جزاكما الله عن الإسلام وأهله أفضل ما جزى وزيرى نبى على وزارته فى حياته وعلى حسن خلافته إياه فى أمته بعد وفاته ؛ فقد كنتما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزيرى صدق فى حياته ، وخَلَفتماه بالعدل والإحسان فى أمته بعد وفاته ، فجزاكما الله على ذلك مرافقته فى جنته و إيانا معكم برحمته ، انتهى .

وذكر المطرى والمجد تسليما يشتمل على أوصاف كثيرة ، وأوصافُه صلى الله تعالى عليه وسلم غير منحصرة ، وهى شهيرة ، والحال يضيق عن الاستقصاء ؛ فلذلك اقتصرنا على ماقدمناه .

وقال النووى عقب ما تقدم عنه : ثم إن كان قد أوصاه أحَدٌ بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقل : السلام عليك يارسول الله من فلان بن فلان ، أو فلان بن فلان يسلم عليك يارسول الله ، ونحوه من العبارات ، ثم يتأخر إلى صَوْب يمينه قدرَ ذراع فيصير تجاه أبى بكر رضى الله تعالى عنه فيقول: السلام عليك ياأبا بكر صفىّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وثانيه فى الغار ، ورفيقه فى الأسفار ، جزاك الله عن أمة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير الجزاء ، ثم يتأخر إلى صَوْب يمينه قدر ذراع فيقول : السلام عليك ياعمر الفاروق ، الذى أعز الله به الإسلام ، جزاك الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم خير الجزاء .

هذا ماذكره النووى وغيره من أصحابنا وغيرهم. ولعل ابن حبيب ـ حيث ذكر التسليم على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى ضجيعيه جملة ـ يرى اصطفاف القبور سواء كما هو إحدى الروايات المتقدمة .

قال النووى وغيره : ثم يرجع الزائر إلى موقفه الأول قبالَةَ وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيتوسل به فى حق نفسه ، و يستشفع إلى ربه سبحانه

وتعالى . قال : ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له، وسبق له ذكر فى الفصل الثانى .

قلت : وليجدد التوبة فى ذلك الموقف ، ويسأل الله تعالى أن يجعلها توبة نَصُوحا ، ويستشفع به صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ربه فى قبولها ، ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى (ولو أنهم إذْ ظَلَمُوا أنفسهم ـ إلى قوله : رحيما) مع ما سبق فى حكاية العتبى ، ويقول : نحن وفدك يا رسول الله وزُوَّارك ، جئناك لقَضَاء حقك ، والتبرك بزيارتك ، والاستشفاع بك إلى ربك تعالى ، فإن الخطايا قد أثقَلَتْ ظهورنا ، وأنت الشافع المشفع الموعود بالشفاعة العظمى والمقام المحمود ، وقد جئناك ظالمين لأنفسنا ، مستغفرين لذنوبنا ، سائلين منك أن تستغفر لنا إلى ربك ، فأنت نبينا وشفيعنا،فاشفع لنا إلى ربك ، واسأله أن يميتنَا على سنتك ومحبتك ، ويحشرنا فى زُمْرَتك ، وأن يوردنا حوضك غير خزايا ولا نادمين .

وروى يحيى الحسينى وغيره عن ابن أبى فديك قال : سمعت بعضَ من أدركْتُ يقول : بلغنا أنه مَنْ وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) صلى الله تعالى على محمد وسلم ، وفى رواية : صلى الله عليك يا محمد ، يقولها سبعين مرة ، ناداه مَلَك: صلى الله عليك يا فلان ، لم تسقط لك اليوم حاجة .

قلت : فينبغى تقديمُ ذلك على الدعاء والتوسل ، قال بعضهم : لكن الأولى أن يقول : صلى الله وسلم عليك يا رسول الله ، وإن كانت الرواية «يا محمد» تأدبا ؛ أى لأن من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يُنَادَى باسمه ، بل يقال : يا رسول الله ، يا نبى الله ، ونحوه ، والذى يظهر أن هذا فى نداء لا يقترن به الصلاة والسلام .

قال المجد : وروينا عن الأصمعى قال : وقف أعرابى مقابل قبر النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم فقال : اللهم إن هذا حبيبُكَ وأنا عبدُكَ والشيطان عدوك ، فإن غفرت لى سُرَّ حبيبُك وفاز عبدك وغضب عدوك ، و إن لم تغفر لى غضب حبيبُكَ ورضى عدوك وهلك عبدك ، وأنت أكرم من أن تغضب حبيبك وترضى عدوك وتهلك عبدك، اللهم إن العربَ الكرامَ إذا مات فيهم سيد أعتقوا على قبره،و إن هذا سيد العالمين فأعتقنى على قبره ، قال الأصمعى فقلت : يا أخا العرب إن الله قد غفر لك وأعتقك بحسن هذا السؤال .

قال المجد : و يجلس إن طال القيام به ، فيكثر من الصلاة والتسليم .

ونقل فى شرح المهذب عن كتاب آداب زيارة القبور لأبى موسى الأصفهانى أن الزائر بالخيار ، إن شاء زار قائما ، وإن شاء قعد كما يزور الرجل أخاه فى الحياة ، فر بما جلس عنده ور بما زار قائما ومارا ، انتهى .

قال المجد : و يأتى بأتم أنواع الصلاة وأكمل كيفياتها ، والإختلافُ فى ذلك مشهور ، قال : والذى أختاره لنفسى : اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وأزواجه ، الصلاة المأثورة ،أى التى أخبر بها السائل عن كيفية الصلاة عليه: عددَ ما خلقتَ وعدد ما أنت خالق، وزنة ماخلقت وزنة ماأنت خالق ، وملء ماخلقت وملء ما أنت خالق ، وملء سمواتك وملء أرضك، ومثل ذلك ، وأضعاف ذلك ، وعدد خلقك ، وزنة عرشك ، ومنتهى رحمتك ، ومداد كلماتك ، ومَبْلَغَ رضاك، وحتى ترضى ، وعدد ما ذكرك به خلقك فى جميع ما مضى ، وعدد ماهم ذاكروك فيما بقى فى كل سنة وشهر وجمعة و يوم وليلة وساعة من الساعات ونسم ونفس ولمحة وطرفة من الأبد إلى الأبد أبد الدنيا والآخرة وأكثر من ذلك ، لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره ، ثم يقول ذلك مرة أو ثلاث مرات ، ثم يقول : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كذلك ، ثم يتلو بين يدى سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تيسر من القرآن المجيد ، و يقصد الآى والسور الجامعة لصفات الإيمان ولمعانى التوحيد ، انتهى .

وقال النووى عقب ماتقدم عنه : ثم يتقدم — يعنى بعد فراغ الدعاء والتوسل

قبالة الوجه الشريف إلى رأس القبر ، فيقف بين القبر والأسطوانة التى هناك ، ويستقبل القبلة ، ويحمد الله تعالى ويمجده ، ويدعو لنفسه بما أهمه وما أحبه ، ولوالديه ، ولمن شاء من أقاربه وأشياخه وإخوانه وسائر المسلمين . وفى كتب الحنفية وغيرهم نحو هذا .

وقال العز بن جماعة : وما ذكره من العَوْد إلى قبالة الوجه الشريف ومن التقدم إلى رأس القبر المقدس للدعاء عقب الزيارة لم يُنْقَلْ عن فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى .

قلت : أما الدعاء والتوسل هناك فله أصل عنهم ، والذى لم ينقل إنما هو هذا الترتيب المخصوص ، والظاهر أن المراد بذلك تأخير الدعاء عن السلام على الشيخين والجمع بين موقفى السلف : الأول الذى كان قبل إدخال الحجر ، والثانى الذى كان بعده ، وهو حسن ، بل سَبَق أوائل سادس فصول الباب الخامس من رواية ابن شبة أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين فرغ من دَفن ابنه إبراهيم قال عند رأسه : السلام عليكم ، وهو ظاهر فى السلام من جهة الرأس .

ومنها : أن يأتى المنبر الشريف ، ويقف عنده ، ويدعو الله تعالى ، ويحمده على مايَسَّر له ، ويصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويسأل الله سبحانه وتعالى من الخير أجمع ، ويستعيذ به ، كما قاله ابن عساكر ، زاد الأقشهرى عقبه : كما كانت الصحابة تفعل . يشير إلى ما رواه عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا خلا المسجد يأخذون برمانة المنبر الصلعاء التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسكها بيده ، ثم يستقبلون القبلة ويدعون .

وفى الشفاء لعياض عن أبى قسيط والعتبى رحمهما الله : كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى الله تعالى عنهم إذا خلا المسجدُ حَبَسُوا رمانة المنبر التى تلى القبر بميامنهم ، ثم استقبلوا القبلة يدعون .

وقال النووى عقب ما تقدم عنه : ثم يأتى الروضة فيكثر فيها من الدعاء والصلاة ، ويقف عند القبر ويدعو .

قلت : ويقف أيضاً ويدعو عند أسطوان المهاجرين ، ويتبرك بالصلاة عندها وكذا أسطوان أبى لُبَابة ، وأسطوان الحرس ، وأسطوان الوفود ، وأسطوان التهجد بعد أن يسلم على فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها عند المحراب الذى فى بيتها داخل المقصورة ؛ للقول بدفنها هناك كما سبق .

ومنها : أن يجتنب لمس الجدار ، وتقبيله ، والطواف به ، والصلاة إليه ، قال النووى : لا يجوز أن يطاف بقبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويكره إلصاق البطن والظهر بجدار القبر ، قاله الحليمى وغيره ، قال : ويكره مسحه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه لو حضر فى حياته ، هذا هو الصواب ، وهو الذى قاله العلماء وأطْبَقُوا عليه ، ومَنْ خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ فى البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن البركة إنما هى فيما وافق الشرع وأقوال العلماء ، انتهى .

وفى الإحياء : مَسُّ المَشَاهد وتقبيلها عادة النصارى واليهود ، وقال الأقشهرى: قال الزعفرانى فى كتابه : وضعُ اليد على القبر ومَسُّه وتقبيله من البِدَعِ التى تنكر شرعاً .

وروى أن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه رأى رَجلا وضع يده على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فنهاه ، وقال : ما كنا نعرفُ هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أنكره مالك والشافعى وأحمد أشَدَّ الإنكار .

وقال بعض العلماء : إنه إن قصد بوضع اليد مصافحة الميت يرجى أن لا يكون به حَرَجٌ ، ومتابعة الجمهور أحق ، انتهى .

وفى تحفة ابن عساكر : ليس من السنة أن يمس جدار القبر المقدس ، ولا أن يقبله ، ولا يطوف به كما يفعله الجهال ، بل يكره ذلك ، ولا يجوز ، والوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام ، ثم روى من طريق أبى نعيم قال : أنبأنا عبد الله بن جعفر بن فارس حدثنا أبو جعفر محمد بن عاصم حدثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن نافع أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يكره أن يكثر مس قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

قال البرهان ابن فرحون بعد ذكره : وهذا تقييد لما تقدم ، وهو عن ابن عمر فى القبر نفسه ، فالجدر الظاهرة أخف ، إذا لم يكثر منه ، قال: وهو دال على قرب موقف الزائر ، و يفسر معنى الدنو الذى عبر به مالك ، انتهى .

وقال أبو بكر الأثرم : قلت لأبى عبد الله ـ يعنى أحمد بن حنبل ـ قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يلمس ويتمسح به ؟ قال : لا أعرف هذا ، قلت : فالمنبر ، قال : أما المنبر فنعم ، قد جاء فيه شىء يروونه عن ابن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه مسح المنبر ، و يروونه عن سعيد ابن المسيب فى الرمانة ، أى رمانة المنبر قبل احتراقه .

و يروى عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنه حيث أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر فمسحه ودعا ، فرأيته استحسن ذلك ، قلت لأبى عبد الله : إنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ، وقلت له : ورأيت أهلَ العلم من أهل المدينة لايمسونه ، و يقومون ناحيته ، و يسلمون ، فقال أبو عبد الله : نعم ، وهكذا كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يفعل ذلك ، نقله ابن عبد الهادى عن تأليف ابن تيمية .

وقال العز بن جماعة بعد ذكر ماسبق عن النووى : وقال السروجى الحنفى : لايلصق بطنه بالجدار ، ولا يمسه بيده ، وقال عياض فى الشفاء : ومن كتاب أحمد ابن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر :لايلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا ، وقال ابن قدامة من الحنابلة فى المغنى : ولا يستحب التمسح بحائط قبر النبى صلى

الله تعالى عليه وسلم ، ولا يقبله ، قال أحمد : ما أعرف هذا ، قال الأثرم : رأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسون قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، بل يقومون من ناحيته فيسلمون ، قال أبو عبد الله : وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يفعل ذلك ، انتهى . قال العز : فى كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبى على بن الصوف عنه ،قال عبد الله : سألت أبى عن الرجل يمسُّ منبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، و يتبرك بمسه ، و يقبله ، و يفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، قال : لا بأس به ، قال العز بن جماعة : وهـذا يبطل مانقل عن النووى من الإجماع .

قلت : النووى لم يصرح بنقل الإجماع ، لـكن قوة كلامه تفهمه .

وقال السبكى فى الرد على ابن تيمية فى مسألة الزيارة : إن عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه ؛ فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله الحسينى فى أخبار المدينة قال : حدثنى عمر بن خالد حدثنا أبو نباتة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال : أقبل مروان بن الحـكم ، فإذا رجل ملتزم القبر ، فأخذ مروان برقبته ثم قال : هل تدرى ما تصنع ؟ فأقبل عليه فقال : نعم، إنى لم آت الحجَر ، ولم آت اللَّبِنَ ، إنما جئتُ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا تَبـكُوا على الدين إذا وَليه أهله ، ولـكن ابكوا عليـه إذا وليه غير أهله ، قال المطلب : وذلك الرجل أبو أيوب الأنصارى . قال السبكى : وأبو نباتة يونس بن يحيى ، ومَنْ فوقه ثقات ، وعمر بن خالد لم أعرفه ، فإن صح هذا الإسناد لم يكره مس جدار القبر ، و إنما أردنا بذكره القدح فى القطع بكراهة ذلك ، انتهى .

قلت : سبق فى الفصل قبله أن أحمد رواه بأتم من ذلك عن عبد الملك بن عمرو ــ وهو ثقة ــ عن كثير بن زيد ، وقد حكم السبكى بتوثيقه ، فإنه الذى فوق

أبى نباتة فى إسناد يحيى ، وقد وثقه جماعة ، لـكن ضعفه النسائى كما سبق .

وتقدم أيضاً أن بلالا رضى الله تعالى عنه لما قدم من الشام لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى القبر ، فجعل يبكى عنده ، ويمرغ وجهه عليه ، وإسناده جيد كما سبق .

وفى تحفة ابن عساكر من طريق طاهر بن يحيى الحسينى قال : حدثنى أبى عن جدى عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله تعالى عنه قال : لما رُمِسَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت فاطمة رضى الله تعالى عنها ، فوقفت على قبره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت ، وأنشأت تقول :

ماذا على مَنْ شمّ تربَةَ أحمـدٍ   أن لا يَشمّ مَدَى الزمان غَوَاليا

صُبَّت علىّ مصائبٌ لو أنها   صُبَّتْ على الأيام عُدْنَ لَيَاليا

ذكر الخطيب بن حملة أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف ، وأن بلالا رضى الله تعالى عنه وضَع خديه عليه أيضاً ، ثم قال : ورأيت فى كتاب السؤالات لعبد الله بن الإمام أحمد ، وذكر ما تقدم عن ابن جماعة نَقْله عنه ، ثم قال : ولا شك أن الاستغراق فى المحبة يحمل على الإذن فى ذلك ، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم ، والناس تختلف مراتبهم فى ذلك كما كانت تختلف فى حياته ، فأناس حين يرونه لايملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ، وأناس فيهم أناة يتأخرون ، والكل محل خير ، انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمى وغيره ، فأما تقبيل يد الآدمى فسبق فى الأدب ، وأما غيره فنقل عن أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقبره ، فلم ير به بأساً ، واستبعد بعضُ أتباعه صحته عنه . ونقل

عن ابن أبى الصيف اليمانى أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين .

ونقل الطيب الناشرى عن المحب الطبرى أنه يجوز تقبيل القبر ومسه ؟ قال : وعليه عمل العلماء الصالحين ، وأنشد :

لو رأينـــا لسليمى أثراً　　لَسَجَدْنَا أَلْفَ أَلْفٍ للأَثر

وقال آخر :

أمرّ على الديا ديار ليـــلى　　أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حُب الديار شغفن قلبى　　ولـكن حب من سكن الديارا

ونقل بعضهم عن أبى خيثمة قال: حدثنا مصعب بن عبد الله حدثنا إسماعيل ابن يعقوب التيمى قال : كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه ، قال : وكان يصيبه الصمات ، فكان يقوم كما هو يضع خده على قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم يرجع، فعوتب فى ذلك ، فقال : إنه يصيبنى خطرة ، فإذا وجدت ذلك استشفيت بقبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وكان يأتى موضعاً من المسجد فى الصحن فيتمرغ فيه ويضطجع ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنى رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الموضع ، أراه قال «فى النوم» انتهى .

ومنها : اجتناب الانحنـاء للقبر عند التسليم ، قال ابن جماعة : قال بعض العلماء : إنه من البِدع ، ويظن من لاعلم له أنه من شعار التعظيم ، وأقبح منه تقبيل الأرض للقبر ، لم يفعله السلف الصـالح ، والخير كله فى اتباعه ، ومن خطر بباله أن تقبيل الأرض أبلغ فى البركة فهو من جهالته وغفلته ؛ لأن البركة إنما هى فيما وافق الشرع وأقوال السلف وعملهم ، قال : وليس عجبى ممن جهل ذلك فارتكبه ، بل عجبى ممن أفتى بتحسينه مع علمه بقبحه ومخالفته لعمـل السلف ، واستشهد لذلك بالشعر ، انتهى .

قلتُ : وقد شاهدت بعض جهال القضاة فعل ذلك بحضرة الملأ ، وزاد عليه وضع الجبهة كهيئة الساجد ، فتبعه العوام ، ولا قوة إلا بالله .

ومنها : أن لا يمر بقبر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقف ويسلم عليه ، سواء مر من داخل المسجد أو من خارجه ، ويكثر من قصده وزيارته .

روى الأقشهرى بسنده لابن أبي الدنيا قال : حدثني الحسين بن عبد العزيز قال : حدثنا الحارث بن سليمان قال : أنبأنا ابن وهب قال : أنبأنا عبد الرحمن بن زيد أن أبا حازم حدثه أن رجلا أتاه فحدثه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي حازم : أنت المارّ بي مُعْرضا لاتقف تسلم عليّ ؟ فلم يَدَعْ ذلك أبو حازم منذ بلغته هذه الرؤيا .

وفي كتاب الجامع من البيان لابن رشد شرح العتبية ، مالفظه : وسئل – يعني مالكاً – عن المار بقبر النبي صلى الله عليه وسلم أترى أن يسلم كلما مر ؟ قال : نعم ، أرى ذلك ، عليه أن يسلم كلما مر به ، وقد أكثر الناس من ذلك ، فإذا لم يمر به فلا أرى ذلك ، وذكر حديث « اللهم لاتجعل قبري وثناً » الحديث .

قال : فقد أكثر الناسُ من هذا ، فإذا لم يمر عليه فهو في سَعَة من ذلك ، قال : وسئل عن الغريب يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم ، فقال : ماهذا من الأمر ، ولكن إذا أراد الخروج ، قال ابن رشد : المعنى في ذلك أنه يلزمه أن يسلم عليه كلما مر به متى مامر ، وليس عليه أن يأتي ليسلم عليه إلا للوداع عند الخروج ، ويكره أن يكثر المرور به ، والسلام عليه ، والإتيان كل يوم إليه ؛ لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كل يوم للصلاة فيه ، وقد نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك بقوله « اللهم لاتجعل قبري وثنا» الحديثَ .

وقال عياض فى الشفاء : قال مالك فى كتاب محمد : و يسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إذا دخل وخرج ، يعنى فى المدينة ، وفيما بين ذلك ، وقال مالك فى المبسوط : وليس يلزم مَنْ دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوفُ بالقبر ، و إنما ذلك للغرباء ، وقال فيه أيضا : لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، فيصلى عليه ، و يدعو له ولأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ، فقيل له : إن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه و يفعلون ذلك فى اليوم مرة أو أكثر ، ور بما وقفوا فى الجمعة أو فى الأيام المرة أو المرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون و يَدْعُون ساعة ، فقال : لم يبلغنى هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا ، وتركه واسع ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولم يبلغنى عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ، و يكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده .

قال الباجى : ففرق بين أهل المدينة والغرباء ؛ لأن الغرباء قصدوا لذلك ، وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم .

قال السبكى : والمتلخص من مذهب مالك أن الزيارة قُرْبة ، ولكنه على عادته فى سد الذرائع يكره منها الإكثار الذى قد يُفضِى إلى محذور ، والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها واستحباب الإكثار منها ؛ لأن الإكثار من الخير خير .

وقال النووى فى زيارة القبور من الأذكار : و يستحب الإكثار من الزيارة ، وأن يكثر الوقوف عند قبور أهل الخير والفضل . وسبق فى الفصل العشرين من الباب الرابع قول عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى خبر هَدْم جدار الحجرة : كنت أخرج كل ليلة من آخر الليل حتى آتى المسجد فأبدأ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم عليه ، ثم آتى مصلاى فأجلس به حتى أصلى الصبح .

وروى ابن زبالة عن عبد العزيز بن محمد قال : رأيت رجلا من أهل المدينة يقال له محمد بن كيسان يأتى إذا صلّى العَصْرَ من يوم الجمعة ـ ونحن جلوس مع ربيعة بن أبى عبد الرحمن ـ فيقوم عند القبر فيسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويدعو حتى يمسى ، فيقول جلساء ربيعة : انظروا إلى ما يَصْنَع هـذا ؟ فيقول : دَعُوه فإنما للمرء مانوى .

وقال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعى يقول : قال ابن عجلان لبعض الأمراء: إنك تطيل ثيابك ، وتطيل الخطبة ، وتكثر المجىء إلى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فلو كان فيه العجلان ما أتيته .

ومنها : إكثار الصلاة والتسليم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإيثار ذلك على سائر الأذكار ، ما دام هناك .

ومنها : اغتنام ما أمكن من الصيام ولو يسيرا من الأيام .

ومنها : الحرص على فعل الصلوات الخمس بالمسجد النبوى فى الجماعة ، والإكثار من النافلة فيه ، مع تحرى المسجد الذى كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ، إلا أن يكون الصفُّ الأولُ خارجه فهو أولى ، وإن أمكنه ملازمة المسجد ، وأن لا يفارقه إلا لضرورة ، أو مصلحة راجحة ، فليغتنم ذلك ، وكلما دخله فليجدد نية الاعتكاف ، ولله رد القائل :

تمتع إن ظَفِرْتَ بنيل قرب   وحَصِّلْ ما استطعت من ادخار

قال ابن عساكر : وليحرص على المبيت فى المسجد ولو ليـلةً يحييها بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن والتضرُّع إلى الله تعالى والحمد والشكر على ما أعطاه ، وعلى أن يختم القرآن العزيز فى المسجد لأثر فيه ، اه .

وقال أبو مجلد : كانوا يحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم فيها القرآن قبل أن يخرج : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومسجد بيت المقدس ، وأخرجه سعيد بن منصور .

ومنها : أن لا يستدبر القبر المقدس فى صلاة ولا فى غيرها من الأحوال ، ويلتزم الآداب شريعة وحقيقة فى الأقوال والأفعال .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : وإذا أردت صلاة فلا تجعل حجرته صلى الله تعالى عليه وسلم وراء ظهرك ، ولا بين يديك ، قال : والأدب معه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد وفاته مثله فى حياته ، فما كنت صانعه فى حياته فاصنعه بعد وفاته : من احترامه ، والإطراق بين يديه ، وترك الخصام ، وترك الخوض فيما لا ينبغى أن يخوض فيه فى مجلسه ، فإن أبيت فانصرافك خير من بقائك .

ومنها : أن يجتنب ما يفعله جَهَلَةُ العوام من التقرب بأكل التمر الصيحانى فى المسجد وإلقاء النوى به .

قال النووى وغيره : من جهالات العامة وبِدْعَتهم تقربهم بأكل التمر الصيحانى فى الروضة الكريمة ، وقطعهم شعورهم ، ورميها فى القنديل الكبير ، وهذا من المنكرات المستشنعة .

ومنها : إدامة النظر إلى الحجرة الشريفة ؛ فإنه عبادة قياسا على الكعبة المعظمة كما قاله المجد ، قال : فينبغى لمن كان بالمدينة إدامة ذلك إذا كان فى المسجد ، وإدامة النظر إلى القبة الشريفة إذا كان خارجا مع المهابة والحضور .

ومنها : ما قاله النووى أنه يستحب الخروج كل يوم إلى البقيع ، ويكون ذلك بعد السلام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فإذا انتهى إلى البقيع قال : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم ، هذا محصل ما ورد ، زاد القاضى حسين : اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النَّخِرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة ، أدْخِلْ عليها رَوْحاً منك وسلاما منى ، اللهم برد مَضَاجعهم عليهم واغفر لهم . ثم يزور قبورَ السَّلَفِ

الظاهرة بالبقيع ، كقبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعثمان والعباس والحسن بن على وعلى بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد وغيرهم ، رضى تعـالى عنهم ، ويختم بصفية عمة رسول الله صلى الله تعـالى عليه وسلم ، انتهى .

وقال العلامة فضل الدين بن القاضى نصير الدين النورى : وإذا أراد زيارة البقيع يخرج من باب البلد ، ويأتى قبة العباس بن عبد المطلب والحسن بن على رضى الله تعالى عنهم ، وذكر بعده إتيان بقية القبور ، ثم قال : ثم يختم زيارة البقيع بالسلام على صفية بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله تعـالى عليه وسلم .

فاقتضى سياقه البداءة بسيدنا العباس ومَنْ عنده من الحسن وغيره رضى الله تعالى عنهم ، ولعله لـكون مشهدهم أولَ المَشَاهد التى يلقاها الخارج من البلد ، فإنه يكون على يمينه ، فمجاوزتهم من غير سلام عليهم جَفْوة ، فإذا سلك تلك الطريق سلم على من يمر به بعدهم ، فيـكون مروره على صفية رضى الله تعـالى عنها فى رجوعه فيختم بها .

وقال البرهان ابن فرحون : أول المشاهد وأولاها بالتقديم مشهد سيدنا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؛ لأنه أفضل الناس بعد أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم ، قال : واختار بعضهم البداءة بقبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

فتلخص فيمن يُبْدَأ به ثلاثة آراء ، وسبق أن مشهد سيدنا إسماعيل بن جعفر الصادق غربى مشهد العباس ، إلا أنه صار داخل سور المدينة ، ومشاهد البقيع كلها خارج السور ، فليختم الزائر به إذا رجع ، ويذهب إلى زيارة مشهد سيدنا مالك بن سنان ومشهد النفس الزكية فإنهما ليسا بالبقيع كما سبق .

ومنها : أنه يستحب أن يأتى قبور الشهداء بأحد ، قال النووى وغيره : وأفضلها يوم الخميس .

قلت : ولم يظهر لى وجه تخصيصه ، ثم رأيت الغزالى فى الإحياء فى زيارة القبور قال : كان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة ، فقيل له : لو أخرت إلى يوم الاثنين ، فقال : بلغنى أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده ، انتهى . فلما كان المطلوب فى يوم الجمعة التبكير للجمعة وقبور الشهداء بعيدة ، والمطلوب فى يوم السبت الذهاب لمسجد قباء كما سيأتى ، فاختص الخميس بذلك ، ويبدأ بحمزة عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ويبكر بعد صلاة الصبح فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يعود ويدرك جماعة الظهر فيه ، قال الكمال بن الهمام محقق الحنفية : ويزور جبل أحد نفسه ؛ ففى الصحيح « أُحُدٌ جبل يحبنا ونحبه » .

ومنها : أنه يستحب استحبابا متأكدا — كما قال النووى — أن يأتى مسجد قباء ، وفى يوم السبت أولى ، ناويا التقرب بزيارته والصلاة فيه ، وإذا قصد إتيانه توضأ وذهب ، ولا يؤخر الوضوء حتى يصل إليه .

ومنها : أن يأتى بقية المساجد والآثار المنسوبة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة مما عُلمت عينه أو جهته ، وكذا الآبار التى شرب منها صلى الله تعالى عليه وسلم أو توضأ أو اغتسل ، فيتبرك بمائها ، صرح جماعة من الشافعية وغيرهم باستحباب ذلك كله ، وقد كان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يتحرّى الصلاة والنزول والمرور حيث حل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونزل وغير ذلك .

ومأخذ ما نقل عن مالك مما يخالف هذا سَدًّا للذريعة ، تبعا لعمر رضى الله تعالى عنهما ، ما رواه سعيد بن منصور فى سننه عن المعرور بن سويد أنه خرج مع عمر رضى الله تعالى عنه فى حجة حجها ، فلما رجع من حَجَّته رأى الناس ابتدروا المسجد ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مسجد صَلَّى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا أهل الكتاب قبلكم اتخذوا آثار الأنبياء بِيَعًا ، من عرضت له منكم الصلاة فيه فليصل ، ومن لم تعرض له فليمض .

وقال عياض فى الشفاء : ومن إعظامه صلى الله تعالى عليه وسلم وإكباره إعظام جميع أشيائه ، وإكرام جميع مشاهده وأمكنتِهِ ومعاهده ، وما لَمَسَه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده أو عرف به ، انتهى .

قلت : ذلك بزيارة تلك المشاهد والتبرك بها ، ولله در القائل :

خَلِيلَىّ هـذا رَبْعُ عزة فاعْقِلاَ قَلوصَيْكما ، ثم أنزلا حيث حَلَّتِ
ومَسَّا ترابا طال ما مَسَّ جـلدها وظَلاَّ وبِيتا حيث باتَتْ وظلَّتِ
ولا تيأسا أن يَمْحُـوَ الله عنكما ذُنُوباً إذا صلَّيتما حيث صلَّتِ

وذكر خليل المالكى فى منسكه استحبابَ زيارة البقيع ، ومسجد قباء ، وغير ذلك ، ثم قال : وهذا إنما يكون فيمن كثرت إقامته بالمدينة ، وإلا فالمقام عنده عليه الصلاة والسلام أحسن ؛ ليغتنم مُشَاهداته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد قال ابن أبى جمرة : لما دَخَلْتُ مسجد المدينة ما جلستُ إلا الجلوسَ فى الصلاة ، وما زلت واقفا هناك حتى رحل الركب ، ولم أخرج إلى بقيع ولا غيره ، ولم أرَ غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقد كان خطر لى أن أخرج إلى البقيع ، فقلت : إلى أين أذهب ؟ هذا باب الله تعالى مفتوح للسائلين والمتضرعين ، وليس ثَمَّ مَنْ يقْصد مثله .

قلت : والحق أن مَنْ منح دوام الحضور والشهود وعدم الملل فاستمراره هناك أولى وأعلى ، وإلا فتنقله فى تلك البقاع أولى ، وبه يستجلب النشاط ودفع الملل ، ولذلك نوَّعَ الله لعباده الطاعات ، والله أعلم .

ومنها : أن يلاحظ بعقله مدة إقامته بالمدينة جلالتها ، وأنها البلدة التى اختارها الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحياة وبعد الوفاة ، ويستحضر تردُّدَهُ صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ، ومشيه فى بقاعها ، ومحبته لها ، وتردد جبرائيل عليه السلام فيها بالوحى ، فيحبها وسائر منازلها وأوديتها وجبالها ، سيما ما أثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم المحبة من ذلك .

ومنها : أن لا يركَبَ بها دابة مهما قدر على المشى ، بل يؤثره على الركوب ، كما رأى ذلك مالك رحمه الله تعالى ؛ فإنه كان لا يركب بها دابة ، ويقول : أخشى أن يقع حافرها فى محل مشى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

وفى رواية عن الشافعى رحمه الله تعالى قال : رأيت على باب مالك كُرَاعا من أفراس خراسان وبغال مصر ، ما رأيت أحسن منها ، فقلت له : ما أحسنها ! فقال : هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله ، فقلت : دَع لنفسك منها دابة تركبها ، فقال : أستحيى من الله أن أطأ تربة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة

ومنها : محبة أهل المدينة وسكانها ، ومحبة مجاوريها وقُطَّانها ، وتعظيمهم ، سيما العلماء والصلحاء والأشراف والفقراء وسَدَنة الحجرة وخُدّامها ، قال المجد : وهلم جرا إلى عَوَامها وخَوَاصها ، وكبارها وصغارها ، وزراعها وجرافها ، وباديتها وحاضرتها ، كل منهم على حسب حاله ورتبته وقرابته ودنوه من قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتربته ، وتعظيمه لشعار دينه وشريعته ، وقيامه بمصالح أمته ومناجح ملته ، إلى مَنْ لا يبقى له مزية سوى كونه فى هذا المحل العظيم ، وجارا لهذا النبى الكريم ، صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأَخْلِقْ بها مزيةً أن يُجَلَّ صاحبها ، قال : وهؤلاء يثبت لهم حق الجوار ، وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار ، وقد عَمَّمَ صلى الله عليه وسلم فى قوله « مازال يوصينى جبرائيل بالجار » ولم يخصص جارا دون جار ، قال : وكل ما احتج به محتج من رمى عوامهم بالابتداع وترك الاتباع فإنه إذا ثبت فى شخص مثلا لا يترك إكرامه ، فإنه لا يخرج إكرامه عن حكم الجار ولو جَارَ ، ولا يزول عنه شرف مساكنته فى الدار كيف دَارَ ، بل يرجى له أن يختم له بالحسنى ، ويمنح ببركة هذا القرب الصُّورِىّ قربَ المعنى .

فياساكنى أكناف طيبة كُلُّكم إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ

ومنها : أن يتصدق عليهم بما أمكنه ، فإنه مستحب كما ذكره النووى وابن عساكر وغيرهما ، وسبق ما يقتضى مُضاعفة الصدقة بالمدينة، قال النووى فى شرح .

المهذب : ويخص أقاربه صلى الله عليه وسلم بمزيد ؛ لحديث زيد بن أرقم رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أذكركم الله فى أهل بيتى » رواه مسلم ، وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه موقوفا عليه قال : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فى أهل بيته ، رواه البخارى .

ومنها : المجاورة بها فإنها مستحبة لمن قدر مع رعاية الأدب كما تقدم فى ثانى فصول الباب الثانى عن النووى .

ومنها : انشراح الصدر ودوام السرور واستمرار الفرح بمجاورة هذا النبى الكريم والحلول بحضرته الشريفة ، والإكثار من الدعاء بالتوفيق بشكر هذه النعمة ، مع قرنها بحسن الأدب اللائق بتلك الحضرة ، والرغبة إلى الله تعالى فى جبر التقصير عن القيام بواجب حقها ، والاعتراف بالقصور عن حال السلف الماضين ، وكثرة التفكر فى حالهم ومناقبهم وآدابهم .

ومنها : أن يزم نفسه مدة مقامه فى ذلك المحل الشريف بزمام الخشية والتعزيز والتعظيم ، ويخفض جناحه ويغض من صوته فى ذلك الموطن الشريف العظيم ، ويلحظ قول الله عز وعلا (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم) وفى صحيح مسلم عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ـ إلى قوله : وأنتم لا تشعرون) قال ثابت بن قيس : أنا والله كنت أرفع صوتى عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وإنى أخشى أن يكون الله تبارك وتعالى قد غضب على ، قال : فحزن واصفر ، قال : ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه ، فقيل : يا نبى الله إنه يقول : أخشى أن أكون من أهل النار ، قال : فكنا نراه يمشى بين أظهرنا رجلا من أهل الجنة .

وفى حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه : لما نزل قوله تعالى (إن الذين

يَغُضُّون أصواتهم عندرسول الله) قال أبو بكر : آليت أن لا أكلّم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا كأخى السرار .

وقد تقدم قول مالك رضى الله تعالى عنه فى مناظرة المنصور ، وأن حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا .

ومنها : الحرص على فعل أنواع الخيرات بحسب الإمكان فى ذلك المكان ، من عيادة مريض ، وتشييع جنازة ، ومعونة ضعيف ، وإغاثةملهوف ، والإحسان إلى المقيمين والواردين ، وإكرام الزائرين ، ومؤاساة فقرائهم ولو بلقمة أو تمرة أو سَقْى المساء إن أمكنه ، إلى غير ذلك من أنواع الخير والمعروف .

ومنها : أن لايضيق على مَنْ بها من الفقراء والمحتاجين ، بسكنى الأَرْبِطَة والأخذ من الصدقات ، إلا أن يحتاج لذلك فيقتصر على قدر الحاجة ، قاله الأقشهرى ، وهو حسن ، قال : ولا ينتحل نحلة صورتها صورة عبادة ومحصولها فائدة دنيوية كإمامة وأذان وتدريس وقراءة خَتْمة أو خدمة فى الحرم ، إلا أن يخلص النية فى ذلك ، أو يكون عاجزا عن قوته ، فيأخذ من الصدقات قوته ، ومالا بد منه ، من غير تعرض لها ولا إشراف نفس .

ومنها : أنه متى اختار الرجوع ، وعزم على النهوض إلى وطنه أو غيره ، فالمستحب — كما قاله النووى وغيره — أن يودع المسجد الشريف بركعتين ، ويكون ذلك فى المصلى الشريف النبوى ، أوما قرب منه من الروضة الشريفة ، ثم يحمد الله تعالى ، ويصلى على نبيه صلى الله تعالى عليهوسلم ، ويدعو بما أحب ، ويقول : اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البِرّ والتقوى ، ومن العمل ماتحب وترضى . اللهم كُنْ لنا صاحباً فى سفرنا ، وخليفة على أهلنا . اللهم ذَلِّلْ لناصعوبة سفرنا ، وأطْوِ عنا بعده . اللهم إنا نعوذ بك من وَعْثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المُنْقَلب فى الأهل والمال . اللهم أصحبنا بنصح ، وأقبلنا بذمة . اللهم اكفنا ما أهمنا ومالانهتم له ، وارجعناسالمين مع القبول والمغفرةوالرضوان،ولاتجعله

آخر العهد بهذا المحل الشريف ، و يعيد السلام والدعاء المتقدم فى الزيارة ، و يقول بعده اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك صلى الله تعالى عليه وسلم وحضرته الشريفة ، و يَسِّرْ لى العود إلى الحرمين سبيلا سهلة ، وأرزقني العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

وقال الكرمانى من الحنفية : إذا اختار الرجوع يستحب له أن يأتى القبر الشريف و يقول بعد السلام والدعاء : ودَّعْناك يا رسول الله غير مودّع ولا سامحين بفرقتك ، نسألك أن تسأل الله تعالى أن لا يقطع آثارنا من زيارة حرمك ، وأن يُعيدنا سالمين غانمين إلى أوطاننا ، وأن يبارك لنا فيما وهب لنا ، وأن يرزقنا الشكر على ذلك . اللهم لا تجعل هذا آخر العهد من زيارة قبر نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم . قال : ثم يتوجه إلى الروضة ، و يصلى ركعتين عند الخروج ، و يسأل الله العَوْدَ مع السلامة والعافية .

قلت : وهو صريح فى تقديم وَدَاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على توديع المسجد بالركعتين ، ومقتضى كلام النووى وغيره ما قدمناه ، وممن صرح بمقتضاه فى تقديم الصلاة على توديعه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو سليمان داود الشاذلى من المالكية فى كتابه النيات والانتصار ، والأصلُ فى ذلك كما أشار إليه ابن عساكر حديثُ أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم « كان لا ينزل منزلا إلا ودَّعه بركعتين » .

ومنها : أن ينصرف عقب ذلك تلقاء وجهه ، ولا يمشى القهقرى إلى خلفه ، و يكون متألما متحزنا على فراق الحضرة النبوية ، متأسفاً على ما يفوته من تركه ملازمتها ، وهناك تظهر من المحبين سوابق العبرات ، و يتصعد من بواطنهم لقوة الوجد لواحق الزفرات .

وأنشد أبو الفضل الجوهرى فى توديعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا وشهدتَ كيف نكرر التوديعا
لعلمت أن من الدموع محدِّثا وعلمتَ أن من الحديث دموعا

وقال العز بن جماعة : أنشدنى والدى — يعنى البدر بن جماعة — لنفسه وهو يبكى عند وداعه لسفره من المدينة الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام :

أحِنُّ إلى زيارة حَيّ ليلى وعهدى من زيارتها قريبُ
وكنت أظن قربَ الدار يُطْفِى لهيبَ الشوق فازداد اللهيب

ولله در القائل :

أرسَلَتْ أعينى دموعا غزارا وحَوَتْ أضلعى لهيبا ونارا
وتنا آى صبرى وهل بعد بعد يجد الصب سلوة واصطبارا
يا ديار الأحباب كان اختيارى أن أراك المساء والأبكارا
ذاك لو يسمح الزمان ، ولكن ليس لى أن أعارض الأقدارا
ليس نأيى رضى وعن طيب نفس إنما كان بالقضاء اضطرارا
واختيارى أن لا أفارقك الدهر ولكن لا أملك الاختيارا
فعسى الله أن يمن بعود فعساه يطفى لهيبا ونارا

ومنها : أن يستصحب منه هدية ليدخل بها السرور على أهله ومعارفه ، من غير أن يتكلفها ، سيما ثمار المدينة ومياه آبارها النبوية ، ولا يستصحب شيئا من تراب حرم المدينة ولا من الأكر المعمولة منه ، قال النووى : وكذا الأباريق والكيزان وغير ذلك من التراب والأحجار فإنه لايجوز .

قلت : وقد سبق واضحا فى الحرم ، واستدلوا لاستحباب استصحاب الهدية بحديث ضعيف رواه الدارقطنى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال «إذا سافر أحدكم فَلْيهدِ لأهله ، وليطرفهم ولو كانت حجارة» وذكر الغزالى فى الإحياء سببا لذلك ، وهو تشوف النفوس إلى ذلك ، خصوصا الأولاد ونحوهم .

ومنها : أن يتصدق بشىء مع خروجه من المدينة الشريفة ، وينوى حينئذ ملازمة التقوى ، والاستعداد للقاء الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم الميعاد ، وليَحْذَرْ كل الحذر بعد ذلك من مقارفة الذنوب ، فإن النَّكْسَة أشد من المرض ، وليحافظ على الوفاء بما عاهد الله تبارك وتعالى عليه ، ولا يكون خَوَّانًا أثيما

فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما .

ومنها : أن يكون مع ذلك دائم الأشواق لذلك المزار ، ومشاهدة عظيم تلك الآثار ، متعلق القلب بالعَوْد إلى تلك الديار ، ينمى شوقه بتأمل ما نقل فى ذلك من الأخبار والآثار ، وما نظم فيه من نفائس الأشعار .

ومن أعذبها وأعجبها قصيدة الإمام الولى العارف بالله أبى محمد البكرى ، وقد أخبرنى بها جماعة من المشايخ الأجلاَّء المسندين منهم شيخنا الشيخ الإمام العلامة شيخ المحدثين بالمسجد النبوى ناصر الدين أبو الفرج محمد ابن الإمام العلامة قاضى طيبة زين الدين أبى بكر بن الحسين العثمانى المراغى سَماعاً عليه بالروضة الشريفة النبوية ، قال : أخبرنى والدى إذنا إن لم يكن سماعا قال : أخبرنى شيخنا الحافظ أبو السيادة عبد الله عفيف الدين بن محمد بن أحمد المطرى قراءة عليه ، قال : أخبرنى الشيخ الإمام العارف أبو محمد عبد الله بن عمر بن موسى البكرى سماعا غير مرة ، قال :

دَارُ الحبيبِ أَحَقُّ أن تهواها	وتَحِنَّ من طرَبٍ إلى ذكراها
وعلى الجفون متى هَمَمْتَ بِزَوْرَةٍ	يا ابنَ الكرام عليك أن تغشاها
فلأَنْتَ أنت إذا حَلَلْتَ بطيبةٍ	وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغنى الجمال منى الخواطر والتى	سلبت عقول العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكى كتربها	هيهات أين المسك من رَيَّاهاَ
طابت فإن تبغى التطيب يا فتى	فأدم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح مقررا	أن الإلهَ بطابة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها	واختارها ودَعَا إلى سكناها
لا كالمدينة منزل ، وكفى لها	شرفا حلولُ محمد بفنائها
حظيت بهجرة خير من وطئ الثرى	وأجلهم قدرا ، فكيف تراها ؟

كل البلاد إذا ذكرت كأحرف ... فى اسم المدينة لا خلت معناها
حاشى مسمى القدس فهى قريبة ... منها ، ومكة إنهـــا إياها
لا غرو إلا أن ثم لطيفـــة ... مهما بَدَتْ يجلو الظلامَ سناها
جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحوَاها
ونعم،لقدصدقوا ، بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبـــة ... فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بروضة جنة ... الله شرفها بهـــا وحَبَاها
ما بين قبر للنبى ومنـــــبر ... حيا الإلهُ رســوله وسقاها
هذى محاسنها فهل من عاشق ... كلف شحيح باخل بنواها
إنى لأرهب من توقُّع بينهـــا ... فيظـــل قلبى موجَعًا أوَّاها
ولقلمـــا أبصرت حال مودِّع ... إلا رثت نفسى له وشجاها
فلكم أراكم قافلين جماعـــة ... فى إثر أخرى طالبين هواها
قسما لقـد أذكى فؤادى بينُكم ... نارا ، وفجـــر مقلتىَّ مياها
إن كان مزعجكم طلاب معيشة ... فالخير كل الخير فى مَثْوَاها
أو خفتم ضراً بهـــا فتأملوا ... بركات بلغتها فما أزكاها
إلا إذا يبغى الكثير لشهوة ... ورفاهـــة لم يدر ما عقباها
والعيش ما يكفى، وليس هو الذى ... يطغى النفوس ولا خسيس مناها
يارب أسأل منك فضل قناعة ... بيسيرهـــــا وتحببا لحماها
ورضاك عنى دائمـــا ، ولزومها ... حتى توافى مهجتى أخراها
فأنا الذى أعطيت نفسى سؤلها ... وقبلت دعوتهـــا ، فيابشراها
بجـــوار أوفى العالمين بذمة ... وأعز من بالقرب منه يُبَاهىٰ
من جاء بالآيات والنور الذى ... داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الأنام بخطة الشرف التى ... تدعى الوسيلة خير من يعطاها

إنسان عين الكون ، سر وجوده ... يس إكسير المحامد طه
حسبي ، فلست أفي بذكر صفاته ... ولو أن لي عدد الحصا أفواها
كثرت محاسنه فأعجز حصرها ... وغدت وما نلفي لها أشباها
إني اهتديت من الكتاب بآيه ... فعلمت أن علاه ليس يضاهي
ورأيت فضل العالمين محددا ... وفضائل المختار لا تتناهى
كيف التقصي والوصول لمدح من ... قال الإله له وحسبك جاها
(إن الذين يبايعونك إنما) ... فيما يقول (يبايعون الله)
هذا الفخار فهل سمعت بمثله ... واها لنشأته الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا؛ فبذلكم ... تهدى النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد ... وعليه من بركاته أنماها
وعلى الأكابر آله سُرُجِ الهدى ... أحبب بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ، ثم عليهم ... وعلى عصابته التي زكاها
أعني الكرام أولي النهى أصحابه ... فئة التقى ومن اهتدى بهداها
والحمد لله الكريم ، وهذه ... نجزت وظني أنه يرضاها

قال البدر ابن فرحون أحد أصحاب ناظمها سيدي أبي محمد البكري : إن بعض الصالحين رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام ، قال البدر : وأشك هل كان هو الشيخ أو غيره ، وأنشد هذه القصيدة ، فلما بلغ آخرها قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « رضيناها رضيناها » .

قلت : فلذلك ختمت بها كتابي هذا عسى أن يكون مرضيًا عند سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فيلحظه بعين القبول ، لأنال منه من الرضوان غاية المأمول ، ولله در القائل :

إذا رَضِيَتْ عَنِّي كرامُ عَشِيرَتِي ... فلا زال غَضْبَانًا على لئامُهَا

اللهم جُدْ علينا برضوانك ، واجعلنا فى حِرْزك وأمانك ، وتفضل علينا بجودك وإحسانك ، بمُجَاورة حبيبك المصطفى فى الدارين ، والفَوْز من اتبِّاع سنته بما تقر به العين ، وثبت قلوبنا على الهدى ، وسلمها من الزيغ والرَّدَى ، ونجنا من الفتن والبلوى ، وخلصنا من كَدُورَات هذه الحياة الدنيا ، ووفقنا للقيام بما أمرتنا قولا وفعلا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، وسامحنا بجودك وكرمك إنك أنت الجَوَاد الكريم ، وافعل ذلك بوالدينا ومشايخنا وأحبابنا وجميع المسلمين ، سيما من اشتغل بهذا الكتاب ، ورغب فيه من الطلاب ، جعله الله خالصا لوجهه الكريم ، مُوَصِّلا للفوز بجنات النعيم ، وحفظه من الحاسدين ، بالكرام الكاتبين ، وحَمَاه من السراق ، كما من بسلامته من الاحتراق .

وقد سلكت فيه إيضاح العبارات ، مع سلامتها من الركَّة والغرابات ، ليسهل تناوله ، وتورد على العموم مَنَاهله ، وحذفْتُ الأسانيدَ من أحاديثه اكتفاء بتخريجها ، والكلام على ما يحتاج إلى الكلام عليه منها .

وكأنى بمن لا يميل طبعه المنحرف إلى الفقهيات ، قد عاب علينا بما أوردناه فيه ، من أحكام الحرم وغيره ، وكذا ما ذكرناه من منازل المهاجرين والأنصار والدور المباركات ، وأسماء البقاع والجهات البعيدات ، وإن كانت من التوابع والمضافات ، وما دَرَى موقع ذلك عند ذوى العنايات ، والهمم العاليات ، ومن جهل شيئاً عاداه ، والحمد لله على ما أولاه .

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : فرغت من تأليفه فى اليوم المبارك الرابع والعشرين من جمادى الآخرة عام ست وثمانين وثمانمائة بالمدينة الشريفة ، ثم بلغنى بعد الرحلة إلى مكة المشرفة فى شهر رمضان منها ما أصيب به المسلمون من حريق المسجد فألحقته فى محله ، وسأتبعه بما يتعلق به من العمارة المتوقعة إن شاء الله تعالى .

قال مؤلفه : وكان الفراغ من تبييضه على يد مؤلفه بالمسجد الحرام المكى تجاه الكعبة المعظمة فى سلخ شوال المبارك ، عام ست وثمانين وثمانمائة ، ثم ألحقت فيه

ما سبق ذكره من العمارة المتجددة ، وما ترتب عليها فى محالها بعد رجوعى إلى المدينة الشريفة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، والحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الأكرمين ، رضوان الله عليهم أجمعين !

وقد تم ـ بحمد ذى القدرة والجبروت ، الذى بيده ملكوت السموات والأرض ـ تحقيق هذا الكتاب المبارك إن شاء الله فى شهر رمضان المعظم من سنة ١٣٧٤ ﻫ ، والله سبحانه ولى التوفيق والسداد ، وكان من عجائب المصادفات أن شرعت حكومة المملكة العربية السعودية بأمر كريم صدر من جلالة الملك المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود ، فى ترميم بعض مواطن مِنْ حرم النبى صلى الله عليه وسلم وعظم و بارك وكرم وتوسعته، فأحببنا أن نضيف تفصيل ذلك إلى هذا الكتاب كما أضاف المؤلف تفاصيل العمارة التى حدثت فى زمانه ، وجعلنا إضافتنا فى أخريات الكتاب ؛ لأننا لا نرى من حقنا أن نضيف فى أثناء الكتاب ما ليس من عمل صاحبه ، والله يتقبل منا و يجزينا بما هو أهله من الكرم والجود والإحسان ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

التوسعة السعودية للمسجد النبوى الشريف

إتماما للفائدة المرجوة من نشر هذا الكتاب القيم والأثر الخالد (وفاء الوفا — بأخبار دار المصطفى) .

نرى أن نلحق به ملخصا عن العمل القائم فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى توسعته الحالية وعمارته الضخمة على نفقة المغفور له الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ثم على نفقة خلفه مولانا صاحب الجلالة الملك سعود ـ أيده الله .

وقد استقينا هذه المعلومات من مدير مكتب مشروع التوسعة سعادة الشيخ محمد صالح القزاز المشرف على إدارة أعمال العمارة بهمة فائقة وإخلاص منقطع النظير .

الناشر

محمد سلطان النمنكانى

صاحب المكتبة العلمية بالمدينة المنورة

فى ١٢ رمضان سنة ١٣٧٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

في اليوم الخامس من شهر شوال سنة ١٣٧٠ بدىء في تنفيذ مشروع توسعة الحرم النبوى الشريف ، وكان أول مابدئ به هو هدم الدور المحيطة بالمسجد والتى انتزعت ملكيتها ، واستمر العمل جاريًا في نقل أنقاضها ومتخلفاتها وكل ما استلزمه الحال حتى ١٤ شعبان سنة ١٣٧٣ .

وفى شهر ربيع أول عام ١٣٧٢ زار المدينة جلالة الملك سعود وكان إذ ذاك وليًا للعهد ، وفى حفل كبير رائع وضع جلالته الحجر الأساسى للمسجد .

وفى اليوم الرابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٢ بدىء في حفر الأساسات للمسجد الشريف بالجناح الغربى بالمنطقة التى تلى باب الرحمة .

وفى شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣ زار جلالة الملك المدينة المنورة ، وبنى بيده في عمارة المسجد ، ووضع أربعة أحجار في إحدى زوايا الجدار الغربى للمسجد الشريف .

وقد أنشىء من أجل العمارة مصنع مخصوص لعمل الأحجار الصناعية (الموزايكو) وزود بكافة الأدوات والجلايات الميكانيكية ، واختير له مكان في منطقة أبيار على حيث جلب له مهندسون إخصائيون من إيطاليا ، ويعمل تحت إشرافهم قريب من أربعمائة شخص ، وإنتاجه بحمد الله يساير مستلزمات العمارة .

ويعمل بالحرم الشريف عشرة مهندسون منهم ثمانية من المصريين وواحد من السوريين وواحد من باكستان — ويعمل تحت إشرافهم أكثر من مائتى صانع من المصريين والسوريين وعدد من الباكستانيين والسودانيين واليمنيين والحضارمة كما يعمل معهم أكثر من ألف ومائة عامل من السعوديين .

استحضرت رافعات وسيارات ضخمة وتركترات وخلاطات ميكانيكية

وآلات مختلفة من أحدث الآلات الفنية ،وكلها تعمل فى عمارة الحرم الشريف ويزيد مجموعها عن أربعين قطعة .

استعمل ميناء ينبع لترسو به البواخر التى تحمل الأخشاب والحديد والإسمنت وجميع مواد البناء اللازمة للعمارة ، ثم تنقل هذه المواد على السيارات الضخمة للمدينة المنورة ، وقد رست به حتى الآن ثمانَ عشرة باخرة جاءت بمواد عمارة الحرم الشريف ، وقدبلغ مجموع ما أفرغته فى الميناء ١٤٧٠٠ طن من الحديدوالإسمنت والأخشاب ومواد مختلفة .

وأنشئت ورشة خاصة بالمدينة زودت بالمهندسين الميكانيكيين ، والصناع وكلهم سعوديون لأجل تعمير وإصلاح السيارات والآلات الميكانيكية التى تعمل بالعمارة الشريفة .

وقيمة الدور التى انتزعت ملكيتها للتوسعة (١٧٥٤٠٠) جنيه ذهب — وتكاليف المشروع حسب تقدير المهندسين (٥٠٠٠٠٠٠٠) خمسين مليون ريال — وقد تشكلت لجنة خاصة من كبار رجال المدينة لتقدير قيم العقار وقد روعى فى ذلك مصلحة أصحاب الأملاك ، وقدرت لهم بأوفى ثمن .

وقد أنشىء مكتب خاص لمشروع التوسعة به أكثر من خمسين موظفاً يعملون فى الأعمال الإدارية والحسابية والمستودعات وغيرها من الأقسام اللازمة لمثل هذا العمل الجليل كالآتى :

المكتب الرئيسى	القسم الفنى
القسم الحسابى	قسم المستودعات
قسم الصندوق	

* * *

الإداريون المسؤولون بالمكتب الرئيسى بالمدينة

حضرة صاحب السعادة :	الشيخ محمد بن لادن	المشرف العام على عمارة الحرم النبوى الشريف
سعادة :	« محمد صالح القزاز	مدير مكتب توسعة الحرم النبوى الشريف
الشيخ :	جعفر الفقيه	مدير المستودعات
« :	أسعد صادق	رئيس الحسابات
« :	عباس سقاف	مفتش أعمال
« :	عبد المجيد خطاب	محاسب المستودعات
السيد :	محسن عمران	رئيس قسم التحرير
الشيخ :	على بازرعة	أمين الصندوق
« :	ناصر عبد الله	أمين المستودعات

* * *

القسم الفنى

السيد المهندس : فهمى مؤمن المهندس المعمارى لمشروع الحرم النبوى الشريف

و يعاونه الرسامان المعماريان : عطية مؤمن ، و يوسف على

الرسام المعمارى الباكستانى

« « :	الدكتور محمد هلال	المهندس الإنشائى للمشروع
« « :	رياض محمد البحيرى	كبير مهندسى التنفيذ

الاسم	الوظيفة
السيد المهندس : عبد الله سرور الشريف	مهندسو التنفيذ
« « : حمدى محمد عبد الرحمن	
« « : جميل كامل حسن الأسيوطى	
« « : أكرم البقاعى (سورى)	
« « : الدكتور كمال بركات	
« « : محمد مسعد مدكور	
« « : محمد سعيد حسن	
« « : سعد الحداد	
« « : سعيد أحمد قداح	
« : عادل حسن محمد عبد العزيز	رسام
« : السيد محمد كريم	سكرتير القسم الفنى

* * *

رؤساء الأعمال

الاسم	الوظيفة
الشيخ : حسن زايد	رئيس عمال
« : على الوتيرى	« «
« : محمد صالح حضيرى	« «
الريس : محمد أحمد	« «

* * *

	أمتار مربعة
مساحة المسجد الشريف الذى بناه النبى صلى الله عليه وسلم	٢٤٧٥
زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	١١٠٠
« أمير المؤمنين عثمان بن عفان	٤٩٦
« الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك	٢٣٦٩
« الخليفة العباسى المهدى	٢٤٥٠
« الملك الأشرف قايتباى	١٢٠
« السلطان عبد المجيد العثمانى .	١٢٩٣
المساحة الكلية للمسجد النبوى الشريف قبل التوسعة السعودية	١٠٣٠٣
التوسعة السعودية ومقدارها	٦٠٢٤
المساحة الكلية للمسجد بعد التوسعة السعودية	١٦٣٢٧

	امتار مربعة
عمارة التوسعة السعودية	٦٠٢٤
عمارة الأجزاء القديمة التى هدمت وأعيد تعميرها وهى الجهات الثلاث	٦٢٤٧
مجموع العمارة السعودية	١٢٢٧١
مساحة الجهة القبلية	٤٠٥٦
المجموع ١٦٣٢٧	١٦٣٢٧

إحصاء عن العمارة الجديدة

عدد الأعمدة المربعة المحيطة بالجدار	٠٧٤ عامود مربع
عدد الأعمدة المستديرة فى العمارة الجديدة	٢٢٣ « مستدير
الجـــدار الغربى	١٢٨ متر طـولى

الجـــدار الشرقى		١٢٨ متر طولى
الجـــدار الشمالى		٩١ » »
البواكى الشماليــة		٥ باكيــة
» الشرقيــة		٣ »
» الغربيــة		٣ »
» الوسطى		٣ »
الأبواب الجديدة		٩ أبواب
الحصاوى (٢ حصوة)	العقــود	٦٨٩ عقد
النوافذ (٤٤ نافذة)		
عمق الأساسات للجدران والأعمدة (٥ر٤ مترا)		
عمق أساسات المآذن		١٧ مترا
عدد المآذن (٢ اثنتان)	ارتفاع المئذنة	٧٠ مترا

* * *

مشاريع أخرى بالمدينة المنورة

مشروع خط العين الزرقاء والخزانات

» إكمال تعمير بناية الكلية العلمية

» إنشاء جسور على متون الأودية بالمدينة المنورة

» إكمال إنشاء مستشفى جلالة الملك

» سفلتة الطرق الرئيسية بالمدينة

» إنشاء محطة كهربائية عامة للمدينة

* * *

ما تم من مشاريع المدينة المنورة

خط العين الزرقاء :

تم إنشاء خزانين سعة كل واحد منهما سبعمائة طن وخمسون طنا ، وقد أنشىء فى قباء عند منبع العين الزرقاء وركب على المنبع طلمبتان كل طلمبة ذات (٨ بوصة) تدار بواسطة ماكينتين كبيرتين قوة كل منهما (٣٦ حصانا) لرفع المياه من المنبع للخزانات ومد خط من المواسير الزهر قطرها ١٢ بوصة تتدفق منها المياه إلى المدينة المنورة .

وبدىء فى توزيع شبكة من الخطوط الفرعية فى أنحاء المدينة لتزويد السكان بالماء وقد تم من ذلك نحو ٣ — ٩ من العمل .

وأصبح السكان فى الجهات التى امتدت الخطوط الفرعية فيها يتناولون مياه شربهم من الصنابير التى انتشرت بشكل مجاميع فى تلك الجهات دون عناء أو تعب .

الذى تم من الخطوط المسفلتة :

خط المطار وطوله	١١	كيلو مترا
خط سيد الشهداء وطوله	٣	« «
خط المساجد وطوله	٣	« «
	١٧	
وستتم بقية الخطوط التى تبلغ عشرين كيلو مترا	٢٠	
فيكون المجموع	٣٧	« «

هذا عدا الخط الرئيسى الذى يربط المدينة بمكة والعمل يجرى فيه الآن فى منطقة مستورة بعد رابغ مما يلى المدينة .

تم تسقيف بناية الكلية، وركبت فيها الأبواب والنوافذ ، و بيضت جدرانها ويبقى فرش أرضياتها بالبلاط ، و يمكن بعد ذلك أن تستعملها وزارة المعارف.

تم إنشاء مستشفى جلالة الملك ، وافتتحه جلالته فى عام ١٣٧٢ حينما كان ولياً للعهد ، وهو الآن يعمل فى خدمة الجمهور ، كما أنه أنشىء به جناحان آخران بأمر جلالته ، و يتم العمل فيهما قريباً.

تم إنشاء جسر كبير على وادى بطحان عند أول العنبرية فى الطريق المؤدى إلى قباء .

أما الجسور الأخرى فهى :

١ — جسر عند سيد الشهداء على وادى قنا .

٢ — جسر عند الجرف على وادى العقيق .

٣ — جسر عند طريق المساجد على بطحان أيضا .

٤ — جسر عند طريق بئر عروة ، على وادى العقيق أيضاً، وسيتم إنشاؤها طبقاً للخطة المرسومة للعمل .

مشروع الكهرباء :

يجرى العمل الآن فى تركيب ما كينتين كهر بائيتين قوة كل منهما ١٥ حصاناً و ٤٠٠ كيلوات ، و ينتظر أن يتم العمل فيهما وفى التمديدات للأسلاك بعد سنة واحدة وحينئذ يمتد منه الضوء إلى المسجد الشريف و إلى منازل السكان فى المدينة.

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس الجزء الرابع من كتاب

« وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »

لنور الدين على بن أحمد ، المصرى ، السمهودى ، نزيل دار الهجرة

المتوفى فى عام ٩١١ من الهجرة النبوية

وقد تمت فهرست الجزء الرابع ، والحمد لله رب العالمين
وصلاته وسلامه وتحياته المباركة على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه